الابادة والانتلاف من بواعث الامة

الشعب العربي بحاجة الى تراكز وتحول هادم يؤدي الى ولادة جديدة

☆☆☆

تقرر الملاحظة للتحولات الطبيعية في الاجسام ان الفريسلوجية فيها تعرب عن امكان استمرار الفناء ، اغداقاً لمعنى البقاء ، فأن هدم الكائن كائناً آخراً ، يعني انه يفرض عليه الاستحالة الى شكل جديد يتحور ويتبدل فيه ضمن نطاق النظام الطبيعي القائم على — ان الحياة تأكل الحياة — ولولا هذا النسق المفروض الذي تطبقه قوة الاستمرار ، لحدّ الفاعل الوجودي من طبيعة ذاته ووقف دولاب الكون.

فالامة — في هذا الرأي — كالفرد تحتاج الى الابادة والاتلاف البلوتوقراطي لاقرار « بعث جديد » بطريق ولادة صحيحة ، لا بطريق تناسل ردي، تمشت عليه بعض الامم ومنها الامة العربية ، وقد أشار العلامة الاميركي ردبيرد « Redbeard » اليه بقوله « ان الالتواء الطبيعي والتشوه العقلي هو نتيجة مباشرة لتناسل ردي، خلال ألفي سنة ».

وليس يؤخذ على الامة العربية التواؤها الطبيعي وتشوهها العقلي فحسب ، بل يوخذ عليها تدني تربيتها الوطنية المتممة لمعنويتها ، وعدم استقامة خُلقها ، واتزان حياتها الاجتماعية التي هي مظهر من مظاهر النطق والتعبير عن حيويتها في معرض الوجود العالمي ، ولذلك كان القضاء على هذا « النوع العربي القديم» ضرورة من ضرورات الحركة التقدمية التي تبني كل جديد على انقاض كل قديم.

ومن الملاحظ في اساليب البعث بعد « الضربة الماحقة » على النوعية الرجعية في كل شعب ، ان القيمة الاجتماعية تسمو في نفس الموجود بمقدار ما تكون الابادة قوية والصدمة عنيفة ، والا فما ينفعنا انتظار الاصلاح والبناء اذا كان جسم الشعب تتآكل به اجرام الفوارق والتأخر دفعاً وسلباً.

واصدق ما يشار به الى سرعة مبدأ التحول في معنى الامة ما عناه الرئيس الاميركي تيدور روزفلت بقوله « اذا كانت الامة لا تستطيع حماية نفسها تحت شكل الحكومية الديموقراطية فعليها اما ان تبسط شكلاً حكومياً جديداً او ان تموت ».

ونحن نعلم انه ليس باستطاعة «المجموعة العربية» ان تخلق شكلاً من الحكومة جديداً لحلول الاعتقاد بالقضاء والقدر في نفسها ، بل يمكنها ان تجعل شكل الحكم فيها يموت موتاً ابدياً لتمهد الطريق لولادة نشء حديث حر ، يعرف كيف يناضل ويقاتل في سبيل بقائه وحيويته جرياً مع الحكم البيولوجي — « افضل المقاتلين هم افضل جنس منتج ».

ونحن انما نقول بابادة « معرقلات» الامة لاننا نرى في استجماع القوة بكيان جديد واع ، باعثاً مميزاً يحملنا على الاعتراف بأنه يستحيل علينا « الترميم القومي» اذا كان « الاساس » يقوم على اساس واهن ، ومن الافضل ان ننزل « ضربة القضاء » — في ايمان القضاء ، لكي نجعل « لوصفتنا الكيماوية » حدثاً تدميرياً رائعاً تكون دونه احداث الموت.

ان مستقبلنا بيدنا ، واتلاف الاصل القديم في شكل الامة « Degeneration » في بعث جديد نكيفه على التضحية ، هو اولى لنا من ان ينزل فينا ذلك القضاء جميع احكامه المبرمة !

مبشّر - الولايات المتحدة

عبدالله بري

الخطبة لدى تمثال الحرية

القائم على جزيرة بدلو الواقعة في وسط ميناء مدينة نيويورك

بقلم راجي ظاهر

السلام

ايتها الالاهة الخالدة المخلدة !

السلام يا ام الاحرار؟ لقد جئتك ، ايتها الالاهة المجيدة ، الى هذا المزار لاحج اليك حجة الوداع . كما جئتك منذ خمسة عشر عاماً لاحج اليك حجة اللقاء. وذلك حين ساقت التقادير ركابي الى هذا الحمى من بلاد الشرق القصية . وما اعظم الفرق بين الحجتين ، يا مولاتي، فلقد اتيتك متلمساً وانا غر القلب غض الشباب وها انا ذا آتيك مودعاً كهلاً في الروح والاهاب .

ولما وطئت قدماي لاول مرة ارض مزارك على هذه الجزيرة كنت مؤمناً بان هذه الارض الكريمة التي احتضنت تمثالك هي وحدها موطنك . وها انا اقف امامك مؤمناً بان بلاد الله الواسعة كلها ، كلها منزلك ، وان نورك قبس من نور ابيك الذي في كل مكان يشع على الناس جميعاً في كل مكان. فاذا رأيتني ، ايتها الالاهة الفاتنة الطهور، حاجاً اليك في هذا الحرم الشريف فما ذلك لاعتقادي بانه مقرك دون سواه، بل لان الانسان الحر قد نصب لك عليه تمثالا عظيما احاطه بالمحبة والفتنة والاجلال وجعله رمزاً لمجدك وخلودك .

أتذكرين ؟

أتذكرين ، ايتها الالاهة، حجتي الاولى اليك منذ خمسة عشر عاماً ؟ اتذكرين كيف رحت أطوف حول تمثالك كما يطوف الحجيج حول هياكلهم المقدسة، وكيف مددت يدا مرتعشة ولمست، بكل احترام ، حجراً من قاعدة تمثالك العظيم وصافحتك ناقلا اليك سلام ابنائك البررة في مشرقنا ؟ اتذكرين كيف ركعت بخشوع امامك وقبلت الارض بين يديك ثم اخذت اتلو صلاتي لك ، وكيف تدافع الزوار نحوي لينجدوني ظانين بي علة ؟ والزوار يملأون مزارك على الدوام : يعجون فيه ويصخبون ويدنسون جدران هيكلك بكتابة اسمائهم الزائلة عليها ولو عقلوا لتكلموا همساً في هيكلك الذي لا يعدله عند الاحرار في القداسة هيكل .

اي، الاهتي، يا امي وابي! اتذكرين ما قلته لك في صلاتي تلك. اسمحي لي ان اعيده على مسمعك لاجدد معك عهداً ووداً . قلت لك : « انني جئتك لانذر لك دمي ولساني وقلمي. وانني ما اتيت ارض تمثالك طمعاً في نضارها ولا افتتاناً بفتنتها المادية بل لاملأ رئتي بهوائها الحر ولامتع عيني بنور وجهك الكريم الصبيح بعدما حرمني الاستمتاع بهما اهل الظلم والطغيان في ارض آبائي واجدادي . » .

وها قد مضى على حجتي الاولى اليك خمسة عشر عاماً وليتك فيها قلبي تولية مطلقة. فما فتنتني لذة العيش فانقدت اليها هنيهة ثم ما سمعت اجراسك تدق تدعو المؤمنين الى الدفاع عن حرماتك المنتهكة حتى تركت ما انا فيه غير آسف ولا متأفف وهرولت للدفاع عنها كالثور في ميدان الصراع حين يلوّح له المصارع بالراية الحمراء !

في مدينة الظفر والناب

خمسة عشر عاماً مرت على وقفتي الاولى لديك في هذا المكان ، خمسة عشر عاما قضيت معظمها على مقربة منك اصارع فريسي هيكلك في مدينة الظفر والناب. وانها لمدينة مصاب اهلوها بداء. ليس افتك منه داء —هو داء الدولار القاتل الذي يزهد المصاب به في كل قيمة روحية ويرغبه في كل قيمة مادية ويزين له المادة في شتى صورها آلة طائرة ام سائرة ام دائرة ويجعله يحسب المدنية الحقيقية في بناء البنايات المشمخرة القائمة طبقاً فوق آخر كالصناديق المكدسة، وفي صنع القطر السريعة والقنابل الذرية الماحقة. ولقد سبى شيطان الدولار الناس، يا مولاتي ، فمالوا عنك وغدوا عبيداً للعقل المفتون بالآلة الذي يحسبك واخواتك العدل والرحمة والضمير اوهاماً واحلاما .

ولكم وسوس شيطان المادة في اذني عقلي وكاد يفتنه بسحره ولكم زين له الدنيا اذا مال عنك اليه. ولكم زهده فيك وقال :

* اخي الاستاذ البير: لا تحسب بعد قراءتك هذا المقال انني في طريقي اليكم. ان دون ذلك مصاعب شتى. ولكن اذا يسر الله الامور فقد اراكم بعد عامين . (راجي)

ان الانسان يولد عبداً ويموت عبداً . وانه عبد بدنه ، عبد بيئته ، عبد مناخه، عبد من بيده رزقه،عبد تقاليده الموروثةوالمستحدثة، وعبد لالف نوع من العبوديات الظاهرة والباطنة .وانالذي يحرره من هذه العبوديات كلها هو الدولار وحده.وانك انت ، ايتها الالاهة الخالدة ، لست الا من نتاج محموم المنى والخيال !.

ولكم خاطب العقل قائلاً : اين لهان يرى وجهك ايتهاالالاهة في هذا العالم الفسيح الارجاء الا في هذا التمثال؟ افي العالم الرمالي الديمقراطي الذي يساوي الناس في حرية الموت جوعاً ؟ام في العالم الشيوعي الذي يساويهم في الشقاء والعبودية العمياء.الدولة المؤلهة؟ ام في العالم الاقطاعي الذي يساويهم في الجوع والشقا.والعبودية ويحسبهم ما وجدا الا لتأمين هناء السادة الاقطاعيين وتجار الوطنية والدين ؟

وكثيراً يا مولاتي ما كان عقلي يؤخذ بسحر منطق الاله المادة المعبود فيكاد ينفر منك ويبعث برجلي مع ملايين الارجل الدابة نهاراً وليلاً بلا انقطاع لاكتناز الدولار الفاتن. غير انقلبي، والقلب كما ذكرت بقي موالياً لك اتم ولاء ، كان لا يلبث ان يلجم عقلي ويعيده الى محجة الصواب. لقد بقي القلب وفياً لتعاليم انبياء آبائي واجدادي القائلة ان المدنية الحقيقية هي في انصاف الفقير والمظلوم وفي الرفق بالضعيف انها في الايمان بان الغلبة في هذا الوجود للقيم الروحية وللمؤمنين بالعدل والحرية والاخاء الانساني. انني ،ايتها الالاهة ادين بسلطان القلب . قد يحول العقل العلمي الآلي رمال الصحارى الى مال ، كما يقول عبيد الآلة والدولية، اما القلب فهو الذي يخلق في صحارى الوجود الواحات التي لولاها لما كان في دنيانا حياة ولا جمال.

سامح الله الماديين يامولاتي .سامحهم الله . وغفر لهم غرورهم وبطرهم وجهلهم. انهم يحتاجون الى الرحمة والشفقة اكثر من سواهم انهم اسرى العموديات انهم عبيد العقل العلمي الآلي السائر بهم حتا الى نظام مملكة النمل .

انت ايتها الحرية

انك موجودة ايتها الالاهة النقية لان قلبي يقر بوجودك،لانك نسمة مباركة من الروح الكبرى تمسين برعم الزهرة فيتفتح لانوار الصباح. ومنقار العصفور فيغرد طروباً . وقلم الاديب وريشة الفنان وازميل النحات فتأتي بالسحر آيات ومعجزات .

انت انت وحدك تسبغين على الحياة الدنيا اجمل معانيها وتحببين لبني البشر الاحياء ما فيها فان كنت وهماً فآه ما اجمل وهمك وابهى سناه ! انت ، انت وحدك الاصل وسواك الفروع!

يقول صاحب سفر « النبي »وهو كما تعلمين من ابناء بلادي، يقول بلسان نبيه انه يود ان يستبدل تمثالك هذا بتمثال للمحبة. اي الاهتي سامحي هذا النبي الجديد ، سامحيه. لقد ضل ضلالا بيناً. لقد التبست عليه القيم .فلم يدرك ان المحبة زهرة وأنت شذاها وانك انت روح المحبة فاذا تجردت المحبة منك غدت جسما بلا روح !

ولقد سمعت بشعب كريم نصب على مرفأ عاصمته تمثالا لنبي عظيم ولكن يا مولاتي اي معنى للدين الا بك . ايصح الايمان بالقيم الروحية غير طواعية. ايصح الايمان خوفاً من بطش ذوي السلطان؟ كلا انت ، انت وحدك روح الدين . ولذلك فانت احرى بالتأثيل من سواك ، لانك ، اذا مت مات الدين !

انت انت وحدك تعطين الشرف والفضيلة والرحمة والوطنية وسواها من القيم الروحية معانيها .أفليس لذا لم تهبمن روح كريمة مباركة في عالمنا الا عشقتك وقضت ايامها على ارضنا مفتشة عن اكاليل المجد لتطرحها على قدميك ؟ أفاليس لذا مات خيرة اصحاب الارواح الكبيرة الثائرة على العبودية والظلم ، كلنكن وغاندي وفولتير وواشنطن وسعد زغلول ومتشيني وجمال الدين الافغاني وصنياتسنغ واديب اسحق وفرح انطون وكثير غيرهم ، وهم يباركون اسمك المجيد لانك باركت حياتهم واسبغت عليها الجمال والحكمة والسحر الحلال .

وغداً ، غداً عندما « يحرر » العقل العلمي الآلي المغرور الانسان من «الاوهام المخدرة » كما يسمي الدين والحرية والفردية والفن الحر ويجعل للدولة سلطانا على الفرد غير منازع ويتخذ الآلة صنمه المجد غداً حين يكبل العقل الانسان بالعبوديات المادية المرهقة ويوشك ان يمحقه من الوجود بقنابله الذرية وبمخترعاته الجهنمية، يود الانسان لو بقي مستنيراً بنورك آخذاً بمبادى، رسالات بوذا ويسوع ومحمدا

العالم العربي المظلم

اصغي الي يا رافعة المشعل لاكشف لك عما في قلبي. انني ايتها الالاهة من ابناء العالم العربي . وهو عالم منكود الحظ يخيم عليه الجهل والفقر والامراض منذ قرون متطاولة طائفة من شر خلق الله على ارضنا. عالم مصيبته الاساسية هي في فقدان قادته الروحيين ايمانهم بالرسالات الروحية التي يبشرون بها ومحالفتهم الطغاة على شعوبهم لامتصاص دمائها واستذلالها . ان قادتنا الروحيين هم كلاب صيد اعدائك في عالمنا ! انهم يسخرون المبادى، السماوية النبيلة لمآرب لاهي سماوية ولاهي نبيلة ويعلمون المستضعفين ان التعصب والسخافات من مستلزمات الايمان بالله ! ارأيت يا مولاتي ما يفعله هؤلاء المجرمون، قتلة الايمان واعداء الله. لقد جاء اصحاب الرسالات السماوية الحرة

لتحرير الانسان من ربقة ملوك النخاسة و كهنة الاصنام وتجار النفاق فنبذ الذين يتزعمون هذه الرسالات في عالمنا مبادئها السامية واستخدموا قشورها اغلالا لاستعباد الناس .

اي ، نصيرة المظلومين ! يقول محمد « كلنا عباد الله » ويقول يسوع « كلنا ابناء الله » وهذان قولان مهما اختلفا لفظاً فمعناهما واحد وهو اننا كلنا متساوون في عدل الله ورحمته وفي حقنا في الاستمتاع بخيرات ارضنا ، فما بال الطغاة من اهل الاستعمار والاقطاع يحسبون الشعب خلق لتأمين هنائهم الخاص ؟

اى الاهتي الحرة المحررة ، اما آن للرقاب في عالمنا العربي ان تنعتق من عبودية الاقطاعيين والزعماء العشائريين والطبقات الجشعة المستثمرة ؟ أقضي على عالمنا ان يبقى مظلماً والا يستنير بنورك ابداً ؟ افكلما حاول احد ابنائك فيه ان يشعل مشعلاً صغيراً ويسير في طريقك لتحرير السواد الاعظم المستعبد تألب عليه الرجعيون واهل الظلام فاطفأوا نور مشعله واهلكوه ؟

اي أيتها الالاهة الحرة المحررة ، حالفينا على عداتنا وعداتك ساعدينا نحن ابناءك الاحرار لادراك النصر فاننا ان نهلك في هذا الزمان لن تجدي من يعبدك في عالمنا بعد اليوم ابداً !

احرار العالم العربي

اي رافعة المشعل المنير، دعيني احدثك عن أحرار بلادي فاني بامرهم لخبير . انهم فئة فقدت وازعها الروحي فصارت تميل مع كل ريح . ولقد فتن الغرب بعض هؤلاء الاحرار فراح يمسخ نظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مسخاً . هذا يداعب الشيوعية وذاك الديمقراطية وذلك الاشتراكية الديمقراطية ناسين ان هذه النظم لا تستورد من الخارج كالمتاع . وانه لا بد لها لتحيا في بلد ما من ان تستمد قوتها من صميم الشعب ومن تاريخه وتراثه . وهذا البعض من احرارنا يريدنا ان نطلق تراث الجدود وان نعيش على ارضنا كالقطاء .

اما البعض الآخر من احرارنا فيريدنا ان نرجع بالزمان القهقرى لالف سنة لنطبق على عالمنا الحاضر المبادىء التي بنى عليها الجدود امجادهم . وينسى هذا البعض يا هولاتي ان لكل زمان نظاماً خاصاً وطابعاً خاصاً . اي الاهتي ، ان هؤلاء كشجرة ذات جذور ولكنها بلا اوراق ولا اغصان ، واولئك كشجرة باغصان واوراق ولكن بلا جذور !

علمي ايتها الالاهة احرار بلادي ان الماضي والحاضر والمستقبل حقب متعانقة في حياة الامم . وانها حلقات آخذ بعضها برقاب بعض في اتصالها الوثيق : قوة وحياة . وفي تفككها : ضعف وفناء . علميهم ، ايتها الالاهة ، ان العلاج لعللنا كلها هو في القومية العربية التقدمية الحرة التي تصل ماضينا بحاضرنا وبمستقبلنا . ان هذه القومية التقدمية الحرة هي وحدها تجمع بين حسنات ماضينا وحاضرنا وحسنات الشعوب الاخرى الراقية وتمكننا من ايجاد النظام القومي الحر الصحيح الذي يكفل لنا تحقيق آمالنا وامانينا واهدافنا المتجسمة في مبادىء العدالة الاجتماعية العربية .

علمينا نحن ابناءك في العالم العربي ان نؤمن بالشعب وان نستمد قوتنا من قوته وان نعلمه ان مصيره في يديه . اجعلي اكتافنا اكتاف رجال اقوياء جديرين بحمل اعباء جهادك المقدس . واجعلي قلوبنا قلوب الشهداء الذين يطلبون الحياة في انتصارك وقتل الطغاة !

دم عربي شريف

ايتها الالاهة الساحرة ! ها اناذا اقف لديك قبيل رحيلي عن ارض تمثالك لالتحق بابنائك في العالم العربي . ها اناذا اقف لديك لانذر لك دمي مجدداً . فيا ايتها الالاهة المجيدة ، الخالدة المخلدة ، لا ترفضيه . انه دم عربي شريف . دم ابناء الصحارى والفلوات لا دم الاقطاعيين وعبدان السلطان . انه دم الاحرار . دم اولئك الذين عششت اجدادهم كالصقور في جبال لبنان لا دم ملوك المال وتجار الضلال وعبيد القيان الذين لطخ الاستعمار والاستغلال ايديهم بدماء الاحرار والمستضعفين والعمال والفلاحين .

اي ايتها الالاهة الفاتنة !

لئن غاب وجهك هذا عني غداً في اثناء جهادي التحريري في ارض الآباء والاجداد او حال بينك وبيني اهل الطغيان والاستبداد فسأراه حين نغسل ايدينا ، نحن الاحرار ، بدماء اعدائنا واعدائك الطغاة !

فسأراه يبسم لي حين نحطم قيود الفلاحين ونعيد اليهم الكرامة الانسانية التي سلبهم اياها ساداتهم العتاة !

وسأراه في بسمة الاولاد المحررين من الجوع والجهل والاوباء المؤمنين بالحياة الحرة التي فتحنا ، نحن ابناءك ، لهم ابوابها .

وسأراه كلما سمعت اصوات ابنائك في العالم العربي يهتفون لك بالحياة ويصنعون لك من آلامهم وتضحياتهم تماثيل من نور لا يزول ويرفعون فوق كل معقل من معاقل الرجعية والاقطاع والزندقة راياتك الظافرة !

سأري وجهك الحبيب في كل ذلك ، ايتها الالاهة الطهور !

فوداعاً الآن ، والى اللقاء في ساحات الجهاد ، في مشرقنا !

فصل من كتاب « المشاعل » تحت الطبع

نيويورك

رامي ظاهر

هدية العمر

الى الاستاذ محمود تيمور

●

كان الشيء الذي يروعها ، ويضطرب له قلبها اضطراباً هو — ليلة الزفاف — وكيف تمر بسلام ، فللزفاف في قريتنا تقاليد مرعبة ، فمثلاً لا بد من ان يبيت الجمل — ليلة الجلوة — حاملاً — التختروان — امام بيت العروس ، حتى اذا ما حانت صلاة العشاء — ليلة الدخلة — وتجمع الاهل والاصدقاء والاحباب امام البيت ، خرجت العروس محمولة على اكتاف اثنتين من بنات العم او بنات الخال ، او من تختار هي ان لم يكن لها عم ولا خال . وتوضع ملفوفة في — الشال — الحرير الاحمر في قلب — التختروان — الكبير مع اربع بنات من بنات الاهل ، وواحدة اخرى يتحتم ان تكون آخر من تزوجت في القرية . وهذه عليها مهمة خطيرة جداً ، وهي ان تقص على العروس في صدق واسهاب ، احداث الليلة الكبرى . وما ان يفك عقال الجمل وينهض واقفاً حتى تشق عنان السماء خمس طلقات نارية ، تنبعث مزغردة في الجو معلنة بدء الزفة فتتعالى الزغاريد . ويتساقط الملح كالسيل ليغمض عين العاذل والحسود . ويسير الجمل بالتختروان يتهاوى كالطاووس وسط الجموع المحتشدة وامامه — المزيكة — تعزف لحناً شجياً ، حتى اذا ما طاف الموكب باهم شوارع القرية وازقتها وبلغ بيت — العريس — واناخ الجمل اطلق عشر طلقات نارية في الجو فتقابلها في الحال احدى عشرة طلقة اخرى تنبعث من بيت العم او الخال او الصديق الذي — يستحم — العريس في بيته . وعلى الاثر تبدأ زفة العريس الذي يخرج الى الطريق يتيه — باللاسة — الحرير التي يعصب بها رأسه وتتدلى اطرافها على الحاجبين المزججين والعيون السود التي طمسها هباب الشمعة التي يتحتم ان يكون احتراقها لحظة غسل العريس في الحمام .

والكوفية البيضاء الملتفة حول العنق بحيث تتدلى على الصدر والكتفين ، ويخب في جلباب من الصوف تزحف اذياله على الارض بحيث يختفي تحتها الحذاء الاصفر الفاقع ذو « الابازيم » الستة المصفوفة ، ومن المحتم ان يكون لون الحذاء كذلك . ومن المحتم ايضاً ان يكون عدد الابازيم ستة ، وذلك لحكمة تعرف عندما يبلى الحذاء . فتنزع الزوجة هذه الابازيم من الحذاء وتعلقها في ضفيرتها مع بعض القمائم والتعاويذ التي تظل على ظهرها طيلة الحياة . وذلك تبركا وتقديساً لذكرى ليلة العمر .

ويسير العريس وسط ستة من اقرب الاصدقاء ، يحملون الشموع وطاسات البخور ، التي تنبعث منها رائحة الفاسوخ والجاوى وعين العفريت . وامامهم فتيان القرية يقرعون العصي على ضوء المشاعل ويطلقون البنادق الى ان يبلغ الموكب الدار فينطلق العريس الى داخل الغرفة التي تكون فيها العروس مع من تختارها هي ان لم تكن امها على قيد الحياة ، ومن ثم يغلق الباب اغلاقاً محكماً في حين يقف الحشد خارج الغرفة ومعهم الستة الذين كانوا يحملون الشموع صفاً امام الباب يرقصون ويرددون على توقيع الاكف انشودة معروفة ، ويظلون ينشدونها مهما طال بهم الزمن ، الى ان يفتح الباب فجأة وتخرج منه ام العروس او من تقوم مقامها مزغردة ناشرة على رؤوس الاشهاد منديلاً كالعلم ذي اللونين الاحمر والابيض وما ان يرى في يدها حتى تتعالى الزغاريد ، وتنطلق احدى وعشرون طلقة ، تخرج مدوية معلنة في سماء القرية سلامة الشرف الرفيع من الاذى .



وكانت هي ترى ذلك كله فتخاف اعنف الخوف ، وتستمع الى ذلك كله فتنتفض فرقاً ورعباً وتصغي الى ما تسره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليها صاحبتها في الهودج فينهلع قلبها حتي ليكاد يسقط فزعاً بين جنبيها يتاوى كالطائر الجريح .

انها لم تكن لترضى عن هذا كله ، ولم تكن لتطمع او تفكر في شيء لانها تعلم بان هذا سيجر عليها الكثير من المتاعب ، وسيجرها الى كثير من الاذى الذي لا تحتمله فتاة يتيمة مثلها ، لا احد لها في القرية ولا صديقة . مات ابوها قبل ان تعرف ما هي الابوة ، فنشأت بها امها في طلب الماء الذي انقطع ، والرغيف الذي امتنع والرزق الذي ضاق وظلتا تتنقلان من صعيد الى صعيد ، ومن قرية الى قرية ، حتي حطت بهما الرحال في — غرب الافندي — وهناك عاشتا كافتا فرضت عليهما الحياة فرضاً ، وارغمتا على الدنيا ارغاماً . وكما يقدر لبعض الزهور ان تنبت في الصحراء ، وتزدهر وتينع على لفحات الرمال ووهج القيلولة ، كذلك اينعت « سلمى » وازدهرت وغدت باقة يتضوع عطرها في غرب الافندي وتهفو اليها القلوب . غير ان هذه الزهرة لم تلبث ان ذبلت فجأة ، فقد امتدت اليها في الخفاء يد آثمة انتهزت فرصة — موت البستاني — الذي كان يرعاها واقتطفتها عنوة واقتداراً .

وكذلك الفت سلمى نفسها فجأة ساقطة في هذه الدنيا . تبكي امها التي ماتت ، وتندب امومتها التي تتجمع اثما وعاراً في احشائها . والناس لا يضيقون بالآثام الا اذا عرفت ولا يتبرمون بالرذائل الا اذا انكشفت ، اما اذا ظلت في الخفاء وبقيت في طي الكتمان ، فهم امناء عليها سعداء بها سعادتهم بالتحدث عن الفضيلة جهراً وعلانية . ولامرما يقدر — المرأة — احياناً ان تتعهد غير غرسها وتجني آثام غيرها .

وشعرت سلمى بثقل هذه الآثام التي تنشر اجنحتها عليها وتتبعها في النوم وفي اليقظة . وتطاردها في الليل وفي النهار ، فاختفت عن الانظار ، وذهبت الى كهفها المظلم واغلقته عليها بعيدة عن كل عين ، نائية عن كل لسان . ومرت الايام سريعة على غير انتظار وما اسرع ما تمر الايام على الذين لا يريدون لها اسراعا . وجاءها المخاض في ليلة كريهة موحشة ككهفها المظلم الذي تعيش فيه ، وخشيت ان تفجأها الخطيئة فتصرخ او يعصف بها الاثم فتستغيث ، فتسللت في الليل تحمل خزيها ، وذهبت الى حقل الاذرة المجاور للقرية ، وهناك وضعت على ارض هذه الدنيا جنينا ينكره ابوه ، وتستنكره امه ، وتلفظه الدنيا ولا يعترف به الدين . وهمت بان تتركه وترتد خزيانة كما اقبلت به في عتمة الليل خزيانة . . ولكن . . ولكن هذه القطعة من اللحم التي اقتطعتها من كبدها اقتطاعاً والقت بها في حقل الاذرة وسط هذا الليل الموحش ، اتتركها هكذا في الظلام نهباً لذئاب الحقل ؟؟ وارتدت اليها هلعة جزعة مفجوعة ، وضمتها الى صدرها في حنان وعطف لم يستشعرهما جسدها المقرور من قبل ، ومن ثم تسللت بها خائفة كمن يتسلل في الليل بشيء ثمين ، وما ان بلغت المصلى القائمة على جسر القناة الموصل للقرية حتى وضعتها في رفق ، ومن ثم جلست قبالتها في الحقل ترى وتتأمل وتنظر ماذا افاد القدر من جنين انكرته الحياة قبل ان يجيء اليها .

واقبل مع الفجر شيخ عجوز يتوكأ على عصاه . وعند المصلى نزع حذاءه وتوضأ وما ان اتجه الى القبلة حتى رأى شيئاً ملقى فالتفت اليه ، ومد الشيخ ذراعه الواهيه وهو يبسمل ، وتناول الخرقة المهلهلة ورفعها الى صدره ايرى ما فيها ، وما ان كشف عنها حتى لمعت عيناه وارتد الى الوراء يحوقل ويستعيذ بالله وهو يتمتم بشفتيه المتعبتين . — طفل . . طفل .

وصمت الشيخ حيناً ، ونظر الى السماء مرة ، والى الارض اخرى ، ومرة الى الليل الاصم وأخرى الى الوليد الذي يشع النور من وجهه ولم تتفتح عيناه بعد . ولما لم ير الشيخ ولم يسمع عاد فارسل طرفه الكليل الى السماء مرة اخرى ثم اتم صلاته وانصرف به الى القرية . ولم يكن يدري وهو يسير حاملاً اياه على ذراعيه الواهيتين وصدره المضطرب ان من خلفه عيناً تودعه باحر العبرات وتشيعه بخالص الدعوات .

ومرت ايام وايام ولما اطمأنت سلمى الى ان احداً في القرية لا يعرف انها باعثة هذا الاثم وخالقة هذا العار الذي احتضنه الشيخ وابى الا ان يكون عليه حفيا وبه ضنينا ، استردت بعض انفاسها ومن ثم راحت في هدوء ترسل الطرف خلسة الى دار الشيخ لترى دنياها المحرمة وحياتها البعيدة .

ولكن للاثم رائحة نفاذه تدل عليه وتهدي اليه ، وللخطيئة في القرى انفاساً واحاديث تمتد الى بعض الآذان وتصل الى بعض القلوب ، فقد بدأ اهل القرية ولا سيما العجائز الذين هدت الايام قواهم واقعدتهم مع النسوة في الدور للتلصص واسترقاق السمع ، يتحدثون عن الطفل الذي عثر عليه الشيخ منصور في العراء وهو يصلي الفجر ، وبدأت سلمى تحس او خيل اليها انها تحس ان العيون تمتد اليها خفية كلما سارت في الطريق ، كما بدأت تعرف ان هذه العيون لها نظرات اشد حرقة من الجمر ، وظلت تعالج هذا حيناً وتتجنبه احياناً ، بيد ان اذى هذه العيون كان اكثر من ان تحتمله ، ولفحاتها كانت اشد من ان تصمد لها ، لذلك غادرت القرية

وهي اشد ما تكون لوعة على هذا الذي تركته فيها .

ومضت «سبع سنوات» لم تعرف سلمى كيف مضت ولا كيف احتملت مرارتها ، فهي لم تمكث في قرية من القرى اكثر من شهور ، ولم تمكث في عزبة من العزب اكثر من اسابيع ، تغادرها بعدها في طلب الرغيف الذي كان يمتنع احياناً ويكون اعز منالا من امانيها التي ترملت ،ولكنها تذكر بانها نزحت الى هذه القرية القريبة من عزب الافندي مع من نزح اليها ايام الحصاد وانها تعرفت فيها على اسرة كريمة نزلت عليها فاكرمتها واعزتها وجعلتها من افرادها،وكان لهذا الجميل اثره في نفس الفتاة فاستعادت شبابها ، وعادت اليها فتنتها ورجع اليها جمالها الفاتن ، ورجع جباراً قوياً يتفجر انوثة ويلتهب حرارة ، ويفيض على الناس نوراً وانساً وابتهاجاً ، وكان ان شغل هذا الجمال الباهر اكثر من في القرية ، فتقدم اليها غير واحد من شبانها يطلب يدها ويطمع في ان يكون الجمال من نصيبه ، وهي لا تكره الا هذه الايدي التي تمتد،وهذا الزواج الذي يلحون عليها به ويريدونه لها . فالموت اهون عليها من الذي يطلبون ، انها قنعت من دنياها بهذا الذي لاقته ، ورضيت من حياتها بهذا السواد الذي تعيش فيه ، ان تعزيتها ان السماء وحدها هي التي تعرف سرها ، وهي وحدها التي تعطف على فجيعتها،فكيف تكشف السر للناس وتطلب من الناس العطف عليها .

وفكر شاب في القرية في هذه التي ترفض كل يد وتحتقر كل رجل ، وكان فتى ملحوظاً لثرائه وقوته ومحتده الكريم ، ومع انه لم يكن يفكر في النساء فقد فكر في هذه الفتاة ، ومع انه لم يكن يفكر في الزواج فقد فكر فيه ، وفكر فيه طويلاً ، وفكر في روية وهدوء واتزان ،كلفه الكثير من الارهاق ، وكلفه الكثير من البحث ، ولما عقد العزم تقدم اليها فرفضته ايضاً ولكنه اصر ، واصر في حزم وعزم وقوة ليس الى ردها من سبيل، وكان لهذا الاصرار الذي بذل فيه الفتى اكثر من طاقته، والحاح الاسرة الكريمة التي احتضنتها اثرهما . فقبلت الفتاة مرغمة ، وهي لا تدري اقبلت لانها احبت هذا الفتى ، ام لانها في حاجة الى رجل ، ام انها قبلته لانها خافت من الموت الذي هددوها به ، ام هي في النهاية قبلت ان تتزوج هذا الفتى لانها ارادت ان تنهي حياتها على اي وضع من الاوضاع ، . . ولكن ، ولكن ماذا ؟ ولكن هذا الذي هو من خيرة الرجال حسباً ونسباً . ؟ ؟ وامتقع لونها وانسابت دموعها على خديها المقرورين ، ولكنها اسرعت ومدت يدها تحت الشال الاحمر وجففتها ، وهمت بان تقول لنفسها شيئاً آخر وهي في الهودج، بيد ان زميلتها التي هي احدث المتزوجات في القرية مالت عليها واسرت اليها اشياء اخرى كانت لم تسمع بها من قبل ، فانعقد لسانها لمجرد سماعها وراح العرق يتصبب ماء من وجهها الذي شحب فجأة وغدا تحت الشال الاحمر كانه كتلة من الثلج ، وظلت كذلك كأنها شبح من الاشباح لم تفطن الى شيء ولم تنتبه لما يدور من حولها ، حتى الاحدى عشرة طلقة التي دوت في الليل عندما اناخ بها الجمل امام بيت العريس لم تسمعها،وكذلك لما دخلت الغرفة التي زينوها بالصور والتماثيل ورسموا على بابها صورة الزناتي خليفة في جانب ودياب بن غانم في الجانب الآخر ، ودهنوا جدرانها بالجير ، ووضعوا في قلبها السرير الكبير المرتفع الذي لا تبلغ سطحه الا بدرجات ثلاث — وهذا شعار اهل الثراء في القرية — حتى هذا كله لم تفطن اليه ولم تره . بيد انها بعد حين استيقظت فجأة عندما رأت الباب يفتح على مصراعيه ويدلف منه العريس فرحاً مبتهجاً يفيض شباباً وقوة ورجولة متوثبة تكاد تطفر من عينيه .

وتقدم منها ومد لها يده الصلبة المتحجرة وسط عاصفة من الزغاريد ، فجاهدت نفسها جهاداً مراً حتى مدت له يداً ذليلة منكسرة ترتعش انامله ،ولما صافحها التفت الى النسوة الموجودات في الغرفة وامرهن بصوت كانه زئير الاسد في العرين ان ينصرفن جميعاً . وهمت امه بان تعترض ولكن نظرته ارعبتها فخرجت هي الاخرى ومن ثم اغلق الباب خلفهن واحكم اغلاقه .

ورأته وهي في مكانها على السرير العالي ككومة من الثلج تجمعت فوق جبل ، يقبل عليها فخافت وارتعبت واغمضت عينيها حتى لا تراه. ولكنه اقترب منها في هدوء وكشف عن وجهها الشال الاحمر فلم تطرف ولم تنبس ، فتناول ذراعيها المرتعشتين وضم صدرها المضطرب الى احضانه وقبلها في جبينها ، فلم تطرف ايضاً ولم تنبس ، ولما احس ببرودة جبينها والعرق الذي يتفصد منه ماء بارداً ، تناول في هدوء — كوفيته — الحرير البيضاء ومسح على وجهها ومن ثم تركها ووقف منها غير بعيد يفكر ، وبعد حين اخرج من جيبه منديلا مخضباً فرده امامه ونظر اليه ، ولما اطمأن الى ما فيه فتح الباب والقى به على الجمع المحتشد خارج الغرفة ثم عاد واغلق الباب خلفه وسط عاصفة احدى وعشرين طلقة نارية صعدت تشق عنان السماء في الليل .

ومضت لحظات لا يعرف هو ولا تدري كيف مضت ، ولا

« البقية في صفحة ٦٠ »

حياة

حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر ، وعود !

حياتي ، حياتي اسى كلها
اذا ما تلاشى غداً ظلها
سيبقى على الارض منه صدى
يردد صوتي هنا منشدا
حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر وعود

بليل الشجون
وعمق السكون
تمر أمامي ، كحكم سرى
طيوف احبّائي تحت الثرى
فتزعج ناري خلف الرماد
ويغرق سيل الدموع وسادي
دموع الحنين
الى راحلين
مضوا وطوام ظلام اللحود

بقلبي اليتيم
تنادي كلومي :
اطل بروحك يا والدي
لتنظر من افقك الخالد
فونك ذل لنا اي ذل .
ونحن هنا بين افعى . وصل .
ونفث سموم .
وكيد خصوم .
بدنيا العقوق . بدنيا الجحود .

ويبدو خيال
بغفو الليال
خيال ابي شق حجب الغيوب
بعينيه ظل شعور كئيب .

واصبحت وحدي
ولا نور جدي
الجلج حيرى جذا الوجود !

وهذا شبابي .
امان كوابي .
شباب سفاه الاسي ورواه
اذا ما دعته اليها الحياة
واشواقها ، شده الف غلّ
وطوقه الف طوق مذل
شباب عذابٍ .
رهيب اغتراب . .
يضيع شذاه بأسر القيود ! .

واطرق راسي
بوحشة يأسي
وفي الروح تصخب اشواقها .
وفي النفس ترعد آفاقها .
وافزع للشعر سلوة روحي
اصور اشواق عمر ذبيح
فيهدأ حسي
وتخشع نفسي
وتسكن لهفة روحي الشريد !

واجذب عودي
لقلبي الوحيد
فتخفق اوتاره باللحون
تهدهد قلبي وتجلو شجوني
بغني وشعري والحان عودي
اصارع الام عمرٍ شهيد
وهذا نشيدي
نشيد وجودي
سيبقى ورائي صداه يعيد :
حيـاتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر وعود ! .

☆☆☆

اراه ، فتهمي له ادمعي
ويحنو علي ، ويبكي معي
وادعو : تعال !
رحيلك طال !
بمن تستظل وانت بعيد ؟! .

وفي ليل سهدي
يحرك وجدي
اخ كان نبع حنان وحب
وكان الضياء لعيني وقلبي
وهبت رياح الردى العاتية
واطفأت الشعلة الغالية



الانسة فدوى عبد الفتاح طوقان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس

اندريه جيد

بقلم شهاده بركات

ليسانسيه في الآداب

لهذا الكاتب* الذي كان له ذلك التأثير المعروف عقيدة يذيعها بين الناس : فهو ينفي عن نفسه تهمة الكتابة من اجل التأثير على قرائه اذ انه يعتقد بانهم لا يستطيعون، وليس عليهم، ان يجدوا اتجاهاتهم الا بانفسهم . حتى ان المعنى العميق لآثاره يخفى عليه . غير انه اليس من الطبيعي ان يخفى معنى الاثر العميق على كل فنان حريص على صناعته مخلص لها ؟

وترجع صعوبة الكتابة في نقد جيد انه هو نفسه ناقد اكثر منه مبدعاً ، حتى انه قام هو نفسه بنقد ذاته في اكثر كتبه وامتاز هذا النقد بالحذق والمهارة .

ويحاول جيد باستمرار في يومياته اكثر منه في اي موضع آخر، ان يدافع عن نفسه وان يمجد غرائزه فيجعل من معايبه ميزات له . وهو يشير الى ان هذه اليوميات لا تعطينا فكرة صحيحة عنه لانه كتبها في فترات من الانحطاط النفسي . كذلك يهتم بتحذيرنا والقول بأنه يميل الى عدم تقدير مناقبه . ليعترف لنا بذلك في الصفحة الواحدة والثلاثين بعد الالف والثلاثمائة من يومياته، تلك اليوميات التي لم يكن له من همّ فيها سوى الحديث عن ذاته .

ويحاول جيد منذ العشرين من عمره ان يكون نظره اسرع حركة من وجهه فيقول في كتاب، (لو ان الحبة لا تموت) : « Si le grain ne meurt » كنت شديد العناية بشخصي . وان الاهتمام بان ابدو بدقة على الصورة التي كنت أشعر انني احياها او كنت اود ان اكونها ، كل ذلك جعل مني ما يسمى بالمتكلف «Poseur» « وكنت اتأمل تقاطيع وجهي باستمرار في مرآة مكتب صغير ورثته امي عن أنا Anna ووضعته في غرفتي كي ادرس عليه » .

وفي الثانية والثلاثين من عمره قص شاربه فتولته الدهشة من ضآلة التعبير المرتسم على شفته العليا . وهو بحاجة دائمة الى رضا الآخرين عنه وشعوره بحبهم له .

غير ان هذا لم يمنعه من ان يجد ضعة في نعته بالممرج Comedien .

وانه لمن الصعب الحكم على رجل متقلب مخادع متكلف ليس له من حديث سوى التكلم عن الاخلاص .

— رجل يتمتع بتأثير عظيم رغم انه لا شخصية له بالمعنى العام لهذه الكلمة . ذلك انه رغم كل الاحتياطات فان نقائصه هي التي تبدو بوضوح من خلال يومياته : ضعف في الارادة، وقصور في الخيال وتهالك في الشخصية . والشيء المحزن في هذا ان «جيد» يعي احياناً هذه العيوب فهو يعلم انه لا يستطيع الامتناع عن التدخين رغم ما يسببه التبغ له من دوار ، وهو يعلم انه لا يستطيع الكف عن ملاحقة الغلمان رغم ما يشعر به من حب واحترام لزوجه .

وليس هناك من شخص يخضع للتأثير اكثر من اشد الكتاب تأثيراً في فترة ما بين الحربين . ولقد اشار البعض الى أثر نيتشه ودوستويفسكي وبليك وفرويد في آثاره فيجيب جيد على ذلك بقوله « ليس هناك من تأثير وانما هناك تجاوب في الافكار » .

ويدفع جيد عن نفسه تهمة استيحاء الكتب . ومع ذلك فهو غالباً ما يلجأ، واذا ما جفت القريحة، الى كتب مكتبته حيث يخلو الى احد هؤلاء الرفاق القدماء الدائمين الذين لا يغادرون اماكنهم والذين يلقاهم في كل شيء .

وهناك تأثير أشد غرابة الا وهو تأثير كتب المؤلف على نفسه فيقول : « يبدو لي ان كل كتاب من كتبي لم يكن ثمرة حالة داخلية جديدة بقدر ما هو سبب لها . ذلك انني ما اكاد أهم بتأليف الكتاب حتى يسيطر هذا الكتاب علي باكمله ويصبح كل شيء في آلة مسخرة له . فليس لي من شخصية عندئذ سوى الشخصية التي توافق هذا الكتاب : هل هي شخصية موضوعية ام ذاتية ؟ تفقد الكلمات هنا معناها لانه اذا ما وقع لي ان اصف بالرجوع الى نفسي فما ذلك الا لانني اصبحت ذلك الذي اريد رسم صورة له » فهو يكتب للبحث عن ذاته اكثر منه لتأكيد هذه الذات . غير ان هذا الامل يبوء بالفشل دائماً .

وهو يسجل في الواحدة والثلاثين من عمره « بدأت اشعر بالتعب من انني لا اكون Je commence à être las de ne pas être وفي الثامنة والخمسين : « افتقر الى العبقرية بشكل لا يمكن تصديقه » . وفي الواحدة والستين : « سوف يفضي بي الامر الى عدم التجرأ على الكتابة قط » . وفي السابعة والستين : « ليس ما يمنعني عن الكتابة التعب بل هو الاشمئزاز » . .

* راجع كتاب : Ecrivains intelligents : E. Buchet

وتمضي السنون وتتراكم الآثار ومع ذلك فهو لا يني عن القول بانه لم يكتب شيئاً جديداً حتى الآن وانه اذا ما مات فلن يرضى عن الصورة التي يتركها وراءه .

ثم يشير الى ذلك الاحتقار لنفسه الذي يشعر به امام الناس والذي يشعر به امام الناس والذي كان دائماً مرضه الخفي الذى لا يجد منه مفراً لانه يجد فيه ثقة بتفوق الآخرين وشكاً بـذاته وانكفاء عن فكره الشخصي لمجرد انه فكر شخصي .

وان اهم تأثير خضع له جيد بدون شك هو تأثير زوجته فيه . فقد كتب كل ما كتبه تحت تأثير امرأته وعلى امل ان يقنعهـا . ولكنه كان املاً خلباً لا طائل تحته .وهو يقول :

« لولا هذه التربية المسيحية وهذه القيود ولولا « ايم » Em التي كانت توجهني لما كتبت «اندريه والتر» ؛ ولا « اللااخلاقي » ، ولا « الباب الضيق » ولا « السمفونية الريفية » الخ .

ان الحب المغرق في الروحية الذي يشعر به نحو زوجته غالباً ما يصل الى درجة الشعور الديني ويثير فيه الحنين ويبعث في نفسه حالة من القلق والهم كما يوقظ في اعماقه بعض الصفات الموروثة ، عن اجداده . وتتراءى له الديانة وفكرة الطهارة الممثلتان في زوجه بعد كل اثم يرتكبه اذ ينبعثان من قلبه دون انقطاع كذكريات الطفولة فيثقلان كاهله .

ولما كان حبه لزوجه خالياً من الحسية فانه ظل بعيداً عن الغناء . وهو يغار من الله الذي يسلبه امرأته فيشعر بأنه لا يستطيع المقاومة لانه هزم مقدماً غير انه يشعر بكره هذا الخصم وكل ما يتصل به . « انني في كل مرة اعود فيها الى المسيحية فإنما افعل ذلك للحاق بها . وربما شعرت هي بذلك غير ان ما تشعر به غالباً هو انـني افعل ذلك لانتزاعها منها » .

حتى اذا ما توفاها الله عجز جيد عن التعزي وامتنع عن تسجيل يومياته شهوراً عدة . ورغم انه لا يؤمن بالحياة الآخرة فانه كان يبدو له احياناً ان تلك الحياة التي كانت قدوة لقلبه لا تزال ، من وراء القبر ، تؤثر فيه .

وليس من شك في انه يجب البحث عن الاسباب الخفية لحالة الحوار التي آثرها ، وتردده وكآبته في حبه لامرأته ، ولميله الجنسي الشاذ اذ انه لا يرى امامه سوى النزاع بين الفكر والحس ، بين الواجب والشهوة ، بين الله والشيطان ، ولا يرضى جيد ان يتحمل وحده مسؤولية هذا النزاع .

ولما كان لا يتمتع بجرأة نيتشه فانه لم يجرأ على النضال بنفسه اذ انه شديد الاحساس بضعفه ويشك بشخصيته .

وهو مخلص ومحب ، كاره ومبغض شجاع وجبان ، ومتواضع ومتكبر عليك في نفس الوقت .

وهو ولا شك يتألم من هذه المتناقضات غير انه يتبجح بها ايضاً او انه يجد فيها على الاقل الشعور بالوجود .

ان رجلاً كهذا الرجل لا يمكن ان يتطور تطوراً داخلياً كما انه لا يمكنه ان يتبدل تبدلا متتابعاً . وليس لديه من شيء دائم سوى عيبه فهو يعود اليه دائماً .

ولقد بالغ الناس كثيراً في حديثهم عن « الشيطانية » عنده : « Son satanisme » حتى جعلوا منه معارضاً للصوفية . ولقد مر في سن المراهقة بازمة صوفية حادة وصفها لنا في كتاب «لو ان الحبة لا تموت » ومن ثم فهو يعطي لهذه الكلمة معنى خاصاً ضيقاً :

« افهم من الصوفية كل عقيده عمياء ».

واذا ما اراد ان يخدم الله فما ذلك الا بواسطة ذهنه . غير ان هذا الذهن يصل به الى اللااخلاقية العليا . والعقبة الوحيدة الباقية هي في ضعفه وتمسكه بعيبه وعدم مقدرته على الامتناع عن ذلك .

« عفواً يا الهي ، نعم انني اعلم اني كاذب . والحق ان هـذا الجسد الذي اكرهه ، انما احبه اكثر منك وانا اموت اذا لم استنفذ اغراءه . اطلب منك العون يا الهي دون توبة حقة » !

ونحن لا يمكننا ان ننكر انه احتفظ — وربما كان ذلك بفضل امرأته وثقافته — بفكرة الطهارة بصورة تخالف صورتها عند هويسمان مثلاً .

« هناك طريقة خاصة لعبادة الله تترك في نفسي اثر الكفر . وهناك طريقة اخرى لنكران الله تتصل بالعبادة » هل يشير بذلك الى نيتشه ؟

وعلى كل حال ومهما قال هو عن موقفه فانه موقف بروتستنتي صميم .

قريباً :

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

وهو ينضم الى الشيوعية باسم الانجيـل والتقدم مدفوعاً باسباب عاطفية وحب للمعرفة يتصف به رجل الفكر .

وكان لنشأته وحيداً في عزلة عن الآخرين نظراً لضعفه وشذوذه اذ انه طرد من المدرسة الالزاسية بعد ان فوجىء وهو في حالة الفعل الشنيع وعدم قيامه بالخدمة العسكرية وديانته المتطهرة ويسره المادي الذي لم يكن يضطره لكسب حياته ، كل ذلك جعل منه رجلاً يعيش في عزلته وحيداً . وقد هيأت له الشيوعية فرصة الاتصال الاول بالمجتمع وكان قد أربى على الستين من عمره فكان هذا الاتصال بمثابة اثارة له وتنويراً وخلاصاً وهو لا يكتم فرحه من انه عثر اخيراً على هدف لحياته ووجد عقيدة يخلص لها كل الاخلاص ويرجع عن كل ما تنهاه عنه .

«واذا كان لا بد من تضحية حياتي في سبيل نصر روسيا فانني ابذلها حالا » . يا لها من لذة تلك التي يشعر بهـا حين يندمج بالآخرين ويشعر كأنه مثلهم فيغيب بينهم .

ويحس جيد نحو الشيوعية بنوع من حب الاستطلاع العلمي : ما هي النتائج التي ستحدث بعد الغاء العهد كله والديانة ؟

ان هذه التجربة تثيره جداً . وهو مستعد للاضراب عن فنه في سبيل عقيدته الجديدة . ونحن نعلم عن خيبة امله في رحلته الى روسيا فقد عاد جيد بعدها الى عزلته بعد صدور كتابه : «عودة» Retour .

تفصلنا عن جيد حربان وعدة ثورات وسوف نتساءل قائلين : كيف يمكن لرجل بلغ من فقدان الثقة بنفسه هذا الحد وكان دائم الشك في فكره ولم يكن له قط هدف دائم فكان دائم التناقض في آثاره ان يكون له مثل هذا التأثير ؟

لكل عصر رجاله الكبار الذين استحقهم لانه اختارهم على صورته . وهذا العصر المفعم بالضجيج ، المتعطش للذات القلق حتى حد الهم ، المتفكك الاوصال يرى نفسه في هذا الاخلاقي بدون اخلاق ، في كاهن الفرح الكئيب .

واذا لم يكن جيد صورته الصحيحة فانه انبأ عن رغباته واكتشف ميوله وعكس كآبته فهو يتقدم دائماً على العصر والعصر يلحق به ويجد في مؤلفات كتبت منذ عشرين سنة ما يبحث عنه .

ماذا يبقى اذن من شخص انكر الماضي ولم يعبأ بالمستقبل ولم يحفل بسوى اللحظة الحاضرة ؟

لتأثير جيد وجهان يجب التمييز بينهما دون الفصل بينهما فصلاً مطلقاً .

اما من وجهة النظر الادبية فان عبادته للشكل ونقاء لغته ووضوح جمله الموسيقية ما يبعث على الاعجاب .

غير ان اخلاقيته المنحطه واباحته ارتكاب كل شيء وكتابة كل شيء باسم الفن واثارته لاحط الانفعالات وسماحه بكل انواع الضعف بحجة تحرير الفكر كل ذلك كان مجلبة للضرر .

فلقد اباح نوعاً من العبث خطيراً اباحياً هو «الجيدية» le gidisme وليس هو فقط ناشر عادة الاتصال الجنسي الشاذ ولكنه ايضاً ناشر فكرة العبث la gratuité واللااخلاقية والتعارض l'ambivalence حتى اصبحت الطريقة « الجيدية » طريقة ارتكاب نزوات الشباب والتظاهر بالذكاء . واما عدم اتباع هذه الطريقة بالامتناع عن ارتكاب نزوات الشباب والاستمرار في التعبير عن العواطف النبيلة فان ذلك اصبح رمزاً للغباء .

ولقد أثار جميع المسائل دون ان يحل واحدة منها . واستغل ضعفنا وضعفه محاولا ان يجعلنا نعتبره فضيلة . قام بكل ذلك دون ان يعبأ بمسؤوليته الخاصة :

وكم تخيب الصفحات الاخيرة ظننا وما اشد الفرق بين شيخوخته وشيخوخة جوتيه ، وما اشد افتقارها للصفاء واكاد اقول للسمو . غير ان هذا ليس صحيحاً في اطلاقه فقد عاد جيد وانكر ايضاً طريقته الجديدة التي اتبعها بارتياح .

ان رجلاً كهذا الرجل لا تنقصه الشجاعة ولا السمو . ولا شك في انه قد احتفظ بطهارته .

وليس من شك في ان افضل جوانب جيد ليس في جيد القاص ولربما ليس في المبدع ايضاً بل في جيد القارىء والناقد ولربما في المستمع ايضاً . ذلك الذي تدفعه غريزة حب الاستطلاع الدائمة للقيام بابحاث في الآداب الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية فيكتب عن دستويفسكي ويترجم شكسبير وبوشكين وبليك وكوزاد وتاغور . ذلك الرجل الشريف رجل المعارف الذي يتخطى دائرة الادب ويشعر بالحاجة للقيام بدراسات علمية او موسيقية .

ان « جيد » المتعطش لكل انواع الغذاء يمكن ان نطلق عليه اكثر مما نطلق على فاليري وبروست اسم آخر الانسانيين الفرنسيين . يجب علينا ان نذكر « جيد » في اللحظة التي ينتزع فيها ادباء شبان الادب الفتي من عبث جيد . واذا كانت مدرسته قد انقرضت واصبح اكثر كتبه هالكاً لان المشاكل التي اثارها لم تعد تهمنا فان الحكم الذكي على هذا المخلوق العديم الشخصية القوي الفردية يتيح لنقاد المستقبل ان يتجهوا في خضم الامواج المتلاطمة التي كانت تهدد الادب في مطلع هذا القرن .

شعبان برلات

السيدة دو مانتنون

بقلم فدري فلعجي

☆☆☆

ولدت فرنسواز دو بينيه في السجن . هكذا تبدأقصة هذه المرأة التي عرفها التاريخ باسم السيدة دو مانتنون !

لقد كان جدها صديقاً حميما الملك هنري الرابع ، ولكن اباها كان مغامراً خطيراً ، يشرب الخمر ، ويسفك الدم ، ويقطع الطريق ، فزج في سجن نيورت ، واذا به يغوي ابنة السجان ، ويرزق منها فرنسواز في سنة ١٦٣٥ ، ثم تساعده خليلته على الهرب فيتزوج منها ويهربان الى كندا ثم الى المارتينيك ، فتصاب الزوجة بمرض يقضي عليها ، ويبقى السيد دوبينيه في حيرة من امر فرنسواز الصغيرة ، ثم يرسلها الى قريبة له في فرنسا تدعى السيدة دونويان ، فتبادر هذه بارسالها الى الدير .

ان هذه الطفولة الحافلة بالمفاجآت ، تكفي وحدها مادة لقصة شائقة . ومع هذا فان قصة فرنسواز دوبينيه لم تبدأ بعد . والمفاجآت التي تنتظرها أدعى الى الدهش والاستغراب !

ظلت فرنسواز في الدير حتى بلغت ربيعها السادس عشر ، ثم رحلت الى باريس وهي لا تملك شيئاً من حطام الدنيا ، فاشفقت عليها بعض الاسر التي كانت تربطها باسرتها صداقة قديمة ، وأحاطتها برعايتها .

وكانت الفتاة ممشوقة القامة ، كستنائية الشعر ، ذات انف بديع التكوين ، وفم رسمته يد صناع ، وعذوبة وديعة محببة ، وعينين رائعتي الجمال تفيضان عاطفة وذكاء . وهي الى هذا مثقفة ذات حيوية صارخة وظرف خلاب . فلفتت اليها الانظار ، وفكر الاسياد الكبار الذين لجأت الى كنفهم بضرورة تزويجها باسرع ما يستطاع .

ولكن من ذا الذي يتزوج فتاة لا بائنة لها ، وقد توفي ابوها في غمرة البؤس والرذيلة ؟ !

لم يتقدم لخطبة الفتاة غير رجل واحد شغف بها شغفاً عظيما ، هو الشاعر سكارون . وكان هذا الشاعر يتمتع بشهرة واسعة في اوساط النبلاء ، وقد عين له البلاط مرتباً غير يسير ، الا انه كان قبيحاً مفرط القبح ، وهو فوق هذا قعيد مشلول الساقين منذ طفولته ، وقد انهكه الروماتيزم فأذوى جسده وأفسد خلقه . ومع

●

المركيزة دو مانتنون



ذلك فقد وافقت فرنسواز على الزواج منه ، حين عرفت رغبة الاسياد الذين شملوها بحمايتهم ، وعندما سئلت كيف ترضى بمثل هذا الرجل زوجاً لها ، اجابت .

— ماذا تريدون ؟ لقد رأيت انه خير لي ان اتزوجه من ان اعود الى الدير !

وانتقلت فرنسواز الى بيت زوجها ، واذا كانت لم تستطع ان تغمره بحبها فقد احاطته بشفقتها . وكان سكارون يحب عشرة الشبان الظرفاء ، فأحبها غير واحد منهم ، وحاول الظفر بقلبها ، ولكنها كانت توقف محاولاتهم بحزم ولباقة ، ان لم يكن وفاء لزوجها ، فحرصاً على شرفها وسمعتها . عدا عن انها لم تكن ترى في الرجال عامة ما يدعو الى الاعجاب والاحترام ، وقد عبرت عن ذلك فيما بعد في رسالة كتبتها الى اميرة الاورسان قالت فيها :

« .. نعم يا سيدتي ان اكبر المصاعب انما تصدر عن نقائص الرجال ، فهم ، في الاغلب ، اصحاب غرض ، وحسد ، وسوء طوية لا يستجيبون للخير ، ويعتقدون بان جميع العواطف التي لا تتلاءم مع مشاعرهم ، هي عواطف خيالية » .

وقد ساعدها هذا النفور من الرجال على الاحتفاظ بكرامتها ، والافلات من الشباك التي كانت تحاك حولها ، واحاطة زوجها التعيس بعطفها وطيبتها وحنانها . اما هو فكان يحبها بشغف عظيم وقد عني بتوسيع معارفها ، وتعليمها اللغتين الايطالية والاسبانية . وكان يبدو سعيداً معها ، بالرغم من آلامه الجسدية ، لا يفتأ يضحك ويملأ جو المنزل دعابة ومرحاً ، بينما تبدو عليها الوداعة والبساطة والعذوبة يمازجها قليل من التحفظ والانطواء على الذات .

وكان كلما خاطبها ناداها بقوله : « يا حبيبتي . » فتجيبه بقولها « يا صديقي » .

وشاء القدر ان يموت هذا الصديق وفرنسواز في سن الخامسة والعشرين ، وان تجد نفسها مرة اخرى فقيرة معوزة ، وان تلتمس المعونة لدى اصدقائها من جديد . فاذا بالصداقة تربط بينها وبين بعض السيدات النبيلات ، فتأكل على موائدهن ، وتؤتمن على اسرارهن . اما منزلها فقد استغنت عنه وحلت في غرفة بالدير .

وكانت السيدة دومونتسبان ، محظية الملك في ذلك العهد ، قد رزقت من جلالته ولدين . فأخذت تبحث عن مربية خليقة بان تعنى بهما ، ووقعت على ارملة سكارون ، اذ وجدت فيها المرأة الامينة الوفية التي تبحث عنها والتي تمتاز الى ذلك بثقافة واسعة ، فطلبت منها تربية الولدين



مدام دو مانتنون

ولكن السيدة سكارون كانت امرأة تقية لا تتسامح في العلاقات الجنسية غير الشرعية ، فلم تقبل هذه المهمة دون شروط ، وقالت :

— اذا كان هذان الولدان من ابناء الملك حقاً ، فاني على استعداد للقيام بتربيتهما ، ولكني اريد ان اتحقق من ذلك ، وان يأمرني جلالة الملك بنفسه بالعناية بهما . هذه هي كلمتي الاخيرة !

وراحت السيدة دومونتسبان تتوسل الى صاحب الجلالة ان يستقبل السيدة «سكارون» ليأمرها بتربية الطفلين فتتحقق من انهما ولداه ؛ وكبر ذلك على الملك لانه لم يكن من المعجبين بالشاعر الراحل ، وما كان اسمه ليثير في نفسه غير النفور ، وقد شمل هذا النفور زوجته ايضاً وان لم يكن قد رآها من قبل . ولكن الخليلة الجميلة الحت ، واستجاب الملك اخيراً لهذا الالحاح ، فسمى فرنسواز دوبينيه ارملة سكارون مربية رسمية لولديه غير الشرعيين .

انتقلت فرنسواز على اثر ذلك الى منزل كبير منفرد في قرية فوجيرار بضواحي باريس حيث اقامت مع الاميرين الصغيرين . وبدأت منذ ذلك الحين حياة جديدة مزدوجة ، فهي في فوجيرار مربية وطاهية وممرضة ، تقدم للطفلين طعامهما ، وتقوم بجميع شؤونهما ، وتلقنهما مبادىء القراءة والكتابة والمعارف العامة . وهي في صالونات باريس امرأة من نساء الطبقة الراقية تعاشر السيدات

النبيلات وتحضر مجالسهن وتؤتمن على اسرارهن .

وكان الملك حريصاً على ان يظل أمر ولديه غير الشرعيين سراً خفياً ، فكتمت فرنسواز هذا السر ولم تبح به لاحد . وكان لويس الرابع عشر كلما تاق الى رؤيتها زار في الخفاء ذلك المنزل المنفرد في قرية فوجيرار . فاتيح له ان يتعرف بمربيتها ، وان يراها مرة بعد مرة ، فتقع من قلبه موقعاً حسناً ، ثم يشغف بها .

ويبدو ان صاحب الجلالة كان قد ضاق بالسيدة دومونتسبان وسئم عشرتها ، لما يعاني من غيرتها والحاحها ومطالبها المتواصلة ، فاطمأن الى هذا الجو الهادىء الوادع الذي ينعم به كلما جلس الى السيدة سكارون ، واراد ان يتخذها خليلة له ، وادهشه ان تمتنع هذه المرأة عن تلبية رغبته بينما تتهافت نساء البلاط عليه ويتنافسن على الحظوة بهذا الشرف العظيم !.

وبادر لويس الرابع عشر الى رفع فرنسواز الى مرتبة النبلاء فأقطعها املاكاً شاسعة ولقباً رفيعاً ، فأصبحت تدعى السيدة دومانتنون . ولكن ذلك لم يغرها ولم يضعف مقاومتها ، فظلت تأبى على الملك تحقيق امنيته ، مما اغضبه وحمله على الاتجاه بعاطفته نحو السيده فونتانج المرأة الفتية اللعوب ، غير ان قلبه ظل مولعاً بفرنسواز .

ولم تكن السيدة دومونتسبان لتجهل ما يجري ، وقد قالت للسيدة دومانتنون يوماً :

— ان للملك ثلاث خليلات : خليلة اسماً هي انا ، وخليلة فعلاً هي فونتانج ، وخليلة قلباً هي انت .

وكان غضب السيدة دومونتسبان يزداد احتداماً كلما تذكرت انها هي التي خلقت شقاءها بنفسها اذ قدمت فرنسواز الى الملك .

ويقضي على السيدة دوفونتانج الصبية الحلوة بينما كانت تعطي الحياة ولداً تعسر وضعه ، ويخيل الى مونتسبان انها ستستعيد مكانتها السابقة في قلب الملك ، واذا بصاحب الجلالة يقرر اقصاءها من البلاط ، ويعهد الى فرنسواز بتبليغها امر جلالته . ويشق على السيدة دومانتنون ان تقوم بهذه المهمة ، ولكنها لا تجد بداً من الاذعان لامر صاحب الجلالة .

الآنسة دو مونتانج



لقد تقدم لويس الرابع عشر في السن ، وبات في اشد الحاجة الى السيدة دومانتنون صديقته الطاهرة ، وامينة اسراره ، ومميرة وحدته ، ورفيقة شيخوخته . وكانت فرنسواز قد اشرفت على الخمسين من عمرها ، ولكنها لم تفقد كل جمالها ، واحتفظت عيناها ببريقهما ، اما ذكاؤها فقد بلغ قمته .

وكان الملك لا يزال يحبها ، بل كان حبه لها يتعاظم باستمرار ، وهي تأبى دائماً ان تكون خليلة له . فلما توفيت الملكة ماري تيريز في تموز سنة ١٦٨٣ ، لم يتردد لويس الربع عشر من عقد قرانه على السيدة دومانتنون ، لانه ايقن بأنه لن يستطيع الظفر بها الا عن هذا السبيل .

وقد تم هذا الزواج سراً بحضور المركيز دومونشيفروي والوصيف بونتام ، وباركه المونسنيور دوهارلي اسقف باريس ، اذ لم يكن في وسع الملك ان يجعل من زوجته ملكة شرعية وهي ليست من الدم الملكي !!.

وعاش الزوجان بعد ذلك سنين عديدة ولكنها كانت سنين كئيبة شاهد الملك شؤون بلاده تسوء واوضاعها ، تضطرب فتجتاحها الحروب وتنشب المجاعة مخالبها في بنيها . ورأى اسرته تضمحل ، واولاده فاحفاده يموتون جميعاً واحداً بعد آخر . وعانى الآلام كلها ورزح تحت عبء المرض ، ولم يعد له في الدنيا غير فرنسواز التي كان يعبدها على طريقته الخاصة ، طريقة كهل تعاظمت انانيته وقسا قلبه .

وكانت فرنسواز تتحمل قسوته وانانيته ، وتعيش معه في عزلة تامة لا يزورهما فيها غير الاب لاشيز . ولا تفارقه الا لتزور مؤسسة سان سير حيث تربى بنات النبلاء اللواتي فقدن آباءهن اوادركتهن الفاقة ، فان زيارة هذا المعهد كانت متعتها الوحيدة .

وكذلك كانت السيدة دومانتنون تحب الملك على طريقتها الخاصة ، فقد احاطته بعنايتها حتى ساعاته الاخيرة ، ولكنها ما كادت تؤمن بأنه اشرف على الموت حتى غادرته الى معهد سان سير ، تاركة اياه مع الاطباء والممرضين الذين احاطوا به . فلما اخذ يلفظ انفاسه الاخيرة ، اجال بصره فيمن حوله باحثاً عن صديقته العجوز فلم يجدها !..

قدري قلعجي

بين الحكمة والفن

بقلم ابراهيم العريض

●

« انا وابو تمام حكيان . والشاعر البحتري » .

كلمة تنسب الى المتنبي[1] قديماً توقفت عندها استجلي ما وراءها من سر غامض لا اكاد ادرك كنهه ، سر . . فطن اليه ذلك الشاعر الجبار فحاول ان يفضي به في كلمة خاطفة الى الاجيال . فالذي كان يحيرني من امر هؤلاء الثلاثة — لاة الشعر وعزاه ومناته . كما وصفهم ابن الاثير — هو انهم قد نظموا الابيات في معان « تقليدية » كثيراً ما جمعتهم على صعيد واحد . وقصدوا القصيد في مواضيع من المدح والرثاء والوصف والغزل مشتركة ، حفل بها العصر الذي سبقهم . ومع هذا تجد بينهم اختلافاً بيناً يلمس باليدين . قد جاوز شعرهم الى تقدير الادباء انفسهم لقيمة هذا الشعر ومن ثمة الى تقدير المنزلة التي يحتلونها بعضهم بالنسبة الى بعض تحت سماء الضاد :

ينشد أسبقهم نضو اسفار :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل

فيغني الثاني جذلا طروبا :

أتراني مستبدلا بك ما عشـ ـت ـ بديلاً ، او واجداً بك نداً
حاش لله ! انت افتن الحـا ظاً ، واحلى شكلاً ، واحسن قدا

فيعقب عليهما الاخير بمرارة :

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

كان امر هذا الاختلاف يحيرني . أنى منشؤه ، هذا الاختلاف الظاهر بينهم وبين غيرهم ، والقائم بينهم وبين انفسهم . اهو في الالفاظ ؟ أهو في المعاني ؟ اهو في البيان ؟ اهو في البديع ؟ اهو في الاسلوب ؟ ثم ما هو هذا « الاسلوب » ؟ وكيف جاز على ضوء ما نسميه بالاسلوب ان يسلك الاولان في سلك . وتقام للثالث دونهما راية وحدة ؟

***

كلما امعنت النظر في الشعر — بالمعنى الذي يجب ان يفهم الشعر — تبين لي بوضوح وازددت يقيناً انه (اي الشاعر) ليس سوى تعبير عن الشخصية — شخصية الشاعر . وان الاختلاف في التعبير بين شاعرين يتناولان موضوعاً بعينه او يستجيبان لعاطفة واحدة لا يمكن فهمه الا برده . كما بينت في غير موضع[2] — الى الوسائل التي تتكافأ مع شخصية كل منهما في التعبير عن نفسها . حب موقف كل شاعر من الحياة ونظرته اليها . في وشاح هذا الاسلوب .

فالاساليب انما تختلف باختلاف طبائع الشعراء .

تأمل الفارق الدقيق في مفهوم المجد بين شاعرين مثلاً . حسب موقف كل شاعر من الحياة ونظرته اليها . فهذا امرؤ القيس

---

(١) وبعض المصادر تنسب هذا الحكم الفاصل الى المعري اذ سئل عن الثلاثة فقال : « اما المتنبي وابو تمام فحكيان . والشاعر البحتري . . . »
فكأنه ترديد لقول المتنبي نفسه من شاعر حكيم مثله كان يسلم للمتنبي بالاستاذية في كل شيء .

(٢) راجع «منزلة الشعر بين الفنون ـ العاطفة في الشعر» (مجلة الاديب ١٩٤٨)

تأخذه عزة بالملك هو اهل لها فيقول :

ولو ان مـا اسعى لأدنى معيشة كفاني ـ ولم اطلب ـ قليل من المال
ولكنما اسعى لمجـد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وهذا ابو تمام يظهر لك ما عنده من اعتداد بالنفس لا يقف في سبيلها شيء فيقول :

يقول في «قرمس» صحبي، وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود :
« امطلع الشمس تبغي ان توم بنا» فقلت «كلا ! ولكن . . مطلع الجود »

فهل يدرك طعم العزة التي يطفح بها قول ذاك ، الا من تقلب مثله في معارج السلطان ؟ وهل يدرك بعد الشقة التي يتحدث عنها هذا ، الا من نقض مثله غبار الطريق الى خراسان . وارجوك ان تلاحظ ما في القطعتين من دلالة نفسية بالاضافة الى مدلولهما التاريخي .

وهنا المدخل للطلسم السحري . فـ « الحي » بطبيعته يقف من الحياة موقفاً وينظر اليها نظرة . . لا يمكن فيها ان يشاركه سواه . اذ ان هذا الموقف وتلك النظرة هما سمة الشخصية التي يعين « الحي » بها مجاله بين الاحياء . هل يفعل « الشاعر » غير ذلك .

***

ان كل شاعر (بغض النظر عن مقامه الاجتماعي) هو، باعتبار موقفه من الحياة اولا : اما منطو على نفسه كالكوكب المنقض في اضيق مجال مثل المجنون في حب ليلاه .

وداع دعا ـ اذ نحن بالخيف من منىً ـ فهيج احزان الفؤاد ، وما يدري
دعا باسم « ليلى » غيرها ، فكأنما اطار بليلى طائرا كان في صدري

او منطلق كالشعاع الكوني خارجها الى اقصى حدود الشمول مثل المتنبي في تقنص الحقائق .

نحن ادرى – وقد سألنا بنجد اقصير طريقنا . . . ام يطول
وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليـل

وهو . . باعتبار نظرته الى الحياة ثانياً : اما متفائل كالربيع الضاحك بازهاره مثل هذا العاشق المجهول في انتظار فاتنته المجهولة :

ان لي عند كل نفحة ريحا ن من القل ، او من الياسمينا
نظرة والتفاتة . . . اترجى ان تكوني حللت فيها يلينا

او متشائم كالسماء الملبدة بالغيوم مثل ابن الاحنف تدلها بفوز :

احرم منكم بما اقول ، وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للنـاس وهي تحترق

فهي اذن حالات ، تتراوح فيها نفوس الشعراء بين هـذين « القطعتين » على درجات .

وكذلك الخلق كلهم . مع هذا الفارق وهو ان الشاعر انما تظهر قدرته فيما يتخذ من وسائل فنية لترك هذه الشخصية ماثلة للعيان . وكذلك قلت[٣] ان النقد الادبي لا يهمه في الشعر – كما لا يهمه في اي فن آخر – قيمة هذه الشخصية بمقدار ما يهمه توفيق الشاعر في تشخيصها وابرازها للعيان .

وهل يهم النقد الادبي مثلاً ان هذين البيتين قائلهما شاب غرير .

ولولا ان تعنفـني قريش وقول الناصح الادنى الشفيق
لقلت اذا التقينا : «قبليني» ولو كنا على ظهر الطريق

او ان هذين البيتين قائلهما سكير :

ما زلت استلُّ روح الدن في لطف واستقي دمه من جوف مجـروح
حتى اتيت ولي روحان في جسدي والدن منطرح جسماً بلا روح

او ان هذين البيتين (في سباق الخيل) قائلهما امير :

خرجن ، وبعضهن قريب بعض سوى فوت العذار او العنان
ترى ذا السبق والمسبوق منها كما بسطت اناملهـا اليدان

او ان هذين البيتين قائلهما ضرير :

مل المقام ، فكم اعـاشر امة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية ، واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها ، وهم اجراؤها

بمقدار ما يهمه منها « الاصالة » في التعبير .

***

اذن فظهر هذه الشخصية في الشعر لا يكون الا في اسلوب الشاعر . على تباين في الاساليب . وكأنما تظهر عـن سبيلين لا ثالث لهما . تلتقي بهما ارواح الشعراء في النهاية – على ما يقوم بينهما من مفارقات – حول الغاية التي تستهدفها الحياة . . ومـا هي الا الاحتفال بالحياة نفسها .

فما همـا هذان السبيلان اللذان تسلكهما الروح الشاعرة . . وكأنها روحان .

سبيل اولاهما هو « التغلغل » .

انها تتغلغل بالفطنة . فتتلمس مواطن الجمال – ونحن انمـا نستعمل كلمة « الجمال » هنا بأوسع معانيها – لتدرك جوهره الخالد في ظواهر الوجود . تسم الشاعر بالبصيرة الخارقة وتنير آفاقها خارج الذات الشاعرة بالذهن الوقاد . فتعلو آيته كشواظ من نار ممزقة حجب الظلام . يا لها من روعة وجلال .

ان هذه الروح في الشاعر تهزنا بتغلغلها الى كنه الاشياء ورفعها جوانب القناع المسدل على وجه الحق . وربطها بالنتائج الاسباب . فتعدينا بمعنى الطرب كلما بلغت – بالقوة – غرضها من التوفيق .

فهؤلاء هم شعراء الحكمة وعلى رأسهم – عندنا – المتنبي . تأمل مثلاً آيته في عبرة الزمان :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه مـا عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ ـه ، وان سُر بعضهم احيانا

(٣) راجع المصدر نفسه .

ربما تحسن الصنيع ليالي ... ه ، ولكن تكدر الاحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الـ ... ـدهر ، حتى اعانه ، من أعانا
كلما انبت الزمان قناة ... ركب المرء في القناة سنانا
ومراد النفوس اصغر من ان ... تتعادى فيه وان تتفانى
غير ان الفتى يلاقي المنايا ... كالحات ، ولا يلاقي الهوانا
ولو ان الحياة تبقي لحي ... لعددنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز ان تكون جبانا
كلما لم يكن من الصعب في الا ... نفس ، سهل فيها اذا هو كانا

انها عشرة ابيات تلم بفلسفة الحياة كلها . وقد صهرت معانيها نار البصيرة وحدها .

وسبيل الثانية هو « التجاوب ».

انها تتجاوب بالاحساس . فتحاول ان تعديك بما كان لوقائع الحياة داخل الذات الشاعرة من صدى ورنين تختلف الوانه حسب الاحاسيس الملابسة لها . تسم الشاعر بالشعور المرهف ويجلجل اجراسها القلب الخفاق . فتتلاطم بتيارها الشعوري كأمواج البحر حول الصخور . يا لها من فتنة وجمال .

فكأن هذه الروح في الشاعر تتجاوب مع الحياة لتنشئها كل حين خلقاً جديداً . واذا بكل تعليل شعري تنقب به الحقيقة بين يدي احساسها يمس - برفق - في كل نفس وتراً حساساً يهزها هزاً فيزيد الحقيقة فتنة وجلاء.

وهؤلاء هم الشعراء الفنانون . وفي طليعتهم - بيننا - البحتري

واليك على قيثارته عبرة المتنبي نفسها ممزوجة بعبراته .

محلٌ على « الفاطول » اخلق دائره ... وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره
كأن الصبا نوفي نذورا اذا انبرت ... تراوحه اذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم - ثم - عهده ... ترق حواشيه ويورق ناضره
تغير حسن « الجعفري » وانسه ... وقوض بادي « الجعفري » وحاضره
تحل عنه ساكنوه فجاءة ... فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرناه ، أجد لنا الاسى ... وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انسَ وحش القصر ، اذ ربع سربه ... واذ ذعرت اطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل ، فهتكت ... على عجل استاره وستائره
ووحشته . . حتى كأن لم يقم به ... انيس ، ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة ... بشاشتها ، والملك يشرق زاهره

انها عشرة ابيات . . مثل الاولى ولكنها تختلف بروحها عنها كل الاختلاف . فهي لا تعنى بالتقرير بمقدار ما تعنى بالتأثير . هذا التأثير الذي لسنا بصدد تعرف مصدره الآن وقد شمل العين والاذن والقلب معاً[٤] .

(٤) راجع « منزلة الشعر بين الفنون - الشعر كفن جميل » (الاديب ١٩٤٨) . وستجد تعليل ذلك في بحثنا « الاساليب الشعرية ».

عقل وعاطفة .

هذا هو الفارق في الاساس بين الشعراء الذين ينسجون على منوال الحكمة وبين اخوانهم الذين يحوكون على طراز الفن ، بين الشعر الذي يرتكز على الحقيقة وصنوه الذي يرفرف مع الخيال . بين زهير والنابغة في الجاهلية وبين ابي تمام والبحتري في الاسلام . من سمات الاولين هذه الاحاطة والشمول خارج الذات الشاعرة ومن صفات الآخرين هذا التجاوب والاصطلاء داخلها .

على اننا اذا ميزنا بين الحكمة والفن بالنظر الى جوهر الموضوع من طرفيه المتقابلين . لم نعن - ولا ينبغي ان يفهم - ان عامل الطرب مفقود في احدهما . وان اقتصرت الاولى على المتعة العقلية والثاني على النشوة الروحية في اغلب الاحيان . فان الشعر يسلك

مجلة علم النفس

☆☆☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي
تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٦٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهما — في الآداب السامية بوجه عام والادب العربي على وجه الخصوص[٥] — في نمط واحد . ويدنيهما من بعضهما بعضاً ، حتى يوشك ان يصبح هذا ذاك .

وهو اذا فعل ذلك اسبغ على الاولى من الصفات . . النصاعة والوضوح ، على لسان شاعر حكيم يؤتي في المجتمع — بالايجاز — فصل الخطاب . واسبغ على الثاني من الصفات . . التوهج والاشراق . على لسان شاعر فنان توحي اليه عزلته — بالترجيع — همس الارواح .

فالشعر الذي يحمل طابع الحكمة من سماته اذن هذا التغلغل الى الدقائق والاحاطة بالاطراف — كما رأينا — في كل موضوع يتناوله صاحبه . فهو يعتمد — اول ما يعتمد — في لطف الاخراج والتقصي ، على الذهن الوقاد . لا على القلب الحساس . زمامه بيد العقل الواعي ، لا الروح الرفافة . فاذا استعان بالخيال على شأن من شئونه كان عمله مقصوراً على . . التوليد والاختراع .

ومن هنا صح تشبيه الحكمة في اسلوبها — هذا الاسلوب المعجز — بفن « النحت » بين الفنون لتشددهما وتشابههما في الدقة والشمول . اذ تتبين فيها الفكرة كالتمثال المنحوت . من حيث ما واجهتها مقطوعة محدودة في الفاظ حدها الفاصل هو الايجاز .

والشعر الذي يتشح بوشاح الفن من خصائصه هذا التجاوب من الداخل والانفعال المنسجم امام كل مشهد يمس صاحبه من قريب . فهو يعول — وما اكثر ما يعول — في تنغيم الاداء وتلوين الايحاء على المخيلة الشاعرة . لا على البصيرة الواعية . يمده القلب الحساس بحرارته . لا العقل النير . فاذا عكس الحقيقة في وهج شعوره جلا الضوء خيالها في مرآته آية في . . الخلق والابداع .

وهذا هو الشعر بالمعنى الدقيق . ومعجزته الكبرى هو التباين في الاساليب التي تشف عن ذوات ذويها كما يشف الحرير عن لابسه . ولا حاجة هنا الى تلمس وجوه الشبه بينه وبين سائر الفنون من جديد[٦] . ما دام هو كعمل المخيلة الشاعرة يقتبس اريحيته من كافة الفنون ويسبغ روحه عليها . كما شرحنا ذلك مفصلاً في غير مكان[٧]

فهذا هو الفرق بين الحكيم والفنان .

***

واذا كان لا بد من سوق الامثلة فان المثال التالي من شعر المتنبي — على بساطته — يوضح ما نريد . قال المتنبي :

يا من نعيت على بعد بمجلسه	كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكمو	ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم	جماعة ، ثم ماتوا قبل ان دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

والشاهد هو البيت الاخير . وانما اوردنا الابيات الباقية لتعرف سياق الكلام .

يحدثنا التاريخ ان الخطاب في هذه الابيات موجه الى سيف الدولة . وكان قد بلغ المتنبي وهو في مصر ان الشامتين من اعدائه اشاعوا لدى ممدوحه في حلب بانه هلك . فكانت النونية — وهي من خير قصائد المتنبي — والتي منها هذه الابيات ، رد فعل لهذه الشائعة . فلنتابع الشاعر الحكيم في الخواطر التي اثارها الحادث . على هدى الابيات فماذا نرى ؟

يخطر للشاعر من المعاني

١ — لا محل للشماتة في الموت . فكل حي هالك لا محالة .

٢ — ان خبر هلاكي ليس سوى امان ضالة من باب خدعة النفس تعلل بها الشامتون .

٣ — كم كاذب بيّت الشهادة بوفاتي زورا اصبح وقد غالته الغول

٤ — ان ادراك الاماني وقف على ظروف لا سلطان للمتمني عليها .

وتعليقنا عليها

— كلمة حق في محلها

— رد الشماتة بمثلها

— جائز عقلاً فالحياة تزخر بأمثال المفارقات

— حقيقة لا تنكر

ففي هذا البيت الاخير :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ترى ان المتنبي انتقل من التفكر في الاشاعة التي خرصت بها الالسن حول موته المزعوم وما تعلل به الشامتون من كاذبات الاماني الى التفكير في الاماني مطلقاً . بعد ان جردها من ملابساتها تلك . فلنتابعه في خطوات هذا التفكير خطوة خطوة . لعلنا نهتدي الى منبع الحكمة التي كان يغرف منها .

خطر للمتنبي فيما خطر .

ان المرء ليتمنى . ويسعى في تحقيق امانيه . ولكن هل هو بالغ كل ما يتمناه ؟ لا . فهو اذا حالفه التوفيق مرة . . باء بالفشل اخرى . ولماذا ، لان تحقيق آماله خارج عن سلطانه اغلب الاحيان . ان ادراك الاماني يتعلق بظروف لا سلطان للمرء عليها . وهذه

---

(٥) راجع مقال البروفسور ماسينيون حول « مقام الثقافة العربية » (الكتاب — فبراير ١٩٤٩)

(٦) وفينا هذا الموضوع في الفصول الاخيرة من « منزلة الشعر بين الفنون »

(٧) راجع المصدر نفسه — الخاتمة .

الظروف قد تساعفه على نيل مبتغاه وقد تعاكسه فتحبط مساعيه. فما اشبه الظروف هذه بالرياح التي تهب . . او لا تهب . على غير ارادة من السفن واصحابها . ان السفن لتعول عليها في السير الى موانيها . رخاء مرة شديدة اخرى . وربما ذاقت منها الوبال .

خطرت للمتنبي كل هذه الاحتمالات . فصهرها دماغه الجبار حتى اذا تبلورت الفكرة لديه قذف بها حذاء في وجه سيف الدولة . في هذا اللفظ الموجز الذي يحمل لكل من جاء بعده خمار اللذة العقلية في استنباطها من جديد .

ومن هنا كان معنى البيت حكمة . يصلح لكل زمان ومكان .

ولقد حاول شاعر آخر — قبل المتنبي — ان « ينظم » في هذا المعنى . فقصرت به خطاه دون هذه الاحاطة والشمول. ولا تثريب على امثاله . فما كل شاعر حكيم . قال هذا الشاعر في مورد الزهد.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه رب امرىء حتفه فيما تمناه

فكان نظره — كما ترى — مقصوراً على رقعة ضيقة . ومن زاوية لا تتسع للاحتمالات . فانه اذا كان فيما يتمنى المرء اشياء لا يدركها . ففيها ما يدرك . . ولو قليلاً . وان حتف المرء في امانيه لهو اقل من القليل . فانظر ما اكبر هذا الفراغ الذي بقي مظلما حول المعنى لضيق نظر ابي العتاهية في شئون الحياة .

ولقد اعاد المتنبي — في آخر عمره — النظر الى هذا المعنى من زاوية جديدة . بعد ان مارس اهوال الحياة فقال :

الامر لله ، رب مجتهد ما خاب الا لأنه جاهد

حكمة اخرى ترك الشاعر لكل قارىء تفسيرها على ضوء اختباراته.

من خطل النقد اذن ان نضع للمذهبين ميزاناً واحداً كما فعل الاقدمون .

لقد كان القدامى يفاضلون بين اللفظ والمعنى . ووراء قصدهم التمييز بين الحكمة والفن . ولكنهم كانوا دائماً يخطئون محجة الصواب عندما ينشدون هذه الابيات .

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

فيقولون كما قال العسكري[8] « ليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى . . » واي معنى تراهم كانوا ينشدون وراء هذه الابيات . اكثر مما هي حافلة به من براعة في الوصف الى افتنان في التصوير الى حرارة في الشعور ؟ انها لوحة تكاد تنبض بالحياة .

اما انهم كانوا يشعرون بما فيها من حلاوة وجرس . ولكن كان يفوتهم وراء ذلك كل شيء . واقله تلمس هذا الاحساس الناعم بالحياة الذي تفيض به القطعة فيضاً .

ان السبيل الوحيد لتقدير ابيات كهذه — لا شافع لها غير روحانيتها — وتذوقها هو دائماً القلب بالتجاوب الشعوري لا ما يشعه العقل بالتجرد الذهني . فانك لن تظفر من التغلغل وراء ظاهرها بطائل . انها قبل كل شيء — قطعة فنية . لا تستهدف غاية ابعد من الحياة .

ومثلها قول ذي الرمة :

عشية ما لي حيلة غير انني بلقط الحصى والخط في الترب مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده بكفي والغربان في الدار وقع

فهذا شاعر حط رحاله بمنزل الحبيبة وهو خاو موحش . « فجلس الى الارض منهكاً يائساً يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها اللب. فأخذت تعبث بالرمال . وفي الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو اسىً ولوعة . وهل أصدق من هذا وصفاً ؟ وهل اقوى منه على ايحاء[9] » .

فأي « معنى » يريده القدامى من هذه الصورة الجميلة ؟ الا ان يعنوا بذلك ما كان يقع لهم تحت عنوان « الحكمة » فخلطوا بين قيم الاشياء واساءوا التقدير .

***

ان الذي اوقع هؤلاء النقاد فيما وقعوا فيه من الخلط ما وجدوا ان الادب العربي يحفل به في آثار شعرائه من لآلي الحكم . وهذه

(٨) كتاب الصناعتين .

(٩) الكلمات للدكتور مندور نقلاً عن كتابه « في الميزان الجديد »

العرب

•

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

هزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

ظاهرة ملحوظة في الآداب السامية . ما كان للغة الضاد ان تشذ عنها . فكثيراً ما صافحت الحكمة فيها الفن على تربة واحدة . ورقصت معه على ادراج القافية يداً بيد .

واللغة العربية ساعدها على ذلك طبيعة بلادها وما فطر عليه اهلها تحت سماء البادية من قوة الجنان وفصاحة اللسان . ثم ماظاهر شعرهم من اوزان طيعة اطالوا فيها النفس . وقواف لا تشذ عن جيراتها يرصفونها رصفاً . ثم هذا المذهب الذي غلا فيه متأخروهم عندما جعلوا مقياس الحسن . وحدة البيت . كأنما لا شأن لمعناه بما قبل وما بعد . حتى راق لادبائهم ان يبحثوا في كل قصيدة عن بيت القصيد .

هذا هو الذي جعل نقاد تلك العصور كابن قتيبة[10] وقدامة[11] والعسكري[12] يميل بهم « المعنى » كل الميل وما كانوا ينشدون بمدلوله غير الحكمة . . لا اكثر ولا اقل . فكانوا كمن يبحث عن شيء في غير منبته فيعمى عن كل شيء سواه .

وجاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس[13] .

***

والآن . هل حاجة ان ازيدك تعريفاً بهذا الشاعر الحكيم .

« . . شاعر العرب الذي تجسمت في شخصه صفات العرب وفي شعره مزايا الشعر العربي الاصيل[14] » .

بلى الا مندوحة عن سوق كلمة في محلها هنا لازالة ما لعله علق بالاذهان من اشتباه منشؤه هذا التمييز الفاصل الذي حددنا به الحكمة والفن .

« انا وابو تمام حكيمان . والشاعر البحتري » .

ان منزلة المتنبي على رأس شعراء الحكمة لم ينازعه فيها احد . وانما الذي اضطرب فيه الادباء هو تقدير مكانته الادبية بين الملهمين . فهل هو شاعر فنان ، لقد شط بعضهم فأنكر عليه الشاعرية بالمرة[15] . وهذا غلو في المذهب يكذبه الشاهد والعيان فشخصية المتنبي العتيدة بارزة ملموسة في شعره يظاهرها هذا الاسلوب الجزل الذي يحمل طابعه الجبار حتى في مباذله .

انت الوجيد اذا ركبت طريقة ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

ومن الخير ان اعيدهنا ما قررته في بحث نشر لي منذ سنين[16] فقد قلت آنئذ .

« . . ان المتنبي يحدثنا عن مختلجات نفسه وسوانح افكاره في كل قصيدة من قصائده . ويقف في كل منها موقف من يستعرض تجارب العمر وصور الحياة . ليرسل حكمة قرت في ذهنه معززة باسبابها . فكأنما ابياته نوافذ تطل على ما كان يخالج تلك الروح الثائرة من خواطر في شئون الحياة .

. . ان المتنبي كان لا يلفظ القول الا تعليقاً على حادث ولا ينظم الا لمناسبة تمسه من قريب . ولذلك يمكننا ان نتصفح سيرته كاملة في ديوانه . وهذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها شاعر آخر . فلم تكن ابياته السائرة — التي طارت بعده كل مطار — الا توقيعات . خطها قلمه على هامش حياته واحداثها .

. . لقد كان لهذا الشاعر قدرة فائقة على استيعاب الحقائق المطبوعة في حينها . وكأنما كانت الفصحى[17] اذا تجلى له معنى حكيم على طرف كم يتناولها متى شاء . ويختار منها الكلمة « الدالة » للغرض المقصود . فتسلس له القياد . وتحكمه في مادتها كيفما اراد وتحوك لمعانيه من الفاظها خير لبوس . » .

فجماع القول فيه ان المتنبي كان في شعره « حياً » . بعقله وشعوره . ولماذا لا اقولها . . انه احكم الشعراء على الاطلاق .

***

اما الحديث عن المتنبي كفنان . . والشعر — كفن — بوجه عام . فنرجىء الخوض فيه الى موضعه من كتابنا « الاساليب الشعرية » فستجد البحث في اسلوبه وفي اساليب غيره من الشعراء مفصلاً في تلك الفصول . حيث تناولنا بالنظر الدقيق جميع الاساليب الشعرية التي تزخر بها الدواوين — على تباينها — منذ الجاهلية الى اليوم . وحللناها تحليلاً ، على هدى وبصيرة . وهي كلها — على تباينها — لا تفصح الا عن احتفالنا بالحياة . فهذا هو شأن الحكمة . وذلك هو شأن الفن . وستبقى الحقيقة السامية ابداً تتجلى للانسان في مظهرها الازلي بين الحكمة والفن .

البحرية — ابراهيم العريض

---

(١٠) في « الشعر والشعراء » (١١) في « نقد الشعر » (١٢) في « الصناعتين »

(١٣) لقد رثى المتنبي احد معاصريه بهذه الابيات . واود الا تفوت القارىء دلالتها :

ما رأى الناس ثاني المتنبي — أي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ — ـش ، وفي كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ، ولكن — ظهرت معجزاته في « المعاني »

(١٤) راجع « ترجمة شعر المتنبي . . الى الانكليزية » — تعليق توفيق صائغ (المكشوف عدد ٤٦٢)

(١٥) محمد روحي فيصل في مقاله « هل كان المتنبي شاعراً » (العروبة ١٩٣٧)

(١٦) راجع « الامثال في الشعر العربي » (العروبة ١٩٣٦)

(١٧) وراجع ايضاً عدد المقتطف الخاص عن المتنبي — بقلم محمود محمد شاكر (المقتطف ١٩٣٦)

عدوان

لانطون تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب

●

موالي

الساعة العاشرة من احدي امسيات شهر ايلول المظلمة ، توفي اندريه الابن الوحيد لكيرياوف طبيب مدينة زمستفو والبالغ من العمر ست سنوات بمرض الدفتريا، وحين جثت زوجة الطبيب على ركبتيها امام سرير الطفل المائت وقد تملكتها اول نوبة من نوبات اليأس ، سمع في البهو الجرس يقرع بجدة .

كان جميع الخدم قد ابعدوا عن المنزل في نفس الصباح الذي دخلت فيه الدفتريا اليه . فذهب كيرياوف بنفسه الى الباب دون ان يبدل ثيابه، وهو في قميصه القصير الاكمام وصدريته غير المبكلة، وبدون ان يمسح وجهه او يديه النديتين اللتين احرقهما حامض الفحم . وكان البهو مظلماً ، وكنت لا تستطيع أن تميز الشخص الذي دخل بشيء سوى قامته المتوسطة وربطة عنقه البيضاء ووجهه الكبير الذي علاه الشحوب بصورة غير طبيعية ، فلقد كان شاحباً الى درجة انه بدا كما لو كان ظهوره وحده قد جعل البهو اكثر بريقاً . وسأل الزائر بجدة :

— « هل الطبيب موجود ؟» فأجاب كيرياوف :

— « انني في منزلي ، فماذا تريد ؟ » فغمر السرور نفس الزائر واخذ يفتش في الظلام عن يد الطبيب :

— « اذن فأنت هو الطبيب ؟ اني لسعيد جداً ! » فتناول يد الطبيب وضغط عليها بشدة وتابع يقول :

— « انني جد .. جد مسرور ! لقد تعارفنا سابقاً . . انني ابوجين .. الذي تشرف بمقابلتك هذا الصيف عند السيد جنوشيف . اني لسعيد اذ وجدتك في المنزل . . استحلفك بالله لا تقل انك لن تأتي معي مباشرة . ان زوجتي في خطر من مرض الم بها . . ان العربة معي . . ».

وكان واضحاً من حركات الزائر وصوته انه في حالة اضطراب عنيف . تماماً كما لو كان خائفاً من نار تقترب منه ، او من كلب ثائر يعترض طريقه . وكان يخفف من تنفسه المتسارع ويتحدث بسرعة مرتجف الصوت . وكان في كلامه رنة اخلاص حقيقي او خشية الاطفال . ومثل كل انسان مذعور ومرتجف الاوصال، كان يتكلم بجمل قصيرة عنيفة ويتمتم بكلمات كثيرة لا معنى لها ولا ضرورة مطلقاً . وتابع يقول :

— لكم كنت اخشى ان لا اجدك في المنزل . فبحق الله ارتدِ ثيابك ودعنا نذهب . لقد حدث ذلك كما يأتي : لقد جاءني بابشينسكي — الكسندر سيميونوفيتش — انك تعرفه . وتحادثنا . ثم جلسنا لنشرب الشاي . وفجأة صرخت امرأتي وهي تضغط بيديها على قلبها . ثم سقطت في مقعدها . ولقد حملناها الى سريرها . . وداكت لها جبهتها بالطيب ورششتها بالماء . . كانت متمددة كالجثة .. اني اخاف لئلا يضعف قلبها . دعنا نذهب . لقد توفي والدها ايضاً بسكتة قلبية .

واستمع كيرياوف اليه بصمت وكأنه لا يفهم اللغة الروسية .

وحين ذكر أبوجين بابشينسكي وأبا زوجته مرة ثانية ، ابتدأ من جديد يبحث عن يد الطبيب في الظلام . فهز هذا رأسه وقال وهو يلفظ كل كلمة ببطء وتمهل شديدين :

— «اعذرني فأنا لا استطيع الذهاب. من خمس دقائق مضت. توفي ولدي» . فتمتم ابوجين مرتداً الى الوراء :

— « اصحيح هذا ؟ يا الهي . يا له من وقت غير مناسب للمجيء ! يا له من يوم مشؤوم . للغاية ! يا للاتفاق . فكأنما كان مقصوداً اليه » .

وامسك ابوجين قبضة الباب واحنى رأسه يتأمل . كان من دون ريب في حالة تردد لا يعلم اذا كان يجب ان يذهب او يسأل الطبيب الذهاب معه مرة ثانية . ثم قال بلهفة ممسكاً الطبيب من مرفقه :

— « اصغ ، اني افهم حالتك تماماً ! والله يعلم مبلغ خجلي لاني احاول جلب اهتمامك في مثل هذه اللحظة. ولكن ما الذي استطيع فعله ؟ فكر انت ايضاً . الى من استطيع ان اذهب ؟ فليس هناك من طبيب هاهنا الا انت فمن اجل السماء تعال . اني لااطلب ذلك من اجلي ، فلست انا هو المريض ! » .

وخيم السكون وادار كيريلوف ظهره لابوجين ووقف جامداً مدة من الزمن ثم خرج ببطء من الصالة الى غرفة الانتظار ؛ وكان يستطيع المرء اذا ما رأى حركاته المترددة الميكانيكية ، والعناية التي بذلها وهو يرتب مظلة المصباح المطفأ في غرفة الجلوس، ويراجع كتاباً ضخماً كان ملقى على المائدة ، ان يحكم انه كان في تلك اللحظة خالياً من كل غاية او رغبة وانه لم يكن يفكر في اي امر كان وأنه من المحتمل ان يكون قد نسي ان في الصالة رجلاً غريباً ينتظر . وزاد ظلام وهدوء الغرفة—فيما يبدو — في اختلاط عقله . وحين دخل من غرفة الانتظار الى مكتبه رفع رجله اليمنى اكثر مما يحتاج اليه وتحسس بيديه دفتي الباب ، وعلا وجهه حينئذ بعض الحيرة كما لو كان قد دخل منزلا غريباً مصادفة او سكر لاول مرة في حياته . ثم استسلم الآن في حيرة الى احساس جديد ودخل شريط من النور فوقع على رفوف الكتب القائمة على احد جدران المكتب . وكان هذا النور الممتزج بالرائحة الخانقة من حامض الفحم والاثير يأتي من الباب المنفرج الذي يصل بين المكتب وغرفة النوم . وغرق الطبيب في مقعد قرب الطاولة وتطلع ببلادة مدة من الزمن الى الكتب المنارة ، ثم قام ودخل غرفة النوم.

وكان هدوء خافق يخيم هنا في غرفة النوم . فجميع الاشياء من اضخمها الى زهيدها كانت تتحدث بفصاحة عن العاصفة التي مرت وعن السآمة والفتور بينما تأخذ راحتها الآن . وكان القنديل القائم بين جموع الزجاجات المغلقة والعلب وآنية الادوية على المائدة الصغيرة ، والمصباح الكبير القائم فوق الجرارات ينيران الغرفة بضوء شديد . وكان الصغير ممدداً على السرير قريباً من النافذة وعيناه مفتوحتان ، وعلى وجهه نظرة دهشة . ولم يكن يتحرك بل كان يبدو ان عينيه المفتوحتين تزدادان ظلمة شيئاً فشيئاً كل ثانية وتغوصان في جمجمته. وكانت الام جاثية على ركبتيها بالقرب من السرير وقد رمت يديها فوق جسد ولدها وأخفت وجهها بين طيات ادوات السرير ، وهي مثل الصبي عديمة الحركة . ولكن كم من حركات الحياة كانت تنبض في ثنايا جسمها وفي يديها ! وكانت ملتصقة بالسرير بكل جسدها وبجماس وتلهف شديدين كما لو كانت تخشى تعكير الوضع الهادىء والمريح الذي وجدته اخيراً لجسمها المنهوك . وكان بعض الاغطية والثياب والكؤوس ملقاة على الارض ، وبعض الفراشي وقطع الصابون مبعثرة في كل مكان . وكان هناك ايضاً زجاجة من ماء الزهر ، ثم الجو الخانق والثقيل نفسه . كان كل شيء قد مات ، ومثل الموت ارتاح في هدوء عظيم .

ووقف الطبيب بالقرب من امرأته، وقد وضع يديه في جيوب سراويله وأمال رأسه الى جهة واحدة وراح يتطلع بثبات الى ولده وكان يبدو علي وجهه عدم المبالاة ، وكانت القطرات المتلألئة على لحيته ، هي التي تعلن وحدها انه قد بكى مؤخراً فقط .

وكان الفزع الهائل الذي نحسه عندما نتكلم عن الموت غائباً عن غرفة النوم ، وفي السكوت الشامل ووضع الام ، وفي عدم الاهتمام الذي يبديه وجه الطبيب شيء خالب يؤثر في النفس. ذلك هو الجمال الخادع المراوغ الذي يملكه الحزن الانساني والذي يتطلب من الانسان زمناً طويلاً كي يفهمه ويصفه ، والذي يبدو ان الموسيقى هي وحدها القادرة على التعبير عنه . وكان المرء يحس الجمال ايضاً في الهدوء القاسي . اما كيريلوف وزوجته فقد اعتصما بالصمت ولم يبكيا ، فكأن ذلك اعترافه منهما بكل شاعرية حالهما . لقد ذهب مع هذا الطفل حقهما في الاولاد ، ويا للاسف ! دوماً والى الابد ، مثلما مضى فصل شبابهما مرة ، فالطبيب اليوم في الرابعة والاربعين من عمره وقد شاب وراح يبدو كشيخ مسن واما زوجته المريضة الشاحبة اللون ففي الخامسة والثلاثين . فاندريه اذن ليس ابنهما الوحيد فقط ، بل هو الاخير ايضاً .

وكانت طبيعة الطبيب ، على خلاف زوجته ، من ذلك النوع الذي يحس ضرورة الحركة عندما تتألم نفوسهم . فبعد ان وقف بالقرب من زوجته حوالي خمس دقائق ، غادر غرفة النوم رافعاً رجله اليمنى عالياً ، الى غرفة صغيرة نصف ملآنة بأريكة كبيرة واسعة . ومن هناك دخل الى المطبخ . وبعد ان تنقل بين موقد النار وسرير الطباخة ، اجتاز باباً صغيراً وقفل الى البهو .

وهناك رأى مرة ثانية ربطة العنق البيضاء والوجه الشاحب.

وتفوه أبوجين وقد امسك بقبضة الباب :

— « واخيراً دعنا نذهب ارجوك ». فارتجف الطبيب وتطلع اليه فتذكر كل شيء :

— « استمع ، لقد سبق فأخبرتك انني لا استطيع الذهاب . يا للفكرة الغريبة ! » فقال أبو جين في رنة توسل وقد وضع يده على ربطة عنقه :

— « لقد جبلت من لحم ودم انا الآخر ايها الطبيب . وانا افهم حالتك تماماً . فأنا اشعر نفس شعورك . ولكنني لا اطلب ذلك من اجلي . ان امرأتي تموت . فلو سمعت صراخها ورأيت وجهها لغفرت الحاحي . يا الهي — وقد قلت في نفسي انك ذهبت لترتدي ثيابك . ان الوقت ثمين يا دكتور دعنا نذهب ، انني اتوسل اليك » فأجاب كيريلوف بعد صمت قصير :

— « اني لا استطيع الذهاب » . ودخل الى غرفة الاستقبال. فتبعه ابو جين وامسك به من مرفقه وتابع قوله كالمستعطين .

— « انك حزين . انني افهم ذلك . ولكنني لم اطلبك كي تعالج ألماً خفيفاً في احد الاضراس او لكي تكتب وصفة طبية — بل لتنقذ حياة بشرية . ان هذه لاثمن من اي حزن شخصي . اني اطلب منك الشجاعة ، فأسألك ان تقوم بعمل عظيم باسم الانسانية » فأجاب كيريلوف بحدة :

— « ان الانسانية تسد كلا الطريقين . فباسم الانسانية نفسها اسألك ان لا تأخذني بعيداً . يا إلهي ، يا لها من فكرة غريبة ! اني لا استطيع حتى الوقوف على قدمي الا بصعوبة ، وأنت تخيفني بالانسانية . اني لا اصلح لاي شيء الآن . اني لا اريد الذهاب في سبيل اي امر كان . مع من استطيع ان اترك امرأتي ؟ لا ، لا . »

وجمع كيريلوف يديه وتابع بعد ان ارتد الى الوراء :

— « و.. لا تسألني . انني آسف . ان القانون يضطرني على الذهاب في مادته الثالثة عشرة ، ولك الحق ان تسحبني من رقبتي. حسناً ، جرني ولكن .. ولكنني لا اصلح لشيء .. انني غير قادر حتى على الكلام . اعذرني . » فقال أبو جين ممسكاً الطبيب من مرفقه مرة ثانية :

— « انك غير منصف ابداً اذ تكلمني بهذه اللهجة ايها الطبيب . فلتذهب المادة الثالثة عشرة الى الشيطان ! انه لا يحق لي ان اغصبك رغماً عن ارادتك . اذا اردت ان تجيء فتعال ، واذا رفضت فليكن الله معك حينئذ ، ولكنني لا اتوجه الى ارادتك بل الى عواطفك . ان هناك امرأة شابة تموت . وقد قلت ان طفلك توفي الآن . فمن غيرك يستطيع ان يفهم خوفي ؟ » .

وارتجف صوت ابو جين بسبب اضطرابه الشديد . ان ارتعاشه ورنة صوته لاكثر اقناعاً من كلماته . وكان ابو جين مخلصاً ، ولكن ما يجدر ملاحظته ان كلا من الجمل التي استعملها كانت تصدر عنه سهلة ولا مروءة فيها ، جميلة في غير موضعها ، وكأنها اهانة موجهة الى جو منزل الطبيب والى المرأة التي تموت . ولقد احس بذلك هو نفسه . واذ خاف لئلا يساء فهمه راح يبذل اقصى الجهد حتى يجعل صوته رقيقاً وحنوناً بحيث يقنع الطبيب بصدق لهجته على الاقل ، ان لم يكن بكلماته . ولكن القاعدة ان الكلمات مهما كانت عميقة وجميلة تؤثر فقط في من لا يتعلق الامر به . فهي دائماً لا تستطيع ان تكفي التعيسين او الهانئين لان اقوى تعبير عن التعاسة او السعادة هو في الغالب الصمت . ان المحبين ليفهمون بعضهم بعضاً بصورة أفضل عندما يعتصمون بالصمت . كما ان خطاباً حاراً شديد العاطفة يلقى الى جانب القبر يؤثر في الغرباء فقط ، بينما يبدو بارداً وتافهاً لارملة الراحل واولادها .

ووقف كيريلوف ثابتاً وفي صمت . ثم سأل بشدة عندما تلفظ ابو جين ببعض الكلمات الاخرى عن الواجب الكبير الذي يترتب على عاتق الطبيب ، وعن التضحية الذاتية :

— « هل المكان بعيد ؟ »

— « ثلاثة عشر او اربعة عشر فرسخاً . ان الخيل قوية يا دكتور . اقسم لك بشرفي اني سوف آخذك الى هناك واعود بك في ساعة واحدة . ساعة واحدة فقط » . وكان للكلمات الاخيرة وقع اشد من وقع جميع الاشارات الانسانية او الى واجب الطبيب وفكر كيريلوف لحظة ثم قال وهو يتنهد .

— « حسناً ، دعنا نذهب ! » .

ثم دخل بسرعة بخطوات مضطربة الى غرفة مطالعته ، وعاد

سريعاً وعليه معطف طويل . فسر ابو جين وابتدأ يرقص حواليه بفرح يساعده في ارتداء معطفه ، ثم صحبه في الخروج من المنزل.

وكان الظلام يخيم خارجاً ، ولكن النور كان اشد منه في البهو .وهنا في الظلام بدا وجه الطبيب الطويل الشكل بوضوح ، وكذلك لحيته الطويلة الضيقة وانفه الاقنى . والى جانب الوجه الشاحب، كان يمكن رؤية وجه ابو جين الكبير وقبعته الصغيرة التي تغطي بصعوبة قمة رأسه . وظهرت ربطة العنق البيضاء من الامام فقط ، اما من الخلف فقد اختبأت تحت شعره الكثيف . وتمتم ابو جين وهو يساعد الطبيب على الركوب .

— « صدقني ، انني قادر على تقدير شهامتك . انك تستطيع ان تنطلق الآن يا « لوك »انك تستطيع ان تسرع بقدر امكانك ايها الرجل العزيز ، فهيا !» .

وساق السائق بسرعة . فظهر اول ما ظهر صف من البنايات المكشوفة التي تقوم على جانب ساحة المستشفى .والظلام يخيم على كل مكان ، اللهم الا ضوء لامع كان ينطلق خلال احدى النوافذ في نهاية الساحة وينصب على جدار الحديقة.وثلاث نوافذ من جناح طبقة الاشراف المستقل تبدو اكثر شحوباً من الهواء . ثم دخلت العربة في ظلام مطبق حيث كنت تستطيع ان تشم رائحة الاعشاش الندية ، وتسمع همس الاشجار . وايقظت ضجة العجلات الغربان الذين بدأوا يحركون اوراق الشجر ويطلقون صراخاً حزيناً مدهوشاً ، كما لو كانوا يعرفون ان ابن الطبيب قد مات وان زوجة ابو جين تعاني المرض. ثم ظهرت مجموعة من الشجيرات ، واخيراً لمعت بركة ماء ظللتها اشباح كبيرة سوداء . واستمرت العربة تجري على طول طريق سهل ، بينما أخذ صراخ الغربان يضعف تدريجياً فلا يسمع الا بصعوبة بعيداً في الخلف . ثم شمل السكون كل شيء .

وبقي كيرياوف وأبو جين صامتين طوال الطريق تقريباً ، خلا مرة واحدة تنهد فيها ابو جين بعمق ثم تمتم :

— « انه مرض هائل .ان المرء لا يحب اقرباءه ابداً بقدر ما يحبهم عندما يكونون عرضة لان يفقدهم ».

وحين كانت العربة تمر بهدوء عبر النهر انتفض كيرياوف فجأة كما لو ان المياه المتدفقة قد اخافته . وابتدأ يتحرك ضجراً ثم قال بكدر :

— « دعني اذهب . وسوف اجيئك فيما بعد . انني اريد ان ارسل الخادم الى امرأتي فحسب .انها وحيدة تماماً ».

وكان ابو جين صامتاً . في حين كانت العربة تترجح وتتمايل كلما مرت فوق احد احجار الطريق . ثم قطعت الفسحة الرملية وتابعت مسيرها . فابتدأ كيرياوف يتحرك ويتطلع حوله مغموماً. والى الخلف كان الطريق يرى في الضوء الخفيف الذي تنشره اشعة الكواكب وشجر الصفصاف الذي يغطي الارض الرملية يختفي في الظلام. وعلى الجهة اليمنى كان السهل يمتد هادئاً ولا حدود له كالسماء. وكانت تلمع بين كل مسافة واخرى بعض الانوار الخافتة الآتية دون شك من اكواخ القرية القريبة . وفي الجهة اليسرى على موازاة الطريق تمتد هضبة صغيرة كستها الشجيرات التي لم يكتمل نموها بعد . بينما وقف على الهضبة نصف قرص ضخم دون حراك ، احمر اللون ، حجبه الضباب قليلا ، واحاطت به من كل جانب السحب الرقيقة التي تبدو وكأنها تنغرس فيه وتحرسه خوفاً من ان يختفي .

وكان المرء يحس في الطبيعة كلها شيئاً مريضاً لا رجاء فيه . وكانت الارض تخور بذكرى الربيع والصيف ، وتنتظر بجمود مجيء الشتاء الذي لا بد منه . مثلها مثل امرأة ساقطة قبعت وحيدة في غرفة مظلمة تجرب ان لا تفكر في ماضيها . واينما كان يقع نظر الانسان ، كانت الطبيعة تظهر كل شيء مثل هاويات مظلمة باردة لا قرار لها ، حيث لم يستطع كيرياوف ولا ابو جين. ولا نصف القمر الاحمر الافلات منها .

وكلما كانت العربة تقترب من هدفها ، كلما يزداد اضطراب ابو جين . فابتدأ يتنحنح ثم قفز واقفاً وأخذ يتطلع من فوق كتفي السائق الى الامام . وعندما وقفت العربة اخيراً عند اسفل الدرج الكبير الذي غطته سجادة رائعة ، تطلع ابو جين الى النوافذ المضاءة في الطابق الاول . وكان المرء يستطيع سماع تنفسه يرتجف وقال وهو يدخل الى البهو مع الطبيب محركاً يديه بحيرة في اضطرابه :

— « اذا حدث شيء .. انني لن استطيع ان اتحمل ذلك . ولكنني لا استطيع ان اسمع اية ضجة » وتابع بعد ان اصغى الى السكون :

— «ان ذلك يعني ان كل شيء على ما يرام بقدر الامكان».

وكان المنزل يبدو لشدة الاضاءة وكأنه غارق في النوم . وقد صار الآن في امكان الطبيب وابو جين اللذين بقيا في ظلمة كل هذه المدة ، ان يتفحص كل منهما الآخر . كان الطبيب طويلاً وقد مال جذعه الى الامام قليلاً ، مضطرب اللباس كما ان وجهه كان

مسطحاً . وكان في شفتيه السميكتين كشفتي العبيد ، وفي انفه الاقنى ، وفي نظرته الذابلة اللامبالية شيء قاس بصورة غير مرضية . شيء فظ وصارم في آن واحد . وكان شعره المجعد وصدغاه الفائران والشيب المبكر في لحيته الطويلة الخفيفة التي كانت تظهر ذقنه اللامعة من خلالها ، وفي لونه الشاحب الاسمر ، وفي تصرفاته الخرقاء المرتبكة ، كان في صلابة كل هذا ما يوعز الى الفكر بأوقات رديئة قضيت ، وبنصيب غير عادل من ضجر الحياة والناس وكنت اذا ما نظرت الى وجه الرجل القاسي يصعب عليك الاعتقاد بان له زوجة وانه يستطيع ان يبكي على ولده . ولكن ابو جين كان يوحي بشيء يختلف عن هذا كله . فقد كان قوي البنية مرتفع القامة مصفف الشعر ذا رأس كبير و« سالفين » عريضين ولكنهما لطيفان . وكان يرتدي ثياباً ثمينة فصلت على الزي الاخير ومذ كان في العربة كنت تشعر في معطفه المحكم الاشتمال وفي شعره الكثيف كعرف الديك شيئاً نبيلاً . وكان يسير ورأسه مرفوع وصدره بارز الى الامام ، يتكلم بلهجة ناعمة ، بينما كان يبدي في طريقته بتحريك ربطة عنقه وترتيب شعره ، رشاقة لطيفة اقرب ما تكون الى الانوثة . وحتى شحوبه وفزعه الطفلي عندما رنا ينظر الى فوق وهو يخلع معطفه لم يعكرا شيئاً من مظهره الخارجي او ينقصا من الارتياح والنضارة والفتوة التي كانت تشع من وجهه . وقال وهو يصعد السلم :

— « ليس من احد هنا ، اني لا استطيع ان اسمع شيئاً . ليس من حركة . فليكن خيراً يا الهي ! » .

ورافق الطبيب خلال البهو حتى غرفة استقبال واسعة ، حيث كان يرى بيانو اسود ضخم ، وشمعدان غطي بغطاء ابيض . ومن هناك مر الاثنان الى غرفة انتظار صغيرة وجميلة ومريحة جداً تملأها ظلمة نصفية لطيفة ووردية . فقال ابو جين :

— « ارجوك ، اجلس لحظة هنا يا دكتور ، اني . . اني لن اغيب سوى ثانية واحدة . اني اريد ان القي نظرة واخبرهم » .

وبقي كيريلوف وحيداً . ومن المحتم ان رخاء غرفة الاستقبال ولطافة الظلمة الخفيفة ، لا بل ان نفس وجوده في منزل غريب لم يألفه ، كل هذه الامور لم تحرك شعوره ! واقتعد كرسياً ثم اخذ يتطلع الى يديه المحترقتين بحامض الفحم . وهو لم يلق سوى نظرة واحدة الى نور المصباح الاحمر اللامع ، والى خزانة الآلات الموسيقية التي في زاوية الغرفة . وحين القى نظرة جانبية على اطراف الغرفة حيث كانت الساعه تدق ، شاهد ذئباً محنطاً تشابه متانته ورضاه ابو جين نفسه .

وكان السكون مخيماً . وفي بعض الاماكن البعيدة في الغرف المجاورة صرخ احدهم بصوت عال : « آه ! » ، ثم تحطم باب زجاجي من المحتمل انه كان باب خزانة ، ومن ثم خيم السكون مرة ثانية . وبعد مرور خمس دقائق ، كف كيريلوف عن التطلع الى يديه ورفع ناظريه الى الباب الذي توارى ابو جين وراءه .

وكان ابو جين واقفاً على العتبة ، ولكن يختلف عن الانسان الذي كانه قبل ذهابه ، وقد تركته علامات الاعتداد بالذات والرشاقة الخبيثة ، بينما كان وجهه ويداه ووضع جسده متقلصة جميعها تعبر عن عذاب عميق ناشيء عن رعب ، او عن ألم جسدي موجع . وكان كل من انفه وشفتيه وشاربيه وسائر ملامحه تتحرك كما لو كانت تحاول ان تفلت بنفسها في وجهه . ولكن عينيه بدتا كما لو كانتا تضحكان بتأثير الالم .

وخطا ابو جين خطوة ثقيلة وطويلة الى وسط الغرفة وانحنى وتأوه وهز قبضتيه . ثم صاح مشدداً اللفظ على المقطع « دع » :

— « خدعت ! لقد خدعتني ! لقد ذهبت ! انها ما قطت مريضة وارسلتني لاجيء بالطبيب ، الا كي تفر مع ذلك الاحمق باشينسكي . يا الهي ! » .

وخطا ابو جين — مرة ثانية — بتثاقل نحو الطبيب ، وقد رفع قبضتيه الرقيقتين البيضاوين امام وجهه ، ثم تابع وهو ينوح ويحرك يديه اثناء بكائه :

— « لقد ذهبت ! لقد خدعتني ! ولكن لم هذه الاكذوبة ؟ يا الهي ، يا الهي ! لم هذه الدناءة والخدعة الدنسة ، هذه اللعبة الشيطانية الافعوانية ؟ ماذا عملت لها ؟ لقد ذهبت » .

وسالت الدموع من عينيه ، ودار على عقبيه وابتدأ يذرع بخطاه غرفة الانتظار . وكان يشبه في سترته القصيرة وسرواله العصري الضيق ، الذي بدت فيه رجلاه رقيقتين جداً بالنسبة لجسده ، الاسد بصورة غريبة جداً . واشتعل حب الاطلاع في وجه الطبيب الجامد . فنهض ورمق ابو جين :

— « حسناً ، اين هي المريضة ؟ » . فصاح ابو جين وهو يضحك ويبكي ويتابع هز قبضتيه :

— « المريضة ، المريضة ! انها لم تكن مريضة بل ملعونة ، لئيمة وجبانة . ان ابليس نفسه لا يستطيع ان يبتدع خدعة اكثر قذارة من هذه . وهكذا ارسلتني ، لتستطيع الفرار مع أحمق وجلف قاس ! يا الهي ، لقد كان من الافضل ان تموت . اني لا اريد ان

أتحمل ذلك اني لن استطيع ان اتحمل ذلك ».

ووقف الطبيب متصلباً. وابتدأت عيناه تطرفان وقد امتلأتا بالدموع ، وابتدأت لحيته الرقيقة تتحرك مع فكه يمنة ويسرة . ثم سأل وهو يتطلع حوله مستغرباً :

— « ما معنى هذا ؟ لقد توفي ولدي . وزوجتي تتعذب وحدها في البيت كله . . انني لا استطيع الوقوف على قدمي الا بصعوبة، وكذلك لم أنم طوال ثلاثة ايام وها انا ادعى للتمثيل في مهزلة، مبتذلة ، ولامثل دور المسرح فيها ! اني لا ، اني لا افهم ذلك ! ».

وفتح ابو جين احدى قبضتيه والقى على الارض بوريقة مجعدة ثم داسها ، كما لو كانت حشرة يريد ان يسحقها . وقال من بين اسنانه المطبقة ملوحاً باحدى قبضتيه حول رأسه .

— « انا لم انتبه . . لم افهم . انا لم الاحظ كيف كان يأتي لزيارتنا كل يوم . اني لم الاحظ انه قدم في عربة هذا اليوم ! فلم كانت العربة ؟ اني لم الاحظ ! انا البريء ! » . وتمتم الطبيب بقوله :

— « اني لم . . اني لا افهم . ماذا يعني كل هذا ؟ انه الهزء بانسان ، والسخرية من انسان متألم ! ان هذا لمستحيل . اني لم أره في كل حياتي الماضية ! ».

وهز الطبيب، بارتباك انسان مشدوه قد ابتدأ يفهم ان احدهم قد اهانه بقساوة ، كتفيه وحرك يديه ، وبدون ان يعرف ماذا يقول او يفعل ، سقط منهوك القوى في مقعد :

— « حسناً ، انها لم تعد تحبني ابداً . لقد احبت رجلاً آخر ! حسناً جداً . ولكن لمَ الخداع ، لمَ هذه الخيانة القذرة ، لم ، ؟اي جرم ارتكبته بحقك ؟ » ثم قال مقترباً من كيريلوف :

— « اصغ الي ايها الطبيب . لقد كنت الشاهد المكره على مصيبتي . وانا لن اخفي الحقيقة عنك . اني اقسم انني احببت هذه المرأة . لقد احببتها حب العبادة مثل العبد . لقد ضحيت بكل شيء لاجلها . لقد قاطعت اسرتي وتركت وظيفتي وموسيقاي . لقد غفرت لها اشياء ما كنت اغفرها لامي واختي . . اني لم اوجه لها مرة نظرة غضبي، ولم ارفع امامها اي اعتراض . فلمَ هذه الاكذوبة اذن ؟ اني لا اطلب حباً . ولكن لمَ هذه الخدعة الشنيعة ؟ فاذا توقفت عن اضمار الحب فقل ذلك بشرف، وعلى الاخص اذا كنت تعرف ما هو شعوري في هذا الموضوع ».

وروى أبو جين ، والدموع في عينيه والرجفة تهز كل عظامه قصته كلها للطبيب . فتكلم بشغف ضاغطاً على قلبه بكلتا يديه وكشف له عن جميع اسرار الاسرة بدون ادنى تردد ، آه لو كان سعيداً لكون هذه الاسرار تنتزع من قلبه . انه لا بد سينال بعض الراحة اذا استطاع ان يتكلم هكذا ساعة او ساعتين ، ويروي كل ما في نفسه .

ومن يستطيع ان يقول ان الطبيب لو اصغى اليه وبادله شعور الصداقة ، اذن لفهم كآبته دون احتجاج — يحدث غالباً — ودون اللجوء الى حماقات لا طائل منها ! انما حدث خلاف ذلك . فبينما كان ابو جين يتكلم ، كانت ملامح الطبيب المتعب تتغير بوضوح وكانت اللامبالاة والذهول البادیان في وجهه ، تفسحان الطريق تدريجياً لعلامات غضب وسخط وغيظ مرة . وكانت ملامحه تزداد قساوة وصلابة وسخطاً . ثم انتفض فجأة ، حين وضع ابو جين امام ناظريه رسم زوجته الشابة بوجهها الجميل ، رغماً عن كونه جافاً ، وجه لا تعبير له شبيه بوجه راهبة، سائلاً اياه هل من الممكن ان ينظر الى هذا الوجه ويخمن انه يستطيع ان يكذب، وجحظت عيناه ، وقال وهو يتلفظ بكل كلمة على حدة بغظاظة :

— « لم تخبرني بهذا كله ؟ اني لا اريد ان اسمع اني لا اريد ذلك » . وصاح وهو يضرب الطاولة بقبضته :

— « اني لا اريد اسرارك العامة المبتذلة — فلتذهب اسرارك الى الجحيم . لا يحق لك ان تخبرني بهذه التوافه . او هل تفكر انني لم اتحمل ما يكفي من الاهانة! ام هل تظن انني خادم يمكنك ان توجه اليه الاهانة الاخيرة ؟ نعم ؟ ».

وابتعد ابو جين عن كيريلوف وهو يرمقه دهشاً . وتابع الطبيب هازاً رأسه :

— « لمَ أتيت بي الى هنا ؟ لقد تزوجت وانت كاسف البال وغضبت وانت كاسف البال ، وألفت رواية محزنة — ولكن لم تحشرني فيها ؟ وماذا افعل بروايتك هذه ؟ دعني وحدي ! تابع عظتك النبيلة ، استعرض آرائك الانسانية والعب — » . والقى الطبيب نظرة حالمة الى خزانة الآلات الموسيقية — « بزمارك ونايك وحنط نفسك ايضاً اذا اردت . ولكن لا تتجرأ على الهزء بانسان حقيقي ، اذا كنت لا تستطيع ان تحترمه ، فعلى الاقل تستطيع ان تؤخر عنه التفاتك اليه ورعايتك له » فسأل ابو جين خجلاً :

— « ماذا يعني كل هذا ؟ ».

— « هذا يعني ان السخرية بالانسان لامر دني، وقبيح . وانتم تعتبرون الاطباء وكل الناس الذين يعملون بجد ولا يجدون وقتاً ينغمسون فيه في العهر والفجور عبيداً لكم تستطيعون ان تسخروا

منهم كما تشاؤون . حسناً ، ولكن احداً لم يعطك الحق لتجعل انساناً يتألم ، عبداً لك » .

فسأل ابو جين وقد ابتدأ وجهه يتقلص ولكن بغضب بيّن هذه المرة :

— « كيف تتجاسر على مثل هذا الكلام ؟» فصاح الطبيب وقد ضرب الطاولة بقبضته مرة اخرى :

— « كيف تجرؤ انت على أن تجلبني حتى هذا المكان عندما تعرف انني في ألم ؟ ومن اعطاك الحق لتهزأ من حزن انسان آخر؟» فصاح ابو جين :

— « انك مجنون ، انك غير كريم. اني أنا الآخر شقي جداً و . . و» فابتسم الطبيب ابتسامة هازئة وهو يقول :

— « شقي ، لا تلمس هذه الكلمة فليس لها ادنى علاقة بك ان المقامرين الذين لا يكسبون شيئاً يسمون انفسهم اشقياء ايضاً وان ديكاً مخصياً يشقى بكل شحمه الفائض الذي يضايقه . يا لك من انسان لا نفع منه ! » فصاح ابو جين بصوت حاد .

— « يا سيدي انك تنسى نفسك ، ان اناساً يقتلون لتفوههم بمثل هذه الكلمات . هل تفهم ؟ » .

وادخل ابو جين يده في جيب سترته الجانبي واخرج محفظته ، ثم اخرج منها ورقتين ماليتين والقى بهما على الطاولة ، وقال وخياشيمه ترتجف :

— « هذه اتعابك : لقد نلت اجرتك » فأجاب كيريلوف وقد رمى بالوريقات من الطاولة الى الارض :

— « لا تجسر على عرض دراهم علي انك لا تمحو اهانة بواسطة الفضة » .

وكان ابو جين والطبيب واقفين وجهاً لوجه يكيل كل منهما للآخر اهانات لا يستحقانها . انهما لم ينطقا طوال حياتهما ، حتى ولا في ساعات الجنون بكل الامور المجردة عن العدل والقاسية السخيفة . وقد كانت تبدو — بكل قسوة — عند كليهما انانية الانسان التعيس . ان سائر الناس الاشقياء انانيون وشريرون وغير عادلين ، وأقل قدرة على فهم بعضهم بعضاً من المجانين . ان الشقاء لا يوحد الناس بل انه يفرق بينهم ، وحيث يتخيل انسان ان الاشتراك في الحزن يمكن ان يوحد بين الناس ، يجد من الظلم والوحشية اكثر مما يجد منها بين الراضين نسبياً .

وصاح الطبيب منقطع الانفاس :

— « ارسلني الى منزلي ارجوك » . فقرع ابو جين الجرس بحدة . فلم يظهر احد . فقرعه مرة ثانية ، وحينئذ رمى الجرس بغضب الى الارض . فوقع على السجادة ببطء وأحدث صوتاً محزناً شبيهاً بأنين النزع الاخير . ثم ظهر الخادم . فقفز اليه ابو جين وقد ضم قبضتيه :

— « اين كنت مختفياً ، لعنك الله ؟ اين كنت في هذه اللحظة اذهب واخبرهم ان يرسلوا العربة لهذا الجنتلمان ، وهي لي العربة الصغيرة » ثم صاح بعد ان استعد الخادم للذهاب :

— « انتظر ، يجب الا يبقى خائن واحد منكم غداً . انصرفوا جميعاً . سوف استدعي خداماً آخرين . يا للرعاع ! » .

وبقي ابو جين والطبيب صامتين مدة انتظارهما . وقد عادت علامات الرضا والرشاقة الخبيثة الى الاول . فابتدأ يذرع ارض غرفة الانتظار وهو يهز رأسه بلطف كما لو كان يدبر شيئاً ، ولم يكن غضبه قد برد بعد ، ولكنه حاول ان يبدو كما لو كان لا يلاحظ وجود عدوه . وكان الطبيب يستند على حافة الطاولة باحدى يديه يتطلع الى ابو جين بنفور شديد وبالاحرى بذلك البغض الفظ والقبيح الذي لا يشعر به الا الرجل الكئيب وسيء الطالع حين يرى الاستخفاف والرشاقة امامه .

وبعد قليل ، حين اخذ الطبيب مقعده في العربة وابتعد بها كانت عيناه تطرفان بازدراء . وكان الظلام مخيماً بشدة اكثر من ساعة مضت . وقد اختفى الآن نصف القمر وراء الهضبة الصغيرة واجتمعت السحب التي كانت تحرسه في بقع سوداء حول النجوم . وابتدأت العربة الصغيرة الاخرى ذات المصابيح الحمراء تقعقع في الطريق ، ثم تخطت عربة الطبيب . انه ابو جين في طريقه للاحتجاج ، ليرتكب كل اساليب الحماقة .

وطوال الطريق لم يفكر الطبيب بزوجته او بأندريه ، ولكن بأبو جين وهؤلاء الذين يعيشون في المنزل الذي خلفه لتوه . وكانت افكاره غير عادلة ، لا انسانية وقاسية . وكان يدين ابو جين وزوجته وبابشينسكي وكل اولئك الذين يعيشون في نصف الظلمة الوردية ورائحة الدخان وطوال الطريق كان يمقتهم ، وكان قلبه يفيض بالكراهية لهم . اما الاعتقاد الذي كونه عنهم فسيدوم طيلة حياته .

وسيمضي الزمن وكذلك ألم كيريلوف ، ولكن هذا الاعتقاد الظالم بحق القلب الانساني ، وغير اللائق به لن يمضي . بل سيبقى في ذاكرة الطبيب حتى القبر .

دمشق — سهيل ايوب

الفـرصـة لا تـغيض ابـداً

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

●

كثيراً ما تسمع في احاديث الناس وأسمارهم أطيب الحديث وأعذبه عن رجل قد أدرك سوله في الحياة وبلغ في النجاح اقصى المدى.

وكثيراً ما يقوم من بين السامعين من يعقب على هذا الحديث فيقول: هذا حق! ولكن احوال ذلك الزمان تغاير أحوال زماننا. ولو حاول صاحبكم اليوم ما حاوله من قبل لما ظفر بما ظفر به.

ووراء هذا القول تجثم فكرة علقت بأذهان الناس، وأوحت اليهم ان النجاح اليوم في الحياة أصبح تكتنفه الصعاب. وتحيط به العقاب. وأنه كلما خلف جيل من الاجيال سابقه كانت الصعاب أعنف وأقسى.

فهل هذا القول حق؟ وهل بلغنا في هذا السبيل — سبيل الفرص — مرحلة التحجر والعقم. فأصبح السعي لادراك النجاح باطلاً وزوراً؟

اننا نسلم تسليما مطلقاً بأن احوال زماننا تختلف عما كانت عليه من قبل. وكذلك كان الامر في كل حقبة من الحقب. ذلك لان الحياة في هذه الدنيا من خصائصها التغير والتبدل.

وكذلك نسلم بأن بعض فترات الزمن في حياة امة من الامم هي أبعث على ادراك النجاح من فترات اخرى.

وان الامم لها مواسم تزهى فيها وتزدهي بما بلغته من مجد وسؤدد كما ان لها مواسم تود لو تمحى من سطور كتابها.

ففي انجلترا مثلاً لا يعيش القوم كما كانوا يعيشون أيام مجد الملكة « اليزابث». فهل نتخذ من هذا دليلاً على ان فرص المجد والسؤدد قد غاضت وولت. وانها لن ترجع ابداً؟ كلا! فهذه كلها امور نسبية. ذلك لان عصر الملكة « اليزابث » كان عصر مخاطرات كبرى. وعصر ازدهار في الآداب والفنون.

ولكن هل بلغ ذلك العصر مبلغ عصرنا هذا في تقدم الاختراع والكشف العلمي؟

كلا! وأقولها بملء فمي.

ونحن عندما نقرأ عن الملكة « اليزابث » وعن الرجال البارزين في عصرها من أمثال «سير مارتن فروبشر» (١٥٣٥—١٥٩٤) «وسير فرنسيس دريك» (١٥٤٠—١٥٩٦) «وسير والتر رالي» (١٥٥٢—١٦١٨) انما نقرأ عن شخصيات سامية ممتازة. لا عن أشخاص عاديين. وانما نحن نقرأ عن شخصيات أضاءت ما حولها. ولكن ليس لقائل ان يقول: ان اولئك الرجال العظماء يفوقون عظماء اليوم الذين يعيشون بيننا.

اما الرجال العاديون. واما النساء العاديات فهم اليوم أسعد حظاً ذلك لان عندهم من فرص الثقافة والتعليم ما لم يرزقه اولئك الرجال والنساء. الذين عاشوا أيام تلك الملكة.

وان ميادين العلم اليوم لارحب وأوسع من تلك الميادين التي جال في رحابها العالم الفيلسوف «فرنسيس باكون» (١٥٦١—١٦٢٦) وان مجتمعنا اليوم — على ما به من ألوان النقص — ليشع بالاخاء والمساواة اشعاعاً باهراً.

وان تكافؤ الفرص اليوم قد أصبح مرقاة يعرج عليها الفقير الى ذروة المجد وقمته.

ولكن هب الامر كان على النقيض من ذلك فهل هذا يغير من الامر شيئاً؟ ان المسئلة التي لا يختلف فيها اثنان هي ان الحقبة من الدهر التي نعيش فيها اليوم بما لها وما عليها اذا قيست بأية حقبة اخرى كانت لاعيننا صورة متشابهة لا تختلف في الملامح والسمات. فدرجات السمو فيها متاحة للناس جميعاً. ودركات الانحطاط

كن قوياً

***

كن قوياً !

ما كنا لنلهو ، ونحلم ، وننساق ؛

امامنا مهام لتنجز ، واعباء ثقيلة لتحمل ؛

اياك وتجنب الكفاح — بل واجه الاعباء ،

هي هبة من الاله

كن قوياً !

اياك وقول « الظروف سيئة ، من الملوم ؟ »

ثم تطوي اليدين فتذعن — يا للعار !

قف ، واجهر بشجاعة ، مسمياً بالله .

كن قوياً !

ما هو بامر ذي بال الى اي غور قد تمكّن السوء ،

او باي شدة تسير المعركة ، وباي طول تمضي الايام ؛

لا تتقهقر — امض في جهادك ! غداً .. تصدح بالغناء .

عمانه عن الانجليزية **يوسف بوراله**

قد تزل فيها أقدام اقوام فتردى .

ومن ثم فلسنا أسوأ حالا ممن سبقونا . بل ان اكثرنا اليوم لأوفر حظاً من أكثر الذين عاشوا من قبل اذا أدخلنا في حسابنا ان التعليم أصبح مورداً عذباً للجميع وان المجتمع اليوم هو اكثر ديموقراطية مما كان من قبل . وبذلك أصبح باب التقدم مفتوحاً لكل من استطاع ان يلجه . ذلك الباب الذي كان موصداً في وجه الفقراء والامين .

ولو كانت الحياة لا تعرف التغيير والتبديل لجاز لنا ان نشكو وأن نقول ان الفرصة قد غيض ماؤها وأن سماءها قد أقلعت . ولكن الحياة لا تني عن الحركة . وهي لا تني عن التحويل والتبديل . ومع التحويل والتبديل توجد الفرص وتتجدد . بل اني لابعد في القول فاقرر أن نسبة التبديل والتغيير هي اليوم أسرع مما كانت من قبل . .

والفرصة باقية ما بقيت الحياة . وهي اليوم سريعة الخطوات . وذلك تبعاً لاتساع مدى التقدم العلمي وسرعته .

وقد ننجح نحن او نفشل . ولكننا اذا فشلنا فان حكم العقل يقضي بأن لا نلوم الا انفسنا ، على اننا أغفلنا الفرصة فأغفلتنا أو على أننا لم نؤت من الصفات اللازمة ما يتيح لنا الاستفادة من تلك الفرصة .

وانه لحق ان الفرصة تتغير خصائصها ومميزاتها بتغير الازمان . فليس احد اليوم بقادر على ان يستكشف امريكا . ذلك لان كولمبس قد فعل ذلك من قبل .

وليس احد اليوم بقادر على ان يخترع مرة اخرى القاطرة البخارية ، ولكن الى جانب ذلك نجد الف ميدان وميدان لاختراعات جديدة هي في حاجة الى مخترعين . وهي مخترعات قد تكون انفع للمجتمع واجدى عليه من القاطرة البخارية ومن الطائرات .

وهناك كلمة يتناقلها المقامرون وهي ان القبة الزرقاء هي الحد الاقصى ! وهذا القول لا يصح ان يقال اليوم فان القبة الزرقاء لم تعد الحد الاقصى ، فالقنبلة الصاروخية قد جعلت فتح اقطار القبة الزرقاء محتملاً .

وفي عصرنا هذا ليس هناك قانون يمنع ان يبلغ عدد النسخ التي توزع على الناس يومياً من صحيفة من الصحف ثلاثة ملايين نسخة . وفرصة انشاء مثل تلك الصحيفة قد عرضت لرجال كثيرين . ولكن اتيح لواحد منهم — ليس غير — ان يظفر بها . ذلك لانه قد اوتي القدرة على التوجيه والانشاء . والخلق اكثر مما اوتي سواه من المنافسين الطامحين .

وهل كان هناك قانون يمنع من استكشاف تحديد الاتجاه الاثيري ؟ ولكن فخر هذا الكشف قد ناله « سير واطسون واط » (١٨٩٢) يوم كان مهندساً مبتدئاً ذلك لانه كان يملك المعرفة الفنية اللازمة . وكان به ولع شديد بالبحث والتجربة . وكان فوق ذلك يملك ارادة قوية تعينه على الدرس والمثابرة حتى ظفر بثمرات ذلك الدرس ونتائج تلك المثابرة .

وعلى هذا وجب ان نقول ان الفرصة لا تغيض ابداً في اي ميدان من ميادين الحياة .

والجوائز التي تمنحها الحياة اليوم لا تقل عما كانت تمنحه في الايام الخالية . ولا يزال في جعبة الحياة جوائز كثيرة للفائزين في الحقب المقبلة .

فليثق المرء ثقة تبلغ حد العقيدة ان الفرصة لم تمت يوم مولده وليعد لها العدة . ولا يكن غافلاً عن لقائها يوم تقبل عليه بوجهها الوضيء السمح .

القاهرة **مبارك ابراهيم**

بين الحلم والتجربة

بقلم يوسف الشاروني
ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

●

اول ابريل (نيسان) عام ——١٩

جاءني الليلة خطاب من صديقي م . يقول فيه :

عزيزي : لقد مات (بان) اله الرعاة الذي عبده الاغريق اجيالا طوالا ، مات في افئدة سادة الفكر قبل ان يموت مع طيات التاريخ . والى صديقي الحائر القلق من قلب به جذوة الحب الحزين المضطرم مع اضطرام آلامك ، الهاتف مع منازع نفسك ، المشوق الى ان يشعر بقلبك ما يشعر بقلبه ، فتحمل عنه ما يحمل في اعماق نفسه من هدوء غرد سعيد . فقط وان كان لا يشعر انه واسع القلب كما ينبغي — يشعر ان القلوب الكبيرة لا يمكن ان تسعد لانه تنقصها سعادة الآخرين ، يشعر انه لا يمكن ان يسعد وهو يحس في اعماق نفسه بان نفسك المناضلة المكافحة كالسفين وقد اخذته الزوبعة وهو صريع كفاحه لا نسمع منه الا همهمة بعيدة هي اثر كل ما نحس به من نضال رهيب .

فالى ان تبلغ الشاطىء ، والى ان تصل ايها الجواب الى الميناء ميناء الاستقرار والنصرة ، سيبقى صديقك مشوقاً قلقاً محباً آملاً ان تصبح حياتك لحناً منسجما . وسيبقى صديقك ساكناً عن التهنئة العميقة الى ان يبلغ تهنئة اعمق .

المخلص : م

٧ من ابريل

الرهيب يا روح منتصف الليل ، فكثيراً ما يخيل الى انني كهذا الانسان الذي ارادت الآلهة الاقتصاص منه فحرمته ظله .

وفي لحظة يائسة — هجر فيها النوم اجفاني — دوى صوت رهيب يقول : انتحر ، انتحر . وفكرت ان اقوم لاقرأ عن هيجر باس ثم اكتب وثيقة اعلن فيها تفاهة الحياة . لقد هربت الى الريف ، ثم عدت الى المدينة والى ضجتها وضجيجها ، وفي اثناء عودتي كانت ثمة فكرة تملأ علي الزمان ، ذلك ان اقذف بنفسي بين عجلات القطار . وحاولت ان اقرأ شيئاً من اشعار الاخوات الثلاث « برونتي » لكنني لم أستطع ، فقد كانت الفكرة تلح علي . وذهبت في آخر العربة ونظرت ما بين العربتين ، ورأيت العجلات تدور في سرعة كأنما تغريني نحوها . وسمعت دوي القطار المتكرر المنتظم ، واحسست بالدوار . فعدت الى مقعدي بسرعة . وقمت اطل من نافذة القطار ، ورأيت الطبيعة تترامى امامي : الحقول بجمالها وسواقيها والجبال من بعيد . واحسست بقوة الحياة . وفي لحظة تذكرت كل شيء ، كل ماضي وكل حياتي . وارتفع صوت عجلات القطار ، وتراءت امامي صورة جسدي وهو يقطر دماً ، ثم غابت الصورة الدموية بين الجبال المترامية والحقول النشوانة . وذهبت اعدو نحو باب العربة من جديد ، ونظرت الى العجلات وهي تتحرك حتى اغرقت فيها عيني ، وفجأة سقط كتاب الاخوات الثلاث مني بين العجلات . وجفلت ، وحزنت على صديقي الكتاب ورجعت وانا احاول ان اطرد من مسمعي ذلك الدوي الذي ينبعث من القطار وعجلاته الضخمة .

ووصلت الى المدينة العظيمة ، وواجهتني بكل صخبها وضجيجها . . وعبثاً حاولت ان انام . وذكرت ما قاله هايني : انه ليس في الامكان ان تكتب تاريخ حياة عن « كنت » لان « كنت » لم يكن له حياة ولا تاريخ ، انه ، لم يعرف اللمسات الانسانية الدافئة . وبدا لي « كنت » — ذلك العملاق المارد — انساناً مسكيناً . كنت على استعداد لان ابيع مستقبلاً كمستقبل صاحب الثورة الكوبرنيكين في مقابل لمسة انسانية واحدة .

اريد ان امتنع عن كتابة هذه اليوميات . فهذا الوعي بالذات وهذه الخطيئة ، خطيئة التعبير التي اقترفها اكبر اسباب قلقي .

فليس سوى جبار ذاك الذي يجابه هذه الحقيقة المرة ثم لا يموت . كالصورة اليهودية القديمة ان كل من قابل الله ورآه وجهاً لوجه فحتماً يموت . فكل من يدرك تماماً تفاهة الحياة فلا بد له ان يموت .

لذلك اعتقد انني لم أر الحقيقة تماماً ، بل كما رأى موسى الله في شكل غيمة وضباب ثم عاد ووجهه يلمع ، كذلك لم أر انا هذه الحقيقة الا من بعيد في ضباب وغيوم . ويبدو انني اعود وفي نفسي لمعان غريب . ان اليهود لم يستطيعوا ان ينظروا الى وجه موسى لشدة لمعانه فوضع عليه برقعاً ، وانا اعلم ان الناس لا تستطيع ان تنظر الى ذلك اللمعان النقي الذي احسه ، بل ولا حتى انا ، لذلك كان لا بد من البرقع ، ذلك التعبير الذي يخفي وراءه ما لا يمكن التعبير عنه . ولن تراني الناس الا منه خلف ذلك التعبير فيحسون بان ثمة لمعاناً هناك . ولقد عاد موسى من عند الله ومعه الوصايا العشر ، بماذا تراني اعود الآن من ذلك الجبل الروحي الذي كنت به وحيث مر الله امامي في شكل ضباب وغيمة ؟ لست ادري لماذا عقدت هذه المشابهة بيني وبين موسى وقد اندفعت فيها وانا فرح بها .

١٥ من ابريل

لست وحيداً في هذه القمة المخيفة الرائعة ، بل معي صديقي ارسل اليّ بعدما غادرني الرسالة التالية :

. . . ان الحب خطيئة ، ولكن الخطيئة مرتبطة كل الارتباط بالانسان من حيث هو كذلك . انها خطيئة ضرورية لتركيبنا الروحي ضرورة الماء والهواء لتركيبنا الفسيولوجي . الحب مسند نظن اننا نستطيع ان نسند عليه ظهورنا ونحن ندافع ضد هذه العناصر المعادية . . هو متكأ نحاول ان نتكىء عليه لنرتاح بعد رحلة طويلة شاقة قطعناها بمفردنا في طريق جاف تغمره حرارة قاسية ، اجرد وعاطل من كل نبات . طريق وكأنه بحر من نار . الحب لا يلبث ان يعود اليه الانسان ليشعر ببعض الدفء الروحي بعد ليل بارد قارس مظلم الى ابعد حد ، وقد امتلأ اشباحاً وخيالات مخيفة بشعة . وبعدها . . بعد ان نستقر لحظة نعود الى الليل ، ونعود الى الطريق .

ولكن ليس للحب هذه الضرورة ، هذه الضرورة المرتبطة بضعفنا العاطفي الروحي ، هذه الضرورة مرتبطة بنوع من الطفولة التي لا يمكنها الحياة الا في جو العناية والرعاية والحنان . لكن الانسان بعد تجارب قاسية مريرة هدامة ، ينتقل الى دور الرجولة الروحية ، حيث يندفع الى الحياة بمفرده ، يندفع الى الحياة نشطاً قوياً مغامراً . هنا يصبح الحب عبئاً ثقيلاً ، ثقيلاً الى ابعد حد . وكل حب يستمر الى هذا الدور من الادوار الروحية يصبح فريسة هذا النشاط وهذه القوة بعدما كنا في ضعفنا فريسة له . انه يستحيل الى فريسة تعطي كل ما لديها لهذا الرجل الفرد حتى يقوى على السير الى اعماله الضخمة التي تتطلبها رجولته وقوته ورسالته .

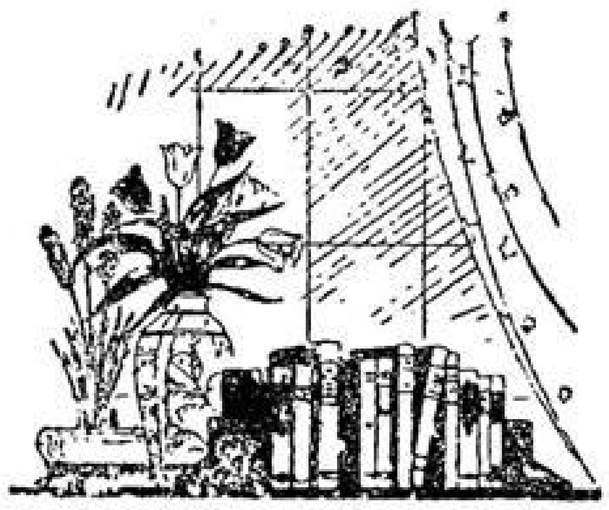
فالحب اذن شيء يرتبط بطفولة تأبى الا ان تعيش معنا دائماً ونأبى نحن الا ان نحتفظ بها ، ثم ننتقل الى مرحلة كلها نور وكلها تضحية وكلها قسوة وكلها عناء ، مرحلة الشعور والوعي النقي الصافي . هنا لا خطيئة . هنا لا ظلام . ما هي الطفولة الروحية ان لم تكن مرحلة اللاوعي الروحي ، مرحلة الاختلاط والاندماج والاعتماد على الغير ، بينما الرجولة الروحية هي مرحلة الوعي والشعور الذاتي ، وهذه كلها تتطلب الاعتزال في برج الرسالة التي توضع في عنق كل عبقري ، هنا نتحرر من الضيق ومن هذه الآلام التي تنبع من القلق وعدم الطمأنينة وعدم الاستقرار .

ان الحب عصا نعتمد عليها ونحن نتخبط في الظلام ، في مكان لا نعرفه بعد . وحين نخرج الى النور ، ونخرج الى الطريق الواضح نلقي بعصانا جانباً . ونسير في مرح وفي سعادة ، سعادة منطلقة مندفعة ودافعة . والحب ما هو الا صلة تحتفظ بالرجل في دائرة الطفولة التي ترعاه فيها امرأة ، امرأة قد لا تعرف الرعاية ولا الحنان ولا العناية . لكن الرجل يستفيد بالحب ، بهذه الحيلة ، بهذه العصا ، حتى يصبح ولا حاجة له بها فيلقيها الى حيث يتناولها من هو في حاجة اليها .

اول مايو

« هذا الجزء من اليوميات مكتوب بضمير الغائب »

عندما اقبل الى هذا الوجود كان كائناً مستبهماً ، ثم اخذ يتميز شيئاً فشيئاً . وكان اول خطوة خطاها من اجل ان يتميز هو ان يثور على هذا الاستبهام . وكان معنى هذا ان يقوض دعائم هيكل رهيب يصلي فيه الناس جميعاً كي يبني لنفسه وبنفسه هيكله . لكنه خطا الخطوة الاولى فحسب ، فذهب وباع كل ثروته ، بل انه تركها كما ترك ابراهيم اهله



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47
المترل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

وعشيرته كي يتغرب . اما كل محاولاته الجبارة التي قام بها كي يحصل على شيء فقد باءت بالفشل ، وباءت بالفشل لسبب هام : ذلك انه كان يريد . . بغير ان يؤمن .

. . فهو لا يمكن ان يبدأ الا اذا آمن ، اذا آمن بنفسه اولا وبالانسانية ، اذا آمن بالحياة والوجود . وليست المشكلة مشكلة ايمان بحقائق او وقائع بقدر ما هي مشكلة ايمان بقيم ، قيمة نفسه وقيمة الحياة وقيمة الوجود ، ثم قيمة التفاصيل الداخلية في هذا كله من حركات واتجاهات . وقد حاول عبثاً ان يلغي المشكلة من حياته عالماً انها مشكلة انسانية بحتة . واكثر الفلاسفة تعرضوا لمشكلتي الوجود والمعرفة لكنهم كانوا يقتربون من مشكلة القيمة في حذر كبير ، هذه المشكلة التي هي نتيجة صدام بين الوجود والمعرفة . بعضهم يلغيها وبعضهم يحلها على اساس فردي أواجتماعي لكن واحداً من هذه الحلول لم يطمئنه حتى الآن . وهو يعلم ان مشكلة القيمة متعلقة بمشكلة الغاية ، وهو لا يرى غاية في الحياة خارج الحياة ، فقيمة الحياة مستمدة من الحياة نفسها . وهنا تظهر مشكلة الفرد ، الفرد الذي يعرف العلاقة الضرورية بين الامكانية والمحال لكنه لا يهتدي الى امكانياته لانه لا يعرف مجاله . لقد كان مستريحاً حين كان يعدو في الارض المنطلقة الفسيحة ، اما حين وصل الى المدينة ذات الطرق ، فقد انطلاقه لانه لا يعرف ايها يأخذ .

ولقد سارع ودوّن لحظات حياته الواعية القصيرة ، وهو يعلم جيداً انه ما احس بنفسه الا يوم بدأ يثور ويشك ويفقد طمأنينته التي رجاها له المجتمع . لم يكن شكاً من هذا النوع الاكاديمي ، ذاك الشك الذي « يمكن » لرجل مطمئن ان يتحدث عنه وهو جالس الى مكتبه وفي يده ورق وقلم ، بل كان شكا حياً صاخباً . وقد فشلت كل محاولاته لانه كان يحيا بلا ايمان ، وقد حاول عبثاً ان يجد الايمان ، بل وجد نفسه اخيراً بتلك اللعنة التي انصبت على آدم حين أكل من شجرة المعرفة ، وكلما اوغل كلما اصبح — مثل هاملت — فاقداً قدرته على ان يعمل لانه لا يستطيع ان يتحسس او يندفع :

ان هذا المساء لمساء عجيب . فقد ظلت العاصفة تعوي طوال هذا اليوم وتحمل معها غباراً بارداً فيه ذرات كثيرة من الرمل والحصى والتراب . وما اقبل الليل حتى جلس الى غرفته وحيداً يقرأ كير كجارد ويقرأ تاجور ، وهو يعجب كيف اجتمع الدانمركي مع الهندي في مصر . وكان يجد عزاء في هذه الكلمات ، عزاء لان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدانمركي كان مثله فاقداً قدرته علي الايمان ، ولان الهندي كان في بعض ابيات من الشعر الرائع يشرح ويوضح له تجربة انسانية اخيرة مرت به ، كان في هذه الفترة المخيفة ، فترة الرعب والرعدة ، التي تسبق كل ايمان ، او التي تظل حتي ينتهي الفرد . فهو يستطيع ان يلخص الاعوام الاثنين والعشرين التي عاشها بأن يضعها تحت هاتين الكلمتين : رعب ورعدة . وكان كثيراً ما يتعامل فى العالم الروحي بنفس الطريقة التي بها يتعامل في عالم المادة . كان انساناً أنانياً في اول أمره ، يريد — كالطفل — ان يأخذ دائماً . ولما وصل — بعد جهد — الى مرحلة ظن فيها انه يستطيع ان يعطي ، كان يرى من حقه ان يقدم للناس وضعاً ليس خيالياً ولا مستحيلاً بل وصل اليه هو بنفسه . فكما اهدى فتاته كتاباً ذات يوم ظن كذلك انه يستطيع ان يهديها ما وصل اليه في حياته الروحية ، لكنه نسي انه لم يستحوذ على تلك الحال بثمن بخس ، بل دفع في سبيلها كل لحظة من لحظات حياته ، ومع ذلك فقد اراد ان يهديها ذلك اهداء بلا مقابل . ولكن الحياة الروحية ليست املاً في الحصول على الخالد . لكنه لا يمكن ان يحصل على الخالد الا اذا آمن .

وهو يقرأ تاجور ، فيقرأ عن هذه الفتاة العمياء التي قدمت له عقداً جميلاً من الورد على ورقة من اوراق اللوتس ، وكيف قال لها : انك عمياء يا ابنتي مثل الورد الذي تهدينه لي ، انك لا تدرين شيئاً عن جمال هذا الورد الذي قدمتيه لي . ويقرأ عن ذلك الحب الذي كان سراً متدفئاً في قلبه ، فلما اقبلت اخرج لها السر كي تحتفظ به في قلبها وتدفئه بحنانها ، لكنها لم تتقبله فاذا هو ملقى على الطريق كطفل نزعت حواجبه يحدق في ضوء الشمس . . ويظل يقرأ ويقرأ وهو يحدق في فراغ المستقبل ، ويزعجه انه لا يستطيع شيئاً طالما هو لا يريد ، وهو لا يمكنه ان يريد طالما هو لا يؤمن . لقد سلم كل ما لديه ، اتراه يمكن ان يحصل على شيء ؟

لقد امضى ثلاثة ايام من اعجب ايام حياته . اما اليوم الاول فقد امضاه مع صديقه بالجبل يقرأ تاجور ، وللجبل في حياته اثر ضخم . واما اليوم التالي فأمضاه بحديقته منفرداً يقرأ « الرعب والرعدة » والايمان الذي يتطلع اليه كيركجارد كما تطلع موسى الى ارض كنعان . اما اليوم الثالث فقد جلس يفكر في تجربة للصمت يقوم بها .

يقول كيركجارد ان ابرهيم قد صمت لانه كان يعلم ان احداً لا يفهمه ، لا ليعازر ولا ساره ولا اسحق ، اما هو فسيصمت لانه لا يفهم نفسه . ان ابرهيم لو قال بما سيفعله على قمة جبل الموريا لليعازر او ساره او اسحق لضحكوا منه ، اما هو فيضحك من نفسه . لقد كان لابرهيم الايمان ، الايمان الذي يحمله على القيام بعمله رغم عدم فهم الناس له . اما هو فليس لديه الايمان ، فلا الناس يفهمونه ولا هو يفهم نفسه . لقد قام بحركة التسليم اللامحدودة ، وهي في حاجة الى حركة الايمان ، الى ان يكون فارس الايمان . ام ان الطريق الذي سار فيه حتى الآن قد ابعده نهائياً عن امكانية الوصول الى مثل هذه المرحلة ، وفرض عليه ان يظل يحيا في مرحلة الرعب والرعدة ؟ وهو لا يدري كيف سيصل الى الايمان ، هل سيهبط عليه من السماء ويلقى في قلبه القاء كما حدث للغزالي منذ عشرة قرون ؟ انه ما عاد يتوقع ان يحدث له هذا . ام هل تراه لن ينتهي الى شيء ويظل يحيا في رعبه ورعدته ، ويحاول ان يهرب منها بأن يتحدث بعيداً عن نفسه ؟ ربما يصبح عالماً يكسر الذرات او تاجراً يجمع الاموال او شاعراً يكتب القصائد ، لكن هل يستطيع ان يقبل على شيء من هذا بغير ان يؤمن به ؟ لقد حسب الصعوبة في طريقة التنفيذ ، فاذا الصعوبة في تصميم الطريق نفسه .

وانه ليخشى ان يكون تطلعه نحو الايمان نوعاً من الشيخوخة المبكرة ، رغم ما يقوله كيركجارد من ان ايمان ابراهيم كان سبباً يحفظه مع ساره امرأته في شباب دائم . فهو يذكر يوماً آمن فيه بحياة القلق ، واعتبر التخلص منه موتاً واستسلاماً سواء للنور او للظلام . فهل تراه سينتهي الى الايمان بالقلق ، ويعيش في هذه المغالطة الواعية « الايمان باللاايمان » وهل لهذه الحال وجود في الحياة الروحية كوجودها في الفاظ اللغة ؟ فلشد ما يخشى ان يقوده عالم اللفظ بعيداً عن عالم نفسه . انه ليعلم ان عنده صبراً عجيباً ، مذ كان في صباه يجلس الليل كله يدون قصة الفها في مئات الصفحات ثم يمزقها ليكتب غيرها ، وهو يخشى ان تكون هذه المحاولة علامة على نفاد صبره .

وانه ليتساءل عما اذا كان هذا القلق سببه معرفة الكثير ام معرفة القليل . ان ما يثق فيه — ان كان على ثقة من شيء هذه اللحظة — هو انه حين كان جاهلاً كان مطمئناً ، فلما خرج الى حياته الواعية انتابه القلق . انه يحس انه لا يعرف الا القليل ، وان هذا القليل قد زلزل حياته ، وانه مهما عرف فلن يعرف الا القليل .

يبدو ان الايمان لا يمكن ان يخضع للمعرفة ، وهو يريد ان يخضع ايمانه للمعرفة ، في هذا تربض مشكلته الحيارة التي منها يرتعب ويرتعد .

الخرطوم — يوسف الشاروني

الترجمة بين الابداع والتقليد

بقلم ربيع الصلح

●

في هذا العصر نزعة قوية نحو ترجمة كل ما هو غربي. ففي كل يوم نطالع كتباً جديدة ترجمت عن اندره جيد . أو عن بروسبير مريميه او عن اندره موروا الخ . . من الادباء اللامعين . . هذه النزعة بل هذه الخطوة الجديدة التي يخطوها الادب المعاصر ستترك في ادبنا اكبر الاثر بما ستخلق في نفوسنا من آفاق جديدة . . وبما ستثير في خاطرنا من افكار كانت بعيدة عن متناول تفكيرنا . ومهما كثر المترجمون ومهما اختلفت نزعاتهم وآراؤهم في الترجمة فلن يحيدوا عن طرق محدودة معروفة الفوها منذ امد بعيد . .

فالبعض يرى بان المترجم الصادق هو من استطاع ان ينقل الى لغته تلك المشاعر وتلك الاحساسات التي عناها المؤلف وله ان يتصرف ان اقتضى الامر على الا يشتط . فهو يستطيع ان يعبث بالشكل او بالقالب ان اراد، ولكن من دون ان يعبث بالموضوع والافكار. وهذا يقتضية بان يعنى بتصوير الافكار قدر ما يستطيع . وقد يصح له اذا لقي بعض الحرج في ذلك ان يتناول الفكرة من زاوية جديدة ملائمة لم يتناولها منها المؤلف . فالمهم هو تصوير الفكرة في قالب معبر واضح . اما في « الادب الرمزي » فقد لا نستطيع ان نتناول افكاره بمثل هذه السهولة التي نتناول بها بقية انواع الادب فهذا الادب يعيش على الايحاء الطليق ولا يسمح لنا ابداً بان نعبث بالصور التي يريد ان تتشكل في خاطرنا . وعلى هذا فعندما نستعصي علينا الفكرة . وعندما نعجز عن التعبير الواضح فلا يحق لنا ان ننظر الى الفكرة من زاوية جديدة . فالزاوية الاولى هي المعبرة . وهي « الموحية » وهي ما قصد المؤلف . . كل هذا يقتضينا بان نقتصد قدر ما نستطيع في ابراز ما لنا من قوة التصوير والتعبير حتى ندع المؤلف يصور لنا ما يريده وكأننا نكتب ما يمليه علينا دون اعتراض .

هذا التحفظ الشديد الذي يلزمنا به الادب الرمزي احجم الكثيرين عن ترجمة روائع الرمزيين « كبودلير » و« رامبو » مع اننا نرى المكاتب مليئة بترجمات عن « لامارتين » و« غوته » و« بيرون » وغيرهم .

ويرى الآخرون بان المترجم هو عبد المؤلف . فهو يقتفي اثره في كل شيء . في الاسلوب . في التعبير . في الافكار وحتى في وضع النقاط والفواصل . هذا النوع لا يلقى الآن كثيراً من التشجيع ولا تلقى مترجماته كثيراً من اللهفة حتى لدى المثقفين . فالفكرة التي تنسجم مع اللفظ الغربي قد لا تنسجم مع ترجمة هذه الالفاظ بالحرف الواحد . . فلكي نتقبل الفكرة قبولا حسناً يجب ان يكون هناك انسجام كما في الموسيقى بين الفكرة وبين الاداء. لذلك نرى انفسنا وقد اصابها السأم لدى قراءة مثل هذه الترجمة. وبعد هذا كله فاننا لا نستطيع ان نتمتع بالنص الاجنبي المترجم حرفياً تماماً الا اذا « ترجمنا ذوقنا » ايضاً الى ذوق جديد هو الذوق الذي يتذوق فيه الفرنسي قطعة فرنسية . فالمتعة التي يتمتع بها الافرنسي لدى قراءته فكرة جيدة في لفظ انيق . هذه المتعة لن

اورفيوس

☆

اسطورة اغريقية ترعم بأن « اورفيوس »
الشاب الموسيقي كان يحرك الجماد ويجعل
وحوش الغاب تدنو منه مأخوذة بنشوة
الالحان حينما كان يعزف على قيثارته

لوليم شكسبير

***

اورفيوس .. بقيثاره رنح الاشجار ،
واحنى قمم الجبال المتجمدة ،
حينما كان يعزف :
بموسيقاه انبثقت النباتات والازهار
والشمس والمطر جعلا منها ربيعاً ابدياً
جميع الاشياء التي اصغت لعزفه .
حتى امواج البحر .
كانت تحني رؤوسها ثم تضطجع بجانبه .
موسيقى ساحرة بفنها العبقري تبدد الهموم
واحزان القلب حين تسمعها .
تستسلم للرقاد او تموت .

البصرة – العراق

يعقوب فرام منصور

نفوز بها ابداً كما فاز بها الفرنسي . لان هذا الاثر الفني يضطرب في جو غريب لا الفة بينها ولا تقارباً . وعلى اي حال فهذه الطريقة هي السبيل الوحيد لترجمة « الادب الرمزي ». فهي كالظل الصادق لشبح الرمز الطليق . ومع ان هذه الطريقة قد تزيد الرمزية غموضاً . وقد لا تصلنا الترجمة الا وقد شوهت بهذا القالب الجديد الذي قد لا يعطيها كل وضوحها وايحائها . ومع هذا فانها لا تزال الطريقة المجدية لترجمات الادب الرمزي . والى كل هذا فان هذه الطريقة تتجاهل شخصية المترجم تجاهلاً تاماً . فاذا حاولنا ان نبحث عن شخصية المترجم بما تركته من آثار مبعثرة نراها قد تلاشت في ذات المؤلف ولم يظهر لنا سوى اطياف هاربة تتوارى بين السطور . فاذا ما قرأنا ترجمة « الباب الضيق » لاندره جيد ومن ثم قرأنا ترجمة « عقدة الافاعي » لفرنسوا مورياك لعجبنا ! فالمترجم واحد ولكن شتان بين اسلوب هذا الكتاب وذاك الكتاب لان المترجم قد تلاشى في شخصيتين مختلفتين فجاءت ترجمته تساير كل شخصية على حدة.

وهناك فريق اخير يرى بان للمترجم ملء الحق في اختيار الاسلوب الذي يريده وفي اختيار الشكل الذي يراه ملائماً لابراز افكار المؤلف الاول. وقد كثر هؤلاء المترجمون في الآونة الاخيرة حتى اصبح بعضهم يترجم من دون ادنى تحرز . فهم يعبثون في الاسلوب الى غير حد . وقد يحرفون الافكار اذا ما اقتضاهم الامر وقد يعبثون بسياق القصة من تقديم او تأخير. هذه الطريقة شاعت كثيراً في الآونة الاخيرة حتى ان بعض كبار الكتاب كان يكتفي بتغيير مكان القصة واسماء ابطالها ومن ثم يدفعها الى السوق وعليها اسمه الكبير يتلألأ في أعلى الكتاب على انه من تأليفه ووضعه . كل هذا يدعو القارىء الى كثير من التحفظ ويثير شيئاً من عدم الاطمئنان الى صدق المترجم . وهذه الطريقة شاعت في محيط الادب الرخيص ولم تتعداه الى محيط الادب العالي الا في بعض الاحايين وعلى ايدي بعض الكتاب المتاجرين .

هذه هي السبل العامة للترجمة وهي تتبع ذوق البعض من حيث نجاح طريقة دون اخرى فمن اراد الامانة والاخلاص للمؤلف وللقارىء ولنفسه استطاع ان يوائم بين هذه وتلك حتى يفوز بترجمة ناجحة ترضي الذوق ولكن من دون ان تساير في مواضع ضعفه وانحطاطه . فالاثر الفني لدى ترجمته يصبح هدفاً لثلاثة اشياء : الوفاء للاثر الفني . وشخصية المترجم . وذوق القارىء. فلنوائم بين هذه الاشياء حتى نحصل على ترجمة صالحة ولا أقول صادقة لانها ستعطي الفرصة من حين لآخر لان تظهر من بين السطور شخصية غريبة عن الاثر الفني . هي شخصية المترجم الذي لا نستطيع ولا يحق لنا ان نتغافل عنها . . وقد يقال بان تلاشي شخصية المترجم هي الوفاء كل الوفاء للمؤلف ، وللقارىء ، وللاثر الفني ايضاً ولكن هل المترجم آلة ناسخة فقط؟؟ وهل نستطيع ان نتناسى شخصيته وان ادعى بانه قد تناساها وفاء منه للمؤلف وللاثر الفني . ؟؟ كل هذا يدعونا الى الحيرة التي تدفع بنا الى خلق شيء جديد نطمئن ونستكين اليه . فلا غرور يدفع بالمترجم الى العبث بالاثر الفني على الشكل الذي يراه . ولا تطرف اعمى يبلغ حد التقليد البغيض. فأمام اعين المترجم اشياء ثلاثة هي : الاثر الفني . والذوق العام واخيراً شخصيته . .

دمشق

ربيع الصلح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مغامرات شلن

للكاتب الانجليزي جوزيف اديسون ١٦٧٢ ــ ١٧١٩

ترجمة السيدة ماهرة النقشبندي

●

رأى النصف الاول من القرن الثامن عشر كاتباً بارعاً وفناناً اصيلاً واميرا من امراء البيان صال وجال في جريدتي السبكتاتور Spectator وتلر Tatler وصور حياة الانجليز الاجتماعية تصويرا دقيقاً في تلك المقالات النثرية التي كان ينشرها في الجريدتين المذكورتين ، والتي تعتبر من فنون الادب الرفيعة، يدرسها طلاب الادب في اللسان الانجليزي، فترهف احساسهم وتشيع في اذواقهم روعة فن التهكم في ابلغ معانيه . تخرج من جامعة اكسفورد ودرّس في كلية ماجدولين وكان شاعرا يجيد القريض في اللسان اللاتيني . طاف اوربا دارساً متنقلاً ، وعاد منها وانخرط في السياسة فوصل الى كرسي الوزارة وجلس في البرلمان الانجليزي والارلندي مدة طويلة . تزوج في سنة ١٧١٠ من الارملة الفاتنة النثرية الكونتس واروك ومات في هولندا في ١٧-٦-١٧١٩ ودفن في مقابر عظماء الانجليز في كنيسة وستمنستر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زارني في الليلة الماضية صديق لديه فيض لا ينضب من الاحاديث ولم يسبق له ان اخفق في تسلية جلسائه بمختلف افكاره ونوادره الطريفة النادرة، وسواء اكان ذلك يتفق مع اساوبي في الحياة، او مع فكرته الحقيقية فقد اتحفنا بالكلمات المتناقضة السخيفة التالية :— ان حياة العزلة تتطلب من المرء ذكاء وجهداً اكثر من حياة العمل . وفوق ذلك فقد هزىء برجال الاعمال المعاصرين الذين يقدرون انفسهم لمجرد حركتهم ليس الا، ولان اعمالا جدية او تافهة لا معنى لها تمر بهم . وفي اثناء اندفاعه رأى قطعة نقود ملقاة على المائدة فقال لي :— انني اتحدى اي واحد من رجال الاعمال ان يكون قد جازف نصف مجازفات هذه القطعة ذات الاثني عشر بنساً فيما لو كان باستطاعتها ان تحدثنا عن نفسها .

لقد أثار حديث صاحبي هذا تأثيراً مبهماً في نفسي وحينما ذهبت الى فراشي رحت بدون شعور وفي شرود ذهني لا يستطاع وصفه ليس له هدف او غاية ، والذى لا يمكن تسميته حلماً بل هذيان وشرود.

لقد خيل الي ان الشلن الملقى على الخوان قام على اطراف نفسه وادار وجهه الي وفتح فمه وبصوت رقيق رنان قدم الي التقرير التالي عن حياته ومجازفاته : قال : ولدت على سفح جبل قرب قرية صغيرة في بيرو، ورحلت بحراً الى انجلترا في سبيكة تحت حراسة السير فرانسس دراك وحالا بعد وصولي حولت من شكلي الخام وصقلت وحولت الى نقد على الطريقة الانجليزية، وقد حفرت صورة الملكة اليصابات على جهة وشعار انجلترا على الجهة الاخرى. وبعد ان تم ذلك احسست بميل عجيب في نفسي الى الطواف وزيارة كل انحاء الدنيا الجديدة التي جلبت اليها . لقد احب الناس شكلي فتناولني من يد الى اخرى حتى كنت قد زرت معظم انحاء البلاد ولما ابلغ الخامسة من عمري . لكن في بداية السنة السادسة وقعت لسوء حظي في يد شيخ بخيل وضعني في صندوق حديدي مع خمسمائة قطعة اخرى من ابناء جلدتي وجدتها مسجونة قبلي . لقد كان وقت راحتنا الوحيد هو عندما كنا نؤخذ ونعدّ في الهواء الطلق صباح مساء ،



وبعد بضع سنوات في ذلك السجن سمعنا شخصاً يطرق على صندوقنا وقد كسره بمطرقته ، وقد علمنا فيما بعد أنه وارث الشيخ وقد كان من الطيبة بحيث انه ترك والده يجود بانفاسه الاخيرة واتى لانقاذنا. وقد بعثرنا في نفس اليوم. ولست ادرى ما حل باصحابي. اما ما يتعلق بي فقد اعطيت لصيدلي مقابل لتر من الكحول الابيض الاسباني، وقد اعطاني لبائعة اعشاب طبية ، واعطتني هذه الى جزار، والجزار الى بائع بيرة ، وبائع البيرة لزوجته التي قدمتني هدية لقسيس واعظ وعلى هذا المنوال رحت ادور في الدنيا وليس احب الينا - معاشر الشلنات - من الطواف كما حدثتك سابقاً. لقد كان في مقدوري دائماً ان ابتاع كتفاً من لحم الضأن وحيناً آخر كتاباً قصصياً او رواية تمثيلية وغالباً ما يكفي لاطعام احد فرسان الهيكل طعاماً بسيطاً او دفع اجرة ذهابه مع ثلاثة من اصحابه الى قاعة وستمنستر .

وفي وسط هذا السير البهيج من مكان الى مكان، القت القبض علي عجوز تعتقد بالخرافات واقفلت علي حافظة نقودها تفاؤلا بالقول المأثور السخيف (ان من تحوي حافظة نقودها شلناً عليه صورة الملكة اليصابات فلن تبقى بغير نقود) وهكذا بقيت في سجنها بضعة اشهر حتى احتاجت فاعطاها الصراف ثمانية واربعين فارذاً[1] واخذني، ورحت انتقل من جيب الى جيب حتى نشبت الحرب الاهلية التي اشعر بالعار في الحديث عنها لانني استعملت في اثارة الجنود ضد الملك، واستغل عريف من العرفاء ، ما في شكلي من اغراء وجمال وراح يجند شبان الريف لخدمة البرلمان[2] وحينما كان يتم له ذلك يجبرهم على اخذ شلن آخر من نوع عادي ويكرر تلك الحيلة مع آخرين، وهكذا استمررت في عمل اضرار عظيمة للتاج الى ان ضحى بي صاحبي في سبيل مسراته صبيحة يوم افاق به مبكراً على غير عادته فاستهان بي على اغراء بائعة الحليب، وهذه الفتاة اهدتني الى صديقها الشاب مستعملة في الاهداء لباقة اكثر المعتاد فارسلتني اليه تقول في الاهداء : الى حبيبي ومن قلبي. وقد تزوجها هذا العاشق بعد بضعة ايام لكنه كان عديم الوفاء. فرهنني ليشرب كاساً من الخمر ثم فرط بي في اليوم التالي. واخذت طريقي الى مسارب الوجود حراً طليقاً

وبعد مجازفات عديدة من الصعب سردها. ارسلت الى شاب مستهتر مع وصية والده الميت وكان الشاب مسرفاً وقد وجدته اقام احتفالا عظيما لمناسبة تسلمه الوصية. لكنه عند فتحها وجد نفسه قد حرم من الميراث ومن ثروة لا بأس بها وعزا ذلك الى شؤم وصولي مع الوصية فرماني بعيداً بمقدار ما استطاعت قوته. فسقطت تحت حائط مهدم في مكان لا يطرقه الناس وبقيت لا يكتشفني احد مدة اغتصاب اولفركرومويل الحكم. وبعد سنة من رجوع الملك وقع علي نظر فارس فقير من اتباع الملك وقت الظهر فاخذني فرحاً الى مطعم وتناول غذاء شهياً. وكان فرحي لا يقل عن فرحه فشرب نخب الملك بعد الطعام. وحينما رجعت الى العالم وجدت انني كنت سعيداً في عزلتي اكثر مما قدرت لانني تخلصت من السراويل البشعة التي كانت محفورة على امثالي[3]. لقد غدوت الآن ذا قيمة عظيمة وصرت اثراً قديماً ينظر الي الناس كتحفة اكثر من عملة دارجة ولذلك احتفظ بي احد المقامرين للعبه فعشت حياة كئيبة مع عدد من امثالي، فكنا نعمل مجهدين في الوقت الذي تستريح فيه النقود العادية. وكانت قيمتنا ترتفع الى الجنيه الذهبي وتنحط الى البنس حسب الحالة التي يضعنا فيها الحظ في الورق. واخيراً كان من حسن حظي ان خسر صاحبي وبذلك اطلق سراحي ورحت اسير في الحياة كعادتي.

سأمر على كثير من الحوادث القليلة الاهمية واسرع الى تلك الكارثة المهلكة: عندما وقعت في يد احد الفنانين حملني الى مكان تحت الارض وهنالك مد علي مقصاً لا يعرف الرحمة وراح يقص بحافاتي واسمي فشوه شكلي وبردني واتلفني وخربني وتركني لا اساوي اربع بنسات ويمكنك ان تتصور ما حل بي من ارتباك لرؤية نفسي مجزأ مشوهاً، غير انني وجدت بعض العزاء حينما رأيت كثيراً من امثالي مشوهاً بصورة شنيعة. وفي وسط هذه المصيبة العظيمة التي ظننا فيها ان لا حل لمشكلتنا وقد صرنا في حالة شديدة من اليأس ارسل الله لنا الفرج فرمينا جميعاً في فرن ، وكما يحدث عادة ان تنشأ المدن من النار، ظهرنا بجمال اروع ولمعان يفوق ما كنا عليه قبلاً.

ان ما حدث لي عند ذلك من التغير في النوع الذي تراه الآن ساغتنم فرصة اخرى لاقصها عليك ولكن هذا لا يمنعني من ان اقص عليك مغامرتين لانهما غريبتان في حد ذاتهما ولم يحدثا لي ابداً في حياتي. واولاهما وجودي في حوزة شاعر، فبهره لمعاني وقد اوحى اليه ذلك باروع قصيدة هزلية في اللغة الانجليزية عنوانها (الشلن الرائع) والمغامرة الثانية حدثت عام ١٧٠٤ عندما اعطيت اجساناً لرجل اعمى وكان ذلك عن طريق الخطأ لان صاحبي اراد ان يلقي للاعمى بنساً فالقى بي اليه بغير انتباه فوجدت نفسي في تلك القبعة بين البنسات وحيداً غريباً.

بغداد — ماهرة النقشبندي

---

(١) الشلن : ١٢ بنساً والبنس : ٤ فارذنج

(٢) يشير اديسون الى الحروب الاهلية بين الملك والبرلمان زمن كرومويل

(٣) يشير اديسون الى صورة الملك المحفورة على العملة الجديدة وكانوا يرتدون السراويل الضيقة.

بين شاعرية البحتري وحكمة المتنبي وابي تمام

بقلم نسيم نصر

استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشويفات

هذه واحدة من تلك الامالي* التي تدفعنا الحاجة الى ارسالها في مجالي الكلام الدراسي على ما يعرض لنا من تلك « المسكوكات » التي بثت هنا وهناك في المؤلفات التي نأخذ عنها تصاميم بناء كلا منا على ادباء العرب وابحاثنا في قيم انتاجهم، وخاصة في مناهج الادب المدرسي .

واملينا هذه تتناول قولهم :

« البحتري هو الشاعر بين شعراء العرب واما المتنبي وابو تمام فهما حكيمان . »

عاش العرب ازمنة طويلة وهم ينظمون الشعر غناء يغلب عليه الطبع ويوشك ان يقتصر على التعبير عن منازعهم وحالاتهم وعواطفهم ، وقد يكون احياناً مذكرة شاعر يجمع فيها حوادثه البارزة وشؤونه الخاصة . وعلى اساس هذه الغنائية المحدودة قسا بعض المؤرخين والرواة فسموا من عني بتهذيب شعره وتنخل لفظه كزهير وابنه كعب والحطيئة « عبيد الشعر » الى ان كان العهد العباسي فحلق البيان العربي في جو طلع فيه الشعراء طلوعاً جديداً تشع فيه الصورة الرائعة وتسانده الفكرة المدروسة . فاخذ الناظرون في الشعر العربي يصنفونه تصنيفاً فيه كثير من الجدة المثقفة فبدأوا يحسون ان الشعر مجلى للخيال اكثر منه مسرحاً للفكر او مجموعة لمناسبات الحياة الخاصة .

واستناداً الى ان العرب شرعوا ، بعد تلقح اديهم بمذاهب البيان في الامم التي سبقتهم الى الحضارة ، يطالبون الشاعر باسمى مما كان يطالبه به اسلافهم ، وعلق في افهامهم ان المدى الشعري ارحب مما قاسوه له وجددوه فيه وان للبيت المقفى نسجاً غير ما الفوه . انهم اذاً مالوا الى الخيال المجنح والصورة الموشحة والعبارة المصفاة .

ولئن كان المتنبي قد مثل في شعره جانباً عظيماً من وقائع الحياة التي شهدها او تخيلها واخذ بشخصية سيف الدولة فاطل به على جو الملحمة ولكنه لم يسم اليها ، ولئن كان ابو تمام قد روض البيت الشعري العربي ليجعله مسبكاً للفلسفة المقتبسة عن اليونان وغيرهم من اجداد الفكر العالمي، فانهما على عظمة ما بلغاه من سمو الشاعرية وعلى الرغم مما وصلا اليه في عرض الصورة ، يبدو ان ، والحكمة غلفت ما نظماه ، فرجحت في ديوانيهما كفة الفكرة على كفة الخيال ، فلم يبلغا المرتقى الذي انتهى اليه البحتري . وان موازنة مقتضبة ، نستعرض فيها يسيراً من منظوم الشعراء الثلاثة ، توضح لنا صحة ما ذهبنا في بحثه الى حد ما .

توشك ان تنحصر روائع ابي تمام في الرثاء والمديح وتكاد شاعرية المتنبي في ذروتها ، ان تقتصر على مدح سيف الدولة، امير بني حمدان ، وفي مجموع ما خلف الشاعران ، الطائي وابو الطيب غمر من الحكمة ناتج عن اعتماد الفكر عاملاً شاملاً شعرهما، وذلك الغمر الحكيم يوحي الى القاريء الدارس ان مهمة العقل جاءت طاغية على كل ما اداياه في رسالتهما الشعرية . وان بدت الصورة في بعض قصائدهما جلية رائعة فهي مساند مقتضبة لا تلتحم اجزاؤها في سياق موحد ، فلا يتراءى لك المعنى المشبح بالصورة الماثلة في خيال الشاعر مثلما يبدو لك ذلك في اكثر قصائد البحتري ، الذي تنزل الفكرة فيه ، او بالاحرى مهمة العقل ، عن ان تكون المسيطرة لتبدو اصابع الخيال تنسج البيت ، فالقصيدة متراصة الاجزاء مؤتلفة الاوصال كانها لوحة زيتية اخرجتها ريشة رسام مفتن لا يراعة شاعر ناظم .

قال ابو تمام في وصف القلم :

لك القلم الأعلى الذي بشبانه ... تصاب من الامر الكلى والمفاصلُ
لعاب الافاعي القاتلات لعابه ... وأري الجنى اشتارته ايدٍ عواسل

---

* سيوالي الاستاذ الكاتب نشر سلسلة هذه الامالي التي طلب الينا الكثيرون من طلاب البكالوريا نشرها في « الاديب ».

له ريقة طلٌّ ولكنّ وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكيّ واقبلت أعاليه في القرطاس وهي اسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلاً شأنه وهو مرهف ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وعلى الرغم من ان هذا المقطع هو من افضل ما توفق اليه ابو تمام في معرض التصوير فانك لا تحس التلاحم الفني في اجزائه، ففي البيت الرابع مثلاً ، لغز يبتر التمثل ويؤذي الخيال ، هذا ، اذا لم يجز لنا القول ان البيت الثاني ، وهو بيت القصيد الرائع في جمع الصفة لاقلام العظماء، لا يقع موقعه الحسن في عين التبصير بخصائص الشعر الوصفي المنسجم السياق ، فكأنه في فنه البياني ، بين البيتين الاول والثالث ، قطعة من ذهب بين فكي جائع .

وللمتنبي مثل هذا التصوير الجميل المتقطع كثير ، يختلف في تصنيفه في مراتب الوصف ، كما حدث للدكتورين طه حسين وادهم ولكنه لا مجال للخلاف في ان صور ابي الطيب ، على ما فيها من اجتزاء ، غنية بوثبات الشاعرية نحو اجواء الخيال تسترفده لعون في ابراز الفكر موشاة بالصور ، فاسمعه يقول في ممدوحه :

هو البحر غص فيه اذا كان هادئاً على الدر واحذره اذا كان مزبدا
فاني رايت البحر يعثر بالفتى وهذا الذي يأتي النتى متعمدا

ولعل هذين البيتين من شعر المتنبي لا يصلحان ان يكونا شاهداً على الصورة اللاجئة الى الفكرة، فتعال معي الى ميميته التي لا جدال في انها اعلى ما وصل اليه هذا الشاعر في عرض الخيال للعين قال فيها :

انوك يجرون الحديد كأنما سعوا بجياد ما لهنّ قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها ، والعمائم
خميس، بشرق الارض والغرب زحفه، وفي اذن الجوزاء منه، زمازم
تجمّع فيه كل لسن وامة فما يفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوّب الغش ناره فلم يبق الا صارم او ضبارم

فانت ترى ، على قيمة ما قدمنا من رائع الوصف لا يعلو شعر احد الحكيمين ، ابي الطيب وابي تمام ، من حيث الفن في دقة الوصف وترابطه ، الى مثل قول البحتري في موكب المتوكل يوم عيد الفطر :

اظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يحاط لدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عُدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدّعي والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس مائمة توقد في الضحى طورا ويطفئها العجاج الاكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون فاصبع يُومَا اليك بها وعين تنظر

وهكذا تنمو الصورة في سياق متلاحم الى آخر القصيدة ، فكأن قصيدة البحتري صورة مكبرة موحدة الاجزاء واضحة العرض ، في حين ان الصورة ، ان وجدت جلية في شعري الطائي والمتنبي ، فالقصيدة اطار لصور متوزعة تلمها القافية الموحدة .

وقد عرضنا في شعر البحتري ما يأتلف وطريقة صاحبيه في الاغراق المدحي ، اما اذا بلغت منه وصف بركة المتوكل او ايوان كسرى شعرت ان كل سمة من سمات الشعر تسير وراء الصورة في موكب الخيال المبدع الذي يتقصى مكامن الحياة في اخراج الوصف الفني .

فاسمعه يمدح المتوكل فيطغى وصف البركة على المديح :

يا من راى البركة الحسناء رؤيتها . . . . . .

الى ان يقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة ، كالخيل جارية من حبل تجريها
كأنها الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ، ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وربّق الغيث، احياناً ، يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركّبت فيها

اما وصف الايوان فهو ايوان الفن في رواء الوصف الرائع ودقته وحسن ديباجته تذوب فيه البلاغة ذوباً لتحلي بمعدنها النفيس، هذه السين التي قل ان كانت قافية موفقة في غير سينية البحتري ، التي منها :

« فاذا ما بلغت صورة انطاكية ارتمت بين روم وفرس
والمنايا موائل وانو شروان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اصفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه ، في خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ، ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد احياء لهم ، بينهم ، اشارة خرس
يقتلى فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس »

وخلاصة القول ، ان ابا تمام والمتنبي من اعلام الشعر العربي ، والثاني منهما اكثر شعراء العربية ذيوع قافية في الناس وربما كان افضلهم قيمة شعر، اذا انزلنا الشعر الى ساحة الحياة في « مسكوكات » نتداولها تداول النقد المالي، ولكن دارس الفن الشعري لا يضع ، في العربية، الى جانب البحتري في تألق اللوحات الوصفية ، غير منافسه الحقيقي ابن الرومي .

نسيم نصر

بيزيه

صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم صبيح شريف

●

موجز

بيزيه Bizet نابغة فاشل، وعبقري مغمور، وبطل من اولئك الابطال الذين حطمهم فنهم، وصرعتهم عبقريتهم . كان فقيراً غاية الفقر، بائساً تعيساً، حطمته الاقلام التي نقدته، ورفعته هذه الاقلام نفسها فيما بعد الى القمة والمجد والخلود.

ولد في باريز عام ١٨٣٨ من ابوين فقيرين رقيقي الحال، يمتهنان الموسيقى في سبيل العيش، فقد كان ابوه يدرس النوته الغنائية Solfège تساعده في ذلك زوجه الفنانة التي كانت تجيد العزف على البيان، والتي كانت تنسخ له الدروس المطنوبة منه لتلاميذه .

وترعرع جورج ونشأ في جو مشبع بروح الفن والغناء لا يطرق سمعه فيه سوى العزف على الكمان، والضرب على البيان (بيانو) فتاقت نفسه الى تعلم ذلك وهو بعد لا يجيد لفظ لغة امه وابيه .

ورأت والدته فيه ميله الفني المبكر، واصغاءه التام اليها كلما شدت او عزفت، فعزمت على تلقينه دروساً موسيقية بجانب دروسه الابتدائية الاولى في المدرسة، واخذت تلقنه الدروس الاولية في النغمات الموسيقية البسيطة وتسقيه مع زوجها من ينبوع هذا الفن الرفيع الذي لا نهاية له حتى بلغ التاسعة من عمره، فاصبح ولاهمّ للناس في باريز الا التندر والتحدث عن هذا العبقري الصغير التائه في غمار هذه المدينة العظيمة التي يتقاذفه تيارها . وقد سهلت شهرته التي اضحت مدار حديث اهل باريز، والمامه الواسع في الموسيقى قبوله بالكونسرفاتوار الباريزي، رغم حداثة سنه واشرف على تدريسه بالمعهد المذكور الاستاذ (مارمنتيل) فكان له عليه فضل كبير في تنمية مواهبه وتوجيهها واستطاع في الثانية عشرة من عمره ان ينال جائزة وضع الاصطحاب[1] « الهارموني » المنوع لجميع الآلات الموسيقية التي تعزف بها فرقة سيمفونية مما جعل اقرانه وحساده يلقبونه بالطفل العجيب وغلب هذا اللقب على اسمه الحقيقي فيما بعد فصار الناس لا يعرفونه الا به .

وفي العشرين من عمره نال جائزة روما الموسيقية لعام ١٨٥٧ فملأ صيته الاصقاع البعيدة والقريبة، وعلى الرغم عن مقدرة بيزيه الفنية، واعتداده بنفسه اعتداداً قوياً، واسرافه الشديد في تقدير ملكات العبقرية التي تغمر كيانه، فانه حين استدعته الهيئات الفنية للمعاهد العالية في روما للدراسة على نفقتها، لبى دعوتها ورحل اليها، تصحبه آماله العظيمة .

على انه لم يمكث زمناً طويلاً بروما حين علم بوفاة امه بعد ابيه، فصعقته هذه الكارثة، وهدمت آماله في الحياة، فكره روما موطن الفن والفنانين كرهاً شديداً، وبات ذكرها بغيضاً الى نفسه، فعاد الى مسقط رأسه، يحمل همومه وآلامه التي يزخر بها صدره .

ولبث زمناً لا يفارق قبر امه، وتنبه اخيراً الى نفسه، فوجد جيبه خاوياً من المال، كما ان والديه تركاه لرحمة الاقدار، فبدأ يفكر للمرة الاولى في حياته بالعمل لكسب الرزق . فقاده تفكيره الى امتهان العزف في احدى الصالات التي تعج بها باريز، كما ساقته قدماه الى اكثر دور المسارح الراقية التي كانت تهزأ منه وتقفل ابوابها في وجهه، واخيراً حطت به الرحال في احط بؤر الفساد. هناك وجد نفسه يحتسي قدحاً من الجعة ويطلب عملاً كعازف (بيان) ماهر .

---

(١) الكلمة لفقيد الشعر وعلم الموسيقى اسكندر شلفون

وهكذا بدأت العبقرية عملها في حانة من اقذر الحانات، واحطها فسادا . كما بدأ يغرق احزانه وهمومه في احتساء الخمر ومصاحبة الحسان المومسات محاولا بذلك نسيان الماضي، ذلك الماضي الذي نال به المجد الزائف. وأخذ يعمل في ملاهي باريز وحاناتها دون ان يستقر في مكان معين .لقد وقف نشاطه او كاد ،واصبح لايقضي راحته الوقتية الا في المشارب يشبع جوفه منها وفي احضان الغواني يسكت غرائزه الحيوانية الثائرة، وهكذا بدأت فترة من حياته ازدادت بها آلامه التي اعتقد ان جراحه بها ستندمل .

وكان يحس ويشعر بنفسه بانه خلق ليكون ماحناً جباراً ، وموسيقياً فذاً ، لقد بدأ اعتداده بنفسه يراوده الآن ، لقد ايقن ان فنه يذهب هدراً في هذه الملاهي الرخيصة ، واخذ الامل العذب يداعبه حتى انكب يؤلف الحاناً رائعة لا عهد له بها. فعم انتشارها وصار اهل باريز يتغنون بها ويطربون لها وكانت اشهر قطعه وقتذاك (فتاة برث الجميلة وصيادي اللؤلو والارلزين) .وقد يسرت له هذه القطع وغيرها مالاً استطاع ان يعيش به دون ان يلجأ الى العمل ثانية، اللهم الا ذلك العمل الذي سطع في روحه نوراً يضيء في نفسه الهامات النبوغ الكامن، لقد اخذ في تلحين غنائية[٢] «اوبرا» كارمن.

استلهم الكاتبان الشهيران ملهاك وهالفي موضوع هذه المسرحية الغنائية من قصة مشهورة رائعة للكاتب الكبير بروسبير ميريميه وخلاصة هذه المسرحية، ان امرأة ماجنة تدعى كارمن يقع في هواها ضابط شاب ، فيفضل غرامها وحبها الفاسق ، على واجبه العسكري ،حين يدعى للذود عن حياض الوطن.

انصرف بيزيه الى تلحين هذه الغنائية تلحيناً صاخباً يتفق وروح القصة التي تدور حولها ، تلحيناً جباراً كان يعبر به عن كل خلجة من خلجات روحه، وكل جارحة من جوارح نفسه. فانطبعت روحه الثائرة بذلك الطابع الذي يجب ان تكون فيه كارمن فكانت مسرحيته الابداع والتجديد والروعة .

كان مسرح الاوبرا كوميك مشهوراً بين رواده من اهل باريز، بتقديمه القصص المسرحية الغنائية التي تسربها روح الفضيلة والاخلاق فكانت المسرحيات الغنائية التي تعرض بها بسيطة تبحث في نواحي الجمال والخير والحب العذري الضعيف الذي ينتهي عادة بالفراق والالم والعهد والاخلاص ، فكان الطابع الاخلاقي لا يفارق هاته المواضيع ويسيطر عليها ابداً .

وكانت موسيقى هذه المسرحيات على وتيرة واحدة تلائم حوادثها فيخرج المستمعون منها قانعين بالتافه الذي يسمعونه، وبذلك الحيز الضيق من الانغام التي تسبح بها المسرحية . الى ان ظهرت غنائية كارمن ، فضج لها العالم وأثارت النقاد الذين لوحوا بأقلامهم في وجه بيزيه ، فكانوا وبالا عليه وعلى نفحات نبوغه .

كان بيزيه يعتقد حين وضع الحانه السماوية لهذه القصة الشاذة، ان الفن لا يدين برذيلة او فضيلة ، انما يدين بالتعبير التام عن موضوع من الموضوعات المختلفة الانواع والاتجاهات ،ولقد احس في اجوائه، وهو يكتب موضوعه هذا، صخباً وثورة ورغبات وقوة تقوده لتخرجه من تلك التقاليد البالية التي وقفت حائلاً في سبيل تقدم الفن.

مثلت اوبرا كارمن واخرجت للمرة الاولى في الثالث من آذار سنة ١٨٧٥ فكانت الروعة المجسمة ،والانغام الاخاذة، والتصوير المركز، والشدو الساحر ، مما جعل لهذه الاوبرا مكانتها العالية بين سائر الاوبرات العالمية .

لقد كانت هذه التمثيلية تخدش كيان الفضيلة ، وتشجع على الرذيلة ، لقد استمع النظارة الى النهاية، فلم يتملكهم السأم ،ولم يشعروا بالملل ،وان احسوا اشمئزازاً من موضوعها الشاذ. لقد سحرتهم الموسيقى الرائعة ، والغناء العذب المتجاوب لروح بيزيه ولكنهم لم يتمكنوا من التعبير عن اعجابهم ، لانهم لم يدركوا وقتذاك حقيقتها ولم يتوغلوا في اعماقها.

وفي اليوم التالي فر بيزيه الى بوجيفال هارباً من الصحف التي هاجمت اوبراه بلاذع النقد ، وقارص الكلام ، فر وقد اعتزم اعتزال الموسيقى نهائياً ، لقد كانت كارمن عنده كل شيء ،لقد بنى عليها قصور احلامه التي تدهورت وتهدمت بفشلها . على انه قدر لهذه الغنائية فيما بعد ان تحتل مكانتها في الصدارة بين الاوبرات. اذ استمرت دار الاوبرا كوميك على عرضها، ضاربة برأي الصحف والنقاد عرض الحائط ، فاقبل عليها الناس يستمعون اليها من جديد بشغف ولذة . ولكن بعد ان اودى مؤلفها الفذ .

توفي جورج بيزيه في بوجيفال في اليوم الثاني من شهر حزيران سنة ١٨٧٥ في نفس اليوم الذي كانت تعرض فيه غنائيته للمرة الثالثة والثلاثين . لقد مات بيزيه عن ستة وثلاثين عاماً حافلة بضروب الهوان والبؤس والمجد . مات معذباً بغنائيته الفاشلة التي يستغرق عرضها او الاستماع اليها ساعتين ونصف .

واليوم تنحني الهامات اجلالا واكباراً امام قبر هذا النابغة في مقبرة « بير لاشيز » في باريس .

دمشق

صبحي شريف

(٢) الكلمة لاسكندر شلفون

ضياء

صورة وصفية

●

بسمونها ضياء او ما يشبه الضياء ، لانها فتاة متوهجة ملتمعة أخاذة . خداعة لانها تظهر غير ما تبطن ، او لانها مكرهة وفق ناموس الدنيا على ان توحي للمرء غير ما هي عليه فعلاً وحقاً .

كلما رأيتها ، قلت : حقاً ما اكذب المظاهر وما اضل الوجوه . فقد يبدو الوجه صبوحاً ، ولكن الاحشاء تفتتها الآلام المسرة ، وقد تكون صفحة المحيا ذات جهامة ولكن النفس رضيّة والقلب عامر بالايمان والروح خفاقة اما في تثاقل ، واما في سرعة وابتسار .

«ضياء» فتاة حلوة ، حلوة الشمائل ، لا تكاد تعرفها حتى تشغف بها حباً لانها تعرف طريق القلوب فتأسرها ، وتعرف الدروب المفضية الى خلجات النفس فتسلكها وتطرق الابواب طرقاً خفيفاً .

أبرز ما فيها كبرياء يخجل امامه كبرياء ذي الرتب والالقاب . فهي لمن يبادلها أول النظرات فتاة ذات صلف ، أحاطت نفسها بسياج كثيف من الهيبة والوقار . ولن تستطيع ان تقاوم شخصيتها ذات الطغيان لانها تفرض هيبتها عليك وتحتم ان تمنحها الاحترام سخياً . ولكن اذا تاح لك ان تجالسها ، وتطارحها الحديث ، فأنت لا ريب واجد ان ستارة الكبرياء المسدلة بدأت تنداح ، وأن الفتاة التي تجالسها ودود متواضعة حيية انيسة لطيفة المعشر .

ولعل مظهر المستأسد مستمد من اصولها التركية ، فهي ترتد في أعراقها الى قوم من الشراكسة ، ولكنها في الوقت عينه نائية النأي كله عن عنجهية النفس والروح . وما هانه الكبرياء المصطنعة الا وقاء من الاذى ، والحياة عامرة بصنوف من الاذى وصنوف .

لو اقتصرت الفتنة على فتنة الوجه ، لاعلت من كل فتنة وأجدبت من كل مسحة جمال . ولكن الفتنة كثيراً ما تكون مضمرة لا تبين الا للألي يعرفون كيف يغوصون وراءها ، وكيف يستخلصونها من شوائب أدران الحياة . فهي في هذا كركاز الذهب ، يغر الرائي لاول وهلة فيحسبه حديداً أو كساً مهملاً ، ولكن الخبير المتأصل المتمكن يعرف كيف يستنبط الجوهرة من الوحل ، وكيف ينتشل الابريز المصفى من الادران العالقة به .

ولو كانت أحكام العين صادقة ، لبدلت اعراف الدنيا ونواميسها ، لان مثل « ضياء » تشول كفتها ، بينما غيرها ممن أوتين ألحاظاً وجاذبية يجدن انفسهن راجحات كثيرات الود مخطوبات الصداقة . ومن نعم الفلسفة أنها نسخت أحكام العين ، ونعتتها بالكذب والتضليل بله النفاق ، وقالت بعدم التعويل على مرأى البصر ، وايثار البصيرة عليه في كل شأن من شؤون الكون .

كل من عرف « ضياء » منحها مع الحب تقديره وودادة وعطفه .

وكل من التقى بها لقاء غير عابر ، صافحها لا بيد مرتعشة ذليلة ، بل بقلب شديد النبض سريع الضرب .

وكل من تاح له ان يعرف ضياء عن قرب ، زاد لها تقديراً ، وهفا اليها كما يهفو الطير الظامىء الى جدول رقراق منساب .

وكل من يدع الابتسار جانباً ، وينظر الى الانسان نظرة جد وتدقيق ، يدرك ان ما سلبتها الطبيعة اياه في الظاهر ، عوضته لها في الباطن تعويضاً مكفول السخاء .

ان ضياء تمثل المثل العليا ، وقد لا تجد تلك المثل انصاراً ومريدين .

وان ضياء تشير بسبابتها الى الفضائل الخلقية المترفعة ، ولكن النفوس في الاغلب تنحدر الى ميول دنيا .

وان ضياء هي الحنان مجسماً ، والرقة سيالة ، والليونة الكريمة اللماعة . ومن شاء ان يعرفها ، فليرقب كيف تحدب على المرضى اذا طرأ على احدهم ما يسلبه رشاد صحته ، وليتأمل رقتها في المعاملة والمسايرة ، تلك الرقة التي تضفيها على الحيوان الاليف ان تعذر عليها ان تمنحها لاحد من بني الاناسي .

وان ضياء ذات ضمير حي يقظ لا يغفو ، الا تراها اذا قالت مُلحة وخشيت ان تصيب أحدا بسوء ، عمدت الى الاعتذار وألحّت فيه . وما ذلك الا لانها فتاة تتأثر سريعاً ، كلمة مستملحة تكسبك اياها ، وكلمة مستقبحة تنفّرك منها .

ثم انها صريحة مع من تعرفهم ، متحفظة مع من يعبرون الطريق بمشهد منها ، فليست تعرف الوجهين ، وليست تقول ما لا تريد او تفوه بما غيرها يريده لها . وهي في هذا تجاهر الحياة بما عندها ، ولكن العكس قد لا يكون صواباً .

كلما رأيتها ذكرت مقالة الصديق الراحل خليل مطران بك :

ما يُرجّى من مشهدي او مغيبي
ومكاني الا من الطيف خالي .

فكان « ضياء » الا من الطيف خال لانها ضامرة معروقة لا يكاد المرء يفطن الى النفس الكبيرة التي تختبىء وراءها . وكثيراً ما تفكهت معها فقلت لها : «انك ميكروسكوبية يا ضياء» فكان جوابها : ومتى كان الناس يوزنون بميزان أثقالهم ، وانه لقول مصداق ، لان السيارات المترفة والقصور الباذخة قد لا تضم سوى أشلاء لا تترابط الا بمال متوارث او جاه تداعى عليها من أجيال ، او تجارة كاسبة في بضاعة خاسرة .

هذه لمحة من لمحات « ضياء » يخدعك المظهر فتنفر منها قائلاً : يا لها من كبرياء ممقوتة مجسمة .

ولكنك اذا عرفت المخبر ، قلت : بل يا لها من آية من آيات الاتضاع ، ويا لها من فتنة سالبة للب .

القاهرة — وديع فلسطين

وحي الدموع

الى الشاعرة فدوى طوقان بمناسبة قصيدتها الاخيرة «خريف ومساء»

●

مشى الى القبر مضنى القلب داميه ... وللدموع انجباس في مآقيه
وراح يسقي تراباً طيباً عطراً ... وود لو انه عيسى فيحييه
بكى طويلاً الى ان جف مدمعه ... وبح صوت له سورة الايه
وراعه الافق محموماً ومضطرباً ... والغيم حيران يجري كالاتاويه
والريح تعبث في الاغراس مغضبة ... فتأخذ السرو في عنف وتلويه
لم تبق غصناً رطيباً في نضارته ... الا وعرّته او كادت تعريه
مشت تجر صريع النبت صاخبة ... وتملأ الجو من اشلاء ذاويه
والبرق يرمح في الاجواء مضطربا ... كخائف احدقت فيه اعاديه
تملك الذعر قلب الكون اجمعه ... كأنما الدهر قد ثارت عواديه
فقام يعثر في اذيال خيبته ... وراح يبكي مع الدنيا امانيه

● مضى الشتاء وعاد الروض مبتسما ... وللفراشات رقص في حواشيه
واخضوضر الغصن وافترت براعمه ... والطير نشوان يشدو في اعاليه
رأى بعينيه دنيا روعة بعثت ... فحركت منه اشواقاً لماضيه
وقد تراءت له ليلى فهش لها ... وراح يذكر دنيا من لياليه
فسار للقبر كالمجنون يحمل في ... يمينه الورد « للمحبوب » يهديه
فابصر الزهر* ينمو فوق تربته ... وفيه من ثغرها البسام ما فيه
كأنما علمت في امر زائرها ... فهيأت ضمة كيما تلاقيه
فقبل الزهر حتى افتر برعمه ... للدفء وانشق عن دنيا معانيه
وعاد للكون في عينيه رونقه ... كأنما الدمع معنى من معانيه

وديع دبب

جان دوفال

« لا تتحركي . لئلا تتحرك الخطوط » بودلير

●

هدوءاً ، هدوءاً . فهذا الفضاء ... يسكنه شيطان ما اشتهي
وماذا يبقي لك هذا الحياء ... غير الذي لا بد ان ينتهي
من تارك السوداء نبع الضياء ... يذوب في ثلجي ، فلا تلتهي .
صه! فرجع الروح يغري الغناء ... طفل الهوى في لحنه يزدهي
ونغمة الروح . بذكرى الرجاء ... انت لها .. اصغاءة الابله

بغداد

طه العبيدي

* وكان من بخور مريم وهو زهر بري لطيف المنظر

عيون

مرفوعة الى ن . ش .

●

يا حلوتي أي افق ... عذب الاسارير ، طلق
يضيء في مقلتيك ... صحواً ، واجواء شوق .
الوانه تائهات ... ما بين خضر وزرق
جدائق ناضرات ... من كل شكل ونسق
كأنما البدر فيها ... يحوك تبراً ، ويلقي . .
وفي مداها معابد ... توحي وتسبي وتشقي
لوحات فن نبيل ... زاه ، واسرار عمق
وامنيات وصال ... عال ، وتذكار عشق .
فيا ربيع بلادي ... نوّر هنالك . . واسق
ويا نسيمات رفي ... على المروج . . ورقي
ويا زمرد شعشع ... من الشموس . . برفق
ففي فؤادي مماء ... هيمى ، واجواء شوق .

دمشق

كمال فوزي الشرابي

ظل باهت

●

سرحي عينيك عبر الظلم ... وانفضي عنك ذهول الحلم ،
واكتمي لهفة قلب ظامىء ... يترجى خادعات السديم
لا تقولي : « انا اهواك . » فما ... عاد للحب ، انبثاق في دمي .
كان لي بين الحنايا ، جذوة ... اخمدتها عاصفات الالم !
كم سكبت الشوق في اغنية ... لم يرتلها فم غير فمي !
وروى دمعي اغراس الهوى ... فجنت كفي ثمار الندم !
وتبعت الوهم حتى هدني ... ألم المسعى ، وأدمى قدمي .
فتشردت كطفل باهت ... في متاهات الوجود المبهم
حاملاً ، بين ضلوعي ، كومة ... من أمان ، وبقايا حطم . .
ترحف الذكرى عليها مثلما ... ترحف الديدان فوق الرمم !

بغداد

رشيد ياسين

قلت لي

الى م . ن .

●

قلت لي غادتي ! عروس الضياء! ... يوم كنا على الهضاب النوائي

تمتطي الليل وابتسامك فجر !
انت يا خالدي بكف المعالي :
انت لي ذو رسالة لا تضاهى
بوحة الناي والاصيل عليه
صدحة الطير والصباح ندي
قلت لي : لست للسياسة لكن
للقريض الذي يفجره القلب
قلت لي والوجود مصغ الينا
انت في غربة عن الارض مثلي!
طالما شاقني استماع صلاة
طالما راعني بعينيك معنى
ما ترى الارض ؟! ما المطامع ؟ ! ما النعماء؟ ! ما ازدهار الثراء ؟!
كل اشيائها سراب بعينيك وعيني ! . . . خدعة الاغبياء ! !
انت من عالم توشح بالصمت مهيباً ! وحكمة الانبياء ! !
قلت لي : شاعري ! ودنياك قامت في البعيد البعيد ! عبر الفضاء !
ان يحل بيننا بنو الارض اني سوف القاك في رحاب السماء ! !

والحلى : الطهر، والعفاف ردائي
مرقم الحق ! . صارم ذو مضاء!
خطها الوحي في جبين البقاء !!
القت الشمس معطفاً من بهاء !
بالاماني عابق بالرجاء ! !
انت للفن . للهوى . . للغناء !
ويُروى مضمخاً بالدماء !!
في سكون، في دهشة وحياء ! :
انت في مطمحي وفي كبريائي!
منك في همسها استمعت دعائي!
فيه معناي حالياً بالضياء !

بولس اسعد الشرتوني

ثغر

أثغرك ورد ولا الثم
تحار العيون بتكوينه
ففي كل عين يطول السؤال
يحوم الفراش ليحظى به
يرد بعيداً كليل الجناح
اما للفراش شفاه الورود
تجيب الشفاه انا ملثم
ولست ورود أرى هكذا

ودن نبيذ ولا اغرم
وكم من حنين بها يكتم
وفي كل نفس صدى مبهم
ويُسقى الرحيق الذي يحلم
فيمضي حزيناً ويستفهم
تحط عليها ولا تحرم..؟
وان احمراري هذا الدم
فكم قد غويت وكم الهم

دمشق — عمر حلبي

صرخة

أسيرك (ليلى) ساهر ليس يهجع
مقيم على البلوى فليس انينه
تعاوده الذكرى فيهتز لوعة

يردد انغام الهوى ويرجّعُ
سوى صرخة الاحشاء وهي تقطع
ولا عجب فالذكريات تلوع

ويرسل من آماقه الحمر دمعة
تمرد في خفاقه الصبر ثائراً
يراقب مسرى البدر حيران ساهماً
خبا وميض الشباب
وأينع الاكتئاب
أيا ليل ها اني كمنتك واثقاً
اليك شكاتي والانين فانني
شدوت به والكون ضج ضجيجه
فللموجة السوداء في حلكة الدجى
تغير على الصلب الجمود بقسوة
شدوت برغم العاصفات ففي الحشا عواصف اشجان اشد وأوجع
يا ليل لا استريح
وحول قلبي الجريح

يموج الاسى في كنهها والتوجع
فضاق به ذرعاً شغاف واضلع
وفي عينه بدر الصبابة يسطع
في طرفه الناحبِ
في وجهه الشاحب
بان الاسى بيني وبينك يجمعُ
نظمتها شعراً قوافيه تدمع
يزمجر هداراً فهل انت تسمع ؟
زئير يهد الراسيات مروع
فتترجع عنه وهو هاو مصدع
من شقوتي والالمْ
يحوم طير العدم

بغداد — حسين عاتم الكرخي

خيبة

صور الامس التي لونتها . .
قد تلاشت من خيالي وخبا
يا حبيبي ! اين آمال الهوى
أين قلبانا يرفان على
يسكبان النغم الصافي به
اين صرح لهوانا شدته
فوقه عرشت بالورد . . له
ـماد صرح الحب وانهار بنا

برؤى نفسي . والوان سرابي
نورها الطفل على افق شبابي؟
فوق ثغرينا كازهار الروابي
دوحة الحب . وافنان التصابي
حرقة البوح . وتبريح العذاب!
خلف دنيا الناس شعري القباب
عبق الفجر . . والوان الغياب؟
مثلما تنهار اكداس الضباب!

فؤاد الحسن

عاشقة الزهر

ذكرتك في الحقل عند الصباح
فاولاك ما افتر ثغر الزهور
ولا حلمت بطيوف الرؤى
ولولاك ما شرقت بالندى
خطرت فهامت بسر الجمال
تحدث عن حبها البلبل

فأدركت سر ابتسام الزهر
ولا غازلت في رباها القمر
ولا رفرفت لنسيم السحر
ولا ضاحكت ثغر هذا النهر
وجنّت به فاختفى واستتر

قفص على الطير اخبارهـا
واصغى الى همسهـا الجدول
فأفضى الى النهر اسرارهـا

اللطيف - البحرين

محمد سعيد المسلم

الى زهـرة

•

يا زهرة، ريانـة بالنـدى ترف، في اجواء طهر، فساح
في عزلة ، عن كل ما حولها ، مارف، لولا الطهر، منها جناح
تظل بالاشذاء فواحـة ، لكنها ، عذراء ، لما تباح
يا زهرة !! في اسفل المنحني، مخبوءة عن عاصفات الرياح
يحنو عليك النجم، في ليله ، ويحتويك النور، عند الصباح
ان ضل عنك الناس، في دربهم، فالناس ، لا يهوون ، غير الصياح
يا زهرة !! نامية في ثرى ، ذراته ، من قلبي المستباح
سُقيت من عيني الدموع التي ، صعدها القلب ، فكانت نواح
رفي !! وهلي !! بالشذا ، واعبقي !! الطيب ، مثل الحب ، شيء مباح

طرابلس

محمود عبسى

زامـر الحي

•

كيف كان ؟
انه شيء عجيب ؟؟
يصنع الارواح في دنياه من صمت الطلول
ويسوق الافق في اذيال احـلام تحول
ويهز الليل في انحـاء امجاد تدول
ويهيج الناس من شوق الى شوق يطول
ويلف الماضي الرحب مع الغيب الرهيب
ويغني . . ليت شعري مثل هذا ما يقول؟!
لم اكن اعرف عنه انه يو ماً ليصبو صبوات خالدات
لا ولا كنت اراه ذات يوم انسيرعى في طريق خطوات
ولقـد كان وديعاً ، همه في جانب العيش بقايا ذاهبات
يصحب الايام في رفق ويرضى من موائدها باحدى الاغنيات
وهواه حيث لا تلقـاه الا وحده يشدو ، وفي اي الجهات
عشق المجد تهاويلاً من الوحشة والليل . . وكانت صبوات
فارتمى في خاطر الريف حياة اين منهـا يا الهي حيوات

من أبوه ؟ !
قيل لي لا ام له . .
انما كان وليد الليل في احدى العواصف
حملته رغبات العيش مسحور اللفـائف
وغذته همهمات الافق البان المعـارف
ورعته رعشات الحس في اوهام خائف
حتى اذا امتدت يداه للطبيعة دلله
ألق من الماضي تساقط دونه والظل وارف

هو شاعر لكن يحاول ان يؤلـف ناسه في فكرة متجردة
ومفلسف لكن يحاول ان يصوغ من الحياة حقـائقاً متعددة
ومنغم لكن بألفاظ تدل على معـان في نهاه ممددة
هو فكرة رقصت لتثبت ان ثمـة رقصة للفكرة المتمجدة
عرف الحياة فعـاشها نغماً تمرد في وجود الغنوة المتمردة
وصبا ليدرك من كيـان الناس لحناً عبقرياً كان صمتاً ردده
هو وحده الريف السعيد وروعة الاحلام في الشط البعيد مغردة

في العشية . .
بعدما عاد الرعاة . .
خلت اني اسمع الارواح تعمـل غنوة
فتأملت رهيف السمع اخفي نشوة
فاذا صوت لطيف يتهـادى ، صبوة
واذا روح مريد يتنزي قوة
صوت الكون تعرى حول اجفان الاله
يعمل الزامر عنهـا اغنيـات حلوة
وحواليه رعاة الحي ما بين فتى صب وكهل ذاكر
وحواليه صبايا الحي يسمر ن حيارى همهمات الساحر
وحواليه من الحي قلوب في هوى الماضي ورعش الحاضر
حلقات دائرات وتلافيف لطاف حول غـابة زامر
رجل يصنع للسمار اسلو ب الحياة العذب قصة شاعر
دوامة الافق الجميل تهز اسرار الوجود على رفات عاصر
وفتوة الريف السعيد تلف احلام الصبابة ساعة في سامر

القاهرة

كامل علي سعفان

مكتبة الاديب



النظرية الذرية - الطاقة الذرية - القنبلة الذرية

للاستاذ نقولا جرجس شاهين - ١٧٦ صفحة - حجم كبير
مطابع صادر وريحاني - بيروت

الاستاذ شاهين من اساتذة الجامعة الاميركية ببيروت . وهو يعلم الفزياء فيها . رجل نشيط واسع الثقافة امضى حياته في الدرس والتنقيب وانقطع لها. وقد لمست في الاستاذ وطنية صادقة، فرائده انهاض الفكر العربي من كبوته وهذا شأن كل عالم مؤمن بوطنه فاخرج كتابه هذا عن الذرة وتطورها في مراحلها العديدة كما استعرض تاريخ هذا الفرع منذ ان فكر الانسان بتركيب المادة الى ان توصل الى تفجيرها واستخراج طاقتها الكامنة فيها، وهذا الكتاب احد الكتب القليلة التي كتبت في هذا الموضوع في اللغة العربية ، في حين ان الكتب التي ظهرت في مثل هذا الموضوع في اللغات الاروبية تعد بالالاف. اما عندنا فان السواد الاعظم من القراء اذا قرأ عن مثل هذا الموضوع اكثر من مرة اصابه الملل وعراه الدوار فلا غرو في ذلك لاننا لا نقدر العلم او قل انهم قلائل الذين تتوق نفوسهم الى البحث العلمي الصحيح فكأننا نعيش على هامش الحياة ، وان الرجل الغربي مكلف بالاختراع والاكتشاف ليزودنا نحن الشرقيين بها ويؤمن لنا المصالح ووسائل العيش الهني، دون ان نعلم ان مثل هذه الاكتشافات والاختراعات هي الوسيلة الوحيدة لتقدم الامم ، وانه اذا تفحصنا الامر وجدنا اننا نعيش على حساب غيرنا ونتلذذ بالحياة على حساب الاجنبي . لقد حان الوقت ان نعلم انه لا احترام لامة لا تساهم في الحقل العلمي لان العلم اليوم هو وسيلة الاحترام والقوة التي هي من سيماء الامم الغربية . والامم الراقية اليوم تتزاحم في حقول الاكتشاف والاختراع وتشجيع العلم والعلماء وتفتخر بهم لانها تعرف وتقدر قيمة هذا العامل القوي الفعال في تقدم الحضارة وانعاش الشعوب .

اخرج الاستاذ شاهين كتابه هذا مستعرضاً هذا الفرع منذ نشأته اي منذ ان فكر ديمقريطس بان المادة مركبة من ذرات الى تفجير هذه الكتلة واستخراج مكامنها . فقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام ، قسم استعرض فيه النظرية الذرية اي عندما كان هذا العلم ينظر اليه بمنظار الشك وكان فكرة تخامر بعض رجال العلم حتى مطلع هذا القرن، ولا ازال اذكر محاورة قرأتها وهي بين العالم ماخ والعالم هرتز عندما القى هذا الاخير محاضره عن الذرات في اواخر القرن الماضي وعندما انتهى الاستاذ هرتز محاضرته قام الاستاذ ماخ وقال :

ماخ — هل تعتقد حقيقة بما تقول هرتز — نعم .

ماخ — يشق علي ان اعتقد بانك تعتقد بذلك، وانتهى الحديث.

هذا مثال بسيط يرينا كيف كانت النظرة الى بحث الذرة حتى وقت قريب . وظل الامر كذلك الى ان قام كل من مدام كوري وبلانك وطمسن ورذ فورد وغيرهم عديد من العلماء بالاكتشافات العديدة في هذا الحقل حتى حققوا وجود الذرات واستقصوا محتوياتها . فاستعرض الاستاذ شاهين هذا القسم استعراضاً جلياً مفصلاً . وفي عام ١٩٣٩ توصل الاستاذ هان واستراسمان الى فلق ذرة اليورانيوم (٢٣٥) . وفي عام ١٩٤١ تقريباً رفع العالم انشتين رسالة الى الرئيس روزفلت يقول فيها : ان اكتشافاً عظيما قد ظهر في عالم العلم الا وهو امكانية فلق الذرة واستخراج الطاقة الكامنة فيها ، وانه على هذا الاساس يمكن صنع قنبلة صغيرة الحجم تفوق في مفعولها آلاف الاطنان من المتفجرات . لاقت هذه الفكرة هوى في نفس الرئيس روزفلت فامر باعطاء المال اللازم وقدره مئات الملايين من الدولارات للعمل في هذا المشروع فكانت اكبر مغامرة علمية عرفها التاريخ ، فقام العلماء في الولايات المتحدة وهم خليط بينهم الاميريكي والكندي والانجليزي والفرنسي والالماني والدنماركي والايطالي وغيرهم فلبثوا يعملون متكاتفين على ايجاد قنبلة قوية المفعول يمكن بواسطتها انهاء الحرب . وفي عام ١٩٤٥ اجريت التجربة الاولى لاول قنبلة ذرية فكانت النتائج مرضية ومطابقة لما ارتآه العلم النظري والتقديرات التي حسبها العلماء. وكانت القنبلة التي انهت الحرب القائمة بين الحلفاء واليابانيين واصبح هذا الاكتشاف بداية عصر جديد في تاريخ القرن العشرين.

وهنا نرجع الى كتاب الاستاذ شاهين فنقول : انه فصل هذه الامور تفصيلاً مجملاً فكان كتابه القيم قصة ممتعة استعرض فيها

هذا الاكتشاف العجيب في مختلف اطواره حتى استكماله .

وهنا نأخذ على الاستاذ بعض الامور منهـا انه ترجم كلمة الكترون بكلمة كهرب وصوابهـا كهيرب. وكذلك كلمة flauresent بالفلورية وصوابها مضيء وهناك ملاحظة اخرى في شكل كتابة المعادلات فمثلاً كتب معادلة ١× مربع (٣× ١٠^١٠) فاصبح الرقم ٣ × ١٠^١٠ قوة لكلمة مربع فالافضل لو كتبها على هذا الشكل ١ × (٣ × ١٠ ^١٠)^٢ .

وكذلك عندما تكلم عن الدقيقة الميزون(ميزترون) لم يذكر مكتشفها فقد استغربت هذا الامر فالمكتشف هو العالم الياباني يوكاوا فهو اول من نوه لها وقد حققها بالتجربة كل من العـالمين اندرسن واندر ماير ووضع لها المعادلة الرياضية العالم ديراك. وهناك نقطة مهمة لااقر الاستاذ عليها هي انه حسب الفوتونات (الضوئيات) بانها دقائق لها وزن وكتلة والحقيقة ان الفوتونات هي مقادير طاقة لا يمكن قياسها بمقياس مادي بل بمقياس الطاقة لانه حين تستحيل اية دقيقة من مركبات الذرة الى طاقة توازنيـة اصبحت فوتون اي ضوئية .

واخيراً نشكر الاستاذ على جهوده التي بذلها في اخراج مثل هذا الكتاب واني اتمنى ان يعم بين الشباب المثقف عله يكون حافزاً لهم على الاخذ بدراسات جامعية وافية في هذا الحقل الذي يعد ، وبحق ، قوام المدنية الحاضرة .

عمان — فؤاد جميعان

تاريخ العرب

مطوّل – للدكاترة فيليب حتى وادورد جرجي وجبرائيل جبور – الجزء الاول – ٢٤٧ صفحة – حجم كبير
ورق صقيل – منشورات دار الكشاف – بيروت

يقول الدكتور فيليب حتي في مقدمة الكتاب : لقـد وضع كتاب تاريخ العرب في الاصل باللغة الانجليزية وطبع اول مرة في مطبعة مكملان في لندن عام ١٩٣٧ ثم توالت طبعـاته منذ ذلك العهد حتى بلغت اربعاً آخرها سنة ١٩٤٩ . ونقل في خلال هذه السنوات الى اللغات الالمـانية والافرنسية والاوردية والتركية والمخابرة جارية بشأن نقله الى غيرها من اللغات الاوربية والاسيوية.

اما هذه الترجمة التي نقدم الجزء الاول منها فقد قام بها اول الامر تلميذي وزميلي الدكتور ادورد جرجي الاستاذ المشارك في في كلية برنستون للاهوت . ولقد عرض القسم الاوفر من المخطوطة على انيس الخوري المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركيه فتلطف وراجعه وهذب بعض عبارته فله شكرنا الجزيل.

واخيراً عهد الى تلميذي الدكتور جبرائيل جبور الاستاذ المشارك في الجامعة نفسها ان يحرر الكتاب ويساهم معنا في نشره فراجعه ونقحه بدوره ووقف على طبعه وتعهده بعنايته الخاصة .

ولهذه الترجمة العربية ميزة خاصة وهي انه سيظهر فيها لاول مرة قسم جديـد لم يظهر بعد في الطبعة الانجليزية او في اي من الطبعات الاخرى وهو القسم الذي يبحث تاريخ العرب منذ اول العهد العثماني حتى زمننا الحاضر .

كارثة فلسطين

موسوعة تعنى بنشرها جمعية انقاذ فلسطين تتألف من عدة اجزاء – صدر الجزء الاول – ٢٥٠ صفحة – حجم كبير – ورق صقيل – مطبعة الرابطة – بغداد

اهداء الكتاب : الى الذي ضحى وانكر الذات ، الى الذي نذر نفسه لله فوفى بما عاهد عليه الله ، الى شهيد حرب ١٥ نوار ١٩٤٨ في فلسطين ، الخالد في النعيم المقيم .

وجاء في مقدمة الكتـاب : قضي الامر ! واصبحت الدولة اليهودية المزعومة — غير مزعومة — فقد اقرت جمعية الامم المتحدة الوضع الدولي . . . دولة اسرائيل . . . خطر كل الخطر . ويوم ١٥ نوار ١٩٤٨ سيذكره العرب في مشارق الارض ومغاربها انه يوم كارثة فلسطين بل كارثة العرب . اما العرب فساروا على غير اهبة وان لم يؤخذوا على غرة. سلاحهم ناقص وجيوشهم مفككة ، ليس فيهم خطة واضحة ولا قيادة موحدة . دخلو حرب ١٥ نوار ١٩٤٨ شيعاً على غير بصيرة ولا هدى مما كان سبباً لتعجيل وقوع الكارثة المؤلمة . لقد اصبحنا الآن وجهاً لوجه امام خطر شديد ، وخصم عنيد مفكر طامح ، يترقب الفرص . فلنحسب اذن لهذه الدولة الجديدة التي شيدت اركانها على جماجم الشهداء الف حساب . ولنأخذ حذرنا من شعب قطع على نفسه عهداً ان يستولي على ارض الميعـاد التي اعطاها الرب لابراهيم ونسله والتي تضم مصر وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وسورية ولبنان . اما شعوب هذه الارض فمحرم على بني اسرائيل ان يخضعوا لملك من ملوكها ، او ان يبايعوه ، بل يجب على (شعب الله المختار) ان يفنيها بحد السيف . . وان يمحو اسم ملوكها من تحت الشمس وان لا يستبقى منها نسمة حية ، ولكنه يفعل ذلك رويداً رويداً بحيث لا تكثر وحوش البرية عليه كما جاء ذلك في نص الشريعة التي ياوذ بها اليهود والتي نورد طرفاً منها فيما يأتي :

« ارض الميعاد فلسطين » : في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام

ميثاقاً قائلاً : لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين (تكون ح ١٥ ١٨٤ — ٢١).

« حدود فلسطين» : وكان بعد موسى عبد الرب ان الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : كل موضع تدوسه بطون اقدامكم اعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات . جميع ارض الحيثيين والى البحر الكبير نحومغرب الشمس يكون تخمكم » (يشوع ح ١ ع ١و٣ و٤ و٦) .

« كيفية فتح فلسطين »: لا ترهب وجوههم لان الرب الهك في وسطك اله عظيم ومخوف ولكن الرب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلا . لا تستطيع ان تفنيهم سريعاً لئلاتكثر عليك وحوش البرية . ويدفع الرب الهك امامك ويوقع بهم اضطراباً عظيما حتى يفنوا . ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء » (تثنية ح ٢ ع ٢١ — ٢٤).

« المعاهدات» : لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم . (تثنية ح ٧ ع ٢) .

بقايا نغم

مجموعة شعرية ـ للطفي جعفر امان ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم متوسط
مطبعة فتاة الجزيرة ـ عدن

يقول الاستاذ محمد عبده غانم صاحب مقدمة الديوان: ... واول ما يلفت النظر في هذا الشعر نزعته الصوفية واتجاهه الروحي فالشاعر على جد قوله ليس من ماء وطين بل هو روح ليس يفنيها الزمن . وان غاية ما يصبو اليه الصوفي ان يتخلص من قيود الجسم ليستحيل روحاً خالدة باقية بقاء الابد باتحادها مع القوة الازلية التي لا تزول . والشاعر يحب لانه يجد في الحب لذة روحية يظهر بها نفسه وهو يجد في الموسيقى صوت العالم العلوي ، ويود ان يكون ناي السماء يرجع في الارض الحانها .

ولست ادري الى اى حد يؤمن الشاعر بالصوفية . ولا الى اي درجة قد تشبع بتعاليمها . وهل الصوفية عنده عقيدة ام مذهب ام فكرة . ولكن لا سبيل الى انكار نزعته الصوفية او الروحية التي تسود كثيراً من قصائده . ولعل الشاعر في هذا قد تأثر بالشاعر السوداني التيجاني الذي يؤبنه في الديوان . وهذا بعض ما يدين به الشاعر للسودان . والى جانب هذا الغناء الروحي نجد غناء قائماً يصور الحيرة التي يجدها الشاعر في نفسه من حين الى آخر . واغلب الظن ان هذه الحيرة تعود الى نزعته الروحية . فالصوفيون يتخذون من الشك وسيلة الى اليقين ويرون الا سبيل الى المعرفة الا بالانكار .

وقد يكون السبب في هذه الحيرة ما يتداول الشاعر في هذه المرحلة التي يجتازها من عوامل ثقافية مختلفة فيها كثير مما يدعو الى الشك والى اليقين ، وفيها ما يساعد على نمو النظرة الفلسفية الى الحياة وما يتبع هذه النظرة من حيرة .

سلمى الغلبية

او قصه الفتح الاسلامي لتكريت ـ تأليف شعبان رجب الشهاب ـ ٢٤١ صفحة ـ حجم متوسط
مطبعة المعارف ـ بغداد

الاهداء : الى من محتهم تقاليد المجتمع عن حاضرة الحياة فغمطتهم حقوقهم وجردتهم من مؤهلاتهم ومزاياهم. فعاشوا على هامش الحياة يسكبون عليها دموعهم وعصارة افكارهم . بصدور رحبة ونفوس بريئة ، لا يمازجها الحقد او يخالطها الانتقام اقدم هذا الكتاب .





جولة الأديب في شهر

ليالي الصعاليك في القاهرة

الوحي . . .

الساعة تعلن انتصاف الليل . . القاهرة تهدأ قليلاً ويتلاشى الضجيج الى حد ما . . ناس يذهبون الى منازلهم وناس يغادرون منازلهم . لقد بدأ الليل يفشي اسراره . .

ان السر الاول الذي يطالعنا في هذه الساعة يكمن داخل سيارة صغيرة تندفع نحو شارع قنطرة الدكة امام منزل صغير يبدو وكأنه مهجور . . ولكن هذا المنزل تضاء فيه الانوار حتى الصباح انه المكان الذي يلتقي فيه الموسيقيون المحترفون اعضاء نقابة العوالم . . ويغادر السيارة ثلاثة آلهة او ثلاثة صعاليك واحد منهم موسيقار يحمل تحت ابطه « كمانا » والثاني صحفي يحمل في يده كل الصحف التي صدرت في ذلك الصباح . . والشخص الثالث فنانة لا لون لها . . انما ترقص احياناً وتغني احياناً . . وتمثل في بعض الاحيان . والمهم انها احدى اللواتي يعشقن الليل ويصعد الثلاثة الدرج المؤدي الى نقابة العوالم . . وتبدأ السهرة . . الموسيقار يضع لحناً لاحدى فرق عوالم محمد علي . والصحفي يقرأ الصحف التي صدرت في الصباح والمساء لانه لا يستطيع ان يقرأها نهاراً حيث ينام بعض الوقت ويعمل باقي الوقت والفنانة التي لا لون لها تسخر من الموسيقار والصحفي وتشتبك في قافية مع احد الموسيقيين المحترفين . .

ان نقابة العوالم تموج بالفن وبالوحي . الجميع وهم فنانون من كل لون لا يعترفون بالزمن . ان ساعات الليل تنقضي في سرعة مخيفة ويتسلل نور الفجر من النافذة ويتسلل اهل الفن من النقابة الى منازلهم .

لقد انتهت السهرة ولا تسأل عما حدث خلال تلك السهرة لان اهل الفن لهم دنياهم الخاصة وعملكتهم المستقلة .

ويقول الاستاذ كامل الشناوي الصحفي والشاعر والفنان : « من القسوة ان ينام الانسان قبل طلوع الفجر » ويؤكد كامل الشناوي ان سحر الليل هو الحياة نفسها في الليل كل شيء جميل فاتن ويكفي ان يرقب الانسان النجوم وهي تسطع في السماء ليؤمن بأن النوم حرام قبل مطلع الفجر . . !

وقصة صعاليك الليل اعني الآلهة الذين لا ينامون قبل مطلع الفجر هي قصة غير صالحة للنشر ولكن ربما كان في نشرها برهان على ان الليل ساحر كبير وحاو شحنت رأسه بالاسرار . . ! ع . د

وان كل واحد من اهل الفن يؤمن بانه الٰه او ظن انه من الصعب افشاء اسرار الآلهة . !

مواكب الخلود

الساعة الثانية صباحاً . . زورق شراعي يقف وسط مياه النيل خلف الجزيرة . وفي المركب الشراعي جلس خمسة آلهة ، مخرج وصحفي ومطرب وممثل ، وكروانة . ان كروانة الجزيرة ليست ام كلثوم على اي حال ، ولكن صوتها سيغنيك عن صوت مطربة الشرق لانها تغني في الساعة الثانية صباحاً وفي مركب شراعي يتهادى خلف الجزيرة ومهما كان صوتها قبيحاً فسيعجبك الصوت لانك تعيش مع صاحبته في دنيا الصعاليك . . ان دنيا الصعاليك فيها من الاغراء ما يطيح بالعقول وفيها من الاحلام ما يثير الامل وفيها كل شيء غير موجود في دنيا الناس .

لنسمع ما يقول الصعاليك الخمسة بعد ان انتهت وصلة الطرب ان المخرج يلعن الكروانة وهي تضحك ويقول لها الصحفي في تهكم :

بتاخدي كام في الليلة اللي ما بتغنيش فيها ! .

وتضحك الكروانة ويضحك الصعاليك الخمسة . ولنستمع الى الآلهة وهم يتحدثون في كل شيء والزورق ينساب بهم حول الجزيرة .

بدأ المخرج يتحدث عن مشكلة الوجوه الجديدة وبدأ زملاؤه الصعاليك يبحثون معه المشكلة وقال المخرج :

— عاوز وجه جديد يا ناس للفيلم بتاعي .

ويرد عليه المطرب الكبير :

— ولزوم التعب ايه . . عندك صالحة قاصين .

وعندما يتحدث الصعاليك عن مشاكل مصر السياسية فثق ان الصراحة هي التي تسيطر على الموقف . ان رأى الصعاليك في رجال السياسة يمكن ان يقيم النيابة ويقعدها ومن حسن حظ الصعاليك ان رجال النيابة لا يسهرون في المراكب الشراعية حول الجزيرة !

وفجأة يرتفع صوت المطرب الكبير وهو يغني لحنه الجديد .

وتسطع في السماء نجوم صفحة النيل وتتراقص الاضواء مع اللحن الجديد وتسرح الكروانة وهي تنصت في قسوة الى صوت المطرب الكبير وينسى الصعاليك جديدة ترسل اضواءها على السياسة ورجال

السياسة وجميع المتاعب الاخرى ويعيشون في دنياهم الخالدة التي يرعاها الليل وتباركها النجوم ويطويها الفن .

لا شيء في الوجود يمكن ان يؤثر في نفس الفنان الا الفن نفسه ولا توجد قوة في الوجود تحرك مشاعر الفنان الا لمحات الفن نفسها . ان ابتسامة الفنان لا يمكن ان تشرق ابداً الا عندما تلمح مشهداً فيه فن باحثة عن هدفها المنشود دائماً يكون الهدف شيئاً له علاقة بالفن .

والفن يعبر عن الالم والعذاب والسعادة والامل وروح الفنان هي مزيج من هذا كله . ألم . وعذاب . . سعادة وامل وهي روح طليقة تنفر دائماً من التقاليد .

والقيود . . انها روح شفافة ترف حول الجمال كما تحوم حول القبح . هي قذيفة تنطلق وقد تصيب الهدف وقد تخطئه ولكنها تنطلق بقوة هائلة ولا يقف امامها عائق . !

وعقل الفنان لا يمكن ان يعمل ابداً الا ليخلق فناً . وروح الفنان تسبح دائماً في دنيا مجهولة .

في الساعة الثالثة صباحاً نجد مواكب اهل الفن في كل مكان وقد يروعك ان تجدهم في تلال زينهم وقد يهولك ان تبصر بهم في هذه الساعة وهم يتسكعون تحت سفح الهرم وربما التقيت بهم وهم يمرحون فوق قمة جبل طولون، انهم مثل الهواء في كل مكان ولكن في الليل وبعد ان تهدأ القاهرة ويتلاشى ضجيجها وتختفي معالم الحياة فيها . . . !

صناعة الخلود . !

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . في حجرة ضيقة فوق سطح احدى العمارات . . ولا شيء في هذه الحجرة يقنعك بان صاحبها انسان يريد ان يعيش .

الفراش متواضع وتبعثرت بجوار الفراش بضع مقاعد متداعية حتى حائط الحجرة قد تشقق والنافذة الوحيدة في تلك الحجرة مغلقة دائماً لانها لا تفتح ولا تغلق بعد ان غطاها صاحبها بالواح من الخشب في الشتاء الماضي وصاحب الحجرة صعلوك كبير . انه اديب وكاتب وصاحب قلم مخيف يقرأ له الناس فيتخيلونه يعيش في قصر شامخ في جنة عدن ولكن صاحب القلم المخيف هذا يعيش كما وصفته لكم في مسكنه المتداعي الذي صنع منه قصراً شامخاً بقلمه وبفنه .

وجلس في الحجرة مجموعة كبيرة من الفنانين معظمهم من اصحاب السيارات والفيلات والارصدة المكدسة في البنوك فاذا جاء بهم الى تلك الحجرة القذرة العفنة المتداعية ؟ !

ان الاديب سالف الذكر :

اغني الصعاليك الكبير يجلس بينهم وكأنه ملك متوج وهم من حوله رعايا مخلصين وكانت السهرة حافلة وقد اقيمت بدون مناسبة طبعاً مثل جميع حفلات الصعاليك . . وبدأت الحفلة برقصة وثنية قامت بها راقصة كانت تستطيع ان ترقص في تلك الليلة في قصر مليونير ولكنها ارادت ان تعيش في دنياها ليلة فجاءت مع اصدقاء الصعاليك لترقص لهم بدون مقابل فرقصت كما ترقص من قبل . وانطلقت الايدي تصفق على الوحدة وكان هناك مخرج كبير ينقر على علبة صفيح فارغة وموسيقار كبير يعزف على العود ورئيس تحرير احدى الصحف يرد مع الكورس . . وانتهت الرقصة .



من اليمين : محمد عبد الوهاب يعزف العود . خلفه احمد رامي وزكي مبارك . ماري كويني تستمع . محمد علي غريب والرسام رخا يلعبان الورق . خلفهما محمد التابعي وام كلثوم تغني . حسن فؤاد يصفق . علي الدالي يقدم الجوزة للرسام فوزي وامامه عبد الحليم يومي يطبل وخلفه شكوكو . كامل الشناوي يقرأ كلمة للجالسين .

●

وافشى الليل في تلك السهرة اسراراً كثيرة هي بمثابة قانون لمملكة الصعاليك . ! !

وتلك الاسرار خرجت من النافذة الخشبية على الناس الحاناً ترددها الجماهير ومقالات من نار في الصحف وأفلاماً سينمائية ناجحة وكل الوان الفنون التي تستحوذ على مشاعر الجماهير صنعها الصعاليك اثناء وجودهم في حجرة زميلهم القذرة العفنة التي يتخيلها قراؤه قصراً في جنة عدن . !

ان الليل لا يلفظ اسراره الا لانسان يثق فيه وفي قدرته وليس هناك انسان يثق فيه الليل الا الفنان فهو وحده الذي يستطيع ان يصنع من تلك الاسرار خلوداً ومجداً وهو وحده الذي يظل طوال الليل ساهراً ينصت في انتباه الى همس الليل ذلك الحاوي الذي شحنت رأسه بالاسرار

«جريدة النداء المصرية»

علي الدالي

الافلام المصرية
في المهاجر الاميركية

●

اجتماعيات

الافلام المصرية في الحقبة الاخيرة بيئتنا السورية واللبنانية التي هرعت الى مشاهدة «السينما العربية» وكلها شوق وحنين، دون ان تكترث لما يتقاضاه اصحابها من الاجر.

ولكن عناصرنا السورية واللبنانية اصطدمت بخيبة مرة بعد مشاهدة معظم الافلام التي جاء بها اصحابها من مصر ذلك لانها لم تحقق شيئاً من تلك الصور الجميلة الفتانة التي رسمها ابناء الجالية بعدما مرت عليهم اكثر من عشر سنوات دون ان يشنفوا آذانهم بالاغاني العربية والاحاديث العربية او يكحلوا عيونهم بسماء الوطن ومناظره الجميلة.

وهذه الخيبة المرة التي اصطدموا بها نشأت عن عوامل شتى منها ان معظم تجار الافلام آثروا الرخيص القديم الغث الذي اخرجه المديرون السينمائيون عندما كانت السينما المصرية جنيناً يتحرك في بطن امه. مما لا قيمة فنية له على الاطلاق. فكانت الجالية مغبونة بهذه الافلام القديمة التي استرخصها التجار فحملوها الينا تجارة كاسبة لهم وخاسرة لنا. فاصابنا ما اصاب ذلك «الفلاح» الذي البسه التاجر ما يريده هو. لا ما يريد ان يختاره المشتري. وفي هذا العمل استخفاف بثقافة الجالية ورقيها الفني والاجتماعي لا نغتفره.

وربما كان لتجار الافلام المصرية بعض العذر. فالسينما المصرية كما يتراءى لنا لا تزال في المهد مع كل تقدمها. لا نقول هذا من حيث الاخراج والادارة والتمثيل والمناظر وتوابعها فقط بل من حيث المواضيع الروائية ايضاً.

فاذا كانت مصر لم تتقن حتى الآن فن اخراج السينما على الوجه الاكمل لاسباب فنية تحتاج الى ممارسة طويلة وسليقة صناعية فما هو عذرها في سخافة تلك المواضيع التي تبني عليها رواياتها وتعرضها على الجماهير.

فمعظم هذه الروايات غربي الاوضاع لا يمت الى مصر وللبلدان العربية بصلة. بل لا نغالي اذا قلنا ان اكثر هذه الروايات ممسوخ عن «الحياة الاجنبية» في الغرب. وقد اتخمنا بمثل هذه الروايات.

فالسينما كالصحافة ترمي الى تثقيف الجماهير وصقل اذواقهم ودرس امراضهم ومعالجة عللهم الاجتماعية والوطنية واغناء روح البطولة في صدورهم وتحريرهم من العبوديات المتعددة الالوان وتقوية رجولتهم وتعزيز اخلاقهم وفضائلهم. وهذا ما لا نجده الا نادراً في الروايات المصرية التي لا تزال حتى اليوم بمعزل عن الحياة المصرية والحياة العربية، وهكذا اصبحت السينما في مصر اداة للتسلية واللهو والتخدير. وما هذه اهداف السينما للشعوب التي تريد ان تستيقظ وتعيش كريمة.

اين هي حياة الارياف؟ اين هي الاقطاعيات التي ترسف فيها الشعوب العربية.. اين هو الظلم الاجتماعي. اين هي النهضات السياسية والقومية؟ اين هو الشعب يحطم قيود الرجعية والعناصر الهدامة؟ هذا كله لا نرى له اثراً لسوء الحظ في الافلام المصرية التي تجتنب على ما يلوح لنا كل الاجتناب ان توقظ ذلك النائم او تعالج هذا العليل بل تأتيه بالمخدرات وبسائر ما يلهو به عن آلامه واحلامه.

ثم ان تلك الاغاني تحتاج الى التهذيب والتشذيب. لقد سئمنا الاغاني الغرامية ومعانيها المبتذلة.

نحن لا نحتاج الى السينما لتضرم فينا جذوة الحب والغرام. نحن شعب يريد ان يحيا وينفض عنه غبار الجمود ليسير في مواكب الامم الحية. اما ان نظل نئوح ونبكي على الحب ونئن من جراح الغرام وغموت تدلهاً ونتخنث باخلاقنا فهذا لا حاجة لنا به على الاطلاق. بل يقعد بنا عن طلب المجد والتسامي ونحن في فجر تكويننا القومي.

فحبذا لو ان شركات الافلام المصرية انتبهت الى هذه القضايا الخطيرة وادركت التبعة الادبية الملقاة على عواتقها. حبذا لو انها اخرجت الافلام من صميم الحياة في بلدان الشرق العربي. بدلا من ان تمسخ الحياة الاجنبية، اذن لادت رسالتها الثقافية والوطنية واستحقت الشكر.

«مجلة السلوى الاميركية» البرازيل: **نظير زنتونه**

يا رجال الفن والموسيقى
دعونا من ذل الهوى وشكوى الغرام

●

عندما

توفي نلسن القائد البحري الانجليزي قام شاعر الانجليز الفنان دافيد جارك ينظم اغنية وفاة نلسن التي لحنها والقاها على الشعب المغني الشهير برهام وقد كانت هذه الاغنية اكبر

حافز لتتبع خطى نلسن والسير في طريقه نحو الفتح والنصر حتى ملكت انجلترا البحار السبعة !

وقام الشاعر الانجليزي شارلس ريدن ينظم عدداً كبيراً من الاغاني البحرية التي دفعت آلاف البحارين الانجليز الى البطولة البحرية في عصره .

وفي ابان الثورة الفرنسية قام روجيه دي ليل ينظم اغنية المارسيليز وهي الاغنية الوحيدة التي نظمها ولحنها في حياته وطردته الحكومة من اجلها وقد تغني بها الشعب في طريقه الى باريس ظافراً منصورا، ومما قاله احد القواد عنها : ان هذا النشيد كان يعادل وحده اضافة آلاف الجنود الى الجيش .

اما الاغاني والاناشيد الوطنية في مصر فلم يكن لها مقام الا عند قيام الحركة الوطنية والفضل للمرحوم الشيخ سيد درويش الذي قام بتلحين بعضها تلحيناً قوياً كنشيد الجنود الذي وضعه الاستاذ الكبير عباس علام في رواية عبد الرحمن الناصر .

ونشيد انا المصري الذي وضعه الاستاذ بيرم التونسي لرواية شهر زاد وغير ذلك من المناوجات والاناشيد الوطنية المعروفة .

واليوم هل اعد رجال الفن والموسيقى من الاناشيد الوطنية ما يضاف الى الذخيرة التي نعدها لرفعة الوطن ومجده . . كلا .

الامم كلها تعمل جاهدة للذود عن كيانها . ومطلوب من المصريين ان يستعدوا للدفاع عن بلادهم وان يضحوا بكل ما يملكون في سبيل وطنهم .

فهل رأينا موسيقياً مصرياً اوحت اليه هذه الحالة ، او حركته النخوة فقام بعمل انشودة ولحن حماسي يثير في كل مصري ان يستعذب التضحية في سبيل وطنه . . . كلا ! فالاغاني ما زالت تردد شكوى الحب وألم الهجر والجفا .

والصالات والملاهي ما زالت محتفظة ببرامجها الهزلية . كأن حالة الحرب التي مرت بنا لم تكن كافية ليحل الجد مكان الهزل .

فمتى يكون ذلك اذن ؟

نريد اناشيد وطنية تشعل الحماسة وتغرس القوة وحب الوطن في قلوب المصريين .

نريد اغاني تشجيع الذود عن حياض الوطن والتضحية في سبيله يا رجال الفن والموسيقى .

دعونا من ذل الهوى وشكوى الغرام واتجهوا بفنكم نحو القوة والمجد .

« جريدة الاساس المصرية »

الفلكي

« بقية المنشور في صفحة ٨ »

كيف ادخلها الزمن في حسابه . ولكنها تعرف كيف انها جاهدت نفسها جهاداً مراً ، او كيف جاهدتها نفسها المنكسرة جهاداً امر، حتى فتحت عينيها ونظرت اليه وجلة وقالت مرتاعة متقطعة الانفاس كمن يمهل قاتله لحظات ليقول له شيئاً وتمتمت .

— ماذا القيت اليهم . ؟ !

فقال وهو يقترب منها يهدىء من روعها .

— الشيء الذي كانوا ينتظرونه !

— ولكنك .

فلم يجعلها تتم لانه قال .

— ولكني اعرف .

فجحظت عيناها وقالت وهي تذهب وتريح بيديها الدموع التي تجمعت على شفتيها .

— اتعرف انني . . انني امرأة ؟ . — اعرف !

— وشرفك ؟

— انه مصون . . وانك له خير حافظة .

فقالت وهي تهزه من كتفيه هزاً عنيفاً لعله يستيقظ .

— والاناء الذي تلوث .

— لقد طهرته — سبع حجج — وتمتمت شفتاه «الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم » .

فارتمت عند قدميه وقالت وهي تمسح على حذائه بلسانها وشفتيها .

— والكلب الذي ولغ فيه ؟ .

فقال في صوت خفيض وهو ينهضها ويربت على كتفيها في حنان جم وعطف كبير .

— ليغفر له الله ، ولي ايضاً ان كنت من المعتدين .

قال ذلك ثم تركها وانصرف على ان يعود ولكن مع الصبح .

***

شيء واحد هو الذي رد اليها حياتها ، واتم عليها نعمتها ، وجعلها لا ترضى بغير دنياها بديلاً ، تلك هي — هدية العمر — التي قدمها اليها الزوج في الصباح ، عندما فتح عليها غرفتها وقال ، وهو يقدم لها طفلاً ذليلاً في السابعة من عمره ، عاري الرأس حافي القدمين ، ممزق الثياب .

— الست معي في ان الواجب يحتم علينا ، ان نتكفل بهذا « الصبي » الذي وارينا « والده » التراب منذ يومين .

القاهرة **امين يوسف غراب**

أنباء العالم في شهر

٢٣ نوفمبر « تشرين الثاني » – قررت نقابة الصحفيين في مصر مبدئياً اعلان الاضراب احتجاجاً على استمرار العمل بالاحكام العرفية

٢٤ – طلبت الحكومة التركية رفع الحصانة البرلمانية عن النائب رشاد ايدنلي لمحاكمته بتهمة الطعن بالنواب الذين اتهموه بالتآمر لقلب الحكم .

٢٥ – تكلم فيشنسكي وزير خارجية السوفيت في هيئة الامم فدافع عن وجهة نظر حكومته في المقترحات السلمية وقال ان السباق على حيازة البترول في العالم هو احد اسباب الحروب . وقد رد عليه المستر ماكينل قائلاً ان الوفد الانجليزي ووفود دول عديدة ليست مقتنعة بحسن نية الاتحاد السوفياتي .

٢٦ – ينص الدستور الجديد لجمهورية الهند المستقلة على ان الهند تبقى داخل حظيرة الكومنولث ، ويطلق عليها اسم الهندوبارات ويكون لها لغتان وطنيتان الانكليزية والهندوسية . والدستور يلغي جميع الفروقات في الدين والجنس والمذهب .

٢٨ – صرح المستر جونسون وزير الدفاع الاميركي بان القوات الاميركية ستبقى في المانيا واكد انه ليست هناك اية نية لانشاء قوات المانية مسلحة .

٢٩ – اخى الدبلوماسيون الاميركيون ومساعدوهم في الشرق الاوسط مؤتمرهم الذي عقد في اسطنبول ودام خمسة ايام .

٣٠ – سقطت مدينة تشونكنغ العاصمة الثالثة للوطنيين الصينيين في ايدي القوات الشيوعية دون قتال

– اعلن ناظر الدفاع الاميركي ان على اميركا ان تستعد للمحافظة على السلام منذ الساعة الرابعة من صباح غد وان كان احتمال وقوع الحرب قد تضاءل .

اول ديسمبر « كانون الاول » – اعلنت اوساط وزارة الخارجية البريطانية بانه لاعلم لديها بوجود مشروع سلم سوفياتي ينص على تحديد مناطق النفوذ السوفياتي والانجلوسكسوني في اوروبا واعلان حياد المانيا .

٣ – كلفت مصر سفيرها في لندن ان يستوضح وزارة الخارجية البريطانية عن التصريح الذي ادلى به وزير الحربية عند مروره بالمقر البريطاني بقنال السويس والذي قال فيه ان بريطانيا لا تعتزم الجلاء قريباً .

٥ – عاد الماريشال كاي شك الى ادارة الحكومة الوطنية الصينية .

٦ – بمناسبة اجتماع مجلس اوروبا قرر وزير خارجية تركيا واليونان انشاء لجنة مختلطة مؤلفة من رجال البرلمان والوزراء القدماء لدراسة قضية التقريب بين الشعبين .

٧ – اعلن ان الولايات المتحدة تقدمت الى الحكومة المصرية بمشروع لعقد معاهدة صداقة وتجارة وملاحة على غرار المشروع الذي تقدمت به الى حكومتي لبنان وسوريا .

– صرح فيشنسكي قبل مغادرته نيويورك الى موسكو بان قضية السلم قد منيت بفشل خطير في دورة الجمعية العمومية للامم المتحدة والنتائج غير مرضية .

٨ – وافقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على قرار يدعو جميع الدول الى احترام استقلال الصين السياسي ووحدتها الاقليمية وقررت احالة الشكوى الصينية على الاتحاد السوفياتي الى اللجنة المؤقتة

٩ اعتقل البوليس الالماني في منطقة الاحتلال السوفياتية سبعة عشر عضواً من اعضاء البعثة العسكرية اليوغسلافية وعائلات مرظفي القنصلية .

١٠ – وافقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على تدويل القدس تدويلاً تاماً وكان الفضل في ذلك لائتلاف الكتل السوفياتية والعربية واللاتينية الاميركية .

– الف السيد علي جودة الايوبي الوزارة العراقية .

١٣ – اشعرت الولايات المتحدة حكومتي شرق الاردن واسرائيل ان عليهما ان تتجنبا القيام باي عمل خطير من شأنه عرقلة مشروع تدويل القدس .

– اعلنت اسرائيل مدينة القدس عاصمتها الوطنية واعلن بن غوريون امام البرلمان ان الحكومة ستنقل دوائرها الى القدس .

١٤ – انتخبت الجمعية التأسيسية السورية هاشم الاتاسي رئيساً للدولة لمدة ثلاثة اشهر المدة المحدودة لوضع الدستور الجديد .

– حكمت محكمة الشعب في بلغاريا على المتهمين بالتجسس لحساب الدول الاجنبية بالاعدام على كوستوف نائب رئيس الوزارة السابق وبالسجن المؤبد على رفاقه الخمسة وهم وزيران وثلاثة مدراء .

١٥ – اعلنت صحيفة الديلي ميرور ان بريطانيا تملك الاسلحة الذرية منذ سنتين وقد تجري تجربتها في احدى المناطق السرية باستراليا .

– وقعت اميركا والمانيا الغربية ميثاقاً ينتهي اجله في يونيو ١٩٥٣ حول مشروع مارشال تتعهد فيه المانيا بان تتعاون مع دول اوروبا الغربية مقابل مساعدة الولايات المتحدة لها .

١٦ – سافر الهر وياهم بك رئيس دولة المانيا الشرقية الى موسكو يصحبه اربعة من وزرائه لكي يشتركوا في مهرجان الذكرى السبعين لميلاد ستالين .

١٧ – صرح المارشال باباغوس رئيس اركان حرب الجيش اليوناني بان الخطر عن اليونان لم يذهب فهناك ١٢ الف ثائر يوناني لجأوا الى البلدان المجاورة .

١٩ – قام العقيد اديب الشيشكلي بانقلاب عسكري جزئي بسوريا اسفر عن تنحية قائد الجيش اللواء سامي الحناوي الذي قام بالانقلاب السابق ، والتهمة الموجهة الى الحناوي العمل ضد الكيان السوري الحالي .

٢٠ – صدر بيان رسمي في وشنطن ولندن واتاوا يعلن بلوغ اتفاق ثلاثي بين الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا حول تنسيق نماذج الاسلحة واساليب التدريب الفني العسكري فيما بينها .

٢١ – اصدرت المحكمة العسكرية البريطانية في هامبورغ حكمها بسجن الماريشال فون مانشتاين ١٨ عاماً وهو الذي كان قائدا عاماً للقوات الالمانية في الجبهة السوفياتية الجنوبية في الحرب الماضية .

٢٢ – احتج وزير خارجية بلغاريا لدى الامين العام لهيئة الامم على خرق القوات اليونانية للحدود البلغارية .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨

العربي الجديد

عالمنا

العربي ، هذه البقعة التي اقعدتها ضروب من الامراض المميتة ، كان ، مذ انعتق من ربقة الرجل المريض ، ولا يزال ، يئن الآن في قبضة اكثر من رجل مريض ، يتعثر كثيراً ، ويكبو كثيراً ، ليغفو على رغام ذله ، عبوديته ، حيناً ، يطول او يقصر ، ليستيقظ على جراح صريحة تمتد من وراء آفاقه ، ثم يروح ينقل خطاه النهكة التعبة ، بطيئاً ، حذراً ، وجلاً . .

خرج المجتمع العربي بالامس من حلكة أسدلت على منافذ نموه ، وحسه ، وعقله ، استاراً تمسك بتلابيب استار ، ثم اطل فجأة ، من نافذته الخشبية المزركشة ، على وهج خاطف تتراقص على رؤى وميضه عوالم جديدة غريبة عن عينيه الغارقتين في لجة النوم والخمول .

وانغمر في الحياة الجديدة ، او هي التي غمرته ، وهو يحمل في لبه ، في كل نبضة من نبضاته ، وفي كل خلية من خلاياه ، كثيراً من رواسب الظلمة ، وكثيراً من جذور العلل والاسقام .

ولعل اخطر آثار تلك الحقبة السوداء ، ذلك الفقر المزمن الذي ايبس فيه كل مهاميز التقدم والنماء ، واخمد كل حوافز الامل والرجاء أعني الفقر في الوعي الاجتماعي . . ذلك الفقر الذي ظهر على ابشع صور البشاعة في غمرة النكبة الذليلة . . نكبة فلسطين !

نحن الآن ، والعالم العربي يرتعد في اعماقه مرجل من الثأر ، نعاني هذا الداء ، وتتعثر به اقدامنا كلما حاولنا ان نخطو خطوة في مدارج التحول والتطور .

نحن انانيون . حياتنا الاجتماعية والادبية ، وكفاحنا السياسي والاقتصادي ، نسيج مسعور من الانانية الكافرة العمياء !

وهذه الملايين التائهة في الرقعة العربية تدور في فوضى غامرة ، مجنونة ، في حلقات جوفاء معتمة تضج فيها الغرائز الانانية الشرهة بالصخب الكريه والصراخ الممجوج !

وداء الانانية ، يحتاج الى تربية جديدة ، وتضحيات كثيرة . . يحتاج الى جهود جبارة تزحزح اصنام « الفردية » عن عروشها النخرة . . فالعالم العربي ، اليوم ، يفتقر ، من اجل استمرار انفاسه ، استمرار بقائه ، الى الفرد الذي يبذل من ذاته داغاً ، لتفيض خيراً مثمراً على الجميع ، انه يفتقر الى الفرد الذي يعطي الانبياء ، من فكره ، ومن حسه ، ومن نفسه ، ومن ماله ، ويبذل ما يعطيه ، وملء صدره ايمان زاخر عميق ، بانه يؤدي بعض ما عليه لابناء يومه ، وابناء غده .

نحن الآن ، في غمرة المصائب والنكبات ، نحتاج لفرد يحس من سويداء قلبه ان مصيره ، جميع مصيره ، يتصل ، اتصال حياة الجرعم بحياة الغصن ، بمصير المجتمع ، بمصير الامة !

وما لم يوجد هذا الفرد الجديد . . فسنبقى كمّاً مهملاً . . اصفاراً تدور في بلادة وغباوة الى جانب اصفار وسبعون مليوناً من الاصفار ، لا تزيد ، في قواعد الحساب ، على صفر ضئيل !

بغداد — سوسن عبدالله

سقراط

بقلم قدري قلعجي

لم يكن سقراط ممثلاً لتيار التقدم في عصره ، بل كان بمجموع آرائه بالنسبة للمرحلة التي عاش فيها ، انتكاساً في سيرة الفكر البشري وتطور البحث العلمي ، ولكن ميتته المشرفة في سبيل مبادئه جعلت منه بطلاً خالداً ورمزاً للاستشهاد في سبيل الحرية الفكرية ، لا سيما وانه لم يحاكم ويعدم من اجل آرائه العلمية والسياسية بل من اجل عقيدته الدينية المتحررة بعض الشيء ،ولا يزال دفاعه عن نفسه اثراً عظيما ووثيقة مجيدة في الدفاع عن حرية الفكر .

ولد ارسطو سنة ٤٧١ قبل الميلاد ، والاغريق في اوج حضارتهم . وكانت هذه الحضارة قد تميزت منذ البدء بالنزعة العلمية ،فبينما كان المصريون والكلدانيون يفسرون الظواهر الطبيعية تفسيراً دينياً مقتنعين ومكتفين بهذا التفسير الغيبي ، حاول الاغريق ان يفسروها تفسيراً علمياً .

وليس يعني ذلك ان المصريين والكلدانيين كانوا صفراً في العلم ولم يكتشفوا شيئاً من اسرار الطبيعة وقوانينها ، ولكنه يعني ان علومهم كانت مجموعات من المعارف لا خطة لها ولا غاية، وليس ثمة نظريات تصدر عنها ، اما الاغريق فقد وضعوا النظريات العلمية التي هي حجر الاساس في العلم الصحيح .

☆☆☆

وسبب ذلك ان الاغريق لم يكونوا يؤمنون بالٰه واحد محيط بكل شيء قادر على كل شيء ، بل كانوا يؤمنون بآلهة متعددة لها الكثير من صفات البشر ، فهي تحب وتبغض ، وتنتصر وتخفق ، وتصيب وتخطيء . . ومن هنا اجترأوا على البحث في كل شيء ؛ وحاولوا اكتناه الاسرار التي اعتقد الآخرون بانها اسرار مقدسة محرمة ، وشك بعضهم في ما ينسب للآلهة من قوى خارقة ، وانكروا الاوهام الدينية الشائعة .

ولا ريب في ان المفكرين منهم كانوا يصطدمون احياناً بالعرف السائد ، ويتعرضون للظلم والاضطهاد ،ولكن ماعانوه من ذلك لا يكاد يذكر بالنسبة لما كابده مفكرو الامم الاخرى . . فالى جانب اناغزاغوراس الذي سجن في اثينا ثم نفي الى آسيا الوسطى لانه قال ان الشمس قطعة من نار وليست مركبة للآلهة، وبروتا غوراس الذى حوكم لانه كفر بالآلهة وقال ان كل شيء في العالم يجب انينظر اليه من ناحية علاقته بالانسان، وان العمر اقصر من ان نقضيه في البحث في ما يسعد الانسان . . الى جانب هذين وغيرهما من المفكرين القلائل الذين اضطهدوا في سبيل عقائدهم، نجد في تاريخ الاغريق الكثيرين من امثال ديمقريطس الذي قال بالاستغناء عن الآلهة في تفسير الكون ، ورد العناصر كلها الى ذرات ، وقال ان كل شيء ينمو ثم يعتريه الفساد ، دون انيلاقي مقاومة او يتعرض لاضطهاد .

وحين ولد سقراط في اوائل القرن الخامس قبل الميلاد كان المجتمع الاثيني متطوراً مزدهراً ، وكانت الوثنية قوية مقدسة ، وكان الصراع على اشده بين الديموقراطيين والارستوقراطيين ، فأخذ يحارب كل ما يسود مجتمعه من عقائد ، منكراً من الناحيةالدينية تعدد الآلهة مؤمناً بالٰه واحد ، وبان هذا الالٰه لا يتدخل في حياة الناس فمصير هؤلاء في ايديهم لا في ايدي قوى مجهولة ، قائلاً من الناحية العلمية ان العلوم ليست الامعارف وهمية ، وانهااذااستغرقت نشاط الانسان اضرت به ، وان فكر الانسان يجب ان لا يشغله الا ما يؤدي الى توطيد مبادىء الاخلاق وتطبيقها في كل مظهر من مظاهر الحياة الخاصة والعامة . وقد وضع مبادىء اخلاقية مثالية سبق بها مبادىء المسيحية ، فقال ان الحرية الحقيقية هي في الاستقلال التام عن الاهواء والشهوات، وان الرجل الفاضل هو الذي يتحرر من كل اثرة وانانية ، وان الانسان السعيد ليس من يملك السلطة والعبيد والارزاق ويتحكم بالناس ويعمل كل ما يريد ، وان المظلوم لا يستحق الشفقة بقدر ما يستحقها الظالم، وان المظلوم لا يستحق الشفقة بقدر ما يستحقها الظالم ، وان من يعاقب على هفوة قد ارتكبها اسعد ممن يتحاشى هذا العقاب ، وانه لا سعادة ولا حرية خارج قوانين العدالة الخالدة ، وان اساس المعرفة هو معرفة النفس .

اما من الناحية السياسية فكان سقراط عدواً للديموقراطيين والارستوقراطيين على السواء، يقاوم التطرف ويدعو الى الاعتدال ، وربما كان مرجع ذلك الى انه من ابناء الطبقة الوسطى، فلاهو من الاشراف ولا هو من عامة الشعب.

كانت امه قابلة وكان ابوه نحاتاً يصنع التماثيل للاحياء والاموات ، ولم يشأ الفتى ان ينهج نهج ابيه ويرث عنه حرفته،بل شغف منذ صغره بالاختلاف الى المجالس العامة والاستماع الى خطباء

اتينا من قضاة وسياسيين وشعراء وفلاسفة، ثم عكف على المطالعة والدراسة زمناً غير قصير ، وخرج من ذلك كله بمبادئه الاصلاحية وتعاليمه الجديدة ، واخذ يدعو اليها ويبشر بها، فأحبه الكثيرون لفضيلته وتواضعه وزهده ، وكان يخرج إلى الشارع او الى السوق فيتوقف كل من يقابله، صغيراً كان او كبيراً، جاهلاً او مثقفاً، رجلاً او امرأة، ويلقي عليه اسئلته، ويحاوره ببلاغة تزينها الدعابة والفكاهة والتهذيب ، فيغزو بذلك قلوبهم ويكتسب المريدين والانصار.

وكان وطنياً يتحمس لبلاده كلما وقف العدو على ابوابها ، قائلاً ان محاربة اعداء الوطن نوع من العفة المطاوبة ، وان ليس من الظلم في شيء ان ينزل القائد الشر باعدائه ، كما كان متديناً يرى ان في العقائد الدينية دعامة ضرورية للاخلاق، وان السعي الى اصلاح هذه العقائد وتنقيتها من الاوهام اجدى وانفع من السعي الى تحطيمها ، فالتف حوله المتدينون الناقمون على الفلاسفة الآخرين الذين كانوا يشككون الناس في قيمة العقائد الدينية ، وانتخب عضواً في مجلس الشورى ، واخذ يعمل لتحقيق مثله العليا، واصطدم من جراء ذلك بالفلاسفة الطبيعيين ، وبينما كان هؤلاء يرون فيه عقبة تعترض سبيل التطور، كان المتدينون يعتقدون بانه احكم رجل في اثينا ، وقد استفتوا الآلهة في ذلك فقالت انهم على صواب !

وازدادت شخصية سقراط بذلك قوة ونفوذاً ، وغدا اشبه بمدرسة متنقلة ، فهو يؤم كل مكان يغشاه الشباب، ويستدرجهم الى تلك المحاورات التي اشتهرت عنه والتي ابتدع بها طريقة جديدة في التعليم الفلسفي هي ميزته الاولى، او الوحيدة ، في عالم الفلسفة . فهو يعترض الشاب ويفاجئه بعدد من الاسئلة ، ثم يحاوره فيها ويناقشه ، محاورة ونقاشاً ظاهرهما الفكاهة والدعابة ، وباطنهما الجد العميق .

وكان من مبادىء سقراط الاخلاقية مقاومة الظلم ، وكان الظلم قد تفاقم في عهد « الطغاة الثلاثين » فقال معرضاً بهم في احد المجالس العامة : « اذا كان راعي البقر تنقص عدة بقره كل يوم ، ثم يغادر البقية الباقية نحيفة مهزولة، فمن اعجب العجب ان لا يعترف امام الناس بانه لا يصلح لرعايتها » فغضب الطغاة ووضعوا قانوناً يمنع المحاورات في اثينا ، وادرك سقراط انه المقصود بهذا القانون ، فذهب الى بعض واضعيه وقال لهم انه ليس بالمعلم وانما هو طالب علم ومعرفة ، فاجابوه انه منهي عن مخاطبة الشباب ، فقال معرضاً بعهدهم الظالم : « اذا سألني سائل ما هي الشفقة وما هو الانصاف فهل اجيبه ام لا ؟ » فقالوا معرضين بتطاوله عليهم : « نعم .. عليك ان تجيبه عن ذلك وعن رعاء البقر ايضاً .. واحذر يا سقراط من ان ينقص عدد البقر ! » ثم صرفوه منذرين اياه بعدم التعرض لهم مرة اخرى.

وأغري به الشاعر ارستوفان فأخذ يعرض به في مسرحياته ، سالكاً اياه في عداد الفلاسفة السفسطائيين، ساخراً بمبادئه، منتقصاً من قدره ، ناعتاً اياه بالفساد والنفاق ، والظهور بين الناس على غير حقيقته ، فانفض عنه عدد كبير من الجمهور الذي كان يحبه ، واخذوا يضحكون منه ويستهزئون به ويرون عنه اشتات الاقاصيص .. فلما انتصرت الديموقراطية ، وانهزم الاشراف امام ثورة الشعب ، ونفي الطغاة الثلاثون ، لم يبق لسقراط نصير ، لانه كان خصم المبادىء السياسية والفلسفية التي فازت وسادت .

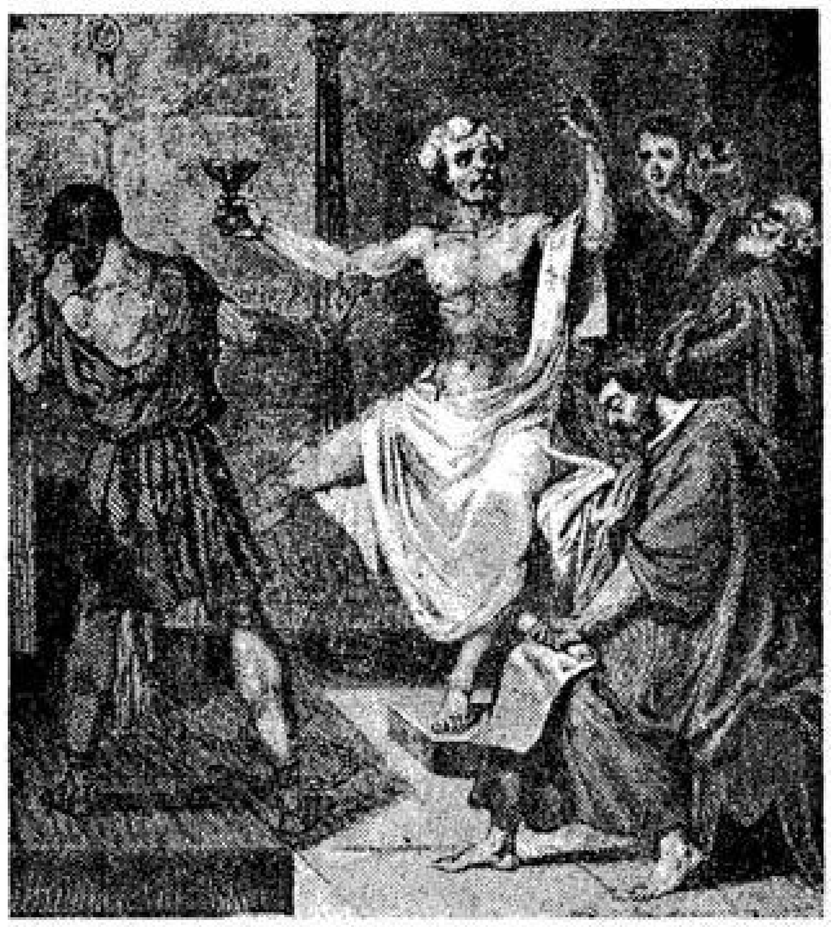
وحينئذ تقدم اثنان من سكان اثينا الذين تداولوا تلك القصص الهزلية عن سقراط، وطلبا محاكمته لانه كافر بالآلهة الاثينية مؤمن بآلهة غرباء ، فوقف امام القضاء موقف المفكر الشجاع ، فلم ينكر مبادئه وانما اخذ يتهكم على القضاة ويستهزىء بهم ، موغراً صدرهم عليه ، حاملاً اياهم على تشديد العقاب .

وكان سقراط يعلم انه لن يعامل بتسامح، كما كان في وسعه الهرب بعد ان صدر حكم القضاء ، ولكنه اراد ان يضرب للناس مثلاً على تحمل التبعات ، ومواجهة الموت في سبيل العقيدة بلا خوف ولا اضطراب.

وقال سقراط لقضاته : « ليس على الارض انسان له الحق في ان يملي على غيره ما يجب ان يؤمن به ، وان يحرمه حق التفكير بنفسه » وقال ايضاً : « ما دام الانسان مطمئناً من ضميره فانه يستطيع ان يستغني عن رضا اصدقائه ، وان يستغني عن المال والعائلة والمنزل. ولكن ما دام كل انسان لا يستطيع ان يتوصل الى النتائج الصحيحة الا اذا درس كل مسألة وفحص مالها وما عليها فحصاً

- البقية في صفحة ٦٧ -

سقراط يشرب السم



قصة امرأة او غرام موسيه وصاند

بقلم الأديب الفرنسي اندره موروا
عضو الاكاديمي الفرنسية

في غرفة من مسكن متواضع صغير ، قائم في ساحة « مالاكيه » ، جلست امرأة شابة ، نزعت الايام والتجارب الغشاوة عن عينيها ، فوعت ويئست وتألمت انها فشلت في الزواج ، والمغامرة ؛ وها هي الآن تحاول بث لواعجها وآلامها وثورتها في قصة طويلة تضعها وهذه القصة ممتهـا « انديانا » ونشرتها فيما بعد وحازت الاعجـاب . ولكن لا تتصورها ، ناحبة باكية ، فانها كانت تتمتع بقدر من قوة الطبع ومضاء العزيمة يمنعها من الاسترسال الطويل في البكاء ، واقنعت نفسها بانها لم تحسن الاختيار ، وبان عليها البحث عن حبيب مثالي رقيق ، ينسى في سبيل مرضاتها ، ما غلب على الرجال من قسوة وخشونة . وكانت تحلم بان تجده . فسيدلها عليه ضميرها ، الجانب الانساني المتصل بالله ، وتقودها اليه نوازعها الخفيـة . انها تبحث عنه ، وتجيل حولها انظاراً فاحصة ، في الرجال الملهمين الذين يتحلقون حولهـا وهي تتطلع الى هؤلاء الرجال كما يتطلع السلطان الى جواريه ، باحثاً عن اجملهن واصلحهن .

وكان « سانت بيف » مغرماً بمعرفة اسرار النساء ، فضولياً يتصل فضوله بما يطمح اليه من تعمق النفس الانسانية . وهكذا اتصل (بجورج صاند) ، وعرف دخيلة نفسها وانها تبحث عن صديق يعينها على اجتياز محنتها القاسية . وما كان في طاقته ان يعرض صداقته اذ كان متصلاً « بأديل هيجو » (زوجة فيكتور هيجو) ففكر بصديقه الفيلسوف (جوفروا) . وكان هذا استاذاً رزيناً ، ذا عينين زرقاوين ، يحتفظ بطابع ريفي ساذج يحببه الى النساء ، ولكنه لم يحز رضا (اورور) . وفي هذه الايام شغفت (بميريميه) ولكن علاقتها كانت في عمر الورود . . وفي هذا قالت جورج صاند لصديقها سانت بيف :

«لقد سحرني وبهرني ميريميه بقوة عقله وسداد تفكيره فخلتني اكون سعيدة معه . وخلته يعرف سر السعادة ، وانني سأتعلمه منه ؛ ولكن تجربتي قادتني الى الخيبة المريرة ، فبكيت من العذاب ، ومن القرف ، من اليأس . !! . ولو فهمني بروسبر ميريميه لاحبني . ولو احبني لوجدني طائعة مختارة ولو اطعت رجلاً ، لكان في هذا الخلاص لي» .

والحقيقة انها كانت اقوى من ان تطيع . وكان سانت بيف يجهل هذه الناحية من نفسها . فعرفها بالفريد دى موسيه ، وكان شاباً ، خارق الجمال ، اشقر شاحباً ، شديد الشبه بآلهة اليونان وهو في الثالثة والعشرين من العمر ، ويصغر جورج صاند بستة اعوام : وكان سانت بيف شديد الاعجـاب بالفريد ، لان موسيه كان الشخصية التي يحب سانت بيف ان يكونها هو . ويقول سانت بيف (صديقي الشاب هذا — موسيه — يمثل الربيع . . ربيـع الشعر ، يتفتح تحت اعيننا . ولا شيء يعطي فكرة عن النبـوغ الناشيء المتحفز كصورة موسيه الشاب) .

والحقيقة ان موسيه يأثر بايرون في التفكير والمظهر فكان يلبس معطفاً ذا ياقة مخملية عـالية طويلة . تتصل بوسط الجسم ، وقبعة عالية وعقدة رقبة كبيرة . اما السراويل فزرقاء محاوية ، كسراويل الركوب . فكانت هذه الملابس تلفت اليه الانظار .

ولم تصر جورج صاند كثيراً على التعرف الى موسيه ، رغم ما يتحلى به من جمال وادب لان الوسط الادبي كان يسلقه بالسنة حداد ، ويروي عنه الكثير من القصص المشينة : اما من الناحية الادبية فكان في طريقه الى الشهرة الواسعة . اذ نشر بعض اشعاره الرائعة وتبنته في العاصمة الفرنسية ، الصالونات الاوربية الكبرى ، ونوادي التعارف كالسينكل Cénacle والارسنيال Arsénal . ولكن الشاب الموهوب الساخر يضحك من مجده ويسخر من رفاقه ، ويلمز هذا ويجسم عيوب ذاك ، انه شاب مرح ، دلته النساء المعجبات ، وكن يجدن فيه مثلهن الاعلى وها هو يرافقهن الى المسارح والحفـلات الراقصة ، تاركاً الاجتماعات الادبية الشعرية ، فاذا اراد الانصراف الى الدرس والمطالعة ، عكف على اشعار بايرون وملاحمه الطوال .

وعرف موسيه اللذة في الحب ولكنه لم يجد السعادة ، فتحول ، بحماسة ابداعية متحررة ، ونشوة فيها ما فيها من الحنق والثورة ، الى الخمرة ، والافيون ، والنساء وانصرف متأثراً خطى بيرون ، الى الغراميات ، والمجون واعترف المرأة الجميلة بدورها القديم وسحرها الذي ينسيه سلطة المجتمع .

والى جانب صفاته هذه الخليعة المتحررة ، كانت له صفات ثانية ، اهدأ والطف وأحب . فهو لم يتخل عن طباع النديم الرقيق ومن احتكاك هاتين الطبيعتين (الطبيعة اللاهية السادرة ، والطبيعة الرقيقة الجميلة) نشأت شاعرية موسيه . فالفنان لا يتخلى ابداً عن مقومات عبقريته ، وموسيه كان يعرف جمال هذا التنافر والنشاز

السفوني ، وانه اجمل ما في شعره من صفات فراح يعمق جنونه ويداريه . وكان في مبدأه يتصنع المجون وينهز اليه فأدى هذا الى مرض اعصابه ، وقلة نتاجه الشعري ، وخلو جيبه .

وفي سهرة من سهرات (مجلة العالمين) Revue de Deux Mondes جاور الفريد دى موسيه ، صدفة ، جورج صـاند . ولم تجد فيه الكاتبة الشابة ما زعموا من صفاته . بل وجدت طيبـة وطفولة محببتين . والى جانب هذا ، فان موسيه لمع في تلك السهرة ، وحمل شيئاً من المتعة والسعادة الى قلب هذه اليائسة ذات العينين الساهمتين فابتسمت . وكانت في حاجة الى الابتسامة ، وكاد الفريد يجعل جورج هدفاً لنكاته ، حين لاحظ ان جارته الجميلة تتمنطق بخنجر صغير ، ولكن منعه من ذلك عيناها السوداوان ، الواسعتان ، ولون بشرتها الزيتوني المشرب بلون الخمرة ، تلتمع فيه اضواء نحاسية . اما موسيه فقد كان يشتهي في تلك الايام ، كما يظهر من قصائده حبيبة (اندلسية . . ذات صدر لفتحه ممرة الشموس) . وانه يحب (صدراً بكراً . . مذهباً كعناقيد ايلول) .

فلا بدع اذا احب جورج صاند من اول نظرة .

وحين عاد موسيه الى غرفته ، قرأ أنديانا القصة التي وضعتها جورج صند . وكتب عند فراغه منها رسالة يلوح فيها الاحترام واضحاً . وفي حاشيتها قصيدة عنوانها (بعد قراءة انديانا) ومنها هذه الابيات :

صاند ، ايتها الملهمة ، اين رأيت هذا المشهد ، لتصفيه ؟ !!
هذا المشهد الهائل ، حيث « نون » . . شبه عارية . .
على سرير أنديانا . . تشارب ريون حتى الثالة . .
هذه الصفحة الملتهبة ، المحرقة ، من املاها عليك ؟ !
هذه الصفحة التي تصور الحب الشقي الحزين
باحثاً - عبثاً - عن سراب آماله ، واشباح احلامه . .
ويرجع الى شفتيه ، كأسه ، بيده المرتعشة . .
فهل في قلبك تجربة سوداء كهذه ، وهل عصف به الحزن ؟
وما احسه « ريون » ، ذات يوم ، اهو في ذكرياتك ؟ ؟
وهذه المشاعر النابعة من العذاب الغامض . .
وهذه اللذات الضاربة في متاهات النفس دون سعادة ،
والهائمة ابداً ، كالسفن المهشمة ، في بحار من الفراغ
اهي احلام . . يا « أورور » . . ام ذكريات . .

وفي هذه القصيدة اتخذ الشاعر مع جورج صاند صيغة المخاطب المفرد فضلاً عما في القصيدة من عطف ومواساة .

وتقابل الاديبان الشابان . . وكانت جورج صند مرحة ، بما نقل الفرد الى نفسها من السعادة والحبور . . وتعددت المقابلات والنزهات . . وراح الشاعر وصاحبته يضمان المشاريع للمستقبل الجميل . . ومن هذه المشاريع السفر الى ايطاليا .

وفي هذه الآونة كتب اليها قائلاً (انا لا اطلب منك غير صداقة) وحين يقول الرجل المرأة هذا القول . . يكون تصريحه لها بالحب قريباً .

وهذا ما حدث فعلاً في التاسع والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٣ اذ كتب اليها موسيه رسالة بعد نزهة خلوية (مرحة كالعادة) . واليك بعض ما جاء في هذه الرسالة :

« عزيزتي جورج . .

عندي شيء سخيف ومضحك . . اريد ان اقوله لك . . وستضحكين مني . . بل قد تطردينني . . انا أحبك . . احبك منذ الليلة الاولى التي زرتك فيها . . وستقولين الآن : « وهذا رجـل آخر يبعث السأم في نفسي » . !! وهذا صحيح . . ولكنني اتألم في الحقيقة . . والقوة تخونني . فلا استطيع الكتمان . . »



الفريد دي موسيه

وترددت جورج صاند . ولم تقبـل هذا التصريح في بادىء الامر وهذا امر مهم في سيرتها : لان اكثر الذين كتبوا سيرتهـا ، اعطوها صورة المرأة المتنمرة الباحثة دوماً عن الدماء واللحوم . . وقد ظلموها .

فانها كانت تحب اللهو مع شاب كموسيه ، تعجب بنبوغه وجماله ، ولكنها ترددت طويلاً في ذلك لما سمعت عن تقلبه وغرامياته الزاخرة بدموع النساء وحسراتهن . . وما دفعها الى التردد ، فوق هذا وذاك ، يقينها بان الفارق الكبير في السن ، والتجـارب والنظرة الى الحياة ، سيؤثر في طبيعة علاقتهما .

ولكن كيف استسلمت في النهاية ؟

الجواب في هذه الرسالة من جورج الى موسيه .

« لولا شبابك ودموعـك التي ارقتني ، لبقينا اختاً وأخاً » .

فهل دفعتها الرقة ، والشفقة والامـل ، والفضول ، الى الاستسلام ؟ ؟ لا يهم . . انها استسلمت وكفى .

وانتقل موسيه الى مسكنها . . في ساحة مالاكيه وعاش معها، فلم تكن جورج من النساء القانعات . . بـل هي تريد كل شيء كاملاً . . ولم يعرف التاريخ امرأة تحب الحياة البيتية بهذا المقدار ، مثل عدوة الزواج هذه .

يقول غوته « جميل ابتداء كل شيء . . فعلى العتبة يجب ان نقف دوماً » وهذا ينطبق على العلاقات بين الرجل والمرأة . فهما يتكاشفان ، ويعرض احدهما على الآخر ثروات نفسه وجمالاتها وهكذا مرت الاسابيع الاولى وكأنها قطع من النعيم المقيم .

وكتبت جورج صاند الى «معرفها» سانت بيف «أنا سعيدة . . الى ابعد حدود السعادة . . وكل يوم يمر . . يزيدني تعلقاً به ».

وكانت تقول دائماً « انه طفل . . طفل كبير موهوب » . .

ولعلك تذكر كلمتها الشهيرة :

(لم اعترف في حياتي الا بعاطفتين : عاطفة الامومة وعاطفة الصداقة) . . وفي علاقتها بالفريد دى موسيه ، وجدت متنفساً لهاتين العاطفتين معاً .

وكان بينهما اختلاف هين . فجورج صاند تستيقظ مبكرة لتكتب قصصها . . اما هو فيستغرق في النوم حتى الظهر . . فاذا نهض . . اخذت توجه اليه التعليمات التربوية . . كما كانت تفعل مع رفيقها «صاندو » وكان الفريد يحتج ضاحكاً :

— لقد عملت طيلة نهار امس ، نظمت عشرة ابيات في المساء . وتناولت ثلاث زجاجات من الشراب . . اما هي فشربت زجاجة من اللبن وكتبت نصف مجلد .

وراح بعد ايام يمحضها آيات الشكر وعرفان الجميل . اذ حالت دون ان تكون حياته ضرباً من الانتحار البطيء . . وكانت جورج من ناحيتها تعتز بانها ردت الى روح موسيه النبيلة عظمتها وحريتها .

ونصح اصدقاء موسيه له الحذر والاتزان في حبها . وكانوا يقولون له : اتذكر هذا الممر الخطر ، في نهر السين عند كيلبوف حيث يرى ، فوق الامواج ، الاعلام السوداء المنشورة على سواري السفن المحطمة الغرقى . وفي حياة هذه المرأة . . اعلام كثيرة . . وها انا بلغناك . . ولكنه لا ينثني عن حب صاند . . فهو رجل يبحث عن الخطر . . ويسلم قلبه لمن يعد بتمزيقه .

وفي يوم من ايام الخريف الجميلة ، دعا حبيبته الى رحلة الى غابات فونتنبلو وقضاء عدة ايام بين مرتفعات فرانشار وادغالها البديعة . فقبلت . وقد كانت تعشق مزج جمال الطبيعة وروعتها بنشوة الحب . وما كانت تخشى التعب ولا الليل ، بل ترافق موسيه ،



جورج صاند

●

بشباب الرجال ، « بخطوات راعشه ، فيها مزيج عذب من نعومة المرأة وعناد الاطفال . . وكانت تتقدم كالجندي . . وهي تغني بصوت يشق صدر الليل ».

وعند العودة من نزهة من نزهاتهما ، كانت تستند الى ذراع صديقها . . فيتناجيان ويتهامسان . وكانت هذه الرحلة سعيدة بمطلعها . . لان موسيه ، في اواخر ايامه ، كان يعود بالذكريات الى ايام فرانشار السعيدة وينشد القصائد الطوال بذكرى غادة فرانشار .

ولكن حادثة ليلية نجمت لتعكر على العاشقين صفاءهما : فقد ألمت بالفريد في ليلة من الليالي المقمرة ، نوبة من التصورات والرؤى المرعبة . . فقد رأى شبحاً شاحباً مروعاً يمر بين ادغال العوسج ، في المقبرة ، ممزق الثياب ، يتطاير شعره في الهواء . . «وعندها ارتعت . . لهول هذا المشهد . . وارتجفت . . وانكببت على وجهي في التراب . . لان هذا الشبح . . كان . . انا ».

وفي صبيحة اليوم التالي تشددت عزيمة موسيه فراح يضحك من الشبح . . ومن اوهام الليلة الماضية . . اما جورج صاند فلم تنس هذه الحادثة . . وعدتها من اسباب قلقها وبؤسها .

وقد حاول بعض الكتاب ان يؤكدوا ان جورج صاند بالغت في كتاباتها حول هذه المشاهد والنوبات التي كانت تلم بالفريد : بل نفاها بعضهم نفياً قاطعاً .

ولكن موسيه وصف هذه الرؤى في قصيدته «ليلة كانون الثاني» ولدينا شهادة أثبت من هذه واصدق . وتلك هي شهادة (لويز آلان) وهي ممثلة جميلة اصبحت بعد ستة عشر عاماً من علاقة صاند بموسيه

عشيقة الشاعر . فان وصفها لما عاناه موسيه من جزع وخشية، حين كانت تلم به تلك التصورات والرؤى المفزعة ، يتفق مع ما روته جورج صاند :

لقد احبت صاند في موسيه ضعفه الساحر . وضحت الكثير في سبيل هذا الحب .

وموسيه يشعر بضعفه ، ويقدر لصاند تضحياتها . وهو لا ينفك يشكر لها تضحياتها وتسامحها فاذا جمعتهما ساعة، حالمة ، صافية، راح الشاعر يفيض على حبيبته الجميلة المخلصة عواطف شكره وامتنانه. وما ان تلين له ، وتستكين الى رقته ووداعته ، وتنثني بقبلاته وهمساته، حتى ينقلب قاسياً شرساً ، يعذبها ، ويشاركها العذاب.

فهذا الشاعر العجيب، يهوى العذاب، ويجد فيه نوعاً من اللذة السامية. فالعذاب ، والسهر ، والبكاء ، تلهب روحه ، وتوقظ مكامن الشعر في نفسه ، وتفجر فيها ينابيع الالهام .

وفي هذا يقول :

احب .. وأهوى الشحوب ..
احب .. وأهوى الالم ..
احب .. وفي سيل قبلة ..
اهب نبوغي ، واعطي حياتي ..

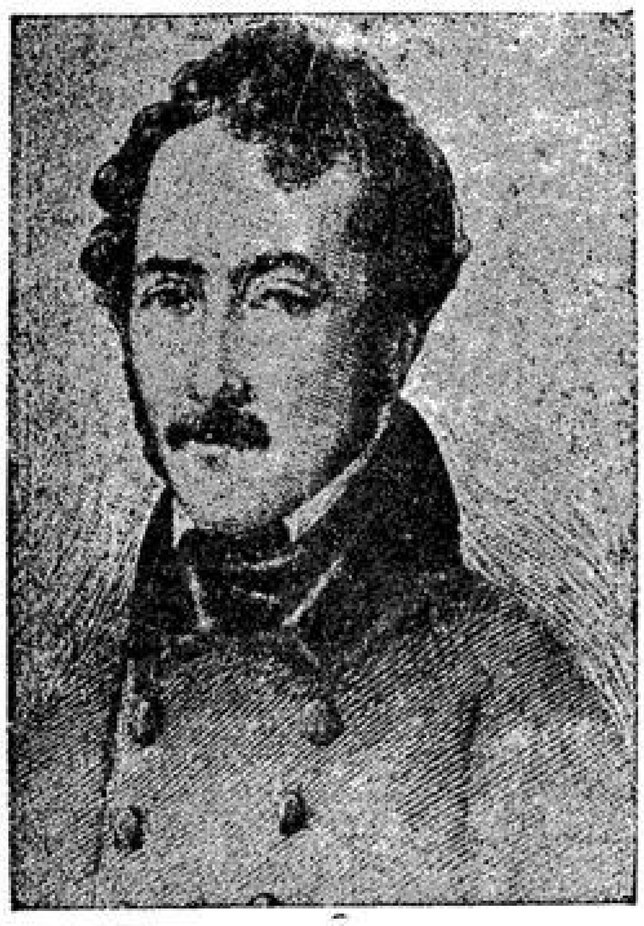
اما هي فكانت تسميه طفلها وتدعوه يا طفلي الحبيب وكأنها كانت هي الرجل ؛ في هذه العلاقة ، دون ان تتمتع بشيء من حريته وامتيازه .

وتشوق العشيقان للسفر الى ايطاليا . فموسيه سبق له ان تغنى بها . وصاند كانت تأمل ان تجد فيها من الجمال والروعة ما يحمل الى نفسها المعذبة ، شيئاً من الراحة والاستقرار .

وتجرأت صاند، وزارت ام الشاعر الشاب، واستأذنتها في اصطحابه الى ايطاليا . ووعدت بان تكون له بمثابة الصديقة والام والاخت .

وقد طالما كتب المؤرخون حول هذه الرحلة . ووصفوا حوادثها وصفاً دقيقاً ، فلن نسرد وقائعها ، اذن ، بل سنحلل اسباب فشل العاشقين فيها . فسرعان ما تحولت قصة حبهما الى مأساة . ولكن هل كانت علاقتهما حباً بالمعنى المعروف ؟ كان موسيه يشكو من فتور صاند وتحفظها وانصرفت هي من ناحيتها الى كتابة قصة وعدت الناشر بانجازها . ورجت الشاعر ، في فلورنسا وجنوى بان يسمح لها بثماني ساعات من العمل في كل ليلة . وكانت توصد باب غرفتها من الداخل لتنهي عملها . وحاولت ان تحبب العمل الى الفريد فاقترحت عليه موضوع مسرحيته الشهيرة «لورانزسيو». ولم يرض هذا الحل الشاعر ، فتحول الى الغضب والثورة . فراح يعنف عشيقته ويناديها «بالسأم المجسم، والحالمة المملة، وراهبة الحيوانات . الخ» .

واخذ موسيه عليها انها لم تحسن الحب يوماً، وانه لم يذق بين ذراعيها ما كان يطمح اليه من لذة، اما هي فكانت تجيبه صاخبة : لقد اعطيتك كل ما عندي



بيترو باجلو

ومرضت في جنوى وانتابتها الحمى . والرغبة والحمى لا يأتلفان فراح الشاعر الشبق ، الفضولي ، يطارد فتيات الملاهي ، ويعاقر ابنة الحان . فقد امضه واتعبه ما كانت جورج تسميه حباً مهذباً، فهو يتوق بكل وجوده ، ومن اعماق روحه ، الى رعشات الماضي المجنونة وهكذا عاد الى فلسفته الاولى . وكان يقول : «في التغيير تجديد للنفس ، وهل وجد الفنان للعبودية» ؟

وامرأة كصاند ، تمتلك نفسها ، وتبالغ في التحفظ ، تغضب الرجل وتستفزه . وتبقى شاهداً واعياً في حين يتطلب الرجل النسيان في الحب فهو لا يريد قهر الحياء والتمنع فيه ، بل يرمي ايضاً الى تقييد الحرية ، وتحويل الكائن الى شيء .

وصاند كانت تغضب الرجال لانها لا تتخلى عن ذاتها .

وخيب الوصول الى مدينة البندقية آمال صاند فقد ارصدت له الحبيبة المسكينة احاسيسها وآمالها وها هي الآن تصل الى هذه المدينة ، والليل مظلم مدلهم . وجندول العاشقين يتحرك ، ببطء، على المياه الراكدة، كأنه التابوت . اذن هو الحب . . لا شيء غيره يجمل المناظر والمدن ، ويضيء ارجاء الوجود بنوره . وليس جمال الطبيعة هو الذي يولد الحب ، وليس بامكان قصور فينيسيا الوردية، ولا قباب سانت مارك الذهبية ، ان تغير من تنافر هذين القلبين الخافقين بحب ذابل مريض .

وقال لها ذات مساء : لقد خدعتك يا جورج . فسامحيني : انا لا احبك ، ولم يعد لصوتك اي صدى في قلبي .

وها لها ما يصارحها به . . وتمنت لو رحلت في الحال . ولكنها مريضة ، وهي لا تريد ان ترحل الى فرنسا ، وتترك الفريد من

بعدها غريباً معدماً . « وهكذا كان الباب المؤدي الى غرفتك موصداً . وحاولنا ان نعود اصدقاء كما كنا . فاستحال هذا علينا . وكنت أنت تسأم . . وما كنت اعلم كيف كان يتيسر لك النوم، ولا ما صرت اليه من امر »

اما « ما صار اليه من أمر ». فلعله اهون مما ظنته صاند . . اذ كان يخرج من المنزل في المساء . . وينتقل من حانة الى حانة . . فاشداً المتعة والسلوى والنسيان . . وبين الكؤوس المترعة، وقبلات الراقصات الايطاليات الدافئة ، كان ينسى صدود جورج وبرودتها القاتلة . .

لقد حكمت عليه صاند بالطهارة والتقشف : ولكنه لا يريد ان يخضع لحكمها . فلجأ الى النساء الغريبات . وعرفت صاند بخياناته المتكررة . . وراحت تنتظره في الليالى الطويلة ، وحيدة ، تنصت الى خرير الامواج ، واصوات تكسرها على درجات سلم المنزل ، وصدى خطوات الصيادين المتزنة، الثقيلة ، على الارصفة، وصراخ الفتيان، يتشاجرون في الازقة،او يغنون باصوات راعشة، كانت صاند تصغي الى كل هذه الاصوات العابرة الغريبة التي تعكر هدوء الليالي الفينيسية .

وفي صباح احد الايام، عاد «موسيه»اليها، دامي الجراح، ممزق الثياب ، ولم يكتف «موسيه» بالجراح . بل راح يثور في جنون ، وانتابته حمى كادت تقضي عليه . وحاول الانتحار .

واستدعت جورج طبيباً شاباً وسيما سبق ان عالجها في مرضها الاخير واسمه الدكتور « باجلو ».

وحضر الطبيب الشاب . وعالج موسيه . وتكررت زياراته .

***

يتساءل كثير من المؤرخين عن الاسباب التي دعت صاند الى ان تتمنى باجلو، وعللوا تعشقها الجديد هذا تعليلات عديدة، متناقضة .

واما السبب الحقيقي . . فيعود الى انها كانت تؤمن ايماناً ثابتاً بحب كامل فريد، يرضى عنه القلب والجسد . . فكان من الطبيعي ان نرى في كل شاب قوي جميل املاً صالحاً لتحقيق مطمحها في الحب .

وبالتالي فان عشيقها هجرها . فهي غريبة في ايطاليا . وحيدة الا من وساوسها وآلامها . ضعيفة ترزح عليها اثقال الكآبة والاحزان فلا عجب اذا بحثت عن نصير من الرجال وفي امثال هذه الحالة ، تخلط المرأة بين النصير المطلوب ، وبين الحبيب .

واخيراً فان روح المغامرة والتجربة فيها كانت تدعوها الى كتابة قصة واقعية غرامية عن ايطاليا . ولما كانت تجاربها في ايطاليا ضئيلة . . فقد تاقت الى معرفة اللذة ، عن غير طريق موسيه . . وكل فنان يعرف ان الاتصال بروح شعب من الشعوب ، لا يكون الا بمشاركة هذا الشعب حسياً . ثم ان الظروف ساعدت على هذا الحب بين الكاتبة الفرنسية والطبيب الايطالي . . هما يقضيان السهرات الطوال ، جنباً الى جنب يتحدثان تارة عن هذا المريض الممدد قربهما ، وتارة ينطلقان في غمار الذكريات .

وأحس « باجلو» في نفسه ميلا جامحاً الى جورج صاند ولكنه كبت عواطفه . فهو فقير معدم . وجورج غنية شهيرة . وهو ذو خطيبة عذراء ، غاية في الجمال والرقة ، اما صاند فذات عشيق مريض ، وليس من الانسانية الاستسلام لحب كهذا ، تحول دونه كل هذه الامور .

وفي نهاية احدى الليالي وبعد سهرة طويلة . مرحة . . نسي فيها الصديقان ، مريضهما المسكين . . دفعت صاند الى الطبيب الشاب بضع وريقات .

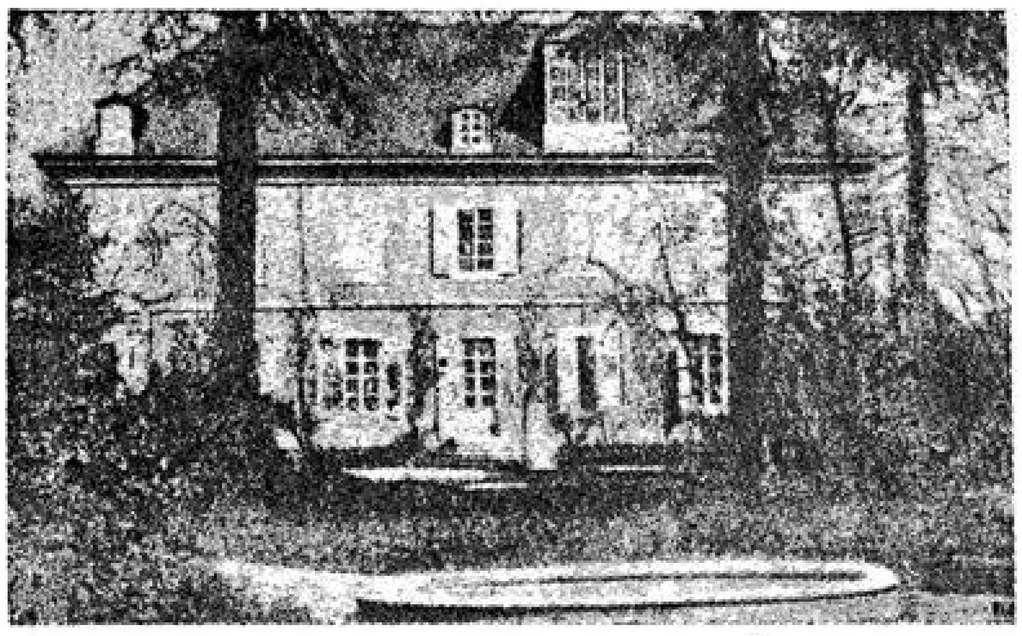
وعاد الطبيب الى منزله . . وراح يقرأ رسالة صاند . . انها تحبه . . تحبه بشدة وحماسة . . وها هي تكتب اليه . . مضمنة رسالتها احر العواطف . وها هي ذي الرسالة الصارخة ، الزاخرة بالتساؤل اللاهث . . والتساؤل في عرف صاند ، وقفتها تجاه الحياة . . وهي حركة تأثر بها موسيه في « الليالي ».

وفي رسالتها هذه الى باجلو كتبت تقول :

« اتكون لي ، في مستقبل الايام ، معيناً ام سيدا ؟ وهل تخفف عني الآلام التي عرفتها قبل ان اراك ؟ أيستطيع قلبك ان يدلك على اسباب حزني ؟ وهل تشعر بالمواساة والصبر والصداقة ؟ قد يكون في تربيتك ما يصور لك المرأة دون روح ، فهل تعرف ان لدي روحاً متألمة ، عريقة في الالم ؟ وهل انت تشتهيني او تحبني ؟ وهل تعرف معنى لرغبات الروح ، التي لا تجدي فيها القبلات واللمسات ؟ ؟!

●

بيت صاند في نوهان



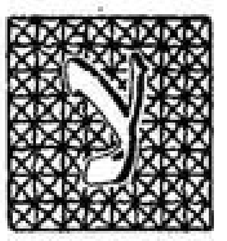
صورة وصفية

•

اديل

بقلم وديع فلسطين

•



بد من انحنا .ة«لأ ديل»فهي زعيمة بان تحنى لها الرؤوس ولا بد من قبلة تطبع على يدها ، ولكنها قبلة غير دبلومـاسية لا يتكلفها المرء ولا يصطنعها ، ولا بد من عقد من زهر الياسمين الابيض الصارخ العطر يطوق عنق أديل ، فللزهر لغة يفهمها من يحب في الدنيا نواحي جمالها . فأديل فتاة رقيقة سمحة عريقة في اخلاصها اصيـلة في ايثارها . محبة ودود ، مجلسها لا يمـل ، وحديثها لا يسأم وصحبتها تطرد العلة ، ونفسها ذات صفاء ، وايامها ذات اشراق لان اديل تجابه العواصف بروح رياضية متوثبة معجزة .

وجه باش حلو التقاطيـع ، يوحي اليك بان صـاحبته لا تعرف الكيد او التدبير بليل ، وجبين ناصع عريض هو آية على ما تتمتع به أديل من عقـل راجح وفكر سديد . وعدسات لا تكاد تبين تضعها أديل على عينيها لان اعمـال الذهن توهن قوى البصر كلما ترادفت الايام .

وبنية تكاد تكون ضئيلة ، ولكنها في الوقت عينه سليمة حاوة التنسيق . خطواتها قصيرة سريعة ، ومن تعرف قيمة الوقت لا تتباطأ في المشي ، ولا تسير عـلى الارض هوناً . واجمل ما فيها روحها ، روحهـا المفرغة في قالب بلوري شفيف . فـأديل تصادق الناس بقلبها وتتخير الرفـاق ممن كانوا على شاكلتها ذوي روح بلورية شفيفة ، اما كلامها ، فهو منتقى عرفت كيف تختار مقاطعه ومفرداته من معاجم الحياة لتصوغها عبارات بليغة سواء تكلم لسانها بالضاد ، او جنح الى لغة الفرنسيس او لغة البريطان ولو ارادت أديل ان تكون على غير مـا هي عليه ، لتعذر ذلك ، لانهـا خلقت وديعة وان حاولت ادعـاء الاستعلاء ، وخلقت فتاة مجتمع وان ركنت الى عزلة في آن ، وخلقت لكي تسعد وتهنـأ وان ابت الايام ذلك في بعض سوانحها .

روحها اجمل ما فيهـا ، ولو كانت الارواح تشرى وتباع لكانت أديل ذات ثراء طائل . فهي تمرح المرح البريء ، وهي على دراية بكثير من فنون القول ومسطور العلم بحيث تستطيع ان تحدثك حديثاً ممتعاً في اي موضوع ألممت منه بطرف ، وهي رفيعة الآداب رفيعة السجايا تزدان بكل محمدة ، لها من المزايا ما يضفر على جبينها اكليلاً من الغار . مقدامة حتى ليحسدهـا الرجال على اقدامها ، واشهد ان شجـاعتي تتوارى امام شجاعتها . دينها الحب والايثار والخلق ، ولذلك تُغفل من موازينهـا ومعاييرها الاديان الموروثة . فمـن ورث ديناً لم يكن له في ذلك فضل ، ولم يكن له كذلك ذنب . اما أديل فقد اختارت لنفسها في الحياة ديناً مشاعاً بـين البشرية جميعاً هو دين الحب والايثار والخلق .

ارستقراطية النفس ، ارستقراطيـة المشاعر والعواطف . فهي لا تساير الناس في منهاجهم ، ولا تنساق مع الجماعة مقودة ، بل تحرص على ان تظل دائماً الاستقراطية

«في استطاعتي ان اعال احلامك وسهومك ، وان استنطق صمتك ووجودك ، فأنسب الى افعالك المعنى الذي اريد ، فحين ترنو الي ، برقة واطف ، اظن ان روحينا تتناجيان . . فابق يا حبيبي هكذا . . ولا تتعلم لغتي . أنشد في لغتك الكلمات التي تتيح لي ان اعـبر عن شكوكي ومخاوفي . . وساتجاهل أنك تعيش بين الناس ، وتعمل وتشقى ، وسأتخيل انك تعيش لي وحدي . . آه كم اتمنى لو جهلت اسمك . . خبيء عـني روحك لاحيا في يقيني ، انها جميلة . .

واصبحت عشيقته . .

وماذا عرف موسيه !! وماذا رأى ؟!! ان ظهور باجلو خلق جواً احس الفرد انه غريب فيه . . لقد ثأرت صاند لنفسها من الحبيب الذي تجاهلها . وها هي تثير كوامن الغيرة في نفسه ، وتلهب قلبه الملتاع .

وصارحته بالحقيقة ، حين أبل من مرضه ، فلم يصدق . . وظنها تثير غيرته . . ولكن حين تعددت زيارات باجـاو وفهم موسيه معانيها . . كاد يصاب بالجنون . . وسافر الى فرنسا .

اما تتمة القصة فطويلة معروفة . . فقـد سافر موسيه الى فرنسا ، ولحقت به جورج صاند . بعد ان ملت باجلو . . ولحق بها باجلو . . وتمكن من اقناعها بالحياة معاً في باريس امـا موسيه فسافر الى قريته ، يندب غرامه الميت . . وذكرياته السعيدة . . وألهمه العذاب قصائد « الليالي » الخالدة .

المرفوعة الحاجب كما يقول البريطانيون high browed. ولعل هذا سبب من اسباب تحرش المجتمع بأديل ، فالمجتمع يؤمن بروح الرعاع ويسعى لطبع الناس جميعاً بطابع واحد عام، ولكن أديل تقف وحدها في هذا الوسط،لا تثنيها عن استعلاء نفسها قوة ولا اغراء ولا روح مسايرة .

بيد ان في أديل على استعلاء نفسها، ميلاً الى البساطة والسذاجة . فكلما رأيتها رأيت بغير كثير من الجهد بساطتها ووداعتها . ومن ذلك انها تفترض الخير في الناس جميعاً ، وتنتظر الخير من البشرية كلها .ومن ذلك انها تلتمس للغير المعاذير لتلقي كل ملامة على نفسها . ومن ذلك انها تحذم كل من سعى اليها وتظن الناس سواسية في المعاملات وهذه البساطة قد ترتد اليها كثيراً ، وقد تنقلب انكاراً للجميل ، وقد تستحيل عصياناً على الوفاء، ومع ذلك تأبى أديل ان تصدق عينيها وتؤثر ان تسير في سياستها مفترضة الخير في الجميع مرتقبة ان يحسن الناس جميعاً اليها كفاء ما احسنت .

واذا الناس لم تعرف سوى الحياة مدرسة ، فقد يتخرج فيها كثيرون من النوابغ واللوامع . فكيف وأديل دخلت معاهد العلم ، ثم اجتازت معامع الحياة ، ثم استوعبت عبر الايام ، واضافت الى كل ذلك مطالعات واسعة شتى ، وزادت اليها عشرات من افلام الخيالة رأتها وانتفعت بها . فلا بد ان تكون أديل موسوعية الحياة، تلتمس منها المشورة اذا اعوزتنا المشورة ، ويطلب منها الرأي اذا اراد اثنان الاحتكام الى رأيها ، فان هذه الفتاة تأخذ من الدنيا ما به تستزيد لواعيتها ، وتأخذ من العلم ما يفتق الذهن الى مجهول من الآفاق، وتأخذ من الناس ما لا تأخذه من الجماد او من الكتاب ، وترى في الخيالة ما قد يصطدم امامه الخيال العادي .

بقيت ناحية في أديل يجب ابرازها في هذا الفصل لانها عنصر مميز من عناصر شخصيتها المتكاملة المتتامة. وتلك الناحية هي نظرها الدائم الدائب الى الامام تاركة ما فات يولي اينما شاء ان يولي .

هل هبطت عليها في الماضي ثروة ؟ لست ادري ولا هي يهمها ان تدري. فهي تروم ان تعيش للمستقبل وتحفل بأمور المستقبل وحده .



الاستاذ وديع فلسطين
استاذ في معهد الصحافة بالجامعة الاميركية

●

هل واتاها نجاح في الايام التي انقضت؟ ربما . ولكن أديل لا تبالي، بل تنظر الى الامام طامعة في نجاح يتكافأ مع خصائصها الكريمة .

هل حققت ما تاقت لتحقيقه في زمن ما؟ لا يستعبد . ولكنها مع ذلك تضع لنفسها آمالاً جديدة، وتدأب في تحقيقها وبلوغها .

فهي تدرك ان دولاب الحياة يدور ويهدر ، نجاح يتلوه اخفاق ، ويأس يعقبه رجاء ، وامل يخالطه الم، واعصار يجيء في اعقاب هدوء ، وامواج ترتفع لقمم الجبال ثم تغوص كوهاد الوديان ، وايام مشرقة بشمس ساخنة تتلوها غيرها غير ذات شمس حياة لا يعرف احد كيف تبدأ ، ولا يدري — الا الله — كيف تنتهي وعلى اي وجه تتطور وتسير . واعمار كأعمار اوراق الخريف نسمات قليلة تكفي للعصف بها . ودهر قلب يستدبر في الغد ما استقبله في الامس، وشجن يستبد بالعاطفة بعد غبطة، ودموع تذرفها العينان بعدما كانت الشفتان منفرجتين بابتسامة عريضة، حياة هذا دأبها كيف المرء ان يأتمنها او يطمئن الى سلامة احكامه عنها؟

ان أديل تدرك ذلك كله ؛ ولا حيلة لها في تغيير سنة الكون او تبديل مجرى الحياة، ولكنها تعالج اللغز الابدي بالنظر الى المستقبل وحده، وهي لذلك على استعداد لان تبدأ الحياة في كل يوم ، فالحياة عندها تبدأ لا في العشرين كما يقول البعض ولا في الثلاثين ولا في غير هذه وتلك مما اصطلح عليه العلماء والكتاب ، بل تبدأ اليوم ، وقد تكون أديل مخطئة في هذه الفلسفة المستقبلية ، ولكنها ترى فيها الحل العلمي الاوحد لكل ما ينتاب الحياة من اسى تعجز الايام عن ابرائه . ولعلها في ذلك تقول ما قاله الشاعر ابو الوفا :

أريد ، وما عسى تجدي «اريد»
على من ليس يملك ما يريد
اريد لهذه الدنيا سلاماً
اريد الحب في الدنيا يسود
اريد لهذه الآمال تسمو
وتزهو في الحياة كما اريد
اريد ، وما عسى تجدي «اريد»
على من ليس يملك ما يريد ؟!

اما وأديل لا تملك ما تريد، فهي تترجى المستقبل يحقق لها ما لم تحققه في ايام ذهبت .

القاهرة — وديع فلسطين

سلفاتور

بقلم وليم سومرست موم

ترجمة مبارك ابراهيم



قال الكاتب :

كان صاحب هذا الاسم، اسم « سالفاتور » لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . وهو مع ذلك يملك احسن سجية من سجايا النفس . هي : حب الخير .

ثم استطرد يقول :

لقد عرفت سالفاتور أول ما عرفته يوم كان صبياً في الخامسة عشرة من عمره : وكان فتى طيب النفس . فكه الاخلاق . تقرأ في عينيه انه قد خلا من الهم . وهو على الرغم مما اوتي من قبح الشكل ودمامة الخلقة . قد ملىء عذوبة وحلاوة .

وكان من عادته ان يقضي سويعات الصباح راقداً فوق الشاطىء . وهو يكاد يكون عرياناً ، فاذا تبينته رأيت صبياً مسمور الجسم ، صلب المفاصل .

وكنت تراه — اذا صحا من نومه — اما نازلا في الماء او صاعداً . وكان لا يحتذي نعلًا الا ايام الآحاد . وهو في غير تلك الايام حاف غير منتعل .

وكان ابوه يحترف حرفة صيد السمك . ويملك حديقة اعناب صغيرة . وكان سالفاتور يقوم بدور المربية لاخويه الصغيرين .

والفتيان في بلاد الجنوب . بلاد الحرارة والدفء يكبرون بخطى سريعة . فسرعان ما كبر صاحبنا . وبلغ مبلغ الشباب . وسرعان ما تدله في حب فتاة جميلة . كانت لها عينان يمثل لونهما لعينيك لون ماء البحيرة التي تحيط بها الغابات وكنت اذا نظرت اليها حسبتها احدى بنات القياصرة .

وسرعان ما اصبحا خطيبين . ولكنهما ما كانا يستطيعان التزوج قبل ان يقضي صاحبها زمان الخدمة العسكرية .

ولما غادر الجزيرة التي لم يكن قد غادرها من قبل ابداً ليصبح بحاراً في بحرية الملك بكى بكاء الطفل فارق امه . فقد كان ثقيلًا على نفس فتى لم يكن طوال حياته اقل من الطير انطلاقاً ان يصبح بين عشية وضحاها اسيراً للاوامر والنواهي . وكان اشد ثقلًا على تلك النفس ان يعيش صاحبها فرداً غريباً بين قوم غرباء . فوق ظهر سفينة تسبح فوق متن الماء . وهو الذي عاش حياته في كوخه الانيق الصغير بين النخيل والاعناب ، حتى اذا غادر السفينة سار بلا صاحب ولا رفيق في شوارع يتزاحم الناس فيها بالمناكب . في مدن يملؤها الضجيج والعجيج .

ثم حن الفتى الى موطنه وبلده . واستحال هذا الحنين داءً دوياً ولكن الذي اورده موارد التلف هو فراقه لتلك الفتاة التي احبها قلبه الفتي فكتب اليها كتاباً كما يكتب الاطفال بكلمات قد اتسعت المسافات بين حروفها . وحروف قد امتدت الفها ولامها . وهجاء قد جانب القواعد او جانبته القواعد . وكان يبتدىء كتبه بأحاديث الشوق اليها . ويختمها . . بأحاديث الشوق اليها . . والى لقائها .



وقد طوفت به السفينة التي كان واحداً من بحارتها الثغور كلها . فارتحل الى (سبيريا) ثم الى « البندقية » ثم الى « بارى » . واخيرا الى الصين . . وهناك انتابته علة حار الاطباء في وصفها

والزمته ان يظل شهوراً بأحد المستشفيات . وقد تدرّع بالتجلد والصبر على احتمال علته . ولما عرف ان ما به هو (الروماتزم)وانه سوف يصبح غير صالح للخدمة طرب لهذا الخبر واستخفه الفرح . ذاك لانه قد ضمن الرجوع الى صاحبته واهله . ولم يبال ابداً بما كان يقوله الاطباء من انه سوف لا يبرأ ابداً . وماذا يعنيه ما دام هو راجعاً الى تلك الجزيرة الصغيرة التي احبها الحب كله . والى تلك الفتاة التي تنتظر ايابه .

ولما عادت به السفينة ورأى الزورق الذي سوف يقله الى الشاطىء نظر فرأى اباه وامه واخويه ينتظرون فلوح لهم بمنديله واخترقت عيناه حجب الجماهير وهو يسائل نفسه :اين فتاته ؟

ولما نزل الى البر امطره اهله وابلاً من القبل . ولكنه كان دائم السؤال عن تلك الفتاة فقالت له امه انها لم تكن على علم بموعد وصوله . وانهم لم يروها منذ اسبوعين او ثلاثة . فلما اقبل الليل اتخذ طريقه — في ضوء القمر — الى بيت اهلها . فرآها جالسة هي وامها على عتبة الباب . فبدا على وجهه الحياء والخجل لانه لم يرها منذ زمان بعيد . ثم سألها عن خطابه الذي بعث به اليها ينبئها فيه بانه عائد الى بلده .

فقالت : ان اهلها قد جاءهم خطابه . وانهم علموا من شباب الجزيرة انه كان مريضاً . وان مرضه هو الذي عجل ايابه . فقال لها اليس هذا لفتة من لفتات الحظ السعيد ؟قالت: ولكنهم سمعوا انه لن يبرأ من علته ابداً . قال : ان الاطباء كثيراً ما يقولون بالظن . وكثيراً ما يخرصون . اما — وقد عاد الى بلده — فهو من البر قاب قوسين او ادنى . وساد السكون بينهما . ولكن ام الفتاة قد وكزتها بكوعها وكزة عنيفة . وسرعان ما انبأته الفتاة بالصراحة التي اشتهر بها قومها انها لن تستطيع ان تتزوج رجلاً لن يكون يوماً قادراً على العمل ولقد استقر رأي ابيها وامها على انهما لا يقبلانه زوجاً لها .

ولما عاد سالفاتور الى بيته الفى جميع من في البيت يعرفون ما استقر عليه رأي اهل الفتاة . فقد انبأهم بذلك ابوها . وبكى سالفاتور وهو يميل على صدر امه بكاء الاطفال ورأى شبح الشقاء جاثماً امامه ولكنه لم يلم الفتاة . . وسرعان ما غفر لها جفاءها . . وهو يقول : ان عيش الصياد عيش قاس . وانه يرى ان لا عيب على فتاة اذا ابت ان تتزوج رجلاً لا يستطيع ان يعولها . . ثم ابتسم ابتسامة يشع منها الحزن البالغ . ولكنه لم يجهر بالشكوى . . ولم ينل الفتاة التي احبها فجفته بمذمة او عيب . وكان الناظر الى عينيه يرى فيهما عيني كلب قد ضرب .

وبعد شهور . وكانت قد فترت نوبة الحزن . واستقرت به النوى وبدأ يعمل في صيد السمك . وفي جني ثمار الحديقة قالت له امه ان هناك امرأة شابة في القرية تريد ان تتزوجه . وان اسمها (اسنتا) فقال لامه انها لقبيحة الشكل قبح الشيطان .

والحق ان تلك المرأة كانت تكبره في السن . وانها كانت مخطوبة لرجل وان خطيبها قتل في افريقيا وان عندها قليلاً من المال . فاذا تزوجها استطاعت ان تشتري له قارباً وان تستأجر له حديقة يعيش على غلتها .

وقالت امه ان (اسنتا) كانت قد رأته يوم العيد فأحبته . فتبسم سالفاتور ابتسامته الحلوة . وقال انه سيفكر في الامر .

وفي يوم الاحد التالي لبس ابهى ملابسه وذهب الى الكنيسة وجلس في مكان يستطيع منه ان يرى تلك المرأة . ولما رجع الى امه قال اني قبلتها زوجة . .

وبعد ايام قلائل زفت اليه واستقرا في بيت صغير انيق . تحيط به حديقة جميلة .

وسالفاتور وان كان قد نضجت سنه وزالت عنه غرارة الصبا . فان ابتسامته الحلوة وعينيه اللتين يشع منهما الحنان والرقة بقيت كما هي . وكأنه لا يزال طفلاً .

وكانت امرأته — على مشاركتها له في الرقة والحنان — لا تغفر لتلك الفتاة — التي كانت خطيبته — قسوتها على رجلها . وكانت لا تفتأ تذكرها بكل سوء .

ثم رزق الزوجان بطفلين . وعاشا عيشة قاسية . وكان هو مقتراً عليه في الرزق وكان يعاوده المرض احياناً فيرتمي على الارض يدخن سيجارته وعلى فمه ابتسامة لكل من يمر .

وكان يجيء بطفليه احياناً ليعلمها السباحة . وقد كان اكبرهما يتقبل ما يلاقيه من عناء في رباطة جأش . وكان الاصغر لا ينقطع عن البكاء والعويل . فكان سالفاتور يمسك بالصغير ويجففه . ثم يرفعه بين يديه . وهو يضحك لقلة وزنه وضئولة حجمه . فكانت ضحكاته تبدو كضحكات الملائكة . وكانت نظراته نظرات طفل ملىء براءة وطهارة .

واظنك الآن معي يا صاحبي في ان سالفاتور لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . ومع ذلك يملك احسن سجية من سجايا النفس . وهي : حب الخير .

القاهرة — مبارك ابراهيم

في اليد . . حيث لأهلها ابداً خفق الرياح . .
. . وقبلة الشمس
وتظل في مسٍ كواكبها حتى الصباح
بما رأت أمسِ . . .

***

طال . . يسف على نعامته رمل ، ويحسره لنا الرمل
كانت تمر به الحوافل ، في فجر العهود ، فسوقها حفل
مجتازة دهناء لا مطرٌ — حتى توافيه — ولا نخل
وكأنما الكثبان في نسق لجج على اشباهها تعلو
حتى لو ان الشمس طالعة ما صار تحت شعاعها ظل
تبدو لعين الضب عارية حتى يواري ضوءها القفل
ما كان يعبأ من يحل به ان شد — قبل — لغيره الرحل
متبلغاً بكفافه ، عجلاً تحت السماء وحسن ما تجلو
فاذا اناخ به الظلام بدا وكأنه بسمائه يخلو
سيان عندهمو حقيقتها ان الحياة تمر . . . او تحلو

والقصر قائمة دعائمه
لاميرة . . هو ذلك الطلل !

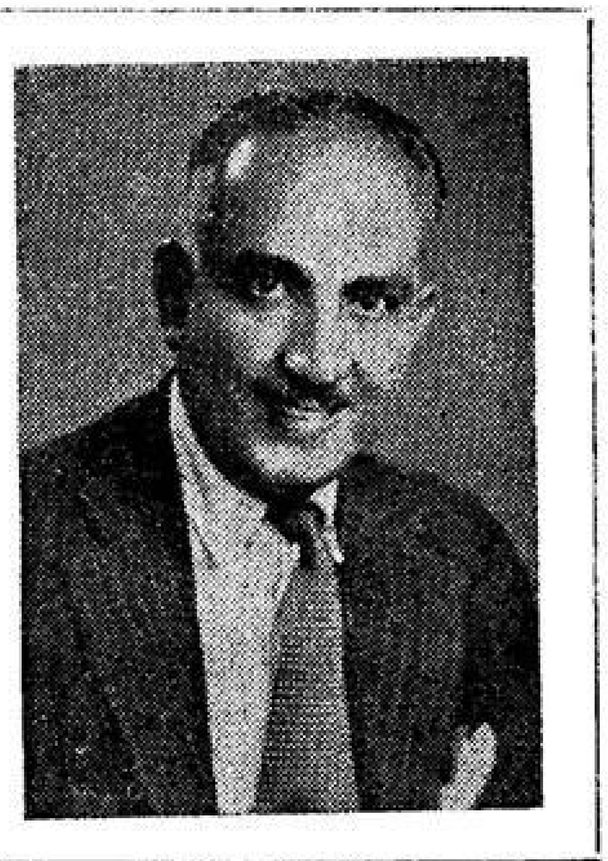
ما في الجزيرة روضة، ظهرت من نورها في منظر بهجٍ
مثل الاميرة وهي مقبلة ترنو الى الدنيا بقلب شج
كانت تحف بها وصائفها فيُعذنها بالاعين الدعج
فكأنما هي فتنة عرضت تمشي على قدمين في غنج
او حلم بارئها تمثله في نطفة معدودة الحجج
هل اشبهوها بالمها — فرنت — الا لطرف غير مختلج
يغضي لريح من مهابتها صيد الولاة كالسن السرج
ما اقبلت في الرمل تذرعه الا وأضحى الرمل في ارج
وكأن قائم نصفها فنن من نصفه الثاني على لجج
كانت على حسن . . ترق له حتى الغزالة وهي في وهج

فكأنما هي اختها . برزت
في الغيد ، اذ تُغضى لها المقل !

ان الاميرة رغم عذرتها تنهى وتأمر ، واسمها يغني
فيطيعها البعداء في ثقة وكأنما المحظوظ من تدني
كم ذل من ربق الهوى بشر هم في ركاب العز كالجن
شحت عليهم بالرجاء ، ولو ندبتهم جادوا — بلا منٍ
لو لم ترث ملكاً لكان لها هي ملكها في دولة الحسن
والغيد اذ يشهدن جمرتها يقرعن — فوق الماء — بالسن

اليتيمة

لابراهيم العريض



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذي تقول «لحصرها هيف . .» وتقول تلك «كميسة الغصن» وتقول ثالثة ، وقد ضربت كفاً على كف من الغبن : «يا ليت هذا الحسن كان لنا او بعضه ، فنروح باليُدن ونفوز من شعرائنا بهوىً باكٍ ، يضيء كبرقة المزن !»

ان الاميرة في مباذلها
لاجلُّ منها وهي تختفلُ

لم يخفَها في كل خاطرة ظمأ العيون ، وحسنها الماء كم جاء يخطبها السراة ، فلم تحفل ، كأن الاذن صماء. من كل أروع مثل صيقله حداً ، فا ركبته عوراء. لبسوا الحياة كأنهم غرض يُرمى ، فوالتهم بما شاءوا ما سُرّت الحرب العوان بأحرار كمثلهم اذا استاءوا حسناء. بات لها الخيار ، فلم تعجل ، فعادوا مثلما جاءوا هي لا تطالب في الصداق سوى غزل ، تجنّ عليه أهواء. قالت : « ادركك مهجتي غرداً لهتافه في الخلد اصداء. يجلو قوامي في دقائقه فتراه – رأي العين – عمياء ! » وتهافت الشعراء فيه ، بلا قصد ، فظلت وهي عذراء.

عذراء .. يشمها الزمان فلم
يُضرب بغير صداقها المثل

من قصرها كانت تطل على واد ، ووجهتها سوى الوادي هي في انتظار موفّق ملكٍ يأتي اليها دون ميعاد يحلو على فمه النسيب اذا غنى بها في حلبة النادي هي وردة بيضاء ، ليت لها في عشها كالبلبل الشادي كم جاء ميمون بطائره فتعود منه بغلّة الصادي لا طرفه يطري ، ولا يده تبدي ، ولا فمه لانشاد فتغض عنه الطرف من كدر وتردُّه من غير ارفاد لا خير في شعر تردده تلك النفوس بغنّة الحادي حتى أتاها شاعر ، لقفت ابياته آذان افراد فاذا بها – زعموا – كجاوتها فتكون من غده بمرصاد

ونظل ليلتها نقلب في
عرض الفراش ، وقلبها وجل

حفل البلاط بكل ذي وطر للغرب معدنه او الشرق قد غاظهم ان يشهدوا لفتى في وصفها بفضيلة السبق أتدير في الشعراء نظرتها ؟ ما فيهم الا وذو عشق اضحوا معاً يتطلعون الى وجه الغريم بأعين زرق

كم شاعر هام الخيال به في كل افقُ .. ومضة البرقِ فكأنه مستقرئ صوراً لو جاز ان تجلى على الخلق وتراه حيث هو ، استقر به الكرسي ، لا يُسقى ولا يَسقي فالشعر ما خلوده امل ما لم ترنه بجلية الصدق كم طالب مال الغبيط به من حبها – لو دينَ بالحق حتى اذا انتظم الهدوء بهم ومأت بحاجبها بأن يُلقي

فتهلل النغم الشرود على
شفتيه ، مثل الغيث ينهطل :

«هل بالطلول لسائل رد ام هل لها بتكلم عهدُ درسَ الجديدُ ، جديدُ معهدها فكأنما هي ريطة جرد من طول ما تبكي الغيوم على عرصاتها ، ويقهقه الرعد وتلث سارية وغادية ويكر نحس خلفه سعد تلقاء شامية يمانية لهما بمور ترابها سرد فكست بواطنها ظواهرها نوراً ، كأن زهاءه برد فوقفت اسألها ، وليس بها الا المها ونقانق ربد فتبادرت درر الشئون على خدي ، كما يتناثر العقد او نضحُ غزلاء الشعيب ، وقد راح العسيف بملئها يعدو

***

لهفي على دعد ، وما خلقت الا لجرّ تلهفي دعد »

قالت : « اعده ، فليس حاجتنا
وصف الطلول ، وانما الغزل »

« بيضاء ، قد لبس الاديم بها الحسن ، فهو لجلدها جلد ويزين فوديها اذا حسرت ضافي الغدائر فاحم جعد فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسود ضدان لما استجمعا حسناً والضد يظهر حسنه الضد وجبينها صلت ، وحاجبها شحط المخطّ ازج ممتد وكأنها وسنى اذا نظرت او مدنف لما يفق بعد بفتور عين ما بها رمد وبها تداوى الاعين الرمد وتريك عرنيناً يزيّنه شمم ، وخداً لونه الورد وتجيل مسواك الاراك على رتل كأن رضابه الشهد والجيد منها جيد جازئة تعطو اذا ما طالها المرد وامتد من اعضائها قصب فعم تلته مرافق دُرد والمعصمان فما يرى لهما من نعمة وبضاعة زند ولها بنان لو اردت له عقداً بكفك امكن العقد »

فترفّ عيناها ، لترشف من
قطرانه ، واللب منذهل

« وكأنما سقيت ترائبها والنحر ماء الورد اذ تبدو
وبصدرها حقان خلتهما كافورتين علاهما ند
والبطن مطوي ، كما طويت بيض الرياط يصونها الملد
وبخصرها هيف يزينه فاذا تنوء يكاد ينقدّ
والتف فخذاها ، وفوقهما كفل يجاذب خصرها نهد
فقيامها مثنى اذا نهضت من ثقله ، وقعودها فرد

***

والساق خرعبة منعمة عبلت فطوق الحجل منسدُّ
والكعب ادغمُ ، لا يبين له حجم ، وليس لرأسه حد
ومشت على قدمين خصّرتا وأُلينتا ، فتكامل العقد
ما عابها طول ولا قصر في خلقها ، فقوامها قصد »

فتشيح عنه الوجه باسمة
كالورد ، الهب خدها الخجل

وتحقق الحلم الجميل لها بعد انتظار كله يأس
هوذا الحبيب ... تراه ممتثلاً يشدو .. فما في امره لبس
يا فرحة القلب المشوق به كالروض اطلق طيره الحبس
ويجر في العينين دمعهما فرحاً ، فنظرتها له خلس
لم يبق الا في ممانعة يحظى بجلوة عرسه العرس
ومشى السرور على البلاط ؛ فما يُدرى اتلك حالها نفس
من فرط ما عصف النسيب بهم وطغا على معناهم الجرس
وكأنما الشعراء من طرب بالراح نشوتهم ، ولم يحسوا
ان الجميع لفي ترقب ما يأتي .. فلا هزج ولا همس
وتهب قائمة لتدنيه منها ، وفي نبراتها الانس :

« ايه ! . وشأنك أنت ، يا سكني .
أمواصل انشاده الغزل . »

فيبادل العذراء بسمتها ويجيب ، وهو بشعره يشدو :
« اما ترى طمريّ بينهما رجل الحى بهزله الجد
فالسيف يقطع وهو ذو صدأ والنصل يعلو الهام لا الغمد
هل تنفعنّ السيفَ حليتُه يوم الجلاد اذا نبا الحد
ولقد علمت بأنني رجل في الصالحات اروح او اغدو
سلم على الادني ومرحمة وعلى الحوادث هادن جلد

متجلبب ثوب العفاف ، وقد غفل الرقيب ، وامكن الورد
ومجانب فعل القبيح ، وقد وصل الحبيب ، وساعد السعد
منع المطامع ان تثلمني اني لمعولها صفاً صلد
فأروح حراً من مذلتها والحر حين يطيعها عبد
آليت امدح مقرفاً ابداً يبقى المديح ، وينفد الرفد
هيهات « يأبى ذاك لي سلف خمدوا ، ولم يخمد لم مجد
والجد كندة ، والبنون هم فزكا البنون ، وانجب الجد »

فكأن سراً بات يكتمه
عنها . انجلى . . . الشعر منتحل !

غابت بها الآفاق مظلمة يا ظلمة وافت بلا سحر
وكأن لحناً في تدفقه خنقته انملة على الوتر
عجباً اتفقد كل ما املت من حبها في لمحة البصر .
يا ليتها ما ادركت املاً اذ عاد يحرمها من الثمر
يا حسرة الآمال ، تقطف من جناتها ، لتداس كالزهر
وكأنها لم تُدن شاعرها لهنيهة ، في نشوة الظفر
وترى بعين خيالها شبحاً تغدو به وجناء في خطر
من حلم غانية يسوق لها معنى الصداق بجوشة الدرر
لا بل هما شبحان ضمهما جنح الدجى ، في هدنه القمر
وترى كومضة بارق ، فاذا بجبينها يهوي على الاثر !!

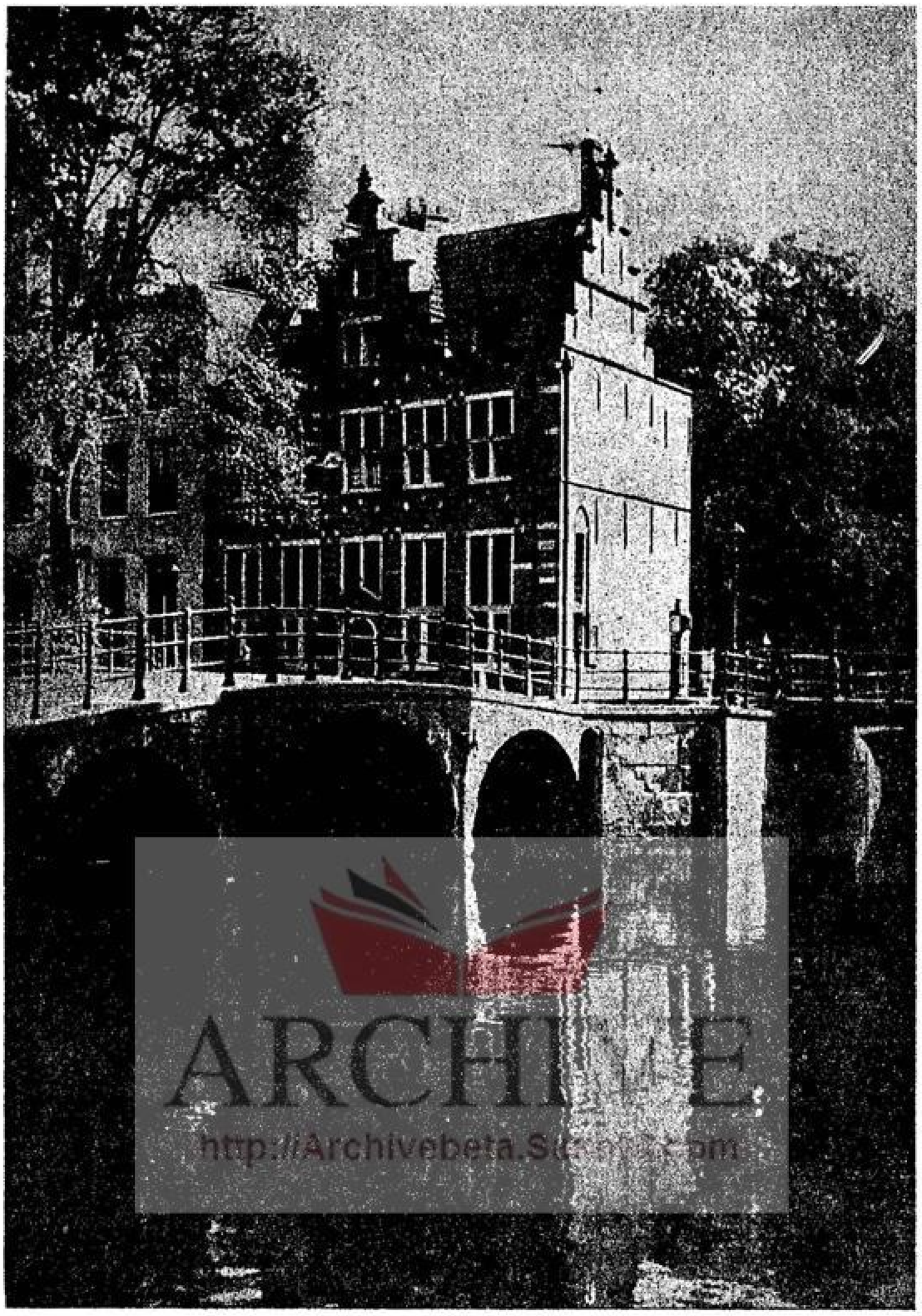
فتصيح « ويلك ، لست صاحبها . .
ماذا فعلت ، لأمك الهبل ! . . »

« . يا رب ؛ ما اغضي على ترة قلب له بجبينه شغلُ
ما شعره هذا ، ولا بلغت كفُّ المصور بعض ما يجلو
اني لأنسم في روائحه « رملاً » واين من « النقا » « الرمل »
قد غال زوجي في شرارته ليحل مني . . بالذي يتلو
العبد من هجر ، وصاحبه نجم يماني اذا يعلو
(فالجد كندة ، والبنون هم) زكت الفروع ، وانجب الاصل
افديك ، يا املاً فجعت به لم تبكه عيناي من قبل
ان غاب عن وجهي ، فان يدي ما خانني في قبضها النصل
يا سالب الاحرار جذوتهم قلب الحرائر منك لا يسلو
لا تأخذوا بظلامتي بشراً فظلامتي . . هو ذلك النذل ! »

وافيق من حلمي . . فتبدهني
تلك الرمال ، وبينها الطلل !

المجربة

ابراهيم العريض



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظات رحلة في هولندا

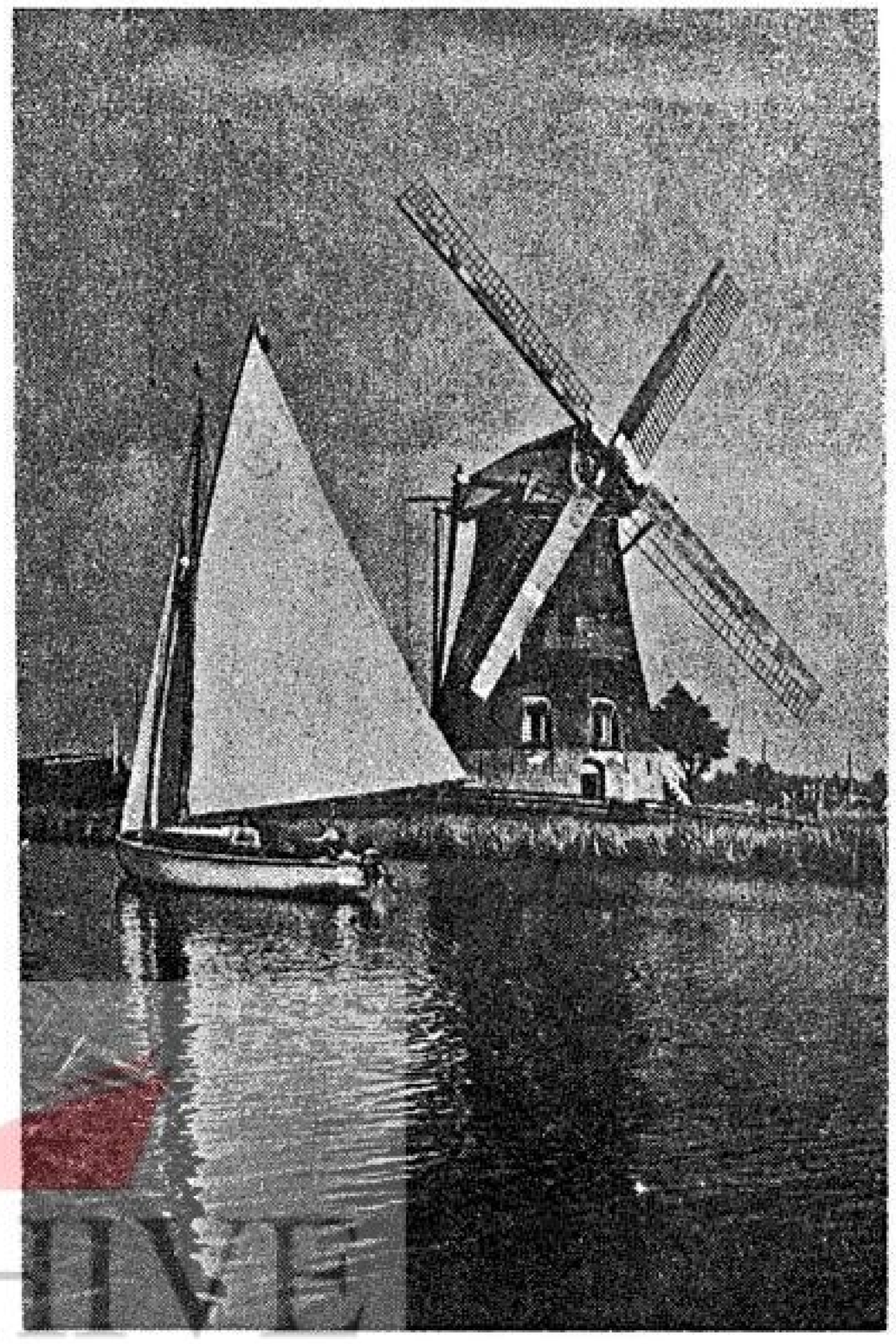
بقلم نعيم فرعون

في القطار الذي كان ينقلني من اللوكسمبرغ الى روتردام تحدثت مع فتاة دانمركية زارت باريس قبل بضعة ايام : « لم ار في حياتي اجمل من طاق النصر وساحة الاتوال ، ما ابدع برج ايفل اما اعظم كنيسة نوتردام ! » كلما اشهد اعجاباً كهذا اشعر ببعض السخط يمازجه الاسف . هل هذا كل ما يراه السواح في باريس ؟ كنت اسائل نفسي واذا بحدثتي وكأنها فهمت شعوري تقول « لا تعتقد باني رأيت هذه الاماكن التي يسرع اليها السواح فحسب ، فانا قد ذهبت الى شوارع مرغ رتر الضيقة » فاجبتها وانا

لقد عدت حانقاً على نفسي حين غادرت هولندا عند زيارتي الاولى ولم ار الا الطواحين الهوائية واستغربت لعدد الدراجات الهائل. والآن وانا اعود الى هذه البلاد بعد عدة زيارات اريد الا اتكلم الا بالهولندية مع عدم اتقاني لها بل معرفتي العاذرة بها. قلت ذلك لمحدثتي في القطار فضحكت مني وقالت : « اللغة الهولندية لا اهمية لها من الناحية العالمية. من الافضل تعلم الصينيـة او الاسبانية » فقلت : « قد يكون من السخافة وضياع الوقت تعلم الهولندية الا اني احببت هـذا الشعب وشعرت ان فهمي له لا يكون صحيحاً وصادقاً ان لم استطع فهمه باللغة التي يعبر فيها عن نفسه »

•

الفن الحديث شيء هام في حياة المدن

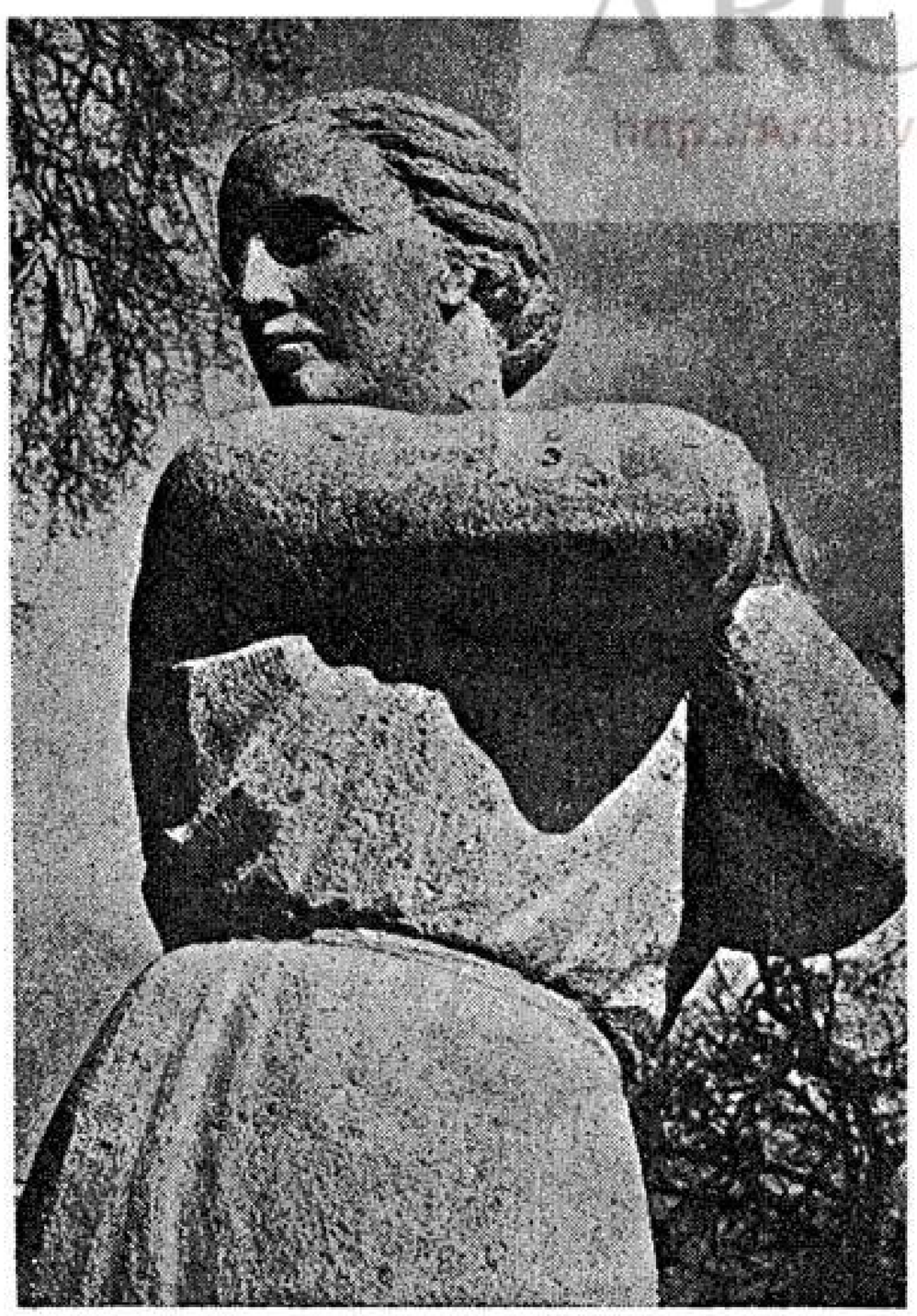


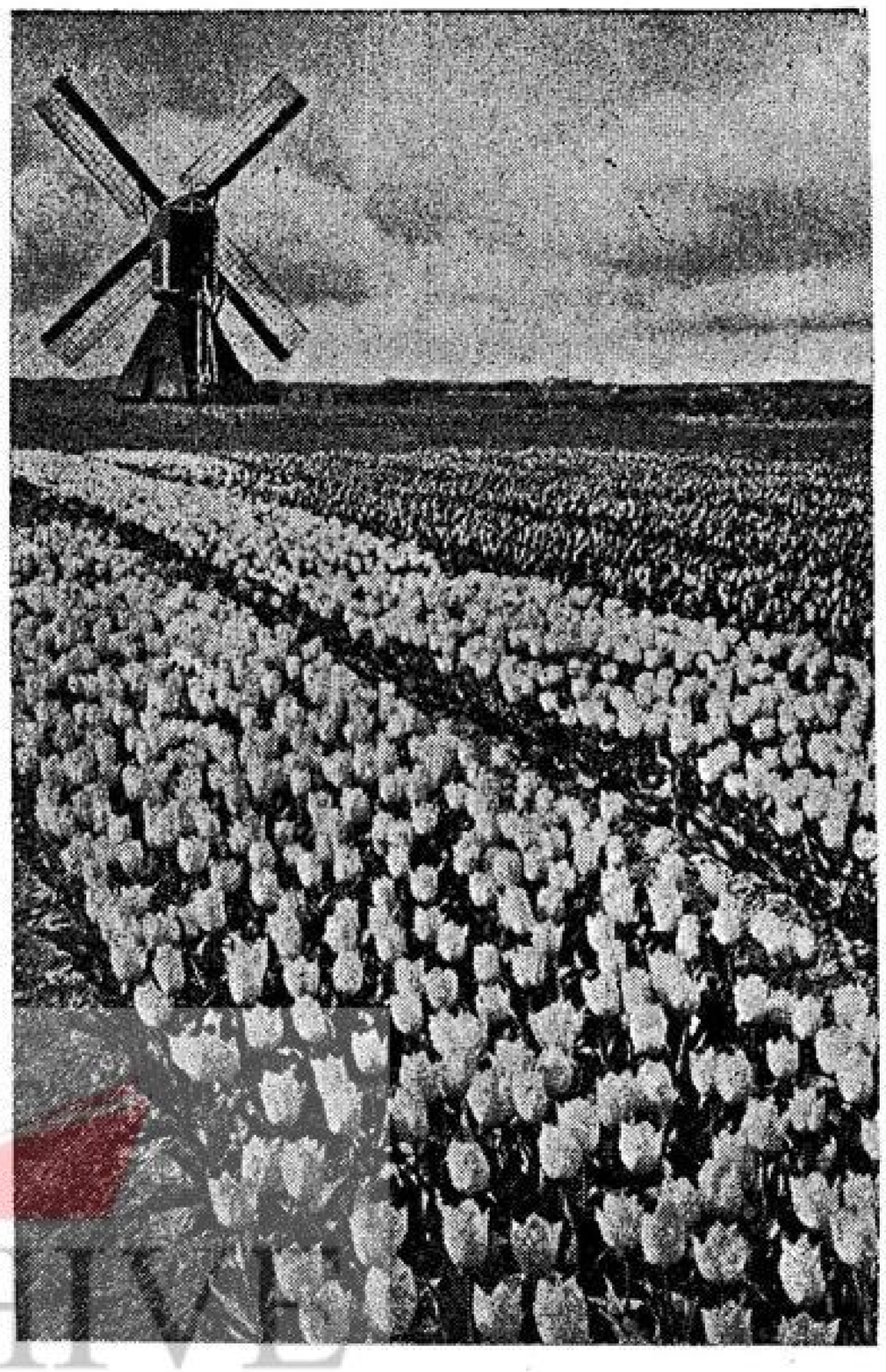
هولندا بلاد الطواحين

•

ابتسم. « الم تكن مليئة بالاميريكان ؟ » فقالت في جد: « طبعاً لكن ما اهمية ذلك ؟ » وفي الحقيقة ما اهمية ذلك ؟ ان باريس في الصيف متحف كبير وسكانها زوار او مولين. ومن يحب باريس لا في نوتردام وفي برج ايفل بل في اي من شوارعها العادية ما عليه الا ان ياوذ بالفرار ويتخلص من موسم السياحة.

وكلمة السياحة يجب ان نؤديها ببعض المقت والازدراء. فالسائح الذي يريد ان يعرف بلاداً دون معرفة لغتها ، دون العيش مع الطبقات المختلفة من اهلها يخدع نفسه ويكذب على الحقيقة.





الازهار من الصادرات المهمة وهذا حقل من حقولها

•

اقول « يمبر » وانا اتندر أليس هذا القول من قبيل المبالغة ؟ فالهولندي نادر الكلام حتى انه عرف بالنعيس والطبيعة الجدية. ومع اني ضحكت مع هولنديين كما لم اضحك مع اي شعب آخر فاني اعتقد بان الهولندي ينبو عن الكلام الكثير ولا يستهويه اللغو، فحياته حياة جد وكفاح متواصل وقد كان ذلك منذ قرون طويلة. فهولندا في اصلها قطعة من البحر وقاعها جففه سكانها واخرجوها من اعماق البحر خلال عشرات ومئات السنين. ان عدو الهولندي هو الماء. وقد قال نابليون مرة : « يقولون ان الله قد خلق المعمورة ولكني اعتقد بان هولندا قد خلقها اهلها » وليس في هذا القول مغالاة ، وحين اغرق الالمان هولندا وكسروا سدودها اظهر شعبها تعلقه بارضه وجفف ما اغرقه العدو واصلح السدود المهدمة وحاز اعجاب العالم اجمع.

والطبيعة قد كونت مشاعر خاصة لدى الفرد الهولندي فان اية ثلمة صغيرة في سد قد تغرق مئات الكيلومترات. ومن اساطير الهولنديين القديمة ان هولندا انقذها ذات مرة طفل حين وضع اصبعه في ثلمة من سد ، والاسطورة الآن

•

منظر مألوف في الطرقات العامة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشير الى الاهمية التي تعطى للشباب هنا واهمية السدود والخطر المحدق بكل هولندي ان هو اهملها قد كونت لدى كل شخص شعوراً عميقاً بالمسؤولية. فكل يعرف واجبه وينفذه باخلاص دون مباهاة ودون طلب مكافأة او تعويض. انه فرد في مجموع وعليه ان يخدم المجموع. وهذا الشعور بالمسؤولية لا نجده فقط في حالته الاجتماعية بل نجده مسيطراً على حياة الافراد الخاصة. فالزوج يشعر بمسؤوليته كزوج، والاب والابن كذلك يشعران بمسؤوليتهما على هذا النحو من الشعور ولهذا السبب كانت العائلة هي الاساس الذي يبنى عليه المجتمع.

في الزواج وبناء عائلة.. وفي لهوه جاد ايضاً فانه يجعله في اغلب الاحيان على البقاء في المنزل وسماع الراديو وقراءة الصحف والكتب والتحدث مع الزوجة.

قلت اني احب هذا الشعب واعتقد بان كل ما قلته لا يكفي لاظهار سبب هذا الحب الذي يتسم بالاعجاب ويختلف عنه في نفس الوقت. واعتقد بان السبب هو ابسط مما اعتقد انا نفسي وهو اني عشت

ولكون حياة الهولندي شاقة وجدية فهي بسيطة، وهذا الشعب بسيط في كل شيء: في لبسه، فالنساء كالقرويات وان كن في مدن كبيرة كامستردام. وفي شعوره فالشاب يحب الفتاة وسرعان ما يفكر

●

البحر الساحر



قروية في زيها الوطني

●

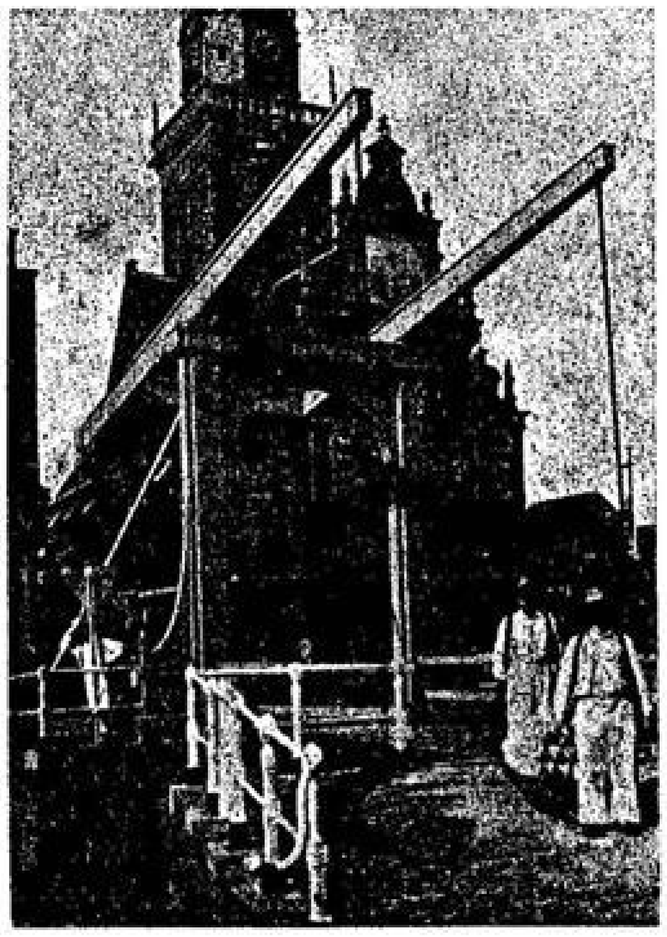


●

بائع الجبن

معه وحاولت فهمه. واعتقد بان اي شعب نحاول ان نعيش معه مع محاولتنا الامتزاج بحياته اليومية، نحبه مهما اختلف عنا في المزاج والعادات ولهذ السبب اشعر ببعض المقت لكلمة السياحة لان روح السائح تظل دائماً بمنزل عما يراه حوله، لان السائح لا يحيا بل يلتذ بعينيه فهو يرى ما يحيط بالانسان من خارج اي ما شكله، وما يأكله وكيف يتزوج ويموت، دون ان يفكر لحظة في ان هذا الانسان حي مثله وان محاولة بسيطة لفهمه تجعله يكتشف اخاً.

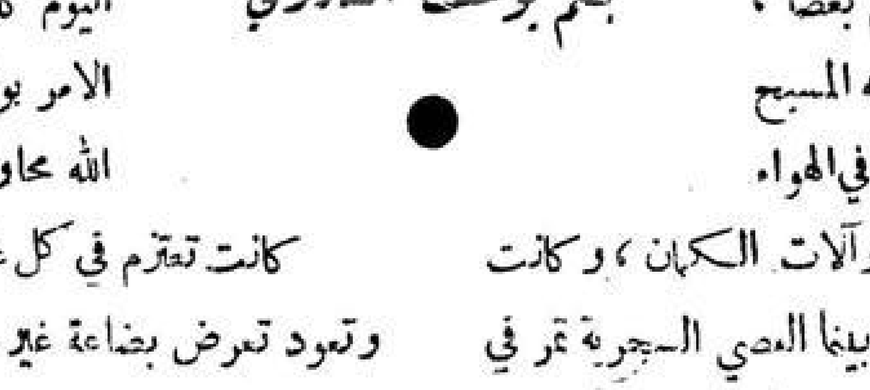
امستردام — نعيم نطاله



الوباء

من ايام الرعب

بقلم يوسف الشاروني



كانت في الثلاثين من عمرها، وهو عمر بدأ منه عظماء كثيرون رسالاتهم . اذن فقد زلت عندما كانت في العشرين، عندما كانت قد غادرت سن المراهقة واصبحت ذات ارادة وذات جمال وكانت من اسرة من الطبقة المتوسطة حيث الحدث الجنسي مرتبط بالخطيئة والله والجحيم . ولما كان الخلاص الوحيد من الجريمة في مجتمعنا هو ان تظل مجرماً بقية حياتك ، فقد فرت لتقع في يد سيدة تدير متجراً للاشلاء البضة يقصده المحرومون والمعوزون . غير ان اخلاق الطبقة الوسطى كانت قد تركت ضميراً عالقاً بها ، ظل يزعجها في الليل وفي النهار . وقد مرت الايام ومرت الشهور ومرت السنون وضميرها لا يزال عالقاً بها . واعتادت هذا اللون من الحياة الصريحة العارية المستخفة ، ورأت كل من حولها لا يهتز أن بشيء مثلما يهتز بكل من يحاول اقناعهن بفساد حياتهن ، ومع ذلك فقد ظلت تحس ان هذه مرحلة مؤقتة من تجربة حياتها وعليها ان تمر بها ثم تنفصل عنها الى الابد . وكان هذا حتماً غريباً وشاذاً .

وقد بدأ الامر هكذا . . كان فيشنسكي مندوب روسيا في هيئة الامم المتحدة يهاجم التجار الامريكيين ، والصحافة الامريكية تهدد وتتوعد . وفي باريس عقد اكبر مؤتمر في تاريخ السحر الدولي ، حيث اشترك مندوبو اربع عشرة دولة نجحوا في خداع بعضهم بعضاً ، فكان الماء يتحول الى خمر (وهو امر قام به المسيح من قبلهم منذ عشرين قرناً) وكانت تبدو في الهواء النقود والسجائر وكرات البيلياردو وآلات الكمان ، وكانت المناديل الحريرية تربط نفسها في عقد ، بينما العصي السجرية تمر في الاجسام وقيل ان مندوب الوفد البريطاني قد ظفر باعجاب السحرة عندما ذهب يلتقط الشلنات والسجائر المشتعلة من الهواء . لكن المندوب الامريكي كان ابرعهم جميعاً عندما شوهد وهو يخرج من زجاجات الكوكا كولا صوراً لحسان هوليوود . وفي مصر كان قد اضرب ستة وعشرون الف عامل من عمال المحلة الكبرى حيث عد هذا في نظر البعض اكبر حدث في تاريخ مصر بعد ماضم مينا الوجهين القبلي والبحري منذ اكثر من خمسة آلاف عام.

وفجأة ظهر الوباء . . بدأ اولا بعشرة اشخاص كأنما هو رسالة عظيم . توفي طالب في الجامعة وسيدة حبلى وطفلان وخمسة فلاحين وصبي عبيط اعرج . وكان هؤلاء هم شهداء الرسالة الجديدة ، بموتهم حملوا الخلاص الى بقية الشعب . ظلوا يتقيأون ويتبرزون براز ابيض كالارز ، حتى جفت امعاؤهم وتثلجت اطرافهم . وقد ظن اول الامر ان وفاتهم بالاعرض الواحدة نتيجة الصدفة الخالصة او هي حوادث تسمم متشابهة ، لكن سرعان ما كشف الطبيب المختص عن الحقيقة التي روعت ملايين السكان .

وفي الصباح قيل لتلاميذ المدارس ان يعودوا الى منازلهم . وصدر امر باغلاق الاسواق ، فحملت كل فلاحة دجاجاتها وشد الفلاحون رباط بهائمهم الهزيلة المعروضة للبيع وقفل الجميع الى قراهم وكف المثقفون عن جدالهم حول معنى الحياة ، وعدلوا عن رغبتهم في الموت ، وقلكهم تشبث مجنون بالارض . وانقضت الموالد . وسارعت الحكومة الى منع الاجتماعات العامة ، وخلت دور السينما من روادها ، وأقفرت المطاعم والمقاهي ، واغلقت الحمامات ومحال بيع البوظة . واصبح كل فرد ما بين يأس وامل ، يأس ان يصيبه هو المرض دون باقي الناس ، وامل ان يصيب باقي الناس دونه هو . ورأى بعض المثديين انه امر اعمار في لوح القدر ليس الوباء سوى وسيلة اليها . فلما انحدرت شمس ذلك اليوم كانت صحف المساء قد اعلنت انه صدر الامر بوقف الحج هذا العام . وهكذا رفض الله محاولتها .

كانت تعتزم في كل عام ان تحج لتكفر عن حياتها الملوثة وتعود تعرض بضاعة غير جسدها . غير انها كانت تعدل في كل مرة . وفي هذا صامت رمضان وقررت السفر واشترت التذاكر واعدت الجواز . وسافر من قبلها فوج وفوج . . وعندما اوشك ان يقوم حاجز كبير بينها وبين ماضيها ادركت ان الله رفض محاولتها .

وفي اليوم التالي ذكرت الصحف ان الاصابات تسع وعشرون والوفيات سبع وفي اليوم الثالث كانت الاصابات اربعاً وتسعين والوفيات احدى عشرة . وفي اليوم الرابع كانت الاصابات مائة وخمسين والوفيات سبعاً وعشرين وفي اليوم الخامس هرب احد



الملوثين من قريته الى الاسكندرية عاصمة القطر الثانية مخبأ في برميل بسيارة تنقل البضائع ، فما ان وصل هناك حتى ارتمى يتلوى. وهكذا افلت الزمام واعلن ان القطر كله منطقة موبوءة . وبدأت المعركة الجبارة بين الناس وعدو صغير منتشر في الاطعمة والاجساد لكنه لا يرى مما امده بقدرة خارقة على ارعاب الناس وازعاجهم. ومنذ الف عام جاء (في ذيل الروضتين لابي شامه المقدسي الدمشقي) انه لم يزد نيل مصر واشتد الغلاء والوباء حتى مات اكثر الناس جوعاً وأكل بعضهم بعضا .

وفي الوقت الذي كان الناس يتزاحمون فيه حول مكاتب الصحة يطلبون اللقاح الواقي . كانت نعمات تستعد للعودة مع افواج الحجاج الذين لم يقدرلهم ان يروا بيت الله الحرام هذا العام لكن احداً غيري لم يكن يعلم شيئاً عن معنى الحج فى حياة هذه المرأة ، ولا كان ثمة آخر يدرك ان هذه المحاولة ان هي الا رغبة بلورتها سنوات عشر من الذهب والقذارة والدم .

وفي ضحى اليوم السابع من الشهر الاول للوباء حاول رجل بدين ان يركب احد القطارات المتجهة الى العاصمة، فرأى فيه زحمة الناس وتكالبهم على نحو لم يسبق له مثيل وادرك انه لا يمكنه ان يجد مكاناً لشخص واحد فضلا عن انه يحتل مكان شخص ونصف شخص . وعندئذ وضع اصبعه في فمه ، ورآه الجميع يتقيأ فهرولوا في ذعر هامسين اولاً ثم صائحين : مصاب مصاب . ولم يكن فيهم بخيل واحد يحرص على مقعده ولا قديس يبقى الى جانب الرجل . بل تدافعوا جميعهم من العربة واخلوها له. اما البدين فجلس واضعاً يده على بطنه كلما بدا له من العربة الاخرى وجه فضولي يتحقق انه ما زال على قيد الحياة . وهكذا شمل الرعب الجميع .

في ذلك الوقت كنت قد اشرفت على الثالثة والعشرين حين كانت الولايات المتحدة تهدد العالم بقنابلها الذرية وثمة مذابح في الهند ومجزرة في اليونان لا تنتهي ، وحين كان الاضراب في مصر قد امتد فشمل عمال الاسكندرية وعمال القنال ، بينما حاولت الجماهير قرب القاهرة ان تقوم بمظاهرة فصدها البوليس اما مؤتمر السحرة فكان قد انفض .

وانا لم اتحدث بعد عن نفسي ، وهذا امر ولا شك متكلف فلئن كان من الانانية ان تجعل نفسك محور الحديث ، فانه من غير الطبيعي الا تذكر نفسك . هذا الى اني كنت صديق نعمات ، بل لعلي اكون حبيبها المفضل . فحين زرتها لاول مرة مع صديق لي اعطيتها كل ما كان معي من نقود، فمانعت في اول الامر وابت ان تأخذ الا اجرها ، ولكني اصررت ان تقبل كل ما اعطيتها ، ويبدو انها تأثرت بذلك كثيراً مما يرجح انها لم تلق من قبل مثل هذا التعبير عن الامتنان . اما انا فلم ابادلها حبها لسبب بسيط ذلك اني متعلق بفتاة اخرى ، فتاة لست اقابلها ولن اتزوجها ولا احبها، لكني متعلق بها . فمنذ السادسة عشرة من عمري حتى العشرين كنا نتبادل الحب ، او هكذا كنا نظن ، اربع سنوات كاملة كأنها مدة امضيتها في خدمة الحكومة المصرية اذ ذاك . ثم حدثت ازمة ؛ ازمة سخيفة ابعدتها عني ، لكنها لا تزال باقية في حياتي مسيطرة عليها تحطم لي كل محاولة ان اعيش سعيداً . ومنذ ذلك

LES CAHIERS DU SUD

•

10, cours du Vieux Port — Marseille

Directeur-Fondateur : Jean BALLARD

Rédacteur en Chet : Léon-Gabriel GROS

•

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises, demeurent aussi l'une des plus jeunes.

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

Ils publient dans chacun de leurs numéros :

des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiqus étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur **l'Islam et l'Occident.**

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1950 :

France, six numéros dans l'année, frs : 850.
Etranger, « « « « « 1.100

الوقت وانا اعرف نعمات قامت لي بأعظم خدمة في الوجود فهناك عندها اردت ان انسى فما نسيت ! وكان تعلني بين وقت وآخر برغبتها في الانصراف عن هذا اللون من الحياة ، وهو ما لا تقوله ابداً لاحد غيري ، ثم اراها تتردد وتعدل . ولما كانت تربط هذه الرغبة بالسفر الى بيت الله الحرام ، فانني ما دهشت حين اخبرتني ذات مساء بما ازمعت عليه من سفر تعود بعده لتجد عملاً بين جيش العمال والعاملات الذي اخذ يملأ المصانع الناشئة هنا وهناك وفكرت ان اتزوجها ، لكن منعتني انعام (وهي الفتاة التي كنت احبها ، وانت تلحظ قرب اسمها من اسم نعمات) اذ زارتني في الحلم ، وكانت رقيقة معي كل الرقة ، لطيفة معي كل اللطف ، قبلتني قبلتين : إحداهما في جبهتي والاخرى على شفتي ، واذنت لي — رغم الفرقة التي بيننا — ان احتضنها قليلاً فأحس بدفئها . ورغم اني حين صحوت حاولت ان انفذ ما كنت قد اعتزمته ، الا ان الاثر العاطفي الذي خلفه الحلم كان قوياً للغاية ، بحيث انني عندما نمت الليلة التالية تمنيت ان احلم حلماً آخر .

وفي الطرق والازقة والحارات كان رجال الشرطة يطاردون الباعة المتجولين ، ويقلبون لهم الفطائر والبلح والترمس والحلوى ، وفصائل الذباب تتطاير امامهم ، فيهرون الباعة ويختفون عن الانظار من حارة الى اخرى ، حتى اذا غادر المكان رجال الشرطة عادوا وافترشوا الارض وعاد الذباب معهم من جديد . وكان على فقراء الشعب ومحروميه اما ان يأكلوا ليصابوا واما الا يأكلوا ليجوعوا .

وفي فجر اليوم الرابع عشر من الشهر الاول للوباء بدأت الطائرات بالقاء الغازات على الاماكن المزدحمة بالذباب ، وفي ضحى ذلك اليوم كان ثلاثون في المائة قد اختنق وبقيته تترنح وتعاني سكرات الموت ، فلما كان الغروب اعلن ان ابادته تمت .

ولشد ما دهشت حين رأيتني امام نعمات — وكان مبعث الدهشة اني سبقتها الى الحج بخيالي . فرغم اني لم احج ابداً — وربما لن يتاح لي ذلك — الا اني استطعت ان اتخيلها بين هذه الزحمة من الحجاج واتخيل الاثر العظيم الذي يمكن ان يحدثه في امرأة مثلها ما تفعله وما تراه وما تفكر فيه هناك . غير اني وجدتها امامي فجأة ، في نفس الوقت الذي كنت اتخيلها فيه على سطح الباخرة ، وفي نفس الوقت الذي كنت اتأمل فيه معنى الحياة ومعنى الموت ، وكان ذلك يوم عيد ميلادي يوم اتممت الثالثة والعشرين ، فرأيت ان احتفل به مع نعمات .

وفي القرى كان الفقراء يحملون موتاهم على الجمال ويذهبون بهم الى الجبل لكي يدفنوهم ، لكن المشيعين — كالموتى — لا يعودون يتلعهم الجبل بعدما يتقيأون ويتبرزون بضع ساعات . وعندما تمر بقية الاحياء في احياء القرية الضيقة يلمحون علامة على احد الابواب المغلقة يدركون ان الوباء قد غزا هذا المكان ولا مكان فيه لانسان اما اثرياء القوم فوجموا وارتعشوا اولا ، ثم اعلن اخيراً واحد منهم انه قد تبرع بأربعين الفاً من الجنيهات لمكافحة المرض فلما اخذ حاجته من الاقاح والوقاية والاطمئنان عاد فأنكر ماوعد .

وقبيل غروب اليوم الخامس عشر من الشهر الاول للوباء اصدرت الحكومة اوامرها الى ائمتها في المساجد بأن يعظوا الناس وينبهوهم الى ان مصدر هذا الوباء هو ذلك الشر الخبيث القابع في نفوسهم ، وعليهم ان يطهروا ارواحهم وسط حياتهم هذه الكئيبة القذرة وفي عالم كله تعاسة وشقاء ، فلا يلبث ان يرتفع عنهم هذا اللون من اللعنة والبلاء .

وكان المساء قد اقترب . قلت لها : تعالي نكفر عن ذنوبنا هيا نطهرها . قالت : كيف ؟ وتذكرت طريق الحج واماكنه المقدسة الرهيبة . قلت : نمشي على جسر من جسور النيل ! فحملقت عجباً . كانت تعلم ان مصيرنا الذي نخياه اقوى من ان تنتزعنا منه مشية على النيل . انه ليس مستقلاً عن الارض . فمن هذه الارض تنبعث قيود وعلاقات مفزعة خطرة تجذبنا دائماً نحو مصيرنا الذي نخياه ونحاول الفرار منه . هي تعرض والناس يشترون ، حتى اذا عشنا معاً لحظة نسينا قصة البيع والشراء ، هي ترضي هنا انبل عواطفها التي تشدها امام بيئتها ؛ وانا احاول نسيان ما لا يمكن نسيانه وانت اذا مررت بهؤلاء النسوة في احد احيائهن وهن منتشرات فيه كالذباب لم تشهد غير الاستهتار الذي يزعجك كانسان مهذب ، فاذا اقتربت منهن وجدت ان الامر لا يعدو نوعاً من التجارة الجادة التي لا هزل فيها ، فاذا اقتربت من احداهن عرفت تاريخاً مؤلماً يخلق في صلتك بها نوعاً من الحنان الذي يضيع بعضاً من روح الانسانية في نظرتك اليها قالت . — انها تشعر ببعض التوعك . وكنا نسير في طريق من المدينة شبه مهجور . وقالت انها لا تخاف ووقفت ، ووضعت يدها اليمنى على بطنها ، وما لبثت ان تقيأت . لا تتزعج ، ساطمئنك ، لم يكن ما اصابها سوى تقيؤ هيستيري . غير ان هذا كان كافياً للفت نظر رجل الشرطة . وكان كافياً لان يولي هارباً فلا يعود الا ومعه ضجة من الشرطة والممرضين . وزعمت انها اختي او زوجي ، لست اذكر تماماً . وهكذا وجدنا انفسنا في غرفة متسعة بها فراش على الارض قيل لنا انها المعزل

ريثما يعدون لنا مكاناً في المستشفى القريب. وكنا وحدنا .

ولم يأتنا طبيب. وكان من المتوقع ان يفصلوا بيننا فهي مريضة وانا ملوث وهي امرأة وانا رجل . لكن احداً لم يجرؤ على الاقتراب فقط سمعنا احدهم يصيح قائلاً ان اصابتين حدثتا الآن بالمدينة : احداهما حيث كنا والاخرى بمستشفى المجانين ! وكنت اظنني في ذلك ملوثاً، وكنت احس انني قوي بما احمل من مرض، واني اخيف بمرضي كل هؤلاء. الاصحاء، استطيع ان اقترب منهم فأنشر العدوى بينهم وتتساقط جثثهم كأوراق الخريف وكانت هي وحدها التي لا تخاف لانها المريضة الوحيدة الى جانبي ، ولانها تحبني .

مجلة علم النفس

☆ ☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٤٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ويبدو انني لمت وقتاً غير قصير فعندما فتحت عيني كانت الظلمة تغمرنا . وكنت قد اخذت اتساءل عن قيمة اللحظات التي تعيشها لاسيما اذا كان الانسان قد انفصل عن المرأة التي ربط وجوده ذات يوم بوجودها . وفكرت ان اقوم وافتح الباب وانبه الواقف به الى هذه الحقيقة . لكنني ادركت انني ملوث ، وانه لن يسمح لنفسه بأن يأخذ مني العدوى ليموت فلن يلبث ان يهرب اذا رآني ، ولعله حسناً يفعل .

واردت ان اتأملها ، فأشعلت عود ثقاب اضاء لحظة وجهها ؛ وتراقصت الظلال على جدران الغرفة المتسعة الخالية . كانت مستيقظة وهي مستلقية الى جانبي في ثوبها القاتم الشفاف، وكانت قد تحسنت كثيراً وعصبت رأسها بمنديل حريري ازرق ولمحت على وجهي علامات كآبة. وانطفأ النور ، وعدنا نتنفس في الظلام . وكان ايمانها بالحياة قد ساعدها على ان تدرك انها ليست مريضة؛ وكنت قد اشرت اليها من قبل انه قد يكون مجرد تقيؤ هيستيري ، نوعاً من العدوى النفسية التي لا تمس الجسد لكنها تصيب الروح . وكانت الآن قد تأكدت من صحة ما اقول ، فسمعتها تقول ضاحكة :

— لماذا انت واجم يا احمد ، هل اصابك الوباء انت ايضاً ؟

— بل انا مكتئب لاني امضي ليلة ميلادي هنا .

— بل هيا نحتفل به .

كيف ؟

— بل ادغدغك فتضحك !

— لكن هذا علاج مؤقت يا نعمات .

وانفجرت في قهقهة عالية ، وفجأة صمت .

ففي ذلك الوقت كان العالم يستعد لحرب جديدة بغير ان يحاول التخلص من آثار الحرب الاخيرة ، وكان كثير من المفكرين قد اقتنعوا بان الحياة لا مغزى لها، وكان الفقراء والبغايا يزحمون العالم ، بينما انتشر الوباء يزحف ويتسرب وينشر الموت والرعب بين الجماهير في كل مكان .

وكان هذا هو سر قوتي فلي القدرة ان استمر في قهقهة عالية، ولي القدرة ان اصمت فجأة في اي وقت !

القاهرة — يوسف الشاروني

الباليه في ايطاليا

Le Ballet en Italie

Par Ferdinando Reyna بقلم فرديناندو رينا

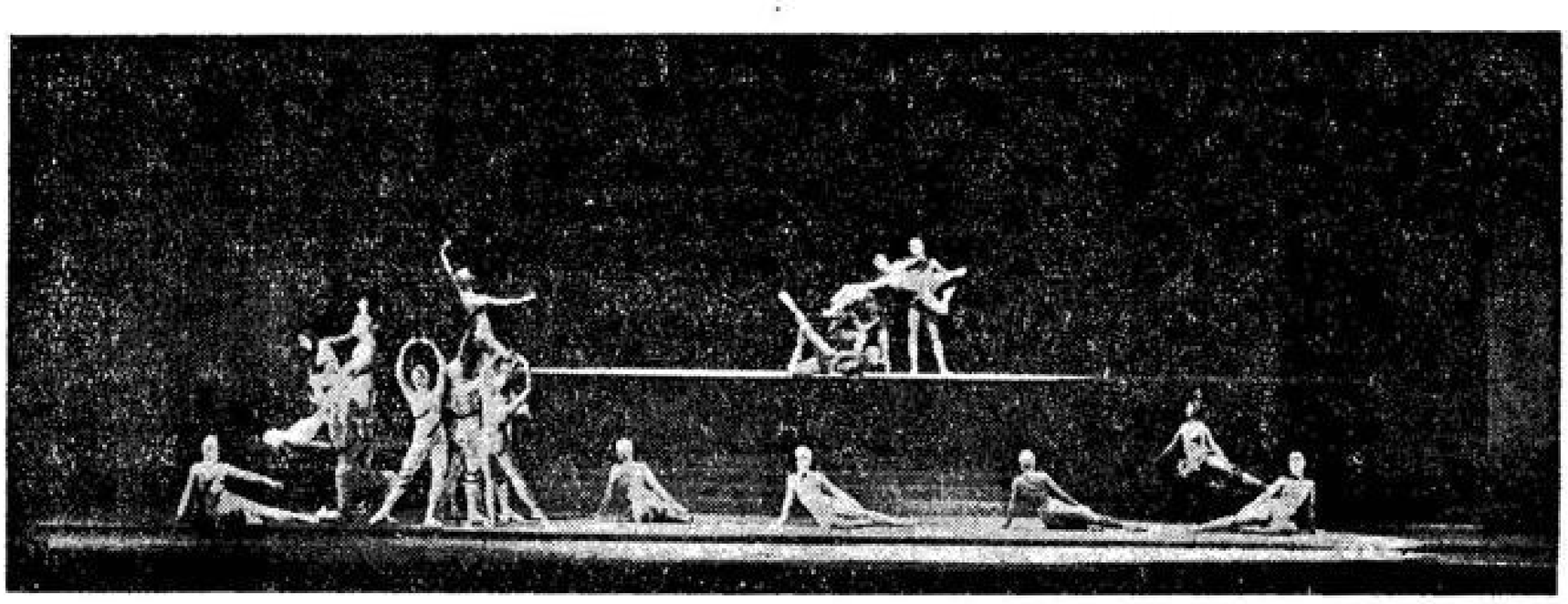
كتبت خصيصاً لمجلة الاديب

اليسر فردينا ندو رينا ناقد من مشاهير نقاد الباليه والرقص الكلاسيكي وهو ايطالي ، يعيش في باريس منذ حوالي اكثر من (١٥) سنة تقريباً ويكتب لاشهر مجلات الرقص العالمية في فرنسا وانكلترا واميركا الجنوبية وايطاليا . وقد قام بدراسات هامة في تاريخ الرقص واكتشف خلال بحوثه المستمرة اقدم انواع الباليه التي عرفها الانسان المتحضر . والآن يقوم بتأليف كتاب شامل عام عن التطور التاريخي والفني للباليه ما يزال في ادواره التأليفية . وقد تعرفت بالسنيور رينا منذ حوالي عشرة اشهر في حفلة افتتاح احد المعارض الفنية التجريدية ، وهو من محبي التصوير والنحت التجريديين حيث يعتقد ان المذهب التجريدي حقق اكثر من غيره من مذاهب الفن ورشاقة الخط وحركته الراقصة . كما انه معجب الى حد كبير بالشرق والوانه البهيجة وروحه العميق وتاريخه الحافل مما جعله يلتفت الى ناحية الرقص الشرقي وانسانيته . وقد ابلغني يوماً رغبته في ان نشترك معاً في بحث عن (الباليه في الشرق قديماً وحديثاً) كما اننا ننوي معاً خلق (باليه بغدادي) اقوم فيه بالديكور والملابس والحركة العامة وهو يقوم بالادارة الفنية .

وقد اصدر السنيور رينا نشرة اخبارية عن الرقص والباليه في السنة الماضية الا انه لم يستطع الاستمرار بالصعوبة ذلك من الوجهة المالية وهو يحاول الآن مع بعض الهواة اصدار مجلة للرقص والباليه تتناول جميع النشاط الفني في ميدان الباليه والرقص القديم والحديث .

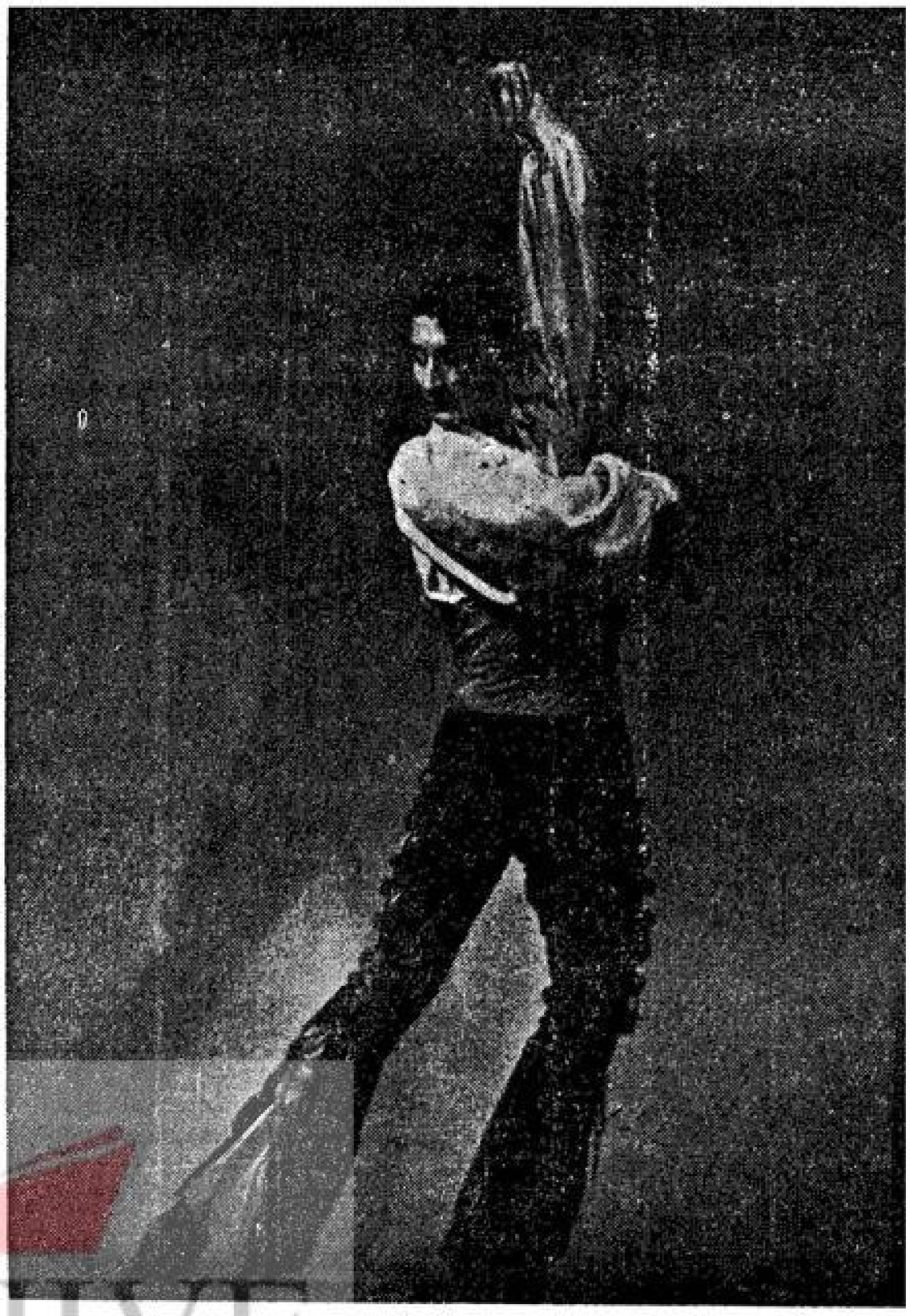
وللسنيور رينا رأي ممتاز بالراقصة الشرقية (ليلى بدرخان) التي تسكن باريس وتدير مؤسسة صغيرة للرقص وهو يعتقد ان راقصات مثل ليلى بدرخان لو امت الغرب من بلدان الشرق في وقت واحد لعرفت الذوق الاوربي كله بتيارها . لان الرقص الشرقي فيه انسانية وفيه احاسيس تنبض بأعمق الافكار وتطلق اجمل الحركات عن تلك الاجسام السمراء التي تتلوى بامتداد وانطواء يشبهان العبادة ، بينما نرى ان الرقص في الغرب اصبح ليس الا حركات هندسية متتابعة تقلدها الراقصة او الراقص عن الاخرى او الاخر بصورة آلية لا تثير في النفس تلك المشاعر الجميلة التي تطلبها من الرقص .

باريس جميل حمودي



منظر كبريشيو

باليه تراسونكي



اوجو دل آرا راقص الباليه الاول في تياترو ميلانو

●

نحن

من المعجبين بشعب اتروريا* لانهم استطاعوا ان يحفظوا سرهم فيما بينهم ، ولم يدعوه يتسرب الى غيرهم . ونحبهم ايضاً لتذوقهم العميق للحياة ومباهجها ولتسرسهم بعد هذا وذاك بفنون الشجاعة والقتال . اينما استقر بهم المقام وقذفت بهم المقادير تعقد لهم الامجاد العسكرية اكاليل من الغار .

ونستطيع بشيء من التأمل في الرسوم التي نقشوها على قبور موتاهم ، وفي غرفهم التي لا تخلو من ثلاث او اربع آلات موسيقية ، وفي رقص الباليه الذي يجيدونه ، نستطيع بشيء من التأمل في كل هذا ان نلم المامة دقيقة بتفاصيل حياتهم السعيدة المليئة بالفخر .

ثم جاء الرومان واخذوا عن الاتروريين فن الرقص ، وكان هذا بدء فن مجيد بين كل الفنون في ايطاليا ، وازدهر في فلورنسا حاضرة اتروريا فنا الرقص والباليه في القرون الوسطى في عهد التمثيليات الدينية ، ثم في بلاط آل مديشي ومنه انتشر فن الباليه في البلاط الفرنسي حتى وصل الى بطرسبرج مدينة بطرس الاكبر الجديدة .

* Etrurie مقاطعة ايطالية قديمة وتعرف اليوم باسم مقاطعة توسكانيا .

ولكن لم يبق من كل هذا اليوم الا الذكرى . . . اين هي امجاد سلفاتور فيغانو الاستاذ في الباليه الذي كان ستاندال يوازيه بشكسبير ، واين هي امجاد ماريا تاغليوني ، فاني سريتو ، سوفيا فيوكو ، امينة بشتي التي اهداها الشاعر الفرنسي بودلير احدى « سوناته » . . واين هي امجاد كورنالبا ، التي اوحت الى ستيفان مالارميه آراءه الميتافيزيكية في الرقص والباليه ، . . . وامجاد فيرجينيا زوتشي ، بيارينا لانياني ، كارلوتا بريانزا الذين كانوا اول من مثل « بحيرة البجع » و« حسناء الغابة النائمة » في موسكو . لنكن صريحين ولنقل ان هذه الامجاد جميعاً لم يعد لها من القيمة او التقدير الا الشيء القليل وتكاد تكون في عداد الذكريات .

ان الباليه الايطالية القديمة لفظت انفاسها عام ١٨٨٥ في باريس امام « اكسلسيور » و« براما » و« سيابا » قصص الباليه الثلاث التي الفها مانزوتي ، بعد ان سيطرت طيلة قرن كامل على اوروبا . وجاءت بعدها الباليه الروسية فقضت على البقية الباقية من الباليه الايطالية .

***

بعد ان اندثر فن الباليه ، ولم يعد يذكر في عداد التقاليد الايطالية ، حذف اسم ايطاليا من قائمة البلدان المعنية بهذا الفن ، ولن يمكن لايطاليا ان تستعيد هذا التقليد من جديد لانه يقتضيها زمان طويل ، فالتقليد تكوين بطيء يتم مع الزمن ، وبدونه لا نستطيع تكوين رقاصين واساتذة في الباليه . . . صحيح ان مدرسة سكالا للرقص تابعت دروسها ، ولكن وجود هذه المدرسة لا يعني انها رفعت الفن الى مستوى التقاليد .

وجاءت سنة ١٩٢٨ حاملة بدء نهضة جديدة في ايطاليا وبدأت الباليه تستعيد مكانتها في اوبرا روما ، وهذا هو موضوع مقالنا .

***

لم يكن في روما اذ ذاك تقليد حقيقي للباليه لانه كان ينقصها مدرسة منظمة للرقص الاكاديمي ، حتى جاء عام ١٩٢٨ ، حين اصبح مسرح كستانزي مسرح الاوبرا الملكية وجيء له كراقصة اولى معلمة الباليه ايانا ليونيدوف ، ثم الاستاذ نيقولا غارا الذي سبق له وعمل في اوبرا باريس ، ولم يكن قد غاب عن الاذهان حتى ذاك الحين طريقة عرضه كاستور وبولكس على هذا المسرح واهتم غارا اول امره في تكوين نواة من الراقصين مستعيناً لتحقيق هدفه هذا ببعض العناصر الغريبة عن ايطاليا . وفي عام ١٩٣٣ عهد بتسم الباليه الى بوريس رومانوف الذي انشأ اول فرقة لرقص الباليه ، وقدم عرضاً مشرفاً لبحيرة البجع . وعندما غادر رومانوف العاصمة الايطالية



اوريل ميلوس في « فتروشكا »

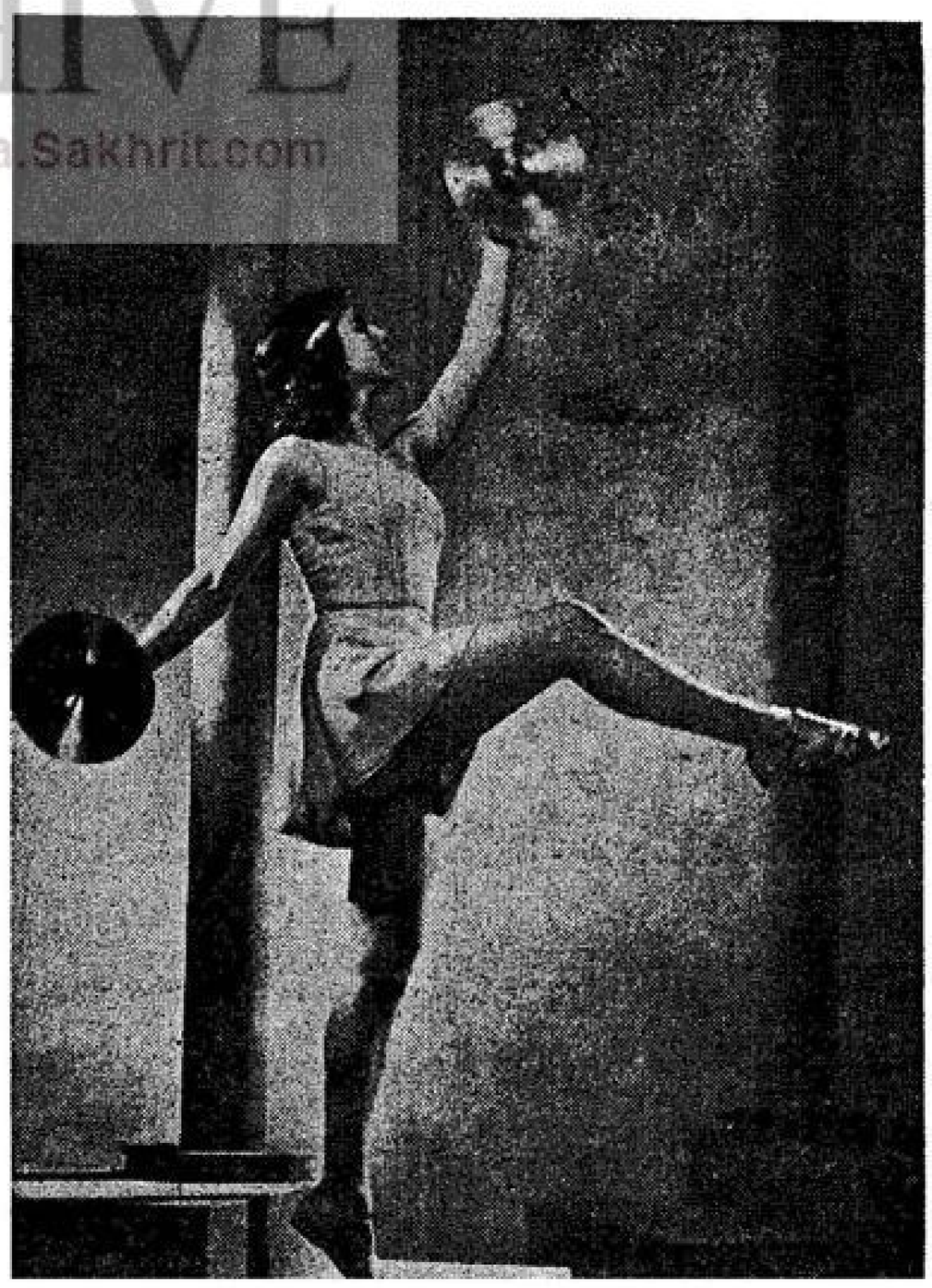
عام ١٩٣٨ الى نيويورك عهد بقيم الباليه الى استاذ هنغاري يدعى اوريل ميلوس ، وكان قد احرز نجاحاً ملموساً في اوروبا الوسطى وفي سان كارلو بنابولي.

وجه الاستاذ ميلوس همه بادىء ذي بدء الى وضع الاسس العلمية والمذهبية للباليه الايطالية مراعياً تطور المدرسة الكلاسيكية وعاملاً على صهرها في بوتقة من النزعات الحديثة.

وفي هذه الاثناء اخذت تبرز عناصر شابة الى جانب اتيليا راديتشي التي كان صيتها ذاع وانتشر بعد نجاحها الباهر في مسرح سكالا وغيره من المسارح التي عملت فيها... واهم هذه العناصر الشابة: اوغو وليا دللارا ، فيليبو مورتشي، يولندا راياللو، كورناليا كراليس ، نارينا كولومبو، جوليو بريجوني، ولتر زابوليني ، ميردزا كالنيتز ، اوريانو فيتال ، تيوفيلو جغليو ، غويدو لوري. وكذلك ظهر بعض الاساتذة في فن الباليه الذين يعتد بهم واشهرهم ترازا

●

مللي فندا كاريشي راقصة الباليه الاولى في تياترو ميلانو



باتاجي واتور غاورسي ثم جنارو غوربو ، واتيليا راديتشي، وهذان الاخيران هما تلميذا ساشتي ومعاوناه في العمل.

وهكذا رويداً رويداً نشأ في روما مركز لفن الرقص وبدأت جماهير العاصمة الايطالية تتذوق البالية ، واخذت تقضي سهراتها في المسرح الملكي بعد ان كانت السهرات مقتصرة على دار الاوبرا.

واشترك في نهضة الباليه نخبة من اكبر رسامي ايطاليا وموسيقييها نذكر من الرسامين : دي شيريكو ، سفريني ، دي بيسيس برامبوليني ، فيني ، سيالوجا ، مافاي ، كاسوراتي الخ .. ومن الموسيقيين : كاسالا ، دلابيكولا ، بتراسي ، برافيتالي ، فلاد ، مورتاري ، بيك مانجيا غالي الخ.. وهكذا في مدى ست سنوات ١٩٣٨ — ١٩٤٤ عرضت عشرون باليه جديدة وخمس وعشرون باليه قديمة بعضها في شكلها الاصلي والبعض الآخر ادخل عليها حركات جديدة، وفيما يلي اسماء بعض القطع الجديدة:

غرفة الرسم (وضع موسيقاها الفريدو كاسالا ، وديكورها ارفيو تامبوري) جوقة الاموات (موسيقى غوفرادو بتراسي، ديكور ماريو مافاي) وزهرة الحلم (موسيقى كاسالا ، ديكور فيليبو دى بيسيس) غادة الكاميليا (موسيقى رومان فلاد ، ديكور لينورفيني) الهواجس (موسيقى فرناندو دو برافيتالي ، ديكور مافاي) العزلة الابدية (موسيقى باخ ، ديكور بلوبورودوف).

ومن القطع القديمة نذكر : مخلوقات بروميتي ، قدس الربيع ، السيدات المرحات ، بتروشكا ، الطفل المبذر . واخيراً في الفصل التمثيلي ١٩٤٦ — ١٩٤٧، قدم ميلوس في افتتاح السكالا في ميلانو قصتي باليه، الاولى « جنون رولان » تأليف اريوست وضع موسيقاها غوفرادو بتراسي والديكور فاليس كاسوراتي، والثانية « نظرات » وهي باليه رومانتية وضع الموسيقى بيك مانجيا غلي . وقد نجحت هاتان القطعتان نجاحاً باهراً واطنبت في مدحها صحف باريس ولندن، وظهرت فيها براعة الممثلين، وخصوصاً اولغا اماتي ، رياتراسا لنياني كارلو فارابوني ، وانداسيا كالوغا ، لوسيانا نوفارو ، مالي كلاريشي ولكن الشيء الوحيد الذي أخذ على مسرح سكالا خلوه من استاذ البانيه ، والراقص الاول ومنسق حركات الراقصين .

ولكن الحقيقة تقتضينا ان نذكر ان مسرح سكالا يستقدم في كل سنة استاذاً او استاذين من اشهر اساتذة الباليه يقومان بعرض باليه واحدة او اثنتين ثم يعودان من حيث اتيا فكيف والحالة هذه يمكن الاستمرار او على الاقل التفكير في استمرار العمل واظهار مواهب بعض العناصر الهامة .

ولن يفوتنا ان نذكر انه قامت منذ عهد قريب مدرسة في مسرح سكالا تعلم الرقص للاطفال، بينما وجدت مثيلتها في روسيا منذ خمسين سنة ، واخذ الراقص مكانه في الباليه منذ ذلك الحين لهذا السبب لم يظهر في ايطاليا حتى الآن من الراقصين الاحداث من برهن عن جدارة تبشر بنجاح اكيد في المستقبل .

اما نقد الباليه فلا اثر له في ايطاليا ، كما ان الصحافة المحلية لا تعهد بنقد الباليه الى اخصائيين بل تعهد به الى الموسيقيين، وهذا خطأ فادح لاسباب عديدة. فالباليه الايطالية تحتاج الى نقد خاص والى تحليل منفصل لتنهض بمهمتها على الوجه الاكمل وتؤدي رسالتها .

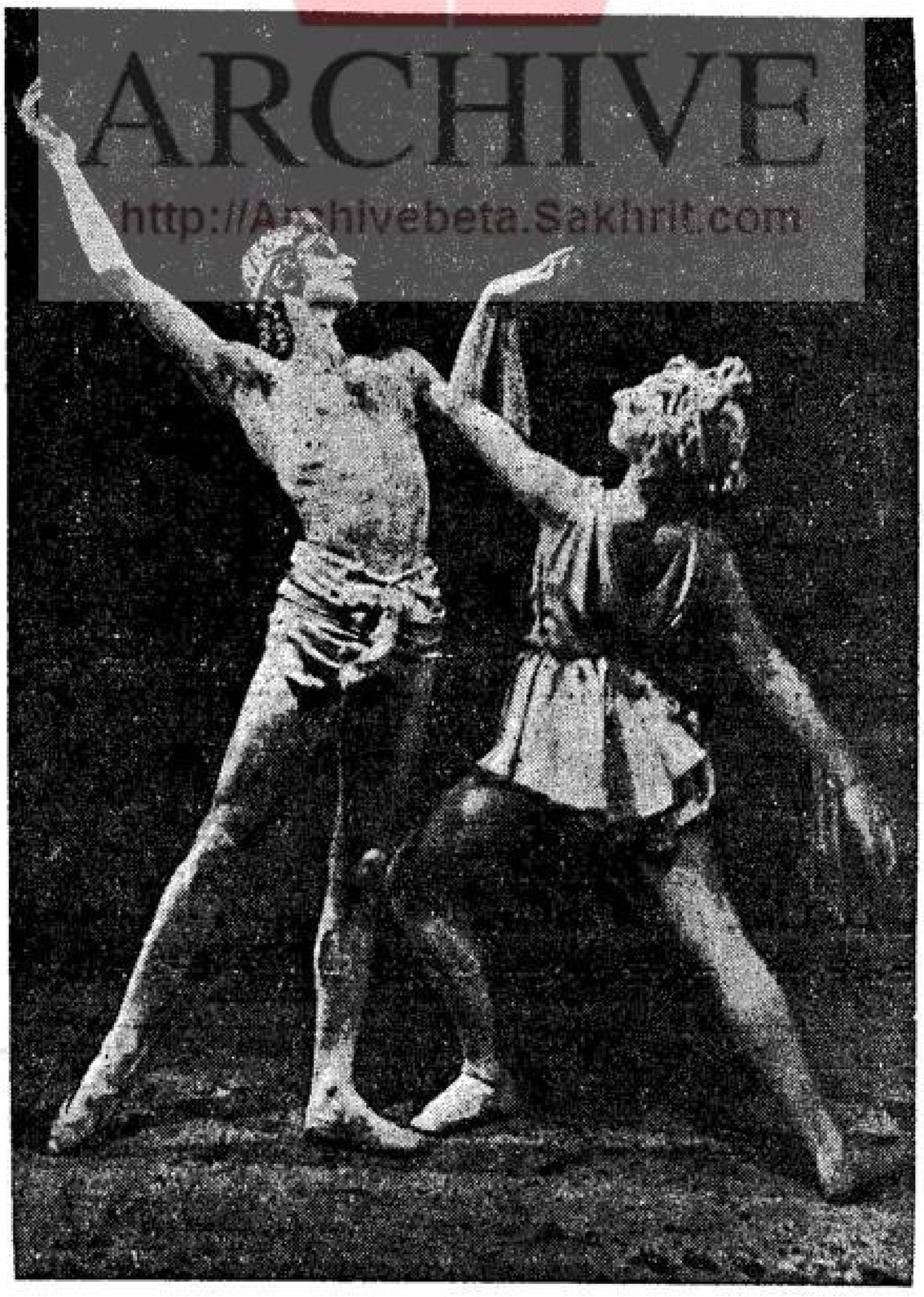
واخيراً قدمت فرقة باليه اوبرا روما في المهرجان الموسيقي الدولي الذي يقام كل سنتين في البندقية قطعتين : اورفيوس ومارسياس، وقد اثبتت هاتان القطعتان نهضة البالية الايطالية، ولا يعني هذا انها تستطيع ان تحتل مركزها اللائق في عالم الباليه الدولي ، اذ لا يزال كثير من قضاياها الهامة بدون حل .

ومهما يكن فان حب الباليه والرقص لم يكن في يوم من الايام احب الى قلب الايطالي واكثر حرارة منه اليوم . ومن غريب ما يلاحظ ان اثنين من اشهر المخرجين الايطاليين هما جورجيو شتزالر واورازيو كوستا ، اخذا يدخلان فن الباليه والرقص في قطعهم المسرحية .

هذا استعراض موجز للباليه الايطالية في عهديها القديم والحديث ، ولنا امل اخير هو ان تتمكن فرقة باليه اوبرا روما من الوقوف وجهاً لوجه امام جمهور باريس وناقديها لا سيما وهي العاصمة الدولية للباليه ، ونظن ان لها من الوسائل ما يمكنها من الاقدام على هذه المجازفة .

باريس فرديناندو ربنا

اوجو وليا دل آرا في العزلة الابدية موسيقى باخ


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موادا شيرر

رقصت الباليه

على ضفاف الجحيم

في اسطورة

وضعها

اوهانس آندرسون


ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

راقصة الباليه

مهداة الى صديقي الشاعر امين نخله

فراشة الروض ، للازهار هبات فرفرفي ، ولعمر الروض ميقاتُ
غطي جناحك بالالوان وانطلقي شتيتة البين فالآفاق اشتات
هل البراعم شوى في تفتحها تقبيلة عندها العشاق أموات
رق الهواء وطابت منك نسمته نشوان دارت عليه الليل كاسات
نحن الفناة وانت الروح خالدة ذقنا هواك وقالوا بعدنا : ماتوا
لما رأيتك كالاظلال ماثلة طوحت عمري بواد فيه آهات
ميلي عمال الصبا حتى تصدهدني انغام خطوك لها في الجو موجات

***

موارة انت يا غيداء في شرر كررت نفسك حتى قيل غادات
الشعر لا فاحم جعد ولا عقد لكن كميت له عطر وهفات
أكنت طيفاً فطوفت الوجود سُرى شبحاً يهيم له في الفن غايات
اوزة لحت سكرى في مسابحها افدي البياض الذي فيه الاوزات
على انامل رجل تخطرين ، كما تزت وعول وضمتهن غابات
جنية الحسن في انسية خلبت ، لبست خفاً له في الرقص ثارات
وجدت بالساق « بفلوفا » روعة فرعت ، واستفحلت فينا الجراحات
جازيت نفسك عن تأريق اعيننا آما اناك الهوى تحدوه انات
لا يعذب الفن الا في عزوبته فان تزوج كانت فيه غصات
هل تسمعين على الآباد باكية لها اناشيد تروجن نوراة ٠
ضعني على قلبك الخفاق ميسمه فالحب كالموت تجريه السماوات

دمشق

زكي المحاسني

مولد النرجسة

للشاعر اليوناني الشهير بالاماس

في صدر الهيكل الفني بقيت كيبرس
وحيدة وتحولت عبادة الشعب الى غريبة مائتة!
وفي خارج الهيكل المقفر العاري راحت افروديت
تهاجم البيت المحاذي كأنها الصاعقة ، او كأنها روح تخلص من
الجحيم، وفارت كالبحر الثائر وقذفت الابنة المعبودة بهذه الكلمات .

يا للمجنونة ! اراك تلفين جسدك المائت بوشاح الهي وانت ما
استطعت ان تجتنبي القضاء ! لقد سكرتِ بالجمال . . . يا ظلال
الجمال . . . ايتها الحقول المائتة التي لا تخاف من نقمة غضبي ولا تخلد
فيها الشعلة الالهية ! . . . اني ساحول بيتك الى رماد ، واذري
جسدك في الكون ؛ ومهما كانت جذورك عميقة في الارض فانك
ستعيشين ابداً و كما عشت سابقاً عبدة تحت اوراق الاشجار ! . . .

***

نار وطوفان ، هزات ونوح عميق . وفي البيت اضطراب .
و كما تولد نجوم وعوالم عذرية جديدة فوق انقاض العوالم،
هكذا ولدت زهرة عطرة ناصعة البياض من خلال التطورات
والتغيرات ، . ولدت نرجسة ! عندما يظهر قوس قزح ، يفتر ثغر
الكون ، فتبدو الغيوم الكالحة ، ويستولي على الارض سكون
عميق ، فتخنق الطبيعة الثائرة غضبها وتبتسم لمولد الزهرة ابتسامة
الام الرؤوم لرضيعها . تبتسم للزهرة التي ساهمت في غذائها السيول
وعملت على مولدها الزوابع والانقلابات الجوية، الزهرة العذراء التي
ما داعبت اوراقها الثلجية يد ، والتي اتخذت من قوة الاعاصير
قوة لجمال سري يتهيبه المرء تهيبه للظلمة !

***

هوذا روح الابنة تتلألأ في قلب النرجسة ، وجمال وجهها
يخطر في تلافيفها . اما صوتها البنوي فعطر يتضوع كأنه
يقول : سيأتي يوم تلقين فيه مصرعك ايتها الالهة القاسية الحسود !
وستنصب عليك لعنة الانسان ، ولئن كنت سيدة فلأنت عبدة
للظلم ، وفي ظلمك تكمن قوتك . فخلودك دخان . الطاهر والعادل
لا يموتان وان كانا ضعيفين ومتواضعين . وان كنت حسبت انك اطفأت
جمالي ، فجمالي باق على الدهر . وهناك قوة امي
من كل قوى الارض والآلهة، قوة لها اسم واحد :
يقال لها العدالة . ويحك ايتها الخاطئة الرعناء !
ان القضاء يشدك انت ويتمسك بك فالويل
لك ! ترى ماذا سيبقى من نورك الوضاء ؟
ظل خفيف ! ومن سحرك الكاذب ؟ لا شيء !

ان القلوب لكي تتحد وتتبادل قبلة
الهوى الصامت لن تأتي اليك . ولن تحمل لك
الهدايا كما كانت تفعل سابقاً عندما كانت
تأتي لتسجد في هيكلك للنور الالهي المشع . فاسمك لن يلفظه
انسان بخوف مقدس، بل سيتبدد كالموج ، ويضمحل كنفحة الريح ،
وسيمحي من كل عقل ومن كل فم . ومن هيكلك سيبقى
حجران وسأقيم لي عرشاً ، حيث كانوا يقيمون لتمثالك الصلوات
القدسية . ايتها الالهة ! لا بد ان يأتي ذلك اليوم الذي تذكرك
فيه هذه النرجسة التي صبت عليها جام غضبك بغابر مجدك ، يوم
تقف باكية فوق ضريحك ، تغمر مثواك بشذا عطرها .

***

بين خرائب هيكل عشتاروت نرجسة تفتحت اكمامها عن
نضارة كأنها السحر، فجذبت اليها العقل في مثل جاذبية
المغناطيس الى قصة عجيبة .

حلب — ترجمة : **الياس معوض**

رجل الصناعة

بقلم د. هـ. لورنس ترجمة جلال فاروق الشريف

هذه صفحات منتزعة من قصة نساء عاشقات للكاتب الانكليزي الشهير د. هـ. لورنس.
ولقد سبق لي في عدد سابق من « الاديب » ان تكلمت عن الكاتب المذكور
واشرت الى اتجاهه الفكري وعرضت ملخصاً لاشهر قصصه وهي « عشيق الليدي تشاترلي »
ولما كان البحث السابق لم يتعرض لنظرة لورنس الى الآلة الا بشكل موجز ، فانني انشر هنا تعريباً
دقيقاً يعبر عن هذه النظرة ، بعد مقارنة بين النصين الفرنسي والانكليزي راجياً ان يفي بالغاية

في « شورتلاند »* بلغ النضال الذي دام طيلة الحياة نهايته فالاب مريض على وشك الموت. انه يشكو آلاماً باطنية شديدة محت من ذهنه ذكرى حياته المجهدة ولم تترك له الا بقية من الوعي. فالصمت يهبط الى اعماقه بازدياد مستمر ، ووعيه لما يحيط به يقل شيئاً فشيئاً ، والالم بدا كأنه ازال فعاليته. انه يعلم بوجوده وبانه سيعود فهو كشيء اختفى في ظلمات اعماقه غير انه لا يملك القدرة ولا الارادة للبحث عن هذا الشيء والتعرف عليه ، فظل هذا الالم هناك في الظلمة يمزق احشاءه بين الحين والآخر ثم يجثم صامتاً. كان يتسربل بالخضوع الصامت تحت وطأة هذا الالم عندما يمزقه ، وعندما يتركه وحده من جديد ، يود لو يظل هذا الالم مجهولا.

لم يتقبل الالم الا في ركن خفي من كيانه حيث لم تثر مخاوفه وتراكمت اسراره ، اما في البقية فلئن حل الالم وارتحل فلن يعبأ. كان هذا الالم يزيل حياته بازدياد ، وينتزع منه جميع قواه بانتظام ، ويدميه في الظلمة ، ويحرمه من الحياة ، ويجذبه نحو الظلمات ، حتى لم يعد يستطيع ان يرى في شفق حياته الا اشياء قليلة ، فشؤونه واعماله قد اختفت تماماً ، ومصالحه لا حساب لها كأنها لم تكن ابداً ، حتى عائلته اصبحت غريبة عنه. انه يستطيع فقط ان يتذكر في بعض الزوايا الثانوية من نفسه ان فلاناً وفلاناً هما ولداه. غير ان هذا بالنسبة اليه اشبه بالحوادث التاريخية منه بالحوادث الحيوية ، فكان عليه ان يبذل جهداً ليعرف علاقتها به. حتى امرأته لا يكاد يحس بوجودها.

كانت في الحقيقة كالظلمة او كالالم الذي يحيا في كيانه. فالظلمة التي تحتوي المه قد غدت بتأثير تداع غريب للافكار شيئاً واحداً هي والظلمة التي تحتوي امرأته. فكل افكاره قد اظلمت واختلطت والآن لم تعد امرأته والالم المفترس غير قوة واحدة مظلمة خفية تقف في وجهه ولا يستطيع مجابهتها لم يعد يطرد الرعب ابداً خارج انعزاله في نفسه. انه يعلم فقط بوجود ركن خفي مظلم في هذه النفس وبان شيئاً ما يكمن في هذه الظلمة ويخرج بين الحين والآخر ليمزقه غير انه لا يجرؤ على اقتحامها ومناضلة هذا الحيوان علانية بل يفضل تجاهله.

فالرعب فقط هو امرأته الهدامة ، والالم هو الهدم ، وفي ذهنه المتخبط في الظلمات اختلط الاثنان. لم يكن يرى امرأته الا قليلاً لانها تظل



* منتزعة من قصة نساء عاشقات Femmes Amoureuses. D.H. Lawrence. NRF. (55e.Edition.P.263 - 289). Un capitaine d'industrie.

في غرفتهـا الخاصة وتأتي لتراه بين الحين والآخر ، فتقـدم رأسها وتسأله بصوتها الهادىء عن حاله فيجيبها وفق عادة تمت الى ثلاثين عاماً « اوه لا اعتقد يا عزيزتي اني اسير الى اسوأ ». ورغم ان العادة مطمئنة فانه كان يخاف امرأته كأنه على حدود الموت. لقد ظل طيلة حياته شديد الامانة لمبادئه ، فلم يخضع لزوجته ابداً. انه ليموت الآن دون ان يعرف حقيقة عواطفها نحوه. كان يقول لنفسه طيلة حياته : ان لكريستين المسكينة مزاجاً عنيفاً . فلم تهن ارادته بل ظل محتفظاً بهذا الموقف منها ، واقام الشفقة مقام العداء. فهي درقته وسلاحه الذي لا يخيب. انه لا يزال يأسف على زوجته في اعماق وجدانه. ان طبيعتها الخاصة شديدة العنف شديدة التسرع. غير ان شفقته بدأت تتضاءل مع حياته ، والخوف يعظم ويتزايد حتى اصبح مرعباً ، غير انه سيموت كالحشرة بعد انكسار قوقعتها ، قبل ان تتحطم حقيقة درع شفقته ، فهو كل ما بقي له من القوة. فالآخرون يستمرون في الحياة ويتبينون دون اي امـل الموت النابض والاقتراب المتزايد لعالم الفوضى ، اما هو فيأبى عـلى الموت نصره.

لقد ظل شديد الامانة لمبادئه ، شديد الامـانة للاحسان ، ولحب القريب ، وقد يكون احب القريب اكثر من محبته لنفسه وهذا منه اكثر مما اقتضته التعاليم. فهذه الشعلة وهذا الحب للشعب قد دعم حياته في كل الظروف فاوجد العمل لعدد عظيم من الرجال لانه صاحب مناجم للفحم ، كما ان شعوره بانه وعماله ليسوا غير شيء واحد حسب تعاليم المسيح ، لم يغادر قلبه ابداً. واكثر من هذا ايضاً فقد شعر انه دونهم وان عملهم وفقرهم قد قربهم من الله ، فظل مؤمناً ، دون ان يبوح لاحد ، بان عماله ورجال المناجم انما يمسكون بايديهم وسائل الطمأنينة للتقرب من الله ، لذلك عليه ان يتجه نحوهم ، وعلى حياته ان تتجه نحو حياتهم. كانوا دون ان يعي ، معبوده والهه على الارض ، ففيهم كان يعبد اسمى واكبر تأليه للانسانية.

طيلة هذا الزمن كله ، كانت امرأته تتصدى له كأنها احد كبار ابالسة الجحيم. اخذت تناضل ضد حواجز حبه للناس ، غريبة الاطوار اشبه بأحد الجوارح ، ذات جمال اخاذ وطلعة متعالية كالصقر ، ثم غرقت في الصمت كالصقر في قفصه ، فظل القفص متيناً وظلت سجينة فيه ، لان قوة الظروف والعالم باسره ، ارادا ان لا يتحطم القفص.

ولما كانت سجينة فان حبه الشديد لها ظل راسخاً متقداً كالموت ، فاحبها على الدوام حباً عارماً ، فلم يرفض لها طلباً ، وتمنعت بحريتها التامة في قفصها. غير انها اوشكت على الجنون ، فطبيعتها المرعبة المسيطرة جعلتها لا تطيق تحمل الضعة التي يشعرها بها ما يزوجها من طيبه تشمل الجميع.

لم يكن يستسلم لخداع الفقراء. فهو يعلم انهم اذ يقصدون بيته يبكون فيه انما يعيشون عـلى حسابه . وهؤلاء هم اسوأ انواع الفقراء ، غير ان الاكثرية كانت لحسن الحظ اشد اباء من ان تسأله اي شيء. ما واكثر استقلالا بشؤونها من ان تقرع بابه. كان في « بيلدفر » كما في اي مكان آخر تلك الكائنات الوضيعة المستعدة دائماً للشكوى ، وتلك الطفيليات التي ترحف على بطونها خلف الاحسان ، وتعيش كالقمل على جسم المجتمع الحي.

وكأن ضرباً من النار نفـذ الى رأس زوجته « كريستين غريتش » عندما رأت امرأتين شاحبتي الوجه تجران نفسيهما في ثياب سوداء قذرة ، وترحفان على طول الشارع حتى البيت . خالجتهـا الرغبة بان تطلق عليهما الكلاب . « هيا يا ريب ، هيا يا رينغ : قفا. انطلقا . اطرداهما . » غـير ان « كروزر » رئيس الخدم والبقية ، كانوا مخلصين للسيد « غريتش » . رغم هذا فانهـا عند غياب زوجها كانت ترتمي كالذئبة عـلى المتسولين الزاحفين. ماذا تريـدون ؟ ليس لكم عندنا من شيء . اطردهم يا سمبسون ولا تدعهم يتخطون الحواجز ، حواجز البيت . فيضطر الخـدم الى اطاعتها ، فترقبهم بعين النسر وهم يطردون في المر ، بغير لباقة ، هذه الكائنات القاتمة التي استقرت امامه ، كالطيور المتعبة . غير انهم كانوا يستعلمون من البواب عن الايام التي يكون فيها السيد غريتش في البيت ، وينظمون زياراتهم عـلى اساسها . فكم من مرة كان « كروزر » في الزمان الاول ، يأتي ليقرع الباب بلطف ويقول : — هناك من يود مقابلتك يا سيدي . مـا اسمه ؟ . « كروتوتش » يا سيدي . ماذا يريد ؟

كان في هذا السؤال فراغ صبر وعرفان للصنيع ، لانه يحب هذه الدعوة الى البر .

— انه امر يتعلق بطفل . — ادخلهم الى غرفة المكتبة وقل لهم ان لا يأتوا قبل الساعة الحادية عشرة صباحاً . فصاحت زوجته بغتة : — لمَ تنهض عن المائدة ؟ اطردهم . — اوه . ان هـذا مستحيل . ليس في الامر سوى ان اصغي ببساطة لما يودون قوله لي . — كم عدد الذين جاؤوا اليوم منهم ؟ ان لهم مائدة مبسوطة هنا ، وسيطردونني بسرعة ، انا والاولاد . — انك لتعلمين يا يا عزيزتي بانه لن يكدرني ابداً الاصغاء لما يقولونه ، وان واجبي

هو ان آخذ بيدهم اذا كانوا حقيقة في ورطة . — ان واجبك اذن هو ان تدعو فئران العالم لتنخر عظمك . ؟— الامر ليس كذلك يا كريستين . لا تكوني قاسية . وفجأة خرجت قاصدة غرفة المكتبة حيث جلس اللجوجون الهزيلون كانهم عنـد الطبيب .

— ان السيد غريتش لا يستطيع مقابلتكم . انـه لن يستطيع ذلك الآن . اتظنونه في خدمتكم وان باستطاعتكم القدوم متي شئتم ؟ انصرفوا ، فليس لكم من شيء في هـذا البيت .

نهض المساكين مضطربين غير ان السيد غريتش قدم خلف زوجته شاحباً بلحيته السوداء ، متألماً كالشهداء وقال لهم :

— نعم لا احب ان تتأخروا في القدوم . ساستقبلكم راغباً في الصباح غير اني لن اتمكن من الاهتمام بامركم بعد ذلك . ماذا هنالك ايضاً يا « جيتنس » ؟ كيف حال امرأتك ؟ — لقد هوت كثيراً يا سيدي انها تموت .. انها » .

كان زوجها يبدو لها بعض الاحيان كانه طير الشؤم يتغذى من بؤس الناس فلا يسر اذا لم يطلع على عدد من القصص القـاتمة التي يتلقمها بارتياح حزين مـلائم . فليس من مبرر لوجوده اذا لم يكن في العالم بؤس يشكو منه الناس كتعهد الجنائز الفخمة ، ليس من مبرر لوجوده اذا لم يكن هناك دفن .

كانت السيدة غريتش منطوية على نفسها بعيدة عن العـالم ، عالم الديموقراطية السائدة . فحول قلبها عصابة تبعدهـا عنه ، وعزلتها متشامخة قاسية ، ونفورها سلبي دون اضطراب كالصقر في القفص . وكلما مرت السنون قل اهتمامها بالعالم فبدت كأنها تائهة في اشياء مجردة براقة وهي في شبه غفلة تامة . انها تهيم في المنزل وفي العراء متقدة النظرات رغم انها لا ترى شيئاً . لا تتكلم الا فيما ندر ، وليست لها علاقة بالعالم . حتى توقفت عن التفكير . فقد استنزفها نفور مرعب كما يفعل القطب السلبي للمغناطيس . لقد انجبت اولاداً عديدين لانها كلما مر الزمن قلت معارضتها لزوجها بالقول او بالفعل فهي لا تأبه له . كانت خاضعة تدعه يأخذ منها ما يشاء ويصنع بها كما يحلو له ، كانت كالصقر الذي قبل الخضوع كارهـاً . فعلاقاتها مع زوجها علاقات خرساء غير انها عميقة رهيبة ، علاقات هدم متبادل . فان حيويته ، هو الفائز في ميدان الحياة ، اخذت تصبح جوفاء بازدياد مستمر ، فقد ادمته هذه الحيوية كأن به نزيفاً اما هي فقد تلاشت قوتها كالصقر في قفصه وظل قلبها ابياً لم يمس رغم انهيار روحها .

هـكذا حتى النهاية كان يذهب اليها ويتناولهـا احياناً بين ذراعيه قبل ان تغادره قواه تماماً . والشعاع الابيض الرهيب القاتل الذي يلمع في عيني كريستين كان يثيره ويبعث فيه الحيويه فيدمى حتى الموت ، عندها يتولاه الرعب منها اكثر من اي شيء آخر . غير انه لا يفتأ يردد مقدار سعادته ومقدار حبه لهـا ، ذلك الحب النقي المفترس ، مذ عرفها . انه يفـكر فيها فيراها شديدة الطهر والنقاء ، فالشعلة البيضاء التي عرفها وحده ، شعلة جنسها ، تكمن في ذهنه كزهرة الثلج البيضاء ، تلك الزهرة التي اشتهاها بكل جوارحه . والآن عند احتضارة ظلت كل افكاره وتعابيره سليمة لم تمس . وهي لا تزول الا في اللحظة التي يغادر فيها النفس جسده وحتى تلك اللحظة فانها ستظل بالنسبة اليه حقائق لا تشوبها شائبة . فالموت وحده سيكشف الكذبة الكاملة ، وستظل زوجته حتى مماته زهرة الثلج البيضاء .

لقد اخضعها وبدا له خضوعها محاطاً بطهر لا نهاية له وبكارة لم يستطع تدنيسها ، سيطرا عليه كقوة شريرة . لقد ابت العالم الخارجي وظلت في اعماقها ناصعة لم تفسد . قبعت في غرفتهـا مبعثرة الشعر ساكنة دون تفكير كالصقر اليائس . ولئن دافعت عن نفسها في صباها ففي سبيل اولادها ، اما الآن فليسوا شيئاً بالنسبة اليها فقد فقدت كل شيء وظلت وحدها .

و« جيرالد » النشيط وحده ظلت تشعر بوجوده قليلاً غير انها في هذه السنين الاخيرة نسيته ايضاً مذ ابتدأ بادارة اعمال ابيه المحتضر الذي وجد فيه بعض العزاء . كان بينهما دائماً ضرب من النفور فجيرالد يخشى اباه ويزدريه فتجنبه طيلة طفولته ومطلع شبابه ، والاب من ناحيته كان يشعر غالباً باشمئزاز حقيقي من ابنه البكر غير انه رفض الاعتراف بهذا الاشمئزاز لانه لم يرد ان يستسلم له . كان جهد طاقته

العـرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ بونس المجري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

يتجاهل جيرالد فتركه في عزلته وحده، ولكن منذ ان عاد جيرالد الى البيت وتحمل مسؤوليات الاعمال وبدا مديراً جديراً بها ، فان الاب الذي انهكه التعب وسئم التفرغ لمصالحه ، وضع كل ثقته بابنه ، وترك له امر الاعتناء بكل شيء وجعل نفسه على نحو مؤثر تابعاً لحصه الشاب. فايقظ هذا شفقة حادة في قلب جيرالد وضرباً من الامانة ، لكنها امانة اظلمها الازدراء دائماً والود المتحفظ. ورغم ان جيرالد يكافح البر فقد خضع له وكانت له في نفسه المنزلة الاولى فلم يستطع مناقشة هذه العاطفة ورفضها ، وهكذا كان على وفاق مع والده في جزئيات اعماله غير انه مع ذلك ظل يكافح هذه العاطفة. لقد اشفق على ابيه وشعر نحوه بالاسى والحنان رغم نفوره منه اعمق النفور واقساه. وبفضل هذه الشفقة ظفر الاب بحماية جيرالد، اما الحب فهو لـ « ونفرد». كانت هذه اصغر اولاده والوحيدة بينهم التي احبها حباً كاملاً كاعظم ما يكون عليه الحب الفخور الحدب عند رجل يموت. كان يريد لها رعاية لا حدود لها ويود احاطتها احاطة تامة بحرارته وحبه وحمايته. ولو استطاع انقاذها لما عرفت اي انزعاج ابداً او اي الم او اهانة. كان مستقيماً في حياته راسخاً في حنانه وطيبته، وحبه لـ «ونفرد» الصغيرة كان آخر فضيلة حركت نفسه. غير ان هناك ثمة اشياء لا تزال تقلقه ، فالعالم يفلت من بين يديه وقواه تغادره ، فلم يعد هناك فقراء او مساكين او آلام يرعاها ويغيثها. فقد ذهبت جميعاً. لم يعد هناك ابناء وبنات يثيرون همومه ويحملونه عبء مسؤولية ما امام اي كائن. فهؤلاء ايضاً زالوا من الواقع ، وكل هذه الاشياء افلتت من يديه وغادرته حراً.

لم يبق له الا الخوف الخفي والرعب من زوجته ، سواء ظلت في غرفتها فريدة ساهمة دون تفكير ، او اقتربت بالخطو البطيء لامرأة هائمة قد احنت رأسها الى الامام. غير انه كان يطرد هذه الرؤيا. ان حياة كلها استقامة لم تجنبه هذا الرعب العميق ومع ذلك فقد وفق الى ان لا يفلح هذا الرعب ، فلم يبد عليه صراحة ، لان الموت سيسبقه الى ذلك.

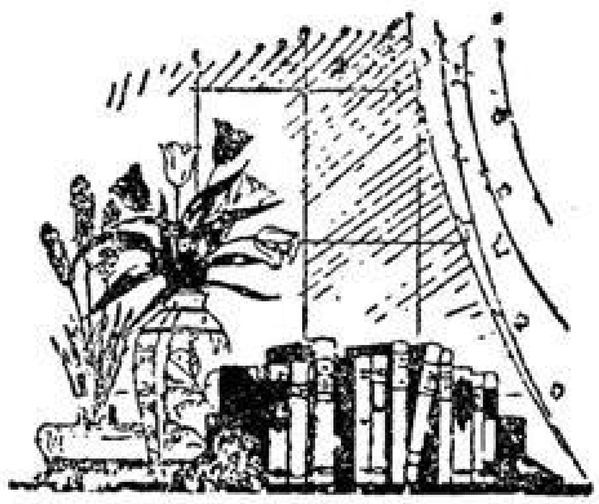
***

كلما دنا الاب من الموت ازداد جيرالد اظهاراً لشعوره بالخطر، فابوه رغم كل شيء قد حل محله في عالم الاحياء. فلم تترتب على جيرالد اية مسؤولية طوال بقاء ابيه على قيد الحياة. اما الآن وقد اوشك ابوه على المضي، فقد وجد نفسه معرضاً لعاصفة الحياة دون ان يتخذ الاهبة لذلك كالربان الثاني لمركب ثائر فقد ربانه الاول فلم يجد امامه سوى فوضى رهيبة ، انه لم يرث اي نظام قائم او اية فكرة حية ، ولقد خيل اليه ان الفكرة الكبرى التي توحد الانسانية قد ماتت مع ابيه وان القوة المركزية التي تدعم المجموع بتمامه قد تلاشت معه ، فالاجزاء كلها على وشك التفكك في انحلال رهيب.

كان جيرالد يشعر كأنه هجر على ظهر مركب يتفكك تحت اقدامه او انه يقود مركباً تجزأت اقسامه. لقد ظل طول حياته ينقض على بنيان الحياة ليقوضه غير انه الآن رأى نفسه على وشك ان يرث ما هدمه بنفسه فانتابه شيء من الجزع الذي ينتاب الاطفال المخربين. وقد فقد في الاشهر الاخيرة بتأثير الموت وبتأثير محادثة صديقه «بيركن» وافكار صديقته «غوندرن» تلك الطمأنينة الآلية التي كانت عنده وكانت هي نفسها فوزه المبين. وفي بعض اللحظات كان يثيره حقد على «بيركن» وعلى «غوندرن» وبقية العصبة؛ فهو يود العودة الى حياة رد الفعل القاتم ، الى حياة احمق الرجال العاديين ، الى حياة المؤيدين الصارمين الذين لا يعترضون على شيء ، غير ان هذه الرغبة لم تدم طويلاً حتى يحققها.

كان في طفولته الاولى وعندما اصبح يافعاً يحلم بحياة على نحو وحشي. فمثله الاعلى هو عصر هوميروس والايام التي كان الرجل فيها يترأس جيشاً من الابطال او يمضي سني حياته في «اوديسة» رائعة. كان يكره بشدة ظروف حياته الخاصة الى حد لم ير معه ابداً «بيلدفر» ووادي المناجم، فهو يتنكب عن المنطقة السوداء التي تمتد على يمين «شورتلاند» فلا يبحث الا عن القفر والعراء والغابات في «ويلي ووتر». كان لهاث مناجم الفحم وضجيجها يسمع دائماً في شورتلاند ، غير ان جيرالد منذ نعومة اظفاره لم يعرها اي اهتمام ، فهو يجهل هذا البحر من الصناعة الذي تتلاطم امواجه المسودة بتأثير الفحم على اقدام البيت . فالعالم عنده مكان موحش يصطاد فيه المرء ويسبح ويخب على جواده ، لذلك فهو يثور على كل سلطة فالحياة ضرب من الحرية . ولقد ارسل في ذلك الحين الى مدرسة ثانوية ثم رفض ان يذهب الى اوكسفورد وآثر جامعة المانية فقضى بعض الزمن في « بون » وبرلين وفرانكفورت ، حيث اراد ان يرى الاشياء ويعرفها بفضول وعلى نحو موضوعي كأنه يجد فيها تسلية لنفسه .

واراد بعد ذلك ان يجرب الحرب ، ثم سافر بعدها الى البلاد البعيدة عن الحضارة فقد استهوته بشدة ، وقد خلص من كل هذا الى ان الانسانية متشابهة في كل مكان وان المتوحش بالنسبة الى ذهن يحب الفضول كذهنه ولكنه قليل التأثر ، هذا المتوحش



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Tél. Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

اكثر خموداً او اقل اثارة للاهتمام من المتحضر الاوربي . وعلى هذا النحو كان يبني جميع انواع الافكار الاجتماعية ومشاريع الاصلاح ولكنها ظلت على السطح ليست اكثر من رياضة ذهنيـة وكل فائدتها انها كونت نوعاً من رد الفعل ضد النظام القائم . رد فعل هدام . أخيراً اتاحت له مناجم الفحم فرصة مغامرة حقيقية ، فقد طلب منه ابوه ان يساعده في عمله . كان قد درس علم المناجم دون ان يثير فيه اي اهتمام ابداً ، اما الآن فقد امتلك العـالم فجأة متجسماً . كانت الصنـاعة الكبيرة مطبوعة كالصورة على صفحة وعيه غير انها استحالت بغتة الى حقيقة واقعة اصبحت جزءا منها . ففي اعماق الوادي تمتد الخطوط الحديدية التي تصل المناجم ببعضها . وعلى الخطوط تمتد القطارات ، قطارات قصيرة ومؤلفة من سطوح مثقلة بالاحمال ، او قطارات طويلة مؤلفة من عربات فـارغة كل واحدة منها كتب عليهـا بخط بارز الاحرف الاولى .. ك. ب وشركاه

لقد رأى هذه الاحرف البيضاء منذ طفولته ، غير انـه كان كأنه لم يرها . فهي مألوفة غير انها مجهولة تماماً والآن بدأ يرى اسمه اخيراً مكتوبـاً على العربات ، الآن بدأ يرى قوته ، فكثير من العربات التي تحمل اسمه اخذت تسافر متنقلة في البلاد . كان يراها عندما يصل الى لندن بالقطار ، يراها في « بيلدفر » فقوته قدتشعبت فروعها كثيراً .

كان لا يرى في « بيلدفر » و« سيلبي » و« وواتر » و « ليتلى بانك » ، غير قرى واسعة لعمال المناجم ترتبط بكاملها بمنـاجمه . كانت قبيحة المنظر قذرة ومصدر الالم له في طفولته امـا الآن فاخذ يعجب بها وقد ساوره الغرور .

فها هي اربع مدن جديدة لم تصقلها الحضارة بعد ، وعدة قرى صناعية مفزعة ، قد تجمعت كلها مرتبطة به . كان يرى نهراً من العمال ينتشر على الطريق عند نهاية النهـار ، آلافاً من العمال قد غطاهم السواد ، واختلطت ملامحهم قليلاً ، قد احمرت افواههم ، كلهم خاضعون لارادته . في مساء الجمعة كان يقود سيارته ببطء في سوق « بيلدفر » الصغير بين الكتل المتراصة ومن الكائنـات البشرية التي تشتري وتنفق في كل اسبوع ، انهم جميعاً خاضعون له . كانوا حقاً غلاظاً غير انهم الادوات التي بين يديه . فهو رب الآلة وقد اخذوا يفسحون الطريق بصورة آلية لسيارته . ما الذي يهمه في ان يفسحوا له الطريق بصورة آلية سريعاً او يفسحوه مزدرين فهو لن يعبأ بآرائهم فيه . وفجأة تبلورت الرؤيا التي في نفسه ولم يعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرى في الانسان غير اداة صرفة . لقد اكثروا من التكلم عن الانسانية وعن العذاب والعواطف ، وهذا مضحك . فالعذاب وعواطف الافراد لا قيمة لها ابداً .

انها مصادفات ، كجيد الطقس ورديئه . فالقيمة الوحيدة هي الفرد بصفته آلة فقط ، فالانسان كالسكين : هل تقطع ام لا ؟ ولا قيمة بعد ذلك لاي شيء آخر . لكل فرد في العالم وظيفة ، وقيمته هي في مدى انجازه لها . فهل يتقن عامل المنجم عمله ؟ اذا كان الامر بالايجاب فهو مخلوق كامل . ورئيس العمال هل يحسن الرياسة ؟ فهذا يكفي للحكم عليه . وجيرالد نفسه الذي يحمل على عاتقه مسؤولية المشروع باجمعه ، هل هو مدير صالح ؟ اذا كان الامر بالايجاب ايضاً ، فقد احسن املاء حياته ، اما ما تبقى فهو نفل وزيادة .

المناجم هنا جاثمة ، وقد هرمت . انها تستنزف حتى لم يعد استثمارها يدر شيئاً من المال . فاخذوا يتحدثون عن اغلاق اثنين منها . في هذه الفترة ظهر جيرالد على المسرح . نظر حوله ، فرأى المناجم ماثلة امامه قد شاخت وهرمت ، فهي تشبه الاسود الهرمة التي لا تصلح لشيء . واعاد النظر حوله . آه ان الحالة التي وصلت اليها الآن انما كانت نتيجة للجهود التي بذلت في غير موضعها من قبل عقول مرتبكة . كانت ملقاة هنا ، انها عمل ناقص قام به عقل لم تحسن تهيئته للقيام بالوظيفة التي وكلت اليه . عليه ان لا يفكر بها ، فطردها من ذهنه واخذ يفكر فقط في الفحم الذي تحتويه ، كم تبقى منه ؟ .

ان فيها كميات عظيمة غير ان الاعمال القائمة لن تتيح الحصول عليها . وكان هذا كل شيء . عليه ان يوقف مجرى الاعمال القديمة ، فالفحم هنا ذو عروق متعاقبة رغم قلة خصائلها . انه موجود . انه مادة راكدة منذ بدء الزمن وفي متناول ارادة الانسان . فارادة الانسان هي الدافع الذي يحدد كل شيء . والانسان هو إله الارض ان ذهنه يطيع اوامر ارادته ، وارادته هي المطلق ، والمطلق الاوحد . ان ارادته هي في ان يخضع المادة لغاياته الخاصة ، فلم يكن جيرالد يهتم بالمناجم من اجل المال ، فالثروة لم تكن همه الرئيسي ، ولم يكن به ميل نحو المظاهر والابهة ، وبعبارة ادق ، لم يكن ابداً يهتم بوضعه الاجتماعي ، فما يريده انما هو انتصار ارادته في نضالها ضد اوضاع الطبيعة ، وارادته الآن هي في ان يستخرج الفحم من الارض رابحاً ، والربح ليس سوى علامة النصر ، لان النصر نفسه انما هو في تحقيق هذا الاستثمار .

كان يهتز غبطة امام هذا التحدي الذي دعي اليه . انه يهبط الى المناجم كل يوم يفتش ويجرب ويستشير الخبراء . وتمكن شيئاً فشيئاً من ان يكون لنفسه نظرة عن الوضع بمجموعه كقائد يحيط متدرجاً بخطة سيره . كان عليه اذن ان يغير تماماً طريقة العمل ، فالمناجم قد استثمرت وفق اسلوب قديم وحسب فكرة قد تبدلت . ان الفكرة البارزة كانت في استخلاص اكبر كمية ممكنة من المال من الارض على نحو يجلب الثراء للمالكين ويؤمن للعمال اجوراً كافية وعيشاً محترماً ويغني البلاد باجمعها . ولقد وجد ابو جيرالد مالا وافراً عندما تولى العمل فلم يفكر الا بعماله فالمناجم عنده ليست غير حقول واسعة يجب ان تؤمن الخبز والرخاء لمئات الرجال المتجمعين حوله هو ولقد اجتهد هو وشركاؤه طيلة حياته ليستفيد منها الرجال الذين تم لهم ذلك بطرقهم الخاصة . فلم يكن هناك الا عدد قليل من الفقراء والمحتاجين من الناس . فالامور على ما يرام لان المناجم تدر درأ حسناً والعمل فيها سهل متيسر . في ذلك الزمن وجد العمال انفسهم اغنى مما كانوا ينتظرون ، وشعروا بانهم ظافرون سعداء . فهنأوا انفسهم بحسن طالعهم وتذكروا الآلام التي عاناها آباؤهم واحسوا بانه قد اقبلت ازمنة خير من تلك التي مضت ، فاقروا بجميل الذين مهدوا السبيل امام هذا المشروع ، وبجميل اصحاب العمل المحدثين الذين فتحوا المناجم وجعلوا هذا النبع الغزير يتدفق . غير ان الانسان لا يكتفي بشيء ، وقد كان العمال على هذا النحو ايضاً ، فقد اعترفوا بالجميل لارباب العمل في بادىء الامر ، ثم اخذوا يتهامسون وانتهوا بان وجدوا الاجور غير كافية فطالبوا بالزيادة .

لم يتجاوز رب العمل جميع النسب والحدود ؟ . لقد حدثت ازمة اثناء طفولة جيرالد . فاتحاد ارباب العمل اغلق المعامل لان العمال لم يقبلوا التخفيض ، واضطر توماس غريتش الى ان يفرض على مناجمه الاوضاع التي فرضها بقية المديرين لان اتحاد ارباب العمل يفرض اغلاق المعامل عند عدم قبول العمال تخفيض الاجور ، ولما كان منتمياً الى الاتحاد فقد اضطرته كرامته الى اغلاق مناجمه مخالفاً رغبة رجاله . لقد وجد نفسه هو الاب ورب الاسرة الاكبر مجبراً على ان يمنع عن ابنائه وشعبه وسائل الحياة . ان عليه الآن ، هو الغني الذي جعلته امواله بعيدا عن السماء ، ان يلتفت نحو الفقراء نحو هؤلاء المتواضعين المحتقرين الذين هم اقرب الى الكمال ، هؤلاء الذين هم اقوياء شرفاء في عملهم ، ثم يقول لهم : لن تعملوا ولن تأكلوا الخبز . ان معرفته لحالة الحرب هذه هي التي حطمت قلبه : انه يريد من الحب ان يكون وسيلة الفعالية في صناعته ، والسلطة

المحركة للمناجم، اما الآن ، فهو يرى السيف قد اشهر شيطانياً من خلف رداء الحب ، سيف الضرورة الآلية . والواقع ان هذا قد حطم له قلبه ، فالوهم ضرورة من ضرورات حياته وقد تحطم الآن . لم يكن الرجال ضده وانما ضد ارباب العمل . انها الحرب، وضميره يقول له بانه في الجانب الباغي شاء ام ابى . والعمال جماعات ، يعقدون اجتماعات كل يوم وقد اخذتهم الحماسة وساقتهم دفقة دينية جديدة ، فالفكرة القائلة ان جميع الرجال على الارض متساوون قد انتشرت بينهم ، وهم يريدون ان يقودوا هذه الفكرة الى التحقق مادياً وبعد هذا كله اليست هذه هي تعاليم المسيح ؟ وما هي قيمة الفكرة اذا لم تكن نواة الفعل في العالم المادي ؟

« كل الرجال متساوون في الروح ، فهم جميعاً ابناء الله ؛ فمن اين اذن جاء عدم المساواة الجلي؟ » فهذه هي العقيدة الدينية وقد دُفعت حتى ملابستها العادية ، ولم يكن توماس غريتش يستطيع الرد على هذا . لم يستطع الا ان يتقبل القول بان عدم المساواة شر ، فقد كانت هذه عقيدته الصريحة ، وعلى هذا النحو ناضل الرجال في سبيل حقوقهم وكانوا يستمدون الوحي من حبهم العميق للمساواة هذا الحب الذي هو آخر دفقات الحب الديني الاخير الذي بقي على الارض . ان جماهير غفيرة من الرجال الثائرين شرعت تسير في دخان الحماسة اللاهبة وقد اشرقت وجوههم في طريقهم نحو حرب مقدسة . كيف يتسنى لنا ان نفصل حب المساواة العميق عن الحب الذي لا حدود له عندما تبدأ المعركة في سبيل المساواة في الثروات ؟ غير ان الآلة هي الاله ، وكل رجل يطلب المساواة امام الوهة الآلة ، آلة الانتاج الكبرى كل رجل ليس غير جزء مساو لغيره امام هذه الالوهة . غير ان توماس غريتش يعلم ان هذه المحاكمة العقلية زائفة . فلو كانت الآلة هي الالوهة وكان الانتاج والعمل هما وسائل العبادة لاصبح اشد ذهن اغراقاً في الآلية هو انقى الاذهان وانبلها وممثل الاله على الارض .

ونشبت الاضطرابات وغدا مدخل آبار « واتمور » طعمة للنيران وكان هذا اقصى منجم في البلاد ويقع قرب الغابات فاستدعي الجند . في ذلك اليوم المريع كانت اللهب تتصاعد الى السماء فترى من نوافذ بيوت شورتلاند على مسافة قريبة، وقطار المناجم الصغير الذي كان يستخدم عادة لنقل العمال الى الآبار ، آبار واتمور البعيدة اخذ يمر الآن في واد ممتلىء بالجند والثياب الحمراء . وكان يسمع من بعيد ضجيج اطلاق النار، ثم انتشر الخبر بان محدثي الاضطرابات قد تفرقوا وان رجلاً قد قتل كما ان الحريق قد اخمد . وقد سحرت هذه الحوادث جيرالد الذي كان لا يزال طفلاً ، واثارته . كان يريد الذهاب مع الجند ليطلق النار على الرجال ، ولكن لم يسمح له بالخروج الى الحديقة فالحفر المسلحون وقفوا قرب البوابات ووقف جيرالد قربهم يتأملهم باعجاب بينما شراذم العمال تتجول في الشوارع وفي افواهها الشتائم، تسخر بالجند : « هيا معنا ثلاثة قروش نحاسية، ارونا كيف تحسنون اطلاق النار » . كانت الجدران والحواجز مغطاة بالكتابات المهينة .

طيلة هذه المدة كان توماس غريتش كسير القلب يوزع على سبيل البر مئات الليرات . فالمطاعم المجانية في كل مكان تغص بالطعام دون مقابل ، وكل انسان يستطيع الحصول على الخبز ، وليس عليه الا ان يطلبه وهو لا يكلف غير ثلاثة قروش . اما الاطفال فلم يشهدوا في حياتهم مثل هذه المآدب فبعد ظهر الجمعة كانت السلال الكبيرة الممتلئة بالمعجنات والحلويات وابارين الحليب العديدة تحمل الى المدارس ، فالتلاميذ يأكلون ما يشتهون حتى اعتادوا لكثرة ما التهموه من الحلويات وما شربوه من الحليب .

واخيراً انتهى كل هذا فعاد الرجال الى العمل غير ان الامور لم تعد كما كانت عليه في السابق فقد بدأ عصر جديد تحت سيطرة فكرة جديدة . المساواة يجب ان تكون هي اساس كل شيء حتى في الآلة فيجب ان لا يكون هناك سلم طبقي بين اجزائها ، فجميعها يجب ان تتساوى . واخذت غريزة الفوضى في الظهور . ان المساواة الصوفية تكمن في عالم المجردات ، فهي لا توجد في حيز الامتلاك والعمل اللذين هما من الاشياء العينية المشخصة ، ومن الضروري في عالم العيني المشخص وعالم العمل ان يكون الرجل تابعاً لرجل آخر فهذا من شروط الوجود . غير ان الرغبة في الفوضى قد ظهرت، وكانت فكرة المساواة الآلية سلاح القطيعة الذي اجهز على ارادة الانسان ، اي ارادة الفوضى عنده .

كان جيرالد زمن الاضراب طفلاً يحلم بان يكون رجلاً لينازل عمال المناجم . اما ابوه فان نصفي حقيقتين قد استوليا عليه وسحقاه فهو يريد ان يكون مسيحياً حقاً فلا يعامل جميع الرجال الذين هم نظراءه الا معاملة واحدة ، ولكنه ايضاً رجل صناعة يعلم حق العلم ان عليه ان يحافظ على ثرواته وسلطته ، وهذا بالنسبة اليه التزام الهي لا يقل عن الحاجة الملحة التي في نفسه والتي تدفعه الى ان يهب ما يملكه ، بل ان هذا الالتزام اشد منها لانه انما يعمل ضد الفاقة ولما لم تكن افعاله تتلاءم مع مثله الاعلى الآخر الذي يلازمه ، فقد اوشك على الموت حزناً لانه سيفقد في مثله الاعلى هذا كل حقوقه .

انه يريد ان يكون اباً يفيض بالحب والحنو والاستعداد التام للتضحية والعمال يؤنبونه على آلاف الليرات التي يربحها كل عام، فهم لا يقبلون الخديعة. وعندما كبر جيرالد واكتسب الخبرة في الحياة، جحد هذا الموقف، فلم يهتم بالمساواة. فالاخلاق المسيحية في الحب والتضحية قد ذهب زمنها كالقبعة القديمة. والتفوق الاجتماعي والسلطة هما اللذان يقيمان العدالة في العالم، والمراءات الكلامية بشأنها ضرب من اللغو انها عادلان لانها ضروريان لسير النظام الاجتماعي فكأنها جزء من آلة. وهو — اي جيرالد — قد وجد نفسه الجزء المركزي والاداة الموجهة، اما كتل الرجال فليست غير الاجزاء الخاضعة لارادته. ان هذا تأكيد بسيط للواقع، ولو اننا ثرنا عليه فسيكون الامر كما لو اننا ثرنا على العجلة الرئيسية التي تستطيع ان تدير مئات العجلات، او كما لو اننا ثرنا على العالم لانه يدور باجمعه حول الشمس. وانها الحماقة بعينها لو اننا بعد كل هذا اخذنا نجزم بان القمر والارض والمشتري وجوبيتر والزهرة تستطيع ان تطالب بحقها بان تكون مركز العالم كالشمس. ان مثل هذا الجزم والاصرار لا يمكن ان يكون الا عند الرغبة في خلق الفوضى في العالم...

ولقد توصل جيرالد الى نتيجة انتزعها انتزاعاً دون ان يعذب نفسه في الوصول اليها عن طريق التفكير والمحاكمة. لقد اعتبر مشكلة المساواة الديموقراطية عبثاً، فهجرها. فكل ما له قيمة هو هذه الآلة الاجتماعية الكبرى المنتجة. عليها ان تعمل في سبيل الكمال وتنتج من كل صنف كميات كافية، وعلى كل رجل ان يتلقى منها نسبة معقولة، مهما كبرت او صغرت، وفق اهمية وظيفته وعلو مركزه. وعندما تتوفر المؤونة، فليتدخل الشيطان عندئذ اذا اراد، وليبحث كل عن ارواء لذاته وتطمين شهواته شريطة ان لا تضر باي انسان آخر. شرع جيرالد بالعمل لتنظيم هذه الصناعة الكبرى وتفكيره هو على النحو الآنف. في خلال اسفاره، ومن خلال ما قرأه اثناء الطريق توصل الى نتيجة هي ان الانسجام هو سر الحياة الاساسي، غير ان جيرالد لم يحدد لنفسه بوضوح زائد الاساس الذي يرتكز عليه هذا الانسجام. لقد اعجبته اللفظة فاحس كأنه توصل الى نتائج استخلصها بنفسه، فشرع في وضع فلسفته موضع العمل، فارضاً النظام على العالم القائم، مترجماً لفظة الانسجام الصوفية بلفظة عملية هي: التنظيم.

ولقد اتضح في ذهنه المشروع على الفور وقدر ما يمكنه صنعه. عليه ان يدعم النضال ضد المادة، ضد الارض وما تحتويه من فحم ففكرته الوحيدة ان يتجه نحو المادة التي لم تمس، وان يخضعها لارادته. كان عليه لكي يستطيع خوض المعركة مع المادة ان يستخدم ادوات كاملة منظمة كل التنظيم وآلية شديدة الدقة والانسجام الى حد تستطيع معه التعبير عن الفكر الانساني الموجه، كان على هذه الآلية اضافة الى ذلك ان تقوم بوظيفتها على نحو وحشي غير انساني لا يقاوم، وذلك بتكرارها المتصل لحركة مفروضة.

هذا المبدأ الآلي المنافي للانسانية الذي اراد جيرالد بناءه بعث فيه حماسة تقارب الحماسة الدينية فهو، اي الانسان باستطاعته ان يدخل بينه وبين المادة التي يهدف الى اخضاعها لسيطرته، وسيطاً كاملاً خالداً. فها هنا خصمان يتعارضان هما ارادته ومادة الارض التي تقاومه، وهو بين هذين الاثنين يستطيع ان يقيم آلة متسعة تامة او جهازاً كاملاً، او فعالية خاضعة لنظام ليس فيه نقص ولتكرار آلي صرف، تكرار حتى اللانهاية، خالد غير محدود.

لقد وجد الخلود واللانهاية في المبدأ الذي قامت عليه الآلة. انه مبدأ منتظم تمام الانتظام، بالنسبة لحركة معقدة متكررة لا تنتهي كدوران احدى العجلات، غير انه دوران نستطيع تسميته بانه منتج مثلما نسمي حركة العالم بانها دوران منتج ايضاً. هذا التكرار



هو « الحركة — الآلهة » mouvement - dieu . جيرالد الاله الآلة ، وارادة الانسان هي الالوهة لقد اصبح لديه الآن مخطط لوجوده : انه في ان ينشر على الارض جهازاً واسعاً كاملاً تجري فيه ارادة الانسان باستمرار دون ان تعرف الزمن معنى، كالالوهية التي تسير. كان عليه ان يبدأ بالمناجم فالمشكلة مطروحة امامه : المادة الصامدة في بطن الارض ، ثم الادوات اللازمة لاخضاعها ، ادوات بشرية ومعدنية ، واخيراً ارادته الخاصة ودماغه . كان عليه ان يلائم بين اعداد كبيرة من الآلات والبشر والحيوانات والمعادن ، ويذيب الآلاف من الفرديات الصغيرة في كل واحد متسع كامل . عندها يدرك الكمال ويحقق ارادة « العلي الاعلى » كاملة غير منقوصة ، كما يحقق ارادة الانسان.

فلا تقف الانسانية في وجه المادة الجامدة بصورة صوفية؟ اليس تاريخ الانسانية هو نفسه تاريخ تغلب الانسان على المادة ؟

لقد خلف العمال وراءه يتخبطون في شباك المساواة الالهية بين البشر ؛ وشرع ككائن انساني بتنفيذ ارادة الانسانية كلها . انه عندما يعتبر بان الطريقة الوحيدة لتحقيق ارادة الانسانية تحقيقاً تاماً هي في ان ينشىء آلة كاملة غير انسانية انما يمثل العمال انفسهم ايضاً ويعبر عنهم تعبيراً اسمى وانبل . غير انه لا يعبر عنهم الا من حيث المبدأ ، فهم متخلفون عنه اشواطاً بعيدة يتخاصمون في سبيل المساواة المادية . فالرغبات تصمت امام هذه الرغبة الكبرى التي هي في جعل الآلية الكاملة وسيطاً بين الانسان والمادة ، في تحويل الالوهية الى آلية بحتة .

فمنذ ان تسلم جيرالد العمل بدأت تدخل على الجهاز القديم تبديلات قضت عليه . لقد تسلط على حياة جيرالد شيطان ثائر هدام عذب هذه الحياة ، ووصل به هذا التسلط احياناً الى حد الجنون ولقد انتقلت عدوى هذه الحماسة المستولية عليه الى العمل فتوسع على نحو قاس . كان يفحص كل شيء في ادق تفاصيله بوحشية بعيدة عن الانسانية .

ليست هناك اوضاع خاصة ومشاعر قديمة . فالمديرون القدامى والمستخدمون الذين شابت نواصيهم تحت وطأة العمل ، كل هؤلاء قد القى عليهم نظرة عابرة وتخلص منهم فهم يعيقون عمل الجهاز الذي كان يشبه مستشفى للعجزة . لم يكن يفسح للعواطف القلقة اي مجال . فلا بد للطاعنين في السن من الانزواء بعيداً ، ولا بد من اكفاء يخلفونهم . ولم تكن شفاعة ابيه تجدي عنه شيئاً . والاب نفسه كان مقتنعاً بانه لابد من قلب كل شيء لكي يستمر العمل ؛ لذلك لم يكن يستطيع الاجابة بشيء على توسلات المسنين وتوسلات خدمه المخلصين ، ولا يملك سوى ترديد « ان جيرالد قد قال ذلك ».

على هذا النحو انزوى الاب فقد تحطمت مقومات حياته . لقد كان يعتقد انه على هدى ، وهداه هذا هو الدين وقد خيل اليه ان هذا الهدى قد شاخ وتخلى عن موضعه في الحياة ، غير انه لم يفهم لذلك سببا ، فانزوى بهداه في الصمت . ان شموع الايمان الجميلة التي لم تعد تكفي لانارة العالم ستظل تحترق بهدوء وستكفي لانارة نفسه في صمت العزلة . لقد بدأ جيرالد باصلاح مكاتب العمل . ولكي يكون التبديل ممكناً لا بد من التوفير . . فابطل ما كان يعطى من الفحم مجاناً للارامل . . عليهن بدفع الثمن . ان مجرد تفكيره في هاته الارامل ، بطلات الانسانية الحمقاوات يثير فيه « القرف » لمَ لا يرمي بهن في محرقة اجساد ازواجهن كما يفعل « الساتي » في الهند، يجب ان يجبرن على دفع ثمن الفحم . لقد اقتصد في النفقات ببهارة فلم يلمح الرجال ذلك . . واخذ مشروع جيرالد يتقدم باطراد وينشر نفوذه في كل مكان . عندها ابتدأ الاصلاح الاكبر ، فالمهندسون المختصون قد حلوا في كل قسم والادوات الكهربائية العظيمة قد ركبت للانارة ولجر عربات النقل من باطن الارض، ولسائر القوى المحركة بصورة عامة، فالكهرباء في كل منجم .

واستورد من اميركا آلات جديدة لم يرها العمال من قبل ، وجبابرة من حديد كما تسمى آلات الحفر ، وادوات اخرى متممة جديدة ايضاً فالعمل في المناجم قد تبدل تماماً . ومراقبة العمل نزعت من يد العمال وكذلك نظام رئاسة فرق العمل قد ازيل تماماً ايضاً . كل شيء يجري حسب ادق الطرق العلمية ، فالخبراء الذين احسن تجهيزهم يفتشون كل مكان ، والعمال لم يعودوا غير ادوات آلية بسيطة . لقد اصبح العمل اشد قسوة بكثير مما كان عليه من قبل واكثر وحشية وتحطيما للمعنويات لانه اصبح آلياً . غير ان العمال خضعوا لكل شيء ، فاقفرت حياتهم من البهجة واخذ الامل يهجرهم باطراد كلما ازدادوا آلية . ولقد قبلوا مع ذلك الاوضاع الجديدة ووجدوا فيها رضاً جديداً . لقد نقموا بادىء الامر على جيرالد واقسموا بان يوفوه حقه ويقتلوه ، ولكن كلما مر الزمن بدأوا يتقبلون كل شيء برضا لا بد منه . ان جيرالد كاهنهم الاكبر وممثل الديانة التي يعتنقونها . لقد نسوا اباه . ان عالماً جديداً قد نشأ ، عالماً ذا نظام صارم جديد، وحشي بعيد عن الانسانية غير انه في الوقت نفسه يجلب الرضا رغم ما فيه من هدم ، فالرجال

راضون بانشاءهم الى هذه الآلة الكبيرة المدهشة رغم انها تهدمهم فانهم يرغبون في هذه الحالة، ولو كان الامر خلاف ذلك لما استطاع ان يتم ما انه .

فهو لم يفعل شيئاً سوى ان استبقهم في المرحلة فاعطاهم ما يرغبون فيه ، اعطاهم وسيلة المساهمة في جهاز كبير كامل يخضع الحياة لمبادىء رياضية قاسية . فهذا نوع من الحرية يرغبون فيه حقيقة انه الخطوة الكبيرة في التهدم والمرحلة الاولى من مراحل فوضى العالم وحلول المبدأ الآلي وتقويض المجموع العضوي والوحدة العضوية وتبعية كل عنصر عضوي للمبدأ الآلي الكبير . انه الزوال التام للتكامل العضوي ، وهو التنظيم الآلي المحض والمرحلة الاولى لفوضى العالم ، التي هي اشد المراحل نفاذاً وتأثيراً .

كان جيرالد راضياً ، انه يعلم ان العمال يدعون كرهه غيرانه منذ زمن بعيد قد كف عن كراهيته لهم . لم يعودوا ينتبهون لوجوده عندما يعودون كل مساء متدفقين كالنهر يجرون اقدامهم التعبة ، ملوثين عتبات البيوت باحذيتهم الثقيلة ، قد تبدل شكل اكتافهم قليلا . ليست لهم اية اهمية بالنسبة اليه الا في كونهم ادوات ، وهو بدوره بالنسبة اليهم لا يفضلهم الا بكونه اداة مراقبة للعمل . فهم يعيشون كعمال وهو يعيش كمدير . انه يعجب بمواهبهم . اما كرجال وافراد فليسوا غير اشياء عارضة واحداث صغيرة متفرقة ليست لها اية قيمة ، وهم يبرهنون على هذا بصورة ضمنية . لقد كان النجاح حليفه فوهب الصناعة نقاء جديداً غير انساني . فازداد الفحم المستخرج زيادة عظيمة واخذ هذا الجهاز المدهش يعمل وقد بلغ الكمال تقريباً حتى بدأ يغمر جيرالد ذعر غريب فلا يدري ما يصنع . لقد عاش عدة سنوات في حمى الفعالية انه يشبه الالوهة تقريباً ، انه الفعالية بعينها ، في نقائها وحماستها . اما الآن فقد اصبح نجاحه نهائياً .

ولقد اتفق له مرة او اثنتين عندما كان يخلو الى نفسه دون ان يكون لديه ما يعمله ان استولى عليه ذعر غريب مفاجيء لا مبرر له ، لا يعلم ماهيته . فذهب الى المرآة وتأمل طويلا وجهه بانتباه كما تأمل عينيه باحثاً . كان خائفاً يشعر بذعر مميت ولكنه لا يعلم له سببا . انه يتأمل وجهه . انه ماثل ، حسن الصورة ، نقي لم يتبدل ، غير انه على نحو ما ، ضرب من الوهم . انه قناع . فلم يجسر على لمسه خشية ان يلحظ انه ليس سوى قناع « كرتون » من اللحم . العينان دوماً زرقاوان لامعتان مستقرتان دون شك في محجريهما غير انه لم يكن مطمئنا الى انهما ليستا غير فقاعتين زرقاوين تتبددان في لحظة تاركتين فراغاً مكانهما . انه يرى الظلمة في اعماقهما كأنهما ليستا غير فقاعتين من الظل . انه يخشى ان يموت هو نفسه يوماً ولا يعود غير ثرثرة لا معنى لها . غير ان ارادته لا تزال صامدة ، فهو قادر على القراءة والتفكير في الاشياء . انه يحب ان يقرأ عن الانسان البدائي وأصل الانسان او في الفلسفة التأملية فذهنه عظيم النشاط غير انه كالفقاعة العائمة في الظلمات ، معرضة في كل لحظة لان تتبدد وتتركه في عالم الفوضى . انه يعلم انه لم يمت بعد غير ان حياته هذه لا معنى لها على الاطلاق وذهنه الالهي قد توارى انه خائف ، غير انه خوف غريب ، خوف يتصف باللامبالاة والعقم . لقد خيل اليه ان مراكز الانفعالات في حياته قد جفت ونضبت . انه هادىء ، نقي سليم يفكر ويناقش بدقة غير انه في الوقت نفسه يشعر بذعر خفيف واضح المعالم عقيم ، بان ذهنه المتصوف يتلاشى ويضعف في هذه الازمة . انه في حالة مرعبة من فرط انشغال الذهن ، وهو يعلم بانه قد فقد توازنه فلا بد له من مكان يذهب اليه ليظفر ببعض الراحة . ان « بيركن » وحده هو الذي يخلصه من همومه ويعيد اليه ثقته بالحياة وذلك بفضل تلك المرونة النادرة التي يتمتع بها وذلك التحول الدائم وعدم الاستقرار الذي له جميع فضائل الاذعان ومميزاته . غير ان جيرالد كان مضطرا دائماً الى مفارقة « بيركن » فيبدو عندما يفعل ذلك كأنه خرج من حفل ديني وعبادة ليعود الى العمل الخارجي والحياة . غير انه لا يزال موجوداً لم يتبدل ، والكلام ليس غير هراء ، وان عليه ان يظل على تماس دائم بعالم العمل والحياة المادية .

لقد بدأ يشق عليه هذا ويصعب يوماً بعد يوم واخذ يحس كأن ثمة قوة تضغط عليه كما لو ان الفراغ قد ملأ كيانه وامتدت سطوحه امتداداً مفزعاً .

كان الاتصال بالنساء هو وحده الذي يخفف من عناء ما به تخفيفاً حقيقياً . فقد كان يجد النسيان ويحس نقص وطأة الامر عليه ، وذلك بعد ليال يقضيها مع امرأة متساهلة . غير ان المصاب الذي حل به الآن هو انه لم يعد يستطيع الاهتمام بالنساء او ان يقلق بسببهن ابداً . ان امرأة سهلة تلائم كل الملاءمة رجلا في مثل حاله . غير ان هذه حالة استثنائية شاذة ، وامرأة من هذا النوع ليست لها الا قيمة تافهة جداً . كلا لن تجديه النساء شيئاً بعد الآن من خلال هذه النظرة . انه يحس بان روحه بحاجة الى من يثيرها بعنف قبل ان يستيقظ جسده .

دمشق — جلال فاروق الشريف

من ذكريات فرنسا

بقلم محمد يوسف مقلد

٢٨ فبراير، في القطار الى ليون

في الساعة التاسعة من صباح اليوم كان القطار ينساب بنا من مرسيليا الى ليون ، داخلاً في نفق وخارجاً من نفق . لله ما اقدر الانسان ! جبال مقدوحة واطواد مفتوحة ، يخترقها القطار كالرصاصة !!

كان النهار صحواً ، والزمان ربيعاً ، ونوافذ الزجاج على مستوى المقاعد نطل منها على المدن والقرى والارياف المنبثة على جانبي الطريق . وكلها يمتع العين ويشرح القلب . كل شيء في فرنسا يغري ويفتن حتى الخنازير في زرائبها . !

منظر (الرون) والمزارع بين مرسيليا وليون منظر يحرك الروح والمشاعر تحريكاً لاذاً حقاً ! ما اجمل الفلاحين والفلاحات والحياة الريفية السعيدة على النهر وفي المزارع . لقد تذكرت حياة قرى جبل عامل ، وقلت : سقى الله يوم وصولنا !

لكن كم هو الفرق بعيد بين هذه القرى في فرنسا ، وبين قرى جبل عامل المحرومة . ؟ هنا الكهرباء في كل بيت وكوخ ، وحتى في زرائب الحيوانات . . والطرق معبدة مزفتة الى كل بيت ودسكرة ثم مكاتب البوسطة والتلفون والصيدليات وجميع وسائل الصحة والاسعاف والمواصلات ، اما في جبل عامل ! ؟

ترى ، كم من الزمن سيمضي حتى تصبح قرانا كقرى فرنسا مثلا . . ؟

— لا ادري ، وانما اؤكد ان مثل هذا التقدم لن يكون في زماننا . . !

١٢ مارس ، ليون ، في صالون الشعراء

قال لي رفيقي غرصباح هيا بنا لاريك ما لم ترَ من اطوار الحياة العقلية في فرنسا ، في هذه البلاد الراقية . هلم بنا الى صالون الشعراء .

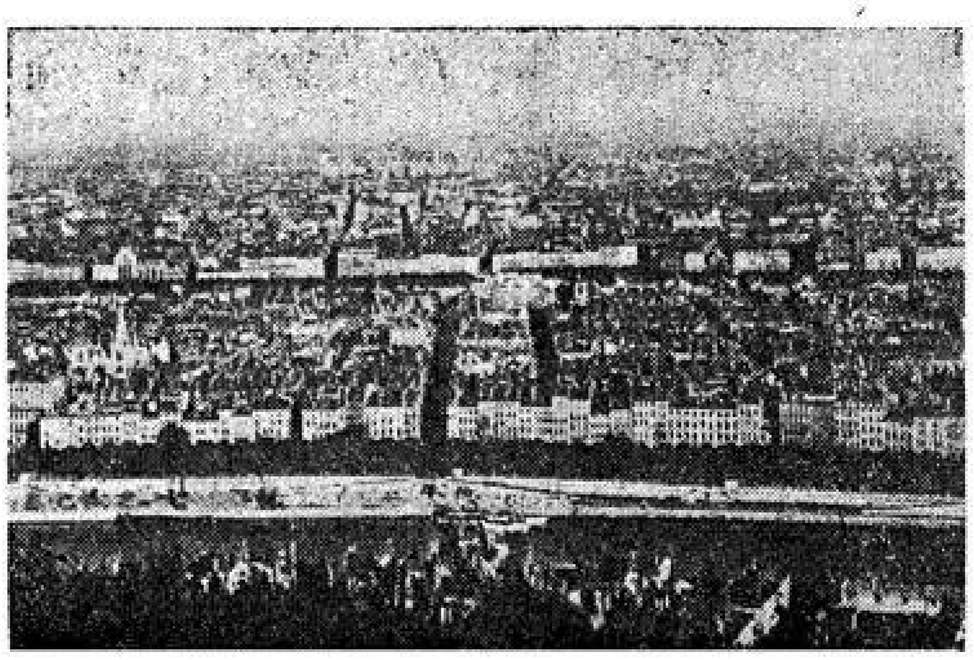
الصالون قرب القصر البلدي ، قصر لويس الرابع عشر ، وامام ساحة الحمام ، تلك الساحة الجميلة التي يؤمها الناس للتمتع بمنظر الحمام الاليف الداجن الذي لا يفر ولا يطير الا ليقع على يد او كتف او رأس من يدعوه ناثراً له بعض الحب ليأخذ صورة معه .

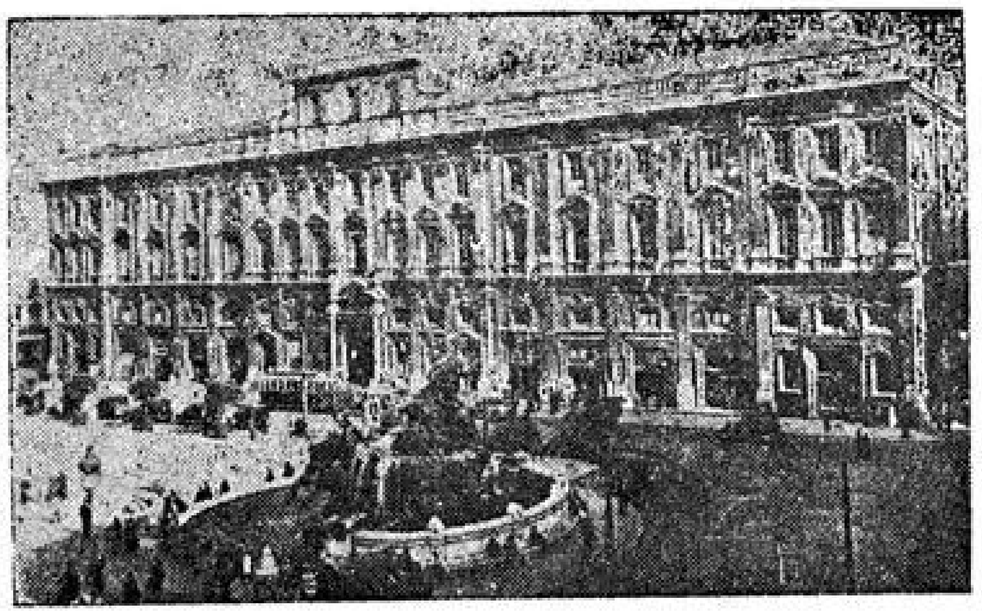
قاعة الصالون بسيطة في اثاثها غاية البساطة تدل على الاقتصاد : الكراسي حديدية من النوع الرخيص ، والطاولات عادية جداً بدون شراشف . ولكن القاعة عظيمة بما توحي اليك من ضروب الفن والعبقرية . ففي كل ركن ، وفي كل زاوية صورة زيتية معلقة مسنودة تتدفق المعاني والحياة منها تدفقاً . وفي كل فترة نقرة عود او بيانو او نحو ذلك من آلات الطرب والموسيقى . وفي كل لحظة يدخل فوج جديد الى القاعة من علية القوم والطبقات المثقفة من نساء ورجال .

يفتح الصالون في مواعيد شهرية (اول كل شهر) ، فيؤمه اعضاؤه كافة ونخبة من المدعوات والمدعوين ؛ وفيهم العجوز الفاني ، والكهلة الراحلة ، والشاب الباسم كالامل ، والصبية المتهللة بالبشر كالربيع ويشتركون في المسابقات الشعرية ، ويتداولون الآراء الادبية ويتركون الصالون كما جاءوا بغبطة وحبور .

مؤسس الصالون امرأة ، هي مدام جان باك سيسليه سنة

مشهد عام لليون حيث يخترقها نهر الرون والسون





المتحف البلدي في ليون

●

١٩٠٠ ، وهي كاتبة وشاعرة لها عدة مؤلفات ادبية منها (خطوط في الرمل) — ديوان شعر — Traits sur le sable ومسرحية شعرية ، واسفار Voyages.

يبلغ اعضاء الصالون ١٢٠ عضواً ، عرفت منهم المسيو بالاس (مدير) ، والمدموزيل سويزي بورنيه صاحبة ديوان « الواحة والقافلة » (نائبة) ، والمدموزيل رينه بوييه (سكرتيرة الصالون) ومدام جيرو آبل ، ومدام فورلا . كذلك تعرفت الى اعضاء لامعين كالدكتور فيزان ، والمسيو بينيوليه ، والمدموزيل غيفار ، ومدام مرتين دنكل ، وغيرهم .

ان الجو الادبي الذي يهيمن على الروح في الصالون وانت تتحدث الى هذا او هذه من الاعضاء ، جو يسمو بمدارك وروحك سمواً لاقبل للنفس الشاعرة بمثله ! انك لتحس ان نفسك تمتلىء بمعاني الحياة الكبرى رويداً رويداً كما يمتلىء الاناء الفارغ تحت مصب الماء .

بدأت الحفلة بالقاء قطع شعرية كلاسيكية مختارة لراسين ، واندروماك ، وفيكتور هيغو ، وفيرلين ، ولامرتين وغيرهم والطالبات اللواتي القين تلك المقطوعات اجدن اجادة فائقة اطربت كل من حضر حتى السكر . . حسن الالقاء الى جودة الشعر ، الى جمال الملقيات مشهد يهز القلوب .

ثم اعلن المدير بدء المسابقة الشعرية ، وتلا عشر قصائد مغفلة من التوقيع . ووزعت القسائم البيضاء على الاعضاء والمستمعين وبدأ التصويت . ولدى الفرز تبين ان آنستين وسيدة فزن بالجائزة الاولى والثانية والثالثة . ولم يبرز اسم الرجال الا في الدرجة الرابعة . . والجدير بالذكر ان الفائز بالدرجة الرابعة كان احد كبار رجال الاعمال الميكانيكية — الامر الذي لم يخطر على بال ، نعم ، انه لم يخطر على البال ان رجلاً مثله يترك معمله وآلاته التي لا يتسع لادارتها ليله ونهاره لينصرف الى الشعر والادب . . ومع ذلك يقولون عندنا في الشرق ، ان الغربيين آليون فقط لا غير . . مساكين نحن !!

ومما يجدر ذكره ايضاً ان مدام جيرو آبل المرأة التي اعتز بصداقتها ومعرفتها كانت الفائزة الثانية .

عند مدام جيرو آبل

قلت لصديقي غر صباح ، انه ليطيب لي التحدث الى امرأة تمس بحديثها شغاف القلب ، وقد وجدت هذه الامنية في شخص اندري جيرو آبل يوم التقينا في صالون الشعراء فكيف العمل لاستعادة تلك الساعة مرة اخرى قبل ان اترك ليون؟

فقال هذه مسألة بسيطة ، الحقني .

ودخلنا الى اقرب بار ، فاخذ التلفون وطلبها وكان موعد لقاء . وجاء يوم الاحد ، واقترب ميعاد الزيارة فاستحسنا ان نمر ببائعة الازهار نشتري ضمة زهر هدية سنية للشاعرة الجميلة ، وهدية الزهر عند الفرنسيين اغلى هدية .

وصلنا في الموعد المضروب ، فوجدنا الشاعرة بانتظارنا باجمل حلاها وزينتها ، فاستقبلتنا قبل الباب بابتسامات كتغريد العندليب .

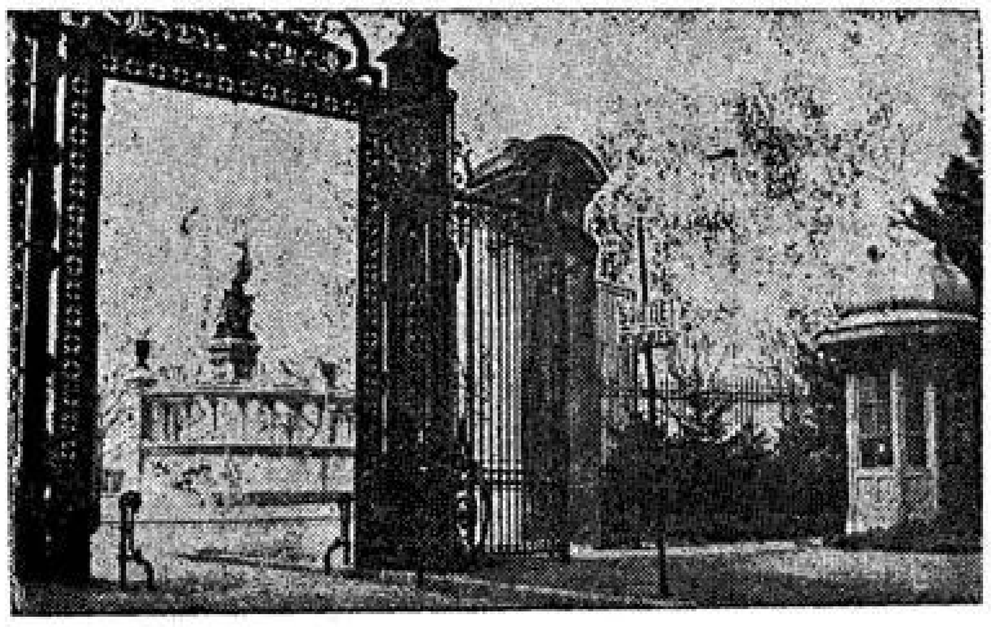
كان الوقت عصراً ، والنهار غائماً ، وشارع دوفين هادئاً الا من حركة الترام من فترة لاخرى ، وكنا في الغرفة اربعة انا وصديقي غر ، وهي وصديقتها مدام فورلا . الغرفة دافئة رغم البرد القارس . ولا عجب ، ففيها حرارتان ، حرارة المدفأة وحرارة الحديث .

وبعد هنيهة استقر بنا الجلوس ، واديرت الكؤوس ، كؤوس الشاي واشعل كل منا سيكارة وكان الحديث قد تشقق حتى بلغ « المرأة والرجل » ، ثم ترفق فكان موضوع الحديث « الحب » . !

قال غر : انا لا اؤمن بالحب ! ان هو الا اعابيث صبا ، ومسرات صبيانية .

●

مدخل حديقة الرأس الذهبي في ليون





الشاعرة اندريه جيرو آبل

●

فانتفضت الشاعرة بشيء من التعجب والدلال وقالت .

— اسكت ، اسكت ، كفرت ! الحب هو اكسير الحياة، الحب الزم لنا من الهواء الذي نستنشقه . . الحب يجعل الحياة حياتين، والطاقة الروحية طاقتين . الحب يحي ، وموته يميت . . لنحب ما دمنا نستطيع الحب . . يحي الحب !!

لقد ظننت وهي تتحمس للحب بهذا المقدار انها ستصفع الرفيق الذي استهان امامها بالحب صفعة لا ينسى طعمها كل حياته . . !

وبلغ الحماسة من نفسها ان قالت له معقبة على ما سبق : يظهر انك ما تزال « عذري » الفؤاد . او انك برفع الكلفة بليد الشعور . . !!

قال : اني لا استهين بالحب كما تظنين بدليل اني احب جميع الناس . . قالت ويك هذا ليس بالحب . . بل عطف انساني ساذج!

والتفتت الي تقول ما رأيك ؟

قلت ، وهل ابقيت قولا لقائل ؟ لكأن الحب قد تخذك له لساناً ينطق عن الهوى وحياً يوحى .

اما اذا كان لي ما ازيد على ما قلت، فلا اكثر من كلمة صغيرة : ان حياة الرجل هي « فراغ » كبير لا يملأه سوى الحب ، سوى المرأة التي نحب . . فضربت الطاولة بيدها وهي تترنح من الضحك والابتهاج وصاحت . برافو! برافو !

كانت « وجدانية » في حديثها حتى الهيام . . ولا غرابة فهي كذلك في اهدأ حالاتها، فكيف وهي رهن احدى فرص الصبابة والغزل . ؟

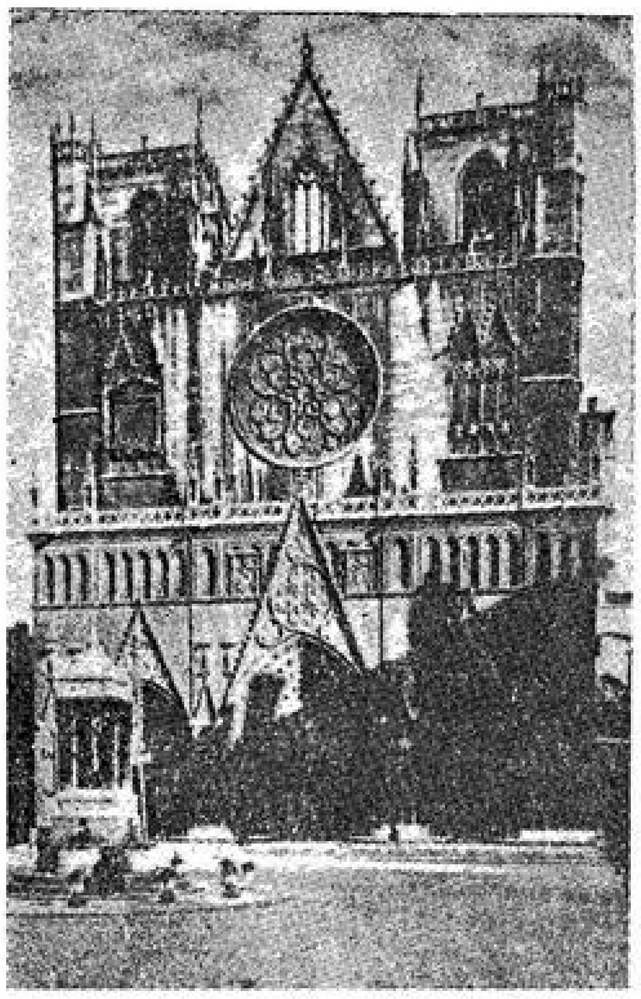
كانت لفرط تحمسها للحديث تكاد لا تستقر على الكرسي . . كل جوارحها تتكلم : عيناها العسليتان ، الجائلتان في وجوهنا امتداداً وارتدادا كموج البحر . . . يداها اللتان لا تكفان عن تفقد شعرها العقيقي المتوهج المسرح المجموم على محاذاة عنقها واذنيها ، الطليق الا من القودالاعين الممسوك بملقط ذهبي . و(الفرق) الى اليسار قد فرقته على (ثلاثة ارباع وربع) غير مضفور ولكنه مكوي، فتبدو اذناب خصله كالخواتم . . وحيث يكثف ويكثر يبدو كصفحة الماء المتجعدة من مر النسيم . . وفي عنقها طوق ذهبي بلون شعرها واسع الحلقات شديد البأس، كانه اعد ليوضع في عنق اسد قوي الشكيمة لا في جيد امرأة هيفاء رقيقة . . ومع ذلك فقد بدا جميلاً عليها ، وبدت جميلة به . وفي اسفل العنق مما يلي الطوق (بكلة) خضراء مستديرة كالقبلة ، تغلقها من حين لآخر بغنج ودلال . ذات ابتسامة عريضة تستهلها من عينيها وخديها ، وتنهيها بالقهقهة العالية كنقر البيانو . رقيقة الجسم هضيمة الخصر ، تحوشها بقبضة كفك كضمة زهر . . بيضاء كالشمس ، حمراء كالورد . هذا لونها في الاصل ، وزادت عليه . . وكان بوسعها ان تكتفي بما اعطاها الله ، ولكن عوائد المدنية الاوروبية تأبى الا ان تزيد على كل جمال زيادة ما . . البودرة والحمرة في دُرجها دائماً ، تلتّ مخملتها بهذه وهذه وتمسح على خديها . اما المرآة الصغيرة فهي اصحب لها من ثيابها . واينما وجدت — المرأة الاوروبية — : في البيت ، في القطار ، في الشارع ، في السينما ، فادوات الزينة (التواليت) لا تفارقها .

انت مع اندري جيرو آبل لا يمكنك الا ان تكون عاشقاً ومفتوناً . ليس بجمالها فقط بل بروحها وظرفها واساليبها فهي تخاطبك بحركاتها وابتسامها وعينيها اكثر مما تخاطبك بلسانها . ان حديثها « عشق » ومرامي كلامها فتنة . !

اتينا ، ونحن في حديث « المرأه والمعاصي » على ذكر الشاعرة مدموزيل اندريه بيري ، وكانت قد القت بعض مختارات من ديوانها في الصالون فقالت

●

كاتدرائية القديس حنا في ليون



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اندرى جيرو آبل : مثل هذه المرأة العانس (تعني اندري بيري ، وهي امرأه شبيهة بالرجل في قبح وعدم جمال)، ان مثل هذه المرأة لا يمكنهـا ان تتورط بالذنوب والمعاصي لانه ليس لديها ما يؤهلها كذلك . بخلاف المرأة الجميلة، فان لها من اسباب جمالها كل دواعي التورط في التجربة ، والاستجابة الى دواعي الحب والعـاطفة . فهي (اي الجميلة) ممتحنة من حيث انهـا موهوبة ، وتلك (اي الدميمة) فاضلة بالرغم منها من حيث انها محرومة !.

وكانت رنة استحسان لهذا (المنطق) السديد الرجيم ، شربنا على اثرها الشاي حاراً غالياً دون ان نحس ، ودخنا اربع سيكارات ليكي متوالية دون ان نشعر، كم كانت مزهوة في تلك اللحظة الظافرة، ونحن نردد كلمتها :« ليس لديها ما يؤهلها للمعاصي . . » ، ونضحك حتى نستلقي على ظهورنا . وفي فترة الضحك تأخذ مرآتهـا الصغيرة ، وقلم الحمرة وتخط به على شفتيها الرقيقتين ، ليبقى احمرارهما غـامقاً كلون اظافرها الصبيغة ، كأنها مغموسة بالدم .

وفي بعض مشتقات الحديث اخذت ورفيقي على المرأة الاوروبية حريتها غير المحدودة ، ومدى استعمالها لهذه الحرية . وقلنا لها ان « الحياة الحرة » الى هذا الحد ليست من صالح المجتمع ، ولا من صالح المرأة ثانياً ! وان التزام التقيد بالحصانة الى حد ما ضروري جداً لحفظ كيان الاسرة وسعادتها .

وان الانسان لم يكن انساناً الا لما عنده من قابلية التقيد بالنظم الاجتماعية التي تميزه عن الحيوان الحر .

قالت : هذا كلام ! فهما فلسفنا هذه الظاهرة فستظل بسيكولوجية الحياة البشرية ومنطق « الطبيعة » فوق كل فلسفاتنـا وتقاليدنا الموضوعة . . وسيبقى الرجـل والمرأة هما هما : الرجل والمرأة .

بيد ان هناك فرقاً كبيراً بين حرية وحرية ، فالحرية اذا تجاوزت مدلولهـا المعقول تصبح « استهتاراً » وظنكما ناجم عن الخلط بينهما ؟ فمثـلاً ، امرأة تحب وتستجيب لحبهـا ، هي امرأه فاضلة حرة ، لانها تؤثر في اعماق شعورها انساناً بعينه . اما المرأة المستهترة ، فليست سوى حيوان لا نستطيع ان نجعلها قياساً لدرس او لحديث .

قلنا لها ان الحب في العصر الحاضر ، وخـاصة عندكم انتم الغربيين فقد صفته ومزاياه « كحب » واصبح عبـارة عن « معاشرة » لا اكثر ولا اقل ! حتى اصبح للمرأة الواحدة « عدة » عشراء .

فاجابت بشيء من الانفعال : لم لا تجدون للمرأة من المعاذير ما تجدونه للرجل . ؟؟ هو بشر وهي بشر ، وما يسعه من العذر يسعها ا . .

لكنكم انـتم الشرقيين نشأت عقليتكم على « تفضيل » الرجل على المرأة واعطائه مميزات ليست لها ! بخلافنـا نحن الاوروبيين : فان عقليتنا نشأت على المساواة بينهما للخير والشر . واحكامنا عليه لا تزيد او تنقص عن احكامنا عليها وكل ما يدعو الى المؤاخذة من جانبه يدعو الى المؤاخذة من جانبها ، فلا تفضيـل ولا مفاضلة .

انتم — في الشرق — ترون ان حياتنا الاجتماعية مجانبة للفضيلة ، ونحن — في الغرب — نرى ان حياتكم مجانبة للتطور والرقي والمدنية !

بالطبع ، ان حياتنـا ، بالنسبة الى مفاهيمكم الشرقية وعقليتكم — باستثنائكما — مستهجنة ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة الينا . . انها عندنا طبيعية للغاية، وصريحة غاية الصراحة . شعارنا ابداً :« كل انسان « مكلف » مسؤول عن نفسه » والقانون عندنا وضع لمنع الضرر ، لا لحجز حرية البشر . .

وهنا خاطبت رفيقي بالعربية : ماذا تريد بعد . ؟ لننه الحديث او لنغيره معها تأدباً ، ما لهذا جئنا ! إنهـا غربية ونحن شرقيون ، وما الى تلاقينا من سبيل !

وصمتنا هنيهة، فاغتنمتها فرصة وقدمت لها سيكارة وقلت : حدثينا بشيء آخر ياسيدتي ، حدثينا عن الشعر مثلاً ، كيف تسنى لك ان تنظمي « باب الاحـلام » ، وانت ربة منزل ، وام ولدين . ؟

قالت : الليل لي ، والنهار للمنزل : عندي وقت مخصوص اكون فيه لـلزوج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستاذ محمد يوسف مقلد مع الحمام الاليف امام صالون الشعراء في لبون



احبك

يا لبنان ، انشودة الدهر وقصيدة الابد ، ولحن الازمنة

احبك وانا اسير في انحائك فلا ارى غير الجمال طبعة قدسية نقشتها يد القدرة على جبالك وفي منعطفات وهادك وقلب اوديتك . احبك يا لبنان اغرودة مترقرقة ، تموج على نفحات نسيمك الطيّب الشميم ، الذكي العبير ،

هذا كل ما اتعشقه فيك يا لبنان ، يا بلد الخلد وفيك تفتحت العينان على صفاء سمائه صيفاً وتجهم وجهها شتاء ، وكدرتها خريفاً ، وبسمة خضراء ربيعاً .

لقد تجمعت فيك يا لبنان لذات الحياة بما فيك من ماء عذب ، واخضرار دائم يبعث في النفس نشوة صوفية ومن شكل حسن يقرّ العين ويثلج الصدر ويسكر الروح ، فانت جميل بكل ما فيك وكلك مشتهيات ولأنت هدية الله لهذا الكوكب الارضي ، وجمالك قبس من حسنه وبهائه إنه سبحانه جميل ويحب الجمال .

عبق ارزك بخور ، رائحة ازاهرك طيب نافحٌ وفأرة مسك وناردين ،

نفحات ارضك أفاوية دافقها يد كيماوي قدير ، أخذ من كل عبق اطيبه ، وجعله مزيجاً يتصاعد نفساً عطراً من ترابك وصخرك .

انك جميل يا لبنان وكلك مشتهيات .

احبك يا لبنان

صيفك جنة ، خريفك فردوس ،
شتاؤك لذة بين ثلوجك ،
ربيعك قبلة متبادلة بين عروسين ،
كلك جميل وكلك مشتهيات يا لبنان ،
ولكن ما كان يضيرك لو عرفت ما في جوفك من حديد ومعادن ، وفي انهارك من قوى محركة ، تنتشر فيك المعامل .

احبك يا لبنان ، تجمع بين الجمال والقوة ، تنشد قصيدة سلام لمحبي السلام ، وتصمد للقوة وراء مدفعك المصنوع من حديد ارضك ، وتحلق في الهواء بطائرة صنع يد لبنانية من مادة لبنانية ، وانت عارف ان للسلام وقتاً ، وللحرب وقتاً ولافتراز الثغر وتجهم الوجه وقتاً . والحياة لا تكون على وتيرة واحدة . وليست هي انشودة دائمة او صفقة كف متواصلة بل هي :

بسمة ودمعة ، اغنية وصمت ، محبة وبغضاء صداقة وعداوة ، انبساط وجه وكشرة ناب .

احببتك يا لبنان قصيدة واغرودة ، واحبك برداً وسلاماً وناراً وحديداً معاً .

اذا كشرت الامم عن نابها وتطلعت الى ما فيك من دفائن مطمورة ، فلا تكن دائم الابتسامة متهلل القلب ، تطمئن الى الراحة ، فالفراش الوثير غير دائم ، والحياة لا تكون على نمط واحد ، والمسرات اساءات .

وانها الحياة ، لا تكون راحة بدون تعب ، ولا شعر بلا دموع ولا انشودة بدون حرقة .

فيا بلد الاشعاع كن بلد الحديد والمدفع كما انت بلد الشعر والالهام والحب والجمال ، فالانياب كاشرة والعيون جاحظة ، والمطامع فاغرة الافواه ، فلا تسكر من زبيبة ولا تطرب من طنين ذبابة . فقد يعقب الاشعاع ظلام فيخبو الضياء ، وتنقضي الاحلام ويصبح الفراش الوثير شوكاً وحسكاً ، ولا خير في خيال لا ينتج قوة .

احبك يا لبنان بلداً آمناً مطمئناً ، واحبك بلداً ينتج ما يضمن سلامك ويحمي جمالك يا بلد الجمال وعشيق عشتروت ومهبط وحي ادونيس ومجلى نظر الاوفياء ، فيا بلد الارز والثلج انت جميل وكلك مشتهيات فاحفظ جمالك وبهاءك واحرص على مشتهياتك وكن قوياً مجتهداً غير مقلد ، فالحياة ، الحياة :

حلم وقوة ، بسمة ودمعة ، رعشة وانقباض ، حركة وهدوء ، اغماضة عين وانفلات روح ، تحوّل وبقاء . فخاود في عرف الله وقدرته .

عيسى صخائيل سابا

والولد والمطبخ ، ولي وقت آخر لا شريك معي فيه اهبه للكتاب والقلم . . لا آخذ من هذا لاعطي ذاك ، ولا العكس .

مالت الشمس الى المغيب ، حين دقت ابنتها الباب عائدة من المدرسة . — أهذه البنت بنتك يا مدام ! فضحكت ضحكاً عالياً ، وقالت نعم . . انه لشيء يدعوك للتعجب حقاً ، ألستم تريدون ان تقولوا انها لا تشبهني سمات ولا لوناً ولا جمالا ؟ . — انتِ قلت !

— الحق معكم ، انها تشبه جدتها ام ابيها فقد كانت سمراء رقيقة صغيرة العينين . وعساني انجب اجمل منها في المرة المقبلة .

— الله يسمع منك . ويلهمها ان تكون شاعرة حساسة مثلك

— اشكر لطفكم .

ونهضنا ، وودعنا مستأذنين بالانصراف فرافقتنا وهي «تعلق» تعليقات مستملحة على نقاشنا وجلستنا حتى خارج الدار ، وقالت اعيدوها ، هذه غير محسوبة ؟ .

ان غاية سرورنا وامانينا ان تعاد . . ولكن الظروف قاهرة في اغلب الاحيان ، فقد تركت ليون في اليوم الثاني .

محمد يوسف ضاهر

غنـــاء

•

انا ان غنيت غنيت لذاتي لا لتروى او تدوي اغنياتي
انا كالموج ، يغني ليغني ثم يفنى في الرمال الظامئـات
لا يبالي سُمعت انغامه ام تلاشت في الرياح العاتيات
ليس يعنيه بقاء او صدى بعده يبقى شجي النغمات !

لست للمجد اغني . . فانا فوق مجد الارض، فوق الترهات
انا كالبلبل يشدو غفلاً بجـمالات الليـالي المقمرات
لا ليرضي ساهراً قد شفه هاتف الوجد وطيف الذكريات
بل ليحظى من لظى الحانه بعصير عبقري النشوات !

انا كالنحلة ما تجني لها ! وكورد الروض يطوي الورقات
ليظـل الطيب في اعماقه لا لتذروه اكف النسمات
انا كالنرجس يهوى ظله حين يبدو في المياه الصافيـات
يتثنى في اختيال طاوياً شوقه طي النجوم الراعشات !

انا لولا لذة تغمرني مـا تغنيت بحسن الغانيـات
بالصبابات بآلام الهوى، بالروابي ، بالسواقي المنشدات
ملهمي قلب كبير . . و« انا »هي مني محوري فيض صلاتي
انا في شعري ذاتي هوت نفسي البوح فكانت نفثاتي

الشوبنات - لبنان — فؤاد الخشن

ربـاعيات جديدة

•

دروسك كانت للعلى وجعلتها لدعم خرافات ، وتأييد باطل
فلا تتعجب من هوان حملته فقد بان ما خبأته من حبـائل
وما العلم تلوين الضلالة بالهدى ولكنه ان تهتدي بالفضـائل
وسيان في عرف الحقيقة عالم الى الشر ميال ، واجهل جاهل

لا تنتظر مني الرضوخ فـانني متمسك بكرامتي وابائي
ما للرئاسة غير نقدي ان هوت في لجة الاغراض والاخطاء
ان النظام مقدس ، اما الذي قد سنّه ، فكسائر الاحيـاء
عز المجاهد حين يعبد مبدأ ان الهوان عبادة الاصنـاء

اتحفته نغمات شعرك مخلصاً فأشاح عنك ببسمة المتعـامي
واتاه غيرك راقصاً ومهرجاً فأحاطه بمظـاهر الاكرام
هذا الزمان كما ترى ، في سوقه ليست تروج طرائف الاقلام
بعض العقول لها الرؤوس مخابىء وعقول بعض الناس في الاقدام

وقفت تمتدح الباغي ، وتنصره ، محللاً معه ما حرم الله
فخاب ظنك في استغلال صولته وضاع جهدك في استثمار جدواه
وليس ربحك الا من خسارته فكيف يقبلها او كيف يرضاه؟
يا مسعف الظلم لا تفرح بصحبته فأنت انت غداً اولى ضحاياه

عاصمة الدرجتين — الياس قنصل

يـــأس

•

ما لي أطل على الوجود فانثني قلق الجوانح، متعب الاوصالِ ؟
وارو ح استبق الحياة ، وانها لبقية ، ظمئت الى الآمـال
يأس يلف دمي ، فألمح ظلمة لا كالظـلام ، تموج بالاهوال
يا ليل ، ها أنا في الظلام مشرد اسعى وراء النور ، غير مبال
انهكت اقدامي، وروّع مهجتي كيد الهوى ، وشماتة العذال
وألح بالتسآل ، يغمرني الاسى فيغيب في جوف الظلام سؤالي
أمد من الآلام ، يسرح ناظري فيه ، ويرجع مثقلاً بنبـال
وتلفتت عيني ، فلم أر في الدجى من حلمي الماضي، سوى اطلال
شك يهدّ جوانحي ، فكأنها مشبوحة الاطراف ، بالاغلال
ويشوقني حب الحيـاة ، فأرتمي ظمآن ، أنشد جرعة من آل

***

يا ليل ، قل يا ليل، اية حيرة انأى مدى، من حيرتي وضلالي؟
انا في الظلام، وللظلام، وغايتي خلق الظلام، فلست غير ظلال
حسبي، وحسبك، من جراحات الاسى لحن يرن، يسمع الاجيال

***

يا ليل ، يا ليل الصبـابة ، لفتة اني مللت غوايتي ، وخبالي
شيعت اعراس الشباب، ندية ونفضت كفي، من تراب خيالي
فاذا قضيت، فكل همي حفرة يغفو بها ، بعد الونى، بلبالي

السلمية - سوريا — انور الخندي

دلال

•

تعاتبني على حبي سواها وتعلم انني ارجو رضاهـا
ولكن الدلال بهن طبع وربة غادة ذهلت فتاها
فيا للقلب من ليلى وما تجنى جفنها وجنت يداها
تصد على وداد ثم تحنو على كره فما اقسى هواهـا
اعاتبها فتسمن في عذابي واجفوها فتجهد في غواها
وكم قبلتها قسراً ولما كففت تأوهت تبغي سواها

وديع ديب

عنـــد الغروب

الى بلند

•

إيه دنياي ! اي افق غريب لاح بين العوالم المجهوله ؟
ذبح الشمس، تسحب الجنح عاراً، تدفن الوجه في التراب ذليله
شفق قاتم ، ودرب سحيق، وانتفاضـات كوكب ، مذعوره

مات شمشون ، غير آهات سر خفقات من الامـاني ، قتيله
وبقايا من الرؤى ، ذابلات داميات عند الغروب ، عليله
وعلى مذبح الوجود بقايا ورمـاد يضيء وجه دليله .

نثر الكونَ للفناء ، زهوراً حالمـات ، فاحرقت اكليله
من تراها تكون؟ حلمة ثدي؟ ام ضمير الوجود قلب جميله ؟

الوهبات المحترة — **حسين الهداوي**

شفة غليظـــة

•

شفته السفلى التي اذبت فيهـا مهجتي
غليظة كلوعتي رقيقـة في شفـتي ..
وددت لو اذيبها عـلى لهيب قبلتي
لكنها تذيبني . . ولا تذيب لهفتي
تحرقني . . تغرقني في شعلة ، في لجة
يلذ لي ضرامهـا جهنمي ! وجنتي !
طرف لهيب احمـر عروقه من خمرة
شاطىء سحر ناتيء لعـالم من فتنة
من لازورد، وردة مجدولة من نشوة
حرف تحد جامح رضعت فيه شقوتي
وارضعتني حلمـة لون ولذع الحمرة
يقول لي وشاتها في خمرهـا منيتي
احبب بها منية من خمرها وسكرتي
وددت لو قبلتها — ولا امل — مدتي

مكة — **شاعر الاغصان**

الى روح صديقي

الشاعر نذره عداد

•

وانتهى الشاعر من انشاده طاوياً صفحة « اوراق الخريف[1] »
مات ؟ كلا ! فهو في امجاده أبـداً يشدو ربيعاً وخريف
والاديب الفذ مضمون البقاء.

عبقري وشّح الفصحى سنـا بقريض فـاح رنداً عذبا
وجمال الحب اهدى وطنـا مزقت فيه الرزايا القربا
وتولت عقره ايدي الشقـاء.

شاعر الدمع واوتار الانين من لذكرى الدوح في روض الوليد
عبثاً يطوي الدجى مجد الحنين ومعاني النور في بيت القصيد
ومزايا الخـالدين الشعراء.

دعة طابت كمعسول اللمى عفة شعت شهـاباً في الدجى
خلق ينبيك عن اهل السما طاهر الثوب وريان الرجـا
والى ربع الضيا عاد الضياء.

ايها التارك دنيا غامطة نافضاً عنـه اسى طي الضلوع

---

(١) اوراق الخريف اسم ديوان الفقيد.

سر الى ربع اصيل الرابطة انت فيهم كنبي في الجموع[٢]
ما أحيلى الحل بين الانبياء

هاجك الوجد الى الشط البعيد شط جبران الامام المصطفى
ونسيب وامين ورشيد صنوة الارواح اخوان الصفا[٣]
آه ما اقسى فراق الاصدقاء

شاعر الهدسن والعاصي معاً كيف يسلو النهر اظلال الشجر
واغاني الطير تشدو ولها وليالي الحب انساً وسمر
ورؤى شاعر رُواد العلاء

انا الشاعر في ارض الزوال خالد العزف على نأي الدهور
من اساه تنهل الدنيا الزلال من هواه تنشق الطيب الزهور
هو حي لا يواتيه فنا.

ودعي ناظم « اوراق الخريف » ربة الالهام وابكيه معي
واقرئيه شعره العذب الطريف وامطريه لؤلؤاً من ادمعي
يا اخي ندره – الى يوم اللقاء.

الولايات المتحدة — سليمان داود

انبعاث

جاءت وقد أحسستُ أني من جديد أخلقُ
وشعرت بالقلب المزعزع في الاضالع يخفق
وسمعت في اعماق روحي نغمة تتملق !
ونظرت حولي فالتقى طرفي خريفاً يورق
هذا شبابي الذابل ، الموؤود ، يُبعث في دمي !
هذي شكوكي تستحيل الى اغانٍ في فمي !
هذا عبوسي المجرم ، العاتي ، يفارق مبسمي
وطوى جهامته الوجود كأنه لم يجهم !!

(٢) اشارة الى الرابطة القلمية وقد كان الفقيد من اركانها.
(٣) جبران خليل جبران – نسيب عريضه – امين الريحاني – ورشيد ايوب وكلهم من اعلام عرب المهجر الذين اجتازوا الحدود الى الشط الذهبي – الفضي.

قالت ، وقد ضجّ الفتون بلحظها المتفنن :
مالي أراك محملقاً بي ، ممعناً بتمعني ؟
أنت الذي ما كان يأبه للوضيع ، وللسني
يمضي شبابك زاهداً في الحسن والعيش الهني
حتى حكيت ، على التقشف ، ناسكاً ملّ الحياة
او موثقاً بوجوده ، يرجو انطلاقاً وانفلات
والآن ألمح في جفونك رعشة بين الرفات
وأرى على شفتيك للاحلام ، والدنيا ، نواة !!

قلت : استمد القلب من عينيك معنى للدنى
علمته ان الحياة تحيط باليأس المنى !
ملأى بقهقهة الجمال ، وبالعبير ، وبالسنى !
فرمى كآبته ، وصفق للوجود ، ودندنا !

يا مبعث الاغراء والاشواق ، يا مجلى الضياء :
أوَ تشركين الله في خلق السعادة والصفاء ؟
ما كنت أحسب ان اعود القهقرى نحو الفناء !
حتى عرفتك ، عند ذاك ، عرفت أسرار السماء !

بماكو – السودان الفرنسي — فريد ابراهيم

عينان

مهداة الى فؤاد الخشن

اهما ، عينا خليلي كسل رطب الذيولِ
ومدى صاف .وشيء من بعيد مستحيل
فيهما لوحة حسنٍ رائع طبق ذهولي
وتقى رحب .. واقلاع شراع في اصيل
اهما عينان ؟.. ام افق من الشرق الجميل
من سنا لبنان ، من دنيا صلاة وذبول
ليلتا عطر وخمر وعناق مستطيل
وصباحان مطلان على روض طلول

سجيم – لبنان — احمد شجاعة



مكتبة الاديب

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض – ١٧٣ صفحة – حجم متوسط – منشورات دار مجلة الاديب

اخي الاستاذ ابراهيم العريض :

تحية عطرة ، واما بعد ، فلقد سرتني هذه الهدية الماتعة التي حملها الي صديقنا الاستاذ وديع فلسطين ، وهي كتابكم الطريف : « الاساليب الشعرية » طبع دار مجلة الاديب .

ولقد شكرت لكم هذه الالتفاتة المحمودة ، ولا سيما وكثيراً ما اطرب لما اقرأ لكم من شعر عذب ، ينم عن شاعرية موهوبة !.

واما كتابكم « الاساليب الشعرية » هذا ، فلقد قرأته ، مسروراً حقاً ، وطربت لهذا النحو السيكولوجي الذي نحوتموه فيه في فهم الشعر – وحبذا لو عممتم الحكم ، وقلتم الادب ، او الفن عامة – وتذوقه !.

وانه في الحقيقة ، لكتاب قيم ماتع كانت ملكتكم الناقدة المحللة ، رائده الامين ، والتي وصلت بكم الى تلك التقسيمات الطريفة للاساليب الشعرية في غرضها ، وفنيتها !!

الا انني لا يفوتني ، في هذه الرسالة العابرة ، ان اقول لكم ، تعليقاً على كتابكم الطريف هذا : ان هذه الاسس النفسية : العقلية ، والعاطفية ، والتعبيرية – للادب والشعر ، بل لنقل للفن عامة ، حبذا لو اقتصرتم منها ، بين تلك التدقيقات القيمة ، على هذه المقومات النفسية – والبلاغية – لا اقول للفنون والادب خاصة ، بل للنفس الانسانية في اعم مظهرها النفسي والتعبيري : وهي : الفكرة ، والعاطفة ، والصورة ، والنغم ، والتي يوازيها الفكر ، والشعور ، والخيال ، والتعبير !!

وذلك اننا اذا اقتصرنا على هذه المقومات النفسية – كما قد كنت فصلت القول في منحى اسلوبي من هذه الاساليب الاصيلة ، التي تتملك حيوات كثير من الميتافيزيقيين ، والصوفية ، والفانين ، وهو الاسلوب الرمزي وسيكولوجيته – استطعنا ان ندرك الفن – والادب – في اعماقه السيكولوجية والتعبيرية ، كما استطعنا ان نقف على العناصر النفسية التي للشاعر ، فنرد اليها ، ما يتميز به الشاعر من مميزات : نفسية ، تعبيرية ، وحضارية ، ثقافية !!

ولكن لعل الذي يشفع لتقسيماتكم القيمة المفهومة هذه ، ما لاحظته في كتابكم من التأثر بالفقرة القائلة بان : « القصد من كل بيان هو اما التقرير او التأثير . . » (المدخل مهم) ، في حين اننا اذا دققنا في مميزات الفنون ، وخاصة الشعر منها ، وفي اسسها السيكولوجية ، وفي غايتها ، وخاصة غايتها ، وجدنا انه ليس للفنون ، وخاصة البيانية الشعرية منها ، غاية ، بين الغايات التي للبيان في المعارف الانسانية ، من علمية او فلسفية – وكم بين الفلاسفة والعلماء من هم اكثر شاعرية من الشعراء !! اقول اذن انه ليس للفنون ، وخاصة البيانية الشعرية من غاية : الا التأثير . . نعم ، التأثير ، وعن طريق غير مقصود ايضاً !!

وهذا ، من ان الفن كيما نسميه فناً ، والشعر كيما نسميه شعراً ، يجب ان تتوفر له من المقومات النفسية ، والتعبيرية الادائية ، ما يخلق للشعر جوه النفسي ، الفني ، والذي عن طريق عيش الشاعر فيه ، وتذوق احواله النفسية والفنية ، تدأب الشاعر نفسه فيه على نقد ما يريد نقده من بيان شعراً كان او نثراً ايضاً لا يقدمه المجتمع الا بعد التجبير والتثقيف ، علاوة على ان المجتمع ، والنقاد فيه ، كي يعدوه – هم انفسهم ايضاً ، ولا بد من اعتبار الطرفين : الفردي الذاتي ، والاجتماعي المتواتر ، في المعايير الفنية – كي يعدوه اذن شعراً ، عليهم ان يجدوا فيه هذا الجو ، او يقيسوا اجواءهم به .

وعلى كل حال ، ليس لي بعد هذه الملاحظات ، الا ان اشكر لكم هذه الهدية الماتعة الجميلة ، مقدراً فيكم شاعريتكم المطبوعة وملكتكم النقدية الثاقبة ، راجياً للادب العربي ان يقطف هذه الثمار التي تدنونها من الايدي جنية ، يانعة ، والسلام عليكم من اخيكم المخلص .

الناشرة عدنان الذهبي

الوتر الجامد

لاكرم الوتري – مجموعة شعرية – ٧٩ صفحة – حجم متوسط
مطبعة الرابطة – بغداد

في العراق اليوم طلائع نهضة ادبية يحمل لواءها جيل جديد

يشق طريقه بخطوات متزنة ليثبت شخصيته ويؤكد اصالته . وما المجموعات الشعرية التي طلعت مؤخراً الا مظهر من مظاهر تلك النهضة . ولسنا نريد بهذه الكلمة ان نعرض تلك المجموعات ، وانما اردنا التحدث عن آخر مجموعة صدرت لأكرم الوتري باسم « الوتر الجاحد » وهي مجموعة تضمنت قرابة ثلاثين قصيدة غلبت عليها مسحة الالم العميق . فالقارىء الذي يتجول في رحابها ويتنقل بين اجوائها يلمس ظلاً لشخصية تتلقى الحياة بتجهم وانتباغ . واذا لم يكن في وسعنا ان نقف لنعلل بشيء من الاطناب سر هذا التجهم ونرده الى اسبابه ، ففي وسعنا ان نقول بشيء من الاقتضاب ان عاملين اجتمعا في حياته فصبغا شعره بصبغة قاتمة وهما : « طفولته » و« حبه » . فقد طلع شاعرنا الى الحياة في بيت تنازعه الخلاف فلم يجد في جوانبه جواً من العطف والراحة . وسرعان ما امتدت اليه يد الخلاف فقذفته الى قرية نائية ليعيش في بيت يسوده جو ديني . وهناك انفق الشاعر طفولته يختلف طوراً الى المسجد ليؤدي الصلاة ويختلف طوراً آخر الى الحقول ليلاعب اترابه ، وانه ليذكر صوراً من تلك العهود بشيء من المرارة ، فيذكر : « هو الفراش بين الحقول » و « الفوانيس طواها الظلام شيئاً فشيئاً » و« صوت الاذان عند العشاء » و« حاملات الجرار . . سحر الشفاه » ولكن ما هي الا سنوات قصار حتى دارت به عجلة الايام فاذا هو في بغداد يلتفت فيجد نفسه في بيئة غريبة تختلف بزحامها وضجيجها عما الف في قريته من سكون ودعة ، وتفترق بما فيها من اضطراب فكري وتحلل خلقي عما اعتاده في بلده من سكون فكري وتزمت خلقي فنشأ من اجل ذلك صراع بينه وبين بيئته ظل الشاعر يعاني في غمرته ازمة روحية استهدفت فيها مثله العليا للخطر ، حتى لاح له في الافق قبس تمثل في عيني انسانة فتطلع اليها بلهفة وكله امل ان يجد فيها مخرجاً من ازمته وان ينشد فيها صدى لروحه ، ولكن سرعان ما اختفى هذا القبس بعد ان خلف جرحاً عميقاً في فؤاده فانعكف الشاعر وهو الكتوم على اوتاره يبثها نجوى ضميره ويفضي اليها بخوالج نفسه ، وكان ظنه ان اوتاره ستحفظ سره وتكتم امره ، ولكن حتى هذه الاوتار خيبت ظنه وهكذا اطلق على ديوانه اسم « الوتر الجاحد » . . تلك هي حكاية شاعرنا قد رويتها اوتاره رواية تعبق منها رائحة الصدق ويتصاعد منها عبير الاخلاص .

ولنتساءل بعد ذلك عن نصيب المجموعة من التجارب الشعرية ؟ والحقيقة ان هذه المجموعة قد وعت تجارب شعرية نبضت بالحيوية وفاضت بالحياة ، لان صاحبها محب صادق في مشاعره يطابق بين تفكيره وبين تجاربه ، فلا يشرق في احداها ولا يغرب في الاخرى وانما يشيد انفعالاته على الحوادث التي يعانيها والذكريات التي يحياها ، ومن هنا كان شعره بالنسبة اليه حقائق امتزجت بحسه وبروحه . على ان هذه التجارب رغم حيويتها يؤخذ عليها انها تجارب لم يتخلص الشاعر فيها من رومانتيكيته الفردية ليحلق في افق الانسانية التي تجعل لتجاربه طابعاً عاماً . وخير مثال نسوقه للتدليل على ذلك قصيدة : « مررت على الجسر » .

ففي هذه القصيدة يروي الشاعر انه مر ذات يوم بالجسر فوقف عنده ليستعيد ذكرياته عنه ويفتش في الواحة عن « امسه الضائع » لعله يلمس اثراً من بقاياه ولكنه يخيب في مسعاه ولا يجد الا صدى ضحكات « تدمدم في الخشب الهاجع » .

والقصيدة جميلة التصوير ، حلوة الرونق ما في ذلك شك ، ولكن انعم النظر فيها تجد الشاعر يتحدث فيها عن نفسه اكثر ما يتحدث عن الجسر ، فهو لا ينظر اليه الا من زاوية فيجد فيه مهد احلامه ومهبط ذكرياته .

اما الجسر نفسه فلا يتحدث عنه الا في ابيات قليلة :

أسير عليه كأني وجدت ... بحضن الربيع بقايا شتاء
غفا متعباً من توالي السنين ... عليه وملّ طويل الثواء
عجوز تشاءب فيه البلى ... ودبّت عليه طيوف الفناء

وبعد . . فثمة ناحية في المجموعة جديرة بالوقوف ، وهي ميل الشاعر الى تكرار بعض الالفاظ تكراراً واضحاً لا يفوت القارىء . . وسر ذلك فيما اظن ان (الوتري) فنان يساير مشاعره ويخلص لفنه ، وهيهات ان يستطيع الخلاص من قيود عواطفه . فاذا كان في نفسه حب للنغم ، فهو يندفع مردداً له . . ولكنه حتى حين يكرر هذه الالفاظ يبدل ايحاءها في كل قصيدة ويلبسها ثوباً جديداً . اما تلك الالفاظ فهي : « الدرب — الطريق — مررت » . ان القارىء يهوله كثرة ترداد الشاعر لهذه الالفاظ وبشيء من النظر الى هذه الالفاظ نجد انها متقاربة في مدلولها وفي الباعث الاصيل لها ، واغلب الظن ان كلمة (الدروب) وهي اكثر كلمة يرددها الشاعر تثير عنده انفعالا وتبعث عنده ايحاء خاصاً تجعله يكررها عن لاوعي . . وما يصدق على هذه اللفظة يصدق على الالفاظ التي تقاربها . ومن هنا كان الانفعال الذي تثيره هذه الكلمة لا يختلف عن الانفعال الذي تثيره كلمة (الطريق) وما يصدق على هذين اللفظين يصدق على كلمة (مررت) . ولا بأس في ان نقدم للقارىء نماذج من هذه الالفاظ المكررة : فاما

عن (الدرب) فمنها : « تمر على الدرب سأمـان مضنى »و « الرياح الغضبى تزمجر في الدرب » و« تجري الاحلام والاوهام من درب لدرب » واما (الطريق) . « والعابرات على الطريق كنفا يحملن سراً . » و«عيناي تبحث في الطريق عن التي تاهت فتاهما »و«حينما عاد بي الطريق . . ». واما عن « مررت » فيقول : « تلك الـتي مرت على بابي . » و« كم دليل يمر بي وهو يتظاهن » و« من عهود مرت على افق داج ».

هذا استعراض موجز للخطوط الاساسية لديوان «الوتر الجاحد» عسى ان يعطي القارىء صورة واضحة عنه .

بغداد — غربي العمري

ارض الخطايا

لأمين يوسف غراب - مجموعة قصص – ٢٠٥ صفحات – حجم متوسط
لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

بضعة من قادة كتاب القصة في العـالم ، استشفت نفوسهم الكبيرة كثيراً من معاني الانسانية وصورهـا . . اصطرعت اختلاجات نفوسهم الحية مع بعضها . ثم انبثقت احاسيسهم الدافقة فاخرجوا للعالم اقباساً من النور والنار . . بعضها ينير الطريق للسائرين في درب الحياة . وبعضها الآخر يحرق الاوشاب في نفوس المعطلين من نعمة الوجود اليقظان .

اولئك تنطوي قصصهم على اخلد المعـاني الحية ، التي تهز النفوس العذبة المقبلة على نبع الوجود . . تدور معـاني وحيوات ابطال قصصهم في اوعية نفوسهم فتراهم يحيونها حياة متعددة الصور والالوان ، يحيونها في افكارهم وليدة . وينشئونهـا مع ارواحهم صغيرة حتى تنضج . فيقدمونها للقراء رشيدة صـادقة الاحساس قوية التعبير . تعيش ما عاش الفكر الانساني في الوجود فيها جمال المحبة والخير . وروعة الايمان والتحرر . ودقة التوثب والتطور واشراقة مشعل المعرفة ، وسوءة السلطان الباطش ، واستكانة العبد الخنوع . . كل تلك المعاني . تمور في وعاء النفس البشرية التي تعبر عنها قصة انسانية من القصص الصادقة التعبير . . التي يرود دربها اولئك النفر من قادة الانسانية .

ومؤلف ارض الخطايا . . واحد من اولئك الفنانين ، الذين يرسمون بأقلامهم ما يرسمه مبضع الجراح . . انسان رحب الآفاق حبيب الى القلب ان يعيش معه الانسان في عالمه الرائع الكبير .

هذا . . هو شأني معه . . اما شأن قراء قصصه . . فما لاشك فيه . . ان ثروة من المعاني الخبيئة في النفس سوف تنبث في اعماقهم عقب قراءة قصصه . . كما تنبثق الرائحة الجميلة من الزهرة الندية وهي تتفتح تحت اشعة الشمس .

فان في قصص الاستاذ امين يوسف غراب التي نحن بصددها ، تكويناً رائعاً مشبعاً بالعناصر العديدة . كتناهض النفسيات المتباينة تبايناً هرمونياً لابطال قصصه . وتفاعل الميول والرغبات الانسانية التي تصطرع مع احداث البشرية . . ليست كلها وليدة انبثاق نفسية المؤلف وحده . بل هي شكول والوان لما مرت به واعيته الحساسة ، كما تمر الكاميرا بعرض من الصور الفريدة ، تنقلها لك في صدق وامانة واخلاص .

انه لينطلق بك من اضيق المشاكل النفسية الى ارحب آفاق الخير . حيث تتلقاك فلسفة اهداف قصصه في اطار محكم بنهاية القصة عند قوس قزح . فيه الخير والرحمة . واللؤم والشر . . بين فكر قدر يضحك ويسخر ، ويألم ويبكي .

كل تلك المعاني الحية ، يولدها لك الاستاذ امين يوسف غراب في قصته . . لان البطل عنده في قصصه انسانية قبـل ان يكون قائد حادثة ، او قطب صراع . ولان شيئاً واحداً فقط هو الذي يحرص على ان يقدمه لك دائماً في نهاية كل قصصه . . ذلك الشيء ، هو الحقيقة المجردة .

وارض الخطايا في مجموعها . . صراع ناجح من القصص المصري القوي المميز بطابع نجـاح الكاتب في ابراز اهدافه من معالجة الموضوع ، زيادة على وضوح الخطوط الوضاءة الالوان . . ملك بيمينه أداة فنية ناجحة . . وقبل فكره موهبة عميقة الاغوار ، حساسة معبرة عن اصدق صور الانسانية .

ولعل الظاهرة الفنية الرائعة التي تثبت امام واعية الناقد لهذه المجموعة . هي دون شك واقعية عدد لا يستهان به من مجموعهـا كقصة مائة دجاجة وديك واحد التي تعالج ضيق عقلية الفلاحين في الريف المصري وسلطان العمدة مع سرد رائع للحوار الشعبي بما فيه من مصرية صادقة .

وقصة راعي الغنم التي تصور الصراع الآدمي في صدر الانسان الريفي الذي يسكن امرأة في تلافيف عقله وقصة وفاء النور التي يصور لنا فيها المؤلف البؤس الذي يشعل الثورة في صدر المحروم حتى تتساوى لديه كل النتائج ما دامت معدته تأخذ من ذات نفسه موضع العقل وما دام بطل القصة عم جمعه واحد من اولئك الملايين الذين تمور في صدورهم الانفعالات وتضطرب . . وقصة الفناجين الحمر .

التي يعالج فيها ما يختلج به قلب الاب والام ازاء البنات العوانس. عندما يطرق الباب عليها انسان يبحث عن شيء من الممكن ان يكون زوجه .

وقصة بائعة الخطايا . التي تصطرع بين ابطالها حكمة الخير والشر بالنواميس والنظريات، دون ان تتزحزح النفس عن مأتاها الا النزر اليسير . . الذي لا يغني ولا يفيد .

وقصة عيشة يا بلح . . التي تلقي ضوءاً باهراً على الحياة الزوجية الشعبية. والميزان الذي توضع فيه الفتاة بالنسبة لمصالح الفرد، الذي ينتصه النضج الاجتماعي والوعي الانساني كما يعوزه الاحساس بالطبقة ، والتي يعرض لنا فيها المؤلف صورة رائعة من اروع صور الحب البريء بين بطليها برعي وعيشه.

وقصة ارض الخطايا . . التي تصور لنا الريف المصري بعاداته وتقاليده واحكامه العجيبة . فتعرض لنا صور الانسانية الخبيثة في نفوس اهل الريف المصري . والبشرية التي في قلب الفلاح والقاضي . والمرأة والفتاة حين تراودهم الخطيئة وهي تلهو بهم جميعاً مرات .

وقصة غلطة العمر ، التي ابان فيها المؤلف عظم الخطيئة التي يرتكبها الانسان الطائش فيدفع ثمنها من سعادته وهناءة اولاده .

في الحق . . ان الزميل الاستاذ امين يوسف غراب قد نجح نجاحاً رائعاً في تصوير الواقع المصري تصويراً صادقاً امينا في اسلوبه السهل البديع . . وانه ليس ثمة ريب في ان ابطال قصصه من الذين اعرفهم . بل واكاد التقي بالواحد منهم مرات في الطريق لآخذ بيده اسأله اسئلة شتى . . لولاما يصحو بي الواقع قبل ان افعل . . ان مرد نجاحه هو في التعبير عن حياتهم والتنفيس عما يختلج في صدورهم . انه بما يسكب على حياتهم من حياته الدافقة الغنية بالتجاريب والصدق في الاحساس .

فهو ليس كافاً بان يبدع على طريقة المثاليين او الابتداعيين، قدر ولوعه بتهيئة الجو الصادق والمعبر عن نفسية ابطال قصصه من عامة الشعب . ينفذ الى اعماق قلوبهم سابراً اغوار نفوسهم . مضيئاً تلك الطريق لتبصر بهم يتزاحمون في طريق الحياة .

ان غاية الفن . . هي في ذاته . وانه ليكفي الفنان ان يوقظ في نفوسنا ازكى الشعور بالجمال والخير ، وان يخوض الحياة الفكرية بقلم مكافح صادق في التعبير . يضع يده مع العدالة حيث تضع . ويرفع عقيرته مع الحرية حين تصرخ . . مؤمناً بالطبيعة قوي الاحساس بالمجتمع . كأي قائد في معركة الفكر والتطور . حسبه ذلك . . كي يؤدي رسالته على اكرم الوجوه .

وهذا . . ما اعتقد ان الاستاذ امين يوسف غراب قد علق نظراته المدققة الفاحصة على نهاية دربه، لو صح ان القصة كالحياة، درب ملتو عجيب ، يموج فيه الوجود بصور الآدميين . وتضطرب فيه الحياة باحداثهم المبكية المضحكة .

وبعد . . فحسب هذا الكتاب . ان يقدم نفسه لجمهور القراء كما قدم سالفه نفسه . فان الاعمال الفنية الناجحة تجد من روعتها خير منصف لها . وان في الفن الصادق الذي يخدم المجتمع لكفاء لان تصدر الجماهير حكمها عليه . وان حكم الجماهير على الفنان الذي لا يستجدي ولا يتملق . . . لهو اقدس الاحكام ؟

مصر — محمد صدقي كبه

من ازهار الشر

لبودلير ترجمة الياس داود اصلان — ٣٦ صفحة — حجم متوسط
مطبعة الرابطة — بغداد

تلفظ المطابع الادبية في بغداد هذه الايام نتاج قرائح بعض الشبان من الشعراء والقصاصين العراقيين . وهي ظاهرة طيبة تبشر بازدهار وانتعاش الروح في البلد . ولكنك مع بالغ الاسف وانت تتصفح هذه الكراريس وتلك الدواوين لا تحظى بالمتع الذهنية ولا بالانجذابات الروحية .

ونجد الواحد من هؤلاء وهو لم ينضج بعد النضج الكافي ولم يتجهز من ادب لغته بنصيب كبير يتعجل السعي في ركاب الشهرة.

ومن هؤلاء الادباء الشبان ، من قام بترجمة بعض قصائد « ازهار الشر » لبودلير من نصه الفرنسي . فلو لم يكن نتاجه ترجمة عن شاعر كبير صاحب مدرسة شهيرة متشعبة الفروع عميقة الجذور ، لما آنسنا في نفسنا رغبة في الكتابة، ولو لم يكن الشاعر دقيق العبارات بارع الصياغة مشبوب الخيال ، لما فكرنا بتتبع ترجمة قصائده .

لقد ترجم قسماً من هذه المجموعة السيد داود اصلان الى العربية ترجمة لا بأس بها في الجملة ، ولكن المترجم من الناحية العلمية ضعيف في العربية فوقع لذلك في اوهام كثيرة .

والقارىء العربي متلهف ، يقبل بشوق على مطالعة قصائد هذا الشاعر (الرجيم) الذي يسمع عنه كثيراً ولا يراه . ولكن اية خيبة يلقى القارىء — العليم بمطاوي خلجات الشاعر — واي ابتذال يجده

حين ينتهي من قراءة هذه المجموعة . فلا يصدق ابداً ان بودلير امامه ماثل « بروحه الطافية فوق العطور » ولا « بقلبه المغلف بكفن بخاري وبالظلمات محلقاً باجنحة الغراب في اجواء الفصول الكابية » .وسبب ذلك ان المترجم لم يستقص الشاعر بدراسة كاملة ، ولم ينتش بشذا مسكه ونكهة عنبره وبخوره الشرقي . ولم يتوفق ايضاً للدخول في مملكة هذا الشاعر الغريبة ، ويشاهد مدينته « المرمرية المصقولة باقصور والاساطين الفخمة ، وبالبروج والشرفات البابلية المستضيئة بنورها العجيب ، والمنبسطة بياهها الزرقاء ، كالمرائي الفولاذية العميقة والعاكسة حوريات الماء الماردات ، المشعشعات تحت جسور الياقوت » .

ولم يلازم ذلك الرفيق العاطفي « الذي اصطفاه الخالق من بين الانام لينشد اسرار طهر العذارى في الازهار » او لينتظر الليل بفارغ صبر حين تدق ساعة الشهوة فيزحف كالدودة الى تلك المضطجعة فوق الاريكة ، الباسمة بارتخاء ، ذات الشفاه الندية والنهود والافخاذ الملتمعة كالزيت . . هناك حيث يختنق تحت ذراعيها الهائلتين . .

وفوق هذا فقد انحرف المترجم عن النص الفرنسي حين حاول ان يتبسط بشرح ما استتر من مبهمات الشاعر فحاد عن الطريق السوي . ومن هذه الهفوات الكثيرة التي يتعثر بها القارىء في كل قصائده نقدم لا على سبيل الحصر بعضها فيما يلي :

في ص(١١) قال « ستجدين مكاني ، الذي لن يزول منه الدفء حتى المساء خالياً » والصحيح « ستجدين مكاني خالياً وسيبقى بارداً حتى المساء » . وفي ص (١٢) قال : « في هذه الارض المغسولة كالقبر » والصحيح « في هذه الارض المغسولة كشاطىء النهر الرملي » وفي ص «١٣» قال « يتساءلون عن نظرتك ذات البخار المستتر ، عن عينيك الغامضتين » والصحيح « يقولون ان نظرتك مغلفة بالبخار وعينك مبهمة » . وفي نفس الصحيفة قال « هل اعبد ايضاً برودك ومظهرك؟ » والصحيح « هل اعبد ايضاً ثلجك وصقيعك »؟

وفي قصيدة « انشودة غزل حزينة » قال « ليس يهمني ان تكوني هادئة » والصحيح : « ليس يهمني ان تكوني حكيمة » وقال « تحلين بالسيوف والبارود والحديد » والصحيح « تحلين بالسيوف والسموم وتهيمين بالبارود والحديد . ويقول « ويا انك ما زلت تفتحين الباب متوجسة » والصحيح « ويا انك لا تفتحين قلبك لاحد الا بتوجس ورهبة » .

وفي قصيدة « الشعلة المتوهجة » يقول « والتي قدسها ملاك رفيع ولا شك فوهبها جاذبية » والصحيح « اللتان مغنطها ملاك عالم بالجاذبية » ويقول « فتحركان في عيني اوارهما الماسي » والصحيح « فتنفضان في عيني نيرانها الماسية » . ويقول « وتجعله الشمس يحمر ، ولكنها لا تطفىء لهيبه الغريب » والصحيح « ويصير الشمس حمراء ولكنها لاتطفىء لهيبها الغريب (اي لهيب العيون ، لا لهيب الشمعة ، وكذلك نور العين هو الذي يجعل الشمس حمراء وليس العكس » . وقال في ص (٢٤) و« وكالشمس في قطبها الجهنمي » والصحيح « كالشمس في جحيمها القطبي » . وفي ص(٢٩) قال « كما تدعوني اليها خرافتها السوداء المخطوطة بالنار » والصحيح « ولن يبوح لك باسطورته السوداء الموسومة باللهب » . وفي قصيدة « دمعات العشاق » قال « تطل علينا تحت سماوات اجمل » والصحيح « ستتفتح اكمامها لاجلنا تحت سماوات اجمل » . وقال « سنحسد على حرارة جسدينا الاخيرة » والصحيح « وستتآكل على جمر الجسد حرارتها الاخيرة » وقال « حين ينظر مغيب الشمس الافق البعيد بالورد والزرقة قبل الغسق » والصحيح « وفي مساء مكلل بالورد والزرقة الخاشعة » . وفي قصيدة « الدعوة الى الرحيل » قال « يا ولدي ويا اختي فكروا في عذوبة الرحيل الى هناك » والصحيح « يا ولدي ويا اختي احلما بالعذوبة الذهاب الى هناك . » .

وقال « لكي نحب على مهل » والصحيح « لكي نحب كما نشتهي » . وقال « هذه السماوات المكفهرة » والصحيح « ذات الضباب » . وقال « انظري الى تلك الترع حيث ترسو هذه السفن التي ساعاتها قليلة » والصحيح « انظري الى تلك الترع حيث تنام هذه السفن والتي يجول فيها خاطر المرء بفتور » . وفي ص (٣٤) قال « الداء والموت نثر الرماد في النار التي اتقدت من اجلنا » والصحيح «الداء والموت صيرا رماداً تلك النار المتوهجة من اجلنا» وفي قصيدة « انسجام الماء » قال « وتترنح في جو المساء الاصداء والاشذاء بطرف ذابل وترقص لحناً حزيناً » والصحيح « فتنخرط في جو المساء المظور والاصداء لتفضي الى رقصة كئيبة ورنح ضعيف » . وقال « وترتعد الكهان كقلب مأسور » والصحيح «وترتعش الكهان كقلب مغموم» وقال ايضاً «والسماء حزينة جميلة كأنها خلوة طويلة» والصحيح « والسماء حزينة كأنها مذبح مزين عظيم » .

وبعد ، فنحن من هذه الاشارات البسيطة لا نرغب في تثبيط عزيمة المترجم ، بل على العكس نعينه ونتفاءل له بمستقبل زاهر في عالم الترجمة لما في هذه المجموعة الشيقة من محاسن وجمال .

بغداد — ضياء الشماع

مصادر الدراسة الادبية

ليوسف اسعد داغر – ٤٠٠ صفحة – حجم كبير – مطبعة دير المخلص – صيدا

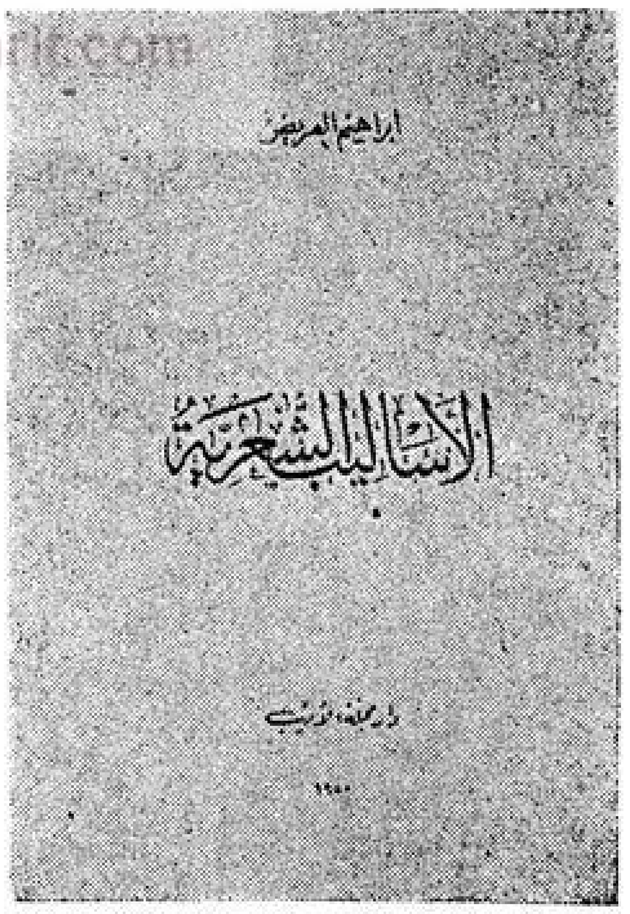
للاستاذ يوسف اسعد داغر ، امين دار الكتب اللبنانية ، والاختصاصي بفن المكتبات وعلم الكتب فضل اي فضل على المكتبة العربية والحركة العلمية في الشرق العربي ، وذلك بما وضع من مؤلفات قيمة جمعت في منهج ونسق علمي صارم ، الى الاتساع رصانة الموضوع ونبل المقصد وشرف الغاية. وهذا الكتاب الجديد الذي طلع به على العلم اليوم بعنوان : « مصادر الدراسة الادبية وفقاً لمناهج التعليم الرسمية » ، هو خير مصداق على ما نقول فالاستاذ داغر كشف في كتابه هذا عن ثقافته الموسوعية العميقة وعن اطلاع بعيد على الادب العربي قديمه ووسيطه وحديثه ، كما برهن عما يجيش فيه من نفس طلعة اذ اخذ على عاتقه انجاز ما ينوه بجمله وانجازه اكبر الكليات في هذه البلاد ، فاذاب وقته وتفكيره في خدمة العلوم العربية ، خدمة علمية صادقة لا يعوزنا التأكيد على ان الاجيال الطالعة باشد الحاجة اليها في هذا الشرق العربي الذي كثيراً ما اقنعوه بالكفاف من السطحي من الكتب .

نقول هذا ، بمناسبة الكتاب الجديد الذي ظهر له حديثاً الى جانب مؤلفاته العلمية السابقة ، وذلك بعنوان : « مصادر الدراسة الادبية وفقاً لمناهج التعليم الرسمية في لبنان وسوريا ومصر والعراق. وهو كتاب ضخم يقع في نحو ٤٠٠ صفحة من الحجم الكبير تأخذك روعة ما فيه من وفرة المصادر والمراجع – وقد زاد عددها على ٢٠ الف مصدر – يقدمها غذاء مستساغاً لطالب العلم ، تلميذاً كان ام استاذاً ، لتيسير البحث امامه . والكتاب المذكور عدة بل اداة لا يستغني عنها باحث ما ينبغي الاطلاع على الادب العربي والاستبحار في مناحي الثقافة العربية . والكتاب هو من تلك الكتب التي سترافق النشء الطالع جيلاً بعد جيل ، ستعود اليه انت ، ايها القارىء ، وسيعود اليه حفيدك وحفيده وحفيد حفيده. فالاستاذ داغر هو من هؤلاء العلماء اللبنانيين الذين تتصل حلقاتهم عن طريق الغزيري والسمعاني ، بابن النديم في « فهرسته » والحاجي خليفة في « كشفه » وطاش كبرى زاده في « مفتاحه » .

وبعد ، فقد بقي علينا ان ننوه بالناحية المادية والمالية في هذا المجهود المرهق الذي قام ويقوم به الاستاذ داغر . فقد كان من حق هذا الكتاب ان تتولى دوائر الدولة والمراجع المختصة في وزارة التربية الوطنية طبعه ونشره واخراجه الى الملأ العلمي ، لا ان يترك امر النهوض به لفرد اعزل الا من قوة الايمان برسالته والرجاء ببزوغ عهد جديد من النهضة الادبية التي يمهد لها بكتبه القوية المتينة . ونحب ان نعتقد بان وزارة التربية الوطنية في لبنان ستشجع الكتاب المذكور والمجهود العلمي الذي يتمثل فيه بشراء اكبر عدد منه ليصير توزيعها على مكتبات المدارس الرسمية والخاصة ليتاح للجميع الاغتراف مما فيه من كنوز المصادر والمراجع . كذلك نرغب اليها صادقين ان تتولى نشر الكتب الاخرى – وكلها مهم لدراسة الثقافة العربية – التي اعدها الاستاذ داغر والتي المع الى ذكرها في مقدمته الماتعة (صفحة ف) مما يعود على لبنان عامة والثقافة العربية خاصة ، باطيب الاثر وخير الاشعاع .

شفيق سلمان

صدر حديثاً



اطلبه من جميع المكتبات
ومن مجلة الاديب

الثمن ٢٠٠ قرش لبناني او سوري
او فلس او مل او مليم او فرنك

ملامح وغضون

لمحمود تيمور – ٢٢٧ صفحة – حجم متوسط – ورق صقيل
مكتبة الآداب بالجماميز – القاهرة

كتاب الاستاذ تيمور هذا الجديد ، كما يظهر من العنوان

دراسات قصيرة لشخصيات لامعة في عالم الادب والفلسفة والسياسة والاقتصاد والدين والشعر الرمزي والتمثيل وهكذا تناولت هذه الدراسات الادبية والاجتماعية العميقة بعض الاتجاهات حول طه حسين بك، والملك فاروق، وزكي طليمات وبشر فارس والشيخ أبو العيون وانطون الجميّل وأحمد امين وغيرهم.

يقول الاستاذ في فصل من الكتاب، خصصه للدكتور بشر فارس :

. . . « ولصديقي « بشر » شخصيتان : شخصية الاديب، وشخصية العالم، تتنازعانه على الدوام. . . ولا ندري ايهما يقدّر لها الفوز على الاخرى ؟ فقد اصدر في عام مضى مسرحيته الرمزية « مفرق الطريق »، فتلألأت نجماً جديداً في سماء الادب الرفيع، وظهر له منذ فترة كتابه «مباحث عربية» فاذا هو سفر قد لا نغالي اذا قلنا انه في طليعة الآثار العلمية التي تخص عنها العصر الحديث، من حيث دقة البحث، واستيعاب الموضوع، وحسن الصياغة، والبراعة في التنسيق والتنميق، كل ذلك على احدث نهج علمي خطه علماء الاستشراق . . .

ونحن اليوم نتتبع خطوات « بشر فارس »، وهو يروح ويغدو. ينحت الصخر آناً في مفاوز العلم، وينظم الزهر حيناً في خمائل الادب ونتساءل في حيرة : الى اي مدى يستطيع الصديق ان يحتفظ بشخصيتيه المستقلتين ؟ وهل في الامكان بأن يجمع المرء بين العلم والادب، ولا يستشعر في دخيلة نفسه ذلك التنافر القائم بين هذين العنصرين النفيسين، اللذين لا يهدأ لهما حال الا اذا اخضع احدهما زميله واستعبده. »

***

وعلى هذا النسق من الاسلوب الماتع الطلي، تتوالى صفحات الكتاب، فنقرأ فصولا طريفة تجتمع فيها دقة الملاحظة، والطلاوة والروح العذبة والمعرفة الاجتماعية وتمرس الاستاذ تيمور بقضايا الخلق الادبي الرصين المبدع.

وزير غرناطة

لعبد الهادي بو طالب – ٢١٣ صفحة – حجم متوسط – ورق صقيل
مطبعة الاستقامة – القاهرة

يقدّم الاستاذ محمد سعيد العريان لهذه السيرة التي كتبها الاستاذ بو طالب، بقوله : « ولكن من هو لسان الدين ابن الخطيب وزير غرناطة الذي ينشي صديقي ابو طالب هذا الكتاب للحديث عنه ؟ وماذا يريد ابو طالب ان يكتب عنه وقد سبقه الى الكتابة عنه فلان وفلان وفلان من المستشرقين ومن المستغربين؟ اما لسان الدين فسيعرف عنه قارىء هذا الكتاب ما يكفيني مئونة التعريف به، واما ما كتبه عنه ابو طالب في هذا الكتاب فشيء جديد لم يسبقه اليه مستشرق ولا مستغرب. »

ويقول المؤلف في سياق تحليله البارع لشخصية الوزير ابن الخطيب « . . . فاصبح كل شيء في الدولة اثاثا له ان يأمر وعلى غيره ان يطيع، هابه الناس وخشوا سطوته، وتزلف اليه الطامعون، ولكنه كان يحس رغم واسع نفوذه انه في حاجة الى المزيد، وان سطوته لم تبلغ نهايتها. هذا عثمان بن يحيى شيخ الغزاة قد ادناه الغني بالله وقربه من مجالسه انه يدخل قصر الحمراء يختال كأنه الطاووس، وينفرد بالسلطان ساعات فلا يدري من نجواهما شيئاً، ويلقاه في ابهاء القصر فيقرأ في وجهه سطوراً تنم عن خبث ومكر. انه ليبدو عليه في مشيته وجلسته وحديثه وكل حركة من حركاته زهو بقربه من الغني بالله وعجب بما ناله في قصر الحمراء من حظوة ومكانه. . .

وأوى ابن الخطيب ذات يوم الى بيته وقد امتلأ قلبه حقداً على عثمان بن يحيى، وصوره له حب النفوذ في صور مخيفة كان يرى في شخصه مغتصب سلطته والمعتدي على نفوذه. . . »

المدخل الى الفلسفة الحديثة

للدكتور س. جود – ترجمة كريم متى – ١٢٧ صفحة
حجم متوسط – مطبعة الرابطة – بغداد

دراسة قيمة، مترجمة بقلم رشيق متين، تلم بمواضيع الواقعية الحديثة، وفلسفة برتراند رسل، والمثالية الجديدة، والفلسفة العلمية، وفلسفة برجسون، قال المؤلف ملخصاً نظرته في فلسفة برجسون : « . . وعليه ففي الوقت الذي نسلم فيه جمال ووحدة مفهوم برجسون عن الواقع، لا يمكننا الا ان نستنتج في محاولته وضع كل شيء تحت سمت مبدئه الوحيد، عرض نفسه الى اعتراضات منطقية خطيرة الاهمية. على انه يجب ان نعترف ان هذه الحقيقة لم تنل من القيمة العظيمة لمؤلفاته البيولوجية ونتاجه الذي يشهد له حقاً انه كان اول من فتق فتقاً كبيراً النظرة الآلية في الحياة والكون – تلك النظرة التي كان لها سيطرة شبه تامة خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر.

اسلام عمر

لشفيق جدايل – مشهد تمثيلي – ٣١ صفحة – حجم صغير – دار الكشاف – بيروت

من المواقف النابضة بالحياة، في هذا المشهد، هذا الحوار

الرائع بين سعيد والحباب .. سعيد – هذا حديث عرفناه ... فبماذا تريد ان تخرج منه ؟

الحباب – اريد ان اقول ان رجلاً كعمر لا يسلم. ولا يعقل ان يدخل الاسلام في قلبه .

سعيد – ولكنه يا اخي من عقلاء قريش وحكمائها .. انه من اشرافها المكرمين .

الحباب – ان له السفارة بيننـا .. كلما وقعت بين قريش وغيرهم غزوة بعثناه سفيراً وكلما نافرنا منافر او فاخرنا مفاخر .. رضينا به وبعثنا به منافراً ومفاخراً .. ومع ذلك فلن يدخـل الاسلام في قلب هذا الشاب العنيد الشديد .

سعيد ـ انا اعتقد انه سيلين . سيميل الى محمد . وستنكسر فيه حدة السنين السبع والعشرين ..

الحباب ـ هذا الاعسر .. سيظل قلبه اعسر من الحديد !!

سعيد ـ او ما سمعت بما قيل ؟

الحباب ـ وماذا قيل ؟

سعيد ـ لقي رجل راعياً فقـال له اشعرت بان ذلك الاعسر اليسر عمر قد اسلم ؟ قال الذي كان يصـارع في سوق عكاظ ؟ قال نعم .. قال اما والله ليوسعنهم خيراً ..

الحباب ـ او ليوسعنهم شراً ..

غيوم عربية

للدكتور نبيه امين فارس ـ ٩٢ صفحة ـ حجم متوسط
دار العلم للملايين ـ بيروت

هي فصول قيمة المحتوى ، مشرقة الاسلوب، تدورحول قضايا سياسية واجتماعية عربية ، وهكذا عالج الاستاذ نبيه امين فارس، بما عرف عنه من نزوع الى الفكر ، وتوخ للبحث العلمي التوجيهي ، قضيةتأرجح العروبة بين تيارين الشيوعيةوالرأسمالية،وقضية السيف والسرعة، والمشكلة الكبرى (مشكلة القيم الاخلاقية عند الفرد والجماعة) ، ومشكلة اللاجئين ، وقضية عودة العرب الى الجاهلية، ونشاط الجامعة العربية ..

قال المؤلف في صدر الحديثعن سياسة « العمليين » العرب . « وقد ينهج البعض ممن يسمون انفسهم عمليين ، ويقولون: «ما لنا وللكلام فالسياسة العملية تقتضي مرونة وكياسة حتى نحتفظ بالباقي مما كسبناه في خلال ثلاثين عاماً ، ان مصيبة العالم عامة والعـالم العربي خاصة هي في مثل هؤلاء العمليين الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ويقضون ايامهم فيتكييف مبادئهم حتى تستوي مع الواقع وخلاص العالم عامة والعالم العربي خاصة لا يأتي الا عـلى ايدي اولئك الذين يسخر بهم السيـاسيون العمليون ويسمونهم ذوي الاحلام الذين يقضون العمر وهم يحاولون تكييف الواقع حـتى يستوي مع المبادىء التي يدينون بها ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مي وجبران

لجميل جبر ـ ٧٩ صفحة ـ حجم متوسط ـ ورق صقيل ـ دار الجيل ـ بيروت

في هذه الدراسة ذات الاسلوب الشعري الاخاذ، يصور المؤلف علاقة مي بجبران. اسمعه يقول في فصله « بعد جبران »:

أفاقت مي من خدر آلامها فداهمها الواقع الضاري بكل ما انطوى عليه من اسى منغص ويأس خانق ناهش ، فوجدت نفسها هرمة وحيدة ، لا حنان يهدهد اعماقها الصـارخة ولا عزاء يضمد الكبد العليل. وجدت نفسها منبوذة منفردة في ذلك المنزل الذي شهد بالامس نضارتها المتفجرة ، الذي غص غير مرة برواد صالتها والمعجبين بأدبها الرفيع، والذي عودها ايضاً الحياة الرخية المطمئنة في كنف ابوين لم يطلبا من الحياة غير رضاها ...

وتطلعت حولها وتطلعت، فوجمت وتساءلت «اين ابي وامي. اين صروف وصبري وولي الدين؟ اين صباي ونفوذي... بل اين جبران رفيق روحي ومبدد وحشتي » فلم تسمع الا رجع انين يردد

الاسواق التجارية

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى – ساحة الشهداء بيروت

الهاتف : ٦٨ – ٦٦ العنوان البرقي: ادفرت ، بيروت

في وجدانها المظلم. . . كان عهد. . . وانقضى. . . واعتزلت العالم تبكي. . . وتبكي. . . وهي تعتقد «ان النفس القوية تزيد بهاء بعد التغلب على الكروب ، والعين الجميلة تزيد تألقاً بعد سكب الدموع » ولكن غؤوراً. فانطفأت مي. ولم يبق منها الا هيكل نحيل يحطمه الزمان يوما فيوماً.»

مهبّ العشب

لبولس سلامة ـ ٢٨٣ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق صقيل
منشورات مجلة الرسالة المخلصية ـ صيدا

مقالات ودراسات تبحث في الفلسفة وعلم النفس ، وشوارد اسلامية ، وخواطر في الادب. والكتاب يتألف من فصول في بحث الذاكرة والاخيلة والصور والاحلام والوجدان والمسئولية والخير الاسمى والتشاؤم والشك، والرواقية ، ونفسية الجماهير وبحث الاديان القديمة ، وغيرها .

قال الاستاذ في فصل «ما هي النرفانا ؟ »

« يتبادر الى الاذهان ان النرفانا في نظر الهنود هي مقر النعيم الابدي يغتبط فيه الابرار ثواباً على ما قدموه في الحياة الدنيا من الصالحات. ويظن فريق آخر انها مكان يتلاشى فيه الالم بعد الموت ويزعم غيرهم انها عدم محض. . .

. . . « وقد ضل في تفهم النرفانا المؤلفون الاوروبيون والهنود البوذيون على السواء. »

. . . « سئل بوذا عن شريعته فاجاب هي الابتعاد عن الشر وتطهير الفكر. وسئل عما اذا كان يرى رأي سواه في اعمالنا الشريرة في حياة سالفة تجر علينا ما نلاقيه من العذاب والالم في حياتنا الحاضرة فاجاب : اعملوا الصالحات وتجنبوا السيئات. وسئل عما اذا كان الانسان يتلاشى بالموت فاجاب انني ابشر بتلاشي الميول. »

سفانه وجبلانه

لرياض طه ـ مجموعة قصص ـ ١٠٣ صفحات ـ حجم متوسط
ورق صقيل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

يقول القصصي المصري الكبير محمود تيمور في مقدمته لهذه المجموعة القصصية الرائعة: وفي مقدمة ما تمتاز به اقاصيصك ان موضوعاتها ملائمة للمجال الاقصوصي المحدود، ولذلك اجدك ماسكاً زمام امرك، قادراً على ان توفي كل ناحية من نواحي الموضوع، دون اغفال او اهمال ، فالقارىء لك يشتفي من التعرف ، ويغنى بما بين

يديه عن التساؤل والإستخبار .

. . «وثمة ميزة يرجح بها ميزانك في هذه الاقاصيص، تلك هي الاستجابة لبيئتك ، والتأثر بما حولك، فأنت تصور لنا الطبيعة التي تطيف بك . وتظهرنا على شخصيات شعبية تعايشك ، وترينا من الاخلاق والعادات وما الى ذلك من ظواهر السلوك ما يوضح لنا سمات الحياة في تلك الرقعة من الارض التي تتقلب فيها ، وتبادل اهلها ما في العيش من اسباب » يصف المؤلف في قصته التحليلية الوجدانية « بعد خيانتها » ، حالة من حالات نفس عاشقة على لسان احد ابطاله المختلجين بالحياة والصدق :

انتظرتها في الصباع زمناً طويلاً فلم تمر . وفي العصر شعرت بضيق يغشى نفسي فمضيت الى شاطىء البحر استروح واحاول السلوان . وفيما كنت اسير وئيداً ، بمنحى من زحمة المارة، لمحت، على البعد، رجلاً وامرأة يسيران متراقبين وقد وصل بينهما الذراعان، فشعرت بقلبي يقفز هلعاً مضطرباً ، وخطر لي فجأة ان المرأة قد تكون نوالا .

مدرسة المخلص

تأسست سنة ١٨٨٧

●

ما فتئت مدرسة المخلص منذ ٦٦ سنة تهذب ناشئة البلاد وتغذيها بلبان مبادىء الآداب القويمة والعلوم الصحيحة . وهؤلاء هم بنوها يعملون في جميع ميادين الحياة حاملين في كل ناد ومكان تلك الروح الطيبة والثقافة الراهنة التي وضعتها في افئدتهم هذه المدرسة الوطنية الحرة . وان ما يحرزه طلابها من النجاح الباهر كل سنة في الامتحانات الرسمية لهو خير دليل على ما تبذله من الجهود الكبيرة في سبيل ناشئتها المحبوبة . فهي تهيئهم للشهادة التكميلية Brevet وتعمل على اعلاء الروح الرياضية فيهم وقد عزمت ادارة المدرسة على انشاء فرع ليلي للدروس الثانوية العالية من الساعة ٦ الى الساعة ٩ مساء تعد الطلاب للشهادة الابتدائية والتكميلية والبكالوريا بجزئيها تبتدىء الدروس الليلية يوم الاثنين ٩ ت ١ سنة ١٩٥٠

المخابرة مع رئيس المدرسة الاب انطون هبي

تلفون ٨٧ – ٦٦



جولة الأديب في شهر

اصدقاء « الاديب »

●

من دواعي اعتزاز هذه المجلة، انها كانت وسيلة للتعارف بين طائفة كبيرة من رجال الفكر في البلاد العربية والمهاجر تلاقت اقلامهم على صفحاتها، وكانت منبراً حراً لآرائهم، ومعرضاً غنياً لنتاجهم الادبي المتعدد الاغراض والالوان، والموجه نحو الحق والخير والعدالة والحرية..

وقد كان طبيعياً ان تنشأ بين هؤلاء المفكرين رابطة وثيقة محورها مجلة « الاديب »، وان يشعروا جميعاً بأن هذه المجلة ليست صنيعاً فردياً، بل هي صنيع هذه الطائفة الكبيرة من المفكرين والمثقفين، وصدى الآمال التي تختلج في قلوبهم، وانعكاس ارادتهم الحارة في ان يكون للشعوب العربية غد جميل تتضافر جميع الجهود لخلقه ولتوجيه الجيل الطالع نحو المثل العليا التي تتكون في ضميره بذرة فبذرة وغرسة بعد اخرى.

ان هذه الطائفة من احرار العرب قد آمنت بان هذا الغد المشرق الزاهر الذي تطمح اليه لن يكون صنيع الاوساط الرسمية العليا التي بدا انحلالها وتفسخها في كل قطر عربي، بل سيكون صنيع الشعوب العربية نفسها ممثلة في طليعتها المثقفة الواعية البناءة، وفي مؤسساتها الاجتماعية والفكرية التي لا تستوحي غير ارادة هذه الشعوب ولا تعتمد الا عليها وحدها... ويسرنا ان نقول، بغبطة وفخر، ان مجلة «الاديب» هي احدى هذه المؤسسات. يدل على ذلك ما نلقاه يوماً بعد يوم من مظاهر التشجيع والتأييد والمناصرة التي يحيطنا بها شباب تلك الطائفة المختارة من احرار العرب في بلادهم ومهاجرهم، وهي مظاهر كريمة ان كانت يسيرة بقيمتها المادية فانها كبيرة بقيمتها المعنوية وبدلالتها على ان روح التضامن بين هذه الفئة الواعية لا بد من ان تقوى وتشتد فتفعل فعلها وتثمر ثمرها.

وآخر هذه المظاهر الكريمة، الكلمة التالية التي وافانا بها وكيلنا في الولايات المتحدة الاديب الصديق والكاتب المفكر الاستاذ راجي ظاهر منشورة في جريدة « البيان » بتاريخ ٨ يوليو سنة ١٩٥٠، وطلب الينا نشرها في مجلة « الاديب »:

لاغاثة مجلة الاديب

لم يعد خافياً على اصدقاء مجلة الاديب، التي يصدرها في بيروت صديقنا الشاعر الملهم الاستاذ البير اديب، انها في محنة شديدة تكاد تهلك فيها وذلك من جراء اغراض الحكومة اللبنانية عن مناصرتها لان صاحبها رجل ذو كرامة واباء، فلا يجعل من مجلته طبلاً للسادة ولا خنجراً مسموماً يدافع به عنهم، وكذلك لقلة اهتمام الشباب المثقف بمجلة لا تتاجر بالنهود والافخاذ وبالادب الرخيص.

ولقد حمل صاحب الاديب اعباء محنته صابراً حتى غدا حملها فوق طاقته فاعلن اخيراً عن عزمه على الهجرة وحجب ضياء مجلته عن مريديها ما لم يبادر من يهمهم الامر الى نصرتها لتبقى نارها مشتعلة ترسل اليهم الدف، والضياء..

وقد توالاني، حين اتصل بي عزم صديقي، العجب فالغضب، لامرين: اولهما موقف الحكومة اللبنانية من الاديب. فحكومة بلد «الاشعاع الفكري والثقافة والعرفان» تغدق الاموال على الصحف والمجلات الموالية لها وبينها صحف تدعو الى الفحشاء، ومجلات معظم مقالاتها ثرثرة وهراء، ولكنها تحبس خيرها عن مجلة كالاديب تشرف وجه لبنان.

وثانيهما، هو انني نقمت على شباب امة بينهم عشرات الالوف من خريجي الجامعات نرى واحدهم ينفق على تنظيف حذائه ما لا ينفق بعضه لشراء مجلة راقية تغذيه بالافكار المفيدة والادب التوجيهي الحي!

فالى متى تهمل شبيبتنا الراقية واجب مناصرة مجلاتها وصحفها الحرة ومن اجدر منها بالقيام بهذا الواجب؟

كيف نغيث الاديب

على انني لا اقصد من هذه الكلمة ان انتقد فيها احداً انما قصدي الترويج لفكرة صائبة انجدني بها صديقي الكاتب المفكر الشيخ عبدالله بري لتبقى مجلتنا في ميدان الجهاد.

وهذه هي الفكرة — تأليف عصبة من ادباء مهجر اميركا الشمالية واصدقائهم نسميها « عصبة انقاذ الاديب » يدفع العضو المنتمي اليها لحساب الاديب دولارين في الشهر.

وقد استصوب الصديق عبدالله ان يرسل الاعضاء بالمال الي انا، بصفتي وكيل المجلة في هذه الديار، وانا بدوري ارسل بالمال كاملاً الى الادارة في بيروت.

فمن يرغب في تشجيع الادب ومن يهمه بقاء مجلة الاديب في

قيد الحياة لتواصل جهادها وتأدية رسالتها التوجيهية العالية فليتصل بي وليرسل بتبرعه الي . ونحن هنا في البيان ننشر اسمه في صفحات الجريدة وننوه بفضله .

وقد سألني الاستاذ عبدالله بري ان اضع اسمه في عداد اعضاء العصبة الجديدة واني اضيف اسمي الى اسمه .

فآمل ان يبادر الادباء الافاضل الى الانضمام الينا . وخير البر عاجله

راجي ظاهر

***

تلقينا من الاستاذ الشيخ احمد عبد الجبار ، السكرتير الاول للسفارة العربية السعودية بواشنطن ، الكتاب الجميل التالي ننشره منوهين بفضله وغيرته على الادب السامي :

حضرة الاخ الاستاذ راجي ظاهر : بعد التحية :

قرأت بجريدة «البيان» تأليفكم لجنة لمناصرة مجلة «الاديب» البيروتية وتعضيدها مادياً ومعنوياً، ولقد كانت ولا زالت تربطني واسرة «الاديب» وصاحبها صلات روحية احرص على بقائها واتلذذ بما تحفل به من ذكر حلوة يضوع بها عبق الصنوبر واريج الارز الخالد ، وانه ليسرني ان تكونوا مع زمرة الانصار البررة بمجلة برّت بالادب وحملت لواءه دون ان يفت من عضد صاحبها كلل ، او توهن من عزيمته قلب الايام ، وانني لموقن بان شعلة كهذه يلهبها قبس الحق وتسعرها حرارة الايمان ستظل وهاجة وقادة ما حفل درب النور بنفوس يطيب لها ان تكون جذى لضرامه. المخلص

احمد عبد الجبار

حاشية : بطيه شيك بمبلغ ٢٥ دولارا ارجو اعتباره اشتراكاً بمجلة « الاديب » لسنة واحدة .

***

اخي الاستاذ راجي ظاهر :

تطلع المرء في الازمات والظلمات الى بوارق الامل والنور ليبعث الامل في نفسه وليشع النور في عقله وقلبه فاذا تلك البوارق الضئيلة التي تحارب الجهل واهل الشر والظلام ترتد كسيفة بكآبة محزنة.

ذلك كان شعوري حين قرأت نداءك الرقيق « لاغاثة مجلة الاديب » في عدد البيان في ٨ الجاري. ولقد حزّ في نفسي ان اعلم ان هذه المجلة الرائعة مهددة بالاحتجاب والزوال. ولما استغرب الامر فازمة « الاديب » انما هي قسم من ازمة الروح المناضلة في كل عصر بصورة عامة ومظهر من مظاهر هذه الازمة الخانقة التي يعانيها كل اديب حر وكل مفكر نير في بلادنا خاصة.

انني ارفق طياً الاكتتاب المطلوب.

وانني لانتهز هذه المناسبة للاعراب لك شخصياً عن تقديري واعجابي بمقالاتك وخاصة تلك التي تكتبها « تحت راية الحق ».

وتفضل يا اخي بقبول خالص اماني لان يمدك الله العظيم بعونه حتى تستمر في تأدية رسالتك النبيلة للعروبة الجريحة .

ودمت للمخلص

جورج طعمه

***

تلفى المحرر من صديقه الاستاذ البير اديب صاحب مجلة الاديب البيروتية رسالة يشكر فيها بواسطة البيان جميع الذين انضموا الى « عصبة اغاثة مجلة الاديب » ويطلب منه ان يعلن بالنيابة عنه ان ادارة المجلة قررت ارسال « الاديب » هدية لكل عضو من اعضاء العصبة واذا رغب ترسل هديته لمن يشاء من الانسباء والاصحاب.

ويسرنا ان الوطنيين الكريمين محمود صدقة وعلي ابو شقرا نزيلي العاصمة قد انضما الى عصبة اغاثة الاديب فلهما منا خالص الشكر.

« جريدة البيان بواشنطن »

- بقية المنشور على صفحة ٤ -

دقيقاً ، فيجب ان يتمتع الناس جميعاً بالحرية التامة في مناقشة جميع المسائل دون ان تتدخل الحكومة في مناقشتهم اياها » .

وقد افحم المتهم قضاته بحججه التي نفت عنه تهمة الكفر ، فقالوا له انه اذا وعد بالكف عن نشر تعاليمه عفوا عنه ، ولكنه رفض هذه التسوية على حساب حرية الفكر، وقال :« كلا . . فما دام ضميري ، هذا الصوت الهادىء الصغير في قلبي ، يأمرني بان اسير واعلم ، فاني سأوالي تعليم الناس واصرح لهم بما في عقلي دون اهتمام بالنتائج » .

وصدر حينئذ حكم القضاء باعدامه ، فاستقبله بهدوء عظيم، وظل يبتسم للحياة ويستقبل تلاميذه فيحاورهم ويلاعبهم، حتى كان اليوم المعين لتنفيذ الحكم ، فاذا به يأخذ كأس السم ليشربها بشجاعة وجرأة ، بل بغبطة واطمئنان .

قدري قلعجي

أنباء العالم في شهر

٢٤ اغسطس ١٩٥٠ – احبط هجوم قوات كوريا الشالية الجديد على ماسان وقام الاميركيون بهجوم مضاد شمالي تايغو .

٢٥ – يشتد ضغط قوات كوريا الشالية شمالي تايغو والهجوم الشمالي الكبير ما يزال منتظراً .

٢٦ – اوقفت قوات كوريا الجنوبية الهجوم الذي شنه الشماليون على تايغو .

٢٧ – غزت القوات الشيوعية الثائرة في الفليبين احدى عشرة مدينة وقرية بالقرب من مانيلا العاصمة وقتلت نحو ١٥٠ شخصاً .

– اعلنت نظارة الدفاع الاميركية ان فرقتين من قوات الصين الشيوعية قد وصلت الى حدود كوريا الشالية .

٢٨ – كرت قوات كوريا الشالية نحو الجنوب حتى بلغت ضواحي بوهانغ . واحرز الشماليون تقدماً كبيراً شمالي الطريق المؤدية الى تايغو واستولوا على مدينة وجونغ .

٣٠ – عدلت روسيا عن مقاطعة هيئة الامم وسيتابع مالك مندوبها الحضور بعد انتهاء رئاسته .

٣١ – عبرت فرقتان شاليتان في كوريا نهر ناكتونغ ويقوم الشماليون بهجوم شديد في منطقة ماسان في الجنوب .

اول سبتمبر ١٩٥٠ – تقدمت قوات كوريا الشالية ١٩ كيلو مترا في قطاع ناكتونغ .

– صرح الرئيس ترومن بان الفصل في قضية فرموزا يجب ان يتم بواسطة عمل دولي يقرره الحلفاء . وان اميركا ستتخلى من فرموزا بعد انتهاء حرب كوريا بفوز القوات الاميركية .

٢ – ارقف الاميركيون زحف القوات الكورية الشالية وانتقلوا الى الهجمات المضادة ويلعب الطيران الاميركي دوراً هاماً في تقرير مصير المعارك .

٤ – قررت الجمعية التأسيسية في سوريا ان تتحول الى مجلس نيابي .

– نشب قتال عنيف بين القبائل الكردية وقوات الحكومة الايرانية على مقربة من الحدود العراقية .

٥ – انتخبت الجمعية التأسيسية السورية السيد هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية .

– نشرت الصحف اللندنية ان ثماني فرق سوفيتية واربع فرق رومانية وبلغارية محتشدة الآن على الحدود اليوغسلافية وتفيد الانباء ان دوائر واشنطن تدرس مسألة اتخاذ قرار بارسال جنود الى يوغوسلافيا اذا هي استهدفت لهجوم .

– انذر القنصل الاميركي في اسطنبول الرعايا الاميركيين بضرورة مغادرة تركيا بمدة ٤٨ ساعة .

– عزلت قوات كوريا الشالية بوهانغ وقطعت كل اتصال بري بينها وبين تايغو وبوزان واشرفت هذه القوات على مدينة كونغجيو قاطعة ٢٠ كيلو مترا جنوبي بوهانغ .

٧ – اصبحت الجبهة الشالية في كوريا متداعية ويقوم الشماليون بهجوم كبير لتطويق العاصمة المؤقتة واخلى الاميركيون رايغوان .

٨ – اعاد الدكتور ناظم القدسي تأليف الوزارة السورية .

– شنت قوات كوريا الشالية هجوماً قوياً جديدا . الخطر يحدق بمدينتي تايغو وماسان .

٩ – تشدد القوات الشالية في كوريا الضغط على جبهة كيونغجيو يونغشن ويتقدم طابوران جديدان صوب تايغو من الغرب .

١١ – يشتد ضغط القوات الشالية الكورية على تايغو .

– توفي الماريشال سمطس رئيس حكومة جنوب افريقيا سابقاً .

١٢ – استقالت الوزارة العراقية التي يرأسها توفيق السويدي .

– صرح تشرشل في مجلس العموم البريطاني بقوله : يجب ان تعود المانيا الى مكانها بين الدول الاوروبية وتشترك بالدفاع عن اوروبا اشتراكاً فعالاً .

١٣ – استقال المستر جونسون ناظر الدفاع الوطني في الولايات المتحدة .

وعين الجنرال جورج مارشال واضع اسس المشروع المسمى باسمه لانعاش اوروبا اقتصادياً ناظراً للدفاع الوطني الاميركي .

١٤ – تقدمت القوات الجنوبية في كوريا مسافات قصيرة شمالي تايغو . وتقدم الشماليون مسافة قصيرة في قطاع هامان .

١٥ – انزلت قوات الامم المتحدة في كوريا قوات وراء خطوط الشماليين على الشاطىء الغربي وهي تندفع نحو العاصمة ساوول . واستولت قوات الحلفاء على انشون وبوتغدوك .

١٦ – الف نوري السعيد الوزارة العراقية الجديدة .

– احرز الهجوم الاميركي العام تقدماً على الجبهتين واحتلت قوات البحرية مطار كيمبو الذي احتله المظليون امس . وتتدفق النجدات الشالية من الشمال والجنوب للدفاع عن ساوول التي يهددها الاميركيون .

١٨ – بدأت القوات الاميركية تعبر نهر هان الى ساوول كما اقامت رأس جسر على ضفة نهر ناكتونغ الغربية .

١٩ – احتلت القوات الاميركية في كوريا بوهانغ ووايغفان وكاسان ودخلوا ضواحي ساوول وبدأت القوات الشالية بالتراجع .

٢٠ – قرر وزراء الخارجية الثلاثة الغربيين اعتبار اي هجوم على المانيا الغربية او برلين هجوماً مباشراً على الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

كما قرروا انشاء جيش الماني مستقل يدمج في جيش اوروبي عام وقرر الوزراء بعد اقرار مبدأ انهاء الحرب مع المانيا واعادتها الى اسرة الدول الاوروبية بانشاء وزارة مستقلة ورفع القيود المفروضة على صناعة السفن وبزيادة انتاج الفولاذ .

٢١ – تابعت قوات الامم المتحدة زحفها على ساوول عاصمة كوريا الجنوبية وتلاقي في تقدمها مقاومة متزايدة وشن الشماليون هجومين معاكسين .

٢٢ – تحول كل بيت في ساوول عاصمة كوريا الجنوبية الى وكر للمقاومة ويجد الاميركيون صعوبة في التقدم . وسقطت سيون وكوشون بيد الاميركيين .

٢٣ – اعلن قائد الاسطول الاميركي في شرقي الاطلسي والبحر المتوسط ان في البحر المتوسط الآن ٥٢ سفينة حربية بينها حاملتا طائرات وسبع دوارع

٢٥ – تواصل القوات الاميركية والجنوبية تقدمها على جميع الجبهات في كوريا واستولت على اندونغ وكومشون .

– ضرب الطيران الاميركي قلب مدينة ساوول العاصمة الكورية .

٢٦ – عقد الدكتور بانش اجتماعاً صحفياً بمقره بالامم المتحدة حذر فيه من صيرورة المانيا كوريا ثانية وقال ان خط العرض ٣٨ خطوهمي يجب ان يزول وان يتوحد الشعب الكوري .

امـل



وام

المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري بزيارة العراق فلاقى حفاوة حارة في الاوساط الثقافية والقومية التي افتقدته منذ عشر سنوات وكان من مظاهر هذه الحفاوة الكريمة الحفلة التي اقامها على شرفه نادي البعث العربي في بغداد وقد القى فيها الاستاذ العلامة خطاباً استوقفنا وقتاً غير قليل واهاب بنا الى التنويه به في هذا العدد ، وفي هذا المكان ، لما فيه من امل وشحذ للعزائم في وقت ارتفعت فيه ولولة اليأس والقنوط وصيحات الحذر والشك تنتظم في اصطحاب عجيب ، فتؤلف لنا لحناً كاملاً عنوانه : الانهيار والتفسخ والجمود . . .

واعظم ما في خطاب الاستاذ الحصري انه وهو ذلك الشيخ الجليل الذي شهد مولد النهضة العربية الحديثة يرى ان النكبات قد تكون دليلاً على افلاس القادة لا على افلاس الامة ، ولهذا فهو يدعو الى تسليم دفة القيادة للشباب ، شأن الامم التي تريد تجديد حيويتها والنهوض من كبوتها والبحث عن مكامن القوة والنشاط فيها . وفيما يلي خطاب الاستاذ العلامة نورده بشيء من الايجاز :

***

بالنظر

لزيارتي القصيرة للعراق، كنت قد قررت عدم الكلام في المجالس العامة . الا ان الكلمات التي سمعتها من رئيس النادي اضطرتني الى تغيير خطتي واني لا اريد البحث في كلمات المدح والاطراء ، ولكن اسمحوا لي ان اتكلم بعض الكلمات عن القومية .

ان هذا النادي يواصل عمل نادي المثنى في نشر القومية العربية . وقد لاحظنا ان بعض المفكرين في البلاد العربية يدعون ان فكرة القومية اصبحت من الامور البالية التي فات اوانها . وهي من مخلفات القرن التاسع عشر التي لا تستطيع الوقوف بوجه التيارات العالمية الحديثة . وهذا القول لا يوافق الحقيقة . فان مبدأ القومية أتم عمله في اوربا وقد ساعد على تأسيس الدول المتقدمة فيها . لكنه (أي مبدأ القومية) لا يزال في بداية عمله في البلاد العربية، ونحن لا نزال في مبدأ عملنا فيما يتعلق بالقومية العربية .

ان النكبات التي توالت على الامة العربية جعلت بعض الناس يصيبهم اليأس ويقنطون . والحقيقة ان هذه النكبات لا يمكن ان تعتبر دليلاً على ان الامة العربية ليست قادرة على الحياة . وما من امة الا ومرت بها نكبات اعظم مما مر بالامة العربية . وان اعظم الامم وصلت في بعض ادوارها الى الانهيار الكامل . ومثلاً لذلك بروسيا التي سحقها نابليون في معركة (يينا) سنة ١٨٠٦ وبعد تلك المعركة بسنوات قليلة استطاعت بروسيا ان تلم شعث المانيا وتساهم مساهمة فعالة في قهر نابليون .

وكذلك فرنسا التي فقدت جيشها وفقدت الالزاس واللورين بعد معركة سيدان في الحرب السبعينية ، ولكنها لم تفقد املها . وفي مثل هذه الحالة حيث يعجز الشيوخ عن حل مشاكل بلادهم فانهم يعدون الشباب للتغلب على تلك المشاكل في المستقبل ، وهكذا ظلت فرنسا تفكر في استرداد الالزاس واللورين ولو بعد سنين كثيرة .

وقد قررت فرنسا عدم منح المارشالية لاي قائد فرنسي (عدا المارشال مكماهون) وقد قالوا في تبرير ذلك ان الشجرة التي تصنع منها عصا المارشالية تنبت فيما وراء نهر الرين . وقد كان الماريشال (فوش) الذي تغلب على الالمان في الحرب العالمية الاولى هو اول من حصل على الماريشالية .

على الامم ألا تقنط الى ان تسترد مكانتها ، وعلى الامة العربية ان تستمد من النكبات قوة تحثها على الكفاح لتصبح جديرة بتاريخها

وهناك مسألة اخرى اريد التطرق اليها ، وهي ان فكرة القومية يجب ان تكون مقرونة على الدوام بفكرة التقدمية والتجديد والاصلاح . وقد توهم البعض ان فكرة التقدمية منافية للقومية وهذا غير صحيح . فان القومية الصحيحة يجب ان تكون تقدمية . والامة العربية في سعيها المتواصل لاستخلاص حقوقها يجب ان تكون تقدمية اصلاحية تجددية .

ساطع الحصري

لويس دو كاموانس شاعر البرتغال

بقلم قدري قلعجي

بسمي النقاد القرن السادس عشر ، العهد الذهبي في تاريخ الادب البرتغالي، فقد انتج الشعر الغنائي والمسرحي خلاله آثاراً رائعة باقلام ميرندا وفيريرا وكامينها وبورتغال وروزاند ومونتماير ، وبلغ الشعر البطولي ذروة الالهام في قصائد لويس دو كاموانس ، هذا الشاعر العظيم الذي يعد مفخرة الادب البرتغالي في جميع عصوره.

ولد كاموانس في لشبونه سنة ١٥٢٥ من اسرة نبيلة، وتخرج في جامعة كوامبر، وتجلت عبقريته الشعرية منذ حداثة سنه ، وكانت آثاره الادبية تزخر بالحب والمجد والحرية والتفاني في سبيل الوطن ، كآثار دانتي وبيترارك وتاس واريوست وكل اديب فذ. فالمشاعر العظيمة لا بد من ان تجاورها موهبة عظيمة، وقد كانت موهبة كاموانس على قدر حياته الحافلة بجوافز الالهام . .

وكان الحب اول العواطف التي اوحت الى كاموانس ،فقد احب صبية من سيدات البلاط تدعى كاترين داتيد ذات جمال خلاب ، وكان هذا الحب مبعث شقاء كبير له ، اذ اعتدي عليه غير مرة، ثم نفي الى سانتاريم ليكفر عن اثمه ويبعد عن حبه، فأشجاه الفراق وعذبته الوحدة، فأرسل الى عشيقته قصيدة طويلة قال في احد مقاطعها :

وداعاً ايها القصر الذهبي . .
وداعاً ايتها البهية الخضراء
ايتها الاصداء التي تردد اسم نادرسي
والامكنة التي تجملها هذه الغادة الحسناء
ايتها الرموز السرية بين قلبين
عاشقين . . يا لغة عبقرية !
وداعاً ايها النعيم ،
وداعاً ايتها الصداقة التي كانت تطهر غرامي ،
والمحاسن الالهية التي كانت
مصدر العزاء في حياتي ،
أقدر لي ، واأسفاه ، ان اهجرك الى الابدا
ولم تجب كاترين ، فضاعف صمتها وحشته وأذكى عذابه ،ولم يعد ليأنس برفيق او يسكن الى صديق ، بل كان يهجر المدينة الى منسك قديم في واد ضيق ينبجس فيه ينبوع دافق من سفح احد الصخور ، ليستسلم الى تأملاته الحزينة بين الزهور العابقة والاشجار الظليلة ، وينظم آلام قلبه العميد .

الا انه لم يلبث ان ضاق بهذه الحياة السوداوية الكئيبة ، فهرب من المنفى وانتظم جندياً في حملة برتغالية على مراكش ، وفاته، في تلك السن الباكرة والخبرة القليلة والثقافة الرسمية التي تلقنها ، ان الاستبسال في الحرب الاستعمارية ليس ضرباً من البطولة وانما هو العدوان الظالم والاجرام الغاشم ، فأبدى الواناً من الشجاعة في حصار سوتة افقدته عينه اليمنى برصاصة . وعاد الى لشبونة بعد انتهاء القتال فلم يكافأ على خدمته ولم يعوض عن جرحه ، ورأى ان كاترين داتيد قد نسيته ولم تعد لتأبه له . فساوره اليأس من الحياة والنقمة على بلاده فهجرها الى الهند الشرقية ، وهتف ، في غمرة غضبه هتاف سيبيون الروماني الذي قهر هانيبال وانتصر على قرطاجة ، ثم تنكر له مواطنوه وافترى عليه خصومه ، فهجر روما واوصى بان تنقش على قبره هذه الكلمات :« لن تضم عظامي ايها الوطن العاق ! » .

غير ان الحنين ما لبث ان غمر قلب كاموانس ، فكان وطنه دائماً مصدر اعتزازه ومبعث وحيه . . كان قد اولع بمغامرات مواطنه فاسكودوغاما وغيره من الرحالة ورواد البحر ، فأراد ان يشهد بنفسه تلك الآفاق المجهولة، فنهد الى رأس الرجاء الصالح، وشق بين العواصف طريقاً الى جاوة، وهناك على تلك الشواطىء العذراء التي كانت مسرحاً لامجاد مواطنيه ، اخذ يفكر في ملحمته البطولية الخالدة « الوزيادة ».

وكان نائب الملك في هذه المستعمرة البرتغالية، يسوس الناس سياسة انتقده عليها كاموانس انتقاداً جريئاً وهجاه بالقصائد الجارحة ، فاعتقله ونفاه الى ماكاو ، فكان عزاؤه الوحيد في المنفى التنديد بهذا الجبار المستبد ، ومن القصائد الكثيرة التي قالها فيه او وجهها اليه قصيدة قال فيها ان الطاغية يعتقد بان في نفي الشاعر اهانة له ، فليته يعلم ان العكس هو الصحيح . . وليت قصة نفيه تنقش على الحجر وتحفر على النحاس وتذيع بين الناس جميعاً، فذلك اعظم ثأر له .

وفي ماكاو ، تحت سماء الشرق ، وفي ظل الوحدة والتأمل، وضع المنفي ملحمته « لوزياد » التي استعار اسمها من اسم بلاده حين كانت تدعى في العهود القديمة « لوزيتانيا »،وقد تحدث فيها عن بطولات

مواطنيه واكتشافاتهم في الهند الشرقية وفي مقدمتهم الرحالة فاسكودوغاما ، وافرغ فيها من خياله المجنح وشعوره المتقد وطنيته العارمة ماجعل منها رائعة من روائع الادب العالمي في القرن السادس عشر .

لقد جمع كاموانس في هـذه الملحمة ببراعة فائقة بين التاريخ البرتغالي والمبادىء المسيحية ، وبين الشعر والاسطورة ، فكانت اثراً رائعاً من آثار العبقرية المحيطة الملهمة عرض كل مجيد ونبيل في تاريخ البرتغال ، وجسد العاطفة الوطنية في كتاب خالد .

وكما اسبغ فينيلون على ابطاله الوثنيين مبادىء الاخلاق المسيحية ، ادخل صاحب « اللوزيادة » الاساطير الوثنيـة في تاريخ ابطاله المسيحيين ، وجعل مواطنيه يتحدرون من مارس وفينوس ، ويثيرون حسد باخوس على ما احرزوه من امجاد وما قاموا به من مغامرات وبطولات . . وبلغ قمة الفن حين صور ادماستور شيطـان العواصف ، وهو يحاول في غمرة الامواج ، وبين عناصر الطبيعة الثائرة ، منع فاسكو دوغاما من اجتيـاز رأس الرجاء الصالح ، وقد وقف الشيطان بقامته الجبارة ولونه الاسود كاون الصخور التي تتلاطم الامواج عليها ، يخيف الرائد بمشهد الزوابع الهائجة والصواعق المنقضة ، والرائد المقدام ماض في طريقه عبر البحر المجنون ، غير هياب ولا متردد ، واذا بالمارد الحاقد يصرخ في غضبه العاجز فتعاو صرخته على هزيم الرعود وعويل الرياح والامواج ، ثم يتداعى على نفسه ويختفي في غور البحر لتقوم مكانه هذه الهضبة الصخرية السوداء التي لا تزال باقية حتى يومنا هذا والتي كثيراً ما تحطمت عليها السفن وهي تجتاز تلك المنطقة من اليم

وسمح للشاعر المنفي بأن يرافق بعثة بحرية ذاهبة الى البحر الاحمر ، ومـا كاد يعود الى ماكاو حتى كان نائب الملك في جاوة قد حل محله نائب جديد هو قسطنطين دوبرانياس فاستدعاه هـذا اليه ، ولكن المركب الذي يحمله تحطم على شواطىء كوشنشين في مصب نهر ميشون ، فالقى كاموانس بنفسه في الـيم وهو يقبض في احدى يديه مخطوطته الثمينة ويرفعها فوق الامواج مخافة ان تبتل وتتلف ، وما زال يجذف بيد واحدة حتى بلـغ الشاطىء ، فاستقبله سكان كامبوا بحفاوة ، واثر فيه هذا الحادث فنظم قصيدة غنائية من اجمل قصائده تخيل فيها انه عاد الى وطنه وقال ان ذوي العاطفة الحية من الناس والشعراء منهم ، لا يكادون يغادرون الارض التي انبتتهم حتى يعلقوا معازفهم على اغصـان الصفصاف الباكي حزناً وحداداً ولا يعزفون عليها الحان البهجة والمرح حـتى تحتضنهم وتحنو عليهم من جديد . .

ووصل كاموانس اخيراً الى جـاوة ولكن ليدخل السجن بتهمة الاختلاس اثناء عمله في وظيفة قام بها في ماكاو ، وكان قسطنطين دوبرانياس قد غادر جاوة الى اوربا وخلفه نائب جديد للملك فطال اعتقال الشاعر قبل ان تظهر براءته من التهمة التي اسندت اليه ، ثم تجلت هذه البراءة دون ان يفرج عنه لملاحقته بصدد دين لم يستطع وفاءه في الموعد المضروب ، ولكن نفراً من من اصدقائه ما لبثوا ان سددوا عنه هذا الدين ، فاستعاد الشاعر حريته والتحق ببعثة بحرية جديدة ، ثم تتابع اشتراكه في هذه البعثات ، وابدى خلالهـا اوانآ نادرة الشجاعة لم تكن ثمرة مزاج متهور او غضب وحشي ، بل كانت تصدر عن نفس نبيلة تعرف جمال المجد وتبحث عنه لتفيد وطنها وشعبها .

وبعد خمسة عشر عاماً من الغربة في تلك البقاع القصية ، عـاد كاموانس الى لشبونة ، واهدى ملحمته الشعرية الى الملك دون سيباستيان فاعجب بها كثيراً ، وتأثر بالروح البطولية الزاخرة فيها ، وعين لمؤلفها مرتباً شهرياً . ولكن ما كاد دون سيباستيان يقضي نحبه حتى انقطـع ذلك المورد عن الشاعر ، ورزح تحت نير الفقر ، وبلغ من بؤسه ان عبداً زنجياً كان قد جاء به من جاوة فأحبه واخلص له ، كان يخرج تحت جنح الليل الى شوارع ليشبونة فيستجدي اكف المارة ليطعم سيده .

وكان الشاعر الكبير لا يزال ينظم القصائد الغنائية الرقيقة والملاحم الوطنية الرائعة ، ولكنها كانت اشبه بالغناء الاخير الذي ينشده طائر البجع قبل موته . . فان الشيخوخة ، والبؤس ، والحيبة المستمرة ، كانت تدفع به نحو نهايته الفاجعة ، وكانت ليشبونة المترفة المرحة الغارقة في النعيم تشهد دون اكتراث عذاب ابنها البار واحتضاره البطيء . حتى اذا ما توفي وانقضت على وفاته خمس عشرة سنة ، كرمت المدينة العاقة ذكراه وقدست مثواه ، شأنها في ذلك شأن كل مدينة تقتل ابناءها العظام ثم ترثي لهم وتبكي عليهم !

فدري فلعجي

الى طلاب البطالوريا

والصفوف العليا

حديث العشية

للاستاذ بولس سلامه

من افضل كتب المطالعة

يباع في جميع المكتبات

قصة امرأة او غرام شوبان وصاند

بقلم اندره موروا
عضو الاكاديمية الفرنسية

القد تاقت الى الحب في الحرية ، فلم تجده ، ففشلت ، كما سبق لها وفشلت في الزواج . وهكذا ظنت جورج صاند انها بلغت شاطىء الامان ونجت من اخطار الحب ومهاويه . فما اسرع ما تخدع المرأة ! وما اطيب قلبها الطاهر البرىء ! فهل يزول الحب من قلبها قبل زوال الصبا والرونق؟ عبثاً تحاول ! ان الآمال تدفعها من صبوة الى صبوة في تيار شديد العمق ، بعيد الاغوار . فما اشبهها بجواد الحرب ، يسعد بعد المعركة بهدوء المراعي وسهولة الحياة ، ولكن ما ان تقرع طبول الواقعة ، وتتعالى اصداؤها في الابعاد ، حتى يتعدى الحواجز قافزاً ، نحو المدفع .

ذات يوم ، زار « فرانز ليست » جورج صاند ، وبصحبته فريدريك شوبان ، وقد سبق لالفريد دى موسيه ، خلال علاقته بصاند ، ان أحس بغيرة شديدة من « ليست » . ولم يكن محقاً في مخاوفه هذه . حقاً ان صاند تأملت طويلاً جمال ليست ، وحلمت به في لياليها الطوال ، وتمنت ان يهواها ، لانها عاشت مدة طويلة تحت تأثيره الساحر المغري . فهو عبقري ، يتمتع بالثروة والشهرة والجمال ، وبهذه الدمائة الفطرية التي تنشدها المرأة في رجل احلامها ولكن ليست لم يأبه لجورج صاند ، اذ كانت ، كما يقول ، اقرب الى الرجولة منها الى الانوثة ، وانما يريد هو انثى بكل ما في هذه الكلمة السحرية من جمال ورقة واستسلام ، وهذا ما كانت تفتقده صاند . و« ليست » يريد لامرأة احلامه صفات لم تجتمع لامرأة قبل صاند ولا بعدها . وقد توهم وجود هذه الصفات في غانية باريسية سرعان ما خيبت آماله . وهي الكونتيس « انجو » النحيلة الشاحبة الشقراء ذات العينين الزرقاوين .

والكونتيس « أنجو » سيدة مثقفة ، تجمع الى جمالها النادر ، روحاً ادبية رشيقة وحساً جمالياً مرهفاً ، وتحسن مع هذا ، عدة لغات .

وقد هجرت الكونتيس ، في سبيل « ليست » ، زوجها ، وابنتها ، وقصرها الفخم ، والمجتمع .

وأحست جورج صاند بان الكونتيس تحيا كبطلة من بطلات قصصها ، فأبدت رغبتها في التعرف اليها . ودعتها الى دارتها الجميلة في باريس ، فجاءت الكونتيس مع ليست .

وكانت صاند تختلف عن « غريمتها » كل الاختلاف ، ولاشك انهما تتشابهان في الموهبة الادبية والذكاء والشجاعة ، ولكن الكونتيس «ماري» تحب المظاهر والوجاهة . فما كانت تحس بالراحة كما يقول ليست ، الا اذا ارتدت ثوباً يكلف المال الطائل . وكذلك ما كانت ترتاح الا لحياة الصالونات والحفلات ، بعكس جورج صاند التي كانت تعشق الجري في الغابات بقميص حريري ابيض وسروال ريفي عتيق ، ومع ان الكونتيس هجرت حي سان جرمين ، الا انها لم تتخل عن العادات الارستقراطية ، وعن انها ابنة اشراف نبلاء . اما جورج صاند حفيدة الملوك ، فلم تكن تتكلم الا عن امها الكادحة ، وحياتها العصامية العاملة .

وهكذا التقت المرأتان . واتخذت عداوتهما كما يحدث عادة بين النساء ، شكل الصداقة الخالصة . فالقوى التي تشعر بانها متعادلة ، يحترم بعضها البعض الآخر ، والمرأتان متمسكتان بليست ، احداهما كعشيقة ، والاخرى كصديقة ، بل ان صاند كانت تشعر باللذة الفنية ، بصفتها روائية موهوبة ، حين تراقب تصرفات



صاند

●

«ماري» وحركاتها ، وتتحسس بأخطائها ونواحي ضعفها وقوتها وهكذا مدت كل من اللبوءتين قدماً من المخمل لغريتها اللدود : فأقسمت كل واحدة « لصديقتها » بالاخلاص والتفاني في المحبة.

وسافر ليست بصحبة جورج صاند والكونتيس ماري أنجو الى سويسرا ، حيث ارعبوا بمرحهم وسكرهم الدائم المجنون، اصحاب الفنادق والحانات.

وتعرفت جورج صاند ، عن طريق ليست ، الى فريدريك شوبان . وخيل اليها ، حسب تعبيرها، ان العناية الالهية قد خلقت لها شوبان كما اشتهته هي — صاند — ان يكون .

وعلينا ان نذكر هنا ان صاند تلقت في صباها المبكر ثقافة موسيقية غنية . فكان حديثها عن الموسيقى حديث العارف العليم واستماعها اليها استماع المتذوق الصافي الروح ، الدقيق الاحساس . وكانت تمتلك الموسيقى الكلاسيكية (حتى المجهولة منها) امتلاكاً تاماً. وما عليك الا ان تقرأ «كونسوالو» فتعرف مدى اطلاعها على مملكة الالحان والانغام. وقد طالما خضع الموسيقيون الفرنسيون لاحكام جورج صاند وأبدعو مستضيئين بتوجيهاتها، وملاحظاتها . وكان « ليست» يتجاهل المرأة في صاند، احياناً، ولكنه يمتدح فيها الموسيقية دائماً.

وأحست صاند ، في شوبان ، عبقرية موسيقية تخاطب الروح مباشرة ، وتعبر عن القلق ، والاحلام والبطولة، معاً وهذه العبقرية ألهبت روح الباريسيين منذ استمعوا الى اناشيدها البكر .

كانت « صاند » تكبر الموسيقي البولوني الشاب بسبعة اعوام وكان هو شاحباً ، مريضاً ، تنتابه الحمى من آن لآخر . وهذا ما جذب جورج نحو الشاب، فعاطفة الامومة فيها دائمة التأجج والسريان وكان الشاب رائع الجمال ، ذا قامة ممشوقة، ويدين ناعمتين . وشعر اشقر يميل الى اللون الكستنائي ، وعينين نجلاوين ، يشعان بنوع من اللهب الآسر الممتزج بالحزن الكامن الدفين . وانف مقوس دقيق ، وبسمة عذبة ، وصوت تتسم نبراته بالشدة والرجولة ، كما كما ان له في شخصيته نوعاً من النبل والاستقراطية الغامضة. فكان يخيل لمن لا يعرفونه ، بان هذا الشاب الاشقر الجميل ، امير منفي او ملك اعتزل عرشه بعد حدث سياسي خطير .

كانت احلام شوبان وتأملاته تتخذ شكل نجوى مستمرة ذاتية ، وتساؤلات قلقة اذا جلس الى البيانو ليعزف الحانه المبدعة. وكانت صاند تفهم هذه النجوى وكأنها موجهة الى قلبها دون بقية القلوب . ولا عجب ان يسرع اليها الفهم ، او تسارع هي الى الفهم ، فقد كانت تجلس ، وهي بعد طفلة ، تحت البيانو، لتستمع، في ساعات طويلة ، الى انطلاقات اللحن وتموجات الانغام . وما اجمل واعمق ما تركت لنا من حديث عن شوبان عازف البيانو !

« فاذا جلس شوبان الى البيانو ، وتحركت انامله برفق ، لم نشعر بسوى خطوط غامضة متماوجة تجتمع لتكون صورة قلقة، ضائعة الابعاد . . وتمتلىء نفوسنا بالرنات العذبة . . ثم ينطلق اللحن السماوي الاثيري، فاذا بنا في الاجواء الزرقاء . . وتتخذ غيوم اللحن الشفافة كل مظاهر الجمال وتتغير احجامها كما يشاء لها الريح والانسام . . ثم تتجمع، ببطء، حول القمر الباهر الذي يوقظ فيها اللون، ويبعث الحياة . . وفجأة تنزع المصاحبة الى الجد، فاذا بها رزينة دقيقة تسيطر على تموجات الانغام، بعد ان كانت تهيم في جو متهدل رقيق . ويرتفع غناء كأسمى ما يكون الغناء . . اسمع . اسمع هذه الموسيقى الالهية . . آها من احلام شوبان وتصوراته . . ولا يمكن لغيره ان يبدعها كما يبدع هذا العبقري العظيم.

فاذا جمعنا هذه الموهبة الموسيقية، الى ما تسنى لشوبان من جمال ورقة، وما يتمتع به من اعجاب وحماس جرف بتياره القلوب، حتى قلبي الكونتيس ماري والموسيقي ليست عرفنا مبلغ حب صاند لشوبان ومدى رغبتها فيه ، حين اتصلت به لاول مرة .

ثم ان الكونتيس ماري امتلكت « ليست»، وكأنها تغلبت على صاند ، فما كان لهذه الا ان تسيطر على شوبان ، حتى تثأر لنفسها ، وتحتفظ بعنوانها وعاطفتها وكرامتها . . ولم تكن هذه السيطرة شيئاً سهلاً ميسوراً . . فشوبان رقيق مرهف الحس ، سماوي الطبع، يحس بانه منفي من اجواء الآلهة ، الى بؤرة هذا العالم الشقي ، وهو ينفر من الحياة البوهيمية ، ويبغض الجدل والنقاش الحاد ، ويأنف كل تصنع، ويخاف الفضيحة ايما خوف .

وكان شوبان ينشد الراحة ولا يجدها الا في صالون انيق الرياش

●

زاوية من الصالون في « نوهان »
وبيانو شوبان في اقصي الغرفة



يغص بالجميلات الشهيرات، ذوات الالقاب الرنانة ،والسحر الاخاذ، يتذوقن الموسيقى ، مستعدات دوماً للاستماع ، في عتمة تتخللها اشعة خافتة الى لحن يحمل اليهن اعترافات شوبان واحلامه .

وجل ما يتمناه شوبان ، هو ان ينقل مستمعيه النبلاء الى جو من التأمل العميق ، والكآبة المعذبة ، ثم ان يحييهم ويحركهم بمشاعر بطولية اذ يتغنى ببولونيا الشهيرة .

وكان شوبان في السياسة ، محافظاً ، وفي الحب، ناعماً،خجولا، فهو افلاطوني مُهذب ، يحب اسمى ما في الجمال ، ولكنه لا يحتفظ طويلاً بحبه له . وكان شقياً ، فطر على التشاؤم والكآبة،« فالحياة في نظره ، نشاز هائل كبير ».

حين التقى بجورج صاند للمرة الاولى ، قضى عليها بينه وبين نفسه ، بحكم قاس عنيف ، اذ كانت ترتدي بزة رجل، وتدخن السيجار وتخاطب اصدقاءها ، وكلهم من ارفع طبقات المجتمع ، بصيغة المفرد ، وعلم انها قطعت صلتها الا من اوساط الادباء والفنانين ، وهاله ان تجاهر بافكارها الديموقراطية والاجتماعية . فما أبعد الفرق بينها وبين نساء بلاده الشقراوات الملائكيات اللاتي احبهن بكل ما في قلبه من طهارة وبساطة . ولهذا كله رفض ،في بادىء الامر ان يزور صاند ، وبعد ان زارها ، للمرة الاولى قال لصحبه : شد ما يضايقني رؤية هذه المرأة . . ولكن أهي امرأة حقاً ؟ انا اشك كثيراً في هذا .

ولكن الرجل لا يقاوم اغراء امرأة ذكية جميلة، تعجب به. وهكذا اذابت كل اسباب نفوره بحرارة الصداقة الناعمة .

ولا شك ان صاند لا تشبه فتاة احلامه الخيالية ،التي تستجيب لها روحه الصوفية ، ولكنه كان في تلك المرحلة من مراحل حياته شقياً ، بائساً ، هجرته حبيبته« ماري ودزنسكا » فراح ينشد السلوى والنسيان . وبدأت « صاند » تشغل خياله ، وافكاره ، وقلبه ، ففي اغسطس سنة ١٨٣٧ نقرأ في يوميات شوبان :

« رأيتها اليوم ثلاث مرات . وحدقت طويلاً في عيني ، اثناء عزفي على البيانو لحناً ينشح بالكآبة ويصور مغاني الدانوب الازرق الجميل . . واحسست ان قلبي يراقص قلبها . . في تلك البلاد . بلادي . . رباه . . ماذا تقول هاتان العينان العميقتان السوداوان اذ تحدقان في عيني ، فتحملان الى اعماق روحي رعشات غريبة محمومة!! كانت تتكىء على البيانو ، وتحرقني بنظراتها اللاهبة ، وتغمرني بالنشوة الحمراء . . ثم تنظر الى الازهار حولنا . . قلبي يهتف باسمها . . انه لها . . رأيتها اليوم ثلاث مرات . . انها تحبني . . أورورا . . اي اسم هو هذا ! ! . . ما اعذبه وما احلى وقعه في اذني .

وكان يجد في صاند قوة تجذبه اليها رغماً عنه ، لانها قوة تشد ازره ، فصاند تقدره ، وتوحي اليه ، وتنصحه بما اجتمع لها من الحس والجمال والمعرفة ، انها امرأة سخية بعواطفها وشخصها .. متأهبة ابداً للعطاء.



شوبان في السادسة والعشرين من عمره

●

ومع هذا ، ففي سنة ١٨٣٧ ، حين زار «ليست »،مع عشيقته الكونتيس ، قصر جورج صاند في « نوهان ».لم يقبل « الصغير » — كما كانت صاند تسمي شوبان — ان يرافقها الى زيارتها، وكان لها في ذلك الزمن عشيق موقت ، اتخذته بعد « موسيه » و«باجلو» و« ميشيل دي بورج » وكان هذا العشيق معلماً لاولادها ، وآسياً لجراحها . وهو يدعى « مالفي » ولكنها كانت تناهو معه لهواً . فاذا جاء شوبان . . ارسلت مالفي بمهمة الى لندن . او الى الجحيم.

كان لسكن « ليست » و« فاري » الطويل في نوهان جمال وسحر . فهذا الموسيقي العبقري ، أثار مكامن الجمال واطلقها في المنزل الهادىء الرحيب،المستغرق في هدوء الطبيعة وروعة الارياف والموسيقى ، تعبر لكل انسان ، عن افكاره الذاتية الاشد عمقاً والادق حساسية . تصور صاند ، المرأة الجميلة الفاتنة ، جالسة على الشرفة ، تصغي بشوق وانتباه الى لحن « ملك الغابات » يعزفه فرانز ليست ، في حين تتمشى « ماري » في عتمة المساء ، حول الشرفة، متشحة بنقاب حريري ابيض . وفي ظلمات الشجر ، وبين الاغصان الملتفة ، يصدح العندليب ويرافق « ليست »،بالحان متتابعة تتسارع حتى تمحي في غيبوبة مطلقة . . فيترك « ليست » الحان « شوبير » الالهية السامية ، ويأخذ في الارتجال والابداع .

شوبير

تقول صاند «كنت احب الحان شوبير يعزفها ليست ، وكان يخيل الي ان مقاطعها المتسارعة المتدفقة المتراقصة في الجو ، اشباح

جن تتسامى بهدوء هامسة لاهية . . كنت انصت اليها . . وكانت اوراق الزيزفون تصاحب « ليست »، وتكمل اللحن ، بوشوشة وهمس خفيض ، كأنها تتناجى ويسر بعضهـا الى بعض بأسرار الطبيعة والوجود .

وكانت جورج صاند تراقب مـاري . فالمرأة تهوى التدقيق وتعشق الملاحظة والتأمل . وسرعان ما شعرت صاند بالراحة . اذ ان علاقة ليست بماري بدأت تتراخى . ولا عجب اذا لم تقاوم صاند احاسيس اللذة التي انتابتها ، فهي امرأة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وحين زارها بلزاك ، في نوهان في الرابع والعشرين من شباط سنة ١٨٣٨ ، صارحته بأن في حياة هذين العاشقين المقيدين باخطائها الاجتماعية[1] ، كما يقيد الآخرون بالروابط الاجتماعية ، موضوعاً طريفاً عميقاً ، لقصة،يمكن ان تدعى « المعذبون في الحب» او «سجناء الحب » واعترفت لبلزاك بأنه لا يمكنها ان تكتب هذه القصة ، لانها صديقة «ليست» و«ماري» الحميمة،وتخات للقصصي الكبير عن الموضوع وهكذاتسنى لبلزاك ان يكتب رائعته الخالدة«بياتريس»

ورسالة بلزاك الى مدام هانسكا ، توضح حالة صاند النفسية في تلك الايام . فانه وجدها ، من الناحية الجسمانية ، سعيدة . قوية . فلا يتخلل شعرها الحالك شعرة بيضاء واحدة ، رغم همومها ومآسي حياتها . . وكذلك لم يتغير لون بشرتها الحمري اللامع . وعيناها تلتهبان بالنار ، وتلتمعان بالشهوة والحياة .

ها هي في عزلتها العميقة المريرة ، عافت الزواج وملت الحب لانها لم تجد في هذا وذاك سوى الخيبة والفشل . ولعل مرد هـذا الى قلة عنصر الانوثة فيها . وقد بلغت في هـذا حداً جعل بعض المعجبين ينصرفون عنها . انها رجل . انها فنان . انها عظيمة ، كريمة ، مخلصة ، طاهرة ، ولها كل صفات الرجولة الحقة . انهـا ليست امرأة . انها ارادت لنفسها هذه الصفة ، وخرجت من تمثيل دور المرأة ، ان الشقاء الابدي كتب عليها .

وهكذا فهي تحب اليوم رجلاً دونها (مالفي) . وفي هـذه العلاقة ستتجرع كأس المرارة والخيبة كما اعتادت او كما عودها الزمان . . ولاجل سعادة المرأة يتحتم عليها ان تعشق رجلاً يفوقها، او على الاقل ، ان تتوهم انه يفوقها توهماً تاماً لا يتطرق اليه الشك، والا بطلت السعادة .

لعل بعض القراء عجبوا من اشارة بلزاك الى طهر « صاند ». ولكن هذا صحيح . فلم يكن للغرام، والاتحاد الجسدي، ونيل المتع الشهوانية الا لذة ثانوية ، فجل ما كانت تطمح اليه هو التمازج الصوفي والاتحاد الروحي . . وسيرى هذا واضحاً في علاقتهـا المنتظرة بشوبان :

ظلت صاند تحلم بهذا الشاب العبقري الجميـل . . طيلة ايام الصيف ، وطالما تراءى طيفه لها ، وجرى على ريشتهـا ، رسائل وذكريات وآهات . . تحرق القرطـاس ، او منعها من الكتابة والتفكير .

وكانت تزوره ، اذا سافرت الى باريس من حين لآخر وتختلي به في جلسات ممتعة هادئة،في المساء . وتنطلق الروحان، في زرقة السماء المطلقة، وتتعانقان في عالم المثل . . ولكن شوبان يفر ولا يستقر على حال . والخجل والخفر يثيران كوامن الحب ، وهذا ما حدث في اعماق « صاند » اذ اثارهـا امتناع « شوبان » ودلاله فجن جنونها . .



شوبان بريشة جورج صاند

اخذت الوساوس والحسرات التي كانت تنتاب شوبان حين يذكر ماري ودزنسكا، تزول وتتلاشى . . اما مالفي، عشيق صاند، فلم تكن صاند تقيم له وزناً او تحسب حساباً .

وحين سمح لنفسه بشيء من الغيرة ، وهدد صـاند ، وعظته بقولها :« ان المرأة ليست متاعاً للرجل . . يظل وقفاً عليه مـا عاشت . » وحاول الصراخ والبكاء. فلم يجده ذلك نفعاً ، فغاب عن وجه حبيبته القاسية، يجتر آلامه ويبكي في عزلته غرامه المفقود.

بقي على صاند ان تتغلب على خفر شوبان وخجله . فهو يخاف الفضيحة ، ويخشى تندر اصدقائه به ، وغضب عائلته المحافظة . ولم يشأ ان يرتبط بصاند في باريس . ووجد « الصديقان » ان خير سبيل لهما هو السفر . . وكان موريس (ابن صاند) في حاجة صحية الى الرحلات . . فنصح الاطباء لصاند بمرافقته الى اسبانيا . . فتواعدت مع شوبان على اللقاء في مدينة بربنيان ، ليسافرا من هنـاك الى « الباليار ».

ونصح اصدقاء اسبانيون ، للكاتبة والموسيقي ، بالسفر الى

(١) نتج عن علاقة « ليست » « بماري » ولدان

جزيرة «ماجوركا» ذات المناظر الطبيعة الخلابة والجو المعتدل اللطيف.
وسافر العاشقان.

***

وقضيا شهر العسل.. ثم توالت الايام الشقية.. اذ ان رطوبة منزلها الذي استأجراه في ماجوركا أثرت في صحة شوبان، فراح يسعل سعالا غريباً مخيفاً.. ولاحت عليه اعراض السل.. وخاف اهل البلدة من هذا الغريب المريض، فاضطروا صاحب المنزل السنيور «غوميز» الى طرد شوبان وصاند. فتركا «منزل الرياح» كما كانت صاند تسميه، واصطحبت شوبان الى دير مهجور، فيه غرفة واحدة مؤقتة، قائم في الجبال البعيدة.

وهكذا سكنا، في شهر كانون الاول، وفي تلك الجبال الشاهقة الموحشة.. دير «فلدموزا».

جبال شاهقة مخضوضرة. وصخور جرداء.. ونخيل متفرد بعزلته الصامتة، في سماء وردية. هذا هو الجو الجديد يعيش فيه العاشقان ويتمتعان في ايام الصخور بما ذكرنا من الجمال والروعة. اما في الليالي الماطرة، فالوحل، والثلوج، والبرد، اقل ما يلم بهما في عزلتهما تلك الغريبة. فينصرف شوبان الى التأليف.. وصاند الى كتابة القصص.

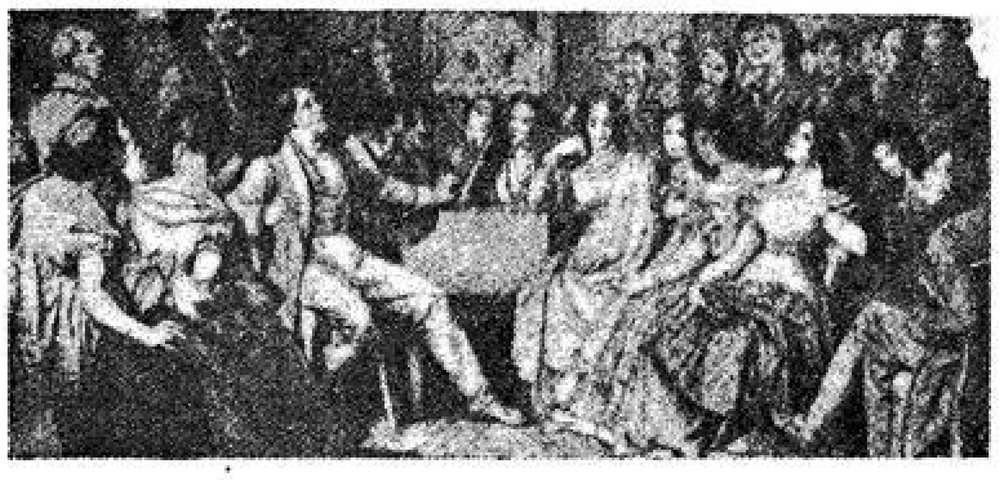
وكانت النسور تحلق فوق سريرهما. او يظلل الضباب الجبل، ويحملها الى جو رمانتيكي حالم. وكان شوبان يعمل في «صومعة» مهمل الثياب، مرسل الشعر، شاحباً كالعادة.

وقد الف، خلال المدة التي قضاها في «ماجوركا» اغاني عديدة والحاناً. اوحى اليه القلق اكثرها.. فكان يجلس في غياب صاند واولادها في النزهة، ليؤلف الحانه الخالدة.

وكتبت صاند تقول «كنا نقتضب نزهاتنا، لخوفنا على رفيقنا المريض. فكنا نجده احياناً، عند عودتنا في حالة غريبة، يعزف على البيانو باكياً، فاذا رآنا ندخل، صاح من البهجة والفرح وراح يقص علينا احلامه وتخيلاته الغريبة المرعبة.

وقد اخبرني فيما بعد سبب بكائه. فقد خيل اليه اننا متنا. وخلط بين الحقيقة والخيال، فراح ينتحب ويبكي. ثم هدأ قليلاً، واخذ يعزف الحانه برقة وهدوء، مستغرقاً في احلامه. وكأن هذه النغمات المتناثرة

فرانز ليست وهو يعزف الحان شوبير الخالدة



الرتيبة، دموع تتساقط من السماء، على قلبه الغامض المعذب».

وهكذا كان شوبان، في هذا المناخ الرومنتيكي البديع، يخلق الرائعة بعد الرائعة، والاثر المطرب المعجب. ولكن سكنه في «فلدموزا» ارهقه ايما ارهاق.. «وكان مرحاً، ساحراً في المجتمع، مريضاً يائساً حين اخلو به وكأن روحه تتمزق بمرور الآن. وثنية ورقة من اوراق الورد، او ظل فراشة، او همسة نسيم، كافية لان تدمي عينيه من البكاء. وما كان يطيق سواي. وكان يتحرق شوقاً الى الرحيل ولا يعادل شوقه الا سأمه الجامح الملول.»

وقر قرارهما على الرحيل وألمت نوبة بشوبان، فراح يمج الدماء. واشرف شوبان، في السفينة التي اقلتهم، على الهلاك. فهواء السفينة مسمم بأنفاس قطيع من الخنازير، قريب من غرفة شوبان.. وقضيا ثلاثة اشهر في مرسيليا (من ابريل الى مايو سنة ١٨٣٩). وعنيت صاند عناية الام، بشوبان. ووفرت له ما في وسعها، حتى تماثل للشفاء.. او هكذا ظنت.

فالى اين انتهى حبهما بعد هذه التجربة القاسية؟ اما شوبان فقد عاد، كما سافر، عاشقاً يتمكن الحب منه، ويتعمق حتى يمس شغاف قلبه ويملأ حياته كلها. وأيقنت صاند ان شوبان سيكون عالة عليها، فرضيت، وحنت عليه حنو الام على ولدها. وادغمته في اسرتها وسيكون لها منذ الآن ثلاثة اولاد: شوبان وموريس وسولانج. وعليها اذن ان تعيش من أجلهم ومن اجل فنها. وستحاول خلال ثماني سنوات، ان تظل وفية لما انتوت من ثبات واخلاص.

وأحس اصدقاؤها بأنها حولت اتجاهها في الحياة فاغتبط بعضهم، وغضب آخرون، وتألم اكثر من صديقة وصديق...

ثم قبل الزوار الباريسيون، والمخلصون لها من مواطنيها في نوهان، ادغام «شوبان» في اسرتها واعتادوه. فراحوا جميعاً يختمون رسائلهم بعبارة «تحياتنا الى شوبان وسولانج وموريس...» أو «قبلاتنا الى اولادك شوبان وموريس وسولانج...»

ولم تحدث الفضيحة التي خشيها شوبان. اذ كان مرضه، وعبقريته، ودماثة خلقه كافية في اسكات الفضوليين والمتدخلين. وما كان ليخرج، في الاجتماعات، عن ادبه وتحفظه، فلا ينادي جورج بسوى «مضيفتي المحترمة» و«السيدة». وهذا كله يفعل فعله في الغرباء.



شوبان عام ١٨٤٧

كان ذلك الصيف سعيداً في «نوهان» رغم ان شوبان لا يحب الريف حباً شديداً فما كان له ان يشارك في الحياة في الهواء الطلق تلك التي تحبها صاند. ولم تكن صحته تساعده على تسلق الجبال واجتياز الانهار وتسلق الاشجار كما كانت تفعل صاند واولادها على ان هذا لم يمنعه من الشعور بالراحة والهدوء، فراح البيانو يصدح من الصباح حتى المساء، في تلك الاجواء الريفية الساحرة، اما ذوق صاند الموسيقي الدقيق فشيء يفخر به شوبان ويعده نعمة العناية الكبرى، وأعانها هذا الذوق النفاذ على تفهم حياة شوبان الداخلية بكل دقائقها وتثنياتها السرية... فكانت تتابع تطور نفسه، وروحه، وغرامه...

من يوميات شوبان : ١٢ تشرين اول ١٨٣٩

«يقولون ان صحتي في تحسن. نوبات السعال والآلام زالت. ولكنني اشعر بألم في أعماق وجودي. وعينا «اورورا» غائمتان لا يلتمعان الا حين ألهو وأمرح. وعندها تنقلب كآبة العالم، حولي، فرحاً وحبوراً. انامل تمر برفق على البيانو. ويراعتها تمر على القرطاس. انها تستطيع الكتابة وهي تصغي الى الموسيقى. آه يا حبيبتي اورورا. في سبيلك افعل كل شيء. أحلق في السماء، وازحف على الغبراء. لا شيء يستحيل علي في سبيلك. نظرة.. او لمسة.. او بسمة منك هي كل املي من الحياة. انا لا احيا الا بك ولك سأبدع الالحان واخلق الاجواء الراقصة العذبة. فلا تكوني قاسية يا حبيبتي. ولا تنظري الي بعين لاهية.. عين الصد... والنسيان...»

«لا تكوني قاسية»... بهذا يناجي شوبان صاند، فهل تفهم منه أنها كانت شديدة الوطأة عليه؟ لا أظن ان كلمته تصدق فيما يمس الحب والفؤاد والروح. وهي لا تعني ان صاند لم تعد تقدّر الموسيقي الشاعر حق قدره. غير ان شوبان لم يكن مخلوقاً لملذات الحب ولياليه الحمراء. فمرضه الدائم يحول بينه وبين احتمال اعباء الحب. وهذا ما دفع «جورج صاند» الى التخفيف من حدة اتصالات صديقها بها، رغم ابتهالاته ودموعه... وانتهى بها الامر الى تمنعها عنه تمنعاً نهائياً.

جورج صاند الى صديقها «ألبير جريمالا»

١٢ نوار ١٨٤٧. منذ سبع سنوات وانا أحيا كالعذراء، معه، ومع الآخرين... وقد بلغت الشيخوخة، قبل الاوان، وها أنا قد مللت العواطف والرغبات، بل اكاد اكفر بالحب نفسه؛

كثير من الناس يزعمون انني حطمت شوبان بعواطفي الملتهبة، ورغباتي اللامتناهية.. ويزعم غيرهم انني حملت اليأس الى نفسه، والسل الى جسده، بما سقيته من كؤوس الصد والحرمان... واظنك تعلم الحقيقة يا صديقي. اما هو... هذا الحبيب الغاشم المعبود.. فيشكو الي الحرمان ويدعوني الى عناق لا ينتهي... ولكنني واثقة بأنني اقضي عليه اذا اجبته الى ما يبتغيه.»

ومن البديهي انه ما كان «للاسرة» ان تقضي العام كله في «نوهان». فعلى شوبان ان يعود الى تلامذته في باريس. بل ان صاند نفسها راحت تتمنى ان تعيش في باريس توفيراً للنفقات يدفعها الى ذلك طبيعة الحياة وغلاء المعيشة في نوهان. فصاند، في نظر اهل نوهان، نبيلة عظيمة، وعليها ان تستقبل ضيوفاً دائمين، لا تختفي وجوههم حتى تطل وجوه اخرى اقبلت للسلام...

وهكذا سكنت «الاسرة» باريس، وكان لصاند واسرتها في العاصمة، ١٦ شارع «بيجال»، جناحان انيقان، تلتقي فيهما النخبة من اهل الادب والسياسة وكانت صاند تمتدح شوبان، باللهجة المحبة المعجبة نفسها، فهو طيب كالملاك، خبير بشئون القلب، دمث رقيق. ولولاه لفقدت شجاعتي ولحطمتني قسوة القدر...

ولكنها لم تصطحبه معها في الصيف، الى «نوهان». اما في الاعوام الستة التالية فقد رافقها شوبان الى مسقط رأسها: وفي قصر نوهان «اعادت صاند، كما تقول، بناء عش الاسرة الدافيء الحنون».. فقضى شوبان، في هذا القصر الوسيع الانيق، بين الزهر والشجر اجمل ايام حياته واصفاها، وكانت الالحان تنطلق من نافذته، من الصباح الى المساء، وتتصاعد كالسحب الفضية البطيئة، الى غرفة الاديبة العظيمة وتغمرها بالنشوة والسحر. حين تختلط بعبير الورود وزقزقة العصافير، فاذا وجدت «بولين فياردو» في القصر، تغنت بمصاحبة شوبان، بأناشيد مارسيلو، وبوربورا، ومارتيني القديمة. اما «دون جوان» موزار فكانت في نظر الصديقتين والموسيقي طرفة اللحن اطلاقاً.

.. وشوبان عصبي المزاج، يكره الجدال والمناقشة، ولكنه عنيد، يتمسك بمقعده ولا يتزحزح عنه الا بمقدار ما تضطره اللياقة او يضطره الحب.. وكثيراً ما غيرت جورج موضوع الحديث، كما يفعل الاهل مع الاطفال.

وكان غريباً عن افكارها السياسة منها والدينية، فهو لا يطمح مثلها الى ايجاد فلسفة جديدة، بل يتمسك بكاثوليكيته المحدودة.

ولم يمنعه هذا من الاعتراف بشفقتها المحمودة وبرها بالفقراء والضعفاء. ولكن الاختلاف في الرأي والمذهب يميت الحب، ويقضي على الاخلاص. فالحب ينزع الى السيطرة الجسدية الروحية التامة. فالرجل الاشد اعتدالا وتسامحاً، يسرع اليه الغضب اذا لمس في حبيبته اتجاهاً سياسياً غير اتجاهه الشخصي. وشوبان لا يقر صاند على افكارها التقدمية الجديدة التي تشتد وتتبلور حول نواة جمهورية واجتماعية.

ومع هذا فقد والت سهرها عليه. بعطف واخلاص. فاذا تركها الى باريس، اوصت به احدى صديقاتها، السيدة «مارلياني» لتؤمن له ما يحتاج اليه من خدمة وعناية.. «اليك يا عزيزتي صغيري شوبان. انني اعهد به اليك. فاجهدي للعناية به رغماً عنه انه لا يحسن الحياة بدوني. ويقوم بخدمته فتى طيب، ولكنه حيوان، وانني اعتمدك لتكوني صديقته واخته وامه».

اما شوبان فظل مخلصاً لحبيبته الوفية. فاذا توعكت صحتها، وباتت طريحة الفراش، قام الى جانب سريرها آناء الليل واطراف النهار، كممرضة ماهرة لطيفة، وظل للعاشقين اتصالها في عبادة الفن وتقديس الجمال.

وما اكثر السهرات الهادئة، والليالي الحالمة والاصائل الذهبية الساجية، التي عرفتها نجيبين مخلصين، يذوب احدهما في الآخر ويستغرقان متناسيين الزمان والمكان...

ولكن تناقض طبيعة كل منهما، مزج مع هذا الحب، عناصر النزاعات المقبلة.. فلم يعد حبهما تعلقاً متبادلا قوياً، بل اخلاصاً والفة ورقة، ولا شيء غيرها...

وكبرت سولانج وغدا موريس شاباً. فلم تعد حياة شوبان مع صاند سهلة كما كانت في الماضي. وهذا موريس يبدي الملاحظات لوالدته عن الفضيحة التي يسببها وجود شوبان الدائم في المنزل.

وها هي سولانج تسخر آناً من شوبان، او تمثل احياناً دور المرأة المكتملة الانوثة، بدلالها وتصرفاتها، فتؤثر في الموسيقي نظراتها وابتساماتها... ولا عجب، ان كانت تنظر اليه كرجل في حين تنظر اليه امها نظرتها الى طفل. اضف الى كل هذه الاسباب مرض شوبان وازدياد حالته سوءاً على حين تلقى نبأ موت والده.

فأضحى حزيناً دائم الكآبة، كثير الوساوس والظنون.

وتبدل مسلكه في المنزل. وراح يعنف جورج وبرميها بأشنع التهم. فلم تجد الا الكتابة وسيلة للترويح عن نفسها. وكتبت قصة «لوكريسيا فلورياني» وضمنتها شيئاً من حياتها وآلامها وخيبتها.

يبدأ الحب بأحاسيس قوية نبيلة وينتهي بتفاهات صغيرة. والحياة المشتركة تولد دائماً سوء التفاهم والنزاع. والزواج حل فعال يضع حداً لاكثر المشاكل والصعوبات. اما العلاقة الحرة، فتفسد بمرور الزمان.

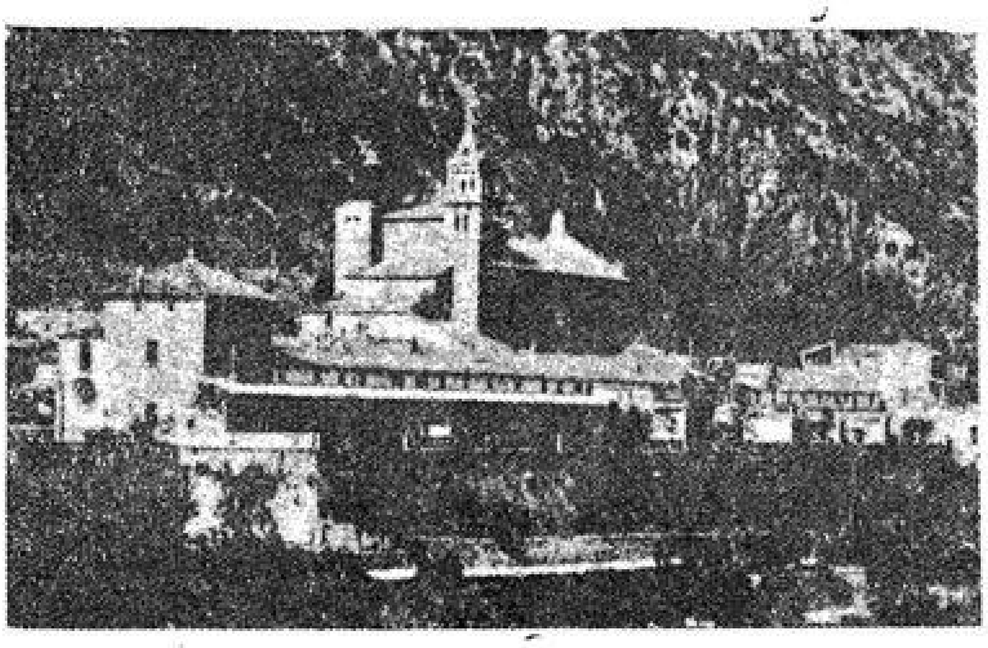
كانت الحياة في قصر «نوهان»، كما يبدو ظاهرها، شعراً ومرحاً وعبقرية. فهذا يقرأ الروائع الخالدة، وتلك تعزف على البيانو، وذاك يؤلف، وتلك تنشيء اللوحات الجميلة. ويذهب اهل القصر الى الحقول، ويتسلقون الجبال، ويستحمون في النهر القريب، ولكن الهدوء المنشود لم يسيطر على القلوب والارواح.

وودعت صاند سنة ١٨٤٦ الفتاة «اوغسطين برو» للحياة في نوهان ثم تبنتها. وكانت اوغسطين هذه تمت بصلة النسب البعيد الى صاند. شاءت الصدف ان تعيش امها حياة اللهو والفسق والمجون، وخافت صاند ان تقتفي الفتاة خطوات امها، فدعتها الى نوهان، وعهدت اليها بموريس.. وسولانج. واستقبلها موريس (طبعاً) بما ينتظر من شاب يستقبل فتاة خارقة الجمال.. بل ان استقباله لاوغسطين كان غاية في الجرأة والانعتاق.. اما سولانج، فنظرت الى الضيفة بفتور واستعلاء. وسرعان ما انقسم المنزل الى معسكرين: صاند وموريس، في جانب الفتاة. وشوبان وسولانج ضدها. وتوترت العلاقة بين المعسكرين. وصرفت صاند خادماً من خدم القصر، مخلصاً لشوبان فاحتج هذا، ثم تشاجر خادم شوبان البولوني مع خادمة صاند، وادى بهما الشجار الى الركل والعض.

وسأم شوبان الحياة في «نوهان». فراح يبغض كل شيء ويبدي العداوة للجميع اذا استثنينا سولانج اذ كان يجد فيها صورة جديدة، لتلك المرأة التي أحبها. بل ان حبه لسولانج تعدى العاطفة الى الافكار، بعد ان لمس في «سولانج» مشاركة في افكاره المحافظة وخاصة حول الدين ونظام الطبقات.

●

دير فلدموزا في جزيرة ماجوركا





جورج صاند

●

ووجه شوبان التهمة الى موريس واوغسطين. واشار الى علاقتها المتطورة... فهدد الفتى بترك المنزل .. وثارت صاند على شوبان لهذا التدخل في شئونها البيتية الخاصة. «ولم افعل غير ان اشرت اليه بعدم التدخل، وذلك في سبيل راحة باله وهدوء اعصابه... ولكنه نظر اليّ وقال: لم تعودي تحبين.. فأية تهمة هي هذه! وما أقسى قلبه المريض !! وما اشد هذا التجديف على اخلاص ثماني سنوات من التضحيات والحب والتفاني !!! ولكنني واثقة من انه لا يعي ما يقول»..

وفي كانون الثاني ١٨٤٦. ترك شوبان نوهان. ولم يخطر في باله، وهو ينطلق بعربته تحت الثلوج المتساقطة بهدوء رائع، بأنه لن يعود الى مغاني حبيبته الساحرة.

ووصل باريس. وراح يكتب الى صديقته الرسائل الطويلة المرحة المفعمة بعبير الصداقة وهمسات الندم. ولكنه غضب حين علم بزواج سولانج. وراح يكتب الى اصدقائه منتقداً سلوك جورج صاند. وأعضاء اسرتها !!!.

***

كانت سولانج شقراء، جميلة، فاشتهرت في الاوساط الراقية. وكانت متحمسة تفعل ما يبدو لها، اندفاعاً مع طبعها المشاكس المعاكس، وكانت على شيء من الجنون، ولها بعض جرأة امها دون ان يكون لها عبقريتها... وكتبت اليها صاند وهي بعد طفلة «ان لك قلباً طيباً يا طفلتي وحدة في الطبع شديدة ..»

وكبرت سولانج واستقر لها الطبع السمي، اما طيبة القلب فغابت في سحب الظنون والشهوات.

***

ان العلاقات بين الاهل اشد تعقيداً وخطراً، واحفل بالمآسي والصعوبات من علاقات العشاق... والامر يهون ما بقي الاولاد اطفالا، اذ يخضعون لاهلهم الذين يرمون الى تكييفهم كما يشتهون ويريدون.. ولكن الولد الذي يكبر، ويكتمل، ويصبح ارادة تتطور ووعي مستقل، وحرية ذاتية، يغضب اهله ويدهشهم.. فالطفلة الجميلة، التي كانت محل الدلال والحب، تصبح خطراً يكمن فيه العداء... وام كصاند، لا يرقى الشك الى اخلاصها وتفانيها، تتطلب اخلاصاً مماثلاً واعترافاً بالجميل، وطاعة تامة... وفي موريس بدا عليه. اما سولانج فتمردت على امها، وتحول الحب بينهما الى فتور، فشجار، فعداء مستحكم شديد.

واشار الطبيب على صاند بتزويج سولانج. وهي بعد في الثامنة عشرة من عمرها. فخطبها، في مطلع سنة ١٨٤٧ «فرناند دي برايو» وهو نبيل من نبلاء مقاطعة «بيري». وتراءت السعادة لسولانج، ورأت في الزواج مخرجاً لها من حالتها البيتية الصاخبة وسافرت مع امها الى باريس لتعد حوائج الزواج وهناك التقت سولانج بكائن صاخب، مضطرب الحياة والمسلك، بنحات كان بحاراً، هو «اوغست كليزانييه». بدأ حياته الفنية بعرض للتماثيل الجريئة العارية، فنال شهرة موشاة بالفضيحة ورجا صاند بأن تسمح له بنحت تمثال لها، وتمثال لسولانج.

والظاهر ان اهتمام النحات، اثناء عمله في تمثال سولانج، لم يكن مقتصراً على رخامته فحسب، وانه اثناء جلساته الطويلة مع الفتاة الجميلة، اغتنم الفرصة المناسبة. وحين انتهى التمثال، اعلنت سولانج انها لا تحب فرناند، وانها ستتزوج المثال «اوغست». ولكن صاند «خطفت» ابنتها الى نوهان، فلحق بها «اوغست كليزانييه» واستطاع ان يقنع الروائية بأن تعطيه يد ابنتها.

وهكذا كان، واذا علمنا ان بكر الاستاذ «اوغست» جاء قبل ميعاده بثلاثة اشهر، علمنا سبب السرعة في عقد زواج المثال على الآنسة «سولانج».

صاند الى موريس: لا تقل كلمة، ولو كلمة واحدة، لشوبان حول هذا الموضوع، فهذا لا يعنيه. وحين تمر العاصفة، او تقع ضربة القدر، يصبح الحديث بـ «اذا» و«لكن» طريقاً الى المتاعب والآلام.

وجزت صاند ابنتها حسناً على فعلها، فوهبتها «دوطة» طائلة

وراحت تمتدح صهرها ، الجديد محبية من يعيرونه بهوان النسب والعائلة ، وهي تقول « انه سينقش القابه على الرخام والبرونز . . وستكون خالدة.

ولم يحقق أوغست آمال صاند. فقد كان مبذراً ، قاسياً ، ليس خليقاً بالزواج . وراحت تكتب لاصدقائها تشكو همومها وخيبتها المتواصلة.

***

وانقطعت رسائل شوبان نهائياً بسبب هذا الزواج . . « هذه الفضيحة » . فقد كان يكره المثال كرهاً شديداً . . وقال لاصدقائه يوماً : — ليس بعيداً . . ان نرى في العام المقبل ، في المعرض السنوي ، جمالات سولانج الخفية . . معروضة على الناس .

وحدثت مأساة عائلية ، ونزاع تخللته الفضائح والمخزيات ، هربت على أثره سولانج الى باريس . وكتبت « صاند » الى شوبان تدعوه الى نوهان ، فلم يجبها . . رغم انه يحتفظ لها في قلبه بحب جامح شديد.

صاند الى الآنسة روزيير : « واخيراً . . تلقيت اليوم رسالة من شوبان . . وها انا ارى انني خدعت — كالعادة — في آمالي وطيبة قلبي . لقد قضيت ست ليال من الارق والسهاد ، اما هو فقضى هذه المدة يغتابني في منزل اعدائي . . حسناً ! لقد كتب الي بلهجة رزينة مضحكة ، كما يكتب شاب عاطل عن العمل الى مدير شركة ، انا اعلم ان سولانج قادرة على ايذائي وكرهي . . ولكن ان تنتزع مني قلبي . . حياتي . . كل ما املك في هذه الحياة . . رباه ! ما اقسى حكمك وما اشد عذابك ! ولكنني علمت . . علمت ولم اعد غبية . . لا ! لن اعطي بعد الآن روحي وجسمي عشباً تقضمه حيوانات القسوة والعقوق ».

هكذا يزول الحب وتنقضي العهود الجميلة. ويشتد ألم النهاية ما كان الحب مشتداً متأصلاً في سابق عهده .

ولم تتخل صاند ، عند الفراق ، عن طيبة قلبها ، ولكن اعصابها كانت مرهقة . . متوترة . . ولذلك رأيناها ، في عهد تلا علاقتها بالموسيقي الشاب ، تستفسر دوماً عن صحته وترسل اليه بطاقات التمنيات . وازهار الاعياد .

وليس حقاً ما زعمته سولانج من ان والدتها تجاهلت شوبان في الشارع يوماً .

***

مشهد الختام . . في هذه القصة الحزينة ، مشهد مؤثر . . رواه لنا شوبان في رسالة الى سولانج :

ذهبت البارحة لزيارة السيدة « مارلياني ». وعند خروجي من المنزل ، التقيت بالسيدة والدتك ، داخلة مع « لامبير » . حييت والدتك وسألتها عن اخبارك. فقالت :— منذ اسبوع زرتها.

— الا تعلمين شيئاً عن اخبارها بالامس . . او منذ يومين. — لا .

— اذن فاعلمي يا سيدتي انك اصبحت جدة ، فقد رزقت سولانج طفلة ، لها جمالك ، وانا مسرور اذ اكون اول من يطلعك على هذا النبأ السعيد .

وروت صاند هذه الحادثة على طريقتها : قلت :

« حسبت ان بضعة اشهر من الفراق تشفي جرحي ، جرح قلبي الدامي وتعيد الي صداقته الهادئة الجميلة . . رأيته اليوم ياصديقتي اليوم رأيته ، وهززت يده الباردة المرتجفة ، واردت ان اتحدث اليه فتهرب مني ، تهرب كأنه لم يكن اعز الناس الي . . وجاء دوري لاقول له « انك لا تحبني » ولكنني جنبته هذه الاهانة . . ولم اقل ما سبق وصفعني به صفعاً ، ولكن علي الآن ان لا أراه . وسأحاول بل انني عزمت . لا ! لن أراه .

هذه هي الحياة .

فقد نجد قلبين عاشقين متحابين . ولكن في اتصالها وتلاحمها يد كبرى للعادة . اغرسهما بعيدين الواحد عن الآخر . تجدهما يعيشان كأحسن ما تكون الحياة ! وتمتد جذورهما في الارض الجديدة.

ووضعت ثورة ١٨٤٨ حداً فاصلاً بينهما . اذ كانت مناط آمال صاند . وسخرية الدهر في نظر شوبان ، ولم يعش شوبان طويلاً بعد فراق « صاند » . اذ مات في السنة التالية : ١٨٤٦ .

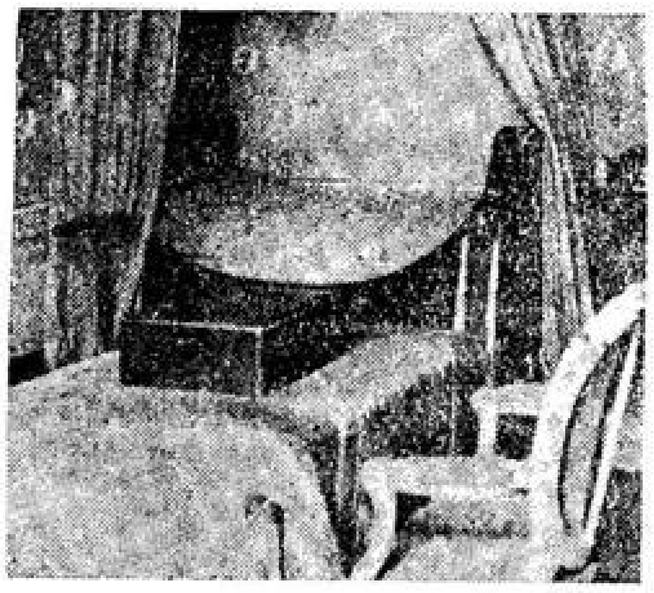
ويقال انه تمتم ، وهو على فراش الموت ، يقول :

« ومع هذا ، وعدتني بأن لا اموت الا بين ذراعيها »

اندره موروا

●

غرفة شوبان وجورج صاند



الى جورج صنين

فؤاد الحسن

●

للشباب
دغدغات مرحه
بين نهديك تمور
وفجور
من صداه
عربداتُ الشهوات الوقحه
في شفاه
يبست من ظمأ جُنّ على الثغر لظاه
صارخاً . . . يترع ناراً وسراب !

***

أنتِ مصباح تراءى
لفراشات الصباح
فتهاوت فوق فيه المستباح
ترشف النار خموراً
هوت فوق لماه
فتزيد
بلظاها عطشاً تلك الشفاه
لتعود
ظمأ يصرخ جوعا !
وتعب النار عبّات طوال
يستحيل الجسم منها لدخان
خافق . . يطفو على هام الزمان !

***

اين احزان « ملاكيه » واطياف السهاد
ودموع سكبت فوق الوساد
هي ذوب الحرق
من فؤاد شفه حب شقي
أين « دي ميسيه » والعمرُ شباب
وامل
جسمه قد ذاب وجداً وعذاب
وقُبَل !
أين ظمآن الرِغاب
هو طيش واغاريد شباب
يسكب الانغام من قلب جريح
لهباً في « ليلة آب »
يتلظى فوق فيه . . . فيصيح :
« أنا اهوى واحب الالما
أنا اهوى واحب السقما
والشحوب
أنا اهوى الدمع محموماً يذوب
من جفوني . . . كاللهيب
أنا اعطي بدل القبلة عمري ونبوغي !
يا فؤادي يا رهين الحسرات
والضلوع
قم تفتح للهوى . . . كالزهرات
في الربيع
وتعذب . . . بعد ما طال العذاب !
واعبد الحسن لتفنى في الـبزوغ
قبل ان تبدو تباشير الغياب ! »

أين يا « اورور » لهاب الحنين
ها هو في غرفة سوداء . . . منهوك ، حزين
يذكر الامس فتنساب دموع المقلِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لليالي « نبلي »
والعشيات الشهيه
في قنال البندقيه
فوق صدر الزورق
هدهدته كف موج قلق !
. . . كلما رن صدى في اذنيه
او تراءى شبح في ناظريه
راح يهذي هذيان الثمل :
« ما لقلبي مسرعاً بالنبضات ؟
ما لمصباحي حزين الرعشات
مثل هدبي . . .
يطرق الباب ! . . الهي ! من أتى
من ينادي ؟
هي أنتِ ؟ !
هل حنا الدهر فعدت ! ؟
وسوسات ! ! هو طيف ! ! !
أنا وحدي
يا لنفسي من شقاء الوحشة
وطيوف الوحدة ! »
أين مخمور « الليالي » ؟
هو طيف في سرير الموت مصدور نحيل
يزعج الليل بآهات طوال
يسكب الانغام دمعات تسيل
وولوع
كالشموع
جسمها يفنى دموعا
عمرها يمضي سريعا
تترك العيش ربيعا
ويظل
نورها الفاني يهل
فوق انوار الخلود !
مات « دي ميسيه » والعمر شباب
وامل
جسمه قد ذاب وجداً وعذاب
وقبل ! !

أين في « الفندوم » عرش
زينت شرفته بالزنبق
وتراءى سابحاً في الشفق !
زف فيه اللحن للحرف بحلم عبق
قد تلاشى كالغمام الازرق !
أين « شوبان » وانغام الحنان
في « نهان »
ولذيذ السمر
تحت ضوء القمر
حيث تحلو القبلات
وتذوب الوشوشات
أين « شوبان » جنون الوترِ ؟
اين رقص السرر ؟
فوق عرش الزهر
وليال فنيت بين عناق
ودموع !
أين « شوبان » انين الوتر
هو نسر زرع الجو صياح
هاله سهم اليه انطلقا
فهوى للارض مكسور الجناح
فوق صم نثرته مزقا . . .
صبغ الصم وراحا
نتفاً غامت جراحا
كان في الفجر اناشيد سناء
فغدا عند المساء
نتفاً منثورة فوق الصخور !
قد اشحت الوجه تيهاً وفتور
عندما جُنّت فراشات الصباح
وتهاوت في الشعاع المائد
في جناحيها جنون وجراح
تتنزى بالنجيع الخالد !
فاستقال الجسم لحنا
راجفاً ينضح حزنا
وتخطى صخب اصوات الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقنعة الحقيقة والخيال

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

☆☆☆

تفحصت مؤخراً الكتابات التي تروق لسوادالقراء. فوجدت انها في الغالب من النوع الذي يستهدف خلق ضباب عاطفي يتيه القارىء في اطوائه . واذا تفحصت ذلك الضباب العاطفي نفسه، وجدت انه ليس بأكثر من نفخة حارة على لوح زجاج بارد ، يخيل للقارىء المسكين انه يرى فيه صوراً لنفسه المعذبة ! واكثر الكتاب الرائجين من العرب—او قل المصريين — قد حذقوا فن « النفخ على الزجاج » وقد اوجدوا كلمات كثيرة غمسوها بالعواطف المبهمة التي تهاجم القارىء في تداعٍ نفساني مبتذل ، كهذه الكلمات : « الفن ، راهب الفن » ، « الخلود »(ما اكثر ما تستعمل هذه الكلمةفي النثر والشعرالعقيما) « الدموع ، العبرات » ، « الخيالة » ، « رعشة الهوى » ، « الحب والجمال » (وما اكثر ما يسيئون الى هاتين الكلمتين) الخ،الخ .

ما مقدار ما يتضمن الابداع من حياة الفنان وفكره؟لست ادري اما انا، فانني دائماً موجود في ثنايا المتاهات التي ابتدعها في كتاباتي. ولست اجد عن ذلك ندحة. فالكتابة عندي ضرب من الاعتراف (والاعتراف يريح النفس من بعض ما يثقلها) .وكل ما في الامر هو ان هذا الاعتراف قد يكون جميلاً وحسن التركيب او قد لا يكون. فاذا كان ، فهو خلق ادبي ، والا فلا .

البغاء الذهني ، كالبغاء الجنسي ، يعود الى اسباب اجتماعية واقتصادية . فكما ان لا امرأة في الوجود يلذ لها ان تكون نهباً لعناق كل عابر سبيل ، كذلك لا أديب يلذ له ان يجعل من ذهنه مهرجاً لتسلية كل قارىء جاهل . ولكن المجتمع الذي يوجدالمومس بما فيه من تناقض وغبن ووحشة وايمان بالخرافات ، يوجد ايضاً الكاتب الذي ينقده بسخاء، لكي يثير حساسية الجماهير البليدة، وينعش خيالها الراكد : فيظن آلاف القراء الاميين انهم مثقفون ، ولا يدركون عمق هاوية الظلام التي يتخبطون فيها . ووجود بغايا الذهن في مجتمع ما لا يشير الا الى ما في ذلك المجتمع من نقص في الثقافة .واكثر البلدان عدداً منهم اقلها ثقافة واقربها الى ذلك الضرب الرهيب من الجهل الذي يتراءى لصاحبه علماً .

***

ان المرء ليشعر بان الحاجات الداخلية—حاجات الذهن والروح— هي اهم ما في الحياة . فاذا ما اهملها واستمر في اهمالها زمناً بحيث تبدو كأنها ما عادت توجد مطلقاً ، فانه ليرتعب عندما تفاجئه على حين غرة ؛ وتجعله يحس بها بقوة عجيبة ، وتطالبه بتحقيقها .

انك في هذا المكان لتسمح للذبول بان يتطرق الى روحك ، ولكنك لا تفلح في اذبالها حتى الموت — ومن هنا ينشأ اليأس والحنين . الحنين الى ماذا ؟ الى اشياء الروح ، والى الاماكن التي يتغذى فيها الذهن وينتعش وينمو . اما هنا ، فأنت تعيش في فراغ كثير الضجيج ، يحيط بك النفاق والحسد وضياع الجهد ، وغالباً ما تحيط بك العدمية المطلقة (Nihilism). تصور رجلاً ينتظر في محطة تتلاعب الريح فيها في ليلة شتاء باردة . انه معرض لمجرى الهواء ، وهو يسمع دوماً جعجعة قطارات تبدو كأنها قادمة نحوه ، ولكن لا قطار يأتي الى المحطة ابداً وفضلاً عن ذلك،فان صاحبنا ينتظر،بل انه لا يجد مناصاً من الانتظار ، اذ ليس لديه ما يفعل سوى الانتظار ، وان يكن قد ادرك ان المسألة كلهامزاح ثقيل،وان المحطة- وان يكن المفروض انها محطة — لم يقصد احد يوماً ان يجعل القطر تمر فيها . . ذلك ما اشعر به في هذا المكان .

***

لا اظن ان مفكراً ما يستطيع ان يتفاءل اليوم .والظروف في في العالم كما هي. فالمفكر لا يلبس النظارات الملونة، بل ينظر حوله ويمتد بصره الى اقاصي الدنيا ، بعين نفاذة لا تحتاج الى العدسات .

كنت ايام الصغر احلم بمستقبل احقق فيه حياة كحياة جبران. اما اليوم فلا اجد في كتبه الا صوراً غائمة تمسحها بيدك دون مشقة لقد تألمت مع البشرية في زمن كان فيه كل شيء في متناول يدي من مال ، وامرأة ، وصديق . لا تحسبن انني انما اسفت على نفسي وبكيت على خسارتي ، فتظاهرت بالتشاؤم عن مصير الانسانية . ان تشاؤمي لم ينبت الا من شعوري العميق باحزان الناس، ومعرفتي بان الموت بآلاته يمشي مشية الطاووس بينهم . هل رأيت الجائعين في الزوايا والخائفين من القنابل والمعتدين على المارة في الشوارع والرجال الذين لم يعرفوا يوماً حب امرأة ؟ هل رأيت الفقراء يذهبون الى السينما ليحققوا أحلامهم بضع دقائق ويقرأون اخبار الباشاوات والملوك في « المصور » ؟ هناك من يضع رأسه في الرمل كالنعامة

ويتناسى الحقائق . اما انا فقد حاولت في شعري ان اتعرف عليها واستدل منها على حقائق ابعد مدى. وموضوعي هو العالم بأجمعه، لا مجرد « انا » او طائفة انتمي اليها او بلد اعيش فيه . لقد اصاب العالم (وما احب العالم الى نفسي)مرض رهيب . وأنى لهذا المرض ان يشفى اذا لم نستطع ان نشخصه اولا؟ وهل من العدل ان تدعو الطبيب متشائماً اذا وصف العلة كما هي ؟

***

اشتريت اليوم باقة كبيرة من الورد محاطة بكمية كبيرة من اوراق الورد على عساليجها وعساليج كثيرة اخرى. واتيت بها فرحاً الى غرفتي ، واخذتها الى الحمام لالقي عنها العساليج المتراكمة واضعها في ابريق ماء زجاجي — واذا . . واذا كل وردة مربوطة على ساق قصبية غريبة عنها ، كالوجه الجميل المركب على جسم من خشب ! اترى الى اي حد بلغ مكر الناس ؟ ان جمال الوردة في تيهها على ساق تتثنى . ولكنها اقتطفت بيد وحشية من رقبتها ، وركبها اللص على ساق من قصب ولفها بالاوراق وقدمها الي كأنها العروس . . ومهما يكن من امر فها الباقة في الابريق امامي على المنضدة ورائحة الورد تملأ خياشيمي ، ولكنها قد لا تدوم بعد عشية اليوم . اني لا اكره شيئاً في الحياة بقدر ما اكره الغش . اني اغفر لاي انسان ان يصنع ما شاء بي ولكنني لن اغفر له ابداً اذا غشني واستغل طيبة قلبي .

***

سواء أكنت رجلاً ام امرأة ، عليك ان تجعل حياتك سعياً مستمراً ، واكتشافاً متواصلاً . والا وجدت ان ايامك يتلاشى الطعم فيها ، وان وحش الفراغ الرهيب قد فغر فاه ليلتهم ذهنك ونشاطك ، ويأتي على شبابك .

***

كنا جالسين في مقهى « عبدالله » نشرب الكونياك، وفرقة الجاز الاسبانية تعزف عزفاً يقارب الجيد . وكان د. قد خرج من المستشفى منذ يوم او يومين ، وانا اشعر بتحسن جديد في صحتي ، فكنا نتضح كلاماً وفكراً يعتدرهما الكونياك اللذيذ والرمبا المثيرة . فاستحثني صديقي ان اكتب سيرة حياتي بالانكليزية، على ان اكون واقعياً في الوصف ، مقللاً من الخيالات الذاتية . وهنا تكلمنا عن مسألة « الذاتية » في الكتابة Subjective فقلت انني من حيث الكتابة او الفن انانى شديد الاثرة ، اشعر بانني مركز الحياة ، وان كل ما حولي ليس الا ظلالا ، وليست له الا حقيقة الظلال . فعندما اكتب ، انما استحضر هذه الظلال تتلاعب وتتمازج ثم تتلاشى ، كأنها لم تكن . ومع ان كيتس يقول ان الشاعر يصب نفسه دوماً في غيره ، ولذلك فهو لا شخصية معينة له ، فانني اصب كل شيء خارج عني في قالب نفسي .

***

. . رغم هذا الهدوء الظاهر فان نفسي لم تهدأ بعد . كم كان بودي ان اكتب عن كل ما يعن لي من خواطر في فترة عصبية كهذه غير ان النفس المضطربة تميل الى مبالغة التوافه احياناً واهمال ما قد يكون اكثر خطورة ، كما انها اميل الى الغضب والتهور ، في حين كنت قد آليت على نفسي منذ مدة ان ارقب الحياة ببرود العقل واتزان الحكمة . ولا اقول هذا لادفع عني تهمة الكسل في الكتابة ، لانني لست اظن ان امتناعي حتى عن قول الشعر خمول في الذهن . بل هو نتيجة لهذا اللون من النضج في العاطفة حين تشتد في العمق وتقل في الغليان والزبد . ولكن ، رغم ذلك ، لا اذكر انني كثيراً ما اتذمر حين أراني لا أريد ان اكتب . ولهذا اشغل نفسي بالترجمة . او هل تظنني كنت استطيع ان افعل ذلك منذ ثلاث او اربع سنوات ؟ لو توقفت عن الكتابة يوماً واحداً حينئذ عن اكراه ، لشعرت بانني اريد ان اخدش الجدران باظافري لاخط شيئاً جديداً . فقد كانت كتابتي دائماً منفذاً لا بد منه لعواطفي . وذلك الكلام المستمر ، وتلك المحاضرات والحفلات، لم تكن الا منافذ متعددة لما كان يتراكم في نفسي من مشاعر وغضب وحب وألم : اي انني وجدت في الفن شفاء لنفسي . وانغماسي في التصوير فجأة لسنتين على ذلك النحو الذي يدهشني حين اذكره الآن ، لم يكن الا مخرجاً آخر ، بعد ان سئمت الكلمات . ولما قامت الدنيا وقعدت في فلسطين ، واضطررت الى الاستكانة مكرهاً على ذلك السطح المشرف على « وادي الجمل »، وقع التناقض الغريب : لانني بالفعل بدأت حينئذ ان اجد شيئاً من الهدوء في نفسي ، وشعرت — في شيء من النشوة — بسريان عصارة النضج في ذهني ، جعلت اتعلم النضج بهدم ما تبقى فيَّ من الصلف الذهني، والنزول الى ابسط الاشياء على ابسط نحو ، دون تعقيد المعرفة .

***

اذا لم تتغذ حواسي، أصاب خيالي الجمود . واذا ما عشقت الحياة، حياة الحس العنيفة ، صببت فيها من ذهني وقوداً — سمه روحياً ان شئت — يزيد من فورة تلك الحياة واججها وجمالها . اما ان اصب وقود ذهني في ثنايا حياة الحس فيها ميت ، فأمر أرفضه الآن . لقد

واقع وحياة

بقلم يوسف الشاروني

كنا في نحو الرابعة عشرة او الخامسة عشرة، وكنا نشتعل حيوية، ويملؤنا حنين الى الرحيل نحو ارض سحرية وعوالم منطلقة . كنا نحس اننا ندفع ضريبة هائلة للمجتمع من حركاتنا وسكناتنا لمجرد كوننا اطفالا . وكنا نتطلع الى الدخول في مجتمع الكبار حتى يتزاح عنا هذا الكابوس الاجتماعي الذي يحاول في غير مبالاة ان يخمد من نفوسنا كل ما هو طفل .

لهذا كنا دائماً نحلم ، نحلم باشياء عجيبة ، في الليل وفي النهار وفي كل لحظة نستطيع ان نهرب فيها الى نفوسنا . وكانت تعتمل بنا آمال لم نكن نعيها كاملة بعد، ويصلنا من هنا وهناك رشاش من افكار وآراء ، ويفزعنا من حين لآخر منظر او حادث، ونحن نحاول جاهدين ان نعبر من ظلمة اللاوعي الى ذلك الوضح الذي يحيا فيه هؤلاء الكبار ، وكانت كل لحظة تعني لدينا شيئاً جديداً وكانت لذة الاكتشاف تملأنا فرحاً واندفاعاً ، من حين وجدنا في كل خطوة نخطوها حكماء محيفين يتطوعون بافهامنا في صوت رهيب ان حيويتنا واندفاعنا ، وكل هذه الاحلام والآمال ما هي الا عرض من اعراض مرض يصيب المراهقين، سوف نشفى منه حين نعبر هذه السن الى نضوج الرجولة وهدوئها . ولكم ازعجتنا هذه النصائح واقضت مضاجعنا وجعلت بعضنا يتردد في اولى خطواته، محاولا ان يتقمص هذه النصائح التي كانت نفوسنا افسح منها مرات كثيرات.

لقد حدث ان تفتحت عيوننا على مجتمع يئن من الفوضى والانحلال ، ولم نكن في حاجة الى ايسر مجهود كي نلمح الاوحال والقاذورات تتراكم في الضمائر والتقاليد . وكانت حياتنا واتصالاتنا تتيح لنا كثيراً من فرص الاشمئزاز والكثير من التفكير في امر هذا المجتمع . وكان يحدث ان نأمل في ان تخف آلام المحرومين او في ان نقضي على جشع الجشعين . لكننا ما نكاد نتحدث وما نكاد نفكر او نأمل حتى نجد هؤلاء الحكماء المتطوعين قد التفوا حولنا من كل ناحية ، ولا اشمئزاز ولا انزعاج مما يدور حولهم ، وهم يقولون في صوتهم الوعظي الرهيب : نعم ، نعم ، لقد كنا نفعل مثلكم ذات يوم، لكن غداً ستألفون هذا جميعه، وستعلمون انه نظام طبعي خالد . ثم يهزون رؤوسهم مشفقين ، فقد نحتد في غضبنا وحنقنا ذات يوم فيؤدي ذلك بنا الى سخرية او اضطهاد ، وهذه نتيجة خطيرة من نتائج « طيش الشباب » . على ان لديهم املاً في ذلك الزمان الذي سيجمد من عواطفنا حتى نصبح عقلاء امثالهم وسنفهم اذ ذاك ان الدرس العظيم الذي يلقيه علينا واقع الحياة هو ان كل انسان لا يهتم الا بنفسه ، وان احداً لن يذكرنا يوم نضحي من اجله .

جعلت اشعر بتفاهة الناس، ولم اكن اشعر بذلك من قبل . صرت اضيق ذرعاً بالناس ، وما كنت افعل ذلك من قبل . لم ادرك قط كما ادرك الآن مقدار تأخر الشرق وسخفه وسلبيته المفزعة . هذه سلبية مخيفة تسيطر على السياسة والمجتمع ، تسيطر على الذهن والجسد، وسوف يعيش الناس في الشرق ويموتون دون ان يعرفوا اللذة الحقيقية ، لان السلبية تنفي والايجابية تحصّل . والحياة هي الايجابية ، والايجابية — على ما يبدو — لم تخطر ببال الشرق بعد . اما انا فأرفض ان اكون سلبياً ، ولو كان في ذلك خطر القضاء المبرم ورهبة الحتف المحتوم .

بغداد

جبرا ابراهيم جبرا

لقد كنا نستيقظ شيئاً فشيئاً لنحس الحرمان والجوع . وكان يحدث ان تمر ليلة او ليلتان على البعض منا بغير ان يجد عملاً ولا اكلاً . وكنا نحس بتناقضات مرهقة من حولنا وفي نفوسنا . فقد كان كل ما هو طبعي يبدو محرماً قد ضرب حوله سياج كثيف من التقاليد والشرائع حتى اقضتنا عذابات الضمير ونحن نتأرجح بين هذه الافعال التي تفصل المجتمع فصنفها لنا الى فضائل ورذائل . وكان بعضنا قد زهد في هذه الالوان المتكررة من الطعام المتقشف الذي يتناوله كل صباح وكل مساء، فتراوده دوافع غامضة لكنها ملحة حول سرقة او محاولة احتيال وكان بعضنا الآخر قد اشتد به جوع جنسي مكبوت حتى اصبح كل حلمه فتاة ناعمة كالقطيفة يضاجعها طوال الليل . لكن ضمائرنا كانت تقف لنا بالمرصاد فتعذبنا على كل خلجة من هذه الخلجات المحرمة . كنا نحس اننا لسنا احراراً حتى حين نخلو الى نفوسنا . وقد كان يحدث ان يثور صديق على ضميره فيحاول السرقة او اشباع عواطفه فيلقى عقاباً صارماً .

وعبثاً كنا نحاول ان نجد صدى لكل هذه الآلام فيما يقع بين ايدينا من كتب ومجلات . كان ثمة مؤامرة منظمة للاضراب عن الكلام حول اخطر المشاكل التصاقاً بنا . وكان يحدث ان نندهش اولاً لمثل هذه المؤامرة ثم نحاول ان نعبر عنها ، واذا بالحكمة المزيفة تنبعث من كل ركن في المجتمع ان هذا هو واقع الحياة . وانه يحسن بنا الا نواجهه والا نتحدث عنه كما هو ، بل من الخير لنا ان نهرب الى اساطير او فقاعات ذهبية عسى ان تخف بعض آلام الحرمان والجوع . ولقد حاولنا مخلصين ان نتسامى بحرماننا وجوعنا ، ومع ذلك لم يحدث ان حلت هذه الطرق السحرية مشكلاتنا يوماً ما .

وكان يحدث ان يلتقي محظوظ منا بفتاة من هؤلاء اللاتي يزدحم بامثالهن المجتمع فتتفتح اعيننا على عالم لؤلؤي وهاج ويعمينا النور ونحن نندفع في نشوة تستنشق عطرها في انفاس عميقة متصلة وغارس في جبنا لها افعالا جديدة علينا ، فعل الايمان ، وفعل الاخلاص ، وفعل الفرحة التي تهزنا اول ما نلمح الانسان الذي طالما تبنيناه مقبلاً علينا من افق ذهبي رائع . لكن يحدث ان تتطوع هذه الفتاة ايضاً بان تنضم الى جمهور الحكماء المزيفين ، حين يقبل رجل يكبرها بعشر سنوات ، يحمل معه مركزاً اجتماعياً زائفاً وحفنة من النقود كي يقودها نحوه كما يقود السيد كلبه . وحين تبدأ تموت تجربتها عن حياتنا نستمع الى ذلك الدرس الخالد القاسي وهي تلقيه علينا في سخرية جبانة : هذا هو واقع الحياة . وزى بأعيننا بماذا يتعامل هؤلاء الواقعيون في شئون عواطفهم ومستقبل حياتهم .

اما حبنا وايماننا واخلاصنا فلم تكن سوى خيالات تصوغها طفولة مراهقة سننفصل عنها ساعة ننضج ونعقل .

وفي كل خطوة نخطوها يحاول المجتمع ان يسلب عنا كل ما احتفظنا به من ثروات الطفولة . ويحاول ان يعلمنا ان الخداع والقسوة هما الوسيلتان الوحيدتان كي نبلغ مآربنا . اما كل ما هو نبيل وجميل فلا يمت الى واقع الحياة بصلة .

ورغم هذا فان دماءنا تظل تصدع باناشيدها السحرية الخفاقة ، وقلوبنا لا تزال تنبض في حرارة وحماسة ، وخطواتنا تندفع وقد علت وجوهنا ابتسامة متفائلة . ونرقب من حولنا اشباحاً تجيء وتذهب في حركات آلية ، ونحن نسمع اصواتاً تنبعث من عمرنا الرابع عشر او الخامس عشر صائحة : هذا هو واقع الحياة !

ونلمح هؤلاء الواقعيين عن كثب . انهم واقعيون لانهم لم يفكروا يوماً واحداً فيمن حولهم . وهم واقعيون لانهم لم يحاولوا ان يعبروا في صدق واخلاص عن انفسهم ابداً ، وهم واقعيون لانهم وأدوا عواطفهم وذهبوا الى المواخير والقاذورات يلتمسون ان يشبعوا بقية من اجسادهم وما ادفأ الايمان ولا الاخلاص قلوبهم لحظة واحدة هذا هو الواقع لديهم ، ان تطفىء كل شعلة في نفسك ، وان تصبح انانياً ساخراً منحلاً وجشعاً : هؤلاء مرضى يمتلىء بهم مجتمع قتل فيهم ارواحهم بنظمه واساليبه ومتناقضاته ، ولم يستطيعوا ان يقاوموا طويلاً فجروا الهزيمة بحكمة زائفة كونوها حول الواقع والحياة ثم حاولوا ان يفرضوها على الآخرين .

اما نحن فنستمر في طريقنا . ومعنا كل العالقة والاقوياء . اننا لا نزال نتألم لآلام الآخرين ، ونثور ضد اللصوص والجشعين . ولم ننضم بعد الى هؤلاء المتآمرين على اخفاء الصق المشاكل بحياتنا . ولا تزال قلوبنا عامرة بالحب والايمان والاخلاص . اننا لم نهزم بعد في معركة المجتمع ولا فضلنا ذلك الجانب الآمن من الحياة . اننا لا نزال في اندفاع طفولتنا وحيويتها بنا كل ما فعلته السنون هو ما اضافته من فعل الى احلامنا ، وما صقلته بالخبرة في نفوسنا . وقد ادركنا اننا نشارك في تكوين هذا الواقع بحيث نستطيع ان نساهم فيه خيراً مما يساهم غيرنا ففهمنا واقع حياتنا لحظات حية مشتعلة ومارسنا وجودنا في عناد وتفاؤل متصلين ، ومزقنا في غير تردد ، ذلك القناع الزائف الذي حاولوا ان يضعوه للحياة منذ طفولتنا ، لنكشف عن هذه الاكذوبة الهائلة التي يشيعها حكماء مزيفون حول الواقع والحياة .

القاهرة — يوسف الشاروني

الذكرى العاشرة لامين الريحاني

بقلم البرت الريحاني

طيب الي محطة الشرق الادنى* ان القي كلمة بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة شقيقي امين الريحاني فحرت في الامر وابطأت في الجواب — وما عسى ان يقول اخ في اخيه الا على انني عدت عن هذه الحيرة حينما تذكرت بعض الحوادث في حياة امين الشخصية التي قد اكون اقرب الناس الى سردها من اي شخص سواي. فنزلت عند طلب المحطة وجئت اروي لكم بعض ما اعرف:

ولد امين الريحاني في الفريكة من لبنان سنة الف وثمانمئة وست وسبعين (١٨٧٦) وتعلم الألف باء في مدرسة دير متواضع قريب من بيته ما يزال قائماً حتى اليوم. وكانت مدارس تلك الايام في القرى اللبنانية بعهدة رجال الدين. وكانت المدرسة التي تعلم فيها امين في باحة، شبه مربع مفتوح الجانب، يجلس الصبية على مقاعدها الحجرية الملتصقة بحيطان الدير ويقف المعلم الكاهن بينهم عند مدخل المربع وبيده عصا قصيرة شبيهة بعصا اساتذة الاوركسترا اليوم. وما اقتصر الشبه بالاوركسترا على هذه العصا التي كان مفعولها مفعول السحر على هؤلاء الصغار فحسب، بل تعداه الى ثوب الكاهن الاسود كذلك والى الشكل الهندسي في الباحة كما ذكرت والى اصوات الصبية يرددون مع المعلم الالف باء خطأ او صوابا. وكلما لاحظ المعلم حركة من صبي منهم لا ترضيه او بدا عدم اهتمام لما يقول، كان يهز عصاه نحوه، واذا تكرر الحادث جازى المعلم الصبي بالفلق. فيشد رجليه الى مرس معقود الطرفين بقوس خشبية ويذيقه ضربات أليمة.

وكانت تلك الباحة التي يجتمع فيها الصبية الدرس مكشوفة للسماء. فما ان تتكبد الشمس الفلك حتى يصطلي الصبية بنارها فينتقلون والمعلم الى زيتونة تبعد عن هذه الباحة ما يقرب من ثلاثمائة متر يستظلون ظلها وينعمون بنسيم الوادي المنعش فيتملكهم الكسل واحياناً يتغلب عليهم وعلى المعلم النعاس فيغطون في نوم

●

امين الريحاني في جواز سفره الذي يحمل تواقيع ملوك وامراء العرب. وهو اول جواز يحمل هذه التواقيع



* اذيع هذا الحديث في ١٢ سبتمبر ١٩٥٠

هادىء مستكن . عالم كان بعيداً بعيداً عن عالم اليوم .

وكان بين الصبية التلاميذ صبي اكبرهم سنا من بيت شباب ، قرية تبعد الى الشرق من الفريكة نحو الكيلومترين ، رافق اميناً وصادقه في درس الالف باء . على ان هذا الرجل ما يزال أمياً وحياً يرزق يصنع الفخار ويقص على محدثيه انه علم اميناً الريحاني. اما امين الكاتب فداوم التردد على صديقه ومعلمه الفاخوري الشبابي يستعرض ذكريات الماضي فيرتاح الريحاني الى حديثه فيعتز الفاخوري به .

مرت الايام وانتقل امين من مدرسة تحت الزيتونة الى مدرسة في الفريكة كانت ارفع مقاماً واميز علماً والى معلم اشتهر فيما بعد في عالم الصحافة العربية هو المرحوم نعوم مكرزل. تقول الوالدة ، ان اميناً في هذه المدرسة بدأ يظهر حيوية على اقرانه فكثرت الشكاوى بتزقه وطيشه وكان يومئذ اميل الى الدعابة واللهو والمكابرة منه الى التلميذ المجتهد . يتسلق التوت مع الصبية في مواسم الحرير فيأكل الشاميل الناضجة العسلية ويلعب الكلال في الطرقات وينحدر مع الاولاد الى وادي القرية الذي عرفه هذا الصبي فيما بعد باسم «وادي الفريكة» ليعود بما جمع من اكواز الصنوبر والبلوط والجوز ومن عناقيد الزمزليق والقندول الاسود . وتخبرنا الوالدة كذلك ان معلمه نعوماً طلب اليهم يوماً ان يحثوا اميناً على الاجتهاد فيحفظ جيداً ما تعلمه باللغة الفرنسية ليلقيه باسم المدرسة في استقبال قنصل فرنسا الذي كان يقوم بزيارة للمنطقة .

القى امين الصبي ما تلقنه بالفرنسية في تلك الحفلة مرحباً بسعادة القنصل فكان لما القاه وقع مستحب ادى بسعادته ان يطلب من ابي امين ان يرسل الصبي الى فرنسا ليتعلم . ولكن ابا امين كان مصمما ان يرسل اميناً مع شقيقه الى الولايات المتحدة .

طوت الايام سنين جديدة على ما سبقها من حياة هذا الصبي القروي وما غيرت هذه السنون شيئاً بعد في حياته . ولد يصرف وقته بين المدرسة واللعب والمهاترة وليس هناك من دلائل التفوق فيه اللهم غير ذلك الميل الى الدعابة الذي رافقه فيما بعد وتجسد تهكما لاذعاً في شخصية امين الريحاني الكاتب .

من الفريكة القرية الوادعة في لبنان ، الجاثمة على كتف واد مهيب مسحور ، تحيط بها سلسلة من الجبال فتتعانق في الشرق منها قبالة صنين وتحت كنفه . من هذا الجو الهادىء السحري ركب امين البحار الى نيويورك وترك ايام الفريكة دون ان تترك ذكرياتها مخيلته . وما ان وصل نيويورك تلك المدينة الجبارة الصاخبة اللعوب، تلك المدينة التي تطمس الشخصيات فلا يقوى عليها الا كل جبار عنيد ، حتى تبدل ذلك الصبي فغمره الهدوء والاستهجان .

عاش امين وعمه في نيويورك اربع سنوات لم تعرف عائلته عنه شيئاً سوى ما يطمئنها به عن صحته . وبعد ذلك لحق به ابواه حيث اسس والده مخزناً تجارياً عهد الى امين بتدقيق حساباته ومساعدته في البيع . لكن اميناً ما احب التجارة حياته وبالرغم من انه كان يعمل في مخزن والده في النهار ويتعلم اللغة الانكليزية في مدرسة ليلية كان يسترق وقت العمل فيطالع احياناً في زاوية المخزن . وما ان يفاجئه والده على تلك الحال حتى يؤنبه قائلاً : دع هذا الكتاب من يدك الآن وانتبه الى عملك فلا ارغب ان اصنع منك فيلسوفاً .



غرفة امين الريحاني في الفريكة والمكتب الذي وُضع عليه معظم مؤلفاته



الاستاذ البرت الريحاني

●

انقلب كسل امين في نيويورك الى اجتهاد حـاد وانقلبت حيويته الجياشة من الطيش واللهو الى المطالعة وطلب العلم . فأخذ يكثر من قراءة شكسبير وكرليل وهكسلي ، لكنه ما كان يرتضي بشيء . هاكه يصطدم مع افراد عائلته ولا يستقر على حال ، هاكه يورط اباه في مشاكل تجارية عديدة ، هاكه ينتقد معلمه ولا يظنه يحسن التعليم فيتركه وينتقل الى مدرسة الحقوق يتعلم فيهـا سنة كاملة يرجع في نهايتها الى البيت ليخبر والده ان الشريعة ليست له فعالمها عالم مساوىء وخذلان ولا يرغب في مواصلتها .

ضج الوالد من هذا الشاب ومن عدم استقراره لا سيما عندما جاء يطلب منه مالاً ليتعلم التمثيل . فوقعت مشادة بينه وبين ابيه رفض ، على اثرها ، والده الطلب فالتحق امين خلسة بفرقة تمثيلية معروفة في الولايات المتحدة وكان ذلك حوالي سنـة الف وثمانمئة واربع تسعين (١٨٩٤) اما كيف دفع امين راتب المدرسة ، فاليك نبذة من رسالة ارسلها الى والده يخبره فيها ذلك قال .

« . . حينئذ رجعت الى البيت واخذت افكر في المسألة وما زال الفكر يزداد في رأسي لولعي بالتمثيل وحبي له . وعندمـا راجعتك ورفضت قررت ان اكتب شكاً بمبلـغ خمسين (٥٠) ريال ثم ادخلته بين الشكات التي تحتاج لتوقيعك ، فقدمته اليك وقلت في نفسي « على نية الرب » ، فوقعته وجـازت الحيلة وكان سروري بذلك عظيما وبعده اخذته الى مـدير الشركة . ارجو ان تسامحني وترسل الي خمسين (٥٠) ريالا اخرى لاجل هذه الغاية » .

ولكنه في ذلك ايضاً كان نصيبه الفشل . فما ان صرف بضعة شهور في التمثيل حتى تركه وعاد الى البيت « كثيباً يحمل كتاباً » على حد قوله ، واخذ يطالع بجشع ويكتب احياناً تحت توقيع مستعار .

تعاون الزمن وترف المدينة في نيويورك على ترسيب ثمالات هذا الشاب . وقد شاهدنا كيف كانت حياته متزجرجة لا تستقر على حال الى ان بدأ في الكتابة فوجد ضالته المنشودة . مشى يتغلغل في الادب ويطالع كتاب الفرنجة من اميركيين وانكليز وفرنسيين وكانت معرفته الاولى بالعرب بواسطة اللغة الانكليزية مما حدابه الى الرجوع الى الوطن ليتعلم لغة اجداده وكانت تلك بداية اسفاره المتواصلة بين وطنه وبين الولايات المتحدة . وفي سنة (١٩٠٠) القى الريحاني في نيويورك خطبته الاصلاحية الثورية في التساهل الديني التي كانت فاتحة رحلته الادبية في هذه الحيـاة ، فانفجرت تلك الآراء قنبلة تنسف الكثير من التقاليد والعادات الدينية فحمـل يومئذ عليه رجال الدين حملة شعواء . وكان قد نصحه والده قبل ان يلقي الخطاب بالامتناع فلم يفعل فطلب الخطاب منه ومزقه وهدده بحرق جميع كتبه اذا القاه ، فقال امين ضاحكاً او تظن ان تمزيقك للخطاب يمنعني من القائه انه ههنا — مشيراً الى رأسه بيده — ولا اتوقف عن القائه الا اذا توقف رأسي عن التفكير . عندها تبين الوالد صلابة العقيدة في ابنه .

وتمر الايام وامين الشاب مغمور بالمطالعة يتزجج بين الادب الانكليزي والادب العربي ففي الاول بدأ يحظى ببعض النجاح واخذ في الثاني يستطلع طريقه شيئاً فشيئاً الى ان وجد من نفسه ميلاً ليعمل في الحقلين .

كان امين مسرفاً في شبابه وظل كذلك فيما تبقى من حياته . انيق الملبس يحب الترف والبذخ ويهوى التردد عـلى دور التمثيل — التياترات — وكان يحلو له ان يرافقه الاصدقاء . وان يدفع المتوجب عمن يصطحبه منهم . وفي ذات يوم دعي وصديق له الى حفلة رسمية فتمنع الصديق عن الذهاب لحاجته الى لباس رسمي ، فما كان من امين الا ان اشترى له لباساً رسمياً وذهب الاثنان الى الحفلة .

وبالرغم من كل ما كان يتمتع به هـذا الشاب من البذخ والاسراف واللهو والرفاه في نيويورك ما كانت هذه ترضيه تمام الرضا فتأسره عن الرجوع الى الفريكة وما كانت الفريكة تشبع

منه هواية الأدب والفن والمدنية لتنهيه عن نيويورك التي اصبحت فيما بعد بغيضة اليه . ربطه ذلك الحب الحلو المرير وتقاسم قلبه وعقله فشطر حياته الى شطرين جعل منه رحالة تستهويه الاسفار الى ان قام برحلته العربية الفريدة التي وضع على اثرها كتابه « ملوك العرب »

وفي سنة الف وتسعمائة واربع (١٩٠٤) رجعت عائلة ريحاني من نيويورك ، وكانت قد فقدت عميدها ابا امين ، لتستوطن الفريكة . وظل امين يتنقل بين الفريكة ونيويورك طيلة حياته فبين ان ينزل ثلاث سنين في واحدة منهما يرتد فينزل ثلاثاً أخرى في الثانية وهكذا دواليك الى ان وافاه الاجل .

وان حياته في الفريكة في شبابه وكهولته واخريات ايامه ، كانت حياة مليئة بالاخبار والنوادر . حياة « غنية » بجلقات الادب والاجتماع والفن والسياسة « غنية » بعالم روحي مثالي يصعب على شخص فرد ان يرويها بجدارة وانصاف . على انني ساحاول، لضيق الوقت ، ان اروي لكم بعض ما اعرف .

ترعرع ذلك الولد من صبي لعوب الى شاب ولوع بالادب وبعده الى رجل مصلح اديب . فثار على نفسه ليصلحها اولاً وعلى عائلته ليصلحها ثانياً وعلى المجتمع اخيراً لا آخراً . ومن يقرأ الريحاني لابد ان يقرأ الاصلاح الاجتماعي في جميع ما كتب . اما اصلاحه لنفسه



امين الريحاني وسيدة اميركية

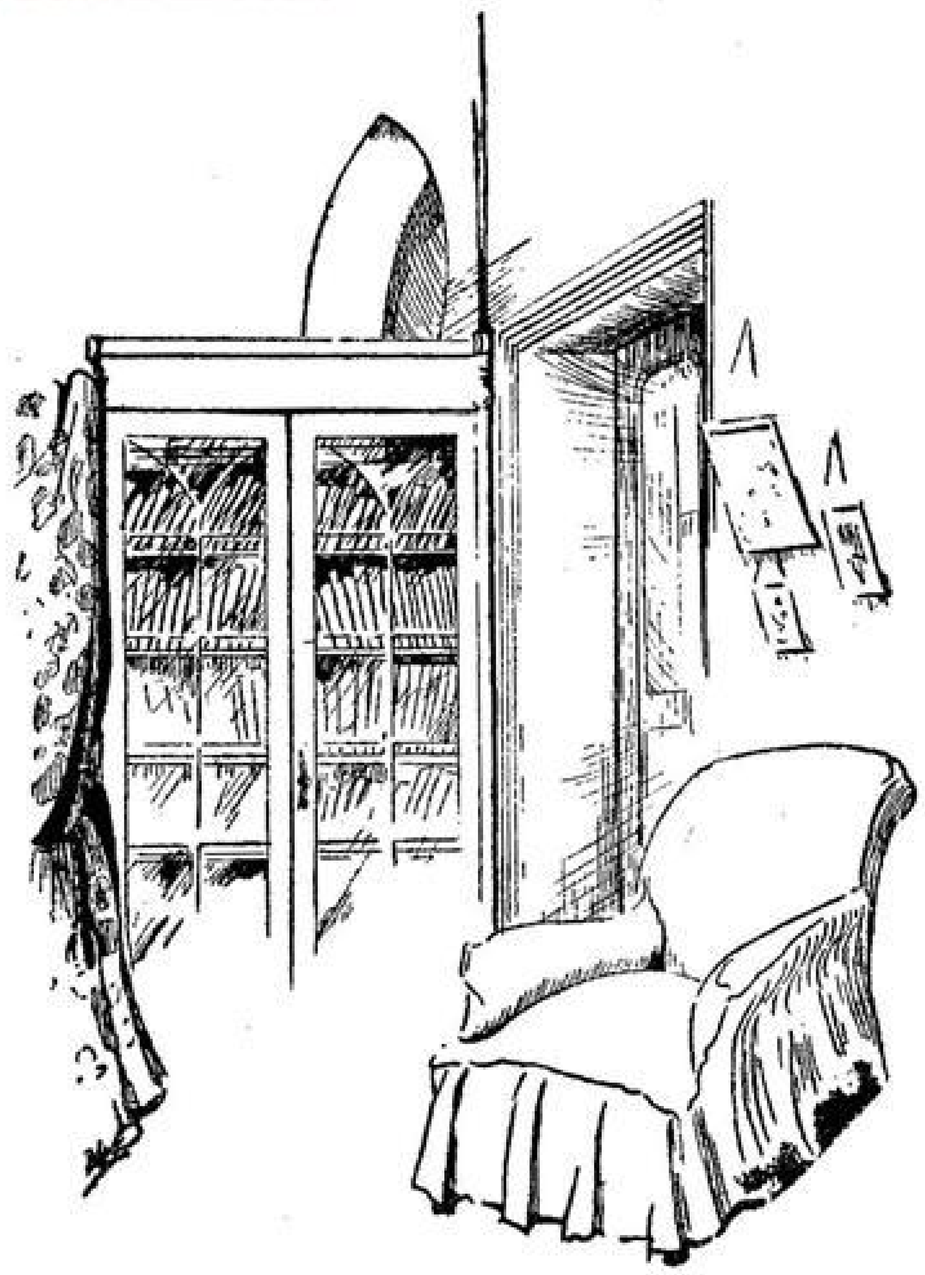
●

فكان يبدو في نواحي حياته الشخصية الخاصة، في نظامه وادارته وصدقه ، في معاملاته وحيويته وانسانيته . كان يقول ولا يحابي ولا يراوغ ويطلب ولا يمالىء ولا يتزلف . حاول ان يميت فيه جرثومة الحسد وصلابة الكبرياء وشهوة الجشع والاثرة والانانية، فنجح الى حد بعيد يعجز عنه كثير من الرجال . قل وقل جداً ان رأيت الحسد يتأكله . وما شمخ بكبرياء الا على من شك بصدقه واخلاصه وعقيدته . اما شهوة الجشع والاثرة فما تلمست لها اثراً طيلة حياتي معه . لكنه لم يوفق على ما اظن في التخلص من انانية علمه وادبه . وقد تكون تلك الظاهرة التي استدرج والده اليها لتوقيع شك بمبلغ خمسين (٥٠) ريالاً طمعاً بدرس التمثيل . قد تكون تلك الظاهرة ، ظاهرة طلب العلم باي ثمن ، رافقته طيلة حياته .

كان يغضب لامور، في نظر عموم الناس ، تافهة جداً ويتغاضى، بل لا يتحرك لامور اخرى قد تكون في نظر العامة احق بغضبه من غيرها . اليكم مثلاً هذه الحادثة :

كنت احتفظ بمجموعة من قصاصات الصحف التي كتبت عن امين الريحاني في جميع ادوار حياته وما زلت احتفظ بها حتى اليوم . ومرة اتيته ببعضها وفيها مقال شديد اللهجة جاف العبارة قاسيها يحمل عليه الكاتب باتهامات عديدة فما ان انتهى من قرائته حتى قال « سامحه الله » وردد عبارته المأثورة « قل كلمتك وامش » وعندما سألته اذا كان يجب ان احفظ هذه الجرائد المضادة، اجابني أجل ضعها جميعاً في المجموعة فالحكم بذلك للناس لا لنا .

●



الجناح الغربي من مكتبة امين الريحاني في الفريكة

غرف الريحاني بحبه الجم لوالدته . وكانت الوالدة تقية ورعة بمقتضى الطقوس الطائفية المعروفة . بينما كان امين يعمل بما يوحيه الدين ويحاول اصلاح النفس للوصول الى المثل الاعلى دون التقيد باي من هذه الطقوس. فكان صنواً لوالدته ونقيضاً لها في آن واحد. فما ان بلغت الوالدة العقد الثامن حتى خف سمعها واحياناً كان يفوتها رنين — جرس الكنيسة يدعو الناس الى القداس — صلاة الصباح — فكان اليوم الذي تتغيب فيه عن هذه الصلاة يوماً يحمل الهم والقنوط اليها . وعندما عرف امين بذلك وعدها بانه سيوقظها من ذلك الوقت فصاعداً كلما سمع جرس القداس . وبالفعل ما توانى قط عن ذلك فيما بعد . وفي ذات يوم بينما كان يوقظها صباحاً لتذهب الى القداس وبينما كنت اراقب هذا المشهد غلبتني ابتسامة لمع فيها الشك والسخرية معاً فأثارت من امين النظر ولم تفته مقاصدها . فسألني وما بالك تضحك ؟ قلت اني اعجب منك وانا اعرف من عقيدتك ما اعرف ان تغار على الوالدة هذه الغيرة وانت لا تؤمن بما هي تفعل. فأجابني وفي لهجته تأنيب : ان الوالدة يا البرت تسعد بهذه الطقوس الدينية افلا يجدر بي ، في الاقل ، ان اساعدها لتتمتع بهذه السعادة وان كنت لا اؤمن بما هي تفعل وان كانت سعادتي انا هي في الابتعاد عن المظاهر .

كانت حياته البيتية والعائلية في الفريكة حياة تقاسمها المكتب وساعات الطعام وساعة او ساعتان عند المساء في التنزه مع الطبيعة بين الاحراج والكروم وعلى الطرقات وزيارة الفلاحين والحطابين واهل القرية . وفي المساء يسهر مع العائلة حتى العاشرة او الحادية عشرة او يطالع احياناً الصحف والمجلات وما يتلقى من البريد . وكان يستظهر من محادثة الفرويين دروساً بليغة ليستمد منها كثيراً من اختبارات الحياة ومواضيعها للكتابة . فكان يستهوي الفلاحين فيحبونه حباً يقرب من الشغف وهم بدورهم يستهوونه لصدق آرائهم واختباراتهم الطبيعية . وكان يردد في المساء على مسامع العائلة ما تعلمه منهم وما استفاده بالمطالعة واقتبسه للكتابة. فيقرأ لنا احياناً ما كتبه ليستطلع رأينا بذلك . .

وبقدر ما كان شغوفاً بالناس وبغنى هذه النفس البشرية كان شغوفاً بالطبيعة ومظاهرها الخلابة . فكم من مرة استوقفني ونحن في النزهة ليلقي علي درساً او يقص قصة عن اقحوانة او زهرة عليق او وردة صغيرة صفراء تستظل صخراً جباراً او تنمو على حافة الطريق واصفاً تلك القوى الخفية فيها وذلك الانسجام البعيد الغور الذي يتناقض احياناً مع مظاهر نواحيها . ولا ينسى ان يربط ما هنالك من دواعي الشبه بينها وبين الانسان .

كم كان للقمر تأثير على نفسيته ! وكم كان للشمس من شعاع انار منه ظلمات تلك النفس الغنية . فكانت آخر كلماته وهو على فراش الموت قوله :

« سلموا لي على الشمس ».

البرت الريحاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منظر من وادي الفريكة



الوجود والخلاص

الى يوسف الشاروني

بقلم محمد عبنالي

تحاول الفلسفة الوجودية الحديثة ان تجهز على التفكير التجريدي ، وان تعبر عن الواقع الآني بانه وتر مشدود بين المادية المحضة ـ والروح الانسانية المطلقة .

ان بروميتوس الالتزام والالحاد« سارتر »، ونرسيس التجربة الجمالية ، فاليري ، ومسيح الوجود واعماقه وجاسوس مملكة النفس « جيد »، و« اوديب » الظلمات اليائسة من كل نور ومن كل خلاص ، كافكا ، هذا من ناحية . ومن الناحية المقابلة، غبرييل مارسيل، وزفايج، وهكسلي وكيرکجورد وطاغور وبرجسون ، هؤلاء المؤمنون بتفجيرات نفسية ، تكاد تكون ذرية لولا يُسر تحركها في اعماق الصيرورة النفسية حركة انسجام فلكي عجيب .

هؤلاء جميعاً ، وغيرهم من عمالقة الانسانية ، يعبرون عن الوثبة الحضارية الحديثة تعبيراً يبتعد عن التجريد قدر اقترابه من الخلاص، ويتفلت من المعطى الخارجي قدر تغلغله في مفهوم الوجود، بل في ذات الوجود .

وليست الحركة الوجودية ، بهذا المعنى ، جديدة كل الجدة. فالمسيح وجودي من نواح عدة ، اصرحها التزامه التجربة ، وتمرسه بالواقع ، وابتعاده عن روح التجريد ، ومعانقته الصليبة للالم . والحقيقة ان يسوع الناصري اشبه الاشياء بفكرة ضخمة مجردة هائلة ، احتوت ، بصفة قبلية a priori كل عناصر الوجود الخالق، وانجزت شيئاً فشيئاً حتى تركزت في اللحم والدم ، فغدت معطى فنياً جمالياً وجودياً مكتملاً ، بعد ان كانت عدماً من المطلق : فلو اقتصرت حياة الناصري على التفكير الهندسي المجرد ، والتعليم بالحرف ، او بالكلمة ، دون التجربة (اذا صح ان يوجد تعليم بدونها) لما كانت كلماته (وقد اصبحت لاهوتاً فيما بعد) سوى هيروغليفية تافهة المدلول ، على جدار التاريخ .

وكل الحركات التي نبعت من المسيحية ، او رافقتها مرافقة سفونية، وكل الرواسب الاغريقية الحضارية والنفسية،التي هاجمت المسيحية او عارضتها ، وكذلك كل (الحركات ـ الردود) التي حاولت ان تشير الى الله خارج الانسان ، أدت الى تركيز الصراع في العالم الحديث حول مشكلتي الاستتلاه والبقاء .

والواقع ان الصوفية المسيحية ، او الاسلامية ، او الوجودية المتحورة (نيتشه) هي انطواءات تستمر بمعطى تجريدي في حين انها انطلاقات نفسية الى اعماق الوجود الانساني الصرف،ذلك لان شوق الذات الى حقيقتها ، هو اكثر دلالة على الفعل الخالق ـ هدف الانسان ومعناه ـ من الفناء والتلاشي في اي خضم خارجي مجهول. القضية هي اذن قضية الوجود .

ولكن الروح ، والعقل ، والنفس ، وما وراء هذه جميعاً ، خضعت،عبر الزمان ، لتيارات عاصفة اخاذة ، نبعت من تعقيداتها الخاصة،وتفاعل الزمان والمكان والمعرفة،ففرضت المشكلة التشريعية نفسها قبل الغيبيات ، وحين جاءت الغيبيات لتحل مشاكل النفس، بدت احداث الوعي النفسي متمردة على الغيب فافترضت المثالية الاغريقية الى جانب هذا ، عالماً مثالياً فاضلاً،تلتئم اجزاؤه في اتساق خارجي، سرعان ما عمّق القضية الانسانية وعقدها واطلقها في مطلق من التعقيد حين الهب النفوس طموحاً الى الخير والحق ، وتحرقاً الى الجمال .

وهناك .. في البعيد .. كانت تجريدات الهند السلبية تفترض على افق الانسانية ، صورة النيرفانا ، وتصميم اللامبالاة الازلية.

وحرك صيرورة التاريخ ، السارية بعرضها وهدوئها ، كنهر من ضباب بطيء، موت سقراط في سبيل قضية لم يُت من قبل في سبيلها .حقاً ان سقراط فعل بالاتجاه العقلي اليوناني ،فعل ماركس بمثالية هيجل ، اى انه اخذها كما هي وقلبها رأساً على عقب ،ولكنه ظل معلماً من معلمي الوجود . فكان الارهاص بالمسيحية ، على هذا الشكل المباشر القوي ، تعبيراً عن التأوج الحضاري والنفسي

والوجودي،المنوع الالوان والاشكال والصوروالاعماق ،والمنطوي على ثنائية هي هي في الواقع بدء التاريخ الانساني .

وجاءت المسيحيةفألهت الالم الانساني والخلاص :نهائياً. بعدان حاولت الميتولوجية الاغريقية هذا التأليه ، جزئياً . فالحياة الازلية، والعودة الروحية ، والتصور اللاهوتي ، ليست في ميزان الوجود،غير الانسان، في امتداداته الروحية والنفسية،وتعميقه لآماله ورغباته، وسموه بحياته اليومية نحو الكمال .

الحياة اليومية،الخضم النفسي الداخلي الموار بالانسجام والقلق، الالوهية: هذه مراحل ثلاث تؤدي بالكائن الى الخلاص .

لانه مقدر على الكائن ان يعيش محاولة الخلاص . وفي هذه السطورتوضع ملاحظات حول الوجود والخلاص- اي قضيةالانسان.

قلت في استهلال الحديث ان الوجوديين يحاولون الاجهاز على التجريد . ليعيش الانسان ما هو الانسان . اي الماهية في اندفاعها الى المستقبل والآن في انثياله « الفاوستي » المبدع ، وهم يجهدون ليعيش الانسان خلقه الجمالي كأكمل ما يتاح للرعشة الفردية ، اذ تفاجىء الجمال باللحظة الآنية،وتثبت الحلم في اعماقه،ببهر من الشعاع وتخلد الشكل المكاني بالضوء الخافت،ضوء الانسجام والخلاص.

واذا كان النضال الطبقي نضالا خارجياً ، غريباً على الجمالية والخلق ، بعيداً عن الصوفية والتأمل ، مجرداً من اية شحنة روحية او امكانية هندسية حية ، واذا صح ان نفصل الصراع في سبيل البقاء المادي عن الصراع في سبيل المثل الخيرة ، وجدنا ان معركة العالم اليوم ليست معركة بين المادية التاريخية والمثالية الديموقراطية ، بل هي صراع الانسان المستأله ، ضد الوحش ، ضد الآلة. او اذا شئت فسمها معركة عهدين متقاربين، من عهود التطور النفساني، فرقت بينهما الثنائية القدرية ، والصدف ، والمكان ، كل هذه الآفات الطبيعية التي يعانيها الفرد، ويختنق تحت كابوسها المجتمع. وماذا فعل الوجوديون في سبيل الخلاص؟ انهم لم ينفوا العلم كحقيقة خارجية ، او التجربة الرياضية كضابط كوزمولوجي، او الاخلاق كوازع نفساني ، بل انكروا على العلم سيطرته على الحياة الداخلية النفسية،واردوا للتجربة معطى روحياً صرفاً،وشاؤوا الاخلاق صادقة لا تحجر الخارج والماوراء، ابتغاء خنق النفس بهما وتكبيل الوجود.

واريد اذهب هنا الى ان قضية الخلاص هي قضية الوجود. وان العلم والتجربة الخارجية ، والمدنية الآلية ، والحدث التاريخي الزمني كائناً ماكان ، لا يمس الخلاص من قريب او بعيد. فالوجودية لم تدّع تنظيم الكون وهندسة العالم كما حاول «باكون» و«كونت» و« كانت ». والانسان (وليسمح لي هذه المرة ان اعبر تجريدياً في سياق ما يعد نفياً واستبعاداً للتجريد) اقول ان الانسان لا يزال يمسك، بصفة قبلية ، بمقدراته النفسية والروحية على الاقل، وهذا الامل هو طريقنا الى التحرر والانعتاق في صعيد الفعل الانساني الحر ، والبنيان الحضاري الواعي. ان تطور الاخلاق لم يتناسب مع تطور الآلة والمادة والاستقطاب العلمي – اذا صح التعبير – وان نظرية الكم Quantas وتفجير الذرة ، نقلا المسألة العلمية ، كما يقول لويس دى بروجلي، الى ميدان ميتافيزي ، ايجابي ، فاعل ، مخيف ؛ بمعنى ان طاقة المادة ، وتحريرها ،فيه دليل على سيطرة التراكيب المادية على الروح نفسها . خاصة اذا نُظر الى المسألة نظرة حسابية بعيدة ، تتصور ، وجودياً امتدادات العلم الحديث وتناهي وسائله وآلاته .

ولكن التيارات الفكرية العالمية تتساوق ، رغم هذا كله ، وتسري في شبه غيبوبة وجودية تتسم بالوان الخلاص الواعي ، وحرارة الايمان بالقيم الانسانية، وتتصل اول ما تتصل بتيارالنفوس الانسانية الموحد ، المنصب في الالوهية الايجابية .

اننا لا نستطيع ان نعيش التاريخ ولا ان نخلق الزمن . فالجبر الآني من مقدرات النفس البشرية وفي مصارعته والتغلب عليه ، او محاولة التغلب عليه، تتركز بطولاتها الجمالية ومعيشتها الله، كل الله ، مهما انسطح مصيرها ، وارعشه هدير الآلة وفي هذا الصراع قصة « اوديب » و« هوميروس »و« مارك أوريل » ، وفيه تستبين بطولات باسكال وأينشتين وغاندي. ومن اجله كان الصراع الجمالي بين الاساليب،المنطوي على صراع انساني آخر، فغنى اورفيوس وناحت صافو ، ولها النواسي ، وارعد المتنبي ، وتفرد المعري واغرب بودلير وتحرر .

وبالخلاص، اي بان نعيش وجودنا وتناقضاته، بجرأة وبساطة، تتغلب الذات على الموضوع ، ويرتفع العلاق الروحي من القبزم الفيزيولوجي والتجريدي ويُحي التزوير المُعاش ، والقلق المجدب والتحويم البابلي ، في صفحة كانت مسودة بدبيب « شهورش » ، فاصبحت مشرقة بطغراء المصير المترف الغني .

فاذا اتيح للتجربة الوجودية ان تنجح ، اختفت ابالسة المادة وآلات الشر ، وسحب الخوف وغابات الحماقة ، لتشع شمس النفس الازلية،الفائحة بقلق الازهار، وسريان العبير، وانثيال الآن . هذه الشمس هي شمس الخلاص في الوجود ، شمس الانسان.

محمد عيناني

المسلول

ما لهذا الشاكي من الإعياء وهو في روعة الصبا والرواء
يستثير الاهواء بالأنى الفاتن في ذاته، وبالازدهاء
ويكاد الفضاء يغني عن البدر باشراق وجهه الوضاء

***

ما لهُ — بعد بشره — مكفهراً في روابي « المدينة الخضراء »
لم يزده « لبنان » غير انين وحنين لارضه وبكاء
انشب السل فيه ظفراً ونابا من رأى الذئب فاتكاً بالشاء
واستمرت معاول الهدم فيه تتوالى فانهدّ اقوى بناء
يتلوى من طول صحبة آلام، ومن طول فكرة سوداء
تتلاقى أجفانه ذابلات لا على رقدة ولا إغفاء
كم طوى الليل شاكياً للدراري ان سيغدو مصباحه لانطفاء
فمضى يستغيث بالطب آناً بعد آن من شر داء عياء
وعليه طغى التشاؤم حتى بات لم ينتظر سوى الانطواء
كان يرجو له الشفاء ولكن قطع اليأس عنه حبل الرجاء
عجزت عن شفاه معجزة الطب ولم تغن حكمة الحكماء
شربته الحمى دماً فهو كالنبعة عنها قد جف مجرى الماء
أهزلته فمن رآه، رآه شبحاً اودعوه طي رداء
يتلاشى فكل نفثة صدر هي جزء منه مضى للفناء

يستدر الحنان من كل قلب لضحايا « البلية الحمراء »

***

ليس يجديه ان « لبنان » زاهي الارض، زاهي الهضاب، زاهي السماء
الصباح المضفي الاشعة والانوار داج كالليلة الظلماء
والنسيم البليل ما هبَّ الا شب ناراً تؤج في الاحشاء
والعيون التي تجارى تجاري الدمع يهمي عن دمية وطفاء
والنوادي المغردات يراها كالقبور الكئيبة الخرساء
والفضاء الرحيب اضيق في عينيه من صدر صاعد في الفضاء
والوجوه الصباح تجتاز كالاشباح سوداً امام عين الرائي
والحياة الملأى جمالا يراها اذ يراها كموسم شوهاء

***

لا تشوقُ الحياةُ من لم تذقه غير طعم الخطوب والارزاء
بخلت بالهنا عليه، ولكن بالمآسي وافته ذات سخاء
كل يوم بـه يمر يريه كيف تعدو أيامه لانتهاء
فيجيل العين الكليلة في الاتراب من حوله وفي الاصدقاء
نظراتٌ بصمتها قائلات : الوداع الوداع يا رفقائي
إنما نفسي التي خلتموها قطرات فوق الثرى من دمائي
ليس الا يوماً — اذا سمح الدهر — وجودي ما بينكم وبقائي
ما سني العشرون الا جهاد في حياة مرت مرور الهباء
فانثروا الدمع لا الرياحين حولي انه خير ذكريات الوفاء
واذا قدّس الشهادة قوم فاذكروني في موكب الشهداء
وقفوا وقفة الخشوع على قبري، وقولوا اذا أردتم رثائي
يا لهذا النجم الذي اتخذ القبر بديلاً من افقه اللانهائي
عاش في ميعة الصبا ليس يدري غير ما ناب نفسه من بلاء
عاش كالعاثين في لجج النعمى ولكنه من الفقراء
عاش والداء في صراع زماناً ثم امسى مستسلماً للداء
وقضى لم تصبه الا سهام الفقر والجهل لا سهام القضاء

***

فليَعِ القائمون بالامر اصوات الوف من أنفس الابرياء
وليصونوا اضعافهم عن وهادي الجهل والجوع والضنى والشقاء
وليخفّوا — متى أرادوا صلاحاً — لتلافي اوضاعنا الرعناء
وليجيدوا الاصغاء سمعاً وقلباً لنداء اعظم به من نداء
ليس الا صوت الملايين تعليه نفوس الكتاب والشعراء

نزيل لبنان : حماة — محمود الحبوبي

تبنة الجبل اقوى من الموت

بقلم مظفر سلطانه

ارابت

الى شجرة التين ، تنبت في الجبل الاجرد ، والارض حزن ، والصخور كوالح ولا ماء يرويها ، ولا ظل يحميها . . ولكنها تناضل وتكافح وتصمد وتعيش .

هكذا التقيت بهيفاء على غير موعد من الدهر ، وهكذا غا حبنا اليتيم، يقاوم الاحداث المصمتة ، ويقتات بالحرمان المريد، ويحيا كأخصب وأعنف ما تكون الحياة .

كنت طبيباً معروفاً حسن الاحدوثة ، حاذقاً في علاج الحميات والامراض الخبيثة ، وكنت قد جاوزت الاربعين ، والشباب قد ولى ، والرأس قد اشتعل شيباً ساخراً .

وكنت زوجاً لسيدة وقور ودود استطاعت ان تظفر بمودتي واحترامي على مر الايام ولكنها لم تستطع ان تظفر بحبي في ذات يوم . . واباً لستة اولاد حسان كبراهم قد تسامت على السادسة عشرة ، وصغيرهم ما يزال يحبو نحو الثانية .

وكان الحب قد اختفى من حياتي القفر كما تختفي المياه تحت الرمال لا لتضمحل وتفقد . . ولكن لتجتمع وتتربص . . حتى اقبلت هيفاء بشبابها الريان ، ووجهها الطفل ، وبسمتها الرؤوم فانبجست المياه الحبيسة دفعة واحدة وبكل عزم السنين الخوالي فاذا هي نبع دافق زاخر واذا انا استجيب للحب الجائح كتلميذ شاعر واذا القلب يندفع مع الفيض اللجب كزورق خفيف بغير مجذاف ولا شراع .

في عام ١٩٤٧ كانت البلاد تخوض غمار حرب ضروس مع عدو لدود ما تتطامن شروره ولا يغب عدوانه ، وكانت الحميات قد انتشرت واستحكمت وكاد امرها يستفحل ويعز على الجهد الجهيد وكان وزير الصحة عامذاك زميلاً لي في المدرسة الثانوية والجامعية، وما كان منه الا ان زارني في عيادتي ذات يوم، واقتلعني منها اقتلاعاً ، وندبني الى رئاسة قسم الحميات في اكبر مستشفى من مشافي العاصمة ، ولم يقبل لي في رفض هذا المنصب حجة ولا عذرا .

وقال زميلي رئيس المستشفى وهو يهديني الى القسم وفروعه واطبائه وممرضيه .

— وستجد في الآنسة (هيفاء) خير معين لك في مهمتك الشاقة يا صديقي .

والتفت على غير اهتمام ، فاذا هيفاء امامي بكل مفاتنها الحالمة وحسنها الفريد واذا الحب الكامل ينبثق في اعماقي على غير موعد كصورة رائعة اختطفها صاحبها الفنان الملهم اختطافاً فجاءت آية باهرة من آيات الفن والابداع .

واسبلت هيفاء اجفانها الوطف على عينين ساجيتين روّع صفاءهما البعيد ظل من البنفسج عابر ، وقالت بصوت عميق كأنه تلاوة في صلاة .

— ارجو ان اوفق الى مساعدة النطاسي الشهير في مهمته الانسانية المجيدة .

واوحي الى ان فصلاً خاملاً من فصول حياتي الرتيبة قد انتهى ، وان فصلاً عامراً من فصولها القليلة الباقية قد بدأ .

واقبلت على عملي المرهق في المستشفى بهمة لا تعرف الوهن ، مستعيناً بمساعدتي الخطيرة — كما كنت انعتها . .

ما احتاج الامر الى مساعدة ومشاركة وما كنت اطلبها الا الامر الجلل ، ولا اسألها الا المسألة المبرمة . ثم اخذت احاول البعد عنها كلما احسست اللهفة الى القرب منها . . ولكنني كنت كمن يدور في حلقة مفرغة اولها هي وآخرها هي . . وما كنت في



جهادي للابتعاد عنها الا كمن يحاول ان يطفىء الضرم بالكحول ، وكنت منها كالطفل الذي تعاقبه امه فياوذ بها منها .. وكنت اذا حاولت الهرب منها وجدتني جاداً في البحث عنها . . وكدت افقد اتزاني وجلدي، فأقبلت افكر في وسيلة حاسمة انهي بها هذه المهزلة الطريفة، أحشر فيها واسخر لها، بعد ان بعُدَ العهد وفات الاوان.

وكانت هيفاء خفيفة رشيقة مدهشة ، تتحرك كالخاطر وتخطو كالنسمة وتقترب كالطيف ولا تكاد تلمحها هنا حتى تراها هناك. دائبة مخلصة كالنحلة الامينة حياتها ابداً سعي وخير . .

وكانت ذكية المعية تغنيها اللفظة عن الجملة واللمحة عن اللفظة، فاذا ما جئت تقص عليها قصة او مشهداً او حادثاً اوحى اليك نور عينيها الحلو الباسل انها تعرفه من قبل ان تقوله .

وكنت لا افكر في قضاء امر عارض الا رأيتها الى جانبي تنجزه او انجزته . وكأنها كانت اطوع من يدي في الحركة ، واسرع من عيني للنظرة وكأنها كانت في قرارة النفس على اي حال فيكون لها منها الحس والرأي والمضاء. وكنت استنكر بل انكر انها كانت تحبني وتبادلني حباً بهيام على الرغم من الاماثر والبشائر، وعلى الرغم من النظرات المختلسة والشحوب الملح، وما كنت المحه في عينيها الساجيتين من ومضات روح حسير يرف ولا يطير . .

وشد ما كان يروعني منها ومني انها كانت تشبه ابنتي الكبرى في بعض اللفتات واللمحات ، وفي دلها الحلو وحمقها الفاتن . . فهل احبها واذعن ؟

اجل سأحبها وسأكرس حياتي لهذا الحب العظيم ولكن كابنتي الغالية سواء بسواء .

وكنا في ذات مساء نعمل صامتين ولكن كل شيء بيننا يتحدث ويبين .

وطفح الكيل ووهن الصبر ، وبلغت الروح مداها ، فقلت اسائلها وانا لا انظر اليها بصوت مبهم كصوت النار يدمدم في الموقد في هدأة من الليل .

— وماذا بعد . . بحق السما..

فردت علي وهي لا تنظر الي بصوت كرجع الصدى .

— كما كان قبل .

فقلت في تهكم محنق :

— فأين يرسو هذا الزورق التائه فيما تعلمين ؟ .

فردت باللهجة ذاتها وهي لا تنظر الي ولكنها كانت تراني جيداً كما كنت اراها جيداً ردت تقول مطمئنة :

— اذا عز الموئل ، وتوفر الزاد، وواتت الريح . . فسيان الماء واليابسة .

— ولكن لا بد له من مرفأ وملاذ بالتالي. ام هل تزعمين ان زورقاً امضى حياته عبر البحار ؟

— اذا انقضت الرحلة كما يرجى لها ان تنقضي فسيان قاع البحر والمرفأ الامين .. فكلاهما لو عقلنا مرفأ وكلاهما غاية .

فخلعت القناع ، وقذفت به بعيداً ، وقلت محتداً كما لو كنت انهرها :

— ولكن لا تنسي يا فتاتي انني رجل قد شارف الخمسين ، وانت طفلة في حدود العشرين ، واني كهل بل شيخ منزوف العزم والرجاء . ولي ستة اولاد كبراهم في مثل سنك وحمقك، ولي زوج بريئة اذا كنت لا احبها فاني احترمها واكبرها بكل ما في نفسي من ايمان . . واللبيب من يقدر موضع خطوته .

فقالت في حزم وايمان :

— اما انك كهل او شيخ او عجوز فهذا يخص دائرة النفوس اكثر مما يخصني . . وما كان لك ان تعلمني كيف ارى الاشياء. كما تعلمني كيف اتصرف اذا جاوزت حرارة المريض الاربعين . واما زوجك واولادك فلن اقاسمهم شيئاً ولن اسألك معهم امرا .

وان الموقد العامر ليصطلي به القريب والبعيد، كل بقدر معلوم. .

فقلت متحدياً : — لو كنت القريب افكنت تبيحين للبعيد ما تبيحين له الساعة ؟ !

— فقالت في مثل ثقتي ويقيني .

— بحسب الجدول النمير ان يروي ظمأ اللاغب الهيمان، ثم لا ضير، بل الحق ان يشرب منه الجميع . . وليست السرقة ان تمد يدك الى رغيف جارك فتختلسه فحسب ، بل السرقة ان تمنع جارك الجائع رغيفاً زاد عن حاجتك !

— اي بنيتي الطيبة اذا كنت قد نجحت في مغالطة نفسك ، فما كان لك ان تنجحي في مغالطتي انا الذي اكاد ارد الى ارذل العمر وانك لن تعرفي الحق حق معرفته حتى يكون لك . . وهذا مزلق خطر لا بد الا ان نحيد عنه والا فما اخشى ان اكون انا اول المتردين فيه . . .

— حقاً . . فما كان لي ان احضك على امر ، وما كان لك ان تكفني عن صنيع . . الحياة وهم عريق وكلنا يدعي الهدى لاوهامه . . . اما انا فلا اسميه حباً ، ولكنني اسميه ايماناً . . . فهل يكف مؤمن عن ايمانه ؟ . . .

— بلى . . اذا كان العابد طفلاً غريراً . . وكان المعبود الهاً من خشب منخور . . .

***

وخشيت (دائرة الافتاء) الماهرة التي تعشش في نفس كل انسان ان تفعل فعلتها . . . ولم اتردد ، وزرت الوزير الصديق في ضحى اليوم التالي في مكتبه ، وسألته حازماً ان ينقل عملي الى احدى المحافظات النائية قائلاً :

— وما مقامي هنا وحمى « التيفوئيد » تفتك ثمة بالجند والناس فتكاً وتحصدهم حصداً ؟ . . .

فقال الوزير وهو يحتويني باحدى ذراعيه متوددا :

«يا عزيزي المخلص» . . ما عليك الا ان تقترح وما علينا الا ان ننفذ، وليبارك الله في غدوك ورواحك وحلك وارتحالك . ولم اخرج من مكتب الوزير الا وقرار النقل في يدي ، ولم اشأ ان اعرج على المستشفى فأسلم عملي فيه الى ربه . ولتحسب تلك هفوة مني ، او غلطة ، او جريمة . . . على ان لا اعود الى المستشفى وأرى عيني هيفاء الضارعتين، وشفتيها المرتعدتين في انتظار الثمرة التي ازهرت دوحتها وما كان لها ان تثمر وعدت الى المنزل عجلان وحشرت بعض المتاع في احدى الحقائب، وأنبأت زوجي المتسائلة في دهشة ان الاخلاص للمهنة والوطن جميعاً يقتضيني ان امضي بضعة اسابيع في محافظة (. . .) التي تئن تحت وطأة الحمى الخبيثة والداء العضال ، وغادرت العاصمة الى مقر عملي الجديد مهرولاً كمن يفر من دار مهجورة تعمرها الاقزام والاشباح . ونجوت . . .

ولحقت بعملي الجديد بهمة اقوى وعزيمة امضى . لان عدو الخائف الهارب اسرع من عدوه وهو خلي آمن . . .

ووجدت الحال كما قدرت لها ان تكون فالداء منتشر ، والضحايا كثيرة . . . ولقد اطمأن بي العمل والاعوان والاخوان بعد ايام الا مساعدتي رئيسة الممرضات، فقد كانت حروناً حقوداً شرسة وكانت تتنكر لكل رأي يخالف رأيها ، ولا ترى السداد الا فيما تقول وتفعل . . .

وانشأت تعارضني انا نفسي في امور وتوصيات فنية حري بمن يخالفها في هذا الظرف العصيب ان يعرض صحة الناس بل حياتهم للخطر المحتم والموت المحقق . . . واصطلحت عليها الشكاوى والملاحظات ، فكتبت الى الوزارة اطلب الاستبدال بها على عجل وانا اتساءل أأكون قد كرهت هذه المخلوقة كل هذا الكره المستعجل لانها كانت وزميلتها السابقة على طرفي نقيض ؟ . . .

ثم اعود فأجد امثلة جديدة من فسادها وافسادها فأطمئن الى ان الضمير الحي الذي نجوت به من بلدي وعملي وقلبي انما هو حي سليم كريم كما كنت اعهده . فاقرأ واهدأ . . . واتفانى في العمل وفي التضحية . . . علي ّ ابرأ من خبل الذكرى الملح الذي كان، وما يزال ، ولن يبرح ، يعارضني ويداورني ويأخذ علي كل سبيل . . .

وبعد ايام تناهى الي ان المساعدة الجديدة قد وصلت ، وان المساعدة القديمة قد تولت فلم التق الى ذلك كبير بال . . فان هي الا ايام او اسابيع ويشفى المرضى والطبيب جميعاً، واستقيل من منصبي واعود الى عيادتي وبيتي واخواني وكأن ما حدث لم يكن الا حلماً مروعاً مر وانقضى كما تمر وتنقضي الاحلام .

وادخلت علي الممرضة الجديدة ، ورفعت رأسي ذاهلاً لارى هيفاء امامي بكل شحوبها الجبيب ونحولها الاليم . . فلم ادر ماذا اصنع وأخذت وبهت ولم اجد لساني لاقول به شيئاً ، وقالت هيفاء بصوت ساخر خافت بعد ان ابتعد الممرض الذي قدمها الي :

— الكرة الجيدة يا سيدي الفاضل تسمتد نشاط عودها من نشاط دفعها . . ولو جربت ان تهرب مني ثانية لرأيتني اتبع اليك من ظلك واقرب اليك مما انا الساعة .

قالت هذا وهي تخلع معطفها وشملتها وتسوي شعرها كأنها تعود من نزهة قصيرة !

فقلت في غيظ مصطنع فضحه الفرح الغامر : — ولكن فعلتك هذه يا بنيتي حماقة كبرى ما اخالها ستبلغك غرضاً او تنفعك في شيء .

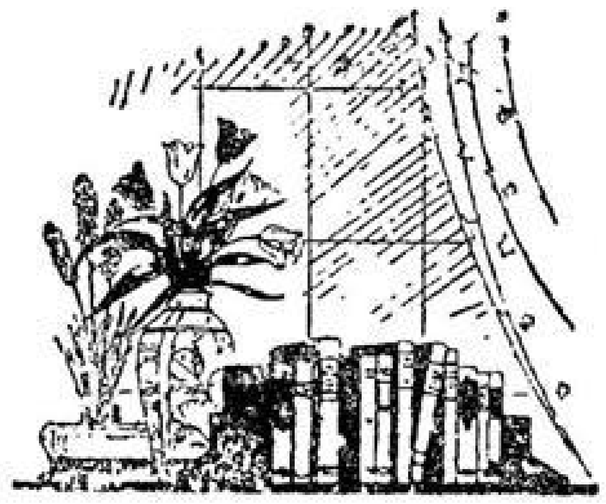
فقالت على الفور وبأسلوبها الجازم الحاسم الذي يعني مايقول .

— بل العيش بغير ايمان هو الحماقة الكبرى التي ما بعدها حماقة . . وفيم يعيش احدنا . يومه كأمسه وغده كيومه وحياته تنقضي كمجموعة التقويم تنثر اوراقها واحدة اثر اخرى ببله فاجع ! بل فيم نمنع من الحب وقد اعطينا كل التزوع اليه والقدرة عليه . . ولعله السر في حياتنا المروعة اذا كان لا بد لهذه الحياة من سر تفسر به وتطمئن اليه . . وبعد فانني ما انتظرت شهراً بطوله ، وبأيامه البطيئات ولياليه البليدات ، وما قطعت هذه الاميال السحيقة اليك لاسمع حكمك الغالية ومواعظك الثمينة .

والآن فهل لك ان تتكرم فتدلني على عملي او تتكرم فتدلني على من يدلني عليه .

***

وغبرت ايام ، وكنت كمن يكاد يقتله الظمأ والكأس الروية



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ Direct. : 92 - 47 / المنزل : ٣٧ – ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت – لبنان

تحنو على ثغره المحموم ، او كحاجز خشبي تعمل فيه يد الوهن وتلح عليه عزمات السيل . . وانبعث القلب المحروم يطالب بدينه القديم كغريم معسر ، وكانت عينا هيفاء تتوسلان وشفتاها تنتظران واتخذت الخواطر والصور والاشياء جميعاً صورتها وفكرتها ومعناها . . وما انا اول جائر او تائه او ضال فاستسلمت وسلمت .

واشعت بين الخلص من الصحب والاعوان ان خصاماً مستحكماً كان قد نشأ بيني وبين زوجي ، وان قدومي هذه المحافظة كان بسببه وان زواجي من هيفاء حاجة ملحة وضرورة لازمة ، واقتصرت في حفلة الزفاف على نفر معدود من الصحب والاعوان ، وبنيت بها ودخلتها جنة شهية الجنى عبقرية القطاف ولكن أتراني كنت قد أرحت واسترحت ؟ وهل هدأ بي المقام واطمأنت الحال .

ان هيفاء قلقة والهة لا تستقر ولا تهدأ . وما اكثر ما كنت انتبه في هدأة الليل على تنهداتها الحارة ودموعها السواجم تذرفها بصمت حزين يقطع نياط القلوب . . وكنت اسائلها وألح عليها ، وانهرها ، فلا تجيب ، او تجيب الاجابة المبهمة التي تريد الامر قلقاً وريباً .

ثم بدا لها ان تصارحني بدخيلة نفسها في ذات ليلة فقالت ودموعها تلسع وجنتي وعفتي

انا خائفة . . خائفة الى حد الموت . . فاحمني من نفسي اتوسل اليك . .

فقلت اطمئنها واواسيها . وفيم الخوف . . ومم تخافين ايتها الحمقاء الظافرة .

— لعلك لا تجهل ان فرط السعادة يخيف كما لا يخيف فرط الشقاء . . اني اخافك ، واخاف على نفسي ، واخاف عليك من نفسي . . انه الخوف ثم الخوف . . كنت اخاف ان لا اظفر بسعادتي المروعة سعادة العمر اما الآن فانني اخاف ان افقدها بعد ان ظفرت بها .

ثم قالت بغتة وبصوتها الخافت الواثق المؤمن : انني احس بانني سأموت ، وعما قريب . . . لا تسخر مني بربك ان قلبي لم يكذبني قط .

فقلت مداعباً وانا انتزع من بين شدقي ضحكة مغتصبة :

— وانا سأموت ايضاً . . . وستموت جارتنا العجوز الثرثارة التي تضيقين بها ، وستموت قطة الصيدلي الجميلة التي تحبينها . . . وسيموت اناس آخرون لا اذكرهم الساعة ، وسنموت كلنا لزاماً ولكن ليس الآن بالضبط ، بل حين يحم القضاء ويدنو الاجل . . فنامي الآن ملء عينيك يا عزيزتي الحمقاء الخائفة . . . وسنبحث في

صبيحة الغد مشكلة موتك هذه وما مداها من المنطق والحق .

ثم استتليت محاولا ان ابعد عن خيالها الخصب هذه الصور القاتمة .

— بم تشبهين حبنا يا هيفاء وقد ناضل وكافح ، واستمات فعاش؟

فقالت بصوت شجي لا اخال صداه سيفنى من مسمعي ولو عمرت الف عام والابد بطوله :

— انه يتيم مسكين ظفر بالثوب الجديد ليلة العيد بعد برح يأس وطول انتظار . .

فقلت بصوت حالم ، والوسن يعود فيداعب جفني بأنامله الساحرة .

— بل انه بشجرة التين الشديدة المراس اشبه ، تنبت على سفح الجبل الاجرد ، والارض حزن والصخور عوابس ولا ماء يرويها ولا ظل يحميها . . ولكنها تناضل وتكافح وتصمد وتعيش انها تستحق الحياة لانها قاومت الموت .

فقالت لمياء بالصوت الشجي العميق ذاته .

— ولكن افتراها تنتصر عليه ؟ . . ومن ذا الذي اعطى الخلود كاملاً فتعطي هي بعضه ؟ .

***

حقاً وما كان لقلب هيفاء العظيم ان يكذبها قط . . فقد اصيبت بعد شهر وبعض مثله من زواجنا بالحمى الخبيثة التي كنا نغالبها فنغلبها معاً . . وطارت النفس شعاعاً ومزق القلب بددا . . ولم اترك علاجاً ولا كتاباً ولا طريقة ولا مشورة طبيب او غير طبيب الا اتبعتها وجربتها وسهرت عليها ولكن دون جدوى ولا غناء .

وفي اصيل ذات يوم حقنتها الحقنة الاخيرة الفاصلة وانا اغمغم !

— انا الله . . اله حقاً ولكنني لست اكثر من إله مصنوع من خشب منخور ، والا لكنت املك لهذه المسكينة شفاء او املاً .

ولبثت انتظر النتيجة الرهيبة كمن ينظر اجله لا اجل مريض حبيب بين يديه . وفتحت هيفاء عينيها العميقتين كأنهما تطلان على عالم آخر وقالت بصوت لا يكاد يبين :

— لم يكن بدعاً بكاء اليتيم المسكين ليلة العيد فقد جاءوا ينتزعون منه الثوب الجديد صبيحة يوم العيد نفسه . . وراحت في غيبوبة بعيدة اسلمتها الى منيتها الراصدة بعد دقائق .

وتشاء الظروف الماهرة التي لهت بابداع هذه المهزلة الفاجعة حيناً من الزمن ان يفتح باب الغرفة وتدخل زوجي قادمة لساعتها من السفر ، وتقترب بوجه جهم فيه صدى كالح لكل ما جاء في كتبي القليلة اليها من غش وتضليل ولكنها ما تكاد تلمح الصبية المسجاة على الفراش الناصع ، وما تكاد تحس جمد الموت الخانق يهيمن على جو الغرفة حتى تهدأ وتنكمش . . كالموجة الصاخبة تقبل محنقة مزبدة ، ثم ما تكاد تدنو من الشاطىء الحليم حتى تقر وتهدأ . .

وتبعث هيفاء الى مقرها الاخير وقد شل الحزن الفادح لساني عن النطق وعيني عن الدمع ، وخاطري عن الحركة . . وعدت مع زوجي الى العاصمة في اليوم ذاته وقد تركت البيت الصغير الذي انشته على عجل الى صديق لي يبيعه او يهبه او يحرقه او يفعل به ما يشاء على ان لا يكتب الي في امره .

واضافت زوجي مكرمة جلى الى مكرماتها السالفة فلم تشر الى الموضوع بكلمة . وعدت الى عيادتي واطفالي ومعارفي . كمن يعود من سفر بعيد اثر حادث فاضح واقبلت على عملي من جديد كشبح مبهم تسوقه قوة العادة والاستمرار . وفي ذات مساء وبينما انا وحدي في العيادة وقد انفض المرضى ولم يبق الا الممرض يهوم على احد المقاعد تذكرت غلافاً صغيراً كانت هيفاء قد استودعتنيه وهي في ساعاتها الاخيرة ففتحته بلهفة فاذا فيه مذكراتها الوجيزة كتبتها بخطها الانيق منذ اليوم الاول الذي التقينا فيه حتى اليوم الذي سقطت فيه اسيرة الحمى طريحة الفراش وقرأت المذكرات العجلى على عجل ، وحينذاك فقط ادركت اي حب عظيم كانت تكنه لي هذه الشهيدة الغالية . واي خوف قاصم كان يعصف بقلبها الملهم ضنا بسعادتها الغالية .

ولمحت بين الاوراق ورقة عليها رسوم فتبينتها فاذا منظر معروف لسفح جبل اجرد والارض حزن والصخور عوابس ، وتينة الجبل قد ارتفعت في هذا الجو الشحيح تصارع الانواء وتناضل الحرمان وتنتزع الحياة من يد الطبيعة الضنينة انتزاعاً وقد كتبت تحتها بخطها الحبيب « تينة الجبل » اقوى من الموت . . .

اي بنيتي الشهيدة . لقد كان الموت اقوى مني ومنك واويلتاه .

ولكن حبك كان اقوى من الحياة واقوى من الموت . . واذا كانت الارض قد استرجعتك الى احضانها القاسية فذلك شأنها تلك المرابية الازلية الخالدة التي تعطينا كل شيء لتأخذنا بالتالي وتأخذ منا كل شيء . .

وقمت فأغلقت العيادة ، ومضيت هائماً على وجهي كثور الساقية يدور ويدور وليس يدري اين المبدأ ولا اين المصير .

درعا - سوريا

مظفر سلطانه

يـأس

جثت .. تسترق قلوب التلال .. وتنحر ادمعهـا في التراب
وتستف في الرمل لفح الهجـير .. وتنزع مجنونة للسراب
وتصرخ من فجة البائسين : لقد طال يا رب .. هذا العذاب.!

فأصغت لهـا كل سوسانة ... قضت مثلها في ربيع الشباب
جراح العبير على كأسهـا ... مضرجـة وحشةً واكتئاب
وأحلام عالمهـا في الثرى ... تراتيل ترجي الصدى في خراب
وصاحت بها يا ابنة الخالدين ... منال الخلود برهن الصعاب
بنا مثل مـا بك من ضجة ... وفينا كما فيك هذا المصاب
عبرنا الحيـاة وقلنا لها . ... لنا المثل الطاهرات الثياب
فلمـا زهونا بهـا عفة ... تردت بنا في جحود التراب.

***

فقامت تلم بقـايا القوى ... على هيكل مضمحل الاهاب
وتسحب انغامها النـازفات ... وتقلع خطوتهـا باغتصاب
الى ان محاها شفيف الفضاء ... واغرت هداها الفيافي الرحاب
تساقط ثورتها في الرمـاد ... وتعشو بصيرتها في الضباب
وقد جمد الكون في نبضها ... وغاض الجمـال بقفر يباب

***

وأين مضت في غيوم الظلام ؟ الى الخلد . ؟لا .. بل سحيق التباب
..مصير الذي فجّ في نفسها ... مغاور يأس عتيّ الرغـاب
تسائل عن ذاتها في القبور ... فتهتف ديدانهـا بالجواب
ومن حولها .. كل ما حولها ... ضجيج ضياع . وصمت غياب

عدنه — لطفي جعفر اسامه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النزعة الانسانية في الادب العربي الحديث

بقلم صالح جواد الطعمة

ليس أحرى من الشرق ، بحمل هذا المشعل

نعم .. ليس احرى من الشرق ، مكان ، يشرق فيه الادب الانساني ، الدين الثاني للبشرية ، فيذيع النور المستمد من تعاليمه السابقة « ليقف من جماح الغرب المعتز بعقله ، لان من يرقص حول البركان ، لا يأمن ان يجرفه البركان .. وهذا الادب يقوم على محبة للحياة مطلقة ، ومحبة للانسانية بدون تقسيم ».

لقد آن لنا ان نلجأ الى الادب ، بعد فشل السياسة، لخلق عالم جديد ، يشيع فيه الامن والسلام والطمأنينة . ويعيش ابناؤه احراراً سعداء ،في ظلال ما يشيع فيه، من امن وسلام وطمأنينة.

ولعل الاستاذ خليل هنداوي لم يعد الصواب في مقاله « هل ينقذ الادب الانسانية[1]؟ » عندما قال « ان الذي يتأمل في ادب ما قبل هذه الحرب يدرك اي دور مثله على مسارح الامم المختلفة. فأدب الامم الديمقراطية يذود عن الديمقراطية ويدافع عن حرية الفرد بما في وسعه ان يدافع ، والادب القومي جعل الهاب الشعور القومي غايته ، والادب الانساني الذي يتجرد من كل هذه العوامل، عوامل الزمان والمكان ، والذي يعانق الانسانية من اقصاها الى اقصاها على اختلاف نزعاتها ، قد طغت عليه الازمات القومية والاجتماعية التي زادت الهوة — ما بين الامم — اتساعاً ، وهل كان الادب في الدكتاتوريات الا ادباً ، ضيق الفسحة ، قريب الغاية ، سليب الحرية لان اصحابه جعلوا منه وسيلة للدعاية القومية، والسياسة القومية تهيج ارواح الشعوب بهذه الفقاقيع العاطفية التي ذهب ضحيتها شعوب وبيوت ومدن ، معتمدين ان الادب ذو رسالة قومية قبل كل شيء ، ولكن بئست الرسالة القومية القائمة ، على التناحر والانانية اذا لم تستمد روحها من الرسالة الانسانية ».

(١) مجلة « الاديب » البيروتية – تشرين الثاني ١٩٤٥

وأنا ، كانسان له حرية الرأي ، لا انكر الادب القومي ،ان يدعو الى تحرير الامة ، وتوجيهها الى ما فيه الخير والهناءة والحرية وان يخلق جيلاً جديداً له من الايمان بحق الحياة الحرة السعيدة ، ما يجعله قادراً على الدفاع عن اعز حق له في حياته .

لا . انا لا انكر هذا الادب القومي ، بل اعترف اننا بأمس الحاجة اليه ، في هذه المرحلة الخطيرة التي يمر بها الوطن العربي الاكبر، من مشرقه الى مغربه ، . انا لا انكر هذا الادب لانني أومن بانه ادب انساني يريد ان يحرر امة من قيود ، وينقذ شعوباً بريئة ، من شقاء وعذاب .

ولم يخطىء الاستاذ خليل هنداوي، حينما ذهب الى ان الادباء الانسانيين انفسهم الذين بشروا بالدعوة الانسانية ، والادب الانساني ، هم قوميون قبل ان يكونوا انسانيين ، لان الذي لا يتاح له ان يحس بآلام شعبه الذي هو من دمه ولحمه، لجدير به الا يحس بآلام الانسانية . ولكن هؤلاء الادباء القوميين الانسانيين ، لم يشاءوا يوماً ما ، ان يسعدوا شعوبهم على شقاء العالم. بل احبوا لشعوب العالم ما احبوا لشعوبهم ، لانهم يؤمنون بانه ليس من سعادة لانسان ، على شقاء انسان آخر .. ولانهم يؤمنون ، بأن الآلام التي يعانيها شعب في اقصى الشرق ، تشع على الشعوب في الغرب اسى وآلاماً .

نحن بحاجة ماسة الى ادب انساني ، يبتغي سلامة العالم وخيره وسعادته ويدعو الى المحبة المتبادلة بين شعوبه ، والالفة التي تربط الشعوب ربطاً قوياً .

وقد حاول الاستاذ عيسى ابراهيم الناعوري[2] ان يحدد بعض التحديد المعنى الذي نقصد اليه بلفظ « النزعة الانسانية»، فيما يلي :

(٢) الاديب شباط ١٩٤٦

«نشر المبادىء السامية، والمثل العليا بين الناس بالدعوة الى الاخاء الانساني العام، ومحاربة النظم التي تباعد بين الانسان واخيه الانسان والعمل على خلق مجتمع انساني امثل، يسوده العدل والرحمة والمحبة والاخوة الصادقة».

ولعلنا لا نضل السبيل، ان جعلنا ينبوع هذه الانسانية الثر، الادب المهجري، وقد لا يكون وجود النزعة الانسانية في هذا الادب، باعثاً على الاستغراب لان اخواننا المهجريين عاشوا في مجتمع عالمي يستقبل افراده من مختلف انحاء العالم، فيجب ان تسوده المساواة والعدالة ليتحقق الانسجام بين هذه القوميات المختلفة والاديان المتباينة.. فكان لزاماً ان يبعث أدب، يتغنى به كل لسان، ويرتاح اليه قراؤه، من كل لون بشري، ودين وقد يكون الاستاذ سلامه موسى على شيء كبير من الصواب حينما يذهب الى ان «الانسان لا يمكن ان يعد اديباً في الطبقة الاولى، في مثل هذه الظروف العالمية، ما لم تتجاوز همومه وطنه، الى البشر كافة.. لان الادب كالدين يجب ان يتجاوز الحدود الوطنية»[1].

وقد وجدنا من ادبائنا المهجريين، «ايليا ابو ماضي» يحاول ان يشيع التفاؤل في قرائه ويدخل الطمأنينة الى نفوسهم المتألمة، وما احوجنا، ونحن في غمرات الالم والتشاؤم والاضطراب، الى من يعيد لانفسنا الثقة بها، والتفاؤل امام مآسي الحياة ومشاكلها.. والشعور بالطمأنينة الآمنة:

أحلم الناس في الحياة اناس عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه لا تخف ان يزول حتى يزولا

ويقول ايضاً:

أنت للارض اولاً واخيرا كنت ملكاً او كنت عبدا ذليلا
كل نجم الى الافول ولكن آفة النجم ان يخاف الافولا(٢)

واسمعه في قصيدته «كم تشتكي؟»، كيف يحاول ان يخلق جواً يسوده المرح والسعادة ليواسي هذا الشاكي:

كم تشتكي وتقول انك معدم والارض ملكك والسما والانجم
ولك الحقول وزهرها وأريجها ونسيمها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة والشمس فوقك عسجد يتضرم

***

هشت لك الدنيا فحالك واجماً وتبسمت، فعلام لا تتبسم
ان كنت خسرانا لعز قد مضى هيهات يرجعه اليك تندّم
او كنت تشفق من حلول مصيبة هيهات ينفع ان يحلّ تجهم
او كنت جاوزت الشباب فلا تقل شاخ الزمان، فانه لا يهرم
انظر فما زالت تطلّ من الثرى صور تكاد لحسنها تتكلم
ما بين اشجار كأن غصونها ايد تصفق تارة وتسلم

حتى يقول:

صورٌ وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يبسم
فامش بعقلك فوقها متفهماً ان الملاحة ملك من يتفهم
اتزور روحك جنة فتفوتها كيما تزورك بالظنون جهنم
وترى الحقيقة هيكلاً متجسدا فتعافها لوساوس تتوهم ؟!

ارأيت كيف يحاول ان يواسي هذا المجروح المتألم، فيخفف عنه وطأة الجرح والالم.. لان الشكوى لا تعيد اليه راحة، بل تزيد في الطين بلة، كما يقولون.. واصغ اليه في قصيدة «ابتسم»:

قال: السماء كئيبة ؟ وتجهما قلت: ابتسم، يكفي التجهم في السما
قال: الصبى ولى! فقلت له ابتسم لن يرجع الاسف الصبى المنصرما
قال: العدى حولي علت صيحاتهم أأسرّ والاعداء حولي في الحمى؟!
قلت: ابتسم لم يطلبوك بذمهم لو لم تكن منهم أجلّ واعظما
قال الليالي جرعتني علقماً قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما،
فلعل غيرك ان رآك مرنّماً طرح الكآبة جانباً وترنما!

اية انسانية في هذا البيت الاخير: «فلعل غيرك..» يحمل على اعجاب بالغ لم يعبر عنه «الناعوري»[2] فقط. بل هو تعبير الملايين من البشر المتطلعين الى الاساة.

وفي رائعته «الطين» ثورة انسانية خالدة، على هؤلاء المتكبرين الذين يضعون اصابعهم في آذانهم، لئلا يسمعوا أنات الاشقياء، ونواح المعذبين:

نسي الطين، ساعة، أنه طين حقير، فصال تيهاً وعربد
وكسا الخزّ جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد!
يا اخي، لا تقل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد
انت لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد

***

انت مثلي، يبش وجهك للنعمى، وفي حالة المصيبة تكمد
أدموعي خل ودمعك شهد وبكائي ذل ونوحك سؤدد ؟!
فلك واحد يظل كلينا حار طرفي به وطرفك ارمد
قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد

ثم انظر الى هذه السخرية الجميلة بكبرياء الاثرياء:

الك القصر دونك الحرس الشاكي، ومن حوله الجدار المشيّد
فامنع الليل ان يمد رواقاً فوقه والضباب ان يتلبد
وانظر النور كيف يدخل لا يطلب إذناً، فاله ليس يطرد ؟!

اي كبرياء جوفاء، يزيح «ابو ماضي» عنها الستار ؟! انه يمضي، على هذه الشاكلة، في قصيدته الطويلة «الطين»، بيديه المعول، يهدم شموخ المتغطرسين.

ولك ان تمعن في هذا الخلق النبيل، الذي تعبر عنه قصيدته «انا» لا سيما حين يقول:

يأبى فؤادي ان يميل الى الاذى حب الاذية من طباع العقرب

(١) التجديد في الادب الانجليزي الحديث (سلامه ص ٧٦)
(٢) ايليا ابو ماضي (نجدة فتحي صفوة) ص ٨٠
(٣) الاديب شباط ١٩٦٦

ليَ ان ارد مساءة بمساءة لو انني ارضى ببرق خلّب
حسب المسيء شعوره ومقاله في سره : يا ليتني لم اذنب
اني اذا نزل البلاء بصاحبي دافعت عنه بناجذي وبمخلبي
وشددت ساعده الضعيف بساعدي وسترت منكبه العري بمنكبي
وارى مساوئه كأني لا ارى ، ورأى محاسنه وان لم تكتب
والوم نفسي قبله ان اخطأت واذا اساء الي ، لم اتعتب !

ما انبلك يا ابا ماضي! انك تأبى ان تؤذي أخاك، الانسان، لان الاذى من شأن من لا يملك من الانسانية شيئاً ! ثم لا تكتفي بهذا ، بل تعرض اعراضاً تاماً عن رد الاساءة الى صاحبها ، لانك مؤمن بان ردك لا يؤثر فيه قدر ما يترك فيه اعراضك من تأثير يؤلمه ويؤنبه ، فلا يعود الى الاساءة من جديد ! .

ما احوجنا يا ابا ماضي الى ناس يعترفون بفضائل اصدقائهم ومحاسنهم قبل اعدائهم ، ولكنك تأبى ان تكون من هؤلاء الناس فقط ، بل تطمح الى ابعد من هذا ، الى ان تغض النظر عن مساوىء الناس وان كنت تراها واضحة جلية . . وبعدئذ ماذا ؟ تحطم هذا الغرور الاجوف الذي يدفع الانسان الى انكار سيئاته وعدم الاعتراف بها . . فتلوم نفسك — ما انبلها ! — ان اخطأت !

***

ولو قرأت « الحكاية الازلية » — وهي قصيدة طويلة لايليا ابي ماضي — وجدت كيف يحاول ان يجعل حديث ابطالها، حديثاً انسانياً سامياً ، يسترعي انتباه القارئين المتمعنين فيه . . وهذا شأن حملة الرسالات يعكسون عناصر رسالاتهم ، فيما يكتبون . . وهل الانسانية الرفيعة الا عنصر متين من عناصر رسالة «ابي ماضي» الشعرية ؟ ! فتأملها في حديث هذه « الجارية » التي تمثل دوراً من ادوار القصيدة المذكورة :

وسكتت ، فصاحت الجاريه باكية من بؤسها شاكيه
ذنبي الى هذا الورى خلقتي فهل انا المجرمة الجانيه ؟ !
ان اخطأ الخزاف في جبله الطين ، فأي ذنب للآنيه ؟ !
اليس من يسخر بي يزدري بالقوة الموجدة الباريه ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى فللجمال الرتبة العالية
وبات من اسجد قدامه صاغرة ، يسجد قدامیه
فانني في ملأ ظالم احكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر وفيه من يغفر للزانيه !

ما اقساكا ! حقاً ان حياتنا لا تقوم الا على المنفعة ، بل على الانانية بصورة اخرى ، فنحب الحسناء لحسنها فقط ، ونكره القبيحة البريئة لقبحها فقط ، متجاهلين الفرق بين الحسن والحسناء ، والقبح والقبيحة ، فالحسن في حد ذاته يستحق الاعجاب والتقدير ، اما الحسناء فليست، كالحسن ، يلزم تقديرها والاعجاب بها ، ما لم تتوفر فيها عناصر جديرة بالتقدير والاعجاب .

والقبيحة البريئة، كم تلاقي من الكره والاعراض، والسخرية، وهي لم تجن اثماً ، ولم تكن على القبح راضية ، انما خلقت ، على هذه الصورة ، وليس لها من يد في هذا الخلق حتى تقابل بما اعتدنا ان نقابلها به .

فلا غرابة بعد هذا ، ان تثور جارية « ابي ماضي »هذه الثورة التي آن ان تطوح بالظلم البشري .

ثم ماذا ؟ . . هذا الصعلوك . . حتى صعلوك ابي ماضي قد تعلم منه انسانيته ، وتهذب على يديه تهذيباً سامياً يغبط عليه ، فاستمع اليه كيف يغني :

واقبل الصعلوك مسترحماً في مقلتيه شبح البأس
يصرخ يا رباه حتى متى تحكم الموسر في نفسي
وتضع التاج على رأسه وتضع الشوك على رأسي
ويشرب اللذات من كأسه واجرع الغصات من كأسي
وتنجلي الشهب في ليله ضاحكة كالغيد في عرس
ويتوارى في ضاري ، السنى او يتبدى حانق الشمس
يا رب لا تنقله عن انسه واغنا انقلني الى الانس

ارأيت الى هذه الانسانية الرفيعة ، الواضحة في دعاء البيت الاخير ؟! ان هذا الصعلوك لا يدعو ربه ان ينقل الموسر عن أنسه، بل ان يمد له مثل اسبابه .

ونكتفي بهذا الحد من انسانية ابي ماضي ، لننتقل الى زميل آخر . . من المهجريين ، الشاعر « نسيب عريضة » ، لنبصر هذه

La Grande Revue des Connaissances Médicales

GUERIR

•

Publie chaque mois 20 Articles
Abondamment illustrées

Demandez GUÉRIR à Votre marchand de journaux habituel

•

A défaut, écrivez à :

GUÉRIR 49, Avenue d'Iéna, Paris France
et vous recevrez gratuitement un Numéro spécimen - de la part de « AL ADIB »

Abonnement : 800 frs par an (12 Numéros)

الثورة الهادئة على هؤلاء الذين يحبون نضير الزهور ، ويعرضون عن الزهرة الذابلة :

لماذا نحب نضير الزهور ولا نعشق الزهرة الذابلة ؟
اعدلا نود الحياة بها وننسى معانيها الزائلة ؟ !

اية التفاتة رائعة الى هذا الحب الخادع الذي نوليه لتلك الزهور العاطرة ، حتى اذا ما امتصصنا رحيقها المسحور ، تركناها تحت اقدامنا ، ذابلة . . لا نعيرها حباً لاننا اعتدنا ان نحب متى ما وجدنا في المحبوب ما يفيدنا . او ليس هذا الحب هو « الانانية » وهو « الاثرة » الممقوتة ؟! ثم الا ترى معي في سؤال « عريضة » « اعدلا نود الحياة بها وننسى معانيها الزائلة ؟ » دعوة الى الايثار الانساني ؟!

لنصغ اليه يستمر في ثورته الهادئة :

لماذا نود ابتسام الثغور ونعرض عن دمعة هاطلة ؟
لماذا دموع الفقير تسيل وعنها عيون الورى غافلة ؟
تمر الرياح فتعرض عنها وترمقها الشمس كالجاهلة
وان هطلت دمعة للندى تعانقها النبتة الماثلة
وتبدي لها الشمس والريح عطفاً كمشوقة في الحشا نازلة ؟

وهكذا ترى كيف يحاول « عريضة » ان يصور لنا الظلم والانانية في نفوس البشر ، ابشع تصوير ، لعل في بشاعة هذا التصوير ما يرد الانانيين والظالمين ، عن انانيتهم وظلمهم !

وفي قصيدته « الشاعر » يحدد لنا الشاعر الانساني الذي نريده في غمرات المحن والآلام :

ايها الشاعر الالهي انشد لصفاة يرون فيك الكرامة
عن فقير يموت جوعاً واخفوا عنه في مخزن الغني طعامه
عن قيود حقيرة ضاع فيها عيش بؤس ، فما عليها علامه
عن قلوب كسيرة ، حاملوها سئموا العيش ، خيبة وندامه
عن شجاع بالحق جاهر قوماً فأهانوه وابتغوا اعدامه
عن سجون ، مدافن للكرامة عن قصور ، مواخر للاثمه
عن قيود ، شرائع كاذبات هي في الحق للفساد دعامه

وتلمح هذه الانسانية الرائعة في شعر « ندرة حداد » ، شاعر آخر من شعراء المهجر ، عندما يقول في قصيدة « سر معي [1] » :

وسأرضى خبزك الاسود ، في الحب ، وملحك
وسأنسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك
وارى ليلك ليلي وارى صبحي صبحك
واذا اخطأت نحوى فأنا الطالب صفحك !

أرأيت هذا الانسان الذي يخنق أنينه الصاعد ، من جرح قلبه عندما يلمح أخاه مجروحاً . . كي لا يزيد جراح اخيه ! وكيف يأبى الا ان يشاركه آلام اخيه ما دامت هنالك آلام . . ثم يريد منه ان يشترك معه في افراحه ؟

ويقرر في قصيدته « يا نفس » ان :

لا تفرح النفس الكريمة ان رأت اخاً حزينة
فابكي مع الباكي ، ومدي للضعيف يد المعونة

وفي قصيدته « بعد ان تنطوي خيام العشيرة [2] » نحس بعطفه ورحمته ، تجاه الفقير ، ونحس بثورة على هذا البخيل الذي يمر بالفقير خطفاً ، ولا يبسط له كفاً ، حينما يسأل نفسه ان لا تذم ميوله وشعوره . . لانه بلا وجدان ، فما جدوى الذم ؟ !

ان رأيت الفقير يجتر ضعفاً سائلاً من مر ، عوناً وعطفا
ورأيت البخيل يجتاز خطفاً لا يبالي وليس يبسط كفا
لا تذمي ميوله وشعوره
فهو بلا وجدان !
ان رأيت الفقير اضناه جوعه وتوارى من الهموم هجوعه
وانحنى ظهره أسى وضلوعه ومن السقم ، انكرته ربوعه
شاركيه بدمعة مستورة
من قلبك الريان

ووصية ازجاها الى ابنه وليم ، لا زلت اشعر بصداها الخالد يتردد في مسمعي ، ويرددها ثغري بكل اعجاب وتقدير :

كن دواء في الورى اياك ان تغدو داء

وتلفت ندرة حداد — طيب الله ثراه — الى عالمه ، فلم يجد للمحبة أثراً بارزاً ، في نفوس ابناء هذا العالم ، فعبر عن هذه الخيبة في قصيدته « الحب دين الله » :

ما اجمل الدنيا لو ان يبوعها تبنى بلا عمد ولا اطناب
تبنى من الحب الذي لا يشتكي اصحابه من مالك او جابي
الحب دين الله فليك ديننا في كل كارثة وكل مصاب
فاليت ان نأت المحبة ساعة عنه ، غدا بيتاً بلا ابواب
لا تسألوني من حبيبي بينكم فجميعكم ان تسألوا احبابي

ولم يكتف شاعرنا بهذا التعبير عن خيبته ، بل سخط على هذا المجتمع البشري ، وآثر ان يتجه الى الغاب « حيث الظباء ترعى ، وحيث الطير تعلو الشجر » لينشد ما لم يجده عند الناس . . انه الحب . . ولم يعش في حذر ، بين ارجاء ذلك الغاب . . فليس فيه انسان حتى يجد في صحبته كل الحذر ، ولم يتق اخطار الغاب ، لان الخطر حيث كان الناس . . فعثر على ما كان ينشده — في اخوانه البشر — عثر على الحب في البهم فتمنى لو كنا كالنمل او كالطير او كالبقر . . ولندع ندرة — نفسه — يحدثنا عن الغاب في قصيدته « ويدعونه الحب » :

فتشت في الناس على ضائع عرفته بالسمع لا بالنظر
يدعونه الحب وكم جاهل مثلي يظن الحب بين البشر

(١) اوراق الخريف — ديوان ندرة حداد — ص ١٧

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢

فتشت عنه طول عمري فلم اجد له في الناس ادنى اثر
فرحت نحو الغاب حيث الظبا ترعى، وحيث الطير تعلو الشجر
انشد ما في الناس قد فاتني كعاشق ينشد خـلا هجر
لا حذرا امشي ، فاني ارى من صحبة الانسان، كل الحذر
لا اتقي اخطارها عالماً بأن حيث الناس حيث الخطر
فجلت فيما بينها مدة عرفت ما قد كان عني استتر
الحب ، في البهم، جلياً يرى والحب فينا لا يراه البصر
فقلت في نفسي الا ليتنا كالنحل او كالطير او كالبقر

ويحسن بنا ، ونحن على نهاية هذا الموضوع ، ان نتطرق الى الدكتور اسحق موسى الحسيني ، صاحب « مذكرات دجاجة » فاننا لنجد دجاجته تؤمن بالانسانية ايماناً حاراً ، وتدعو اليها دعوة خالصة[1] .

« . . . وفيما انا افكر واحاور نفسي ، اذ جاء زوجنا اليّ ، واخذ يسرني في اذني حبه لي، واعجابه بي دون سائر زوجاته ، ولم يسعني الا ان ابادله حباً بحب ، وعطفاً بعطف واعجاباً باعجاب ، ووجود هذا الزوج الصالح العطوف المحب هو من سواق القدر، ولكني بعد ان تبادلنا التحيات فكرت في سائر زوجاته ، ترى ينعمن بحبه كما انعم ؟ ايسمعن منه كما اسمع ؟ ام هن محرومات السرور والبهجة؟ فان كان الامر الاول، فلا بد ان يكون زوجي بارعاً في ادارة بيته ومعاملة زوجاته . . قلت بارعاً ، لاني لا احب ان اقول مداهناً او منافقاً . . وان كان الامر الثاني فما اشقاني بشقائهن وما احزنني بحزنهن »

أرأيت ! انها لتشقى شقاء عميقاً ، ان كان زوجها يحبها وحدها فقط ، ويميزها من الاهتمام البالغ والاعجاب العظيم ، ما يجعلها تمتاز به عن سائر زوجاته .

انه لأمر عجيب حقاً ان تفكر فيهن ، وهي في غمرة النعيم الذي يسبغه زوجها عليها ، وان تنعته بالبراعة في ادارة بيته ومعاملة زوجاته ، ان كانت معاملته معها لا تختلف عن معاملتهن . . وهناك امر اكثر عجباً انه ليس هذا التفكير في سائر زوجاته ، بل هـذا الشقاء والحزن اللذان تريدهما لنفسها ان كن شقيات حزانى !.

والدكتور الحسيني يحاول ان يحدد الانسانية في هذا التعريف للعقل الذي تعرفه دجاجته حين تقول[2] :

« ان العقل منحة عظيمة، ولكن العاقل ان تجرد من الخلق فعقله كالعدم، والعكس بالعكس اما الاشعاع فشأنه واضح من الاضواء . . . فضوء يشع لمسافة ميل، وضوء يشع لمسافة بضعة اميال . . وضوء يشع لمسافة اميال كثيرة، فالعاقل العظيم الخلق هو فاضل بنفسه ولنفسه ، ولكنه يقاس في نظري باشعاعه ، فان كان يفيد أسرته فهو نوع، وان كان يفيد عشيرته فهو نوع آخر، وان كان يفيد امته فهو نوع ثالث ، وان كان يفيد الامم المجاورة فهو نوع رابع ، وان كان يفيد الخلق جميعاً بـلا استثناء فهو اشرف الانواع وافضلها . . »

(١) مذكرات دجاجة ص١٧ . (٢) ص ١١٨

ولا حاجة الى بيان الانسانية وتحديده لها ، في هذه الفقرة ، فانت تراها في العبارة الاخيرة منها، رؤية واضحة . . انها الاشعاع الذي يفيد الخلق جميعاً بلا استثناء !

وفي العبارتين التاليتين تلمح عناصر الانسانية من عدل ومساواة ومحبة وتعاون وحق وسلام . . فالدجاجة تقول[1] :

« . . لقد رأت اختنا بعين البصيرة ان شفاء اسرتها يمكن ان يحسم، قالت : وما سبيل ذلك ؟ قلت : ان نعود اليها ونشر فيها المبادىء السامية، فلا ينبغي ان توجد بقعة في هذه الدنيا محرومة من العدل والمساواة والمحبة والتعاون . . » وتقول في موضع آخر[2] : ان الحياة هبة غالية من الله، ولكنها تنقلب الى ارخص قيمة حينما تبذل في سبيل مرضاة الله ، ومرضاة الله لن تكون الا بنشر العدل والحق والسلام بين جميع المخلوقات . . »

ارأيت الى دفقات الانسانية القوية في هذا الهتاف المقدس « لا ينبغي ان توجد بقعة في هذه الدنيا محرومة من العدل والمساواة والمحبة والتعاون » . . كم نحن بحاجة الى دعاة يؤمنون بهذا الحق من حقوق الانسان !

ثم انظر الى دفاع هذه الدجاجة عن الازاهير الملونة، من حمراء وصفراء وسوداء، وكيف تلقم بثورتها المباركة، اوجه هؤلاء الذين يفترضون الاختلاف والتمايز بين الالوان البشرية :

« واسترعى لون شقائق النعمان الاحمر والاسود نظر آخر من الاعزاء فأطال النظر فيها وقال لي: اماه كيف اجتمع الاحمر والاسود في زهرة واحدة ، الا يفاخر احدهما الآخر؟ قلت : اني لاعجب لكم ايها الاعزاء كيف تفترضون الاختلاف والخصام في كل شيء تقع عليه عيونكم . . كأنكم تفترضونها امراً طبيعياً لا مفر منه . . ان الطبيعة ايها الاعزاء، اعلى واسمى من ان تخضع جميع مخلوقاتها لهذا النظر الضيق . . انها لا تميز ما تنبت، فجميع الاحياء، على وجهها، متساوون، فليس الاسود بأعز من الاحمر، والابيض بأحب اليها من الاصفر، وهي قد نوعت عن قصد ، فلم تحاول اساءة فهمها وتأويله شر تاويل؟ قال : وما القصد ؟ قلت : القصد ارضاء المشيئة الالهية في رؤية الخلق على اجمل وابدع نظام . . فلو جاء لون الازاهير واحداً وشكلها واحدا لانعدم الجمال فيها ، ولكانت الحياة مملة منفرة . . »(3)

وبعد ، فهذا نموذج صالح للاعتزاز بانسانية الادب العربي ، وايماء الى ينابيع الانسانية المجهولة ، في غمرات النزاع والاعتداء الآثمين .

لقد آن لكم ايها الادباء الانسانيون، ان تنموا المثل الانسانية السامية ، والمبادىء المخلصة للبشرية المعذبة ، لعلكم تنقذونها من هاوية الظلم والاعتداء على ابنائها المتعبين الابرياء . . وتبعثون عهداً سعيداً حراً ، تسوده الطمأنينة في ظلال الخير والمحبة والسلام . .

كربلاء - العراق — صالح جواد الطعمة

(١) مذكرات دجاجة ص١٠٤ (٢) ص١٣٠ (٣) ص١٣٨ ـ ١٣٩

روسو في اواخر ايامه

●

هيا بنا ، في مطلع هذا الخريف الجميل ، الى رحلة ممتعة ، وتستيقظ فيها اعز ذكرياتنا الادبية وأحلاها . ولنرافق « المركيز دي سيجور » في زيارته « لارمانوفيل» البلدة الصغيرة التي لجأ اليها جان جاك روسو في اواخر ايامه . وفيها مات ودفن :

***

تفتح ابواب قصر « شاليس » الفخم الجميل ، للجمهور ، في مطلع كل ربيع . ولا يتناسى جمهور الزائرين انها زيارتهم بالحج الى اجمل الاماكن ، واشدها رومانتيكية وروعة ، واعني بها تلك «الصحراء» الغناء ، ارض العزلة ، التي اعتزل فيها روسو ، الناس والمجتمع ، وشمسه تقارب المغيب .

هنا قضى صاحب « اميل » « وهيلوئيز الجديدة » آخر لحظاته واهنأها واحفلها بالسكون والدعة ، في اطار طبيعي ، كأنه خلق ليرضى عنه روسو الذي طالما تعذب في حياته وتشرد في البلاد .

في عشرين مايو ، سنة ١٧٧٨ ، وصل روسو الى ناحية شاليس هذه ، في صباح ربيعي صاف ، وحل ضيفاً على المركيز «دي جيراردان» الذي خصص له جناحاً في قصر شاليس ، من ناحية مشرفة على ارمانوفيل .

ولا شك ان صورة صديق روسو الاخير هذا ، ستخلد في التاريخ ، بنبلها ، وعمقها ، وحرارتها . فرينيه دي جيراردان لم يكن نبيلاً عادياً ، بل عالماً وفيلسوفاً وروحانياً ، ذاعت شهرته في طول البلاد الاوروبية وعرضها .

وهو أحد ابناء النبلاء تجول كثيراً في مطلع حياته في اوروبا ومارس حياة البذخ والترف والرحلات . وطوف في البلاد ثم مل هذه الحياة وركن الى بلدة ارمانوفيل . وكان يملك هناك قصراً قديماً حوله بمهارته وفنه الهندي الدقيق الجميل الى قصر يتلألأ بالجمال والروعة . وقد تتلمذ « جيراردان » على كتب روسو (قبل ان يتعرف اليه شخصياً) وحاول ان يطبق نظريات استاذه ، «ويعود الى الطبيعة» ، فاذا بالقصر القديم ، يتحول الى جنائن طبيعية ملتفة الارواح ، عميقة الظلال ، برية الازهار والاعشاب ، قل ان يوجد لها في فرنسا مثيل .

وكان اجمل ما في مغاني القصر ، ناحية مخضوضرة منعزلة ، فيها كوخ صغير ، وضمة من اشجار السرو والحور ، على جزيرة مدورة الشكل ، تتوسط غديراً صافياً .

في هذا القصر عاش جيراردان مع اولاده الفتيان والفتيات . عيشة اقرب الى الطبيعة والجمال والاستقرار .

فكيف لا يروق مكان كهذا لروسو ؟ فقد حدث ان تعرف جيراردان الى الكاتب العظيم الذي طالما قرأ له وتتلمذ عليه واعجب به . ودعاه الى قصر شاليس . وكان ذلك سنة ١٦٧٦ .

واحس روسو ، بعد مضي عامين ، من حياة باريسية صاخبة مضطربة ، بالتعب والكلال ، خاصة وقد نضبت موارده ، وناصبه الدهر العداء . فولى وجهه شطر القصر الهادىء الجميل .

وكان وصول « روسو » الى القصر مؤثراً . اذ هاجه مرأى « الارواح الطاهرة ، الخالية من الغبار والدخان » ، فارتمى بين ذراعي تلميذه « جيراردان » ينتحب من الوجد والفرح . وقال « روسو » وهو يشرق بدمعه :

آه يا صديقي : رغبت منذ زمن طويل في المجيء الى هنا . وها انا اصل وكل شيء يدل على انني سأقضي هنا بقية عمري .

وراح روسو يحيا حياة جديدة . كلها نشاط وتجدد . فينام مع الغروب ، وينهض مع

ايام روسو الاخيرة في ارمانوفيل



الفجر، ويخرج للنزهة في المروج والغابات. وحيداً في اكثر الاحيان، وتصاحبه احياناً زوجته « تيريز ».

وكان روسو يتردد على ناحية كثيرة الشجر والمياه، تدعى « حديقة كلارنس » فيجلس على صخرة مشرفة، يلقي فتات الخبز لاسماك، الحوض، وعصافير السماء.

وفي هذه الناحية البرية، كان يستقبل ضيوفه القادمين من مختلف البلاد الاوروبية.

وكان يبدو سعيداً هانئاً يمازح جميع اهل القصر. ويقص على الاطفال منهم قصصاً مضحكة مسلية. ويعزف على « المنجيرة » او « الربابة » الحاناً قروية مطربة. او يخوض الغدير المتسع، بزورق صغير اعد للطواف بين جنباته المزهرة.

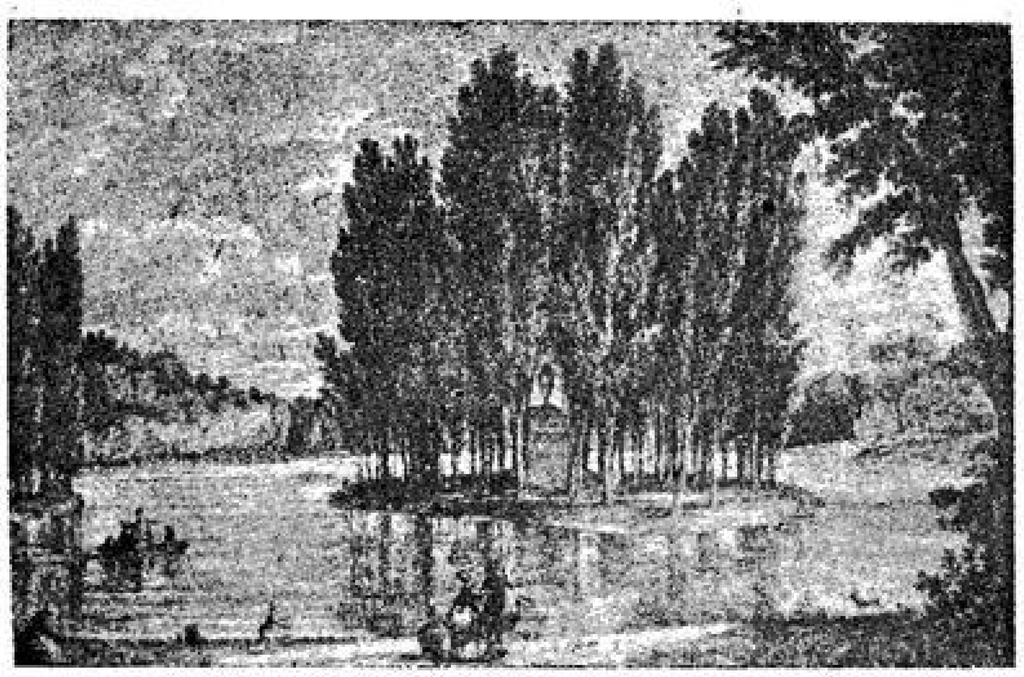
وتبدو اليوم، للزائر المتطلع الدقيق، آثار كثيرة قديمة، على جذوع الشجر، يستطيع ان يميز منها كلمة « محراب الاحلام والتأمل — روسو » حفرها روسو على جذع سروة، في ساعة من ساعات الفراغ والتأمل.

وقد اعتنى المركيز جيراردان، في ذلك الزمن، بالطريق الدائمة التي كان يسلكها روسو يومياً، بين القصر، ومكان العزلة، فعبدها، فبدت انيقة نظيفه تستهوي العين والقلب.

وكانت هذه الطريق، كما اسلفنا، تؤدي الى صومعة روسو. وهي كوخ صغير، ملأه روسو بالاعشاب النادرة، والكتب، والآثار. فكم قضى الليالي الطوال بين اعشابه وكتبه، ناسياً المدينة والناس. وكم تاه بين الادواح المتشابكة الملتفة، سعيداً كأتم ما تكون السعادة، ناسياً كألذ ما يكون النسيان.

روسو الآن في ارمانوفيل يتمتع بثقة الاهالي ومحبتهم فهو يمر على العمال، وعلى ثغره طيف ابتسامة مخلصة ساحرة، او يحيي الفلاحين، بنشوة واهتمام. ويسايرهم ويسألهم عن المحصول والزراعة، ويهديهم التنباك. ويشترك ايام الآحاد في اعيادهم وحفلاتهم. وحين انشأ اهل البلدة فرقة موسيقية، انضم روسو اليها، عازفاً على الكمان.

ونشأت بين روسو، وخوري المنطقة، الطيب القلب، علاقة ود، وصداقة قوية. وكان روسو يزور الخوري في منزله المتواضع، زيارات متعددة وكان من عادة الخوري ان يرى روسو قادماً من بعيد، فيترك النافذة، ويختبىء في داخل المنزل. فيصل روسو. ويقف مدة خجولا حائراً قبل ان يدق الباب، ثم يدقه بشيء من التردد والوجل. ويكرر دقاته، وينادي صديقه، وبعد وقفة



قبر جان جاك روسو في « ارمانوفيل »

طويلة، يمضي الى الشارع، ويحاول العودة، فيهز الخوري من المنزل، ويدعو صديقه، ضاحكاً، مستبشراً.

ولبثا زمناً طويلاً يتزاوران ويتحابان. ويقومان بالنزهات الخلوية الهادئة، والسهرات الساجية الطويلة.

ما كان احد يظن ان نهاية هذا الرجل السعيد المطمئن قريبة.

ولا شك ان روسو قد شاخ وهرم، ونال منه الجهد والكلال. وراح يشكو في اواخر ايام يوليو، الصداع الشديد. ولكن مرحه، وروحه اللاهية الطروب، منعت سكان القصر من ان يلاحظوا اعياءه واقترابه من الموت.

وفي الثاني من يوليو، عاد من نزهة في البرية، ولزم سريره، ولم يتركه بعدذ لك الا عند موته.

وكأن روسو احس بدنو أجله. فطلب الى امرأته ان تقفل الباب في وجه « الاطباء والجراحين » قائلاً: حين تعصف الرياح، وتتحطم السفينة، ويتمزق شراعها، وتصبح قاب قوسين اوادنى من الغرق، لا ينجيها شعاع منطلق عن منارة الشاطىء.

واحس روسو بالنشاط في ذات يوم فحاول النهوض من السرير، ولكنه تدحرج الى الارض. وتناولته زوجته تيريز بين ذراعيها، واجلسته على مقعد قريب، ولكنها لاحظت انه كان جثة لا روح فيها ولا حياة.

هكذا مات روسو .. دون صخب ولا عذاب .. وكل الاساطير التي اشيعت بعد موته، عند اغتياله، او انتحاره، لاترتكز الى اي اساس. ولا شيء يثبت موته الطبيعي كشهادة رينيه دى جيراردان نفسه، وتقرير الاطباء الذين شرحوا جثة روسو — بناء على طلبه في الوصية — فوجدوا التهاباً شديداً في الدماغ.

وفي يوم السبت الثاني من يوليو، حنط جثمانه، ووضع في تابوت،

يوم في القرية

بقلم انطونه تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب

ازمن بين الثامنة والتاسعة

ان حشداً ذا لون رصاصي مسود يزحف في السماء باتجاه الشمس ، ومن وقت لآخر تومض ذبذبات حمراء لامعة هنا وهناك من خلاله . وان هنـاك صوت قعقعة يأتي من بعيد ، وهواء حاراً يمرح فوق العشب ويحني هـامة

وحمل في منتصف الليل الى « جزيرة الحور ».

ورقد روسو ، عشيق الطبيعة ، السنين الهانئة الطوال في هذا المثوى الساكن الجميل ، وعرفت ذكراه ، المحوّمة فوق ذلك المكان الشعري ، زواراً عظاماً . كاويس السادس عشر ، وماري انطوانيت ، ومن جاء بعدهما من ملوك ورؤساء .

ولكن اذا كانت بقايا روسو ، امينة لنظرة صاحبها في الحياة والمجتمع ، فلعلهـا ان تكون شقية بزيارة هؤلاء العظماء والملوك . فالسعادة اتتها عن غير طريقهم .

ويروي الناس ان عجوزاً من نساء القرية ، مهدمة ، هزيلة ، كانت تأتي في كل مساء ، وايقونتها في يدها ، لتصلي على شاطىء الغدير ، ناظرة الى قبر روسو « الرجل الطيب الحنون ».

ولا زالت دار الآثار الفرنسية تحتفظ بسجل صاحب حانوت « ارمانوفيل » « نقولا هارلي » وفي صفحة من صفحاته كتب نقولا :

« اليوم ، الثاني من يوليو ، مات في البلدة احد الغرباء واسمه كما اظن جان جاك روسو ».

وبعد هذا ، سجل « نقولا » اوصاف وثمن ارنب صغير ، اشتراه احد الزبائن !!.

الاشجار ويهيج الضباب ولن تمر دقيقة واحدة حتى يهطل مطر ايلول وتبدأ عاصفة حقيقية .

وكانت فيوكلا ، وهي الفتاة المستعطية التي تبلغ السادسة من العمر ، تركض خلال القرية ، تفتش عن الاسكافي تيرنتي . وكانت الطفلة البيضاء الشعر ، الحافية القدمين ، شاحبة اللون وعيناها متسعتان وشفتاها مرتجفتان . وكانت تسأل كل من يصادفها :

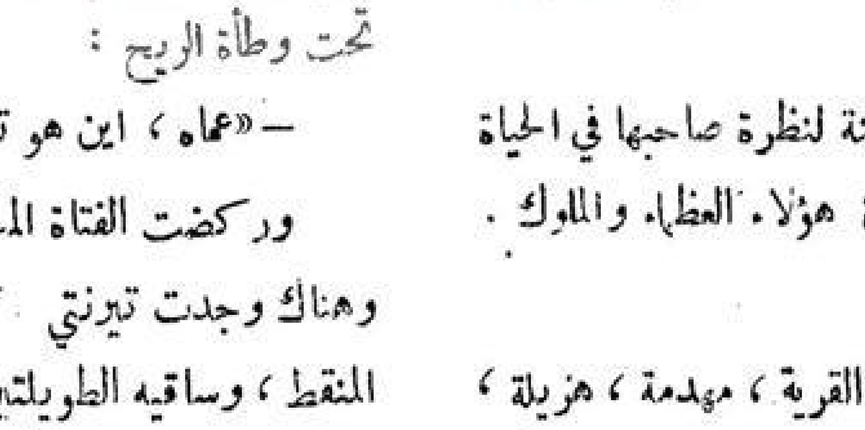
— « عماه ، اين هو تيرنتي ؟ » دون ان تتلقى جواباً من احد.

لقد كان الجميع ، وقد شغلهم قدوم العاصفة ، يحصنون انفسهم داخل الاكواخ . واخيراً التقت بخادم الكنيسة « سيلانتي سيليتش » ، وهو صديق تيرنتي الحميم ، وكان قادماً وحده يترنح تحت وطأة الريح :

— « عماه ، اين هو تيرنتي ؟ ». — « في حدائق المطبخ ».

وركضت الفتاة المستعطية خلف الاكواخ الى حدائق المطبخ ، وهناك وجدت تيرنتي كان الرجل الطويل المسن ، بوجهه الرفيع المنقط ، وساقيه الطويلتين ، وقدميه الحافيتين ، والمرتدي سترة نسائيـة ممزقة ، واقفاً بالقرب من قطعة ارض الخضروات يتطلع بعينين ناعستين الى غيوم العاصفة السوداء . وكان يترجح في الهواء على رجليه ، الشبيهتين برجلي طير الكركي ، مثل عش الزرزور . ونادته الصغيرة :

— « ايها العم تيرنتي ! عمي العزيز ! » فاتجه تيرنتي نحو فيوكلا ووجهه العبوس الثمل قد غطي بابتسامة عريضة ، تماماً كما يحدث لوجوه الناس حين يتطلعون الى شيء صغير ، احمق وسخيف ، ولكنه عزيز جداً . وقال متلعثماً برقة :



— «آه ؛ من اين انت آتية يا خادمة الرب فيوكلا؟» فاجابت وهي تنشج وتشد بعنف نهاية سترة الاسكافي :

— « ايها العم تيرنتي . لقد وقعت حادثة لاخي دانيلكا . تعال معي ! ».

— « أي نوع من الحوادث ؟ اوه يا الرعد ! قدوس قدوس . . اي نوع من الحوادث » ؟

— « في غابة الكونت وضع دانيلكا يده في ثقب شجرة وعجز عن اخراجها . تعال معي ايها العم . كن لطيفاً واخرج له يده» .

— « وكيف وضع يده هناك ؟ ولماذا ؟ » .

— « لقد اراد ان يجلب لي بيض العصافير من الثقب» . فحك تيرنتي رأسه وبصق بقصد :

— « ان النهار لم يكد يبدأ بعد ومع ذلك فقد وقعتما في مشاكل . . حسناً ، ماذا علي ان افعل معكما الآن ؟ يجب ان اجيء . يجب علي ، ليت الذئب يلتهمكما ايها الطفلان المزعجان ! تعالي ايتها اليتيمة الصغيرة ! ».

وخرج تيرنتي من حديقة المطبخ ، ورفع قدميه الطويلتين وابتدأ يسرع في السير مجتازاً شارع القرية . كان يسير بسرعة دون ان يقف او يتطلع من جهة الى جهة اخرى ، كما لو كان مدفوعاً من الوراء ، او خائفاً من اناس يلاحقونه . ولم تكن فيوكلا تستطيع ان تلحق به الا بصعوبة جمة .

وخرجا من القرية ودارا وحيدين في الشارع الكثير الغبار باتجاه الغابة التابعة للكونت والتي كانت تبدو عن بعد سوداء تضرب الى الزرقة .

لقد كانت تبعد حوالي الميل ونصف الميل . وكانت السحب في هذه الآونة قد غطت الشمس ، وفي الحال لم يبق في السماء اية بقعة زرقاء . وازدادت الظلمة .

وهمست فيوكلا وهي تسرع وراء تيرنتي : — « قدوس قدوس قدوس ».

وسقطت اولى قطرات المطر كبيرة الحجم ثقيلة الوزن وتوزعت بقعاً سوداء على الطريق المغبر . وسقطت قطرة كبيرة على خد فيوكلا ثم انزلقت مثل الدمعة فوق ذقنها . . وتمتم الاسكافي وهو يرفس الغبار بقدميه الحافيتين :

— « لقد ابتدأ المطر يهطل . هذا جميل يا فيوكلا ، ايتها الطفلة العجوز . ان العشب والاشجار تتغذى بالمطر مثلما نتغذى نحن بالخبز اما فيما يتعلق بالرعد فلاتخافيه ايتها البنية الصغيرة . اي سبب يدفعه الى قتل شيء صغير ولطيف مثلك ؟ » .

وفي اللحظة التي اخذ المطر يهطل فيها توقفت الريح عن الهبوب وكان الصوت الوحيد هو طقطقة قطرات المطر المتساقطة على الطريق الجاف برقة عذبة . وتمتم تيرنتي :

— « سوف نبتل يا فيوكلا ، سوف لا تبقى قطعة جافة فينا . أوه ، اوه يا صغيرتي ! لقد انزلقت قطرة في رقبتي ! ولكن لاتخافي ايتها الساذجة . . سوف يجف العشب مرة ثانية ، وسوف تجف الارض مرة ثانية ، وسوف نجف نحن ايضاً مرة ثانية . ان هناك شمساً واحدة لنا جميعاً .

ولمع وميض برق على بعد اربعة عشر قدماً فوق رأسيهما . وعقبه طنين رعد قوي ، فبدا لفيوكلا ان شيئاً كبيراً وثقيلاً ومدوراً يتدحرج فوق السماء ، ممزقاً اياها ليفتحها ، تماماً فوق رأسها وقال تيرنتي وهو يرسم اشارة الصليب :

— « قدوس قدوس هدوس . . لا تخافي ايتها اليتيمة الصغيرة ! انها لا ترعد حقداً » .

واصبحت اقدام تيرنتي وفيوكلا مغطاة بصفائح من الطين الرطب الثقيل . واصبح المسير في هذه الحالة عسيراً وخطراً ، ولكن تيرنتي أخذ يزيد في سرعة خطواته . واصبحت الطفلة المستطيلة الصغيرة منقطعة الانفاس وعلى استعداد للسقوط بين لحظة واخرى .

واخيراً دخلا في غابة الكونت . وكانت الاشجار المغتسلة تحركها نفحات الريح فتقطر المياه مثل شلال حقيقي عليها . وتعثر تيرنتي بجذع شجرة وابتدأ يبطيء من خطواته وسأل :

— « اين دانيلكا ؟ قوديني اليه »!.

فقادته فيوكلا الى دغل كثيف ، وبعد ان سارا حوالي ربع الميل ، اشارت الى دانيلكا . وكان اخوها ، وهو فتى صغير في الثامنة من سنيه ذو شعر احمر كأنه النحاس . ووجه شاحب اللون تعلوه امارات المرض ، واقفاً ومستنداً الى شجرة ، ورأسه يميل جانباً يتطلع بنظرة جانبية الى السماء . وقد حمل في احدى يديه قبعته الرثة ، بينما اختبأت الاخرى في ثقب شجرة مسنة . وكان الصبي يرنو بنظره الى السماء العاصفة ، وكان من الواضح انه لا يفكر في متاعبه . وحين سمع وقع الخطوات ورأى الاسكافي ابتسم ابتسامة شاحبة وقال : — « انها لكمية مخيفة من الرعد يا تيرنتي . . انني لم اسمع قط رعداً بهذا المقدار طوال حياتي » .

— «وأين هي يدك»؟ — «في الثقب . اخرجها يا تيرنتي أرجوك» ! وكانت الخشبة قد كسرت من طرف الثقب وضغطت على

يد دانيلكا : انه يستطيع ان يدفعها الى الداخل ، ولكنه لا يستطيع ان يخرجها . فنزع تيرنتي القطعة المكسورة، فتحررت يد الصبي الحمراء والمضغوطة . . وقال الصبي ثانية وهو يحك يده :

—« ان السماء ترعد بشكل مخيف . ما الذي يسبب الرعد يا تيرنتي؟» فأجاب الاسكافي — « انها تنشأ عن اصطدام سحابتين».

وخرجت الجماعة من الغابة وسارت بحاذاتها في اتجاه الطريق المعتم . وكان الرعد يخف تدريجياً . وكانت قعقعة تسمع من بعيد وراء القرية . وقال دانيلكا ولما يزل يحك يده :

—« لقد هرب البط من هنا في الامس يا تيرنتي يجب ان يعشش في مستنقعات نيليا زاميستشا . اتريدين ان اريك عش العندليب يا فيوكلا ؟». فقال تيرنتي نافضاً الماء عن قبعته :

- « لا تلمسه لانك ستزعجها . ان العندليب طائر غريد لم يخطىء قط . لقد اعطي صوتاً في حنجرته ليحمد الله ويهيج قلب الانسان . انها خطيئة ان تزعجه ».

— « وماذا تقول في العصفور الدوري ؟».

— « العصفور الدوري لا اهمية له . انه عصفور سيء وشرير . انه مثل النشال في سلوكه، فهو لا يجب ان يكون الانسان سعيداً . حينما سمر المسيح على الصليب حمل العصفور الدوري المسامير الى اليهود وصاح :« انه حي ! انه حي ! ».

وظهرت رقعة زرقاء في السماء . . وقال تيرنتي :— « انظر : هذا بيت النمل خربته الامطار ان الماء قد غمر هؤلاء الحبثاء ! ».

وانحنوا فوق بيت النمل وكان المطر قد اتلفه ، والحشرات تذهب وتجيء في الطين ، مضطربة ، وبهمة تحاول ان تحمل بعيداً رفيقاتها التي غرقت . وقال تيرنتي عابساً :

— « ما حاجتكم الى هذا ، انه لن يسبب وفاتكم ! ولن تكاد الشمس تدفيء اجسادكم حتى تعودوا الى شعوركم من جديد، وذلك درس لكم ايها الاغبياء . كي لا تستقروا في ارض منخفضة مرة ثانية ». . وتابعوا المسير . فصاح دانيلكا وهو يشير الى غصن شجرة سنديان فتية :—« وهنا توجد بعض اسراب النحل» وكان النحل المبلل البارد متراكماً فوق بعضه على الغصن . وكان هناك الكثير منه حتى غطى قشر الشجرة والاوراق وحجبها عن العيان . وكان الكثير منه مجتمعاً بعضاً فوق بعض . واخبر تيرنتي صاحبيه :

— « تلك اسراب من النحل تطير تفتش عن مسكن لها ، وحين تهطل الامطار فانها تستقر . اذا رأيت سرباً منها طائراً، يكفيك ان ترمي عليه بعض الماء حتى توقفه عن طيرانه . والآن فلنقل انك تريد ان تستولي على سرب منها فما عليك الا ان تضع الغصن الذي اجتمعت عليه في صندوق ثم تهزه فيقع الجميع فيه ».

وفجأة تقطب وجه فيوكلا وحكت رقبتها بشدة . فتطلع اخوها الى رقبتها فشاهد انتفاخاً فيها . وضحك الاسكافي :

—« هيه هيه ! هل تدرين من اين حصلت على هذا ايتها الطفلة العجوز فيوكلا ؟ ان هناك بعض الذباب الاسباني على بعض شجرات الغابة . ولقد غمرها المطر ثم سقطت قطرة من الماء على عنقك — وهذا هو ما سبب الانتفاخ ».

وظهرت الشمس من وراء الغيوم وغمرت الغابة ، والحقول والاصدقاء الثلاثة بنورها الدافيء . وكانت السحب السوداء المتوعدة قد ذهبت بعيداً وأخذت العاصفة معها . وكان الهواء حاراً

LES CAHIERS DU SUD

10, cours du Vieux Port — Marseille

Directeur-Fondateur : Jean BALLARD,
Rédacteur en Chet : Léon-Gabriel GROS

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises, demeurent aussi l'une des plus jeunes.

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

Ils publient dans chacun de leurs numéros :

des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiqus étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur l'Islam et l'Occident.

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1950 :

France, six numéros dans l'année, frs : 850.
Etranger, « « « « « 1.100

وذكي الرائحة . وكانت رائحة الطيور حلوة وكذلك رائحة زنبق الاودية . . وقال تيرنتي مشيراً الى زهرة من زهرات الاودية :

—«ان هذا العشب ينبت ليداوي تزيف آنافكم ان تأثيره حسن»

وسمعوا قرقعة وصفيراً ، ولكنها ليست مثل قرقعة غيوم العاصفة المحمولة بعيداً . لقد مر قطار كبير امام اعين تيرنتي ، ودانيلكا ، وفيوكلا ، جاراً اكثر من عشرين قاطرة وراءه . لقد كانت قوته هائلة وكان الصغيران مهتمين ليعرفا كيف تستطيع هذه القاطرة ، بدون حياة وبدون مساعدة الاحصنة ان تحرك مثل هذه الاثقال وتجرها . وقد اخذ تيرنتي على عاتقه ان يفسر لهما ذلك :

— « ان كل هذا هو عمل البخار يا اولادي . ان البخار هو الذي يقوم بالعمل . . وكما ترون انه يندفع من تحت ذلك الشيء بالقرب من العجلات . وهي . . كما ترون . تتحرك ».

وقطعوا خط السكة الحديدية ، وساروا هابطين من على الرصيف باتجاه النهر . وكانوا يسيرون دون غاية ، لمجرد التجوال وهم يتحادثون طوال الطريق . . كان دانيلكا يطرح اسئلة وتيرنتي يجيب عليها .

لقد اجاب تيرنتي على كل اسئلة دانيلكا ، ولم يكن هناك في الطبيعة اية اسرار تعجزه . . كان يعرف كل شيء . . مثلاً ، هو يعرف اسماء جميع الزهور البرية ، والحيوانات ، والحجارة . وهو يعرف اي عشب من الاعشاب يصلح دواء لبعض الامراض ، وهو لا يجد صعوبة في ان يخبرك عن عمر حصان او بقرة . وهو ، ان نظر الى غروب الشمس ، او الى القمر ، او الى الطيور ، يستطيع ان يخبرك كيف ستكون الاحوال الجوية في الغد .

وفي الحقيقة ، ليس تيرنتي وحده الذي يملك هذا الذكاء ، بل ان صاحب الحانة ، والبستاني ، والراعي ، وكل الفلاحين على العموم يعرفون قدر ما هو يعرف . وهؤلاء الناس لم يتعلموا ذلك من الكتب ، بل تعلموه في الحقل ، وفي الغابة ، وعلى ضفة النهر . ان اساتذتهم هي الطيور ذاتها حين تغني لهم ، والشمس حين تترك احمراراً قرمزي اللون بعد مغيبها ، والاشجار المسنة ، والاعشاب البرية .

وكان دانيلكا يتطلع الى تيرنتي وهو ينهل بشره كل كلمة من كلماته . حقاً من لا يود في الربيع ، وقبل ان يكل الانسان من الحرارة ، ومن لون الاعشاب الرطبة المملة في الحقل ، وحين يكون كل شيء طرياً ومليئاً بالرائحة الذكية ، ان يستمع الى الحديث عن الازهار الوردية ، وعن طير الكركي ، وعن خرير الجداول السيارة .

ولقد كانا كلاهما ، الاسكافي واليتيم ، يسيران خلال الحقول يتحدثان باستمرار دون كلل . حتى ليخيل انهما مستعدان ان يجوبا العالم الى ما لا نهاية . وكانا يسيران ، وقد شغلهما الحديث عن جمال الارض ، عن ملاحظة الشحاذة الصغيرة الضعيفة وهي تقفز وراءهما لقد كانت مقطوعة الانفاس تتحرك بخطوات متباطئة . وكانت الدموع في عينيها ، وهي تتمنى لو توقف هذان التائهان الجلودان . ولكن لمن والى اين تستطيع الذهاب ؟ انها لا تملك منزلا ولا اقرباء ، وهي مرغمة على السير معهما والاستماع الى حديثهما شاءت ذلك ام أبت .

وقريب منتصف النهار جلس الجميع على حافة النهر . فأخرج دانيلكا من كيسه قطعة خبز ، وبلها ثم قسمها الى قطع ، وابتدأوا يأكلون . وصلى تيرنتي عندما انتهى من أكل الخبز ، وحينئذ تمدد على الضفة الرملية وراح في اغفاءة .

وبينما هو نائم ، كان الصبي يشخص بناظريه الى الماء متسائلاً . ان لديه اشياء عديدة ومختلفة يفكر فيها . لقد شاهد لتوه العاصفة ، والنمل ، والنحل ، والقطار ، والآن ، وامام عينيه ، يتحرك السمك بخفة في الماء . البعض منه يبلغ الانشين طولا او اكثر ، والبعض الآخر لا يزيد عن حجم الظفر . وهذه الافعى تسبح ، ورأسها مرفوع ، من ضفة الى اخرى .

وحوالي المساء فقط عاد مشردونا الثلاثة الى القرية . وذهب الطفلان ، لقضاء الليل ، في مخزن محصولات زراعية مهجور ، حيث كان يحفظ قمح القرية . بينما تركهما تيرنتي وذهب الى الخان ، وتراكم الطفلان معاً على القش يحاولان النوم .

ان الطفل لم ينم . انه يشخص في الظلمة ، وتخيل اليه انه يرى كل ما رآه في النهار ، غيوم العاصفة ، والشمس المحرقة ، والطيور ، والسمك ، وتيرنتي الهزيل . ان العديد من مشاعره ، مضافاً اليه الانهاك الشديد والجوع العنيف ، لتفوق قواه . ان حرارة شديدة تلهبه كما لو كان ينام فوق الجمر ، فيتقلب من جنب الى جنب . انه يريد ان يخبر احدهم عن كل ما يلازمه في الظلمة ويهيج نفسه . ولكن ليس هناك من احد ليخبره . ان فيوكلا جد صغيرة وليست بقادرة على فهم ذلك . . وفكر في نفسه :

— « سوف اخبر تيرنتي غداً ».

ونام الطفلان وهما يفكران في سائق العربة المشرد . وفي ساعة متأخرة جاءهما تيرنتي ، ورسم اشارة الصليب فوقهما ، ثم وضع خبزاً تحت رأسيهما . ولم يكن هناك شاهد على حبه ، ولكنه شوهد فقط من القمر الذي كان يسبح في السماء ، والذي رمقه بحذر من خلال الشقوق الموجودة في حائط مخزن المحصولات المهجور .

دمشق

سهيل ايوب

الجندي المجهول

الصمت في الوادي العميق صدى يموت ويستفيق
وخطى النسيم على الثرى نجاتُ حشرجةٍ تضيق
ورؤى تطل رؤوسها من ثلمة الشجر الوريق
لا صوت الا وهوهات الريح في القصب الرقيق
وصدى يمو. على الربى ويغور في جدث عميق
يمتصه العشب الندي فيستحيل الى شهيق
وصرير اسنان تصك كأنها فكا غريق
ودبيب اشباح تمر وتختفي عبر الطريق
وتروح تنسج في الظلام اشعة سود البريق

وهنا ، وثمة قصة تنسل في حذر رشيق
تمضي ، وترسم خلفها شبحاً لانسان صفيق
الموت يزحف في خطاه ويستثير صدى عميق
رث الظلال كأنه حفار مقبرة عريق

ويند احيانا هنا وهناك حول المنحنى
نور تسوطه الرياح فيختفي الا سنا
وحفيف اجنحة الظلال يخيفها ظلي انا

ويلوح في الليل المديد لسان فانوس بعيد
كاب ، يمط من الزجاج سناً ، يطوف على الجليد
ويمر بالاجداث يقرأ ما بهن ، ويستعيد
ماذا يريد ؟ ترى افي تلك المقابر من جديد !
الامس مات وهذه جثث السنين هنا تبيد
عفن ، يغص به التراب فيستحيل الى صديد
ورؤى تزلج في الوحول فلا عقاب ، ولا وعيد
وشلاء اموات واشهاد وصلبان حديد
تطفو بأشداق البلى والارض تأبى ان تزيد
شبعى تقيأ كل ما بين المقابر من صديد
الامس مات فمن هنا يمضي ، كما امضي انا
ماذا أتى كي يقتني بشر الهوى والمقتنى
وحدي ، أجل وحدي انوء بكل اعبائي هنا

وتمر اسراب السنين السود ، من عام لعام
ابداً تدف بأفق افكاري فينتشر الغمام
وتنوح في صمت الدجى شتى حمامات السلام
ويغص في قلبي شعاع باهت طي القتام
واعود اسمع من جديد صوت قضقضة العظام

وصدى القبور الفاغرات شفاههن الى طعام
ويطل من خلل القبور خيال هاتيك الرمام
بالامس كان هنا هوى يحبو ، فيلتئم الانام
والارض كانت غوطة تأوي البلابل واليمام

امس استحال الى صدًى وغدي يطل من الرعيد
والارض قد عادت الى الجوع القديم ، الى جديد
حبلى بما التهمت من الموتى ، ولكن تستزيد

وتزل في الليل البهيم يدي ، وتعثر بالرميم
فيضج في اذني صدى ينشق كالجرح القديم
وتسيل منه على يدي ازات سكين اليم
ودبيب نار في دمي تلظى كأنفاس اللئيم
ماذا ارى ؟ ماذا هنالك اي ارواح تهيم
ويد تقاذف بالجماجم في متاهات السديم
الموت يعزف لحنه الدامي ، فيرتج الاديم
فاذا القبور الواجمات هواً ، تنفس كالجحيم
وتهب اسراب من الديدان تلتهم الهشيم
وفحيح قهقهة تلوى في الفضاء ، وتستقيم

وهنا ، وثمة عظمة خضراء ، في حلم عقيم
من بدري ، ما كانت ، وما كانت تكون من النعيم
ولمن تعود ، ومن يكون واي جندي كريم
عبثاً اردد ما اسمه المجهول ، ذلكم العظيم
الوت لا يبقي على الجندي ، معطفه القديم

ويعود ينتفض المغيب فلا عويل ولا دبيب
فتلوح في اقصى الظلام ذراع حفار غريب
تهوي ، وتنبش في الثرى عن عظمة طي الكثيب
والموت ، ليل مغرق في الصمت ، يغري كل ذيب

واروح اذكر ما وراء الامس انبش كل عيد
تلك الرؤى المتبعثرات وراء حاضرنا العتيد
ابد ، يمور ويختفي في لجة الجمد البليد
ويظل منه على شفاهي الذابلات ، صدى نشيد
ورؤى تهوم في زوايا مقلتي وتستعيد
ويعود ينبش في دمي صمت المساء كما يريد
ويسل من اضلاعي الموتى لظى ألم جديد
وصدىً ، لقهقهة تمرغ وجهها فوق الجليد

الصفاء الحيدري
بغداد

☆

اطورد نابا

بقلم يوسف ابو خليل

●●●

لئن ونصف المئة من السنين خلت، عندما اخذ الضعف اشده من قبائل البربر والطواق، ونزحت هذه، هاربة شاردة، عن الكثير من الاراضي التي كانت تملأها الى غيرها من القبائل السوداء التي، بواسطة اليد البيضاء الفاتحة ومعونتها، نشطت الى النهوض، برزت آنذاك قبائل الموسي (Mossi) وبعد ان لملمت شعثها، وجمعت شتاتها، وانست في صفوفها المقدرة والقوة، اتخذت مسرحاً لها ومقراً مقاطعتي واكادوكو ويافاتنكا التابعتين للفولتا العليا في القسم الاعلى من الشاطىء العاجي بلاد الفيلة.

وكان من الطبيعي ان تعتنق قبائل الموسي الدين الاسلامي، الذي تركت قبائل البربر والطواق آثاره لها، لاسيما والدين الاسلامي كان حينذاك اقرب الاديان الى الاذهان، فاتخذت الكثير من سننه وراحت بدورها تبشر به في محيطها وجوارها. وهكذا لم يمض طويل زمن حتى غدت قبائل الموسي تعد نيفاً ومليونين من الانفس، اذ انضم اليها عدد لا بأس به من القبائل التي ضربها القدر بالشتات والضعف والوهن، فاصبحت بذلك صاحبة الحول والطول، ذات قيمة ومكانة، وموضع احترام الابيض الفاتح الذي ترك لها من الحقوق فوق ما ترك لغيرها، فوصلت الى سؤدد لم تكن تحلم به، ولعل ما وصلت اليه دفع رئيسها المورونابا ـ على حد تعبير لغتها ـ الى جعل نفسه سلطاناً حاكماً بأمره، فراح يملأ حماه بالجواري السود الحسان، هذه جاءته تقدمة وهدية، واستولى على تلك عنوة وقسراً لرغبة منه فيها، ووضع في خدمته العدد من الخدم والحشم، فهاب بطشه القريب والبعيد واوجس منه خيفة مجاوروه فأطاعوه.

●

الطريق المؤدية الى الغاب المقدس



المورو نابا رئيس الموسي وحاشيته





خادمان من خدم المورونابا

●

ولما كانت الطبيعة ولا تزال ، كما اجمع علماء النفس ، من اهم العوامل التي تتأثر بها عقليات الكتل البشرية ، ولما كانت الطبيعة الافريقية ، كما قد وصفت في عدد ماضٍ من الاديب هي النافثة روحها البعيدة عن التقشف والتقشب في عقليات قبائل الموسي ، فقد ابت عليها عقلياتها تلك الا ان تبقى محتفظة بالكثير من العادات والتقاليد الخرافية . واغرب ما في هذه العادات والتقاليد طاعتها العمياء لرئيسها المورونابا ومبالغتها في تعظيمه وتقديسه حتى حد العبادة . بل راحت تجعل من مورناباها ذلك معبوداً تصلي له وتتضرع اليه ، معتقدة مؤمنة انه انحدر من اصل الهي ، وهذا ما اوصله الى الملك ، واعتقادها السخيف هذا دفعها الى عدم الايمان بموت المورونابا ، فالموت ان وافاه انما يوافيه لينقله من عالم حي الى عالم حي آخر ، غير انه في فترة الانتقال هذه لا بد للمورونابا من السبات العميق حتى يتم نقله . . لهذا فما ان تأتيه يد المعونة حتى يتهافت العشرات والمئات من خدمه وغيرهم مقدمين انفسهم ، بكل طيبة خاطر ونفس معتزين مفاخرين مطالبين ان يكونوا رفقاء ملكهم الراحل ، وحتى يبقى الكل راضين يعكفون الى طريقة القرعة الى ان يتم انتخاب خمسة عشر شخصاً من المقدمين انفسهم ،



جاريتان من جواري المورونابا

●

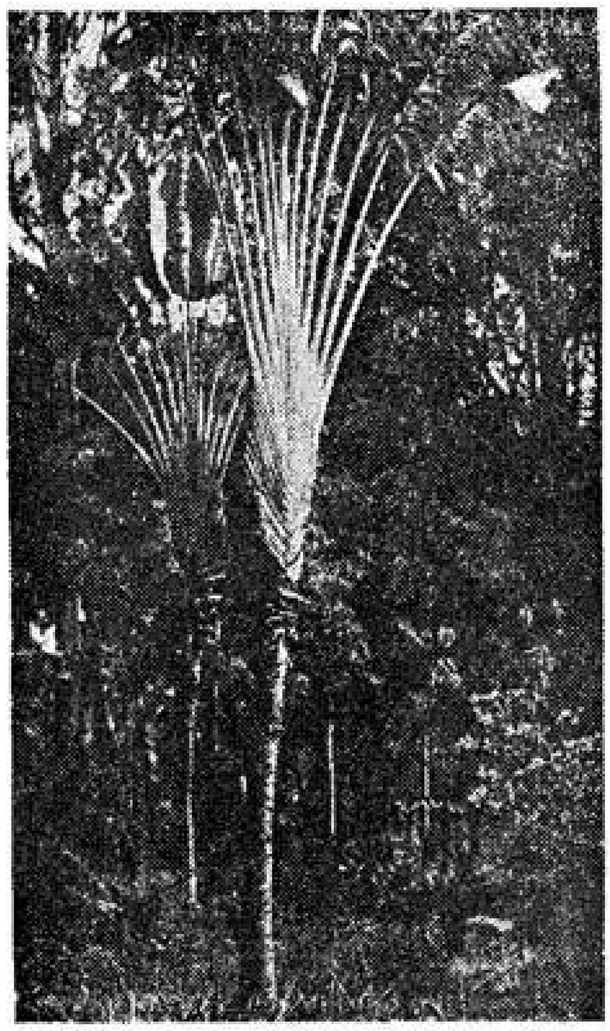
كما تقدم نفسها ايضاً اجمل جواري المورونابا واحبها عنده لمرافقته حاملة معها الاغطية والاردية والمؤن والاطعمة ولوازم الطبخ وو . . وفي حفل تخلله الرقص والغناء ، تشيع قبائل الموسي مورانا باها ورفقاءه الاحياء الى المقر الاخير في الغاب المقدس ثم تعود لتتوج مورونا باجديداً . . وهكذا دواليك ،

تلك عادة من اغرب العوائد اوجدتها الطبيعة عند قبائل الموسي غير ان الزمن سوف يخفيها بين طياته لانها بدأت قليلاً بالزوال . اما المورونابا هذا الرجل السعيد الحظ ، المغمور في نِعم قل من ينعم فيها سواه ، فهو زنجي عادي ، لا يختلف عن الكثير من ابناء جلدته سحنة وشكلاً ولوناً ، يلبس الزي الافريقي ، جلابية تهدلت على جسمه ، وظهرت من تحت اطرافها اذيال « خفتان » (قميص صويل) تدلت على قدميه ، وعلى رأسه طاقية من المخمل الكحلي رصع اطارها بما يزيد عن كيلو غرام من الذهب وفصوص الالماس الغالية الثمن ، وتلك الطاقية هي الفارق الوحيد بينه وبين افراد رعيته .

غينيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

●

الغاب المقدس حيث يقضي تحت التراب العشرات من المورونابا والمئات من الجواري والخدم



بول سيزان والنزعة التجريدية في التصوير

بقلم
شاكر حسن سعيد
ليسانسيه
في العلوم الاجتماعية

من مظاهر اختلاط القيم[1] الفنية والجمالية في هذا العصر ان لا تجد النزعات الحديثة اشياعها الا بين القليل من رجال الفكر والذوق وهذا بلا ريب نتيجة ازدهار سريع وتطور مستمر يتنافى وتبلور المقاييس ومن ثم تحجرها .

وليس العجب ان يغمط الفنان المبدع لدى الجمهور لان ذلك طبيعي ومن منطق التطور فالفنان يتقدم ابداً زمانه انما العجب كل العجب ان يحدث التطور سريعاً بحيث لا يبقى للجمهور مجال يستوعب فيه النتاج الفني ويمثله وهذا مما يعقد مهمة الناقد—وهو حلقة الوصل بين المبدع والمتذوق—لدرجة لم يسبق لها مثيل في مختلف العصور الفنية المنصرمة .

ومن المؤسف ان يجهل الجمهور العربي مبلغ التبدل في قيم العصر ومقاييسه في الحين الذي عليه ان يعيشه بأي ثمن فيستوعب ثقافته ويقتبس مدنيته ويحمل عقليته . وليس ثمة حياة حق لمن لا ينسجم وحاضره — حاضره المتقدم والذي يعيش في ماضيه كمن يعيش في مستقبله ، لا يحقق جوهر وجوده في شيء . ومن هنا نشأت ضرورة رفع مستوى الذوق الشعبي بوصله بصميم الثقافة الغربية وتعريف الفنون المعاصرة للجمهور ، قدر الامكان .

والنزعة التجريدية في التصوير من النزعات المعاصرة الجديرة بالتعريف لانها صورة هذا العصر في احدث ملامحه ولان ما نعرفه عنها شيء يسير ثم لان الثورة فيها على القيم القديمة تبلغ ذروتها . هي استعمال جديد للوسائل الموضوعية او الشكلية من لون وخط وشكل وحجم وفراغ لاداء القيم الذاتية او الروحية من موضوع ومعنى وعاطفة وذات .

ومدلول الكلمة العام يعني الانطلاق فالتجريد نقيض التحديد او صورة الواقع عارياً من قيوده وهما الزمان والمكان فاذا كان الكائن المحدود هو هذا الذي يصدع بقوانين طبيعية سرمدية فالكائن التجريدي هو الذي لن يصدع باي قانون طبيعي وبالتالي فلن يتصف باي وجود محدود .

اما مدلول الكلمة الفني فيعني تطوراً عضوياً للنزعة اللاحقة للانطباعية Post - impression من حيث ثورتها على التجسيد الواقعي (للقيم الشكلية) في الفن او بالاحرى استمراراً لما ابداه احد اقطاب تلك النزعة : بول سيزان[2] في الانطلاق من قيود الواقع الموضوعي .

ان انتقال فن التصوير الى صفته التجريدية ثم تبلور احد فروعه في شكل نزعة شغل النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الاول من هذا القرن .

فقد بلغ الفن التحديدي (والطبيعي) ذروته فيما سمي بالنزعة الانطباعية Impression وكان من آباء تلك النزعة مونيه ومانيه ورينوار وجلهم من الطبقة البرجوازية التي اصبح لتقاليدها اثر بالغ على الفن في منتصف القرن المنصرم ، فبعد ان كان الرسام ينقل الواقع كما يراه دون ما مراعاة للشعور الآني غدا يهب شعوره ذاك كل الاهمية اي ان دائرة الابداع انحصرت لدى الفنان في مجال اللحظة الشعورية الحسية الراهنة ومن ثم لجأ الى نقل الواقع المكاني كيما يفنى الزمن كل الفناء . ويكتفي بتقطيع اوصاله ونثر حلقات السلسلة والتشبث بواحدة منها — تلك هي اللحظة الواحدة لحظة الخلق — فيتطرف في استخدام المكان اداة صرفاً للخلق ولن يخرج لديه التصوير عن مهمته من الاهتمام بالواقع .

وفي الربع الاخير من القرن نفسه ظهرت النزعة اللاحقة للانطباعية وكانت في احدى زواياها تمثل (رد الفعل) للروح البرجوازية التي اغرقت الفن الحسي وتشبثت بوثنية المكان في النزعة الانطباعية كما مر . وفي زاوية اخرى تمثل ظهور الاثر العلمي والروح العلمية في الاداء . اكدت النزعة الجديدة بضرورة الخلق ووهبت الفن قيماً لا تعتمد على الطبيعة كل الاعتماد بنقل معالمها بل على الفكر في صب الموضوع بقالب يفترضه الفنان وتخلت عن وثنية نقل الواقع والشعور الآني الى وثنية خلق عالم جديد مع الاستعانة بذلك الواقع من الوسائل الموضوعية لتحقيق هذا الخلق وكان من آبائها (فان كوخ) الذي استهدف التعبير عن الحركة في الوسائل الموضوعية وكوكان

---

(١) المراجع : ١— Painting & Painters : Lionello Ventury
٢- Modern French Painting - Wilenski ٣- هيلدية زوالوشر مجلة الكاتب المصري ع ٢٦ ص ٢٥٧ — ٢٦٦ .

(٢) رسام فرنسي ١٨٣٩—١٩٠٦ بدأ حياته كرسام انطباعي ثم اصبح رساماً (لاحقاً للانطباعية) ومن طريقته تفرعت المدرستان التكعيبية والتجريدية

الذي توخى التعبير عن الرمز ثم البساطة وكلاهما استمد وحيه من عواطفه على النقيض من سيزان الذي كانت المشكلة عنده بمقياس واقع تستلهم العقل ففي مطلع حياته الفنية مال نحو الرسم ولجأ الى الخيال والعاطفة ومنذ العقد الثالث من عمره انغمر بالمدرسة الانطباعية ثم اهتدى بنفسه الى طريقه الخاصة التي استنكرها الانطباعيون انفسهم ومن هنا تنفست النزعة اللاحقة للانطباعية على يده وانسابت ببطء في مجراها .

والذي يهمنا من هذا العرض ان ندرك ان التصوير حتى مطلع النزعة اللاحقة للانطباعية كان يعتمد على الواقع الموضوعي او ما اعتاد الناس ان يروا فيه الاشياء في الحياة واحترام قانون المنظور في العمق واللون والتزام الشبه في صور الاشخاص فاصبح يتمرد على هذا الواقع من اجل تحقيق هدف الفنان في خلق جديد يتجرد من اكثر صفات النموذج الرازح تحت وطأة الطبيعة وناموسها وهذا هو معنى الانطلاق من قيود الواقع الموضوعي والذي تناولته اكثر النزعات المعاصرة فيما بعد كالتعبيرية ومدرسة الوحوش والاستقبالية والتكعيبية اما الانطلاق من الواقع الذاتي بالاضافة الى الواقع الموضوعي فهو الذي ستحققه النزعة التجريدية بعدم التزامها شيئاً بالذات .

ان موقف سيزان من النزعة التجريدية يتحدد بكونه الرائد الاول لها . فقد استهدف منها تحطيم الواقع المنظور (كما هو) عند الانطباعيين ومن سبقهم فرسمه على اعتبار جديد يحقق هدفه من الابداع . ابداع عالم جديد زاخر بالعمق والاتزان والجمال (كما يجب ان يكون) عالم عار من اثواب هذا الوجود يصنعه هو بيده صنع خالق ولكنه لا ينجزه في عرض ذات الموضوع . اي انه لم يرسم اشياء لا يراها بل يعتمد على نماذج حقيقية يلتزم هو عرضها بالشكل الذي يعجبه . . فكان ان فكر في الانطلاق لاجل الانطلاق والتجريد لاجل التجريد .

كرس مجهوده للتعبير عن الزمن ولكن بشكل معكوس فلم يهتم باللحظة الشعورية كما هو شأن الانطباعيين بل باللحظات السرمدية التي سوف يعيشها الناظر في لوحاته وان المتأمل يرى ان عوالمها يتسلطى فيها الزمن ويتثائب .

والسلسلة لديه متناثرة حلقاتها الا انه لا يقنع منها بواحدة بل يرسم الحلقات جميعاً وهي متناثرة . . . لم يعد لديه الفن نقل الواقع ولا تقطير الزمن في لحظة فحسب بل خلق جديد مستمر وهذا هو السر في ان الناظر للوحاته يخال انه يجهل فيها اشياء فيتملكه احساس من يغوص ويغوص في الاعماق .

ومن حيث ان الفن كان لديه التعبير عن اللحظات المستمرة اتسمت طريقته بالتجريد ايضاً فالوقت لدى الفنان التجريدي من عناصر الاداء وقد عبر هو عنه بجمل عوالمه سرمدية فمحاولاته هذه لم تكن غير تمهيد مقتصد تبلور فيما بعد على يد احفاده بسرعة عجيبة في ولادة ما يسمى (بالمدرسة التجريدية)

وهكذا يمكننا ان نقدر مكانة سيزان من التجريدية في عدة امور :

الاول — انه كان اول من خرج على الاداء التحديدي .

الثاني — انه يلتزم نقل الواقع الموضوعي

واخيراً — في محاولة التعبير عن الزمن في الاداء .

بغداد — حسن شاكر سعيد

حلم

سنلتقي
حيث يموت الظل والضوء
وحيث لا يدركنا شيء
وحيث لا يجمعنا نوء
بل عابر اراد ان نلتقي
فنلتقي

☆

حتى اذا ما انتبه الملتقى
وانسل عن غرقى مداه الدجى
اسفت في نفسي لتلك الرؤى
تلك التي تريد ان نلتقي
فنلتقي

☆

وانتِ افق فوق ما انتِ
بعيدة الاغوار كالموت
عميقة صفراء كالصمت
اود لو كنتِ كما نلتقي
فنلتقي

بلند الحيدري

بغداد

اغنية المجنونه

للشاعر اليوناني بالاماس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايها الرجال !.. يا احبائي !.. اصغوا الي واستمعوني . فانا لست بشرير . تعالوا الي لاخاطبكم . لقد طاردني الدهر وما زال يطاردني . لا ترجموني بحجارتكم ، فما انا بالمجرم وما اقترفت ذنباً . انا اتألم واتوجع .

***

لقد وقفت على مفترق الطرق ، واقتعدت صخرة لاستريح ، فلاح لي المغيب يزرع بيديه الناعمتين فوق الشفق ورداً حمراً .. الشبان يمرون وكأنهم في عيد . اما قيثارتي فمهملة مطروحة على الارض تناديني كأنها روح مريضة . واما انا فكنت الغريب الشريد التائه ؛ وليس لي في الكون من مثيل . وقد كنت في نظر البعض مجنوناً وفي نظر الآخرين مستعطياً ، وفي نظركم انتم معتوهاً

ان معارفي يمرون بي مرحين سراعاً كأنهم ما عرفوني ، وقد خلا بالهم من اي اهتمام بي . اما عرائس الجمال فكن يمرن بي وفوق شفاههن ابتسامة ساخرة . فاذا ما قادت احداهن الذكرى الى صوت قيثارتي ، وفتشت على مكان لتقف فيه ردتها على اعقابها نيران عيني الوحشية القاتمة .

***

لقد دفنت شيئاً في تفكيري تكشفت عنه ملامحي ، فأبعد عني السائرين نحوي وئيداً ، ابعد الشباب المرح الجذلان والفتاة اللدنة القوام ، ابعد عني الغرباء عني والاخصاء .. لقد مرت بجانبي ووقفت كأنها تصلي راكعة . جاءت لتعرف ما بي . جاءت لتتألم .. جاءت كطلوع الفجر .. لبثت ذمات الغروب بليلة الجناح وكانت تداعب رداءها وتلثم جسدها الغض ، وتقف على نظراتها تمتزج بنظرات الشباب اللعوب . وتسكر على صوتها الرخيم الموقع توقيع الاناشيد الروحية .

***

يا لها من فتاة حيية ، لدنة القوام ، جسور ، فاتنة افكارها الخوخة المنورة ، او الحقول المكللة بأزاهير لا تذبل ! ما لها هربت بعد ان جاءت ؟ اتراها خشيت ان يفصل ما بينهما وبين نور المساء ، المساء الذي انارته ؟ ان للمغيب وروده ، وان للشفق شقيقه . اية يد خطفتها مني ؟ اية يد ارسلها الله ؟ انني لم اقترف ذنباً ، .. انا اتألم .. ففمي يحرقه عطش شديد .. لقد بللت شفتي ينابيع ماء روحية . وعلى الاعشاب الندية آثار خطواتها تصبح دليلاً اترسمه فأركض .. اركض بعيداً .. لقد مزقت لحمي الاشواك وتضرجت الارض بدمائي .

***

قولوا لي من انا ؟ واين انا ؟ افي الجبل انا ام في المدينة ام في الحقول ؟ انا لست بالمجنون ايها الرجال الاحباء .. اصغوا الي ! وانت ايها البيت انفتح امامي لادخل .. وانت ايها البستان اشتاقك واحن اليك . انا اعرف .. ها هو البيت ، لقد دخلت من هناك من ذاك الباب . اني رأيتها من هذا الباب المقفل وفي هذا البيت الذي درت حوله طوال الليل ولما ازل حيث انا لقد داهمني الفجر فاستيقظت الكلاب ووثبت علي وراحت تشبعني عضاً . ماذا ؟ لقد حسبني الجيران واهل الحي لصاً وقاتلاً فأفاق الاسياد العبيد واوسعوني ضرباً .

رحماك يا الله ! انا لست بالسارق ولا بالمجرم . انا لست من السارقين والمجرمين يا ابناء الانسانية ! تعالوا الي واسمعوا مني .. لقد طاردني الدهر فلا ترموني بحجارتكم . فما انا الا يتيم يتألم .

***

انقضت الحاجز ودخلت البستان وازعجت طيوره ، فقبلت ازاهير المجازات ، كما قبلت آثار قدميها . يا للاسف ! هذي هي الحقيقة . لقد جئت لارى خيالها من النافذة قبل ان تطفىء الشمعة ، جئت لارى خيال رأسها ساعة تديره عندما يثقل النعاس اهدابها .

ارجموني ايها الناس ! وعذبوني ايها العبيد في اعماق السجون . ان نوري لايغيب .. لقد عرفت الحب .. لقد عشتك ايتها الحياة .

عاب

ترجمة : الياس فرحات



مكتبة الأديب

انتِ لي

لنزار قباني – شعر – ورق صقيل – حجم صغير – ١٢٥ صفحة
مطابع دار المفيد – دمشق

شاعر ذو قلب فتي وروح شفيفة ، يستمد وحيه من المرأة ، فهي تملأ عليه شغاف القلب وتملك منه كل لب . يقول الشعر لها ، وينشده لاجلها ، ويخاطب عاطفتها ، ويناشدنوازعها ، ويهز اوتارها بموسيقاه الشجية ، ويطرب اذا طربت ، ويرقص اذا رقصت ، ويميل اذا مالت فهي « إلهة الشعر » عنده ، وهو عابد من عبادها المتنسكين ، بله المولهين .

ذلكم هو الشاعر السوري نزار قباني ، الذي قرأنا له من قبل ديواني « قالت السمراء » و« طفولة نهد » ، واليوم نقرأ له في كثير من الحفاوة ديوانيه الجديدين « سامبا » و« انت لي » .

وللشاعر نزار سمات يتميز بها شعره ، ولا بد لمن يستقصي دواوينه ان يرصد هذه السمات جلية واضحة ، فهو موسيقي الشعر ، تكاد كل قصيدة تتراقص على انغام صاخبة من انغام الجيتار ، بل ان ديوانه « سامبا » ديوان راقص — اذا صح هذا التعبير — من الفه الى يائه لان مقاطعه قصيرة قليلة الكلم . ومن ذلك قوله :

أيّ رقصة
ثرّة الفتنج ، جريئه
رضعت ثدي الخطيئه
فهي قصة
بالجوارح
اذرع سمر وبيض
هزهـا الدف النبيض
كمراوح
النساء
بحر طيب وجواهر
غرق البهو حرائر
وثراء
والجدائل
مثل باقـات السنابل
والفسـاتين مشاتـل
والغلائل
وطويله
مثلما ينهض سيف
عربجا . نصف ونصف
كالخميله
الندامى
نفروا سرباً فسربا
ما ونوا دفعاً وجذبا
والتحاما
والغواني
كالفراشات . . سباق
مزجت ساق . . وساق
وفنان

وعلى هذا النسق الراقص الهادر السريع القلب ، ينسج نزار قباني اطراف ديوانه « سامبا » فالديوان يصور رقصة ، بزغت في افق الفن الحديث ، ولا بد للرقصة من موسيقى ، ولا بد للموسيقى من وحدة ، ولا بد للوحدة من ان تنساب انسياب الجدول .

والاستاذ نزار قباني شاعر غزير المادة كثير الينابيع . فمع انه يستمد وحيه والهامه ونبض قريضه من المرأة ، الا انه لا يكرر نفسه ولا يعود الى المعنى الذي سبق له ان اداه جميلاً فريداً لا ظل فيه للمحاكاة او تقليد . فهو يصف الشعر الاسود المرسل بانه « شلال ضوء اسود » ، ويصف الثغر الباسم فيقول ان « تقبيله صـلاة » ويصف الصدر فيقول : « توسد رخام صدر رضيع » ، ويصف فاتنة غازلت البحر بساقيها فيقول :

« غمسي في الماء ساقين كتسبيح السيوف »

ويصف الكاعب فيقول :

« ونهيدا ، راعش المنقار كالثلج النديف »

ويصف رداء النوم وصفاً رائعاً فيقول :

البردة المطيبة
ذات التطاريز ، وذات
الطرة المقصبة
والذيل والرسوم
والزركشة المحببة
اذ أنتِ زهو حجرتي
البشوشة المرحّبة
تجررين الراهل الطويل
نشوى ممجبة
والاحمر الرعاد اشهى

من ورود المأدبه
فللحرير ان جمحت
ضحكة مهذبة

فالاوصاف التي تتوارد على ريشة الشاعر نزار قباني ليست مما الفناه في كتب الادب والشعر قديمها وحديثها ، فهي اوصاف حضرية مستمدة من حياة القرن العشرين ذات البذخ في الكلام والعبارات والمعاني والرموز والاخيلة. ولا شك في ان نزار باذخ في كل هذه ، مسرف في وصفه اسرافاً فيه جديد وفيه اجتهاد. فاسمعه يصف صور فتاة اخرى فيقول :

وروى لي عن ناهديَّ حكايا ... فهما جدولا نبيذ وقهوه
وهما دورقا رحيق ونور ... وهما ربوة تعانق ربوه

ثم يقوله في القبلة المنتزعة :

يغصب القبلة اغتصاباً وأرضى ... وجميل ان يؤخذ الثغر عنوه

والشاعر نزار ينظر الى المرأة في كل يوم من زاوية . فمرة تستميله اثوابها الزاهية ، ومرة تستميله اناملها الرقيقة العاجية ، ومرة تستهويه شفتاها العابثتان ، وآناً تغويه خاصرتها الدقيقة الضامرة ، وآناً تأخذ بلبه نافرتان على الصدر ولا بد له من ان يصور خواجله في كل آن تصويراً لا يفتقر الى صراحة ولا يرتفع الى تكلف .

فمن قصيدة في الثياب يقول :

ألوان اثواجا . . . تجري بتفكيري
جري البيادر في ذهن العصافير
الا سقى الله ايامـاً بحجرتهـا
كأنهن اساطير الاساطير
اين الزمان وقد غصت خزانتها
بكل مستهتر الالوان معطور
فثم ، رافعة للنهد ، زاهيـة
الى رداء بلون الوجد ، مسعور
الى قميص كشيف الكم مغتلم
الى وشاح هريق الطيب مخمور !

ومن أجمل قصائد نزار قباني قوله في وصف اناملي فتانة لذات سوار :

لمحتهـا . . اذ نسلت
قفازهـا المعطـرا :
واوقدت شموعها ،
الخمس وقالت : هل ترى ؟
أرشق من اصـابعي
فيما رأيت منظـرا ؟
انظر يدي . . وانفلت
الحرير فوقي . . . اخرا
ممي يـد جميلة
تغزل شمعاً أصفرا
يـد غدير فضـة
من النجـوم قُطِّرا
اخمار ماس . . خمسة
ترشق دربي جوهرا

***

ارجوك ردي مخلبا
عنّي ، غميساً احمرا
أخاف ان جُنّ الهوى
ان تشهريه خنجرا !

فالشاعر نزار قباني شاعر مبتدع مرسل الخيال ، يشبه شعره الصورة الجميلة المرسومة على عجل ، رموزه كثيرة ، وقد يحار القارىء في تفسير بعضها ، واحلامه تائهة في بيداء من الاماني العذاب ، ورؤاه تدور حول محور حواء التي فتنت آدم يوم عرفته ، وأسرت نزار قباني يوم غدت ملهمته ووحيه .

وديوانا « سامبا » و« انت لي » ديوانان جديدان في منهاجهما ومذهبهما ، يفيضان عاطفة ويزخران بالحب ؛ ويعطر الارج صفحاتهما والشاعر نزار يضرب على اوتار قليلة ، ولكن عزمه رخيم ، وصوته غير محتبس ، وعباراته تفضح خواطره .

القاهرة

وديع فلسطين

البحتري

لجرجس كنعان - ١٥١ صفحة - حجم وسط - منشورات مكتبة ربيع - حماة

احس الاستاذ كنعان ، كما يشير في « تصديره » هذه الدراسة ضآلة الكتب التي تدرس البحتري . فعكف على ديوان هذا الشاعر الذي أحبه حباً عميقاً واعياً ، وتوفر على دراسة حياته ، وانقطع الى التمحيص والتحليل حتى اخرج لنا هذه الفصول القصيرة المركزة.

ونحن نلمس ، في « تصدير » الكتاب ، اول ما نلمس ، برم المؤلف بالطرق التي يتخذها الادباء والمتأدبون — ومن بعدهم الطلبة — في دراسة هذا الشاعر ، والذهاب في الحكم عليه مذاهب تمليها تأثرات بكتب شتى ككتاب الاغاني وغيره . . وهو يدعو الى دراسة حياته من آثاره ، وهو أمر ميسور جداً .

والكتاب في جملته ، لمحات سريعة ، سهلة الاداء ، نستشف من ورائها التدقيق الجاهد والعمل الفني الرصين ، تتضافر كلها لتؤلف الحادثة التاريخية او الفائدة الادبية .

وبعد « التصدير » نقرأ فصلاً يوجز حياة البحتري . وفيه عجالة تاريخية عن منبج وقدوم الطائيين اليها ثم مولد البحتري في اوائل

القرن الثالث للهجرة . فالمؤلف اذاً ، يرافق الشاعر من طفولته هذه المغمورة ، محققاً ودارساً ، حتى وفاته . وها هو يعبر لنا عن حيرته حيال سحابة الغموض هذه التي تكتنف حياة الصبي ثم نرى المؤلف يصور كيف تصغي اذن الشاعر الفتى ، المتفتحة للنغم والتعبير، الى لغة طيء ، ثم انتقاله الى قبائل اخرى تخلو لغتها من المآخذ والاقواء.

ولا يلبث النقد الادبي ، ان يمتزج ، عند المؤلف ، في توافق وانسجام ، بتصوير مراحل حياة الشاعر ، فنراه في مستهل شبابه يزور حلب وقراها وتقع عينه على فتاة غسالة ، او ابنة غسالة ، تروق له جداً ، وتشغل حياته ، وتخلد في شعره ، تلك هي علوة التي (لا تبيت الاوتار تخفرها) . وقد كتب المؤلف حول علاقتها بالبحتري فصلاً خاصاً سيأتي الحديث عنه .

ثم نتابع قراءة هذا الفصل ، فنرى شاعرنا شاباً مكتمل الرجولة، يضرب من نصيبين الى حمص ، يمدح الامراء ، ويحيا حياة اقرب الى التشرد منها الى الاستقرار .

ثم نراه يلتقي في العراق بعلي بن يحيى المنجم ، نديم المتوكل، فيطمح ان يلج بواسطته ، قصر الخليفة .

ويعود المؤلف فيصور الاحداث السياسية في عهود المتوكل والمعتز والمؤيد ويبين علاقة البحتري بتلك الاحداث، ويفصل ما ناله من تدخله في بعضها . ثم يصفو الزمان — اخيراً — لشاعرنا . فيخادن المعتز . . وينال الاموال الطائلة . . ويختتم المؤلف هذا الفصل الخاص عن حياة البحتري بذكر موته سنة ٢٨٤ هجرية .

وفي فصلين تاليين ، قصيرين ولكن مركزين ، يدفع المؤلف ما يزعمه الاصفهاني للبحتري من قذارة وبخل، بالتحليل العقلي المنطقي فالبحتري جليس الخلفاء والعظماء ، يدلنا على هذا شعره .

حملت على عشر من البرد مركبي ... عجالاً عليهن الشكيم المحاق.
واكثرت زادي من بدور تتابعت ... لجودك ، فيهن اللجين المطرق
ومنتسبات للوجيه ولاحق ... كميت يسر الناظرين وابلق
ومن لبس فازت بلبسك فاغتدى ... لها أرج من طيب عرفك يعبق
عليها رواء من حمائل مرهف ... صقيل بردّ الطرف عنه فيزلق

وقد تكون هذه الابيات كافية للدلالة على ما ذهب اليه المؤلف حين دفع رواية صاحب الاغاني . ولكنني كنت اود لو دعم دفاعه بوثائق اخرى ، وليس هذا بعزيز عليه ، بعد ان وقف جهوده على « البحتري » طيلة اعوام . . وكان يسافر احياناً من بلد الى بلد في سبيل مخطوطة لم تنشر ، او كتاب نادر يزيده معرفة بشاعره الاثير .

ومن اطرف فصول الكتاب ، تلك الصفحة التي كتبها عن « نخاسته »، اذ يزيل فيها ما اعتور سيرة البحتري من ارجاف وتضليل على يد صاحب الاغاني وغيره. وقد بلغ هذه الغاية بايراد قطعة نفيسة من مخطوطة لابن المعتز، نشرت حديثاً ، يروي الخليفة الشاعر فيها حديث البحتري وغلامه نسيم .

وفي الفصول التالية نتعرف الى بعض صفات الشاعر الوليد الايجابية — كما يقول المؤلف — فتجلي لنا من خلقه وحياته وقصده صفحة جديرة بالقراءة الدقيقة المتأنية .

ثم يعرض لصلته بأبي تمام . وتتلمذه عليه. وبين بحر زاخر من الروايات المتضاربة ، حول علاقة الشاعرين الطائيين ، نجد المؤلف يتخذ اسلوب التحليل العلمي ، فيقرر ما رضي ضميره عن التقرير ، وينفي ما وجد الى النفي سبيلاً : وهذا هو البحتري . لا يعمل بنصائح استاذه . اذ تأثر به في بادىء امره . ثم اكتملت ملكاته الشعرية فحلق بأجنحته الخاصة .

وكنا نتمنى على الكاتب لو درس هجاء البحتري باسهاب ، اكثر مما فعل ، حين قارن بين هجائه وهجاء ابن الرومي .

ثم يرد فصل « ضياع البحتري » متعارضاً مع تسلسل فصول الكتاب ، قاطعاً تكون هذه الشخصية ، وان كان في ذاته مفيداً جليلاً . وحبذا لو أخره الكاتب واثبته مع هذه « الفصول المتفرقة » في آخر الكتاب .

ثم يبدأ المؤلف في فصله : « شعر البحتري » بدراسته دراسة رصينه عميقة ، وباستطاعتنا قراءة هذا الفصل اذا شئنا ان نعرف المزيد حول طريقته العلمية التقريرية . ففيه تنظيم وترتيب . وفيه مقارنات واستدلالات. قد يطول بنا الحديث عنها وعن النتائج التي تؤدي اليها . ولكنني اشير الى رأي اساسي له ، قد يكون هو المحور الذي تدور حوله هذه الملاحظات النقدية في جملتها : وهو المديح عند البحتري . اذ ان مؤلفنا يبين كيف يتخذ الشاعر المديح وسيلته الى مختلف الفنون الشعرية والاغراض البلاغية. واستمع اليه في هذا الفصل نفسه يحلل شاعرية البحتري :

. . « فان شعره الحضري النفاذ النقي المشرق لا يشذ عن القواعد القديمة للشعر ، فهو بدوي وحضري في وقت واحد. تقرأ كل هذا الشعر فلا تجد فيه كلمة نافرة لفظاً ولا معقدة معنى. وقد لا يحتاج الاديب العادي الى معجم ، خلافاً لابي تمام الذي يسمونه امامة، او لابن الرومي معاصره ومنافسه ، فكان في بغداد او سر من را » لا يختلط بهذه الفوغاء، ولا يسمع كلامهم، وهو يعب من هذه الفارسية ويتغنى بمحامدها ولكنه لا يستعمل كلمة واحدة مما كان متعارفاً عند

الكتاب والادباء ، واذ ذكر الكلمات اليونانية فانه يجهد ان يضعها في قوالب عربية ، ومعلوم انه لا يستعمل الا الاعلام منها ، يقول في هجاء له متهكماً :

وقد بحثت العلوم اجمع واستظهرت حفظاً مقالة السلف
ما اقنص « واليس » في الفضاء و « جابان » وما سرّا من النتف
وما حكاه ذروثيوس وبطليموس من واضح لهم وخفي .

ويتحدث مؤلفنا، بهذا الاسلوب الماتع الدقيق نفسه، عن انواع الشعر عند البحتري . وهو حديث طويل كنت اتمنى لو يسعني تلخيصه هنا ، وهو يدور حول علاقة البحتري بالخلفاء . — وخاصة بالمعتز . — ومواقفه الاجتماعية ، وما اوحت اليه من ضروب الشعر والمعاني .

ومن اروع اقسام هذا الفصل، ولعلها اروع صفحات الكتاب ذكره تلك « المحاورة » الطريفة ، العنيفة التي جرت بين البحتري وعبيدالله بن عبدالله بن طاهر في مديح ابي العباس بن بسطام ثم رد البحتري ، بتهكمه اللاذع وشاعريته المبدعة ، الموارة ، التي لاتعرف اتزاناً ولا مداراة، على ذلك « الامير الحكيم المتطفل » على الشعر . يقول عبيد الله .

والشكل واليتم محدقان به فليته بث عمره شجبه

ويرد البحتري ساخراً :

لو ان ذاك الشريف، وازن بين اللفظ، واختار، لم يقل « شجبه »!

اما مؤلفنا فيتابع فصول هذه المحاورة للقارىء ، فاذا بها قصة او ما يشبه القصة ، يخلص منها الى ان البحتري قرر في نهاية قصيدته تلك ، الخصائص الخالدة للشعر العربي :

وخيرتي عقل صاحي ذقى سقت القوافي فخيرتي أدبه
والعقل من صيغة وتجربة شكلان مولوده ومكتسبه
كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يلغى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمحٌ تكفي اشارته وليس بالهذر طولت خطبه
والشعر حلي المعنى وليس يريك الصفر حسناً ، يريكه ذهبه

ويقول المؤلف مستنتجاً :

١ — ان الشعر لمحات لا يرجع فيه الى المنطق اي ليس هو من ثمار العقل بل هو نبضات القلب ومثار العاطفة .

٢ — اللفظ حلي المعنى اي ان الجمال ورونق الشعر وبهجته وقبلته فالخيال الخصب هو ينبوع الشاعر ، والصياغة اللفظية هي قابليته وجاليته وسابكته في قلب الجمال .

ويحلل المؤلف قصيدة « ايوان كسرى » او على الاصح يكسوها غلالة شفافة من الحس الرقيق والتفهم الهادىء الحذر ، لا تفسد رونقها ، ولا تسمح لنفسها بتشريحها لسبر اعماقها ، بل تقر لها بصفاتها الشعرية الخالدة وحسبها من التحليل هذا الحد المتزن القويم وكذلك خصص الكاتب فصولا لقصيدة « الذئب » و« وصف القصور » والمناقضات، اما قضية « تشيع البحتري » فأمر يقف منه المؤلف موقفاً وسطاً فهو لا ينكر احترام البحتري لعلي وابنائه ، ولكنه لا يجزم بتشيعه . اما اشعاره فيهم فيعزوها الى ضمير الشاعر المولع بالحق اينما كان.

ويعود الحديث ، بعد علي ، الى علوة .

هذه الفتاة الساذجة الجميلة التي احبها البحتري، وكان يعود الى ذكراها في حله وترحاله، ويتمثل طيفها في غدوه ورواحه، ويذكرها دوماً مهما رأى من جمال ومهما خبر من لذات الحياة وصنوفها . وهو حديث وجداني غزل، يوشيه المؤلف بشعر البحتري في هذه الفتاة الجميلة :

كم ليلة فيك بتّ أسهرها ولوعة من هواك اضرمها
وحرقة والدموع تطفئها ثم يعود الجوى فيسعرها
يا علو ، علّ ازمان يعقبنا أيام وصل نظل نشكرها
بيضاء رود الشباب ، قد غمست في خجل دائب يعصفرها
مجدولة، هزها الصبا فشجا قلبك مسموعها ومنظرها.
لا تبعث العود تستعين به ولا تبيت الاوتار تخفرها
الله جار لها فما امتلأت عيني الا من حيث ابصرها!!!
إن قويقاً له عليّ يد بيضاء بالامس لست أكفرها
وليلة الشك وهو ثالثنا كانت هنات ، والله يغفرها

وبعد « آراء متفرقة » نطالع فيها نظرة البحتري الى الحياة ، ورأيه في المرأة اذ يعتبرها متممة للرجل ابنة واختاً وزوجة واماً ، وبعد فصول حول ايمان البحتري واباحيته وابائه وعتابه وثاقب رأيه وفخره ، ننتهي من هذه الدراسة الطلية الجاهدة بآخر شعر لصاحب « صنت نفسي » .

ولا بد لي ، قبل ختام الحديث ، من الاشارة الى الملاحظات الموفقة التي قوّم بها المؤلف اخطاء الرواة والنقاد مثال ذلك ما ذكرته دائرة المعارف الاسلامية حول قرية النعمان ، وهي غير المعرة .

وكذلك الخطأ الوارد ، حول كتاب ابي تمام الى معرة النعمان. ثم قضية مديح الامير ، وكيف ان الشاعر لا يمدح مدينة بجملتها* وهي فكرة بنى عليها المؤلف رأياً ادبياً مهما .

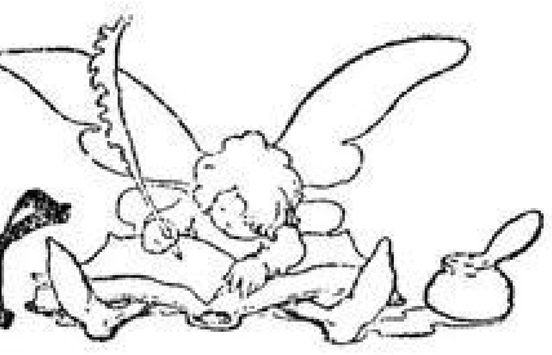
وكذلك قل عن ضياع البحتري والتحقيق في امرها، ومغالطة الديوان ، وكون هذه الضياع في منبج لا في البصرة . الخ . . الخ .

وليس لنا ، ونحن نقرأ الصفحة الاخيرة من هذه الدراسة، الا ان نهنىء المؤلف بما اسدى الى البحث الادبي الرصين، والانشاء البليغ الممتع ، حين قدم لنا هذا الكتاب الشيق المفيد .

محمد عبناني

---

* أرسل المؤلف هذا الرأي في صدد قضية معينة .



جولة الأديب في القطر

في دمشق عصبة للساخرين

بقلم فدري قلعجي

●

لم يكن من الغرابة في شيء ان تتألف في دمشق عصبة تسمي نفسها « عصبة الساخرين »، ولكن وجه الغرابة في هذه العصبة الساخرة ان تضم نخبة من اكبر ادباء الشباب في سورية وان تكون اقوى جمعية ادبية في القطر السوري كله . . . فما هو العامل الذي دعا هؤلاء الادباء البارزين ان يتنادوا الى السخر بالمجتمع والناس ؟ وما هو السبب في ان سورية لم تنجب من الجمعيات الادبية منذ سنوات غير هذه الرابطة التي تحمل سياط النقد اللاذع ومعول الهدم والتدمير ؟! وهل ذلك دليل على انهيار القيم الفكرية والاجتماعية في عاصمة الامويين ام انه دليل على بعثها واقامتها على اساس جديد ؟!

لست اريد الآن الاجابة على هذا السؤال ، لاني لست بسبيل الحديث عن فلسفة السخرية ، وعما تقدمه هذه الفلسفة للناس ، وعن اثر « عصبة الساخرين » في الادب السوري ، اموجه هو ام مهدم ، ومحفز للسير الى الامام ام مثبط للعزائم دافع عن الاقدام ، الا اني استطيع القول بكلمة سريعة عابرة ان البلاد العربية عامة قد اتخمها الادب المتفجع المتشائم البكاء ، وانها احوج ما تكون الى الادب الضاحك المتفائل بالحياة .

وكذلك لن اتوقف عند عقائد اعضاء العصبة وميولهم السياسية ، فقد كفاني اعضاء العصبة انفسهم مؤونة ذلك ، حين جمعتهم فكرة السخرية وحدها دون النظر الى اي اعتبار آخر ، فجمعوا بين اكثر الالوان السياسية ، من القومية المتطرفة الى الشيوعية المتطرفة ، اذا كان في القومية والشيوعية تطرف واعتدال .

لقد اردت ان اعرف بادىء الامر كيف نشأت هذه الجمعية العجيبة ؟ تحت اي طالع ولدت ؟ وفي مخيلة اي شيطان نبتت ؟ وكيف انتسب اليها اعضاؤها الكثيرون وكلهم كاتب ومفكر وأديب بارز ؟ . . وقد انتهيت الى ان الاستاذ سعيد الجزائري الاديب المعروف وسكرتير تحرير جريدة « النقاد » هو الذي كان عراب هذه « التقليعة » البارعة على لغة اخواننا المصريين ، وهي ليست اول تقاليعه الجريئة ولا آخرها على كل حال .

حرفة السخرية

ولعل خير ما يصور وضع هذه العصبة ونشأتها قول الاستاذ مواهب الكيالي جواباً على سؤال وجهته له ولزملائه :

« كنا عصبة من الشباب في ايدينا اقلام اردناها مشارط ، ونعيش في مجتمع ما زلنا نؤمن بانه مجتمع حي ولكنه لا يستغني عن المشرط وأنا شخصياً ، كنت وما ازال احمل مجتمعي ، بسخريتي ، الى طاولة العمليات كشيء حي ، ولم احمله قط الى طاولة التشريح كما لو كان جثة هامدة . . هذه هي العصبة ، كانت مؤلفة قبل ان يكون لها تسمية ، رغم اننا كنا نعرف بالساخرين قبل ان نصبح عصبة ! » .

وهكذا ترى ان هؤلاء الادباء الساخرين لم ينتسبوا الى العصبة بل ان العصبة هي التي انتسبت اليهم ، كما يقول الدكتور عبد السلام العجيلي ، وكان هذا الاسم الذي اطلقوه على انفسهم خير ما يدل على طبعهم الغالب ، وان كان بينهم افراد يعدون انفسهم من الساخرين بالرغم منهم ، لانهم حكموا بالانتساب اليها حكماً غيابياً لا يقبل الاعتراض والتمييز ! .

يبدو ان العصبة كانت مؤلفة من اعضاء كثيرين ، بين انسان ومشروع انسان ، اذا جاز هذا التعبير الذي استعيره من الاستاذ الجزائري ، ثم تغربلت فنفضت من بين افراد اسرتها « مشاريع الانسان » واصبحت مؤلفة من اثني عشر انساناً . . هذا اذا كان الاديب انساناً !

ان هؤلاء « الاثني عشر » قد اتخذوا السخرية « حرفة » لهم ، عدا عن انها طبعهم الغالب ، فباتوا يسخرون ، منفردين ومجتمعين ، بأقلامهم والسنتهم ، في مجلسهم الخاص وفي المجالس العامة ، من كل من يستحق السخرية في المجتمع ، بل وممن لا يستحقها احياناً ، وكثيراً ما يكونون هم انفسهم موضوع سخريتهم . ولعل سخريتهم حينذاك تبلغ قمتها .

واليك هذه اللمحات الخاطفة عن كل منهم ، وهي لمحات لا يمكن ان تسجل ، في هذا المجال الضيق ، الا القليل من مزاياهم وخصائصهم . راجياً ان تتاح لي فرصة اخرى للتحدث عنهم فرداً فرداً :

الدكتور عبد السلام العجيلي

بعرفه

قراء « الاديب » كاتباً قصصياً لامعاً ، فهو مؤلف « بنت الساحرة »، هذه المجموعة النفيسة من القصص الواقعية الحية التي تمتاز بروعة التفكير وعمق التحليل، والتي اعطت الادب العربي لوناً جديداً من فن الرواية اعتقد بانه لم يعرفه من قبل . ولا ريب في ان حرفة الطب التي يمارسها كانت له مطلاً يطلع منه على امراض المجتمع لا على امراض الافراد وحسب ، وكذلك حرفة السياسة التي زاولها وقتاً غير قصير ولا سيما حين كان نائباً في المجلس السوري السابق . ومن هنا كانت سخرية الدكتور العجيلي قاسية لاذعة لا تعرف الرفق واللين ، ولا تثير المرح والبهجة بقدر ما تثير الالم والرثاء ، فهو طبيب حتى في أدبه يعطي الدواء المر ولكن بقصد الشفاء ، وهو شاعر قوي الاحساس ولكنه لا يستمد وحيه من جمال الحياة وافراحها وحوافز الالهام فيها مثلما يستمده من تناقضات المجتمع ومفارقات الوجود التي تبعث على التأمل العميق ، تأملاً يتحطم معه الكثير من الاصنام والقيم والتقاليد

والدكتور العجيلي هو رئيس مجلس الوزراء في حكومة الساخرين ، لانه وان كان من اكثرهم سخرية ، فهو عند الضرورة، من اكثرهم جداً . . بل لعل سخريته نفسها جد ما بعده جداً !

سعيد الجزائري

الاستاذ

سعيد الجزائري هو مؤسس هذه العصبة واعرق افرادها في السخرية ،وقد اسسها ليسخر فاذا به يجد . . واذا بالجادين يسخرون

انه سخرية حية ، متنقلة ، ضاحكة ، متفائلة . . وهو اعظم ما يكون سخرية وضحكاً وتفاؤلا في الايام العابسة والظروف العصيبة المدلهمة . . وقد عرف السخرية بانها الحقيقة الابدية ، ومواكب البشرية لا تفتأ في رأيه يسخر بعضها من بعض مذ كان هذا الوجود .

عرفته منذ عشر سنوات ، فما اذكر انه قد تغير وان كان قد تطور ، فهو الاديب اللبق، والكاتب المرح، والناقد الجري، الذي لا يسلم من نقده احد ، وهو الصديق الذي يخلص لصديقه الى ابعد حدود الاخلاص،والعدو الذي لا يعرف في خصومته هوادة او ترفقاً .

ويقولون عن الاستاذ الجزائري انه قاس في نقده جارح في سخريته ، وهي صفة يجب ان تعد له لا ان تعد عليه ، لانها انما تنبع من الصراحة التي فطر عليها ، فهو امرؤ لا يطعن الناس في ظهورهم ولكن وجهاً لوجه !

وقد ساهم الاستاذ الجزائري في كثير من الصحف السورية ، فكانت مساهمته فيها مبعث تجديد ونشاط وحيوية لا تنضب ، وهو اليوم سكرتير تحرير مجلة « النقاد » الصحيفة الادبية الوحيدة في دمشق .

ويتولى الاستاذ سعيد وزارة الداخلية في حكومة الساخرين لمهارته في حفظ الامن بينهم ، ولنشاطه في ملاحقتهم وحملهم على اداء واجباتهم . . والحق انهم لولاه لما اعتصبوا ولما سخروا .

احمد عسة

بفولوه

ان الاستاذ احمد عسة قد زج في زمرة الساخرين زجاً ، لانه يأبى ان يحلل ويدقق ويتعمق ، وقد سماه احدهم « النحات الاسود الجذاب » لان « من عادة النحاتين ان يكونوا مثالا في الصرامة ، ولان الناس تعارفوا على ان اللون الاسود مصدر الرعب، ولان الجاذبية هي التي ترغمهم على احتماله»!

واصحاب هذا الرأي يثبتون انهم لا يفرقون بين السخرية والدعابة ، واذكر اني سألت كلا من اعضاء العصبة :« من هو ابرع زملائك في العصبة سخرية، وما هي اجمل نادرة تذكرها له» فأجابوا على ذلك اجوبة مختلفة وروى اكثرهم نوادر زملائهم لا تزيد عن كونها نكات وفكاهات ، وكان الاستاذ احمد عسه اجرأهم على القول انه اكثر رفاقه سخرية ، كما كان الشخص الوحيد الذي فطن الى ما في هذا السؤال من مغالطة لجمعه بين السخرية والتندر ، ثم قال: ومن السخرية والتندر ان يتزلق احد المعتصبين بهوة الجواب على الشق الاخير من السؤال لئلا يسخر القراء من الساخرين الذين اعتصبوا ليسخروا من كل شيء !.

والاستاذ عسة كاتب مجيد ، وأديب موهوب مجدد، ومثقف عالي الثقافة ، وانسان كريم الخلق، ومثال حي للشباب المجد العامل وقد تولى ادارة محطة الاذاعة السورية فجعل منها نموذجاً لما ينبغي ان تكون عليه محطات الاذاعة العربية ، ولا يزال دائم التجديد والتحسين في انظمتها وبرامجها ، وليت محطة الاذاعة اللبنانية تقتبس من هذه الانظمة والبرامج ما يجعل منها محطة حية محترمة !

وقد اسند الى الاستاذ احمد عسة منصب وزير الخارجية في حكومة الساخرين ، وعهدنا بوزارة الخارجية انها لا تسند الا الى الرجل اللبق الانيق الواسع الاطلاع والمتقد الذكاء، فاذا كان زملاء الاستاذ احمد قد قصدوا هذا في اختيارهم اياه لهذا المنصب فقد وفقوا واحسنوا الاختيار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ممتاز الركابي

اديب

موهوب، وكاتب منتج، وشاعر يتذوق الفن ويأسره الجمال، وقد ربح الجائزة الاولى في مباراة القصة التمثيلية التي اقامتها مجلة «النقاد» بمسرحيته القصيرة «الحاجة كمالا» وهي مسرحية ممتازة تدل على خبرته بفن التمثيل، وقوة ملاحظته، وبراعته في الحوار، واستعداده لان يكون كاتباً مسرحياً من كتاب الطبقة الاولى.

والاستاذ الركابي عنيف في سخريته، يجد لذة عميقة في التهكم على نفسه وعلى غيره، ويعتقد بان السخرية في الحياة هي الموعظة المعربدة، وهي في الادب الثورة في كل معانيها. وقد كتب مرة انه اذاب لحمه وأتلف اعصابه وسهر ليلة كاملة ليكتب مقالا موزوناً

مجلة علم النفس

☆ ☆ ☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي
تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٢٨ شارع روض الفرج شبرا، مصر

وفي الصباح وجد قارئاً يلف حذاءه القذر بالجريدة التي نشرت المقال!

ويتولى الاستاذ ممتاز سكرتارية تحرير جريدة «بردى» وقد انتخبه زملاؤه وزيراً للشؤون الاجتماعية والفنون الجميلة في حكومتهم، لانه شاعر وممثل «ولان الله جميل يحب الجمال!»

الاخوان مواهب وحسيب كيالي

أبرز

ما في الاخوين مواهب وحسيب كيالي انهما يعتنقان فلسفة صحيحة لتطور الكون والمجتمع..

ويمتاز الاول بالطيبة والمودة والتواضع والعاطفة الفياضة، اما الثاني فهو على نقيض اخيه..

وقد ظل الاستاذ مواهب الكيالي وقتاً طويلاً وهو في صراع مع الحياة حتى شق لنفسه الطريق التي يعتقد بانها الطريق القويمة..

واذكر اني عاتبته مرة لانه هاجم الفقيد عمر فاخوري في مقال له، فاعترف مخلصاً بانه كان على ضلال. وفي الاستاذ مواهب، مواهب زاخرة حرية بأن تجعل منه اديباً ممتازاً من الادباء الواقعيين المجددين.

اما الاستاذ حسيب فقد اعتقد بانه تبوأ القمة، ولذلك فهو لا يتورع عن الحديث عن نفسه وكأنه غوركي او تشيكوف، مطلقاً الاحكام على كبار الادباء المنتجين دون تروٍ، وما عرفنا له حتى الآن انتاجاً حرياً بالاهتمام.. فان كان ذلك من ضروب السخرية ايضاً، فانها من سخريات الدهر لا من سخرية حسيب..

والاخوان كيالي موظفان في الدولة، وقد اسند الساخرون الى الاستاذ مواهب وزارة الصحة لانه لا ينفك متوعك المزاج.. واسندوا الى الاستاذ حسيب وزارة الاقتصاد لانه اغنى اعضاء العصبة واشدهم بخلاً..

عباس الحامض

كنت

قد قرأت للاستاذ عباس الحامض مقالات سياسية تركت في نفسي صورة قاتمة له، ثم دهشت حين تعرفت به فوجدته من اخف الناس ظلاً ومن اكثرهم مرحاً ومن اظرفهم مجلساً واجملهم دعابة.

والاستاذ عباس يتمتع بجميع المواهب والمزايا الخليقة بأن تجعل منه اديباً لامعاً، ولكن ظروف الحياة قضت عليه باحتراف العمل الصحفي، ولهذا فهو لا يعطي الادب غير القليل من وقته ويعطي الصحافة وقته كله، وليته يفعل العكس.

ويرى الاستاذ عباس الحامض ان اثر السخرية بليغ في الحياة، وان الساخرين قد استطاعوا اصلاح المعوج ومقاومة الطغاة في كل امة وعصر، ويضرب على ذلك مثل الساخرين في سورية وعددهم

اثنا عشر وقد وقفوا يهزأون بالطغيان والارهاب في عهد حسني الزعيم بينما الساسة والكتاب ساروا في موكبه خشية وخوفاً .

وهو بارع في السخرية التحريرية والسخرية الشفهية على السواء، وقد كتب مرة عن احد الوزراء من اصحاب « الكروش » البارزة ان بوليس المرور اوقف السير ريثما اتاح لموكب « كرشه » الانتقال من رصيف الى رصيف !

ويتولى الاستاذ الحامض رئاسة تحرير جريدة « القبس » اما زملاؤه فقد عهدوا اليه في حكومتهم بوزارة المالية لانه يقول للاستاذ حسيب الكيالي « مرحبا قرداش ».

عبد الرحمن ابو قوس

اديب

مجدد ، وشاعر رقيق، وصحفي ممتاز، عرفته منذ بضعة عشر عاماً وانتظرت له مستقبلاً لامعاً في عالم الادب والصحافة ، ولكن ظروف العيش في مدينة حلب، بنطاقها الضيق وجوها المحافظ ، لم تسمح له حتى الآن ببلوغ كل ما هو اهل له . .

لقد ساهم في تحرير كثير من الصحف، وانشأ اكثر من صحيفة ، واصدر عدة كتب ادبية ومجموعات شعرية، وهو اليوم رئيس تحرير جريدة « برق الشمال » بحلب ، ولكن المستقبل اكثر رحابة امام هذا الشاب الموهوب . .

يؤخذ على الاستاذ عبد الرحمن انه ثوري اكثر مما ينبغي له ، فليته يهادن المجتمع الذي يعاديه ويتجه بنقمته على الانظمة الرجعية والطغمة الاقطاعية فهي وحدها عدوة الفكر والحرية والشباب . . وليت السخرية على لسانه وسن قلمه ، تكون حقاً كما وصفها اداة للتهديم والبناء ، لا اداة تهديم وحسب . .

وقد كان الاستاذ ابو قوس ابرع من صور لي زملاءه فقال : «زملائي في العصبة يتميزون بالنسبة لكمية الانتاج الساخر، ولنوع الانتاج ! فبينهم ساخرون ناطقون، وساخرون محررون، وساخرون يحسبون خلق جو السخرية ولا يحسنون السخرية نفسها . وابرع الزملاء سخرية الاستاذ عباس الحامض اذا تكلم ، وابرعهم الاستاذ ممتاز الركابي اذا كتب ، وابرعهم الاستاذ سعيد الجزائري اذا جابه وزيراً او زعيماً . . وابرعهم انا اذا لم اكتب في السخرية ! »

ويشغل الاستاذ ابو قوس في حكومة الساخرين وزارة الاشغال العامة، وذلك لانه حلبي وحسب، اذ جرى العرف منذ وقت طويل بان تسند هذه الوزارة لاحد الحلبيين الذين يطالبون بجر مياه الفرات الى مدينتهم ، فكان الوزراء الحلبيون يتعاقبون على هذه الوزارة دون ان يتحقق مطلب المدينة العطشى . واتفق ان التقى الاستاذ سعيد الجزائري يوماً بمعالي احمد بك الرفاعي وزير الاشغال العامة في احدى الوزارات السابقة فقال له : « لماذا لا تستقيل وقد استقال زميلك ؟ » فأجاب : « انا لا استقيل حتى اجلب الفرات لحلب ! » فقال له الاستاذ سعيد : « ارى انك اذا امتدت حياتك في هذه الوزارة فستعطش دمشق وتجف انهرها السبعة ! »

سعيد القضماني

بيانه

مشرق واسلوب انيق واطلاع متواصل، مع خلق كريم وقلب نبيل ونفس وديعة كالجدول الصافي الرقراق.

ذلك هو الاستاذ سعيد القضماني سكرتير تحرير مجلة «المعلم العربي» واحد الادباء المجددين في دمشق.

انه احد الساخرين بالرغم منهم ، ولكنه ساخر شفهي على الاقل . . وهو يفهم السخرية على انها الكشف عن مواطن الضعف في الانسان، في حسن اداء وبراعة تصوير ، ويعتقد بان الاديب الساخر هو الذي يستطيع تصوير المفارقات الداعية الى السخرية ، مما يحتاج الى سرعة خاطر ، وفطنة مرهفة ، وسبر لاغوار النفس البشرية ، مع قدرة فائقة على استخدام الالفاظ . .

وقد انتج الاستاذ القضماني الكثير من الفصول الادبية والدراسات القيمة، كما ترجم الى العربية بعض الروائع من ادب الغرب .

وهو يتولى في حكومة الساخرين وزارة المعارف لانه ربيب هذه الوزارة ومن اقدم المعلمين.

عبد الغني العطري

اديب

معروف وكاتب بحاثة، كان لمجلة «الصباح» التي اصدرها في اوائل الحرب العالمية الثانية اثر لا ينكر في بعث الحركة الادبية في سورية.

وهو يصدر اليوم مجلة « الدنيا » ذات الانتشار الواسع بدمشق ، الا ان انتشارها لا يعود الى جودة موادها بقدر ما يعود الى ناحية الغرابة في هذه المواد .

ويقولون ان الاستاذ العطري لا يمكن ان يكون ساخراً، مع انه يعد نفسه من مؤسسي العصبة . . واذا صح ان صاحب «الدنيا» لا يجيد السخرية الادبية ، فهو يجيد السخرية العملية على الاقل، ويسخر من قرائه باستمرار بما يقدم لهم من الغرائب التي تثير فضولهم وتزيد في انتشار صحيفته .

وقد سألته : « كيف تفهم السخرية، وما هو اثرها في الادب والحياة ؟ » فأجاب : « السخرية اجمل واروع فنون الادب ، اما اثرها في الادب والحياة فلن اتحدث عنه بل ادعو لكل اديب ان

يهبه الله ملكة السخرية ! ».

والاستاذ عبد الغني العطري وزير الزراعة في حكومة الساخرين ، لانه يملك مسكبة امام منزله تزرع ببعض البقول !

احمد علوش

أديب يتجلى الاخلاص والصدق في ادبه مثلما يتجليان في حياته . . فهو انسان طيب وقلب متواضع ، وهو كاتب طبع القلم يجول في كل موضوع بثقة في النفس ولا يشوبها الزهد والاعتداد.

ويرى الاستاذ علوش ان من يعرف قيمة الحياة ويفكر في الامور من الناحية الواقعية لا بد له من ان يسخر من حياتنا، ولهذا فهو ينتهي الى الاعتقاد بان السخرية هي فن بعث الحياة .

ومن مقالاته الساخرة مقالة جمع فيها اقوال سياسي سوري مثل دوراً كبيراً في تاريخ سورية الحديث ، في معركة الاسكندرونة ومعركة فلسطين ، فقد كان يقول عن الاولى — في تصريحات متسلسلة — انها ستبقى سورية الى الابد . وكان يقول عن الثانية ستبقى عربية الى الابد ، وانه سيلجأ الى المقاتلة في البر والبحر والجو . . وكان ان ذهبت الاولى ولحقت بها الثانية ، ولا ندري ان كانت هنالك ثالثة !

وقد اسندت الى الاستاذ احمد علوش وزارة الدفاع الوطني في حكومة الساخرين، لانه مخيف في غضبه بقدر ماهو وديع في رضاه.

نسيب الاختيار

ادب كبير وقلب كبير ، كتب في فنون الادب كلها فكان موفقاً فيها جميعاً، ولا سيما في الدراسة والقصة. في نثره الفني الجميل دفق الشاعر وعمق المفكر، وفي اقاصيصه الوان من الواقع العربي تنبض حرارة ، وتزخر حياة ، وتسطع طيباً وعطراً .

قرأته منذ بضعة عشر عاماً فغدوت من قرائه الدائمين، لما اجد في ادبه من صدق وقوة وفائدة ومتعة .

والاستاذ الاختيار في صراع دائم مع الحياة ، وفي رأيه ان هذه الحياة مهزلة نحن واضعوها ونحن ممثلوها ونحن النظارة فيها . وهو يميل الى السخرية ذات الطابع الانساني الاصيل .

ويشغل الاختيار هذه الايام وظيفة مدير النشر في الاذاعة السورية ، اما رفاقه في العصبة فقد عهدوا اليه في حكومتهم بوزارة العدل لان وزير العدل عادة لا صلاحيات له ولا تبعات تقع على عاتقه ولكنه يتمتع باحترام الجميع لانه خير من يقضي بينهم بالعدل .

الساخرون لا يتحزبون

ومضة حين راودت اعضاء العصبة فكرة خطيرة وهي ان تتحول عصبتهم الى حزب سياسي، وكانوا على يقين بان هذا الحزب سيكون اكبر حزب في البلاد فتنتقل اسماء السوريين كلهم الى سجلاته لان الشعب باجمعه اما هو حزب الساخرين، وتنتسب الاحزاب كلها اليه لان سخرية هذه الاحزاب بالاماني الوطنية قد جعلتها اساتذة في فن السخرية .

ولكن الدكتور العجيلي عارض هذه الفكرة بشدة لانه رأى في هذا الانقلاب يطرأ على العصبة ، تدنياً ونزولا عن مستواها الى مستوى بعض الاحزاب ، فتتحول من جماعة تضحك على كل الناس الى جماعة يضحك منها كل الناس .

وقد وافق زملاء العجيلي اخيراً على رأيه ، وان كان الاستاذ عباس الحامض قد اعترض على ذلك بقوله ان جعل العصبة حزباً ينسجم كل الانسجام مع طبيعة الاشياء ، ومع الجو الذي تحيا سورية فيه، والافق الذي يسرح السوريون طرفهم في نواحيه المترامية فيرتد كليلاً عن منظر جدي، عاجزاً عن رؤية عمل صادق ، بينما تشدهه في كل لحظة رواية لابي الكشاكش وقصة لبشارة واكيم ومونولوج وتهريج من شكوكو وامثال شكوكو من السياسيين المحترفين !.

حقاً ان الكاتب يستطيع ان يقول في بضعة سطور ساخرة ما لا يستطيع ان يقوله في عدة مقالات واعظة . ولكن اذا جاز للادباء السوريين ان يقولوا مثل هذا عن حياتهم السياسية والحزبية، فماذا يقول الادباء اللبنانيون ؟!

قدري قلعجي

العرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ بونس المجري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

أنباء العالم في شهر

٢٧ سبتمبر ١٩٥٠ - اعلنت القيادة الاميركية في كوريا ان القوى النازلة من سوان التقت بالقوى الاميركية الآتية من سانغجو وبذلك تم قطع جميع القوى الشمالية الموجودة جنوب خط العرض ٣٨.

٢٨ - يتابع الاميركيون زحفهم في كوريا من ساوول في اتجاه خط العرض ٣٨ كما استولت قواتهم على مدينة نايجون.

٢٩ - بلغت قوات كوريا الجنوبية في تقدمها خط العرض ٣٨ ووقفوا عنده لاعادة تنظيم قواهم.

٣٠ - اعلن الباندیت نهرو رئيس الوزارة الهندية ان الهند ترى ان قوات الامم المتحدة يجب ان تقف عند خط العرض الـ ٣٨ في كوريا فلا تتخطاه الا بعد ان تفشل جميع الوسائل التي تستخدم لتسوية الحرب الكورية. وقال ان هدفنا يجب ان يكون ايجاد دولة كورية حرة متحدة ذات حكومة مؤلفة وفق رغبات الشعب

اول اكتوبر ١٩٥٠ - وجه الجنرال ماك ارثر نداء الى الكوريين الشماليين طلب منهم ان يبادروا الى الاستسلام ويكفوا عن القتال والا اجتازت قوات الحلفاء خط العرض ٣٨.

٢ - توغلت قوات كوريا الجنوبية ٥٠ كيلومترا في الشمال واحتلت مدينة يانغ يانغ.

٤ - اعلنت نظارة الخارجية الاميركية ان تركيا قبلت الاشتراك في الحلف الاطلسي في منطقة البحر المتوسط وهي بذلك تقبل المساهمة مع البلدان الموقعة على الحلف ولكنها لا تصبح عضواً فيه.

- توغلت قوات كوريا الجنوبية ١٢٠ كيلو متراً في شمال خط العرض واقتربت من مدينة ونسان

٥ - اعلن فتريلوس رئيس الوزارة اليونانية انه قبل دعوة اشتراك اليونان بخطط الدفاع عن منطقة البحر الابيض المتوسط التي تضعها دول الحلف الاطلسي. كما تستمر المحادثات بين رئيسي اركان حرب الجيشين التركي واليوناني لعقد ميثاق دفاعي اقليمي عن شرقي البحر المتوسط.

٦ - اضرب عشرون الف من العمال بالمنطقة الالمانية الغربية فتعطلت حركات النقل.

٧ - اجازت الجمعية العمومية لهيئة الامم بـ ٤٦ صوتاً ضد خمسة وامتناع سبعة لقوات الامم المتحدة باحتلال عموم كوريا موقتاً.

٨ - شرعت القوات الاميركية تغزو كوريا الشمالية ووجهتها العاصمة بيونغ يانغ التي تبعد عنها ١٣٠ كيلومترا.

٩ - دخلت قوات كوريا الجنوبية مدينة ونسان وتقدمت القوات الاميركية خمسة كيلومترات عن خط العرض.

١٠ - قدمت روسيا مذكرة احتجاج الى الولايات المتحدة على ضرب الطائرات الاميركية مطاراً روسياً في سيبريا شمالي كوريا.

١١ - اذاعت الحكومة الصينية للمرة الثانية تحذيراً بانها لن تقف مكتوفة الايدي امام العدوان الاميركي على كوريا الشمالية.

- اذاع رئيس حكومة كوريا الشمالية نداء الى القوات المسلحة بالمقاومة حتى الموت.

١٢ - سافر الرئيس ترومان من واشنطن على طائرته الخاصة لمقابلة الجنرال ماك ارثر.

- تقدمت قوات الامم المتحدة مسافات كبيرة في كوريا الشمالية واحتلت ثلاث مدن والمقاومة الشمالية ضارية.

١٣ - بدأت المفاوضات الفرنسية الاميركية لتسليح فرنسا.

١٤ - اجتمع الرئيس ترومان بالجنرال ماك ارثر في جزيرة «ويك» وعلم بان الحديث يتناول محاربة الشيوعية في آسيا واقامة العلاقات مع الصين.

١٦ - تستمر قوات الامم المتحدة في تقدمها نحو عاصمة كوريا الشمالية بيونغ يانغ وهي الآن على مسافة ٥٠ كيلومترا منها.

- حصل بالقرب من روما اصطدام بين الشيوعيين والعمال المسيحيين.

- اذيع من تركيا ان الروس يحشدون عدة فرق بالقرب من الحدود التركية والايرانية

١٨ - دخلت قوات كوريا الجنوبية مدينة بيونغ يانغ ووصلت اليها سائر قوات الامم المتحدة من ثلاث جهات. واخذ المدنيون يلجأون بجموع غفيرة الى الصين.

- القى الرئيس ترومان خطاباً خطيراً انذر فيه الاتحاد السوفياتي بمقابلة القوة بالقوة والسلم بالسلم وقال علينا ان نزيد انتاجنا العسكري وعدد قواتنا المسلحة وان نخصص القسم الاكبر من مواردنا للاغراض العسكرية والقسم الاصغر لمواد الاستهلاك.

١٩ - اعربت حكومة الولايات المتحدة عن اسفها لحادث ضرب المطار الروسي الواقع في داخل الاراضي الروسية واعلنت عن استعدادها للتعويض.

٢٠ - انزل الاميركيون جيشاً من الجو قرب حدود منشوريا لعزل الشماليين.

٢١ - تتقدم قوات الامم المتحدة على جميع الجبهات في كوريا ويدافع الشماليون دفاعاً مستميتاً

٢٢ - اعلن اتشيسون ناظر الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة مستعدة دائماً لاجراء مباحثات مع الاتحاد السوفياتي حول القضايا ذات المصلحة المشتركة.

- تم الاتصال بين قوات كوريا الجنوبية الزاحفة شمالي بيونغ يانغ والقوات الاميركية التي انزلت بالمظلات.

٢٣ - خطب تشرشل فقال ان قضية السلم تقضي ببناء جبهة موحدة وناشد فرنسا الا تحول دون نهوض وتسليح المانيا اذ لا توجد وسيلة لانشاء قوة دفاعية غربية بدون تعاون المانيا.

اعلنوا

في

مجلة الاديب

حيث يبقى

الاعلان عرضة

للانظار

مأساة الفردية

●

من الاقوال الشائعة ان «حريةالفرد تحدها حرية الآخرين ».. وليس في اعتقادي اشد خطأ من هذا التعريف للحرية ، ولا اكثر ضرراً من شيوعه بين الناس، لانه يوطد روح الفردية التي سادت حياتنا العامةوامست اخطر العلل الاجتماعية التي يعانيها الشرق العربي

ان هذا التعريف الذي يحفظه كل من تمتع بقسط يسير من الثقافة ، ولا يفتأ يردده اقطاب الثقافة انفسهم ، ليصور المجتمع على انه مؤلف من افراد لا صلة بينهم ، لكل منهم « حريته » الخاصة التي يستقل بها عن « حريات » الآخرين وتتضارب معها . . وما احرانا بان نتحرر من هذا المفهوم الغابي للحرية لنقول ان حرية الفرد انما تكملها وتعززها حرية الآخرين .

ان امثال هذه « المبادىء » السائدة في حياتنا وعقليتنا قد جعلت منا امة فريدة في التاريخ ، فريدة بتفسخهاوتفككها وانانية افرادها ، وانطواء كل منهم على ذاته ، وانصرافه الى اغراضه الشخصية ، وتكالبه على المنافع العاجلة بكل وسيلة ومن كل سبيل . . حتى غدونا اشبه ما نكون بوحوش في غابة ، يعيش كل منا في حذر مقيم وشك متصل وانتظار مستمر للفرصة المؤاتية ، فاذا ما سنحت سطا وفتك وافترس

فما عسى ان تكون الدولة التي تبنيها امة من هذا الطراز ؟ وما عسى ان يكون المجتمع الذي يتألف من مثل هؤلاء الافراد ؟ . . بل ما هي قيمة الحياة عندما تلتصق الحياة بالتراب ولا تعني سوى الفردية والانانية والاعتزال وانتهاب الفرص والاستهتار بالقيم والسير على جثث الآخرين كي يبني الانسان لنفسه منزلا جميلاً على ضفة مستنقع آسن ؟ . . وهل تكون الحياة في مثل هذا المنزل جميلة ورغيدة حقاً ؟!.

ان مذاهب التشاؤم والقنوط ، والاعمال الاجرامية والفوضوية ، وحوادث الشجار والانتحار ، التي تكاثرت في بلادنا بشكل لم يسبق له مثيل ، ليست الا نتائج طبيعية لهذه الحياة الفردية التي نحياها دون ان نشعر باننا نعيش ونبدع ونتقدم ونعمل متضامنين مع اخوتنا في الوطن واخوتنا في الانسانية .

وما ذلك كله الا لاننا لم نعرف منذ البدء ان المرء لا يمكن ان يكون سعيداً الا في مجتمع سعيد ، وان حرية الآخرين شرط لحريتنا واساس لها ، وان الحياة هي شعور الانسان بانه جزء من كل يتأثر به ويؤثر فيه ، وان الواحد منا لا يستطيع انيستقل بنفسه ويعمل لنفسهلانهفي حد ذاته لا يساوي شيئاً ، ولكنه مع المجموع قوة كبيرة فعالة ، فينبغي لنا ان نكافح متضامنين في سبيل الحق والحرية والعدالة فاما ان ننتصر جميعاً او نفنى جميعاً .

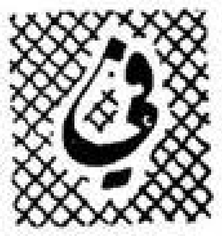
لقد جعلت منا الفردية اناساً حالمين نعيش منعزلين في سماء الافكار والصور المجردة حيث يستنزف الفكر ذاته في فراغ عقيم . . وقد آن لنا ان نعلم ان الحياة تعاون خصبَ بين ابنائها لزيادة ثروتها وتعزيز جمالها . . ولسوف نعلم ذلك ونعمل به ان كنا من ابناء الحياة الطامحين !.

فدري فلعجي

القفاز

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي





ذات مرة قال لي الشاعر الذى كنت واياه على طرفي نقيض في جدال طويل ، قال لي فجأة : اسمع يا صديقي ، انا وانت اساتذة في الجدل ، فقل لي بربك كم مرة خضنا فيها نقاشاً حاداً تمسك واحدنا برأيه ودافع عنه دفاع الجابرة ، ثم لما ترك مناقشه وخلا بنفسه وجد انه قد اعتنق الفكرة التي كان جاداً في دحضها ؟ سأختصر الطريق واعترف لك باني قانع بالرأي الذي تقول به والذي ادافعك عنه ، فماذا تقول انت ؟ فسكت لحظة اكتشفت اثناءها اني بالرغم من كل ما قدمته من حجج لرأيي اشعر ان الصواب في رأي مجادلي اكثر منه في رأيي ، فابتسمت وقد آمنت بما قاله .

وفي هذه الليلة كنت في نقاش كذاك الذي دار بيني وبين الشاعر . كان مجادلي يقول إن كل موجود في الوجود مستقل بذاته وان الرابطة بين الموجودات هي وهم في عقولنا نحن البشر ، ليس لها من اثر على الموجودات نفسها . اما انا فقد زعمت ان ما من كائنين في الوجود يعدمان رابطة ما بينهما ، واني قادر على ان اجد بين الزبيبة وقيصر صلة ما ، صلة شبه او تناقض او علاقة ، وان اجد اثر هذه الصلة في كل من الزبيبة وقيصر باعتبارهما موجودين في الوجود . قلت له : هذا قفازي . ان الشتاء قد انقضى وقفازي قد تمزق ، وسألقيه مع نفايات الثياب ، ولكني لو اعملت فكري لوجدت في هذا القفاز سبباً وثانياً وآخر ثالثاً كلها تربطني به ، وتجعله عزيزاً علي ، وتباعد بينه وبين النبذ والاطراح .

وافترقنا انا ومجادلي وكل مصر عن رأيه . وكان خليقاً بي بعد ان خلوت بنفسي ان اصاب بما اصبت به اثر نقاشي مع صاحبي الشاعر ، ولكن الذي حدث اني لم اقصر عن الانحياز لرأي مجادلي فحسب بل حدث ما هو اعجب من ذلك ، اذ اني آمنت برأيي ايماناً جازماً . ! فقد تطلعت الى قفازي الممزق وهو في يدي فلاحت لي الخرق من جوانبه والخيوط الدخيلة عليه ونصول لونه ، فخيل الي ان في كل ثنية دب فيها البلى من ثنياته قصة تهيب بي ان قفازك هذا ليس متاعاً خلقاً بل صاحباً قديماً وعشيراً عنيفاً ، فما اعقك من انسان لو عملت بما تنويه ودست على الصحبة والعشيرة بقدم الجحود والنكران ! فرددت معطفي على صدري ودسست يدي في القفاز ورحت اذكر ما مضى .

الفكر

لو بسطت رأيي في الموجودات كما يؤمن به عقلي لضحك مني الناس . فالحياة المادية عندي ، وهي الحياة القائمة على قانون السببية ، ليست الا وجهاً من الحقيقة في الوجود . كيف نجزم اننا كأناسي نفوق الجماد بميزة ما ؟ اليس هو العقل الانساني الذي يدعي ذلك ؟ ولكن منذا الذي يستطيع اقناعنا بان العقل الانساني ميزان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ اتراني حين اشتريت هذا القفاز قد ملكته ام هو الذي ملكني ، بل اقول اهو الذي اشتراني ام انا الذي اشتريته ؟ ان الحادثة التي جمعت بيني وبين القفاز الذي

حاولت اليوم نبذه تمت الى تفكيري بصلة قوية وتقنعني بان آرائي الشاذة اقرب الى الحقيقة المطلقة من كثير من ترهات الفلاسفة وسفسطات المناطقة فكيف تطاوعني كفي على طرحه وينكر علي عقلي قدره ومقامه بين عشرات الاشياء التي احوزها وتنالها يدي؟!

بعد ان اضناني الطواف على متاجر المدينة عثرت بقفازيرضيني: لونه اللون الكامد في غير اغراق، وطرازه البساطة الانيقة، ناعم الملمس ممشوق الاصابع. ما احلاه من لقية!.. ولكن التاجر الارمني لم يرض في عتمة المساء، قبل ان يغلق متجره، ان ينزل عن الثمن الذي طلبه لهذا القفاز: اثنين وعشرين ليرة! كيف ادفع ثمناً مثل هذا في متاع هو في بلدتي الصغيرة التي اعيش فيها حلية اكثر منه حاجة؟ وتعنت التاجر فتعنت، واغلق دكانه على قفازه فانصرفت مغلقاً جيبي على دراهمي ورغبتي معلقة بالقفاز. واقلقتني تلك الرغبة ذلك الليل كأن في القفاز منية النفس، فاعتزمت شراءه في الصباح ولكني كنت اخاف ان تنطلق السيارة بي في الصباح قبل ان يفتح التاجر حانوته وكان ذلك، فقد أعقت السيارة عن الخروج في ميعادها دقائق كثيرة ولكن الارمني أبى الا ان يكون نؤوم الضحى فسرت الى بلدتي البعيدة وانا اعجب مما تركه هذا القفاز عندي من اسف ما اعتدت ان احمله لحاجة مضيعة.

يبتسم اصدقائي الخلص حين أخبرهم بان عندي من القوة النفسية ما يثبت ان هناك غير قوانين المادة مسيطر على الكون ولا ازال اذكر يوماً راهنت صديقة لي، في حفل، ان آتي باختها الجالسة في الصف الامامي الى صفي دون ان تبدو لها مني اية اشارة. فلم تؤمن ولكن اختها تلك تركت كرسيها بعد خمس دقائق وجاءت الينا! قد يكون السبب المادي الذي جاء بها انها تخلت عن مجلسها لسيدة اكبر منها سناً، ولكنها جاءت على كل حال، وجاءت بعد ان اردت مجيئها. ومثل هذه الحادثة كثير عندي وعند غيري ولكنها تمر على الناس فلا ينتبهون لها او انهم يلقون عليها سلسلة من التعليلات المعقدة خوفاً من الاقرار بقصور تفكيرهم عن ادراك كل ما في الوجود. اما انا فأني لم اضلل نفسي فاسربل ما جرى بيني وبين القفاز بشباك من التعليلات الموهمة والتقديرات المعقدة. ولم التعقيد والتضليل والامر واضح. لقد كانت السيارة التي ركبتها الى بلدي جديدة فارهة والسائق متمكناً من مقوده نشيطاً في جسمه ولكنها بعد ان بعدت بنا عن المدينة اخذت، تلك السيارة، تتلوى وتشكى ثم تظلع حتى كاد السائق يؤمن انها مسحورة او عيناً اصابتها في هذا الصباح. ولم يلبث ان رفع يده عن المقود واستسلم للقوة التي حالت بيننا وبين المضي في سبيلنا. ولحقتنا سيارة بديلة لم يرض صاحبها ان ينقلنا الى غايتنا بل عادت بنا الى حيث بدأنا.

وفي المدينة كان أول همي ان انزل الى حيث الارمني المتعنت. رأيته يجادل شارياً في امر قفازي الذى اذاقني اللوعة فمددت يدى اليه بما طلبه امس وانتزعت القفاز منه. وعدت فوجدت سيارتنا مهيأة للسفر، فسرنا كأنما لم يعقنا عائق او يردنا مرد غير هذا القفاز الذي احاول ان القيه مع خلق المتاع في هذا اليوم.

منذ ذلك الحين لم اقتصر في اعتقادي على ان لناموس السببية من يخرقه في عالم العاقلين والاحياء بل اصبحت أرى ان الجوامد نفسها تملك من القوة ما تجذب به انساناً، بل ملء سيارة من الاناسي عشرات من الاميال لتحقق رغبة صغيرة قاتمة في صدر شاب. ومن الذي يقول ان ليس بين ثنيات القفاز ومغارس خيوطه مكان لمثل تلك الرغبة، تلك الرغبة الصغيرة؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●

الدكتور عبد السلام العجيلي



القلب

في كفي، وفي كل شتاء، كان هذا الكائن اللين الملمس الانيق المنظر المتزمت في لونه، قفازي يتنقل بين البلدان الكثيرة التي كانت تقودني اسفاري اليها، الى ان القي به وبي المطاف الى المدينة الكبيرة حيث كتب لي ان اقيم فيها ردحاً من الزمن لأؤدي مهمة مرموقة. لقد كان لي في هذه المدينة صداقات جمة، بعضها لشبابي وبعضها لادابي وبعضها للمهمة التي كنت اقوم بتأديتها ولكن واحدة منها لم تبلغ من الجمال والمتعة المغمورين في دنيا من البساطة الخلابة ما بلغته الصحبة التي نضحني بها قفازي.

كنت عهدت به، بالقفاز اعني، الى الفتى الذي كان يدير الحانوت العجيب بجواري حيث كانت تخاط القمصان وتكوى

الألبسة وتصلح الساعات وترسم المنـاظر الطبيعية ، ليخيط فتوقه ويصبغه اذا احتاج امره الى صبغة وفي ظهيرة اليوم التالي قرع جرس منزلي ففتحت الباب فاذا بقفازي تحمله ، كمـا يحمل المتبتل كتابه،يدان رشيقتان كساهما الشظف خشونة لم تأت على وذاعتهما، كانت بالباب زوجة الفتى صاحب الحانوت العجيب وقد طالما لاح لي قوام هذه المرأة المشوق في ظلام عقر حانوت زوجها فلم اميز منها غير امتشاق قدها وألق عينيها الذي كان يتنقل في الظلمة كأنه التماع عين قطة مرتاعة حذرة اما في هذه الظهيرة الحارة فقد امكنتني رؤيتها وتملي محاسنها في هدوء ودون رقيب كان جسمها في تفاصيله التي كان يشرحها ثوب بسيط جيد الحبك افتن مما كان يظهر لي في اجماله في ظلمة دكان زوجها . اما وجهها فقد كانت فيه شفة سفلى شيقة الاستدارة لذيذة الامتلاء توحي بشعور جارف محطم لولا ان نظرة صافية مبعثها عيناها الزرقاوان كانت تهدىء من حدته وتكسر من شرته . وأطلت النظر وانا اتأمل عينيها ، لقد كانت تتكلمان، وكأنما بدا لها اني لم افهم حديث عينيها فلم تلبث ان قالت بلسانها :

— تسمح ؟

ولعلها كانت تريد ان تقول لي : هل تسمح فتتناول قفازك ؟ اما انا فقد اردت ان افهم من كلمتها غير ذلك فتنحيت عن الباب بحركة داعية ، بل مستجدية تقول بالحاح ولهفة : تفضلي ،ارجوك! فدخلت منزلي في تلك الظهيرة تلك الحسناء زوجة الفتى صاحب الحانوت العجيب

وكانت تلك ، كما قلت صحبة فريدة في جمالها المغمور في جو من البساطة الساحرة . كانت في باقة صداقاتي زهرة من البنفسج ، كلون عينيها ، في تواضعها ودعتها ونشرها الدافىء الساحر . كنت اسأل نفسي في عجب : من اين لصاحبة العينين الزرقاوين ، البسيطة البيئة الضيقة الافق هذه النفس الخصبة والروح الفياضة! وحين ازمعت عن المدينة رحيلاً لم تهتز نفسي للحن ينبعث من عاطفة حبيب بمثل ما اهتزت به لوداع جارتي ذات النظرة المتألقة صفاء . والشفة المليئة اشتهاء . لقد اشاحت عني بوجهها وفي اجفانها سحابة دمع ، ولعلها كانت تتطلع الى القفـاز متذكرة كيف كان هو السبيل الى تعارفنا ، وقالت :

— هكذا تذهب ؟ ليت ذلك الكف ما تمزق ، وليت يدي ما خاطت فتوقه .

العقيدة

ليت ذلك الكف ما تمزق !.. وهل تنفع ليت يا صاحبتي ؟ لو تدرين كيف تمزق قفازي واين تمزق . مثل المزق التي في جلده كانت المزق من اجساد اصحابي ومن قلبي على التل المشرف على عين زيتيم ، تلك المستعمرة ، بالقرب من صفد .

كان اليهود يحاولون الاستيلاء على ذلك التل جهدهم ، فـاذا تمركزت مفرزة من مجاهدينا على قمته عمدوا الى طردها لا بالالتحام بالنار ، بل متدرعين بجرارة مصفحة اصبحت لهم كدبابة ، وكان كل يوم يمر بنا يرفع من قيمة ذلك التل في اعيننـا واعينهم . وعزم الملازم ، قائد قوتنا من المجاهدين ، على ان لا يخليه بعد الآن فساق اليه في الصباح مفرزة بقيادة معاونه ، وكان صبـاحاً مشرقاً حين سارت المفرزة فاحتلت ذروة التل فكنا نرى شخوصها ونحن في القرية عن بعد ونكاد لفرط احساسنا بما يجري على التل نسمع العريفك . يملأ الجو شتائم لليهود وازيز الرصاص الذي كانوا يجيبونه به على الشتائم . ولكن اشراق ذلك الصباح لم يلبث ان تبـدل وامتلأ الفضاء بغيوم دكن تسوقهـا رياح باردة عاتية . ثم هطلت الامطار غزيرة حتى لقد غابت ذرة التل وراء ستار من المزن الهتون، مساكين اصحابنا الذين قصدوا الذروة وهم يأملون ان يقضوا نهاراً دفئاً بشمس الربيع ورصاص العدو ، لقد عادوا في المساء معجونة ثيابهم واجسادهم بماء المطر وطين التل الاحمر مسفوعة جلودهم بالرياح الصرصر . وكان ما لقوه من نهارهم بعض ما ستلقـاه المفرزة التي ستخلفهم على التل في الليل . اخذ رجـال هذه المفرزة البديلة يتهيأون كي يستلموا مراكزهم ، لبسوا عباءاتهم ، واستطاعوا بعد الجهد والمشقة ان يضعوا اقدامهم في احذية رجال المفرزة التي سبقتهم لان هذه الاحذية على بلاها وبللها كانت خيراً من صراميهم الحمر التي جاؤوا بها يقاتلون العدو اما قائد المفرزة ، وهو اخ الملازم قائدنا جميعاً ، فقد استعار معطف اخيه . وتلفت باحثاً عن قفـاز يدس فيه كفيه في هذه الليلة الباردة . وكان القفاز ترفاً في هذا الجو الذي كانت الاحذية الصالحة فيه لقية لا تقوم بثمن، فمددت يدي بقفازي اليه وقلت له خذ قفازي لا كساء بل تعويذة ، فانه ان لم يحم يديك من القر فقد يحميها من الشر ! وشددت عـلى يديه قبل ان يسير في مقدمة اصحابه مصعداً في الطريق الملتوية الى التل المشرف على عين زيتيم .

اية ليلة تلك التي مرت على اولئك الابطال في خنادقهم الموحلة بين عصف الريح وتهطال المطـر وقرس الزمهرير ؟ كان بجانبي في الغرفة التي كنا نأوي اليها في القرية الملازم ه . ، اتراه نعم بغفوة

ذلك الليل ؟ لا احسبه فعل ، وكذلك لم افعل انا . كان اخوه هناك على الذروة يقود المفرزة ، اما انا فكانوا كلهم هناك اخواني : القائد ورجاله . وكان الليل الموحش يتمزق بين حين وحين باصوات ودمدمات بعضها للمطر والريح وبعضها للرعد والصواعق وبعضها منبعث من خطوط قتالنا او من اعماق نفوسنا . فكنا نضع ايدينا على قلوبنا متسائلين اهذه الاصوات لنا ام علينا ، من اردت ومن فاتت . ولما اصبح الصباح وارتسمت خطوط المرتفعات على الافق لاحت لنا شخوص المفرزة منحدرة من التل الينا . كنا نتلمع اعناقنا ونحدد ابصارنا لنرى ونميز من عاد ممن تخلف وقليلاً قليلاً لاحت لاعيننا تحت زذاذ المطر عباءتان قد تناقل كل منهما اثنان من المجاهدين ، مجاهدان كانا ضحية الليلة انفجر عليهما لغم زرعه اليهود فمزق جسديهما .

مجاهدان اثنان كانت لا تزال بهما بقية من رمق . كان احدهما يتململ ولا يعي اما الآخر فكان يتساءل عن اصابته اهي بليغة؟ فاذا اجابه واحد منا مطمئناً كان يقول — وهو فلاح سقط رأسه في قرية ضائعة في شمال سوريا .

— معليش . فدى الوطن .

وماتا ، مات المجاهدان ، فدى الوطن . ودفنا جسديهما في تربة الوطن الذي ماتا فدى له . وطوينا انا واصحابي جوانحنا على قلوبنا الممزقة كجسدي الشهيدين في حين كان قائد المفرزة الليلية يضع في جيبي هذا القفاز ، بعد ان عركه المطر والريح ووحل التل ، ممزقاً .

***

حين بلغت بذكرياتي هذا المبلغ تطلعت الى قفازي الممزق في يدي فلاح لي على صورة لم أره عليها من قبل . كونه ولونه وفتوقه وخيوط الرفو فيه كانت تحدثني بمنزلة مني في ذكريات الفكر والقلب والعقيدة . كيف كنت جامد العاطفة الى الدرجة التي نسيت فيها كل هذا الذي ذكرته الآن واعتزمت معها على نبذه واطراحه متاعاً خلقاً ؟! في هذه اللحظة استللت كفي من القفاز وطويته في عناية وحذر ووضعته في جيبي ، في هدوء ، مبجلاً مكرماً .

الرقة — سوريا

عبد السلام العجيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللفظ الشاكي

مهداة إلى اخي الاستاذ وديع فلسطين

لمحتُ بريقاً يسائل عني ، وجس في اذن النفس سرا !!.
أنا !.. من انا ؟ ! يا عاويل لحني ، لقد حرت بالنفس لباً ، وفكرا !!.
وصلتَ !!- الى اين !؟- فاذهب ودعني ! - ومن انت !؟- القلب ، يا صاح ، ادرى !
ووحدي ، هناك ، صحوت لغني ، فألفيت نفسي طليقاً ، وحرا ! !.

***

طليق الجوانح ، والاصغرين ، طليق المشاعر بدّلت طرا :
فثمّتَ ، في القلب ، كاس تغني ، وليل يدب ، يناول خمرا ! !
وأسربة — آه — تهرب مني ، والحان سكر ، ترنح سكرا
فلا تشك ، يا لفظ ، طول النجني ، سأنتقم ، اليوم ، بالله صبرا ! !

القاهرة

عدنان الذهبي

الرجل الكامل كما يراه اربعة من رجال الغرب

بقلم ابراهيم سكيك

مدرس اول للعلوم الاجتماعية واللغة الانجليزية

بمدرسة غزة الثانوية

●

اختلفت نظرة النـاس في مختلف الامم والعصور الى الرجل الكامل والصفات التي يجب ان يتحلى بها حتى يستحق هذا الوصف : فكانت اسبارطه مثلاً تطلب من ابنائها البسالة والجرأة وقوة الجسم بغض النظر عن الصفات الخلقية الاخرى ، بينما كانت اثينا ترى الكمال في الرجل الحكيم المفكر ، وكان للعرب مثل عليـا من الكرم والمروءة والشهامة والصبر ، ثم وضع الرسول نموذجاً للرجل الكامل وكان هو نفسه قدوة في الحكمة والصبر والخلق الطيب ، ولا نستطيع ان نخوض في هذه الابحاث التي تحتاج الى مقالات مسهبة وانما اريد ان انتقل الى اربعة من كبـار الادباء الانكليز الذين عركوا الحياة وعجموا الدهر وامعنوا النظر في خصال البشر وطبـاعهم بحكمة وبصيرة ثاقبة ثم جادت قرائحهم بقصائد او رسائل وضعوا فيها الصفات التي تجعل من الانسان رجلاً كاملاً .

نبدأ الموضوع بقصيدة متينة للرجل السيـاسي المحنك السير هنري وتن (١٥٦٨ — ١٦٣٩) الذي كان سفيراً لبـلاده في الامبراطورية الجرمانية ، وفيما يلي ترجمتها : ما اسعده في حيـاته ونشأته ذلك الشخص الذي لا يخدم ارادة غيره والذي اتخـذ من الافكار الصالحة سلاحاً قوياً ، وجعل مهـارته في قول الحق ، لا تسيطر عليه عواطفه يومـاً من الايام ، ويهيء نفسه للموت في كل آن ، لا تشغله بالعالم مشاغل دنيوية يطلب من ورائها الصيت الواسع والهتاف الشعبي ، ولا يحسد احداً ممن رفعه الحظ السعيد او الصفات الدنيئة ، ولا يعرف ان الثناء لا يرفع من قدر المرء بقدر ما يجرح من كرامته . هو لا يعرف مبادىء السياسة المعوجة ، بل مبادىء الصلاح والتقوى ، لا تعرف الاشاعات الى نفسه سبيلاً .

وزاه يرجع في كل اموره الى وحي ضميره النقي .

ليست له من الاملاك ما يجذب نحوه المتملقين او يطمع فيه الطغاة المستبدين هو يعبدالله ويتضرع اليه بكرة واصيلاً شكراً لما وهبه من نعم لا طمعاً في رزق جديد .

وزاه يقطع يومه الذي لا يؤذي فيه احداً بمطالعة كتـاب احسن اختياره او مصاحبة صديق وفي .

ان مثل هذا الرجل محرر من كل قيد عبودي اذ لا مطمع له ليعلو ولا يخشى على نفسه السقوط ، فهو سيد نفسه وان لم يكن سيد بلاده ، ويملك كل شيء وان كان لا شيء عنده .

***

ثم أنتقل الى شاعر البلاط « كبلنغ » (١٨٦٥ — ١٩٣٦) في قصيدة شهيرة ترجمت الى اكثر اللغات الحية لان كل بيت فيهـا يحوي معاني كثيرة وهي بعنوان « اذا » وهذه ترجمتها :

اذا استطعت ان تحتفظ برأسك في وقت ترى فيه من حولك يفقدون رؤوسهم ويوجهون اليك اللوم .

واذا استطعت ان تثق بنفسك عندما يشك الناس فيـك وفي الوقت نفسه توجد لهم مجالا للشك فيك بان تكون غامضاً لا تنكشف كل اسرارك لهم ، واذا تمكنت من الانتظار دون ان يتطرق لك الملل .

واذا كذب عليك ولم تكذب على احد .

واذا ابغضك احد ولم تشاطره البغضاء .

وفي الوقت ذاته لاتظهر من الصلاح والورع ما يزيد عن الحد .

اذا قدرت ان تحلم دون ان تجعل الاحلام مسيطرة عليك .

واذا قدرت ان تفكر دون ان تجعل هذا التفكير هدفك الاخير .

واذا كان في مقدورك مقابلة النصر والنكبة بروح واحدة .

واذا تحملت ان ترى كلامك الحق يشوهه الانذال وان ترى الاشياء التي كرست نفسك وحياتك في انجازها تنهار ثم شمرت عن ساعد الجد لتعيد بناءها وتشيد صرحها بعزم وحزم .

اذا قدرت ان تجعل من كل ما كسبته موضع مغامرة بين الربح والخسارة ، وعند الخسارة تعيد من جديد دون ان تنبس ببنت شفة .

اذا تمكنت من السيطرة على قلبك وعضلاتك واعصابك لتجعلها نشيطة في تنفيذ مآربك حتى بعد ان تبلغ من الكبر عتياً ولا يبقى فيك من القوى سوى العزيمة والارادة التي تأمر بالثبات .

اذا قدرت ان تخاطب الجمهور وتختلط به دون ان تفقد كرامتك وفضائلك وتساير الملوك دون ان تفقد الاتصال بالشعب .

اذا لم يقدر صديق او عدو على ايذائك .

اذا كنت تقدر الناس حق قدرهم دون ان يعلو مقام احدهم في نفسك الى درجة المهابة والسطوة

واذ تمكنت من اشغال كل دقيقة من وقتك بما يستغرق ستين ثانية حينذاك تملك الارض وما عليها ، بل اكثر من ذلك ستصبح رجلاً يا بني .

***

وهذه رسالة من ايرل تشسترفليد (١٦٩٤ — ١٧٧٣) الى ولده ، وكان قد بلغ اسمى الرتب حتى عين نائباً للملك في ارلندة وكان خطيباً مفوهاً وشخصية بارزة من رجالات عصره . وفي كتابه لابنه يقول :

بني العزيز ! انا لا اتأسف على الوقت الذي قضيته في المسرات فهي لهو الشباب تمتعت بها في اوانها ، ولو لم اتمتع بها لكنت الآن اتحسر عليها ظناً بانها نعمة كبرى حرمت منها . اما وقد اختبرتها فاني اقول لك ان الناس يبالغون في وصفها . كما اني لا اتحسر على الوقت الذي قضيته في العمل والسعي للمراكز العالية وذلك للسبب نفسه ، لان المظهر الخارجي لهذه المراكز يغر طلاب العظمة فيسعون لها بكل ما فيهم من قوة ظناً بأن في ثناياها سحر خلاب ، ولا يزول انخداعهم بها الا اذا اشغلوها ، وهذا ما حصل معي فاني ما زلت اداب وراء الملذات والمراكز واختبرت كل ما يبهر الانسان لاول وهلة ثم خرجت من كل ذلك راضياً قانعاً دون حسرة او ندم .

اما الوقت الذي لا زلت اتحسر على ضياعه فهو الذي قضيته في خمول لم انجز فيه شيئاً . هذا شر ما يكون عند الشاب فكن حذراً وحريصاً من هذه الناحية فالقيمة الحقيقية للسويعات التي تمر تظهر عندما ترى ما يمكن انجازه فيها من عمل ، وخسارة تلك السويعات فادحة جداً اذا ضاعت هباء . فكل دقيقة يمكن استغلالها وانجاز عمل فيها يكون من ورائه اضعاف السرور الذي نراه في الكسل .

لا تظن ان كلامي هذا يعني استخدام كل الوقت في الدراسات العميقة ، لا ، فان اللهو في الاوقات المناسبة ضروري ومفيد ، لانه يهيئك لان تكون ابن الدنيا اي رجلاً عصرياً ، وهو يعرفك بالشخصيات المختلفة ويعرفك طبيعتها الحقيقية ، ولذا فليكن هدفك منه محصوراً في هذه المآرب حتى لا تضيع فائدتها عليك . واني لاعرف اشخاصاً كثيرين اختبروا اللذات ووصلوا المراكز لكنهم لم يتمتعوا بتلك اللذات ولم يملأوا تلك المراكز وما فتئوا يظنون انفسهم من ابناء الدنيا لانهم خالطوا رجال اللهو وانهم من ارباب المراكز وهم لم ينفذوا عملاً يذكر . فاذا قمت بعمل ما فقم به على اكمل وجه وليكن هدفك اتقان العمل نفسه فالعمل الذي يتم نصفه والعلم الذي نتقن نصفه لا يستحق الذكر ، بل ان عدم القيام بعمل او معرفة شيء خير من ذلك لان المعرفة الناقصة تقود الى الضلال والعمل غير التام يؤدي الى الاخلال .

واعلم يا بني انه ما من مكان او مجلس تحضره الا وتكتسب فيه معرفة شيء جديد اذا اردت ذلك ، فكل انسان من العالم يعرف شيئاً لا يعرفه غيره فباجتماع الناس تنتشر المعلومات . اطلب تجد ، واسع تنجح في هذا العالم وفي العالم الثاني ايضاً » .

هذه رسالة تعرف منها من صفات الكمال معرفة استغلال الوقت . والمقال الرابع الذي اقدمه للقارىء الآن كتبه الكردنال المفكر « نيومان » ١٨٠١ — ١٨٩٠ قال : « يمكن ان نعرف الرجل الكامل بانه الشخص الذي لا يوقع اذى او يصيب احداً بضرر وهو ينهمك في ازالة العقبات التي تعترض من حوله من اعمالهم الحرة ويتعاون معهم في حركاتهم دون ان يتزعم او ان يجعل نفسه العامل الاساسي .

جان دارك

بقلم برنارد شو

« اخذت هذه القطعة من الحوار الذي دار اثناء محاكمة جان دارك »

رئيس الاساقف : أنك تقضين وحيدة، تماماً وحيدة ، واثقة بغرورك وجهلك وعنادك والحادك باخفاء عيوبك تحت ستار الثقة بالله. لما تخرجين من هذه الابواب الى الفضاء ستهتف لك الجماهير وسيأتونك بأطفالهم الصغار ومرضاهم لتشفيهم ، سيقبلون يديك ورجليك وسيعمل هؤلاء المساكين ما يستطيعون ليملأوك غرورا ويحدون بك الى الجنون بالثقة العمياء التي ستقودك الى الخراب ولكنك ستكونين رغم ذلك كله وحيدة ولا يستطيع احد منهم انقاذك. ولكن نحن، ونحن فقط نستطيع الوقوف بينك وبين المحرقة ، تلك المحرقة التي احرق عليها اعداؤنا تلك المرأة التعسة في باريس.

جان وعيناها الى السماء : لدي اصدقاء احسن وافضل مشورة من اصحابك.

رئيس الاساقف : مرة اخرى ، ارى اني اتكلم عبثاً الى قلب صلب متحجر، فقد رفضت حمايتنا لك ، وانت مصممة لتحولينا ضدك ، ولكن دافعي عن نفسك الآن فاذا اخفقت فليرحم الله روحك.

دنوا : هذه هي الحقيقة يا جوان ، فانتبهي اليها جيدا.

جان : اين ستكونون اذا انتبهت الى هذا النوع من الحقيقة ؟ فلا مساعدة ولا مشورة لاي واحد منكم. نعم، اني وحيدة على الارض وكنت دائماً وحيدة فقد قال والدي لاخوتي ليفرقوني في النهر اذا لم ابق لاعتني بغنمه وفي ذلك الوقت كان وطني - فرنسا - نازع الى الموت، فلتهلك فرنسا ما دامت اغنامنا سالمة.

لقد ظننت ان لفرنسا اصحاباً في بلاط الملك ولكني لم اجد الا ذئاباً جائعة تتصارع من اجل قطع من جسمها الممزق. ظننت ان لها ندماء في كل مكان لانه صديق لكل واحد منا، وبحسن نيتي ظننت انكم ستكونون مثل الابراج القوية لتدفعوا الاذى عني انتم الذين الآن تلقون بي خارجاً. ولكنني الآن احكم مني قبل ولا يضير الانسان ان يكون اعقل واحكم ، فلا تظنوا انكم تستطيعون تخويفي بأخباري اني وحيدة. فرنسا وحيدة والخالق وحيد فما هي وحدتي ازاء وحدة وطني ووحدة الباري؟ اني ارى الآن ان وحدة الله في قوته، فماذا سيكون اذا اصغى الى مشورتكم الحقيرة التي مبعثها الغيرة والحسد، حسناً، فوحدتي ستكون قوتي ايضاً. فخير لي ان اكون وحيدة مع الله، فصداقته لن تخذلني ولا مشورته او حبه. وبقوته سأتجرأ وانجرأ حتى اموت سأذهب الآن الى الناس العوام واجعل الحب الذي في عيونهم يريحني من البغضاء التي في عيونكم. ستكونون فرحين حين ترونني احترق. ولكنني حين اذهب خلال النار سأذهب الى قلوبهم واقتدتهم الى الابد.

وهكذا فليكن الله معي !

بغداد — غازي سالم صالح

وهو يعرف كيف يعامل كلاً منهم فتراه رفيقاً مع الخجول ، لطيفاً مع البعيد ، رحيماً بالسخيف ، وهو يحرص على الا يجرح شعور احد بتعليقات مؤذية او مواضيع مثيرة ، كما انه لا يختص نفسه بالحديث في اي مجلس حتى لا يكون مملاً او مزعجاً لمن حوله.

هو لا يهتم كثيراً لصنع المعروف وان كان يكثر منه، ويعطي الغير بينما يظهر لهم انه يأخذ منهم ولا يتحدث عن نفسه الا اضطراراً ، ولا يدافع عن نفسه بمجرد الكلام ، يصم اذنيه عن سماع الغيبة والهجاء ، يجد لاخيه عذراً في تصرفاته.

وفي مجادلاته لا يتعرض لخصمه بسوء او يتفوه بكلام بذيء وهو يعامل عدوه كما لو انه سيكون صديقه يوماً ما . يعرض نفسه للاهانات لما عنده من ذوق ادبي، ولا يتذكر الاذى لكثرة اشغاله فلا يحمل الحقد لاحد . ويمتاز بالصبر وقوة الاحتمال لانه يبني سلوكه على قواعد منطقية ، فيذعن للالم لانه لا مناص منه وللحرمان الذي لا بد منه وللموت لانه المصير النهائي .

غزة — ابراهيم سكيك

الآلهة الزجاج

من ايام الرعب

بقلم يوسف الشاروني

ماذا

عساه يصنع بكل هذا الضجيج المفاجيء ؟ بهذه الافران الحامية كأنها قطعة من الجحيم وأمامها جباه غارقة في العرق! هذا الحريق الملعون، رأى فيه كتل الزجاج المنصهرة تلتقطها هذه الحشرات الآدمية المنتثرة في صمت بالمكان، ثم يخلقون منها أكواباً والواحاً ومرايا ، والمصابيح البترولية يستضيء بها من لم يصلهم بعد نور القرن العشرين ممن يعيشون في الاكواخ وفي مغاور المدينة الرطبة وفي الازقة التي لعنتها السماء .

ومدير المصنع — الذي كان يسير في احترام واجلال وراءه بخطوة او أقل على اطراف قدميه — مال عليه وهمس بضعة كلمات في اذنه اليسرى . فسار حتي وقف امام احد الافران وجه ضخم اسمر ، ذو ذقن ذات شعر خشن قصير ، تخللها العرق وجعل يقطر من اسفلها ما بين حين وحين . اذن فهذا هو ابرهيم أمهر العمال واخطرهم كذلك . كان يحمل على طرف ملقاطه الطويل المجوف كتلة من الزجاج المنصهر اخرجها من النار ووضعها على البلاط المعد لذلك حتى لا يبرد المصهور فجأة . وكان الآن على وشك ان ينفخ في ملقاطه كي يصنع التجويف الذي يريده داخل الكتلة المنصهرة قبل وضعه في القالب، حين لمح رأفت بك فعرف فيه صاحب المصنع الجديد . وتفرس فيه فوجده ليس كالمرحوم أبيه . ان به شيئاً من . . . من . . . ربما من التخنث .

واراد ابرهيم ان يحييه، فقال له : انظر يا سيدي . ورأى رأفت العجينة الزجاجية تتقلب في سرعة على البلاط ، ثم يد اليها ابرهيم بضعة آلات دقيقة، وتدور العجينة وتدور، ثم تقف، ثم تدور وتدور، حتى استطالت قليلاً ، فاذا هي في وضع افقي ثم في وضع رأسي ثم في وضع افقي من جديد . . . ووقف المدير جلال افندي فخوراً انه هو الذي يقوم بهذا العمل لمجرد انه أسر الى البك عن مهارة ابرهيم ومن خلفه وقف الصراف والفراش فخورين كذلك . وبعد دقائق كان هناك في يد ابرهيم تمثال بلوري جميل لا يزيد ارتفاعه عن نصف ذراع وتذكر رأفت بك التماثيل الزجاجية التي تملأ البهو بقصره الصغير . وهذا ما ابدعه من تمثال وما اجمله من هدية يقدمها اليه هذا العامل، حتى لقد خيل الى رأفت بك ان في التمثال بعض الملامح منه . ورآه يمسكه — رغم بقية من حرارته — من قاعدته الصغيرة بأطراف اصابع ثلاث من يده اليمنى ثم يرفعه في الهواء قائلا :

— تلك هي طبيعة الزجاج يا سيدي، فطالما كانت الحرارة كامنة فيه ظل قابلاً للمرونة والتشكل ، فاذا فقدها تصلب من اجل ان يتماسك ، لكن هذه الصلابة هي نفسها التي تعرضه . . . انظر .

وضرب التمثال على ارض المكان بلا مراعاة، فتحطم وانتثرت اجزاؤه ؛ وهو يبتسم معتقداً انه كما نال اعجابهم فمن حقه ان ينال دهشتهم ، ثم يتناول عجينة اخرى وهو يوضح الامر قائلاً :



وذلك هو يا سيدي المعنى الحقيقي لمهارتنا نحن العمال، اننا نستطيع ان نخلق آلهة كهذه من الزجاج ثم نحطمها ، ثم نخلق غيرها ونحطمها .

لكن مدير المصنع والصراف

والفراش الذين حسبوا أن ابرهيم سيهدي التمثال لرأفت بك حدقوا دهشة واستنكاراً ، وبدا الاشمئزاز على وجه البك من هذا العمل «الغليظ» ، بينما كانت قطع الزجاج تبرق على سطح المكان كأنها حطام حضارة.

وغادر رأفت بك المكان الرئيسي بالمصنع واتجه نحو الباب الخارجي يسير على ارض الطريق التي فرشها له المدير جلال أفندي بالرمل هذا الصباح. فلمح في الغرفة الجانبية قرب الباب الخارجي احمد — الذي تبناه بندتش البوغوسلافي وأورثه سره قبل ان يموت — لا يزال منحنياً كما رآه ساعة دخوله يصقل مرايا المصابيح البترولية. فالاقراص الزجاجية تأتيه، فيمر عليها بادته السحرية التي حملها معه بندتش من بلاده البعيدة والتي لا يعرف سرها الآن الا احمد، فلا يعود الزجاج مجرد مكدر بين العيون والمرئيات ، بل يصبح مرآة صافية تستطيع ان ترى فيها نفسك، واذا وضعت في حامل بجانب المصباح عكس ضوءه فتضاعف. وهكذا كان احمد يرى نفسه في اليوم الواحد مئات المرات.

غير ان هناك «شربات» في الغرفة الجانبية المواجهة ، حيث قطع الزجاج المتكسرة. غرفة تجمع فيها حطام كل عملية خلق فاشلة لكوب او مصباح او مرآة ، قطع مدببة لا نهاية لها من الزجاج الابيض والاسود والاحمر تفجؤك اينما اردت ان تضع اليك قدماً ، تُعبثها «شربات» بيديها في مهارة لا تدميها من اجل اعادة صهرها. وكانت شربات جميلة على ضعفها ، في وجنتيها حمرة مريضة عذبة ، حتى لقد اشتهاها البك ذات لحظة. وبين الغرفتين المتقابلتين يشيعون ان حباً ينمو.

وعندما كاد ان يهم بركوب سيارته لاحظ حركة غريبة وراءه، فالتفت فاذا ابرهيم مقبلاً نحوه وهو يلهث. قال له: لقد ترامى الينا يا سيدي البك انكم ستخفضون مرتباتنا بدعوى ان الحرب انتهت والاسعار قد بدأت تنخفض، ولكن هذا لا يمكن ان يكون صحيحاً يا سيدي. فالاسعار لم تنخفض بعد كما ان عائلاتنا في هذه الاثناء قد تزايدت. ووقف ينتظر جواباً. والواقع ان رأفت لم يكن قد فكر في الامر. فعندما اقبل هذا الصباح ليرى مصنعه بعد ما حدثه امه على ذلك كثيراً وجد جلال افندي في انتظاره ووجهه يتهلل بشراً وفي غرفة الادارة الهادئة المنعزلة اقترح عليه ان يخفض اجور العمال ثلاثين في المائة، وافهمه ان هذا من شانه ان يزيد من ارباح المصنع، كما ان العمال ليسوا في حاجة الى كل هذه الاجور، فاقل العيش والملبس يكفيهم، وليس لديهم ما ينفقون فيه «وربما . . . ربما يصبح المصنع معرضاً للخسارة بل للاغلاق في هذه الايام ان لم تخفض الاجور . . .

ولو كان ابوك حياً — رحمة الله عليه — لما اوصى بغير هذا التصرف».

وكان جلال افندي يبتسم ابتسامة عريضة وهو يلقي باقتراحه الى صاحب مصنعه الشاب واثقاً انه سينال رضاه وسينال به ثقته. والآن عندما اقبل ابرهيم هكذا بلا استئذان، بدا الاستياء في عيني المدير حتى ضاقتا اكثر مما يجب ، والتمع فجأة في ذاكرة رأفت بك بريق الزجاج المتناثر، فأجاب في حزم متصنع: بل ستخفض الاجور واذا لم يعجبك الامر فلتترك العمل والمخنى العامل شاكراً وانصرف. والتفت اليه جلال افندي يقول: انهم كثيرو الثرثرة. ثم فتح له باب السيارة بنفسه في انحناءة مؤدبة ، ودخلها رأفت بك، وجذب بابها في عنف وراءه ثم مضى يخترق الطرق.

وفي المساء كانت امه قد دعت الى حفل راقص. وفي البهو الكبير — حيث ابدع النقوش والمرايا البلورية العجيبة والتماثيل الزجاجية الدقيقة الصنع موضوعة بتنسيق فائق — بدأ القوم يَفدُون واخذت الجثث المعطرة تتحرك وتتضاحك، والكلمات الفرنسية واللكنات الاعجمية تُسمع في المكان. وقد وافت الساعة على السابعة ومع ذلك لم تقبل خيرية، وها هي امها مدام عمر بك قد اقبلت وحدها اذن فصحيح علاقتها الجديدة بوحيد. . . وكانت الاضواء المنعكسة على الاجساد البضة والآلى. التي تزينها والتماثيل الزجاجية في المكان تبهر عينيه هذه الليلة كأنه يراها لاول مرة. واغمض عينيه لحظة ليستمتع بهذا الظلام المفاجئ، فسمع خليطاً غريباً من الاصوات والحركات كأنها امواج بحر غير منتظمة ، ثم صوتاً رقيقاً يهمس باسمه. وفتح عينيه فوجد حورية تداعبه ، اين اختها خيرية اذن ؟ وقام، ورقص ثم شرب ، ورقص ثم شرب ، حتى ساعة متأخرة من الليل.

وانصرف المدعوون عندما جاءه الخادم يعلنه ان جلال افندي يطلبه بالتلفون. ماذا ؟ العمال سيضربون عن العمل في الغد ان لم يكن

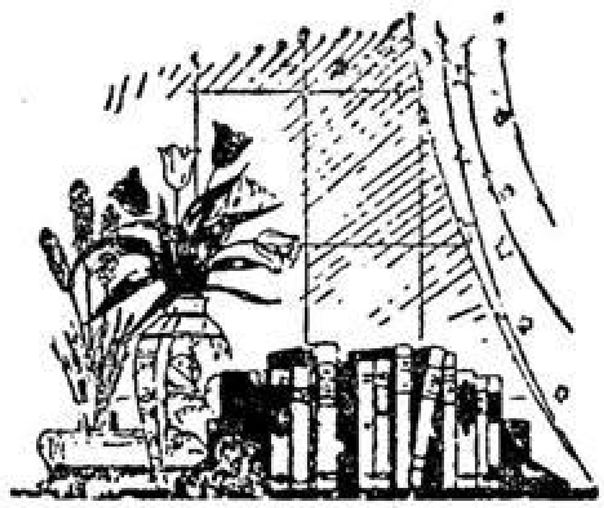
مصطفى آل عيال

ليسانس ودبلوم

استاذ في الجامعة اليسوعية وكلية الدومنيكيين

دروس في اللغة الانكليزية والعربية والرسم الفني

شارع ابن رشد — بيروت – لبنان



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47 / المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت – لبنان

هناك قرار بالعدول عن تخفيض المرتبات. يا للابله ! اذن فليطردوا من زعمائهم واحداً او اثنين فينتهي كل شيء. «ولكن أحمد، آه. . . نعم، نعم اني أعرف ، انه يحتفظ بسره فلا يمكن طرده ». واحمد يحتفظ بشربات كذلك. لماذا يمتلك هذا العامل الاسمر النحيف هذين السرين منه ؟

عندما عاد من المصنع في الصباح وتحدث الى امه عابثاً قالت له: لكن صاحب المصنع يا ابني يجب ان لا يتدنى الى احدى العاملات التافهات، هكذا كان أبوك غير انه كان يعرف من اخلاق ابيه اكثر مما كانت امه تريد ان تعرف عن زوجها. وكان يعرف ان امه تشير اليه ان يفضل عبثه بالجثث التي تفوح برائحة العطر.

وجلس في البهو وهو يحس دواراً شديداً. وخيل اليه ان الحفل لا يزال قائماً لكنه انتقل برئياته واصواته الى عالم غير مرئي ولا مسموع. ان هذا البهو لا يزال يموج بالاجساد والاصوات وخليط الخمر والعطر والدخان. وكاد حلقه ان يحترق، ولكنه اشعل سيجارة اخرى وسمع صفير القطار الذي يمر قريباً من قصره الصغير، ثم اهتزت ألواح المنزل الزجاجية ، وابتعد صوت العجلات.

هذا العام مات أبوه الذي خلق هذا المصنع وكان يعشقه، يعشق كل جزء منه ويعرفه معرفة أليفة، يعشق هذه الافران وهذا الحريق المتأجج ليلاً ونهاراً وكلما اضاف الى المصنع جديداً كان يأتي المنزل مزهواً. وعندما يتجمعون ذات لحظة ، وبمحض المصادفة، كان يقص عليهم اسماء الآلات الجديدة التي استحضرها ويخبرهم عن تاريخ المصنع الطويل وما ينوي ان يفعله في القفزة التالية. ثم الارباح، الارباح الجديدة التي سينالها والتي كان لا يفهم منها رأفت الا انها اعداد تزيد عن الآلاف. . . كان أبوه يرى ان للحياة هدفاً واحداً هو ان تنمي ثروتك بشتى الطرق، وكان رأفت يرى ان للحياة هدفاً واحداً هو ان تنفق ثروتك بشتى الطرق. كان أبوه يتمنى لو ان اليوم كان مكوناً من ثمان واربعين ساعة، وكان رأفت يجد ان الوقت لديه — مثل النقود — لا يكاد يعرف اين ولا كيف ينفقه.

كان ابوه يهتم بما يسميه رأفت « تفاهات الحياة وصغائرها » مدققاً مقتراً وبخيلاً. ومن هذين الجيلين ولدت حضارة ونمت واخذت تموت.

اما هو فما عساه ان يصنع بكل هذا الضجيج المفاجىء ؟ ولماذا لا يمضي في حياته اللاهية الخاصة كما كان يفعل قبل موت ابيه ، حيث تفوح رائحة الجثث التي تقطر بالعسل! وهؤلاء الحشرات لماذا يضربون عن العمل ؟ لا يريدون اجورهم ان تنقص ! فيم تراهم

يريدون المال ؟ واذا لم يعودوا الى العمل في الغد خسر الآلاف . وخيبه لم تأت هذا المساء ، وابوه قد مات وامه تنصحه . . ما هذا الملل الذي لا يطاق . . وسمع صوت عجلات قطار البضاعة الذي يمر في غير المواعيد (المحددة) تاريخ زجاج النوافذ ، ثم تضاءل الصوت في الظلام . واحس بالتعب والحاجة للنوم ، بدل لفكرة الانتحار واحياناً ما نحس حاجتنا لفكرة الفعل ، تماماً كما نحتاج للفعل نفسه احياناً اخرى .

. . وذات لحظة التمعت امامه في الظلمة قضبان السكة الحديدية ، واجتاحته رغبة جنونية ، حين سمع دوي قطار من بعيد ، خفت قليلاً ثم عاد يتضخم ويتضخم . فوقف لحظة يتيقن من أية جهة يأتي . واحسه يقترب بجنون في الظلمة ، وقد اتضح صوت العجلات وصفير القطار ، ثم عاد فاختلط جميعه في دوي هائل عربيد ، ولمح في الجنوب نيران الفحم يلفها سواد القاطرة المحمومة وهي تشد وراءها العربات المثقلة الصاخبة ، ورأى القاطرة تكبر وتكبر وعجلاتها تدور حول نفسها في اخلاص معتوه ، والدوي يملأ الظلمة بالوحشة والانقباض ثم لفح التراب وجهه وتناثر بعض الحصى على قدميه ، وانتشر الدخان في الظلام المرتفع حتى انتصر الدوي نهائياً على الصمت .

ومرت الفاطرة امامه تشد وراءها عربات طويلة ، الواحدة اثر الاخرى ، وكانت العربات جميعها مظلمة كالليل ، صامتة لولا دوي عجلاتها التي كانت تدور جميعها معاً في انتظام صارم وبلا انقطاع . ووضحت رغبته الجبارة القاسية في الانتظام الى الابد مع هذه العجلات في دورانها الصارم المنتظم .

لكن اقل دهشة كانت كافية للقضاء على هذه الرغبة التي كانت قد بلورتها في نفسه فجأة سراديب خفية مسحورة ، وكان المطر قد بدأ يهطل في غزارة والبرق يلقي اضواءه الارجوانية على الغيوم ، حين رأى الناس متعلقين بأسطح العربات المظلمة الصامتة وبنوافذها في كثرة وازدحام وبلا حراك ، كأنما انهكهم الجهد والزحام فبقيت منهم جثثهم وهي لا تزال متكالبة على ما كانوا قد حصلوا عليه من اسطح العربات ونوافذها في هذه الرحلة الجنونية عبر الظلمة المترامية .

ثم اخذ صوت العجلات يهدأ ، والدرس يخفت ، ويفسح من جديد للصمت احضان الظلام . حتى وقف القطار ، وشاهد الكتل البشرية تستيقظ في الظلام ، وتفتح اعينها على مغاور الجبل الذي لم يره قبل الآن قريباً من قصره الى هذا الحد المنذر بالسوء ، واخذوا يغادرون القطار ويلجأون الى الكهوف ، يحملون اليها الذخائر والبارود وهم ينشدون .

وكانت تنتشر فوق الجبل ، مقابر الاجيال الماضية التي سحقتها المذلة وفرضت عليها الامنة . وكان المطر قد انقطع لكن بقاياه الرطبة لا تزال ترحم الجو . واختلطت المقابر بالجماهير ، وكان يبدو عليهم انهم ممن ذاقوا مرارة الجوع والحرمان جيلاً بعد جيل ، ومنهم من ارتكب حماقة في حياته فظل مشدوداً اليها آلاف السنين ، ومنهم من طورد حتى تجردت احلامه من اوهامها الخضراء ولعابها السائل .

ورأى الجماهير تتحرك نحو قصره . ماذا يريد هؤلاء المردة منه؟ اتراها احلامهم تأملت فاستحالت الى ثورة ؟ وسمعهم يهتفون ملء حناجرهم « فلتسقط الآلهة الزجاج ، فلتسقط الآلهة الزجاج ! » واخذوا يتدافعون نحوه . وتنبه فجأة الى ان عينيه زجاجيتان ، فتلمس وجهه فاذا به يتحسس فيه تلك الصلابة الزجاجية الخطرة . اتراهم سيقذفونه بالحجارة فيتهشم ، وتبرق بقاياه على سطح الارض ؟

كان هذا شيئاً مخيفاً للغاية ، واحلامهم القذرة ، وسواعدهم القوية ، وحناجرهم المرتفعة ، والعرق الذي ينضح بلا انقطاع من جباههم ، ثم جسده . . جسده الزجاجي ! ولم يكن من المستطاع ان يتحمل اكثر من ذلك ففتح عينيه .

ورأى نفسه في البهو حيث اخذت تغادره البقايا الاخيرة من خليط العطر والدخان ، وكانت التماثيل الزجاجية الدقيقة لا تزال موضوعة في اماكنها على الرفوف بجوار الحوائط تحملق نحوه !

الخرطوم — يوسف الشاروني

اعلنوا

في

مجلة الاديب

حيث يبقى

الاعلان عرضة

للانظار

شهراً كاملا

النجوم

حار طرفي والنجم يعرض سربه حين قضّيت ليلة السهد عذبه
أعيون تغازل الارض حتى هبّ غمز النجوم في اللمح هبّه
كان غر الوجود حباً فبات النجم ظمآن في الليالي لشربه
يا احبايَ ما لحبيَ ماضٍ كل امر يحول الا المحبه
سقط الوصل من حساب حبيبي فهواه في البعد يقنع قلبه
قال جذب النجوم حب ولكن دون وصل، وكان في الوصل نكبه
دنّس العاشقون كل غرام جعلوه لشهوة الجسم رغبه
أنا أهوى من لو شكوت اليه لقضى من تكتمي فيه نحبه
كم جريح مضى ولم يدر راميه ولو يستطيع كاتم ربه

***

أين برجي دوّخت طرفي عليه في صحاري النجوم ضيعت دربه

دمشق — زكي المحاسني

آلامي

الى الشاعر البير أديب

قلبٌ يفيض كآبةً وعناء ويكاد يلتهم الوجود شقاء
إني لأنعم بالهموم أعلها حلماً ، واحلها مني وعزاء
وأحبّ آلامي ، فكل جوانحي شوق ، تفجّر فرحة وهناء
عودتها بذل الدماء رخيصة وعشقت في شطآنها الانواء
ونسيت ايامي ، ولست بنادم حسبي وحسبك ، ان اذوب عياء
وانا المتيم بالعذاب ، اشمّه عطراً ، واسكبه هوىً وغناء
تحدو له الركبان في بيدائها طرباً ، فيرقص لحنها البيداء
وتساءلت عنه السفوح ، وكلها شغف ، يسيل صبابة حمراء
من راح ينشد في الهضاب لحونه فترفّ ازهار الهضاب رواء
من ذلك المجروح ، شق فؤاده واسال من اضلاعه الارزاء
هجر الحياة ، فما يلذ لقلبه غير الحنين ، يزق الاحشاء
هو شاعر يا سفح ، ضل طريقه وتنكبت خطواته الاضواء
عبد السراب ، وهام في لمعانه وتعشقت أحلامه الصحراء
قد كان يحلم بالصباح ، فلم يجد اثراً يلوح ، فعانق الظلماء
يا ايها الالم العميق ، وفي دمي حزن ، يكاد يزلزل الاجواء
خذني ، فما انا بالذليل يهمه باغ ، فيطرق راسه استخذاء
خذني اليك، فأنت اكرم صاحب صان الشريف ،وحارب اللؤماء
اني اجلك ، ان اموت وفي فمي ظمأ ، يذيب الصخرة الصماء
أاموت من ظمأ ،وانت جداول ضحكت ،فأضحك ماؤها الغبراء؟
وتثاءبت بعد الركود ، فصدرها زهر ، فديت الزهر والانداء !

***

انا ان حبيتك ، فالحياة مريرة ولرب عمر ، ضاعف البأساء
اللهو ، اين اللهو . . ؟ اين عشية خاصرت بين ظلالها النعماء . ؟
وحديث غانية ، وزهو صبية هدهدتها ، فتهللت اغراء ؟
واذا سألت عن الخدود ، فاوضحا دمي الزكي ، تدفقاً وسخاء
ولكم شممت الورد ، احسب نفحه دنيا ، تفيض ملاحة وبهاء
حتى اذا امتلأت يداي بعطره لم القَ الا حية رقطاء

***

يا ايها الالم العميق ، ولم اكن في العمر ، الا لوعة خرساء
انا ان مللت من الحياة، ولم اطق جور الزمان ، تكرماً وحياء
فالليث يأنف ان يكون مصفدا والذئب يمرح ، ضلة ورياء

السلمية - سوريا — انور الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة نابليون وماري فالوسكا

مترجمة بايجاز عن فريدريك ماسون
عضو الاكاديمية الفرنسية

في أول كانون الاول سنة ١٨٠٧ توقف الامبراطور نابليون، وهو في طريقه من براستوك الى فرسوفيا، على باب مدينة برونيا . وهناك كانت الجماهير المحتشدة تنتظر محرر بولونيا العظيم. جماهير اخذها الحماس كل مأخذ، انطلقت الى اوج حماسها، وهتافها، حين لاحت العربة الامبراطورية.

وتوقفت العربة ، وترجل منها الجنرال « ديروك » ، واتجه الى دار البريد، وحين تجاوز عتبتها، بلغت مسامعه أصوات استغاثة ويأس. ورأى يدين تمتدان اليه باستعطاف لاهف. ثم سمع صوتاً بالفرنسية:

— ايه . . ايها السيد الكريم . . انقذني من هذا المكان المزدحم . . واعمل على انارى الامبراطور ، ولو لهنيهة واحدة .

فتوقف الجنرال. ورأى امرأتين تبدو عليهما مظاهر الترف و كرم المحتد ، تحاولان عبثاً التخلص من تلك الزحمة الموارة .

وكانت اولاهما تبدو — (وهي التي وجهت اليه الخطاب) طفلة : وهي شقراء ذات عينين زرقاوين واسعتين ممتلئتين طهراً ورقة ، وكأنهما تلتمعان بغيبوبة مقدسة . اما بشرتها فخملية ، وردية ، واما وجنتاها فقد صبغها الحياء بلون الجلنار .

وكانت صغيرة الجسم ، ولكن على انسجام في التقاطيع وامتلاء في الاعضاء . وكأن السحر تجسد في صورتها الفتانة اللطيفة وكانت ترتدي ثياباً بسيطة وتعتمر بقبعة غامقة اللون ، ذات برقع اسود شفاف .

رأى « ديروك » . وفهم كل شيء . فخلص المرأتين من الغوغاء . وقدم ذراعه للشقراء، وصحبها الى نافذة العربة ، وقال:

— يا صاحب الجلالة . اسمح لي ان اقدم لك المرأة التي تغلبت على اشد الصعوبات ، لتراك .

فنزع نابليون قبعته . وانحنى صوب المرأة الغريبة . وراح يتحدث اليها اما هي فقد المت بها شبه نوبة من الالهام والحماس والنشوة فطفقت تهتف :

— مرحباً . . مرحباً بك في بولونيا يا صاحب الجلالة . مرحباً بك الف مرة . نحن مهما فعلنا ، فليس في وسعنا ان نعبر عن عواطفنا نحوك ايها المحرر العظيم . ان هذه الارض العريقة في المجد قد انتظرتك طويلاً لتنال حريتها واستقلالها .

وكان نابليون ، في هذه الاثناء ، يرقب الشابة ؛ وهي تلهث بهذه الكلمات المحمومة ، يرقبها باهتمام وتدقيق . وتناول اخيراً باقة من الازهار ، كانت قربه، وقدمها الى المرأة الجميلة الشقراء قائلاً :

احتفظي بها دليلاً يؤكد اخلاصي وحسن نيتي . وآمل ان نلتقي في فرسوفيا ، وهناك اطالب ثغرك الجميل بكلمة شكر .

وعاد « ديروك » واتخذ له مكانا قرب الامبراطور . وابتعدت العربة بسرعة هائلة . ولكن قبعة الامبراطور ظلت تلوح من النافذة ، ليودع بها صاحبها هذه الفاتنة الشقراء .

هذه الفاتنة الشقراء هي « ماري فالوسكا » اما اسمها القديم فهو « لازنسكا » وهي سليلة عائلة نبيلة عريقة ، ولكن فقيرة.

ولكن فقر الاسرة لم يمنع ارملة السيد « لازنسكا » من ان تنظر الى مستقبل فتاتها بعين الواقع . فاستعانت بأحد اقربائها الاغنياء ، وارسلت « ماري » الى مدرسة داخلية ، لتنال قسطاً وافراً من الثقافة ييسر لها زواجاً موفقاً . وعند عودتها من المدرسة تقدم الى خطبتها اثنان لا بأس بكليهما .

وكان عليها ان تختار احدهما — طبعاً — . اما الاول فشاب ساحر الجمال ، وافر الثراء ، اعجبها للنظرة الاولى ، لنبل محتده وجماله الاخاذ . ولكنه كان روسياً ، وابناً لاحد القواد الروس الذين شددوا النكير على بولونيا ، وطنها المعبود . ولذلك لم تقبله ماري وليخرس هذا القلب العاشق الملتاع .

عليها اذاً ان ترضى بالآخر . . وهو العجوز « آنستاس كولونا



ماري فالوسكا بريشة روبير لفيفر

●

دى فالوسكا » .

وهو عميد اكبر عائلة في بولونيا واعرقها واغناها . فكيف لاتهيم الارملة « فالوسكا » بصهر كهذا ؟ !

ولم تحاول ماري ان تقاوم رغبة والدتها . بل قد حاولت فلم تجدها المحاولة . فاقتصرت على كلمتين قاسيتين من جانب والدتها . ونوبة اغماء من جانبها ، استفاقت ماري منها لترى نفسها تسير بخطى وئيدة الى عريسها العجوز .

ومرضت ماري في اوائل شهور زواجها . ولازمها المرض ما لازمها في لياليها الاولى هذا الشيخ الذي ينطبق عليه عنوان مسرحية شكسبير « كثير من الحركة . ولا شيء » ومضت عليها سنوات وهي « تحيا » في قصر « والويس » المنعزل . وانصرفت اخيراً الى الدين والعبادة وراحت تعمق آمالها الالهية .

. . وحملت اخيراً . . ووضعت غلاماً .

فاستفاقت هذه المرأة الجميلة الشابة من آلامها . وكأنها ولدت من جديد . واحست بان عليها ان تسعد ليسعد ولدها . ولكن ايعيش هذا الولد على ارض مستعبدة .

انها تريد ان يكون ولدها بولونياً حراً ، ومواطناً رافع الرأس ، متاحة له الحياة العزيزة النبيلة . وهي بالتالي تريد الحرية والخلاص لموطنها بولونيا .

وهذا الذي حطم منذ قريب ، النمسا . وصارع روسيا في « اوسترلتز » . وهو الآن يجالد بروسيا . اجل . نابليون هذا ، هو الرسول المختار لتحطيم القوى الثلاث التي تقتسم بولونيا فيما بينها . ان العناية الالهية ارسلته ، وها هو ينطلق كالعاصفة ويطبع نهاية كل مرحلة من مراحل انطلاقه ، باسم من الاسماء الخالدة . ها هو يبدد الجيش البروسي كقطعة من الضباب . ويدخل الى برلين ، ويقترب من حدود المملكة القديمة . وها هي الحمى تتملك الناس جميعاً ، حمى من الحماس والتأييد والاعجاب بهذا الفاتح الجبار .

وقصر « والويس » بعيد عن الاخبار . فيجب اذاً ان تسافر ماري الى فرسوفيا . وخاطبت زوجها في الامر . فجمد فكرتها لانه هو ايضاً معجب بنابليون .

وسافرا الى فرسوفيا . ونزلا في احد فنادقها الفخمة الكبرى وراحا ينتظران .

وما ان اعلن قرب وصول الامبراطور حتى انقلبت فرسوفيا رأساً على عقب . وسيطر الحماس على الجماهير . فراحت تستعد للاحتفاء بالفاتح احتفاء منقطع النظير .

يجب ان يرضى نابليون . ففي رضاه خير كبير . وهو الذي سيقرر مصير بولونيا .

وارادت « ماري » ان تكون بين بنات امتها ، اول من يستقبله . وهكذا ، ودون ان تفكر في عواقب تصرفها ، اقنعت ابنة عم لها بذلك ، وتخطت ، في صحبتها كل العراقيل ، حتى بلغت مدينة « برونيا » .

وقد رأيناها تستقبل الامبراطور . ورأينا العربة الامبراطورية تغيب في الآفاق البولونية المخضوضرة . اما هذه المرأة الفتية ، فقد لبثت زمناً طويلاً تحدق في هذه الغيمة البعيدة التي تتلاشى ، في الافق وتحمل معها معبودها العظيم .

ودفعتها ابنة عمها في منكبها . وطلبت اليها ان تعي ، وتسير في طريق العودة . وافاقت ماري من حلمها الملكي السعيد . وخيالها الوطني السامي .

وطوت باقة الازهار في منديلها الحريري . وصعدت الى عربتها . وعادت الى الفندق .

وعزمت بينها وبين نفسها على كتمان امر هذه المقابلة ، وصممت على عدم السماح بتقديمها للامبراطور . ولكن رفيقتها وقريبتها وجدت في هذه الحادثة شيئاً من الفخر ، اعظم من ان يكتم ويضيع في مطاوي النسيان .

وبعد ايام ، زار الامير « جوزيف بوناتوسكي » ماري « فالوسكا » وطلب موعداً . وحين قابلها . دعاها الى حفلة رقص شاء ان يقيمها في قصره .

واحمر وجهها خجلاً . فقد فهمت . ولكنها اصرت على التجاهل . ووضع هو النقاط على الحروف . وروى لها كيف انه دعا نابليون الى حفلة عشاء . وكيف قص الامبراطور عليه خبر ملاحظته امرأة ساحرة الجمال ، وفصل له اوصافها وخطوط وجهها .

ورنة صوتها . ثم اضاف الأمير :

— ولا شك انك تعلمين من تكون هذه البولونية الحسناء التي لفتت نظر الامبراطور فراح يتحدث عنها ويتطلع الى من يهديه اليها .

وحاصرها الامير حصاراً شديداً . فاعترفت . ودعاها الى حفلة راقصة فرفضت . فأصر بقوله :

— من يدري فقد تكون السماء قد هيأتك لتنقذي وطنك يا سيدتي الجميلة

فلم تستسلم ، فانسحب مغضباً . وما ان خرج حتى اعلن الخادم قدوم اوجه نواب بولونيا واشهر زعمائها . وكان الجميع يعلمون بأمرها مع نابليون فراحوا يمطرونها بالوصايا ويتمنون عليها ان تخدم الوطن .

وكأن هذا لم يكن كافياً . فهذا هو زوجها يصل الى القصر وهو يجهل حديث مدينة برونيا والامبراطور — ولا يرى سبب هذا الحشد العظيم من الزعماء والنواب الا اعترافاً بفضله هو وعظمته السياسية . . ولذلك فقد راح يلح على زوجته بقبول الدعوة . . ويعنفها على الرفض والدلال .

ولم يكتف بالرجاء . بل اعطى امره اليها . فصدعت اخيراً .

وسهر هذا الزوج الطيب على زينة زوجته اثناء استعدادها لهذه الحفلة الجميلة ، وراح يستنهض همة الخدم ، لكي لا تتأخر زوجته عن الموعد .

وأزفت الساعة العظيمة . ساعة اللقاء . ووصلت ماري الى قصر الامير . وتقدمت في الاروقة الانيقة محفوفة بنظرات الاعجاب وآهات النشوة . وأجلست في صدر صالة فخمة .

وما ان استقر بها مجلسها حتى تقدم منها الامير « بوناتوسكي » وهمس في اذنها :

انتظرتك بفروغ صبر ، واستقبل «احدهم» وصولك بحبور ، واستعاد اسمك سراراً حتى استقر في ذاكرته . والقى نظرة فاحصة طويلة على زوجك . وأعطيت امراً بدعوتك الى الرقص .

فأجابت — انا لا ارقص . وليست لي رغبة في الرقص فأجاب الامير بان الامر لا معدى عنه . وان الامبراطور يرقب تنفيذه . ولا يقبل تأخيراً ولا تردداً وان معنى هذا فشل يصيبه هو ، وان نجاح الحفلة منوط « بماري فالوسكا » . ولكنها رفضت .



نابليون في حفلة تسليم الدستور الى دوقية فارسوفيا

●

وحاول كثير من كبار الضباط الفرنسيين ان يحوموا حولها . فكان الامبراطور يصدر اوامره الى « ديروك » بابعادهم وارسالهم في مهمات خارج فرسوفيا . . فوراً .

وتوقفت الرقصات . وراح الامبراطور يتجول في صالونات القصر ناثراً جملاً يويدها ملأى بالمعاني وخفة الروح ، ولكن ، بدافع البلبال والقلق ، تقع في مواقعها السيئة الباردة .

وهكذا سأل فتاة عذراء عن عدد اطفالها . وسأل عجوزاً شمطاء عن مدى غيرة زوجها (وهي ارملة) .

وكان يتكلم دون اعمال روية او فكر . ودون ان يفهم مدلول الاسماء التي تقال له . فقد حصر فكره ونهاه في اسم واحد . ولم ترَ عيناه سوى هذه الشقراء الفاتنة القاسية .

ووصل اليها ، ودفعتها جارات لها باكواعهن لتنهض واقفة .

ووقفت . واسبلت عينيها . وارتعشت ، شاحبة ، شاردة النظرات . فقال بصوت مرتفع

— ابيض على ابيض . . لا يناسب جمالك يا سيدتي .

ثم اضاف هامساً :

— ليس هذا هو الاستقبال الذي املت .

ولم تجب هي .

وحدق فيها لحظة ومرّ .

وترك القصر بعد دقائق ، وانفصمت عرى الراقصين . وراح المدعوون يتحدثون ويسألون النساء منهم عن كلمات نابليون

●

الكونت بوناتوسكي



واشاراته . اما السؤال الذي كان يتردد بشدة ولا يلقى جواباً فهو « ماذا قال لها . . هي . . » وماذا تكون هذه الجملة التي قالها بصوت مسموع ، وتلك الجملة الهامسة الخفيفة .

ودافعت ماري فالوسكا عن نفسها بصمتها . ولكن زوجها كرر سؤالاته عليها . وحين لاحظ صمتها الدائم صرح لها بانه قيل حين دعاهما الامبراطور الى مأدبة غداء موعدها اليوم التالي .

وطلب الزوج الى زوجته ان تعنى بزينتها عناية اشد من السابق . وخطر لها ، وألح عليها الخاطر ، ان تصرح لزوجها بمغامرة «برونيا» ، وكل الحركات والمناورات التي نجمت عنها .

ولكنها لم تجرؤ على ذلك .

***

وما ان وصلت الى مقرها ، حتى حملت اليها وصيفتها هذه البطاقة .

« لم أر في الحفلة غيرك . ولم اتل من منظر غير منظرك — اريد « جواباً » سريعاً جداً . لاطمئن . ويهدأ فؤادي . انني اشتهيك .

الامضاء : ن . »

وطوت هذه الورقة بعصبية ، ومزقتها بامتعاض . فقد اثارها هذا الاسلوب الصريح .

وتطلعت الى نافذتها . فرأت الامير بوناتوسكي ينتظر في الشارع جيئة وذهاباً .

فقالت « ماري » — ليس لدي ما اجيب به .

ومضت وصيفتها تطلع الامير على هذا الرد .

ولم يقبل الامير الهزيمة . فاتبع الوصيفة . ونفذ الى القصر . وبادرت « ماري فالوسكي » الى غرفتها . واقفلتها من الداخل . وصرخت ، من خلال الباب ، ان قرارها نهائي ثابت . وانها لن تجيب . وستنفذ مشيئتها كما امتنعت عن الرقص .

وراح الامير يرجوها ويستعطفها ، ويهددها . والتصق ، خلال نصف ساعة ، على الباب ، لا يبالي أكان وقوفه هناك سبباً في فضيحة مخزية ، ام اصبح اضحوكة الخدم والوصائف .

وحين نهضت ماري في الصباح ، قدمت لها وصيفتها بطاقة ثانية فلم تفتحها . فقد كانت تعلم ما تتضمن من التجديف والخيانة ، ولذلك امرت بان تعاد هذه البطاقة الى مرسلها .

والحقيقة ان هذا العب كان ثقيلاً على كاهل الحسناء البولونية ومن اين لها الخلاص ؟ انها شابة فتية . وحيدة دون ناصح ولا نصير . وانها لتدافع عن نفسها دفاع الابطال . ولكن ماذا يسعها ان تفعل ضد الجميع ؟

وغص صالونها في الصباح بعلية القوم . هؤلاء هم شخصيات الوطن العظام ، واعضاء الحكومة ، والجنرال ديروك . ورفضت ان تستقبلهم . واتخذت من دونهم حجاباً في غرفتها ولم تشأ ان تخرج اليهم . وهناك تمددت على كرسي طويل ، ولكن زوجها غضب وراح يرغي ويزبد ، وهو الحكيم المحنك ، لا ينقصه نوع من انواع اللياقات ولكي يثبت للملأ انه ابعد الناس عن الغيرة ، ادخل الامير جوزيف ، وباقي الشخصيات البولونية ، الى حيث تتمدد على كرسيها .

واخذ بأمرها ، في حضور الشخصيات ، ان تقبل دعوة الامبراطور ، وهؤلاء يشاركونه ويؤازرونه في طلبه هذا المعقول . وقال لها اكبرهم سناً واجدرهم بالاحترام — وهو احد اعضاء الحكومة .

يجب ان تستسلمي يا سيدتي ، نظراً للظروف السامية التي تجعل منك بولونية ممتازة . فتأمل اذن ان يزايلك مرضك في موعد ذلك الغداء . . لا تستطيعين ان ترفضي هذه الدعوة الا بعد ان تدوسي كل ما يربطك بوطنك من الاواصر والصلات .

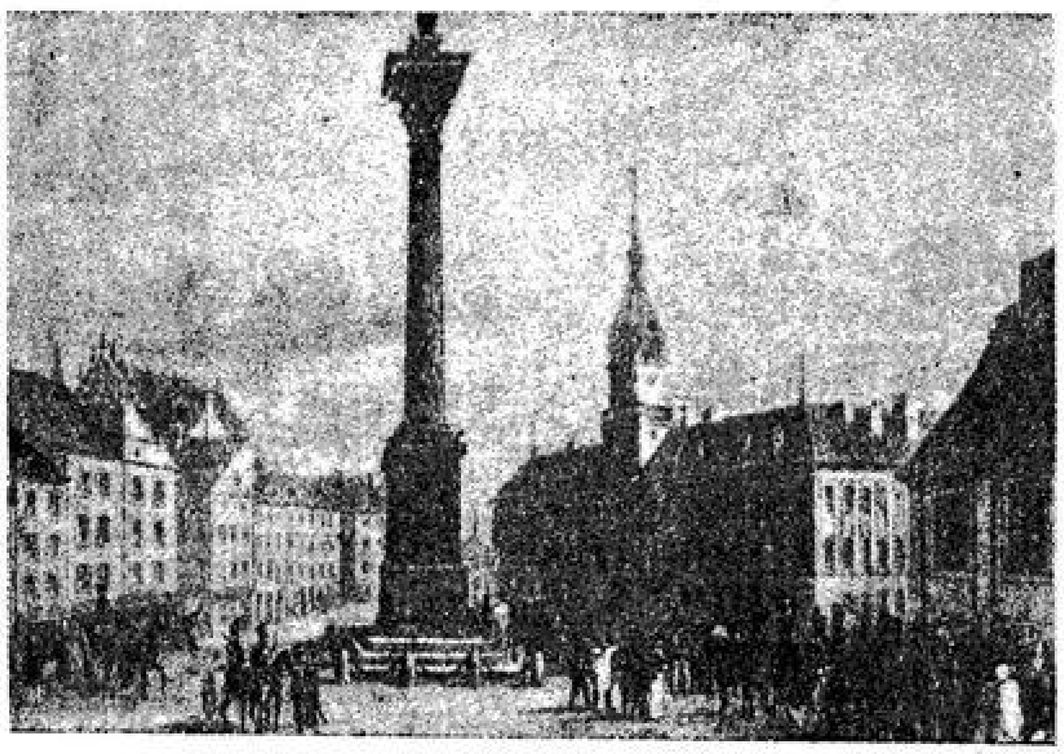
وهكذا حملت على النهوض ، وارسلت ، بناء على طلب زوجها الاديب الذكي ، الى قصر عشيقة الامير جوزيف ، لتسهر على اناقتها وزينتها . وهذه العشيقة ستعمل على تسليمها للامبراطور .

اذن لقد تضافرت عليها الظروف لتتخلى عن طهارتها وعفافها .

وها هي تتلقى المرة الثانية هذه البطاقة التي رفضتها في المرة الاولى

. . « هل انا بغيض اليك ايتها السيدة ؟ غير انه من حقي ان اؤمل العكس . فهل انا مخطىء ؟ ان لهفتك تباطأت اما شعوري

من مناظر فارسوفيا



فيزداد حرارة وعنفاً كل يوم، ازلك تحرميني الراحة والرقاد . انا اهواك يا ماري اهواك اكثر من المجد . واكثر من ضوء عيني . فهي قليلاً من السعادة والسرور لقلب مضنى مسهد، وهل يستحيل ان احظى منك بجواب ؟ ازلك مدينة لي بجوابين !!

الامضاء « ن »

وكانت المرأة المخلصة تنتهي من قراءة هذه الرسالة حين دخل زوجها وراح يحدثها عن فتوحاته في المجتمع وعن تقدير الناس له . ولبث في جهله ينصح لامرأته بالحنكة والحذق .

ويرجوها ان لا تهدم ما بناه من المجد والشهرة حتى اصبح شخصية يجلها زعماء بولونيا ويقرها الامبراطور .. والح في نهاية خطابه ، عليها ، بتلبية الدعوة .

واحست الشابة المسكينة ان عليها تلبية الدعوة ، فكل الناس يطلبون هذا اليها . وهذا زوجها (وقد تواضع الناس على ان الزوج هو حامي حمى المرأة) يدفعها دفعاً الى ذراعي الامبراطور .

***

وبلغت مكان الاحتفال . والتقت بالامبراطور .

وكان اكثر تهيؤاً اليوم منه في الامس . فوفق في صياغة العبارات الظريفة ينفح بها الحضور .. وخاصة النساء . وبعد جولة قصيرة بين المدعوين . وصل الى حيث كانت تجلس « ماري فالوسكا » : وقال : كنت اظن سيدتي مريضة . فهل شفيت تماماً .

هذه الجملة ، على بساطتها وعاديتها المقصودة ، لاحت لها محملة بالمعاني والاشارات .. ولا شك في ان نابليون خشي التصريح بافكاره . والناس يرقبون .. فقال ما قاله .. مشيراً الى اشياء ، واشياء ..

وحين جلسوا الى المائدة .. وضعت « ماري » في مواجهة الامبراطور ، وما ان استقر به المقام ، حتى راح يسأل احد المدعوين عن بعض التفاصيل في تاريخ بولونيا ، بلهجة سريعة ، متقطعة ، اعتادها في حياته العسكرية .

ولاح عليه انه يصغي الى الاجوبة ويعيها وعياً عميقاً . فيسأل عن بعض النقاط ، ويناقش ويعلق ولكن سواء تكلم ام اصغى ، فان عينيه لم تكونا تتحولان عن مدام « فالوسكا » .

ونظر الامبراطور ، الى الماريشال « ديروك » نظرة ذات مغزى . فغمز هذا بعينه ، والتفت الى « ماري » قائلاً .

ماذا فعلت سيدتي بباقة الازهار ؟ . . باقة ازهار «برونيا» فلم يذهلها هذا السؤال بل أجابت : لا زلت احتفظ بباقة مولاي ، لابني الصغير ، كهدية احد الابطال الى احد المواطنين البولونيين .



ماري فالوسكا عام ١٨١٢ بريشة جيرار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقال الامبراطور معمقاً مدلول الحديث :

آه . . . اسمحي لي يا سيدتي بأن أهدي اليك «زهرة» من النوع الذي يكاد يذويه الظمأ . . .

— انني لا أهتم يا مولاي . . . الا « بالازهار العادية » . . .

— اذن . . . فسأقطف من ارض بلادك الجميلة ، أغصان الغار ، واهديها اليك . . وفهمت ما يعني . . فأجابت مسرورة :

— من دواعي فخري ان أتقبل هديتك يا مولاي .

ولا نستطيع ان نعطي القارىء فكرة عن حالة «ماري فالوسكا» النفسية عند نهاية المأدبة ، وخرجت تتمشى في ارجاء الاروقة والصالات . . . والتقت بالامبراطور ، فسلط عليها أشعة عينيه النفاذتين التي لم يستطع مقاومتها انسان فأمسك بيدها واخذ يضغطها بقوة وحرارة . ويقول لها هامساً : لا ! لا ! بعينيك هاتين الرحيمتين الجميلتين الرقيقتين ، وبهذا التعبير الطيب المرتسم على شفاهك ، وبهذا الجمال الالهي السامي ، لا اظنك قادرة على ان تعذبي عاشقاً يؤرقه سعير الحب !! والا كنت اشد النساء ظلماً وقسوة . وكان مظهرك الجميل خداعاً .

وانصرف عنها وتبعه المدعوون جميعاً . اما هي فقد قيدت الى

بيت السيدة «دي فوبان» حيث كان ينتظرها الامبراطور في جماعة من افراد حاشيته الخلص، وبعض رجال السياسة البولونيين: واحاط بها الجميع احاطة السوار بالمعصم. فبامكانها وحدها ان تحقق آمال بولونيا، وهي التي تستطيع ان تثير العطف في قلب نابليون على مصير بولونيا، فينقذها من الوهدة التي تردّت فيها.

ثم أبعد عنها جميع هؤلاء، وتركت وحيدة مع مدام «دى فوبان» وراحت هذه تحدثها باعجاب نابليون، وحبه، وقلبه، وعظمته. فانفجرت «ماري» بالبكاء سخرية و كمداً، وراحت تنتحب كالاطفال، بصوت عالٍ.

وطفقت مدام «دى فوبان» تضرب على وتر «ماري» الحساس. الا وهو الناحية الوطنية. وها هي تحدثها عما ينتظره الوطن منها، وعن الخير الذي ستغدقه عليه اذا رضيت بان تكون عشيقة الامبراطور.

وفي هذه اللحظة اقبل احد الخدم بالرسالة الآتية:

« كثير من السمو يلاشي الغريزة ويحمل اليأس الى الفؤاد. وهذا ما احسه في هذه الايام. فكيف احقق رغبات قلب عاشق لا يريد من الحياة غير الارتماء على قدميك، فتصده اثقال المركز العظيم الذي اشغله والمهام العليا الملقاة على عاتقي!؟ فتشل احر رغباتي، واسمى عواطفي! وانك لتستطيعين ان تزيلي كل هذه الصعوبات حين تقولين « نعم » فتلاشين هذه الحواجز الجبارة التي تفرق بيننا، وسيعينك صديقي «ديروك» على الوصول الى مكان اللقاء.

« تعالي! تعالي! تعالي! وسأنفذ كل رغباتك. وسيصبح وطنك اعز لدي، واقرب الى قلبي، مما هو الآن اذا شملت قلبي بنظرة عطف.. واحدة »..

وهكذا ثبت لماري ان مستقبل وطنها هو الآن بين يديها. وها هو نفسه يقول هذا لا الآخرون وها هم الزعماء، والوجهاء، والاصدقاء يبلورون هذه الفكرة في ذهنها. فبها لا بغيرها معلقة نهضة الوطن.

فعليها ان ينتفي من ارض وطنها هذه القسمة الضيزى، وهذا التبدد الشامل. وعلى اعضاء هذا الوطن ان تلتئم. وعلى النسر الابيض ان يضرب بجناحيه الهواء من جديد.

ولكنها لا زالت تجالد وتقاوم؛ فكيف!؟ اتستسلم؟ ان خفرها يثير في نفسها افظع الصور وارهب المخاوف!! واستشارت.. فقيل لها انها لا زالت قروية.. تتمسك باخلاق الريف.. وتقاليده البالية.

وبعد دموع كثيرة.. وجهود.. استسلمت.. وقالت لمن حولها: « افعلوا بي ما بدا لكم! » ولكنها اشترطت عدم الكتابة للامبراطور.. وتنتظر المساء.. في القصر.. ثم تذهب مع الدليل.. الى حيث نابليون.

ومرت الساعات متباطئة.. والشابة المسكينة تنظر الى العقرب وهو يتحرك بهدوء رهيب على الميناء. ثم تتطلع الى ناحية الباب الصامت، ومنه سيُقبل من يصحبها الى مصيرها المحتوم.

ودق الباب في الساعة العاشرة والنصف. ودخل رجل طويل القامة. نحيل، يرتدي معطفاً اسود ويضع قبعة مستديرة.

ودعاها الرجل وتقدمها الى حيث العربة.. وسارت الجياد.

واثناء الطريق.. سيطر على الركاب الثلاثة الحوذي والرجل الغريب وماري فالوسكا صمت رهيب لم يقطعه احدهم بكلمة.

ووصلت، وادخلت الى بيت لم تراقب مظهره.. لانشغال بالها وقلقها.. ولم تر الا نابليون واقف قبالتها.. يحييها باسماً!!

وراح الامبراطور يتحدث اليها.. بلطف.. ومحبة. ولكن كلمة « ما هذا الزوج العجوز الذي اقترنت به » افلتت من بين شفتيه واحدثت أثراً عكسياً!! فانطلقت « ماري » الى الباب.. مصممة على الهرب.. منفجرة بالبكاء.

في هذه اللحظة ظهرت لها بشاعة عملها واضحة جلية افهي في سبيل جريمة فظيعة! فكيف يهدأ بالها؟ وكيف تسمح بها؟

وأخذ نابليون العجب. فما الذي يراه؟ وهي المرة الاولى التي تمتنع عليه فيها امرأة هذا الامتناع المدل. فهل هو دلع وصدود مفتعل ام جهل وسذاجة، ام حيلة، ام ماذا؟

وذهب الى الباب، حيث تشبثت، وامسك بيدها، وقادها بقوة يازجها اللين، الى الاريكة حيث اجلسها واخضعها الى استنطاق شديد محرج. فهل اقترنت بزوجها مدفوعة بالحب؟ ام هل رُبط مصيراهما بدافع المصلحة؟

فأجابت: ان الانسان لا يفرّق ما جمعه الله فانطلق ضاحكاً، وأجهشت هي في البكاء..

***

واكتفى نابليون في هذه الليلة بالتحدث اليها، وكان لطيفاً معها.

وفي الساعة الثانية صباحاً ودعها قائلاً: لا تخافي « النسر » بعد اليوم فانه يبغي قلبك قبل كل شيء، ورجاها العودة في الليلة التالية، فهو لن يفتح الباب ما لم تقسم له بذلك. فوعدت بعد ان اطمأنت الى انه احترم ارادتها.

فلماذا لا يحترم هذه الارادة في الليلة التالية ايضاً، وتكررت المواعيد بينهما.

بعد المطبعة: هل تغير السينما من جديد وجه الانسان

بقلم صلاح دهني
ديبلوم الاخراج من معهد الدراسات السينمائية بباريس

كثير من الناس من يعتقد بان الالماني جو تنبرج هو الذي اخترع المطبعة في القرن الخامس عشر . ولكن الواقع يختلف عن ذلك بعض الشيء . فالمطبعة كانت موجودة حتى قبل ولادته بآجال بعيدة ولكنه ادخل على ادوات الطباعة ومجاميع الاحرف المتحركة تحسينات كبيرة بصورة بقيت معها حتى يومنا هذا ، في المطابع العادية ، بدون تغيير اساسي تقريباً . مما جعل الطباعة تنتشر انتشاراً هائلاً وتشكل ذلك التغيير الاساسي الذي نعرفه في مستوى الثقافة العالمي .

والذي يمر اليوم بمدينة ستراسبورج يرى ذلك التمثال البديع الذي خلفه لنا دافيد وهو يمثل جوتنبرج في اللحظة التي أخذ فيها بين يديه اول صحيفة وقد طبعت عليها هذه الكلمات الرمزية : « وهكذا ولد النور Et la lumière fut » .

لا اعرف أكانت تلك هي حقاً اول الكلمات التي طبعها جوتنبرج ام انها خرجت من ذهن ذلك الفنان الممتاز الذي هو دافيد آنجه (وهو غير لويس دافيد المشهور رسام الثورة ونابوليون) ولا اعرف ايضاً ان كان جوتنبرج قد شعر بصورة واعية حقاً بأهمية مطبعته وامكانياتها وكيف انها ستدفع البشرية الى طور جديد من حياتها يقسم تاريخها الى قسمين : ما قبل المطبعة وما بعدها . ولكن هنالك امراً محققاً هو ان الاخوين اوجست ولوي لوميير وهما اللذان مثلا بالنسبة الى السينما في سنة ١٨٩٥ في باريس نفس الدور الذي لعبه جوتنبرج في اختراع المطبعة لم يكونا يخمنان اهمية اختراعها : السينما ، في تاريخ الانسانية .

واذا كان بعض الاذكياء من التجار قد فهموا اهمية السينما منذ ايامها الاولى كسلعة تجارية يمكن ان تفيدهم مالياً من امثال جورج ملييس ذلك الساحر المسحور الذي كان له دور كبير في تقدم السينما ، فان الصحف والعلماء والكتاب لم يهتموا بالسينما الا كنادرة علمية قد تفيد علماء الفيزياء والتاريخ الطبيعي في تحليل الحركة وفي معرفة حركات الحصان او الكلب او العنزة لدى العدو وفي اي السيقان تقدم في ابتداء الحركة وأيها تحني وايها ترفع عن الارض وايها يسند الجسم الخ . . ولكنهم ابداً لم يفكروا في انها ستغير وجه الانسان والكون .

وكثيرون هم الذين تقدموا الى انتوان لوميير الاب يفاوضونه في شراء اختراع ابنيه ولكنه كان يرفض في كل مرة باباء وشمم بحجة ان ليس لهذا الاختراع من مستقبل وانه اذا كان الناس يقبلون على رؤية السينما في (الجران كافيه) قرب الاوبرا ، فذلك كنادرة علمية ظريفة لن يلبثوا ان يملوها ويملوها وترجع الى حيث خرجت ، الى احضان المخابر العلمية ، وهو بسبب هذا اشرف من ان يغرر ببعض المخدوعين في شراء آلة قد تسبب لهم الخراب والافلاس !

وليس الغريب هو ان الناس في اواخر القرن الماضي لم يقدروا السينما حق قدرها ، ولكن الغريب هو ان نرى الكثيرين من بني عصرنا وحتى في اوربا بعد ما يزيد عن خمسين سنة على انتشار السينما ، لا يقدرون اهميتها ولا امكانياتها ولا سلطانها على ملايين الناس الذين يؤمون قاعاتها في مشارق الارض ومغاربها . واظنهم معذورين لان السينما تفعل ببطء وهدوء ولان اهميتها لتتجاوز الحد المعتاد الاهمية الذي يمكن ان تصل اليه الاختراعات التي تعودنا منذ القرن الماضي كثرتها وامكانياتها : كالباخرة والقطار والسيارة والكهرباء والراديو ، والتي تعودنا ايضاً ان نقيس كل حدث جديد اليها .

لقد ولدت السينما كآلة ولكنها ما لبثت ان تطورت فأضحت آلة لا كالآلات بل وعملاقاً لا كالعالقة . ابتلعت تقريباً جميع ما خلفه الانسان وما اكتشفه من ادوات في الادب وفي العلم وفي الفن

وقدمته من جديد لأنسان اليوم على شكل شريط، ما عليه الا ان يزعج نفسه بالانتقال الى احدى قاعات السينما ليرى فيها ما لم يره انسان من قبل . ماذا خلف الانسان : المسرح ؟ السينما تقدم له ما يقدمه المسرح من تمثيليات ، القصة ؟ السينما تقدم له قصصاً ، التصوير ؟ السينما تقدم له صوراً ، الموسيقى ؟ السينما تقدم له موسيقى ، النحت ؟ حكايات الجن والشياطين والاسفار والغابات؟ الادب الرفيع ؟ والوضيع ؟ كلها تقدمها السينما حتى الفلسفة تقدمها الفلسفة اليه على شكل صور او ستقدمها اليه في يوم من الايام عندما تصل الى ما ترنو اليه من تقدم في المجال الفني (تكنيك) ومن تقدم في السن في طريق الرشد .

تلك هي السينما . لقد حررت مؤلف المسرح من عبودية خشبة المسرح ودفعت بالممثل الى الحياة يقفز على الاساطيح وينزل في مياه البحر وتتبعه الكاميرا في كل مكان. واخرجت قصص الكاتب من دفتي الكتاب وشخصت الكلمات وجعلت منها مادة ترى واخترعت نوعاً جديداً من الموسيقى هي « موسيقى الصور » كما يقول المؤرخ الموسيقي فويللرموز لا تلك التي تصاحب الصور بل «الموسيقى التي تؤلفها تلك الصور ذاتها». واوجدت نوعاً جديداً من النحت هو في ذلك الدور الذي يلعبه النور في (تشكيل) محتوى الصورة السينمائية تشكيلاً جديداً بصورة تتفق مع روح القصة ووجوها . فهو تارة قاس مع ظلال قوية وتارة ناعم هادىء وهو يأخذ في الحالين شكلاً معيناً ويتطور ويتغير عن واقعه الملموس .

نعم تلك هي السينما ، جماع ميراث الماضي الثقافي واداته الحديثة الفريدة في التعبير والنشر، اقول اداته الحديثة لان عصرنا الميكانيكي « عصر الجماهير » الذي تنبأ به جوستاف لوبون، كان بحاجة الى اداة فنية حديثة موافقة لذهنية القرن العشرين، تعبر عن فن القرن العشرين ، بلغته ، لا بلغة المسرح مثلاً التي مضى عليها خمسة وعشرون قرناً دون ان يصيبها تغيير ملموس، اللهم الا اذا كان التأخر يمكن ان يدعى تغييراً في هذه الحالة (وليس لنا هنا ان نبحث ذلك) ، ولا بلغة الموسيقى وهي لغة العواطف والافكار المجردة بالدرجة الاولى في عصرنا المادي بالدرجة الاولى، ولا بلغة الاحرف التي يستعملها الشاعر منذ اربعة آلاف سنة، ولا بلغة الرسم التي حطم التصوير الفوتوغرافي منذ منتصف القرن الماضي جميع قواعدها المتعارفة القديمة وما توصلت اليه من تحسينات منذ قدماء المصريين . . بل بلغة جديدة هي لغة الصورة الحية المتحركة الدينامية.

وقصة التمثيل بالصور والرسوم ، حكاية طويلة قد ترجع الى القرون الوسطى والى لوحات اساتذة التصوير التي تمثل الحكايات المتناقلة من السيد المسيح وتلامذته ، والتاريخ الديني والحكايات الخيالية، كما فعل كاراباتشيو وجيروم بوش وغيرهما، وهي تمثل ادواراً مختلفة متسلسلة من قصة واحدة مرسومة على لوحة واحدة كبيرة او عدة لوحات. الا ان هذه القصة تبدأ حقاً في القسم الثاني من القرن الماضي عندما تكاثر الصحف المصورة ، و«الحكايات بدون كلام» ويتحسن التصوير الفوتوغرافي فيسمح بتقديم ريبورتاجات مصورة الى القراء، وتوزع نسخ من صور مشاهير العصر تعد بمئات الالوف. . .

«في فرنسا — كما يقول ماير وبيرسن في كتاب لهما ظهر في سنة ١٨٦٢ عن «تاريخ اكتشاف التصوير الفوتوغرافي» — اضحى التصوير الفوتوغرافي اليوم صناعة كبيرة. . . واكثر من (٤٠٠٠) عائلة تعيش من هذه الصناعة. . . واما في انجلترا وخاصة امريكا فان نمو الصناعة الفوتوغرافية اضحى هائلاً. ففي الولايات المتحدة ما يزيد عن (١٠٠٠٠ مصور. . .) هذا كله مع ان اختراع التصوير الفوتوغرافي لم يصل الى درجة معقولة من التقدم الا منذ حوالي سنة ١٨٥٠ وان هذا النجاح الذي لوقيت به الصور الفوتوغرافية الساكنة الجامدة، ليجعلنا ننتظر نجاحاً اكبر للصور الفوتوغرافية المتحركة الحية. وهذا ما جرى فعلاً منذ الحفلات السينمائية الاولى وما يزال يتجدد الى اليوم.

وقد حاول مؤرخو المسرح والادب والتصوير والموسيقى. . . ان يقابلوا بينها جميعاً وبين السينما. فتتابع ظهور المقالات والدراسات حول «المسرح والسينما» مثلاً و«الرسم والسينما» و«الموسيقى والسينما» منذ اربعين سنة الى اليوم. واتفق الجميع على ان هناك تقارباً اكيداً ومجالاً للتشابه بين المسرح والسينما في الروي وبين الرسم والسينما في تمثيل الاشياء، وبين الموسيقى والسينما في الحركة الامينة والتوقيع، الخ.

ولكن جميع الكتاب والمؤلفين المخلصين لم يستطيعوا الا ان يعترفوا بمكانة السينما كالاداة الاولى للتعبير الفني في عصرنا الحاضر. وهذا طبعاً لا يصغر في شيء من شأن فن كالموسيقى مثلاً.

وحاول ايضاً اولئك الذين اعتادوا تصنيف الفنون في صنفين كبيرين فقط هما :

١ — فنون الاستقرار، وهي تلك التي تترك آثاراً باقية : كالرسم والتصوير والنحت والعمار والفنون الصغيرة التي تنتج عنها كالنقش والصياغة والاثاث الخ. .

٢ — وفنون الحركة ، التي لا توجد الا في الزمن وبحركة الانسان : كالشعر والموسيقى والرقص والمسرح.

اقول بأنهم حاولوا ان يجدوا للفنون الجديدة مكاناً في احد

هذين الصنفين. فأمكنهم ادخال التصوير الفوتوغرافي في الصنف الاول والراديو في الثاني ولكنهم وقفوا حائرين امام السينما. فالسينما الناطقة هي في الدرجة الاولى فن حركة طبعاً مع جميع صفات فنون الحركة ومقوماتها كالتوقيع، وفهم المحتوي شيئاً فشيئاً بوساطة سلسلة من المؤثرات الامينة. وبقاء الانسان منفعلاً امامها وليس فاعلاً. الا ان للتحفة السينمائية فيما عدا هذا — وهنا المشكلة — كياناً مادياً يفتح للسينما باب الصنف الاول دون ان يبعده عن الثاني — هو الفيلم المادي الملموس الذي لا يسمح لناظر القسم الذي يحمل الصور منه ان يتمثل الحركة الرابضة فيه، ولا لناظر القسم الذي يحوي هامش الصوت ان يقرأ اي عنصر قابل لان يتحول الى صوت وحركة.

***

او يعني هذا كله ان السينما فن دون باقي الفنون لا تتوصل الى مستواها حتى نضعها معها على صعيد واحد ؟ ام يعني بأن السينما ليست فناً في الاصل ولهذا لا يمكن ادخالها في التصنيف ؟

اعتقد بأن جميع ما يمكن الاجابة به على مثل هذين الاتهامين تلخصه كلمة قالها في السينما سنة ١٩٢٠ لوي دللوك، اول من فهم فن السينما وامكانياته ودوره في الحاضر والمستقبل :

« اننا نحضر مولد فن عجيب، قد يكون الفن الوحيد الحديث، مع مكانته الفريدة منذ الآن، وانتصاره المدهش في يوم قريب »

نعم ان السينما فن عجيب، ولهذا لا يمكن تشبيهها بأي فن آخر. انها عملاق يبتلع جميع الفنون الاخرى بكل سهولة ودون ان يشعر بسوء هضم. ولهذا لا يمكن ادخالها في اي تصنيف من اي نوع كان إنها الفن الذي يلخص جميع الفنون ولكنها ايضاً اكثرها قابلية للعطب واسرعها للموت.

انها اشبه ما تكون (بالدايجست)؛ هذه التحف الصغيرة (وان كانت تحفها هي ليست دوماً صغيرة)، التي تلخص جميع التحف، نطلع فيها على اشياء كثيرة ما كنا نتمكن من الاطلاع عليها لولاها ولكننا ما نعتم ان نلقي بها الى غير رجعة في احد أركان مكتبتنا. هكذا الفيلم، يلخص جميع الفنون بصورة بديعة رائعة (واتكلم هنا عن تحف السينما) ويزيد عليها فنه وعبقريته الخاصة، فنجد فيه لذة إلهية، قد ترفع انفسنا وتغنيها، وتهذب ذوقنا بنفس الدرجة التي كان اجدادنا يعجبون فيها بقصيدة بديعة او اغنية رفيعة او مبنى رائع البناء، واكثر من ذلك كله، لاسباب تابعة الى طريقة السينما في العرض. ولكننا مع الاسف، ما نلبث ان نلقي بهذه التحفة السينمائية في احد الاركان في مستودعات الاستديوهات وشركات السينما، هذا اذا لم نتلفها، بذا تقضي قوانين التجارة. بينما يتمكن الانسان في منتجات طرق التعبير الاخرى في الفن — كما لاحظ ذلك جورج ديهامل — ان يعود الى ما اعجبه وما ملك عليه عواطفه ونفسه، فيقرأ القصة من جديد متى أراد، او يستمع الى الموسيقى المحفوظة في قرص او ينظر الى اللوحة او صورة عنها الخ...

ولولا (متاحف السينما) التي تعنيها الحكومات لتحتفظ بنسخ من بعض الافلام الممتازة وتعرضها بين الحين والحين على العارفين والهواة والتي اخذت حركاتها تتوسع في البلاد الغربية، لما بقي الى اليوم اي فيلم من تلك التي انتجتها عبقرية رجال السينما منذ اختراعها.

هكذا الفيلم اليوم توضع فيه الجهود والعبقريات والاموال، فيولد وينزل الى الاسواق، ثم تمضي مدته فيعود من الاسواق... الى الموت. عاش عبد ألرأس المال الذي لولاه ما وجد ومات عبد ألقوانين التجارة. كيف على هذا نحكم بقلة شأنه ونحن لا نعرف بعد تماماً حدود امكانياته ؟

هكذا الفيلم اليوم ومنذ خمسين سنة.

ولكن المستقبل ؟

إن جميع الفنون الاخرى غير خاضعة



الى نفس درجة خضوع السينما للمال ولقوانين التجارة (عدا المسرح) التي تكبلها وتحد من اندفاعها وتوقف تقدمها ثم ان السينما ابنة الامس وهل نطلب من المراهق حكمة الكهل او العجوز ؟ لقد قالها دللوك : اننا نحضر مولد فن عجيب.

لقد امضت السينما السنوات الخمس عشرة الاولى من عمرها في دور الطفولة ولم تصل الى وعي ذاتها بعض الشيء الا بين سنتي ١٩١٠ـ ١٩٣٠ وهي ما تزال تبحث الى يومنا هذا عن طريقها انها فن شاب قد برهن حتى الآن عن مواهب وامكانيات هائلة اذ تقدم مركب الفنون الالفية وهو طفل ولهذا تبنى عليه الآمال الكبار لليوم وللمستقبل. وها أن أثره العميق في الفنون الاخرى من مسرح وقصة وموسيقى ورسم بدأ يظهر جلياً واضحاً يوماً بعد يوم. وفي هذا جمال لبحث وابحاث كثيرة قد نعود اليها ، ولكني لا اريد ان أنهي بحث اليوم قبل أن أشير الى تأثير أولي من نوع آخر

على الانسان بالذات هذه المرة.

فمنتجات المطبعة — التي بدأت هذا البحث بالاشارة اليها — قد غيرت وجه الانسان عندما ساعدت على نشر الثقافة على مقياس واسع بصورة انتفع معها كل قارىء من الميراث الثقافي الذي انتجته وتنتجه عقول الآخرين، ولم يعد الكتاب ينسخ باليد نسخات محدودة العدد تتناقلها نخبة القوم ، بل اصبح تقريباً في متناول كل انسان. وها هي منتجات السينما قد بدأت هي الاخرى تشكل تغييراً عميقاً في ثقافة الانسان ومفاهيمه ونظرته الى الكون ، تختلف عما فعلت المطبعة بالشكل لا بالمبدأ — وقد لا يتم هذا التغيير الا في اليوم الذي يعم فيه انتشار التلفزيون وهو لا بد قريب.

فالكولي (العامل) الهندي او الماليزي يرى كيف يعيش الناس في أمريكا الشمالية، وابن البلاد الاسكندينافية يعرف كيف يأكل السود في اواسط افريقيا أو كيف يصطاد أبناء غورينلندا الدببة —هذا اذا كان في غرونلندا دببة— وبعد ان كان العربي مضطراً لاخذ البحر او الجو الى امريكا ليكتشف مدنيتها ، اضحت امريكا تأتي الى خدمته ، وبعد أن كان الطفل لا يعرف العالم الا من خلال مدرسته أضحى يعرف الخليج والرأس والبحر وما في داخله والقطب وجومدياته والجبل وما يكلله والسهل ومفروشاته احسن من كتاب الجغرافيا ، وتوسع افقه فأضحى يعرف أبناء العروق الاخرى وشيئاً عن لغاتهم وعاداتهم ومنعكساتهم ، ثم انه يعرف البقرة والجمل والاسد والنمر والخنزير والفيل احسن من كتاب الاشياء، ويعرف بعض الحقائق الصغيرة من بعض الحوادث التاريخية احسن من كتاب التاريخ (اللباس، كيفية الكلام العادات والحياة بمجموعها...) — هذا كله مقدماً في كثير من الاحيان على شكل فيلم بصورة فنية تهذب الذوق وتصقله وترفع النفس وتغنيها. مما جعل الثقافة العامة لدى بني الانسان اليوم أوسع بما لا يقدر عنها لدى من سبقهم. وتولدت مشاعر كونية ، عالمية Cosmopolite اضحت معها فكرة صغر العالم ووحدة الناس واخوتهم ، فكرة واقعية ملموسة.

الا ان هذا النوع من الثقافة الهينة التي لا تحتاج الى جهد شخصي قد وجهت انظار بعض الانسانيين الى الخطر الكامن تحتها على الانسان وتفكيره وعمقه ، مما جعلهم يعلنون على السينما في شكلها الحاضر (وعلى الراديو والصحافة الرخيصة التي تمجد الغرائز المنحطة في الانسان) حرباً لا هوادة فيها. ولكن ادعاءاتهم وتخوفاتهم، تقابلها، فيما يخص السينما، هجمات لا تقل عنها حدة من قبل المتحمسين المؤمنين بهذا الفن الجديد، يجدون فيها هذه اللغة الجديدة في التعبير التي تضعها الآلة في متناول طبقات جديدة من الفنانين ، والتي توزع الفن والثقافة على مقياس واسع عالمي يصيب أصغر الناس وأفقرهم مالاً وثقافة، مما يجعلها الفن الشعبي الاول، ويتهمون الفنون الاخرى بأنها أضحت فنوناً بورجوازية لا تصيب سوى طبقة محدودة منعمة ممتازة. لقد انتصرت فكرة الديموقراطية في كل شيء ، فلماذا يبقى الفن بورجوازياً ؟

نعم ان السينما فن شعبي بالدرجة الاولى توزع خيرات الارض والسماء على من يشاء، وتغني الفكر والروح لدى كل الناس بقدر سواء. ان في امكان كل انسان ان يحصل بعد اليوم على حد أصغر من الثقافة لم تكن الفنون الاخرى بقادرة على تأمينه له. وعلى الانسان نفسه ان يعرف كيف يتميز عن غيره وسعة وعمقاً اذا كان يطلب تميزاً.

السينما آلة لنقل الثقافة مكثفة. والثقافة البشرية تمر في طور من الفني السريع الكثيف هو أشبه بالطور الذي تلا المطبعة، مع حفظ النسب.

ويقول الانسانيون: الانسان في طريق التوحد standardisation ولكن التوحد — اذا كان هناك توحد حقاً — سيكون بسبب الانسان نفسه. ثم ان على رجال المستقبل ان يجدوا الدواء لمثل هذا الخطر — اذا كان هناك خطر — وهم لا بد واجدوه، كما يحاول انسان اليوم ان يجد دواء لعبودية الآلة التي اورثه اياها انسان القرن الماضي، وهو في سبيل ايجاد الدواء، اذ يحسن سير الآلة الآلية الذاتية (روبو) التي أوجدها هو.

ولهذا كله نتساءل: ألا يجب ان نميز بعد اليوم بين ثلاثة أدوار للانسان: انسان ما قبل المطبعة ، انسان المطبعة ، واخيراً انسان السينما ؟ Homo - cinematographicus .

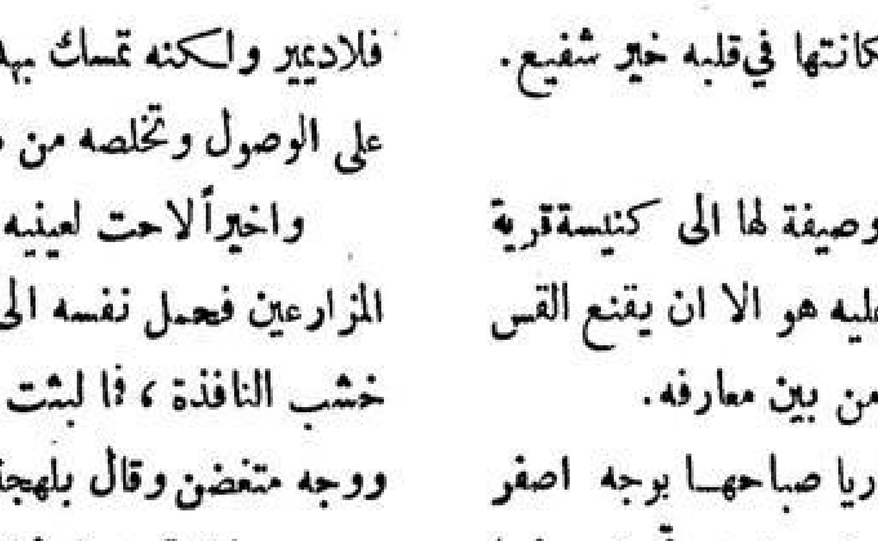
باريس

صلاح دهني

العاصفة الثلجية

لالكسندر بوشكين

ترجمها عن الانجليزية الآنسة سميرة عزام



لم تكن تنقص جفريلوفتش ميزة من ميزات الوجاهة فقد اجتمع له نبل المحتد، وضخامة الثروة، وحلاوة الخلق، ولذا كان قصره قبلة انظار شخصيات المجتمع وشبابه اللامع، فلهم على موائده الخير الوفير، ولهم معه ومع زوجه براسكوفيا اوقات ماتعة يقضونها في لعب الورق، كما انه كان لبعضهم من وراء ذلك كله غاية معينة هي استمالة — ماريا — ابنة جفريل وخطب ودها، اذ ان لها الى جانب ثراء والدها وفرط وجاهته، وجهاً ملائكياً رائعاً. وماريا هذه فتاة خيالية عاشت مع الكتب والروايات اكثر مما عاشت في واقعها اذ لم تكن على شغف بما يحيطها من ألوان الترف.. ولذا لم تجد غضاضة في ان تحب جاويشاً بسيطاً فقير الحال، غير حاسبة حساب العواقب حين تورطت في حبه.

كانت لماريا وفلاديمير حديقة منعزلة يلتقيان فيها كلما غفلت عنهما العيون، حتى اذا ما اقبل الشتاء بعواصفه وزمهريره، وحرمها نعمة اللقاء في الحديقة المعهودة، راحا ينظران الى حبهما نظرة اعمق جدية، فاتفق الاثنان على الزواج سراً.. غير مبالين بالنتائج المترتبة عن هذه المغامرة حتى اذا ما هدأت العاصفة التي ستهب حتماً في بيت جفريل ومسحت اصابع الزمن آثارها، اقبل الاثنان على والد الفتاة يستجديانه الصفح ويلتمسان المغفرة. وجفريل جفريلوفتش ليس ممن يحملون قلوباً من صوان فلدموع ماريا فعلها في اثارة حنانه وتحريك عاطفته ولها من مكانتها في قلبه خير شفيع.

***

ووعدت ماريا ان توافي فلاديمير مع وصيفة لها الى كنيسة قرية تبعد عن قصر الوالد ببضعة اميال، وما عليه هو الا ان يقنع القس باجراء المراسيم وان يهيء شهوداً للزواج من بين معارفه.

واقبل اليوم المشهود، فاستقبلت ماريا صباحها بوجه اصفر وعيون محمرة لكثرة ما ذرفت من دموع، وراحت تجيل عينيها في والديها وفي محتويات القصر لتتملى من منظرها جميعاً، وكأنها تودع المكان واهليه الى غير رجعة، حتى اذا ما وافى الليل سارعت الى فراشها متذرعة بحجة، وتظاهرت بالنوم حتى اطمأنت الى الهدوء الشامل في القصر، وتيقنت من استسلام الجميع لسلطان الكرى، قامت تجمع الضروري من حوائجها ووضعت يدها في يد وصيفتها وانسحبتا من المكان بحذر اللصوص، ولم يلبث الليل ان غيبهما في ستائره السوداء.

اما فلاديمير فقد قضى يومه على وجه آخر، قام في الصباح بزيارة كاهن الكنيسة واقنعه بعقد الزواج، ثم غادر القرية ليبحث له عن شهود من بين صغار الملاكين القاطنين في ضاحية المكان، فما عز عليه الامر، ومن ثم كر عائداً الى جادرينو ليكون في انتظار ماريا ولكن لسوء حظه هبت في تلك الساعة عاصفة مجتاحة من عواصف الثلج المشهودة، وكانت وجهته بعكس اتجاه العاصفة، فعجز عن شق طريقه، ولم يلبث الجو ان احلولك بالضباب الكثيف، فاضاع المسكين طريقه ووقع في حيرة بالغة، فما هو بقادر على متابعة السير، ولا هو بقادر على الانتظار ريثما تهدأ فورة الطبيعة والا فاته الموعد.

ولكنه فضل المخرج الاول، فاعمل مهماز في الحصان المقرور الذي راحت حوافره تضرب اكوام الجليد، وبعد مسيرة ساعتين خالها فلاديمير دهراً طويلاً تبين له ان طريقه ليست بالطريق السوي وانه يجدر به ان ينعطف الى اليمين ليكون في اتجاه جادرينو.

وازدادت العاصفة عتواً. وغاصت قوائم الحصان في ركام الثلج، وكاد الصبر ينفد من فلاديمير ولكنه تمسك بهدب منه وراح يستمد من ضعفه قوة تعينه على الوصول وتخلصه من هذه الورطة.

واخيراً لاحت لعينيه اشباح سوداء، تبين فيها اكواخ فئة من المزارعين فحمل نفسه الى اقربها ومد يده المتجمدة وراح يقرع خشب النافذة، فما لبثت ان انفتحت واطل منها رجل ذو لحية ووجه متغضن وقال بلهجة جافة:

— ماذا تريد يا هذا؟ — هل جادرينو بعيدة من هنا؟

— كلا انها على مسافة قريبة من المكان.. ولكن من اين انت قادم؟ وما هي غايتك من الذهاب الى جادرينو؟

ولم يشأ فلاديمير ان يصارحه بالامر فحول مجرى الحديث سائلاً اياه:

— هل استطيع ان اجد عندكم



* اذيعت من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

ركوبة تحملني اليها ؟.

—اوه هل تنتظر منا نحن الفقراء ان نملك خيولاً وركوبات ؟.

— اذن هل استطيع ان اجد دليلاً ؟

— انتظر حتى ادعو لك ابني .

—واختفى الرجل وخيم السكون على المكان وراحت اعضاء فلاديمير ترتعش بقسوة ولكنه تغلب على ضعفه حين فتح الباب وخرج منه شاب اشار له ان يتبعه فسأله فلاديمير — كم تبلغ الساعة الآن ؟

— لقد اوشك الصبح ان يتنفس .

وفعلاً بدأت تنبعث صيحات الديكة وخلعت السماء عنها ثوبها الداكن ، وامتدت اصابع الفجر فكستها حلة من الالوان .

وغذ الاثنان السير فما وصلا القرية الا والطبيعة ملتفعة برداء من النور يتكسر على بياض الثلج ، فقصدا الكنيسة . . ليقرأ فلاديمير على بابها الموصد قصة شقائه .!

ونتركه على بابها في فيض دموعه ، لنعود الى ماريا !

***

جلس جفريل وزوجه حول مائدة الافطار ، وارسلا في طلب ابنتهما لتوافيهما فاقبلت بوجه شاحب والقت عليهما تحية الصباح بصوت خافت . فبادرها والدها بالسؤال .

— ايه ماريا . ؟ كيف انت ؟

— افضل مما كنت عليه بالامس .

— لقد كنت جد مضطربة البارحة .

— نعم . . انها حالة عصبية ، منشؤها ضعف في البنية .

وجلست الى المائدة فما اصابت من الطعام الا قدراً ضئيلاً ثم غادرت المائدة رأساً الى فراشها وهي تحمد في سرها عدم اكتشاف والديها لقصة هروبها في الليلة السابقة . ووقعت ماريا فريسة مرض لازمها اسبوعين ، ثم كان اول شيء فعلته بعد ان تماثلت للشفاء انها حرقت رسائل فلاديمير وخبأت بعض الهدايا البسيطة التي كان الشاب قد اهداها اياها . . ولكن هذيانها باسمه طوال مدة مرضها اتاح للام ان تجد منفذاً الى سرها . . وان تمسك القصة من طرفيها ، فاشفقت على وحيدتها من هذا الحب العقيم ، وراحت تتوسل الى زوجها ان يفتح بيته لفلاديمير وان يتغاضى عن ذلك التفاوت في المركز والثروة . وان يضع حياة فتاته فوق كل اعتبار . . فقنع جفريل بعد ان كاد يذوب لسان براسكوفيا لطول التوسل والالحاح . . واتصل بفلاديمير عن طريق رسول ابلغه دعوة آل جفريلوفتش ولكن فلاديمير اعتذر عن ذلك بانه لا يفكر بالزواج قط . . لا من ماريا ولا من غيرها من الفتيات . . وان . . .

وكان جوابه طعنة في صميم كبرياء آل جفريلوفتش ، ولكن الوالدين كتما الامر عن ماريا اشفاقاً عليها ورحمة بها ، كما ان الفتاة بدورها لزمت الصمت وآثرت الانطوائية فما فاتحت مخلوقاً ، ولا شكت لانسان .

وكرت الايام . . ومات الوالد جفريلوفتش ، وآلت ثروته الى زوجه وفتاته اللتين انتقلتا بعد وفاته الى بيت ثان من البيوت التي تمتلكانها . . وكثر الطامعون في ماريا والخاطبون حولها ولكنها لم تشجع واحداً منهم ، ولم تبد رغبتها في الزواج باحد .

اما فلاديمير فقد وصلت الانباء تحمل خبر قتله امسية دخول الفرنسيون موسكو عام ١٨١٢ ، وتناهى الخبر الى ماريا ، فاستدر دموعها وحرك قديم اشجانها . . وايقظ عاطفتها من غفوة .

ووضعت الحرب الروسية الافرنسية اوزارها عن نصر ساحق لجيوش روسيا البيضاء ، اذ تمكن جيشها من صد المعتدين وسرحت الحكومة افراد الجيش وضباطه فعادوا الى ذويهم ، وكان ظهور اي فرد منهم في كل مكان عام يقابل بعاصفة من التهليل .

وهنا لمع في سماء المجتمع نجم ضابط شاب يدعى بورمين كانت انباء بسالته في الميدان واستماتته في الدفاع عن وطنه قد سبقته ، فاشادت الصحف ببطولته ، وفتحت له المجتمعات صدورها على رحابة وراحت تطمع فيه كل فتيات الطبقة الراقية او المحسوبات عليها . . .

ولكن بورمين لم يعر التفاته لواحدة منهن ، وكان قد التقى بماريا جفريلوفتش في احد المنتديات فلم يكتم اعجابه بها ، كما ان الفتاة تسرعت واطرت ظرفه ولباقته امام نفر من الناس ، وهكذا اجتمعت لدى قالة الاشاعات اهم عناصر الاشاعة ومستلزماتها . . فاطلقوا لها العنان . واسرفوا في ذلك فضربوا لزواج بورمين وماريا المواعيد .

وطربت الام براسكوفيا للامر ، ولم تحاول ان تقطع دابر الاقاويل . بل راحت تشجع بورمين وتفتح له بيتها ، اذ رأت في شخصه المنقذ الاعظم الذي يعيد لماريا زهوة صباها . .

اما الفتاة . . فقد ظلت على صمتها . . فلم تصرح بشيء . . .

كانت براسكوفيا تجلس وحيدة في القاعة حين اطل عليها بورمين بقامته الرشيقة فحياها وبادرها بالسؤال عن ماريا ، فأنبأته انها تقوم بنزهتها اليومية في الحديقة وشجعته على اللحاق بها . . ولم تنس حين غادر الفتى المكان ان ترسم اشارة الصليب تفاؤلا واستبشاراً ، وتبركاً !!

ووجد بورمين ماريا تتفيأ ظل شجرة وارفة فاقبل يحييها بشوق ،

وراح يستفهم عن صحتها ومزاجها ، وبدأ يحوم في حديثه ليتوصل الى نقطة معينة . . ولكن لم يبد على الفتاة اي ميل للاستفاضة فوجد الضابط ان من الانسب ان يطرق الموضوع رأساً . . فادنى جسمه منها وامسك بكفها وقال : — آنسة ماريا . . انني احبك . احبك بكل قوة الجندي . . .

واطرقت الفتاة برأسها ، واحمرت منها الوجنتان ، ولم تقل شيئاً .

واردف بورمين : اجل انني احبك . . ولكن أنى لي ان اقاوم الاقدار التي كتبت علي ان اعيش تعيساً . . ارزح تحت وطأه سر هائل .

ورفعت اليه ماريا عينين حزينتين وقالت :

— وفر على نفسك يا بورمين . انك تعرف جيداً انه ليس باستطاعتي ان اكون زوجتك . .

— اجل اعرف هذا . . واعرف انك احببت ذات مرة . . وكان حباً فاشلاً ولكنه كان كافياً لان يترك قلبك حفنة مدماة . .

— اصمت ارجوك لا تزد في عذابي . .

— عفواً يا آنستي . انني اعتقد بانك خلقت لتكوني زوجتي انا فقط . . ولكن سوء طالعي يأبى علي هذه النعمة الكبرى . . فانا

— لو علمت — رجل متزوج . . .

وفتحت ماريا عينيها في دهشة فعاد بورمين يقول :

— لا تعجبي . . نقد تزوجت حقيقة . . وكان ذلك قبل اربع سنوات . . اما المرأة التي وقفت معها امام المذبح ، والتي صارت بحكم المراسيم زوجتي ، فانني لا اعرف من تكون . . ولا من اين قذفت بها الرياح الي . . ولا اين حملتها فيما بعد . . . قد تبدو قصتي لك يا آنسة بعيدة كل البعد عن التصديق ، ولكنها الحقيقة الواقعة . .

رغم ان لها من غرابة الوقائع ما يجعلني احياناً اعتقد انها مجرد حلم في ليلة مزعجة . . .

في بداية عام ١٨١٢ كنت ذات مساء في عجلة من امري لالحق بفرقتي في فلنا (Vilna) فهيأت لنفسي ركوبة اعملت فيها مهازي ، فانطلقت تسابق الريح . . وفجأة هبت عاصفة ثلجية حجبت عني الطريق فاصبحت عرضة للضياع . . فارتأيت ان اسير بمحاذاة النهر ، فسرت وقد كادت قواي تخور لفرط ما عانيت . . الى ان لاحت لي من بعيد اضواء باهتة فوجهت حصاني صوبها وتبينت انها قرية صغيرة فدخلتها التمس لي راحة في احد المنازل وكان اول ما صادفت فيها كنيسة صغيرة مضاءة . . وقد وقفت على بابها عربة صغيرة . . فسمعت صوتاً يصيح بي . . هنا . . هنا ايها كنت بحق السماء . . لقد نفد صبر القس واغمي على العروس وكنا على وشك الرجوع . . . اسرع يا صاح . . واقبل الرجل نحوي وشدني من كتفي ودخل بي الكنيسة وانا لا اكاد افقه شيئاً مما حولي .

وفي الداخل كانت تقف الى جانب المذبح فتاة حلوة التقاطيع ترتدي ثياب العرس البيضاء . . وكانت عيناها محمرتين من اثر البكاء . فتقدم الكاهن واوقفني بجانبها وراح يتلو صلاة تبينت فيما بعد انها صلاة الزفاف .

وفتحت في لاحتج واذ بالكاهن يقول : والآن ها انا قد اصبحتما زوجين امام الله والناس . . تجمع بينكما المحبة ، وتشدكما الى بعض سلسلة مقدسة .

والتفت مذعوراً الى الفتاة . . لارى من عساها تكون . . واذا بها تحملق في وجهي وتصيح . . هذا ليس فلاديمير . . انه رجل غريب .

وداخلني يا آنسة ماريا شعور بالخوف . . فتركت القوم في لغطهم واسلمت ساقي للريح .

وكان ذلك آخر عهدي . . بتلك الفتاة . . او بالاحرى تلك الزوجة التي هيأتها لي الاقدار .

وما ان انتهى بورمين بقصته الى هنا الحد حتى صاحت ماريا .

— يا للسماء . . . اذن فقد كنت انت الرجل الغريب ، بورمين ، الا تذكرني . ؟

— ماريا . . يا عروسي الحبيبة . . يا لروعة المصادفة . . ويا لقدر يتمخض عن مصادفة غريبة ، في كل يوم جديد .

الآنسة سميرة عزام

العرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

في الليل

في الليل اذ تدفن الموتى لياليها
وتتكي الانفس التعبى على ابد
لم يدرِ ان يدي
حاكت مآسيها من كل ما فيها
وانني في سكون الليل اسيان
يصيح بي هاجس كالعقل مشدوها
يا رب
لِمْ كانوا .
لِم كان للارض تاريخ وازمانٌ
ولم يؤبد هذا القيد ماضيهـا
فتحلم الناس لو يهديك شيطان
وتبصر الارض في شتى مناعيها
تلهو باعينها البيضـاء ديدان
فـلا تحس ،
ولا ترثي لمـا فيها
اليس في قلبك الربي انسانُ !
وسود الجبهة الشماء خذلان
كأن عاصفة لمت مراميها
وزمجرت ،
وقست
وانهد سلطان
لكنما الناس عادوا مثلما كانوا
يشد ارجلهم بالارض ثعبان*
والارض تنسج في صمت مآسيها
من كل ما فيهـا .

* الثعبـان : رمز لارواح المـوتى في الفلسفات القديمة وعند الاغريق ايضاً

بغداد — بلند الحيدري

توبة

يا ذنوبي
كفني الماضي .. وغيبي
انثري النسيان لي عبر الدروب
امنحيـني قبساً في النفس قدسي اللهيب
واغـربي ..
يسر في اشراقـتي لحن نبي !
يا ذنوبي
انا تسبيحة ناد
في فم الطين المريب
اي عار ؟
***
حينما دنست احلامي الوضيئة
بالخطيئة
وثبت نفسي الى النار جريئة
تتلظى
وهي كالطفل بريئة
***
يا ذنوبي ..
توبتي عبر الطهور
فُجّرت شلال نور
هي من عمقي الغزير
من ضميري
كنت في خاطر اكفاني هجسه
ترقص الديدان .. رجسه
فـانزعت الروح للغيب .. فذابت
في ضمير الله همسه .!

عدن — لطفي جعفر اسامه

صورة وصفية

•

سعاد

بقلم وديع فلسطين

•

الناس

مواهب. فقد يوهب الانسان عقلاً وحسب، وقد يوهب ملاحة وجه وحسب، وقد يوهب روحاً رشيقة مرحة وحسب، وقد يوهب ذكاء متوقداً فطرياً اصيلاً وحسب، وقديوهب مالاً موفوراً وحسب هذه منن من الخلاق يعطيها لمن يشاء ويمسكها عمن يشاء، فله وحده ان يعطي وان يمنع، وارادتهجازمة حاسمة لا راد لها.

اما «سعاد» فهي تجمع من هذه الخلال اغلبها. فعندها عقل فطن تردان به، ولها ملاحة وجه وملاحة قد، وعندها روح تكاد تطفر من بين جنبيها مرحاً ومفاكهة، ولها ذكاء متوقد فطري اصيل، ودعك من المال فما استطيبه معياراً لقيم الناس.

عرفتُ سعاد في عيد مولدها، فكانتا عرفتها يوم مولدها. عرفت عنها وفيها في قلة من السنين ما كنت حرياً ان اجمع اطرافه في كثرة منها، لان «سعاد» انبساطية — كما يقول علماء النفس — لا تدور حول نفسها دوران النحلة حول الزهرة، ولا تنطوي على ذاتها انطواء الرومانسي من القواقع حول ذاته، بل تجابه الناس كما هي، وتقول ما تريد هي ان تقول، وتعمل ما تحب هي ان تعمل، ولكنها في كل ذلك مطمئنة الى سلامة مسلكها، راضية بانها لا تدّعي ما ليس فيها ولا تصطنع ما لم تُفطر عليه.

الناس تبدأ حياتها على الارض، ولكن سعاد بدأت حياتها في الجو. والذين يمسكون بالارض تمسك بهم وتأبى ان تدعهم، اما الذين ينأون عنها فهم يألفون المروق من سلطانها ويعتادون التحرر من تزمتها. فقد أبت الا ان تعمل مضيفة في الاجواء بين ركاب الطائرات ومارقات السحب وربة البيت قد تنجح في استضافة عشرة من زائريها وتخفق اذا اتسع نطاق الضيافة عن ذلك، ولكن سعاد تستضيف في كل يوم عشرات من اهل السرعة، كلهم يسابق قوى الطبيعة، وكلهم يلهث ليبلغ بغيته، وكلهم حلق الى العلياء، مستطيباً فكاهة سعاد مستملحاً رفقتها في طريق اغلبه بالمخاطر محفوف. واذا كانوا قد قالوا قديماً: عليك بالرفيق قبل الطريق، فلست احسبهم اخطأوا كثيراً. لان وعورة الطريق ووعثاء السفر تُمحيان تماماً امام وجه سعاد الباسم، وروح الضيافة التي فيها تأصلت يا اعداء المرأة، ويا من تباهون بأنكم خصوم لها ألدّاء، اركبوا متن الجو، واني زعيم بأن تعودوا الينا مؤمنين بعد كفر، تائبين بعد إلحاد. فالمخاطر كلها تُنسى اذا كان الرفيق مثل سعاد، ولهفة المسافر اللاهثة تتبدد اذا تلفّت المرء حوله فوجد «سعاد»، بل ان المرء ليستزيد من مشاق السفر، ويستبطىء من سرعة الطائرة في سبيل ان ينعم بلحيظات اخرى مع المضيفة المتهادية، فهي تتهادى في الطائرة احياناً، وتقفز فيها كما تقفز الغزلان احياناً، لا تحمل هماً ولا تخشى قدراً. في الصباح تكون في القاهرة، وبعد ساعتين تحطّ في بيروت، وفي اليوم التالي تكون في استنبول، وقبيل ختام الاسبوع تكون قد ارتادت الخرطوم وبغداد وجنيف واسمرة. اما رحلة الاسكندرية فلا تدخلها في الحساب، لانها نزهة قصيرة تختطف اختطافاً.

ولست افشي سراً اذا قلت ان اول ما كان يستوقف بصري في الصحف هو حوادث الطائرات، وما ذاك عن رغبة بل عن رهبة. وكنت من قبل امرءٌ بمثل تلك الاحداث مر الكرام، فاذا وافتنا وكالة من وكالات البرق بنبأ منها اغفلنا نشره وابينا ان نفسح له في الصحف مكاناً. وكيف لا يخفق القلب وجلاً والطائر غير مأمون، والآلة عرضة لعطب وهذا الغزال يركب الجو في كل يوم. وقد تسلم العقبى مرة ومرات، ولكن زلة واحدة تفجع، وخطأ صغيراً لا يستطاع تدارك عواقبه. صحيح ان الاعمار بيد الله، ولكن حذار ان تجربوا الله. صحيح ان الحياة مغامرة، ولكن حذار ان تجعلوا منها مقامرة تتكرر في كل يوم. صحيح ان النفاثة الجوية مركب ليس بالعسير في معظم الاحيان، ولكن اذا فارقه يسره اصبح اعسر مركب واخطر مطية.

ولذلك اثلج صدري ذات يوم حديث اثيري ناعم زفّ الي ان «سعاد» هبطت

الى الارض لكي تقاطع الاجواء، فالاصدقاء جميعاً أعزاء ، وما اريد ان افرط في احد، وليس من الهين ان ابدد علاقاتي بمن اعرف، ولو كان الامر بيدي لاستثنيت جميع الخلان من كل ضر . واذا كانت سعاد قد نزلت الى الارض ، فقد غنمت بذلك صديقاً استهان بالحياة زمناً طويلاً وآن له ان يقدر قيمة الحياة. فمن اعتاد حياة الطير، نظر الى الدنيا شزراً، ومن جعل السحاب والنجوم رفقاء له، زهد في رفقة الكائنات الدقيقة التي تدب على الارض والتي يسمونها تجاوزاً « الانسان » .

عادت سعاد الى الارض، لتسير على قدميها كما نسير ، وتركب مطية الكهرباء كما نركبها وتضيع الوقت في الانتظار كما نضيعه ، وتقتل الوقت الذي يبطىء سيره كما نقتله ، وتستقبل قلة من الضيوف كما نستقبل ، عادت لتعيش كما نعيش وتستقر كما نستقر ، وتعرف المقاعد الوثيرة التي نعرفها . اما الطيران واخباره فما عادت تستهويها وما عادت تجتذب اهتمامنا ، واما الارصاد الجوية والعواصف الرملية ما كان منها ساحلياً او غير ساحلي ، فلم تعد تحفل به . لم تعد بها حاجة الى اليقظة المبكرة والسفرة العاجلة والساعة الدقاقة ذات العقارب الكثيرة .

لكن حياة الجو لم تغير من سعاد شيئاً ، فالفتاة التي عرفتها في عيد مولدها هي هي الفتاة التي تحضني في كل اسبوع بشتات من صحف الغرب تتلقاها بتتابع وانتظام . حياتها الرتيبة لم تأت على عشقها للمرح البريء ، وحبها للفن يتجلى في اذن موسيقية تعتز بها ، وحبها للثقافة يبدو في كثرة ما تطالع بلغات ثلاث .

وسعاد ، كمعظم ابناء هذا الجيل ، متحررة في تفكيرها وفي اتجاهها تريد ان تقرر حياتها بنفسها ومصيرها بمشيئتها . فمن حقها ان تكون صاحبة الكلمة الاخيرة في كل ما يخصها ، ومن حقها ان تجاب الى ما تطلب بدون معارضة او مقاومة . صحيح انه لا يسع احداً ان يقرر منهاجه في الحياة بتدقيق وتفصيل ، ولكن في طاقته ان يقرر الخطوط العريضة والاتجاهات العامة التي على اساسها تتكيف الحياة كلها .

ولعل ابرز ما تتميز به سعاد انهاذات نفس سمحة حبيبة ، ولكن هذه السماحة لا تلزمها بان ترائي وتخادع ، ولا تكرهها على ان كلمة مديح في من لا يستأهلها، او كلمة ذم في من علا على المذمة ، تحب ان ترن الناس بميزانها ، وتحكم عليهم بمنطقها فلا تأخذ اقوال الآخرين دستوراً، ولا تسلم تسليما أعمى بما يراه غيرها، فهي ذات شخصية متميزة تستطيع ان تقرر ما تشاء، مستندة الى ما يتجمع لديها من براهين وقرائن .

وصفوة ما يقال، ان سعاد قادرة على ان تثبت وجودها وكيانها، سواء طارت محلقة او حطت سائرة، او مرقت في غواصة تحت الماء . فأينما كانت، وحيثما اتجهت اسبغت على الرفاق سعادة، فهي كما قال الاخطل الصغير :

النجم بثغرك ارصده والليل بشعرك اعبده
والظبي لجيدك أعلقه ولعينك لا اتصيده
يا اخت البدر وذا شرف لاخيك فمن لا يحسده

القاهرة — وديع فلسطين

همسة في الشاطىء

●

يا حبيبي ان قلبي مثل ازهار الربيع
باسمات يانعات مشرقات في الربوع
قد كساها الظل ثوباً من ضياء، من دموع
ذات دل وانطلاق ما درت معنى الخضوع

يا حبيبي هذه الامواج تدعو العاشقين
لحنها اوحى اهازيج الهوى للخالدين
كم طوت في الليل اسراراً ونجوى الهامسين
كم حنت رفقاً بأجساد الشباب السابحين

أنت يا بحر غموض ، أنت اوهام وسحر
اي سر بتّ تخفي ، كل شيء فيك سر
لست ادري منك امراً، حار فيك اليوم فكر
كل صخب كل همس فيك ، انغام وشعر

يا حبيبي هذه الدنيا جمال وابتسام
كل ما فيها ربيع زاهر ، صفو ، وئام
ليلة غناء تشدو ، كأسها سحر ، غرام
ترقص الاوهام والاحلام فيها والسلام

يا حبيبي همسة طافت مع الامواج تشدو
هزها والليل اشواق المحبين ووجد
عالم للروح آمال وألحان وود
قد جفاه اليوم اخفاق وتعذيب وسهد

القاهرة — اماني فريد

من سلسلة الامالي الادبية

جرجي زيدان اديب في الغالب وان عد من المؤرخين

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

الادباء

في مدى الفكر كالزارعين في مساحات الارض، وافضلهم اكثرهم عملاً وصبراً، وابقاهم اعظمهم ايماناً بقيمة الرسالة التي عهد اليه القيام بها او ندب نفسه لها .

من هؤلاء الخالدين ، الذين اخصب زرعهم واحتشد على بيادرهم جموع من المريدين وطوائف من المدعوين فخر العصاميين ومشرق الهلال على ظلمات العربية التي رافقت عصر الانحطاط ، جرجي زيدان .

من هذه العاصمة الجميلة بيروت التي حضنت الفكر البشري طفلاً ، واستمرت في عنايتها به ، على جزر الحياة ومدها حتى اليوم طلع جرجي زيدان فقير اليد غني الرأس والقلب ، حاول ان يتعلم الطب ، بعد ان علم نفسه بنفسه ما يؤهله دخول الدوائر الطبية في الجامعات ، فحال دون ذلك تمرد الاديب النابغ وفقره وزجته الظروف في الحملة الانكليزية المصرية على السودان ، فعاد منها عاقداً النية على ان يتجند للادب فكان في حوماته قائداً فذاً حالفه النصر ، ذلك النصر الاغر الذي لم يعقد افضل منه لغير الرسل والنبيين ونفر من اقطاب العلم الانسانيين .

واعانه درسه لبعض اللغات السامية غير العربية ، واتقانه للغة الانكليزية على اصداره كتاب « الفلسفة اللغوية » فاهله ذلك المؤلف لعضوية كثير من المجامع العلمية في اوربة وخصه باهتمام المستشرقين واستنادهم الى كثير من آرائه وتحقيقاته .

واذا كنا نذيع هذا عن زيدان ، ونحن نميل به الى الادباء ، فذلك لان فيه صفة الاديب اوسع ونفس الاديب اعم واذا قرن الادب بالعلم او ببعضه توفرت مادته وعظمت قيمته وكان اجدر بالخلود ، او على الاصح ، كان الادب الصحيح .

اما قرأت زيدان المؤرخ ؟ أما لفت نظرك ما ادخله على الحوادث التاريخية من الفصول الغرامية احترافاً منه لاساليب الادباء في تشويق القارىء الى الوصول الى غاية الموضوع واغوائه على نهج الدراميين ، بطرف العاطفة المبثوثة في سياق المادة ليشيع في ذهنه الايناس الى ما يقرأ ؟

اما خرجت من قراءة بعض رواياته التاريخية دون ان تقع فيها على النهج العلمي التصنيفي في التاريخ ؟ ذلك التصنيف الذي يقوم على تحقيق المنقول وعرضه على المعقول عرضاً مدروساً تصبح بعده اخبار التاريخ علماً بأصول تنساق فيه موادها في وحدة موضوعية مترابطة الاجزاء .

ولكن زيدان راوية حوادث طويل النفس واسع الاحاطة نزيه الغرض انتج في عشرين سنة تقريباً ثمانين مجلداً كبيراً ناب فيها الحصب الادبي مناب الدقة التاريخية وشفعت به السرعة الملحة وحاجة منضدي الحروف المطبعية الى سطوره عما قد نجد عنده من الهفوات المغمورة بالفكر المنتج الذي افادت منه العربية كثيراً في ذر رماد اجيال الانحطاط عن تراثها الفني ، وفي ايقاظ الناثين عن بعث امجادها من ذوي المؤهلات الذين كان نشاط زيدان التأليفي صوت الأذان المنزل في آذانهم وترجيع نواقيس الوعي في اسماعهم .

فزيدان اذن جسر الانبعاث ، او على الاقل حجر العقد القائم ضابطاً لمنحنى قبوته ، وحبه الشرق عامة والعرب خاصة املى عليه حياة متحركة في صفحات كتبه تلك الحياة التي قادها الاخلاص الى الصف الاول من رفوف المكاتب العربية .

واذا عدت لزيدان مناح كثيرة شاع منها عنه ، الاديب والروائي والعالم واللغوي والصحافي والمنشىء ، فتناولنا هذا العدد بالدرس ، رأينا ان الصقها به حرفة عمر وقيمة انتاج ، بعد الاديب الذي نقدمه معرفاً بوصفه ، منحى الصحافة .

ولسنا نخرج عن نطاق الموضوع ان نحن عرفنا الصحافة كما فهمها زيدان وهي ان يحدث في قرائه شوقاً الى ما يكتب وان

يعالج شأناً من شؤون الاجتماع يُوفق الى اختيار مادته والتبسط في عرضها ، وما يزال هذا التعريف حتى اليوم يتناول بوجه تقريبي صحافة المجلات اما صحافة الجرائد اليومية فلا تدخل الا جزئياً تحت هذا التعريف .

ولزيدان اسلوب انشائي خاص كان معرضه الواسع مجلة الهلال التي ما تزال حتى اليوم في الصف الامامي من الصحف العربية .

ولما كانت عبقرية زيدان منتاجاً الى حد بعيد يستغرق تعريف مؤلفاته مجلداً ضخماً رأينا ان نجتزىء الكلام مزوهين بقيمة واحد منها وهو :

تاريخ آداب اللغة العربية

كتاب ضخم في اربعة اجزاء تتناول ، بشيء من التقريب ، تاريخ الفكر العربي خلال عصوره الطويلة في حالتي مده وجزره . ولسنا نقول جديداً ان رأينا ان ابتكاره وتسمية هذا النوع من التأليف بتاريخ آداب اللغة العربية كان دليلاً على سعة العقل وحضور الذهن ، فقد جد كثيرون الى تعاريف اخرى فكانوا وما يزالون يدورن حولها ويبقى الاصل لزيدان .

نعود الى توضيح القول بأن هذا الكتاب معرض لمراحل الفكر العربي في تاريخه المديد ، فنعمد اولاً الى الاشارة لان ما حسب على المؤلف ضعفاً ، في اول تناول هذا الكتاب بالدرس ، عد له بعد الاختيار التدريسي مقدرة لبقة جمعت اطراف السياسة الى محافل اللغة ، والسياسة التي تمد يدها الى كل صغيرة وكبيرة في ميزات الشعوب ، لم تظهر طوابعها واضحة في لغة من اللغات الحية بالقدر الذي ظهرت فيه على مخلفات القرائح العربية والمستعربة ، ولهذا اضطر من اقر زيدان على رأيه ومن ناقضه فيه الى الاعتراف بتقسيم عهد خلافة بني العباس الى اربعة عصور ، وفقاً للنفوذ السياسي الموجه ونظراً لما في هذه التجزئة « العصرية » من الوضوح المعين على تفهم الطوابع الفكرية وتبين ميزاتها ، ان لم يكن باساليب اللفظ فبعوامل التوجيه الحكمي والنفوذ الدخيل . ونرى ، بهذه المناسبة من البحث ، ان نحمد لوزارة التربية اللبنانية اخذها برأي زيدان في امر تقسيم العهد العباسي الى اربعة عصور ادبية ، فذلك العهد مناط النجوم من امجاد الفكر العربي ، واستغلاقه على الدارس يعني ذهاب مجهوده الادبي عبثاً .

في هذه الفترة من الزمن ، وقد بعدت الشقة ، شقة الزمن بيننا وبين النقلة والرواة والمؤرخين الذين كنا لزمن غير بعيد ، نغرف من مخلفاتهم لنبني أدبنا ونستطرد تفكيرنا العربي ، تحولنا الى جرجي زيدان فصلح ان يكون معتمد الدارسين ، وان يكون ، وهو المؤلف الكبير لقيمة المراجع التأليفية في العربية ، مرجعاً لنا ولكثير ممن لا يقاون عنه موهبة ذكاء وقيمة انشاء ، ولكنهم دونه جلد منقب وأناة باحث مجرب .

وان كانت الطليعة من رفاق زيدان في بعث القيم العربية ، ترميماً وتجديداً ، ضمت الاكفاء لذلك البعث في سائر وجوهه ، فلم يقم له من ناحية التنقيب الفكري من جارى مترجمنا ، فكان في جرأته هذه فريد « الباعثين » وقائد الجامعين المفيدين وقد اقر له بالفضل الاصحاب والخصوم ؛ ونذكر الى جانب كلمة خصوم بقول ابن الوردي :

ليس يخلو المرء من ضد ولو ... حاول العزلة في رأس جبل

فكيف ، اذا كان امرأ يرتقي الى شاهق في مزدحم من المتدافعين الى القمة وقد اوشك ان يبلغها قبلهم ؟

بين ايدي مطالعي كتب الادب اليوم مختصر لكتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» الذي يدور عليه الكلام في هذا الحديث ، وهو في حقيقته يوشك ان يكون كتاباً غير المطول ، نحا فيه زيدان نحواً يختلف في التأليف عما جرى عليه في مطوله وعما يجري عليه عادة مؤلفو التاريخ على انواعه فالانسياق الزمني في تدوين التراجم والحوادث امر ملازم لجمع التاريخ ونشره ، ولكن زيدان رأى ان يتجاوز هذا الواجب المنطقي في تتابع اجزاء مادة كتابه « المختصر » تسهيلاً لمطالعته وتقريباً لتناول مضمونه عند الطلاب والمتأدبين ، وان يجري في تقسيم البحث مراعياً الموضوع لا العصر ، « فتناول كل باب من ابواب الادب فتكلم عن نشأته وتطوره وذكر من نبغوا فيه باسلوب سلس قريب المنال » .

وخلاصة القول ان عصامية زيدان شعلة من الهمة والنبوغ والجلد أنجبها لبنان فراحت تتألق في سماء مصر مشكاة هدى للمستيقظين من ابناء العربية وموحية بالاطمئنان الى ان هذه البلاد ، ام النور التمديني ومنبت المجلين في حومات الفكر القديمة ستظل ابداً مشعة رغم غمرات كسوفها وانكفاءات ابطالها احياناً عن ميادين التراث الخالد

فمن دار الهلال العامرة اثراً فخماً للنابغ اللبناني العربي ، ومن معاهد العلم في هذا الثغر الصاخب بالحياة والطموح نرسل تحية الذكرى الخالدة والاعجاب والتقدير الى روح زيدان المستريحة الى مخلفاتها المتردد في جوانبها ، مدى الدهر ، قول المتنبي :

واذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الاجساد

الشويفات - لبنان

نسيم نصر

ادب النصوص

بقلم جرجس كنعان

لم يتفق علماء العربية على معنى الادب فقد اغفلته المعاجم وجانبته النصوص القديمة وحار فيه الاجتهاد فجاء بما لا يسد رمقاً فضلاً عن اشباع نهم، فان اشتقاقه لا معنى حقيقي له فهو الظرف وهو الدعوة الى الطعام فاذا رجعت الى الشعر الجاهلي وقفت وقفة الدهشة بله انه لم يثبت في حديث ولا جاء في القرآن الكريم. اضف الى ذلك ان ما بين ايدينا من الشعر الاسلامي لا تجد فيه كلمة ادب وان جهد بعضهم فوجد بيتاً فيه كلمة اديب. وتطلق على الجمل النجيب القوي وقال ان المجاز في العربية كثير المداخل والمخارج ومع ذلك لم يرو لنا غلة.

وجاء عصر المحدثين فوجدنا في كتابات ابن المقفع كلمة الاديب والادب تحتل مكاناً رفيعاً وهي ترادف عنده التهذيب والثقافة بمعناها المطلق.

ومرت عصور العربية على اختلاف تطورها بين تصعيد وتصويب ولم نرَ احداً يحمل لقب الاديب الا ما كان من امر كشاجم فقالوا ان ألفه مختصرة من (اديب). اما ذكر الادباء في الجاميع المتأخرة عند قولهم قال احد الادباء فلا يمكن ان يفسر شيئاً. فالادب بمعناه اليوم هو من ثمار هذه النهضة الاخيرة ويغلب على الظن انه وضع ترجمة لكلمة Littérature الاجنبية لان المتأخرين عندما الفوا في البلاغة اطلقوا عليه علم الادب واعجاز القرآن اي انه كان يرادف البلاغة احياناً والنقد حيناً.

ولم نرَ كلمة الادب على ما نعرفه اليوم الا بعد احداث نظام البكالوريا في العهد الاخير.

ولما ظهرت هذه الكتب تلبية لنداء المناهج الرسمية تبارى الكتاب في حد الادب فرأينا منها الواناً نجمل بما يأتي:

« الادب هو الكلام الجميل حسن الوقع في السمع سهل اللفظ موضوع اللذة والاطمئنان » وحقيقة لم افهم هذا الحد فقد يكون الكلام حسن الوقع في السمع كأن يكون موسيقياً كما تكون القطع الموسيقية الشهيرة او كما سمعه ابو تمام من القينة الفارسية فلذ له ولم يفهم معناه. اما سهولة اللفظ فقد لا يكون من الادب في شيء فاكثر كلام العامة سهل لذيذ ولكنه غير ادب واخيراً مرده الى اللذة ولم اجد احداً يحدد اللذة ومرجعها الذوق وقد لا يكون سليما.

وهناك حد ينسبونه الى الجاحظ وهو: « الادب هو الاخذ من كل شيء بطرف » وهو حد جاحظي غير جامع ولا مانع ويمكن ان يقابل بين العليم والاديب فمن العليم يطلب التقصي والركون الى ما يصح السكوت عنه، اما الاديب فهو بلبل المجالس، كما كان الاصمعي مثلاً، ومهما يكن فهو شيء من لزوميات الاديب. والحد لم يزل ناقصاً لا تطمئن اليه نفس الباحث المحقق. اما ابن المقفع فقد كتب كثيراً في الادب وربما كان هو الوحيد الذي عني بهذا الامر حتى افرد له كتباً فقال « الادب الكبير » « والادب الصغير » وان كان النعت عند التحقيق هو للكتاب كأن يقول كتاب « الادب الكبير » وكتاب « الادب الصغير » ومن تصفح هذا الادب لم يجد له حداً كأنه شيء معروف فقد جعل له قواعد وقال على الانسان ان يكون كذا وكذا وذكر علاقته مع ربه ومع اخيه ومع حكومته كأنه درس اخلاق moral فقط وليس هذا ما يعنيه الادباء في هذا العصر وان كان الادب عند ابن المقفع يرادف كلمة افرنجية اخرى هي éducation التي لم نستطع الى الآن ان نضع له كلمة عربية ففيها معنى التهذيب والرقي وسعة الاطلاع كانها ترادف الادب الذي يعنيه ابن المقفع. ومع ذلك لم نعلم ما هو الادب او هو غير ادب هذه الايام.

ثم فتح باب الاجتهاد على مصراعيه فاذا احدهم كما يروي طه حسين عن استاذه نيللينو في الادب الجاهلي ان الكلمة المعروفة هي الآداب وزن آبار ويكون المفرد الدأب لا الادب ومعناه الجد والعمل المتواصل وهي من لزوميات الادب لا الادب نفسه ولم يزدنا هذا الاجتهاد تعريفاً بالادب.

اما ابن خلدون مؤرخ العلوم ومحددها في مقدمته فيقول حده المشهور:

«هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ».

ثم يذكر بعد تبسط كتب الادب كما كان يروي شيوخه فيقول هي اربعة: البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد وادب الكاتب لابن قتيبة والامالي للقالي. والرجوع الى فصل الادب في المقدمة يوضح كثيراً من ادب النصوص الذي نعني فهو انما يشرح هذه الكتب التي تصفحناها وما جرى مجراها من الامالي فعجبنا

كيف حشر كتاب ادب الكاتب بينها وهو ليس من معدنها ولا يشبهها . اما الثلاثة الاخرى فيمكن ان نقول انها نصوص مختارة كتب عنها الجاحظ باسلوبه الخاص واعادته وتقصيه ولكنها تختلف عما في الكتابين الآخرين وهما الكامل للمبرد الذي اختاره محمد عبده لتدريس الادب في الازهر والامالي للقالي وان كان متصنفاً بالعصور المتأخرة .

ومعنى كل هذا ان الادب عند ابن خلدون والقدماء هو العمل بجهد للسير على اساليب العرب القدماء .

ويدلنا التاريخ من كعب بن زهير الى ابي نواس الى مجالس ابن دريد ومجالس الشريف المرتضي الى حلقة ابي العلاء ان الادب ودرسه لم يكن الا كما كان يفعل المبرد وبعده ابن دريد كما في امالي القالي وهي التمرس على النظم والنثر على اساليب العرب فضلاً عن ان الغناء كان من لزوميات الادب ولم يكن يضع من الهمة كما كان قديماً وهذا كتاب الاغاني الكبير وصاحبه قاض محترم .

ولما كان نظام البكالوريا وقد فرض الادب علماً حرنا في تحديد هذا الادب ورجعنا الى كل هذه الحدود فاستخلصنا منها الحد المعروف:

« الادب هو البحث في منظوم اللغة ومنثورها من الجهتين الانشائية والاخلاقية وما يحتاجان اليه من نقد وتفسير ».

اما البحث فكلمة نابية وصحته درس المنظوم وهو بها اليق اما الجهة الانشائية فهي كلمة قديمة من معناها المبنى وهو عرض الكلام على اصول اللغة ومنها « عمود الشعر » كما هو معروف قديماً وفي ابن خلدون ايضاح لهذا القول فهو يقول بعد توطئة « من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة اثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب تفهم به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة » الى ان يقول « الادب في حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان والعلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل غير ذلك من العلوم في كلام العرب الخ » اما الاخلاقية فهي المطلوبة في ادب ابن المقفع .

اما الحاجة الى النقد والتفسير فهو ما دعا اليه الجاحظ من الالمام بكل فن .

وحبذا ندرس هذه الآداب ونعني بها المنظوم والمنثور على ضوء هذا الحد فرأينا مصاعب جمة لان النقد يحتاج الى اركان اهمها خمسة الكاتب ، الكتاب ، المكتوب له ، الزمان ، المكان . فضلاً عن ملامسات كل ركن منها . هذا هو اسلوب ابي الفرج الاصفهاني من ذكر الاخبار في القول عن الشاعر او المغني اذ ان كل خبر يفسر شعراً او مظهراً من مظاهر الادب .

اما التفسير فدونه الاهوال من معرفة المفردات والاعلام وايام العرب واخبارها ثم الاسلام وما استجد فيه وما كان له من المعارف الهامة ومن هنا رأينا هذا التقصير في هؤلاء الناشئين من الادباء لان هذه البحور تحتاج الى ملاحين غير هؤلاء الذين شغل العلم الجديد كل اوقاتهم .

ثم رأى بعض الموجهين الرسميين ان يفرضوا النص فرضاً في المناهج فكان منها ادب النصوص وكانت ثماره جنية شهية فقد

LES CAHIERS DU SUD

•

10, cours du Vieux Port — Marseille

Directeur-Fondateur : Jean BALLARD

Rédacteur en Chet : Léon-Gabriel GROS

•

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises, demeurent aussi l'une des plus jeunes.

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

Ils publient dans chacun de leurs numéros :

des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiqus étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur **l'Islam et l'Occident.**

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1950 :

France, six numéros dans l'année, frs : 850.
Etranger, « « « « « 1.100

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احدث نشاطاً قوياً في الآداب ولو اخذت وزارة التربية الوطنية بهذا النوع لأدت الى العربية وابنائها والادب وطلابه خير الخدمات .

وبعد فقد حان ان نبحث هذه النصوص على ضوء الادب ولا يصعب علينا ذلك فقد وطأت هذه الصعاب الامتحانات الرسمية فهي تعطي النص ثم تعقب عليه بالاسئلة منها النحوية ومنها البيانية والعروضية ثم معرفة المفردات ثم المعنى الواضح والدرس الادبي بجمل خاصة تحتاج الى شروح وعند ذلك يعرف الاستاذ ما يعد ويعرف الطالب ما يستعد له .

اما تفسير النصوص ففيه الصعوبة كلها فان بعض النصوص تبنى على حادثات فتكون مجهولة في عصورنا هذه ولايضاح نقدم بعض الامثلة :

قرأت من عهد بعيد هذا البيت المشهور .

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فلم افهم ما يقصد بقوله خليلك من مراد وعدت الى المعجمات فلم انقع غلة وعدت الى حادثات الخبر فاذا هو بيت قديم تمثل به الامام علي بن ابي طالب عند رؤية عبد الرحمان بن ملجم فليس هو بعلي ولم يكن لابن ملجم علاقة بمراد ولم يكن معنى الكلمة مراد مصدراً ميميا فلا الاشتقاق يوضحها ولا التاريخ يدل عليها وسألت عنها من كنت احسبهم راسخين في اللغة والعلم فكان جوابهم غير مقنع ولا مجد وقد كانوا يهزأون من انفسهم ويجتهدون ثم يقولون كفى كفى.

وبعد الاطلاع علمت ان البيت قديم وانه وجه الى رجل من مراد (قبيلة) وان عذيرك انشاء وتجريد اي من يعذرني من صديقي المرادي هذا الذي اريد حياته ويريد قتلي .

وهاك مثلاً آخر . ورد بيت في خطبة علي في نهج البلاغة

شنان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

اما حيان فهو احد امراء العرب وهو بمثابة ملك في الجاهلية وهو اعرف من جابر اخيه فكيف يعرف شاعر كالاعشى ملكاً بأخيه المجهول. واجتمعنا حلقة لغوية ادبية واخذ كل من يجتهد ويفرض الفروض واخيراً رجعنا الى شرح النهج لابن ابي حديد فظهر المعنى واضحاً اذ قال ان حيان هذا عاتب الشاعر فقال له استرها علي اي غلطة وكفى .

وعلى هذين المثالين يمكن ان نقيس الوف الامثلة .

اما صعوبة التفسير فلها اسباب كثيرة اهمها .

١ــ معاجم اللغة :

هذه المعاجم في الزمن الاخير لم تكن تهتم الا بكلام العرب في الجاهلية وصدر الاسلام الى سنة ١٣٢ هـ . ومن المعلوم ان هذا الكلام محدود ولا يسع من ادب اللغة الا القليل. تأخذ المعجم فلا تجد فيه ذكر الحادثات فضلاً عن الكلمات المحدثة وان يكن في بعضها كالقاموس للفيروزبادي اثر الاعلام ولها مقام هام في البحوث يعرفها من يدرس هذا الادب القديم.

٢ــ كتب الاخبار والسير والمغازي : وفيها ذكر حادثات متنوعة تتسع لكلمات واشارات وردت في الشعر القديم ونثره ومنها ما لا تجده الا في كتب فقدت، نقل عنها في الزمن الاخير وهي محشوة بالاغلاط فبيت الفرزدق :

واني لاخشى ان خطبت اليهم عليك الذي لاقى يسار الكواهب

يحتاج الى ذكر قصة فيها ما لا يستطاع قوله ولا كتابته وكثرة هذه الاقوال وتضاربها يحار فيها الاديب.

٣ــ كتب الامثال وشروحها المختلفة من يوم كتب المفضل الضبي « امثال العرب » الى يوم جمع الميداني هذه الامثال وترى فيها هذه الشروح المتباينة واليك مثلاً منها :

« وافق شن طبقة »

فيقول الشن هو السقاء البالي ، والطبق معروف ، فشن بال. يوافق طبقاً بالياً .

ومن قول غيره ان شناً هو علم لرجل وطبقة هو علم لامرأة وانهما اتفقا على ذكاء ماض ثم تزوجا فقيل « وافق شن طبقه ».

« اختلط الحابل بالنابل ».

الحابل اللحمة، والنابل السدى، اي اختلط القوم كاختلاط النسيج

الحابل صاحب الاحابيل من الصيادين والنابل الرامي بالنبل كأنهم عند ظهور الاسد اخذتهم الدهشة فاختلطوا بغير نظام.

وهناك روايات غريبة لا يقرها المنطق ولا المنقول ويشفع بقبولها ان ليس كل ما يقال هو المعقول.

٤ــ الكتب العلمية :

هناك كلمات كثيرة لا اثر لها في كتب اللغة كأن تأخذ كتاباً لابن سينا او للرازي فتجد كلمات كثيرة لا اثر لها في المعاجم منها الانبيق مثلاً والاسطقسات وما شابهها فمعرفتها تحتاج الى مراجعة كتب العلم والفلسفة .

٥ــ كتب الجاحظ وشعر ابن الرومي وامثالهما :

ان الجاحظ كتب عن العامة وفي كتبه كلمات لا تجد لها في المعجمات اثراً ولا في التاريخ عيناً فتحتاج في مراجعتها الى كد ذهن

وقد ضاعت مراجعها ومعانيها بذهاب عصرها ومستعمليها ومن كان في شك من هذا الكلام فليراجع رسالة (التربيع والتدوير) للجاحظ ويجرب ان يجاوب هذه الاسئلة والاحاجي وان يفهم معاني هذه الكلمات الغريبة من التاريخ والعلم والغريب. وقد وقف العلم لا يجير امام هذا الاعجاز. وكذا قل على ما جرى مجرى هذه الرسالة لابن العميد ولابن زيدون حتى احتاج ابن نباتة ان يشرح رسالة واحدة لابن زيدون في كتاب خاص وكذا قل عن كتاب البخلاء للجاحظ وفيها هذه المداخل والمخارج والكلام الغريب الذي لا يهتدى اليه.

اما شعر ابن الرومي فيكفي ما يذكر من اسماء المآكل والفواكه والاسماك حتى تعيا «والمرء يعجز لا محالة».

هذا فضلاً عن الاحاجي واللحون، التي كان يستعملها النابهون في ذلك الزمان وكل لغة لها مثل هذه الرموز وقد تولى العلماء شرح اللغات الحديثة وبسطها ووقفنا لا نبدي ولا نعيد متكلين على هؤلاء الناشئين ان يسيروا بسير الفحول فيتولون مهمة التفسير والنقد.

امامي الآن كتاب الكامل للمبرد فتحته اتفاقاً لاجد نصاً يصلح للتمثيل فاذا هو:

له سيف في يدي نصر	في حده ماء الردى يجري
اوقع نصر بالسواجر ما	لم يوقع الجحاف بالبشر
ابكى بني بكر على تغلب	وتغلباً ابكى على بكر

فنصر والسواجر والجحاف والبشر وبكر وتغلب كل هذه تحتاج الى اطلاع. وخلاصة ان نصراً هذا هو نصر بن شبث العقيلي وكان اوقع بقوم من بني تغلب بموضع يعرف بالسواجير. اما الجحاف فتجد قصته في كتب التاريخ والادب وخاصة في ذكر الاخطل.

هذا مشكل الاعلام التي لا نجدها الا في الاطلاع الواسع.

ودونك نصاً آخر لابي تمام من قصيدته المشهورة (الحق ابلج والسيوف عوار).

لو لم يكد للسامري قبيله	ما حار عجلهم بغير خوار
وثمود لو لم يدهنوا في رجمهم	لم ترمَ ناقته بسيف قدار
ولقد شفى الاحشاء من برحائها	ان صار بابك جار ما زيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن	لاثنين ثان اذ هما في الغار
وكأنما اقبذا لكيما يطويا	عن ياطس خبراً من الاخبار

وعلى العلماء والفقهاء، واهل الدين والتاريخ، والاخبار، ان يوضحوا هذا النص. وليس هذا بفريد في الشعر العربي قديمه وحديثه، ودونك نصاً ثالثاً لشوقي واظنك لم تزل تذكر حادثاته:

صادت بقارعة الصعيد بعوضة	في الجو صائد بازه وعقابه
واصاب خرطوم الذبابة صفحة	خلقت لسيف الهند او لذبابه
طارت بخافية القضاء ورأرأت	بكريتيه، ولا مست بلعابه
لا تسمعن لعصبة الارواح ما	قالوا، بباطل علمهم وكذابه

ومن يرجع الى اخبار سنة ١٩٢٢ وما بعدها يفهم هذا النص على حقيقته. وتصور القرون تكر، وتعمى على الادباء مثل هذه الاخبار.

فالادب الحقيقي قديماً وحديثاً يرجع الى هذه النصوص والاصول المقررة، ولا مندوحة للاديب من سلوك هذه الطرق والا كان ممن يتخبطون على شطآن بحور الادب.

صور - لبنان — جبران كنعان

مجلة علم النفس

☆ ☆ ☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتسام في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٦٨ شارع روض الفرج شبرا، مصر

من الاعماق

لعمر النفس

دمشق

●

أيها النجم : دمت في إشراق جنّ صبحي فهل تحلّ وثاقي ؟
أملي في السماء والجسم باقٍ فوق ارض الهموم والارهاق
كذب القلب ! أين ثورة يأس فيه تودي بالجبن والاشفاق
أتراني تركت خلف خطى الايام دنيا شبابي الدفّاق
ام رأى الدهر ان اموت وفي القلب بقايا تندّم واحتراق ؟ !
يا لنفسي ! اكاد أنكرها اليوم ولكن ماذا يفيد إباقي ؟
غيّرتها السنون . . فهي حطام من بقايا الشجون والاشواق
أنغضت رأسها وقد قهقه الدهر واصغت اليه في اطراق
ويحها ويحها . . . الا تنبذ الجبن وتقضي على السنين البواقي

●

أيها النجم : دمت في اشراق جنّ صبحي فمن يحلّ وثاقي !
الليالي لم تبقِ مذ علقتني غير يأس في القلب غير مطاق
خنقت كل رغبة فيّ حتى ما أرى في الحياة غير نفاق
شعشت كل ما رسمت من الحلم وأودت بوهمي البراق
وطوت في ظلامها حُلم العمر وانس القلوب والاحداق !
عبثاً احدج الفضاء . . . فما ابصر غير السكون والاملاق !
لا خيال امام عيني يسعى لا ولا منيةٌ وراء المآقي
بل فراغ تضل في تيهه الروح وتعيا بقطعه اشواقي
كلما أوغل الخيال تراءت فوق عيني كآبة الاخفاق
وكأن الزمان أغلق دوني كل باب يخال منه انطلاقي !
أيها النجم : اي شيء ترى يكمن خلف الغيوم والآفاق ؟
الهزار الحزين لن يعبر الغاب ويصغي لغمغمات السواقي
الزمان العتي شل جناحيه وأغرى يديه بالاطواق !
ايها النجم : لن نعود لعهد كان دنيا من الرجاء الدفّاق
انا ذارٍ غداً اذا ذوى الورد ومر الخريف بالاوراق
نازف من دمي بقية حلم خلفتها الايام في أعراقي ! !

***

أيهذا الخريف : لا أرهب الريح . . . فعد بالغيوم والابراق
الربيع الذي اؤمل ولّى في ذهول ورقبة واشتياق !
انا شيخ ادبّ في شعب الارض . . واهذو بغربتي وفراقي
انزوي في الحياة اذكر دنياي واحيا في الامنيات العتاق
انشر الذكريات بين يدي يومي وارنو لهن في استغراق
وعلى المقلتين نظرة يأس خلفتها الكروب فوق حداقي !
انا شيخ أمر بالارض سأمان واطوي الحياة في اشفاق
وارى الحلم كيف يفنى على الجفن . وتخبو رؤاه في اعماقي !
ايهذا الخريف . . . عدت الى الارض . . . فماذا لقيت في آفاقي ؟
كل شيء قد مات . . . غير حنين خالد في دمي وفي أحداقي !!!

المتطلب الدجال

للكاتب الامريكي ارسكين كلدول
Erskine Caldwell
ترجمة مبارك ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن في المدينة رجل او امرأة يظن ان (ايفى هندرسون) ستجد على مدى الايام رجلاً يتزوجها . و(ايفى) نفسها قد فقدت او كادت تفقد كل امل في ان تصبح يوماً ما زوجة . ولكن ذلك كان قبل ان يجيء المدينة ذلك المتطبب الدجال . .

وكان ذلك الدجال واسمه — كما يقول — (البروفسور ايتون) رجلاً طوالا . ضامر البطن ، معروق الوجه . وكان يلبس سروالا قد كثرت فيه التجاعيد . كما كان قميصه ينتهي بزيق صنع من (الباغه) .

واذا رأيته ورأيتها حسبته يكبرها بعشر سنين ، اويصغرها بعشر سنين . . فقد كان من العسير على من يراه ان يعرف حقيقة سنه . كما كان من العسير على من يسمع حديثه ان يعرف البلد الذى انجبه . . فقد انحدر الى المدينة في صباح يوم قائظ من ايام شهر اغسطس ، ليبيع للناس عشباً مقوياً : سماه العشب الهندي . وكان هذا الدواء (الشافي لكل مرض) يشبه في طعمه شراب (العرقسوس) وكان يضعه في زجاجات مزخرفة خضراء . وكان على كل زجاجة غلاف نصفه ابيض . ونصفه اسود . وقد رسم على الغلاف صورة رجل ممتلىء البدن . ممين الضواحي .

وقد اعلن (البروفسور ايتون) انه يتحدى كل رجل من الاحياء لو استطاع ان ينكر عليه قوله ان دواءه هذا يداوي كل مرض يعرفه الرجال . وانه كذلك يداوي بعض الامراض التي تعرفها النساء . وكانت (ايفى هندرسن) اول مخلوق في المدينة جاءه ليدفع ريالا ثمناً لزجاجة من ذلك الدواء . وكانت كذلك اول مخلوق عاد مرة اخرى ليشتري هذا الدواء .

وكان المقعد الخلفي في تلك السيارة السياحية التي يغطيها الوحل من كل جانب هو المكان الذي اتخذه (البروفسور ايتون) صيدلية يبيع فيها دواءه . وقد دفع الى عمدة البلد ورقة من ورق النقد ذات الريال . وكانت جد ممزقة ، وذلك لقاء الاذن له بممارسة التجارة في بلده . وقد اناخ سيارته في قطعة ارض فضاء قد غطتها الاعشاب البرية .

ولما جاءته (ايفى) لتشتري زجاجتها الثانية . كان يحيط بالسيارة رهط من الزنج الذين كانوا لا يملكون ثمن الدواء . ولكنهم يقنعون بشم رائحة الانجرة الكحولية التي تتصاعد من زجاجة الدواء عند فتحها .

ومدت (ايفى) يدها بذلك الريال . وكان من الورق الذي تحسبه — اذا رأيته — ورقة كانت تلف بها قطعة من الجبن الكثير الدسم . وقالت — وهي تبتسم — للبروفسور : لقد عدت اليك هذا الصباح لاشتري زجاجة اخرى . فأن تلك التي اخذتها الليلة الماضية قد جعلتني احس بجوء لم احس به من قبل ابداً . وقد جربت كل دواء في البلاد فلم اجد ما وجدته في دوائك .

قال البروفسور : عفواً يا سيدتي فأن هناك مئات من المستحضرات الطبية تغمر الاسواق اليوم ولكن هناك دواء واحداً من الاعشاب الهندية . وسوف تولينني جميلاً لا ينسى اذا أشدت بما اسديته أنا لخير الانسانية . واذا أعلنت انت عن اسمه وعلاقته التجارية ، فان ذلك العشب الهندي هو الدواء العجيب الشافي لكل الامراض مهما اختلفت اسماؤها ، وتباينت اوجاعها . وهو نافع كل النفع — بصفة خاصة — لامراض النساء اللاتي بلغن اشدهن يا سيدتي . . .

— ارجو ان لا تخاطبني بيا سيدتي . . . ذلك لاني لم ازل بعد فتاة صغيرة غريرة . ولم اتزوج بعد . . . فازاح (البروفسور ايتون) قطرات العرق من فوق شفته العليا . ونظر الى (ايفى) وهو يقول : يا للغباوة التي بدت مني يا آنسة ! فان كل واحد يستطيع اذا نظر الى وجهك الصبيح ان يعرف انك ما زلت في غضارة الصبا ونضارة الشباب .

واني لقائل ان (العشب الهندي المقوي) هو دواء نافع للآنسات الصغيرات . ونظرت (ايفى) حولها لترى ان كان قد سمع هذا القول احد من الزنوج الذين كانوا واقفين في مكان قريب . ولقد تمنت (ايفى) ان لو جاء بعض النسوة اللاتي يقمن في ذلك الشارع ليسمعن حديث (البروفسور ايتون) عن شبابها ونضارته . ثم قالت موجهة القول الى (البروفسور) : ليس من عادتي ابداً ان اتحدث عن نفسي ولكن الا تراني حقاً جد صغيرة . وان بيني وبين سن



الزواج امداً بعيداً . . . ؟

واخذ (البروفسور) يعيد الحديث عن دوائه فقال — بعد ان اشعل سيجارته المطفأة — ان العشب الهندي المقوي يا آنستي دواء ذو فائدة خاصة للفتاة غير المتزوجة . وهو اكبر كشف علمي في ميدان الطب منذ نشأ الانسان على هذه الارض .

ولقد ظفرت بالوصفة الطبية لهذا الدواء العجيب من شيخ كبير من شيوخ الهند في بلادنا . ولقد عاهدته — وانا جاث على ركبتي — ان انذر له على نفسي — ما دامت لي الحياة — ان اجوب انحاء هذه البلاد لاقدم هذا الدواء علاجاً للرجال والنساء من الذين اقعدهم المرض قبل ان يعرفوه . . .

وقد اضطر (البروفسور) — من فرط التعب — ان يتلبث قليلاً ليستمد النفس . وبينما هو كذلك اذ نظر نظرة من عل فرأى وجه (ايفى) رؤية كاملة .

وقالت (ايفى) : اني كلما فكرت فيما تقوم به من عمل نافع عرفت اي رجل عجيب انت !

ودار البروفسور (ايتون) حول نفسه دورة واشعل مرة اخرى سيجارته المطفأة . ونظر الى (ايفى) من كل زاوية من زوايا النظر .

وكانت (ايفى) تحاول ان تتقي نظراته وهي تقول له : ان هذه هي اول مرة نلتقي فيها منفردين و . . .

فقاطعها بقوله : لست ارى من حق فتاة صغيرة في مثل جمالك ان تعارض في ان ابدي اعجابي بها . ذلك الاعجاب الذي تحيط به هالة من الخلق الكريم . فقلما لقيت فتاة في مثل جمالك وفتنتك . . . حتى لقد افقدتني تلك الفتنة وذلك الجمال حرية التصرف والاختيار . اما الآن . وقد عرف كلانا صاحبه حق المعرفة . . . فلا عليك ان تأذني لي في ان ابدي اعجابي البريء النقي .

قالت وقد بدا عليها الانفعال : اتظن حقاً وصدقاً يا بروفسور اني جميلة ؟ لقد قال لي هذا القول اناس كثيرون من قبل . . . وقد تعودت اذني سماع هذ الثناء . ولكنك اول رجل يقول هذا القول في ايمان المؤمنين المصدقين !

وحاولت (ايفى) ان تخطو خطوة الى وراء ، ولكنها ألفت نفسها واقفة على حافة السيارة . وخطا نحوها (بروفسور ايتون) خطوة اخرى ليكون اقرب اليها . فأصبحت لا تستطيع ان تتقدم او تتأخر وقال لها البروفسور : يافتاتي العزيزة ليس عندي خلجة من الشك في امر جمالك . والحق اقول لك انك — فيما اعلم — اجمل فتاة اسعدني الحظ بلقائها في سياحاتي العديدة . وأنا اجوب انحاء هذه البلاد الواسعة من الشاطىء الشرقي الى الشاطىء الغربي .

— انك لتجعلني احس اني رجعت الى ايام الطفولة . وانك لتجعلني مختالة مزهوة يا بروفسورا وانك لتجعلني كأنني . . .

وقبل ان تتم حديثها جرى البروفسور ليجيئها بزجاجة من الدواء ثم اخرج سدادتها بأسنانه وقدمها اليها وهو يقول : تقبلي هذه الزجاجة مني يا فتاتي الغالية . ثم اشربيها وانظري بعد ذلك تجدي نفسك قد صرت احسن حالا .

— لقد شربت زجاجة كاملة ليلة امس . شربتها قبل النوم فجعلتني اطفر من سريري واجلس في الشرفة واغني . . . والآن قل لي يا بروفسور ما هو المرض الذي يبرئه دواؤك اكثر من اي مرض سواه ؟

— ان هذا الدواء نافع لكل مرض ، وليس هناك مرض يعرفه الطب دون ان يكون لهذا الدواء القدرة على تخفيف اوجاعه وآلامه . ان لم يستطع برءه وشفاءه .

ولما تجرعت (ايفى) الدواء — وكانت قد اقتربت من مكان البروفسور — قالت : ان هذا الدواء يجعلني احس كأنني على وشك ان اقفز فوق الارض او ان اطير في جو السماء .

— (وبعد) فأني ارى ان استأذنك في ان اصحبك الى منزلك في سيارتي ، فقد حان موعد فراغي من العمل . وقد أزف موعد العشاء . فقولي اين تقيمين ؟

— انك تتكلم على طريقة الرجال الحالمين . قالت هذا القول ويدها تلمس ذراع البروفسور .

— اذن فقد أذنت ؟ — ما في ذلك شك !

فلما ضمتها السيارة نظرت (ايفى) الى (البروفسور) وقالت : اني اراهنك على انك مثلت هذا الدور . دور المحب المدله مع فتيات كثيرات في كل بلد حللت به .

— بل الامر على العكس فهذه اول مرة اعني عناية جدية بواحدة من بنات جنسك . فأنا — كما رأيت — لا هم لي الا العمل على توزيع هذا الدواء على اكبر عدد ممكن من الناس . ولكني منذ رأيتك تحول اهتمامي بأمر هذا الدواء الى اهتمامي بأمرك . واني لاعده شرفاً ليس وراءه شرف ان تصحبيني في عربتي . ولطالما تمنيت .

فقاطعته وهي تسأله : وهل انا اول فتاة وأول امرأة قد اظهرت التودد نحوها ؟

— نعم وأقولها مؤكداً قولي .

ولما وصلا الى بيتها اجتازا الباب الخارجي ثم ترجلا ودخلا حجرة الضيوف . ورفعت هي احدى الستائر . ثم نفضت احدى

الأرائك لتزيل عنها التراب .

ووقف (البروفسور) في وسط الحجرة وهو ينظر — في قلق — من فتحة صغيرة في النافذة . ثم ارهف اذنه يسمع اصوات من في البيت .

وقالت (ايفى) ليس عليك الا ان تتخذ مجلسك فوق هذه الاريكة . فأنا اعرف اني آمنة مطمئنة وأنا معك .

فقال لها : وهل هذا البيت هو بيت الاسلاف والاجداد ؟

— ارجو ان لا يدور الحديث الا عني وعنك . .

— قد تسمحين لي ان اشخص مرضك . فأنا — كما ترين — جد خبير في المسائل الطبية واني لاستطيع ان احدد لك عدد الزجاجات التي تكفي لشفائك . ذلك لان حاجة النـاس تختلف باختلاف اعمارهم وامزجتهم . ثم امسك بيدها يجس نبضها . ثم وضع اذنه فوق صدرها ليتعرف حالة القلب ثم قال : ثقي يا آنستي ان دوائي هو انفع دواء في السوق اليوم . وهو فوق خواصه العلاجية الشافية فان النساء اللاتي بلغن منتصف العمر واللائي بلغن آخر مراحـل الحياة ، هن في اشد الحاجة اليه . وانت عند ما تعرفين هذا سوف تحرصين الحرص كله على ان لا تخلو منه صيدليتك .

قالت : لست اظنك تحمل الآن في جيبتك زجاجة من هذا الدواء ؟

— اما في جيبي فلا . ولكن عندي في السيارة بضعة صناديق ملأى بالزجاجات .

وبينما هما في هذا الحديث اذ اقتحم الباب اخو (ايفى) واسمه (برك) وهو عمدة المدينة فما ان رءاهما حتى سأل اخته ان كانت قد أعدت له العشاء . ثم قطع حديثه . ونظر اليهما وقـد قطب وجهه وزوى ما بين عينيـه . فصرخت (ايفى) وازاحت (البروفسور ايتون) فنهض هذا وهو ينظر تارة الى (برك) وتارة الى (ايفى) وارتج عليه فلم يدر ماذا يقول .

وسرعان ما انتشر الضوء في الحجرة وكأن الوقت ظهر اوصاح (برك) قائلاً وهو يمشي على مهل جيئة وذهاباً : ثكلتني امي ان لم . . ثم طفق قراب المسدس الذي كان يحمله فوق صدره يترجح ذات اليمين وذات الشمال .

وظل (بروفسور ايتون) يرفع رجلاً ويخفض اخرى . وهو واقف بين (برك) واخته . ولم يدر كيف يبدل موقفه . . وود لو كان بينه وبين (ايفى) امد بعيد .

وتقدم (برك) خطوة ودفع (البروفسور ايتون) تدفيعاً . ونظر اليه ثم نظر الى اخته . ولم يكن الناظر اليه ليعرف مـاذا يريد . ان يفعل بهما . وكان كلما رفع (البروفسور) رجلاً او خفض اخرى رفع (برك) قراب مسدسه فبرزت منه لؤلؤة اتخذها زينة لمسدسه.

وصاحت (ايفى) بأخيها تسأله ماذا هو فاعل ؟ فأجابها - ويده على قراب المسدس : ان هذا مرهون بما سوف يفعله (البروفسور) فصاحت بالبروفسور وهي تسأله : السنا قد عقدنا العزم على الزواج؟ فأجابها : لم يكن في نيتي ان اعلن الخطوبة والزواج الآن . . ولكن بما انه قد كتب علينا ان نتزوج بهذه السرعة فوجب ان يكون اخوك اول من يعرف .

وما ان سمعت (ايفى) هذا القول حتى مشت اليـه فطوقته بذراعيها . وهي تسائله : احق ما تقول ؟ فقال لهـا اخوها : نعم انه لحق . وانه يعني ما يقول .

— اذن فأنا اسعد فتاة في المدينة . وما كنت اظن ان هـذا الحلم سيتحقق في مثل لمح البصر وسار (برك) ويده ما تزال على قراب مسدسه الى التلفون ورفع سماعته . « وطلب الى العاملة ان تنادي له (القس ادواردز) . وطفقت (ايفى) تناجي نفسها وتقول : ان فتيات المدينة سوف يحسدنني . وسوف يعقد الحسد السنتهن شهراً اذا عرفن اني تزوجت الطبيب الرحالة . صاحب الدواء العجيب .

فأجابها البروفسور : هذا حق ! وان هذا الدواء قد اتي حقاً بكل عجيب . . فهو معجزة الدهر .

وطفقت (ايفى) تعقص ضفيرة من ضفائر شعرها . وهي تنظر الى عروسها في زهو واختيال . .

القاهرة

مبارك ابراهيم

La Grande Revue des Connaissances Médicales

GUERIR

•

Publie chaque mois 20 Articles
Abondamment illustrées

Demandez GUÉRIR à Votre marchand de journaux habituel

•

A défaut, écrivez à :

GUÉRIR 49, Avenue d'Iéna, Paris France

et vous recevrez gratuitement un Numéro spécimen - de la part de « AL ADIB »

Abonnement : 800 frs par an (12 Numéros)

او الثقافة على الاطلاق ، مجموعة قوى معنوية ، تتفاعل تفاعلاً مستمراً في المجتمع ، لتستقر اخيراً على هدف عملت خلال استمرارها على ابرازه وبلورته ، وعلى تقريبه الى الافهام والاذواق ، حتى اصبح ، في نظر ذلك المجتمع ، ضرورة بل مثلاً اعلى لا غنى عنه ، ولا مجال الى اهماله ، والتغاضي عن قيمته ، لانه ، وقد اشتق منه ، من المجتمع ، ليعود اليه ، نفعاً وخيراً ، بات منه بمقام الولد من الام ! وهنا ندرك خطورة رسالة الادب ، او مهمة الاديب .

وباختلاف المستوى الاجتماعي تختلف رسالة الادب ، وتتنوع اهدافه ومراميه : . فنحن اذ ندرس المجتمع الفرنسي ، قبيل الثورة الفرنسية الكبرى ، ونتحراه ، نجده قد بلغ درجة من الفوضى والارتباك ، وتفاوت الطبقات ، مما لم يعد في الامكان السكوت عليه ، والتجاوز عن مساوئه التي راحت تهدد عناصره ، عناصر ذلك المجتمع ، ذات الطابع الكادح العامل ، بالفناء . فالشعب ، وقد بات آلة شوهاء تحت ضغط كابوس الاقطاعية والنبلاء ، استولى عليه شبه بحران عام ، ضاعت فيه مقاييس الفضائل لديه ، واختلطت موازين العدالة عليه ، فراح يكبت في اعماق صدره نقمة هوجاء ، تنتظر الساعة للانطلاق ، او الدافع للانفجار ، شأنها شأن البركان المتناوم في جوف الارض ، يتربص بقشرتها الدوائر ، حتى اذا رقت او تشققت واعترتها الحزون والاخاديد ، اندفع عاتياً مدمراً يصب الحمم والنيران لا تبقي ولا تذر !

وهل يمكن ان يكون ذلك الدافع الا من صنع نفسية تلك الجماهير المضطهدة ، البائسة ، المهدورة الكرامة والحقوق ؟ وهل يعقل ان يكون الا دافعاً ، للفكر فيه اقباس ، وللبيان ايحاء ، وللادب ، جملةً ، روح ؟

وهكذا رأينا كتاب الثورة الفرنسية ، وخطباءها الافذاذ ، امثال « ميرابو » و« دنتون » و« دي موابن » وغيرهم ، يتصدون للحكم القائم فيحرجوه ، وللعرش فيدكوه ، وللمجتمع فيقلبوه ، وللتقاليد والانظمة والقوانين فيعملوا فيها تغييراً وتحويراً وتطويراً ، حتى استوى لديهم مستوى جديد فاره ، يقبل على الدنيا بوثيقة تعترف بحقوق الانسان ، وبكرامة القيم الانسانية ، وتحدد واجبات الفرد تجاه المجموع ، وهذا ازاء ذاك ، على قدم العدالة والاخاء والمساواة ! ولا يضير تلك الثورة ، او القائمين عليها ، انهم انتكسوا في ذات العلة التي حاربوا ، ووقعوا في نفس الاخطاء التي دفعتهم الى العصيان ، فعتوا وظلموا واهرقوا الدماء ، وازهقوا الارواح ، وقضى بعضهم فيما اضرموه من نقمة ونيران ، فالمهم انهم حققوا الرسالة ، وادوا المهمة ، وفتحوا امام الانسان نوافذ الى الحق والنور والايمان بكرامة هذا الانسان ، دون نظر الى التفاوت في الطبقات ، والى ما يسود مجتمعه ، آنذاك ، من اسطورة النبل ، وخزعبلات الكبرياء والغطرسة التي يتذرع بها ، عادة ، كل حاكم غاشم ، واقطاعي ذميم ! .

واذا نحن عدنا بالذاكرة قليلاً الى روسيا القيصرية ، وما كان شعبها يقاسيه من طغمة النبلاء والاقطاعيين ورجال الدين ، تكاتفوا ، رغم تضارب ميولهم ونزعاتهم ، على استغلال الطبقات الفقيرة المعدمة ، من فلاحين وعمال وجنود ، وعلى تخليد ما هم فيه من امجاد اثيمة ومجبوحة نكراء ، فاننا نقع على ما عرفناه في المجتمع الفرنسي من فوضى وبحران ، لا يمكن ان ينتهيا الا الى نفس المصير ، وبذات الوسائل ، بل وبنفس الطريقة الدموية القاسية التي ادت الى ظهور البلشفة ، نتيجة للطفرة والانفلات ! .

لقد كان الادب الروسي في الاجيال التي سبقت الحركات الثورية ادباً مترفاً يسير في ركاب الارستقراطية ، ويعمل بوحيها ، على نشر ظلها الرهيب المقيت في شتى ميادين الحياة ، مسبحاً بحمدها ، رافعاً لواءها ، وما ذلك الا لان المجتمع الروسي آنذاك ، وقد بهرته عظمة جلاديه ، كان يستسيغ تلك الاناشيد التي لم تكن سوى تراتيل موجعة في جنازته الخرساء ! ! حتى اذا تنبه فيه الوعي ، واشرأب الشعور ، وثارت الكرامة ، وتنزى الاباء الطعين ، تململت القوى الروحية الكامنة فيه ، لتلد ادباً شعبياً يؤدي رسالة البعث المنشود والانقلاب المرجو ، فاذا بهذا الادب يتحول من ميوعته وتخنثه وانقياده ، الى عواصف هوج ، وزمجرة طاغية ، وعصيان مخيف ، يقلب معالم دنيا الروس ويمحو مخلفات عصور ودهور ، من عوائد وتقاليد !

وكان لهتافات « تولستوي » وصرخات « مكسيم غوركي » وسواهما من قادة الفكر الوثاب ، والثقافة الشعبية ، هذا الاثر المجسد بالشيوعية التي توشك ان تصبغ هذا العصر بصبغتها العجيبة الالوان ، وتلقي على منكبيه حلة من حللها الغريبة النسيج ، مما لا



بقلم فريد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعرف الا الله مدى انطباقه على حاجات البشرية ، وملاءمته كعلاج يقيها ما تعانيه من ادواء واوصاب !

فالادب ، وهذه آثاره ، جدير بان يكون الوسيلة الضامنة لتحقيق كل فكرة تنشد التطور، وتسعى الى الانعتاق من سيطرة رجعية ، جمّدت وتجمد طاقة الانسان في حوض من الانانية النكراء! واخرت وتؤخر تقدمه في معارج السمو، وعرقلت وتعرقل انطلاقه في مهاب الحرية والحياة !..

بيد ان الادب قد يكون وسيلة معكوسة الاتجاه ، تعمل على نشر البلبلة ، واشاعة الارتباك الفكري، اذا لم يقيض له رجال شرفاء العقيدة ، نزهاء الميول ، وطيدي الايمان ، بالمثل العليا ، وبقدسية هذا الانسان ! ! يدفعون بالجماهير الى تحطيم اوثان الطمع، وزبانية الاقطاعية والاستعمار، وأبالسة الخيلاء، لاقامة اسس جديدة ينهض عليها صرح العزة القومية ، ويتعزز بها استقلال الفرد في صالح المجموع ، حيث يشعر ان وجوده ، ضمن مجتمع كريم ، ترعاه الحرية الفكرية ، وشخصيته بينة الحيثية ، موفورة الحرمة ، محترمة المدلول ، منسجمة وباقي شخصيات مجتمعه في السعي المشترك للصالح العام.

يستخلص من هذا البحث ان لكل ادب رسالة، ولكل زمن ادباً. ولكي يستطيع الادب ان يعيش ، يجب ان ينتج ؛ وانتاجه لا يقاس بالكمية، بل بالنوع ، والنوع يستحيل ايلاؤه اي تقدير، الا اذا جاء مطابقاً لما يعتلج في نفسية الجمهور الذي يتوجه اليه ، هذا الادب ، من نوايا وآمال واهداف...

ومعنى هذا اننا لا نستطيع ان نطلب الى الادب الانكليزي او الاميركي او الالماني ، مثلاً ، اليوم ، ان يكون ادباً قومياً ، مهمته اثارة الحاسة الوطنية في صدور الجماهير، وايقاظ الوعي القومي في خلايا الامة، ذلك لان الوطنية في هذه البلدان بلغت حد الكمال في التبلور والبروز ، وباتت شيئاً يتكيف به تفكير هاته الامم، ولان حريتها وسيادتها امر لا يجوز الجدل فيه، تمتد جذوره واصوله الى اعمق اعماق وجودها الامي وكيانها القومي ؛ وانما يطلب الى ذلك الادب في امثال تلك الاقطار رسالة اخرى من طراز جديد، بعد ان ادى رسالته الكبرى في تعزيز قوميته ، وتجسيد مفهوم حريته ، كأن يدعو جماهيره المتحررة المنطلقة الى مثل اعلى آخر ، تترتب عليه سعادة الامة ، فيتمدد سلطانها عبر الحدود ، ويشيع مفهومها الخاص في مختلف نواحي هذا الوجود، او يبتدع لها وسائل تفكير جديد ، كأن يستحثها على نشدة الكمال ، والتضحية في سبيل المعاني الانسانية، تبعاً لما تكون عليه تلك الامم من نفسيات وامزجة وميول. اي انه ، اي الادب ، لا يمكنه ان يكون الا الترجمان الصادق الرشيد لتلك النفسيات والامزجة والميول ، والا عد ادباً زائفاً لا قيمة له ، يؤول الى البلبلة ، وينتهي الى الطفرة، وهذا معناه التراخي فالانحلال !

بقي علينا ان نلم بالغاية التي وضعنا من اجلها هذا المقال، وهي:

هل عندنا الآن ، نحن العرب ، ادب اكتملت فيه العناصر الضرورية ، ليصح اعتمادنا عليه في تأدية الرسالة القومية ؟

ثم هل يضطلع ادبنا الحديث بما يتطلب منه من معالجة قضايانا، كأمة تنهض من بين الانقاض ، وتتطلع الى الخلاص مما هي فيه من ضعة وخمول واستعباد ؟

هذا ما سنجمله باقتضاب ، على ضوء بحثنا المتقدم في مفهوم الادب ، ومدلول رسالته ، آملين ان نوفق الى الرشاد والصواب :

لا نكير بأن ادبنا يسرع الخطى نحو التكامل والنضوج، رغم ما يعتوره من غموض وابهام ، بالنسبة الى آداب الامم الحية ، العريقة في الحرية والاستقلال !

اما انه مما يصح الاعتماد عليه — كل الاعتماد — في بعث معنويات الشعوب العربية ، وتحريك كوامن قواها النفسانية ، وابراز واقعها بما فيه من امكانيات ، وفوضى ، ووهن ، وركود ، وآلام ، اما هذا كله ، فليس بوسعنا ان نطمئن ، عن كامل الرضى ، ومطلق الارتياح ، الى ان ادبنا يؤديه بالصدق والامانة المطلوبين !

ان ادبنا ، وهذا لا يحتاج الى براهين ، ليحوم حول واجباته ولا يستقر عليها؛ ويحاول الغوص الى دواخل نفسيتنا ليكشف عنها، ويعرضها للنور كي يتسنى لها ان تدفأ فتتحرك فتثور ، فيعوزه الصبر والجلاد ، فيعود منها بالفقاقيع ، ويقبل على جوهر قضيتنا الكبرى، بغية ان يلمس منها الجوهر، ويستشعر اللب ، فاذا به ، وقد مسته كهربة من تيار ، ينثني ، وبين انامله القشور !!!

هذه كلمة حق اريد بها صدق، ولا تنطبق على ما هنالك من شذوذ ، فلكل قاعدة شذوذ . ولكن هذه الومضات الفارهة العنيفة التي تنشق عنها بعض الاقلام ، وهذه المحاولات القوية الصادقة التي تجريها بعض الافكار والعقول، في حقل وضعيتنا القلقة وميدان ايقاظنا الفسيح، ليست بكافية لانقاذ عليل، ودرء خطر! وبعث امة ووطن !

وعندي ان مرد هذه الفوضى الفكرية ، وهذه الاتجاهات المتضاربة في ادبنا الراهن ، هو في هذه المدارس والمعاهد القائمة في

منشأ الرقص القديم

بقلم المهندس عبد السلام الدبوري

الرقص من اقدم العادات التي الفها البشر ، وله تأثير فعال في حياة الشعوب الاجتماعية ، ويتطور في الانسان بحسب وسطه والعصر الذي يعيش فيه ، فقبائل الهنود الضاربة في نهر الامزون مثلا قد بلغ الرقص عندها حد الجنون : ترى افرادها يبتهجون بكل حادث يمكن اتخاذه حجة لاقامة مرقص ، وعندما تقرع الطبول يقبل الهنود على صوتها من كل حدب وصوب حتى ان قبائل برمتها تجتاز بين اربعين وخمسين كيلو متراً لتحضر مهرجاناً الرقص . ولما كان لكل امة رقص خاص بها فقد تعددت تعاريفه الفنية او الفلسفية او الاجتماعية . يقول التعريف الفلسفي : ان الرقص حركة فطرية ، ناشئة عن تراكم القوى الحيوية في الجسم وتزايدها الى درجة تحملها على طلب منفذ لتخفيفها .

وفي الحياة امثلة لا تحصى ، ينطبق عليها التعريف المذكور ، فنحن اليوم نعيش في عصر السرعة ، وجل اعمالنا تتطلب دقة واستعجالا فيزداد بذلك النشاط العصبي عند كثير منا ، وهذا ما يدفعنا الى البحث عن منفذ لتخفيف الضغط عن عواطفنا المحتبسة ، فكما نلجأ الى وضع صمامات الامن فوق المراجل لتخفيف ضغط البخار بها عندما يبلغ حداً معيناً ، كذلك اتخذنا لانفسنا جهازاً يكون لنا بثابة صمام الامان ، وهذا الصمام نجده في الرقص الذي أدى هذه المهمة لجميع انصاره في كل امة ، بصرف النظر عن لونها او سلالتها .

وترى من آثار التاريخ ان ارض النيل كانت اخصب موطن نشأ وترعرع به هذا الفن الذي قيل عنه انه اقدم من الحب . وحفلات (الزار) التي تقيمها الطبقة الشعبية لنساء مصر لدليل على ذلك .

وقد كان المصريون القدماء يعيرون الرقص اهتماماً كبيراً ، ويظهر ذلك من الرسوم التي خلفوها على جدران قبورهم واقوال العالم العربي ، اما على اساس طائفي ؛ او على دعامة اجنبية ، حتى بتنا ، ومشاعلنا الفكرية مزيج من الزيوت والاضواء ، يتجه كل منها الى ناحية من نواحي الثقافات العالمية ، قد لا تمت الى واقعنا الشخصي بصلة او سبب !

واذا لم تتحد هذه القوى الفكرية ، ويتضامن اربابها تضامناً تمليه الآمال القومية المعلقة على نشاطهم وثقافاتهم ، في اشعال جذوة الايمان في صدور الجماهير ، والهاب القوى المعنوية في النفوس ، طلاباً للحق والعدل والحرية والحياة ، فلسنا ببالغين ما نتوق اليه من خلاص وانعتاق . . واذا لم يجد الادب العربي ، في المجتمع العربي ، والقضايا العربية ، والمآسي العربية ، مادة البقاء والخلود ، وعنصر التفوق والابداع ، فانه لن يجد هذه المادة فيما يغرفه ، ويقتصر عليه ، دون ان يهضمه ، ويحلله ، ويعربه ، من آداب الغرب وتفكيره الخاص .

بماكو - السودان الفرنسي — فريد ابراهيم

المؤرخين ، يقول لوسيان : « ان الرقص والغناء كانا مقدسين عند قدماء المصريين ، ومن لوازم احتفالاتهم الدينية فكانت حركات الرقص عندهم تشبه في السرعة انحدار الماء ، وتماوج لهيب النار في الهواء ، وخيلاء الاسود ، وغضب الفهود ، وترنح الغصون ، فهو ابدع ما يكون » وكان يشمل عندهم انواعاً كثيرة ، ابرزها :

الرقص الرياضي The gymnastic dance ، الرقص التقليدي The imitatine dance ، رقص الحروب The war dance ، الرقص التمثيلي The dramatic dance ، الرقص الغنائي The lyrical dance ، رقص الموت The funeral dance ، الرقص الديني The religions dance .

وقد جرى الاغريق مجرى المصريين في الرقص ، فأتقنوه حتى جعلوا لكل حالة من الحالات النفسية رقصة تميزها وتدل عليها . واشهر الرقصات عندهم ثلاثة انواع :

الرقص التمثيلي Dance dramatique ، الرقص الغنائي Dance lyrique ، الرقص الخاص Dance particulière .

فالنوع الاول يعبر به عن الافراح والاتراح ، وهذا طبيعي في الكائنات الحية ، فالطفل يرقص على نغمات الموسيقى من تلقاء نفسه ، والطيور وذكور الحمام ترقص حول انثاها

والنوع الثاني وهو الرقص الروحي اتخذه اليونانيون القدماء واسطة بينهم وبين آلهتهم ، وكان تعليمه اجبارياً في مدارسهم على كل من بلغ السابعة من الجنسين ، واما النوع الثالث فكانوا يرقصونه في المهرجانات ، وحفلات الزواج والسمر ، واعياد الميلاد ، فكانت الراقصة تضع رجليها فوق كتفيها ، وتخرج من فمها نارا .

وهناك انواع اخرى تتفرع من هذه ، منها رقصة الحروب والصيد ورقصة البطن . وقد اشتهر بالاولى القوقازيون ، كما اشتهر بالاولى والثانية النيوزيلانديون ، فقد كانوا يزعجون اعداءهم بالحركات الراقصة التي كانوا يقومون بها مصحوبة بأصوات مرعبة اثناء هجومهم على الاعداء . واما رقصة البطن فكانت من بين الرقصات التي اشتهرت بها فرنسا القديمة La Gaule .

ويمكن القول الآن بان مصر تمتاز برقصة البطن بالنسبة الى انها الرقصة الشعبية المحبوبة عند المصريين . وكان قدماء اليونان يطلقون على اي نوع من انواع الرقص الذي يشترك فيه الجنسان اسم «رقص الحب La dance d'amour » .

وقد دخل الرقص الاديان الوثنية والتوحيدية على السواء ، ويقال ان داود عليه السلام كان يرقص لله ، وفي التوراة ان اليهود كانوا يسبحون بالرقص ، ففي الاصحاح ٦ آية رقم ١٤ : « وكان داود يرقص بكل قوته امام الرب » وفي خروج ١٤ آية رقم ٢٠ عند غرق فرعون ونجاة بني اسرائيل « فأخذت مريم النبية اخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص » وجاء في مزامير داود : « ليسبحوا اسمه برقص » .

وقد رجح بعض العلماء بان الطواف بالكعبة اصله ضرب من الرقص : قال الزمخشري والبيضاوي : « انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون » . « وما كان صلاتهم عند البيت الا حكاء وتصدية » (قرآن كريم) .

ولا عجب اذا كان الرقص عند بعض الامم فرضاً دينياً يؤدونه للآلهة — كما كان الحال في افريقية القديمة ، حيث اعتبر جزءاً من الشعائر الدينية للرب ديونيسيون — فقد نشأ عند جميع الامم بين احضان معابدها ، هذه هياكل منف وطيبة وهليوبوليس ، وهياكل اورشاليم وبابل ، ومعابد بعل وجوبتير والزهرة ، كلها كانت منبع الرقص واصله .

طنجة — عبد السلام الدبوري

مصادر البحث :

١) دائرة المعارف الفرنسية
٢) كتاب The Ancient E. g. Dances By M. Lexora
٣) الكتاب المقدس الانجيل
٤) مصادر اخرى

الاسواق التجارية

☆

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين
وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى — ساحة الشهداء بيروت

الهاتف : ٦٨ — ٦٦ العنوان البرقي : ادفرت ، بيروت

راقصة العيد

لرابندرنات طاغور

●

ترجمة برهجت حكيم

●

وفي ليلة العيد الثالثة . .

عندما بلغ المعيدون ذروة الفرح . .

وانطلقوا يمرحون تحت اشجار « الميموزا »

وفي ساحات « ميدون » اقبلت « ايونيا »

الراقصة ، التي كانت لؤلؤة في جمالها ونجمة

في توهجها . . واذ رآها الجمع امتلأ همساً :

فقال الشبان : لقد جاءت سيدة احلامنا .

وتهامست الفتيات : حضرت سالبة

عشاقنا منا .

وزمجر الكهنة : اقبلت رسولة الخطيئة

بيننا . . اما الاطفال فراحوا يتبعونها

مهللين في غمرة ميولهم الضائعة ورغباتهم

التي لم تستيقظ بعد .

ولما عبرت الجسر الرخامي وتوسطت

الساحة الكبرى . . خلعت ثيابها الموشاة ،

حتى لم يعد يسترها الا غمامة حريرية

تغلف جسدها ولا تحجبه ، ثم راحت ترقص .

تدور ، وتدور ، كمراح الاطفال التي

تحركها الريح ، بينما وقف عشاقها الاربعة

المفضلون ينقرون قيثاراتهم الفضية . وفجأة

علا من الجمع صوت امرأة يقول :

— ابتعدي ايتها الراقصة الخاطئة .

اتركي هذه الساحة واتجهي بعيداً في

الظلمة ، بعيداً جداً .

لقد اخذنا الحياء فأشحنا بوجوهنا كي

لا ننظر عريك يا امرأة .

ان ضجيج رغباتك عكر صفاء

فضائلنا . فبالشهوة والنهم صبغت افق هذه

الليلة المقدسة .

وكان لكلماتها في الشعب اثر العاصفة

على البحر ، فضج هادراً . . اذ ذاك توقفت

ايونيا والتفتت . . مرة الى تلك المرأة ،

ومرات الى الشعب ثم انطلق صوتها بهذه

الاغنية :

في معرفة الناس للناس خيبة .

لذلك وضعتم على وجوهكم اقنعة

كثيرة .

ليبقى الصالح صالحاً ، والقديس قديساً .

جميعكم مقنعون ايها الناس . تنظرون

الي من خلال اقنعتكم المتعددة .

ان العقلاء بينكم . . يرقصون الآن

معي خلف قناع رصانتهم .

والفضلاء منكم . . يشردون قربي

في حقول تشوقهم . . ويتحرقون على قبلي

خلف حجاب فضائلهم . والحكماء فيكم

يخسرون الساعة في مقاصير حبي وراء مظاهر

حكمتهم .

كلما تأملت عيناي واحداً منكم اخالني

رميت بنفسي الى عالم من الاسرار والمعميات .

ترى ما يرتسم الآن في مخيلاتكم . .

تشجعوا وافتحوا للنور ابواب نفوسكم

حيث ترقص حقيقتكم العارية . . اما

انا . . فسأخلع الليلة جميع اقنعتي . . ولن

اخفي عنكم شيئاً . . حتى الهمسات التي

ينشدها صمتي في اعماق ذكرياتي ، سأغنيها

واعطر بها آفاق هذا الليل .

وأتعرى من كل حجاب .

لطالما جالست الذين لا احبهم ،

واستقبلت الذين امقتهم . وكنت أخفي

حقدي وراء ابتسامي . . وجوعي وراء

اكتفائي ، ورغبة شري في اثواب خيري .

لقد كنت اقدم للناس عظمتي ، وكرمي

وابتسامي ، واحتفظ للخفايا بحقارتي وبخلي

وحقدي ، اما اليوم فانني سأتعرى واقدم

لكم حقارتي متكأة على عظمتي ، وبخلي

معانقاً كرمي . . وحقدي متوسداً ابتسامي

فأكون متكاملة امامكم .

ولكن بالله عليكم يا ابناء ميدون ،

من منكم تعرى من جميع اقنعته واظهر

خفايا حياته المجهولة حتى امام اقرب الناس اليه .

مهما تعريت يا صاحبي . . فستحتفظ

بقناع واحد تستر عن احبائك وراءه

حقيقتك الكاملة وستظل ذلك المجهول .

المنفرد .

لاخيك تظهر وجهاً لا تظهره لصديقك .

ولصديقك وجهاً لا يعرفه اخوك .

ولحبيبتك ما تخفي عن الاثنين .

ولعل هناك من يعرف منك غير ما

عرف هؤلاء . . آخرون اكتشفوك في لحظات

ضائعة . . وجوهك متعددة جداً وفي كل

منها تطل ذات منك ، وليس احد رآك

مكتملاً . . ان ساعة لجوئك الى ذاتك

لاعظم استقرار تستطيع ان تدركه . ان

لك فيها عالماً لا يدخله سواك . . هناك

ترتعش رغباتك المجنحة واحلامك الزاحفة ثم تتسرب الى آفاق صمتك من غير ان ان يعرف بها احد .

.. ايها الرجل .. ترى هل قرأت على مسامع زوجتك سفر حياتك ولم تطو منه ولو صفحة واحدة .. صفحة يجب الا تقرأ او صورة يجب الا تنظر .

ويا ليتها الزوجة الامينة لعهدها . . الم تختلج خفاياك في لحظة شاردة ، فعلته من لجام العقل والارادة ، على سمرة وجه فتى صياد ، او شقرة شعر فارس عابر وماتت هذه الرغبة كما تموت الفراشة في الحقول دون ان يشعر بها حتى النهر المنحدر في الوادي، ثم واريتها القناع الاكبر الذي هو الصمت؟!

— ايها الفتى والفتاة ، المتعانقان عشية هذا العيد تحت ظلال الميموزا الطرية :

مهما تدانيتما فانتما متباعدان .

انه يفصل بينكما اودية عميقة من المجهول والغامض . لان كليكما يخفي عن صاحبه قدس اقداسه لذلك لن تتحدا نفساكما ، ولن تؤلفا معاً افقاً واحداً منيراً، بل ستظلان الى الابد ، كوكبين منفردين يدور كل منهما في خلاء لا يتعداه وان جمعتهما يد ناموس واحد .

وضرب العازفون قيثاراتهم . ودارت ايونيا دورات كثيرة متتابعة كمراوح الاطفال التي تحركها الريح، ثم توقفت امام اخوين عرف الناس محبتهما وسلامهما وهتفت :

ربيتما معاً .

ولعبتما معاً .

ورقدتما في غرفة واحدة .

وعندما يداهمكما البؤس او الفرح تمشيان الى لقائه معاً . . ولكن حتى في بؤسكما او فرحكما ستكونان متباعدين لان مباعث العاطفة منابعها وراء الاقنعة التي لكل منكما ، وانها ولا شك متفاوتة القوى والمقاييس .

يقول لك اخوك لحظة واعود اليك .

ويمضي . . ثم يعود باسماً . . ترى اين مضى؟! وما صنع ؟ هل اجرم ؟! هل زنى ؟! هل سرق ؟! من يدري . . انك لم ترافقه على دروب ذاته ولا تعلم على اي ساحل يرف طائر احلامه المذهب، لعله يظهر عكس ما يضمر . . ان قناع وجهه يخفي كل شيء .

كل واحد منكم يا ابناء ميدون يتفرج على ما خلف اقنعته في اعمق خلواته وفي ساعات استغراقه . ربما يعتقد انه اتى بأحقر ما يمكن ان يؤتى . . لذلك فانه ينزع ستائره الى الابد . . لكنني اقول لكم . . لو نزعتم جميعاً اقنعتكم الاخيرة، لتساويتم في الفضائل والرذائل . .

— ايها المتكلمون عن الفضيلة ، تتبهجون اذا مدح الناس فضيلتكم ، وتثورون اذا تجرأوا فذكروا عيوبكم ، وتحاولون ان تتملصوا من نصفكم الآخر الذي هو نقصكم . . ان شر ما يستطيع احدكم ان يجرح كرامة رفيقه به هو ان يعيره بالذي فيه ، لذا عمدتم الى الاقنعة تستترون وراءها .

ان المجرم تجرأ فنزع قناعاً لم تنزعوه انتم . . لذلك فان جرائمكم ستبقى في نفوسكم

ليست شهوتي للرجال بأقوى من شهوة المرأة الفاضلة ، ولا اعمالي باحط من اعمالها في مطلق العواطف السيدة ومدرج الرغبات المهيمنة ، لكنها تخفي اعمالها في رداء فضيلتها بينما تجرأت انا فنزعت ردائي، واذا رأيتم عريي هتفتم . . ساقطة، ساقطة .

هيا افتحوا للنور مداخل ذواتكم . حيث ترقصون في عري نفوسكم .

انني كلما تأملت عيني واحد منكم اخالني رميت بنفسي الى عالم من الاسرار والمعميات .

وظلت ايونيا ترقص وتغني الى ان راحت الاقنعة تتساقط عن الوجوه، وماجت الساحة الكبرى بهيئات غريبة متباينة حتى لم يعد يعرف الاخ اخاه والرجل امرأته والام ابنتها فشوهد قوم من ابناء البؤس يرفلون بالدمقس والحرير وتشع وجوههم بضياء الاباء والتضحية ، وغيرهم من مغموري الذكر ، يقيسون عربات احلامهم المجنحة وينطلقون الى ذرى العظمة والقوة الكامنة في نفوسهم . كما تراءى بعض اغنياء المدينة وحكامها يكمنون عند المنعطفات المظلمة ليسرقوا من العامل .

جنى يومه .

ومن الزارع غلة بيدره .

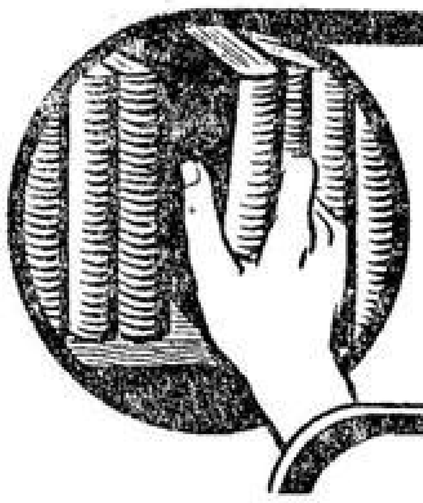
ويتسولون الامن والسعادة من الفقراء، وبدا اصحاب الصوامع يزحفون على التراب معانقين شهواتهم ، في سكينة وحدتهم وغيرهم من الزوجات يشردن مع اشباح مريبة .

لقد ظهرت عظمة نفوس وحقارة نفوس .

كثيرون في تلك الليلة نزعوا اقنعتهم وتبدوا عراة لا تستر هم الاثيابهم .

برهت حكيم

الدكتور توفيق الاعور
طبيب مصح بجنس
الاختصاصي بالامراض الصدرية
من مستشفيات باريس وسويسرا
يعاين مرضاه في عيادته الجديدة الكائنة
في شارع بشارة الخوري – بناية بيضون
يومياً بعد الظهر من الساعة ٢ – ٦
تلفون ٨٦ – ١٥ و ٣٩ – ٨٢



مكتبة الاديب

ابو حيان التوحيدي

للدكتور ابراهيم الكيلاني - رسالة بالفرنسية - ورق فاخر
حجم كبير - ١١٨ صفحة - منشورات المعهد الفرنسي بدمشق

احببت أدب أبي حيان التوحيدي لانه أدب صادق يشكو الى الله ظلم الانسان للانسان وليس قليلاً ما صنع سوء الحظ بأبي حيان ، فقد ابتلي بالفقر وأترب زمناً فاتخذ الوراقة مكسباً . كان ينسخ الصفحات بياض نهاره وسواد ليله ، وحين زم الرحال الى الصاحب بن عباد في فارس، كاد له الصاحب كيداً ما نزل مثله بعالم الا فلجه . لقد حجبه اياماً فلم يأذن له بالمثول . ولما مثل بين يديه نبذ اليه مجلدة وقال له : انسخها ، فقال له ابو حيان ، وقد بهت وكاد يصرعه الدهش .

— ما لهذا قصدتك ايها الرئيس ، ولقد كانت الوراقة رائجة في بغداد .

فرماه الصاحب بالنظر الشزر ، وكان قلبه يشتعل عليه ضغنة، ثم قال له .

— انسخ المجلدة .

فأخذها ابو حيان ، وانتبذ بها مكاناً ، فأدام نسخها حتى كادت اصابعه تبلى ، وعينه تقذى . ثم مر به الصاحب مروراً ، وهو يعبر الى جهة في قصره ، فقام له قائماً ، فرماه الصاحب بالنظر الشزر رمية ثانية وقال له زاجراً في جملة كلام جبار :

— الصعاليك لا تقوم للرؤساء .

وعاد ابو حيان الى بغداد منكسر الخاطر منكود الحظ ، فألف الرسائل في مثالب الصاحب . وترك مثلي في اعقاب العصور يحزن من اجله ، ويرثيه في عثاره .

كل هذا هب في خاطري هبة واحدة حين تفضل الدكتور ابراهيم الكيلاني فأهدى الي نسخة من رسالة الدكتوراه التي وضعها في ابي حيان ونال عليها درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس ، فجعلها مدخلاً لدراسة آثار التوحيدي، ومعرفته وحياته.

يقرر المؤلف في رسالته ان التوحيدي عاش في عصر تقاعست فيه السياسة والحياة الاجتماعية وازدهرت الحياة الفكرية وهو القرن الرابع للهجرة . ثم يأخذ في تعليل الاسباب التي دعت الى هذا التقاعس في السياسة والامور التي بعثت النشاط في الفكر، باسطاً امام قرائه الآفاق الادبية التي تدرجت فيها صناعة النثر من يدي عبد الحميد ثم ابن المقفع حتى تناولها الجاحظ ، وأورثها ابا حيان . لكن المؤلف يجد ابا حيان فنياً في نثره ، فهو في نظره فني كملت فيه صفات الفن النثري .

وعندي ان هذه الفنية في نثره ، التي لا نجدها عند سابقيه ، انما اتته من طبيعة العصر ، فقد كان القرن الرابع مثابة الفن العربي والاسلامي كله ، في البناء والتزيين ، وفي النثر والتفنن في سبك جمله ومزاوجتها وصقلها . ولم يكن الكتاب الفنيون في هذا العصر، الا استجابة لمطلب ايامهم التي تناهت اليها فنون الفرس والروم ، فانطبع النثر بالصقل والزينة . وكانت مجالسة ابي حيان لدهاقين عصره من العلماء، واخصهم به ابو الوفاء الوزير ، تحمله على تظريف اسلوبه في الكتابة وخلع الفنية على محاضرته .

وقد درس المؤلف في كتابه آثار ابي حيان دراسة قيمة علمية، فحلل كتب ابي حيان تحليلاً جامعاً يترك قارئه ملماً الماماً متينة بوصف هذه الكتب، وما قصد اليه صاحبها في موضوعاتها ككتاب الامتاع والمؤانسة الذي نشره العلامة احمد امين والمرحوم الشاعر العزيز احمد الزين، وكتاب المقابسات ، وكتاب الصداقة والصديق.

وهذه الكتب من الامهات المطبوعة لابي حيان غير رسائله الباقية، ثم اتبع المؤلف القول في وصف المخطوطات التي لابي حيان ومن خيارها « بصائر القدماء وذخائر الحكماء » وهو كتاب معروف باسم البصائر والذخائر . وقد وصف المؤلف النسخ الموجودة من هذا المخطوط في مكتبات انكلترا ومكتبة استانبول وموضوع هذا المخطوط فصول تصويرية وتاريخية يذكر فيها ابو حيان الادباء والعلماء الذين جالسهم او رحل اليهم بغية العلم ، اثناء تجواله في العراق وفارس والحجاز ، ويذكر المؤلف ان ابا حيان كان يرى هذا الكتاب « ثمرة عمره ، ولباب ايامه ، ومنتوج خبرته ». والدكتور الكيلاني ساع في طبع هذا المخطوط الجليل، بعد ان استوفى تحقيقه ومعارضة نسخه ، وسيكون بين ايدي قرائه في الاشهر القريبة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي هذه الرسالة الجامعية فصل تحليلي لنفسية ابي حيان من خلال آثاره . اذ يرى المؤلف ان لابي حيان نفسين ادبيتين واحدة مردها الى روحه وحسه ، يبدو فيها اديباً فنياً نضاحاً من ذاته . والثانية تأتيه مما خرج عن نطاقه الذاتي ، فهي مكتسبة من العلماء الذين طبعوه بطوابعهم ، ومن الآثار التي ورد عليها او صدر عنها .

كل هذا قويم سالم ، وقد صنعه صديقي الدكتور الكيلاني من اجل ابي حيان التوحيدي . لكن الذي لم ارض عنه هو فصله الاخير لمنزلة ابي حيان في الادب العربي ، جاء به مقتضباً لم يستوف فيه الغرض من انزال الجاحظ الثاني منزلته اللائقة به في الادب العربي ، وفي تبيان اثره فيمن عاصروه او جاؤوا بعده .

وقد خضع في الحكم على ابي حيان ، ضمن نطاق الادب العربي ، لآراء المستشرق جيب ، فوضعه مع الجاحظ على صعيد واحد ، اذ كان التوحيدي معجباً بالجاحظ ومتبعاً له

وختم هذا الفصل المختصر بأن التوحيدي كان موسوعي المعرفة آخذاً من كل ثقافة معروفة في عصره بسبب ، ولم يجده فيلسوفاً اذ كان لا مذهب له في الفلسفة ، وانما كان يتناول اقوال الحكمة تناولا وكنت احب ان يتوسع المؤلف في المقارنة بينه وبين الجاحظ ليتميز التوحيدي في ادبه الخاص فلا يدور حول ابي عثمان ، وكنت اراه شخصية ادبية مستقلة ، وهي وان اخذت من الجاحظ كثيراً من صفاته لكن لها الى ذلك صورة خاصة بها تجعلها متميزة في مكانها من ادب العرب .

فللصديق الدكتور ابراهيم الكيلاني تهنئتي على ما صنع من اجل ابي حيان ، وكان عزيزاً عندي من الف فيه او تكلم عليه . ولعل صديقي الدكتور يقرأ لي في عدد قابل من مجلة « الاديب » حديثاً عن صاحبه التوحيدي كنت سجلته منذ عام على شريط في اذاعة الشرق الادنى .

دمشق — زكي المحاسني

عبقر

لشفيق معلوف – شعر – طبعة ثانية – حجم كبير ـ ورق فاخر ٣٤٣ صفحة ـ منشورات العصبة الاندلسية ـ سان باولو البرازيل

عبقر ، شعر باثني عشر نشيداً هي : في طريق عبقر ، الاله الناقص ، حسرة الروح ، نهر الغي ، وادي سجين ، الهوجل الهوبر ، حلم هراء ، حكمة الكهان ، ثورة البغايا ، العنقاء ، احاديث خرافة ، العبقريون .

وكتب هذه الاناشيد بخط جميل الشيخ حبيب مسعود .

وللكتاب مقدمة عن الاساطير العربية تقع في ١٣٦ صفحة تتناول : مقدمة عبقر ، تمهيد في علم الاساطير ثم عبادات الجاهلية ، عبادة النجوم ، عبادة الاشجار وتقديس الآبار والجبال ، عبادة الاصنام ، فخرافات الجاهلية ، عبقر والاماكن الخافية ، شياطين الشعر ، الابالس ومواطنها ، الجن ، الغيلان والسعالي ، الطيور الخرافية ، الكهانة والعرافة ، العرب البائدة . فمصادر المقدمة .

لسنا بحاجة الى تعريف صاحب عبقر الاستاذ شفيق معلوف او الاشارة الى ما لاقته عبقر من الشهرة والتقدير عند صدورها في طبعتها الاولى ولكننا نحب هنا ان ننوه بفضل الشاعر العبقري والاديب الكبير الاستاذ شفيق معلوف وما اسداه الى لغة الضاد وادب العرب وما بذله في هذا السبيل من روحه وماله فاذا ما ذكرت العصبة الاندلسية ومجلة العصبة ذكرت الاندلس الجديدة وفضل ادباء المهاجر على نهضة الادب العربي الحديث وتحرره .

ظهر حديثاً :

● كتاب « الاب شربل مخلوف بقعكفره حبيس محبسة ديرعنايا » لحضرة الكاتب الفاضل الاب انطونيوس شبلي اللبناني المعروف بدقته وسعة اطلاعه وقد جاء هذا الكتاب الشامل وثيقة تاريخية قيمة في ما شاع حول الراهب شربل والخوارق التي جرت باسمه في صيف هذا العام فيجد القارىء في الكتاب سيرة الراهب الفاضل وشهادات الشهود من اطباء ومرضى ..

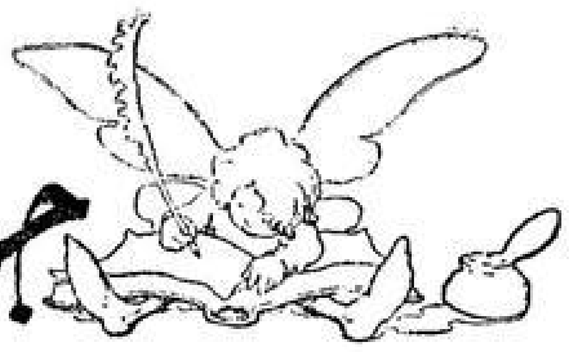
والكتاب مطبوع طبعاً انيقاً على ورق صقيل في حجم كبير ويطلب من « مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان » وثمنه ١٢٥ قرشاً لبنانياً ترصد لنفقات دعوى التطويب .

● « معتقل هاكستب » مذكرات ومفكرات للمجاهد العربي المعروف الاستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى في القاهرة والذي كان اعتقل بأمر عسكري في معتقل « هاكستب » .

يقع هذا الكتاب التاريخي القيم في ٦٨٠ صفحة من الحجم المتوسط على ورق صقيل طبع المطبعة العالمية بمصر .

وفي كلمة اهداء الكتاب للمؤلف الفاضل : « الى الذين اعتقلوني ثم الى الذين سعوا الافراج عني . واذا كنت قدمت المسيئين اولاً فلكونهم السبب في ظهور فضل اصحاب الفضل الذين ازعجهم حبسي ، فعفوا عن غضبهم لي وسخطهم على الظالمين بأن عملوا على اطلاقي وتهنئتي بعد خلاصي فلولا تلك الاساءة ما برزت تلك المكرمة .

اما الذين كانوا السبب في مصرع فلسطين ، ومسخوا الجامعة العربية ، فان حسابهم على التاريخ ، وعقابهم على الله . »



جولة الأديب في شهر

اهل الفن

الى مقهى « واق واق »

بقلم علي جميل الشوك

كان لحضوري في مجلس اولئك الشبان الحالمين الذين ينظرون الى مستقبلهم بعين تتخاطف امام عدستها اشباح الامل والطموح ، كان لحضوري شيء من التدخل والفضول، لانني لم اكن قد شاركتهم حديثهم ونقاشهم، بل اكتفيت بالاستماع الى كلامهم والى الموسيقى المسجلة التي اتحفنا بها الراديو والكرامافون .

هذا وقد اقول لك ان اشخاصاً كهؤلاء يزعجونني لان كلاً منهم يحاول ان يفرض شخصيته امام مقابليه ويعرض لهم كل ما عنده من معرفة وافكار كي يظهر لهم انه على اطلاع واسع وانه يتمتع بمعلومات فنية اكثر من غيره .. ولكنني لا انكر مقدار استمتاعي بأحاديثهم التي اغرتني وآنستني وبعثت في روحاً خفيفة لطيفة ، وكونت في دافعاً ملحاً للمطالعة الكثيرة والتزود بالمعلومات التي تبحث في الفن والادب والموسيقى .. ذلك الدافع الذي دفعني الى ان احلم بمجالستهم ومشاركتهم في ذلك المقهى الغريب الاسم !

ها أناذا انتقل بك ايها القارىء الى عالمهم الصغير الكبير ، وانقل اليك تسجيلاً لجلسة من جلساتهم الموقرة .

جواد — لقد قرأت امس لكي دي موباسان قصصاً قصيرة منها « جمال عقيم » و« الرقص » و« رسالة منتحر » و« الذئب » وغيرها ووجدت فيها متعة كبيرة .. ولا ابالغ بقولي ان العبقرية التي صبها دي موباسان في قصصه قد تجسمت في حينما تلاشيت في عالم تلك القصص البديعة الجميلة . ان قصص دي موباسان عالم منفرد بذاته . انه عالم يمثل الفن والجمال .. هل تعرفون ذلك الفنان العظيم؟ هل قرأتم له بعضاً من قصصه .. انني اسعد منكم حظاً . انني انفذ الى روح ذلك الفنان العظيم واتحسس الجمال الذي فيها . اسلوبه .. ماذا اقول، اسمعوا ما ساقرأ له من جمل .

ومد يده الى جيبه فلم يجد الورقة التي هم ان يخرجها ، وقال : آسف ! انني نسيت الورقة التي كتبت فيها بعضاً من الجمل التي وجدت فيها تعبيراً مختصراً لاسلوب وفلسفة دي موباسان . واستأنف وقال : اسلوبه واقعي طبيعي وفنه ذو صبغة غريبة ، وفلسفته بسيطة شفافة .

ذلك هو دي موباسان الشاب المتهالك ، والرجل المجنون .. ان قصة حياته تكفي بان تعطيكم صورة خالدة عن الفن، صورة اسنا بغنى عنها بتاتاً .. انني اكتفي بدي موباسان وحده .. خذوا الباقين لكم ، خذوهم .

يحيى — وهل لا نوافقك على هذا يا جواد ؟! وهل دي موباسان بالشيء القليل ؟ انه نبي من انبياء الفن ، انه روح الواقع وروح الطبيعة . يصور الاشياء العظيمة، عادية والعادية عظيمة، ويسلسل الافكار تسلسلاً لا طفرة فيه ولا عقدة ، ويتخيل ويبدع ابداعاً لا تكرار فيه ولا ركة .. انه بئر يتاح منه ماء يشفي غليل القراء ، ومنهل يستفيد منه الطامعون في كتابة القصة .. يكفيه فخراً ان يؤسس مدرسة عمارتها خالدة باقية .

عدنان — وكأن الفن والادب قد اقتصرا على صاحبكم القصاص . انني احترمه واجله وأجل فنه ، ولكنني اقف وقفة منصف مقدر .. هل تنسون ادكار الانبو ؟ هل تنسون بول بورجيه ؟ . : اميل زولا ؟؟ انه عبقري كبير .. لا . ابداً . انا لا احكم عاطفتي ورغائبي . انني احكم عقلي وتفكيري . أن التحيز لفنان اعجبني اسلوبه واعجبتني كتابته لان فيها تصويراً عن الحب والشهوات والملذات مثلاً ، امر لا يقره العقل ولا يعتبره حكماً علمياً منطقياً .

جواد — ولكنك لا تعرف دي موباسان ولا تعرف شيئاً عنه، وتحكم احكاماً من عندك .

يحيى — وماذا غير الشعور في الادب والفن يا عدنان ؟ . انك تحب اندريه تيريه مثلاً لانك تراه يعبر عن نفسك وعن

ميولك واهوائك . فمتى ما انعكست روح الكاتب على مرآة نفسك احببته وحلمت بعبقريته وشهرته . . فأني حينما اقرأ لدي موباسان اشعر كأني اعيد ما كتبته انا منذ ساعة !

جواد — هذا هو المجنون دي موباسان ، وهذه هي قصة «جمال عقيم» يكتبها وهو مريض، فكأن الفنون جنون والجنون فنون ، آراء فلسفية ، وصور فنية ، يتخللها وصف اخاذ وتعبير جميل : المرأة التي لا تريد ان تحبل ، وزوجها العصبي الفاتر ، والرجلان اللذان ابديا آراءهما في فلسفة الحياة الانسانية والحيوانية . . هل ترون في هؤلاء الممثلين من هو مجنون ، ان كان كذلك فليكن ادب الجنون اخلد الآداب . . ان قصة « جمال عقيم » لهي قصة الاسبوع . دعونا نبحثها ونتجادل فيها .

وفي هذه الاثناء دخل توفيق يدبك بجذائه ويهذي .

— الموسيقي . . انني اموت في عالمها . . كفاكم ثرثرة يا هؤلاء ، افتحوا الراديو واستمعوا الى جيلو كونسرت لدفوجاك من راديو لوندرة .

وقفز جواد الى الراديو وفتحه . ودفن رأسه بين كتفيه وكتفي الاريكة . . وساد الصمت . . وبدت حركة . وتلاه نبس شفتين . وتلاها جدل ، حول الموسيقي الكلاسيكية والموسيقى المودرن . . والبحث واسع ،والآراء مختلفة مضطربة، ذا يحب باخ ، وذا يحب بيتهوفن وفاكنر ، وآخر يحب سبليوز وشوستاكوفيتش .

كل يتكلم عن رأيه في الموسيقى وكيفية تذوقها واستساغة سماعها . وكل يتكلم عن الموسيقي الذي يعجب به ويفضله على باقي الموسيقيين ، فجواد معجب بباخ، وبأسلوبه الكلاسيكي الروحاني، وقد حكى لنا قصصاً طريفة عنه وعن عاداته ، مما جعلنا نتأمل في عالم الروحانيات والدين ونتعمق في اغوار الفلسفة والتفكير . . ويحيى اعجبه بيتهوفن مؤلف السانفونيات الشهيرة . . انه يتحدى آراء الكل ويتحمس لاستاذه حماساً شديداً ، ويرقيه مقام الآلهة . وقد قال : ان الكورس في السانفونية التاسعة ما هو الا لحن انزله وحي من السماء كي يتغنى به البشر كما كانت تتغنى به الملائكة، اما عدنان صويحبنا المتأثر بالفن الحديث فقد نراه يتطرف بتجديديته والحاحه على نكران الفن القديم الذي طالما استخف به وبمثليه الفنانين الخالدين . كان يقول : ان الموسيقى الحديثة لهي غاية ما وصل اليه الفن من تقدم ورقي ، ان الاسلوب والتسلسل المفاجيء الغريب ، انه مفاجيء غريب لان فيه قفزات تحاكي وثائل قفزات افكارنا المضطربة المصطخبة ، انهما كل ما في الفن من ابداع . . وهل في الفن غير الابداع والاسلوب ؟؟ ان الموسيقيين الحديثين مثل سترفينسكي وسبليوز وشوستاكوفيتش ذوو اساليب جميلة بديعة . . وقد ترونني معجباً كل الاعجاب بسترافينسكي لان اسلوبه يروقني كثيراً . هذا وقد جمعت له كل ما تيسر لي الحصول من تسجيل ونوتات .

على ان كلام عدنان كان فاتحة لجدل طويل : الكلاسيكيون والرومانتيكيون من جانب — ولا ادري كيف اتفقوا وتفاهموا؟ — والمودرن التجدديون من جانب آخر .

جواد — ومن هو سترافينسكي حتى تعتبره استاذاً للفن والموسيقى ؟؟ . ولكن قبل هذا قل لي بمن تعجب من الفنانين عدا سترافينسكي ؟

عدنان — اعجب ببيكاسو وبول فاليري وغيرهما .

جواد — تقصد الفنانين المودرن . لا خوف عليك ما دمت تحتمي بفنانين يعاصرونك ؟!

عدنان — وهذا مما يشجعني على شن الحرب عليك وعلى الكلاسيكيين الجامدين !!

يحيى — ما دمت تفاخرنا بتجدديتك وانطلاقك من القديم البالي ، اسمعنا او أرنا شيئاً مما تفاخر به .

عدنان — سأقرأ لكم اذا شئتم اسطراً قليلة كتبتها منذ يومين.

يحيى « ملتفتاً الى جواد وتوفيق » :وتلك عين المصيبة وعين الورطه . . اسمعنا يا عدنان . . اسمعنا .

عدنان — على انني اقرأ هذه كي تبدوا آراءكم فيها أيضاً . .

واخذ يقرأ :

الا تدري يا صديقي ؟ لقد سرت في الشارع . . نعم سرت . . هل انه شيء قليل ؟؟ ابداً . . ولكن لماذا تعجبون لكلامي ؟ وتنظرون الي ؟؟ انكم ترون شيئاً غريباً . . قولوه ان كان شاذاً . سرت في الشارع ، وتفرجت على المارة ، ووقفت على عتبات الحوانيت ، واشتريت شيئاً . . هل في ذلك ما هو بالقليل ؟ ؟

لا تحسدني يا صديقي ، انني سعيد . أن اتخطى في الشارع واهز يدي بحاذاة خاصرتي ، والتفت هنا وهناك ، امر قد تتصوره شاذاً ، او قد تتصوره بسيطاً . . آه . ماذا اقول ؟ انني مغتبط . الشارع مكتظ ، والترامات غاصة ، والباعة يتجولون، و . . وماذا ؟ الا يكفي هذا ؟؟ ناس ، وترامات ، وباعة . ؟ انني ابث بكل ما في جوانحي من غبطة .

لا تضحك يا صديقي . لا تضحك من كلامي .. انني لست هزءاً ولست سخرية .. لا تكن قاسياً . لا تكونوا قساة .. اوه .. انكم الاصدقاء لا تعرفون شيئاً من مبادلة العواطف .

ولكن شيئاً .. شيئاً واحداً شككت فيه ، وفكرت فيه طويلاً ، ولا يزال يشغل بالي . انه الناس! الناس الذين ينظرون الي .. لماذا لا اعجب لامرهم؟ اليست المسألة هامة؟ معقدة؟قل لي . انني حائر .. أوه ما اضجرك يا صديقي . انك تفتح فمك دهشاً أفي المسألة حيرة؟؟هل انها عويصة؟؟هل انها تحتاج الى تفكير وتأمل؟؟

وبهت الكل لهذا الكلام .. انهم لا يفهمون منه شيئاً ! !

ولكن توفيقاً وقف لحاله وقال : لا . لا يا عدنان . لا تقفز قفزات كهذي .. انك حاولت ان تجعل الشيء التافه عظيما ، ولكنك فشلت بمسعاك .. بينما حاولت انا عكس هذا . واظنني قد وفقت فيه ، ولا ادري كيف اتفقنا ، وكيف وقفنا على قطبي هذا المجال... لقد كتبت منذ اسبوع صفحتين ، ولا ادري لماذا كتبتها، على انني حينما كنت منكباً على كتاب الفيزياء احاول العبث في حل بعض المسائل خطر على بالي شيء تافه ، خطر على بالي ان امزق الورقة وامزق الكتاب وارمي بنفسي في الفراش متحدياً الامتحان .. وتطورت هذه الفكرة في دماغي وصارت قصة !

والتفت الى الباقين وقال: هل سمحتم لي بدقيقتين كي آتي بالورقة واقرأ لكم القصة؟ .وذهب الى بيته المجاور وأتى بقصته واخذ يقرأ:

هل يقدر لي ان احشر نفسي مع الذين يكتبون ؟ واكتب للقراء ما يعجبهم وما يفوق اعجابهم ؟؟ حاشا للفن ، وحاشا للادب ان امسك القلم واخط به حروفاً وكلمات تعطي معنى منسجماً متسلسلاً، مسألة فيها صعوبة علاوة على ما فيها من جرأة واقدام .. اننا معشر الفضوليين نطمح ونطمع في الكتابة ، ولكن أنى لنا من توافق وسبك وتسلسل ؟؟

اسمعني ايها القارىء اتكلم عن نفسي : انني شخص افكاره مضطربة ، وتأملاته طالما كانت عميقة ، ونظراته حساسة شاعرية، واذواقه تستطيع ان تعرف عنها من حديثه .. وثمت شيء أحب ان اذكره لك .. انني اخجل يا صديقي من كتابته : .. كل شيء في جميل !! لا تعجب من كلامي هذا فاني محب للصراحة والمفاتحة .. هل من عيب ؟هل من خجل في ذكر هذا التصريح؟

على انك قد تسألني :لماذا يا ترى كل شيء فيك جميل ؟ ! سؤال تنزح فيه ، ولا تدري ان صاحبك قد يزعجه ويحيره الحاحك هذا ! كل شيء في جميل .. ألست اقرأ الكتب ؟ واي الكتب؟ الادبية التي تبحث في الفن والنقد والتراجم والشخصيات .. الست اتفرج على الصور ؟؟ الست استمع الى الموسيقى ؟ الى السانفوني؟ الى الكونسرت ؟ الست اغيب عن الابصار ، اغيب بعيداً بعيداً محلقاً في اجواء من الدخان ،مطارداً عبارة او نبرة او فقرة موسيقية؟ هناك حيث المخدرات والمنومات اجد لنفسي مرتعها وخصبها .. هناك حيث الاحلام واللهو والعبث .

هل رأيتني يا صديقي مرة انظر الى صورة كبيرة معلقة على جدار في غرفة احد الاصدقاء؟ هل رأيتني امزق الصورة كالمجنون؟ الصورة التي بكيتها اسبوعاً واضربت خلال هذه المدة عن العمل وعن الدرس ، وتخاصمت مع صديقي لانه علق هذه الصورة امامي فكانت المصيبة وكان التمزيق .

كانت صورة جميلة ، صورة مثلت الفن وتخليد الفن . صورة طبعت في نفسي أثراً لن أنساه .

فكرتها مسروقة . مسروقة مني !! ان الفنان .. لا ادري ماذا اقول .. انه سرقها مني ووضعها بأسلوبه الخاص .. ولكن لا .. اظن في المسألة توارد خواطر!

على انني رغم هذا اعترف بجمال روح وخلق الفنان الذي رسم هذه الصورة . انظر كيف صور بيتهوفن .. ولكن هل يستطيع قلمي المتزحلق المتعثر ان يصف صورة كهذه ؟؟ اسمعني على كل حال : وقف بيتهوفن وقفة فيها انحناءة الى الامام ، وقد امسك بكمانه وبقوسها ، واطبق صفحة وجهه اليسرى على خشبة الكمان وقد تناثر شعره تناثراً يختلف عن تناثره حينما يعزف على البيانو . وملابسه التي بواسطتها تعرف شخصية لابسها وتحزر انه من اولئك الذين عاشوا في القرن التاسع عشر . .ملابسه، ما بها؟؟ لست ادري! «ضحك الجمع ضحكة تعبر عن سرورهم واستئناسهم لكلامه الغريب».

واستأنف : وامامك — اي وسط الصورة — رأس صغير تشير قسماته وتقاطيعه الى انه هو هو بيتهوفن . .اليس يكفي الصورة جمالا ان يتوسطها رأس بيتهوفن ؟ ! ان بيتهوفن عبقري تنبأ به الكون منذ اجيال .

وهناك ، حيث زاوية الصورة اليسرى ، هناك انا و..هي !! انا بلحيتي الخفيفة الجميلة وبهيئتي التي قد تراها في الصورة ، وهي التي لا يظهر منها سوى عينيها الجميلتين المتألقتين، وشعرها المتناثر المشتبك، اما عن هيئتها فهيئة لا ارغب في وصفها . . كانت ملتصقة بي، تبدو وكأنها قد التحفتني آوية الي خوفاً من جبروت بيتهوفن وسلطانه ! وثمت رجال ثلاثة ، لا ادري هل كانوا قد تطفلوا او حشروا

انفسهم معنا ، ام كانوا هم سفراء الفنان حضروا ليمثلوا دولته في عالمنا الجميل ؟ . احدهم ، ودخان سيكاره قد ملأ جو الغرفة ، متكىء بالجدار وكأن الجدار متكىء به . والآخر جالس جنبها لم يدر بوجودنا ولم يدر هل كان هو نفسه موجوداً ام لا ، جالس وكأن لحن العازف قد طرش اذنيه وعمي عينيه ، فجعله يلطم وجهه واذنيه بكفيه لطماً مؤذياً مؤلماً !! . والثالث جثة هامدة على الاريكة .

نسيت العازف على البيانو الذي كان على عاتقه ان يملأ جو الغرفة فوضى وضجيجاً ! على ان هذا لم يكن الشيء المقصود . . لم يكن الحاضرون من «هي» و«انا» والسفراء الثلاثة ، والعازفين الاثنين ، لم يكونوا سبب تمزيق الصورة . هل سأضحكم اذا قلت لكم السبب الحقيقي . انه الشهوة ! الشهوة التهبت لها كل حواسي . . ولكن عجباً لي . . ماذا اقصد ؟؟

شعرت برعشة مواتية تلتها رغبة مستعجلة ملحة في تمزيق الصورة!

ولك ايها القارىء ان تضحك لهذا او تستغرب له او تنظر اليه بنظرتي انا ولكنك ستلومني على تصرفي الشائن امام بيتهوفن العظيم وامام الرسام المسكين !

وبعد ان انتهى توفيق من قراءة قصته قال : كيف هي ؟ ما رأيكم ؟ جواد — انها قصة جميلة لولا شيء من الاضطراب.

يحيى — لم يعجبني شيء منها سوى الفات نظرك السامع !

عدنان — اعجبني اضطرابك وتنقلك يا توفيق .

وهكذا ، فقد احسست من اغفاءتي الطويلة ، وتمصرت ونهضت ويممت وجهي شطر البيت متمتماً كلمات نسيتها في حينها! اما الصحب فقد بقوا يتجاذبون اطراف احاديثهم!

علي جميل الشوك

من ذكريات فوزي القاوقجي

في عام ١٩٣٦ عندما كانت ثورة المجاهدين العرب في فلسطين ، وكانت القوات البريطانية هناك تحاول ان تخمدها بقوة النار والحديد فتذهب محاولاتها عبثاً كان فوزي القاوقجي يتولى قيادة الثوار بعزم يفل الحديد ، وقلب لا يعرف الخوف .

ففي احدى الليالي اشتبك الثوار بقيادة زعيمهم مع فرقة بريطانية مسلحة بالمدافع والدبابات والطائرات ، وكان بين رجال القاوقجي جندي في نحو الخمسين من عمره حاول ان ينقذ جريحاً سقط تحت اقدام المتقاتلين فنجح في محاولته غير انه اصيب بعدة رصاصات اردته قتيلاً .

وقد ترك الشيخ الشهيد زوجة وابناً ، وكان الابن في الخامسة عشرة من عمره ، فاعتزم ان يأخذ بثأر ابيه ولكن لما لم تكن لديه بندقية فقد راح يتوسل لوالدته لتبتاع له بندقية وقد عارضت بادىء الامر بشدة ، الا ان الابن ظل يلح عليها حتى لانت اخيراً فاشترت له بندقية وسيفاً بما بلغ من المال كانت تدخره لتزوجه به ومضى الابن فرحاً . . وكان هذا آخر عهد والدته به فانه لم يعد ثانية فقد سقط في اول معركة .

وتوالت الأيام وصارت المعارك بين الثوار والجنود البريطانيين متصلة الحلقات ، وفي احدى المواقع الحامية الرهيبة لاحظ الثوار ان بينهم فارساً ملثما يقحم نفسه في اشد المواقع خطراً كأنما يطلب الموت .

وانهى بعض الجنود الى زعيمهم القاوقجي امر هذا الفارس المجهول فخشي ان يكون هذا المقاتل مدسوساً عليهم واعتزم ان يكشف سره ويعلم حقيقة امره .

وفي احدى الليالي وقد عاد الثوار الى معسكرهم خائري القوى لكثرة ما بذلوا من جهد في مهاجمة الموت ، ظل القاوقجي يرقب الفارس الملثم ، حتى رآه يحاول ان يتوارى في بقعة نائية ، فاقتفى اثره دون ان يشعره بذلك ، حتى اذا هم ان يحط رحاله في مكان منعزل ، وقف القاوقجي على رأسه وحياه ، فرد التحية بصوت خافت ، وعندئذ قال له :

اني اهنئك يا ابن العرب على شجاعتك النادرة وجسارتك الفائقة.

فتمتم الفارس بكلمات غير مفهومة وعاد القاوقجي يقول له :

ولكن الا ينبغي لي باعتباري قائد هذه الحملة ان اعرف رجالي؟

قال له ، استحلفك بالله يا سيدي ان تدعني . . انا مجاهد مجهول ، واحب ان ابقى مجهولا حتى القى حتفي .

وكانت لهجته تنم عن حزن عميق ، مما اثار فضول القاوقجي فقال له ، اذا كنت تؤثر ان تكون مجهولا فلن ابوح بسرك . . ولكني يجب ان اعرف شخصك ، يجب ان تكون الثقة متبادلة بين القائد وجنوده .

وما زال القاوقجي يضيق الخناق على الفارس حتى اسقط في يده فقال ، ما دمت مصراً على معرفة شخصي فها انذا .

ونزع الفارس لثامه . . واذا بالقاوقجي يهب واقفاً وقد عقلت الدهشة لسانه . لقد كان الفارس الملثم امرأة . . هي قرينة ذاك المجاهد الشيخ ووالدة ذاك الفتى اليافع الشهيد .

« المضحك المبكي »

أنباء العالم في شهر

٢٤ اكتوبر ١٩٥٠ – خطب فيشنسكي وزير الخارجية الروسية في اللجنة السياسية الدولية واصفاً استخدام القنابل الذرية بالعمل المخجل واتهام بيفن ان روسيا تعمل لاحتلال اوربا الغربية بالقول الهراء وقال ان رائحة البارود تعود للجيش الالماني الجديد .

– خطب الرئيس ترومان في جمعية الامم المتحدة فقال ان الامم المتحدة تمثل فكرة معنوية ارفع من مصالح الدول وبان امريكا مستعدة للمفاوضة من اجل انقاذ السلام وقد اعلن عن شروط امريكا لنزع التسلح العالمي ثم قال تسلحوا واستعدوا فالقوة وحدها تضمن السلم الآن .

٢٥ – صدرت الاوامر الى قوى الامم المتحدة في كوريا بالزحف حتى حدود منشوريا .

٢٦ – بلغت قوات كوريا الجنوبية حدود منشوريا وقد انزلت قوات الامم المتحدة ٥٠ الف جندي في « ونسان » على الشاطىء الغربي .

– اكدت البرافدا اليوم الانباء التي اذيعت بان الامر قد صدر الى القوات الشيوعية الصينية باحتلال التبت .

٢٧ – استأنفت بضراوة قوات كوريا الشمالية مقاومتها لزحف قوات الامم المتحدة فاستنجدت هذه بالطيران .

– ارسلت الحكومة الهندية مذكرة الى حكومة الصين الشعبية ابدت فيها دهشتها واسفها للاوامر الصادرة بالزحف على التبت .

٢٨ – قال فيشنسكي وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في جلسة اللجنة السياسية لهيئة الامم : ان القنابل سترد على القنابل اذا كانت الولايات المتحدة تريد ان تشن غارة ذرية على موسكو .

٢٩ – توفي غوستاف ملك اسوج وارتقى العرش نجله الامير غوستاف ادولف .

٣١ – مددت الجمعية العمومية لهيئة الامم لتريغفلي الامين العام ثلاث سنوات . وصرح فيشنسكي بان الاتحاد السوفياتي لا يعترف بتريغفلي .

اول نوفمبر ١٩٥٠ – وقف الزحف الاميركي على سينوبجي في كوريا وتراجع الجنوبيون ١٥ كيلومترا في الشمال الشرقي امام القوات الشمالية التي تقوم بهجوم معاكس .

– جرت محاولة لاغتيال الرئيس ترومن بان حاول رجلان مسلحان دخول مسكن الرئيس بالقوة وقد اسفر الحادث عن مقتل واحد واصابة اربعة بجراح خطرة .

٢ – تتراجع قوات الامم المتحدة امام هجوم الشاليين المعاكس في كوريا وقد حدث هذا التبدل الفجائي بعد ظهور قوات شمالية حديثة في عتادها وطائراتها الصاروخية .

٣ – الهجوم الشمالي الكبير في كوريا مستمر والحالة ما تزال خطيرة بالنسبة لجيوش الامم المتحدة وقد طوق الشماليون افواجاً جديدة وانسحب الجنوبيون ٢٥ كيلومترا .

٤ – اكد الجيش الثامن اليوم في كوريا الشمالية ان قوات شيوعية صينية قبلغ فرقتين مشتركة في المعركة . ويشتد الهجوم الشمالي العام في الشرق والغرب .

٦ – ابلغ الجنرال ماك ارثر مجلس الامن الدولي نبأ اشتراك القوات الصينية بالحرب الكورية .

٨ – عقد مجلس الامن الدولي جلسته الاولى لدرس المساعدة الصينية لكوريا .

– اسفرت نتائج الانتخابات في الولايات المتحدة عن فوز ضئيل للحزب الديموقراطي على الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ والنواب واما في انتخابات الوظائف الادارية الكبرى فقد فاز الحزب الجمهوري .

٩ – اعلن الماريشال تيتو بان يوغسلافيا ستتقيد باي قرار تتخذه الامم المتحدة اذا اعتبرت الصين دولة معتدية . وقد تضع يوغسلافيا قريباً وحدة من قواتها تحت تصرف الامم المتحدة .

– اذيع في المقر العام للجنرال ماك ارثر ان القوات الصينية ما تزال تعبر حدود منشوريا ويقدر عدد جنود الصين الآن في كوريا بستين الفاً .

١٠ – ما تزال الجبهة الكورية تتمخض بالمعركة لمنع هجوم شمالي مركز وقد تقدمت القوات الاميركية بعض الشيء .

١٢ – رفضت الصين الدعوة التي وجهتها اليها هيئة الامم المتحدة لحضور مناقشات مجلس الامن بشأن تدخل قواتها في القتال بكوريا .

١٤ – اعتقل الجنرال اورينا الرئيس شالبو رئيس الحكومة في فنزويلا ثم قتله بعد تعذيبه . وقد اعتقل الجنرال اوربينا .

– صدرت الاوامر للقوات الاميركية في المانيا بان تكون « على اهبة الاستعداد لمواجهة احتمال اي عدوان مسلح جديد تقوم به الشيوعية الدولية » .

١٥ – اكد الجنرال ماك ارثر ببلاغه انسحاب القوات الشيوعية في الجبهة الكورية الغربية انسحاباً عاماً نحو الشمال الغربي باتجاه حدود منشوريا .

١٦ – اتخذ مجلس الوزراء الايراني قراراً اعلن فيه ان موقف ايران الرسمي هو الحياد في الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والدول الغربية .

١٧ – خطب المستر اتشيسون ناظر الخارجية الاميركية قائلاً : لا مطمع لاميركا في منشوريا وقوات الامم المتحدة لن تمس الصين اما اذا تابعت الصين عملها الخطر في كوريا فسوف تقاوم ذلك بقوة . ونرجو الا يحدث ذلك لانه سيؤدي الى كارثة عظيمة . ثم وجه انذاره الى الصين باجتناب توسيع نطاق حرب كوريا والا اقدمت الولايات المتحدة على اتخاذ التدابير اللازمة ولو ادى ذلك الى حرب عالمية .

١٨ – وافقت الجمعية العمومية لهيئة الامم على المشروع القاضي بان يكون لليبيا جمعية وطنية « برلمان » في موعد لا يتجاوز مطلع السنة القادمة وحكومة شرعية في مهلة لا تتعدى ابريل ١٩٥١ .

١٩ – قال الرئيس ترومان في تصريح له : انني اعلن على رؤوس الاشهاد ان امريكا لا تبيت نيات عدوانية للصين وانها ستتخذ كل التدابير اللازمة لمنع امتداد الحرب الى ما وراء حدود كوريا .

٢٠ – بعث الرئيس ترومن الى الكونغرس رسالة جاء فيها : ان تيتو يملك اقوى جيش في اوروبا باستثناء جيش الاتحاد السوفياتي فهو يشكل عاملاً هاماً للدفاع عن اوروبا الغربية واعلن ان الحكومة تنوي ارسال المساعدة المباشرة والعاجلة الى يوغوسلافيا

٢١ – من اخبار الجبهة في كوريا ان قوات الامم المتحدة تتقدم هذين اليومين في بعض القطاعات وهي تلاقي مقاومة متفاوتة بالقوة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد الكارثة

•

الآن ... وقد وصلت حالة العرب الى ما وصلت اليه من اخفاق في الحرب وخذلان في دوائر هيأة الامم المتحدة ومن ضياع لحيتهم وجرح لكبريائهم وامتهان لكرامتهم من الكارثة التي حلت بهم في فلسطين، اصبح فرضاً محتوماً على المسؤولين ان يدرسوا عوامل هذه الكارثة والاساليب التي اتبعها العرب وادت الى الخسران المبين في ميادين الحرب والسياسة لينتهجوا نهجاً جديدا ويسيروا في كفاحهم على اسس جديدة من تجنب للاخطاء التي وقعت وتغيير للاساليب التي اتبعت وادخال العلم في سائر مرافق الحياة والعناية بالدفاع وشؤونه .

لقد ابانت الكارثة ان الاساليب التي سار عليها العرب في جهادهم ارتجالية ينقصها العلم والرقم ويعوزها التنظم والهدف فكانت الهزيمة التي مُني بها العرب اجمعين في السياسة والحرب . وهي نتيجة حتمية لتلك الاساليب . وليس غريباً ان تكون النتيجة هزيمة وانكساراً ، بل الغريب ان لا تكون كذلك. ذلك لان العرب لم يكونوا يملكون من ادوات النصر شيئاً بل في واقع الامر كانت اسباب الكارثة مهيأة عندهم ولديهم ادواتها من جهل وغرور وفوضى وارتجال.

والعرب .. الآن .. وقد بدأت سحب الذهول التي خيمت عليهم تزول والضغط الذي ران على عقولهم وقلوبهم يضمحل ويتلاشى – اصبحوا يفكرون في نقطة الابتداء وكيف تكون ، وفي اي اتجاه يجب ان نتحرك ؟ .

وفي رأيي ان تكون نقطة الابتداء ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العلمي والعقلي وفي الآخر الاعداد المعنوي والنفسي.

اما الاعداد العقلي فيقوم على بعث النزعات الارتقائية والشهوات التطورية والايمان بالاسلوب العلمي والرقم واذاعة الثقافة الصناعية والزراعية لينشأ جيل يؤمن بالتقدم والنمو وبرسالته في الحياة وقابلياته في الانتاج والابداع ويعرف كيف يستغل تربة بلاده وما في بطونها من كنوز وخيرات .

ان اولى واجبات الدول العربية ان توجه جل اهتمامها وجهودها الى العلم ونشر التعليم والروح العلمية فخلاصها يقوم على ذلك. ولن يشاد كيانها في هذا العالم المتحرك الا اذا اتبعت اسلوبه وتشبعت بروحه واذاعت رسالته .

وعلى الدول ان تعنى بالبحث العلمي وتشجيع الدراسات العلمية وانشاء مجلس اعلى للابحاث العلمية . وعلى المسؤولين ان يمدوه بالاموال وان يسهلوا له الحصول على ما يحتاجه من ادوات وآلات فهو الذي يعبر الطريق لاستغلال امكانيات البلاد وهو الذي يوجه الصناعة التوجيه العلمي المثمر ويرشد الى انتخاب افضل الوسائل لاستخدام القوى الطبيعية وتسخيرها لخدمة المجموع فتنمو الثروة القومية وتزداد المواد فيعم البلاد الخيرات ويرتفع مستوى المعيشة فيها ويقضى على الفقر والجهل والمرض .

ونترك الاعداد العقلي ونلتفت الى الاعداد المعنوي والنفسي الذي اشرنا اليه في اول المقال .

على المسؤولين والهيئات في سائر الديار الاهتمام بالاعداد المعنوي والنفسي بتوجيه الامة لقبول الحرمان والتضحية بكل ما تملك في سبيل الخلاص. والامة التي ترضى بالهوان يعصف فيها والمصائب تنصب عليها ليست جديرة بالحياة بل ان مصيرها الاضمحلال والانهيار .

والامة التي لا تتحرك لما ينتابها من رزايا وتقف جامدة امام الاحداث وعوامل الفناء لن تقوم لها قائمة وهي تحفر قبرها لنفسها بنفسها وتمهد لزوالها من الوجود كجماعة ذات رسالة وكرامة .

والعرب .. وقد اصابهم ما اصابهم في كارثة فلسطين عليهم ان يتحركوا وان لا يقبلوا ما حل بساحتهم اذا ارادوا حياة وكياناً . واصبح من المحتوم على المفكرين والمثقفين ان يعملوا على تجنيد الامة نفسياً وعقلياً لمعركة الحياة .

لقد آن للعرب ان يدركوا ان الاستقلال والحياة الكريمة في هذا العالم لا تأتي عفواً ومن دون ثمن فلهذه مقدمات وتمهيدات تقوم على الاعداد العلمي والعقلي والاعداد المعنوي والنفسي وعلى الحرمان وعلى الايمان بحق الحياة . وهم لا يستطيعون المحافظة على كيانهم وكرامتهم الا اذا وطنوا انفسهم على الحرمان من كثير من الكماليات والاكتفاء بالضروريات .وها هم الانكليز قد اتقنوا صناعة الحرمان واعتنقوها مذهباً حين شعروا ان كيانهم الاقتصادي مهدد ، وان هذا الكيان لا يشاد الا على حساب الكماليات فكيف بنا وكياننا (كموجودات) معرض للفناء والابادة .

لهذا فمن اوجب الواجبات على المفكرين واصحاب الامر في البلاد العربية ان يستعدوا للمستقبل وان يقوموا بحشد العقول والمواهب وتوجيهها توجيهاً سليما مثمرا جاعلين نقطة ابتداء كفاحهم ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العقلي وفي الآخر الاعداد النفسي والحرمان . فتبذل الاموال وتوجه الجهود الى التعليم ومزج العلم واسلوبه في الحياة في سائر مرافقها والدعوة الى الحرمان والتدريب العسكري في المعاهد والمدارس وفي المدن والقرى وتجنيد الامكانيات والقابليات في سبيل الخلاص ومقاومة عوامل الفناء وتحقيق رسالة الحياة .

واخيراً اقول: ان العلم والاسلوب العلمي والحرمان والايمان بحق الحياة، هي الاركان التي يقوم عليها الخلاص والكرامة والكيان. هذا ما يجب ان يتفهمه العرب ويؤمنوا به ويعملوا على تحقيقه في سائر الديار والامصار .

نابلس — قدري حافظ طوقان

الذروة في الادب والفن

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذروة او ما يسمى في الانكليزية Climax ، في الفن والادب، تكاد تكون من مخترعات الاوروبيين فالموسيقى والرواية والشعر والمسرحية، كلها تبنى على قاعدة كادت تصبح من البديهيات ، وهي ان عناصر القطعة الفنيـة يجب ان تكون متفرقة متباعدة في اول الامر ، ثم تتقـارب وبعد ذلك تصطرع ، ثم تبلغ الذروة من العنف : وعندها تنحـل الازمة ، ويعقبها هبوط او سلام يؤدي الى النهاية .

والذروة في اختبار الانسان شيء مألوف ، بل امر غريزي في بعض الاحيان . والاورغزم الجنسي اوضح مثل على ذلك ، لانه ذروة العاطفة على اعنف مـا تكون ، وهي ذروة تؤدي الى الاسترخاء والراحة. كما ان انفجار الغضب يمثل ذلك ايضاً، وبخاصة اذا وقع بعد استفزاز بطيء ملح، وهو قد ينتهي الى نتائج مزعجة، ولكنهـا نتائج يتلوها دائماً الشعور بالهبوط . والذروة في الكتابة الابداعية والموسيقى هي في شبه الذروة الجنسيـة والذروة الانفعـالية بالضبط ، ولذلك يجد المرء فيها لذة لانها، وان تكن فنية ، انعكاس لميل متأصل في النفس .

ونحن اذا نظرنا الى مظاهر الذروة العاطفية وجدنا انها تقارب النشوة ، فيكاد يصبح المرء وهو يعانيها لا شعورياً ، وقد يتفوه بكلام لم يقصد ان يقوله . فاذا ما تخطى الذروة وهبط ، فانه لا يشعر بتراخ غريب في جسمه فحسب بل في ذهنه ايضاً، وقد يعقب ذلك عند بعض الناس بكاء او ضحك لا يملكون في انفسهم له دفعاً .

وقد تطورت الفنون الاوروبية بأساليبها ، وكانت نهـاية التطور في معظمها ان امست مبنية على شكل تصاعدي نحو العنف له ذروة نهائية هي ، كما قلت ، انعكاس للنهـاية الانفعالية في الانسان . ولذلك كلما كانت اهداف التعبير اقرب الى تصوير العاطفة الفردية ، كان التركيب الفني اقرب الى شكل الذروة . غير ان العجيب هو ان هذا « التركيب الذروي » لم يوجد (الا في حالات شاذة) في الفنون العربية حتى الايام الاخيرة — حين جعل الادباء والفنانون العرب يتطلعون الى الغرب في اساليبهم .

خذ الموسيقى مثلاً : ان موسيقى المقامات الشرقية (حين تعزف بدون غناء) وموسيقى «التقاسيم» نجد لها مقابلاً في الابداع الاوربي في الموسيقى المؤلفة قبل اواسط القرن الثامن عشر . فموسيقى باخ وفيفالدي وبالسترينا مع تعقدها تبنى على قواعد فيها شبه شديد بقواعد الموسيقى الشرقية : فالقـاعدة الرئيسية في كلتيهما هي التكرار والتوالي حسب « مقام » معين (Mode) . غير ان الموسيقى الاوروبية تمتاز عن الشرقية بكونها « بوليفونية » — اي متعددة الانغام في نفس الوقت ؛ فيكون هناك على الاقل نغمان — او ثلاثة او اربعة — يعزفان متوازيين ، حسب اصول معينة ، فتكون النتيجة انسجاماً رائعاً يكسب الموسيقى عمقاً لا تعرفـه الموسيقى الشرقية ، كما انه يوجد فيها امكانيات للتعبير هي في الواقـع معدومة في المقامات وغيرها من موسيقـانا ، لان الاخيرة منفردة النغم ، تعزف الآلات المختلفة فيها نفس اللحن، فتكون كالجدول الرقراق الذي يشف عن مجراه ، بينما تشعر ان موسيقى باخ ومن سبقوه كالنهر العميق يتهاوى احياناً فوق الصخور واحياناً كالبحر الزاخر . وكلما دنونا من القرن التاسع عشر اقتربت الاشكال الموسيقية من التركيب الذروي: فنجد ان الذروة تتضح شيئاً فشيئاً في موسيقى هايدن وموتسارت وفي مؤلفات بيتهوفن الباكرة، الى ان تتخذ شكلها الثابت في موسيقى بيتهوفن النـاضجة (مثلاً في السيمفونية الخامسة فما بعد ، والكونشرتو للبيانو الثالثة فما بعد).

وهذا امر جدير بالملاحظة . ففي اواخر القرن الثامن عشر ، واثناء القرن التاسع عشر برمته ، اصبحت العاطفة الفردية الملهم الاكبر في الفن، وانصرف المبدعون عن القوانين والقواعد التي كان الكلاسيكيون يحتمون على انفسهم طاعتها ، لكي يغدو الفن الجديد مرآة للروح الثائرة الجديدة التي اوجدتها حينئذ الظروف الاقتصادية والسياسية. فكما نادت الثورة الفرنسية بحقوق «الانسان» هكذا طالب الموسيقيون والشعراء بحقوق « النفس البشرية » : فجعلوا ابداعهم صورة عن أنفسهم وما يخالجها من اضطراب وتحد للآلهة وصراع مع الاقدار ولذلك فليس من الغريب ان يكون الهدف الجديد في البناء الموسيقي هو الذروة، التي تمثل نهاية العنف، وسورة الكفاح ، واحياناً غاية اليأس .

فموسيقى القرن التاسع عشر في جميع اقطار اوروبا ليست الا موسيقى الذروة ، وبدونها لا تكاد توجد . انظر — عدا بيتهوفن — موسيقى برامز الالماني (وهو في سمفونياته الاربع امهر من بنى ذروة رائعة) وبرليوز الفرنسي (وسمفونيته الفانتزية Synphonic Phantastique توضح بقصتها ما قلته سابقاً) وشوبان البولندي ، وليست المجري ، وتشايكوفسكي الروسي ، وكثيرين غيرهم .

وهذه الفترة هي في الواقع الفترة الرومانسية : وانطلاق العواطف والتحامها ثم انتصارها اوتحطمها هي في الواقع من مبادىء الرومانسيين . ولكي يضفوا على هذه الفوضى الانفعالية شكلاً فنياً ، قالوا بوجوب فرض « وحدة » نهائية عليها — والذروة هي الرباط الذي يربط في الختام العناصر المتفرقة في وحدة فنية .

اما في الموسيقى الشرقية ، فما زالت القاعدة هي النغم الواحد والتكرار والتوالي . ولعل المرء يلاحظ ان الموسيقى التي تعزف في الملاهي — لكي ترافق راقصة ترقص على ايقاعها — تتسارع عندما تقارب النهاية كي تشتد الراقصة في حركاتها التي تومىء بصراحة فاضحه الى حركات الجماع الجنسي . ولكنها مع ذلك خالية من الذروة الفنية من حيث التركيب الموسيقي نفسه ، لان السرعة الشديدة في الختام لا توحي بعنف او صراع عاطفي .

والموسيقى الشرقية تشيع فيها — من الناحية الفنية — نفس الروح التي نراها في القصة العربية على احسن ما نعرفها : حكايات الف ليلة وليلة . ففي هذه الحكايات ايضاً قلما نجد ما نستطيع ان نطلق عليه كلمة الذروة بالمعنى الحديث ، فالحوادث تتلاحق دون ان تتركب الواحدة على الاخرى . اي ان الحوادث في كل قصة لا تنمو نمواً عضوياً متماسكاً ، بحيث تكون النهاية ملتقى خطوطها جميعاً . لان اهتمام القصاص (كاهتمام السامع) هو في حمل البطل من جو الى جو ، ومن مخاطرة الى مخاطرة . والهدف منها هو استعراض « المخاطر والاهوال التي تشيب من هولها الولدان » وان تكن « المخاطر والاهوال » في اكثر الاحيان ، في سبيل معشوقة . وعندما تكون كذلك ، تسبغ فكرة المعشوقة شيئاً من الوحدة النهائية — وهي وحدة ضعيفة بالطبع — على القصة ، فيكون زواج البطل من معشوقته في النهاية اقرب شيء الى ما قد نسميه بالذروة . ولكنها في الغالب نهاية تفرض على القصة فرضاً لكي يفرغ القصاص منها عند حد ما ، لا ذروة ادت اليها عناصر القصة المختلفة .

والرواية الاوروبية كانت في شبه حكايات الف ليلة وليلة حتى اواخر القرن الثامن عشر . فهي روايات حوادث او « مواقف » لا روايات شخصيات يبغي الكاتب عرض ما في دخائلها من مشاكل نفسية . فسواء أأخذنا قصص بوكاتشيو ، او روايات فولتير (مثلاً كانديد ، وزاديغ) ، او روايات الانكليز في القرن الثامن عشر كروبنسون كروزو لديفو او طوم جونز لفيلدنغ — نجدها جميعاً ، مثل قصص الف ليلة وليلة ، تعنى « بالمخاطر والاهوال » اوالنكات الغرامية ، او العبر الحكمية : اما التركيب الذروي الشامل فلن نجده فيها الى ان ندنو من نهاية القرن الثامن عشر ، ثم نلج القرن التاسع عشر حيث نجد ان الرواية ، كالموسيقى ، تأخذ في التركيز بحوادثها ، وتصبح نفسية البطل تطغى على المواقف ، فتغدو الحوادث مركبة بحيث تشترك كلها معاً في خلق ذروة العنف في النهاية . فرواية القرن التاسع عشر ، كموسيقاه ، هي رواية الذروة ، وكلما تقدمنا فيه وجدنا الذروة اكثر تعقيداً واقوى . وأمثال هذه الرواية « آلام فرتر » لغويته (اواخر القرن الثامن عشر) و« الكبرياء والتعصب » لجين اوستن الانكليزية (اوائل القرن التاسع عشر) و« مدام بوفاري » لفلوبير (١٨٥٤) — ولعلها قمة هذا التطور القصصي وأم الرواية الحديثة — و« الاخوان كرامازوف » لدوستويفسكي (اواخر القرن التاسع عشر) .

ولعل ظاهرة أهم من هذه هي ظهور « القصة القصيرة » بعقدتها الواضحة المركزة ، وذروتها السريعة ، في غضون هذا القرن . كانت القصة القصيرة قبل ذلك اشبه بالنكتة ، اما في القرن التاسع عشر فانها اصبحت قطعة فنية ذروية التركيب . ولاحاجة لذكر ابطالها الفرنسيين الكثيرين الى ان تبلغ شكلها الرائع على يدي غي دي موباسان .

ولكن الغريب في أمر هذا التركيب الفني الذي شاع في كل انواع التعبير عن النفس في القرن التاسع عشر ، هو انه كان موجوداً قبل ذلك بقرنين او ثلاثة على احسن ما يكون في المسرحية . ولا يغرب عن البال ان المسرحية بلغت في عهد شكسبير غاية من الروعة الذروية قلما بلغتها في أي عصر آخر . ولم تكن الدراما في القرن الخامس عشر وما قبله الا ضرباً من سرد الحوادث بشكل تمثيلي كان الغرض منها عادة اما دينياً او أخلاقياً كما في « المسرحيات الاخلاقية Morality Plays حيث ، يسمى الاشخاص باسماء الطبائع التي يتصفون بها ، مثل : الجشع ، الحسود ، الزاني ، الصالح ، الخ . او : الصداقة ، المال ، الحب ، الموت ، وما شابه ذلك ، وعندما تطورت هذه المسرحيات غدت على الاكثر قصصاً تمثيلية تدور حول فكرة « سقوط الامراء » — وهي فكرة اخلاقية ايضاً ،

بستهدف منها ايضاح فكرة واحدة هي :« مهما علا شأن الانسان، فانه اذا اخطأ سيسقط يوماً ، فليعتبر الناس بذلك ». غير ان هذه الفكرة تطورت من حيث التركيب الفني على ايدي شكسبير ومعاصريه بحيث غدت الخطيئة او النقص الخلقي في البطل مصدر المواقف المتواشجة التي تندفع فيها حركة هائلة توصل البطل الى ذروة عنيفة كذروة السمفونية في القرن التاسع عشر . وهكذا نجد انما يصح على الموسيقى في هذا القرن، يصح على الدراما في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر : العاطفة الفردية، اذا كانت هي الرائد الفني بحيث تصبح نفسية الفرد هدف الابداع، توجد لنفسها في التعبير شكلاً ذروياً هو انعكاس لها . ولذلك نجد ان شكسبير ، خالق مكبث وهاملت ولير وعطيل، يعتبر رومانسياً كغويته وكيتس وبيتهوفن .

ولعله جدير بالذكر ، ما دمنا بصدد المسرحية، ان الذروة كانت مبدأ مهماً في المأساة الاغريقية، وأرسطو في «كتاب الشعراء» ينص على قواعد لا بد منها في المأساه ، كأن تكون المسرحية مبنية على « الشخصية » لا على « الحادث »، وان تحتفظ «بالوحدات الثلاث» (وحدات الزمان والمكان والموضوع)، وان يكون فيها « اول ووسط وآخر » يؤدي الواحد منها الى الآخر، بحيث تكون هناك نهاية تؤدي الى الحل . وهذه بحذافيرها هي قواعد المسرحية الاوروبية بعد عصر النهضة — اي بعد ان اطلع الكتاب على نقد ارسطو والمآسي الاغريقية، واوجدوا فناً يجمع بين الروح الاوروبية الجديدة والقواعد الفنية القديمة . ومسرحيات راسين وموليير وكنغريف وغيرهم (في القرنين السابع عشر والثامن عشر) اوضح امثلة على ذلك .

اما المسرحية العربية — فلم توجد قط (بغض النظر عن انتاجنا المعاصر). وقد حاول كتاب كثيرون ان يجدوا الاسباب لذلك ، وآراؤهم مختلفة . اما انا فأرى ان احد الاسباب — ولعله السبب الاهم — لذلك هو ان الابداع العربي لم يكن ذروياً قط، ولم تقبل العبقرية العربية هذا النوع من التركيب الفني الذي ، يخيل الي ، امتازت به العبقرية الاوروبية فقط . فالمسرحية لا يمكن ان توجد بدون الذروة . ولما كانت هذه الذروة المسرحية في الغالب هي نهاية مكافحة البطل للآلهة او الاقدار (كما يقول الاغريق)، او المجتمع (كما نقول اليوم)، فان العبقرية العربية رفضت هذا الفن لانها عبقرية قدرية لا تسمح لنفسها بالشك فيما هو قائم، ولا سيما الشك في عدل الله .

وفي الشعر العربي كانت الذروة مجهولة — وما زالت كذلك حتى في الشعر المعاصر ، الا في ما ندر . وهي مجهولة عند الشاعر والقارىء على السواء : فمن الجلي انه لو افتقدها القارىء واحس بضرورتها لظهر من الشعراء من يحاول ارضاء قرائه . ففي القصيدة العربية ، يلي البيت الآخر في اكثر الاحيان حسبما اتفق، وفي استطاعة المرء ان يقدم ويؤخر في الابيات او يحذف بعضها دون ان يؤثر على المعنى — او على الغرض الذي ترمي اليه القصيدة — وذلك لان القصيدة العربية لا تبنى على « الوحدة الموضوعية » بل على « روعة المعاني » ذات القافية الواحدة . ولذلك قد تمتد القصيدة الواحدة فتكون في مئات الابيات : وما دامت هذه من بحر واحد وقافية واحدة ، فهي عند الشاعر ذات وحدة ترضيه ، وكل ما في الامر انها تكون من وحي ظرف خاص او مناسبة معينة . فموضوع الشاعر العربي دوماً هو الحياة بكل ما فيها ، ولا يهمه ان تكون معانيه مرتبطة ومتحدة في استهدافها نهاية عليا عنيفة . ولهذا قلما نجد في الشعراء القدامى المجيدين من يكتفي ببضعة ابيات للقصيدة الواحدة يتركز فيها معنى متصل الجوانب أو تتضح فيها صورة منفردة ، بل ان ذلك يعد عيباً على الشاعر اذ يعيره سامعوه بقصر النفس !

غير ان الامر على العكس في الشعر الاوروبي . فاذا تأملنا في شعر « النشيد » Sonnet [1]، وهو لون من الوان النظم تشترك فيه الامم الغربية، نجد التركيب الذروي فيه جلياً بصورة مصغرة . فالشاعر في نشيده يجب ان ينتهي في البيتين الاخيرين (او على الاكثر في اربعة الابيات الاخيرة) بقوة وفصل ، في حين يجعل كل الابيات السابقة تؤدي بمعانيها وايقاعها الى النهاية المحتومة في هذين البيتين . ففي كل « نشيد » اذن صورة واحدة فقط : وهي قد تكون متعددة التفاصيل والالوان ، ولكنها صورة واحدة .

وهذا الضرب من البناء في الشعر الغربي اجمالا أمر خطير للغاية : فيه يعتمد البيت على ما سبقه وما يليه، والفقرة المتعددة الابيات ترتكز عليها الفقرة التي تليها بحيث يتسع المعنى ويعمق الى ان تبلغ القصيدة ذروتها العاطفية . واشد ما يخشى الشاعر هو «الهبوط» anti-climax (او « عكس الذروة ») في تركيب قصيدته، لانه حينئذ يكون قد اضاع القوة التي ينشدها والتأثير الناجم عن تلك القوة .

ولكن ليس لدى الشاعر العربي شيء يخشاه من هذا القبيل ، لان شعره لا يعتمد على البناء الهرمي، بل على ما يمكننا ان نسميه بالبناء المسطح : فالشعر العربي قريب الشبه جداً بالرسم العربي :

---

(١) يكون « النشيد » دائماً في اربعة عشر بيتاً فقط ، وتترتب فيه القوافي على شكل خاص . وأول من استعمل هذا الضرب من الشعر الايطاليون — وبخاصة بترارك ودانتي — ثم اخذه عنهم الانكليز والفرنسيون وغيرهم وأنشاد شكسبير مشهورة (وفيها اتبع ترتيباً للقوافي خاصاً به) وكذلك انشاد ملتون (وفيها اتبع ترتيب القوافي الايطالي)

اي فن الزخرفة . فكما نجد في القصيدة الواحدة ، مهما تعددت ابياتها ، روياً واحداً ، وبحراً واحداً ، كذلك نجد في الزخرفة العربية شكلاً واحداً يتكرر، واذ يتكرر الشكل ينتشر في جميع الاتجاهات على السواء . وجمال هذا الفن يعتمد على انتشار الشكل الواحد انتشاراً يكاد يأخذ بالبصر ولا سيا عندما توشى خطوطه بالذهب او الفضة، وتملأ بعض اجزائه بالازرق او الاصفر او غيرهما من الالوان .

واذا اتسعنا في مدلول « الفن العربي » وأدمجنا فيه الفن الاسلامي عامة — حق لنا ان ندخل في بحثنا الفن الفارسي . غير ان هذا الفن ايضاً يعتمد على التكرار الزخرفي، او على الانتشار الذي لايستهدف عمقاً في الابعاد او حصراً في الانتباه الى نقطة واحدة تتركز فيها غاية الصورة . فالرسام الفارسي ، كالشاعر العربي ، انما يعشق روعة الطبيعة وخطوطها المتناثرة عشق الشاعر للمعاني، ويسعى الى ان يدخل في صورته كل ما يستطيع من الوان وخطوط ترمز الى حبه للحياة، وهذا الرسم الذي تنحني فيه الخطوط وتلتوي في كل اتجاه ليس بأقل جمالا من التصوير الاوروبي ذي الاعماق بل انه في كثير من الاحيان يفوقه جمالا .

على ان التصوير الاوروبي ، منذ القرن الرابع عشر ، يستخدم عنصرين لا يوجدان في الفن الاسلامي هما . التظليل chiaroscuro[1] والعمق المنظور perspective[2] ويحصل الرسام بهما على ما هو اشبه بالذروة في الكتابة والموسيقى . فالخطوط التي اذا امتدت في اتجاه واحد تلتقي في نقطة واحدة، والضوء الموجه نحو ناحية معينة ضمن الظلال ، لها على العين تأثير كتأثير الاصوات او العناصر الفكرية المبنية بعضها فوق بعض لكي توصل الى نهاية ذروية، لانها تحصر الاهتمام في نقطة واحدة، وما التفاصيل الاخرى الا روافد تصب فيها . ومن الممتع ان نرى ان عنصري « التظليل » « والعمق المنظور » دخلا على الفن في اواخر القرون الوسطى — اي عندما ثار المفكرون والادباء والفنانون على التقاليد القائلة بحقارة الحياة ، وحقارة الانسان في هذه الدنيا . فقد كانت خلاصة الفكر في « القرون المظلمة » ان اللذة خطيئة ، وان على الانسان ان يعذب جسده من اجل خلاص نفسه، لانه لم يولد الا لكي يستعد للدار الآخرة حيث النعيم الازلي او الجحيم . فاذا تنعم في هذه الحياة فآله في الآخرة سعير جهنم، واذا قضى على شهوات الجسد هنا، تنعم في جنان الخلد هناك . ولذلك كانت الصور ضامرة الاشكال، لايختلف فيها جسم عن جسم او وجه عن وجه . فالوجوه واحدة ، والاجسام واحدة ، والاشكال محدودة ، وليس فيها تركيز او حصر : انما مغزاها واحد يتكرر ، وهو ان الانسان من تراب والى التراب يعود ، وان ما في صدره من رغبات انما هي خطايا يجب ان يصوم ويصلي لكي يتخلص من ادرانها ، وان شخصيته (التي تميزه عن غيره) يجب ان تمحى ، لئلا يكون فيها ما يغريه على مقاومة الله (انظر مثلاً صور العصر البيزنطي) .

ولكن النهضة اعادت للانسان قيمته التي عرفها الاغريق والرومان، بل سرعان ما جعلوا جسم الانسان رمزاً لكل ما هو حي، واصبح هذا الجسد بؤرة الحياة بأجمعها ، وغدت النفس التي فيه ، بما يعتورها من عواطف وشهوات، موضوع الادب والفن من جديد . اذن عادت للفرد اهميته ، فكان — حسب نظريتي هذه — ان اهتدوا الى التركيب الذروي في الفن، كما اهتدوا اليه في الوقت نفسه في المسرحية . حتى الكنائس نفسها ملأوها بالاجسام العارية الجميلة ، وجعلوا خدمة القداس نفسها تلذ للعين والاذن والحس .

وقد تجلى هذا الاتجاه اول الامر في رسوم جوتو الايطالي (القرن الرابع عشر) ونما وتطور في العصر الذهبي للفن الايطالي على ايدي رفائيل ، وليوناردو، وتتسيانو وتنتورتو ، وبلغ قمة رائعة في صور رمبرندت الهولندي . ومع اختلاف المدارس الفنية المتعاقبة في نواح كثيرة، فان التركيب الذروي لازمها جميعاً ، حتى غدا في اواخر القرن الثامن عشر من اسباب الضعف في الابداع الفني عند كثير من الرسامين ، لولا بعض الافذاذ الذين كانوا بين الحين والآخر يصلونه بدم جديد ، امثال ترنر الانكليزي (اواخر القرن الثامن عشر) ودلاكروا الفرنسي (اواسط القرن التاسع عشر) الى ان قامت مدرسة جديدة في الرسم على ايدي الساخطين على القواعد القديمة المبتذلة : الانطباعيين « Impressionists »، الذين جعلوا من الاضواء والظلال زخارف رائعة، فما عادوا يأبهون للعاطفة والانفعال في الصورة ، بل بالالوان نفسها لروعتها ، كأنما الطبيعة ما وجدت الا لتلذ العين بأضوائها التي تكشف عن مئات الالوان كلما اشتدت او ضعفت ، حسب ساعات النهار . وقد عدّت هذه في بادىء الامر (بعيد ١٨٦٠) من نزوات صغار الفنانين

---

(١) ايطالية معناها « المضاء — المظلم » ، اي تصوير الاشياء باستعمال الوان تشابه الضوء وأخرى تشابه الظل ، بحيث تكون الاجسام في الصورة مضاءة ومظللة كما هي في الاصل .

(٢) مشتقة من الكلمتين اللاتينيتين في العصور الوسطى اي الفن المنظور ، اي تصوير الاجسام بخطوط بحيث تظهر كأن فيها قرباً وبعداً كما تراها العين . ولذلك قواعد معينة .

في باريس ، الذين رفضت صورهم في المعارض الفنية. غير انها اثبتت فيما بعد انها كانت بدء حركة جديدة لا في الفن فحسب ، بل في كل نواحي تعبير الانسان عن نفسه وكان القائمون بها مجددين اذكياء لهم مقدرة الساحر على إتيان ما يبدو خارقاً للطبيعة في فعله وجماله. وفي بحر نصف قرن كان « التركيب الذروي » الذي عبرت به اوروبا عن عبقريتها قد تحطم : ففي هذه الاثناء ظهرت نظرية « الفن للفن » (ومعنى ذلك بايجاز ان الجمال الحسي هو غاية الابداع ، لا التعبير عن العاطفة) ، ومن ملحقات هذه النظرية مدرسة الرمزية في الشعر ، وفيها ينعدم التركيب الهرمي ، من اجل خلق الرؤى والخيالات التي تحيط بالنفس كضباب لذيذ الملمس ، ولم تكن « السريالية » التي انتشرت بعد ١٩٢٤ ، الا من مواليد هذا الاتجاه الجديد ، ولكن السريالية اهملت حتى الجمال الحسي ، بفعل نظريات فرويد التي كانت بين الحربين الاخيرتين انجيل الادب والفن. ولم تعمر السريالية طويلاً (وان يكن لها اتباع حتى اليوم) ، ولكنها اطلقت الاساليب من كل قيد ، وفسحت للخيال مجالات لم يكن احد يحلم بها.

اما اليوم — بعد تحطيم التقاليد الفنية باستمرار من ١٨٧٠ حتى ١٩٤٠ — فقد جعلنا نرى اتجاهات جديدة تغالب مجاري التفكك المطلق الذي تدعو اليه « الوجودية » اليائسة ، وفي هذه الاتجاهات ايضاً عود غريب الى فكرة « الذروة » غير ان الذروة الجديدة هي الموت : فروعة الحياة وانتشار خطوطها وتواشج حوادثها او تواليها ، انما يشيع فيها خاطر واحد يتجلى في النهاية ويحصرها جميعاً في قبضته — وذلك هو الموت : لان الشر يخالط كل ما في الحياة ويهدد بدفعه نحو الفناء. فالفكر الاوروبي اليوم يرزح تحت الخوف من انهيار الحضارة الغربية ولذلك فقد لجأ الى الاسطورة القديمة قدم الانسان — والتي فحواها ان الحياة يجب ان تموت قبل ان تبعث من جديد. وهي اسطورة تموز البابلية او العنقاء العربية : وهي اسطورة ايمان الانسان ببقاء الحياة الى الابد ، وبقائه منتصراً فيها .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

رسالة من والدتي

لسول بلوم

☆*☆

هنالك قول قديم مملوء بالطمأنينة والرجاء . . . « واحد مع الله . . . اكثرية » هذه الحقيقة طبعتها والدتي في ذهني عندما كان الايمان بالله يحفزها وسط الفقر والمصاعب التي كانت تواجهنا . . . وانني اذكر صوتها الموسيقي عندما كانت تحاول ان تعلمني . . . اذكر ذلك كأنه حدث بالامس فقط.

انها قالت لي « الله خير وصدق وحق . انك ستصبح رجلاً يوماً ما وسيطلب اليك عمل الاثم الذي سيرسم لك بالوان زاهية ، وستكون في حيرة من امرك غير عالم ما هو الخطأ ، وما هو الصواب ! وفي ذلك الوقت عندما تكون في حيرة من امرك ، اصغِ الى الصوت الخافت في قلبك ، لان الله لا يخاطبك بصوت جهوري ، انك لن ترى الصواب لامعاً في السماء ، اذ ان الله سيهمس في قلبك قائلاً : هذا صواب ، وذلك خطأ ! « ان هذا الهمس سيكون خافتاً ، وتجربتك ستكون قوية ، واذا عملت الشر ستجد سنداً ورفاقاً يؤازرونك ، ولكن ان عملت الخير يظهر لك انك وحيد مهجور ، وربما ظننت بانك تفقد اصدقاءك !

« ولكن لا ، يا بني ، انك لن تكون وحيداً ، فان الله سيكون معك ، انه صديقك ، انه خالق الحق نفسه ، وعندما يساندك الله في الحق . . . ستفوز ولو تألب عليك العالم اجمع ، لا تخف الكفاح يا بني ، فانك ستفوز حتماً ، اذ ان الله معك اقوى ممن يعملون الشر ، ولو كانوا يعدون بالملايين ».

في كل الاحوال اسأل قلبك : « اية جهة يختارها الله ؟ » « ماذا يريدني الله ان اعمل ؟ »

***

اماه العزيزة ، كم مرة طوال هذه السنين الطويلة سمعت ذلك الصوت الرقيق يناديني قائلاً : « اصغ الى همسات الله ».

رام الله — فلسطين

ترجمة : جورج خوري سمعان

جيوردانو برونو

بقلم فدري فلعجي



جيوردانو برونو خير مثل اعطاه التاريخ على ما يعانيه الفكر من اضطهاد ، وما يلقاه ابطاله من عنت واستشهاد، وما تنتهي اليه الحرية من انتصار وان تأخر انتصارها قرناً بكامله او قروناً عدة .

ولد برونو في نابولي سنة ١٥٥٠ ، وكانت اسرته من اشراف ايطاليا فتلقى دراسة عالية جمع فيها بين العلوم الرياضية والفلسفية والآداب ، ولكي يتبحر في المعرفة وينقطع لها دخل الى دير دومينيكاني واقام فيه اعواماً كثيرة ، الا انه لم يلبث ان ضاق بعشرة زملائه في الدير وبنظام الكنيسة ،ورأى ان اخلاق اولئك الزملاء وتقاليدهم لا تتلاءم مع مشاعره الدينية الخاصة ، فهاجر من وطنه الى سويسرا .

وبدا لبرونو في جنيف ان تعاليم البروتستنتية اقرب الى مبادىء المسيحية من تعاليم الكنيسة الرومانية ، غير ان البروتستنتية في حد ذاتها لم ترضه كل الرضى، او لم تقنعه بالاحرى كل الاقناع ، فغادر سويسرا الى فرنسا واقام في مدينة ليون ثم في تولوز ثم في باريس ، تاركاً حيثما حل ،الشك في التعاليم القديمة،زارعاً بذور تعاليم جديدة.

وكان لفلاسفة اليونان في عهده قداسة تشبه قداسة الانبياء ، ولتعاليمهم حرمة تشبه تعاليم الدين، وقد بلغ من اجلال الاوساط العلمية والرسمية لارسطو الذي كان يتمتع لديها بمكانة خاصة ان الطالب في اوكسفورد كان يدفع غرامة قدرها عشرة شلنات عن كل هفوة صغيرة يخالف فيها تعاليمه ، فلم يتأثر برونو بهذه الحرمة، وكما انتقد بعض التعاليم الدينية اخذ ينتقد تعاليم اليونان ويؤيد نظريات كوبرنيك في علم الفلك، وكان هذا قد جحد فلك القدماء. وقال ان الارض تدور هي وسائر الكواكب حول الشمس .

وكان جيوردانو برونو يعتقد بانه ربما كان هناك عوالم كثيرة كعالمنا الذي نعيش فيه ، وبأن الذرات هي اساس كل شيء ،وان الله ، الذي هو روح الكون ، قد جعلها متحركة . ويقول ان الخير والشر ، والنفع والضرر ، والعدل والظلم ، لا معنى لها في حد ذاتها ، ولا وجود لها الا بالمقارنة وبصورة نسبية .

ووضع برونو بضع مؤلفات علمية وادبية،منها مسرحية ترجمت الى الفرنسية بعنوان « بونيفاس المتغطرس » ، ومنها ايضاً كتاب بعنوان « نفي البهيمة الظافرة » ولعله اطرف كتبه كلها ، وهو زاخر بالادب والظرف وبالعلم والفلسفة في آن واحد ، ويدور موضوعه حول عبادة الآلهة وعبادة الفضائل ، فقد صور برونو جوبيتر حائراً لاهمال الناس لعبادته،وقد جمع حوله الثمانية والاربعين كوكباً الذين يمثلون آلهة الاغريق،فقال موموس إله الجنون ان كل الشر يرجع الى اطلاق اسماء الآلهة على النجوم ، فان المغامرات والفضائح التي اشتهرت عن هؤلاء الآلهة قد حقرتهم في اعين البشر، وهكذا انتهى جوبيتر الى اطلاق اسماء جديدة على النجوم،فسمي هرقل : « القيمة »،والدراغون :« الحذر »،وكاليستو :«الحقيقة» ، وتريانغل :« الامانة »، ونفي« الكلب الكبير »ووضع مكانه « اليقظة » و« حب الوطن» اللذين يستطيعان وحدهما تحطيم الطغاة اما السانتور فقد صعب تصنيفه لطبيعته .المزدوجة التي تجمع بين انسان وحصان ، فجعل منه كاهناً ليخدم اصحاب الضحايا التي تقدم للآلهة والضحايا نفسها .

وكان هذا المفكر المتبحر في العلم والفلسفة ، ينظم الشعر الرقيق والقصائد الملتهبة،ومن قصائده الممتعة،قصيدة بعنوان«المجد»قال فيها :

منذ فتحت جناحي لشهوة المجد ،

وانا ازداد استسلاماً للرياح ،
تحملني وتصعد بي الى السماء .
كلما رأيت الفضاء يتسع تحت قدمي !

ان نهاية ابن ديدال الحزينة لا تخيفني . .
بل تجعلني اواصل الصعود بحرارة اعظم .
فانا اعلم اني قد اتحطم يوماً ،
اذا ما هبطت من حالق .
ولكن اية حياة تعدل هذه الميتة !؟

اني اسمع وانا في الفضاء ،
صوت قلبي يهتف بي :
الى اين تحملني ايها المتهور ؟ . .
الا فاطوِ جناحيك .
فان الجرأة العظيمة لا بد لها من عقاب !

واني لاجيب قلبي قائلاً :
لماذا تخشى نهاية كهذه ؟ !
اني مستعد لان اجتاز الفضاء العاري ،
واموت راضياً مبتسما . .
ان كانت السماء قد أعدت لي موتاً مجيدا !

وفي قصيدة اخرى بعنوان « مدح النسك » يقول :

ايها القديس ، يا مار جهل ، ويا مار غباء .
ايها النسك المقدس .
يا من يسعد النفوس اكثر مما يسعدها الذكاء !
ان السماء التي تقيم فيها ،
لا تفتح ابوابها للعمل والتفكير والتأمل الفلسفي
انك لا تفتأ تقول للمفكرين المكتشفين :
ماذا يفيدكم ، ان تدرسوا الطبيعة وتعرفوا ،
مم تتألف العوالم وكيف تجري الكواكب ؟
فهذا كله لا قيمة له ،
لدى قداسة الجهل وقداسة الغباء .
الذي يركع مضموم اليدين .
فيغمره الله بنعمه !
ويعيش مطمئناً سعيدا ،
لا يحزنه ويشغل باله ،
سوى الراحة الابدية ،
التي يسبغها الله علينا بعد الموت .

وكان جيوردانو برونو يعاني الاضطهاد في كل بلد لجأ اليه ، فكان يقاوم مضطهديه بعنف ، ولا يذعن لارهاب ، قائلاً :

« لا يحق للحكومة ان تعين للناس تفكيرهم » و « ليس للهيئة الاجتماعية ان تعاقب بالسيف اولئك الذين يرفضون التسليم بعقائدها السائدة »

ومن الحق ان نقول ان الاقطار البروتستانتية كانت اقل اضطهاداً لبرونو واكثر تسامحاً معه ، فأقام في المانيا وقتاً غير قصير ، ولكنه ما لبث ان استبد به الحنين لرؤية وطنه ، فسافر الى ايطاليا مهد طفولته ومسرح صباه وشبابه ، ووصل الى البندقية زاخر النفس بالذكريات والاحلام ، فما كاد يغادر الغندول الذي اقله من السفينة الى المدينة ، حتى القي عليه القبض ، وزج في سجن ديوان التفتيش ، ثم سيق من هناك الى روما فبقي في سجنها عامين كاملين قاسى خلالهما صنوف الالم والعذاب .

وكان برونو يهدد بالموت حرقاً اذا اصر على عقائده وحرية ضميره ، ويوعد بالعفو والمكافأة اذا انكر كل ما صدر عنه من تعاليم واقوال منافية للتقاليد المستتبة والآراء الشائعة في ميدان العلم وميدان الدين ، فكان يأبى الا الثبات والاصرار والعناد ، قائلاً ان كل ما قاله وانتهى اليه من آراء ، انما ابدعه فكره المبدع الذي هو هبة من الله ، وان انكاره لما قرره فكره هذا هو انكار لارادة الله .

وحينئذ سيق برونو الى امام محكمة التفتيش ، وحكم عليه بان يحرق وهو على قيد الحياة ، فلم يرهبه هول هذا الحكم وقسوته ، ووقف وسط المحكمة هادئاً جباراً ، واشار بيده الى قضاته اشارة الاتهام ، وقال بصوت رهيب ارتعدت له ضمائر الحاضرين : « ايها القضاة . لعلكم وانتم تنطقون بهذا الحكم باسم إله رحيم عادل ، تحسون من الفزع والرعب اكثر مما احس انا عند سماعي له ! » .

وقاد الجلادون المفكر الكبير الى ساحة روما ، واوثقوه فوق كومة من الحطب والهشيم ، واشعلوا بها النار . فما هي الا ساعة حتى استحال جيوردانو برونو الى رماد ، امام جمع غفير من نبلاء روما الذين جاءوا ليشهدو نهاية الرجل الذي استشهد بجلال وعظمة في سبيل الحرية والعقل .

ولكن جيوردانو برونو لم ينته ذلك اليوم . وكان كل انتصار جديد تحرزه الحرية ويظفر به العقل يضفر اكليلاً جديداً للبطل الذي استشهد في سبيلها ١٦٠٠ في ساحة روما .

وينقضي قرن ، ثم ينقضي قرن ثان ، ويليهما قرن آخر .

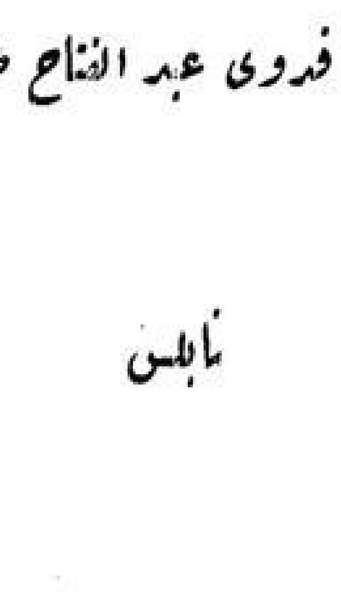
واذا بأحفاد برونو وتلامذته في النضال من اجل حرية الفكر وحرية الضمير ، يقيمون له تمثالا في المكان الذي احرق فيه . فيكون هذا التمثال الرائع ، الباقي على الزمان ، صرخة الحق في وجه الطغيان وشهادة التاريخ بان الحرية والعدالة هما اللتان تظفران !

فدري فلعجي

اشواق حائرة

للانسة فدوى عبد الفتاح طوقان

نابلس



ماذا أحس ؟ هنا ، بأعماقي ترتـج أهوائي واشواقي
بي ألـف احساس يحرّقني متدافع التيـار ، دفـاق
الف انفعال ، الف عاطفة محمومة بدمي ، بـأعراقي
مـاذا احسّ ؟ احس بي لهفاً حيران يغمر كل آفاقي
جفّت له شفتاي وارتعشت اظلاله العطشى بأحداقي

نفسي موزعة ، معذبة بحنينها ، بغموض لهفتهـا :
شوق الى المجهول يدفعهـا متقحماً جـدران عزلتها
شوق الى مـا لست ادركه يدعو بها في صمت وحدتها
أهي الطبيعة صاح هاتفها ؟ أهي الحياة تهيب بابنتها ؟
مـاذا احس ؟ شعور تائهة عن نفسها ، تشقى بحيرتها

قلبي تفور به الحيـاة وقد عمقت ومدت فيه كالأمدِ :
فتهز اغـواري نوازعـه صخابة دفاقة المدد
ويظل منتظراً عـلى شغف ويظل مرتقباً على وقد
احـلام محروم تساوره متوحـد في العيش منفرد
ويود لو تمضي الحيـاة به للحب، مصدر فيضها الابدي!

وهناك تومىء لي السماء وبي شوق اليهـا لاهف عارم
فأحس احساس الغريب طغى ظمأ الحنين بروحه الهائم
وارى كواكبهـا تعـانقني بضيائها المتوجرج الحـالم
تهمي على روحي أشعتهـا وتلفه بجناحها الناعم
فـأود لو افنى وادمج في عمق السماء ونورها الباسم

مالي يزعزعني ويعصف بي قلـق عتيّ ، جائح الالمِ
تتضارب الاشواق حائرة .. في غورروحي،في مساب دمي.
الارض تعلق بي وتجذبـني وتشد قبضتها على قدمي
وهناك روحي هائم شغف بالنور ، فوق رفارف السدم
مستحقر لـلارض ، تفزعه دنيا التراب ، وهوة العدم .

روحي ياوب بدار غربته عطشـاً الى ينبوعه السامي
فهناك اصداء يسلسلها صوت السماء بروحي الظامي
وهنا، هنا،في الارض يهتف بي صوت يقيّد خطو اقدامي
صوتان .. كم لجلجت بينهما . يتنـازعان شراع أيامـي
وأنا كيان تائه .. قلق .. يطوي العوالم شوقه الطامي

الجمود الفكري

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكون اعظم امنية* لكل فرد عربي في زماننا الحاضر ان يعرف سبب تأخر امته عن احراز قصب السبق العالمي . ولعل اهم عامل بين هذه العوامل هو الجمود الفكري ومحاربة تعرفنا الافكار الحديثة . ولا اريد من التجدد رفض تراث الاجداد رفضاً باتاً والجري وراء الغرب وتقليده تقليداً اعمى دون مراعاة ميزاتنا وخصائصنا التي آلت الينا من الاسلاف ، بل نود دراسة تراثنا لنبذ الفاسد واخذ الصالح جاعلين منه حافزاً للنهوض ، سائرين حسب تطلبات آخر ما وصل اليه ارقى جيل في زماننا الحاضر .

يرى نفر منا ممن اوتي نصيباً قليلاً من الثقافة العالمية ان الاقتباس هو عار على الامة كبير ، لذلك يودون ابعاد الافكار الغريبة عنهم راجعين على زعمهم الى خصائص الامة الفطرية ، وقد غاب عن فكرهم ان العزلة لمستحيلة على امة تبغي النهوض والتقدم ، فعالم الافكار اشبه بعالم التجارة يحتاج الى توريد وتصدير ، فكل من جمد البضائع في منطقة من المناطق حكم على الامة بالموت والتدهور الاقتصادي ، كذلك شأن من فعل ذلك بعالم الافكار ومنع الاقتباس النافع للامة التي تبغي الحياة.

الاقتباس اذن سنة طبيعية ، ومن لم يعرف الاقتباس الصحيح لا يعرف الابتكار ابداً ، ولم يبتكر العرب الا بعد ترجمة الكتب اليونانية وغيرها الى لغتهم ، ولم ترتق اوروبا الا بعد ان نفضت عنها غبار القرون الوسطى وداست التعصب الذميم وادخلت العلوم الغريبة من عربية ويونانية وغيرهما ، ولا نرتقي نحن الا بسلوك قانون الرقي الطبيعي واقتباس العلوم والصناعات النافعة .

لم يقف العربي قدماً عند الدرجة التي اخذها عن غيره ، بل رقاها وفتح طرقات جديده في فهم الطبيعة لم تطرق على بال الاوائل ولقد ورث الغربيون عن العرب لا عن اليونان روح كشف سر الطبيعة التي كانت خير معين لامم اوروبا في اختراعاتهم واكتشافاتهم الحديثة . واني لاستغرب جد الاستغراب ان لا نجد نفس الحاجة في نقل العلوم كالتي كان يجدها سلفنا في نقل علوم الاوائل ، رغم بعد الشقة وشط المزار وتفاوت الزمن ، ونحن لا نعمل خطوات جدية في هذا السبيل .

نعم لمن الخطل في الرأي اخذ كل شيء على علاته ، اذ لا بد لنا في دراساتنا ان ننقد ونناقش بنزاهة ونية حسنة ، واننا اذا لم نفعل ذلك لا نعرف التفريق بين الغث والسمين او نجهل كثيراً من بذورنا الطيبة .

في هذا الصدد يقتضي ان نراعي في نقدنا النزاهة والدقة وطرح الغلو جانباً ، لانه مصدر اكثر الضلالات ، فالاعتدال في الامر يلزم ان يكون رائدنا والانصاف غايتنا ، محققين كل شيء بالعقل ، غير سائرين وراء العواطف الهوجاء .

في خلق عدم التسامح يتجلى لنا الجمود الفكري بأجلى مظاهره ومدعو الثقافة الذين ينظرون الى العالم نظرة ضيقة ولا يشجعون من يشتغل بالعلم والصناعات لا يمكنهم المساهمة في تقدم البشرية ، بل يرجعون بها الى الوراء .

يجهل بعض منا التشويق للعلم والصناعات فيصورون العلم بقلعة لا يمكن اجتيازها او صندوق مقفل لا يمكن فتحه ، فيضعون العراقيل ويتبجحون بالصعوبات التي يضعونها في سبيل رواد الثقافة ، وقد غاب عن فكرهم اننا في وقت يجب علينا تسهيل المعرفة والتطبيقات لابنائنا ، واذا حصل تضخم في فرع من الفروع وقلت الحاجة اليه وجب ان نحول الوجهة بطرق حكيمة الى فرع آخر يكون اكثر فائدة واجدى عائدة للنشء وللبلاد ، مراعين المصلحة مهملين الشكليات الفارغة ، لاننا كثيراً ما نبعد اولادنا وافلاذ اكبادنا عن الحياة في سبيل شكليات ما انزل الله بها من سلطان . وهي التي توقفنا عن الحركة وتودي الى التذمر والفوضى . ويرى العقلاء انها الداء الذي يهدد كل امة حديثة . ومن المحتم علينا سحقها قبل ان تسحقنا ، لانها تضع قيوداً جديدة تقيد بها حياتنا وتعقد امورنا ، سواء الاجتماعية منها والاقتصادية ، واذا رسفنا تحت نيرها خلفت فينا بذور الديكتاتورية وفيها الطامة الكبرى والبلية العظمى على العباد والبلاد .

انه لمن دواعي السرور ان تسن في دولتنا الناشئة قوانين جديدة

* حديث اذيع من محطة الاذاعة السورية بدمشق .

حتى اننا قد خطونا خطوة كبيرة في ادخال المرأة معترك الانتخاب واشراكها في الحكم ، فضربنا بذلك مثلاً طيباً في قابلية رقينا . ونحن نأمل ان نسير في تبديل اوضاعنا على نهج السنن الحديثة ، لان القوانين والانظمة ما وجدت لتكبل الانسان ، بل لتحفظ له حقوقه وتفرض عليه واجباته . ويشبه العقلاء القانون بالملابس فاذا كانت ضيقة فليس من المعقول قطع لحم الانسان لكي يدخل فيها بل لا نجد مندوحة ، من قص الثوب في سبيل راحة الانسان ورفاهيته لان القانون يجب ان يضمن قبل كل شيء راحة المواطن وهنائه وعزه وسؤدده وان يكون ابن البلاد اكثر غنما واقل غرماً من الاجنبي .

هنا ما نسجله بكل فخر واعتزاز ما قطعناه من خطوات الى الامام ، ولكن لا يزال بيننا بقية من رجعية تود رفض التقدم رفضاً باتاً ، نافثين في روع نابتتنا من ان حرماننا من صناعات الغرب الحديثة ما هي الا رحمة جادت بها السماء على ارضنا ، فسخرت الغربيين لنا ، لنتمتع بخيراتهم دون ان نكلف انفسنا عناء الحصول عليها من تلقاء انفسنا ، هكذا يموه نفر من الناس علينا ، فيقلبون بذلك الحقائق رأساً على عقب ، هؤلاء هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

كم من الناس يريدون ايقاف التاريخ العربي عند نقطة واحدة ، ضاربين عرض الحائط بمجهودات العصور المتأخرة ، قاطعين كل امل لنا في المستقبل ، ظانين اننا قد لعبنا دورنا ثم متنا ولن يكتب لنا البعث ثانية ، وقد غاب عن فكرهم ان في امتنا بذوراً لن تموت .

كل هذه الآفات يجرها علينا «الجمود الفكري» وحصر العقل الحر في نطاق صغير لا يتعداه ، فنبتعد بذلك عن الفهم العميق لتراثنا ونغلق صدورنا عن تأثيرات جديدة ، لا تضر بذاتيتنا فحسب ، بل في تقدمنا في مضمار الحضارة ، ولا يمكننا ان نقضي على هذه الآفات الا بالتعاون حكومة وشعباً على استئصال شأفة هذا الداء العضال ، واننا ان لم نقض على الجمود بكل ما اوتينا من قوة وعلى آخر اثر من آثاره لن يكون لنا نصيب في العروج الى مدارج الرقي .

هكذا نضع انفسنا في السلاسل والاغلال ، زاعمين ان القضاء الجائر قد حكم علينا حكماً قاسياً ، وما القضاء الجائر في الحقيقة الا جهلنا .

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى اذا فاته امر عاتب القدرا

«وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون»

دمشق

محمد بهجي الهاشمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشأة كتب السيرة عند العرب

بقلم حسين نصار
ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الاول

كان العرب في جاهليتهم قوماً لا يعرفون من العلوم والفنون الا انواعاً بسيطة بادئة ، فما نسمع عن شيء غير تلك المدونات المحفوظة في ادبار الحيرة ويقول الطبري (٢ : ٣٧) ان الكلبي كان يرجع اليها في مؤلفاته . وهي في غالب الظن وثائق رسمية بقيت من آثار المناذرة وخزائنهم في تلك الكنائس والاديار . ولكن هذا لا يعني ان العرب لم يعرفوا اي نوع من التاريخ ، بل عرفوا ، وعرفوا عدة انواع منه ، فقد عرفوا الانساب وحفظوها ، وعرفوا قصص الايام والحروب ووعوها ، وعرفوا قصص الابطال وتغنوا بها . عرفوا هذه الانواع ، ورواها السابق للاحق بعد ان حلوها وزادوا فيها ، حتى اصبحت

على مر الزمن خرافات واساطير وقصص شعبية ، تحوطها المبالغة والتهويل ، تشبه ما ينتشر اليوم بيننا من قصص عنترة وأبي زيد الهلالي والظاهر بيبرس .

ثم انبعث الاسلام ، وشمل بحركته ارجاء الجزيرة ، واتصل منها الى ما قرب وما بعد من اقطار ، وهبته ما كانت تملك من ثروات مادية وعلمية وفنية .

وعندما هدأت الحماسة الاولى ، ووجد الغزاة فترة لا تشغلها الحروب ، التفتوا الى الهادي الاول ، متطلعين الى معرفة اخباره وصفاته ، ومن ثمت نشأت السيرة اول ما نشأت احاديث في مجالس الخاصة ، كانت تدور حول غزوات النبي فيسأل بعض الولاة او الاعيان عالماً اشتهر بالحفظ والرواية : عن أبي سفيان ومخرجه في يوم بدر ، أو عن خالد بن الوليد : هل اغار يوم الفتح ، وبأمر من اغار ؟ وما شابه ذلك .

ثم تقدم الزمن ، فدون هؤلاء الرواة ، وكلهم من التابعين ، ما ورثوه عمن تقدمهم من الصحابة ، وأول من دون هذه المغازي ابان بن عثمان بن عفان ، فعروة بن الزبير بن العوام ، وهما من اشراف العرب المسلمين . ثم تواتر الكتاب في السيرة بعدهما ، من امثال وهب بن منبه ، وعبدالله بن بكر ، وعاصم بن عمر ، والزهري وتلاميذه . واستمر الحال كذلك حتى بلغت السيرة مرحلة النضج والكمال عند ابن اسحاق والواقدي وابن سعد .

ونحن حين نريد البحث في نشأة هذا الفن عند العرب الاولين ، لا نجد كتاباً مستقلاً في العربية يوفيه حقه من البحث والدرس ، وانما فصول مختصرة لا تشفي غليلاً ، ولا تغني حاجة ، كما في فجر الاسلام وضحاه للاستاذ الدكتور احمد امين بك ، وكتاب علم التاريخ للاستاذ هرنشو ، الذي اضاف اليه مترجمه الاستاذ الدكتور عبد الحميد العبادي فصلا عن نشأة التاريخ عند العرب .

ولكن اللغات الاوربية عرفت بعض الكتب التي تتناول هذا الفرع من فنون الدراسات العربية وتوفيه حقه ، بل تفصل الكلام عن انواعه وضروبه . فهذا المستشرق الانجليزي الاستاذ مرجليوث Margoliouth يؤلف « محاضرات عن التاريخ العربي Lectures on Arabic History »، وهذا المستشرق الالماني الاستاذ بروكلمان Brockelmann يضمن كتابه العظيم «تاريخ الادب العربي Geschichte der Arabischen Litteratur » فصولا ممتعة مفصلة عن اطوار التاريخ العربي وانواعه ، ويشبهه الى حد ما المستشرق الفرنسي الاستاذ Huart في كتاب « الادب العربي Littérature Arabe »،

وهذا المؤلف الذي اتينا بكل هذه المقدمة من اجله يؤلف بحثاً قيماً في نشأة السيرة عند العرب . وهذا المؤلف هو المستشرق الالماني يوسف هوروفتس J. Horovitz . فقد نشر عدة مقالات في مجلة « الثقافة الاسلامية Islamic Culture » التي تصدر في حيدر أباد باللغة الانجليزية عن هذا النوع من التاريخ العربي تحت اسم «المغازي الاولى ومؤلفوها Early Biographies of the Prophet and their Authors ».

وقد عني هذا المستشرق العلامة بالمؤلفين في السيرة قبل محمد ابن اسحاق ، وتتبع اخبارهم في مختلف كتب التاريخ والحديث والطبقات ، وما بقي لهم من مدونات مستقلة ، او مبثوثة في تضاعيف الكتب المتأخرة . ثم خرج من كل هذه المعلومات بتراجم وافية لهؤلاء المؤلفين ، اقامها على منهج علمي دقيق ، وتناول الآثار الباقية من مدونات اصحاب السير وصفاً وتحليلاً ونقداً ، واستخلص من كل ذلك الخصائص التي تميز بعض المؤلفين من بعض ، والخصائص التي تميز كتابة السيرة عامة في الامصار المختلفة ، وخاصة المدينة واليمن والعراق . وبلغ المؤلف اعلى مجده في ترجمتي ابن اسحاق والواقدي ، فكتب عنهما الصفحات الطوال ، ووهبهما ما يستحقان من عناية

هذا الجهد الجبار الذى بذله المؤلف في مقالاته ، جعل بحثه رائعاً خالداً لا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية القديمة . فهو يعده بالاساس الذي يمكن ان يقف عليه في دراساته في ميادين الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والفروع الاخرى من التاريخ ، وغيرها من الفنون والعلوم التي كان يعتمد فيها العرب على نظام الانسانية . فيتيسر للباحث ان يصل الى نتائج هامة لم يكن ليصل اليها بغير هذا المنهج الذي وهبه اياه مؤلف المغازي .

هذه التحفة الرائعة استولت على لبي حين وقع عليها نظري ، فما كدت اعثر عليها ، وأشرع في قراءتها ، حتى شغلتني عما حولي الى ان اتيت على معظمها . وكان تأثيرها في من القوة بحيث تمنيت لو اتيح لاخواني قراء العربية الاطلاع عليها . وحينئذ ثارت في نفسي قوة دافعة الى ان اكون ذلك المترجم السعيد ، الذي يحظى بشرف وضع اسمه الى جانب اسم ذلك العلامة الكبير . فاستجمعت العزم ، وبذلت الجهد ، حتى وفق الله الى الانتهاء منها . وقام بنشرها شركة مصطفى الحلبي وابنائه واني ارجو من الله ان يتيح لنا في شرقنا العزيز الكثير من هذه الدراسات القيمة التي توجهنا وتسير بنا الى طريق المجد والفخار الذي سلكه من قبلنا اسلافنا العظماء .

القاهرة — حسين نصار

مواطن جديد

مهداة الى الاستاذ امين يوسف غراب

بقلم مهدي عيسى الصفر

☆ ☆ ☆

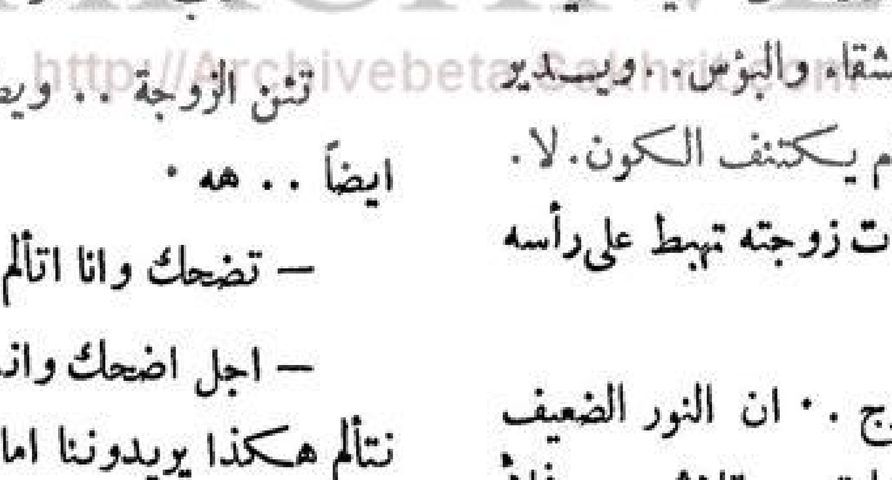
آه

.. تنبعث من زاوية الكوخ فيرفع الرجل رأسه ويرنو الى زوجته القابعة على بقايا حصير ثم يتطلع الى وجهها الشاحب الباهت ويتسائل

— ما بك ؟

الجنين .. أحس ألماً شديداً في احشائي . يبدو ان ساعة الوضع قد دنت .. ان الشقي يتأهب للنزول الى الحياة ، ليأخذ نصيبه من الالم والعذاب ، نصيبه من الشقاء والبؤس .. ويدير ببصره الى باب الكوخ . ظلام .. الظلام يكتنف الكون . لا . الاكواخ .. الاكواخ فقط .. ان كلمات زوجته تهبط على رأسه كالمطارق فهلا كفت عن الشكوى .

— امعك عود ثقاب ؟؟ يلتفت الزوج . ان النور الضعيف الذي كان ينبعث من ذبالة السراج قد مات .. تلاشى .. فملأ السواد جوانب الكوخ .. انطفأ .. ويمد الرجل يده الى جيبه . لا شيء .. انه مثقوب .. الجيب الآخر . فتصطدم ببعض الاجسام الصغيرة يعرف بينها علبة الثقاب لكنه يتمهل فلا يخرج يده . بل يظل يعبث بتلك القطع ويمر باصابعه على اطرافها هذه القطعة التي جوانبها ملساء .. فلس .. وهذه الصغيرة التي بأطرافها نتوء .. اربعة . اما هذه الكبيرة قليلاً .. فعشرة .. خمسة عشر فلساً . انه يتفحصها للمرة العاشرة دون ان تزداد قليلاً . خمسة عشر فلساً . يقولون ان النقود تأتي بالنقود ، الذهب يأتي بالذهب ، اما النحاس ؟



وينهض الرجل متثاقلاً فيتحسس بأقدامه الارض وبيديه جوانب الكوخ حتى يعثر بالسراج فيشعل عود الثقاب ويدنيه من الذبالة فينبعث نور خافت يطرد شيئاً قليلاً من الظلام ويلتفت الى زوجة فيجدها تتأوه لكن الضياء لا يلبث ان يتلاشى فيغدو الكوخ قطعة من الليل ويحمل الرجل السراج متذمراً ويهزه بيده هزاً عنيفاً .

— نضب .. الغاز نضب . ان السراج خال من الغاز .

تئن الزوجة .. ويطلق الزوج ضحكة قصيرة .. — حتى الغاز ايضاً .. هه .

— تضحك وانا اتألم .

— اجل اضحك وانت تتألمين .. يجب ان نضحك ونحن نتألم هكذا يريدوننا اما الشكوى فكأي شيء آخر في الحياة . محرمة علينا .. يريدوننا ان نضحك ونحن نموت .

— من هم !؟؟ — الناس .. المتخومون من الناس .

— انت تهذر .. لا افهم ان يضحك الانسان وهو يتألم .

— هذا صحيح ، انا ايضاً لا افهم .

— آه .. الالم يشتد .. هل تحركت من مكانك . الكوخ خال من كل شيء .. استعطفه لعله يعطيك بعض النقود . قل له اجرك عن الشهر المقبل .

— استعطفته .. استعطفته فلم يفعل .. قبلت (يصمت قليلاً

ثم يندفع) قبلت حتى يديه . . الوغد . .

— آه . . آه .

ينظر الرجل الى زوجه . . فلا يرى شيئاً . . فالظلام يقف سداً بينه وبينها . . الا ليت الظلام منع عنه انينها ايضاً . هذا شيء لا يطاق . . شيء لا يطاق . .

— آه . . قل له ان امرأتي على وشك الوضع . . دينار واحد . نهيء به بعض الطعام وفراشاً للطفل ، وأجر مولده . . إئت بها معك . . مالك لا تجيب .

آه . تنبعث من بين شفتي المرأة الضامرتين ، فيها كثير من الالم وشيء قليل من الارتياح فقد خرج زوجها لعله يفلح هذه المرة فيحصل على بعض النقود من سيده . وتلقي نظرة الى الخارج ، لا شيء سوى الظلام . . واشباح النخيل والاشجار . تعبث برؤوسها الريح . . فتنبعث منها اصوات غريبة موجشة تجفل لها القلوب . . لكن قلبها لا يجفل . . فقد الفت هذه الاصوات . وهذا الظلام . وهذا البؤس . . اشياء صاحبتها مذ ولدت في كوخ ابيها عبد الغفار ورافقتها وهي تنمو واستقبلتها في بيت زوجها منذ عامين . اشياء الفتها . . كما الفت هذا الكوخ وهذا الحصير البالي والسراج الذي نفد غازه الليلة فظل خالياً . وما اكثر الليالي التي بقي فيها خالياً من الغاز . . وتتمدد المرأة على الحصير الذي لا يكاد يمنع عن جسدها الارض . لكنها لا تلبث ان تهب جالسة فالالم يشتد . ويشتد . . يا الله . . لم يعد ابراهيم بالمولدة . . أكتب لها ان تضع الجنين وحدها . . لكن الالم لا يترك لها وقتاً للتفكير . فالطفل يكاد يمزق منها الاحشاء . . انه يتقلب في بطنها . . كما تتقلب السمكة حبستها شبكة الصياد في الماء . . تنظر الى باب الكوخ لا شيء سوى الظلام . . ها . . هاهما قد اقبلا . . هذا هو ابراهيم وخلفه المولدة . . لكن ما لهما وقفا . . ابراهيم اسرع . . لكن ابراهيم لا يسرع . . بل يظل جامداً . وكذلك المرأة التي خلفه . لا تتحرك لا يتحركان . . وكأنهما من حجر . كأنهما من خشب . . كأنها جذوع اشجار . . آه . . يا لها من عمياء ، فما تراه ليس الا جذوع اشجار . . ما هذا الثقل الذي يضغط على قلبها . ان الطفل يدور في بطنها . . ليوجه رأسه الى تحت . . تحس انها تختنق . . ووجهها يلتهب . . الدم يسري في عروقها كالنار . . والالم يشتد . . ويهزها هزاً . . فتتحامل على نفسها . حتى تصل الى عمود في وسط الكوخ . . فتمسكه بكلتا يديها . . لكن العمود الذي لا يكاد يحمل سقف الكوخ . . يتأرجح تحت يديها . فتتأرجح معه . . والالم يشتد . . ويشتد . . فيجف فمها . . وتشعر بظمأ شديد . . رأسها يشتعل . . ويتساقط العرق من جبينها . . امعاؤها تكاد تتمزق . . وكأن سكيناً تتحرك في بطنها . فتطبق يديها بقوة حول العمود . . وتلقي برأسها عليه وبدون وعي . . تصرخ صرخة . . تزعج سكون الليل . . فتنبح الكلاب في الخارج . . الالم فظيع . . ان الجزء الذي تحت بطنها يتضخم . . ويتضخم . . حتى لتكاد تتقطع الاعصاب . . ويتشقق اللحم . وهي تصرخ . . وتضغط . . وتصرخ . . ثم يصيبها الاعياء . . وتنطبق اجفانها . . وتحس بنوم لذيذ خاطف . . ثم تفتح عينيها وتشعر بهدوء وارتياح . . ويلفح الهواء وجهها المبلل بالعرق . . فتحس ببرد خفيف . . يقشعر له بدنها . وتجد جسمها قد خف وزنه ، تجس بخمول وتراخ في كل اعضاء جسدها . . وتنظر تحتها — وكانت عيناها قد اعتادتا الظلام بعدان خبا السراج — فترى شيئاً يتحرك . شيئاً لا تتميزه . . فتتحسسه بيديها . . طفل . . ذكر . . وترتسم على شفتيها شبه ابتسامة . . تحوي من المرارة واليأس . . اكثر مما تحوي من السرور والامل . . وتهم بالنهوض . واذا بالسكين لا تزال تخز في الجزء الاسفل من جسدها . . تحس شيئاً . . يشدها الى الارض . . شيئاً يربط بينها وبين الرضيع . . وتجد في بطنها بعض الالم . . فتكتم انفاسها . وتضغط . . وتسقط كتلة من اللحم والدم . . فتحس براحة كاملة . . وبجسمها اخف من الريش . فتتناول بعض الخرق . . وتمسح بها جسدها . . ثم تعقد طرفه الى بطن

العرب

•

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

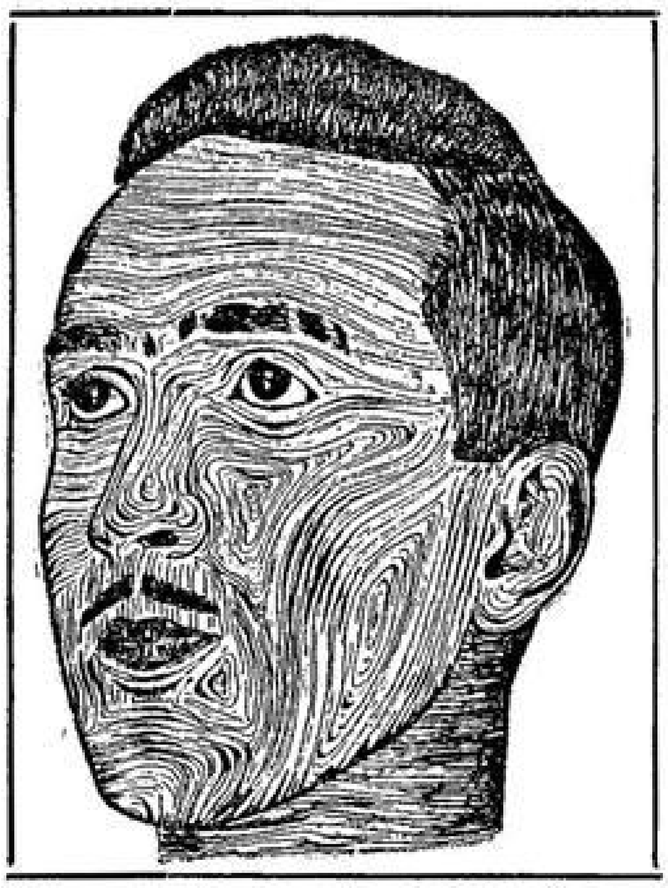
الرضيع . . وتلفه ببعض الخرق البالية . وترفعه بين يديها . وتدنيه من وجهها . . ولاول مرة . . يصل صوت ابنها الى اذنيها . . واهناً ضعيفاً . كجسده الضعيف الواهن . . انه ولد . . ولد على اي حال . . اجـل ولد . . وتنظر الى باب الكوخ . . لكن زوجها لم يعد بعد . . انها في غير حـاجة الى مولدة . . فقد وضعت وانتهى كل شي . . لماذا لا يعود . . ليرى طفله . . ولده . . نعم ولد . . وتمد يديهـا تتحسسه مرة اخرى . . لتتأكد . . ايه ايها الشقي . . ان اول صفحة . . من صفحات حيـاتك قاتمة سوداء . نحن الجناة . . نحن اتينا بك الى الحياة . . لتتألم وتتعذب . يقولون ان الانسان يولد ليتعذب ويموت . . لكن أكل انسان يولد ليتعذب . هناك اناس يولدون ليتنعموا ثم يموتوا . . يتحرك الطفل . . ويبكي بصوت خائر متقطع — إبكِ . . انك تبكي فلا اكاد اسمع بكاءك . . وستظل تبكي طيلة حيـاتك . . ولن يحس بك احد . . فالضاحكون لا يسمعون بكاء الباكي . . ولا يشعرون بشقاء الشقي ولا يرون بؤس البائس اما الباكون فيسمعون قهقهات المترف ويرون نعيم المتنعم ايه ايها المسكين . . اذا كانت صفحات كتاب حياتك قاتمة فأني — وأنا امك — اتمنى ان يكون هـذا الكتاب قليل الصفحات . . انك ولد . . لكنك جئت في كوخ كوخ جدرانه من قصب وقش . . لا من حديـد واسمنت . . ولا من حجر وجبس . . حتى ولا من طين . . لو انك جئت في قصر او في دار . . لا يبيت اهلها على الطوى . . ولا يخلو سراجهم من غاز . . اذن لاقيمت الافراح وعلا البشر الوجوه وهنأ بعضهم بعضاً فانت ولد . . ولد تتمناك كل ام ويتلهف اليك كل اب . . ولد تذبح عند مقدمه الضحايا والقرابين . . اما نحن فما الذي نضحيه استبشاراً بقدمك . . وتجفل المرأة اذ يدوي في الفضاء صوت عيار ناري يحمله الهواء من اقصى المدينة . . فتضم ابنها الى صدرها . ويخفق قلبها بشدة . . وتنظر الى باب الكوخ خائفة . . لا شيء سوى الظلام . . فتضع الطفل الى جانبها برفق . وتلقي بجسدها الخائر المنهوك الى الحصير . . بعد ان تلفه بأسمال . . كانت يوماً ما فراشاً، وينام الصغير . . ولا تلبث ان تأخذها سنة الكرى . فتروح في سبات عميق . . وتظل الريح تصفر في الكوخ . . وتمر ساعات من الليل . . واذا بالمرأة تهب مذعورة وهي تصرخ ابراهيم . . ابراهيم . يا حافظ يا الله . . وتمد يدها حيث يرقد . فتجد الفراغ لا احد . . اذن هو لم يعد حتى الآن . ما هذا الابطاء . . ومـا معنى هذا الحلم الغريب المزعج . . وراح قلبها يخفق بعنف . . يا الهي . . ابراهيم بين مخالب وحش ضخم اسود . . وطفل يجمع اعقـاب السجائر . . يطارده رجال البوليس . . وقبور . . ونهر من دم . . ورجل بدين يجذبها من شعرها ويقهقه . . ما معنى كل هذا ! ؟ . وتستبد بالمرأة الوساوس . . فتنهض الى باب الكوخ . . وتجهد عينيها لترى شيئاً . . لكن لا شيء سوى الظلام . . واشبـاح النخيل والاشجار . . لا اثر لابراهيم في الطريق . . انه لم يعد بعد . ويهمس صوت من الظلام . . انه لن يعود . . صوت لا تسمعه اذناها . . بل يحسه قلبها ، فتشتد ضرباته لكنها تظل تنتظر .

العراق - البصرة

مهدي عبسى الصقر

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعوديـة
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة نيجيريا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية
كوران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل
الارجنتين شيلي بوليفيا الاورغواي فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا



غمازة

مهداة الى الشاعر الكبير عمر ابو ريشة

●

غمّازةٌ ام قبلة ساهيه ... على خدود غادة غافيه
تفسح لي من خدها كوة ... وتلتوي عن غدها لاهيه
قد غازلت خفقتها ضفةً ... وسلسلت خطوتها ساقيه
تهرق في نقلتها موعداً ... معطراً وبسمة زاهيه
وافت الى غديرها ، طفلة ، ... تنظر في صقاله حانيه
فمزقت ، في غنجة ، ثوبها ... واغتسلت حافية عاريه
وهاجها مراحها فارتمت ... في لجة ، غريقة طافيه

***

غمازة ام قطرة من ندى ... تمسح خد حاوتي الغانيه
تسفح في ابتسامة حاوة ... ضحكتها ناعمة صافيه
فيسكب الفراش إما غفت ... جناحه امنية غاليه

***

وشاحها من قلق لونه ... ومن ذهول ليلة ساجيه
تهفو الى فضائها ، نجمة ، ... تمسح جرح افقها شاكيه
فتنسج الاحلام في لفتة ... وتحبس الطيوب في خابيه

***

وان حبت في فيئها قبلتي ... وواكبت بسمتها القانيه
ولوّنت حمرتها بالندى ... وجاذبت عطورها الفاغيه
تمنعت ، في ميسة ، وانثنت ... تشير لي واسلست راضيه
وانطفأت في ذلة وامحت ... ولملمت خيوطها الواهيه

***

غمازة ام قبلة ساهية ... على خدود غادة غافيه

برده - سويسرة

بديع حقي

رسم الشاعر بديع حقي بريشته

نضم

آسيا ما يكاد يبلغ ثلاثة أخماس الجنس البشري. ومن المحتمل ان النسبة بين عدد سكان آسيا وبين عددهم في اوروبا، في الازمنة السحيقة الغابرة كانت أكبر من النسبة الحالية بين سكان القارتين.

وفي آسيا ظهرت أقدم الحضارات البائدة كما ظهرت اقدم الحضارات التي بقيت بقاء الدنيا الى يومنا هذا.

فالصيني المعاصر يستطيع ان يقرأ الاقوال الحكيمة التي نطق بها أسلافه في ذلك الماضي المتغلغل في القدم يوم كان أسلاف الامريكيين المعاصرين يتقاذفون بالحجارة في الغابات. كما يقول مستر « دولي » الفيلسوف الامريكي.

ولا شك ان لدى تلك الامم العريقة في المجد ينابيع من العلم، وفيوضاً من الحكمة يفيدنا العلم بها.

ولكن الذين كان لهم الاثر البالغ في آراء الاوروبيين والامريكيين هم اولئك الاقوام من الشعوب القديمة الذين عاشوا في غرب آسيا.

فاليهود الذين اورثوا الاقوام التوراة، كانوا قريبين جداً من اوروبا حتى ليعدّون انفسهم اوروبيين.

اما الاقوام الذين يقطنون الاقاليم الشرقية والاقاليم الجنوبية من آسيا فقد ظلوا الى زمن قريب كأنهم غرباء عنا من الوجهة الثقافية بل كأنهم من سكان كوكب آخر غير هذا الكوكب.

فقبل القرن الثامن عشر كان التجار والرحالة — اذا عادوا الى اوربا — يقصون القصص الغريبة عن الصين وعن الهند. ولكنهم كانوا، لانواع المنسوجات ولاصناف التوابل، أعمق دراسة منهم لصنوف العلم وألوان الادب.

أما اليابان فقد كانت حتى منتصف القرن التاسع عشر كتاباً مختوماً لا يباح لاي عين من عيون اهل الغرب ان تقع عليه.

وان كتاب الشرق الاقصى القديم لا تزال اسراره غامضة علينا. ذلك لاننا لا نستطيع قراءته وذلك لان الترجمة قد بدأت منذ عهد جد قريب.

وأهل الغرب يعنون كل العناية بارسال الجيوش لتغنم المدائن والقرى ولكنهم لا يعنون بارسال العلماء ليقبسوا الآراء.

وإنا لمحاولون في هذه العجالة — وشفيعنا في عدم الاطالة هو الجهل بأديان الشرق وآدابه — ان نلم الماما خاطفة بآداب آسيا وسطها وجنوبها وشرقها.

ولنبدأ بكونفوشيوس حكيم الصين الذي عاش قبل خمسمائة سنة من ميلاد المسيح.

ولقد كان كونفوشيوس يشبه المسيح من وجهات عديدة. فكان يكلم الناس ويمشي في الاسواق. وكان يعظ الناس بصيغة النهي فيقول: « لا تعامل الناس بما لا تود ان يعاملوك به »: وهو في حبه لاوساط الامور، وفي ايمانه بما لمحاسبة النفس حساباً هادئاً من اثر قوي، يشبه سقراط وسائر فلاسفة الاغريق. وقد كان كونفوشيوس رجلاً فيه زهد وفيه قناعة. وكان يأمر بالموادعة وترك الخصام. وكان لا يطلب لنفسه اي جاه او سلطان.

ولكن اتباعه ومريديه هم الذين بالغوا في توقيره وتعظيمه ثم اتخذوه الههم.

وان اولئك المريدين والاتباع هم الذين وضعوا كثيراً من كتب الحكمة التي تحمل اسمه وان كانت آراؤه هي بالطبع الاسس التي قامت عليها تلك الكتب.

واذا تركنا جانباً ما احدثه من أثر في بني قومه بدماثة خلقه ولين جانبه فانا واجدون اهم اثر باق من آثاره هو انه جمع وخلد الآداب الصينية القديمة. وتلك الآداب قوامها التاريخ الاسطوري والشعر والحكم المأثورة.

ولا تعرف اللغات الاوروبية الى الآن الا القليل جداً من من الادب الصيني. ولكن الرغبة الملحة في التعرف الى شعراء الغناء الصينيين، قد زادت في الزمن الاخير. واعظم هؤلاء الشعراء قدراً هو « لى بو » الذي عاش في القرن الثامن المسيحي.

واذا اردنا ان نبوئه مكاناً بين الشعراء طبقاً للمقاييس الغربية فإنه يبدو أنه مزيج من الشعراء « فرانسوا فيون Villon » و« عمر الخيام » و« هيني ». وان فن الرسم الصيني وفن نحت التماثيل لمعروفان — ولو قليلاً — لكل من زار متحفاً من المتاحف التي تعنى بالفنون. بل لكل من نظر الى وجوه دكاكين التحف الشرقية.

وليس هناك سد يحول بين عين الاوربي مثلاً وبين آنية جميلة من أواني الزهر الصينية.

ويقول لنا العارفون ان الصلة الروحية قريبة جداً بين الشعراء

الشرق ذو الاسرار

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصينيين وبين اولئك الفنانين من بني قومهم الذين يستوحون خيالهم في النقش على العاج والرسم على الخزف وفي تطريز الثياب الحريرية.

والادب اولاً وآخراً هو البرزخ الذي تلتقي عنده ابصار الشعوب التي بعدت بينها الشقة، وشط المزار.

وان روح اليابان التي صارت في الازمان الحديثة اكثر من الصين اقتراباً من العالم الغربي وقد اصبحت معروفة — اذا جاز لنا ان ندعي هذه الدعوى — عن طريق واحد يكاد لا يشاركه سواه وهو طريق الفنون الجميلة مستقلة عن الادب.

فالرسوم العجيبة، والخزف، والستائر اليابانية قد اكثرت اوربا وامريكا من استيرادها. وذلك لطهارة ذمة الفنان الياباني الذي لم تلن قناته للمغريات التجارية.

اما الشعر الياباني فما زالت ارضه بكراً. ولا سوق له في بلاد الغرب. واغلب الشعر الياباني قد طال عليه القدم.

وقد استعار اليابانيون آدابهم الفصحى من الصين. مثلهم في ذلك — الى حد ما — مثل اوروبا التي نقلت اصول افكارها عن اليونان وروما.

ولكن شعر اليابان الغنائي له طابعه الاصيل. وله ذاتيته المطواعة. وازهى عصر من عصور الشعر الياباني هو القرن الثامن الميلادي. واشهر شاعرين نبغا هما «هيتومارو» و«أكاهيتو».

والشعر الياباني الغنائي شعر إيحائي. وهو ابيات قصيرة. لا يمتد بها النفس حتى تبلغ مبلغ القصائد. ولكن سحر هذه الابيات لدى اليابانيين ولدى الدارس الاوربي للادب الياباني هو حقيقة واقعة يجب ان نؤمن بها ايمان تسليم. ذلك لان الترجمات الانجليزية القليلة التي قرأتها قد أتاحت لي ان احكم ان ما قرأته يعلو على المستوى العادي للشعر. والذنب في هذا يجب ان يحمل وزره المترجمون.

وهذا الحكم له اهميته لا في معرفتنا للشعر الياباني بل في المشكلة الكبرى، مشكلة الاتصال الادبي بين الاقوام الشرقية والغربية

ويجمل بنا ان نقتبس هنا كلاماً قاله لافكاديو هرن Lafcadio Hearn» (١٨٥٠ـ١٩٠٤) وهو أديب ولد لاب انجليزي وتجنس بالجنسية اليابانية وتسمى باسم «ياكوموكويزومي Yakumo Koizumi.

قال صاحبنا: ان الشعر الياباني هو في الواقع — كما يبدو لي — رسوم يابانية ملونة صيغت في كلمات، لا اكثر من ذلك ولا اقل.

وكتب مرة الى احد تلاميذه اليابانيين يقول: ان البيت الجميل من شعر «هيني» او «شكسبير» او «كالديرون» او «بترارك» او «حافظ الشيرازي» او «السعدي» يبقى جميلاً حتى لو ترجم نثراً في لغة اجنبية اخرى.

اما الشعر الذي لا يمكن ترجمته فهو شعر لا قيمة له بين آداب العالم: بل هو لا يستحق ان يسمى شعراً.

وقد اصبحت اليابان امة عصرية نصف اوروبية في المظهر وهي تبدو اقرب الينا من الهند التي تبدي مقاومة شديدة لقبول الافكار الاوروبية. ومع ذلك فان الهنود هم ابناء عمومتنا. اذ هم فرع من السلالة الكبرى المعروفة بالآرية او الهند الاوروبية.

وقد بلغت الهند مرتبة عظمى من الحضارة. منذ نيف وثلاثين قرناً، وفلسفة الهند الدينية هي اعرق في القدم من فلسفة اليونان. وقد استمد كثير من فلاسفة اليونان كثيراً من آرائهم من فلسفة الهنود.

وقبل ان يسمع صوت السيد المسيح على شواطىء بحيرة طبرية كان الدعاة الهنود يدعون الى الاخاء الانساني ويشيدون بذكر الله وعظمته.

وانها لاضحوكة من اضاحيك التاريخ ان الهنود لم يجدوا لدى اخوانهم من بني الغرب الاخوة المنشودة. وانهم قد انقسموا فيما بينهم شيعاً واحزاباً. وان فشل الهنود في تحويل العالم الى اخوة عالمية، او في ان يحققوا في انفسهم المثل العليا التي اختطها حكماؤهم انما هو فشل قد خيب آمال كل اصحاب الاحلام النبيلة. بل فت في عضد كل ديانة من الديانات ومنها ديانة المسيح.

ولكن الآراء والافكار لا شك تبقى حتى لو لم تقدر لها الغلبة والسيادة.

ويمكن تعريف الادب — بأنه تقييد الآراء وتسجيلها. مهما تجاهل الناس قيام تلك الآراء. ومهما رفضوا قبولها.

والهنود منذ القرون الاولى قد اوتوا القدرة على التعبير عن آرائهم تعبيراً فيه الوضوح وفيه الخصب.

وقد قدر لكتاباتهم ان تبقى على الزمن وان تلقى من التغيير والتبديل اقل مما لقيته آداب اية امة اخرى من معاصراتها.

وافكار الهنود تنحدر الينا من طريقين احدهما قديم والآخر حديث. والاثر القديم انتقل الى آدابنا انتقالا غامضاً غير مباشر عن طريق الاغريق.

ففلاسفة الاغريق الاولون. وبخاصة فيثاغورس قد تعلموا من فلاسفة الهنود ان الحكمة هي التأمل في امر الروح. وان وراء المادة يكمن الجوهر والفكر. وهذا هو اساس فلسفة افلاطون.

وقد امتزج هذا الرأي بالفلسفة الحديثة. وقد تغلغل في ارواحنا سواء اكنا على وعي بمصدر هذا الرأي، او كنا غافلين.

ومن الاقوال المأثورة عن الهنود «ان الروح مستقرة في الناس

جميعاً . ولكن ليس كل الناس على علم بهذا » .

اما الطريق الآخر لانتقال آراء الهنود الينا فهو طريق الآداب الغربية . اذ بينما كانت الجيوش الاوروبية تفتح الهند كان طلاب العلم ومحبو الفنون يترجمون الآثار الادبية الهندية وقد اتم عملهم وأكمله، ادباء الهنود الذين تلقوا العلم في جامعات انجلترا . فقد حفزتهم غيرتهم على بلادهم ان يترجموا آثارها الادبية لتقع عليها اعين الاوروبيين فكادت تصبح الهند اليوم كتاباً منشوراً .

ولكن هذا الكتاب واسع الارجاء ممتد الانحاء اذ هو كتاب من عمل آلاف السنين وليس في استطاعة الكثيرين منا ان يمعنوا في قراءته، وان يبالغوا في استقصائه .

وقد اتحفنا العالم « بريان براون » بلمحة من الآداب الهندية تخلب الالباب . في مجلد صغير سماه : « حكمة الهنود » حوى اقوالا مأثورة كما حوى ترانيم واناشيد . مأخوذة من كتاب « Rig Veda » او « الحكمة مكتوبة شعراً » . وهذه الاقوال تمثل اقدم الآراء الدينية التي يسير ملايين الهنود على نهجها في حياتهم . والتي تفتن عقول الغربيين بجمالها ودقة معانيها .

وهناك ما هو اعم فائدة . وهي تلك المقطوعات من الشعر التي وردت في الكتابين الكبيرين من كتب الملاحم الهندية وهما « المها بهاراتا » و« الرمايانا » اللذان ملئا بصور الفروسية وبألوان المخاطرات الجريئة .

وهناك ايضاً الترجمة الانجليزية لاشهر رواية شعرية وهي المسماة « ساكونتولا » للشاعر الهندي « كاليداسا » وقد كان « جوته » يعجب بهذه الرواية الاعجاب كله .

وأكثر المفكرين الهنود اثراً في عقول اهل الهند هو « بوذا » مؤسس البوذية .

وقد سبق المسيح بخمسة قرون واتباعه قد ظهروا اول امرهم في الهند (وقد اضمحلت تلك الديانة في الهند فيما بعد) . ثم في شرق آسيا ووسطها حيث فاق عددهم عدد التابعين لاصحاب الديانات الاخرى .

وكان بوذا مبشراً بتعاليم دينه . وكان كاتباً . وكاتب هذا المقال لم يذكر اسمه الا لان تعاليمه قد تأصلت جذورها في الفكر الاسيوي . فكان هو وكانت الآراء التي نسبت اليه موضوع ادب ضخم . والذين يقرأون الانجليزية لا بد واجدون لذة في قراءة القصيدة المشهورة للشاعر الانجليزي «ادوين ارنولد » التي سماها «نور آسيا » والتي عالج فيها حياة بوذا ومعتقداته في اسلوب له حظه من الجمال والفتنة .

وروح البوذية كما يدركها القارىء الغربي توجد مفسرة تفسيراً جميلاً في كتاب « للافكاديو هيرن » سماه : « فضلات الحصاد في حقول بوذا »

وكذلك توجد ترجمة الآداب البوذية الاصلية . في مجموعة الكتب الانجليزية المسماة كتب الشرق المقدسة The Sacred Books of the East والبوذية لم يعن بها في الامم الغربية الا الفلاسفة والادباء من امثال شوبنهور .

فهي لم تؤثر مطلقاً في افكار الجمهور . ذلك لان المسيحية قد انتصرت في الغرب . وذلك لان العناصر الشرقية في الديانة المسيحية هي ما يستطيع العقل الغربي ان يجد فيه غذاءه الروحي .

والبوذية بعيدة جداً عن العقل الغربي وذلك لامعانها في « الشرقية » فهي تقول ان اصل الآلام كلها هي الشهوة . ولذلك فلكي يجتنب المرء الالم يجب عليه ان يفك عنه اغلال الشهوة وقيودها .

وهي تقول ايضاً ان خاتمة المطاف في هذه الحياة الدنيا هو النسيان .

(وبعد) فقد اصم العالم المسيحي اذنيه عن سماع صيحة كبرى لديانة اسيوية كبيرة اخرى هي الديانة المحمدية .

وفي الحق ان امم اوروبا واتباع النبي . كانوا دائماً — لاسباب ليست كلها تمت الى الدين — في حرب مستمرة . ولم يصل العراك بعد الى نهايته .



وقد بدأ العرب منذ القرن السابع الميلادي. يقومون بالغزوات والفتوحات تحت راية محمد وخلفائه . فاجتاحوا آسيا وافريقيا . وظل الناس يدخلون في دينهم . بالسيف تارة وبالحجة تارة اخرى . واليوم يدين بهذا الدين نيف ومائتا مليون من البشر . والقرآن هو الكتاب المقدس لدى اتباع ذلك الدين . وهو مجموعة من التعاليم التي اوحيت الى محمد . ونزلت مفرقة .

والقرآن هو اكثر كتب العالم قراء ودارسين. ذلك انه مفروض على كل مسلم ومسلمة ان يقرأوه .

وهناك ترجمة للقرآن بالانجليزية من عمل J. M. Rodwell وهي ترجمة قد تفوق الترجمة التي سبقتها . والتي تعب في فهمها « كارليل ».

والمقال البليغ الذي كتبه « كارليل » في كتابه «الابطال» عن محمد هو بيان شامل عن عظمة محمد سار في كتابته « كارليل » على نهج واضح من النزاهة والعدل .

ويرى كارليل ان القرآن عسير الفهم لدى الاوروبيين ويراه كذلك ترديداً لاصداء الحياة ، والشرف .

ويقول « كارليل » ان الصدق في اجلى معانيه . والاخلاص في ابهى مجاليه هما لحمة القرآن وسداه .

وان كتاباً اهتدى بهدية ملايين من البشر منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً لهو كتاب له جلاله ، وله عظمته بين كتب العالم .

ويبدي بعض الغربيين اعجابهم بتلك المجموعة الجليلة من القصص . الموسومة بقصص « الف ليلة وليلة » او كما يسميها الافرنج « مجالي اللهو في الليالي العربية » .

وقد عرف الاوروبيون هذا الكتاب لاول مرة عن طريق ترجمة فرنسية في اوائل القرن الثامن عشر . فاصبح كتاباً محبباً الى كل قارىء . ثم عم انتشاره منتقلاً من بلد الى بلد .

فقصة علاء الدين ومصباحه . وقصة السندباد البحري . وقصة « علي بابا والاربعين حرامي » كلها قصص معروفة لابطال اوربا جميعاً . وهم يعرفونها كما يعرفون قصة « هانس كرسيتان اندرسن ».

وذلك الخليفة العظيم . خليفة بغداد . هارون الرشيد . مهما يكن مقامه في التاريخ . قد اصاره ذلك الكتاب ملكاً عظيماً في عالم الخيال .

ولا شك ان قصص « الف ليلة وليلة » التي تفيض بالخيال الاسطوري وبألوان السحر ، قد اعجب بها قراؤها جميعاً اعجاباً بلغ حد الفتنة .

ويبدو كتاب « الف ليلة وليلة » للقراء الغربيين (ويؤيدهم في ذلك قراء الادب العربي) انه كتاب قد ضم بين دفتيه موجزاً للحياة في مظاهرها اليومية . في بلاد فارس ومصر والهند اذ ان كثيراً من حكاياته مقتبسة من مظاهر حياة تلك الامم .

والشعر الشرقي الذي كان له ابعد الاثر واقواه لدى الامم الغربية هو الشعر الفارسي. وقد شهد للشعر الفارسي بالتفوق الترك والعرب.

ومن الشعر الفارسي . بل من شعر الشرق كله . يلم القراء الانجليز الماماً تاماً برباعيات عمر الخيام . وترجمة « ادوارد فتزجيرالد » لتلك الرباعيات قطعة من الادب الانجليزي الذي اوفى على الغاية في الفصاحة .

وشاعر قصص الحماسة الاكبر في فارس هو الفردوسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي . وقد كتب « الشاهنامه » او « كتاب الملوك » وهو تاريخ فارس منذ اقدم العصور . وهو عمل ضخم . ويقول العارفون . انه يحتوي على قصص وعبارات هي آية في الجمال والغنى (ويبدو ان ليس هناك ترجمة سهلة لهذا الكتاب بالانجليزية).

ويمتاز هذا الديوان على سائر دواوين شعر البطولة في العالم بانه يكاد يكون الديوان الوحيد الذي اقر له قدمه بانه شعر الحماسة القومية . وصاحبه ما زال حياً .

ومن اجدى قصائد هذا الديوان اخذ « ماتيو ارنولد » موضوع قصته التي سماها « زهراب ورستم ».

وقيمة الشعر الحماسي هو انه يكشف عن تقاليد امة من الامم او سلالة من السلالات

والى جانب «عمر الخيام» الذي اشيع المترجمون شعره ترجمة وبحثاً هناك شاعران فارسيان ممن يتغنى بقصائدهما السعدي و حافظ الشيرازي .

وأشهر كتب السعدي « البستان » و« كلستان » (اي حديقة الورد) ويمكن قراءتهما في اللغة الانجليزية . وهما يحويان ابحاثاً فلسفية وخلقية . لم تبلغ من العمق حداً يبعث الملل . وهي لوضوحها لم تفقدها الترجمة حسنها وحلاوتها .

والفضل في تعريف القراء الانجليز بالسعدي يرجع الى «ادون رنولد» الذي ترجم جزءاً من كتاب « كلستان » فأحسن الترجمة واجادها .

وكان حافظ الشيرازي اقل استمساكاً بعرى الاخلاق من حميه السعدي .

والسعدي اقرب في روحه الى « الخيام » فقد كان يحب الخمر والنساء والغناء ومشاهد الطبيعة .

ولقد زاد على « عمر » الذي كان قدرياً متشائماً . فكان حافظ — في بعض الاحيان على الاقل — يلتذ مباهج الحياة ومسراتها .

القاهرة — مبارك ابراهيم

صورة وصفية

•

ايفا

•

قلم وديع فلسطين

☆☆☆

تمهيم بالادب هيام النحلة بالورد ، تحب ان ترشف منه شهده، وتعرف كيف تختار منه اقاحيه ، وتقبل عليه بكل مشاعرها كمن وجد نبعاً بعد طول ظمأ او كمن نزل سهلاً اخضر يانعاً بعد حياة مديدة امضاها في القفر . واذا عشقت صاحب قلم ظل هذا العشق ديناً لها لا ترجو له حولا ، ولا عنه تنصرف . فالكاتب المترف العبارة الانيق اللفظ معشوق لها وان لم يدر، تتقصى آثار منشوراته ومطبوعاته وتجد في البحث عنها اينما كانت وحيثما طاب لها ان تكون فتقرأها وقد تعيد القراءة والتجويد ولا تمل .

هذه خلة « ايفا » الغلابة ، وصفتها المعروفة المأثورة .

وآية اعجابها بالادب والادباء انها جعلت دارها ندوة للآراء والاقلام، فهذه كتب تنتظمها خزانة واحدة ، ولكنها كتب فيها من التنافر والتباعد والخلف ما قد يستدرسخط امناء المكتبات الذين يختارون جناحاً لكل باب ، وينتبذون ركناً لكل موضوع ، فالفلسفة في اول الدرج ومعها الدين وعلم النفس، والاقتصاد في المرتبة الثانية، ويلي ذلك السير والعلوم والقصص بانواعها وهلم جرا . فايفا تحب ان تقرأ وان تمعن فيها ، ولكن لا تسلها عن الترتيب والتبويب والتنسيق فما هذا يعنيها .

واذا كان الادب يفهم على انه تجاوب بين القارىء والمقروء له والمقروء فيه ؛ فان ايفا تضع لنفسها الفلسفة التي تؤثرها في هذا المضمار . فاذا طالعت ، وهزها الطرب عند الاطلاع ، بادرت الى آلة باترة تقص هذا المقال ، وعمدت الى لصق المقال على جدار الحجرة تتلوه وتتلوه ما دامت تلاوته تذهب السأم، حتى اذا ملت الفصل انتزعته لتحل آخر محله .

تلك فلسفتها في « التجاوب الادبي » فهو تجاوب محلي بحت ، يكون من ناحية واحدة وقد يدوم طويلاً او ينتهي بعد زمان قصير، والامر متروك للحالة النفسية عند المطالعة وللجو الذي يخالط المرء عند التلاوة .

ولكن التجاوب قد يخطو خطوة اخرى فيها شيء من الايجاب . تقرأ ، فتنتعش وتطرب ، ثم تهتز وتنتفض الى قلمها وورقها تكتب رسالة الى الاديب الذي احدث في نفسها مثل هذا الارتياح، تخاطبه فيها باسلوب فكه كثير الملح ، وتبث له ما تريد ان تبثه صريحة جريئة قادرة . حتى اذا ما بلغت من الرسالة منتهاها ، وارادت ان تقهرها بامضائها، خانتها شجاعتها ولجأت الى المستعار من الاسماء والمستتر من الكنايات ، وخلعت على نفسها هاتيك الاسماء والكنايات ، فاذا عنّ للكاتب الاديب ان يرد على رسالتها لم يدر الى اين يوجهها ، وكيف يكفل لها بلوغ مأربها . فلا يكون لرسائل ايفا — وهي كثر — رد ولا جواب ، وهذا ما يدخل بلبلة في نفوس المعجب بهم الذين يرون انفسهم عاجزين عن مخاطبة هاته الفتاة مباشرة، وسبيلهم الوحيد الى ذلك هو الصحف الادبية والدوريات المتداولة ، ولكن انى لها ان تفسح المجال لمخاطبة فرد ، ومخاطبته في صراحة ومجاهرة وحسن بيان .

ولكن « ايفا » تتحرج عن الكتابة ، وتخاف القلم كثيراً. ولعلها تخافه لان القلم اذا جرى على الطرس افشى ما قد يريد المرء حجبه. وما ذلك لعلة في القلم، بل لان النفس اذا جرت على سجيتها قالت كل شيء وافصحت عن المكنون من الخواطر والعواطف. وهي ترى كبار الادباء يجهدون كثيراً ليجعلوا كتاباتهم منسجمة على غيرهم من الشخوص الخيالية الواهمة ، ولكنهم من حيث لا يدرون يتحدثون عن انفسهم ويفضحون خبيئات صدورهم ويكتبون ما لا حيلة لهم في كتمانه .

فالشاعرة اذا امسكت قلماً لتدون خاطرات نفسها ، لا تقدر ان تجرد نفسها من عاطفة الحب والبغض ، وعاطفة الامل والالم . وحتم عليها ، وان كرهت ، ان تبوح بكل خلجة تهز فؤادها، والفؤاد عند متذوقي الادب شديد الحساسية سريع التأثر .

ولذلك تحجم « ايفا » عن امتشاق هذا الحسام ذي المداد، فقد يأمن اليه الكاتب مرة ومرتين وثلاثاً ، ولكنه لا يكون

بعد ذلك بعصمة من الكبو ، وكبوات الاقلام ليس من اليسير محو آثارها ، لانها تكون برأى من الوف القارئين وبمسمع من ذان لا حصر لها تصيخ في ارهاف .

وان ايفا باحجامها طائعة مختارة عن نشر خواطرها ، تئد ادبها بنفسها ، وتقتل موهبة تحتاج الى اذكاء واغناء ، وتجعل التجاوب حبيس قمقم لا يغادره الى دنيا من الحيوية فسيحة طليقة .

وقد يقول قائل ان هذه انانية لايسلم منها كل معتز بثروة مقدورة ، لانه يريدها لنفسه وحده لا يشرك فيها احداً ، ولا يعرضها في السوق عرضاً تنزل المزاحمة من قدره ، وتمسخ جماله ايد غريبة دانت لها المطابع ودور النشر . وهو محق في هذا القول لان للادب نكهة يختلف الناس في تذوقها وفي الاستجابة لها فان استطابوا المقطوعة الادبية سخوا على كاتبها بالمديح ، وان لم تنل منهم رضاً ، كالوا له اقداح الذم المرير . والاديب الذي يخوض معترك الادب لا سبيل له الى اجتناب الطريقين ، فهو من بعض في مقام رفيع ، وهو من بعض في هوة ذليلة . وما تريد « ايفا » ان تضع نفسها موضع التجربة ، تستجدي الناقين حتى لا ينقموا ، وتسترضي المعجبين كي لا يتكأكأوا حسبها ان تقبع في برجها العاجي ، تقرأ وفق هواها ، وتكتب لنفسها ما يطوع لها القلم كتابته ، وتحتفظ به بعد ذلك بعيداً عن الاضواء لا يراه الا حفنة من خاصة الخاصة ، ولا يدري نبأه الا قلة من رواد ندوتها .

« مي » خلا مكانها ، ولا يزال حتى اليوم خالياً في مصر ، وان كنت ارشح لملئه الاديبة السورية الجليلة السيدة وداد سكاكيني .

و « ايفا » تستطيع ان تكون شيئاً ، وتستطيع ان تملأ فراغ « مي » لو نضت ثوب التردد ، وأقدمت تجابه الناس بدرها المنثور ، وافكارها النيرة ، وخيالها المنسرح ، وروحها الصادقة الصافية ، وذهنها المترف ، وشمائلها الحلوة ، فعندها الموهبة ، وعندها الزاد ، وعندها التجربة الموفقة ، وعندها الخصوبة الفكرية ، وعندها الهوى الادبي — لا الهوس — وحسبها ان تهز القلم كما تهز الشجرة ذات الثمار الناضجة ، فيجيء بفاكهة شهية وفيرة كلما ذاقها احد استزاد منها .

القاهرة — وديع فلسطين

مررت على الجسر

ايه . . ايتها الورقة الذاوية ويا شجرة الاقحوان الاصفر
ايه . . لست . . بعد ، بالذي تحبين . . . ولكنني سأبقى ابداً ذلك الذي احببتِ
(اغنية رومانية)

☆

مررت على الجسر
مهد الهوى
هنالك حيث التقينا مساء
اسير عليه كأني وجدت
بحضن الربيع بقايا شتاء
غفا متعباً من توالي السنين
عليه ، ومل طويل الثواء
عجوز تثاءب فيه البلى
ودبّت عليه طيوف الفناء

مررت على الجسر
حيث التقينا
افتش عن امسي الضائع
لعل شذا منك باقٍ عليه
واسطورة من هوى ذائع

لعل على الافق طيف ابتسام
تهادى على ثغرك الوادع
مشيت وبي ظمأ للسراب
وشوق الى امد خادع
فلم الق الا فراغاً اصيح
لديه وما لي من سامع
اذا ما ضحكت ، شممت الصدى
يدمدم في الخشب الهاجع

ولما رجعت ، سريع الخطى
اميل عن الافق اللامع
دنا حلمنا الطفل مني . . وعاد
يكفكف من طرفه الدامع

بغداد — اكرم الوتري

نوحه

●

الى التي قالت :

من منا الذي اقتحم الصومعة
على الآخر

لم يقتحم احدنا الصومعة على الآخر
كنتِ في صومعتك تنتظرين
وكنتُ في صومعتي انتظر

.. كثيرون هم الذين مرّوا بنا ولم يطرقوا الباب
وكثيرون هم الذين طرقوا الباب ولم يدخلوا
وكثيرون هم الذين دخلوا ، ولم يجدوا احداً فخرجوا

ذلك انني كنتُ حقاً بحاجة الى يوم...
تخرجين فيه من صومعتك
وتأتين فيه الى صومعتي ...

... وعندها فقط اصبحت الصومعة واحة
... ان الذي يأخذ يحب
ولا يحب من لا يأخذ
والذي اصبح في الواحة بعد طول التيه
لا يقوى على العطش...
لا يقوى على الحرمان...

أريد ان تعي روح معنى الكلمة...
التي لم الحب بها بعد شفتي
اعيش في غربة...
كمن وُجد فجأة حيث لا يريد ان يكون
... ثم اجبر ان يريد ما كان

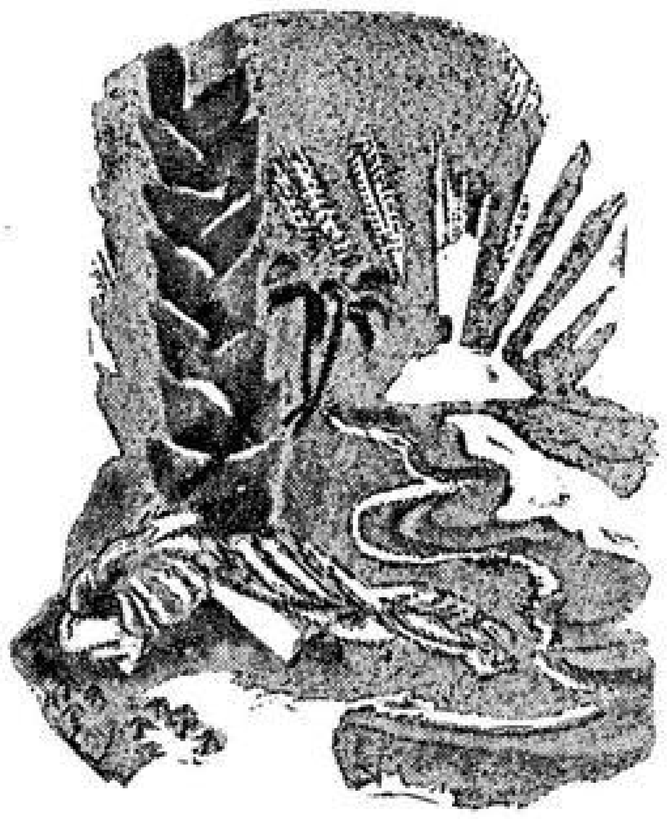
فاذا تلاقت روحان
وفهمت كلتاهما معنى التلاشي والاضمحلال
الواحدة في الاخرى...
كان الخلق والابداع
كان الازل والابد...

لا تسأل بنفسجة كيف نبتت ؟
كم عاشت ؟
انما تقول البنفسجة :
انا نديّة ، بللني الفجر
ولندى الفجر على اوراق البنفسج
الف لون ، في الف نغم
في الف معنى
لا تدركه غير فراشات الفجر...
الظامئة الى اكسير النشوة الكبرى...
التي فيها مسحة من تلك العربدة العبقرية
التي هي الله...

لتمرّ يدك على جبيني المتعب في حنان
ولتطبع شفتاك عليه اشراقة الايمان بالالم
الايمان بي
الايمان بك
الايمان بواحد :
هو انتِ وانا

لابير أديب

●



حب متشردة

لجي دي موباسان

ترجمة منير بشارة عبود

●

كان هذا عقب انتهاء تناول الطعام على مائدة المركيز برتران في حفلة افتتاح موسم العيد . وكان الجلوس حول مائدة العشاء المزينة بالثريات الكهربائية الحافلة بمختلف انواع الفواكه والازهار احد عشر رجلاً وثماني نساء وطبيب الضاحية .

وكان محور حديثهم يدور حول الحب . . ذلك الموضوع الازلي وثارت مناقشة حامية حول اذا كان في استطاعة الانسان ان يحب بقوة واخلاص مرة واحدة او اكثر . تضاربت الآراء واختلطت وجهات النظر وسيقت الامثلة منها ما يؤيد هذه النظرية ومنها ما يؤكد تلك . وادعى الرجال جميعاً بان الحب كالمرض يعاود الانسان الواحد مراراً عديدة حتى انه في بعض الاحايين يكون فتاكاً حين تعترض طريقه اي عقبة .

اما النساء فلم يكنّ من انصار هذا الرأي ولما كن يعتمدن في آرائهن على الخيال اكثر من التبصر اكدن بقوة بان الحب، الحب الحقيقي ، الحب الجارف لا يصيب المرء الا مرة واحدة . فالحب كالصاعقة يصيب القلب فلا يدعه بعد ذلك الا خاوياً فارغاً حتى انه يمنع اي عاطفة قوية من ان تنمو جذورها فيه .

فقهقه المركيز ضاحكاً وعارض هذا الاعتقاد باسلوب مرح قائلاً :

— اؤكد لكم بان المرء في استطاعته ان يحب بقوته وروحه اكثر من مرة . لقد ذكرتم لي امثلة عن بعض اشخاص انتحروا في سبيل حبهم كبرهان دافع على عدم استطاعتهم الوقوع في حب آخر وجوابي على ذلك هو انهم لو لم يرتكبوا جريمة الانتحار هذه لاسعدهم الحظ ثانية في الوقوع في حب آخر بعد ان تكون جراح قلوبهم قد اندملت .

ووقع اختيار الجماعة على طبيب الضاحية ليكون حكماً وطلبوا منه ان يدلي برأيه . فقال الطبيب بعد لحظة تفكير :

« لقد شهدت قصة عاطفة دامت خمسة وخمسين عاماً لم ينهها غير الموت .

فقالت احدى الحاضرات مقاطعة « كم هو جميل ان تسعد المرأة بحب على هذا النحو . . فتعيش في احلام حب عميق هاني، خمسة وخمسين عاماً ! حقاً ما اسعد المرأة التي تحاط بمثل هذا الحب !

فضحك الطبيب وقال :« معذرة يا سيدتي فقد اغلق عليك فهم ما قصدت فالحقيقة ان الشخص الذي سعد بهذا الحب المثالي كان رجلاً لا امرأة . رجلاً تعرفينه ، هو شوكيه صيدلي القرية . . واما المرأة فانت تعرفينها ايضاً ، فهي العجوز الفقيرة التي تصلح كراسي الخيزران والتي تأتي الى هذا البيت كل عام » !

وفتر حماس النساء لسماع القصة وارتسمت على وجوههن علائم الاحتقار وخيبة الامل ، كأنما الحب لم يخلق الا لهذه الطبقة الناعمة الثرية لتثير قصصهن اهتمام زميلاتهن المترفات !



. واردف الطبيب قائلاً :

« منذ ثلاثة اشهر دعيت لعيادة

امرأة عجوز كانت تحتضر . وكانت قد جاءت الى هذه القرية في عربتها القديمة التي يجرها جواد هزيل والتي كانت تستعملها مسكناً لها، وكلباها الاسودان الكبيران اصطحبتهما معها ليكونا لها رفيقين وحارسين. فوجدت قسيس القرية بجانب فراشها فاختارتا لنكون اوصياء على وصيتها ولكي توضح لنا ما جاء في الوصية انشأت تسرد لنا قصة حياتها . . قصة لم اسمع اكثر منها طرافة وغرابة .

كان ابواها يشتغلان في اصلاح الكراسي البالية متجولين في طول البلاد وعرضها فكانت طفلتها الصغيرة ذات الثياب الممزقة الرثة لا تعرف لها بيتاً ثابتاً تستقر فيه . فكان من عادتهم ان يقفوا على جانب الطريق عند مداخل المدن التي يمرون بها فيربطون جوادهم الى اقرب شجرة ليرعى، اما الكلب فيأخذ طريقه الى اقرب مكان هادىء لينام. بينما تذهب الطفلة الصغيرة لتلهو وتلعب. اما الوالدان فيجلسان تحت ظل شجرة كبيرة وقد انهمكا في اصلاح الكراسي وتجديد خيزرانها .

وحين كبرت الطفلة صار والداها يبعثان بها لجمع الكراسي التي في حاجة الى اصلاح في البيوت القريبة . فكانت في طريقها تتعرف على من تلقى من اطفال لتلعب معهم واذ ذاك تسمع صياح والديهم منهرين اطفالهم لاختلاطهم واشتراكهم باللعب مع صبية حافية القدمين .

وذات يوم وكانت قد بلغت الحادية عشرة—بينما كانت تجتاز احد الشوارع التقت وجهاً لوجه مع الطفل « شوكيه » يبكي بحرقة والم خلف احدى المقابر من اجل بضعة دريهمات سرقها بعض الرفقاء الخبثاء . فالدموع التي كان يذرفها هذا الطفل المترف كانت تحرك قلبها وتثير شجونها . فكانت تقترب منه لتعرف سبب بكائه حتى اذا اخبرها عما يبكيه افرغت في يده جميع ما ادخرته من دريهمات فكان يتقبلها بكل هدوء مجففاً دموعه المنهمرة على وجنتيه بينما راحت لشدة فرحها تهوي على وجهه بقبلاتها فلما رأته انه لم يصدها او يعنفها اعادت الكرة فتقبله مرة اخرى ثم تتركه وتجري بكل ما فيها من قوة .

ماذا دار في رأس الصبية بعد هذا الحادث ؟ هل احب قلبها هذا الغلام الابله لانها ضحت من اجله بثروتها ام لانها امطرته بوابل من قبلاتها ؟

وعاشت شهوراً وهي تحلم بهذا اللقاء مع فتى احلامها خلف المقبرة ودفعها الامل ان تلقاه مرة اخرى الى سرقة الدراهم من والديها .

وعندما استقر تجوالهم مرة اخرى في هذه القرية كانت قد ادخرت لحبيبها مبلغ فرنكين ووجدته بعد ان بحثت عنه طويلاً واقفاً خلف قوارير الالوان المختلفة في صيدلية ابيه .

واسعدها الحظ بعد عام لمقابلته . فلما قابلته هذه المرة، يلعب مع رفقائه قرب المدرسة القت بنفسها عليه وطوقته بذراعيها وراحت تقبله بشغف وجنون حتى انها اضجرته فلما بدأ يتذمر وضعت في يده كل ما اختزنته من مال وكانت ثروة بالنسبة اليه فتقبلها وهو مأخوذ تاركاً اياها تقبله .

ودامت هذه الحال على المنوال خلال السنوات الاربع المتتالية هي تعطيه ما ادخرته من مال مقابل سماحه لها بتقبيله . لم تكن تفكر الا فيه وصار—هو—ينتظر عودتها بغير قليل من الصبر فاذا رآها قادمة هرع بلهفة لملاقاتها مما يجعل قلب الفتاة يشب بين ضلوعها فرحاً .

ثم اختفى فتى احلامها فجأة فبحثت عنه دون جدوى ولكنها علمت اخيراً ان والديه قد ارسلاه الى الكلية . استنجدت بكل حيلتها ودهائها لحمل والديها على تغيير خط سيرهما والمرور بالضاحية خلال العطلة المدرسية .

ونجحت في خطتها هذه ولكن لعام واحد ، فقد مر عامان متتاليان لم تره خلالهما. وحين وقع بصرها عليه كادت انلا تعرفه. اذ كان الفتى قد تغير كثيراً فاصبح شاباً يافعاً، بهي الطلعة، رشيق القوام يبدو انيقاً بالمعطف المزين بالازرار النحاسية اللامعة .

وحينما مر بها تظاهر بانه لم يشاهدها فمضى في طريقه شامخاً بانفه وهز تصرفه هذا اعصابها فقضت يومين وهي تبكي بكاء مراً، منذ ذلك اليوم وهي تتحمل آلامها دون ان تشكو او تتذمر . وكانت كلما عادت الى الضاحية ومرت امام الصيدلية لا تتجاسر ان تنحني له تحية كما انه لم يكن ليتنازل برفع عينيه اليها .

ثم توفي والداها فورثت عنهما صناعتهما. وذات يوم بينما كانت تتجول في القرية لمحت امرأة خارجة من صيدلية شوكيه وقد تأبطت ذراع حبيبها . انه قد تزوج . ولم تكن هي الا امرأته .

وفي ذلك المساء القت بنفسها في البركة لكن احد السكارى كان ماراً من هنالك فلما رآها تتخبط في مياه البركة سارع اليها وانتشلها وحملها الى اقرب صيدلية . وكانت صيدلية شوكيه .

فقام شوكيه باسعافها وبعد ان نزع ثيابها عن جسمها دلكه برفق ولين متجاهلاً بانه يعرفها . . ثم قال لها بصوت جاف « يا لك من حمقاء او هكذا تتصرفين تصرف المجانين ؟ » .

وكانت هذه الكلمات كافية لاستعادة وعيها. ألم يتحدث اليها بصوته الحبيب الى قلبها . ولم يطلب اجرة لخدماته التي قام

بها ولكنها الحت عليه بشدة ودفعت اليه مبلغاً حسناً .

وقضت كل اعوامها على هذه الوتيرة تصلح كراسي الحيزران وتفكر في حبيبها شوكيه . واعتادت كل عام ان تبتاع من صيدلية شوكيه ما يلزمها من الدواء حتى يسنح لها ان تراه عن قرب وتستمتع بحديثه العذب وتدفع اليه ببعض مالها المدخر . حتى كان الربيع الماضي حينما لفظت انفاسها بعد ان قصت علي قصة حياتها واوصتني بان ادفع الى حبيبها بكل مالها المدخر — وقدره الفان وثلاثمئة وسبعة وعشرون فرنكاً — ذلك الحبيب التي من اجله تعبت وذاقت العذاب لعله يذكرها ولو مرة واحدة بعد موتها .

وفي صباح اليوم التالي من وفاتها توجهت الى بيت شوكيه فوجدته وزوجته قد فرغا من طعام الافطار وجلسا متقابلين ينظر كل واحد منهما الى عين الآخر .

فأخبرتهما بمهمتي بصوت حزين مؤثر مقتنعاً بانهما سيأخذان في النشيج والبكاء، ولكن ظني خاب . ولما وقفا على تفاصيل القصة قصة حب المتشردة والفقيرة التائهة لشوكيه ضرب برجليه الارض غاضباً ثائراً كانها اضرت بسمعته وخدشت اعتباره هذه الاشياء التي يعتز بها اكثر من الحياة ذاتها .

واما زوجه فثار غضبها وضاق صدرها حتى ليحسب ان انفاسها ما تكاد تهبط او تعلو كانما تخلعت اضلاعها ومادت من مكانها ثم انحدرت تريد الالتصاق وصاحت اخيراً بعصبية ظاهرة «الشحاذة! الشحاذة!» وجعلت تكرر هذه الكلمة مراراً وتكراراً بعد ان عجزت ان تجد كلمة غيرها تفوه بها .

فنهض بعصبية وجعل يذرع ارض الغرفة بخطى واسعة قائلاً: « فكرني الامر جيداً يا دكتور ! . انه لشيء فظيع يحدث لرجل اواه لو علمت به حينما كانت على قيد الحياة لطلبت القبض عليها وايداعها السجن » .

وصمت لما رأيت نتيجة محادثاتي معها وروح السخرية التي تسيطر على الزوجين فلم ادر ماذا اقول او افعل . ولكن كان علي اتمام مهمتي التي جئت من اجلها فقلت : « لقد كلفتني ان اسلمك كل ما لها وتبلغ قيمته الفين وثلاثمئة فرنك . وقد ظهر لي ان حديثي قد ساءك فاني اقترح ان توزع هذا المبلغ على الفقراء».

ونظر الي الزوجان نظرات ذليلة ضعيفة . فأخرجت النقود من جيبي وكانت منوعة من شتى البلاد . وخليط من القطع الفضية والذهبية .

ثم سألتهما قائلاً : ماذا قررتما ان تفعلا بهذا المبلغ ؟

كانت مدام شوكيه اول من تكلم : « يبدو لي انه من المستحسن ان نحترم رغبة المرحومة ومن الصعب ان نرفض ما اوصت به » .

اما الزوج فقال : « في وسعنا ان نشتري بهذا المال شيئاً لاطفالنا الصغار » .

فقلت في لهجة جافة معقباً : « كما تريدان » !. . . فاستطرد قائلاً اعطنا المال ما دامت قد عهدت اليك بتسليمه الينا ونحن ننظر في الوجوه التي سننفق فيها المال .

فوضعت المال ثم انصرفت . وجاءني شوكيه في اليوم التالي وقال : لقد تركت المرأة عربتها فيا اذكر فماذا تنوي ان تفعل بها ؟»

لا شيء . . خذها اذا شئت .

« بالضبط » فاني سأصنع من اخشابها فرناً للمطبخ .

وهم شوكيه بالانصراف ولكني استوقفته قائلاً : « لقد تركت ايضاً جواداً وكلباً فهل تريدهما ؟».

ففكر ملياً ثم قال : « كلا ماذا اصنع بهما؟ تصرف فيهما كيفما تريد» :

ثم قهقه ضاحكاً ومد لي يده مصافحاً . ان الطبيب في قريتنا يجب ان يكون على علاقات طيبة مع صيدلي القرية .

احتفظت بالكلاب في بيتي . اما القسيس الذي تولى دفن المرحومة فقد اخذ الجواد . اما شوكيه فقد ابتاع بالمال الذي اعطيته له خمسة اسهم مالية من اسهم السكك الحديدية . .

« ذلك هو المثل الاعلى للحب العميق الذي صادفته في حياتي . ».

وصمت الطبيب . اما المركيز فقد طفرت الدموع من عينيه وتنهد قائلاً : « حقاً ان النساء هم وحدهن اللاتي يعرفن كيف يحببن » ! . .

منير بشارة عبود

مجموعات الاديب

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة	ليرات	جنيهات	دولارات
الاولى ١٩٦٢	٣٥	او ٤	او ١٦
الثانية ١٩٦٣	٢٥	» ٣	» ١٢
الثالثة ١٩٦٤	١٥	» ٢	» ٧
الرابعة ١٩٦٥	١٥	» ٢	» ٧
الخامسة ١٩٦٦	١٥	» ٢	» ٧
السادسة ١٩٦٧	١٥	» ٢	» ٧
السابعة ١٩٦٨	١٥	» ٢	» ٧
الثامنة ١٩٦٩	١٥	» ٢	» ٧

حزن اولمبيو

عن فيكتور هيجو

●

اطل والافق قد رقت حواشيه ، يمشي وئيد الخطى في ظل واديه
حيث المنى رفرفت بالبشر وانتحرت على ربوع الهوى في سفح ماضيه
والشمس في الافق الثاني قد انهمرت منها الاشعة تنزو من اقاصيه
فاغرورق المرج بالاضواء واشتعلت جوانح العطر وارفضت اواذيه

وكان جو الخريف الطلق في غرق من الفتون زهت بشراً ضواحيه
والسهل يعبث في اقدام سلسلة من الخمائل تاهت في روابيه
تشوبها صفرة خرساء كالحة والطير تذرو اناشيداً تواسيه
وجوهها خُشَّع لله ذاهلة ترنو الى الملأ الاعلى تناجيه
كأنها عن بني الانسان تخبره شيئاً يخفف عنها ما تعانيه

اراد ان يرجع الماضي بروعته حتى يرى كل شيء من مجاليه
يرى الغدير بقرب العين مصطفقاً او يشهد الطلل البالي وما فيه
فاين هي سرحة الدردار أين مضت واين وادي الصبا؟ جفت سواقيه
واين هي خلوات الحب في كنف الغابات قرب التي كانت تناغيه
واين تلك التي في ظلها غمرت روحيها قبلة ، شقت مناحيه
فغاب عن كل شيء مع حبيبته وراح يسبح في اجواء باريه

لقد تساءل عن مأواه حيث بدت مشاهد الحب واخضرت دواليه
وكان يمشي كسيف الوجه تلفحه زعازع اغرقته في مآسيه
كأنه عابر في جوف مقبرة من الاماني وقد هبت تلاقيه
تحذوه في سيره الواني مرددة لحناً فيا ليتنا ندري معانيه !

اثار اعجابه صفو البحيرة اذ تبسم الجو وافترت مراقيه
وانزج تفكيره في جوف قاطرة من المشاهد يحدوها تصابيه
محدقاً بأعالي السُوج مضطرباً لا يستطيع ولوجاً رغم داعيه
كأنه ذلك الهندي منتبذاً من البلاد ، شريداً في بواديه
وانت على قلبه الذكرى فضاق بها ذرعاً وكاد الاسي يطفي مآقيه
مخاطر لفها الماضي بسترته وزجها البؤس في اقصى مهاويه .

وحين رفت عشايا الصمت وانتحرت عرائس الضوء واحمرت اماسيه
احس بالوحشة الخرساء تلسعه بمارج الهم والذكرى تباريه
فراح يجأر بالشكوى ويهتف بالنجوى بقلب غريق في مآتيه :
« يا ايها الالم الجبار قل فانا ذاك الضعيف الذي خابت مساعيه
هل ما يزال اناء العمر محتفظاً بسائل الحب ام اخفاه ساقيه ؟
وانت . . يا وادي الاحلام اين مضت اشلاء قلبي فهل ضاعت امانيه؟
ما للطبيعة بالآمال ساخرة آبت عليه بشؤم لا يواتيه
أمحت لنا ذكرنا ما بالها نسيت وخلفت كل ما يرجى تلافيه
لولا استحالاتها بالقلب ما انقطعت روابط الحب او لاحت خوافيه
فالدهر شيمته التبديل واعجباً لذلك الدهر ما اقسى عواديه !

قد امحى كل ما شدناه من ورق الاشجار للملتقى وابهد بانيه
وان حاملة الاسمين قد قطعت ومأتم الحب قد فاضت مراثيه
وسرحة الورد اطفال القرى عبثوا بها فراح الشذا يطوي اراضيه
ونبعة الغاب شادوا قرب موردها ، ذاك الجدار وقصوا ما يدانيه
كانت تجيء اليها كلما التهبت اطائم القيظ وامتدت فيافيه
حتى اذا بردت نيران غلتها واستيقظ اللهو واهتزت مثانيه
عادت الى المورد الهدار تغرف من سلساله بيد تجذلى تحابيه
لله ما كان ابهاها اذا انفتحت اصابع الكف وانبثت لآليه
كأن جنية شقراء قد هبطت تداعب الماء تبدي من دراريه

طريقنا الوعر مرصوفاً غدا فلكم جنباً لجنب سرينا في مطاويه
فينجلي اثر الاقدام مرتسما على الرمال بشكل لست ناسيه
آثار رجليك فوق الرمل تضحك من آثار رجلي هزواً بالتشابيه
مرت عليه مساء وهي آيبة تشكو من الثقل غرقى في التآويه
كانت عليه اذا ما الشوق راودها ترجو انتظاري وترنو من اعاليه

والغاب امسى حطاماً مات معظمه الا بقايا اخضرار في نواحيه
ويلاه ! هل مات فينا الحب وانصرمت ملذة العمر واندكت مآويه
الا تعود الينا ؟ هل يرجعها شيء الى القلب كي تصفو لياليه ؟
يلهو النسيم بأهداب الغصون ومن عيني دمع الاسى فاضت مجاريه
ومنزلي في ذهول لا يكاد يعي صداقة الامس . من ينسى اهاليه؟
والآن تعبر هذا الدرب قافلة طروبة الخطو تستقصي نوائيه
فانها مثلنا تجتاز بضع خطى بركب آه ما اوهى سواريه
فلا يحاول باوغ المنتهى احد فالحلم متسع شطت مراميه . .

مصطفى محمود

راكب الدابة

مسرحية ذات فصل واحد

بقلم أديب مروة

☆

القلب : يا له من مجرم بحق نفسه ! . . ويا لي من مغفل جرى وراءه . . لقد انتهى كل شيء بيننا ، ونفضت يدي منه ، فليذهب الى الشيطان !

الضمير : وبئس المصير . . ان طغيانه علينا هو الذي جني عليه .

العقل : يجب ان نفعل شيئاً نتدارك به امر صاحبنا المسكين .

القلب : ألسنا لهذا نحن مجتمعين الآن ؟

الذاكرة : وما ينفع تدارك الامر بعد فوات الاوان ؟ وقد اقترف ما اقترف ، ووصل الى هذا الحد من الهوان والضلالة ! . الم يكن الاجدر بكم ان تلفتوه من قبل الى صرخات الضمير التي طالما اطلقها بوجهكم ، وحذركم بها من العاقبة ؟ ولكنكم تغافلتم .

الضمير : طبعاً هذه نتيجة ما جناه علي : لقد صم اذنيه عن سماع انذاراتي وداسني تحت اقدامه . . وخلفني وراءه اشلاء محطمة .

العقل : حقاً . لقد اوصد ابواب حواسه بوجوهنا ، ولبى شهوات نفسه العارمة ؛ حتى سلبه شيطان جسده قواه الفاضلة ، فاذا بالمتعة التي اجتذبته اليها اوهى من السراب ! ولكن .

القلب : يبدو انكما تحاولان تبرير موقفكما من مسؤولية ما حدث . بيد اني لا استطيع ان اتحامل عليه مثلكما . لقد كان عليلاً فرغبت ان اشفيه ، وضالا فأحببت ان اهديه ، ومحروماً فأردت ان اعطيه . عساه يشعر بنعمة الحياة . ويسمو بروحه الى مراقي الامل والرجاء ، ولكن واحسرتاه !!

العقل : رويدك ايها الاخ . لا تظنن انك اكثر حدباً منا عليه ، ولكننا لم نكن لنبغي في ان يخرج على ارادتنا اولا وآخراً .

الضمير : ان تقريعنا له الآن ليس الا من اجل العودة به الى الجادة السوية ، وبذل المعونة الخالصة لقواه الضالة .

القلب : ولكن اظن اننا اثقلنا عليه اكثر مما يجب .

الذاكرة : وما ذنبه هو المسكين في كل ما حدث اذا شئتم ان ترفعوا المسؤولية عن انفسكم ، فمن يكون المسؤول اذن ؟

القلب : في الواقع اننا جميعاً مسؤولون عن ماضيه وحاضره ومصيره ، والا فما هي قيمة وجودنا في ذات نفسه ؟

الضمير : اذا كان ثمة مسؤول فيما بيننا عما حدث فهو انت ايها القلب الارعن ، اذ كنت تسيطر عليه دائماً ، وتحتال لخنقنا انا وعقله بشتى الطرق ، حتى قدته الى هذه النتيجة .

القلب : انا احتكم للعقل في ما يقوله الزميل .

العقل : اجل . . لقد كنت بطغيانك علينا السبب المباشر فيما وقع ، ولكن ثق ان دورك انتهى الآن وجاء دورنا .

الذاكرة : عفوكم ايها السادة . اني اعلم جيداً ان صاحبنا كان يميل الى القلب فيستهويه فيه حديثه الطلي وينساق معه في كل ما يفعل ؛ حتى استطاع هذا السيطرة الكاملة عليه . ولكن . لمَ لم يحاول احدكما السيطرة عليه من قبل ؟؟

القلب : اجل ولماذا تهاونتما في اجتذابه الى جانبكما ؟ ان سيطرتي عليه لدليل على قوتي وعلى ضعفكما .

العقل : انك تريد قلب الحقائق بدفاعك عن نفسك ! ان المسؤولية لا تقع على من تراجع وهو غير قادر ، ولا ترتفع عمن سيطر وهو باغ طاغ ، ولا تحدد التبعات في نصيب القوة او الضعف او في نتيجة النصر او الهزيمة ، فكم من مرة طغى سلطان الشر

اسطورة الشرق الحديث : أربعة تألبوا على فتى مستغرق في سبات عميق وقد استلقى على ظهره فوق سرير ساذج : العقل والضمير ، والقلب ، والذاكرة ، وقد اجتمعوا حوله يزجرونه بقوارص الكلم وينحون عليه باللائمة وهم بين مؤنب لا يشفق ، وبين مدافع يختلق له الاعذار .

على عوامل الخير ،ولم يكن ذلك لفساد في الخير او الحق ، او لصلاح في الشر او الباطل .

الضمير : تلك هي سنة الطبيعة التي اوجدت في النفوس على الدوام نوازع نحو الشر اقوى منها نحو الخير . وهذه هي قصة الصراع بينكما .

القلب : لقد قمت بما فرضته علي طبيعتي ،فانتصرت اما انتما فقد اخفقتما في نطاق صلاحيتكما . . وليس الذنب ذنبي على كل حال .

العقل : دعنا الآن من سفسطائيتك . . ولنعمل على اخراج هذا المسكين مما هو فيه الآن .

الضمير : اجل ، ليس الوقت الآن وقت تبادل تهم او تحديد مسؤوليات !

القلب : اينا العقل ، انا ام هو؟ اني ارفض بعد الآن التدخل في شؤون صاحبنا .

العقل : سامحك الله . اود الآن ان ألمّ بالقضية بصورة مجملة ، فهل للذاكرة ان تطلعنا على ما علق بها من ذلك ؟

الذاكرة : القضية بسيطة ، لقد احتال على الزمن . واغرى خيول مركبته بالوقوف ، فقعدت عنده حيث يجب ان تسير . وضلت حيث يجب ان تتابع السبيل المعلم . وكانت النتيجة ان اتاح صاحبنا بذلك لنفسه ان تنفلت في مجاهل النيه الشاسعة ، حتى صارت تستمرىء التشرد على الاستقامة ، والذل على الكرامة ، والعبودية على الحرية ، وقد ارتدت لباس الخنوع والقناعة بدلا من ان تشدها حبال الطموح واليقظة .

القلب : ارجو من الذاكرة ان تنتقل من التعميم الى التخصيص فتستعين بالوقائع .

العقل : ليس هذا من شأنك (الى الذاكرة) اكملي .

الذاكرة : لقد سلك في مجرى حياته تطوراً معاكساً لتطور الآخرين ، فاذا باللحظات التي اشرقت في فجر ولادته ، تمسي ظلاماً دامساً ، في الوقت الذي تبهر الاضواء الساطعة حياة غيره ، فاذا هو يعيش الآن على بصيص ضئيل من النور . وقد غشيت قوة الظلام الذي عاناه في الماضي ، ابصاره ، فبات يخبط في بحر من الاوهام والتقاليد على غير هدى .

انه افاق كما تعلمون مع الف باء الكون ، وشهد انبثاق النور قبل كثيرين غيره ، بل ولعله ساهم في عملية الانبثاق هذه . ولكن هذه الاضواء الساطعة التي ينعم بها غيره الآن ، انكرته ، ولم تبق لتتعرف عليه . وحقها ان تنكره ، بعد ان انكر هو نفسه ، وحقها ان تتجاهله بعد ان تجاهلها منذ البداية ، لقد سار غيره في ركابها . وظل هو في مكانه يدور في حلقة مفرغة ، واين حظ السائر من القاعد ، وأين نسبة راكب الطائرة من راكب الدابة في مضمار التسابق الدنيوي الحاضر ؟ ؟

القلب : ولكن ما هي جريمته في الموضوع كله ؟

العقل : لنسمع رأي « النيابة العامة » اولاً ، تفضل يا حضرة الضمير .

الضمير : جريمته واضحة كل الوضوح . لقد قصر عن اللحاق بموكب الحرية والنور والكرامة . وبقي من الموكب في مؤخرته . اقعده انطواؤه على نفسه عن الطموح فعاش لاحلامه اكثر منه لامانيه ، وقد هزمته ارادته ، فأصبح مطواعاً اتكالياً سهل الانقياد ، لقد آمن بالتعاويذ و« المكتوب » فقتل في نفسه رغبة الكفاح ومقاومة ما يعيق تقدمه ، الى ان نسجت عناكب الزمن حوله خيوطاً اصبحت على مر الايام كاطواق الحديد لا يستطيع منها فكاكاً . انها عناكب خارجة عن نطاق نفسه . انها تناحر ،وجمود واستسلام : تناحر يفكك ذرات طاقته على العمل والانتاج ، ويفتك بعوامل نهوضه ، ويجعل منه شلواً مقعداً على الدوام . وجمود في التفكير ،والانطلاق السياسي . اما الاستسلام فهو داؤه المزمن والعنكبوت الاكثر فتكاً به من غيره . استسلام الى القدر ، واستسلام الى الماضي ، واستسلام الى من يزعم تزعمه وقد خانه آلاف المرات . واستسلام الى عواطفه وغرائزه البشرية . لقد قضى علينا بذلك ان نعيش في عزلة ، وان نعمل فلا يصل نطاق عملنا الى ابعد من حدود انفسنا .

ايها السادة ، ان جريمة المتهم بكلمة اخيرة هي انه رضي لعناصر اجنبية ان تتحكم في ارادته بدلا من ان يتزل على ما تمليه عليه عناصره النفسية الداخلية ، فيعمل على ارضائها . ولهذا فاني اطلب الحكم عليه باقصى العقوبة .

العقل : (بعد فترة صمت) هل لدى القلب ما يقوله في هذا الموضوع ؟

القلب : لقد اعلنت رفضي التدخل في شؤونه منذ البداية . ولهذا فاني لا اطلب له سوى الشفقة والرحمة . وارجو قبل ان تصدروا حكمكم عليه ان تحكموا على أنفسكم اولا .

الضمير : ارى القلب يتعدى دائرة اختصاصه !

الذاكرة : ليس المهم اصدار الحكم على صاحبنا بقدر ما يهم ايجاد مخرج لانقاذه من وطأة جريمته . .

القلب : هذا هو المعقول .
ونحن لهذا رأينا ان نجتمع الآن !

العقل : بما انك رضيت بعدم التدخل في شؤونه بعد الآن ، فاني ارجوك ان تترك لنا حرية التصرف بما يرضي النيابة العامة ويقنعني ، ولكي نعمل في سبيل مصلحته اولا واخيراً . فكن مطمئناً .

القلب : اني احتج على هذه المعاملة :

الضمير : صه ا . .

(يتململ الفتى في سريره ضجرا ، ثم يفتح عيونا كالجمر ، وبعد ان يحاول الجلوس ببطء ، يمسك رأسه الثقيل بيدين كليلتين) .

الفتى : أوف . . ما هذا الدوي الصارخ في رأسي . . حتى ساعات الرقاد بت لا أستطيع امتلاكها لنفسي . (بصوت كالرعد) كفى . . كفى . . حسبكم مني يا نذر الشؤم . انتم جنيتم علي . انتم الضعفاء الذين قدمتموني الى هذا المصير . . . انتم من رضخ فرضخت ، ثم سكتم فسكت ، واستسلمتم الى مشيئتي ، فاخترت المصير الذي اراده غيركم لي . لقد كنتم في صراع دائم ، وما زالت المنازعات تجتاحكم . حتى في هذه الساعة التي فكرتم بها في خلاصي لم تستطيعوا الاتفاق فيما بينكم . انتم سبب نكبتي . لا اريدكم . آتوني بعقل جديد ، وضمير جديد ، وقلب جديد . اما الذاكرة فلا تستحق غير الدفن . . اليكم عني . . اليكم عني . . (ستار) .

باريس — أديب مروة

حزني

☆☆☆

بي حزن عميق ، مظلم .
يحتضر في ضباب ابتسامي فيضيع .
يرتجف في عطشي .
في خلاء اكتفائي ،
يحتضر فيضيع .
عذب ، حنون ، كانفاس الحبيبة .
كرطوبة الضباب يغمر الازهار .
به سكون . . به دموع . . به حنان ، به حنين .
عذب . . .
اعذب من آلام المخلص .
فآلامه قوة وظفر
اما حزني فنغم هائم في نسيان .
شعاع يتلاشى في نور ، ضعف يرتعش
في حياة .
حزني انين بليد ، بليد ، كالاحلام ، كالرقاد .
انفاس قبور . . لقاء حبيب . . دموع ام .
انين مدنية .
بليد ، بليد ، كالنعاس .
عميق . .
اعمق من حزن المصلوب ،
من حزن الجليلي الساجد في غابة الزيتون .
حزن الناصري حقيقة ، ومعرفة
تعبدون في اوهامكم .
اما حزني فسكون ، لم يتجسد بعد .
في كن او في ظل .
حزني شعور صامت .
يرفعني للخشوع امام كل مظهر من مظاهر الالم
امام الوجوه الملبدة بالاوجاع .
امام التعساء المشردين .
امام العائشين في . . في ليل الوجود .
امام تلك الآلام الصامتة في الكون .
التي تتولد ، تلتهب ، تثور وتنطفىء . .
دون ان يشعر بها احد .
حزني تمرد اشعر به امام كل عظمة وقوة .
فمي شعر بحقيقة الحزن شعر بصغر العظمة .
غريب حزني ، يخضع للضعف ويتمرد للقوة
حزني دمعة حارة على وجه يضحك .
ابتسامة على شفاه ميت .
صورة لا استطيع ان احددها . اكاد لا اميز
خطوطها اللامتناهية في آفاقي المظلمة .
شعور اشعر به بارتياح واستكفاء .
وارتواء ونشوة جميلة .
كنشوة الفنان امام لوحة ازلية .
حزني شاعر ينشد في الليل .
وفي صوته انين وشحوب المؤذنين مساء .
قيثارة ساحرة بين انامل عبقري مجنون . . .
وهم . . . كلما شعرت به ، جمدت دون حراك
علني اتفهم منه شيئاً ، لكنه كان . . .
كان سكوتاً يضيع في سكوتي .
هو مساء يغرف بجنون على بقايا قيثارة
محطمة ، وانا الشبح الهزيل ، نغم تائه
بين اوتارها .
زوبعة اضطرب بها كورقة خريف .
فاشعر بغنائي واؤمن عند ذاك بالوجود .

منير ديب

لمحة من عالم فاليري

بقلم محمد عيناني

☆☆☆

في فاليري تمحّي السمات البارزة للروح الفرنسية ، فلا نرى عند استعراض نتاج هذا الشاعر اجمالا وتفصيلاً سوى الخصائص الانسانية العامة ، مجردة ومطلقة ، زاخرة بمُثُل الفكر والتعبير . فلطف الايماء ، ولباقة الشكل ، والهمس ، في شعر رونسار (وكلها صفات فرنسية أصيلة) لا يظهر منها في شعر فاليري الا صفاء الشكل في «الغازلة La fileuse» مثلاً ، يواكبه كمال فني لم تعرف الفرنسية له مثيلا ، ومدرسية في التعابير ، تعبق بالابداع ، وتتضاءل ازاءها مقدرة « هيجو » العظيم وشمول « فرانس » و « جيد » .

ولغة « لامرتين » مثلاً ، في سهله الممتنع ، وقداسة مقاطعه ، وعذوبة جرسه ، وتسامي افكاره وحلم صوره الغامضة ، لا يبقى منها في « فاليري » الا انطواء « نرسيس » (اقرب المواضيع الى مفاهيم لامرتين) على ذاته ، ومخاطبته النبع ، مرآته ، بلغة حالمة ، عميقة ، قوية ، حيرت النقاد والشعراء..

ومن نبل راسين ، وسمو لغته ، وانسجام خلقه ، واضطرام وجدانه ، لم يبق لنا ، في « فاليري » الا الجمال الشكلي ، ولكن التركيز هنا اقوى ، والعقل يفعل فعله في الابداع الفكري المقصود اما من ميل الفرنسي الطبيعي نحو تقديس المرأة فلم يحتفظ « فاليري » الا بردة عكسية ، فهو ابعد الناس عن عالم المرأة ، وليس علينا الا ان نقرأ « الافعى » او « المقبرة البحرية » لنلمس سخرية فاليري بكل ينابيع الحنان والجمال ، لا المرأة فحسب ، أكان فاليري في حياته الخاصة « بروميتوس » المرأة ؟ لا ندري ، انه وصفها في بعض مقاطعه ، بروح خلاقة ، معبراً بلغة صافية تزخر بالموسيقى والصور « في النائمة » مثلاً ، ولكن تحفظه ، وموقفه الخاص ازاءها ، دلا على ان رمزيته ليست مثل « تلك الخواطر الشقراء » المعشوشبة في قرائح شعرائنا الرمزيين المقلدين ، بل هي على العكس بنت الوعي والتصوف الخالص . ولا شك في ان التجربة ، مهما كانت ، لا تحط من قدر الاديب ، ولكن روح فاليري لم تتقيد بالتجربة حيال المرأة ، فكأنه في هذا ، تلميذ « نيتشه » المخلص .

ان عبقرية فاليري الشاملة ، جنبته الانطلاق ، كشاعر ، في اعقاب استاذه « مالارمه » ، فبقي مخلصاً لذاته ، مقدراً انطلاقات الآخرين ، نحو اكتشاف طرق جديدة للاحساس والتعبير والاداء ، ولئن كان « مالارمه » جاء زمنياً بعد هيراديا Herédia ودى ليل De Lisle فان اثر هذين في شعره ليس خافياً ، انه ليس برناسياً ، ولكنه لا ينسخ البارناس .

ثم انطلقت روحه الشاملة الخلاقة ، تجلق في الآفاق الفكرية اليونانية والايطالية والجرمانية ، فاضاف الى تجربته الخاصة ، تجارب هوميروس وتيوكريت وصافو ودفنشي ودانت وغوته الخ .

ان الوضوح ، والبساطة ، والاحساس المرهف ، والتحليل الوجداني ، وتكييف اللغة وفقاً لهذا كله ، صفات لازمت الادب الفرنسي ، والشعر منه خاصة ، من عصر النهضة الى رونسار وبابيف ودى بيلّي ، حتى القرن السابع عشر كورناي ، راسين ، فعصر ميلفوا و « باوور لورميان » و « روسو » و « شينيه » فعصر الابداعيين المشهورين « بريزو » وهيجو ولامرتين وموسه وفيني وغوتيه ، فعصر البارناس : دى ليل ، بانفيل ، هيراديا ، برودم ، الى اوائل عهد المدرسة الرمزية ، بودلير ، فرلين ، رامبو .

وفي اواخر القرن التاسع عشر، ايام اديسون وريناندونيتشه، بدأ مجرى الشعر يتغير بتغير المفاهيم ، وتطـور العلوم الطبيعية والفلسفية،وتفاعل البيئة الاوروبية مع الافكار الحديثة،فشروق شمس العلوم التجريبية جعل من الرمزية حركة انطواء ،وقوةداخلية نفسية ، تغذيها معطيات الفردية المتسامية المتمسكة بمثلها الخالدة.

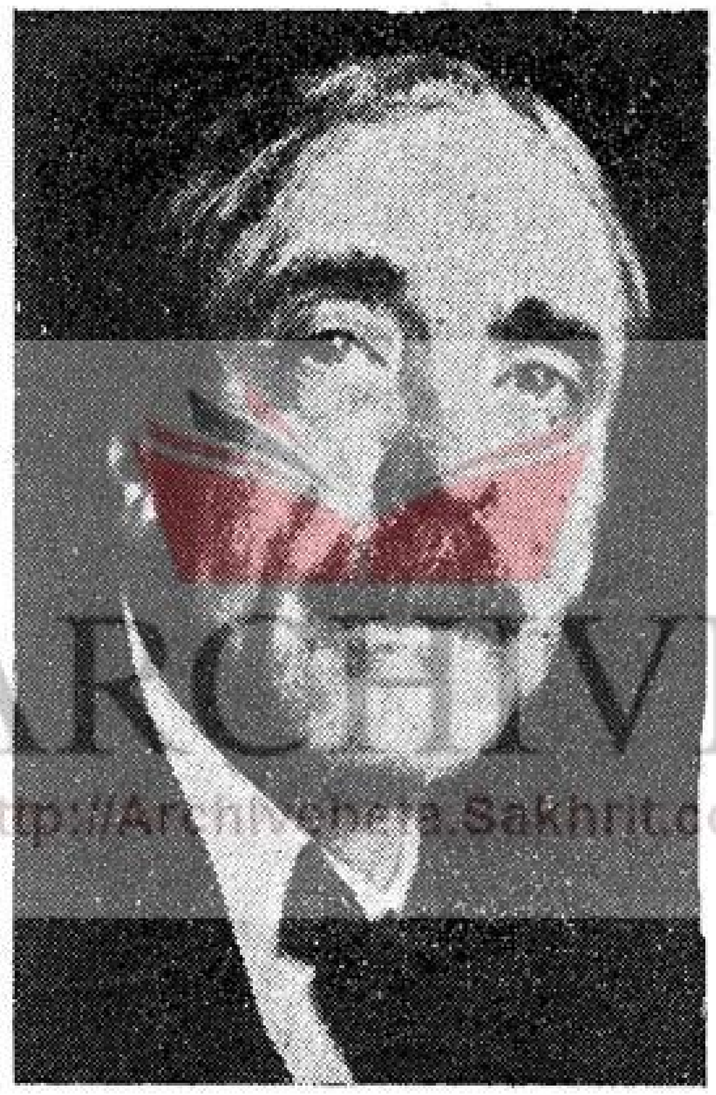
ومع هذا ، فاليري يلتقي بالارمه وفرلين وبودلير وفرهارن دون ان يتنكر لاي مبدأ سابق ، وهو ، على كل ، نسيج وحده بين شعراء امته ، وقد كان الشعراء، في كل زمان ومكان، انبياء يسبقون عهودهم،ويتمثلون المستقبل،وتتركز فيهم بحركة شعورية اولا شعورية،الافكار المدرسية السابقة ، فتظهر جنباً الى جنب، مع افكارهم التي عاشوها ، وفاليري شاعر يدين للعالم الفكري بالكثير ، فهو انساني قبل كل شيء ، وقيمه صادرة عن تزاوج تجربتين كبيرتين : الوعي الذاتي ، وتبلور ملكة التعبير بالتعمق في معرفة اساليب الادباء والفنانين العالميين الذين قاربوا الكمال في الاداء .

ومن هذا يتبين لنا سبب اعجابه بكل ما هو شامل وعالمي في تاريخ الادب العالمي والفرنسي ، فيخصص صفحات كثيرة ، في « متفرقاته Variétés » لستندال وبودلير ، ويتضح لنا سبب اعجابه الكبير بليوناردو دفنشي وغوته وراسين،فاليري الناقد ملتقى طرق فكرية ، يفسح المجال لاهم النزعات الانسانية .

فاذا علمنا هذا غفرنا « لفاليري » بعده عن الروح الفرنسية ، وانطلقنا معه ، في شمـول « مقبرته البحرية » او « نرسيس » او « الغازلة » او « أوباليوس » او « سحر » او « الافعى » مبهورين من جدة التجربة الانسانية ، مأخوذين بجرأة التصـور والاداء ، وبذلك التهكم الصافي ، الذي هو نصف العبقرية .

ففي « المقبرة البحرية »تستطيع ان ترى«لوكريس»و«المعري» و« الخيام » و « طاغور » و« هوميروس » يطلون من خلال جرسها النابض بالسمفونيا ، المنسجم مع عمق افكارها،واختلاف امواجها . فما هي هذه المقبرة البحرية التي تختصر فاليري؟انها ابعد الاشياء عن نعومة « الغازلة »وطهر الوانها ،وعمق جرسها . وانسجام تعابيرها، فالكلمة ، في اكثر اشعار فاليري ، صوت ، ذولون خاص، يضيء عادة ، ويترنم ، من مكانه،في سمفونيا الالفاظ التي هي القصيدة، اما الكلمة في المقبرة البحرية ، فصوت ضخم ، رجراج ، يحمل في تموجاته بحة هذه النفس الخالدة التي تجسدت ، اذا صح التعبير ، انشودة تصرخ لمرأى الموت ، وتحوم في اجواء اللانهاية .

ينكشف حلم الشاعر،في المقطع الاول،عن رؤيا واضحة للمقبرة، وسقف تدرج عليه الحمائم، وحولها البحر ، دائماً متجدد، اما نفس الشاعر، فتلقي، راضية مرضية ، « نظرة طويلة على صمت الآلهة».



بول فاليري

ثم يحلل شاعرنا،بأداته النابضة الحية، تلاعب الظلال والانوار في تلك المقبرة «فاذا بالزمن يتلألأ، والمعرفة تصبح حلماً»ويختلط الضمير الانساني ، ضمير الشاعر ، احساسه ووعيه وشعوره ، عصفة « انا » في كيانه الواعي ، يختلط كل هذا ، بهدوء القبور وسخرية الغناء ، فيرى الشاعر الحكمة مجسدة، فالقبور في نظره،هيكل«لمينرفا»:

وكالثمرة تذوب ، وتتحول الى متعة
مستعيضة عن وجودها باللذة . . .
في الفم حيث يموت شكلهـا
ها انا الآن اتنفس بقايا دخـاني
وتغني السماء ، للروح الفانية . . .
تحول الشطآن ، الى هدير واصوات

اذن لقد القى الشاعر ، رغم حكمة الغناء ، نظرة على الطبيعة الحية ، ولكنه بالعين الناقـدة الفلسفية ، رأى الموت في الشطآن ، اذ تتحول الى اصوات ، ولم يجد الحياة حيث اراد ان يجدها . فاتجه نحو السماء ، ليرى نفسه في « عمقها وحقيقتها » ، فـاذا به يتغير ويتحول ، ويتهيأ للموت ، ويرى ظله يمر على منازل الموتى،وفجأة تتغلب الذات ، لمدة قصيرة ، وتتلاشى حولها الاصوات ، فاذا بها هي ايضاً تطلب الموت وتنتظر منه « صدى عظمتهـا النفسية الذاتية » دون ان تنكر ان الموت المقبل يتعرض للروح بمعـان مبهمة ومجهولة ، ودون ان تتجاهل انها مقبلة على تجربة جديدة ، فهي لهذا قلقة ، تتأهب للقاء المجهول .

ثم تطرف العينان، ويتساءل الشاعر،من اعماق تجربته، عن هذه

الغريزة التي تشد به الى الارض، حيث يلتهم التراب العظام النحيلة، فتمر الاسرار الباهرة، على مقلتي الشاعر ويمضي قدماً في طريق العدم.

أهي أحلام من « النيرفانا » ام هي « غير مجد » مصبوبة في بوتقة من التجريد والاحساس السامي المحلق ، ام هي رؤيا من رؤى « دانت » ؟ لا ادري ! ! حقاً ان اعجاز فاليري يفوق كل اعجاز ! وما اشد عجزي عن نقل شيء من هذا المقطع، حيث يصف المقبرة البحرية المنطوية على نار الفناء ، قطعة من الوحول ، متعرضة للشمس ، مغمورة بالمشاعل ، ماونة بانعكاسات الذهب والرخام ومياه البحر الزرقاء ، على القبور. اقول ، ما اعجزني عن نقل هذه المقاطع السامية المرنة النابضة بالقوة وكمال التعبير ، انها شيء من « جيمس جويس » مصفى ومقطر .. فما ابعدنا هنا ، شكلاً وموضوعاً ، عن لامرتين وهيجو وراسين ، فالنفس هنا تختلط بالطبيعة ، في ساعة وحي وانطلاق ، والتعبير عنها لا يكون الا بزيج من صوتين موسيقيين يلتقيان ويتنافران في اعماق السمفونيا، كالنفس والطبيعة .. وفاليري يعمد الى الموسيقى في التعبير ، دون ان يهمل المعاني ، بل هو يأخذ الالفاظ في اوسع وأكمل مدلولاتها ، دون ان يترك اللاوعي يسيطر على جو القصيدة ، ولذلك يسهل فهم « فاليري » ،وتذوقه ، وتصعب ترجمته .

نعود الى قصيدتنا، وننتقل الى مقطع آخر، حيث يلقي الشاعر نظرة على مقبرته البحرية، مصوراً القبور، فيشبهها «بالحراف البيضاء» الساكنة ، المتجمعة ، الرهيبة ، الساخرة بالاملاك المحومة والحمائم ! !

« ان النفس التي ترى هذه الرؤيا يصبح مستقبلها كسلاً، وكل شيء هنا محترق ، متلاش ، متطاير في الهواء ، خاضع لسر مجهول، والحياة واسعة ، سكرى بالغيبوبة ، ومرارة الحياة حلوة، والروح، وهي نبع الغموض ، اصبحت واضحة » ويعرف الشاعر ،في هدوء تلك المقبرة البحرية، وتسلط شمس الظهر الساخرة المحرقة، على الاشلاء الهامدة في الاعماق ، انه هو الهمسة الحية الوحيدة المختلجة في ذلك الجسم الكبير ، الميت ، وان ندمه ، وشكوكه ، وحسراته ، خطأ واضح في الجوهرة اللامعة : هدوء الموت وقدسية العدم ، ولكنه يتذكر الحياة التي كانت منذ مدة قريبة تختلج في الجو والموتى، فيصرخ ان الحياة الماضية ضاعت في اعماق الارض، وان الطين الاحمر امتص العظام، وموهبة الحياة مرت الى الازهار، فأين من الاموات تلك الكلمات المألوفة، وذلك الفن الشخصي والروح المعروفة المحبوبة، ها هي الديدان ، تملأ ، في المحاجر الفارغة ، أماكن الدموع ..

كل شيء يفنى ، باطل الاباطيل ، الكل باطل . حتى
صراخ الفتيات يداعبهن العشاق
والعيون والاسنان والاجفان المخضلة
والصدر الساحر الذي يلعب بالنار .
والعطايا الاخيرة والاصابع الممتنعة
كل شيء يذهب الى الارض ويعود الى اللعبة الكبرى ! !

وتكاد نفس الشاعر تجاري هذه المظاهر المتلاشية ، الزاخرة بالعدم ، ولكنه يتوقف فجأة ،ليترك هواء البحر النقي يملأ رئتيه، فيخفق قلبه من جديد، وتتضافر عليه جمالات الحياة، وترتعش روحه رعشة البعث ، وينتهي الحلم ، وتنتهي القصيدة ..

ولفاليري، في قصيدة« الافعى »نظرات اكثر تشاؤماً، وازخر بالسخرية والتحليل والقلق ، ومما يزيد في قتامة الوانها كونها كتبت لمطلع حياة ، اما « المقبرة البحرية » فنظرة اخيرة ، يلقيها حكيم يموت ، على ما حوله من الاشياء والاشكال والافكار المتغيرة الدائرة في فلك الوجود .

والخلاصة ان فاليري شاعر التجارب النفسية البكر، ورائد عالم من الخلجات العذراء ، اوصل احلامه الينا في لغة نجدها غامضة لاول وهلة لانها مجردة، وسرعان ما نألفها كما نألف موسيقى بتهوفن ، وتصح فيه كلمة قالها هو « لملارمه »« انك يا استيفان لا تنعم بشعبية كبيرة ، ولكن في كل قرية من قرى فرنسا شاب يتمنى ان يموت في سبيلك » .

وهو يعتمد الموسيقى دون ان يكون عبداً لها « كتيوفارلي» او ارمان «جودوا »، وهو ،من الناحية الفكرية يلتقي بالانسانيين الكبار ، مجربي الحياة والعدم : الخيام ، وهوميروس ،ولوكريس، وشكسبير ، وغوته ، والمعري .

محمد عيناني

قريباً :

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

رباعيات جديدة

●

ايها الناس لو عرفتم فؤادي لشكرتم اخاءه والوفاء
انا لولا محبتي ما جعلت النصح دأبي ولا حملت العناء
فرقوا بين غضبة تحمل النفع ، واخرى تحرك البغضاء
وقح من يحارب الناس، لكن مصلح من يحارب الاخطاء

***

انا لا اجور على البخيل معنفاً لكنني ارثي له جذلانا
يقضي الحياة على بساط شائك من خوفه ويكابد الحرمانا
اما الكريم فواجد من نفسه ثقة تحدى الخوف والحدثانا
والبخل ذل في النفوس فجيء تلق البخيل رأيت فيه جبانا

***

خفف اللوم ان رأيت الذي دونك يزداد شهرة ويسود
تبخس الناس فضل كل ضعيف ليس تحميه سطوة وبنود
الكلام الذي تقول واوطانك في الاسر ضائع لا يفيد
زأرة الليث في الحديد انين وهي في الغاب صولة ووعيد

***

اسفت لصمته وله يراع جميل بيانه سحر الجموعا
ولو ابصرت حدة ما يعاني من الارزاء ارخصت الدموعا
اذا نجت المواهب من حمام يسمى الفقر ، جشمها خضوعا
واغرب مشهد نصب ثمين اقيم لعبقري مات جوعا

عاصمة الارجنتين الباس فنصل

من الرابطة الادبية الارجنتينية

هذا النحو قد اوقعنا في حيص بيص

يصرف الطالب مدى سبع سنوات في دراسة القواعد ثم يخرج منها كما دخل والنظافة من الايمان

بقلم عيسى صخائيل سابا

☆

مرَّ على اجتماع لجنة الثقافة للجامعة العربية مدة سنتين، وقد تعشمنا خيراً ولا سيما من لجنة القواعد، وقلنا انها ستطلع علينا بكتاب شاف واف، يريحنا من الاقوال المتضاربة، والتخاريج الاعرابية، واختلاط الحابل بالنابل، ويطمئن الاساتذة الذين ما زالوا يحملون على القواعد حملات، تدعو الطلاب الى الاعراض عنها، لما في كتبها من آراء، قد خلص منها دارسوها الى انهم يجدون لما يكتبون تخريجاً سواء طابق القاعدة المتواطأ عليها ام لم يطابق.

وقد كتب غير واحد في لزوم تهذيب كتب القواعد وتبسيطها فكانت لنا تلك المقترحات التي سمعنا بها في لجنة القواعد، وكان من اعضائها الفاهم اسرار اللغة وغير الفاهم، فتفرقوا على غير رأي في ما اتصل بي في حينه، وكنت قد نقدت بعض ما ترامى الي على صفحات الجرائد السيارة، على أنها كانت صرخة في واد، ولكن:

على المرء ان يسعى الى الخير جهده وليس عليه ان تتمَّ المقاصد

فعلى المرء ان يكتب ويبدي رأيه، وعلى الناس ان يقرأوا او لا يقرأوا، وعلى من يهمهم الامر ان يصغوا فاما ان يروا في القول حقاً فيتبعوه، واما ان يروا فيه هذراً فينبذوه.

وهذا النحو الذي بين ايدينا على كثرة ما فيه من التآليف، قد اوقعنا في حيص بيص، كل يسير على هواه، ويكتب ما يشاء، ويعلّم ابناء الجيل ما اراد، والمدارس على اختلافها ما زالت تشكو صعوبة القواعد العربية، فهل هي على حق؟

ذلك ما يجب ان نبحثه على ضوء الكتب التي بين ايدينا، وفيها ما فيها، مما يجوز وما لا يجوز وما يصح فيه الامران، وهنا البلبلة وتكسير الرأس، وبين هذه الكتب مؤلفات لجماعة فهموا فأفهموا نوعاً، وهنالك غيرها لجماعة لم يفهموا ولم يُفهموا، وظنوا أنهم سهلوا وحلوا المشكل، ولم يدروا انهم زادوا الطين بلة وصار التسهيل تعقيداً.

وعلى ذلك، بات على اساتذة الجامعات واصحاب الالقاب العلمية، ان يُقشعوا لنا الصبح ان كان في مقدورهم ذلك، ويمشوا بنا الى الوجه الواحد الذي لا يتناول غيره، فيدرس الطالب في مدى سنة او سنتين ما يعصم لسانه عن الخطأ، ويتفرغ الى دراسة علوم هو احوج ما يكون اليها في عصري الكهرباء والطاقة الذرية وغيرهما مما يكشفه المستقبل. فحتام نبقى في بلبلة وفي كل قول تخريج والمطولات تكفل لنا ذلك.

وان نحن قلنا بلزوم وضع كتب للقواعد المضبوطة التي لا تتناول غير وجه واحد فانما نقول ذلك حفاظاً على لغتنا التي كاد يهملها ابناؤها منصرفين الى غيرها لانهم يرون في اللغات الاجنبية سهولة للتعبير ونقل الافكار على اسهل وجه واقرب طريق، وكثيراً ما نرى اولئك الذين يتنكبون عن دراسة العربية لا لشيء الا لكثرة ما يرون من الاوجه التي يجوز ان يحمل عليها الكلام، فاذا ما درس تقرير قاعدة ما يرى من يخالفها ويقول بغير ما درس، فاذا ما عرف ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب او مجرور بالحرف يطل علية ابن مالك في الكافية الشافية ليقول له:

ورفع مفعول به لا يلتبس ونصب فاعل أجز ولا تقس

وبينا هو يقول بعدم القياس يجيء ابن الطراوة العالم الاندلسي ويقول بل انه مقيس ومنه الآية «فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ».

وعلى مذهب ابن الطراوة لا خوف علينا من اللحن، وليس ذلك فقط بل انك تقدر ان ترفع كلًا من معمولي الفعل الناقص ولا حرج عليك ولا تثريب، فاسم الفعل الناقص يكون ضمير الشأن المحذوف والجملة الاسمية بعده خبراً وقد انشد:

اذا مت كان الناس صنفان شامتٌ وآخر مثنٍ بالذي كنت اصنع

وكذلك الحرف الناسخ الذي ينصب المبتدا ويرفع الخبر ، تقدر ان تنصب به معموليه على السواء وقد جاء :

اذا اشتد جنح الليل اوكاد فلتكن خطاك سراعاً ان حراسنا أسدا

الى غير ذلك فهو كثير فما عليك الا ان تنظر بكتاب نحو مشهور فترى غير ما نقلت اليك، أو ما قيل لك ان خبر افعال المقاربة يجب ان يكون فعلاً مضارعاً رافعاً ضمير اسمه ولكن ورد خلاف ذلك :

اكثرت في العذل ملحاً داءً لا تكثرن اني عسيت صائما

وورد ايضاً :

فأبتُ الى فهم وما كدت آئباً وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وهذا الممنوع من الصرف الذي تضاربت فيه الآراء فمن مانع من الصرف ومن صارف ولا سيما صيغة منتهى الجموع وقد رجز بذلك الراجز :

والصرف في الجمع أتى كثيرا حتى ادعى قوم به التخييرا

وقد قال الرضي في شرح كافية ابن الحاجب « ان حكم الاعراب لا يختلف عن علته، ولا يوجد العامل ويبقى العمل الا لسبب، اما حكم الصرف فانه يتخلف عن العلة » الى ان يقول اخيراً «ومنع الصرف سبب خفيف اذ هو مشابهة غير ظاهرة بين الاسم والفعل»

وهذا البدل وعطف البيان وهما حيرة الاساتذة والطلاب وليس هذان فقط بل غيرهما من ابواب النحو ولكن لنقتصر عليهما فقط لنرى ما يقول الرضي في شرح البدل ما نصه : « اقول وانا الى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان ، بل لا أرى عطف البيان الا البدل كما هو ظاهر كلام سيبويه فانه لم يذكر عطف البيان بل قال : اما بدل المعرفة من النكرة فنحو مررت برجل عبدالله ، كأنه قيل بمن مررت او ظن انه يقال له ذلك فابدل مكانه من هو اعرف منه ومثل قوله تعالى « انك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله[1] ».

وهل تريدني ايها القارىء ان اخبرك عن تحكم النحاة بلا المشبهة بليس فقالوا انها تعمل عمل ليس وهو مذهب الحجازيين بشروط ثلاثة احداها ان يكون الاسم والخبر نكرتين نحو لا رجل افضل منك ولكن النابغة ينشدنا :

بدت فعل ذي ود فلما تبعتها تولت وابقت حاجتي في فؤاديا

وحلت سواد العين لا أنا باغياً سواها ولا عن حبها متراخيا

ويذهب ابن مالك الى ان القياس عليه سائغ فما بال مؤلفينا المحدثين يشترطون باسمها وخبرها ان يكونا نكرتين وقد انشد المتنبي :

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى فا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

ولست في مقام تعداد ابواب النحو لاقص عليك خبراً من هذه البلبلة فانت اعرف مني بذلك، ان كنت من اساتذة النحو او طلابه، وهذا قل من كثر نتقدم به الى اساتذة الجامعات والى لجنة القواعد في الجامعة العربية ، ليصفوا لنا ما يعصم اللسان عن الخطأ فيسهلوا ويتفقوا على مذهب واحد، لا مذاهب شتى ولا ان يتركوا لنا الخيار وتحكيم الذوق لاننا بذلك نفقد الامرين معاً ونطوي كتب النحو غير ملتفتين اليها لاننا نرى في كل قول تخريجاً. وآخر ما نختم به القول، قولهم ان الفعل المضارع الناقص اي المعتل الآخر اذا دخل عليه حرف جزم حذف آخره نيابة عن السكون ليظهر اثر الجزم فيه ، لان حرف العلة من اصله ساكن تقدر عليه الحركة ولكن ما يكون موقفنا عندما ننشد لقيس بن زهير العبسي :

ألم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

ومحبسها على القرشي تثرى بادراع واسياف حداد

انقول ان ضرورة الشعر حملته على اثبات الياء في يأتيك، ولِم لا يحمل ذلك على النثر ؟ ولم جعلوا حذف النون في الافعال الخمسة علامة للنصب والجزم ، أمن سبب؟ ولمَ لا يتساوى ذلك في الفعل الناقص المعتل الآخر.

وليس ما قدمت هو مشكلة او مشاكل النحو الذي بين ايدينا. ان هنالك مجالا للقول ذا سعة ولكن اقتصرت على ما يكون فيه منبهة للجنة القواعد لتنظر بامر الطلاب والطالبات ، وتقطع بلبلة الكتب التي نتدارسها وندرسها فليس من العدل في شيء ان يصرف الطالب مدى سبع سنوات في دراسة القواعد ثم يخرج منها كما دخل والنظافة من الايمان .

لقد كان قديماً مطلب العربية وحده فجاءنا النحاة بما ينفع ولا ينفع واما اليوم وقد تعددت العلوم والفنون والطالب بحاجة الى دراستها فليس بوسعه ان يقتل الوقت في شتى المذاهب ليقول :

وتضحك مني شيخة عبسمية كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا

او :

غنتاني الجرادتان ضباحاً فكأني شربت كأس الدنان

ولا قول جرير :

سيروا بني العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى فا تعرفكم العرب

وسكن الفعل المضارع « تعرفكم » بدون ما سبب .

فللطالب من حاجات العصر غير ذلك .

عيسى صخائيل سابا

(١) شرح الرضي على الكافية باب البدل ص ٣٣٧

قضية لارونسيير

قد جرى ذلك في صيف ١٨٣٤ ، في عهد لويس فيليب ، بمدينة سومور حيث كانت تعيش اسرة محترمة سعيده ، ذات أمجاد تاريخية قديمة وحديثة هي اسرة الجنرال دوموريل عميد مدرسة الخيالة في تلك المدينة.

وكانت ماري دوموريل ابنة الجنرال قد بلغت ربيع حياتها، فاكتملت انوثتها ، ولفتت بجمالها ونضارتها انظار الشبان ، وفي طليعتهم طلاب مدرسة الخيالة واحد معلميها الملازم اميل دولارونسيير .

كان لارونسيير شاباً طويل القامة ، جميلاً متأنقاً مزهواً بعض الشيء ؛ فهو فيكونت ، وابن جنرال ، وقد اشتهر بالجرأة وحب المغامرة وكثرة العلاقات النسائية .

وتلاقى لارونسيير وماري دوموريل ذات ليلة ، في احدى الحفلات الراقصة ، فظفر بقلبها منذ اللحظة الاولى ، واستطاع ان يبعث الرعشة في نفسها فترتعد امامه وتحاول اثارة عطفه وحنانه بقولها له انها نشأت في الدير بعيدة عن ابويها، وغادرته منذ سنة واحدة ، فهي لا تعرف احداً ولا اصدقاء لها ، وليس لها من انيس غير المس آلان مربيتها الايرلندية الشابة ذات الذكاء المحدود، وكثيراً ما تقضي ايامها واماسيها في وحدة كئيبة تفكر وتحلم .

وضحك لارونسيير قائلاً انه كان يخيل اليه انها فتاة لعوب تغشى الاوساط الراقية ، وتعاشر الشبان وتمازحهم، وتستمتع بالحياة كما ينبغي لها ، واضطربت ماري البريئة لشعورها بضعفها وتأخرها ، واعترفت له بانها ليست كما قال .



لارونسيير

وعادت الفتاة بعد انتهاء الحفلة الى منزلها فوجدت مربيتها المس آلان تنتظرها في مخدعها لتساعدها في خلع ثياب السهرة وارتداء ثياب النوم ، فتركتها تفعل ذلك دون ان تبادلها كلمة واحدة ، ثم تمنت لها المس آلان ليلة سعيدة وغادرتها لتنام، وبقيت ماري وحدها ولكنها لم تكن لتشعر بالرغبة في الرقاد . فان قلبها قد استيقظ ، وهيهات لفتاة استيقظ قلبها ان تعرف لذة الرقاد في مثل هذه الليلة الفريدة .

اعتمدت ماري دوموريل بمرفقيها على حافة النافذة ، واخذت تتأمل في جمال الليل . وكان النسيم ندياً، ومياه نهر اللوار تتكسر بصوت عذب على اعمدة الجسر . واذا بها تلمح شبح رجل يسير على الجسر متمهلاً ، آتياً مرة وعائداً مرة اخرى . وخيل اليها ان هذا الرجل ينظر الى نافذتها . فأطفأت الشمعة التي تشتعل في غرفتها ، وأخذت تراقبه باهتمام . واذا بالرجل يدنو من المنزل ، وينظر الى نافذتها طويلاً ، ثم يختفي في الظلام .

لم تشك ماري في ان هذا الرجل هو الملازم لارونسيير، فقد تبينته جيداً حين دنا من المنزل. فما الذي اتى به في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ ولماذا ينظر الى نافذتها بهذا الاهتمام ؟!

وسرعان ما تفتقت مخيلة الفتاة عن قصة غرام : لقد تبادلا طويلاً في تلك الليلة ، وسادت هذا الحديث روح المودة والتفاهم التام . فلا ريب في انه قد احبها ، وان هذه العاطفة الجديدة التي تختلج في قلبها هي رجع لعاطفته واستجابة لغرامه . وفكرت ماري ملياً ثم حدثت نفسها بانها ستكون سعيدة حين تغدو الفيكونتيس دو لارونسيير !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانها لكذلك اذ شاهدت الشبح يخرج من الظلام ، ويأخذ في تسلق الجدار ،مستعيناً بانبوب المزراب .

ارتعدت الآنسة دوموريل لهذه الجرأة ولهـذه السرعة في تتابع المفاجآت تلك الليلة .وايقنت بانه لن يلبث حـتى يقرع زجاج النافذة قرعاً خفيفاً متوسلاً اليها ان تصغي اليه قليلاً ثم يبوح لها بحبه الغامر .وتصورت مناجاة روميو لجولييت على شرفتها .

ولكنها مـا عتمت ان انتبهت الى ان لارونسيير يتجه الى نافذة المس آلان ثم يدخل الى غرفة مربيتهـا ويسود الصمت . .

فاحتدمت نار الغضب والغيرة في صدرهـا واخذت تتمتم في غيظ كظيم : « يا لك من وغدسافل . لقد غدرت بي وعبثت بثقتي ايها الدني ء الماكر ».

وفي احتدام غضبهـا عزمت الفتاة على الانتقام من الرجل ، كأنه قد اسـاء اليها اساءة لا تغتفر .

دخلت ماري دوموريل في اليوم التالي الى مكتب ابيها، فوجدت على منضدته مغلفاً كبيراً يحتوي تقريراً مقدمـاً من اللازم دو لارونسيير ، وقد كتب عليه « للحفظ » ، فادركت الفتاة من هذه الكلمة ان التقرير قد درس واحيل الى الحفظ وانها اذا اخذت بضع اوراق منه فلن ينتبه لفقدها احد . وما لبثت ان حققت الفكرة التي جالت في ذهنها فانتزعت عدداً كبيراً من اوراق التقرير ، ووضعت مكانهـا اوراقاً بيضاء ، وغادرت الغرفة بغنيمتها مرتجفة خافقة القلب .

وما هي الا ايام حتى اخذت ترد الى وجوه المدينة ، واحداً بعد آخر ، رسائل لا يصح القول بانها رسائل مغفلة لانها كانت موقعة بحرف « ر » وكانت هذه الرسائل تحمل التهم الجزاف وتوغر صدور الناس بعضهم على بعض .

وبعد حين زارت الآنسة دوموريل الفيكونت دولارونسيير في منزله ، واخذت تحدثه حديثاً غامضاً ،محاولة ان تسوغ زيارتها ، ثم اعترفت له بانها وجهت الى بعض الشخصيات رسائـل موقعة باسمه . . اعترفت بذلك في غمرة من الذهول والغبطة كأنها كانت تجد لذة غريبة في الشكوى امامه والاعتـذار منه واثارة الشفقة عليها في نفسه او اثارة غضبه ونقمته !.

ووثب الرجل صارخاً ، عندما سمع قولها.

— رسائل موقعة باسمي ؟ لمن ؟ وفي اى موضوع ؟

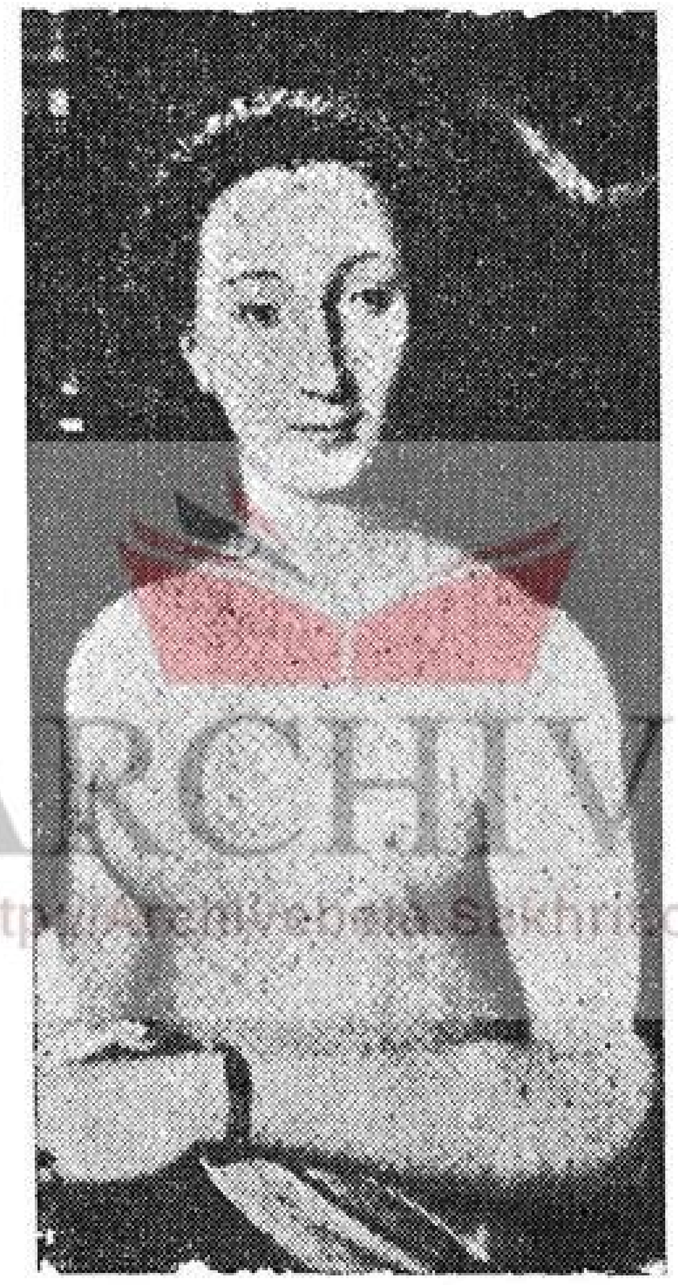
فقالت متوسلة وهي تضرب صدرها بقبضة يدها .

— المغفرة . . المغفرة . . لننسَ هذا . . انها رسائل لا اهمية لها ليس فيها سوى كلمات تافهة .

ولكنها ما لبثت ان عادت الى هدوئها ، واخذت تستعـد للرحيل . لقد ظنت ان اعترافهـا وتضرعها سيؤديان الى موقف عاطفي تذرف فيه الدموع وتبذل الوعود. فرأت في هدوء لارونسيير اهانة لها لانها تستحق هذه اللامبالاة الظالمة ؟ ! . وقالت في جفاء.

— انك لست بالرجل الذي كنت أتخيله يا سيدي . ويؤسفني ان تكون ثقتي بك قد دفعتني الى زيارتك في منزلك. فوداعاً . وارجو ان لا تكلف نفسك مشقة مرافقتي.

قالت ذلك وفي نفسها بقية من الوهم تحملها على الاعتقاد بأن لارونسيير لن يدعها تغادر المنزل .وانه لن يبطىء حتى تثيره كلماتها فينقض عليها انقضاض الوحش المفترس ليضمها بين ذراعيه ويلتهمها بقبلاته .



ماري دو موريل

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، اذ ظل لارونسيير على هدوئه وحذره بلطف من السلم لان احدى درجاته مخلوعة ، وفتح لها الباب مودعاً اياها باحترام .

وتكاثرت على اثر هذه الزيارة ، تلك الرسائل السرية التي تحمل توقيع «ر»، وتعاظمت موجتها . وكانت تنطوي كلها على اتهامات جريئة موجهة الى الآنسة دوموريل ،ومطاعن بذيئة في اخلاقها وسيرتها ،وفضائح عجيبة توصم بها.

كانت هذه الرسائل تتهافت من كل صوب ، على جميع الشخصيات المعروفة في المدينة ولا سيما الجنرال وزوجته ، كأنهـا سرب من الطير يهبط على حقل . وهي تاتي تارة بواسطة البريـد وتدس تارة في كتب الصلاة وبين اصابع البيانو ، ويعثر عليه مرة في درج احد المكاتب او خزانة احدى السيدات ، ومرة اخرى بين الوسائد او طيات الثياب . تكتب ببراعة ، وتلقى ببراعة ، وتدل في كلا الحالين على مهارة صاحبها في الدسيسة ،واصراره على

فضيحة هذه الفتاة ووصمها بجميع التهم والوشايات ! .

وكانت ماري دو موريل هي التي تدبج هذه الرسائل سراً ، وتوزعها في الخفاء . وقد جعل انحرافها وشذوذها من هـذه المهمة هدفاً لها وفكرة ثابتة عندها . فهي تبدع كل يوم تهمة جديدة ، وتبتكر وصمة شائنة تصم بها نفسها وتاوث شرفها . وتجـد في ذلك لذة غريبة ولكنها لذة مخيفة لانها كانت تعرض الملازم اميل دولارونسير الى خطر عظيم .

ذلك ان الفتاة بعد ان كانت توقع تلك الرسائل بحرف «ر» اخذت توقعهـا هكذا : « أ . دولار . » . وكان طبيعياً ان تحوم الشبهة حول اميل دولارونسير ، فاتهمه الجنرال دوموريل بكتابة هذه الرسائل الدنيئة ، وانبه اثناء التحقيق معه تأنيباً قـاسياً ، فوقف الرجل حائراً ، لا يجرأ على فضيحة الفتاة واعلان زيارتهـا له واعترافها بانها هي الـتي تلفق تلك الرسائل الغريبة . واكتفى بانكار التهمة الموجهة اليه دون اعلان تلك الحقيقة التي تبعث على الدهش والاستغراب .

وفي ذات مساء ، بعد انقضاء اسبوع واحد على ذلك التحقيق ، اجتمع لارونسير في مجلس شراب زملاء له من الملازمين والضباط فاستخفه السكر واخذ يصرح بأنه يعرف ملفق هـذه الرسائل وانه سيعاقبه بنفسه ، ثم استدرجه رفاقه فباح لهم بسره .

واراد زملاؤه ان يخففوا من غضبه فقالوا ممازحين :

— انك تبالغ . . فهل انت تجرؤ على معاقبة آنسة ؟!

واستفزته روح المغامرة فقال .

— ولم لا اجرؤ ؟ اهل عرفتم اني تراجعت امام عقبة ما ؟ اني اراهنكم على عشر ليرات ذهبية بان انزل بها عقابي مساء غد ! .

فقالوا مغرقين في المزاح .

— عشر ليرات ذهبية ؟ انه مبلغ كبير ! وماذا تعني بعقابك ؟ هل ستغدو عشيقاً للآنسة دوموريل ؟

— اعوذ بالله من ذلك . ولكنها ستنال العقاب الذي تستحق !

ما هو العقاب الذي كان لارونسير يتصوره ويريد ان ينزله بالفتاة ؟ ان صحف ذلك العهد لم تشر اليه الا اشارة غـامضة اذ سمته « حصاد الحقل » ، اما التهمة الرسمية الـتي وجهت اليه فهي « ضرب وجرح » . . وقد أثارت المحاكمة التي جرت في سنة ١٨٣٥ اهتمام الرأي العام بسبب هـذا السر نفسه . وكان السلاح الذي اختاره لارونسير واقدم به على « جرمه » مقص عادي بسيط . . وقد تساءل الجميع عن سبب اختياره لهـذا السلاح دون غيره . . فهو سلاح لا يمكن ان يلجأ اليه رجل ينوي الاقدام على جريمة دامية !

في ذلك المساء الذي راهن فيه لارونسير رفاقه على « معاقبة » الفتاة ، بعد ان اهـاجه الغضب والشراب ، رأى الملازم زملاءه ينظرون اليه دهشين غير مصدقين فقال لهم مطمئناً .

— ان لدي طريقة سهلة للدخول الى منزل الجـنرال . طريقة بسيطة وأكيدة .

— وما هي ؟ !

فخانته رصانته مرة اخرى وباح لهم بعلاقته بالمس آلان ، ثم قال وهو يترنح سكراً .

— اما النتائج فلن أهتم بها . فانا لم اعد استطيع البقـاء في سومور . وستكون زيارتي للمس آلان زيارة الوداع ، وسأقوم بها غداً مساء . غداً مساء أيها الاصدقـاء . . ولكني سأعتمد على شرفكم في كتمان السر . وسننفق معاً قيمة الرهان !

وفي مساء اليوم التالي تسلق اميل دولارونسير جدار منزل الجنرال ، ودخل كعادته الى غرفة المس آلان ، ثم دخل من هذه الغرفة الى مخدع الآنسة دوموريل ، تاركاً خليلته في دهش وحيرة عظيمين . فاستفاقت ماري واستوت في سريرها قائلة في ذعر .

— من هذا ؟

فقال لارونسير .

— ألم تعرفيني ؟

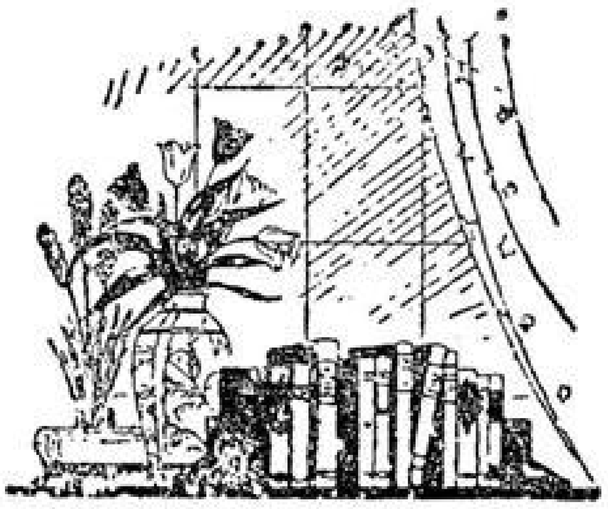
فعرفته الفتاة ، وارتعشت خوفاً وفرحاً ، لاعتقادها بان الساعة التي طالما حلمت بها قد أزفت . . ولكن لهجة لارونسير لم تكن لهجة عشيق بل لهجة قاض امام احد المتهمين . والحق انه ما لبث ان قال وكأنه يصدر عليها حكمه .

— لقد اتيت لمعاقبتك ايتها الشريرة . انك اردت القضاء علي ، ولعلك قد وفقت فيما اردت . واريد بدوري ان اقتص منك .

وانقض عليها ، فألقاها على السرير ، ونزع عنها قميص النوم ، وكم فمها الذي بدأ يستنجد .

وطفقت الفتاة تقاوم ، محاولة ان تنشب في الرجل اظافرها وان تعضه باسنانها . لانها لم تستطع ان تعلم ما الذي يريد ان يفعل بها . كل ما رأته منه انه كان يحاول منعها عن الحركة ، وكان في يده اليمنى مقص !

وفي حركة عنيفة بدرت منها ، اصيبت الآنسة دوموريل بجراح في فخذيها ، ولكن لارونسير كان قد نفذ انتقـامه او قصاصه . فاعاد المقص الى جيبه ، وعاد الى غرفة المس آلان التي



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون
الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37
Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

كانت جاثمة امام الباب فاقدة الوعي فتخطاها وعاد من حيث أتى.

تحررت ماري من قيدها واستوت في سريرها تفكر في غيظ. لقد ايقنت الآن بان لارونسير لم يكن يريد الاعتداء على حياتها او على عفافها. وعلمت ما هو العقاب الذي تمخضت به مخيلته ولماذا تسلح بالمقص دون اي شيء آخر. فالاعتداء الذي تعرضت له لم يكن مخطراً ولا مخيفاً ، ولكنه اعتداء مهين ومضحك سيجعلها عرضة للهزء والسخرية ان هي اعترفت به ولن يعرض المعتدي الا لقصاص يسير او توبيخ بسيط .

كلا ، لن تعترف بهذه الحقيقة، ولكنها ستدعي ان لارونسير حاول اغتصابها . ويجب ان تعد من اجل ذلك الادلة التي تثبت رغبته في الاقدام على هذه المحاولة .

وأسرعت الفتاة الى النافذة فحطمت احد الواحها الزجاجية بقبضة الفرشاة ، ثم فتحت النافذة لتوهم المحققين بان المعتدي قد حطم الزجاج ثم مديده ففتح النافذة. وجرحت شظايا الزجاج يدها فاوثت صدرها بالدم الذي سال من الجرح لتبدو في هيئة المعتدى عليه . ثم عادت الى سريرها ونادت المس آلان . فاستعادت المربية وعيها وهرعت نحو الآنسة دوموريل .

***

ان خاتمة هذه القضية هو اروع ما فيها. فان لارونسير قد أحب الآنسة دوموريل اخيراً ، ولم ينس ابداً المشهد الذى رآها فيه تلك الليلة فآثر العار والسجن على الاعتراف بحقيقة «العقاب» الذي انزله بها .

لقد اتهم بمحاولة الاعتداء على شرف الفتاة ، فانكر التهمة وانكر انه كاتب الرسائل المغفلة التي وجهت الى ابيها وامها وكثير من شخصيات المدينة ، وأيد الخبراء قوله ، ولكن اصراره على كتمان ذلك السر ارغم هيئة المحكمة على ادانته بتلك التهمة الشنعاء .

وقد علم الرأي العام ورجال القضاء ان في الامر سراً ، وسألت هيئة المحكمة المتهم عن هذا السر فلم يجب ، وسألت الفتاة ما الذي جعلها ترفض السماح لامها برؤية الجراح التي اصيبت بها الابعد انقضاء خمسة عشر يوماً اما الطبيب فانها لم تسمح له بذلك الا بعد خمسة اسابيع كاملة ، فلم تجب هي ايضاً .

وامام صمت المتهم لم يسع المحكمة الا ان تدينه بالتهمة التي نسبت اليه وتقضي بسجنه عشر سنوات .

وتقبل لارونسير هذا الحكم القاسي دون ان يبوح بالسر الذي ينقذه منه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المساء الاخير

بقلم يوسف الشاروني

ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

حين رأيتني أغني اقبلت في هدوء عند قدمي تجلسين ،
ثم رفعتِ الي ابتسامة عميقة ورحت تنصتين ،
اما أنا فظللت اتطلع الى الطريق مغنياً للسائرين .

بعضهم وقف لحظة ثم مضى ، وبعضهم ظل يسير ،
وبعضهم لم يسمع الانغام ، بل اخذ يضج ويصيح ،
اما انت فكنت الى جانبي جالسة تنصتين .

وحين تعبت ،وجدت ان احداً لم يعطني اجراً طوال النهار ،
فهممت ان أوقف انشادي وانضم للسائرين ،
حين رأيتك الى جانبي متطلعة تبسمين .

وهمست عيناك . غن لهم فهم متعبون منهكون ،
ولحناً لم تطلبي لك ،فقط ان استمر في غنائك المتغربين
فانحدرت مني دمعتان ، واندفعت اغني في حماس للعابرين .

***

اذ كان وصولك الى قصر حبيبتك ذات مساء ،
ورأيت جمهوراً من المزدحمين يتضاربون فراعك الزحام ،
لاتحسب انك تأخرت ،بل هدىء روعك واخترق طريقك بين المحتشدين
واذا فشلت فلا تيأس بل حاول من جديد
والا فان الليل سيقبل وانت لا تزال خارج أبوابها .

فاذا أقبل الليل واقفلت ابوابها وانت لا تزال في العراء
وتفرق جمهور المزدحمين ورأيت نفسك وحيداً مع نجوم تشخص اليك
لا تحسب ان الوقت مضى ، بل هدىء روعك
ثم تساق هذه الشجرة التي تقبّل نافذتها

فربما انعكس ضوء غرفتها عليك فرأتك ذات لحظة
والا فان الليل سيوغل وانت لا تزال بعيداً عن نور أجفانها .
فاذا ما أوغل الليل واطفأت انوارها وانت لا تزال في الظلام ،
وصمت النسيم وضمت الطيور اجنحتها وهربت الحياة على اطراف اقدامها
اعلم أن الوقت أزف ، استجمع قوتك
وامسك نايك وانفخ فيه كل رغائبك ،
انها ستسمعك في هذا الصمت عندما تذوب اغنيتك
في حلم من احلامها الذهبية ،
والا فان الفجر سينتفض في الندى وخفقاتك تجمدت
لانها لم تدفأ بخفقاتها يا صديقي .

***

كي اتحرك لا بد ان أترك لكنني سأحصل
في كل فجر ، بعد كل منحنى ، على شمس جديدة وأرض جديدة ،
اضمها الى عالم تركته ورائي لكنه بي ،
فأزداد .. وانا اتحرك في فرحة صارمة .

كي اتحرك لا بد ان اترك لكنني سأحصل
في النهار او الليل ، في القيظ او البرد ،على دمعة هنا اوفرحة هناك
أضمها الى طريق بدأته في السفح لكنه معي ،
فأعلو .. وانا اتحرك في نشوة رائعة .

كي اتحرك لا بد ان اترك لكنني سأحصل ،
في الظلام على النور، في الضعف على القوة ، في الرمز على المعنى ،
اضمه الى محيط امواجه فوقي لكنني فيه ،
فأوغل .. وانا اتحرك في طمأنينة واثقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كي اتحرك ، لا بد ان اترك ، لكنني سأحصل ،
على ذكرى على جرح ، على امل على حلم ، على ما أرى وما لا أرى ،
اضمه الى كون جميعه يموت ليحيا ،
فأتحرك . . . كي ترتعش روحي مع وجود في شبه حمى دائمة ،

***

لا تحسبيني احببتك وحدك ،
فقد احببت النور والحياة ، والايائل والزنابق ، والافراح والآلام ،
لكنك وحدك التي اغمضت عينيك قبل ان ينتشر الظلام ،
ولولاهم للعنتُ حبي ، فقد اخبروني ذات يوم تستيقظين .

لا تحسبيني غنيتُ لك وحدك
فقد غنيت للاخريات ، وللشباب والكهول ، وللاحياء والاطياف .
لكنك وحدك انصرفت قبل ان اتم نشيدي ،
ولولاهم لحطمت نايي فقد اخبروني ذات يوم تسمعين

لا تحسبيني بكيت فراقك وحدك
فقد بكيت للامهات تلد ، وللاجنة تولد ، للمرضعات تفطم اطفالها
وللاطفال يفطمون .
لكنكِ وحدك التي هزأت بدموعي قبل ان تجري
ولولاهم لكظمت حزني باسماً فقد اخبروني ذات يوم ستبكين .

ولا تحسبيني قدمت حياتي لك وحدك ،
بل حين قدمتها اليك كنت ألمح الاجيال فيك
بحبها وأطفالها وبكائها ،
وانت وحدك رفضت ان تقبليها ،
فأذني لي اذن ان امضي في تقدمتي حتى تقدمي لهم حياتك انت ايضاً .

***

حين قدمت اليك حلمي فشوهته وانت تشفقين ،
حسبت ان روحي تلفت وايامي انطفأت والقبور لي ،
لكن حين خفقت اعماقي تضاءل امامي ما تفعلين ،
فما كان اول جرح ولا آخر الجراح .

حين قدمت اليك حلمي فشوهته وانت تجهلين ،
قلت سيترك القوم طريقهم ويأتون معي ويبكون ،
لكن حين استمروا في طريقهم تضاءل امامي ما تفعلين
فما كنت اول من تعذب ولا آخر من يتعذبون .

حين قدمت اليك حلمي فشوهته وانت تسخرين ،
ظننت الشمس تظلم والنجوم تهوي والشهب تتساقط ،
لكن حين ظل كل شيء باسماً مطمئنا تضاءل امامي ما تفعلين ،
فما انا اول حي ولا آخر الاحياء .

لكل منا ايها الندماء تجربة حب
رنانة بالضحك ، مبللة بالدموع ، مزدحمة بالحياة ،
ورثناها حالما استيقظنا ونورثها ابناءنا يوم نعود ننام ،
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا الجبار .

بعضنا احب البرية ، اشجارها وغدرانها وقطعانها الوحشية ،
وبعضنا أحب خفقات تتناغى مع هواه
وبعضنا احب الاله . . لكننا جميعاً اغرمنا بالحياه
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا العظيم .

حبنا لا يعرف الشواطىء لا ولا يدري الحدود
فحبنا ذواتنا هو حب للوجود ، وحبنا الوجود هو حب للذوات ،
نحن نحيا مع كل حي ، ونحيي كل حسن ثم نمضي صاعدين ،
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا المجنون .

لكل منا ايها الندماء تجربة حب ،
رنانة بالضحك مبللة بالدموع ، مزدحمة بالحياة ،
ورثناها حالما استيقظنا ونورثها ابناءنا يوم نعود ننام
فاشربوا ايها الندماء نخب حبنا المجيد .

***

حين رأيتني مضطربا ، انفخ في نايي خشبي ضعيف . . اقبلتِ
لتدخلي عزلتي ، واعطيتني نايك الصامت كي انفخ منه آلامنا ،
ويقتسم معنا احزاننا ، ويزيدنا افراحنا . لكنني القيته جانباً !
وانطلقت من غرفتي المحدودة ، مارا بدور القرية ، محاولا ان الحن
لكل قلب خفقاته في نايي الخشبي ، فما كان يطرب لي احد ، وفي المساء
اعود لالتهم منك العشاء ، ثم في الفجر انطلق وما غنيت لك لحناً .

وذات مساء رجعت الى غرفتنا ، فوجدتك جثة هامدة ،
ونايك المهمل اكتسب لوناً من ذهب . فحطمت نايي الخشبي ،
وامسكت نايك بين يدي في عنف . ومن يومها لم اخرج من
غرفتنا ، بل ظللت اغني لروحك المرفرفة ، للوعتي ، لذكرياتنا ،
لآمالنا الضائعة . فاتى الناس يزدحمون حول غرفتنا . بعضهم يسمع
اغاني الفجر ، وبعضهم يمر في المساء ، والبعض يأتي في اعماق الليل ،
اما روحك يا ايتها الجثة الجميلة فستظل تسمع كل انشادي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان لي كوخ وبئر رابضان عند منحنى الطريق ، وكأس ذهبية أترعها لكل من يمر ظامئاً . وذات ليلة اكتسحت العاصفة كوخي الصغير ، فطمست لي بئري ، وحطمت لي كل شيء الا كأسي الذهبية . فقلبتها بين يدي في حيرة وانا اذكر كيف ارويت بالامس منها . . العابر الاخير .

وانتظرت حتى تبلج الفجر ، فجلست على حطام كوخي اسأل العابرين ان يملأوا لي كأسي الفارغة ، لكنهم كانوا يمضون وهم في ريبة يهمسون : نقودنا من فضة كيف نلقيها في كأس من ذهب ؟ وقبل ان يولي النهار وجدتني احفر بئري من جديد . حتى اذا ما اقبل الغروب كنت قد استطعت ان اروي . . . العابر الاخير .

***

كنت اقف بالامس امام باب حديقتي ، حين اقتربت مني في بطء فتاة ذات ثياب رثة ، تحمل خرجاً فارغاً على كتفيها فلوحت لها بقرش في يدي . لكنني رأيت وجهاً يشرق فجاءة وهي تقول : اتأذن لي يا سيدي ان اجمع الزجاج المتكسر الذي يلقيه اطفال القرية في حديقتك ؟ وكان صوتها المنكسر عميقاً وقوياً يأذن لها ان تدخل حديقتي ، فتركتها هناك طوال النهار تجمع قطع الزجاج المنتثر بين الزهور والرياحين .

وفي المساء كانت قد تركت وراءها بقعاً من الدم هنا وهناك ، وحملت معها كل قطع الزجاج ، حتى تلك التي كانت على سور حديقتي كي تمنع الاطفال ان يقفزوا داخلها . وفي الصباح كان الاطفال قد استطاعوا ان يدخلوا حديقتي .

***

كنت فرحاً بقلبي اول ما استيقظ نابضاً بالحياة ،
وحين مر اول عابر اهديته
اليه في حرارة واخلاص ،
طالباً منه ان يباركه لي ، فلعنه ومضى

«الا يهب الفرصة والحياة
بل ينزف دمعاً ودماً ابديين .
ان تستحيل نبضات الحب الى
خفقات خوف وارتعاب مستمرين ،
ان يحب الجميع كي يتمتع باشفاقهم
عليه او رثائهم من بعيد ،
وان يظل جاهلاً بما يتمتع به الآخرون من اهل الارض» .

ولست اسألك يا الهي ان ترفع عني لعنته فهي نتيجة خطيئتي ، لكنني اسألك ان تعينه على تحملها نازفاً لهم في اخلاصه دمعه ودمه ،
لا يعبث يائساً فيلمس قلوبا آخرين ناقلاً اليها لعنته ،
متحملاً رسالته الجديدة فلا يحطمها كي ينضم الى عدم او صمت ،
صبوراً شجاعاً الى ان يتمتع يا الهي بحبك الهادىء العميق .

***

لست استطيع ان انتظر ،
انني اندفع في تلهف ،
فاغفر لي يا الهي تلهفي وانا اجاهد في عناء حتى بإيمانك افوز ،

لست استطيع ان اغفر ،
انني اتطلع في تشوق ،
فاعن يا الهي عيني المسهدتين حتى تريا وجهك المتلالئ الحنون .

لست استطيع ان اصمت ،
انني اصلي في لجاجة ،
فاصغ يا الهي الى لجاجتي المخجلة المضطربة حتى تبثق في نفسي اغانيك

لست استطيع ان ابكي ،
انني ارتل في فرح اناشيدي الخافتة حتى تغنى مع رعودك ، فتغمرني افراح صمتك الغني العميق .

***

لا بد ان تنصت من اجل ان تسمع ،
الصمت في الاعماق ، والهمس في الضجيج ، والسر في الانغام .
لا بد ان تتطلع من اجل ان ترى ،
في نفسك الالوان ، في ليلك الفجر ، في الغابة الطريق .

لا بد ان تتألم من اجل ان تفرح ،
بخفقة ، بخلجة او نهاية عظيمة ، او راحة عميقة .

لا بد ان تسأل من اجل ان تأخذ ،
من عالم الخلود ، والفرحة النشوانة ، كل ما تريد .

الخرطوم يوسف الشاروني



ابن الرومي طائر غرد خارج سربه

من سلسلة الامالي

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

●

استهل

ابن الرومي زمناً طويلاً بين الشعراء المغمورين الى ان ذر عنه غبار النسيان ونفض العفاء النقد الادبي عندما اخذ يتلمس طريقه القويم في انصاف الموهوبين الذين اغفل امرهم لبعض الاسباب. وما نرجحه ان هذا الشاعر بقي مطموس القدر مبخوس الحق حتى مطل الدراسات الحديثة لسببين رئيسيين وهما :

— ١ — ضعة الاصل واختلاطه وتبذل الشخصية .

— ٢ — اغفال شعره او ضياعه .

وان نحن استندنا الى ما جمع من متبدد شعره ، وفيه ما يفي للنظر في قيمة ناسجه استطعنا القول ان هذا الوضيع النسب الدخيل ، وما اكثر الاقلام الفذة الدخيلة في العهد العباسي ، هو ، على ما فيه من اسفاف في قدر الذات ، نادر التراث الشعري في لسان العرب . ولئن كان البحتري قد سبقه الى ابراز الفن الوصفي بروزاً رائعاً في موضوعه وديباجته واجزائه فلقد نحا ابن الرومي نحواً آخر في الوصف فكان شعره مستدقاً في صورته ومعناه مستلاً في الغالب من زوايا الاهمال او من خصائص الموصوف او من طغيان الحس . وانه في ساعات نظمه كالصائغ اللبق يجمع اجزاء ابياته فينتهي من صوغها ، وعليها ، فوق دقتها ، تماسك في النسج وابداع في الايجاد عبر عنها الشاعر نفسه اذ قال : « ما اخذت معنى الا أمته »

وهذا الاخذ الذي عيب الموضوع هو الناحية التي كانت مهجورة تقريباً ، قبل ابن الرومي .

وفي يقيني ان هذا الموسوس لم يكن مغالياً في هذا القول الحكيم ، على كره من الحكمة التي لم تتيسر له الا في بعض وثبات البداهة ، فالدقة اذاً طبع يطغى وليست تعملاً يؤتى بالحيلة او بالمراس .

فهذا ابن الرومي يدس ملقط الفن الى زوايا الاهمال لينتزع من اوضع الامكنة مادة لشعره ويرتفع بها الى سماء الصورة فهل رأيت احدب طلع في صورة قلمية كأنها لوحة زيتية قبل قول جريح الرومي :

قصرت اخادعه وغار قذاله ... فكأنه متربص ان يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة ... واحس ثانية لها فتجمعا

وهل رأيت قالي زلابية اصبح موضوعاً شعرياً يحيا فيه الى جانب زيته الذي شبهه الشاعر بحجر الفلسفة او حجر الكيمياء ، الذي ادعى العرب وجوده زمناً طويلاً ، قبل ان نظم شاعرنا المعدم ابياته التالية ، وقد تحلب ريقه :

ومستقر على كرسيه تعب ... روحي الفداء له من مدنف تعب
ابصرته سحرا يقلي زلابية ... في رقة العشر والتجويف كالقصب
يلقي العجين لجيناً من انامله ... فيستحيل شبابيكا من الذهب
كأنما زيته المغلي حين بدا ... كالكيمياء التي قالوا ولم تصب

لا تقل يا قارئي ، وما الذي يسقط من قيمة الشعر العربي لو اسقطت هذه الابيات وسقط معها ابن الرومي ، ان كان لا يسمو الا بمثل موضوعها ! لا تقل ذلك ، مرة اخرى ، فمثل هذه اللوحات الوضيعة الموضوع نتف فسيفساء او ان شئت أصداف نادرة في متحف الفن الشعري .

وان كنت تحب الدقة في خصائص الموصوف ، ولا سيما في الحسناء ، فاسمعه يقول في وحيد المغنية :

وغرير بحسنها قال : صفها! ... قلت : امران بين وشديد
يسهل القول انها احسن الاشياء طرا ، ويصعب التحديد
تتجلى للناظرين اليها ... فشقي بحسنها وسعيد
ظبية تسكن القلوب وترعا ... ها ، وقرية لها تغريد
تتغنى كأنها لا تغني ، ... من سكون الاوصال وهي تجيد
لا تراها هناك تجحظ عين ... لك ، منها ، ولا يدر وريد
من هدوء وليس فيه انقطاع ... وسجو ، وما به تبديد

مد في شأو صوتها نفس كاف كانفاس عاشقيها مديد
وارق الدلال والغنج منه وبراه الشجا فكاد يبيد(١)
فتراه يموت طورا ويحيا ، مستلذ بسيطه والنشيد(٢)

الى ان يقول .

اهي شيء ، لا تسأم العين منه ام لها كل ساعة تجديد ؟

او اسمعه ،وقد رأى حسناء ، وفي يدها كأس خمرة ، يقول :

ومهفهف كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكؤوس الى مراشفه وتضج في يده من الحبس
ابصرته ، والكأس بين فم منه وبين انامل خمس
فكأنها ، وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

اليس في هذه الابيات ، الدالية والسينية، صور حية تشب الى العين عند قراءتها مستجلية خصائص الموصوف مستوفية محاسنه الى حد الغاية التي لا مرمى بعدها ؟ وان في قوله :

اهي شيء لا تسأم العين منه ؟ ام لها كل ساعة تجديد ؟

جمعاً لمآخذ الروعة الجمالية يرفعها الى ذرى الاعجاز ،في استفهامين تقريريين ،يستنفد في الاول منهما ملل العين بعوامل الدهشة ، وفي الثاني يستبطن ملاحة موصوفة ميزات التجدد دفعاً لالفة الحسن التي تضعف عوامل الاعجاب ، فبقاء الشعور بسلطان الجمال على الحواس والجوانح مستمد من مثل لولبية وهمية في مجالي البهجة والجاذبية تبسط لك ، وانت المفتون بما تحسه ، دنيا دائرة من المهابه الممتعة .

وما يعرضه من خصائص الموصوف مما او ممن حوله لا يعلوالى ارفع مما يبديه من مكامن نفسه اما طغى حسه متأثراً بحب او كراهية ، ولما كانت آلامه مسيطرة على هناءاته نستعين رثاءه وهجاءه على اظهار هذا الطغيان الحسي .

لو لم تكن في شاعرية هذا المتطير النابي عن المجتمع منافذ عبقرية الاشراق لما امكنك ان تقع له الا على المقاطع المظلمة الحزينة الملوحة بنار الحزن والالم والحرمان والقطيعة ،ولكن تلك المنافذ اطلت بشعره على مسارح الخلود حتى في سويقات حزنه اليائس وعيشه البائس ، فاصغ اليه يرثي ابنه الاوسط، مبتدئاً بخطاب عينيه :

بكاؤ كما يشفي ، وان كان لا يجدي فجودا فقد اودى نظير كما عندي
الا قاتل الله المنايا ورميها من القوم حبات القلوب ، على عمد
توخي حمام الموت اوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى عني ، فاضحى مزاره بعيدا على قرب ، قريباً على بعد

ويستمر الشاعر في اخراج لوعته على ابنه الميت اخراجاً لا يترك لك فيه مجالا لاستزادة على حزن الاب الثاكل ولا لاستيضاح وقوع الخطب الجسيم ، فالقصيدة في مجموعها فجيعة عائلية في مجلى من الفن واطار من القافية المنسجمة والالم المرير، فليست هذه الابيات مختارا منها وانما هي جزء من صدرها .

واما ما عرفناه لهذا الشاعر من الهجاء فهو ، على ما فيه من قرس وعناء في استجماع الوصف المؤذي حتى يُبرز المهجو موضوعاً للضحك والسخرية،يثير اعجابك بفنه في حين انت تكره مؤداه .

ونحن ، اذ نعرض نموذجاً من هذا الهجاء ، نود ان نجري في عرض مستندين الى جمال الادب المطلق، ذلك الجمال الذي يعجبك منسوباً الى الفن بصرف النظر عن حسن المادة المتناولة او قبحها . هذا الفن الذي كان سبباً في خلق المذهب التقريري في الشعر (Réalisme) فكان ديوان « زهور الشر » آية في الفن الشعري في ادب الغرب ،وكانت الرسوم الاستهزائية او الرمزية الشكلية (Caricature)فناً غازياً اساليب البيان عند الحاجة الى لباقة الفرس دون النزول بالشعر الى درك الهجاء المنظوم .

واليك مقتضباً من هجاء تناول به شخصاً كان قد مدحه فرد اليه شعره وقال له امدح به غيري،بعنوان، المديح المردود :

رددت على مدحي بعد مطل وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت : « امدح به من شئت غيري» ومن ذا يقبل المدح الرديدا ؟
ولا سيما ، وقد اعقبت فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا
وما للحي في اكفان ميت ، لبوس ، بعدما امتلأت صديدا !

هذه اشارات الى ناحية الدقة الوصفية في شعر ابن الرومي، تلك الناحية، بل ذلك الوجه المغلف شعره كله بغنى الفن،وخليق بمن كان مثله في ضيق عيش وذهاب صحة وفناء أسرة ان يكون مخلع البيت مفقود التوازن في غنائه ووصفه كما هي حاله الطبيعية ، ولكنها كيمياء الفن تجمع الاضداد فتؤلف منها المحاسن .

لذلك نرى ان هذا الشاعر كان طائراً خارج سربه،وقع على ما لم يقع عليه احد منهم ، وعزلته طيرته فغنى من ابداعه ولم يعنه عصره او مجتمعه اعانة ذات بال في بناء شعره مثلما توفر لسواه حتى للاعمى البغيض،بشار بن برد،الذي شق له طريق«منبوذي المجتمع».

واستناداً الى هذا الارث الفني النذير استحق ابن الرومي مرتبة خاصة اعلاها بعض اساتذة الادب في دراساته الحديثة ، فوق شعراء العربية جميعاً في مختلف العصور .

نسيم نصر

(١) براه : اضعفه . الشجا : ما يتخلل الصوت من الغصة المستملحة في الغناء
(٢) البسيط : ما رق وامتد من الصوت . والنشيد : رفع الصوت والترنم

ما اكبره قلباً

للكاتب الايطالي **انطونيو بلتراملي** ترجمها عن الايطالية **مصطفى آل عيال** لبساتسه في الآداب

●

ولد بلتراملي Antonio Beltramelli عام ١٨٨٠ في مدينة Forli من مقاطعة Romagna اجمل المقاطعات الايطالية حيث المروج الخضر والجبال الشم والاشجار الباسقة تناطح الجوزاء والاودية العميقة السحيقة والينابيع المتفجرة الرقراقة. هذه الطبيعة الخلابة كان لها صدى أي صدى واثر اي اثر في نفسه وعقله. وسرعان ما اختمر فيه القاص والروائي والشاعر. ولم يبلغ العقد الثالث من عمره حتى كان لنا مكتبة وافرة من تآليفه في اشتات المواضيع وكلها مفيدة فيها الشهادة الكافية بنبوغه وخصبه. ومهما نهش النقاد تآليفه ونالوا من لغته من حيث البلاغة والبيان فان بلتراملي فنان يستحق التقدير بخصبه وسعته

☆☆☆

كان ما كان : ام حنون رؤوف . وما كان لها غير ابنها الطفل الرضيع وقلبها الكبير الوديع وساعديها المفتولتين لتشتغل بهما وترد غائلة الجوع عنها وعن عصفورها الازغب .

كان ما كان : ام عاشت وطفلها وحدهما لا انيس لهما في بيت منفرد منعزل لا يجاورهما احد ولا يزورهما احد .

كانت الحقول والمراعي واسعة جداً غناء مثل قبة السماء الزرقاء. وكان البيت صغيراً جداً واكبر من هذا وتلك قلب الام الغزلاء التي كانت ترعى طفلها الوحيد في غلس الليل ووضح النهار .

وما يكاد الفجر يتربع في عرش السماء حتى كانت الرعيان تخرج الى المروج الخضر حيث العيون المتفجرة يسوقون قطعانهم امامهم متلاحقة متلاصقة ويمرون بالبيت الاعزل . ولا تكاد آخر اشعة من الشمس تودع الكون وما فيه حتى يعود الرعيان من حيث قصدوا في الصباح مارين بالبيت الوحيد ويقولون للام الارملة المنتصبة على العتبة وكانت لا تزال شابة كالزهرة في الاكمام

— ايتها الفتاة الجميلة لماذا لماذا لا تأتين معنا وتصحبيننا في حلنا وترحالنا . — فكانت تجيبهم .

— ان سيدي الصغير في سريره. انه يريدني على الدوام بقربه ولن اسمح لنفسي بمغادرته .

وفي احد الايام قال لها واحد ممطتياً جواداً اغر وهو يمر بالقرب من عزلتها . — ايتها الفتاة الحسناء هيا معي. اركبي خلفي واصحبيني فستصبحين قوية بي وغنية ذات جاه .

ابتسمت له بدون غيظ واجابته. — ولماذا اتبعك طالما ان حبيبي جاث فوق سريره . لماذا لماذا اتبعك ، انا بالجهد اشبع حبي ولن اطيق العيش بدونه .

***

كانه ما كان : ام عاشت وابنها في عزلة رهيبة وفي بيت منعزل. مرت اسراب السنونو في السماء، ومرت الايام والسنون. كبر الطفل والام لا تزال تشتغل من اجله نهاراً وليلاً من المساء حتى الصباح ومن ظلمة الليل حتى الفجر . تلك المخلوقة الدمثة وصلت الزمن كله بعضه ببعض للعمل من اجل ابنها وحبيبها . ومضت الايام والسنون .



– انك تهرمين . . . ، قالت الرعيان .

– انني اهرم . – رددت هي بصوتها العذب الحلو . وكانت جد تعبة ومع ذلك كان الرضا والارتياح يشعان من عينيها والابتسامة الملائكية تتألق بين شفتيها .

كان ما كان : ام ولها ابن ولها قلب كبير وذراع لا يكل عن العمل والكدح .

كبر هذا الابن واصبح شاباً مفتول الساعد بهي الطلعة عريض المنكبين جميل القوام. لقد صاغه الحب وكم للحب من معجزات .

وكبر الابن وهو لا يعرف شيئاً عن الاوصاب التي كابدتها امه ولا تزال تكابدها . كبر مدللاً معززاً مرفهاً .

كان الرعيان يمرون عند الفجر كعادتهم ويعودون في المساء. وفي كل صباح ومساء يسائلون الام :

– اين الزهرة التي تعهدتها بدموع عينيك وسقيتها من رحيق حبك . أين الزهرة اليانعة ولماذا لا تصحبك وتعمل معك لتخفف عنك او تسليك . كانت الام تبتسم لاسئلتهم من اعماق قلبها وتجيبهم بهدوء لا مثيل له :

– ان ولدي بعيد وبعيد جداً . ان زهرتي جرت في الحقول المعشوشبة فركضت وراءها اسراب الفراش لتغازلها . ان ابني لا يزال غض الشباب طري العود . انا وحدي علي ان اكدح وأشتغل .

***

كان ما كان: ام وحدها كالكوكب المتألق في السماء ، غذا وكبر الفتى كما ينمو ويكبر نبات اللبلاب وهو يلتف حول جذع الدردار الضخم . ثم تموت شجرة الدردار ويبقى اللبلاب ليستمد الحياة من ذاك الجذع القائم . كبر الشاب ولم يفكر بعد بالعمل والكدح .

وواصلت الام المسكينة عملها وكدحها بما بقي لها من القوة. اشتغلت وابتسمت ، والايام والسنون لا تزال تتعاقب واسراب السنونو تمر وتمر ، والرعيان والشيوخ قد هرموا واصبحوا في ذمة الدهر .

بقي ذلك المخلوق العذب الحلو ، بقيت تلك الام الملاك تكافح باصرار كالرحى التي لا يعتريها دوار مهما طحنت ودارت . كافحت وناضلت من اجل حبها من اجل ولدها وفلذة كبدها .

كان العمل يضنيها رويداً رويداً ويستهلك ما بقي لها من القوى . اصبحت مسنة كالارض ، او كالجبال الراسخة او كالسنديانة العاتية فانحنى ظهرها وطأطأ رأسها .

وفي احد الايام رجعت الزهرة من حفلة الرقص قريب الفجر وقالت لبستانيها : – اميمة اني بحاجة الى المال .

– اني لا املك شروى نقير يا بني – وطأطأت رأسها حزينة كئيبة.

– ولكني بأمس الحاجة الى المال . اني سأموت ان لم احصل على المال.

ولم يأت المساء حتى كان المال حاضراً فحمله الشاب واسرع الخطى نحو الخلاء على اجنحة الفراشات حيث اللهو والعبث واللذة الحمراء .

***



كان ما كان: ام ولها قلب اكبر من البحر . كان ابنها يمضي اوقاته في الملاهي ملاهيه هو وملذاته . اما هي الام فكانت لا تزال تشتغل وتنتظره . باعت مسكنها لتعطيه المال . ثم باعت الحقل من اجله ولم تتأفف ولم تشتك .

في احد الايام ، في يوم كالح حزين عندما اصبحت الام اكثر عزلة وافقر ، في يوم بئيس تعيس نظرت الى الافق البعيد البعيد جداً وتأوهت لاول مرة وانتظرت . وعبثاً انتظرت . لم يعد فتاها . ان الزهرة انفت من الرجوع الى ساقها الى ينبوع الحياة . اجيت الليل بانتظاره فلم يعد . امتد انتظارها الى ايام اخر وليال اخرى . ان ابنها لم يعد . حينئذ وحينئذ فقط شعرت بأجلها يقترب . احست بالموت يسرع اليها بخطى العالقة .

رفعت عينيها الى السماء وابتسمت . ثم شبكت يديها فوق صدرها وتكلمت : « بني يا مجاور الروح ويا فلذة من كبدي . لقد اعطيتك كل شيء . وقد اخذت مني كل شيء . فخذ ما بقي الآن لي . خذ انفاس حياتي الاخيرة يا حبيبي وليباركك الاله الاعظم » . ثم اطبقت عينيها وفاضت روحها .

كان ما كان : ام وكان لها قلب ما اكبره اكبر من البحر .

مصطفى آل عبال

تيودر

بقلم الانسة مرهانه غزاوي عولي

☆ ☆ ☆

القمر تغطيه غلالة رهواء من الغيوم . والسماء تمطر رذاذاً والنجوم تأتلق بين الحين والحين ، ثم تخبو وتختفي لتعود بعد برهة فتأتلق، ومعابد مدينة الشمس تجدمع صريرالهواء في الخارج قدرة الله في خلقه وقدرة الخلق في جلدهم وحذقهم ، واصوات متباوجة من معبد « جوبتر » تتصاعد مليئة بالاستعطاف مليئة بالخشوع ، تطلب الى الآلهة غفراناً، ومقابل هذا الغفران قرباناً اعدته تلك الجموع المحتشدة لتلك السنة غالياً، فقد كاد الضرع ان ينضب والزرع ان يجدب وهي ان قصرت في السنة المنصرمة فلم تهرق الدماء كلها زكية طيبة فانها الآن توفي حقها زائداً غير منقوص ، وهاكها : قد اعدت سرباً من الصبايا الحسان الابكار بينهن ابنة الامير وابنة الكاهن وابنة المعبد وابنة التاجر بقدودهن المتأودة وخصورهن الضامرة، وقد انحلت شعورهن الكثة، تتماوج على عري الاكتاف، وبدت في نظراتهن شهوة عجيبة الى التضحية، شهوة عمياء طغت حتى على ذلك اللألاء الفياض الذي تضعه الحياة عادة في عيون الشباب ، فهن اذ يرقصن على النغمات الهازجات يخيل اليك كأنهن يمشين متعجلات الى حتفهن الا « تيودر » الصغيرة ربيبة الهياكل العفراء التي التقطها يوماً الكاهن الفتى موقد البخور وليدة مدرجة في اقمطتها عن السلم الكبير عند مدخل الهيكل ، ونذر لتكون هانئة في كنفه اذا هي عاشت ومنت عليها الآلهة بالحياة .

اجل ، الا تيودر التي كانت تسترق النظرات القلقة الى زاوية الهيكل بين الفينة والفينة حيث يتضوع البخور في الغرفة الصغيرة الملاصقة لمعبد جوبتر قوياً نفاذاً .

وهبت ريح من الخارج فأطفأت كثيراً من الشموع وتلبدت الغيوم في سماء بعلبك حتى اخفت عنها وجه القمر وحجبت النجوم، بينما كانت الصبايا الضحايا يسرن نحو البركة المستديرة المعدة للدماء ليدرن حولها مرات، ثم يقدمن رقابهن على التوالي برشاقة واستسلام، قد اشرقت على وجوههن ابتسامات وضاء .

وتلكأت تيودر، ذات العينين الذابلتين والشعر السبط برقصتها، تلكأت وهي ترتعش حينما رأت الدم الاحمر القاني يصبغ بلاط البركة الاملس .

وكانت الانغام تعلو وتثور واضواء الشموع تشحب شيئاً فشيئاً ، والبخور يتصاعد من فجوة في الحائط كثيفاً يضرم الانفاس ويخدر الادمغة ، عندما انسلت تيودر من بين صفوف الراقصات بخفة لم يلحظها احد ، بعدما التقت عيناها عيني الكاهن موقد البخور ، انسلت اليه واجفة القلب موزعة الضمير حتى اذا القت بنفسها الورعة على صدره دارت بينهما هذه المحاورة الخاطفة :

— اي ابنتي الطفلة ، جعلت فداء شبابك البريء ولكن ماذا ترينني فاعل من اجلك في مثل هذه اللحظة الدقيقة ؟

— انك لا تعدم وسيلة حازمة تخلصني بها يا ابت، وان اشكل عليك ايجادها فاقتلني انت ، فاني لاستعذب الموت من يديك

في مدينة بعلبك ، حيث تجثم هياكل آلهة الشمس شامخة بخرائبها المدلة بقدمها على الزمن، حدثت هذه الاسطورة التي ان لم يحفظها التاريخ بين دفتيه لقدمها فقد وعتها آذان الاسود الحجرية ، ووشوشت بها العماد المنتصبة ونمت عنها السلالم السرية الضيقة وشهدت عليها احواض الذبائح الآدمية

الرحيمتين وبين يديك ، واني لاسرها لك الآن ، فاغفرلي ياابت وامنحني عطفك الذي منحتنيه مدة حياتي!.

— وانا يا تيودر اولا يفت في عضدي ان تقفر هياكلنا هذه من النغمة المراح التي طالما تجاوبت بين الجدران الخرساء فسكبت على رهبتها نعماء العيش وحيويته؟. اولا يؤلم اباك ان يفقد الطفلة اللعوب التي اترعت طريق حياته بالورود وسكبت محبتها افانين على قلبه الجاف ، الـني لا استطيع يا تيودر ان اتركك لقمة سائغة لفم الفناء الجشع ، كلا لا استطيع !

وضمها بشدة الى صدره وهمس بأذنها كلمة . وتطلعت هي اليه بعينين مغرورقتين بالدموع وشرقت بها ، ثم تبعته لاهثة .

اما كيف اخترقا تلك الجموع الصاخبة واما كيف وصلا الى هيكل باخوس — الٰه الخمر — حيث انسلا منه الى السلم السرية المحفورة في قلب الحائط المنتهية الى سطح الهيكل. فذلك كله لم يفطن اليه احد ، الا ان بعضهم قد فطن الى ان تيودر ، اصغر فتاة بين الضحايا لم تقدم رأسها الفاتن للمذبح فيمن قدمن، فكيف اذن تبخرت هذه الفتاة .

وعم الهرج والمرج وكفت الاصوات عن النشيد ودوى صوت الملك الاكبر آمراً الكهنة بالتنقيب عن الفتاة المجرمة — التي اجترحت في حق الآلهة ما لم يجترحه قبلها احد — في كافة انحاء الهياكل حتى لا تغضب الآلهة ، وتنذرهم بالويل والثبور .

وراح الكهنة والحراس يجوسون الهياكل العظيمة مكاناً مكاناً من الدهاليز الى السراديب ، ومن المعابد الى غرف الحراس، ومن قاعات المتعبدين الى دواوين المرضى، ويتسلقون الاعمدة الملساء علها تكون مختبئة في فجوة من الفجوات الهندسية او ضمن تجويف رأس اسد من تلك الرؤوس الكبيرة المطلة من عل، ولم يتركوا سلما من السلالم المخفية في داخل الحيطان الا صعدوا منها الى السطوح لاهثين منقبين ، وتفقدوا الابواب الموصدة جميعاً وكذلك البابين الخارجيين الكبيرين فلم يريبهم من امرهما مريب .

وهكذا كانت جهودهم كلها تذهب عبثاً ، وهكذا كان الوقت ينساب راكضاً متعجلاً والمصلون ينصرفون حيارى متهامسين، حتى اذا بدا الفجر يتبلج ، وآن اوان حرق البخور في هيكل جوبتر تفقدوا الكاهن يا تيودر فلم يجدوه ، عندئذ ، فهموا شيئاً وغاب عنهم شيء آخر .

فهموا ان الكاهن وربيبته قد فرا خلسة ، اما جبناً واما كفراً، واما تواطؤا .

على ان الذي لم يفهموه جيداً ، هو انه كيف تسنى لهما الهرب دون ان تهلكهما الآلهة وهما في سبيلهما او ان تردهما صاغرين الى المعابد لتنكل بهما !!

والى اليوم ، ما زالت النجوم الباهتة التي شهدت وحدها حقيقة الامر حينذاك تتهامس متسائلة . هل هما حقاً كانا مجرد بشريين رفعتهما الآلهة الى السماء بفضل المحبة الخالصة التي خفق بها قلباهما العميدان وانعمت عليهما بالخلود، ام انهما الهان من الآلهة نزلا الارض على حين غرة ليستطلعا شؤون الناس ولما ضايقتهما الطقوس المتنوعة الظالمة التي فرضها هؤلاء الناس على نفوسهم في غير مهدر رجعا الى عالمهما الطلق بعد ان عاشا عيشة الانسان وبلوا سجنه المحدود .

طرابلس — جبران غزاوي عوني

مجلة علم النفس

☆☆☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٤٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

هـــروب

في دمي رجة من الثورة الكبرى على هذه الدنى والعوالم
راقني في الكمال مورده الصعب واغرى به جمـال الملاحم
وسباني من الحيـاة رؤاها .. اين من فتنة الحياة الحـالم
كل شيء حولي يثير بنفسي امـلاً كامناً وثورة ناقم
لا أبالي إن تدحرج دوني لا ابالي بهون متعـاظم
كل سؤلي من الحياة رؤاهـا وخيال بين الحقائق هائم
واهازيج لا يعود صداها ودنى ملؤهـا الاسى والولائم
لست للخير او الى الشر ادعو : ليس تحلو الاعياد دون المآتم

***

يحلو لنفسي اذ تتيه بكل داجية الظلم
في كل غور دامس ما بين انقاض القدم
ما بين افياء القبور ، وبين اشلاء الرمم
اوان تحول الى سحاب ادكن فوق القمم
وتظل تائهة هنالك تستجم وتستحم

***

لست بالشاكي من الدنيا هبوطاً اوصعودا
او من الآمال والاسهم نحساً او سعودا
قد كفاني ان لي هذي الرؤى حلما سعيدا
هذه الافـلاك تندك ولكن لن تبيدا
هذه الايام تنشل وتستقصي الخلودا
هذه الاطيار تشدو وهي لا تدري النشيدا
وكفاني انني ان شئت غيرت الوجودا
لي في دنياي ما شئت نهوداً وورودا
لست بالشاكي من الدنيا هبوطاً او صعودا

***

بيد أني اشكو لجوني الى اليأس مراراً وتارة للأماني
ولكم فر بي حنيني الى القهر او ارتاد بي مروج الجنان
وسباني الناعي بانة حزن وسبتني مهـد هدات الاغاني
لم اجد — آه — بغيتي في دموع صامتات ولا بضحك الغواني
هارب . . هارب انا ليس يحلو لي ناء من المنى او داني
لاعب . . لاعب انا لا أبالي بنصيبي او حصتي في الرهان
وسواء لدي ان بسم الحظ وان عشت دائب الخسران
ام علتني الثيجان ارفل في المجد أم اندك عاتقي بالهوان
فوراء اللذات بعض سراب ووراء الشقاء لذة عـاني
ووراء الذي نزيد من الفـاني طيوف المخلد اللافـاني

***

فليكن!.. ثم ما هنالك من خلف الضمير المروع المجنون
بعض ماينحت الخيال اذ اتاه بليل من الاكاذيب جون.
ابدنيا الرؤى ودنيا الفنون نتعزى عن جرحنا المكنون؟
بين سور مدور ليس فيه منفـذ للسماع او للعيون
غير باب قد اوصدته الشياطين تحدى القرون تلو القرون
دونه — وهو صامد — كم وقفنا نترجى الخلاص بعد الهون
يتعالى صراخنا في الليالي فيبيد الصدى وراء المنون
في دنى لا يحيطها غير افق من شكوك او طلسم من ظنون
والذي يبتغي وراء المآسي او وراء اللذات بين المجون
قبساً او شرارة من يقين انما يبتغي سوى مأفون

***

لست بالغر وما اغواني — الدهر — السرابُ
بل تجلي « الحق » لي و« الحق » طرف ونقاب
ورموز خلفها الصفر واحـلام عذاب
واندفاع مرة في اليم او اخرى انجذاب
وذهاب حيث لا مأوى فرجعى واياب
حيث لا مأوى . . فما يجدي اخا اللوم العتاب
والحكيم الحـق من ديدنه ذا الانسياب
كالافاعي . . في رمال يصطلي منها الاهاب
كلنـا نعوج او نرفض والقفر يبـاب
كلنا يتطمح للفـر . . وما للسجن باب

باريس — **ادريس الجائي**

ضمـــير

مات امسي الجميل بين ذراعي فوسدت نعشه في شعوري
مات امسي ولن يعود ويومي سوف يقضي من هول ذاك المصير

وغدي ، ما غدي ؟ سيأتي ويمضي مثل يومي مشيعاً بالصفير
وحياتي الجوفاء هل هي الا صفحات من كبرياء حقير
صارت الكأس من وسائل محياي وسكري لوناً من التفكير
غير اني ولو اخدر اعصابي فلن يجلو الاسى تخديري
ولو أني ضحكت كالناس يوماً عدت ابكي وعاد يبكي ضميري

بغداد — ابراهيم عويد با

يا جدولي

قد عدت بعد الهجر يا جدولي — اعيش في ظل الهوى الاول.
قد عدت مخموراً . على جبهتي — نور المغيب الاصفر المشعل!
يذيبني الماضي بايمائه — ويوقظ المدفون من مأملي
يا مهد حبي الطفل يا منعشاً — زهر الهوى من مائك السلسل
كم جئت والاوراد نعسانة — يطفو الندى في ثغرها المقفل
اسير بين الزهر، في خاطري — اسطورة من حبي الامثل
احث خطوي نحو صفصافة — محجوبة عن اعين العذل
تلفنا بالصمت ، اذ نلتقي ، — اضمامة من شعرها المرسل!
يا جدولي المحبوب يا معولا — ما كان قبل اليوم بالمعول
اتيت وحدي الآن مستعرضاً — اطياف امسي الازرق المخملي
اتيت . . والنيران مشبوبة — في اضلعي والصمت في مقولي
اعيش في ظل الغصون التي — عن ذكرنا المعطار لم تغفل!
يا جدولي هل كان عمر الهوى — صيفاً . . كعمر الورد والسنبل

فؤاد الحسن

نعش تائه

ليل . . ومقبرة . . ومنبوذ بلا خفق طريح
هفت الرموس لنعشه . . وتنفست صمتاً وريح
في كأس جمجمة يريق شبابه يأساً جريح
فترف نازفة النطاف ، يجتفها ولهى . . تصيح :
بُعث العدم . !
في جنة تلظى . . يلف ربيعها فجر اصم
أنبتّه حباً . . فأزهر واضطرم
وارقته عطراً اغم
ناراً ودم
يا بعث من قبر الى قبر . . حياة في عدمْ !
. . في خاوة الا من الديدان تعبث والنسور
ودعتها . . ومضيت احصد في متاهات القبور
وعلى ضريح النور من زهر الصبا ناحت عطور
وتنفست جثث من الماضي باحلام تمور
وأنا . . أنا . . صمت يرن . نار تجن . نعش يئن
بين القبور !.
نعش تشيعه التلال
لا يستقر به ضلال
لو هاج اعصار . ! وهذا النعش في افق الزوال !
يا رب . . والاقدار تدمي
يا رب . . والايام تعمي
يا رب . . والاهوال تهمي
يا رب . والنعش المضلل عافه حتى الفناء
يا رب . لادنيا . ولا امل . فناء ام بقاء ؟ .
يا رب . ذرني في الفضاء اذوب في نفس الهواء
يا رب . . والموت المعف . . الى متى هذا الشقاء
يا رب . ؟
الظلمة الغماء . . تلبي
الفجة الدهماء . حبي
اللفحة الرعناء . . ذنبي
لا شيء الا والظلام نداء اشباح تلبي
يا ريح . ! يا بنت الجنون . ! على لظى البركان هبي
ثوري . . ابيدي . . اعصفي جبارة في كل صلب
دكي الصخور . .
هدي القبور . .
وارمي بنعشي للنسور . .
يا ريح . . هبي . !
اين الردى . ؟ هذا الصدى . . . يدوي سدى

عدن — لطفي جعفر امانه

مكتبة الاديب

النشيد التائه

للآنسة ثريا ملحس – ١١٦ صفحة – حجم صغير – ورق صقيل
مع لوحات فنية – منشورات دار الكتاب – بيروت

الفن ، والشعر طرف منه ، هو مادة انسانية الانسان ، يُغني الروح، ويسمو بها، لانه يعبر عن اسرارها، فهو كما يقول «امرسون» بحق : « المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الاشياء والمعاني » .

وشعرنا المعاصر يشكو فقر الدم ، فهو ناصل مكدود ، معوق عن مسايرة طموحنا . ومرد ذلك – فيما اعتقد – حيرة الشعراء بين نهجين : فأنصار القديم يغلب عليهم الجمود والاستعباد للفظ والمحسنات ، واكثر شعرهم خطابي او تقريري ، يعتمد على الذهن اكثر مما يعتمد على الخيال : فهم يهتمون بالاداء اللفظي لا بالاداء الوجداني ، والتجارب الشعرية ان وجدت في آثارهم ، بدت مشوهة لانها مفتعلة لا يميزها عبير الصدق ! . وأما انصار الجديد فقد استهوت معظمهم «هوسة» المدارس الاوروبية المتطرفة ، دون ان يستوعبوها او يستعدوا لفهمها، فأضاعوا طابعهم دون ان يحظوا بطائل، فهم يخرجون ما لا داعي له الا التقليد الفج او التفصح الغليظ او الاغراب حتى يصبح الاغراب نفسه مصدر لذة ملتوية لصانعيه !!

ورأيي في الشعر مولع برأي « هوراطيوس » : « هناك امور نقبل ان نقر لها بالتوسط ، لكن لا الناس ولا الآلهة ولا اعمدة الوراقين ترضى ان يكون الشعراء اوساطاً . فكما ان الالحان المتنافرة تسبب الاشمئزاز في وليمة بهيجة ، اذ لا ضرورة تدعو الى وجودها ، فكذلك القصيدة التي تقصر عن القمة ولو قليلاً ».

وانا ، بعد ، مؤمن ان الفن عامة والشعر خاصة ، من مقتضاه ان يكون ذا أثر خلقي، دون ان يتنطع الشاعر للمناداة بمذهب معين . فالانفعالات المخدرة التي تهدف الى الاثارة المقصودة لذاتها لا تصلح موضوعاً للشعر، انما موضوعه اختيار ما هو اسمى وأبقى عن ارادة حرة.

. . . ومؤمن أيضاً ان الشعر يجب ان يقوم على دعائم ثلاث : موضوع وخيال وأسلوب او « تجربة جديدة ، وانفعال صادق ، وافضاء جميل » فالموضوع ، هو ان الشعر ككل فن ، ابداع تجربة شعورية . واداة الابداع هي «البصيرة Intuition » القادرة وحدها على ايجاد الاشواق . وهي طبقة فوق العقل . وفيها نفسها وسائل تطورها نحو كمالها، هذا دون ان انسى ان مصادر هذه «البصيرة» الاولى، هي مجموعة غرائز تهذبت، وارعوت، حتى انطوى ضرامها واندحر ذميمها الى مسارب العقل الباطن ومجاهل النفس الخفية، وهنا – كما ترى – يلتقي « بيرجسون » العملاق، مع « فرويد » العظيم !!

اما الخيال ، فهو القدرة على التحليق، على الانفعال الصادق مع العالم الخارجي .

يبقى الاسلوب . . وهو القدرة على التعبير . . بل على الافضاء افضاء موحياً جميلاً ينقل الهزة الى السامع او القارىء . وهي قدرة تقوم على مقومين من موهبة وكسب، فلا تتأتى بغير طبع صاف وأصالة عميقة يسندها احساس لفظي بأسرار لغتنا العظيمة، تلك اللغة المعطاء التي تكاد تحس لا لفاظها – لدقة الدلالة والاداء – صوتاً ولوناً وشميماً .

هذه الدعامات الثلاث ، تشترك لاحداث التأثير والايحاء ، فتحرك في النفس نوازع الكمال، وتساعدها في التناغم والاتساق. اذ – كما يقول « افلاطون » – : « من كان ذا نفس متسقة، كيف يكون متعدياً ؟! ». وهذا المطلب هو غاية كل فن ، ينبثق من آيات الفنان انبثاقاً تلقائياً عضوياً بسيطاً ، كالسيل الذي من مقتضى طبيعته ان يجري ، لا قسر . . ولا ارهاق . . ولا اختيار .

فالشعر من ثم ، يجافي الايهام والابهام ، كما ينبو عن التزويق والطلاء لانه مظهر للجمال ، فيجب ان يكون صافياً كالجمال ، غير ان الصفاء هنا لا يعني « السوقية » بل لعل الغموض الدائم النبض الذي يبعث على التداعي وشتى الاحتمالات التابعة من المدى الفسيح . لعل ذلك ، بل ان ذلك يضفي على العمل الفني ظلالا غامرة الاشعاع ، وانغاماً باهرة الايقاع !! .

هذه مقدمة للتعريف بطريقتي ومذهبي في تناول الشعر وذوقه سقتها في معرض الحديث عن مجموعة الشعر الرمزي المنثور «النشيد التائه » التي اخرجتها للناس اخيراً يراعة الآنسة الفنانة «ثريا ملحس» في ثوب انيق شكلاً وموضوعاً .

جاءتني هذه المجموعة الفريدة من الومضات والنغمات واللفحات، كلحن مسعد متفلت من قيثارة ملهمة .

جاءتني .. بعد طول تشوف وشوق ، فتلقفتها ببشاشة المستلهم ، وقبضت عليها كبد الضراعة المستبشرة ، وأنست بها أنس الغريب المصحر ، بوارف الظل وناعم الصحبة .. ووفت هي — حقاً — بعهدها فأوحت كما ينبغي ومنحت من رفدها الكثير. وقلت لنفسي ، وانا اتحفى بها واحنو عليها : « ان اصدار آنسة . أية آنسة .. باكورة اعمالها ، في هذا البلد حدث يستحق التنويه ، فما بالك اذا كانت الآنسة هي «الثريا» وكانت الباكورة ، هذا النغم الجهير . هذه اللوحات المصنوعة بريشة مزهوة الانطلاق ، مجنحة الاداء ، لا تأبه لغير جوها ، ويحول تحليقها فوق السحاب — اكثر الاحيان — دون رؤية ما يعج به « كوكب الالم » هذا من دماء ودموع ؟ !

واني لاعترف ، بأن ما كنت اقرؤه « للثريا » في هذه المجلة الصاعدة ، تفاريق كحسو الطير ، كان مما حبب الي ذلك اللون الغائم الملفف بالضباب ، وحفزني الى طلب المزيد حتى استطبت مصاحبة كبار الرمزيين من امثال « فاليري » و« فرلين » و« رامبو » قبل انحرافه الى « السريالية » واستطعت ان أجري في مدى ضيق من شرودهم الهيمان ، فأقف معهم على شاطىء لازوردي وراء المحسوس لارى ببصيرتي ارتعاش الكيان الانساني في مهب المقادير!

و . . . بعد ! ترى هل استطاعت هذه الطليقة .. هذه الفتاة المرهفة التي «قلبها اوتار وأصداء ، وعيناها نبعتان» ترى هل استطاعت « الثريا » ان تمنحنا قيماً جديدة ؟ هل استطاعت ان تلهمنا ونحن نتوقل معها الذرى ونتبطن الاغوار بين احلام اليقظة ورؤى العقل الباطن ؟ وبأية مدرسة من مدارس الرمزية نستطيع ان نلحق هذا الجوى المتراوح بين الهمس .. والزعيق ؟ ! ثم . . ما لون تجربتها الذاتية ، وهل استطاعت ان تنسحب الى الخارج ، وهل هي تعتمد في ايحائها على النغم الشفاف والموسيقى الدافئة ، ام على سحر اللفظ المغرد المثير ؟ ! . وهل هي تهفو الى ابراز المضمر باللمحات الرصينة والايماآت المركزة ام هي تعرض التجربة خطفاً بارتجال ملهم ينقلك معه حيث يطير ؟ !

واعترف مرة اخرى ان الجواب البصير على هذه الاسئلة وشبيهاتها ليس هيناً ولا مبذولا ، فالرمز كما لا احتاج ان اقول ، يشمس على التنسيق والتحليل . . والتقييد ، لكنني استطيع ان اقرر بكلمة جامعة ان الآنسة شاعرة ذات لحن أصيل ، وذات طاقة واتجاه ، وان كتابها ، محاولة ناصعة تأخذ مكانها بين احسن ما عرفته العربية من شعر اللوامع والرموز !

الانطباعات الاولى التي خرجت بها من صحبة الكتاب ، هي ان آنستنا عميقة الذاتية ، وبذا لن نفتقد في قصائدها العنصر الشخصي ، حتى لتكاد تحس ارتعاشة الروح ، واشراقة النفس ، وشغف الحواس . وهي حين ترسل انفاسها على هينة واسماح ، تجيء صافية أثيرية الوشاح لها ترجيع ورنين ، مع تطلع وحنين . لكنها قد تنبو احياناً فتتردى السحاب وتمعن في الضباب ، وتلتف ما يهوله لها وهج حسها ، من غربة ورهق في طراز عائم من نزوع رومانتيكي متعال ، فتفجؤك انفعالات جامحة من رواسب العقل الخافي ، في عنف صارم مرير النغم مفرق في الشطح والتخييل ! غير أنها في جميع حالاتها مؤرقة بالقلق الروحي والقصور عن ادراك الكمال تتناول حقائق النفس الباقية فيفسح لها ذلك في مجال انطلاق تجاربها الذاتية الى العالم الخارجي ، وتعبيرها على الغالب هفهاف مؤنس يدل على جمال النفس وصفاء الروح ، وفي مقدوره ان ينقل القارىء الى جوه . . الى معاناة تجربته .

واذا كان لا بد من مزيد ايضاح ، فأنا انكر من الشاعرة الصديقة اغراقها في الذاتية ، فالفن غزاء وسلوى وخلاص لقائليه وسامعيه على السواء . وشعر الابراج العاجية ، شعر مترف مبتوت الصلة بآلام المجتمع ، وهي آلام اكبر وأقسى من ان لا ترى ولا تحس ! . وانكر منها ايغالها احياناً في متاهات التصوف السلبي ، الذي اورثها ذلك التشاؤم المعدول به كثيرا عن وجهته . فانا افهم ان الالم نبع الصفاء الانساني . الالم الرفيع اقصد . الالم الذي تهفو به النفس الى انسانية اعمق من انسانيتها وسعادة اسمى من سعادتها ذلك هو ألم الحنين الى المجهول لا ألم الملابسات الناجم عن قسوة الدار ، وظلم الاهل ، وفسولة البيئة ! جميل ان تشرق الصدمات الظالمة الماً ذاتياً ممحصاً ، لكن الاجمل ان تسامق تلك الصدمات ، عمق ارواحنا ، واشواق قلوبنا .

جميل ان يتمرد المرء على القيود ، لكن الاجمل ان يظل دائماً يهمس بالشجو الحزين ! الشجو المتفائل . وهو في صميم المأساة .

واذا كنت اعتز بألمي فلأني اراه السبيل الى الفرح العميق ، وليس يفوت الآنسة ، وهي من المنجذبات ، عن فهم وتأمل ، الى دنيا الموسيقى « السمفونية » لست احسبه يفوتها ان اعظم اعمال الموسيقيين الكبار شجن آسر منغوم يعبر عن النزاع بين القدر والبشر : ظلم ، فشكوى ، فقاساة . . ثم حنين ، فانتصار ، ففرح عميق !

وانا انكر التشاؤم المردي الخائر لاني ارى الحياة المثلى نضالا دائماً في سبيل ان يملك المخلوق شيئاً ليحقق وجوده باعطائه ، في دعة لا تطلب جزاء ، ويسر لا يعرف تعالياً .

ولو تدبرت الكتاب بهذا المقياس ، لحذفت غير آسف ، القصائد العاتية التي لها زمجرة وحشرجة وعزيف كـ« تمرد ، خريف ، يأس ، عاصفة » فهي تجارب مموهة ورؤى مشوهة وخواطر منحرفة يلوي بها الجفاف . ثم لاستردت من القصائد السمحة الهامسة كـ«النشيد التائه ،

وغنوة ، وراهبة ، وشرود، وصلاة » فهي حقاً لوحات مشحونة بالهزات الوجدانية ، زاهرة التاوين، وريفة الظل ، ساخنة البزوغ.

ولست احب ان أصدق ان الآنسة في مثل سنها وميعتها .. ورقتها تخشى النهار وتحب التدثر بالليل .. بالليل .. بالقبر، والعياذ بالله.

ولا احب ان اصدق ان الآنسة الغالية في مثل سنها وميعتها وشبابها تقول بل تزعم ان نفسها مليئة بالاصفرار ! وفيها وشاح الرماد !! وتقول بل تزعم :

« تمنيت الفناء . لم لا اضج . تمنيت الفناء . لم لا اتمرد ؟! »

كيف بالله توفق بين هذا الزعيق القانط في مثل هذه اللفحات، وبين ذلك الابتهال الحار الذي كأنما هو قبس من نفحات «طاغور» الندية المصفاة

ثم انا لو خيرت لحذفت غير آبه قصيدتي «الحادي الاكبر» و«العام الجديد» فالاولى بدأت بـ «أنا» غير مرة، وختمت «بجاو ومزمار» وبين ذلك لهاث لا تقيد شوارده. والثانية شطحات ليست بذات غناء.

ومن عجيب ما لاحظته ، تأثر الآنسة « بنشيد الانشاد » في « النشيد التائه » وغنوة « فالثنتان من معطيات الحواس وان كان في الاولى تكلف ومعاناة ، وكم كنت احب لو انتهت عند قرار « اخاف عليك من قبس يضني » فلا قيمة عندي لما تلاه. اذ ما جدوى الاستجداء النابت من خوف بعد تلك الضراعة الاليفة. غير ان ما فات الآنسة هنا لم يفتها في القصيدة الثانية التي انفلتت مع همسها الوديع من ربقة التقاليد فهتفت تدعو الاليف هتافها المنسجم الحنون .

وبقدر اعجابي بابتهال الآنسة الهامس ومناجاتها الرخيمة، لم استطع استساغة بعض تجاربها الاخرى لشرودها المرهق ونفسها المبهور واغراقها في التوهم . والدليل على ذلك لا يجهدني. اسمع الى قولها في « ايمان » :

« ناديتني . فسمعت نداك، يا ليت وقراً اصابني »
« يا من سمعته ولم يسمعني ، تحت ظل وارف ناجيتني هناك »
« في المحراب يا الذي اضلني . لم اجدك . فأين انت »

فهل يجمل بالشاعر تمني الظلام ؟ والفرار من المعرفة مهما توعرت المسالك؟ بل هل يحسن به ان يفر من المجاهيل بدل ان يكون معنياً بتقييد اوابدها ؟ هل يجوز له ان يخشى المدى ليوصم بالضيق؟ اي ايمان هو ذاك ؟؟ . وكيف لم يسمعها وهو الذي يناجيها تحت وارف الظلال .

ثم كيف يستساغ مثل ندائها :

« يا انسان عيني . يا اشواك نفسي ! »
« انا اشعر بالاكوان . تفيق فيّ الافجار »
او مثل قولها : « تحت افنان وارفه . والهواء صموت خاشعه »
« رايته بين ملائكة السماء . يرفل بالدمقس والطيب
فتغدو النجوم خلفه نواجا ! »

وهل نستطيع ان نتمحل لمثل هذه الصور تفسيراً صالحاً في ذوق او وعي او خيال ! ؟

ثم . انظر معي في ختام نشيد « النسيم التائه » حيث تقول :

« هناك ارى . . بكل حاسة . . . جلال وروعة وخشوع . . . »

هل يصح ، بعد النغم الصافي ، المنبثق من اعماق الروح . . المتجرد من رهق المادة . المنطلق الى ما وراء الابعاد، هل يصح . كيف يصح ، ان تقف آنستنا العزيزة « لترى بكل حاسة »؟ هل يكون للحواس عمل في مثل تلك الدنى المسحورة ؟ والاحجى ان تكون . . رؤيا . . لا رؤية !

وهناك . . بعد ذلك . . نشاز في موضع او موضعين . أمثل له بختام نشيد « بوح » :

« احبك في الغيوم ، بعيداً بعيدا عني ، لاني ارى شبهاً بيني وبينك »

ان من مقومات الرمزية ، الايحاء بالنغم ، بالموسيقى، والسجعة الحلوة اذا واتت عن طواعية ، واهملها الشاعر ، عد ناشزاً . . وما ضر الآنسة لو قالت . « بينك وبيني » ليتسق اللحن وتستقيم النغمة. ثم كلمة « شبهاً » اليست مقحمة مقلقلة ؟ هل يناسبها السياق ؟ هل يشكلها المعنى ؟ اليس الغناء التام وهو المفروض هنا ، يقت المشابهة والمقارنة والقياس ؟ كما قالت هي نفسها بعد قليل :

« انقذني الهي ، انا خيوط ملتوية على ذاتي »
« انفاسي جدل آلامي ، انا شوق لاقول : انت انا وانا انت »

اما قولها في « ظلم » :

« اتركوني . بلغت المجد . اتركوني . علوت المجد »

فهو ازدهاء مغرر ، اعيذها منه، وارجو لها ان تتسلح بالصبر الطويل . كما ارجو لها ، ان تفطن دون كبير عناء ، الى شوطها الواعد والى واجبات مهنتها الخطرة فتظل حريصة على استيعاب المدى ، واستذكار وحشة الطريق، وانا ضامن بأنها ستصل . فأن من تقول :

« رأيته دخاناً ، يلتوي على ذاته »
و« نداآت من ذاتي ، تنسج حولي ايحاءات »
و « اذاني في المحو . . . وفي الصحو »
و كتبت اسمك في السماء . اتى الشتاء رافلاً . فذوبتك الغيوم .
فغرت ثغري . علني احظى برشة من اسمك . ضحكت الارض مني، فانزويت»

ان من تستطيع ان تهمس بمثل هذا الجلال . . والجمال .

ومن نستطيع ان تبدع مثل نشيد « بيني وبين البحر » فتضع في تلك الكلمات القليلة ، السر الاعظم ، سر وحدة الوجود ، لا في مجال المادة الصماء بل في مجال الحنين والاشواق .

اجل . ان من يقدر على هذا الغناء ، يملك الكثير الغالي . . ويملك ان يعطيه ، وهو مدعو ليخرج من حدود نفسه ، لا لخلاص نفسه فحسب ، بل لخلاص الآخرين .



جولة الأديب في شهر

يونسكو

بقلم ملكولم بنغي

رئيس تحرير « فري براس » اليومية الصادرة في ديترويت مشغن

●

عثرنا في جريدة فري براس اليومية التي تصدر في هذه الحاضرة على مقال لرئيس تحريرها ملكولم بنغي المعدود من ابرز صحافيي الولايات المتحدة والمعروف باسلوبه الجزل الرائع وبميله للنقد المجوني البريء. ننقله الى العربية حرفياً سائلين القراء الا يحسبوا ما ورد فيه من الاشواك الا على سبيل المداعبة البسيطة التي لا تؤذي – قال :

في كل مرة اقرأ هذه الاحرف التي تتركب منها لفظة –يونسكو– احسب احد شركات البسكويت قد شرعت في حملة واسعة النطاق لاعلان نوع جديد من منتوجاتها الفاخرة.

«نهضة العرب- اكثر قرائنا يعلمون ان نوعاً مشهوراً من البسكويت معروف بلفظة نابسكو ».

او انهم صنعوا نوعاً جديداً من قطع الشكولات ستكون نجاة العالم بواسطته ، او انهم يذيعون لدواء جديد يشفي السعال . وقد تكون احدى شركات الزيت قد وضعت هذه اللفظة لتبشر العالم باكتشاف خطير يفيد في تزييت الآلات المختلفة ، بل تكون هذه اللفظة اسما لنوع جديد من الصابون ؟

ففي مثل هذه الحال يمكنني ان اتصور جماعة من اساطين الاعلان والتذييع يعنون بتفاصيل هذا الاعلان الى ساعة متأخرة من الليل.

يونسكو – حقاً هذه هي الكلمة . لقد عرفناها الآن . يونسكو . ولكن كيف نلفظها . علينا ان نعرف لونها الصحيح ولعل الموسيقي الشهير ليوبولد ستوكوسكي يضع لها علامات موسيقية. وقد تكون اسماً ملائماً لنوع من العلك او لمشدات نسائية.

ولكنك لاتجهل في كل حال ان هذه اللفظة الرائعة –يونسكو– لا يمكن ان تطلق على احدى المنتجات الهامة التي اشرنا اليها . لا . فانها فقط تمثل الاحرف الاولى من اسم الهيئة المعروفة باسم المنظمة الدولية للثقافة والعلم والتربية –

تتألف هذه الهيئة او الجمعية من سيدات وسادة يمثلون سائر شعوب العالم وهم يتعشقون الاقامة في النزل الفخمة وعقد المؤتمرات لاجل معرفة الشؤون التي يحاولون معرفتها .

لقد انقضى عليهم عدة سنوات وهم يجتمعون. وكلما اجتمعوا تعرض لهم مهمتهم الكبرى وهي معرفة الاسباب التي اجتمعوا لاجلها .

وكلما اضافوا جلسة الى اجتماعاتهم اصابهم دوران متعاظم . فيتعاظم عزمهم على الاكثار من الاجتماعات .

انها كعادة تناول الافيون . عليك ان تأخذ منه اكثر فاكثر لكي تصير معارفك اقل فاقل .

كان اجتماعهم قبل الاخير في بيروت . فاذا كنت اميركياً ، ودافع ضرائب غبيا ، عليك ان تقدم المال لدفع نفقات هذه الاجتماعات، احسبك لا تعرف اين تقع بيروت . اما انا فقد بحثت عنها، فوجدت انها مرفأ وعاصمة لبنان وهم يلفظون اسمها على وجهين بروت، وبايروت . على انك كيف لفظتها تظل رائحتها كما هي .

اما كيف اصطفى رجال ونساء اليونسكو شواطيء المتوسط الشرقية لاجتماعهم قبل الاخير حيث يتناحر العرب واليهود او يهزون ايدي بعضهم بعضاً فلا ادري .

غير انه من المؤكد ان البعض منهم لم يتسن لهم من قبل زيارة الربوع اللبنانية فغنموا هذه السانحة لمشاهدتها خصوصاً وهم يعرفون ان دافعي الضرائب الاميركيين سيسدون النفقات في كل حال .

ولكن لنكن منصفين . اجل لن يدفع الاميركيون كل النفقات. فالاونسكو منظمة دولية ويجب على الجميع المساهمة فيها . فالحقيقة اذن هي ان الاميركيين يدفعون ٩٧،٨ بالمائة. والباقي لا يدفعه احد.

ثم يا لها من متعة ، سياحة صاعدة الى ضهر القضيب على علو عشرة آلاف قدم ، وتذوق الزيتون والتين اللذيذ الذي ينمو فوق اشجار رائعة المنظر .

ولا ينسون السيدة آن ماكورمك التي تطل من قبل جريدة نيويورك تيمس على عالم كله قساوة وخشونة وتكتب تلك المقالات اللطيفة العذبة واصفة فيها تلك الحال الهنيئة الجميلة التي سيصبح فيها العالم يوم يعود الناس الى تعقلهم . وغير ذلك، ومتسائلة لماذا نحن مجتمعون الآن اهدافنا يحدق بها الابهام والغموض يوماً بعد يوم . فتدعونا دائماً الى درس هذا الامر ومساعدة وتوجيه الآخر . ولكن ما هو هذا الامر الآخر ».

لست اعلم كل التفاصيل عما جرى في اجتماع الاونسكو ولكن استناداً على معرفتي باعضائه السعداء اجرؤ على تقدير ما يلي :

لقد وضعوا قراراً يقضي بدرس الاشياء التي يتولون درسها . حقاً ان قرارات من هذا النوع شأنها ان توحد الشعوب وتجعلنا كلنا اخوة وابناء لاب واحد هو الله .

غير انه لا بد لي من الاعتراف بانهم انجزوا امراً واحداً بشكل حاسم فانهم بعد عراك شديد تناول الاعضاء في اثنائه كميات كبيرة من الاملاح المنبهة فصلوا الرئيس جوليان هكسلي عن الرئاسة وعن مرتبها البالغ الخمسة عشر الف دولار. ولكنه لم يستسلم الا بعد ان سجل قراره بصدد مشروع يريد تنفيذه في — فيازالند — وانا اراهن بانك لا تعرف اين تقع هذه البلاد ايضاً — وهذا المشروع يقضي بنشر العلوم بين الاهلين وبتلقينهم اصول الزراعة والطرائق الصحية وكيفية الغناء الجمهوري. وعلاوة عليه فقد وضع قراراً آخر حاداً للتحقيق في اسباب توتر العلاقات الدولية والتفاهم بين الشعوب .

ان جوليان هكسلي يعد في طليعة خطباء الدرجة الثانية الذين تتسابق الى دعوتهم الاندية النسائية . واذا انت شككت في مقدرته العلمية احالك على المرحوم جده .

وقد نصبوا خلفاً له شهماً مكسيكياً معدوداً من امهر لاعبي — البردج — في بلاده .

على كل حال . لا تجزع يا قارئي فكل ما تقدم سيخسم من ضريبة دخلك . هذا بعد ان تدفعها .

انها والحق يقال افضل قطعة بسكويت في السوق . او هي قطعة صابون . . ؟

«جريدة خضة العرب الاميركية»

قلمي الذي حطمته

للدكتور نقولا فياض

من قصيدته الرائعة في تأبين المرحوم عمر الداعوق

●

ناجيت فيك قريحتي ... فشكت واعياني السهر
ما حيلة القلب الكسير ... وقبله القلم انكسر
قلمي الذي حطمته ... من بعد ما ذقت الامر
ورأيت اقدار الرجال ... تضيع في عهد اغر
ما قيمة الوطن المدل ... وفيه تنتحر الفكر
لولا هوى لبنان ، يطر ... بني وان شذ الوتر
لبلغت في الشكوى المدى ... حتى يقال فتى كفر
ماذا هناك ، فلا ارى ... الا ضمائر من مدر
والناس في سوق النفاق ... على وفاق في الضرر
بغض واطماع وتفرقة ... واشياء اخر
غيض الوفاء فلا غراس ... في الرياض ولا ثمر
وقست قلوب الناس ح ... تى الجندل القاسي انفطر
كم من غني ماله ... كالغيم محبوس المطر
فكأنه بين القصور ... موسد طي الحفر

***

عفواً بني امي ففي ... كأسي الشراب حلاومر
انا في الحياة اخو طريق ... عابر فيمن عبر
لم يبق لي من صحبة ... الايام الا ما ندر
لا شيء يربطني بها ... شتان صفو او كدر
حر من الرغبات والر ... هبات ، من خير وشر
لكنني ما زلت أطرب ... للحميد من السير
واري الحقيقة ان تقال ... ولو بها النفس استعر

«جريدة بيروت»

طه حسين بك

●

طه

يشكو الناس الدكتور طه حسين همومهم وشجونهم كلما حزبهم خطب او دهمهم حادث ، فكتب منذ ايام يعرب لقارئيه عما يصل اليه في الاصباح والاماسي من كتب الشاكين وآلام المحزونين الذين شغلوه عن طعامه وشرابه، واستباحوا راحته وسكونه ولم اكن اعجب لما كتب الدكتور ، فقد كنت اعاين انسانيته الكبرى حين نزلت مصر وانست بلقائه . بلوته انسانياً كبيراً ، ولست انسى ما حييت دخول جمع من القوم عليه بين شيخ وكهل وبيد واحد منهم رقعة فيها قصة مشكلة يشكوها صاحبها للدكتور فطلب عميد الادب ان يقرأ عليه مساعده ما كتب في الرقعة وتسمعت اليها فاذا هي كلام لو سكب عليه الشعور لسان ادمعاً ، ولو بعثت فيه الانفاس، لكان زفيراً يحرق القرطاس وانتهى القارىء وصمت الجمع ليسمعوا الحكم من فم الحكيم . فقال الدكتور : — مظلوم ، انه مظلوم .

فابتهل الجمع بالدعاء الى الله لطه حسين .

وكنت اعلم وانا في مصر انه لو ملك الدكتور خزائن الارض لوزعها على الناس بالتساوي . كان يشعر بآلام المجتمع فصرخ اول

الصارخين يطلب العدالة الاجتماعية. وهب في وجهه ناس ممن نامو بأعين ملؤها الهناءات على اكيـاس الذهب فأرادوا يسفهوا رأيه وينقضوا قوله فارتدوا عنه كما ارتد وعل نطح الصخرة .

لقد عرف الناس من طه حسين أدبه العظيم ، ومنطقه السليم ، وحسن محاضرته وحذق دروسه ، وروعة كتبه ، وصدق مواقفه في وجه الظلم . ثم عرفوا بعد كل شيء بلاءه ووفاءه. وقد عرفت فيمن عرف انسانيته فهو انساني في جبلته وخلقه، وفي فعله وقوله.

ولم يستطع طه حسين ان يعرب عن هذه الانسانية بالنثر ، فما اعرف له فصلاً ولا كتابا ، صور فيه حاله. ووصف نفسه هـذه الكبيرة . ولو ان حظه في الادب جرى شعراً لقرأنا له القصيدة تلو القصيد في شجون هذه الانسانية وشؤونها .

وقد جاء عهد على وزارة المعارف المصرية فكان وزيرها احمد نجيب الهلالي باشا فادخل على التعليم من البناء والمعاونة ومن الغياث والمرحمة ما ينعم فيه الوف التلاميذ حتى اليوم من نجبوحة الفضل الذي منحهم اياه الهلالي باشا . حتى كان الامس وعهد لطه حسين بوزارة المعارف.

فقلت لقد قيض الله لمصر طه حسين ليتم بناء الهلالي العظيم بما اوتيه من السجاحة في الخلق والمرحمة للامة وبتلك الانسانية السمحاء التي تكمن فيه . غداً تتفيأ مصر بكبيرها وصغيرها ما يكون من عون طه حسين واخلاصه لامته التي محضها حبه .

ولقد كان يقول بينه وبين نفسه :

لو امكنني الدهر مما اشاء لخدمت مصر في سنة بما يكون في عصر . ولقد امكنه الدهر بالامس مما كان يشاء . ليضيف الى سجل فضله في الادب سجلا جديداً من انسانيته الكبيرة .

« جريدة البلد بدمشق » **زكي المحاسني**

كنوز في اعماق البحار

●

الله

في اعماق البحار كنوزاً ثمينة من الذهب والفضة غير التي وجدت مع البحر عندما وجد. هي ما غاص في القيعان مع السفن الكثيرة في مختلف العصور .

والذين يعرفون حكايات هذه الكنوز كثيرون ولكن المتهم بالكشف عنها والوصول اليها رجل واحـد هو الرياضي الالماني هانس اودو فون شولز المقيم الآن في هوتال سان جورج في بروكلن . وهو يمشي في اروقة الهوتال يتحدث مع نفسه ومع اي شخص يصغي الى حديثه عن هذه الكنوز .

وهو ليس رجلاً مهووساً ولا من ذوي الاحلام المزيفة بل رجل مفكر يقول انه استنبط آلة يعتقد انها الوسيلة الوحيدة لاستخراج تلك الكنوز من قيعان البحار فان فيها اداة مجوفة كالجرس يمكن طرحها الى اي مسافة في البحر وفي هذه الاداة عين كهربائية ترى الى مسافة ٣٠٠ قدم في اية جهة وتنجذب الى اي معدن مصنوعة منه السفن او ضمن السفن وتمد منها آلة كالمجرفة وتلتقط كومة من ستة اقدام وترفعها الى سطح البحر .

وفي الجرس محرك يولد القوة وآلة مصورة تحدث صوتاً يدفع الموج الى الهدف الذي يجب لقطه .

ويقول هذا الرياضي الالماني انه كان يعمل في اخراج اختراعه في مدينة هامبورغ ثم في المدينة المجاورة لها كوكسها فن وكاد يتمه فانتهت الحرب فتوقف : او اوقفه الانكليز وهو يرى ان القيام باكتشاف الكنوز المدفونة في البحار يحتاج الى امرين — الاول رخصة من حكومة الولايات المتحدة . والثاني مليون دولار . ثم الى سنتين يقضيها في الاستعداد.

اما الكنوز التي يحلم باستخراجها فهي كما يلي :

١ — مليون جنيه انكليزي و ١٠ ملايين ليرة هولندية ذهبية وفضية غرقت مع الدارعة الانكليزية لوتين في ساحل هولندا حوالي سنة ١٨٠٠

٢ — مليون بستوس ذهب غرقت مع دارعة اللواء في الاسطول الاسباني عند شاطىء سكولاندا في سنة ١٥٨٨ .

٣ — ما يوازي ١٤٠ مليون دولار من الذهب والفضة غرقت مع الدارعة « اوريان » الفرنسوية في مياه ابوقير المصرية .

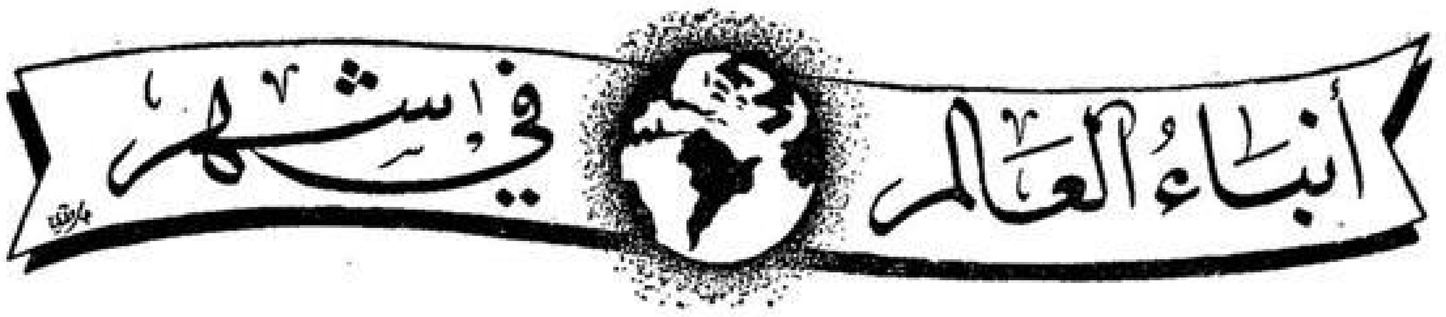
٤ — ذهب لا تعرف قيمته غرق مع اسطول الملك الفارسي هاميلكار بين « جزر التيس » قبالة الساحل اليوناني حوالي السنة التي جرت فيها معركة المارازون وهي ٤٩٠ قبـل المسيح وكان هذا الاسطول يسمى « الاسطول الذهبي » .

٥ — خمسة ملايين جنيه انكليزي يقول هذا الرياضي انها كانت في الباخرة تيتانك التي غرقت قبالة ساحل نيوفوندلاند .

٦ — مليون دولار ذهب كانت في الباخرة لوزيتانيا التي اغرقتها غواصة المانية في الحرب الاولى قبالة ارلندا .

ويقول — غير هازل ولا مازح — ان في امكانه اخراج هذه الكنوز وردها الى الدنيا اذا اعطي مليون دولار وليس المليون مبلغاً كبيراً بالنسبة الى تلك الكنوز. ولكن الناس الذين يشترون سمكاً في البحر قليلون مع ان السمك موجود وصيده سهل واقل منهم الذين يشترون ذهباً مدفوناً في قاع البحر .

جريدة « السمير » النيويوركية



٢٣ ديسمبر ١٩٤٩ – توقفت المفاوضات التجارية والمالية البريطانية المجرية .

٢٤ – الف الدكتور ناظم القدسي الوزارة السورية .

٢٥ - قدم الدكتور القدسي استقالة وزارته .

٢٦ – قدم الرئيس هاشم الاتاسي استقالته الى المجلس التأسيسي السوري فرفضها .

٢٧ – احتفل رسمياً بنقل السيادة الى اندونيسيا .

٢٨ – الف خالد العظم الوزارة السورية .

– اعلن رئيس الحكومة اليوغسلافية ان البنك الدولي وافق على منح يوغسلافيا قرضاً جديدا بقيمة ٢٥ مليون دولار .

٢٩ – غادر مالطة المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية في رحلته لحضور مؤتمر الوزراء لرابطة الشعوب البريطانية .

٣٠ – اصدرت الادارة الاميركية بياناً مشتركاً وقعه كل من الرئيس ترومان وشاه ايران تؤكد فيه الولايات المتحدة عزمها على مساعدة ايران عسكرياً لضمان سلامتها .

– اعلنت الهند اعترافها بالنظام الصيني الشيوعي

٣١ – ذكرت الاوساط العسكرية الفرنسية ان المحادثات الجارية الآن في واشنطن لعقد اتفاق ثنائي في نطاق حلف الاطلنتيك تسير سيرا حثيثاً نحو النجاح .

اول يناير ١٩٥٠ – سلمت روسيا مذكرة احتجاج الى فنلندا تشير الى موقف فنلندا من الاتحاد السوفياتي وتتهمها بخرق معاهدة الصداقة .

٢ يناير – تفيد انباء فينا ان المجر قد عززت حرسها على الحدود اليوغسلافية .

٣ – اقرت اللجنة الشيوعية المركزية في يوغسلافيا ان تصبح اللغة الروسية لغة ثانوية بعد ان كانت تعتبر لغة رسمية .

٤ – ارسلت لندن الى واشنطن بمقترحاتها الخاصة حول ايجاد شركة تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا لانتاج السلاح الذري .

– فاز حزب الوفد المصري باكثرية المقاعد في الانتخابات التي جرت امس بمصر .

٥ – استقالت الوزارة اليونانية التي يرأسها السيد ديوميدس .

٦ – اعترفت بريطانيا بحكومة الصين الشيوعية

– الف السيد ثويكرتس الوزارة اليونانية .

٧ – وافق مجلس معاهدة شمال الاطلنتيك المنعقد في واشنطن على توصيات لجنته الدفاعية الخاصة بخطط الدفاع عن شمال الاطلنتيك .

٨ – اعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان حكومة الصين الشيوعية لم تعلن حتى الآن قبولها مذكرة الاعتراف البريطاني بها .

٩ – علم ان القنصلية البريطانية في تانسوي بالصين رجمت بالحجارة للمرة الثانية في يومين .

– ضربت سفن الحرب الصينية عند مصب اليانغ تسيه سفينة اميركية ونسافة بريطانية جاءت لمساعدتها .

– اجتمع وزراء خارجية الكومونولث البريطاني في قاعة مجلس الشيوخ السيلاني وتكلم السيد نوبل بايكر فقال ان المؤتمر يجابه قضيتين هما تلافي نشوب حرب عالمية ثالثة ورفع مستوى المعيشة في جنوب شرق آسيا .

١٠ – اعلن مليون وخمسماية الف عامل الاضراب في المراكز الشمالية في شمال ايطاليا .

١١ – طلب الشيوخ الجمهوريون ان يدعى رؤساء القوات العسكرية الى الكونغرس للادلاء برأيهم في وقف تيار النفوذ الشيوعي بالشرق الاقصى .

١٢ – استقال حسين سري باشا رئيس الوزارة المصرية .

– الف مصطفى النحاس باشا الوزارة المصرية من اعضاء حزبه واسند وزارة المعارف الى الدكتور طه حسين بك .

– قدم السيد ديغاسبيري رئيس الوزارة الايطالية استقالته .

١٣ – اعاد الاتحاد السوفياتي عقوبة الاعدام للخونة ضد بلادهم والذين يقومون باعمال تخريب ضد التطور الوطني .

– صرح المستر تشرشل قائلاً : انني عامل على استعادة الامبراطورية البريطانية اذا ما اولاني الشعب الثقة في انتخابات ٢٣ فبراير .

١٤ – اذاعت نظارة الخارجية الاميركية ان الشيوعيين احتلوا القنصلية الاميركية في بكين وبانها استدعت كل الموظفين الاميركيين في الصين الشيوعية .

– رفض مجلس الامن الاقتراح السوفياتي القاضي بطرد البعثة الصينية الوطنية وعلى الاثر صرح المندوب السوفياتي ان بلاده لن تعترف بشرعية القرارات التي يتخذها المجلس .

١٦ – افتتح مجلس النواب المصري والقى النحاس باشا خطاب العرش وقد جاء فيه أن الحكومة ستعمل للجلاء العاجل وتحقيق وحدة وادي النيل وتجديد العناية بشؤون الجامعة العربية ورفع الظلم عن فلسطين وتقوية الجيش .

١٧ – كذبت الخارجية الاميركية وجود اتفاق سري بين فرنسا وبريطانيا واميركا لفصل السار عن المانيا ومنحها نصف استقلال .

١٨ – اسفرت الانتخابات في فنلندا عن فوز المحافظين والاحرار يليهم الشيوعيون .

– رفضت الحكومة الرومانية المثول امام محكمة العدل الدولية للنظر في الدعوى التي اقامتها عليها الحكومة الاميركية بانها خرقت حقوق الانسان الاساسية .

١٩ – اصدرت الحكومة الاميركية بياناً جاء فيه انه نظرا لموقف الحكومة السوفياتية من معاهدة الصلح النمسوية يجري الآن النظر في الخطوة المناسبة التي يجب اتخاذها لاستعادة النمسا حريتها واستقلالها .

٢٠ – صرح ناظر الخارجية الاميركية بان اسبانيا تشكل جزءا من اوروبا الغربية ولا يجب ان تظل مفصولة عنها وبان اميركا اصبحت على استعداد لان تقترح وتوافق الامم المتحدة على انهاء مقاطعة سفراء الامم المتحدة للعاصمة الاسبانية

٢١ – دعت الحكومة المصرية جميع ممثليها الدبلوماسيين في الاقطار العربية الى الاجتماع للتشاور .

– منع حرس الحدود الروسي في برلين سيارات الشحن الكبيرة من مغادرة برلين او الدخول اليها .

٢٢ – استقبلت كبار الشخصيات السوفيتية الدكتور رشوان لاي وزير الخارجية الصينية الشيوعية عند وصوله الى محطة موسكو .

٢٣ – انتخب الدكتور راجندار براساد فيرات زعيم حزب الكونغرس الرئيس الاول للجمهورية الهندية .

٢٤ – بدأت المحادثات في القاهرة بين وزير الخارجية المصرية الدكتور محمد صلاح الدين وبين مزاحم الباجه جي نائب رئيس الوزارة العراقية ونجيب الراوي وزير المعارف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاخـــلاص

☆☆☆

مبين اختار الله النبي العربي العظيم محمد بن عبد الله الى جواره اضطرب نظام المسلمين في المدينة المنورة وتولاهم الخوف والذهول واخذ الشك في الرسالة الاسلامية المباركة يدب في نفوس ضعاف الايمان منهم فقام ابو بكر في الناس خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« ايها الناس . انه من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ! ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ! » ومضى فاستشهد بالآية الكريمة « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وسيجزي الله الشاكرين »

وهذه الآية الكريمة نزلت على اثر معركة « احد » التي انتصر فيها اهل الباطل تحت قيادة ابي سفيان على اهل الحق تحت قيادة النبي الخالد محمد وقامت عند نهايتها الصيحة « ان محمداً قد قتل » فارتد عن الاسلام بعض ضعاف الايمان او الذين اساءوا فهم رسالته المباركة وآمنوا بمحمد لا بربه فجاءت الآية الكريمة تقرع هؤلاء .

وهذا يعني ، في معتقدنا ، ان الانبياء والزعماء يموتون او يقتلون ولكن رسالتهم لا تموت بموتهم او بقتلهم اذا كانت رسالة عدل وحق ونور بل تبقى حية حياة الله الذي لا يموت .

ونحن لو جئنا نلقي نظرة اجمالية على عرب هذا الزمان لرأينا انفسنا كما كان المسلمون بعد معركة « احد » المشؤومة . بل نحن اسوأ منهم حالا . في « احد » خسر المسلمون معركة مهمة وجانباً من سطوتهم ووحدتهم ولكنهم لم يخسروا زعيمهم العظيم . هـذا الربان الحكيم الذي عرف كيف يستفيد من النصر كما عرف كيف يستفيد من الخذلان والذي لم يخامره شك في عدل ربه وفي رسالته ، فما لبث ان قاد المسلمين من خذلان موقت الى نصر مبين ملأ العالم كله مجداً ونوراً وعرفانا .

اما نحن عرب هذا الزمان فمن انكد شعوب الارض حظاً في زعامتنا من كل لون وقد لا نتجاوز حد الصواب اذا قلنا ان زعامتنا هذه هي شر كل اعدائنا .

فجميل بنا ما دامت زعامتنا الحاضرة قد افلست افلاساً مخزياً وقادتنا الى الذل والهوان ، وما دامت جيوش الخوف واليأس تدب في نفوس ضعاف الايمان منا وتنفرها من العروبة الام ، جميل بنا ان نرجع القهقرى عبر السنين الخوالي لنستمد من خطبه ابي بكر الصديق الخالدة قوة نبثها في نفوس عرب هذا الزمان الضعفاء الذين بنوا عقيدتهم العربية على الظواهر لا المبادىء وان نقول لهم :

« ايها الناس . من كان يؤمن بالعروبة لانها ذات جيوش جرارة واساطيل ضخام وزعماء عظام فالعروبة ، مع الاسف ، ليست كذلك وخير له ولنا جميعاً الا يؤمن بها . ومن كان يؤمن بها لانها جامعة قومية روحية حرة تتجسم فيها انبل اماني العرب واشرفها واقدسها ثم ارتد عن ايمانه هذا لاعتقاد انها قد ماتت من جراء نكبة فلسطين فقد اثم اثماً عظيما وسيكون من الخاسرين . اننا نؤكد لكم جميعاً ان العروبة ما تزال حية ولن تزول الا بزوال الجنس العربي كله من الوجود . ومن ينقلب على عقبيه الآن ويهجرها لانها في محنة فلن يضرها شيئاً بل يضر نفسه ، وسيكون من الهالكين ! » .

ان العروبة ، ايها الاخوان ، رسالة كسائر الرسالات الروحية والقومية تمر بها ايام ضاحكة وايام عابسة . ايام عز وايام هوان . وليس في ايام هوانها ما يصمها بوصمة عار لا يمحوه نصرها النهائي . فليس غريباً ، اذن ، ان نرى العروبة اليوم في محنة . وليس في عارها الحاضر ما لا يمحوه نصرها الآتي ، هذا اذا جاهدنا في سبيله جهاداً شديداً متواصلاً تحت راية الحق والحكمة والعلم والوطنية القائمة على اسس التضحية والصبر على المكاره والتفاني في سبيل مصلحة الامة . انما العار كل العار على الذي يتبرأ من عروبته ويتخلى عن قضاياها المقدسة . انما العار كل العار على اولئك الذين لا يعطون المروءة حقها والذين ينصرون اعداء العروبة عليها بتهاونهم وبفتور عزيمتهم وبخور ايمانهم بها وبحيوية امتنا العربية !

ثم ان العروبة ليست لفظاً لا معنى له . انها : انا وانت يا اخي القارىء وملايين من امثالنا والطاعنون عليها من اخواننا انفسهم !

فمن يشمت بالعروبة الآن لما حل بها في فلسطين يشمت بنفسه ، ومن يمزق عرضها بقلمه او لسانه يمزق عرضه هو بيديه ولسانه ! وما مثل الذين يخذلون العروبة فى هذه الايام العصيبة ويتبرأون منها لتفسخ شعوبها وتفرق كلمة زعمائها الا كمثل الجبان الذليل الذي يستحي باصله واهله اذا كانوا من الفقراء والضعفاء. ولكنه يملأ الارض تبجحاً وزهواً وتيهاً اذا كانوا من الاغنياء والاقوياء. . .

من هم ابناء العروبة ؟

رب

سائل يسأل : « من هم ابناء العروبة المخلصون ؟ »

وجوابنا : انهم اولئك العرب الاحياء الشرفاء الذين يشعرون بواجبهم نحو العروبة الام ويكرسون حياتهم لها : لرفع الظلامات عنها والهوان ولازالة البلاء العظيم النازل بشعوبها .

انهم جنود القومية العربية من ادباء وطلاب وفلاحين وعمال الذين يضعون العروبة فوق الجميع ويجعلون ولاءهم لها اولا واخيراً لا لطائفتهم ولا لاقليمهم ولا للاسر الحاكمة. .

انهم اولئك الذين يؤمنون بأن لا حياة لهم الا في حياة العروبة وبانتصارها على عداتها في الداخل والخارج وينظرون الى كل هناءة شخصية الا في ظلها كأنها سم زعاف. ويعملون باخلاص كأن لا سعادة لهم الا في اسعاد شعوب العروبة وتحريرها من مستعبديها، اجانب او وطنيين!

انهم اولئك الذين اذا كانوا من اهل العلم ، حسبوا علمهم سلماً لمجد العروبة ولا علماً للعلم في حد ذاته او سبباً للاثراء.

واذا كانوا من اهل المال ، حسبوا مالهم وسيلة لحفظ كرامة العروبة ولرفع مستوى شعوبها ولاستغلال خيراتها لا وسيلة لتأمين هنائهم الخاص وبناء القصور على جماجم الفقراء والابرياء .

واذا كانوا ادباء ، حسبوا ادبهم واسطة لتحقيق اماني العروبة في المجد والسؤدد والعظمة لا ادباً « صومعياً » او دكاناً للارتزاق ولجلب الدنيا ارواء لانانيتهم .

واذا كانوا من اهل الزنود ، حسبوا زنودهم حجارة لتشييد معاقل مجد امتهم وتأمين مصالحها والدفاع عن حرياتها .

انهم اولئك العرب الكرام المعدن الذين يؤمنون برسالة العروبة لانها في معتقدهم رسالة الحرية والاخاء والعدل والذين كلما توالت عليها النوائب والمحن ازدادوا لها اخلاصاً وبرسالتها تمسكاً وايماناً . ايماناً وطيداً بان الله ناصرها على عداتها ان لم يكن عاجلاً فآجلاً لانه الله الحق والعدل والنور ! اولئك ، اولئك بعض ابناء العروبة المخلصين !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاخلاص للعروبة

رب

سائل يسأل : « ما هو محك الاخلاص للعروبة ؟ »

وجوابنا : انه ايمان قوي لا يتزعزع بالعروبة وبرسالتها الحرة التقدمية. وبانها وحدها تقودنا من كراديس الظلمات التي نتخبط فيها الى النور. وبان على نورها نستطيع ان نحقق مبادىء العدالة الاجتماعية التي تنصف الفلاح والعامل والاديب والصناعي والتاجر.

وهو ان نخاطب حكامنا مخاطبة الرجال للرجال. وان نصف فعالهم كما هي فلا تلتبس على الناس قيمهم. فنقول بصراحة وجرأة عن الحاكم المخلص الوطني التقدمي « انه حاكم مخلص وطني تقدمي » ونقول عن السائس الاقطاعي الخائن انه « سائس اقطاعي خائن » ونقول عن الحاكم المستبد المغرور انه « حاكم مستبد مغرور » سواء عندنا أتحدر من اسرة نبيلة او اسرة اقطاعية او اسرة مالكة او كان من الذين يضعون على رؤوسهم او يلفون حولها رموزاً شريفة .

وهو ان نضع اصابعنا على مصدر الداء في كيان امتنا وان نقول بكلمات صريحة وجريئة : هنا ، هنا مصدر الداء والبلاء ثم نسعى بجزم وعزم الى استئصال شأفته بلا رحمة ولا خوف.

وداء العروبة هو الثالوث غير المقدس المؤلف من الطائفية والاقطاعية والاقليمية المؤيد بمحالفة شريرة من الاقطاعيين والمتمولين.

وهو ان يشعر كل منا ان عليه شخصياً واجباً مقدساً نحو امتنا ونحو الاجيال التي لم تولد بعد فيجاهد ويجاهد ليستر عري العروبة ويمحو عارها ويكلل جبينها باكاليل النصر والمجد.

هذا ، هذا هو الاخلاص للعروبة. وهذا ما تطلبه العروبة من ابنائها المخلصين !

نيويورك

رامي الظاهر

الا تعالي حدثيني ، ما الشوق وما الامل ،
ما الحاجة وما الحنين ؟
اخبريني ما الحب وما البغضاء
وما البكاء حين لا تجري الدموع ؟
ما الجهد في سبيل العلم ، وعناق ما خلّف الدهر من اشلاء وجيف ؟
ألا بربك حدثيني ما اللذه التي تدوم ،
وما الالم الذي يروي ويشبع ،
والشهوة التي تسري وئيداً في الجسد
والصلاة من اجل كسرة الخبز نطلبها كفافاً كل يوم ؟

***

كل لحظة من حياتي ساحة عراك بين شهوات مبهمة ولوعات قاتمة ، وبين كل فكرة واخرى يكمن دوماً انكار ، واعراض ، وابتسامة الساخر من نفسه .

لقد أحببت حتى بكيت ؛ وتألمت في جسمي للشهوة التي في روحي. لقد رأيت رؤى يزخر بعضها بنساء جميلات يرقصن مع الرياح ، ويزخر بعضها بنساء يلبسن السواد ، ويزعقن جوعاً بافواه جافة مصفرة ، وينعين موتاهن. وانسل الرجال من حولي ، وعيونهم صفراء بليلة ، ينظرون الى اقدامهم كأنما الخوف قد ملأ الارض وبقيت مستيقظاً اتقلب على فراشي ، ورايت وجهي بين الوسائد الناعمة وانا اقول : « اريد ان اغفى ، اريد ان اغفى ».

تتوهج طحالب البحر الخضراء في رؤياي ، وتمر بي النساء الجميلات ثم يعدن في اسمال بالية ويبكين ، ثم يتحولن الى طحالب على الرمال الاسفنجية لجوعي وعطشي .

لقد احببت وشبقت وبكيت حتى ذهلت ، فرحت افكر في حكايات عجيبة كتبت على اوراق الورود الناعسة ، وانتصبت الورود وقالت شعراً ورقصت . والورود التي شاهدتها مرة على

---

* كتبت « سجل الحب والموت » باللغة الانكليزية في اواخر سنة ١٩٤٣ ، عندما كنت في لندن والحرب على اشدها . وقد نقلته مؤخرا الى العربية وحاولت ان ابقي على الروح الاصيلة فيه ، لانني شعرت الآن – بعد مضي ست سنوات طوال – انني بكتابتي هذا « السجل » ودعت المراهقة بما فيها من ملاذ وألم ، لكي اقبل على كتابة من نوع آخر ، تتسم بنضج الشباب ، وتتساوى فيها قيم الالم واللذة : وتشف عن خيبة آمال الصبي ، ولكنها خيبة يرافقها حب متزايد للحياة باجمعها ، وعشق لعنفها وتقلبها .

مسافة من بيتنا وتمنيت لو اقطفها اتت تسعى الي الآن تمرح ضاحكة ، وأذابت حياتها على شفتي . تلك حكايات الجنيات فالجنيات يخرجن من قبور الفقراء حيث تموت النساء من الحمل المتواصل دون ان يعرفن وهج الجمال ، وتطلع الجنيات من الورود المشتهاة التي تتدلى على الجدران العالية حيث لا تدركها الايدي.

لقد استنفدت الجنيات والورود قصصها وقضت حياتها راقصة على شفتي . واما انا فرجعت الى الحب مرة اخرى .

***

عندما لمستني المرأة نظرت اليها ولم اعرفها . لمستني وتكلمت برقة ، غير انني اسقطت رأسي واستغرقت في النوم . ولكن لما رأيتها في حلمي عرفتها وتبعتها ، فاقتادتني بين اطواء الظلام وهي تخاطبني برقة وتلمس شفتي .

ورأيت الظلام يخيم حولنا كشجرة كبيرة التوت على نفسها وتهدلت فروعها واخفت جذعها . ولما لمست شفتي مرة اخرى جعلت الشجرة ترفع اغصانها بلطف وئيد ، والقى النور من خلالها علينا شبكة من الضياء . وكانت الاوراق فضية وخضراء تتأرجح وتعبث مع ظلالها بسكون.

ثم وجدنا الطريق تمتد امامنا ، فخرجنا ورأينا الشمس. وعندها افقت ولمستها.

ثم غنا سوية ، ورأينا الفجر متردداً يكشف عن جسمينا. وعلى البعد سمعنا التلاميذ يلعبون ، ونحن نتشاطر الهوى والنوم. ثم نستفيق لنأكل ونغني ونرقص ، ونتشاطر الهوى والنوم مرة اخرى.

عندما لمستني المرأه اول مرة انكرتها وانكرت نفسي . بيد انني لما رأيتها اول مرة اخذت وجهها بين يدي ، وهي تكاد تمانع ، وقبلت فاها .

لقد عرفتها ومع هذا انكرتها .

***

يوم بقيت وحيداً لازمتني افكار الهوى .

ذهبت المرأة وحالت الطريق الطويلة بيننا ، ولكنها التفت حولنا وجمعتنا في عقدة تحولنا فيها الى فكره واحدة . وانعكست على جدران البيوت الضخمة التي فغرت افواهها وملأت جوانب الارض .

من سجل الحب والموت

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبينما راح الناس يصرخون في طلب المساواة والموت ، ومن ورائهم آخرون يعصرون من جوعهم دنانير الذهب ، اندفعنا لا نطلب شيئاً سوى الحب ، وقد وقف امامنا شبح الموت الشامل كمجموع ابنية عالية صعرت مداخنها الخد في وجه القمر الباهت ، ثم اهتزت بعنف ، وتجشأت ضباباً قاتماً انتشر حول القمر .

اما نحن فرحنا نتبادل الهوى ونسمع اخبار الموتى . فلما ادرنا عيوننا صوب القمر المضنى ، كنا قد شفينا غليل الحب في جسمينا ولكن القمر كان اغبر،وقد رسم الحزن حوله دائرة مطبقة عليه .

اختنق الليل بدخان الموت . لقدذهبت المرأة ، وبقيت وحدي افكر في حبي وفي موت الآخرين .

***

انه عروق الجسم نفسها لتتاوى بالانتظار .

ها انا واقف في المحطة مع رجال ونساء تاوت عروقهم كعروقي ، ننتظر القطار المتأخر الذي يحمل لكل حبيبه : نرقب نهاية الخطوط الحديدية ، ونجهد عيوننا بالنظر الى الفجوة التي سيدخل منها القطار الصاخب وقد امتنع عن الظهور . واننا لنحس بالانتظار ثقيلاً في احشائنا كالرصاص، لان القطار قد لايأتي ابداً ، واذا اتى فلعله آت بدون الحبيب . وكما نريد من الازهار ان تتفجر عن غرف معطرة ، ومن سيقانها الهيفاء ان تتحول غيداً واسعات العيون ، هكذا نرقب خطوط السكة الطويلة ونشتهي لو تتلد حريراً وفرشاً وثيراً، ونود لو جاء الحبيب في قطار سريع الانطلاق كحمائم افروديتي، ولعل البخار حينئذ سيغني والمحركات والعجلات سوف ترن كأوتار الكمان :

« جميلة هي الحبيبة ، وكل ما تراه .

يجب ايضاً ان يكون جميلاً ».

ولكن اذا طارت الحمائم وجاءت دون افروديتي ، فسوف نذم بياضها وننكر عليها حسنها . واذا وصل القطار دون المرأة المنتظرة ، فما الذي نحن فاعلون الا ان نتألم للحرير الذي لم نلمسه والجمال الذي لم ينشق عنه الدخان والنقيع ، والاوتار التي لم نسمع الحانها في العجلات ؟ لقد جاء القطار ، وتفرق الجمع ، وبانت المحطة كأم ولدت طفلها ميتاً .

تفرق الجمع مخلفاً وراءه المولود الميت ، ولكن وجهاً مستوحشاً بقي يجول في المكان الواسع تجرى الرياح بين جوانبه ، ينتقل بين اكوام الحقائب والصناديق والقمامة . هل من احد سمع صفارة اليأس ؟ هناك في المحطة يجمع اليأس نفسه في انبوب اسود كالقار ؟ ويصفر بألم دون طائل . لماذا اذن اطيل الوقوف وأصاب بالزكام؟فلاذهب .

يا لله كيف كان حبنا ! كثيراً ما بكت وهي تقص علي حبها . فاذا سمعتها زدت عنافي ضغطاً وقبلاتي شدة ، حتى لم يعد يجدي العناق او القبل . فالتعبير عن النفس لا يجري دائماً كالماء في النهر،بل يفيض احياناً تحت الارض،ثم ينطلق في الهواء لكي يتساقط قطرات صغيرة. ولهذا لمست خديها لمساً خفيفاً ارق من يد امرىء غريب،فشعرت انني تناثرت قطرات صغيرة،فاستحال كياني الى لمسات دقيقة تكاد لا يحس بها ، وملء كل لمسة منها عرام الاستسلام .

ثم اصابت جسمينا شهوة احتدم لهيبها فاصبحنا قطعة من الجمر، واذا النار تجفف الدموع ويتوهج لظاها راقصاً في العيون . وانقضت ايام لم ينطفىء فيها جنباننا،فطفرنا كاللهب واضأنا الكون، ورقصنا بخفة حتى كأن اقدامنا لا تمس الارض،وكأن نارنا تندفع في الهواء . ايتها النيران ، ما اشد برد الدنيا ، فهي لا ترى منك الا الدخان ! وها أنا يلفني البرد الآن بانفاسه — او لن يتوهج جسمي باللظى من جديد ؟ او لن ينعكس بريق الجسد في عيني عما قريب ؟

لا يعرف الانتظار لنفسه نهاية . فقد تجمع الجمهور مرة اخرى لتتاوى عروقهم في المحطة : ولكن مهلاً ، اي شغل لي معهم؟انهم ليسوا بأسعد من ذلك العاشق الذي بعد ان لم تعد الدنيا حائلة بينه وبين غادته ، انتابها المرض فلم تجيء اليه . اما هذا اوذاك،والفراق واحد — والناس ينتظرون : ويا لقبح خيبتهم ! انهم لا يعرفون من الوردة الا شذاها ، والقطار يقهقه طول الطريق بين كل بلدة واخرى تنخر الفاقة في احشائها ، فيرتطمون بالصناديق والحقائب في المحطة ، والريح تجري بين جوانبها ، ويتساءلون بحزن : « ترى لمن هذه الامتعة كلها ؟ »

***

جلسنا على الشاطىء ، وقالت لي انها حلمت بانها البحر . فقدرأت قارباً يطفو عليها، ويقلق هدوءها المتراخي فرفعت امواجها وادارتها لكي تدفع القارب عنها ، حتى اصطدم بصخر الساحل وانقلب بعنف سافله عاليه ، وعندها عادت الى الدعة والسكينة، وجعلت زرقة امواجها الصافية تتألق مستسلمة، وتدنو من الرمال لتنتشر عليها . ثم قالت انها رأت نفسها قد استحالت، واذا هي تخرج من بين اللجج وتجد نفسها على الشاطىء عارية ، والقارب راكد ساكن كجثة هامدة ، بينما وقفت هي كسحابة في شكل انسان . ولما نظرت الى جسمها اعجبت بجمال تهديها ، وخشيت عليها من ملاحقة الشفاه القذرة وفرت هاربة .

جلسنا على الشاطىء وتحدثنا عن البحر ، مصدر الحياة ورمز الوجود الازلي . وجالت في نفسينا خواطر الموت في البحار، وهل ننسى اولئك الذين دفعت بهم بلادهم الى ثبج الميـاه ليكونوا قرباناً يهدىء غضب اليم وثورته؟ فما الحرب الا اغنية وحشية تغنيها الحياة عندما تبغي تأكيد جبروتها بمعانقة المنية. واذ تعود الحياة الى البحر ، وقد انسحقت تحت وقر كبريائها ، تقترن بالروح الوحيدة التي تماثلها . غير ان البحر مثل الله : عظيم الاتساع ولا يكترث .

وتحدثنا عن القلب الانساني الذي يعيش في صورته ، وعن الصخور التي لعنها البحارون منذ الازل ، واللآلىء التي استقرت في اغواره مثيرة جشع البشر .

وعندما خيم الليل انطلقت تركض على الرمال، وكأنها امست كالحلم الذي قصته علي — امرأة لفظتها الامواج عـارية، وترقرق شعرها وراءها وانا اعدو خلفها على الكثبان الناعمة ، وفخذاها في الظلمة الزرقاء كسهام من الشفق . وراح الموج يداعبنا ، يرتفع على سيقاننا ثم يسقط على اقدامنا ، ثم يتراجع ويلطم عزمه ويهاجمنا مرة اخرى. ولما ادركت باي عنف اشتهيها ، انقلبت عـلي وقد ادلهمت عيناها بما في اللجج من هياج حسي ، فوليت لها ظهري فاراً منها . غير انها جدت في أثري تضحك وتقول : « لقد استعبدتك الحسناء التي لا ترحم! » وتقذفني بأوراق طويلة من نبات البحر كأنها توقفني في حبائلها . ولما سقطنا على الرمال الاسفنجية كسانا البحر بمياهه لحظة ، ثم هدهدنا بتلاوة رقاه السحرية الطويلة . وما تقهقر عنا حتى كنت قد اترعت حواسي بجمالها الى ان طفحت . فكان كأنني غرقت في سحابة اتخذت لنفسها شكل انسان. ولما تلاشت السحابة ، بقينا منطرحين بلا حراك ، يلفنا هدير البحر المكتوم، لا نسمع ولا نلمس. فكنا كجثتين، ولكنهما تنبضان باشد ما في الحياة من قوة. ولعلنا امسينا حينئذ لاول مرة بحراً هو رمز الوجود الازلي.

***

حب

نفثات الهوى على وجهي حارة من افواه كثيرة كنت رأيتها في الطريق بعضها ضاحك وبعضهـا مزموم ، ورأيتها قرب وجهي تتحرك بكلمات لم ادرك معنى لها، وشعرت بوجودها حولي في قاعات السينما تهمس بأسرارها الصريحة لعلني اسمعها .

جاءت تلك النفثات حارة على وجهي، كهبات ريح قائظة، فتراخى لها جسمي كالجالس على عتبة الباب بعد ظهر يوم من ايام تموز ، فكنت كمن يستسلم للنوم والنسمات الملتهبة تلتف حوله ، فحلم احلاماً لا يستبين فيها شيئاً سوى انه تتقاذفه ايد واجسام ووجوه، وفي اذنيه كلام لا ينقطع — لعله شكوى او غزل او شتائم. ففي كل نفثة من نفثات الهوى يد تداعب واخرى تتحدى وثالثة ترمز بحركاتها الى البغضاء او الاستسلام. وكان ان رأيت السنين الماضية كأنها اسطورة خلقتها من اجل شعري، وخيل الي ان النساء اللواتي احببتهن لم يكن الا من صنع وهمي . وها هن جميعاً قد اتين يتنفسن على وجهي ، وقد زاد عددهن اضعافاً بمن رافقهن من نسوة الطرقات وقاعات السينما وردهات الكنائس ، فجعلت ايديهن تتقاذفني كما تتقاذف الامواج اسلاب الحطب في يوم شديد الحر، فلا اعرف اهن يبغين الحب مني أم النسيان ، المداعبة ام العذاب .

وحينئذ ادركت ان السنوات قد مرت سراعاً ، وخلفت في ذهني كل هذه الوجوه والايدي، وتذكرت الزهور التي كانت تحملها هذه الايدي وصاحباتها يقلن : « ما ارق بشرة الشقائق ، وما اشد وهج احمرارها ! انظر ما ارق انفاسها رغم ما فيها من شهوة مترفة خفية، هي لذة جسدية ولكن بلا خطيئة. اما انفاسنا فغليظة بما فينا من ادعاء بالشهوة، والعذرية متنكرة فينا». ثم تقول احداهن : « ولكن من منا يجرؤ على ان يصوغ حياته على غرار زهرة نحيفة تستنفد حياتها في فصل من السنة ؟» .

تلك هي المرأة التي اسمع صوتها دائماً بين اصوات النساء، وارى وجهها جلياً من بين مئات الوجوه . وحين تتقاذفني الايام والتجارب ويسوقني الاغراء بهمسة ، اشعر انني انما اتقلب بين ذراعيها، واقبل على دعوة شفتيها : اعطيتها شقيقة في الصباح فحملتها الى ان ذوت وتدلت على نهدها . غير اننا لم نقف لنفكر فيها بعد ان اغدقنا الطف الاطراء عليها فقد كان الحب كجواد ابيض ينهب الارض بنا من رابية الى رابية، فما نكاد نرى شيئاً حتى نخلفه وراءنا، ونرى شيئاً آخر. وتنطلق افكارنا كالشرر من تحت حوافر الحب السريع، وكالشرر تتلاشى وقالت : « هل يخطر في بال الشقائق ان تفكر في حياة غيرها من الزهور في الربيع؟» لقد كنا كالزهرة البرية التي تعيش على ما يبعث الثرى في ساقها من عصارة، وما يدور في قلبها من حركة خلاقة. . .

ولكن فصلنا انتهى، وكان علينا ان ننتظر عودته مرة ثانية. ما اشد ما كان الم الموت المؤقت ريثما بدت تباشير الحياة من جديد ! انتهض يا حبيبتي. هذه الرياح تهب ، والعام العتيد قد اقبل !

***

اذنه

ما الذي تبغيه مني هؤلاء النسوة ، وقدودهن تميس وأيديهن تلوح لي ؟ لسن جميعهن الا صوراً لا تحصى للمرأة التي تدعوني عبر الجبال والوهاد ، عبر الانهار والبحار ، عبر

فن النقد

بقلم سرجيل ادريس

☆

احسب احداً يعدو الواقع حين يذهب الى ان النقد الادبي في البلاد العربية يجتاز الآن اشد محنة يتعرض لها ميدان من ميادين الادب، فالحق انه لا يزال في طور بدائي، وان الذين يمارسونه كما تنبغي ممارسته قلة تكاد تضيع في هذه الكثرة المتلاطمة التي لا تتبع غير الهوى، ولا تختط لنفسها خطة، ولا ترسم هدفاً. واحسب ان اشد ما نفتقر اليه انما هو الضمير الادبي، هذا العامل الوحيد الذي يشعر الناقد بعظم التبعة الملقاة على عاتقه حين يواجه نتاجاً ادبياً.

تلك حقيقة اوحى لي بها واقعنا في النقد بعد مطالعة مقال قيم للاديب الفرنسي المعروف اميل هنريو عضو المجمع الفرنسي. ويشير هنريو في مستهل هذا المقال الى تعريف الناقد الادبي بانه الرجل الذي اتخذ مهمة له، بعد ان تعشق الادب، ان يحكم على نتاج الآخرين. غير ان ضعف هذا التعريف يبين لدى النظر الى ممارسة المهنة. فهناك النقاد «العقائديون» الذين يتحدثون باسم الحقيقة التي يدافعون عنها، فيبتون باسمها ويحكمون ويردون كل ما لا ينسجم مع عقيدتهم والدين الذي يدعون اليه، وهناك النقاد المجردون والاحرار الذين لا يعنون الا بان يتحدثوا عما يحويه النتاج الذي يواجهونه، ليشيروا الى قيمته من الوجهة الادبية فحسب.

ويذهب اميل هنريو الى تفضيل النوع الثاني من النقد، والى ان الناقد يجب ان يتخذ دور «الرصيف» بين الكتاب والجمهور، فينصح بقراءة ما اثار اهتمامه ويشير الى ما قد يحويه كتاب ما، وينوه بكاتب جديد ذي موهبة، لينتهي آخر الامر بتعيين موضع المؤلف والكتاب من الاسرة الفكرية الكبيرة، ويحاول ان يصدر في ذلك حكمه.

ولكن باسم من يصدر الحكم؟ باسم «الحقيقة» يقول بعضهم، اولئك الذين نصبوا انفسهم «بابوات» معصومين. ولكن هنريو يقول ان الاحكام لا تصدر الا باسم الذوق الشخصي، وباسم الاحساس الخاص والثقافة والصلاحية التكنيكية، وان هذه الاحكام صالحة ولا ريب شريطة ان تعلل اسباب القبول فيها او اسباب الاعتراض. ومن البديهي ان المرء يجيد الحديث عما يحب اكثر مما يجيده عما لا يعجب به. والناقد الحق هو الذي يستطيع ان يجيد الحديث عن كتاب يعترف بانه جيد حتى ولو كان على طرفي نقيض من عقيدته وذوقه، لان المهم قبل كل شيء ان يفهم الناقد ليتاح له ان يساعد سواه في الفهم. فالقضية هي قضية نبل وشرف، لانه ليس من الضروري ان يكون الخصم على خطأ. على ان من واجب الناقد احياناً ان يغضب ويثور حين تهز امامه «موهبة» مزيفة اذا صح التعبير.

ويرى هنريو ان على الناقد الادبي ان يكون مؤرخاً ادبياً كذلك، كما كان شأن (سانت بوف) اكبر النقاد اطلاقاً. ويعود الى الحقيقة فيردد ان الناقد لا يتكلم الا باسم «حقيقته» هو، ولا

الايام التي لا ترحم.

ولم يكن لديّ الا جواب واحد على ذلك النداء الذي جعلت اتبين معناه. سأصغي اليه واصيخ له، واذهب حيثما يريدني.

فلجأت الى الموسيقى، وجعلت اعزف اسطوانة بعد اخرى. لقد كانت الموسيقى الوسيلة الوحيدة التي ارضي بها هذه الاخيلة المتجمعة في ذهني، وهي تحملني أنى شاءت المرأة الملوحة لي عبر المكان والزمان. فقد اجتمعت في تلك الموسيقى عواطف اجيال وقرون، بما فيها من افراح وذكريات عارمة، وموت ورعب كثير وكانت لذة الشعور بالنغمات وهي تحطم الحس بعنفها، كانما عصارة الحياة نقلت الى الدم من جديد، بعد ان كانت خواطر الموت تراوده.

فوجدت نفسي اطوف في الفضاء كالرباب الناعم، ثم انحل الى مواد غير مرئية كلها آذان تتسمع. ولقد رأيت نفسي ايضاً تنهشني انياب الوحوش. وتصورت الغيد ينحن على موتي. ولقد رقصت مع العظام العارية، ورأيت شفتي تقبلها اطياف مريعة غير ان الموسيقى كانت خير ما في الوجود، لا يوازيها جمال مهما تفنن، ذبت فيها حتى غدت الدنيا كنهر عظيم من الفتنة لا ينقطع سيله وذراتي على متن امواجه.

او هل يرقصون على التلال؟

اذن نذهب هناك. وعندما يفرغون من الرقص ويجلسون تحت الاشجار ليقصوا اخبار احزانهم، فسوف نجلس معهم ايضاً وستسمع الابواق من وراء التلال. ولعل المدافع ايضاً ستسمع، غير ان الابواق ستسمع، ان عاجلاً او آجلاً. ولسوف تتحرق سيقانهم الى القيام لتجيب على ندائها. وسرعان ما يحولون آلامهم جميعاً الى رقص عظيم تتحرر معه نفوسهم، وتنطلق فيه اقدامهم. رقص جميل يعم الدنيا بأسرها.

انهضي يا حبيبتي ولننضم الى الذين هم على التلال يرقصون.

بغداد

جبرا ابراهيم جبرا

يستطيع ان يصدر حكماً الا من خلال ما يعتقد ويعرف، وهكذا ليس من الممكن ان يكون هناك نقد مجرد، حتى ولو كان الناقد عقائدياً ؛ فهو يتكلم ويحكم ويمدح ويدين وفقاً لعقيدته التي اختلقها كلها او تبناها . وقد كان هذا شأن « برونتيار » الذي كان يبتّ بالامور من فوق ، كما لو انه كان يملك القانون في جيبه ، او كما لو انه عين ناقداً برسوم من العناية الالهية ليتحدث باسمها عما هو صالح وما هو غير صالح .

وبوسع النقد ان يكون هو نفسه فناً بقدر ما يكون الناقد كاتباً موهوباً ذا اسلوب سائغ ، غنياً بالافكار حتى يخلق للقارىء جواً من التفكير ، ناعماً بثقافة واسعة لا غنى عنها من اجل المقارنة مطلعاً على التاريخ والاحداث الراهنة ليستطيع ان يعرف الى اي حد يترجم الكتاب الجديد عنها ويمثلها . ثم ينبغي له ان يتخذ لنفسه مثالا يتيح له ان يحكم . والتجرد صفة لازمة لا ريب فيها، وكذلك النبل الذي هو فضيلة بدائية تجعل الناقد اميناً لا يُقوّل الكاتب ما لم يقله ويشير الى الامور كما يصفها تماماً . ويضيف هنريو الى ان الناقد ينبغي ان ينعم بالذوق ، على الرغم من الخلاف القائم حول مفهوم هذا اللفظ، وهو يرى انه التمييز الدقيق والشعور الصادق بمعنى الحقيقة والجمال الادبي .

والجمال الادبي هو الذي يحتاج في الحق الى تعريف . فمهما كان الناقد موضوعياً واياً ما كان اعتماده في الحكم على التأثر الخاص ، فلا بد له من ان يعود الى عدد من القواعد . وهذه القواعد لا تخرج في رأي هنريو عن ثلاث : الجمال الادبي والجدة او الابتكار والحقيقة الخالدة . اما الجمال الادبي فتعبير مختلف المفاهيم ، فهو عند ستاندال الحقيقة والسرعة في الاشياء المقولة ، وليس هو كذلك عند هيغو او راسين . وهو يتضمن ولا ريب العلم والغنى في اللغة وحضور الاسلوب الذي هو ميزة الكاتب وطابعه الخاص ولونه وحركته وتنفسه . والحق ان الجمال الادبي لا يخضع للتعريف ، وانما هو شيء يحس ، فغالباً ما يظهر كاتب جديد لم يكن معروفاً من امره شيء ، فاذا هو يفرض نفسه ، حتى لا يشعر القارىء الى اين يقوده بعد ان يقرأ له بضعة اسطر . . وكل ما هناك شعور واضح للقارىء بانه ازاء كاتب !

والآن ما هي العلاقة بين الناقد والجمهور ؟ ان عليه ولا شك ان يعود بالقارىء الى المؤلف المجهول او الذي كان موضع التنكر بغير ما حق ، كما ان عليه ان يحمي القارىء من الذين يسخرون منه ويستهزئون به ، ويحميه من الدعايات الطنانة . . ومن واجبه كذلك ان ينعي على الذوق العام استهتاره، لانه هو الذي يؤدي الى خلق الكتاب الفاسدين . واذن فهو مدعو لان يربي احياناً الذوق العام .

ولكن هل النقد المفيد للقارىء، مفيد كذلك للمؤلفين؟ يقول هنريو : انه عرف كثيراً من المؤلفين الذين يرسلون كتبهم الى النقاد الذين يمدحونهم . اما الذين يناقشونهم ، فيحسبون انهم اصحاب نوايا خبيثة او يعتبرونهم سخفاء . والواقع ان اهم ما يفتقر اليه كاتب يقرأه الناس كثيراً هو ان ينقد نقداً صادقاً ليعرف كيف يتفادى اخطاءه . ولكن ليس هدف الناقد الحق ان يظهر الاخطاء فحسب، ان عليه ان يذهب الى ابعد من هذا : ان يقرأ بين السطور غاية المؤلف ، ان يكتشف في الكتاب اكثر مما خيل للمؤلف انه وضع فيه ، او اقل من ذلك . ولا ريب في ان المؤلف سيفيد من ذلك كله فائدة جلى . ولعل مما يبرر وجود النقد واهميته انه كثيراً ما اضاء للمؤلف فكرته الخاصة ، وما ينتظر منه ان ينتج . ان (بوالو) لم يخدم الادب بكتابه « الفن الشعري » اكثر مما خدمه حين دفع موليير في طريقه قائلا له «برافو موليير . . هذا من الكوميديا العظيمة» ولا شك في ان موليير لم يكن بحاجة الى ذلك ليعرف ما يعمله، ولكنه لقي التشجيع . . انها ضربة السوط في الهواء حين تنطلق الجياد .

وبعد ، فان على الناقد الحق ان يقرأ كل شيء . ولكن هل هذا ممكن ؟ انه مفيد على اي حال . فقد يكون الكتاب جديراً بالقراءة صفحة صفحة ، وهذا ما يجعل الحكم عليه اقرب الى المنطق والعدل ، فاذا لم يكن كذلك ، فان الناقد يأخذ عنه فكرة كاملة وعن مؤلفه ، وهل لديه من الامكانيات ما يجعله جديراً بان يقرأ في المستقبل ام لا . . .

واخيراً ، فان على الناقد الا يكتفي بنقد الآخرين . عليه ان يراقب نفسه ويحكم عليها، ولا يستعمل عبارة «كتاب رائع» الا وهو يعنيها . . عليه ان يشيد بالموهبة حيث كانت ، ويحارب السخف حيث لقيه !

على هذا النحو من الدقة والاحساس بالواجب ، واعتبار الضمير الادبي يفهمون رسالة النقد في اوروبا . وانت لن تعدم من النقاد من يشيد بكتاب لا يستحق ان يشار اليه ، كما انك لن تعدم منهم من يهاجم كتاباً خليقاً بان يقوّم في طليعة الروائع . . ولكن هؤلاء قلة ، لان النقد قد اصبح رسالة ذات تبعات ثقيلة . .

أفنمضي نحن، في الشرق، في التنكر للضمير الادبي، وفي اعتبار النقد لوناً من الوان الارضاء ، او شكلاً من اشكال التشفي ؟

باريس — سهيل ادريس



الاميرة العراقية فخر النساء زيد تعرض فنها في باريس

بقلم جميل حمودي

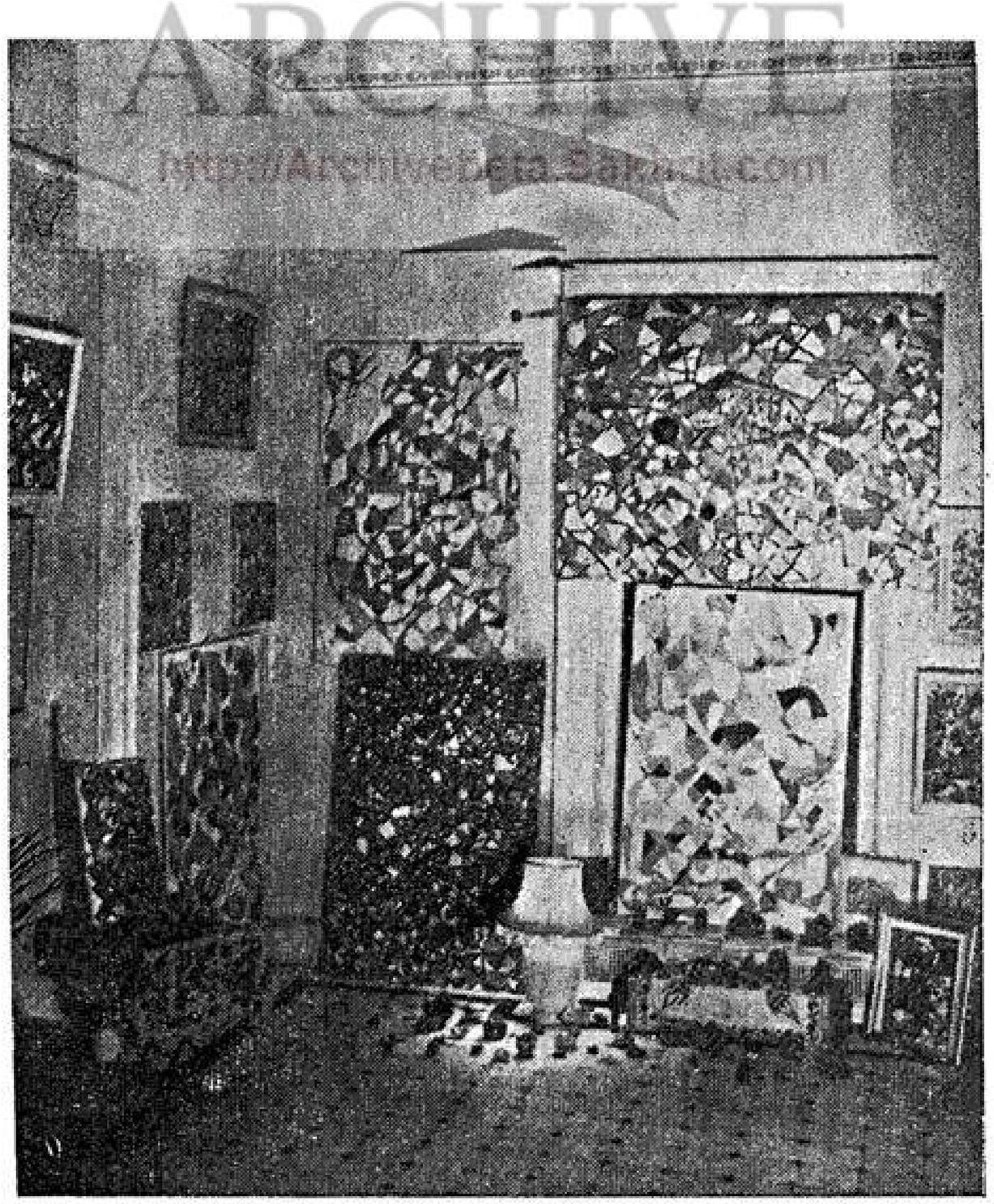
●

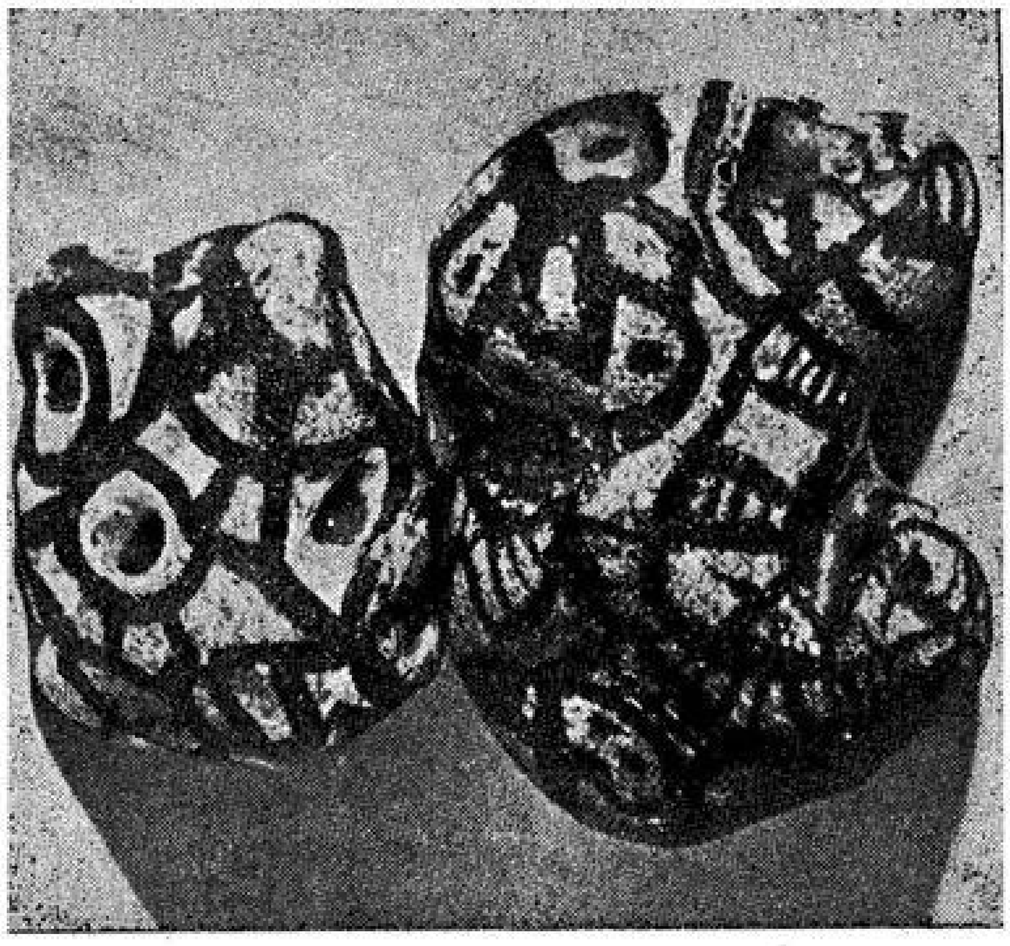
مرة اتلهى بالحديث مع فنـــان من الذي يسمون انفسهم بالـ (abstraits)، والفن الـ — abstrait —معناه على وجه مـــا (الفن المجرد) او (الفن التجريدي)، فقلت له : هل تعلم يا صديقي ان هذا الفن تخلق على يد العرب في العصور الوسطى بسبب منع الدين الاسلامي لتصوير ذوات الروح ! . . قال : ومن يدري ! فلعـــل ايصـــاله الى روعته الحق سيكون على يد العرب في العصر الحديث ايضاً ! . .

ولم اكن حينذاك اعرف شيئاً مفصلاً عن الاميرة الفنانة فخر النســاء زيد حرم سمو الأمير زيد بن الحسين سفير العراق في لندن ، على انني فوجئت في منتصف شهر ديسمبر الماضي بخبر معرضها الذي اقيم في كالري كوليت آلندي — Collete Alendy — الكائن في اجمل احياء باريس على جانب من غابة بولونيا الشهيرة وفوجئت بعد ذلك بطلبها رؤيتي والتعرف علي .

وعند زيارتي لمعرضها رأيت المصور الاسباني الشهير بيكابيا — Picabia — وهو من الآباء في (الفــن المجرد) ، فسألته وانا ادخل شاعراً كأني في حديقة بسطت على ارضها الوان تنفث روح الشرق : ماذا يرى فناننا الكبير في هذا الفن الشرقي ، كيف يجد انتاج فناننا العراقية ؟ ! . فشرع كعادته يحدثــني عن رأيه بإباء شديد الاقتضاب فهمت منه انه معجب بالجرأة والشجــاعة الخاصة التي لم تكن لتعوز فناننا للظهور بمجموعتهــا الرائعة من الصخور والاحجار الصغيرة الملونة ، الى جانب لوحاتهــا الزيتية والمائية ذات الطابع الشرقي المشبع بالافكار العميقة والتي تذكر رائيها بذلك الفنان العربي القديم الذي فهم كيف يصوغ بفكره وبيده روائع بغداد القديمة والاندلس وغيرهــا من آثار المدنية الاسلامية .

وتعرفت على الفنانة في معرضها ، ثم زرتها بعد ذلك في أوتيل رتز Ritz القائم في اجمل بقعة من ساحة فاندوم Vandome بالغرب





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الاوبرا . . وهنا فهمت جيداً كيف انها تطوي في حناياها روحاً فنياً كبيراً سيجعل منها بدون أي شك قائداً مهماً للحركة الفنية في الشرق الاوسط بصورة عامة وفي العراق بصورة خاصة .

نعم ايها القارىء الكريم انني اقدم اليك فنانة عظيمة الشأن جديرة بكل اعجاب وتقدير ، فنانة « تترك — كما يقول الكاتب الفرنسي الكبير اندريه موروا عنها في مقدمة دليل معرضها — تترك لنفسها الداخلية — الفاهمة المتمرسة بالعمل الفني — ان تتكلم عنها » خطوطاً واشكالا وألواناً .

على ان الحرية الكاملة التي تنطلق بها يداها رائعة فريـدة تحوي صفة من العمق الخالق الخالد . ذلك انها مثقفة حقاً وان في رأسها ذخيرة من الافكار كما في نفسها نبع من الاحاسيس الخالصة. كانت تنصحني وهي تتحدث : « لنقرأ . . لنقرأ دائماً فالمطالعة تفتح للفنان كنوزاً لا يمكن ان يظهر عليهـا الا الشعر والادب والحياة . . وان شئنا ان نصل في فننا الى امتلاك الشخصية الفنية الكاملة فلنا ان نرسم الحياة ، نرسم خطوطها المتعرجة في حركة مستمرة مختلفة الاتجاه في خلال هذا الفراغ الكبير . . وعلينا ان نخلق ما يملأ هذا الفراغ لوناً . . لوناً حياً يلتمع منطلقاً الى اعماق النفس .

وكانت تتحدث وهي هي نفسها في حركة وحيوية لو سجلتها لما خرجت الا برائعة هي من فنها الصميم. انها يا قارئي تعيش فنها ولا تتكلفه ، وما يجعلني فخوراً بها هو انها تفكر ، وهي تعمل ، تفكر في الشرق ، وتتذكر الوان الموزائيك المتناسقة وخطوطها المتماوجة الرشيقة ، حول مساجد بغداد وفي شرفات منازلها القديمة ، تفكر بذاك الفنان العربي القديم الذي استطاع ان يخلق من قبل مدرسة بغداد في التصوير ، وقصور الملوك العرب في اسبانيا وغيرها . انها بنت الشرق المخلصة .

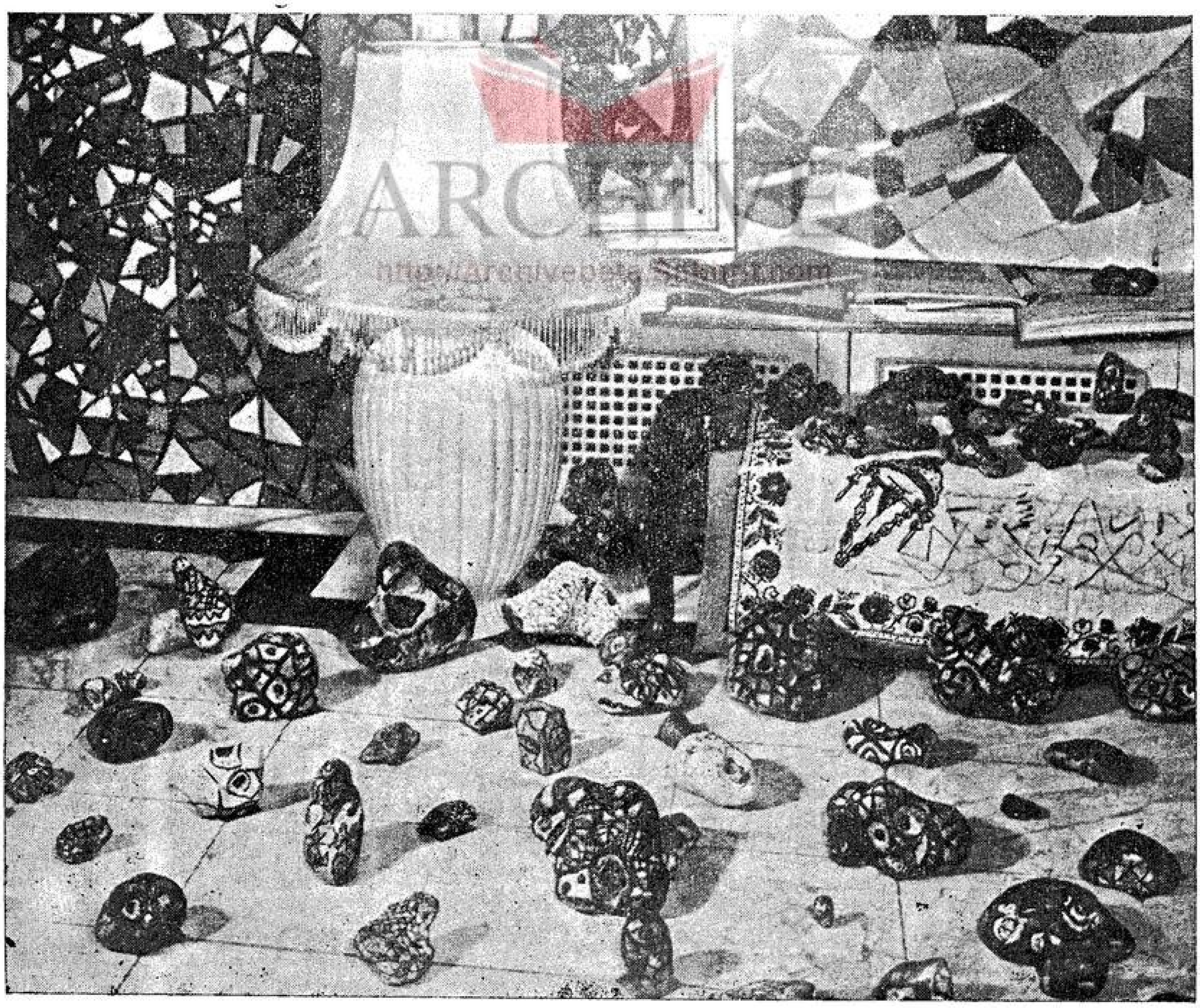
اما الاحجار الملونة التي عرضتها فنانتنا الى جانب لوحاتهـا المائية والزيتية ، فهي في الواقع شيء جديد يلفت النظر ويذكر بكثير من اللمحات في الفن الابتدائي — Primitif — عند الانسان القديم ، الا انها في الواقع مظهر جديد من مظـاهر الفن ، وهي عبارة عن احجار تتركها الفنانة في شكلها وقالبها الذي وجدتها عليه ثم تقوم بتزيينها وزخرفتها بخطوط وألوان تلائمهـا مع شكل الحجر وانحداراته وانطواآته المختلفة فتخلق بذلك شكلاً انسانياً حيناً ، واحياناً مجرد قطعة ملونة تغلّب فيها لون الخط الاسود في معركة التباين الفني .

انني انتظر بأمل كبير اليوم القريب الذي تعرض فيه فنانتنا الاميرة ، فنها على العالم العربي في العراق ومصر وسوريا ولبنان ، واني واثق ان هذا سيحدث في الفن الشرقي المعاصر اسلوباً جديداً من التحرر من الاساليب القديمة التي ما يزال يرسخ في قيودها .

هارپين

جميل حمودي

●



بين بلزاك وشكسبير

مهداة الى الاستاذ علي محمد الشلق

بقلم محمد عبطالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصر شكسبير كبير به وبباكون وملتون ، ناهض مثل « اوروبا » الناهضة، مؤمن بقيم الكنيسة الجديدة. يتعرف ، أو يعيد النظر ، الى التراث اليوناني واللاتيني. تتردد فيه على الافواه اسماء « تيت–ليف » وشيشرون وارسطو ، والناس لاهون في دنياهم. والديموقراطية والملكية راسختان في القلوب الانكليزية. والعصر، على رقته وثقافته، قاس على البؤساء والضعفاء، ولكن عبقرية كعبقرية شكسبير لا تختفي في سمائه الغائمة المرعدة .

اما عصر بلزاك فكبير به و « بشاتوبريان » و « فيكور كوزان » و«لامرتين» و« هيجو» و«موسيه » و« جورج صاند ». عصر يؤمن بالمسيحية ايمانه بثورته وبنابليون. بيئة حللت الدين في مختبرات مجتمعها. حياة اجتماعية تتأرجح بين الملكية والجمهورية، يمسك بمقدراتها رجال اقوياء تعلموا الحياة في مصر وموسكو واسترلتز وواترلو. ويسيطر على آدابها ومسارحها ابناء « بايرون» و« روسو» و« أوسيان » و«غوته» و«فولتير» و«شاتوبريان». تياران يتحكمان بالمصائر ويوجهان الارواح والقلوب ، الشباب ، فتيان العصر، باحساسهم المرهف وشاعريتهم المبدعة الابداعية ، وأرواحهم المؤمنة الهائمة الطامحة. ورجال كل العصور : القواد والزعماء والتجار والنبلاء والاقوياء. ولكن فلسفة « اوغست كونت » وتهكم « سانت بيف » ، ومادية « غيزو » و «تيرس » ، لم تستطع الوقوف الى النهاية في وجه التيار الابداعي الرومنطيقي، فانهارت، امام الابداعيين تلك المقاومة الواعية العقلية، كما انهارت من قبل، المقاومة المدرسية الرجعية ، ولن تنتهي المدرسة الابداعية في فرنسا الا بخلفاء لها على المسرح والشعر ، يدينون لها بالكثير: روستان ، سكريب، بودلير ، رامبو ، مالارمه. . .

***

ولكن في ثنايا الامواج الابداعية، بين «التأملات اللامرتينية» و«الليالي» و«الشرقيات» نجد ادباء مدرسيين، خرجوا من عواطفهم وميولهم الشخصية، ليصفوا الحياة كما هي، ويعكسوا صورة المجتمع الفرنسي كما كان ، ومن هؤلاء ستندال وبلزاك ، ولا شيء يجمع في الحقيقة بين عصري شكسبير وبلزاك فالقرن السادس عشر عصر تأسيس ونهضة وسذاجة نفسية اجتماعية في انكلترا ، والقرن التاسع عشر، في فرنسا ، عصر واع تحليلي ، وصل الى الفلسفة والدين والجمهورية والادب ، بعد الجهاد والمقارنة والوعي. .

اما حياة شكسبير الخاصة فتلتقي بحياة بلزاك وتشبهها في كثير من مراحلها : نشأة فقيرة ، وجهاد مبكر ، ودراسة عميقة واسعة ، وعائلة مجهولة. وتحمل صاحب « مكبث » مضاضة التسكع في الطرقات، والوقوف في ابواب المسارح ، والضرب، كموليير، في آفاق الريف الباردة سعياً وراء اللقمة، خادماً فممثلاً ، فصاحب فرقة تمثيلية ولم يكن صاحب « الاب جوريو » اسعد حالا في حياته ، فكان كاتباً متمرناً لاحد المحامين ، فطالباً فقيراً في السوربون ، فصاحباً لشركة نشر ، فمؤلفاً فاشلاً ، مؤمناً بنفسه وبعبقريته ، مجاهداً بعنفوان لا يشبهه الا شموخ شكسبير وموقفه من النبلاء الجهال المتكبرين

كتب شكسبير المهازل والمآسي المسرحية، مصوراً فيها طائفة من الاشخاص، وجملة من العواطف، وكتب بلزاك عدداً كبيراً من القصص ذات هيكل واحد (الملهاة البشرية) عاكساً في قصصه صورة المجتمع الفرنسي في نصف قرن بما فيه من حالات اجتماعية ومهن واوضاع. فماذا يجمع بين الشاعر الانكليزي والقصصي الفرنسي؟

صفة ادبية واحدة هي « الخلق » ، وعدد كبير من الصفات الثانوية الانسانية الاخرى سنلقي عليها بعض الاضواء.

تخرج، بعد ان تقرأ مسرحيات شكسبير واشعاره ، بصاحبك في الحياة اشخاص تعرفت اليهم بين سطور المسرحيات والاشعار، نماذج حية ، صاخبة ، عاشقة ، شاعرة ، فذة، فيها فروسية وبطولة وفيها غدر وشقاء. شخصيات تحس ان امتن الصلات تشدك اليها، واعمق الاحاسيس تحببها اليك. فعطيل العاشق الغيور ، ويوليوس قيصر الملك البائس ، وبروتوس المفوه الوصولي ، وهملت الامير الحائر بين الوجود المطلق والعدم المطلق، وديدمونا العذراء المجنونة في حبها ، وشياوخ البخيل المضحك ، و« روميو » العاشق المتفاني، وجولييت المخلصة ، كل هؤلاء ، وكثير غيرهم ، اشخاص خلقهم شكسبير ، فعاشوا ولا زالوا يعيشون. وسيان ان قرأت قصتهم في المسرحية ، او نظرت اليهم على المسرح ، ومهما كان من براعة

شكسبير المسرحي ، فبراعته الامثى ، واعجازه الاكمل ، كامنان في هذا النعمق في الطبائع ، وهذا التحليل للمشاعر والعواطف والقلوب واحياء نماذج بشرية يبث فيها نفحة من الحياة لا تفارقها ابداً، انشد شكسبير ملحمة العواطف ، وعزف سمفونية الروح الانسانية، فلم يهمل معركة ولا نسي لحناً . وهو ملك المسرح ولكنه على الاخص ، مؤرخ القلب البشري .

***

«لويس شابير» «الاب جوريو» «راستنياك» «الخوري بيروتو» «التاجر «سيزاربيروتو» فوتران، كلايس، ايجني غرانده، « الاب غرانده » ، كلها شخصيات تختصر حالات اجتماعية ، فرديات حية تموت اذا عزلناها عن بيئتها التي عاشت فيها ، او غايتها التي ارسلت لها فالخلق عند شكسبير هو اذن لضرورة المشاعر والعواطف والتقاء الروح المحتوم بتطوراتها وحالاتها ، والخلق عند بلزاك هو لتصوير حالات اجتماعية واوضاع مهنية ، شكسبير يصف تطور العاطفة حتى وصولها الى المأساة ، وبلزاك تطور السعي الانساني الاجتماعي حتى وصوله الى المأساة ، نحن لا نفاجيء بطل بلزاك ، وحده ، مجرداً عن مجتمعه ، لنحكم له او عليه ، بل تقف دون حكمنا عليه موانع « تخفيفية » — من بيئة وشقاء وفقر ومهنة وانجراف مع التيار ، وبلزاك يصف بطله دائماً اثناء العمل والتطور ، دون ارادة المجتمع والمادة ، وما صمم عليه هو ، مدفوعاً بقيم الحياة التي تحيط به ، سواء أكان جندياً او تاجراً او كاهناً او فيلسوفاً او عالماً . اما ابطال شيكسبير فنراهم اثناء استراحة نفسية او عاطفة ثائرة ، عبيداً للمشاعر الانسانية الصرفة ، يمحون في ارادتهم ، القيم السابقة، والمحيطة، ليصدروا في اعمالهم عن قوى القلب الانساني في كل زمان ومكان . ولذلك نرى ابطال شيكسبير ، في اكثر فصول مآسيه ، عرضة حالة من التفكير الفاصل، والحوار النفسي الداخلي، عائدين الى الضمير الذي يدين المجتمع ويحكم عليه ولا يخضع له. فالموت نهاية البطل المحتومة عند شكسبير والثروة او الفقر نهايته في قصص بلزاك — واذا قلنا نهاية فاننا نعني مخرجاً وملاذاً .

في قصص بلزاك نرى انسان السوق مغلفاً بريائه وحوله الالوان الاجتماعية والاصباغ المكتسبة ، وفي مسرحيات شكسبير نرى انسان المخدع ، صادقاً ، عاريا ، واحداً .

بلزاك اتى ماركسي قبل «ماركس»، لا يؤمن الا بالمادة، وكل القيم في نظره تصدر عنها ، فالعواطف ، والعلاقات الانسانية ، وروابط الاسرة، والمجتمع، حالات انسانية خاضعة للمال. اما شكسبير فشاعر وجودي (الفت نظر الاستاذ بدوي اليه) يتساءل في كل لحظة ، وفي كل خفقة من خفقات قلبه ، وبلسان ابطاله القلقين : ما قيمة الحياة ؟ وما قيمة العدم ؟

صور شكسبير النفس كما هي ، والقلب كما هو ، والعواطف الانسانية كما هي ، وعكس بلزاك الحياة الاجتماعية كما هي ، والمجد كما هو ، ودنيا المال والآمال والبطولة كما هي : شكسبير واقعي حتى في تصوير الخيال والاحلام !! وبلزاك خيالي حتى في تصوير التجارة والجندية والشرطة ، لانه عرض علينا ، الى جانب التجارب النفسية التي عاشها ، حالات تخيلها ، وهو خيالي ايضاً لانه يعرض امثلة من الوفاء خيالية ، ونماذج بشرية حية الى ابعد حدود الحياة، ولكنها تقوم بما لا نقوم به نحن لو ألمت بنا مآزقها واحدقت اخطارها . وشكسبير واقعي في التقاط وتثبيت الاحلام الملحة والآمال الكبيرة ، والشهوات المغرية ، في اطار من التهكم ، والعرض الجميل ، والحياة الخاطفة الموارة ، والكلمات الذكية المأثورة ، حتى لتحس ببعد المأساة الشكسبيرية عن المنال العادي السطحي وحياتنا اليومية الرتيبة ، ولم ينجح كثير من الكتاب والشعراء حيث نجح بلزاك وشكسبير، اذ رفع احدهما في قصصه احداث حياتنا اليومية المملة ، ذات الصور المكررة ، الى آفاق الاحساس والجمال والشعر، والقى الآخر ، في مسرحياته وقصائده نظرة عميقة فاحصة على العواطف التي تلهب نفوسنا ، وتعصف في اعماقنا ، فحملها الى المثالية ، فغفرنا لها ، واحببناها . .

ابطال بلزاك : « راستنياك » شاب توصل الى الجاه والثروة والحكم ، بعد الجوع والجهاد ، فاقداً في الطريق كل ما له من مساس بالشرف والواجب والحق ، او شيخ يدعى الاب جوريو ضحى بحياته وثروته وسعادته وكرامته في سبيل اسعاد ابنتيه ، او رجل مالي ، نوسنجن ، لا يؤمن الا بالارقام والكميات ، او رجل قوي — فوتران — ارهب الدولة وجنودها، والشرطة وقواها، بالحيلة ، والقوة ، والذكاء ، فصار رئيساً للشرطة ، يحني له النبلاء هاماتهم .

ابطال شكسبير : عاشق ولهان ، جثا في ليلة مقمرة ، تحت شرفة جولييت ، منشداً معاهداً ، بلغة اصفى واعمق من تجاوب الالوان والالحان والعطور، في اصيل يوم من ايام الصيف ، امير يحس الغدر في بيته ، والخيانة من امه ، والواجب في ضميره . فهو يلقي الينا ، عن المسرح ، بهذه الحيره الطاغية العاتية ، ممزوجة بالتصميم والسخرية . . ، بخيل يريد ان يزن الدنيا كلها في ميزانه ، وان

تعتنق الانسانية كلها مبادى. اقتصاده . ونحن نرى « المسيو كلايس » في احدى قصص بلزاك ، يضحي بثروته ، وثروة ابنته، وسعادته البيتية ، للوصول الى اكتشاف علمي ، في حين ترتدي التضحية ثوباً آخر عند شكسبير ، فنجد خادماً تعيساً ، يضحي بسعادة الآخرين وعواطفهم ليرضي استاذه الشيطان . ان الحيلة ، والغرور ، والغضب، والشهوة ، والطمع ، كلمات استعارها شكسبير ، ليضعها في مأساة كبيرة واحدة ، متعددة الفصول ، تؤرخ لوجود الانسان عاشقاً ومتألماً ومجنوناً ، والعمل والتضحية والرياء والغش ، والامانة، والطمع، والبطولة والعبقرية،ضحكات مكتومة ساخرة حشدها بلزاك لتصوير الحياة والاحياء .

والسخرية بطيئة ، اجتماعية ، مؤلمة في قصص بلزاك ، وغالباً ما تكون خبيثة ، رغم طهارة نفس مطلقها ، وعلى العكس سخرية شكسبير فهي لاذعة ، بريئة احياناً ، سريعة ، عميقة ، تنفذ كالسهم ، يقولها احد اشخاصه بعد دراستها وتحليل وقعها ، فهي سخرية فلسفية ، وتهكم خلاق .

سخرية شكسبير اقرب الى سخرية اناطول فرانس وديكنس والمعري ، اما سخرية بلزاك فأقرب الى دوديه والجاحظ وابي العيناء . شكسبير فولتير ذو قلب وبلزاك نواسي وعى الحياة ، وطلق الخمرة.

يشذ بلزاك عن قاعدته المادية ، ومبدأه احياناً ، فنرى العالم « كلايس » يضحي بكل شيء ، في سبيل عاطفة نبيلة ، هي انتصار العلم في شخصه ، واكتشاف « المطلق» ، ولكن آلامه ، وحسراته ، ومضايقات اسرته، ومنظر زوجته الصامتة الكئيبة، ونظرات ابنته الطاهرة الضحية، كل هذا ينتزع من نفس« كلايس» الشعور بجمال تضحيته لانها لم تعد ذاتية مجردة ، وعظمتها زالت باشتراك « الغير » فيها . فيموت شقياً فاشلاً .

ونحن نألف اشخاص بلزاك وشكسبير ، ونحبهم ونتبناهم ، لاننا نتفق كما يتفقون ، ونحيا كما يحيون ، ونجاهد كما يجاهدون، ونحب ، ونشقى ونيأس ونقع في المآزق ونتخلص منها ، مثلهم ، بنفس الجروح والاسلاب والذكريات. نحن نألف هؤلاء الاشخاص لاننا نتصرف مثلهم ،فاذا أحبينا، أشهدنا السماء والنجوم والاشجار على يأسنا وحبنا وعواطفنا ، وسبب الخيانة كامن في نفوسنا ، والنهاية تعدها قلوبنا . اننا نجد في اصطخاب هؤلاء الاشخاص وتلجلجهم في مهاوي الشهوات والعواطف صوراً لحياتنا وبعثاً لاعماق ضمائرنا ونفوسنا .. اننا نعطف على مجرمي وضعفاء وضحايا شكسبير لاننا مجرمون وضعفاء وضحايا احياناً ، وبالاختصار نحب في ابطال شكسبير وبلزاك الانسانية المعذبة ، فينا اولاً ، وفي شهدائها وابطالها وسفاحيها وضحاياها ثانياً واخيراً . .

فبكثير من العطف والشوق والانتباه ، نراقب بطل بلزاك منتصراً في السوق، او رجلاً من رجال الارادة والعمل جاهداً في اسواق باريس ومجتمعها لينال الشهرة والثروة والوزارة ، وبكثير من الارتعاش والمحبة ، نلاحظ في مسرحيات الشاعر الانكليزي ، ذلك الرجل المكتمل ، فارساً كان او اميراً او عاشقاً ، ينتظر هلعاً مريداً ، على خشبة المسرح ، انفجار العاصفة ، ليقيس قوته بقوتها، اننا نتحسس قوانا ايضاً ، والمأساة تحمل الينا العبرة لانها تدلنا على مكامن القوة في مصارعة الاهوال والمقادير والعواطف، ولان الانسان غالباً ما يصرع ، وسط عواطفه وآلامه وكبريائه ومجونه .

انذر الشاعر الانكليزي بأدب ما فوق الطبيعة Surréaliste انذاراً خفي معناه على فولتير فضاق بساحرات شكسبير واشباحه في هاملت ومكبث ، ولكن هذه اللمحات الوجيزة المحمومة الخيالية ، مهدت الطريق لوليم بلايك وبودلير وادجار بو . . اما بلزاك فكتب « لويس لامبير » مرهصاً « بكافكا »وما ترلنك الشاعر . وستلعب هذه القصة الغريبة تعبيراً ومعنى ، دوراً كبيراً في توجيه المخيلات الشاعرة المريدة في المستقبل .

ان اكثر كتاب المسرح، بعد شكسبير ، عالة عليه. لا يرون جمالا غير جمال مسرحه. وتلاميذه، كما يعلم القراء،هم هيجو وروستان وفيني وموسيه وشوقي ، وشوقي اضعف تلامذته على الاطلاق ، وقد افاد « سعيد عقل » من التلمذة على راسين وغوته اكثر مما افاد شوقي من شكسبير . وليسمح لي القارىء بشيء من الاستطراد فاقول ، مخلصاً لضميري، ان « بنت يفتاح » تثبت، عند المقارنة ، لاية مسرحية سوفوكلية او راسينية او إبسنية .

اما تلامذة بلزاك ، فديماس الصغير ، وموباسان . وزولا . ولا نورد الا اسماء المشهورين الخالدين .

لم تكن لشكسبير وبلزاك افكار اجتماعية اخلاقية او جمالية ذاتية يدافعان عنها ويعيشان ويموتان في سبيلها ، ولكنهما جاهدا في جهاد اشخاصهما، وعاشا قلباً وروحاً وجسداً ، لذلك الخلق الكبير الكامل ، وسجلا اسميهما في سفر الخلود . وهما فيلسوفان ماديان واقعيان صورا الوجود كما هو ، ولكنهما قدما لنا شيئاً لا تقدمه الفلسفة : اسطورة العواطف ، وشاعرية الحياة الاجتماعية .

محمد عيناني

صورة وصفية

•

نجمة

بقلم وديع فلسطين

•

☆☆☆

قلب كبير هو قلب « نجمة » ، ونفس باذخة هي نفسها ، واخلاص بريء من الشوائب هو اخلاصها ، وحياة فضلى هي حياتها . تطالعك ابداً بوجه بسام وتبدهك دأباً بروح مرح ، وتلقاك دائماً وهي على شوق حتى وان كنت ودعتها قبل ثوان . وما ذلك الا لصدق طويتها وسلامة مشاعرها من المظان ، وخلوها من صغائر الحياة وكبائرها معاً .

« نجمة » فتاة مجالس وسُمّار ، اذا اقتعدت مكاناً بين خلان كانت صاحبة الصدارة في كل شيء . فهي تبادىء بالكلام الرشيق ، وترود بالملحة الطريفة ، وتروي الطرف الادبية والتاريخية ، وتنهض على خدمة الصحب فتقدم لهذا ريّ ظمأ ، وتمنح ذاك فطيرة مما صنعت يداها ، وكم صنعت ، وترعى الجميع ملبية لكل حاجته . فهي سيدة دار ، وفتاة مجتمع ، وزهرة من تلك الزهور التي اذا تقلدها المرء باهى بها .

عبثاً تحاول الايام ان تمحو من ذاكرتها رؤيا حبيبة ، وعبثاً تفلح الدنيا في ثنيها عن معتقد اعتقدته . فاذا امتدت بينك وبين نجمة حبال مودة في مجتمع من مجتمعاتها ، أنست الى صحبتك ، وتابعتك بالسؤال والتسآل ، ووالتك عن بعد او عن قرب بأسباب المحبة الخالصة . وانك لترى آيات حبها ظاهرة في كل من التقى بنجمة ولو لقيا عارضة . هذه شملة من المخمل الشفيف تطوق عنق ذياك الصديق أهدتها له نجمة . وهذا قميص صنع من صوف نسجته يدا نجمة . وهذا نقش بديع في طرف منديل رسمته انامل نجمة . وتلك قصيدة من در الشعر جمعت حباتها « نجمة » في قلادة واحدة لتمتدح واحداً من رفاق محبتها . وكيف لا وهي ذات قلب كبير تعطي ولا تنتظر لقاء ، وتمنح في غير طمع في مثوبة ، وتهب في سخاء وان أمسكت محن الحياة بتلابيبها .

هي ذات سوار ، ولكنها لا تلطم بل تعرف الى الصفح دروبه . وهي ذات اباء فلا تحتمل سماع كلمة ايذاء ، وهي تصارح وتجاهر فتمقت الكتمان وتمجّ المداورة والمناورة . وهي ذات استقامة في معاملاتها ، فتقول كل ما تضمره نفسها ، أمينة غاية ما تكون الامانة ، دقيقة غاية ما تكون الدقة ، عفيفة غاية ما تكون العفة ، مسماحة غاية ما تكون السماحة . تحذر الرياء لان ثوبه شفيف ، وتناوىء الخدع والمداهنات وسياسة الوجهين ولها من وجهها المعبّر القوي التعبير ، ومن تقاطيعها الحلوة الباهرة ، ومن قوة ذاتيتها ما يحملك على ان تبادلها احتراماً باحترام ، وتمنحها ما هي خليقة به من توقير وتجلة .

هوايتها هي هواية كل مترفع عن الدنايا ، واعني بها عشق الادب . ففي الادب تجد عزاء اذا التمسته ، وفيه تجد متعة ان افتقدتها ، وفيه ترى صور الحياة بألوانها ومناحيها بغير ان تبرح مقعدها ، وفيه تصادق اناساً من العظماء ، فتطارح شوقي قلائد الشعر ، وتردد قصائد خليل مطران في شجى ، وتعيد انشاد ما نظمته عائشة التيمورية ، وتحفظ في ذاكرتها الواعية بضعة آلاف من ابيات الشعر تستعين بها على اضفاء روح الفكاهة والملاحة على كل حلقة سمر تشهدها .

قولوا لهذه الفتاة «نجمة» ان لها عروشاً في القلوب . فقد تأصلت جذور مودتها في شعاب القلب ، ونمت شجيرات غرس حنانها فأينعت واثمرت ، وانطلق بعض من نفسها يغزو نفوس الآخرين . انها فتاة يتمنى كل امرىء ان ينتقيها بين اقربائه ، ولكن ذوي القربى لا ينتقون بل على المرء يفرضون ، ورغم انفه يُنسبون اليه . ولو كان الناس يتخيرون افراد عائلاتهم بأنفسهم لبدل حال الدنيا تبديلاً ، لان قرابة الجسد والدم أوهى وأهون من قرابة الروح والوجدان .

قولوا لنجمة انها فارسة فاتحة ، لانها تستطيع بغير مهر أغر محجل ان تغزو قلاع النفوس الصلاد ، وكيف يصمد امام سحر حديثها حصن مهما ارتفعت متاريسه ، وكيف يصاول قوة حبها الغامرة قوة مهما بولغ فيها ، وكيف لا تلين القناة ونجمة تعرف كيف تعجم الاعواد ؟

قولوا لنجمة : أنتِ ذات دهاء ، ولكنك لا تسخرينه الا في ايتاء الخير والبر بصاحب الحاجة . فدهاؤك هو الذي أملى عليك ان تصنعي لنفسك طاقة من خيار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شومان

صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم جبران خليل جبران

●

روبرت شومان قبس من قبسات النبوغ وشعلة من شعلات الابداع ، ومضة من ومضات الرومانتيكية . نثر كنانة عبقريته الخلاقة ، والهامه الفذ ، مترسماً خطى النغم التائه شوبرت وحاملاً من بعده مشعل الموسيقى يقوده في خضمها الحب والفن والجمال .

ولد في مدينة ساكس من مقاطعة زويكو عام ١٨١٠ وكان ابوه رجلاً من عامة الناس بسيطاً يشتغل ببيع الكتب ليؤمن قوت اسرته الصغيرة . وحين رزق بابنه هذا حلقت به أحلامه ، وقذفت به خيالاته الى مستقبل ابنه لما يغدو رجلاً ضليعاً في القانون ، وقطباً من اقطاب الحقوق المعدودين .

وفي جو عائلي هادىء ، حافل بالآمال ، زاخر بالرجاء ، عامر بالايمان ، شب شومان الطفل ، وتدركنا حيرة سعيدة من تلك الصداقة المتينة التي ارتبط بها مع البيان والتي حولت اليه انظار امه وهو بعد ما زال في السابعة من عمره وارتأت هذه الام الحكيمة ان تنهج بوحيدها وفق رغباته وميوله ، وكان كثيراً ما يخترع ازعاماً لا عهد لاحد بها . فينطلق في الغرف على سجيته مستغرقاً ومنقاداً لهواجسه لينقطع فجأة بعد حين مصيخاً بسمعه كأن به مساً ومحدقاً عبر فضاء الغرفة كالمخبول ، ثم لا يلبث ان ينفتل نحو امه يسألها بسذاجة : الا تسمعين شيئاً عجيباً يا اماه ، الا تسمعين دوياً وطنيناً . . . طنيناً مزعجاً ؟ . . .

وتحتضن الام طفلها بحنو شديد وتمرغ وجهه بصدرها وقد هالتها

الاصدقاء تسخرينهم جميعاً بغير ان تأمري ، وتستعمرينهم جميعاً بغير ان يرتفع بالمعارضة صوت ، وتستحوذين على مشاعرهم جميعاً وهم رهن يمناك . انت اذن قائدة لهذا الجيش ، وانت تكسبين المعارك بدهائك الذي لا سبيل له الا سبيل الخير .

ألا ما اسعد الانسان بهريده ، وما اسعده بالطائرات تنقله اليه . فلولا مارقات الجو ، ولولا دور البريد لتعذر على الناس ان تعرف الناس وتقف منهم على جلية انبائهم . فقد ركبت نجمة ذات يوم متن الهواء الى حيث الجبال الشم والارز المتعالي والثلج مكلل الهامات . ولكن انباءها ما انقطعت لان الطير نفسه يعود الينا برسائلها لتتغذى نفوس تجوع بالفراق . لكأن الطائرة هزار يعود الى فراخه والحب في فمه ، وهو لا يعود ابداً فارغاً . وتمضي الايام فما تزيد الشوق الا حرارة ، وما تزيد الشعلة الا التهاباً .

اذا وهى الحب فالهجران يقتله
وان تمكن ، فالهجران يحييه
صغيرة النار عصف الريح يطفئها
ومعظم النار عصف الريح يذكيه

ان « نجمة » تضيء ، وتضيء دائماً . وهي في سماء لا تفنى ولا تحجبها سحائب صيف . وهي وضاءة سواء شط المزار او تدانى . ومن عود الآخرين على التضحية الباذلة ، والعطاء السخي ، والعاطفة المسكوبة ، والروح الهائمة في أفنية الرحمة ، نقش اسمه على صفحات القلوب وان قدت من صوان ، ورفع نفسه من حيث شاء ان يضعها .

فريدة انت « يا نجمة » في بابك . فريدة في خلقك واخائك . فريدة في حبك ووداك فريدة في حياتك ووفائك .

وهذه قلادة من اقحوان لعلها تستطيع ان تطوق جيدك ، حيث تكونين .

القاهرة — وديع فلسطين

الفكرة التي برقت في خاطرها عن الجنون الوراثي ، فجده كان مختلاً .

وتمضي الايام والشهور والسنون ، وهذه العلة ما زالت تظهر وتختفي بصداعها وآلامها وطنينها المرهق وروبرت ووالداه لا يملكون حيالها شيئاً .

وأخذ ينطوي على نفسه ، ويبالغ في اخفاء هذه الظواهر عن الصحاب وافراد اسرته ، هذه المزعجات التي لا تهاجمه الا حين يختلي بسميره المعزف ، صديقه منذ طفولته .

وفي عام ١٨٢٨ وكان قد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، اضطر رضوخاً لمشيئة ابيه ان ينتسب لجامعة ليبزج ليختص في القانون الذي يتوق ابوه الى تعليمه اياه ولكنه كان عازفاً عن الدراسة ، سئم منها وملها فاغاني شوبرت تملأ رأسه وتفكيره . وموسيقى بتهوفن تموج في اجوائه وروحه والحان ليزت تهزه هزاً وتلهمه انغاماً وعبقريته تضج في عروقه بصخب تبغي الانطلاق وتصيح به : انك خلقت فناناً يا شومان . . . خلقت موسيقياً لتخدم هذا الفن ليس الا .

وترتاح نفسه لهذا النداء الذي يتيه في اعماقه ويهيمن على احساسه ولكن الاسى سريعاً ما يغمر نفسه ، والحزن يستولي على مشاعره حين يتذكر والده . وكتب القانون التي تربض على منضدته ، ويهوله منظرها فيفزع الى امه يبثها لواعج آلامه ، ومفاتن آماله في الحياة . وتصطدم امه الطيبة بنقاش حاد مع ابيه ينتهي برضوخه لمشيئتها ، ولكنه يعرب لابنه عن عدم رضائه لهذا الامر .

وهكذا هجر روبرت الجامعة وبدأ دراسته الموسيقية على الموسيقي فييك Wieck الذي اعجب بمواهبه الفياضة المتدفقة وبآرائه عن الفلسفة في الموسيقى وكيف يجب ان تكون وقد نشرت آراؤه هذه في اكثر الصحف والمجلات الموسيقية التي كانت تصدر آنذاك .

ومرت سنوات وشومان منكب على دروس استاذه يصقل بها نبوغه البكر ، ويهذب آراءه ونزعاته المصطرعة في ذاته . اما فييك فقد وجد به ضالته المنشودة التي يفتش عنها ليخلق منها شيئاً مذكوراً يقدمه للانسانية الظمأى للانسانيين ، ومن اجل ذلك افرد له احدى غرف المنزل وما زال يلح به حتى قبل ضيافته .

ومن بين جدران هذا البيت كانت تنبعث انغام اخرى لشومان لا عهد له بها . انغام كان يرددها قلبه الثمل بنشوة الحب فقد عشق واحب (كلارا) ابنة استاذه واحبته بجنون ، وكانت فنانة مثله تعزف البيان ببراعة واعجاز قل من يشاكلها في زمانها ، واستطاعا بادىء ذي بدء ان يكتما هذا الامر ، ولكن الحب . هذا السحر العجيب كان قد بلغ الذروة وما كانت الحياة تكتب له لو بقي طي الكتمان ، فلقد عثر فييك بين قطع شومان الحديثة التأليف على قطعة بعنوان حلم مهداة الى ابنته وقد كتب تحتها : انت روحي ، سعادتي .

كان اللحن عاطفياً ملك على فييك لبه ، على انه ما لبث ان طرد عنه نشوة اللحن الحالمة ، وانطلق يبغي شومان الذي جابهه بالحقيقة التي لا مفر منها طالباً منه يد ابنته مما ازعج هذا استاذه الذي كان يرى ان الوقت لم يحن بعد لذلك ، وان على شومان ان ينصرف افنه فيتضرع اليه بقوله : يجب ان تبقى لفنك يا شومان . . انك ما زلت في البداية . اني سأمانع في زواجك من كلارا حتى تصبح ذلك الموسيقي الذي اطمح اليه .

ولكن الحبيبين كانا قد اعتزما ان يغرفا خمراً من غرامهما العنيف فتزوجا سراً واخفيا هذا الامر عن فييك حتى قيض له من اخبره بالامر ففوجىء بذلك ، وانفجرت براكين الغضب في صدره ، وثار لكرامته فطردهما مع آمن الدار ، عوضاً من ان يبارك زواجهما ، طردهما والدموع تترقرق في عينيه فقد كان يحب تلميذه كما يحب ابنته ولكنه قال : لقد حكم شومان على نفسه بالفناء . . لن يصبح ذلك الموسيقي الذي اتوق اليه .

وتدور عجلة الزمان دورات اربع والحبيبان ما زالا متواريين عن الانظار يجوبان اوروبا بحثاً عن العمل الذي وجد فقط بشخص زوجه كلارا التي كانت سلم شهرته فيما بعد . وكان كثيراً ما يضم زوجه اليه ، ويهمس من اعماقه : كلارا . . حبيبتي ، لو يعلم ابوك الجلف بأني اضم موسيقاي الى قلبي الآن . لو يعلم ان الاغاني التي يشدو بها الناس في كل مكان هي من وحيك لعض اصابعه ندماً .

في سنة ١٨٤٣ حين اسس مندلسون الموسيقار الشهير المعهد الموسيقي لمدينة ليبزج عين شومان استاذاً في المعهد المذكور فاختص في المرافقة والتوزيع الموسيقيين ، على انه لم يستمر طويلاً في ذلك فقد عافت نفسه التدريس بعد ان اصطدم مع مندلسون فهجر المعهد ثم ليبزج الى درسد ولكنه لم يمكث بها طويلاً فرحل عنها الى دسلدورف واخذ يشتغل بتدريس الموسيقى زمناً ، كما عاد الى نشر مقالات في نقد موسيقى اشهر المؤلفين ، ورغم هذا كله فان مرضه المزمن بدأ يظهر عليه بوضوح عقب خصامه مع مندلسون ، فبات عصبي المزاج ، يغضب لاتفه الاسباب ، وتثور ثائرة نوباته العصبية بشدة ، كلما تذكر ماضيه القريب . . عنت ابنه وصلفه وطرده اياه من المنزل حين عاد اليه فيما بعد ، ثم قساوة حميه ، وحماقة مندلسون وشجاره معه ، فتضطرب هذه وتصطرع في ذاته اصطراعاً ساعد على اشعال الداء في رأسه . . هذا الداء الذي ورثه عن جده ، والذي لم

تنفع معه علاجات الاطباء.

وتفاقمت نوباته الغريبة وازدادت شدة حتى تركه تلاميذه الواحد تلو الآخر مما جعله يتلمس الرزق في مدينة بون Bonn مسقط رأس بتهوفن. وهناك في هذا الخضم من اوجاعه ومصيبته ابتدأ بتأليف اوبراه الاخيرة فاوست، وكان تشجيع كلارا حافزاً له على انهاء تأليفها.

على انه حين هجره تلميذه (براهمز) تمكنت منه عقدة نفسية فزعزعت ثقته بنفسه كموسيقي ، فقد اعتقد ان تلميذه تركه لان معلوماته بسيطة وابتدائية ، ولكن الحقيقة ان براهمز احب زوجة استاذه وعشقها حتى العبادة مما جعله يفضل الابتعاد بجبه عن المنزل كي لا يؤذي شعور استاذه.

وكان ان خرج شومان في جوف الظلام الدامس ليحدق طويلاً في ماء الرين الصاخب بأمواجه ، ثم قفز الى احضانه ليلفظ انفاسه مع آلامه التي ارهقته. ولكن قدر له ان لا يموت غرقاً فقد انتشله بعض النوتية الذين كانوا يجوبون النهر.

ولم يستطع حين احس بالحياة ثانية ، ان يمنع عن رأسه اليأس الجاثم على صدره ، وذاك الدبيب المروع الملتهم دماغه وافكاره لقد حاولت كلارا ان تغذي قلبه بالتفاؤل ، وان تشيع في نفسه الامل ولكنها اخفقت لان القضاء كان محتوماً ، ففي احدى ليالي عام ١٨٤٩ بعد ان استرسل في العزف كعادته في غنائيته (فاوست) صرخ مرتاعاً في الظلام المحيط به ، واسرعت زوجه اليه لتراه قد فقد عقله واصبح مجنوناً. ونقل في اليوم التالي الى مصح (بون) للعقول المريضة.. نقل الى هناك حيث قضى نحبه فيه عام ١٨٥٦.

كتب شومان كثيراً من القطع الموسيقية المنوعة من ملاحن وثلاثيات وكونشرتو وافتتاحيات وغنائيات وقطع خاصة للمبتدئين واخرى للبيان واشهر معزوفاته هذه الملحنتان : الاولى والثانية ، والكرنفال والفراشة، نقوش او زخرفة عربية ، وغنائيتا جنفياف وفاوست وهذه الاخيرة تعتبر من ازوع الغنائيات العالمية، وقيل بأنه عثر مؤخراً على اجزاء جديدة منها، ويدرسها الآن كبار الموسيقيين لاخراجها اذا كان بالامكان ذلك.. وعدا هذه المؤلفات الضخمة وضع كثيراً من الحان الليدر واشهر هذه الالحان حياة الشاعر حياة وحب امرأة ، اغنية الطحان ، الجنة والفناء ، حياة وردة.

ولقد نشر ايضاً سلسلة من المقالات اللاذعة النقد عن الموسيقيين ومؤلفاتهم . تناول بها بالقدح والذم جميع موسيقي زمانه. على ان الموسيقي الوحيد الذي سلم من عقر لسانه (شوبرت) فقد قال عنه : يستطيع هذا الفتى ان ينطق فأساً بالحانه. ويقال ان السبب الوحيد الذي دفعه الى كتابة ذلك — كما يرى نقاد الموسيقى — ميله الفني لالحان الليدر التي كان شوبرت يجيد سبك انغامها وفق كلماتها. كما ساعد بمقالاته على اشتهار موسيقيين ممن تتلمذوا على يديه او تعرفوا اليه واشهر هؤلاء : برليوز، واغنر ، شوبان ، براهمز حتى انه كتب عن هذا الاخير قائلاً : اما براهمز فهو المسيح الجديد الذي تنتظره الموسيقى بعد بتهوفن.

ولقد اعتقد البعض انه يبالغ في اطراء مواهب تلاميذه ولكن الحقيقة سرعان ما ظهرت وعرفوا ان شومان كان على حق في قوله ولم يكن يغالي فيه قط.

لقد طغى جميع هؤلاء الذين مر ذكرهم على اسمه واضاعوا شهرته التي سهلها لهم ، وكان لا يكتم اعجابه بليزت ومندلسون ولكن الاخير لم يكن يبادله اعجابه كما ان ليزت وبراهمز كانا يحبان زوجه حتى ان كلارا رفضت الزواج من براهمز حين طلب يدها بعد وفاة زوجها وبقيت مقيمة على ذكراه.

لقد مات شومان، ولكن الحانه بقيت حية ترددها الالسن، وتهمس بعظمة مؤلفها الشفاه ، لقد قال عنه النقاد انه كاتب وناقد اكثر منه موسيقياً ولكن الحقيقة انه استطاع ان يجمع الاثنتين معاً وان يبز اقرانه ويفوز عليهم.

هكذا دوماً شأن العبقريات المغمورة، تكتشف بعد زوالها، ولكن التاريخ يأبى الا ان يظهرها على حقيقتها كي تتم فصول مهزلة حياتهم التعسة.. لقد اهملوا شومان في حياته ، ولكنهم اليوم يتسابقون بتخليده الهاً من آلهة الفن الرومانتيكي.

دمشق — صميم شريف

مجموعات الاديب

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة		ليرات	جنيهات	دولارات
الاولى	١٩٤٢	٣٥	او ٤	او ١٦
الثانية	١٩٤٣	٢٥	» ٣	» ١٢
الثالثة	١٩٤٤	١٥	» ٢	» ٧
الرابعة	١٩٤٥	١٥	» ٢	» ٧
الخامسة	١٩٤٦	١٥	» ٢	» ٧
السادسة	١٩٤٧	١٥	» ٢	» ٧
السابعة	١٩٤٨	١٥	» ٢	» ٧
الثامنة	١٩٤٩	١٥	» ٢	» ٧

غرام نابليون في سانت هيلانة

عن الكاتب الفرنسي ج. لنوتر

مقدمة

في مأساة جزيرة «القديسة هيلانة» المؤلمة المروعة، لحن مسعد بطراوته انبعث من وجود فتاة ضاحكة لعوب، قرب نابليون، في ايامه الاخيرة. وحين تحدث «ج. لنوتر»، احد الادباء الفرنسيين المعاصرين، عن ايام نابليون الاخيرة، بما فيها غرامه الاخير المجهول هذا، نقل بعض ما تركته الفتاة من مذكرات تصف الفترة السعيدة من ايام صباها، ملقياً على صورة البطل الفرنسي، ضوءاً ناعماً جديداً.

***

كانت فتاة «نابليون»، كما وصفها معاصروها، في الرابعة عشرة من عمرها، صغيرة القامة، لامعة العينين، تجمع الى براءة الصبا، دهاء المرأة المستقلة، وتبدو مكتملة رغم سنها وقصر ثوبها. وكانت تدعى «اليزابت» او «بتي» اسمها المصغر.

اما والدها، المستر «بلكومب» فكان يمارس في «الجزيرة» مهناً مختلفة. ادارة المصرف، وتسليح السفن، وشحن البضائع ومحاسبة شركة الهند، ويتمتع في الجزيرة بنفوذ منشؤه عطف الوصي على عرش بريطانيا، ونزول امراء البحر في حلهم وترحالهم، عنده، لانه كان يمارس، الى جانب مهنه العديدة مهنة صاحب فندق.

وقد خصص لذلك، في دارته الضائعة بين ادواح الحديقة المترامية، جناحاً انيقاً صغيراً، يفضله السائحون النبلاء على نزل «جيمستون» البورجوازي الوحيد.

وكان المستر «بلكومب» يعيش، في تلك الدارة الجميلة، مع امرأته وابنته، «جوني» و«بتي»، اما جوني ففي السادسة عشرة من عمرها، على حظ وافر من الجمال والهدوء والاتزان، فما ابعدها، في صمتها وابتسامتها الرزينة، عن اختها «بتي».

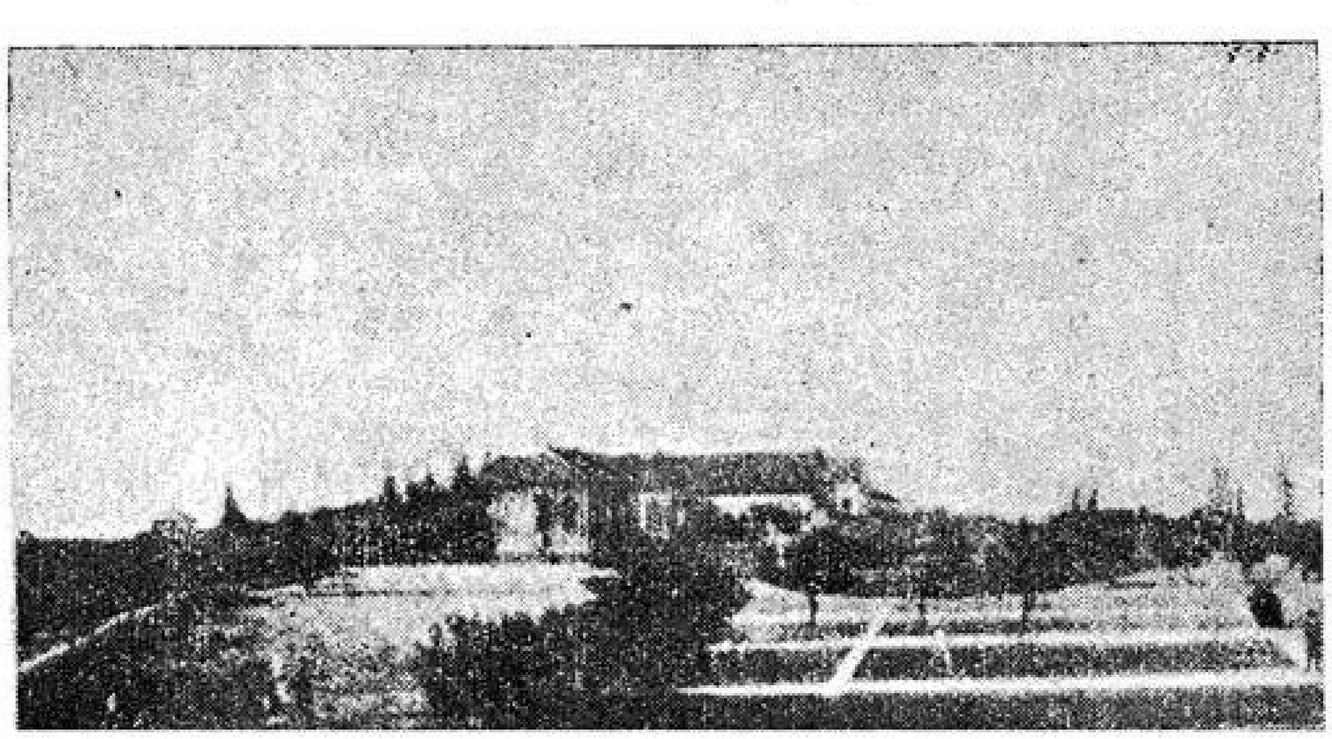
لم تؤثر في «بتي» قساوة والديها، ولا توجيهات المربين، فاحتفظت بعنفوانها وتوثبها وحريتها، فهي لا تكف عن الجري والرقص والصراخ، والاندفاع في حديقة المنزل الفسيحة، تاركة لاشواك الورد والعوسج، نتفاً من اثوابها الثمينة، وهي تهمل دروسها مفضلة عليها الرقص والعزف على القيثار..

نبأ يبعث الذعر

في تلك الايام، كانت «جزيرة القديسة هيلانه» تنعم في هدوئها وعزلتها، ولم يكن يعكر صفوها اخبار الملاحم والحروب الاوروبية ولا عودة نابليون الى شواطىء فرنسا، او هرب لويس الثامن عشر او معركة واترلو.

وفي ايام اكتوبر الاولى، زار ضابطان انكليزيان، قدما حديثاً من اوربا، المستر «بلكومب»، وحملا اليه نبأ بلغ من هوله

منظر عام لمنزل وحدائق لونجوود



وغرابته مبلغاً جعل المستر بلكومب يردده عدة مرات ، قبل ان يفهمه . اما ابنته « بتي » فكانت تتصل بكل الاوساط في الجزيرة ، وتزور مختلف البيوت ، فتسأل هذا ، وتناقش ذاك ، ولذا فانها علمت ، قبل والدها ، ان البريطانيين اسروا نابليون ، وان قادة اوروبا قرروا نفيه الى بقعة نائية ، لا يستطيع منها خلاصاً ، وان النسر الفرنسي سيصل الى جزيرة « القديسة هيلانة » مع بعض قواده ومرافقيه الاسرى ، وان ثمة جهوداً تبذل ، في الجزيرة للبحث عن مأوى منعزل حصين، ليكون سجناً لنابليون .

ولم تكن « بتي » مطلعة على شيء من التاريخ المعاصر ، ولا التاريخ القديم ، بل كل ما القي في روعها عن نابليون، مع لداتها الفتيات الانكليزيات ، هو انه عملاق ضخم مرعب ، بل هو غول جبار، في وسط جبهته عين ملتهبة حمراء. وفي فمه اسنان طويلة ناتئة، وهذا الغول يغتذي عادة بالاطفال ، وهو طاغية بربري ، لا تربطه بالانسان اية رابطة، متوحش، ملأ الدنيا بجرائمه وفظائعه وضحاياه. ولهذا دهشت الفتاة كل الدهشة ، حين لاحظت الهدوء الذي ران على وجه والدها حين تلقى نبأ قدوم نابليون الى الجزيرة، ولكنها سرعان ما فسرت هذا الهدوء، وعزته الى بطولة والدها ، وفي اليوم التالي اعلن المدفع قدوم « النورثمبرلاند » السفينة التي اقلت نابليون من اوروبا ، فهرع المستر « بلكومب » الى المرفأ ، وصعد الى متن السفينة ، ثم عاد الى المنزل ، وتقدمت « بتي » من والدها، خائفة، يدفعها الفضول وتردها الرهبة ، ثم هتفت :

— بابا . . . هل رأيته ؟

لا . ان المستر « بلكومب » لم يره، بل قدمه الضباط الانكليز الى رجال وسيدات لا تبدو عليهم مظاهر الوحشية والترويع . .

اما بونابرت فسينزله الحراس الى البر ، ليلاً ، ويضعونه في مكان ما ، ريثما ينتهي العمال من تحصين منزل « لونجوود » القديم ، حيث قرر حاكم الجزيرة حبس النسر .

وفي فجر اليوم التالي، اكتظ المرفأ بالجماهير من سكان الجزيرة وبينهم اسرة « بلكومب » وقد اتوا من منازلهم النائية، ليشهدوا هذا الحادث العظيم .

ولم تر « بتي » لخوفها — وقصرها — كبير شيء . بل لمحت مركباً يحاذي الرصيف ، وجنوداً ينتظمهم صف واحد ، وثلاثة رجال يمرون مسرعين : امير البحر « كوكبرن » والماريشال « برتران » وبينهما البعبع ذو السحنة المخيفة الغامضة ، المتخذة من الليل ستاراً ، ولمحت « بتي » ايضاً، على صدر الفرنسي الجبار لألاء نجمة من الماس ، ثم تدافع الناس متناكبين ، واخذ الجنود يردون الفضوليين من الناس ، ولم تعد بتي تبصر شيئاً . وآن أوان العودة الى المنزل ، فعادت « بتي » هلعة ، تحمل معها شبح الفرنسي اللعين، وجلست في الحديقة ، تودع ذكرياتها الناعمة الحبيبة ، لان الراحة والامان والرضى زالت جميعها بقدوم الغول ، وستمنعها جولاته في الجزيرة من الضحك والرقص والغناء. ومن يدري فقد تمنعها من الحياة.

وفي تلك الليلة ، الم بالفتاة كابوس مخيف ، مليء بالصراخ والاشباح والتكشيرات .

وفي النهار التالي اتصل بها ان الغول بدأ نزهاته في طرق الجزيرة.

وجلست اسرة « بلكومب » وراء ترس من الاعشاب النامية والاغصان المتشابكة ، تتأمل الرجل الفرنسي ، بمنظار مكبر ؛ ورأته « بتي » على جواده، وعرفته من قبعته ذات القرنين الشيطانيين والجواد يخب به في طريق « لونجوود » فالامبراطور، يقصد، بدون شك ، زيارة معتقله المقبل ، يواكبه بعض الفرسان.

وغاب الموكب بعد قليل وراء منحنى الجبل .

وفي اصيل النهار نفسه ، ظهر الفرسان مرة ثانية قرب « جيمستون » ولم يلبثوا عند وصولهم، الى مفترق الطرق، ان توقفوا برهة ، وتشاوروا ، ثم يمموا وجوههم شطر دارة « بلكومب » !!

وبلغ الخوف في نفس « بتي » مبلغاً كبيراً، وكادت تعدو في الحديقة صارخة مولولة ، لولا ان المستر « بلكومب » قبض على ذراعها ، واقترب بها من شرذمة الفرسان المجتمعة قرب مدخل الدارة . وترجل الجميع — الجميع ما عدا « نابليون ». وعاودت الفتاة جرأتها ، وحظ صغير من فضولها ، فجازفت بنظرة الى الرجل الفرنسي المخيف ، فرأت ما اعجبها وادهشها : رجلاً غاية في الجمال ولم تكن تتصور من قبل ان الجمال الانساني يبلغ هذا الحد . وترجل نابليون، وقدم اليه الاميرال « كوكبرن » المستر « بلكومب » وابنته، وبعد ان اثنى الامبراطور على المكان ، واطرى المنزل ، والحديقة ، بكلمات رقيقة ، تقدم خطوات وجلس ببساطة ، على مقعد خشبي ريفي .

وعادت بتي تتأمل جمال هذا الزائر الخارق ، ساخرة في سرها من وساوسها الماضية ومخاوفها المستطيرة ، وذاب رعبها اعجاباً وتقديساً . فانها لا تتذكر وجهاً اجمل من هذا الوجه ، في شحوبه وسكونه ودقة خطوطه ، ونبل تعبيره ، اما عيناه، فتنضحان نفوذاً وبريقاً . وشعره البني المحاولك يشبه في نعومته الحريرية شعر الاطفال، وصوته الاخاذ الناعم موسيقى موحية تتسامى بالروح الى عالم نبيل.

وتكلم نابليون . فامتدح دارة « بلكومب »وجوها الساحر، وأبدى رغبته في سكناها . وسرعان ما اصدر اوامره باعداد جناح له في بيت « بتي » .

وجلس على العشب ، ونادى بتي لتجلس قربه ، فأطاعت وقد تضرجت وجنتاها بدماء الخجل والاكبار،وسألها بطل«اوسترلتز».

— اتعرفين الفرنسية يا « بتي ».

— نعم .

— ما هي عاصمة فرنسا ؟ — باريس

— وايطاليا ؟ — روما

— وروسيا .

— عاصمتها اليوم « بطرسبرج » وفي الماضي ، موسكو .

مجلة علم النفس

☆☆☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي
تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لاهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتسام في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٦٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ونهض نابليون عند الكلمة الاخيرة . مثبتاً نظرة ملتهبة على الفتاة المسكينة وسألها بلهجة بعثت في نفسها الهلع :

— من احرق موسكو ؟

وتذكرت ان من يتحدث اليها ، كان يوماً ما سيد العالم ، وبطل ملاحم تكاد تكون خيالية ، فعاودها رعبها القديم وقالت :

— لا . . ادرى . . يا سيدي !!

فانفجر ضاحكاً وقال :

— بلى ، بلى تعرفين هذا . . جيداً . . انا يا صغيرتي انا احرقت موسكو ، ولم تتمالك الفتاة من القول :

— انا اعتقد يا سيدي، ان الروس هم الذين احرقوها ليطردوا الفرنسيين . .

فعاد الى ضحكه ، وامسك بيدها ، وسارا في الحديقة ، يتنزهان، بينما اخذ الخدم يعدون الجناح للامبراطور .

وبعد الغداء ، جاء الامبراطور ، على عادة الجبان، ليزور اسرة « بلكومب » . ولما كان الجميع يجهلون الفرنسية فقد اتجه نابليون ببصره،الى « بتي » الصغيرةوراح يتحدث اليها عن مدرستها والموسيقى ، واهلها . . وطلب اليها ان تسمعه بعض الموسيقى فغنت له الفتاة انشودة ايكوسية Ye banks and braes واسمعها نابليون نشيداً حربياً لم تفهم منه الفتاة شيئاً ، اما هو ، فقدوقف، جامداً ، ثابت النظرة ، يحدق في الابعاد ، وكأنه يشهد موكب انتصاراته حياً متدافعاً .

بعبع ذالت هيبته

هكذا

كانت علاقة نابليون الاولى بالآنسة « بتي » وبعدها صح فيهما قول احد المفكرين « يجب الا تلمس الاوثان المقدسة ، وإلا بقي اثر من طلائها الذهبي في يديك ».

فما انتوطدت علاقة الفتاة بنابليون وزالت من بينهما الكلفة، حتى اخذت عند كل مناسبة تركض الى حجرة الامبراطور ، وتقطع حديثه مع « لاس — كاز » (وهو المؤرخ الذي ترك للاجيال مذكرات نابليون في جزيرة القديسة هيلانة) . وبتي طروب لعوب وتريد ان يشاركها الامبراطور طربها ورقصها وغناءها ، بل هي تذهب الى ابعد من ذلك،فتنهى وتأمر في حاشية الامبراطور، واحس نابليون ان السماء قيضت له هذه الفتاة ، لتلقي في نهاية حياته الحزينة ، لحناً سعيداً .

وامرت « بتي » « نابليون » يوماً بمرافقتها ، فاطاعها باسماً

ورافقها في ارجاء الحديقة ، وتوقفت لحظة تقدم اليه خلالها عبـدا « سومطرياً » يدعى « طوبي » ، اختطف اختطافاً من بيته وعائلته واولاده الصغار، ليعمل في حديقة اسرة « بلكومب ».

وراق للفتاة ان تضع هذين الرجلين احدهما في مواجهة الآخر. وقدم نابليون للاسود شيئاً من النقود الذهبية ، فشكره ، وراح يقص عليه مأساة حياته بشيء من التطويل ، لم يسمح به ملك من الملوك ، لنفسه ، في حضرة الامبراطور . . وفي يوم من الايام ، زارت بتي صديقها العظيم ، ووضعت بين يديه لعبة كانت شائعة بين الناشئة الانكليزية .

وهي لعبة تصور نابليون مرتقياً سلماً تمثـل كل درجة من درجاته دولة اوروبية ، ثم ، حين يصل نابليون الى القمة، ويجلس على الكرة الارضية ، ينزلق فجأة من الناحية المقابلة ، عـلى ورقة بيضاء ، كتب عليها « واترلو » الى قطعة من الخشب تدعى « القديسة هيلانة ! » ولم يغضب هذا المزاح الامبراطور ، بل رأى فيه مادة غزيرة للضحك ، فترك الحديث عن امجاده الماضية ، وحمل اللعبة الى قواده ومرافقيه .

وكان « لبتي » صديقة من اترابها انقطعت عن زيارتها في منزلها خشية ان تلتقي بالغول. وكانت هذه الصديقة تدعى الآنسة « ليج » وتآمر نابليون مع صديقته « بتي » عـلى ارهاب الآنسة « ليج » وتمثيل مهزلة على حسابها . وتعهدت « بتي » باحضار صديقتها الى المنزل ، وتعهد هو بتمثيل دور الحيوان المفترس، عند هجومه على الزائرة ، وجاءت الصديقة في اليوم الموعود ، الى منزل « بلكومب » وسارت مع بتي في ارجاء الحديقة، تتلفت هنا وهناك. حذرة خائفة. وفجأة بدا نابليون ، نابشاً شعره . زاوياً ما بين عينيه . مزمجراً .

وصرخت الزائرة الصغيرة، رعباً وجزعاً، وحـاولت الهرب ، والمتبها نوبة عصبية، فجلست في الارض ، تهذي، واغمي عليها ، فحملها الخدم ، بعيداً عن مسرح الحادثة. وسر نابليون بهـذا النصر واراد ان يكون كاملاً. فاتجه الى « بتي » وصرخ صرخات مرعبة ليخيفها كما اخاف رفيقتها، ولكنها لم تعبأ به، بل راحت تضحك بشدة، ولم ييأس. فأعاد الصياح والشخير والاشارات المفزعة. ولكن عبثاً . فلم يبق له الا ان يقلد صرخة « القوزاق » الحربية ، ليؤثر في اعصاب الصغيرة ، ولكن جهوده ضاعت ضياعاً.

حزن نابليون ، حقيقة، لعدم نجاحه، وعبس في وجه صديقته ، وتولى عنها . .

ولكن الفتاة لم تكن لتسمح له بمفارقتهـا طويلا ، فعزمت على زيارته مصالحة منتقمة

وبعد ايام ، زارت بتي صديقها الفرنسي ، ولم يكن يومذاك مستعداً للهو واللعب ، اذ ركز طاولة عمله في الحديقة ، وانصرف الى مشاغله ومطالعاته ، وجاءت بتي ، بكلب قذر ، صاحب حيل عجيبة ، وذكاء نادر . . ودفعته الى مياه الساقية ثم اشارت اليه من طرف خفي ، فوقف على قيـد خطوة من نابليون وانتفض انتفاضة شديدة فأصاب الرشاش الموحل ، الامبراطور المستغرق في المطالعة . .

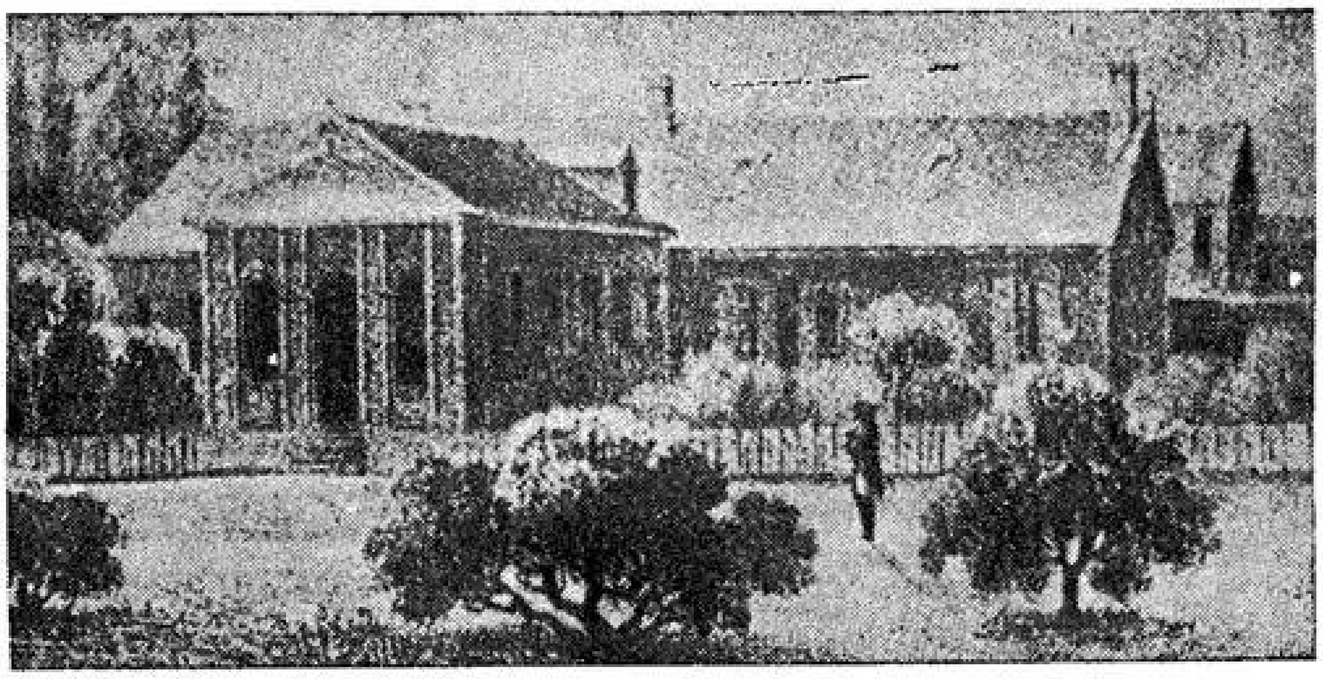
وقبل ان يفهم ما حدث ، تقدم الكلب اللئيم منه ، وراح يحتك به متحبباً .

وحكم المستر « بلكومب » في ذلك اليوم على فتاته « بتي » بسجنها اسبوعاً واسقط الامبراطور دعواه عنها، ولكن المجلس العائلي لم يستمع اليه خصما ولا مصـالحاً ولا محامياً . فقضت الفتـاة مدة سجنها في شقاء، يزورها اثناءها ملك الملوك، ويمد لها لسانه من بين القضبان الحديدية . .

لم تعرف « بتي » ، الا فيما بعد ، قيمة لهذه اللحظات الثمينة التي اتيح لها فيها ان تحيا الى جانب احد عظماء التاريخ ، وافترق الصديقان عندما تم اعداد سجن خاص « لنابليون » وشعرت الفتـاة بان فترة من فترات حياتها المليئة قد انقضت ، امـا النسر ، فأيـقن ان الشعاع الزاهي السعيد الاخير ، في مسائه الحزين، العاصف، قد اختفى الى الابد .

●

نابليون في سانت هيلانة



الى لئيمة !

●●●

.. ماذا لديكِ .. فعندي من راحتيك اعترافُ ا .
رسائـــل .. ورسوم تترى .. فماذا اخـاف ؟
اكوام حب .. فهـذا رسم .. وهذا غلاف ..
خزائني ، منـك ، ملأى بيض .. وزرق لطـاف
لا تحرجيني .. فثـأري ثأر ... ومني زعاف !.

***

.. وذاك .. رسم قديم اطـاره رفـافُ
رسم لنـا .. يوم كنـا بنـا تضيء الضفـاف
هنـا .. باحدى الزوايا امضـاؤك الشفاف
لا تهتفي .. ليس خطي فللسطور هتـاف !
الحرف حرفك .. فيـه تأنق .. والتفـاف ..
هذي وثائق حقدي وكلهـا اهداف !

***

.. وتصرخين .. « جبان » زورٌ .. وقولُ جزاف ..
انا جبـان ؟ .. سوادي ثلج .. وعهري عفاف ..

***

لا ، لن ينولك غيري وفي يديّ اعتراف ا..

نزار قباني

الوجودية عند سارتر

بقلم نهاد التكرلي

☆☆☆

الفلاسفة

الوجوديون قسمان المسيحيون ومن بينهم يسبرز وجبرييل مارسيل ممن يدينون بالمذهب الكاثوليكي والملحدون وبينهم يجب ان نضع هيدجر والوجوديين الفرنسيين وجان بول سارتر ، ولكنهم جميعاً يشتركون في الاعتقاد بالحقيقة التالية : وهي ان الوجود يسبق الماهية . او بتعبير آخر ان الذاتية « Subjectivité » هي النقطة التي يجب الابتداء منها . وسنحاول في هذا المقال عرض موجز للفلسفة الوجودية عند سارتر الفيلسوف والاديب الفرنسي المعاصر منوهين بالعناصر الرئيسية التي تتميز بها هذه الفلسفة .

لا شك في ان لكل موضوع ماهية ووجوداً . والماهية « Essence » هي مجموع ثابت من الخصائص ، اما الوجود « Existence » فهو نوع من الحضور الواقعي في العالم. والفكرة المعروفة لدى اكثر الناس هي ان الماهية تسبق الوجود . فالبسلة الخضراء مثلاً تنمو وتستدير طبقاً لفكرة البسلة الخضراء اي ان ماهيتها تسبق وجودها . وهكذا نجد ان هذه الفكرة — وهي ذات اصل ديني — منطبقة على جميع الموضوعات في العالم . وجان بول سارتر يوضح هذه الفكرة فيقول اننا عندما نمعن النظر في شيء مصنوع ككتاب او قاطعة ورق مثلاً نجد ان هذا الشيء قد صنعه صانع من مفهوم او معنى كلي « Concept » استوحاه. وهذا الصانع قد استند بالتساوي الى مفهوم قاطعة الورق والى سابق صنعة فنية للانتاج تشكل جزءاً من المفهوم وما هي في الحقيقة الا طريقة للعمل . وهكذا فان قاطعة الورق شيء يصنع على نمط معين وله في نفس الوقت فائدة محددة . ونحن لا نستطيع ان نتصور رجلاً ينتج قاطعة الورق وهو لا يعرف لاي غرض سيستخدم هذا الشيء ، ولذلك نقول ان الماهية بالنسبة لقاطعة الورق — اي مجموع الطرائق والصفات التي تمكن من انتاجها وتحديدها — تسبق وجودها وهكذا فان حضور قاطعة ورق او كتاب ما امامي محدود ومعين ، ومن ثم فنحن لدينا رؤية لصنعة فنية « Vision technique » للعالم نستطيع ان نقول معها بان الانتاج يسبق الوجود وعندما نتصور الهاً خالقاً نشبه هذا الاله في الغالب بصانع اعلى.

ومهما يكن المذهب الفلسفي الذي نأخذ به سواء أكان مماثلاً لمذهب (ديكارت) ام لمذهب (ليبنتز) فاننا نسلم دائماً بان الارادة تتبع التطور قليلاً او كثيراً او ترافقه على الاقل ، وان الله عندما يخلق يعرف بالضبط ما يخلق . ففهوم الانسان في ذهن الله مماثل لمفهوم قاطعة الورق في ذهن الصانع . والله اذن ينتج الانسان حسب طرائق فنية وتصور لهذا المفهوم كما يفعل الصانع تماماً عندما يصنع قاطعة للورق حسب تعريف وصنعة فنية. وهكذا فالانسان الفردي يحقق مفهوماً معيناً موجودا في العقل الالهي . وقد بقيت فكرة ان الماهية تسبق الوجود سائدة حتى في الحاد فلاسفة القرن الثامن عشر فهم عندما الغوا فكرة الله لم ينسوا فكرة تقدم الماهية على الوجود بل ابقوا عليها واننا لنعثر على هذه الفكرة في كل مكان تقريباً فهي موجودة عند (ديدرو) وعند (فولتير) وحتى عند (كانت) . فالانسان — كما يعتقدون — يمتلك طبيعة انسانية وهذه الطبيعة الانسانية التي هي المفهوم او المعنى الكلي الانساني موجودة لدى جميع البشر . اي بعبارة اخرى ان كل فرد بشري ليس الا نموذجاً مخصوصاً لمفهوم شامل هو : الانسان . اما (كانت) فيستخلص من هذه العمومية بان انسان الغابات وانسان الطبيعة هو كساكن المدن سواء بسواء وكلهم يقيدون بنفس التعريف

---

(١) كان اكبر ما اعتمدنا عليه في كتابة هذا المقال كتاب : « الوجودية نزعة انسانية L'Existentialisme est un humanisme » لجان بول سارتر

ويمتلكون في الأساس نفس الصفات والمميزات . وهنا ايضاً تسبق ماهية الانسان هذا الوجود التاريخي الذي نصادفه في الطبيعة .

وقد بقيت هذه الفكرة الفلسفية سائدة حتى جاءت الفلسفة الوجودية فقلبتها رأساً على عقب اذ قالت ان الوجود لدى الانسان — ولدى الانسان فقط — يسبق الماهية . والوجودية التي جاء بها سارتر وأخذ اصولها عن الفيلسوف الالماني (هيدجر) ملحدة لانها تنتهي من هذه الفكرة الى انكار المبدأ المبدع . وهي فلسفة جريئة متماسكة تحاول جعل الحياة الانسانية ممكنة وهي تعلن بان الله ان لم يكن موجوداً فهنالك على الاقل كائن واحد يسبق وجوده ماهيته . كائن يوجد قبل ان يمكن تعريفه باي مفهوم وهذا الكائن هو الانسان او هو الواقع الانساني كما يقول هيدجر فما المقصود بذلك ؟ ان هذا القول لا يعني سوى ان الانسان يوجد اولاً ويصادف نفسه ويبرز الى العالم، ثم يمكن تعريفه بعد ذلك . اي ان من الواجب على الانسان ان يخلق ماهيته الخاصة بنفسه فهو عندما يقذف بنفسه في العالم ويناضل ويتألم انما يعرف نفسه قليلاً قليلاً وان مجال التعريف هذا يبقى مفتوحاً دائماً . فليس باستطاعة احدان يقول ما هو هذا الانسان قبل ان يموت ولا ما هي الانسانية قبل ان تختفي من الارض . فالانسان كما يتصوره الوجودي ان كان غير قابل للتعريف فلانه ليس بشيء في بادىء الامر . انه لن يكون الا فيما بعد وهو سيكون ما يصنع من نفسه . وهكذا نجد ان وجودية سارتر تقول انه ليست هنالك طبيعة بشرية ما دام لا يوجد إلٰه يتصورها، والانسان ليس كما يتصور نفسه فحسب بل كما يريد نفسه كذلك وهو كما يتصور نفسه بعد الوجود يريد نفسه بعد هذه الوثبة نحو الوجود اي ليس الانسان سوى ما يصنع من نفسه .

ذلك هو المبدأ الاول للوجودية ونعني به الذاتية . وسارتر يقول ان ذلك لا يعني سوى ان للانسان مرتبة اعظم بكثير مما للحجر او المائدة مثلاً . والانسان عنده في بادىء الامر تصميم يرى نفسه بصورة ذاتية بدلاً من ان يكون طحلباً او عفونة او قرنبيطاً وليس ثمة شيء سابق لهذا التصميم . اذ لا شيء مفهوم في السماء والانسان سيكون اولاً ما قد صمم في ذلك الحين ان يكونه لا ما سيريد ان يكونه . اذ ان الارادة لدى سارتر هي قرار مدرك تكون لدى الغالبية منا لاحقة لما حدث نفسه بالذات . فانا مثلاً استطيع الانضمام الى حزب او تأليف كتاب او التزوج بامرأة وما هذ كله سوى اظهار لاختيار اكثر اصالة واقوى انبعاثية من ذلك الذي يدعى بالارادة .

ولما كان الوجود يسبق الماهية فان الانسان مسؤول عما يكون . وهكذا فان الخطوة الاولى لوجودية سارتر هي ان تجعل في حوزة كل انسان ما يكون عليه ثم تترك مسؤولية وجوده الكاملة تستقر على كاهله . غير ان سارتر عندما يبين بأن الانسان مسؤول عن نفسه لا يعني انه مسؤول عن فرديته بأضيق معناها بل يعني ان الانسان مسؤول عن جميع افراد الجنس البشري كما ان سارتر عندما يقول ان الانسان يختار نفسه يقصد من ذلك ان الانسان باختياره لنفسه انما يختار جميع افراد الجنس البشري ويضيف قائلاً : ليس ثمة عمل من بين اعمالنا لا يخلق في نفس الوقت الذي يخلق فيه الانسان الذي نريد ان نكونه صورة للانسان كما نقدر ان من الواجب ان يكون عليها . فاختيارنا لكوننا على هذه الحالة او تلك فيه تأكيد في الوقت ذاته لقيمة ما نختار لاننا لا نستطيع ان نختار الشر ابداً بل هو الخير الذي نختاره دائماً كما ان ليس هنالك شيء يمكن ان يكون جيداً بالنسبة لنا من دون ان يكون جيداً بالنسبة للجميع . فاذا كان الوجود يسبق الماهية ونحن نريد ان نوجد في نفس الوقت الذي نصنع فيه صورتنا فان هذه الصورة ستكون مقبولة وصالحة للجميع ولعصرنا بكليته .

وهكذا فان المسؤولية التي تظهرها لنا وجودية سارتر اعظم بكثير مما نستطيع تصوره لانها تلزم الانسانية باسرها . فلو اني كنت عاملاً — كما يقول سارتر — واخترت الانتماء الى نقابة مسيحية بدلا من ان اكون شيوعياً واردت ان ابين بهذا الانتماء ان الاستسلام هو في الحقيقة الحل الذي يلائم الانسان وان مملكة الانسان ليست على هذه الارض فاني لا الزم حالتي وحدها فحسب : بل اني اريد ان اكون مستسلماً لاجل الجميع ولذلك فان تصرفي قد الزم الانسانية بكاملها . ولو اردت — وهي حادثة اكثر فردية — ان اتزوج وانجب اولاداً فاني بهذا الزواج على الرغم من كونه يتعلق بموقفي او بهواي او برغبتي بصورة مفردة لا الزم نفسي فقط بل الزم الانسانية باسرها عن طريق الزواج بامرأة واحدة . فانا اذن مسؤول عن نفسي وعن الجميع واني اخلق صورة معينة للانسان الذي اختاره كما اني باختياري انما اختار الانسان .

وطبيعي ان هذا الانسان الذي يلتزم ويدرك انه ليس شخصاً يختار كونه فحسب بل هو في نفس الوقت مشرّع يختار ما يجب ان تكون عليه الانسانية باسرها . مثل هذا الانسان لا يستطيع الافلات من الشعور بمسؤوليته العميقة الكاملة . ولذلك فان وجودية سارتر

تعلن بان الانسان قلق. قد يقول البعض ان هنالك كثيراً من الناس هم غير قلقين ولكن سارتر يجيب ان هؤلاء الناس انما يضعون نقابا على قلقهم وهم يفرون منه . اذ لا شك في ان هنالك عدداً كبيراً من الناس يعتقدون بانهم عندما يفعلون لا يلزمون الا انفسهم . واذا ما قيل لهم :هبوا ان الناس جميعاً يفعلون مثل عملكم. فانهم يرفعون اكتافهم باستخفاف مجيبين . ان الناس لا يفعلون جميعهم هكذا . غير ان فلسفة سارتر تحتم على الانسان ان يسأل نفسه دائماً : ماذا يحدث لو عمل الناس جميعاً مثل هذا العمل . وسارتر يقول ليس بوسع المرء ان يفلت من هذه الفكرة المثيرة للجزع الا بنوع من سوء النية« Mauvaise foi »فهذا الذي يكذب ثم يعتذر معللا : ان الناس لا يعملون جميعهم هكذا . ان هو الا شخص لا يحسن التلاؤم مع ضميره اذ ان واقعة الكذب تتضمن قيمة شاملة تختص بالكذب وان القلق (Angoisse) ليظهر حتى عندما تتنكر هذه القيمة وما هذا القلق الا ذلك الذي كان يدعوه كركيجارد بقلق ابراهيم .

فليس بوسع الانسان اذن الا ان يفعل. اما افكاره فما هي الا تصاميم والتزامات وما عواطفه الا مشاريع اي انه لا شيء سوى حياته وما حياته سوى وحدة تصرفه وسلوكه. فنحن اذن لا نوجد بل نصنع انفسنا ونحن عندما نصنع انفسنا نأخذ على عاتقنا مسؤولية جنسنا كلها ومهما قلبنا الطرف فاننا لن نجد اية قيم او اخلاق قبلية نستطيع الاستناد اليها بل نحن ملزمون في كل حالة ان نقرر وحيدين من دون ان يكون لدينا ملجأ يقينا او هاد يرشدنا سواء السبيل فكيف تريدون بعد هذا كله ان نزعم باننا نستطيع النجاة من الشعور بالقلق عندما نقدم على الفعل ؟ ذلك ما يقرره سارتر وان الفلسفة الوجودية لتعتبر القلق شعوراً اصيلا ضروريا في الانسان غير ان هذا القلق لا يؤدي بالانسانية الى الركونية « Quiétisme » وعدم الفعل ، كلا ، انه قلق بسيط يعرفه كل اولئك الذين اخذوا مسؤوليات على عاتقهم . فعندما يتخذ قائد عسكري مثلا مسؤولية هجوم ما ويقذف بنفر معين من الرجال الى الموت فانه يختار هذا الفعل وهو في الحقيقة يختار وحيداً . صحيح ان هنالك اوامر تأتيه من المراجع العسكرية العليا ولكن هذه الاوامر من السعة بحيث يكون من الضروري جداً صدور تفسير من القائد نفسه وبهذا التفسير تتعلق حياة عشرة او اربعة عشر او عشرين رجلا . فهو اذن لا يستطيع الا ان يشعر بنوع من القلق في القرار الذي يتخذه ومثل هذا القلق يعرفه جميع القواد العسكريين الا ان هذا لا يمنعهم من الفعل بل بالعكس فانه الشرط نفسه لفعلهم لان ذلك يفترض انهم يواجهون كثرة من الامكانيات وهم عندما يختارون واحدة منها يدركون بان ليس لهذه الامكانية من قيمة الا لانها قد اختيرت . فالقلق الذي تصفه وجودية سارتر ليس ستاراً يفصل بيننا وبين الفعل بل هو جزء من الفعل نفسه وانه ليتحد اتحاداً تاماً مع معنى هذه المسؤولية الهائلة للكل امام الكل تلك المسؤولية التي تسبب ألمنا وعظمتنا .

ثم ينتقل سارتر الى مرحلة ثانية اذ يقرر ان هذا الانسان القلق متروك « délaissé » على هذه الارض ، هو متروك لانه لا يجد ان في نفسه او خارجاً عنه امكانية للتعلق بشيء ما . اذ لما كان المبدأ المبدع غير موجود فان كل امكانية لان يجد الانسان قيما في سماء مفهومة قد اختفت . ولم يعد بالامكان ان يوجد خير بصورة قبلية اذ ليس هنالك عقل شاعر كامل لامتناه يتصور هذا الخير . ونحن نرى ان البطل « اورست » في مسرحية « الذباب » يعلن قائلا : « ان العدالة ليست الا قضية تتعلق بالبشر وانا لست بحاجة الى مبدأ مبدع لكي يعلمني اياها[1] ».

فليس مكتوباً في اي مكان ان الخير موجود وان على الانسان ان يكون شريفاً والا يكذب ما دمنا نحن بالمعنى الدقيق في ميدان لا يوجد فيه سوى افراد من البشر فقط . فالانسان متروك لانه لا يجد اعذاراً اذ لما كان الوجود يسبق الماهية فقد اصبح التفسير بالاستناد الى طبيعة انسانية معينة جامدة مستحيلا بالمرة . اي بتعبير آخر ليست هنالك حتمية فالانسان حر والانسانية حرية هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فاذا كان المبدأ المبدع غير موجود فاننا لن نجد بازائنا قيما وأوامر تحل سلوكنا وتجعله مشروعاً . ويقول « اورست » مخاطباً جوبيتر :

« لقد شعرت بنفسي وحيداً وسط عالمك الصغير الحنون كانني انسان فقد ظله ولم يعد يوجد في السماء خير او شر ولا شخص يوجه الي اوامره[2] ». وهكذا فاننا لا نملك خلفنا ولا امامنا في نطاق القيم المتلألئ تبريرات او معاذير ومن ثم فنحن وحيدون وبدون اعذار وهذا ما يعبر عنه سارتر بقوله: ان الانسان محكوم عليه بان يكون حراً . وهو محكوم عليه لانه لم يخلق نفسه بنفسه ولكنه حر مع ذلك ، وما دام قد القي به مرة في هذا العالم فانه مسؤول عن كل ما يعمل فسارتر يعتقد اذن بان هذا

---

(١) مسرحية الذباب «Les Mouches» لجان بول سارتر ص: (١٠٦).
(٢) المسرحية نفسها ص: (١٣٤).

الانسان الذي تجرد من كل سند وحرم كل مساعدة محكوم عليه في كل لحظة بان يبدع الانسان ولذلك يستشهد معجباً بقول بويخ. « الانسان هو مستقبل الانسان » على الا يكون هـذا المستقبل مدونا في السماء يدركه المبدأ المبدع ويراه لان هذا القول لن يكون صحيحاً آنذاك بل لن يعود هذا المستقبل مستقبلاً. ولكن يجب ان يفهم من هذا القول بانه مهما كان الانسان الذي يظهر على الارض فان ثمة مستقبلاً معداً للصنع، مستقبلاً بكرا في انتظاره. فالترك اذن يتضمن ان نختار كوننا بانفسنا وهو يسير مع القلق جنباً الى جنب .

والآن وبعد كل ما تقدم يجب ان نضيف بان الوجودية عند سارتر تعلن بان الانسان يائس . ومعنى ذلك اننا سنقتصر على الاعتماد على ما يتعلق بارادتنا او على جملة الاحتمالات التي تجعل فعلنا ممكناً . اذ من الخطأ ان يطمئن الانسان الى الامل لان الامل كما يقول سارتر اسوأ قيد للفعل . فهل كان على الفرنسيين مثلا ان يأملوا في انتهاء الحرب من تلقاء نفسها وبدون ان يساهموا فيها او هل لنا ان نأمل بان الطبقة الرأسمالية ستتنازل عن امتيازاتها عن طيب خاطر وبمحض ارادتها ؟ يقول سارتر ان الذي يهدهد نفسه على مثل هذه الآمال يجب ان يبقى منتظراً وهو مكتوف اليدين اذ لا يمكن للانسان ان يريد الا اذا ادرك أولا بانه لا يستطيع الاعتماد الا على نفسه وانه وحيد متروك على هـذه الارض وسط مسؤولياته التي لا حد لها وانه لا يمتلك اية مساعدة او ملجأ وان غايته هي الغاية التي سيعطيها هو لنفسه ولا مصير له سوى المصير الذي سيصنعه بيديه. فيقين الانسان هذا ومعرفته البدهية لموقفه هو ما يسميه سارتر باليأس«désespoir» فهو ليس ضلالا رومانتيكياً جميلاً بل هو شعور جاف واضح للحالة الانسانية. وكما ان القلق لا ينفصل عن معنى المسؤوليات فان اليأس كذلك يتحد بالارادة اتحاداً وثيقاً كلياً ولهذا نجد ان من اعماق هذا النوع من اليأس يبزغ فجر التفاؤل الحقيقي : تفاؤل الانسان الذي لا ينتظر شيئاً والذي يعرف حق المعرفة بانه لا يمتلك اي حق وليس هنالك أحد يدين له بأي شيء. تفاؤل الانسان الذي يبتهج بالاعتماد على نفسه وحده وبالفعل وحيداً لخير الجميع.

وسارتر ينقد الماركسية التي تطالب الانسان بان يعتمد في فعله على معونة الآخرين في كل مكان. أي تطالبني ان اعتمد في فعلي الذي سيتحدد جلياً بموتي على معونة الآخرين وما سيفعلونه في مكان آخر في الصين او في روسيا مثلاً من اجل مساعدتي. وفي الوقت نفسه تطالبني أن اعتمد مقدماً على ما سيفعله الآخرون بعد حين أي بعد موتي من اجل استئناف العمل والسير به الى كماله الذي يتحقق بالثورة كما يقول الماركسيون. فسارتر يجيبهم بأنه لا يمكن الاعتماد على رفاق مناضلين الا بالقدر الذي يكون فيه هؤلاء الرفاق ملتزمين معنا بنضال مقوم مشترك وفي وحدة حزب او جماعة نستطيع مراقبتها قليلا او كثيراً وذلك يعني ان نكون اعضاء مجاهدين فيها وان نعرف في كل لحظة حركاتها واتجاهاتها. ويقول سارتر بانه لا يمكن الاعتماد على اشخاص لا نعرفهم مؤسسين اعتمادنا هذا على الصلاح الانساني او على اهتمام الانسان بخير المجتمع لان الانسان حر كما قلنا وليست هنالك اية طبيعة انسانية يمكن الركون اليها. اذ في الحقيقة ستكون الانسانية كما سيقرر الانسان ان تكون عليه. ولكن هل هذا يعني بان من الواجب علينا ان نستسلم الى الركونية ؟ يجيب سارتر كلا ؛ اذ يجب على الانسان ان يلتزم اولا ثم يعمل طبقاً للقاعدة القديمة القائلة : «بان لا حاجة للامل من اجل الشروع في العمل» اذ ليست الركونية سوى موقف الاشخاص الذين يقولون: بوسع الآخرين ان يفعلوا ما لا نستطيع فعله. اما فلسفته الوجودية فانها تضاد الركونية تماماً ما دامت تعلن : بان ليس ثمة واقع الا في الفعل. بل انها تذهب الى ابعد من ذلك لانها تضيف بان الانسان لا شيء سوى تصميمه وهو لا يوجد الا بالقدر الذي يحقق به نفسه فهو اذن لا شيء سوى مجموع اعماله لا شيء سوى حياته . ويقول سارتر ان فلسفته الوجودية ليست سوى مجهود لاستخلاص جميع النتائج من موقف ملحد متماسك وان هـذا الموقف لا ينشد ابداً اغراق الانسان في لجة اليأس الا اذا كان اليأس هو ما يطلقه المسيحيون على كل موقف بعدم الايمان ، فانه عندئذ ينبثق من اعماق اليأس الاصيل . والوجودية هذه كما يقول سارتر ليست الحاداً للدرجة التي يفهم من انها تستنفد جميع مجهودها للبرهنة على ان المبدأ المبدع غير موجود، انها بالاحرى تبين : انه على فرض وجود المبدأ المبدع فان ذلك لن يغير من المسألة شيئاً . فالمشكلة في نظر سارتر ليست وجود المبدع او عدم وجوده بل الواجب يقضي على الانسان ان يجد نفسه وان يقتنع بانه ليس هنالك شيء يستطيع انقاذه من نفسه حتى ولو كان برهاناً صحيحاً على وجود المبدع . والوجودية بهذا المعنى تفاؤل ومذهب للفعل يحاول جعل الحياة الانسانية ممكنة وان فلسفة سارتر لتحاول تحقيق هذه الغاية على نحو انساني.

العراق - بقوبة

نهاد التكرلي

ليسانسيه في الحقوق

التضحية الخالدة

للكاتب الفرنسي **جي دي موباسان** ترجمة : **زكريا احمد فليو** مدير مدرسة الحكمة بالقدس

☆ ☆ ☆

ما اعجب تلك الذكريات التي تستكن قلوبنا فتتثال علينا بين الحين والآخر في حال اليقظة والمنام . انها لذكرى خالدة تبدو امام عيني زاهية مزهوة قد لا تفارقني ، رغم ما تغمرني به الحياة من الخشونة والتزمت ، فكثيراً ما يجافيني اليسر الذي يجب ان يتوافر للمتأمل السابح في دنيا الخيال ، مع ان هذا الاسلوب لجدير بان ينمي في الخشونة والغلظة التي يخلقها الكبت نتيجة لاسلوب الحياة هذه ، ومع ذلك فقد كانت تحدوني الآمال الواسعة فانطلق الى دنيا الخيال حيث اجد فيها المتعة النضرة والبغية المطلوبة .

فلم يمض يوم الا وشبح تلك الخياطة هوريانتس يتراءى امام عيني ، فقد عرفت ماضيها وانا في العاشرة من العمر حيث كانت تتردد الى منزلنا صباحاً في خميس كل اسبوع لرتق الملابس التي تجهزها والدتي وذلك في غرفة خاصة قد اعدت لها .

ويقطن والدي في احد المنازل التي تسمى بالسراي ، حيث كانت الابنية قديمة تكتنفها المزارع ، وهي بشكلها كقرية مستقلة لا تبعد عن سوق المدينة الا بمسافة قليلة وترتكز بجانبها الكنيسة التي يبدو لونها الاحمر اللامع ضارباً الى السواد قليلاً مع مرور الزمن .

وكانت الخياطة هوريانتس امرأة مسنة طويلة القامة نحيفة القوام تكسو عارضيها شعيرات صغيرة ناعمة تغزر عند ذقنها وتبدو كأنها لحية رجل ، وتسترسل على كتفيها هالة مجعدة من الشعر . وقد كانت تتعرج في مشيتها وذلك لان احدى رجليها كانت اطول من الاخرى فتراها كأنها السفينة حينما تمخر عباب البحر في الريح العاتية ، وعلى رأسها قبعة كبيرة بيضاء مذيلة بقطعة من الحرير يحركها النسيم باستمرار .

لقد احببتها كثيراً حيث كانت تضفي علي من حنانها الجم الغفير فاجد العطف الشامل والعناية القصوى ، وكثيراً ما كانت تقص علي الاقاصيص الممتعة التي لا ازال اذكرها منذ عهد الطفولة وهي رغم كبر سنها الذي قضى على بهائها وجمالها ، كانت تنظر الي نظرة اعجاب في غموض وتأملات حيرى .

وفي ذات يوم صحبت الخادم الى الغابة المجاورة للقرية ، بعد ان تركت الخياطة ، وقد فرغنا من الحكايات ، حيث يكثر هناك شجر البندق ، وجلسنا تحت الاشجار وقد دار بيننا حديث ممتع صحبته ملح وطرائف ، وبينا انا على تلك الحال حفزتني الرغبة الصبيانية للعودة الى الخياطة هوريانتس ، التي كنت معجباً بحكايتها ، فغادرنا الغابة وافترقنا ، ثم قفلت راجعاً الى مكاني المعهود ، فما ان وصلت وفتحت باب الغرفة حتى رأيت الخياطة العجوز مضجعة على الارض بجانب كرسيها الذي اعتادت الجلوس عليه ورأسها منخفض الى اسفل ، واحدى ذراعيها ممدودة ولا تزال الابرة بين انامليها ، وتمسك بيدها الاخرى احد قصاني الذي اعد للتصليح بينما رجلها الطويلة قد تمددت تحت الكرسي ملبسة بجراب ازرق ، وقد بدا خيالها على الحائط ، وما ان شاهدت ذلك المنظر الكئيب حتى تملكني الاسى ، واستبد بي الخوف ، فرجعت مسرعاً ، وقد علا صراخي . فهرع الجميع الى مكان الحادث يستنشقون الخبر ، فاخذوا ينظرون الى تلك المسكينة بنظرات واجمة حزينة ، ويتناجون في همس ، وما هي الا بضع دقائق حتى اخبرت بانها قد لفظت انفاسها الاخيرة ، فمشيت بهدوء الى غرفة التصوير وقبعت في ركن مظلم فيها بحيث لا يراني احد ، وبدأت اجهش بالبكاء ، وبقيت على تلك الحالة الى ان خيم الظلام ، فرأيت رجلاً يدخل الغرفة وبيده مصباح ويصحبه والدي ، وكان ذلك



الرجل هو الطبيب الذي استطعت ان اعرفـه من صوته الخشن ، وكان قد حضر فور وقوع الحادث،فجلس وبيده كأس من النبيذ وبعض البسكويت ، وجلس والدي بجانبه ، ثم اخرج الفـتاة من جيبه ، وبدأ يشرح سبب ذلك الحادث المؤلم .

وكان كلما نفث دخان لفافته ينفث معها انات مكلومة ، ولكني لم افهم شيئاً مما قاله سوى كلمات لا ازال اذكرها، قال: (بعد ان تأوه آهة كادت تتكسر لها ضلوعه).

لقد عملت جهد طاقتي لانقاذ تلك المسكينة ، وحتى لم يتسع الوقت لغسل يدي،فيا له من حادث مؤلم،واخذ يسرد قصتها قائلاً:

لقد كانت هوريانتس المسكينة في السابعة عشرة من عمرها كالقمر في اوج اشتعاله وضيائه ، فلا تجد الا الطامع في جمـالها ، وانني لم اكن اعرف قصتها سابقاً كما لا يعرفها اليوم احد غيري ، سوى شخص كان يقطن بجوارها .

وكان سيجيسبرت المساعد الاول لرئيسه المسيو غرابو الذي كان يشرف على مشغل الخياطة ، وقد كان انيقاً في شكله،محبوباً لدى جميع الفتيات اللواتي كن يلتففن حوله ، غير انه كان مترفعاً ذا انفة ، ورام ان يبسط قدره على الناس ، فيجدق اليهم حينا عير بهم ليرى ايهابونه ويجبونه بما يجدر بمكانته الرفيعة .

لقد اشتعل قلبه بحب تلك الفتاة الحسناء ، واخذ ينظر اليها بنظرات عطشى ويبتسم لها ابتسامات رحبة ، فاعلنت هوريانتس بخفة روحها العذبة . اياوح لك اني اريدك؟ وقد هوت اسيرة في حبه .

وذات يوم اخذ يبادلها النظر، ودارت بينهما الاحاديث التي كانت تصحبها تنهدات عميقة ، واخيراً نجح في استمالتها الى لقائه في الطبقة الاخرى للمشغل ليلاً بعد الانصراف من العمل .

وما ان حان الليل حتى تظاهرت هوريانتس بالذهاب امـام المسيو غرابو ، غير انها صعدت الى الطابق العلوي ، وانزوت بين القش تنتظر عشيقها سيجسبرت ، حتى اقبل ، فدار بينهما حديث ذو شجون ، وقد تبدى جسدها اللدن امام عينيه مفاتن لا تلبث ان تغمرها رقائق هفافة من غلالة موشاة تزيدها فتنة ودلالا .

وما ان بلغت النشوة ذروتها حتى انفتح الباب عن الرئيس وقد ارتسمت على وجهه امارات الغضب، وقال. « ماذا تعملان هنا ».

فشعر سيجيسبرت بوقوعه في مأزق حرج ، حيث استبد به القلق ، فقال . « جئت لاستريح قليلاً في هذا المكان » ، وقـد كانت الطبقة العليا واسعة جداً وقد خيم عليها الظلام ، فهمس الى هوريانتس ان تختفي كيلا يراها المسيو غرابو .

غير ان الرئيس كان قد سمع الهمس، واستطرد كلامه قائلاً . «لا لم تكن وحيداً يا سيجيسبرت . .»،«اجل اني وحيد بنفسي يا مسيو غرابو» « لا انت لست وحيداً هنا ، فقد سمعتك تتكلم » قال المسيو غرابو.

فاقسمت له ، ولكنه لم يقنع ، فرأيته قد نزل يريد ان يحضر مصباحاً ، بعد ان اوصد الباب ، وما كان من سيجيسبرت الا ان فقد وعيه ، وقد تميز غيظاً من تلك الصدمة المفاجئة ، واستأنف كلامه قائلاً « اختفي يا هوريانتس ، والا فستحرميني لذة الحياة وتكونين سبباً في القضاء على ترف عيشي » .

« وان كلمات كهذه لا يتفوه بها الا جبان نذل » ، قـال الطبيب، ثم استطرد قائلاً. « وبينما هما على تلك الحالة، اذا بصوت المفتاح يعبث بالقفل ، فاسرعت هوريانتس الهيفاء الى النـافذة واطلت برأسها الى الشارع ، وقالت بصوت منخفض . « ساعتمد عليك بالرجوع يا سيجيسبرت « وهوت بجسمها الى الارض، واخذ المسيو غرابو في البحث، غير انه لم يجد احداً فتولته حيرة عظيمة. »

لقد اتاني المسيو سيجيسبرت بعد ربع ساعة تقريباً من هذا الحادث ، وقص علي قصته بينما ظلت هوريانتس مضجعة في الشارع على جدار حائط قريب من النافذة، فغادرت مكاني مسرعاً لانقاذها وكان الجو مطيراً حيث كان هطول الامطار غزيراً، واندفعت المياه سيولا في الطرق ، واخذت ابحث عن تلك الفتاة البـائسة الى ان اهتديت الى مكانها، فاتيت بها الى البيت،وقد تشققت ساقها في ثلاثة مواضع وبرزت منها العظام،فتألمت كثيراً لحالها،ولكنها لم تتفوه باية كلمة الا كلمات قليلة حيث قالت. «انني عوقبت وكان الجزاء حقاً».

فارسلت الى المسيو غرابو والى جميع صديقاتها العاملات في المشغل اعلمهم بان هوريانتس قد اصطدمت بعربة كانت تمر قريباً من منزلي ، وكان ذلك سبباً في آلامها وبتر ساقها،فآمنوا بكلامي، وقداخبروا رجال الشرطة عن الحادث،غير انهم لم يعثروا على الجاني.

واني لاعد تلك الفتاة بطلة من الابطال العظام الذين يشهد لهم التاريخ .

لقد قضت وهي لا تزال بكراً حيث ضحت بروحها السامية لحبها الطاهر ، وانها لرمز الوفاء والاخلاص .

واخيراً انقطع الطبيب عن الكلام،وقد ثارت عواطف والدي واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم غـادروا الغرفة ، وبقيت ثابتاً في مكاني ، وغلبني البكاء ، واذا بضجة قد علت في الخارج ، وكان ذلك جثمان هوريانتس العذراء الذي شيع الى مقره الاخير .

الفرس — زكريا احمد فليبو

الشاعر المحتضر

للشاعر لامرتين

ترجمة

محمد عيناني

كأس عمري تحطمت وهي ملأى وحياتي تبددت زفرات
زفرات طويلة هي انفاس المنايا سفيرة الظلمات ..
لا دموعي بمنقذات من الموت شبابي ، ولا صدى آهاتي
وجناح الردى على الجرس المحزون دق الاخير من اوقاتي
ازفت ساعتي فهل أتغنى ؟ ام تراني انوح عند مماتي ؟

***

سأغني ما دمت امسك بالقيثار والموت ملهما اسماعي
ساغني فالموت في ضفة المجهول اوحى الي لحن الوداع
فليغص في الدموع من أبصر الموت يلاشي المعسول من احلامه .
والذى تشغل التعلات والاشياء افكاره وخفق هيامه
وليعش خائفاً طريداً الى البؤس شريداً الى سراب غرامه
وليكن كالنبات يمسك بالصخر ليبقي على سني اعوامه
غير اني في الارض لم الق جذراً بل تساميت عشبة في مهامه ..
كشعاع محلق اترك الارض واسمو في لهثة الامسيات ..

***

انا طير من العوابر ما أنشأ عشاً ولا ألمّ بغصن
انا طير من العوابر بالشطآن قد مر كالنسيم يغني
وسوست غابة من البر تدعوه وحفت بسحرها المطمئن
فنأى ينشد الغوارب والامواج لحن الهوى ولحن التمني
جهلت عنه كل شيء دناه غير صوت مهدهد الرنات

***

انا غنيت في طفولتي الحسناء ، وحدي على صدى اوتاري .
انا وحدي عرفت قلبي فغنيت وحيداً روائع الاشعار
الهمتني السماء والوحي لا يؤخذ بالعلم ، فهو صوت الباري
وكذا النسر طبعه قمة الاجواء ، والنحل صبوة الازهار
يصنع الشهد ، جهده ، وانا اشدو وجهدي قصيدتي ودواتي .

***

ملء نفسي نبوءة لي اوحاها ضميري ، وبثها إبداعي
ان روحي في هذه الارض ما كانت سوى الحب او سوى الايقاع
فليكن لحنها الاخير غناء قدسياً به وداع حياتي

***

كل قيثارة اذا حطمتها الريح تفنى في صبوة الانغام
والسراج المريض يلفظ انفاساً ، وينهي حياته بابتسام
وعلى عتبة الفناء يضيء الموت من حوله ، قبيل الحمام
كل شيء قبل النهاية يشدو بوداع ، وصبوة ، وغرام
غير هذا الانسان فهو حزين لزوال الحياة ، ذو حسرات

***

لمَ ابكي الايام؟ ما هي؟ ما العيش وهل يستحق عمري بكائي؟
هو شمس ، وبعدها الشمس ، ساعات وتتلو الساعات في ابطاء
ساعة اقبلت تشابه اخرى ادبرت ، والحياة لحن شقاء
هذه تأخذ العطية من تلك ، فذا العمر مسترد عطاء
وعناء ، وراحة ، وانين اكسبته الاحلام بعض رواء
هو نور الحياة ، لكن جناح الموت يلقي على السنا ظلمات ...

***

فليغص في الدموع من أبصر الموت يلاشي المعسول من احلامه .
والذى تشغل التعلات والاشياء افكاره وخفق هيامه
وليعش خائفاً طريداً الى البؤس شريداً الى سراب غرامه
وليكن كالنبات يمسك بالصخر ليبقي على سني اعوامه
غير اني في الارض لم الق جذراً بل تساميت عشبة في مهامه ..
كشعاع محلق اترك الارض واسمو في لهثة الامسيات ..

***

انا طير من العوابر ما أنشأ عشاً ولا ألمّ بغصن
انا طير من العوابر بالشطآن قد مر كالنسيم يغني
وسوست غابة من البر تدعوه وحفت بسحرها المطمئن
فنأى ينشد الغوارب والامواج لحن الهوى ولحن التمني
جهلت عنه كل شيء دناه غير صوت مهدهد الرنات

***

انا غنيت في طفولتي الحسناء ، وحدي على صدى اوتاري .
انا وحدي عرفت قلبي فغنيت وحيداً روائع الاشعار
الهمتني السماء والوحي لا يؤخذ بالعلم ، فهو صوت الباري
وكذا النسر طبعه قمة الاجواء ، والنحل صبوة الازهار
يصنع الشهد ، جهده ، وانا اشدو وجهدي قصيدتي ودواتي .

يا دموعي رويت قيثارتي الظمأى ، فراحت في يأسها تتغنى
يا دموعي ما انت الا ندى الفجر على سوقه تفجر حسنا !!
العناقيد بالعصير يرحبن ليملأن بالاناشيد دنا
وترين الطيوب تعبق ان ديست ويخبو عبيرها مطمئنا !!
فانزلي ضربة القضاء فما انت سوى الغيث فوق ارض مواتي.

***

يا الهي خلقت من لهب النيران روحي فكان صرح عذابي
كل شيء عشقته ذاب في النار ولاشته عاصفات شبابي
كل شيء لمسته صار اعصار غبار وزعزعاً من تراب
وتموت القلوب في البيد ظمأى وفؤادي قضى لفرط الشراب .
وحياتي زالت كموسجة من النار بعد العواصف المشعلات .

***

ومرور الايام ؟ — آثار فلك ورؤى المجد ؟ — نفحة من رماد
والعلى صرخة على الدهر جوفاء تعالت فسحة الآباد . .
انتَ يا مجد خدعة يحفظ الابناء فيها اسطورة الاجداد
فهي يا حياة مجداً لمن شئت ، فما المجد غير وهج سراب
خلد الناس بعضهم بالاباطيل ولم يملكوا سوى ساعات

***

مجهد يستريح في غفوة الموت وقلب يفر من اوصابه
يتغنى قبل الزوال بذكراه ، ويحيي الرفات لحن عذابه
كيف تبقى اناته ابد الدهر وتسمو على فناء ترابه
كيف يبقى عبيره ؟ بعد ازهار جمال عبقن عبر شبابه
أهو المجد ؟ اي مجد ترى هذا ؟ أمجد الزوال والسخريات

***

ها انا الآن اترك المجد للدهر فما المجد غير وهم زوال . .
انه « اسمي » فهل يخلد ام يفنى ؟ سواء لديَّ فعل الليالي.
اتراني اعز لو خلد الابناء ذكري ، ورددوا اقوالي
اتراها تزيد شيئاً ، وتسمو بمعان جديدة وخصال ؟
اترى الطير حين يعتنق الجو يبالي ، من حالق ، بالظلال ؟

***

لمَ غنيت ؟ سل عندليب الروض في الفجر عن معاني الغناء
حين يشدو مزقزقاً في سكون الليل ، مستلهماً خرير الماء
سل سواقي السهول لِمْ تتغني وانين الرياح في الاجواء
انا غنيت مثلها يا رفاقي دونما رغبة ودون عناء
يا رفاقي غنيت كالنهر ، كالاطيار ، كالصدر ملهم النفثات

فالغنا ، والصلاة ، والحب ايامي ، ومعنى عمري وعنوان مجدي.
ساعةَ الموت ما اسفت على شيء فلن تبصري دموعي ووجدي
ساعة الموت لن تري غير طهري ورنوّي نحو السماء ، وزهدي
ساعة الموت ان غيبوبة القيثار نحو السماء تحمل عهدي
انا عاهدت كل شيء نبيل فسلي الله عن مدى تضحياتي

***

تحت عرش الجمال اجثو وقيثاري شرود مسلسل الانغام .
وأراها . . حبيبتي . . تتحاشاني وتبكي وحيدة في الظلام . .
اقبلي . . اقبلي فذاك شرودي وشحوبي ولوعتي وهيامي . . .
في جفون معبودة قد أرى الدمع يواسي قلبي الجريح الدامي
صبوة العمر دمعة من حبيب زخرت بالحنان لا الآلام
كندى الفجر في نسيم حنون حين ينهلّ عن زهور الغلاة .

***

رب عذراء الهمتني دعتها ساعتي والردى يغسل صبايا
نظرت للسماء في لوعة حرى لتجلو عبر السماء خفايا
بابتهال كأن اجنحة الطير حبته التحليق فوق المنايا
طوقتني بذلة وخشوع شاعري لا تمتْ ، وعد لدنايا .
غير اني كالصوت انساب في رفق وتفنى في حضنها آهاتي . .

***

لا تقيمي قبراً يدل على بؤسي ولا تحفري معالم لاسمي . .
وعلى ظلي السعيد طويلاً لا تقيمي صخراً يحطم جسمي
بل دعيني في الارض ، في باطن الارض ، سعيداً انام في حضن امي
وغداً ، في الربيع ، عودي الى ارض رعتني ؛ وبالزهور الامي
واتركي فسحة يصلي عليها بائس كان مخلص الصلوات .

***

حطمي وانثري على الارض قيثاري فما عدت شاعراً ذا زفير.
عبثاً يا انين يا حزن ! فالأصداء ماتت في خاطري وضميري.
ان روحي تسمو على جانح الموت الى الله مبدأي ومصيري
انا امضي حيث الرغائب للروح ، وحيث الآمال دفقة نور
حيث تبقى سعادة لم اشاهدها وخير ما كان بالمنظور

***

انا صوت يعود نحو شفاه الله بعد الدوي في الظلمات

محمد عبنالي

من المساء الاخير

بقلم يوسف الثاروني

أيها

الشاعر قم خذ نايك ، ولنذهب الى شط المحيط اللامحدود ، وهنالك قف لحظة ، ثم الق نظرة تجمع فيها الكون كله.

ثم اجلس على الشاطىء الجميل واعزف لحناً من ألحان مسرتك ، وانتظر ذلك الزورق المتهادي على سطح المياه حتى يصل اليك ، واذ يقف امامك فلتقم . . . ولتلق بالناي الاصغر ، لانك ستجد الناي الاكبر ينتظرك في الزورق الجميل.

اعزف عليه هذه المرة لا كما عزفت على نايك الاول ، اعزف عليه في حماس ، بقلبك وعواطفك لا بفمك وهواء أنفاسك ، اعزف عليه حتى يأتي الناس من كل صوب ليسمعوا الحانك معجبين ، واعزف عليه حتى تنتهيا معاً .

واذ ذاك سينقلب الغدير بحراً هائجاً ، وتثور الرمال الساكنة وينبثق الليل الذي طالما امتلأ بأغانيك ، وستكشف المياه عن جثة شاعر بجانبه نايه الاكبر.

وانا كنت نايا وكنت عازفاً في آن واحد ، وانا كنت زورقاً يجمع العازف والناي ، وانا كنت الغدير الهادىء الذي انقلب محيطاً متلاطماً ، وفي البدء كنت الناس الذين يأتون ليسمعوا معجبين دون أن يفهموا ، وفي لحظات اكون انا الكون كله بمحيطه وزورقه ونايه ورمله وناسه.

***

أتذكرين

يا اختاه ذلك الرجل المكتئر الذي اقبل الى جزيرتنا في الربيع الماضي؟ لقد زار دارنا وأحب ان يهديني ثوباً براقاً غريبة الوانه ، فرددته قائلة : ستضحك مني اخواتي لو ارتديه ، نحن دائماً عريانات كما ترى يا سيدي. لكنه مضى حزيناً ، ولم يعد من يومها يا اختاه.

وتذكرين ايضاً ذلك الرجل الاشيب حين اقبل الى جزيرتنا في القيظ الماضي ؟ لقد زار دارنا وحاول ان يهديني كتاباً من صفحات بيضاء بها خطوط سوداء ، فرددته قائلة : ستلوثه صديقاتي لو أخذته ، نحن لا نعرف القراءة كما ترى يا سيدي . لكنه مضى حزيناً ولم يعد من يومها.



وتذكرين ذلك الملك الشاب عندما اقبل الى جزيرتنا في يخته بالامس ؟ لقد جاء الى دارنا يأوي من جفاف الخريف. وحين رآني ربت على كتفي واعطاني صفائح قال انها

« نقود من ذهب » فرددتها قائلة : ماذا نفعل بها نحن هنا لا نتعامل الا بالاصداف والحصى. فلم يتم ليلته ، وانصرف الى الابد يا اختاه.

لماذا يمضون جميعهم في حزن يا اختاه حين نرد لهم هداياهم ولا يعودون؟ اتراهم يذهبون في البحث عن جزيرة اخرى، فيها من يتقبل هداياهم ؟ انت تعلمين ان اهل الجزائر يفضلون الرقص مثلنا . . . واخشى ان تظل هداياهم لهم يا اختاه.

***

عندما بدأ النهار يولي ، ظننت يا اصدقائي انني سأقضي ليلي وحيداً في الظلام. فقد أمضيت نهاري في اللهو والرقص ناسياً ان الليل سيأتي فما اعددت مدفأة ولا مصباحاً. وكان عواء العاصفة في تلك الليلة مخيفاً. وما توقعت احداً يأتيني في وقت تلك موسيقاه. لذلك أغلقت بابي وشددت على رتاج نوافذي خائفاً ان تكتسح العاصفة غرفتي الصغيرة.

وكنت اخشى الليل ان يطول، والظلام يعمق وعواء العاصفة يعلو. وفجأة ملأ النور جوانب غرفتي. ولمحت مدفأة امسك بها شبح امرأة مسترسل شعرها. وحين دنوت منها لمحت حدقتيها في الظلام تنظران في وجل وهي تصيح : آه. . . لقد اخطأت المكان. وحاولت ان امسك بشعرها المسترسل فرمت في وجهي بجفنة من فحمها المتوهج ثم غابت.

والآن لم اعد في حاجة الى مدفأة ولا مصباح ، فقد جلست اقرأ كتابي على ضوء فحمها المتوهج وقد امتلأت يداي بالحروق. وكلما أتى الشتاء واقبل ليله العاصف وجدت فحمها المقدس الخالد لا يزال ينيرني ويدفئني وتعود الحروق تتزف ايضاً من جديد لهذا لم اعد اخشى ابداً يا اصدقائي ان اقضي ليلي وحيداً في الظلام.

***

في حديقتي زاوية مهجورة يا اصدقاء ، لم يقربها فأسي ذات يوم ويغمرها لون من تراب. تكدست اشواكها في عزلة وصمت ابديين ، بينما تزدهر الورود كل ربيع وتذوي كل خريف في بقية حديقتي.

لكن يبدو ان بذرة سحرية حملتها الريح مني هناك، فذات فجر خريفي لمحت برعماً يستيقظ بين هاته الاشواك، بينما الشتاء كان آتياً، وزهور حديقتي كلها تندفع في اضطراب تختفي بين اغصان اشجارها الجرداء.

واقبل الشتاء، فكنت كلما خرجت الى حديقتي رأيت البرعم السحري يتفتح في ارتعاش، مغموراً في دموع الليل، مستنشقاً غبار العاصفة ، مصبوغاً بلون البرق ، بينما الزهور كلها احتمت بين احضان اغصانها السمراء.

وقبيل الربيع اصبح البرعم وردة عميقة الالوان مثقلة بالرحيق، واختفت رائحة الواحل المختلطة بعطرها العنيف ، واستيقظت زهور حديقتي تنفض عنها الاحضان التي اوتها في الشتاء.

واخيراً حين اقبل الربيع خرجت ابحث فرحاً عن صديقتي بين الاشواك ، لاشهدها تتمتع بالحياة والجمال ، واريها في سذاجتي روائع ما راتها في الشتاء. . . ولكن صدقوني يا اصدقاء اني ما وجدتها هناك.

***

في وسط حقل من الشوك استطاعت وردتان ان تنموا، وكانت احداهما جميلة متدفقة بالحياة ، والاخرى شاحبة صفراء. وقد اعجب الناس جميعهم بالجميلة المتدفقة بالحياة ولم يعيروا التفاتهم للشاحبة الصفراء حتى اتيح لقاطف ان يقطف الجميلة المتدفقة بالحياة.

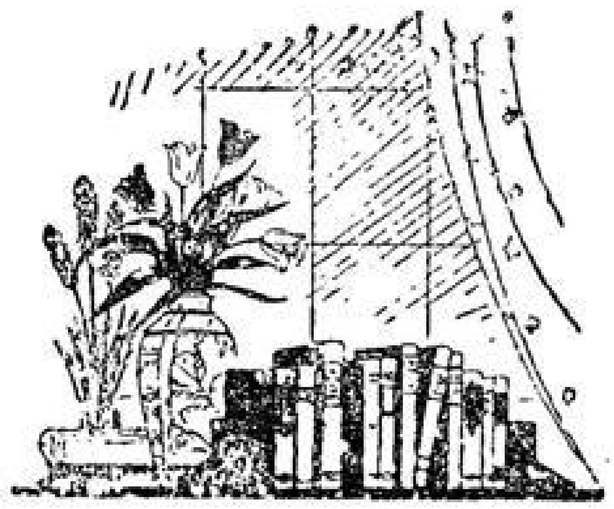
اما الوردة الشاحبة الصفراء، فقد تركوها ترتعش. كانت تتمنى انساناً واحداً يأتي ويقتطفها ، فتخلص له وتعبده مدى الحياة. لكن الوردة الجميلة كانت قد جذبت انظار الجميع فلم يستطيعوا رؤية الشاحبة الصفراء.

اما قاطف الوردة الجميلة فقد ظل خائفاً منها وخائفاً عليها. فقد كان هناك كثيرون يحومون حولها يحاولون الاقتراب منها، وكانت هي تلاحظ ذلك فترقص في نشوة وكبرياء. حتى احس ان كلاً منهما يقيد الآخر في اساره فتركها تذهب الى المعجبين بها.

وخرج الى الحقل يبحث عن وردة اخرى. وهناك وجد الشاحبة الصفراء. فجرى مسرعاً نحوها علها تكون خيراً من الجميلة المتدفقة بالحياة. لكن حين اقترب منها ليقتطفها وجدها قد ماتت وحيدة بين دموعها واحزانها.

***

كان الصبي قد ترك المدينة منذ الفجر وظل يحفر طوال الصباح في هذي الارض الجبلية حتى حصل على كومة من الذهب بهر نورها عينيه. وقبيل الظهر كان العرق يتصبب منه بغزارة، وكان الجوع قد انهكه ، فجلس يأكل ويستريح ، وغلبه النوم فنام.



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينيا
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47 Tél.
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 }

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

وعندما استيقظ وجد ان كومته تحولت جميعها الى تراب الا من ذرة تبرق هنا او ذرة تلمع هناك. فانزعج الصبي وهاله ان تستحيل كومته الى تراب.

وكان يقطن في هذه الناحية راهب شيخ يزعمون ان عمره كالانسانية. فاسرع الصبي يقص عليه قصته. فابتسم الراهب وقال: تلك طبيعة المعدن في هذه الارض يا ابني ، ان اكثرها يستحيل مع الزمن الى تراب ، لكن لا تنسَ انك حصلت على ذرة او ذرتين هما اغلى من ذهب العالم كله. وعندما عاد الصبي بدأ يحفر من جديد.

وفي المساء مرّ الراهب فوجد كومة كبيرة من التراب الى جانبها جثة من تراب لكن كان ثمة ذرات من الذهب تتلألأ ، فالتقطها الراهب الشيخ في خبرة ، وعاد بها يضمها الى ذهب صومعته الكثير يستنير به كعادته اثناء الليل.

وفي الصباح التالي كان الراهب يبسم وهو يسمع ضربات معول جديد.

***

عندما انجاب الظلام، قام العالم واقفل الكتاب واطفأ المصباح وتنفس الصعداء. لانه انتهى هذا الفجر من تأليف كتاب انفق فيه كل حياته. كان قد اكتشف حقيقة هائلة سيقدمها اليوم للناس في هذا الكتاب. وكان فرحاً لانه احس خلود اسمه لمدى اجيال عديدة.

ثم خرج يرى طبيعة حرم نفسه منها زماناً طويلاً، فر بفلاحين يتنازعان مليماً وجداه على الارض. فالتفت اليهما ، واعطى المليم لاحدهما واخرج مليما آخر للغلام الثاني. وحين رآهما يغادرانه قفزاً كان اكثر فرحاً لانه احس خلود روحه هذه اللحظة.

***

اذا كنت ازعجتكِ فاغفري ازعاجي..
فاذا جلستِ ذات يوم تقرأين كتابك ساعة الغروب ، فبعثت بعض السطور ذكراي ، لا تبخلي عليّ بلحظة ، بل اقفلي كتابك ، ثم اغمضي عينيك ، واسمعيني من داخلك، فربما وصلتك انغام نايي يردد صداها غروب رهيب. حتى اذا ما اخذت تبتعد عنك شيئاً فشيئاً ، افتحي عينيك ، وافتحي كتابك ، واقرئي السطور.
فاذا كنت ازعجتك فرجائي ان تغذي ازعاجي.

الخرطوم — **يوسف الشاروني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحياة الادبية في اللاذقية خلال الجيل الماضي

بقلم محمد مجذوب

☆☆☆

حياة الادب كحياة الانسان. لها أطوارها ومراحلها ، ولها آثارها ومؤثراتها. وكما ان دراسة النفس الانسانية تتطلب الدقة في رصد العوامل الفاعلة بها كذلك يجد الباحث الادبي نفسه مضطراً لرصد هذه التطورات المتشابهة في حياة الادب.

والانسان يمر بأطواره الطبيعية من التكون الجنيني الى الطفولة فالشباب فالكهولة فتطبع كل مرحلة اثرها في الذي يليها من هذه الاطوار، وهكذا الحكم في الادب فانه يبدأ حياته تفاعلاً في اعماق النفس ثم يخرج الى مرحلة المحاولات فاذا هو ترنيمة على الشفاه ، او عبارة في الافواه ، ثم يستوي على سوقه فيأخذ طريقه مع الحياة.

والادب العربي — في مختلف مظاهره ومصادره — يؤلف وحدة تامة من حيث اتصاله بعوامل الحياة العامة في ديار العرب ومدى تعبيره عن هذه العوامل ، ولكنه في الوقت نفسه يصور مرحلة انتقالية بين الامس واليوم ، وبين اليوم والغد ، وجدير بنا حين نريد الاستمتاع بهذا الادب ان نتتبع مراحل نشأته لنبين مدى حيويته ونربط بين عوامل نهضته بدراسة ادبية محكمة .

هذه مقدمة لا مندوحة عنها للحديث عن الحياة الادبية في محافظة اللاذقية خلال الجيل الماضي، ولكن لا بد من القول بأنني لا ارمي من ورائها الى الزعم انني أورخ بحديثي لهذه الحقبة، وانما هي إلمامة سريعة ببعض نواحي هذه الحياة لعلها ان تكون نواة مغرية لبحث شامل مفصل.

بين جبلين

في محافظة اللاذقية اليوم حركة ادبية تتماشى الى حد ما مع نهضتها المدرسية الكبرى وتسبقها من بعض الوجوه الاخرى ، فهناك شعر يحتل منزلته الرفيعة في ذروة الشعر العربي الحديث ، وهناك نثر يحمل في ثناياه طابع الذوق والفكر ويدلل على مواهب في هذه المحافظة قد يكون لها شأنها لو لقيت ما يعوزها من التشجيع.

ولطبيعة هذه البقعة من الربوع الشامية اثرها الفعال في تغذية هذه المواهب الى جانب الاثر التعليمي الذي تنشره الحركة المدرسية وحسبك ان تعلم انك واجد في كل قرية من قرى هذا الجبل المطل على مدن المحافظة نزوعاً الى الشعر واهتماماً به تكاد لا تعثر بمثلها في اية بقعة من البلاد.

ولكن بديهي ان الطبيعة وحدها مهما بلغ اثرها من الايحاء تظل عاجزة عن بعث النهضات الادبية اذا فقدت العناصر الثقافية التي تتوفر اليوم لهذه المحافظة، واعني بالعناصر الثقافية انتشار التعليم وتكاثر المنشورات والمؤلفات التي تصل بين العقول وتمدها بالروافد المنتجة من عوامل التلقيح.

وطبيعي ان هذه العناصر لم تكن قد توافرت بعد للجيل الماضي، ولم تكن قد اطلت على الجيل الذي قبله من هذه المحافظة اللهم الا اذا استثنينا اشعاعات ضئيلة لا بد من تغلغلها هنا وهناك من آثار حملها للناس بعض الشيوخ فلم يتجاوز مفعولها حدود بيئاتهم المحلية.

لم يكن في هذه المحافظة ساحلاً وجبلاً في القرن الماضي اي مظهر مدرسي بمعناه المألوف اليوم ، وانما هي كتاتيب تقوم في بعض المدن وفي قليل من القرى لتعليم مبادىء القراءة والكتابة ، فكانت

* حديث اذيع من محطة الاذاعة السورية بدمشق.

الامية هي الغالبة على السكان في كل مكان : أمية في الفكر، وامية في العادات ، وامية في كل شيء . . يضاف الى هذا وذاك سوء الوضع السياسي وما جره من تفكك وخصومة بين الجبل والساحل انعدم معهما الاستقرار والامن في كثير من الاحيان ، ثم تلك المحنة الهائلة التي تمثلت في محاربة الحاكمين للغة العربية ايام كانت التركية هي اللغة الرسمية في دوائر الدولة ، فكان من طبيعة الواقع ان تتقلص العربية فتنحصر في الكتب القديمة وفي تعلم القرآن وتقتصر العناية بها على طلبة العلوم الشرعية وحدهم.

وبيئة كهذه ليس من شأنها ان تشجع على التجدد والافتنان في الادب ، ومهما تبلغ مواهب الرجل في مثل هذا الوسط فهي عاجزة عن التخلص من اثر الركود والانطباع بألوان المحيط، وهكذا كان الامر في ذلك الجيل . . فقد عرفت اللاذقية أيامئذ عدداً من علماء الدين في بيوتات لا تزال معروفة بتوارث الروح العلمي حتى اليوم ، ولكنهم لم يستطيعوا التفلت من قيود الجمود الا بمقدار ما اتاح لهم روح الزمن ، واذا كان هذا شأن اللاذقية فما بالك بالجبل والمدن الصغيرة الاخرى !

ولا بأس ان انقل لكم هاتين الطرفتين ففيهما ما يكفينا مؤونة الكثير من الاستدلال على هذا الواقع :

حدثني المرحوم الشيخ (سليمان احمد) انه مر ذات يوم بجماعة من شيوخه في الجبل يتحدثون في هذا البيت من شعر «ابن اللاحقي» :

« كلبني للمهمات وانواع الرزيات »

وقد اجمعوا على ان «كليني» هذه من الكلال ، وان الشاعر يشكو الى صاحبته ضعف الشيخوخة عن احتمال الشدائد، فاضطر، وكان في الرابعة عشرة من عمره ، لان يصلح لهم غلطهم مستشهداً بقول الشاعر : « . . وكل الظلوم الى حسيبه »

وهذا يعني ان شيوخ المرحوم الشيخ سليمان احمد قبل ستين عاماً لم يكونوا قادرين على التفريق بين فعل (كلّ) وفعل (وكل) !

وحدثني من أثق به ان عالم طرطوس في الجيل الماضي « الشيخ عبد الوهاب السيد » ، رحمه الله ، كان يكلف بعض الناس ان يتلو عليه شيئاً من شعر البارودي فيطرب له ويثني عليه ، وقد اتفق ذات مرة ان قال : « ان في هذا الشعر شيئاً من نغمة ابن الفارض» وكان هناك احد السامعين فلما كان المجلس التالي اراد هذا ان يقلد الشيخ في الاعجاب بما يسمع فقال : يا شيخنا . . والله لكأنه كلام الفاروطي . . » وطبيعي ان الشيخ قد جن من هذا الذي لا يفرق بين الفارض والفاروطي !.

زد على هذا كله ان (الجريدة) كانت حتى ذلك اليوم شيئاً غريباً عن معظم سكان هذه المحافظة وقد ادركتُ الناس في طرطوس يتكبكبون على من تقع في يده نسخة من (القرزيتة) — وهكذا كانوا يسمونها — ليستمعوا الى ما فيها من اخبار عجيبة قد لا يسمع بمثلها الجبل المخلد الى عزلته يومذاك . هذا بينما كانت اللاذقية قد بدأت تعرف كثيراً من الصحف الوافدة من الخارج ثم لا تلبث ان تعرفت المطبعة واصدرت بعض الصحف المحلية منذ اكثر من ثلاثين سنة.

وبعد هذه المقارنة السريعة نستطيع ان نضع ايدينا على اهم المشخصات الذاتية لادب الجيل الذي نتحدث عنه ، وبوسعنا كذلك ان ندرك مدى اثرها في التمهيد لما تلاه من الظواهر الادبية فيما بعد.

من التقليد الى الانطلاق

انه المطلع على الآثار الادبية المكتوبة في محافظة اللاذقية خلال عصر النهضة يستطيع تأريخ منشإ الحياة الادبية عملياً بأوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم هو يستطيع بمتابعة تطور هذه الآثار من عهد الى عهد ان يرصد مظاهر هذا التطور سواء من ناحية الاساليب او الافكار.

اما الاسلوب فقد تبين لي انه يبدأ حياته متأثراً الى حد بعيد بالتعابير العامية ثم يمضي متجهاً الى اللغة الفصحى الخاصة، وقد رأيت ادلة على ذلك حتى في اوزان الشعر نفسها ، فهناك مثلاً قصيدة بقلم المرحوم الشيخ « عبد الفتاح المحمودي» نظمها قبل ثمانين عاماً في تهنئة صديق له من آل صوفان يقول فيها :

قد انتج هذا الزفاف شكل بهاء والبشر عليه اقام أوضح برهان
والفخر غدا في هذا الزفاف موافي حقاً ومصافي الرضا محمد صوفان

وهي قصيدة لم استطع ان احقق لها وزناً في البحور الستة عشر، ثم هي اقرب الى العامية وزناً واسلوباً.

ومما يدلنا على اثر التطور في اذهان هؤلاء الشيوخ — رحمهم الله — ما رواه لي بعض احفاد المرحوم المحمودي من انه ظل حتى آخر حياته آسفاً لنشر ديوانه المسمى « سفير الفؤاد » مع ان في صفحاته منظومات تعتبر من احسن النماذج لشعر عصره في محيط اللاذقية وفيه ابيات سارت مسير الحكمة على ألسنة الناس منذ ايامه وذلك كقوله :

إياك اياك اخوان الزمان فهم خوّان عهد فلا تركن لخوان

وقوله :

لو قيل لي: ماذا يسوءك في الورى لاجبتهم : تفهيم من لا يفهم

وبالطبع لم يكن اسف الناظم على نشر مجموعته الا ظاهرة من التطور العقلي والادبي الذي صار اليه فيما بعد.

واما الاغراض والافكار فهي تبدأ انطلاقها كذلك من نقطة التقليد الصرف لاغراض السابقين من شعراء عصور الانحطاط اي في المدح والتهاني والتاريخ ، وبخاصة موضوع المدائح النبوية والاستغاثات عن طريق المعارضات او التشطير والتخميس لبعض الاشعار الشهيرة . . ولكن هذا الادب في مراحله التالية حيث تشتد قوته يميل الى الاكثار من المحسنات البديعية وخصوصاً الجناس والمقابلة والطباق تأثراً بشعراء عصر الانحطاط انفسهم ثم لا يلبث ان يصل الى مطلع القرن العشرين حتى نراه يبدأ مرحلة جديدة في الاغراض والاساليب معاً . فمن ناحية الاساوب ينزع الى التخفف من التكلف والتخلص من قيود البديع ، ومن ناحية الاغراض يأخذ في طريق التعبير الشخصي فاذا بالشاعر يتحدث عن نفسه وعن مجتمعه ويرسل النكات ويساهم في النقد الاجتماعي فيدل بذلك على تأثره بالروح العامة التي سرت في شعر النهضة . . وهذا تطور طبيعي . . ذلك لان هؤلاء الشعراء بدأوا يتصلون بنتاج البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران والرصافي ومعاصريهم فيتذوقون ثمرات مواهبهم ويتحسسون من هذه الاتجاهات التحريرية الجديدة التي تمثلها اشعارهم وكذلك جعلوا يستفيدون من تكاثر المنشورات المختلفة من دواوين الفحول القدامى ومن الكتب الحديثة الاخرى ومن المجلات والصحف المتعددة . . هذه المنشورات التي اصبحت في متناول الجميع بعد ذلك الزمن الذي ندرت فيه الكتب والمقبلون عليها فانحصر اكثرها في مكتبات خاصة موقوفة على اصحابها لا يفيد منها في الغالب سوى مالكيها وطلبتهم الخصوصيين .

وهكذا تابع التطور طريقه في اعداد الاذهان وارهاف الحس الفني ، فاذا بهذا التطور يقدم للناس عدداً من الشعراء الذين نعتبرهم الحلقة القريبة من سلسلة الحياة الادبية في هذه المحافظة منهم من توفاه الله ومنهم من لا يزال بين ظهرانينا . ونذكر من هؤلاء . واولئك على سبيل التمثيل لا الاحاطة المرحومين المشايخ حسن المحمودي ، وسليمان أحمد ، ومحمد سعيد ، وعبد الوهاب السيد ، وعبد العزيز وراغب أديب ، والاستاذين منح هارون وادوار مرقص . . ثم الاحياء الاساتذة : سلامه الصوفي ، وسعيد مطرجي ، وعبد اللطيف سعود ، ومن الاعتراف بالجميل ان نذكر لهؤلاء واولئك واخوانهم فضلهم على جيلنا الحاضر الذي ساهموا بنصيبهم في اعداد العناصر الموجهة له .

اراني مضطراً للاشارة الى انني عمدت للكلام على الشعر دون النثر من ألوان الحياة الادبية وذلك لان مبادىء النهضات الادبية عادة ترتكز على مادة الشعر بوجه خاص . هذه المادة التي هي اقرب الوان الادب الى الحياة الاولية ، وانما يأتي دور النثر الفني في مرحلة التركز حين تستقر الخطى في طريق المدنية ، هذا مع العلم بان هناك بعض المكتوبات والمؤلفات من آثار الجيل الماضي ولكنها لا تصور الحياة الادبية بمقدار ما تتمثل في هذا الشعر الذي سأعمد الى عرض بعض نماذجه .

***

عرضنا في ما تقدم من حديثنا لقسمين من ادباء المحافظة ، وقد حددنا زمن الاول في خلال النصف الثاني من القرن الغابر وحصرنا عهد الجيل الثاني في ما بعد ذلك . وقد بات علينا ان نتحدث عن اوساط كلا القسمين ومجالسها الادبية سواء في الجبل او الساحل .

اما الجبل فبالرغم من ان الحياة فيه عادة بطيئة التغير فقد خضع بدوره لسلطان التطور الذي احدثته حركة المواصلات بين انحاء البلاد ، ثم حركة التعليم الابتدائي الذي يوشك ان يعم سائر اجزائه ، وأبرز مظاهر هذا التطور يبدو في اوضاع شيوخه وطلبتهم من بغاة العلم ، فقد كان الشيخ من هؤلاء يقضي بعض ايامه في التنقل بين القرى يتصل بأمثاله وبالراغبين في الاطلاع ، وربما جعل الشيخ من بيته اشبه بمدرسة يؤمها الطلبة من مختلف انحاء الجبل ، وقد يكلفه ذلك ان ينفق على هؤلاء بدلا من ان يستفيد منهم في الغالب . وطبيعي ان هؤلاء يحملون من شيوخهم فيما يحملون من مبادىء العلم ، اقوالهم وأشعارهم وبعض محفوظاتهم يتناشدونها ويحاولون النسج على منوالها . وهذا كله قد اعتورته يد التغير في هذه الايام اذ تقوم المدرسة الابتدائية بكثير من مهام الشيوخ وينصرف العدد الكبير من التلاميذ الى المدينة ليتموا تحصيلهم في الثانوية او الجامعة . حيث يجربون مواهبهم في المشاركة بالحياة الادبية على اختلافها .

وليست المدينة بالبعيدة عن ذلك الجو وهذا التطور بعداً كبيراً ذلك ان مجالس العلم في اللاذقية مثلاً كانت ، كما اسلفنا ، خاصة محدودة ، فهي تتمثل في زوايا الشيوخ حيث تقام العبادات وتلقى الدروس على العامة وبعض الخاصة . وكان لبعض العائلات الدينية هناك زواياها وشيوخها ، ولها مكتباتها ، وكان الشيخ يصرف بعض وقته في تدريس العوام والى جانبهم تلاميذ مداومون يلقي

عليهـــم دروساً في العلوم الاسلامية كالفقه والتوحيد والقواعد والبلاغة . وكثيراً ما ينظم لهم بعض هذه العلوم في قوالب من الرجز او الازدواج فيتأثرون بذلك وتتمرن السنتهم على النظم والفصاحة ويتلقفون كذلك منظومات شيوخهم من الاشعار التي يؤلفونها لبعض المناسبات او المعارضات فيتناقلونهـــا ويروونها في مجالسهم الاخرى .

وكان « المنزول » — وهو القناق بلغة الداخل — يقوم بدوره في اداء هذه المهمة. والمنازيل كثيرة في العهـــد الماضي لا يكاد يخلو من بعضها حي من احياء المدينة ، يساعد على وفرتها فقدان وسائل اللهو من المقاهي والاندية التي جعلت اليوم تجتذب اليهـــا الناس فتؤدي الى الاقلال من هذه المنـــازيل وتهاجمها هجوماً لا هوادة فيه .

ففي هذه المجتمعات الليلية كنت تسمع الى هذا الشيخ يعرض افكاره ، والى ذلك الظريف يعرض اسماره ، فيعمل هذا وذلك عملهما في ترويح النفوس وتغذية العقول واذا بتلك الآثار من اقوال الشيوخ ومنظوماتهم تجد سبيلها الى الناس من خلال هذه المجالس المختلفة .

ولما اقبلت عناصر الحياة الجديدة تفد الى البلد مع الصحف والمنشورات الى جانب ازدياد المتعلمين كانت السبيل ممهدة لورثة هؤلاء الشيوخ من اهل العلم فأخذوا يحتكون بهذه الجواء الجديدة من قريب او بعيد، واذا هنـــاك بعض الصحف « كاللاذقية » و« الزمر » وغيرهما تدخل المعركة بين سنة ٩٠٩ وسنة ٩٢٢ ويقوم على رأسها بعض الشباب ذوي المواهب كالمرحوم الشيخ محمد سعيد وغيره ، فتحمل على صفحاتها نتاج هذه القرائح التي تمثل كما قلنـــا الطور الثاني من الحياة الادبية . وتتوافر المناسبات التي تحفز على التنافس ويعمل التطور الاجتماعي عمله فـــاذا هنالك المندفعون في المجون ينظمون به الشعر لا يجدون حرجاً من تلاوته حتى في الحفلات واذا هنالك المترددون يتشبثون بالقديم ويستهويهم الجديد فيعبرون عن انفعالاتهم النفسية وانطباعاتهم العقلية ، واذا هناك المحافظون ينكرون بنظوماتهم على هؤلاء واولئك . ويتجاوز بعضهم حدود وسطه فينتقل الى مصر ويعمل في بعض صحفها ثم يعود الى اللاذقية لينشر معلوماته اللغوية والتاريخية في اوساط الشبـــاب ، وبعضهم يتصل بالصحف الاخرى ورجالات العلم في لبنان والعراق، كالمرحومين الشيخ سليمان الاحمد والشيخ منح هارون وادوار مرقص فيساهمون في نهضة الفكر والادب في دنيا العرب .

نماذج

ولا بد لنا من عرض طائفة من اشعار هؤلاء الذين نتحدث عنهم كامثلة لما نحن بصدده تعطينا صورة موجزة عن ذلك التطور الذي المحنا به في كلامنا عن كلا الجيلين ، فلنستمع الى هذه الابيات من قصيدة تقع في ٢٢ بيتاً وهي من مخطوطة المرحوم الشيخ عبد الحميد المحمودي المتوفي سنة ١٣١٤ ، وفيها نرى شواهد من ولع بيئته بأنواع المحسنات البديعية ، وقد سميت القصيـــدة « المثلثية الجدية » اشارة الى كلمة (الجد) التي تتألف منها القافية وقد اوردها الناظم مثلثة الجيم متعددة المعاني :

ألا يا مهاة الحسن بعد النوى جدي بقربي فان البعد أضعف لي جِدي (سعدي)
ولا تقطعي حبل المودة والهوى فمسكينك العاني يخاف من الجَد (القطع)
بروحي وقلبي افتديك ومهجتي ولبي وما خولت من واسع الجِد (الرزق)
فيا ويح قلبي منك يـا غاية المنى ويا لهفتي يا حر وجدي على جَدي (حظي)

ومن غزل آخر له وهو ارق اسلوباً وفيه صورة حلوة من مظاهر الترف في عهده ، ومحسناته البديعية اقل تكلفاً :

ظبي أنس سطا عليّ وصالا بلحاظ فقطع الاوصـالا
ما احيلاه من غزال اذا ما فوق ذاك القوام أسدل شالا
يا حبيبي رفقاً بأحوال صب شوقه الوافر المديد استطالا

ولن تفوتك التورية في قصده من (الوافر، المديد، الطويل) البحور الشعرية المعروفة . ثم ننتقل الى اديب آخر يمثل لنا شعره لوناً من الاستقرار الذي انتهى اليه التطور الادبي في عهده سواء في الاغراض او الاسلوب ، ذلك الاديب هو الشيخ سليمان احمد المتوفي سنة ٩٤٢ . وها أنذا اتلو من شعره هذه الابيـــات التي تمثل صرخة جديدة بالنسبة الى سكان الجبل :

حنانيك حزب الله بوركت من حزب فقد آن يلقي السمع من كان ذا قلب
أفكر بالحـال التي انتم بهـا فأزداد ما فكرت كرباً على كرب
اينعم بـالي والبـلاء بأمـتي ! اذن لا صفا عيشي ولا راقني شربي
هلموا الى ما يقصر الطرف دونه من الشرف السامي على هامة الشهب
الى الغاية القصوى التي اصبح الورى يسير اليها الركب في أثر الركب
سرى العلم مسرى البرق يا شيعة الهدى فطبق من شرق البلاد الى الغرب
أعوذ بكم ان يرجع الجد عنكم سدى ونصيبي من نصائحكم نُصبي

ثم هذه الابيات الاخرى وفيها صورة من العقلية المتوثبة الثائرة على جمود القديم وخرافاته في ذلك الجبل ايضاً . انه يتهكم مرة ببعض الشيوخ من كتبة الاحراز والتمائم فيقول :

أبالاحراز تحفظني ؟! . رويداً فان الله خير منـك حفظـا
طلاسم مـا عرفت لهن معنى فكيف وما قرأت لهن لفظا !

ويتلفت اخرى فيلوم هؤلاء المخدوعين بأولئك المشعوذين :

أكلما جـاء دجال بمخرقة صدقتموه ولا تصديق إلهام ؟!

جن وسحر وتدجيل وشعوذة وتابع لأيامى او لأيتام !
أضحت حقائق علم الدين عندكم مضاعة بين تخييل واجهام

ويمتاز هذا الاديب عن سائر معاصريه بانه يستمد عناصر ثقافته الكبرى من لزوميات المعري ، وقد ترك على آثار ضرير المعرة تعليقات وفيرة وهامة من شأنها ان تلقي عليها ضوءاً جديداً لو خرجت الى حيز النشر .

وهناك مقطوعات كثيرة من شعره هي اقرب ما تكون نسباً الى هذه اللزوميات سواء في طريقة النقد او الاساوب وحتى في لزوم ما لا يلزم ، ولو هو قيد نفسه كالمعري بالتزام ما لا يلزم فيها جميعاً لكان من العسير تفريق آثاره عن آثار استاذه .

ومن اجل استكمال الصورة المنشودة من هذا العرض نلتفت الى نوع آخر من الادب فيه طرافة وفكاهة ، ونقدم من اصحابه اللاذقيين الشيخ سعيد مطرجي، هذه الشخصية التي لا حاجة الى الحديث عن ظرفها وخفة ظلها ففي وسعنا ان نتذوق كل ذلك في هذه المقطوعات التي اخترناها من شعره .

لنسمع اليه يعزي نفسه لاخفاقها في المحاماة وقد رغب في مزاولتها طلباً للعيش فأبت ان ترغب في صحبته :

أردت بأن اكون أباً لكانو وكانو ما أرادتني أباها
لذاك تركتها هرباً بديني ورحت أروم لي بنتاً سواها

ولنستمع اليه كذلك يلوم الشباب في تهافته على اللهو وتقاعسه عن المجد، فيذكر اسم « قرزين » وهو خمار قديم في اللاذقية واسم « روزا » وهي احدى الراقصات التي جاءت المدينة في تيار الاحتلال :

أضحت جيوبكم يا قوم مجدبة لما غدا روضها مرعى لقوزينا
اغرك قول « روزا » وهي راقصة «زيدي دلالك زيدي اليوم دلعونا»

***

ربوا لنا هر علم في مدارسكم لعلنا لا نرى للجهل « جردونا »
ماذا يضركم يوماً بني وطني لو اخترعتم بهذا العصر (ماكينا)
هذي اوربة بالبالون قد عرفت ما في السماء، ولم نعرف أراضينا
لسنا نقلدهم علماً ومعرفة لكن نقلدهم « بوطاً وبسطونا »

وللاستاذ المطرجي معارضات تحمل طابع هذا الظرف الممزوج بالتفكير والنزوع الى الاصلاح منها واحدة لقصيدة الحلي « سل الرماح العوالي . » وفيها يقول :

إنا لشعب أبت اقوالنا عملا نقول ما ليس يهدينا ويجدينا
وعرّ مسالكنا، خُلف مقاصدنا خلط جرائدنا ، وهم دعاوينا

واخيراً نختم حديثنا بكلمة عما يتصل بالحياة الادبية في طرطوس ، ولا مندوحة قبل ذلك من التنبيه الى وضع هذه المدينة في العهد الذي نتحدث عنه ، ذلك ان طرطوس ، التي تعد اليوم وسطاً ثقافياً، اذ يبلغ عدد الطلاب في مدارسها الابتدائية والثانوية ما يوازي خمس السكان، لم تكن حتى مبدأ الاحتلال سوى قرية ساحلية تشكل ناحية من قضاء طرابلس ، فليس فيها من وسائل العلم سوى بعض الكتاتيب الصغيرة الى جانب مدرسة اولية لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم يكن هنالك من يحسن شيئاً من قواعد العربية سوى واحد او اثنين من شيوخ الدين وبعض الغرباء من الموظفين. ولكن طرطوس عرفت في اواخر القرن التاسع عشر عالماً ازهرياً من ابنائها هو المرحوم الشيخ عبد الوهاب السيد الذي ولي القضاء في عدة مدن ثم استقر مدرساً في طرطوس حتى توفي سنة ١٩٢٦ . ولقد كان لهذا الشيخ يد في تنوير الاذهان وحفز بعض الشباب على تذوق الادب بما كانوا يسمعونه من منظوماته ودروسه فجعلوا يحاولون النظم ولكنه نظم يعوزه صحة اللغة وان توفرت له السليقة والاذن الموسيقية .

وقد ترك الشيخ عدداً من القصائد نظمها في بعض المناسبات منها مدائح نبوية وشخصية ومنها في الرثاء وفي المبادىء الفقهية ، وقد اخترت من شعره هذه الابيات من قصيدة طويلة نظمها قبل نصف قرن يمدح بها متصرف طرابلس « حسني سيفي » عند قدومه طرطوس مع قوة من الدرك لقمع حركة عصيان في بعض القرى :

علاكم لا يطاله علاء فكيف ودون قدركم السماء
وسامي مجدكم فوق الثريا رفيع ما لرفعته انتهاء

الى ان يقول :

سلكت طريقة الفاروق فينا بعدلك فازدهى هذا « اللواء »
أنجت لنا السلامة بعد أن قد دهتنا بالخطوب الاشقياء
وامنت السبيل لقاصديه فامست بالحلى تسري النساء

ومن احسن ما عثرت عليه من شعره هذان البيتان اللذان كتبهما عند زيارته ضريح أبي ايوب الانصاري في الاستانة ، وكان قد رحل اليها كغيره من طلبة الوظائف .

لي يا ابن زيد في حماكم حاجة أرجو بجاهكم الاله قضاها
حاشا أرد وقد وقفت ببابكم وببابكم حطت ركائب (طاها)

وهنا اقف لاقدم عذري في هذا الاجتزاء الذي اضطرني اليه ضيق المقام، فأنا اعلم كما تعلمون ان هناك في اللاذقية وفي جبلة وفي الجبل ادباء كان من حقهم الا تهمل آثارهم ولا يغفل ذكرهم، وعسى ان تتاح لي او لسواي فرصة اخرى تسعف باستدراك ما فاتني من ذلك .

طرطوس - سوريا محمد مجذوب

رباعيات جديدة

●

لما رأيتُ فعال النـاس مثقلةً ... بالخبث، حولي، وداء الكذب منتشرا
وقيت نفسيَ من عدوى تغافلها ... بالبعد عن كل نفس عزها اندثرا
قد تفسد البيئة الرعنـاء ادمغة ... بها تغنَّى لسـان الدهر مفتخرا
اذا حكمت على الحر الكريم بأن ... يعيش بين لئـام ، عاش منتحرا

***

ان تدعُ للونى سبيـلاً الى قلـ ... ـبك يتلف بسمّه مـا يريـدُ
جهدك اليوم ليس يجدي ، ولكن ... اترى ذكره غـداً لا يفيد ؟
فضلُ من يمهد الطريق يبـاهي ... فضـل من تنحني لديه البنود
كم بعيـد عن المخـاطر يقضي ... عمره ، وهـو كل يوم شهيـد

***

لا تنصحوني فنهجي غير نهجكمُ ... الى الزكاة ، واني غـير مغبونِ
أواجبي كلما حـاولت مكرمة ... ان لا اقدمهـا الا بقـانون ؟
ومن يصَبِر محتاجاً لاطلب عن ... شقـاء حـالته كل البراهين
من مد راحتـه فهو الفقير ولو ... حوت صناديقه اموال قـارون

***

لا تلمه اذا اضـاع مساعيك لديـه وكنت ترجو جزاهـا
رمت اصلاحه وعينك لا تلحظ تيـار نفسه وهواها
كل داء له علاج ، وما ينفع في علّةٍ يضر سواهـا
كم نفـوس اذا بخلت عليهـا ... بالاهانات لا تنـال رضاهـا

عاصمة الارجنتين — الياس فنصل

من الرابطة الادبية الارجنتينية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحارس

للكاتب الروسي ن. ليسكوف

بقلم عيسى سليم المصو

☆☆☆

ان حوادث هذه القصة مؤثرة ، ومرعبة ، ونتيجتها فريدة في نوعها، ولا يلعب الخيال فيها اي دور على الاطلاق .

ففي شتاء سنة تسع وثلاثين وثمانمائة والف ، كان الجليد ينساح عن بطرسبرج ، وكان الهواء دافئاً يشبه هواء الربيع ، فذاب الجليد ، وانساب الماء من على السطوح ، واكتسب الجليد على الانهر لون الزرقة ، وكانت هناك قبالة القصر الابيض فسحة متسعة ، هبت فوقها نسمات دافئة عبر الخليج .

وكان على رأس حرس القصر ضابط حديث السن ، اوتي من العلم حظاً موفوراً ، هذا الى نباهة وطبع سلس ، يتميز من اترابه بقلب كبير ، وشعور مرهف ، وامانة لا يتطرق اليها الشك . وكانت مهمة الحرس هينة ، سهلة ، خالية من اي خطر ، نتيجة اطمئنان الحال وثباتها ، وما كان على الحرس سوى ان يقفوا في مراكزهم لا يغادرونها ، ولكن ، على كل حال ، عندما كان هذا الضابط اللامع موكلاً بالحراسة ، حدث حادث على جانب من الخطورة ، ولكنه الآن محتجب في اطواء النسيان .

كان الليل ساجياً ، وقد شمل الهدوء ارجاء غرفة الحراسة ، وجلس الضابط يطوي الوقت في القراءة، وقد يكون انه استغرق فيها استغراقاً لم يشعر معه بمرور الوقت، واذا بمساعده المنوط به العمل، يقتحم عليه صمته، شاحب الوجه، مرتجف الاوصال، وكانت الساعة قد شارفت على الثالثة صباحاً، وأخبره بالحادثة التي جرت منذ لحظات . وملخص الحادثة ان احد الحراس ممن نيطت به حراسة باب القصر الخارجي ، سمع اصوات استغاثة تنبعث من رجل قد اوشك على الغرق ، وينحدر الحارس من سلالة ريفية ، على انه ذو قلب عامر بالشفقة، وكان قد اصاخ هنيهة الى الصراخ الذي بعث الخوف في نفسه وأثار اعصابه ، وتلفت حواليه ، ولكنه لم يشاهد احداً لكي يستنجد به ليغيث من هو على شفا الغرق ، فكان في حكم المؤكد اذن ان الرجل هالك لا محالة — وفي اثناء ذلك كان الرجل يعارك الموج في سبيل حياته عراكاً طويلاً رهيباً وانقطع صوت الرجل لحظة ثم عاد يرتفع ناشداً الغوث : وبدا للحارس ان من الميسور عليه ان ينقذ حياة الرجل ، كان يرمي اليه حبلاً او عموداً خشبياً ، ولكن الحارس تذكر انه في وظيفته ، وتذكر قسمه ، وان عليه ان لا يغادر مركزه مهما كان السبب .

واحتدمت في قلب الحارس الاحاسيس ، وتحرج مركزه ، وشعر بفؤاده يهبط ، فكان بين أمرين ، اما ان يدع الرجل يغرق وفي وسعه انقاذه — وبان له ذلك خيانة سافرة للانسانية —، واما ان يغادر مركزه ويتعرض هو نفسه للخطر . وفي مدة نصف ساعة عصفت في جوانحه الوساوس ، وخشي العاقبة ، على انه لم يخل من ذكاء ، ومن ضمير حي ، ثم انه علم تمام العلم بان من يترك مركزه يحاكم محاكمة عسكرية قد تنتهي باطلاق النار عليه . ولكن صراخ الرجل وحشرجاته ما عتمت ان تعالت، ونظر الحارس حواليه ، فلم يشاهد احداً ، وحملت الريح اليه ما قد يكون آخر



صرخة ، فلم يعد يستطيع الاحتمال اكثر فغـادر مركزه ، وانقذ الرجل الذي هوى على الارض منهوك القوى ، مرتجف الاوصال ، فقاده الحارس ، متلفتاً لعله يجد من يثق به ليأخذ على عاتقه واجب المساعدة ، وعلى الاثر شاهد مستخدماً في الخدمة الطبية كان قد وصل الى محل الحادث في وقت غير مناسب للحارس . وسرعان ما سأل المستخدم الحارس من يكون الرجل ، فأجاب الحـارس بايجاز ، وقفل راجعاً الى مركز الحراسة ، ولكن المستخدم كان ممن لا يتحرج من شرف او ضمير . والراجح في الظن انه فهم ما جرى فانه اخذ الرجل في عربته الى الشرطة حيث سجل المفتش المختص ما حدث وان المستخدم منقذه ، وتعذر على الرجل المنقذ معرفة منقذه لفقدانه شعوره ، وطمع المستخدم في الحصول عـلى وسام انقاذ الحياة .

وفي اثناء كل هذا شاع خبر مغادرة الجندي لمركزه في ارجاء القصر ، واحضر الجندي الى ضابطه وقص عليه كل ما جرى. ولم يكن هناك متسع من الوقت ، فأخبر الضابط قائد فرقة الحرس عن الحادث .

ولم تكن لدى قائد الفرقة رقة شعور الضابط ، على انه لم يتجرد من احسـاس انساني ، ولو انه عرف بقسوته ، وبشدته بالمحافظة على النظام . ولم يعرف عنه يوماً ميل الى الشر ، ولم يحاول مرة ان يوقع باحد عقـاباً لا جدوى منه ، ولكنه كان عنيفاً لا يعرف رحمة ، اذا ما اهمل احد الجنود واجبه . ففي هذه الحـالة ابى ان يقدر الاحوال التي احاطت بالمتهم ، وتمسك بالقاعدة القائلة ان اي انحراف عن جادة النظام يعد جرماً ، ولهذا عم فرقة الحرس شعور بأن المتهم سيعاقب اشد العقاب . وكان يعهد عن هذا القائد انه من العبث استدرار عطفه ، ثم انه مهتم كل الاهتمام بالتدقيق في أمر النظام ، اضف الى هذا انه كان يخشى ان يسفر هذا الحادث عن نقطة ضعف في النظام السائد في فرقته ، كما انه خشي المسؤولية التي قد يلقيها عليه الامبراطور .

فعند الساعة الثالثة صباحاً تلقى القائد رسالة الضـابط المنبئة بعمل الحارس ، فقفز من سريره مرتدياً ملابسه في الحال ، تلابسه عاطفتا الغضب والخوف ، وسرعان ما وصـل الى غرفة الحرس في القصر ، وعلى الفور استجوب الحارس الذي سرد عليه ما حصل ، معترفاً بجرمه امام الله والامبراطور ، غير متوقع الرحمة ، وكيف انه عندما سمع صراخ الاستغاثة تنازع في قلبه أمران ، اما انقاذ الرجل مضحياً بواجبه العسكري ، او الحرس على الواجب وعدم انقاذ الرجل المعذب المشرف على الغرق ، وكيف ان عاطفة الشفقة رجحت كفتها ، وكيف انه انقذ الرجل وسلمه الى مستخدم الاسعاف .

على ان القائد لم تقنعه الدوافع التي ادت بالحارس الى ما فعل ، فصب عليه جام نقمته ، وامر بالقائه في غياهب السجن ، منتقداً الضابط على « انسانيته ». ولكنه احس ان كل ذلك لن يجديه فتيلاً ، وبقيت عنده طريقة واحدة للخلاص من المأزق الا وهي اخفاء الحادث عن الامبراطور اذا استطاع .

ولكن هل من المستطاع اخفاء الحادث ؟

فمن الظاهر ان امر الاخفاء متعذر ، لان الخبر كان قد عم وشاع ليس بين اوساط الفرقة فحسب ، بل لا بد وان مستخدم الاسعاف قد نقله الى الجنرال كوكوشكين .

فمن اين لقائدنا ان يجد له مخرجاً ، والى من يلجأ ؟

وخطرت له خاطرة ، ان يحث الخطى تواً الى ولي العهد ، وان يقص عليه بصراحة تامة كل ما جرى ، فقد كانت مثل هذه المقابلات معهودة آنذاك . وقد يثور الامير ، وقد يصب نقمته على المتهم ولكنه مـا يفتأ ان يهدأ فيصفح ، وان تتغلب عليه طيبة قلبه ، فيأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن المتهم — ولكن المعضلة هـي كيف يحصل على اذن في الدخول عـلى ولي العهد في تلك الساعة المتأخرة ، وان انتظر حتى يتنفس الصبح ، فسيسبقه كوكوشكين الى تقديم تقريره للامبراطور ، ويكون قد سبق السيف العذل .

وبينما كانت هذه الخواطر تجمح بخيال قائدنا فتح الله عليه ان يذهب الى كوكوشكين مدير الشرطة العام بعينه بالرغم مما كان يشاع عنه ، فهو يوحي بالخوف والوجل لكل من انحرفت به الطريق اليه ، ولكنه الى ذلك لا يخلو من حنو وعطف الى جانب عقل كبير ودهاء عظيم ، فلعل عنده دواء لهذه العلة المستعصية . وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة صباحاً عندما اختلف القائد الى بيت مدير الشرطة الذي نهض من فراشه متثاقلا عندما عـلم ان مسألة خطيرة طرأت ، واصغى بهدوء الى القصة ، على ان هذا الهدوء كان مبعثه تعبه اثر يوم مليء بالعمل المرهق ، وثانياً ان عمل الحارس خارج عن دائرة اختصاصه كمدير للشرطة ، وعلى كل فان كوكوشكين اصدر امره باحضار مستخدم الاسعاف والرجل المنقذ ، وعندمـا حضرا طلب مدير الشرطة التقرير الرسمي فقرأه ، وما ان فرغ منه حتى شرع في استجواب المنقذ ، واذا به يطلق سراحه ، ويأخذ في استجواب مستخدم الاسعاف مؤيداً ادعاءه بانه هو المنقذ . ثم تحول الى القائد سائلاً اياه هل اخبر ولي العهد ، وكم كانت دهشة

القائد عندما اجاب بالنفي ، اذ قال له مدير الشرطة قد انتهى الامر ، طاب مساؤك .

وعند الساعة الواحدة استدعي مستخدم الاسعاف ، فخبره كوكوشكين ودلائل الاغتباط بادية عليه ، ان الامبراطور سر لدى سماعه ان من بين مستخدمي الاسعاف في القصر رجلاً ضحى بحياته في سبيل انقاذ انسان من الموت،ولذا فهو مقلده وسام انقاذ الحياة، فمضى المستخدم جذلان والوسام يلمع في صدره .

والحادثة كانت تعتبر في حكم المنتهية لو ان القائد اقتنع ، ولكنه على العكس من ذلك ارتأى ان يتوصل الى معرفة كنه الغموض الذي شمل القصة. ولعل فزعه هذا هو الذي سبب وعكته التي الزمته الفراش ثلاثة ايام حضر بعدها يحنق فاستدعى الضابط وقال له : الحمد لله اذ انقشعت هذه السحابة التي كانت جاثمة علينا مما اتاح لنا ان نتنفس الصعداء، ونحن مدينون بكل هذا ولا مراء اولا الى عطف المولى علينا وثانياً الى حكمة كوكوشكين . ذر الناس يدعون انه قاس عنيد لا يعتلج في قلبه حس نبيل ولكني مدين له ولسعة حيلته وحذقه. فانظر باية مهارة استفاد من غرور مستخدم الاسعاف على الرغم مما يستوحيه كذبه وادعاؤه من ضرب على يده فقد اغتنم هذه الفرصة السانحة ، وانجى الكثيرين حين دار المسألة ببراعة لم يشعر ازاءها اي فرد بادنى غضاضة ولكن الحارس ما زال في سجنه يقاسي عذابه ، فدعنا نضع حداً لآلامه .

عند هذا تضاعف سرور الضابط ، واذا بالقائد يسترسل في حديثه قائلاً : انت افضل من يتمم هذا العمل ، فاذهب من فضلك الى المعسكر واستدع فرقتك وسق الحارس من سجنه وعاقبه بمئتي سوط امام الفرقة بتمامها .

اما الضابط فصعق والتاع فؤاده، وحاول ان يلين قلب رئيسه بان يصفح عن حارسه كي يعم الفرح جميع المعنيين بالامر، فكفاه ما ذاقه من قصاص في اثناء وجوده في سجنه منتظراً ما قد يسوق اليه القدر من قصاص .

واذا برئيسه يتسعر بالغضب، ويحتد ، ويتهور بالكلام فيقول له : لم اكد افرغ من حديثي عن الحذق والكياسة فتأتي انت فتبرهن على عدم وجود هاتين الخصلتين فيك ! واذا بلهجته تزداد خشونة :ولا تحسبن انك انت خال من الملامة في هذه المسالة،فان طيبة قلبك لا تتساوق مع المقتضيات العسكرية، وما هذا الضعف الذي ظهر في احد مرؤوسيك سوى نتيجة منطقية مصدرها انت. ولهذا فاني احتم ان يجري القصاص تحت اشرافك الشخصي وان يكون عنيفاً قاسياً. ولم يكن ثمة طريق للحيد عن تتميم ما لا بد منه، وما ان اجري القصاص حتى حمل الحارس الى مستشفى الفرقة. وفي الواقع ان الحارس كان راضياً في قرارة نفسه بهذا القصاص اذ كان يتوقع قصاصاً شراً منه .

على ان القصة ما برحت ان انتشرت سراً بين اوساط متعددة من المجتمع في العاصمة، ففي الوقت الذي لم يكن فيه للصحافة حول ولا طول، كان للغط والاشاعات نصيب وافر، ولئن ضاع اسم الحارس وسط اللغط، ولئن اضفيت على القصة هالة من الرومانطيقية اخرجتها عن جادة الصدق الا ان هذه الاقاويل ما انفكت ان طرقت مسامع شخصية دينية ذات مقام سام كانت على اتصال وثيق باسرة القائد .

ففي ذات يوم، عندما كان القائد يزور رجل الدين هذا الجزيل الاحترام، سئل عن الحادث فما كان من القائد الا ان قص القصة كما حدثت حقيقة، واذا برجل الدين يرهف سمعه في صمت واذا به يعبث بسبحته البيضاء غير محول عينيه عن محدثه، واذا به يقول تعقيباً على الحادثة : ان مد يد المساعدة الى من هم على شفا الهلاك ليست فضيلة فحسب بل واجب، ان من في وسعه المساعدة ويحجم، قابضاً يده، معرض لما تنطق به السنن والشرائع من قصاص ، ولكن من ينقذ نفساً فانه يؤدي واجبه .

وما من شك في ان رجل الدين كان راضياً عما حدث، وبحسب يقيني فان الله ايضاً كان راضياً عن فعلة الحارس ، واحسب ان المؤمنين من الناس، والصالحين منهم، قد أعجبوا ايما اعجاب بمسلك هذا الحارس البطل المتواضع في قصتنا هذه ، البعيدة عن الخيال ، والخالية من يد التصنيع والتجميل .

بيت لحم — عيسى سليم المصو

قريباً :

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

مساند الشهرة في دنيا الادب الخالد

من سلسلة الامالي الادبية

بقلم نسيم نصر
مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

☆

لابد لرجل الفكر ، ليترك اثراً عظيماً في عصره ، من ان يُحدث فيه احد تأثيرين او كليهما معاً : تأثير القيم الانتاجية. وتأثير الشخصية قدراً وايحاء.

فاذا تناولنا قولهم : « علي اي اساس نال الشيخ ابرهيم اليازجي ذلك المنصب الرفيع في الادب العربي الحديث مع انه لم يترك آثاراً كبيرة فيه؟»

أجبنا بما يلي : اليازجي من اساتذة المنشئين النادرين في العربية وموئل البلاغة الحصيفة في الادب العربي الحديث ، نشأ في بيت مستقيم اللسان فصيح البيان ، وكأنه واحة من واحات الفصحى في صحراء عصره.

وكانت بواكير ادبه ، وهو ما يزال رطب العود ، ثماراً تلفت نظر العارفين الى قدر الاديب الناشيء. وتوحي ، بثقة كبيرة ، بذلك القلم الطالع مبشراً ببلوغ الاوج الرفيع في مجالي « الضياء ».

ولعل ميله المبكر الى الصحافة من جهة ، وعنايته بالابحاث العلمية من جهة اخرى ، ألهياه عن التوجه الى التصنيف الادبي الصرف ، فجرّت عليه الصحافة ، وهي آنذاك منبر بلاغة ، حرب الخصوم الذين تولوا الرد عليه ، فيما كان ينقد من سقطات اقلام الكتاب ، مفنداً اياها في مختلف الجرائد التي اشترك في تحريرها او أنشأها مستقلاً بها ؛ فمن « النجاح » التي اخفقت في الظهور ، قبل تمام العام على صدورها ، الى « الطبيب » التي اعيا الطب امرها فاحتجبت عند استكمال الحول ، وهي اداة ادب او سياسة في لبنان ، الى « البيان » « فالضياء » في مصر ، ومصر ملتقى الاقلام اللبنانية ، في فترة الانبعاث المباركة ، التي فيها اخذت تتحلحل اغلال العبودية على ضفاف النيل .

وعهد الشيخ الكبير هو عمر « الضياء » الخطير .

الا ان انضباطه الشخصي ، على الرغم من مزاجه العصبي ، في معركة الاقلام التي كثر فيها خصومه ، وكان ابرزهم نده الكفء احمد فارس الشدياق ، ضمن له احترام المقدرين الالباء ، ذلك الاحترام الذي ساندت فيه شخصية الشيخ الادبية مواهبه العلمية واخلاقه الابية واخلاصه الجريء للغة ، فكانت منزلته رفيعة في عصره ، على كره من توزيع اوقاته ومجهوداته هنا وهناك ، بين معلم ومصحح وباحث عالم ومقوم اقلام العربية وواضع مسميات كثيرة ومصطلحات عديدة للمستحدثات العصرية . وقد تكون هذه المهام التي اشرنا اليها ومؤلفه « نجعة الرائد » ومقاله الطويل « لغة الجرائد » وكتابه « الامالي اللسانية » مضافة الى عمله الغزير ، ضمانة لعلو مقامه وذيوع شهرته.

وقد تكون السنون التسع ، التي قضاها في غزير وفي بيروت منقحاً عبارة التوراة ، طبعة اليسوعيين ، والزمن الذي قضاه في إتمام شرح ديوان ابي الطيب ، الذي كان قد بدأه الاب فأنجزه الابن ونسبه الى الوالد براً بالابوة ، وشفع هذا الشرح المجهد الدقيق بتنقيح الارجوزة في علم النحو ، لابيه ايضاً وباهدائه فترة من عمرة الغالي الى صديقه ، جميل المدور ، فهذب له فيها كتابه ، تاريخ بابل واشور.

فلو طرحنا هذه السنين الموقوفة على التضحية البنوية والوفاء الاصدقاء من عمره القصير لبلغت ربع عمره كاملاً او نصف المرحلة الانتاجية منه تقريباً . ومن كانت هذه حاله : انصراف الى علم الفلك ، فانتساب الى جمعيات علمية عالمية في باريس وانفرس والسلفادور ، وتنقيب لتصحيح المعجمات اللغوية وسقطات الكتاب الكثيرة ، في مرحلة كان لسلامة البيان فيها المقام الاعلى في ميزات الاقلام ، فان له بعض العذر ، ان لم يكن كله ، على الا يكون انتاجه الادبي كثيراً .

وعلاوة على ما قدمنا فان في القليل الذي تقرأه للشيخ ابرهيم اليازجي ، من شعر او نثر ، ما يوقفك موقف المعجب بهذا الرجل

ناثراً شاعراً ، ففي نثره يجري قلماً حصيفاً تحس في سطوره بلاغة توشك ان تكون اعجازاً فيستحق بها ان يعتبر امام منشئين، وتنظر الى معانيه فتأسرك اليها قوة فكر وبراعة لغوي ولباقة اديب ممتاز .

واليك شيئاً من مقال في موضوع « القمر » .

« هو ، بعد الشمس ، ابهى الاجرام السماوية على العموم ، ونكتة الفلك الارضي ؛ بل اغرب ما يرى الناظر في عالم النجوم اذا استقل فلكه يسبح فوق الوهاد والآكام ورايته يتراجع مع النجم وهو مجد في وجهته الى الامام ، فتخطى الابراج ؛ وكأنه واقف لا يحس له الناظرون انتقالا ، وظهر بشكله من الهلال الى البدر حتى يعود هلالا ، فكان قيد الابصار تراه ابداً جديداً ، على تقادم عهده ، وتتوهمه على قيد اميال عنها ، وهو الشاسع في بعده ، على انه ادنى العوالم من الارض مقيلا واعلقهن بها حبالا واقربهن تمثيلاً ، فهو صورة الارض في السماء ورفيق طيتها الى حيث لا تدري في اجواز الفضاء ، وشريك بختها فيما ارصد لها من احكام القضاء ، بل هو وليدها ، وان تقضي قبلها شبابه وشابت دونها اترابه ، وقد دفعته عنها منذ انفصاله فمر الى حيث لا مطمع له في ايابه ، ثم عز عليها الا يكون بجيالها ، فاخذت عليه طريق انسيابه . فهو ابداً يدور من حولها مقطع النياط ويقطع معها اضعاف ما تقطعه من الاشواط . بل هو مثال الرونق والجمال وآية الابهة والجلال . اذا برز من الافق فانهزمت من وجهه جيوش الظلماء وانفرجت الكواكب لمره في عرض السماء ، فأقبل يتنقل بينها ، وهو يسير الهويناء عزة وخيلاء فسمت اليه الابصار اعجاباً واكباراً وانصرفت اليه الوجوه ابتهاجاً واستبشاراً » .

وفي شعره يتراءى لك الشاعر المبدع ، وان اقل ، فهو ، وان لم يكن كثير البضاعة كتجار الاخشاب ، مثلاً ، فانه ، بلاريب قيم المعدن ، في انتاجه معرض صائغ . فاسمعه يقول في عود الطرب :

« وعودٍ صفا الندمان قدماً بظله وما برحت تصفو لديه المجالس
تعشقه طير الأراكة اخضراً وحن عليه ريشه ، وهو يابس »

وله في ساعة دقاقة شيء من البدائع قال :

« ومحصية اعمارنا كلما انقضت لنا ساعةٌ دقت لنا جرس الحزن
فيا بنت هذا الدهر قد سرت سيره فهل انت ، دون الناس ، منه على أمن ؟ »

وهذا الشاعر الناثر مسند جليل الاثر بنته له جراءته ، اذ ظهر في صف الطليعة من اصحاب الفكر المتحرر ، يرسل في نفثات شعره حمماً من نيران الثائرين الناهضين . وفي قصيدته الرائيّة ، التي تجسب من ابكار الشعر الحر ، انتفاضة عربية تلوّح بذكريات العز وتومىء الى طلول المجد ، قال ، مستهلاً بالدعوة الى نبذ التوكلية الشرقية :

« برايك لذ اذا عز النصير ولا يعبث بعزمك الفتور

الى ان يقول :

كأني بالبلاد تنوح حزناً وقد أودى بعظمتها الثبور
يحن الارز في لبنان شجواً وتندب بعد ذاك لعز صور
وتدمرُ في دمار مستمر وما سكانها الا النسور
واضحت بعلبك وليس فيها سوى خرب لعظمتها تشير
فلو درت البلاد بما عراها لكانت من تلهفها ثور »

ولا يحسن بنا ان نمر ، في مجال التنويه بقدر الشيخ الشاعر ، دون ان نشير الى تناوله ، من بعض مشاغله العلمية ، موضوعات شعرية ، ويكفي ، اشارة الى ذلك ، ان نستشهد له بقوله في الزُّهرة :

« تمشي الهوينا ، كما مرّ النسيم ضحىً في هودج من شعاع النور وقّادِ
يسارق الطرف عين الشمس منظرها فالشمس ، من دونها ، حلت بمرصاد
حتى اذا هجمت في ليلها ظفرت منها العيون بلمح المبسم البادي

ويخلص الى مخاطبتها ، مشيراً الى انها كانت معبودة شعوب قديمة ، فيقول :

رأوك للحسن معبودا وما وهموا فالحسن معبود عشاق وزهاد
لعل للارض هذا الحظ عندكم وانها لو علمتم دار إفساد

وانه لمن الخير ان نثبت له بيتيه المشهورين النامين عن نفس نبيلة ؛ فهما يصلحان لان يكونا رداً لكل من اعتُدي عليه بهجاء مر ، وهما :

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت أعرضت عنها بوجه بالحياء ندّ
اني اضن بعرضي ان يلم بـه غيري فهل انولى خرقه بيدي ؟

فبروز شخصية الشيخ ابرهيم في بره بالاب ووفائه وتضحيته للاصدقاء ، وتسنمه منزلة رقيب البيان العربي ومدبّج نماذجه النديرة ، وبراعته في حسن الاغراض عن وقائع الخصوم ، واخلاصه للادب والعلم ، كل هذه جمعت له فدعمت له تآليفه القليلة ، فكان تأثيره في النهضة الادبية كبيراً ومرتبته عالية ، فترسم الكتاب بعده اساليب انشائه وانتفعوا باستحداثاته للمعاني الجديدة ، اذ وقعوا عليه مدرباً الاقلام المتمرسة بالتأليف والصحافة بعد ان كان معلماً للناشئة .

وقد توج هذا اليازجي الكبير مواهبه السامية بذوق مهذب اهله لان يكون واضع حروف لفن الطباعة والنشر .

ومن توفرت فيه كل هذه المزايا ، فكانت ايامه شموعاً تحترق في خدمة الادب والعلم والذوق ، يبدو خليقاً بان يتبوأ امامة البيان في عصره وان تؤمن له الامامة خلود ذكره ، على الرغم من قلة آثاره المطبوعة .

نسيم نصر

تفـــاحـــة

•

ابعدي التفاحة الحمراء عني قبل ان تجرحها اشواك ظني
هي منك اليوم حب وهوى وهي بعد اليوم، ذكرى، آه، تضني
ابعديها انا لا ارضى بهـا هي شؤم وضـلال وتجني
فكرة لونها الاغراء مذ هبط الشر على انس وجن
ذكرتـني بهوى « آدم » اذ هتفت حواء بالصوت الاغن:
خذ حبيبي انهـا فـاكهة لا تسل من اين جاءت هي مني.
خدعت عيناه . ! فافتن بها فهوى للارض من ضعف ووهن
ومضت حـواؤه في اثره تصبغ الارض بألوان التمني.

***

هـذه اسطورة مغموسة في دم الشهوة تذكي كل فن
ليلها يسجو عـلى آفاقهـا يسكب الخمرة دناً بعد دن
وهي في صرح الهوى وضاءة تضرم الاشواق بالثغر الاضن
لولب الروعة في اهدابها الف ويل للحنين المستكن.

***

ارجعيها ربما عدنا بهـا نحو فردوس الغرام المطمئن
مثلما جئنا بها نمضي بها كملاكين الى جنات عدن
هي ضوء القلب في اوهامه هي عذرائي اذا رحت اغني
ارجعيهـا هي حلم عابر لالٰه آده فرط التثني
هي حصن لاماننـا اذا قلب الدهر لنا ظهر المجن.

مصطفى محمود

باطـــل الاباطيـــل

•

ابعثي الليل في سنى احداقي واستثيري الضباب في آفاقي
اغرقي، بالقنوط، ما انبت الضعف من الامنيات، في اعراقي.
واهدمي كل ما بنيت، ولكن لن تري ومضة الاسى في المآقي،
انا شيعت هاجساتي واحلامي، وحطمت ؛ يا حياة، وثاقي !

***

انت !. هل انت غير وجه بغي كل يوم له طـلاء جديدُ ؟
هل جموع الاحياء غير عبيد جرعتهم كأس الهوان عبيد؟!
والتعلات ؟ والاماني ؟ أكانت غير وهم يزجيه شوق بليد ؟!
عبث . . باطل الاباطيل، ما نبني، وما نرتجي، وما نستعيد !!

***

ها انا قد محقت روحي وقلبي فلتغصّ الدروب بالاشلاء !
ولتزمجر بي الرياح، فلن يطرف جفني، ولن يغيم صفائي !
سوف امشي على حطام خيالاتي، وانقاض صبوتي ورجائي.
هادماً مابنته ايدي السكارى من محاريب في الثرى والسماء !!

بغداد — رشيد ياسين

الزهرة الحمراء

مهداة الى الانامل الزنبقية التي دست في كتابي زهرة حمراء

•

زهره الحب. . ارقدي في كتابي انت لحن من زغردات شبابي!
جرسه الحلو، اذ اراك، انتفاض في عروقي وخافقي اللهّاب. .
واشتعال الحنين بين ضـلوعي ورفيف التذكار في اهدابي
فأرى الامس من خلال دموعي وأراها تسير خلف الضباب !
خلف حلم يغلف الثغر بالذهل ويخفي احمراره بنقـاب !!

زهرة الحب. . يا التفاتة ذكرى وحديثاً عن امسيات عذاب
اين لحظ تموج فيه الاماني صادحات، توشحت باكتئاب
وجبين عليه مسحة وجد وشحوب من الاسى خـلاب
وشفـاه تململت راعشات باشتهـاء وتمتمات رغـاب
اين يا زهرة الحبيب حبيبٌ سلب اللب بالعيون السوابي
وتواري عن ناظري وقلبي تاركاً في الضلوع وهج سراب !

زهرة الحب يا سميرة سهدي وصديقاً ابثه كل ما بي
لا تخافي الذبول يمضي بطيب عبقري على الشفاه مذاب
انا ارويك من دموعي واعطيك اريج الخلود من اطيابي !
واحمراراً كمبسم الوجد لوناً واشتعال الانوار عند الغياب !

يا جمالاً عبدته طي نفسي خيفة القيل فاستحل عذابي
سوف تبقى على شفاهي نشيداً ابدياً . . يسير في الاحقاب .

فؤاد الحسن

صرخة

•

يا إلهي قضاؤك - العدل - يجري أتراه على الورى ام عليا ؟
خبزك المشتهى وخمرك سالت قطرة من دم على شفتيا
فاض من قلبك الحنان فهلا لي ابقيت من حنانك شيا !
عن مغاني الهوى نفيت فؤادي فلمن بعد نفيه عنك يحيا
اين عيناك يا إله الليالي لتصب النعاس في مقلتيا ؟
قبة الليل صدعت من انيني اتراها وعت وجودي الشقيا
أيموت الحب يأساً ويدنو منك من يعشق التراب الغويا

***

يا الهي . . نسيتي ! افترضى ان يواري النسيان ابنك حيا ؟

بغداد **عبد الوهاب البياتي**

نهاية قصة

•

تقولين فيمَ اختلاج الاسي على شفتيك، وفيم الشحوبْ ؟
غدا سوف نترك هذا الوجود ونفلت من نزوات القلوب
غداً سيواري المساء الطويل هوانا وتمحو الدياجي الذنوب
وتصبح احلامنا ذكريات لها في ضمير صبانا ندوب

***

اجل ! سوف اخنق صوت الحياة وأدفن أحلامنا في الوحولْ
وألهو مع الماجنين الجناة الى ان يلف شبابي الذبول
واضحك مل، فمي هازئاً واحرق للشر قلبي الملول
واصرخ في نجم عمري الكئيب متى ايها النجم يأتي الافول ؟

***

تقولين : فيم اعتراك الشحوب ؟ ودربي تحف به الشائكات
اقلب طرفي بهذي السماء تروّعه ظلمة الكائنات
ضميري الذي عذبته الشرور تألم من ظلم هذي الحياة
لكم عشق الطهر في زهرة وهام مع الانجم الهائمات

***

ولما تمثلت فيه استفاق . . . وعربد كالنزوة العاتيه
وهدّم معبده كي يهيم بعالم اوهامك الواهيه
يناديك : انت ضمير الوجود وانك مبعث الحانيه
سيعفو وطيف الخطايا يحوم عليه ، فينهش احلاميه

***

سأذكر ايامنا السالفات لعلي اخفف من حيرتي
سأهرب من لذعات الضمير واجهش بين يدي وحدتي
سأحرق احلامنا الطاهرات وحبي المجنح في لذتي
فلا تسألي فيم هذا الشحوب فتلك النهاية من قصتي

القاهرة **غائب طعمة فرمان**

بقاء

•

لهوت عن الحقائق بالقشور وما ادركت غايات الامور
رويدك ما الغنى في جمع مال وتشييد المنازل والقصور
بنى الاهرام بانيها ليبقي فمات وفاز حفار القبور
رويدك سوف لا تبقي الليالي بناء ليس من نار ونور

ستنهار العروش على ذويها ويذهب كل مجد من غرور
غدا ينهدّ ليلى كل بيت سوى بيت رقيق من شعور
الى م تنزلين سواه داراً اما تخشين عادية الدهور ؟

وديع ديب

حج

•

كيف ؟ لا تزعج حياتي بالسؤال
عمرنا بعض ليالٍ
دع جنوني ينسج الاحلام في فجر خيالي
ويلم النور من حولي ويهمي
ناثراً باقاته في اعين الليل الملم
شارباً من خمرة الحج باقداح الجمال

***

ها هنا الحج ! ومن حوليه طاقات زهور تسأل العمرا :
كم مضى عندك من يوم وكم لفلفت في جنحك بدرا؟
فيفح الضحك المكبوت لا يعبأ بالزهر الغريرا
اي عمر ؟ اي بدر ؟
انا لم اعرف مدى الدهر سوى الساعة فجرا
ما تراها غمرت كوني سحرا؟ . .
ساعد ضم الى الخافق صدرا
وفم يغمر في دنياه ثغرا
ودم يسري مع الروح وروح تتعرى
حلم لم يحلم الكون بأبهى منه او يعرف اقوى منه اسرا ! . .

***

يا حبيبي ! او تنسى حجنا ؟ يوم كنا وابتسام الدهر منا ولنا
كل نجم كان يرعى ظلنا كل ورد كان يهفو حولنا
ينثر الطيب ويغريه بنا ! ؟ . .

او تنسى يوم اغفى الليل في الحج وراحا
ساحباً اذياله زهواً ووجداً وارتياحا
تاركاً من ثوبه قطعة ليل اسحم
لفنا فيها واغضى
عن جنون القبلات الملهم !

***

يا حبيبي ! من درى يوم اعتنقنا ؟
اينا انت ومن كان أنا ؟
انا نفسي لم اكن ادري
اي ثغر كان ثغري
اي صدر كان صدري
اي روح كان روحي اي فكر كان فكري
كل ما ادركه انا امتزجنا فمضينا
فكرة يقظى وحلماً يتثنى
صور جامحة من حبنا لفها الليل فرفت اغنيات ومنى

حمص — انعام الجندي

صحوة

•

الآن ! ! . اصبحت ، بلا مقصد لا الامس ، من عمري ولا لي غدي
ضيعت امالي ، فلا تسألي عن موضع ، اقضي به موعدي
انا ! ! رفيق البؤس ، انى مشى ، مشيت ، منقاداً — ولم اقصدِ
قد كان لي دنيا ، تضج المنى فيها ؛ ويزهو ، كل حاو ندي
لا تسألي ! ! مذ غاب عهد الصبا ، اصبحت من دنياي ، صفر اليد
لا تسألي عني ! ! فهذا انا . . ، صدى تراتيل ، لدى المعبد
اموت ، في اجوائه ، مثلما ، قد كان في اجوائه . . . . مولدي

طرابلس — محمود عيسى

الماضي

•

لم يزل راقصاً على اجفاني مثلما لاح في ضحى عنفواني
عرس للجمال عانقت الانغام فيه عرائس الافنان
وشعاع اطل من مقلة الكون على قلب شاطىء فينان
وظلال من الصبا حضنت صحراء غرقى بحلمها الفتان
رافلات ثيابها بنجوم لمستها انامل الارجوان
غمزت نسمة الربيع فألقت كل ما تحتويه في الاردان
الاغاني رفت على ثغرها سكرى وشعت من مقلتيها الاماني
كلما دغدغت قواها يد النشوة اغفت على ذراعي حناني

***

هكذا عاد طيفها ينشر الماضي ويهمي بذكريات حسان
هكذا عادني، كما كان بالامس ، شباباً، وبسمة، واغاني
واستفاق السنا ، وطيف رؤاها كسراب يلوح للظمآن

محمد النفري

احبك

•

أحبك حتى تغار النجوم ، وتمعن في النأي انوارها
وتنشق للنور حجب الحياة ، توشوش للشمس اسرارها
فنبقى بقيثارة الحب لحناً يتيما يدغدغ اوتارها
احبك حتى يجف فؤادي وتذوي به خفقات الامل
ويذبل في مقلتي التشهي وتجمد في شفتي القبل
احبك قبل انبثاق الجمال وبعد الخلود وقبل الازل .!
احبك جوعاً يمزق نفسي وينفث في مقلتي السعير
وفيضاً شهياً يغيب قلبي يفجر ملء ضلوعي الزفير
احسك رباً على رغباتي فألمح فيك ثراء الفقير
تسبحك الحمر من نغمتي وتهفو اليك خفايا الضمير .!
احبك في ضمة تضرّي حناناً وفي رقة ظالمه
فنصحو مع الفجر لما تموت الدماء على نغمة جارمه
كأنك حلم يداعب ظني لانعم باليقظة الحالمه
كأني اضم السماء اذا ما ضممتك يا نشوتي الناعمه .!

كولك - السنغال **ادموند الفلفلي**

الربيع

•

ملهم الامنيات والاحساس ورجاء معطر الانفاس
ونسيما يرق في كل قلب يبعث الشعر والمنى ويواسي
ونشيد الجمال في كل نفس واماني العشاق في الاغلاس
انت حس قد باركته يد الله فأضحى وعرشه بك كاسي
غن لي يا ربيع اغرودة الحب نشيداً يسمو به احساسي

***

يا ربيع الآمال اسكر فؤاد السكون وامنحه منك ابهى لباس
وبجيد الزمان فانظم عقوداً من كريم الياقوت او من ماس
واقم ملكك العظيم على الده ر فخوراً بزهره المياس

مراكش **ابراهيم احمد الهلالي**

ذكريات يافا

•

كيف أتاو عليك شعر الوداع واصطخاب الامواج ملء سماعي
والهدير الهدير ما زال يدوي في كياني ومهجتي ويراعي
وحياة الشطئان تجتاح احسا سي بلحن من نايها الملتاع ؟!
إيه يافا . . ايامك الغر هل كا نت اساطير ام حديث ابتداع
اقفر البحر يا عرائس احلا مي . . فلا رحلة بحضن الشراع
اقفر البحر ، لا خيال ولا سحر ولا رقصة بدنيا الشعاع
والليالي القمراء والسهر الضا حك جفت على جبين الصراع
والكؤوس التي رشفنا لماها هي رجع من قهقهات الضياع
والصبابات حسرة وعويل تتلظى في كل شبر مباع !

رام الله - فلسطين **هنا جاسر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الأديب

هوية الثقافة العربية

السنة الاولى – تأليف أبو خلدون ساطع الحصري – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – حجم كبير – ورق صقيل – ٦٢٣ صفحة

يقول العلامة ساطع الحصري في مقدمة هذه الدراسة الشاملة لاوضاع الثقافة والتعليم في البلاد العربية: «لقد ألّفت هذا الكتاب لافتتح به سلسلة الحوليات التي ستنشرها الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عن شئون الثقافة كل عام. من المعلوم ان الحوليات تؤلف – من حيث الاساس – لاستعراض ما يستجد من الامور خلال العام الواحد ؛ ولكن لما كان فهم الامور المستجدة حق الفهم يتوقف على معرفة الاحوال السابقة معرفة وافيـــة ، فان مؤلفي الحوليات يضطرون الى افتتاح مباحثها بمعلومات عامة عن الاحوال الراهنة وعن عوامل تلك الاحوال.

وفي مكان آخر من المقدمة يقول : هذا ويجب ان يلاحظ من جهة ثانية ان الاوضاع الثقافية في مختلف الاقطار العربية متنوعة تنوعاً شاذاً. فهناك دول عربية مستقلة تشرف على شؤون الثقافة فيها وزارات وطنية، غير ان كل واحدة منها قد ورثت عن الماضي ميراثاً يختلف عما ورثت غيرها ، فاتجهت لذلك اتجاهـاً يختلف عن اتجاهات زميلاتها.

وهناك بلاد عربية غير مستقلة، ظلت الثقافة فيها تحت هيمنة دول اجنبية ، تتحكم في شؤونها عن طريق الانتداب او الحماية او الاستعمار ، وتوجهها الاتجاه الذي تتطلبه مصالحها السياسية . ثم يلخص الاستاذ العلامة هدفه من نشر هذه الدراسة القيّمة قائلاً:

« فلا مجال للشك في ان هذه الفروق ستتضاءل كلما تخلصت الدول العربية من النظم التي ورثتها عن عهود الاحتلال والانتداب وكلما عدلت النظم والاوضاع القائمة في بلادها ، وفق ما تقتضيه مصالحها الحقيقية بنظرات شاخصة نحو المستقبل البعيد ، والمثل الاعلى الذي تنطوي عليه فكرة العروبة الخالدة . »

عبقرية خديجة ام المؤمنين

تأليف الشيخ عبدالله العلايلي – مطبعة الهلال – بغداد – حجم صغير – ١١٦ صفحة

والكتاب افتتـاح لسلسلة تراجم يتحدث عنها الاستاذ عبد الامير السبيتي في مقدمه الكتاب فيقول : « وقد حفزنا على التفكير في مثل هذا ما رأيناه من اتجاه نفر من شبابنا الطالع نحو الادب الرخيص تطلع به علينا الكثرة من دور الطباعة في ايامنا هذه » ثم يقول : « وليس ادل على ذلك من تكاثر المجلات المصورة والملونة وتزاحمها في نشر هذه الصورة والابداع في هذا الاخراج كأنما القارىء العربي اصبح قارئاً للرسوم والاحاديث التي ليس لها من الاثر سوى تسويد تلك الصفحات ».

«لقد توزعت السبل، وتشتت الاهواء، وانتشر الناس موزعين في تلك الطرق المتشعبة كل يهدف الى امر ويتجه الى مرمى، تاركين وراءهم كل ما ورثوه ونشأوا عليه من مبادىء ومثل . . . »

والكتاب سيرة حياة خديجة ام المؤمنين ، وقد عالجه علامتنا العلايلي بما عرف عنه من عمق فكر وروعة في التصوير ، واستقراء للمعاني الانسانية والجمالية في البطولة والعبر.

قال يحلل نفسية السيدة خديجة : « فلا بدع ان فار في قلبها اتون حزن ، كان له في شؤون عينيها مجاري دمع لا يرقأ.

« والسيدة خديجة ان حزنت حق لها ان تحزن ، ومرير الحزن ايضاً ، فالأسى يوقظ الاسى ، والمصاب يحيي المصاب ، وأبو هالة غداة اليوم كأنما لم يفصل دونه امس بعيد. . . فذكراه تحطت حواجز الذكرى لتحيي ايضاً في ندوبها الطرية ، واخزة وخزهـا طائفة بأشواكها.

« وانها لفي معتنق اللجة تعلو بها وتهوي، وتكشف حولها وترق قضى والدها فلم تمسك من نفسها جزعاً واشفاقاً ، لقد جرعت الغصة اكؤساً دهاقاً ، جرعتها حتى الثالة. .

« وكانت من امرها مع القدر وأمر القدر معها – صنو زنبقة الغور – فيما تبث من ايحاء وتبعث من شجون.

«وجمالها المرزأ او المخدش بالارزاء، يقفك منه عند عقدة تأمل. تثير منك كثيراً، وتفتح قلبك على صور غنية بجمالها غنية بآلامها ، وهي في هذه وهذه مشوبة بأسرار وما استغلق ذلك حتى على عقل الجاهلية فكانت تدعي اثناءها لمكان هذا الحس: « الطاهرة »

من العراق - شعر

لعدنان الراوي – عدد قصائده المجموعة ٣١ – مطابع
دار الكشاف – بيروت – ١١٠ صفحات

يقول الشاعر في مقدمة مجموعته الشعرية هذه « وبعد فاني يوم اصدرت كتابي الاول في حزيران ١٩٤٧ كان التفاؤل يغمرني من كل جانب وكانت الاندفاعات النفسية التي املت على قصائد ذاك الكتاب متقمصة نوراً من الامل ، واليوم وانا اكتب مقدمة هذا الكتاب احس الالم الدفين ينطلق من كل جوانب قلبي واحس بسحابة كئيبة من الخذلان واليأس . . »

من قصيدته جيشنا وجنودنا :

هو الجيش، لا الشعر ، ما ينفع ... سأسكت ان نطق المدفع
فهذي الجنود وهذي السيوف ... صواعق للذل لا تخضع.
وجيش العراق ، هو المرتجى ... وفيه احتمى الامل الاروع

***

بنو العرب ، لن يرتضوا ذلة ... ولن يستكنوا ولن يخضعوا
وقد آن ان نستبين الحياة ... بعين من العز لا تدمع . . .

خليل مطران - شاعر العصر

دراسة لنجيب جمال الدين – قدم له الشاعر صلاح اللبابيدي
مطبعة دمشق – حجم متوسط – ١٦٣ صفحة

من مقدمة الشاعر صلاح اللبابيدي « لقد درس صاحب هذا الكتاب شعر مطران درساً مستفيضاً واحبه حباً جماً ، حتى بالغ في الاعجاب مبالغة لا يرضاها الاخلاص للادب فعند بحثه الوحدة الفنية قال « ان خليل مطران اول من وفاها حقها من العرب ، وآخر من وفاها ذلك » . .

. . « أنا اقول ان المؤلف على سعة ادبه وعمق بحثه وفى خليل مطران حقه من التحليل ولكنه قد رسم لنا طريقاً اذا سار عليها الباحثون من بعده أمنوا العثار ، ووصلوا الى الحقيقة » .

ومن الكتاب « خلاصة التجديد – الآن اريد القول ان تجديد مطران في الشعر العربي لم يكن كحركة الابداع التي قامت في اوروبا على انقاض الكلاسيك ، لان تلك الحركة الابداعية اتصفت بالشعور المرهف والخيال المترف اكثر مما اتصفت بالتوجيه الاجتماعي او الخلقي او العقلي . » .

. . « ان مدرسه تجديده – مطران – وان لم تظفر بالكثير من الذيوع والامتداد حتى الآن ولكنها ولاشك ستكون طريقتنا التي لا معدي عنها في ادبنا القادم ! » .

السراب

لنجيب محفوظ – قصة – لجنة النشر للجامعيين – مطابع دار الكتاب العربي – القاهرة – حجم متوسط – ٣٢٧ صفحة

« ولكني شديد النفور بطبعي ، شديد الخجل ، محب للوحدة والعزلة ، عديم الثقة في الغرباء ، وزاد طبعي تعاسة ما جبلت عليه من صمت وعي وحصر ، فلم احسن الكلام قط فضلاً عن الدعابة والمزاح . لذلك جميعه رموني بثقل الدم ، وقد آلمتني هذه الصفة حتى سألت امي يوماً :

– هل انا ثقيل الدم يا اماه ؟

فرمقتني بنظرة ارتياع وقالت بحدة :

– من قال عنك ذلك ؟

فقلت في حياء : التلاميذ كلهم !

فصاحت بغضب : « قطعاً لالسنتهم ، انهم ينفسون عليك ادبك الكامل والخطور الذي يحملك بينما يتسكعون على اقدامهم اياك وان تأخذ منهم صديقاً » .

اهداه لله ، وقصص اخرى

تأليف محمود تيمور بك – دار المعارف بمصر – حجم متوسط – ٢١٧ صفحة

« واسفر يوم عرف فيه محمد افندي ان زوجه تستقبل بين جنبيها ولياً لعهده فعاجلته فرحة واشراق . . ثمة وليد سيطالعه بعد شهور . . وليد يضاف اسمه الى القائمة السابقة الحافلة بالبنين والبنات ولكن ما أبين الفرق بين اللفيف القديم والوليد الجديد . اولئك لا صلة بينهم وبينه . فكأنهم ليسوا منه . . اما هذا الجديد المنشود فله وضع غير ذلك الوضع . انه يقدم كالزهرة النضيرة يضيع عطرها من حوله ، فيملأ حياته من بهجة وايناس ، انه يقدم الدار مثيراً فيها النشاط والمراح ، انه ابنه الوحيد الذي يعرفه حق المعرفة ويتمتع به جد التمتع . . انه ابنه الوحيد الذي يفرغ لتنشئته تنشئة طيبة وفق هواه . . انه ابنه الوحيد الذي هو جدير بالانتساب اليه ! » .

مذكرات الارقش

تأليف ميخائيل نعيمة – مكتبة صادر بيروت – حجم متوسط – ١٤٣ صفحة

« من هو الارقش ؟ . .

. . « الناس قسمان : متكلمون وساكتون . أنا قسم الانسانية الساكت – وما بقي فمتكلمون ، اما البكم والرصم فلغاية ختمت

الحكمة الالهية على افواههم فلا يتكلمون في حين اني ختمت على يدي بفمي . وقد ادركت حلاوة السكوت ولم يدرك المتكلمون مرارة الكلام .

لذلك سكت والناس يتكلمون . .

. . « انا ناسك بين الناس ، والتنسك بين الناس اين من هوله التنسك بين الوحوش . فأنت تستطيع ان تأمن جانب الوحش وان تكسب الفته باللين والمحبة ، وان اخفقت وغضب الوحش عليك فهو لا يمزق منك غير جسدك ، اما الناس فيحسبون اللين والمحبة منك ضعفاً ويتحاشون الحاق اقل ضرر بجسدك الغافي خوفاً من قوانين سنوها في حين يستحلون جعل روحك الابدي مشاعاً للشارد والوارد ، ولا قانون يصدهم ولا محكمة . لذاك تركت جسدي مشاعاً لالسنتهم وسيّجت روحي بالسكوت . رأوا آثار الجدري في وجهي فلقبوني بالارقش . اما روحي الملتف بالسكون ، البعيد عن ابصارهم الكفيفة ، فلم يجدوا له اسماً ، لذاك يحسبونني مختل الشعور ولكنني من وراء سكوتي استطيع ان ابصر ما في قلوبهم واقرأ ما في افكارهم لانني احكم على افكارهم لا بما ينطقون بل بما لا ينطقون : لذلك سكتّ والناس يتكلمون » . .

وابل وطل ومفقات قلب

مجموعة شعرية – لابراهيم عوبديا – مطبعة مجلة العالم العربي بالقاهرة
حجم متوسط – عدد القصائد ٧٣ – ١٤٥ صفحة

حسناء :

صبغ الجمال نضير وجنتها ... بدم الشباب وريّق الزهر
وجلت سريرتها ملاحمها ... يا للجمال الطاهر النضر
واسترسل الشعر الاثيث ... وتوج رأسها مجدوله الخمري
وتألقت بين النهود قرنفلة ... يشع بريقها الدري
وتأنق اللحظ الدقيق تأنق شاعر في فكرة بكر
وتناسق القد الرشيق كما تتناسق الالفاظ في الشعر . .

مناهل الادب العربي

تلقينا من مكتبة صادر سبعة اجزاء (من ١٢ الى ١٧) من « مناهل الادب العربي » وهي سلسلة قيمة تصدرها المكتبة للتعريف بوجود الادب العربي القديم والحديث والاجزاء تعرض مختارات من أدب الاستاذ « بطرس البستاني » فا « براهيم اليازجي » في جزءين ، فحياة الشريف الرضي وشعره في ثلاثة اجزاء ، ثم منتخبات من القصاص اللبناني الاستاذ « كرم ملحم كرم » !

فاذا كان لنا ان نقول كلمة في هذه السلسلة القيمة المنوعة فهي انها عمل أدبي جدير بالتقدير ، خاصة وهي تعنى بالتبسيط المادي فتكون في متناول القراء والطلاب وهي ، تعطى ، باختصار ، وشمول دراسة ، صفحات منتخبة من ادبنا القديم والحديث .

النازحة

شعر – لمحمد شمس الدين – البقاع لبنان – حجم صغير – ٩٨ صفحة

يقول في قصيدته بعنوان النازحة :

على الدرب ، والفجر شق الظلام وارخى ذؤابانه الساطمة
وشدو من الطير حلو اللحون ، ترجمه الفتنة الساجمة
وكل ينضر قلب الحياة فيوقظ أعينها الهاجمة . .
على الدرب لاحت ، وفي عينها ، بقايا دجى حالك ، قابعة
يلفلفها البؤس ، يا للشقاء ، وتحضنها الحيرة الجاثمة

مواكب الحرمان

شعر منثور – لسالم الكاتب ، مطابع دار الكشاف ببيروت – حجم وسط – ٦٣ صفحة

من قصيدته الظلام :

« لماذا يرهبونك ايها الظلام ؟
وانت العين التي ترى وتستر

الاسواق التجارية

•

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين
وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى – ساحة الشهداء ببيروت
الهاتف : ٦٨ – ٦٦ العنوان البرقي : ادفرت ، بيروت

والاذن التي تسمع ولا تنطق
لماذا يفزعون منك ؟
وأنت تخفي موبقاتهم وسفاسفهم
وتستر عيوبهم وفضائحهم
لماذا ينعتونك بأقبح النعوت ؟
وأنت حبيب الشقوة والوحدة
وفيك يلوح الامل...
وتمتزج الارواح بالارواح
وتحلق النفوس بالنفوس
تكلم أيها الظلام ؟
ولكنك لا تجيب !
فسكوتك هذا الطويل
سر عظمتك الخالدة .

سجعة من ينبوع

مجموعة شعرية – لعبدو مسوح – مطابع ابن زيدون بدمشق – حجم صغير – عدد القصائد ٢٠ – عدد الصفحات ١٠١

من المجموعة : هلا ذكرتِ .

هلا ذكرتِ هوانا ... يوم التقت شفتانا
ايام كنا وكان ... الغرام كل منانا
وقلت لي : يا حبيبي ... اطلق لدي العنانا
وذاب قلبك وجداً ... وذاب قلبي حنانا
وكان لثم وضم ... وكان شعر ونغم
وسكرة احياناً .

ابو جعفر النقيب

تأليف الدكتور مصطفى جواد – وهي الحلقة الثانية من سلسلة حديث الشهر التي المحنا اليها من قبل – مطبعة الهلال – بغداد – حجم صغير – ١٢٣ صفحة

قدم المؤلف منتخبات من آثار ابي جعفر بعد ان عرض تاريخاً لحياة المترجم له .

وكتب في نهاية هذه الدراسة الموجزة المفيدة : « هذه الاقوال تصور لنا وجهاً من وجوه الثقافة العربية الاسلامية العراقية في عصر مضى من العصور الزاهرة بالعراق » .

الارادة سر تقدم العرب والامم

تأليف منير الشريف – صدر عن لجنة « العبقرية العربية بدمشق »
مطابع ابن زيدون بدمشق – حجم متوسط – ١٣٩ صفحة

ما هي الارادة ؟

« الارادة هي اثمن ما يتحلى به الانسان في دنياه ، واعظم منحة الهية للبشرية ، تفوق كل المنح لانها اساس النجاح في العالم ، حيث تسيطر على الاعمال الكبيرة فتسيرها انى شاءت ، وعلى القوى البشرية ، فتجعلها تقوى على كل امر .

.. « الارادة هي حاكمة على كل شيء ، بل هي كل شيء ، فمنها ما يكون موهبة موروثة تأتي الانسان من غير ان يعلم ، فتعلمه وتثقفه ، وتغنيه ، وتجعله بطلاً من ابطال العالم في كل عمل قائم به .. »

الحانة ضائعة

قصة امرأة – تأليف هند سلامة – مطابع الاستقلال بيروت
حجم متوسط – ٩٥ صفحة

« انها ليست بقصة ، بل هي قطعة من صميم الحياة . اذ تبين لي فيها المغامرة والطموح ، اليأس والانتقام ، كما لمست فيها الحب المادي بجواهره الصقلى الى جانب السلطان الروحي ، وقد شاء الله ان أجد بطلة كتابي في اقرب الناس الي اذ عشت بالروح مع هذه الرفيقة التي فتحت قلبها للمغامرات واقدمت عليها رغم ما اعترضها واعترض خطاها من عثرات فقد سلخت بسمها ثوب الحقائق لتطير باجنحة الخيال ضاربة اسوار الابدية متوهمة انها ستبلغ في هذه الحياة ما ليس في هذه الحياة فسبرت اغوار الحب في حلاوته ومرارته وجرعت كأسه حتى الثالة . » .

رياض الفكر – مختارات في الادب والاجتماع

تأليف عبد الرسول الشريفي ، مطبعة الغري
النجف – حجم متوسط – ١٠٧ صفحات

قصة حوار – انا ونفسي – على قدر ما يستحق – تاريخ حياة فكرة – قصة المجمع العلمي العراقي – مذاهب الادب العراقي .

ونقتطف من كلمة « المخلوقات »:

شقية تلك المخلوقات الصغيرة
فمرة تراها تنساب مسرعة فزعة
وحينا تجري بهدوء وطمأنينة
واخيراً نجدها تموت في صمت يائسة قانطة
انها تجري لتبحث عن قوت لها، غير انها ترتد خائبة فاشلة،
فمنها ما تغوص في اعماق البحار
او تدفن في طيـات الارض
او تتلاشى خلال طيات الاثير
لاننا جميعاً نحاربها ونركض وراءها لنصطادها
ومع ذلك فهي لاتحمل غيظاً نحونا
بـل تصفح عن خطايانا وذنوبنا تجاهها

همس الايام

– مجموعة اقاصيص – تأليف عبدالله نيازي
مطبعة المشرق بغداد – حجم متوسط – ١١٠ صفحات

من اقصوصة غرام راقصة :

لم كلفت نفسك هذا العناء ؟ وأنا لم اعتد الشرب .
– او لم تشرب حتى الآن .. ؟ – لا ..
– ولا تدخن .. ؟ – لا .
– حتى ولا .. ولا .. – حتى ولا اقرب الاثم .

فاسترسلت في ضحك متكسر كأنه اللؤلؤ وقالت :

– لاية غاية تأتي الى هنا ؟ .
– لاني اجد راحة ؛ او بعض الراحة في الفصل الهزلي الذي يقدمه ممثلو هذا الملهى .

– فقط ؟ – فقط .

وعاد الصمت وقد حاولت الكلام ، الا انه طلب منها الاذن بالانصراف وحاولت ان تستبقيه مدة اكثر ، الا انه اعتذر وشيعته الى الباب وطلبت منه الا يتعجل بالانصراف في الايام القـادمة فوعدها وانصرف ».

Oxford Progressive English for Students in The Middle East

تلقينا من جامعة اوكسفورد كتاباً مدرسياً ، ذا طريقة جديدة في تعليم اللغة الانكليزية طبع على مطابع جامعة اوكسفورد في جزءين في الاول عرض للدروس والثاني ملاحظات الاساتذة وهو من تأليف الاستاذ أ–س هورنبي. الجزء الاول حجم متوسط – ٢٣٨ صفحة – والثاني حجم متوسط – ١٤٧ صفحة – وهو ذو فائدة كبرى لطلاب هذه اللغة .

يوميات هالة

تأليف السيدة سلمى لطفي الحفار – دار العلم للملايين – بيروت
مطابع دار الكشاف – حجم متوسط – ١٦٥ صفحة – الطبعة الاولى

وهي ذكريات رائعة الاسلوب، جزيلة العبارة ، عميقة بما صورت من احاسيس واوحت من اجواء، وهي قصة فتاة تدون ذكرياتها، ثم تلم ببعض الحوادث السياسية التي كان والدها السيد لطفي الحفار بطلها.

الخميس ٩ كانون الثاني ١٩٤١ .

اصبح الناس جميعاً بعد البراءة مخلصين .. فتتابعوا زرافـات ووحدانا حتى غصت بهم الدار وامتلأ جوها تهاني، وتباريك ، فلم تعد تعلم البعيد من القريب والبغيض من الحبيب، فلله ما اعجب الانسان ! ان شمائله كالاصداف لاتظهر حقيقتها الا بعد انكشاف ما يكنها من قشور . فمنها ما تحمل لؤلؤاً قيما صافياً ، ومنها مـا تكون فارغة خالية من كل جوهر ، ومـا اندر الاصداف ذات الجوهر وما اكثر الخاويات الخاليات » ..

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة نيجيريا غينيا الفرنسية الصومال الكمرون غينيا البرتغالية
كران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل
الارجنتين شيلي بوليفيا الاورغواي فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا



جولة الأديب في شهر

شاعر البؤس والبوهيمية

بقلم سعد جمعة

•

قلت للشاعر والشاعر ذو سهم يطيش
أنت ان عشت تمت جوعاً وان مت تعيش

ما أصدق[1] هذا القول في شاعر الاردن الاكبر، مصطفى وهبي التل[2]، الذي فجعنا به منذ أشهر، ونحن احوج ما نكون الى شدوه الحلو وشجوه الحنون، ففقدنا لساننا الجهوري وصدانا الصادق وبلبلنا الشادي، الذي طالما تنفس بآلامنا، وانعكست على صفحة فنه الصافية آمالنا، وحدا باشواقنا الى البشائر اللائحة على الافق القريب . . ومع ذلك، مع كل ذلك لم يزود في حياته زاداً، ولم ينل غير الجحود والعقوق والحرمان، فعاش ومات وعلى شفته بسمة حسرى، وفي اعماق روحه دموع .

كان، رحمه الله، لرهافته واصالته، حريصاً على الانسحاب بذاتيته العريقة الى الخارج، ليجعل لتجربته القدرة على المشاركة الوجدانية في الالم الاجتماعي العام، فبقدر ما كانت حياته مليئة بالمآسي، كانت حافلة بالنغم المواسي، فهو يغني وكيانه مشدود الى ما حوله ومن حوله، لشدة لصوقه بمجتمعة، وتجاوبه معه اعذب تجاوب واصدقه واجداه .

وكانت له فلسفة « رواقية » خاصه في التعامل مع الدنيا والناس . اما الدنيا فقد قال لها منذ عرفها : « غري غيري » !

وانصرف عنها في بساطة تأنف الضجة والاعلان، وقضى في نفسه على انفعالات المخاوف والرغبات، دون ان ينسى واجبات مهنته الخطيرة، او يجنح الى التشاؤم المنخوب او الشك في فائدة فنه او قيمة ربعه، بل كان يلقي الآلام ببسمة ساخرة لا تضمر الحقد ولا تعرف التغرير . .

واما الناس فقد ابتلى منهم بما لا زيادة وراءه لمستزيد : وفى لهم فغدروا به . تحفى بهم فأنكروه واقصوه . احبهم فكرهوه . وكان لاتقاد شعوره تؤذيه اللمحة الغادرة واللفتة الماكرة . . هذا بالاضافة الى ما كان يمضه من نزاع ملح في اعماق نفسه بين نزوعه المثالي وبين الملابسات والاوضاع . فلم يجد في غير صبوات الهوى واكؤس الطلا، مستروحاً لغربته وأساه . . حتى اذا انتشى بخمرة الدن، وخمرة الاعين النجل، همس بذلك النغم العلوي . .

ولو كلفت ترجمة حياة هذا الفنان في جملة، للخصتها في الكلمات الثلاث المأثورة : وُجد . فتألم . فمات ! . .

فهو قد وُجد، وجود الضرورة بين عدمين، دون ان تتاح له نعمة الهدوء الروحي، قضى الله له ان يكون كتلة متوفرة من الحس العنيف، والحساسية صنو الالم . .

وكان حيث ينفث أناته السخينة، لا يشكو انه لا يملك، بل يشكو انه لا يملك ان يعطي، فلم يكن اسرع منه الى بذل، لو صورت الاريحية لكانته، وكان كرم نفسه كرماً مؤثراً حقاً، وكان يجد العار كل العار في ان يكون مكفياً وغيره لا يجد الكفاف، فكان يقول لمن يلومونه على السرف :

كفى بك داء ان تعيش ببطنة وحولك اكباد تجنُّ الى القدّ

وأن أنسَ لا انس يوم سأله احد « اثرياء الحرب » عن سبب اعتلال صحته، فأجابه بقول الشاعر :

واني امرؤ عافي أنائيَ شركة وانت امرؤ عافي انائك واحد
اتعجب مني ان سمنت وان ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
افرق جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد

ثم غمز ذراعي وهمس في اذني قائلاً : « من حسن الحظ ان هذا السخيف لا يفقه هذا المعنى اللطيف » . .

وكان رحمه الله، موكلاً بنقد الظلم الاجتماعي، وتسقط لؤم الدنيا وصغار الناس، فكان لا يفتأ يردد : « انظر حيث تشاء لن ترى الا اسنمة توضع واخفافاً ترفع وحقاً يرجى عند اهله » .

كان صريحاً في عالم موبوء بالنفاق، شهماً في دنيا صديقة انذال،

---

(١) حديث القي من محطة الاذاعة الاردنية .

(٢) ولد شاعرنا الكبير في مدينة « اربد » حاضرة اللواء الشمالي في المملكة الاردنية حوالي سنة ١٨٩٣ وتلقى العلم في المدارس التركية، وكان من طلائع شباب حركة التحرر القومي . وما كاد الوضع السياسي في بلاده يستقر على حال، حتى انصرف الى الخدمة العامة فاشتغل بالتعليم، ثم درس الحقوق على نفسه، ونقل الى سلك القضاء . . ثم اختير متصرفاً للواء « البلقاء » لكنه لم يطق قيود الوظيفة فهجرها الى ميدان العمل الحر، فكان محامياً لامعاً لا تنسى مرافعاته القيمة ذات النفحات الانسانية التي كان ينظم معظمها شعراً سائغاً يجري مع سليقته الفصيحة .

وكان، الى ان وافاه القدر المحتوم، موضع عطف ورعاية وتقدير حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك العالم الشاعر عبدالله بن الحسين حفظه الله .

وفياً في رهط غدارين .

وسرعان ما ضوي بلهب نفسه الشاعرة فاستحال الى هيكل عظمي تجوس في اطلاله خيالات وأوهام . وذكريات . واكرهته العلل المتواكبة على الانطواء بعيداً عن الافنان التي طالما شغفها غناء وتطريباً، وعن الخلان الذين خلفوه وحيداً شريداً، حتى أمسى فيما يقول : «كيتامى الزط لا احد يرعاه» ومات غريباً، فانطوت صفحة انسانية نادرة من الخلق الفذ والفن الاصيل ، والفناء في الديرة والعشيرة .

اما شعره فصورة نفسه السمحة العامرة بالمحبة الهامسة بالانين. فهو صاف يجري في سهولة ويسر وانسياب ، لا تحس معها افتعالا وابتساراً ، فهو بذلك في مقدمة الشعراء المعاصرين صفاء ديباجة ونقاء اداء، وصدقاً في الانفعال والافضاء، وان كان سريع اللمسة ، ساذج التناول، عفوي البادرة، لا يهم بالغوص على التجارب العميقة والتغلغل وراء الغموض الغائم الذي يبعث على التداعي الدائم النبض.

وخصائصه الاصيلة : رقة الشعور وصدقه ، ورهافة الحس ونفاذه .. ثم السليقة المواتية ، والطبع المسعد، والاستجابة الحانية لآلام المجتمع ، ثم الامعان في الكأس الروية والهوى العذري حتى يصبحا من جنود الهامه. واثر الخيام في شعره اوضح من ان يدل عليه.

وقد تميز فوق ذلك ، بموهبه لا تجاري في براعة الاستهلال ، وحسن اختيار اللفظ الموحي، واستعماله في أبانه ببديهة ملهمة وذوق مستنير ، ولنغمه عبير شخصي لا تخطئه يترقرق بالحرقة والحرارة والوجد النزيه ، يغلف ذلك جميعاً لحن منغوم في بساطة اليفة .

وعلى الرغم من لا أباليته واستهجانه بدنيا العرف والتقاليد ، كان آية الآيات في عفة الازار وطهارة الذيل ولطف المنزع ، لانه كان صادق اللوعة يحترق بنار الحب الاكيد .

ومما يؤخذ عليه : فقدان الوحدة والتسلسل في قصائده لانه كان ينظم كيفما اتفق وحيثما اتفق ، كما يؤخذ عليه اهمال النسج لقلة عنايته بالتهذيب والتنقيح وضعف جلده على التقصي والتروي والمعاناة. .واخيراً، لا آخراً، يؤخذ عليه طابعه المحلي، اذ الهته مشاغل الحياة المحيطة به ومشاكلها المرهونة بزمانها ومكانها عن التحليق البعيد.

وجملة الرأي فيه انه شاعر واقعي اجتماعي واضح الاتجاه صريح الدلالة سريع الانفعال والاستجابة واداؤه مؤنس مباشر ، تميل اليه النفس في انعطاف وولوع . وموسيقاة رعشة جديدة في الشعر العربي المعاصر . وهو لو اتيحت له ثقافة اعظم وبيئة ارحم واتصال اوثق واعمق بالمذاهب الفنية العالمية ، ليتسع افقه وتغنى روحه ، لو اتيح له بعض ذلك لاربى على الغاية وتجاوز المدى واتى بالاعاجيب. وعلى اي حال فهو شاعر الاردن الاكبر غير منازع !

وقد يسأل سائل : ألم يجمع شعر هذا الانسان في ديوان ، فيجيب هو ، رحمه الله :

قالوا : لشعرك عشاق بودهم ... لو أبصروا بعضه في شبه ديوان
فقلت : شعري أشلاء مبعثرة ... كأنها عمري ، في كل ميدان !

فعسى ان يقيض الله لتلك الاشلاء الغالية من يلم شملها قبل ان يطويها العفاء . واليكم مقتطفات من روائعه :

هذا هو تهزه الانغام في مضارب النور ، فتذكره قومه وآلام قومه فيهتف من اعماقه :

يا اخت سلمى في غناك عذوبة ... تشجي ويغرق دمعها احزاني
ما شمتُ ومض البرق في نبراتها ... الا استبنت بشجوها ألحاني
ورأيت في مرآة بؤسك صورة ... وقرأت فوق اطارها عنواني
أهلوك قد جعلوا جمالك سلعة ... تشرى وباع بنو أبي اوطاني
وذووك قد منعوك كل كرامة ... وانا كذلك حارسي سجاني
يا بنت في إسبال جفنك محملٌ ... للاشتباه بأن لحظك جاني
وبأن هذا القلب عاث بأمنه ... عينان – واقلباه – سوداوان

لا « مدعي عام اللواء » أجارني من سحرهن ولا « الرئيس* » حماني

وقال يشكو البث الى طيف « أم أولاده » الذي زاره مغضباً وهو في المنفى :

أهكذا حتى ولا مرحبا ؟ ... هُه أشكو قلبكِ القلّبا !
اهكذا حتى ولا نظرة . . ... ألمح فيها ومض شوق خبا ؟
اهكذا حتى ولا لفتة ... انسم منها عرفك الطيبا ؟
ناشدتك الله وكأس الطلا ... ونشوة الحب وعهد الصبا
وغصة الذكرى وآلامها ... وحرمة الماضي وما غيبا
لا تسأليني سر دائي فقد ... أحال عمري خاطراً مرعبا
كم رصعت افقي نجوم المنى ... ثم تهاوت كوكبا كوكبا
ماذا عليه إن يكن برقها ... ككل برق قبله خلبا
الناس انسانان : من همه ... ان يرتوي ذلاً وان يلعبا
وآخر يقضي عليه الحجى ... والمجد ان يشقى وان يتعبا
ما قيمة الالقاب منصوبة ... والظهر بالحزي قد احدودبا

وقال يناقش « مفتي عمان » الذي كان يلومه على إدمانه الخمر :

سكر الدهر فقل لي كيف أصحو ؟ ... والندى يبخل والجود يشح
وأنا يا سيدي المفتي كما . . ... قيل عني ، حيث ينحو الحب أنحو
فحياتي لا تسل عن كنهها ... انها حان وألحان وصدح
وأمانيّ شباب فاتها ... في شبابي ، يا له مسكين ، نجح
وعثار الجد قد صيرها ... عبرة خرساء هيهات تسح
فافتني يا شيخ هل بعد الذي ... جاءكم عني عما بي ندح
وانا يا شيخ طراد هوى ... كلما لح به الشوق يلح
سكر الدهر ولم يفطن الى ... سكره حر أبي النفس قح
ضربوا الامثال بي عربدة ... فلسكري عندهم متن وشرح
بعضهم يسكر للسكر وفي ... الناس من يسكر يا شيخ ليصحو

* رئيس المحكمة .

في زمان ليس للحق به ناصر ألا اخو جهل ووقح
قد نذرت الصمت لما قيل لي ان صوت الحق في الدنيا أبح

وهذه مقاطع من خريدته الكبرى « ألحان الحان » :

عفى الصفا وانتفى من كوخ ندماني واوشك الشك ان يودي بأيماني
اين الندامى ، مضوا كل لطيته وخلفوني بهذا الكوخ «وحداني»
فلا سمير ولا ساق ولا وتر يشنف اليوم ، واويلاه ، آذاني
وليس لي ملجأ آوي اليه اذا تهكم الصاحبين الفظ آذاني
وقد تنكر لي اهلي وأنكرني صحبي وأقرب من ادنيت اقصاني
فهاكني كيتامى « الزُط » لا امل وليس لي احد في الناس يرعاني
شربت كأساً ولولا انهم سكروا بخمرتي وسقوني الصاب خلاني
لقلت يا ساق ، هلا والوفاء كما ترى تنكّر ، هلا جدت بالثاني
سيمت بلادي ضروب الخسف وانتهكت حضائري واستباح الذئب قطعاني
فأن تكن منصفاً فاعذر اذا وقعت عيناك فينا على مليون سكران
قالوا يعاقرها . قولوا ، علانية اني اعاقرها في كل « دكان »
تساخف الدهر فالدنيا مهازلها طفت على كل تدبير وحسبان
فهل علي وجوف الدهر قد صفرت يداه من كل احساس ووجدان
ان قلت يا ساق : هات الكأس مترعة وقلت يا كأس : انت الحادب الحاني
يا بائع الراح والدنيا مقايضة بعني ببردي اذن ، برداً « بلاباني »*

عمان

سعد جمعة

لقاح الثقافات العربية

يتجه العالم اليوم في دنيا السياسة الى طريقة التكتل ، وهو يبحث في هذا السبيل عن اقل شبهة ارتباط لتحقيق التكتل المطلوب ، فالامم التي تقع على بحر كذا او حوض كذا من البحار او الانهار تريد ان تتخذ من هذا الاشتراك وسيلة من وسائل ربط الوشائج ، واحكام الصلات ، وان كانت هذه الوشائج تعد من اوهى الصلات او أقلها شأناً ، وقد تتوافر في بعض الامم وشائج اخرى اشد احكاماً ، واوثق ارتباطاً ، وحينئذ تقوم وحدتها على اساس متين راسخ ، وهذا ما نجده متوافراً في الامة العربية فهذه اللغة الواحدة التي تقرب بين الافكار والمفاهيم ، هذه اللغة جديرة الى جانب الروابط الاخرى — ان تجعل العالم العربي وحدة واحدة.

واذا كان عالم السياسة العربية قد تمخض عن الجامعة العربية لاستهداف وحدة سياسية، فان الشعوب العربية التي بدأت تستيقظ قد عملت هي الاخرى ، بجهودها المنفردة ، على احكام روابط القربى بين الامة العربية وكانت الصحافة اقوى الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، وابعدها تأثيراً .

ولست الآن في معرض الحديث عن مدى نجاح الصحافة العربية في توجيه شعوب الضاد التوجيه الصحيح او ما اضطلعت به من اعباء في سبيلها ، او ما عساها ان حملته من نعرات عصبية ، او دعوات خاطئة من حيث تعلم او لا تعلم . لست في هذا المجال ، فان فقاعات السياسة لا تلبث ان تزول، وان خلفت آثاراً في النفوس الا انني اقصد من وراء هذا الحديث ان اخلص الى الهدف الثقافي الذي تؤديه الصحافة فلا ريب ان الصحافة تقوم باداء غرض ثقافي فيما تنشر من ابحاث في الادب او العلم او الفن، وفيما تعنى به من قصص او شعر، وهنا يجدر بي ان اذكر القارىء ان الصحافة ذات لونين : اخبارية تعنى بالاخبار في الدرجة الاولى، وتأتي الاهداف الثقافية عرضاً، وثقافية تعنى بالادب او العلم وما يتصل بهما ، وتأتي السياسة فيها عرضاً .

ورغبة في الايجاز اقصر الحديث على الصحافة الادبية ، فقد اختصت بعض الصحف في مصر وفي غير مصر ، بالادب وما يمت اليه بصلة كمجلة الرسالة والكتاب في مصر ، ومجلة الاديب في لبنان ، فان مثل هذه الصحافة تقوم بدورها ، في تدعيم الوحدة العربية وايجاد تقارب فكري بين المثقفين في العالم العربي، بل انها لتمثل هذه الوحدة بين صفحاتها ، فأنت تقرأ في المجلات الادبية المصرية لكتاب من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق كما تطالعك مجلة الاديب اللبنانية بفيض زاخر مانع من ابحاث الكتاب المصريين والسوريين والفلسطينين والعراقيين والكويتيين والبحرانيين ، الخ الى جانب ما تنشره لشعراء المهاجر من بديع الاغاريد، والى جوار ما تقدمه لادبائها المحليين، بل ان هذه المجلة اكثر المجلات العربية عناية بهذه الناحية، فهي ملتقى الاقلام العربية القوية من شتى اقطار العروبة.

لقد اصبحت هذه المجلات واضرابها مدارس ثقافية ، جمع اساتيذها من الاقطار العربية جمعاً يقدمون عصارة ثقافية متحدة وهي وان اختلفت في طريقة الاداء والعرض الا انها تصب في نهر واحد هو الادب العربي ، او الثقافة العربية الموحدة . انها تقوم بدور الروافد الفياضة التي تسعف النهر الادبي .

وهنا يلذ لي ان التفت الى القاعدة التي ترتكز عليها الحضارات منذ ان عرف الانسان الحضارة ، وهي قاعدة التبادل الثقافي ، او اللقاح الثقافي ، فالادب العربي والحضارة العربية ما كانا ليتدرجا في النضج الى ما وصلا اليه، لولا دخول الثقافة الفارسية، والفكر اليوناني فقبس الادب سمة الخيال من الاول ، واكتسب عمق التفكير من الثاني. هذا في العصور السالفة. وفي العصور الحديثة ما كان الادب ليصل الى ما وصل اليه اليوم لولا عملية النقل والترجمة التي قام بها

— البقية في الصفحة ٧٢ —

* نسبة الى « عرق بلابان » الشهير .

أنباء العالم في شهر

٢٦ يناير ١٩٥٠ – طلب المفوضون الحلفاء من المستشار ادنارد تعيين قناصل المان عامين في لندن وواشنطن وباريس .

٢٧ – وصل المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية الى القاهرة .

– الف السيد دي غاسبيري الوزارة الايطالية .

٢٨ – اعترفت حكومة الاتحاد السوفيتي بالجمهورية الاندونيسية .

٢٩ – غادر المستر بيفن القاهرة الى الاسكندرية عائداً الى انجلترا ولم يصدر بلاغ عما جرى من محادثات .

٣٠ – اعلنت نقابة العمال الشيوعيين بايطاليا ان العمال يرفضون تفريغ الاسلحة الواردة الى ايطاليا من امريكا .

– خف الحصار الصغير الذي فرضته السلطات الروسية على برلين .

٣١ – اصدر الرئيس ترومان امره بصنع القنبلة الهيدروجينية ومتابعة الابحاث الذرية .

– يتهم الاندونيسيون الهولانديين بتشجيع ثورة « جيش المسيح » وقد وقعت معركة على بعد ٣٠ كيلومتراً من العاصمة بين جيش الثوار وبين الجيش الحكومي .

اول فبراير ١٩٥٠ – وافقت الحكومة الصينية الشيوعية على تبادل العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا دون شرط .

– رفض سفير روسيا في باريس مذكرة الحكومة الفرنسية بالاحتجاج على اعتراف الاتحاد السوفياتي بحكومة ثوار فيتنام .

٢ – قدمت الحكومة العراقية استقالتها .

– اذاعت وزارة الخارجية الفرنسية انها استقبلت السفير السوفياتي وكررت عليه بشدة الاحتجاج على الاعتراف بحكومة هوشي منه في فيتنام .

٣ – اعلن ملك بريطانيا حل البرلمان وبذلك اعتبر يوم ٢٣ فبراير الموعد الرسمي للانتخابات ويدعى البرلمان للانعقاد في اول مارس .

٤ – غادر سالونيك آخر جندي بريطاني في اليونان ولن يبقى فيها سوى بعثة عسكرية صغيرة بناء على طلب اليونان .

– وافق البرلمان الايطالي على ارسال ٣ آلاف جندي وموظف ايطالي الى الصومال وقد عارض الشيوعيون والاشتراكيون ذلك .

٥ – الف السيد توفيق السويدي الوزارة العراقية .

٦ – اعلنت نظارة الخارجية الاميركية انه تقرر عقد مؤتمر اقليمي دبلوماسي اميركي بمصر لمتابعة البحث بشؤون الشرق الاوسط .

٧ – عدل المسيو بيدو رئيس الوزارة الفرنسية وزارته بعد انسحاب الوزراء الاشتراكيين منها .

٨ – اعترفت بريطانيا والولايات المتحدة بحكومات فيتنام ولاوس وكمبوديا .

٩ – نشرت صحيفة « ناغليخ راندشار » الشيوعية نص الاوامر التي اصدرها رئيس دائرة البوليس في المنطقة الشرقية من برلين الى البوليس بالاستعداد لاحتلال جميع المدينة في الربيع القادم .

١٠ – صرح المستر ماكلوي المندوب السامي الاميركي في المانيا قائلاً : اعلن بصورة حازمة انهم لن يستطيعوا الاستيلاء على برلين، واعتقد ان برلين ستبقى في مكانها اول يونيو ونكون باقين فيها ايضاً .

١١ – اتهمت الدول الغربية الثلاث روسيا بالتدخل لعرقلة الشحونات من مناطق برلين الغربية الامر الذي يناقض الاتفاق المعقود بين الدول الاربع .

– اعلنت الحكومة الاميركية انها مستعدة لمنح اندونيسيا قرضاً قدره مائة مليون دولار .

١٣ – صرح كلايتون وكيل نظارة الخارجية الاميركية السابق ان التهديد بحرب عالمية جديدة يتأكد يوماً بعد يوم اذا لم تغير الولايات المتحدة سياستها الخارجية ، وقال بضرورة تأليف اتحاد حقيقي بين امم الاطلانطي .

١٤ – اعلنت وكالة تاس تأجيل توقيع معاهدة صداقة بين روسيا والصين مدتها ٣٠ عاماً .

١٥ – بدأت في فرانكفورت مفاوضات لعقد معاهدة تجارية بين بريطانيا والجمهورية الاتحادية الالمانية .

١٦ – افتتح بالقاهرة مؤتمر السفراء المصريين في الخارج بعد انتهاء محادثات الدبلوماسيين المصريين في البلاد العربية .

– اكد الرئيس ترومان انه يعتزم ارسال بعثة الى موسكو كي تبسط لستالين النوايا الاميركية

١٧ – لا تزال الحكومة الفرنسية ماضية في التدابير الزجرية ضد المحاولات التي يقوم بها الشيوعيون لمنع تفريغ الاسلحة الاميركية في الموانىء الفرنسية .

١٨ – اجتاز الشيوعيون الصينيون حدود الهند الصينية واحتلوا مخفرين فرنسيين .

٢٠ – اقترح احد النواب الاميركيين اتخاذ تدابير سريعة لانشاء عاصمة احتياطية تحت الارض يمكن اللجوء اليها في حالة حرب ذرية .

٢١ – قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الديبلوماسية مع بلغاريا .

٢٢ – تقول « رويتر » ان وزير خارجية مصر صرح بان حكومته تدرس الآن امكان رفع قضيتها ضد بريطانيا الى هيئة الامم .

– تتمة المنشور في صفحة ٦٨ –

الرواد عن الادب الفرنسي والانجليزي . هذه قاعدة صحيحة لا يرقى اليها ريب ، ومن الخير للثقافة العربية اليوم ان تطبقها على وجه واسع بشكل داخلي، اعني بذلك الاستفادة من الوان الادب العربي لا الاقتصار على لون واحد ، فقد قيل عن ادبنا الحجازي – مثلاً – انه ينهج النهج المهجري ، ثم قيل عنه انه يصطبغ بصبغة الادب المصري وما ادري ما عساه سيقال عنه في المستقبل ، وهذا عيب الاستقاء من مورد واحد، فمن حق الادب على المتأدبين ان لا يحصروا الادب الواسع في معين واحد، وامامهم ألوان من الآداب العربية ، فالى جانب الادب المصري الناضج ادب التفكير والبحث نجد الادب اللبناني ادب الخيال والعاطفة والادب العراقي أدب النصوع والعروبة الاصيلة، من حقنا ان نأخذ من كل هذه الآداب ، لندعم ادبنا بعصارة مركزة من مجموعها ، وحينئذ نستطيع ان ندرك الركب في الغاية التي تجري اليها الآداب العربية لتصب في مصب الادب المتحد.

« عن جريدة البلاد السعودية بمكة » **عبد العزيز الرفاعي**

الانسان جوهر الحياة

☆☆☆

عجيب

امر هذا الانسان الذي ينفذ ببصيرته الى معرفة سر الكائن في جزء من معنى الوجود ، ويبحث باهتمام متواصل عن المادة فيهذب فيها المهمل، ويرتقي في تطورها المنعدم ، كيف لا يعنى في نفسه عناية اصلاح وصعود — ونعني في النفس نفس الوجود لا اسبابه ومناسبته - وهو في ذاته جوهر الحياة الذي يعطي لكل كائن — في في اكتشافه او خلقه ما تحول من جامد الى متحرك ، وما تبدل في سلبه الى ايجاب— روحه ووجوده ، فانه في ذلك يكون في الاحداث « خالق ومخلوق» يعرف كيف يخلق ما هو دون عمل الخالق في قابل الخلق.

واذا كانت المادة والجوهر اسمين آخرين للقوة كما قرر المبدأ الفيزيائي ، فالانسان في اسمه رمز متحد لقوة الوجود في جوهره ومادته ، حيث كان كما زعم بعض العلماء « ان الانسان يسيطر بعقله على المادة ، لا المادة تسيطر على العقل في الانسان » . وهو كالجواهر الفردية « Monads » يتوزع قياسياً الى مستوى خاص ودرجات متفاوتة ، والى جوهر حي وجوهر ميت يمكن ان نراه ولا يمكن ان نراه ، فيه قوة الكون التي ينبثق منها الفكر والعزم والحياة ، وفيه الاشياء والحيوانات التي اشار اليها الفيلسوف الالماني ليبنز « الحيوانات لم تولد ولن تموت ، والاشياء التي نفترض مناسبة وجودها تظهر فقط في الوجود وتتوارى » !

ومن المحتمل — وكل شيء في هذا الوجود يبنى على فرض الاحتمال ، كما زعم العلامة « كلارك ماكسول » ووافقه في الرأي المطران « بولتر » — الاحتمال دليل الحياة — ، ان يكون الانسان هو اكبر مما نتصور ، وان اللغة — وهي واسطة التعبير عن المعرفة — في نطقها المجازي والتشبيهي لم تعرف بعد قيمة الانسان وحقيقته ليعرف الانسان نفسه في حقيقتها ، ولعل الروح التي لم تُعرف حتى في التشخيص الميتافيزيكي Metaphysical diagnosis هي الانسان ذاته الذي يمر شعاعه في الموجود الساكن الى الموجود المتحرك — منه واليه — فيؤلف هذا الكون كما تؤلف الذرة الهيدروجينية نفسها في اهتزازات او ذبذبات قدرها العلماء بـ ٤٥٠ مليون مرة في الثانية !

وعندما يأتي « هيجل» فيكيف الانسان من الناحية الاستعدادية بقوله «كن شخصاً Be a person»، ويأتي الانكليز مثلاً فيقولون «كن فاضلاً Be a gentelman» كان معنى ذلك انهم يحدون بذلك معرفة القيمة الانسانية وقابليتها المثلى في الصعود ، فان الفرق بين « انا ولا انا » كما زعم احدهم، كالفرق بين الموضوع والغرض، وما قاله احد العلماء « ان الانسان في الفنون الجميلة تطور من حيوان الى ان اصبح قريباً من الملائكة» هو ادراك عاطفي يجب ان ينتشر مفهومه بين الفضائل الانسانية لتستيقظ ، ومن يقظتها يبدأ البحث ، والبحث يؤدي الى نتيجة ، والنتيجة تقود الى الحكم والتحول .

ان الانسان بحاجة الى نشوء فجائي Mutation تتحول فيه العقلية الميكانيكية الى عقلية روحية تبلغ درجة الحكمة الانسانية العليا Super human wisdom التي اشار اليها سقراط في ضرورة معرفة بدء الاشياء، وعندئذ يرى انه اهمل نفسه اكثر من خمسة آلاف سنة ، ولو انه عرف جوهرها في تراكز السمو الكامل ، لقام برحلات منظمة الى الجنة — كما هو — وادرك ابواب السماء قبل ان يدرك باب القمر ..!

مبشفن - الولايات المتحدة

عبدالله بري

نحن شعوب العالم

بقلم فؤاد صروف

«نحن شعوب العالم» بهذه الكلمات الثلاث تستهل الامم المتحدة ميثاقها. وفي اختيار اللفظين — لفظ «الشعوب» في مستهل الميثاق، ولفظ «الامم» في اسم الهيئة العالمية، مغزى لا يكاد يخفى على أحد، ولكن الحرص على توكيده، وتفسيره، يوماً بعد يوم، شيء لا غنى عنه، لتستكمل الامم المتحدة المعنى الاول، الذي من اجله أنشئت واليه تسير.

نعم، ان حكومات الدول التسع والخمسين، التي انتظمت اعضاء في الامم المتحدة في سان فرنسيسكو، او قُبلت اعضاء فيها بعد انشائها، هي التي توفد كل سنة وفودها الى الجمعية العمومية، وهي التي ينتخب مندوبوها كل سنة، او كل سنتين، او كل ثلاث سنوات، اعضاء في مجلس الامن، او مجلس الاقتصاد والاجتماع او مجلس الوصاية، او غيرها.

نعم، ان حكومات هذه الدول، الاعضاء، هي التي تملك او توافق او لا توافق، عن طريق ممثليها على القرارات التي تطرح للاقتراع، وهي التي تكفل تنفيذ تلك القرارات متى تمّ الاتفاق عليها بالاكثرية المطلوبة او تتهاون في تنفيذها.

نعم، ان مبدأ الاجماع بين الدول الكبيرة الخمس في مجلس الامن يحدّ من سلطان الدول الاخرى ويخضع طائفة من اعظم المسائل شأناً واعلقها بحفظ الامن الدولي، وصون السلام، لحق الاعتراض او الفيتو، الذي هو نتيجة منطقية لمبدأ الاجماع الذي تقدم ذكره.

كل هذا، وغيره كثير، يوحي بأن الامم المتحدة ميدان لا شأن فيه لشعوب الدول التي انتظمت اعضاء فيها، ولكن ينبغي ان لا ننسى ان الاركان الثلاثة التي قامت عليها الامم المتحدة، هي أولاً صون السلام، وهذه المهمة هي في المقام الاول مهمة مجلس الامن، وثانياً انشاء الاحوال التي يتاح فيها للسلام ان يستتب، وللرخاء ان يترعرع، وهذه المهمة هي في المقام الاول مهمة مجلس الاقتصاد والاجتماع، والوكالات المختصة التابعة له، وثالثاً الاعراب عن الضمير العالمي، وهذا يتم بغير قيد سوى قيد اللائحة الداخلية، في الجمعية العمومية ولجانها.

اما مجلس الاقتصاد والاجتماع، ووكالاته المختصة، فلا هم له أو لها، سوى التمهيد للسلام عن طريق الرخاء. وهذا المعنى هو شعاره وان لم يتخذه شعاراً رسمياً، وهو ايضاً شعار كل شعب من الشعوب

فليس في العالم اليوم امة لا تريد ان تكون احسن صحة وافضل عيشاً وأوفر تربية وثقافة وضماناً اجتماعياً لجميع ابنائها على السواء. وليس في العالم اليوم، امة تستطيع ان تزعم انها في غنى عن سائر العالم، وكل من يقول ان الاستكفاء الاقتصادي او الثقافي مستطاع، يقوله بدافع من العاطفة، وبمعزل عن الحقيقة ويسلك في قوله طريق الرجعى والعزلة والجمود. حتى الولايات المتحدة، او الاتحاد السوفيتي، وكلاهما يملك قدراً وافراً من الموارد الطبيعية والانسانية، لا يتأتى له ان يستكفي لو أراد.

فاذا كان العالم كله موصول الاواصر، كما يدل كل استطلاع اقتصادي منزه عن الهوى، فالنهوض الاقتصادي في بعضه، والتخلف عن النمو الاقتصادي في بعضه الآخر، يفضي الى اختلال التوازن، اي ان الرخاء البشري، هو كالحرية، شيء لا يتجزأ. وقد قال لنكلن، الرئيس الاميركي العظيم: «ليس في وسع بلد ان يعيش نصفه حر، ونصفه عبد»، وكذلك عالم اليوم.

فمجلس الاقتصاد والاجتماع اقر هذا المبدأ، وهو اقرار خطير، ثم اتبع به اقرار مبدأ آخر، وهو ان الامم المتحدة تحمل على كاهلها تبعة بذل المعونة للامم المتخلفة في نموها الاقتصادي، وهو في سعيه، الى تحقيق المبدأين، مبدأ ان الرخاء لا يتجزأ، ومبدأ تبعة الامم المتحدة في اقامة الرخاء، انما يسعى جاهداً لتحقيق الركن الثاني من الاركان الثلاثة التي قامت عليها الامم المتحدة، اي توفير الاحوال الاقتصادية والاجتماعية التي يتاح فيها للسلام ان يستتب، وللرخاء ان يترعرع.

وهذا عمل مبدأه ومعاده خير الشعوب، والحكومات ليست فيه سوى وسيلة او اداة. ممن تستمد هيئة الصحة العالمية وحيها، ولمن تدبر مشروعاتها، حين تسعى الى قهر الاوبئة، او حصر نطاقها، او منع انتقالها؟ أليست صحة الفرد، وصحة الجماعة، هي الركن الذي لا غنى عنه في بناء صرح الرخاء؟ وممن تستمد هيئة الطعام والزراعة وحيها، ولمن تدبر مشروعاتها، حين تسعى بالنصح والارشاد، الى التوسل بأحدث الوسائل التي فتقتها حيلة العلم، وأرستها التجربة، لزيادة معدل الانتاج الزراعي، ورفع مقدار المتاح من الطعام لكل فرد من الناس؟ أليست الكفاية من الطعام هي الركن الذي لا غنى عنه في بناء الكرامة والطمأنينة وتعزيز القدرة على الانتاج؟ ممن استوحى مجلس

---

* حديث اذيع من راديو هيئة الامم المتحدة في لايك سكسس.

الاقتصاد والاجتماع، واللجنة الاجتماعية العامة في الجمعية العمومية، حين حرصا على وضع ميثاق حقوق الانسان ، الذي وافقت عليه الجمعية العمومية في اليوم العاشر من شهر ديسمبر ١٩٤٨ والذي جاء في صدره ان الاعتراف بالكرامة الاصيلة في ابناء الاسرة الانسانية جميعاً ، وبتساويهم في حقوق ملازمة لهم ، هو اساس الحرية والعدل والسلم في العالم ؟ أليس استمتاع كل فرد بهذه الحقوق، في حدود القانون، هو المثل الذي لم تزل الانسانية تصبو اليه منذ فجرها الاول ؟

اما الجمعية العمومية ولجانها، فقل فيها ما تشاء — قل ان الخطب في المناقشة العامة التي تسبق العمل في اللجان الرئيسية، يغلب ان تكون طويلة، مملة، فيها كلام معاد، او اتهام مثير من هنا او هناك، ينافي الحقيقة حيناً، والذوق احياناً — او قل ان العمل في اللجان يُدبَّر أمره في الاروقة والاجتماعات الخاصة ، وان الضعيف فيها مهمل حتى يقوى بنفسه او بأصدقائه، قل ذلك، فلا تعدو حقيقة الواقع، ولكن الذي لا يسعك الا ان تعترف به، هو ان منبر الجمعية العمومية هو اعلى منابر العالم واجهرها صوتاً، وليس فيها او في احدى لجانها من قيد يفرض على الرأي او القول، سوى قيد اللائحة الداخلية، فالضعيف يستطيع على الاقل ان يقول كلمته وليس في وسع القوي ان يمنع هذه الكلمة او ان يطمسها فكل ما يقال، ان لم تعن به الصحف، فان محطة اذاعة الامم المتحدة، تذيعها في اربعة اقطار المعمورة ، وقسم الصحافة في الامم المتحدة، يعنى بطبع نسخ كثيرة من كل بيان يلقى، اذا طلب اليه الوفد الذي يلقيه ان يفعل . وستظل الجمعية العمومية ولجانها مترنحة بين العدل المجرد والواقع ، بين الضعيف الذي عدله بيّن ، والقوي الذي ينحاز اليه الناس لانه قوي ، حتى نصير ، « نحن شعوب الارض » اصح ادراكاً ، واقوى شعوراً ، واوثق آصرة ، ويومئذ لا يسع القوي مهما علا وقوي ، الا ان يصغي الى هذه الهمهمة الهادرة الصادرة من اعماق النفوس البشرية، ويقيم لها وزنها الصحيح في ميزانه العالمي.

نعم ان تاريخ الامم المتحدة ، كما يتمثل في مجلس الامن على الاكثر، وفي الجمعية العمومية، لا يرضى كل من تطلع منذ اليوم الاول، الى هيئة لا تنهج الا نهج الحق والعدالة في اقرار كل مسألة تطرح للبحث امامها . وقد حضرت طائفة من اجتماعاتها في سنتين متتاليتين فهالني ما رأيت وما سمعت، من كر وفر على صغائر الامور، وثرثرة وتجهم ومناورة في كبارها . وقد عرفت في شعوبنا العربية، غير واحد من اهل الرأي يدعو الى الخروج منها، وهو رأي اذا قارنته بالمثل الاعلى الذي رنونا اليه من خلال غياهب الحرب، كان له عندي اعظم التقدير، ولكنني مع ذلك لا انسى ان انقسام الدول الكبيرة كتلتين متنافستين قد ترك اثره في اعمال الامم المتحدة ، وبخاصة ما كان منها منصباً على المسائل التي تمتّ الى السياسة والامن بصلة وثيقة ، وانه برغم هذا الانقسام لا تزال وفود الامم، تجتمع وتتناقش وتختلف على الاكثر، وتتفق على الاقل، ولكنها تجتمع وتتناقش على كل حال، فأقول ان كان هذا شر، فهو اهون كثيراً من ان تمتنع عن الاجتماع . ثم لا انسى ان الشعوب العربية، وحكوماتها، لم تجن من عضويتها في الامم المتحدة اقصى الجدوى . نعم خذلتنا الجمعية العمومية في فلسطين، ولم ينصفنا مجلس الامن في مصر، وكلاهما غير معصوم عن الخطأ، كما سمعت بنديت نهرو يقول اليوم، وهو قول فيه رفق ومجاملة . ولكن متى عنيت الدول العربية بتوحيد كلمتها، وانشاء وفود دائمة لدى الهيئة كما فعلت مصر فيتمرس رجالها بجميع وسائل الهيئة واساليبها، ويبذلون سعيهم الدائم في الامور التي تهمهم على وجه خاص، فانها تصير نواة لكتلة يحظب ودها ومدرسة لطائفة من الشباب العربي يتدربون في اكبر معهد سياسي في العالم، حتى اذا عادوا الى اوطانهم كانوا، في الداخل او في الخارج، انفع له واجدى عليه . واخيراً لا انسى ان شئون السياسة والحرب، التي كثر عليها النزاع، واشتدت من اجلها خيبة الامل، هي في الواقع بعض عمل الامم المتحدة، واما البعض الآخر، فهو ذلك العمل المنشأ، على بعد مجناه ، في مجلس الاقتصاد والاجتماع ووكالاته المختصة . فأنباء المشكلات الخاصة بالسياسة والحرب والسلم، هي التي تحتل المقام الاول في الصحف، وهي التي توحي بأن الامم المتحدة — برغم توفيقها بعض التوفيق في مشكلات سياسية كمشكلة اندونيسيا — سائرة قدماً الى حتفها كما فعلت عصبة الامم من قبلها . واما انباء التغلب على المرض، وتحسين اسباب الانتاج الزراعي، وتوفير خيرة كتب الادب في اهم لغات الامم، وضمان حسن الاحوال التي يعمل فيها العامل الصناعي، وما كان على غرارها ، فلا تلقى سوى عناية قليلة من الصحف ان لقيتها .

فنحن شعوب الارض ، ينبغي لنا ان نحرص ، اولاً على فهم عمل الامم المتحدة ، وضرورتها ، وثانياً على تأييدها دون اغماض العين عن مواطن النقد فيها — حتى تسير الى الهدف الذي نصبو اليه ، فهي وحدها الوسيلة العالمية التي تعبر عما يجول في نفوسنا من توق الى السلام والطمأنينة ، وشوق الى حسن الحال التي لا قيام للسلام الحقيقي الا فيها ، فان كانت هذه الوسيلة غير مجدية حتى اليوم ، افضل الجدوى ، فليس النقص فيها ، بل فينا « نحن شعوب العالم » .

القاهرة — فؤاد صروف

خمر العيون

☆

من ديوان رندلى
الذي سيصدر قريباً

لسعيد عقل

٤

أَمِنْ خمرةٍ أم لا خيالي مطيّبُ
لوهمِيَ ، يا عينانِ ، أنيَ أشربُ ؟
احبُكما : رُدّا عن الأفقِ لفتَةً ،
شكاةَ هوىً ، توهي الغمامَ وتُتعبُ
لهذي التي تُدعى البريّةَ مطلبٌ
بأن تطلعا فيها : فهل بعدُ مطلبُ ؟
ألم يكفِهِ نجماً لنا أن خطرتما
على باله ، يوم الخواطِرُ خُيَّبُ ؟
ولمْ كنتُما ؟ هل للجمال تعِلّةٌ
بما بعدَهُ ؟ ما بَعْدَ ما هو مأربُ ؟

***

تأنّيتُما حتى ليَضحكُ طافراً
— مدى الهُدبِ — نيسانٌ فَتِيٌّ محبَّبُ.
فهل قَدَرتْ قَدْرَ التقائكما الرُّبى ،
وماد كفافَ المَيْد غصنٌ مُشَبَّبُ ؟
أُجِلُّكما عن أن يقال : نظرتُما
إلى الارض ، ما دامت تَضيق وَتُجدِبُ

***

ارى المنتهى آناً من الدهر شارداً
توقّفَ عندَ الجفن يحيا ويلعبُ.
له الله ! ما الحلمُ الذي عاش بعضَه ،
على شاطىء العينين ، فارتاح يطربُ ؟
يقول : بِحارُ النور هذي ، فطِرْ بنا ،
أيا زورقاً في اللحظ ناداهُ كوكبُ.
لِعَيْنَيْ «نيا» بَدءٌ أنا مؤمن بهِ ،
ومن قال: قد يأتيهما الموتُ. يكذبُ
تقول نيا : لِمْ كان ضوءٌ ؟ ألذّةً
بضوء أم انّ الناظِرِيَّ تطلّبوا ؟
أنا يومَ اعلنتُ الوجودَ زيارتي
له ، استعجل العُبدانُ ما أتجلبَبُ ؛
فكانت — أظُنُّ — الشمسُ بين حوائجي
أُعِدّتْ لعيني حين قلتُ : سأرْقبُ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الفيلسوف ابن سينا

بقلم زكي المحاسني
دكتور في الآداب من جامعة فؤاد الاول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تُرى ، أشاقني الكلام على ابن سينا في هذا المقال أن اهل فارس دعوا للاحتفال بمرور الف عام على مولده . لئن كان الفارسيون فعلوا ذلك فان المحمدة في سبقهم الى هذه الدعوة . وكانوا حقيين بالفيلسوف ابن سينا من قبل هذا العصر ، حين دعا في القرن العاشر الهجري فيلسوفهم صدر الدين الشيرازي ، الى احياء الذكرى للشيخ الرئيس . فأشاع ذكره من ذلك اليوم في بلاد فارس . ولا علي ان استبق حوادثهم في العجم ، فاحتفي من قبلهم بالفيلسوف الحسين بن سينا .

فأنا أتمثله كما كان في أواخر القرن الرابع من صباه ، الى اواخر شبابه ، وفي اوائل القرن الخامس حيث اكتهل ، وأطل على الشيخوخة ، فات ، وعمره اثنانية والخمسون ، فلم يدركه الهرم . كانوا يسمونه شيخاً لانه لبس في فلسفته وطبه أعمار الشيوخ . اني لأراه كما كان فتىً ساهم الفكر كأنما يُشار اليه من العلاء بإلهام . يجيء في العشايا الى مجالس والده فيصيخ بالسمع الى أشياخ كان والده معهم يذهبون مذاهب الاسماعيلية ، فيمتعض الفتى من كلام ، وتنطلق أساريره لكلام . ولعله كان لا يروقه ما كانوا يأخذون به من الحديث في امور الدين ، ولكنه كان يحب طرائق جدلهم ، وأفانين مقولاتهم . وخرج من جلساتهم وقد تروّى بالتجادل ، وعرف أساليب المتكلمين فلما جاءه معلمه الاول ابو عبدالله الناتلي وجد فيه تلميذاً عسيراً ، كثير الفهم ، كثير التعبير . ولم ينج معلمه الاول من مياسمه الكاوية ، التي اشتدت منه وحميت ، بعد أن صار الإمام الفيلسوف الخالد . لأذكرنه وقد استبهمت عليه وجوه المسائل ، فقد كان كالقديسين الذين تدهمهم الكوارث فيلجأون الى الله ، كان يدخل المسجد الجامع فيصلي ، ويستجير ربه ان يفتح عليه في فهم المغاليق ، وتسهيل المعاسير . فاذا خرج من مصلاه ، وجاء بيته وقد دَمَر الليل ، أدنى سراجه من كتابه ، وعكف عليه يتفرس فيه ، ويقرأ ، ثم يبدي ويعيد وتأخذه سِنةٌ من النوم ، فيهب الى الشراب المنبه الذي اعده من قبل ان يكون أطبّ عصره . فاذا اخذ منه جرعة او جرعتين ، ازداد قوة وانتباهاً ، فعاد الى مسامرة الكتاب ، وكان لا بد له من غرار نوم ، فاذا رنّق الكرى على جفنه ، وكُتبه منطرحة من حول مرقده ، رفّت الاحلام عليه ، كطفل بريء . لقد كان يقول ومهما أخذني ادنى نوم حلمت بتلك المسائل بأعيانها حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام .

ووبح أرسطو ، لقد اجهده منه البلاء . لم يكن الحسين بن سينا عياً ولا فهيماً ، ولكن تعايت عليه مفاهيم ارسطو . لان الكتب التي تُرجمت عن الحكيم اليوناني الاول ، لم تكن سهلة التركيب ، ولا بيّنة النعبير ، كذلك عذّبه مصنّف ارسطو فيما وراء الطبيعة فقرأه ابن سينا اربعين مرة ، ولم يفهمه على مقاصده كلها ، واستظهر الكتاب الفلسفي الذي وضعه مؤدب الاسكندر . وبقي في نفسه ما فيها من الضير . حتى كان في سوق الوراقين ، فاذا دلّال يقف به ويبيعه كتاباً بيدرهمات ، ويلح عليه ان يشتريه ، فيأخذه الفيلسوف الجاهد ، ويجده كتاب الفارابي الذي يشرح فيه الفلسفة العامة عند ارسطو ، فيفهمها عنه ويستتم بها حكمته .

ولكن ، هل ظلت حالة ابن سينا في البحث والدرس دعاء في المسجد ، وصلاة على نية الفتح ، وتهجداً أمام شمعة يرجف ضوؤها على الكتاب ، ثم نوماً حالماً بحلول المسائل ؟ هيهات ! . فان ابن سينا قد تقدم ، وكهولته قد اخذت بعمره ، وحنكته الخطوب فتداهى حتى اتهم باحتكار العلم والانفراد به . فروى ابن خلكان ان نوح بن منصور السامانى احضر ابن سينا لمداواته ، فوجد ابن سينا عند نوح بن منصور مكتبة رائعة فيها من التآليف ما لم تنله يد عالم في عصره . فاستأذن بقراءة هذه المكتبة ، فأذن له نوح . وما اطلع ابن سينا على اكثر ما فيها من نوادر المصنفات حتى وقعت هذه المكتبة بألسنة الحريق . فتلفت عن آخرها . واتهم ابن سينا باحراقها ، لينفرد هو بما فيها من المعرفة .

وكما تغيرت طباعه في طلب العلم ، فقد تغيرت في صورة هذا الطلب . صارت اليه الوزارة ، وأكرمه شمس الدولة صاحب الري . ثم علاء الدولة . وسأل هذا الامير فيه خواصه فمدحوه له وأكبروه . وكان للامام عمر الخيام الشاعر الفلكي يد في محمدته . فقد سأل علاء الدولة الخيام :— ما تقول في اعتراضات الحكيم ابي البركات ابن ملكان على كلام ابن سينا .

فقال عمر الخيام : — أبو البركات ليست له رتبة الادراك لكلام ابن سينا فكيف تكون له رتبة الاعتراض ؟ .

قلت ، لقد تغيرت حال ابن سينا اواخر شبابه وفي اكّهاله. واصابته فتنة فسجن شهوراً وخرج من السجن على نقيض فيرلين. دخل فيرلين السجن ملحداً فخرج مؤمناً. ودخل ابن سينا السجن زاهداً فخرج عربيداً يفتنه الجمال. احب الجمال فوق حب المقال. وبات يكرع بنت الحان ويعاشر الندمان على الرغم من ممارسته العلوم والتفكر في الفلسفة، وصار يروقه سماع القيان والمنشدين بعد سماع القراء والمحدثين. كان مجلسه عند شمس الدولة يبدأ بالدراسة والمناظرة فيتحلق تلاميذه ومريدوه من حوله ، وامام كل منهم كراريسه وكتبه ، فيقرأ واحد فصلاً من « الشفاء » ويشرح الشيخ ابو علي ما شاء الله ان يشرح ، ثم يقرأ تلميذ آخر باباً من كتاب « القانون » فاذا أتم الشيخ التفسير وأتم التلاميذ الفهم، وجاء الليل تحول المجلس من علم الى لهو، فأخذ الرئيس بالتطريب ، واحتسى الخمرة، ودارت بحضرته مع اقرانه وندماه المعازف ، بعد المعارف.

وألح على الفيلسوف حب الجسد بعد حب العقل ، فأودى به الامران ، وغاله الحصمان. لقد مرض فداوى نفسه ، ودس له غلمانه في الدواء ما زاد بالداء ، فلما علم انه هالك ، ترك التداوي، ونهض من سقامه متحاملاً فاغتسل وتاب ، وجمع غلمانه وعبيده فمنحهم الحرية واستغفر الله من ظلم جناه ، ومات لا له ولا عليه.

لقد لُبت على آثاره. ولم يكن شيء احب الي من فلسفته الروحية . كان عالماً بسيكولوجياً من الطراز الاعلى ، قبل ان تكون البسيكولوجيا في أوربة. وكان نفسياً فأحب العالم الروحي من خلال النفس الانسانية فأكب يسأل علومه عن حقيقة النفس ويحار في هيولاها . تكلم كثيراً في كتاب « الشفاء » في رسالته الى نوح عن النفس في اثباتها وتحديدها ، ووجودها وخلودها . وسائل كتب الاوائل عنها . حاول ان يتعرف بها فأعياه الامر ، لان النفس تستعصي على المعرفة . ومن قبله ارادت قريش ان تسأل سيدنا محمداً عن الروح . فغاب الرسول عن قريش ورئي يتهجد . ثم ارتد اليهم وهو يقول آية الروح (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيت من العلم الا قليلاً).

وكذلك كان ابن سينا فانه ما أوتي من العلم فيما علم وتبحر الا القليل ، فعالج قضية النفس ، وهي اكبر قضية في فلسفة ما وراء الطبيعة . فلما اعياه الأمر لجأ الى آثار النفس وحاك الكلام حول هذه الآثار ، وهو يعجز عن معرفة المؤثر . وصح رأيه بان النفس كمال مطلق ، وليست بادراك ، ثم حاول ان يتفهم النفس من خلال مفاهيم الجواهر ، وراح يحلق بين حدود الجواهر ، وصفات الهيولى .

ولما عيّ عن اكتناه حقيقة النفس في علوم الفلسفة والطبيعة ، وبلغة النثر والتخاطب ، لجأ الى الشعر وكان شاعراً له زهديات وصوفيات ، فراح يناجي الروح بلسانها الذي تفهمه ، ولا تعي سواه ، فتمثلها حمامة ورقاء . وكان مثله الشعراء يناجون الورق والحمائم ، فقال ابو فراس :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتا لو تعلمين بحالي

وقال معاصره المعري :

أبناتِ الهديل أسعدن اوعِدنَ قليل العزاء بالاسعاد

وكذلك احب ابن سينا ان يتعزى في فهم النفس فجعل الشعر سبيلاً لمناجاتها ، فسمع هتاف النفس اليه من العلياء، ورآها تهبط عليه كفراشة هفهافة. انها لحمامة من الورق مدللة متمنعة، فهي مواصلة مهاجرة ، ومواتية متعذرة. يقول فيها في مطلع هذا الشعر :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

فكان بهذه القصيدة شاعراً رمزياً من قبل ان تخلق الرمزية في الادب الغربي على قلم بودلير، وايدغاربو، وعلى لسان بول فاليري. كذلك يخلد ابن سينا، ولا يضير خلوده اني آخذ عليه عنفه في النقد . فقد نقد الرازي بأعنف عبارة وسفه فلاسفة عصره . فقال عن الفيلسوف البغدادي ابي الفرج الجاثوليق : من حق تصنيفه ان يرد على بائعه ويترك عليه ثمنه . وقد اكون عذيره ، فان الحقيقة العلمية كانت لا تتعاظمه ، فهو محاميها في كل مكان . لقد دخل علي ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وهو في مجلس عمله وتدريسه ، فوقف في حلقته هنيهة ثم طرح قدامه جوزة وقال له : بيّن مساحة هذه الجوزة بالشعيرات . فرفع ابن مسكويه اجزاء في علم الاخلاق كانت بين يديه ، ورماها الى ابن سينا وقال : اما انت فأصلح اخلاقك اولاً حتى استخرج لك مساحة الجوزة .

فأذكرني ابن سينا حين بغت ابن مسكويه بأمر الجوزة ، بالفيلسوف المتقشف ديوجين حين دمَرَ على الفيلسوف زينون الايلياني صاحب مقالة السكون والحركة ، فجلس مع سامعيه ، فوجده يحدد لهم الانسان ويقول :

— الانسان حيوان بغير ريش .

فانسل ديوجين ، حتى اتى بديك منتوف الريش وطرحه في حلقة زينون وقال له :

— اذن هذا هو الانسان !..

دمشق زكي المحاسني

الحركة المسرحية في فرنسا عام ١٩٥٠

بقلم نعيم فطاره

☆☆☆

ان الحركة المسرحية في فرنسا كانت ولا زالت تطبع الحياة الادبية الفرنسية وتدلنا على تطور واتجاه الادب الفرنسي بصورة عامة . وخير دليل على ذلك ان كافة الحركات الادبية قد تزعمها كتاب مسرحيون فوليير وراسين وكورني لم يكتبوا الا مسرحيات . وفولتير وجه عناية خاصة بالمسرح . وان ميلاد الحركة الرومانتيكية بصورة « رسمية » كان قد اعلن في العراك الذي دار في الكوميدي فرنسيز حين عرضت مسرحية فيكتور هوغو الشهيرة (هرناني) لاول مرة .

ولو وجهنا نظرنا نحو الادب المعاصر لوجدنا ان كبار الكتاب قد اعتنوا عناية خاصة بالمسرح وان كان ذلك لا يعني انهم حازوا نجاحهم في المسرح . هذا جيد وهذا رومان رولان وهذا كلوديل بالامس القريب وهذا سارتر وهذا كامو وانوي وسالاكروو غبرييل مرسيل البوم تركوا المسرح يحتل المكان البارز في انتاجهم الادبي.

ولا يتسع المقام هنا لتبيان اهمية المسرح في الحياة الفكرية في فرنسا ولعلي احاول ذلك في مقال آخر «للاديب». كل ما اريده الآن هو رسم الخطوط الرئيسية لاتجاه الحركة الادبية في فرنسا في هذه الآونة وذلك خلال المسرحيات التي عرضت على الجمهور الباريسي هذا العام .

***

منذ تحرير باريس طبع المفكرون والفلاسفة المسرح الفرنسي بطابعهم وصار المسرح يرمي لا الى التسلية او تحليل الشخصيات او الامتاع الفني الصرف بل بصورة كبيرة الى الامتاع الفكري والى عرض النظريات السياسية والفلسفية والدينية . فكان نجاح جان بول سارتر مثلاً يفوق نجاح اي كاتب مسرحي آخر . ومن الغريب ان مسرحية «كجلسة سرية» التي يعرض فيها سارتر نظرياته الوجودية والتي يصعب فهمها على المتفرج البسيط لعمقها ودقة الاداء التي يتعرض لها المؤلف قد نجحت نجاحاً عجيباً مع خلوها من اي عقدة دراماتيكية، ومسرحيات البير كامو لا تجذب الجمهور بكلمات رنانة وآراء غريبة في الظاهر كما هي الحال في معظم مسرحيات سارتر، فكامو لا يحاول ان يتقرب ويتودد الى الجمهور ولا يعلن عن بضاعته بل يعرفها كما هي بما فيها من عمق وتعقيد ومع ذلك فان نجاحه كان باهراً وبالاخص في مسرحيته كاليغولا (التي ترجمها الاستاذ رمسيس يونان الى العربية) وسوء تفاهم . ويعاون نجاح مسرحيات انوي وخاصة « انتجون » و« اردیل » نجاح مسرحيات سارتر وكامو وكلتا المسرحيتين فلسفيتان الاولى تناقش مشكلة الحكم والثانية الحب .

وقد حدث تبدل ملحوظ في الحركة المسرحية في باريس (التي هي دون شك المركز الوحيد للحركة الفكرية في فرنسا) هذه السنة . فرائد المسرح كان يشعر في العام الماضي ان رد فعل قوياً ضد المسرح الفلسفي يرتسم في الافق وقد تبلور رد الفعل هذا هذه السنة واصبح حقيقة ملموسة . والظاهر ان الناس قد ملوا مشاهدة مشاكل العالم الازلية تجادل وتناقش فوق خشبة المسرح بصورة فلسفية جامدة بعيدة عن الحياة . واول ظواهر رد الفعل هذا قد تجلى في تعدد المسرحيات الدينية في البرهة الاخيرة وقد بدأ ذلك في العام الماضي ثم اخذ بالتوسع والانتشار هذا العام . وقد لمسنا في الموسم الماضي نجاح بول كلوديل الذي كان بحق الكاتب الذي صبغ الموسم المسرحي الماضي بصبغة خاصة ومهد لغيره السبيل . فقد كانت فرق مسرحيته ثلاثاً تعتبر خير الفرق المسرحية الفرنسية تمثل ثلاث مسرحيات لكلوديل . فكانت الكوميدي فرانسيز (المسرح الوطني) تمثل « الحذاء المخملي » وهي مسرحية

يستغرق عرضها قرابة خمس ساعات. وفي الوقت نفسه كانت فرقة جان لوي بارو في مسرح الماريني تعرض «تقسيم الظهيرة» وفرقة بارساك في مسرح الاتيليه تمثل «الخبز الصلب» والمسرحية الاولى دينية والثانية مأساة فردية والثالثة مأساة اجتماعية لكن نظرة المؤلف واتجاهاته في مختلف هذه المسرحيات كاثوليكية صرفة .

وقد تعددت المسرحيات ذات المواضيع الدينية هذا العام ولعل اهمها اثنتان الاولى هياوثيز وابيلار لروجيه فايان الذي يقص علينا مأساة الفيلسوف الذي وقع في حب طالبته فكان عقابه قطع عضوه التناسلي بمؤامرة حاكها عم الفتاة الراهب وفي الحقيقة ان المسرحية تظهر لاول وهلة لا علاقة لها بالدين ، الا انها تمثل كفاح مفكر يحاول ان ينال حريته الفردية بفضل الحب الانساني الدنيوي وبفضل صلابته الفردية فيعارضه الراهب الذي يمثل الدين ويبذل وسعه لاسره بين جدران المعتقدات المتوارثة العتيقة . وتنتهي المسرحية بهجوم عنيف على لسان الفتاة الجميلة هياوثيز ضد الكاتيدرائيات التي تمثل « دين الخوف والرعب » مما اثار سخط النقاد في فرنسا مع ان احداً منهم لم ينكر القيمة الادبية والفنية الكبيرة للمسرحية .

والمسرحية الثانية التي تستحق الذكر هي « لكل حسب جوعه » للكاتب البلجيكي جان جوليان وهي اول مسرحية تمثل له وهذا الكاتب اكتشفه الممثل الذي توفي قبل بضعة اسابيع شارل دولان وعهد الى فرقة ريون هرمانتيه مهمة تمثيل المسرحية وعرضها على خشبة الفيوكولومبيه وهو مسرح صغير في الحي اللاتيني تعرض فيه الاعمال الجديدة للكتاب الشباب والذين يجهلهم الجمهور بصورة خاصة. والمسرحية تروي لنا قصة راهبة رئيسة دير في احدى قرى البرتغال تثيرها تصرفات الكهان المحيطين بها وتريد ان تكون صلتها بالله مباشرة صافية فترفض ان تسمح لاي شخص خارجي ان يجتاز عتبة الدير حيث تعتصم هي وبعض الراهبات مخالفة بذلك الاصول الدينية المتبعة. ولا يمكن القول ان المسرحية تتضمن هجوماً على الدين بل يمكن اعتبارها على العكس دفاعاً عن التعاليم الدينية الصحيحة وتطهيرها من كل شائبة، وتنتهي المسرحية بموت الراهبة حرقاً بثورة الجمهور الجاهل الذي غدا يعتقد بان كل ما يلحق بهم من مصائب وآلام ان هي الا نتيجة لمخالفة الراهبة الدين .

وان هذا التحول في التيار المسرحي لم يظهر فقط في المسرحيات الدينية بل في كثرة من الكوميديات السهلة البسيطة التي لا تتوخى اكثر من التسلية والاضحاك دون تضحية بالقيمة الفنية البحتة. وقد استغرب عدة نقاد حين بعث جان لوي بارو من النسيان كوميديا سهلة مثل «اعتني باميلي» لجورج فيدو ومسرحية اخرى «كالاحدب» لانسيه وفيفال وقد نسيها الجميع منذ ثلاثة ارباع القرن وهي دراما سهلة فيها صراع بين اشرار واخيار تنتهي بانتصار الآخرين كما في الروايات التي تكتب للاحداث . نعم لقد استغرب من اعجب ببارو حين عرض في العام الماضي مسرحية صعبة كالمحاكمة لفرانز كفكا وهملت لشكسبير ومسرحية كلوديل التي اشرنا اليها سابقاً ان يلتفت الآن الى مسرحيات سهلة بسيطة لا عمق فيها فيخرجها من النسيان ويعيدها الى الحياة .

الا ان بارو قد شعر قبل غيره ان الناس قد ملوا المسرحيات الفلسفية وان المسرح قد بدأ يخرج عن سبيله حين اصبح يبذل جل عنايته في عرض الافكار، فالمشاهد يجب ان يحيا مع الممثلين الذين يمثلون امامه ويشترك في الشعور الذي يعبرون عنه امامه ، ولكي يشترك الجمهور مع الممثلين ولكي تكون هناك علاقة وطيدة ووحدة في الاحساس في القاعة يجب ان تؤثر المسرحية على عواطف النظارة وتهز احساسهم وقد اثبت لنا ذلك كبار كتاب المسرح في مختلف العصور. فراسين يبكي ومولير يضحك وشكسبير يبكي ويضحك . وهذا التغير في ميل الجمهور واتجاهه قد ظهر لنا بصورة جلية في الاثر الذي تركته مسرحية كامو الجديدة « العادلون »، ذلك الاثر الذي يبدو مبهماً اذا قورن بأثر مسرحية سارتر « الايدي الملوثة » في العام الماضي . وموضوع المسرحيتين واحد تقريباً : هل تتساير العقيدة الثورية كمثل اعلى مع مقتضيات العمل الثوري ؟ ولا حاجة بي هنا الى العودة الى مسرحية سارتر فقد كتب عنها الاستاذ بدوي في الاديب. اما « العادلون » لالبير كامو فملخصها (وهي تستند الى حوادث واقعية) ان احد اعضاء جمعية ثورية روسية قد عهدت اليه عام ١٩٠٥ مهمة اغتيال الدوق الكبير اسكندر الا انه حين تمر امامه العربة التي فيها الدوق يجد بجانبه الدوقة وطفليها فيمتنع عن تنفيذ المهمة : ليس له الحق في قتل طفلين بريئين . وفي المرة الثانية يجد الدوق وحيداً فيغتاله فيقبض عليه ويعدم، وتنتهي المسرحية بكلمة حبيته : «الآن اصبح الامر اكثر سهولة » وتطلب بان يعهد اليها بالاغتيال القادم . فلقد تولد سبب آخر للقتل : الانتقام للشهيد . ويمثل المسرحية ماريا كازاريس وسرج رجياني بنجاح كبير وان قيمة المسرحية الادبية والفنية تفوق بنظري بصورة كبيرة مسرحية سارتر. الا ان نجاحها لا يمكن ان يقارن بنجاح مسرحية سارتر . وذلك لا يرجع فقط

لكون كامو لا يتودد الى الجمهور ويجذبه بالكلمات البراقة والجمل الاخاذة الغريبة ذات المسحة الفلسفية المبهمة بل لان الجمهور قد مل مثل هذه المواضيع .

ونحن لو اضفنا الى ما تقدم ان المسرحيات السطحية الفكاهية والفودفيلات قد تعددت وازدادت مؤخراً بصورة فظيعة يكون بوسعنا ان نستخلص ان المسرح الفرنسي سائر الى السهولة والسطحية بيد ان استنتاجاً كهذا يكون بعيداً عن الحقيقة ولو ان الظواهر تؤيده . وهنا يجب ان نتحدث عن كاتب جديد لمع نجمه بصورة مفاجئة وحاز الشهرة بسرعة منقطعة النظير واعني بـه ميشيل دي غلدرود وهو كاتب بلجيكي كتب الى الآن حوالي خمسين مسرحية (وهو الآن في العقد الخامس من عمره) لم يهتم بتمثيلها احد ولم يتحدث عنه اي كاتب او ناقد . واكثر من ذلك ان اغلب مسرحياته لم تنشر وما نشر منها كان في بلجيكا وعلى نفقته . وحدث ان فرقة من الشباب يقودها اندره ديباز وكاترين تونت قد اكتشفت دي غلدرود فقدمت اثنتين منها في مسابقة الفرق الفتية في العام الماضي ونالت الجائزة الاولى فما كان من جان لوي بارو الا ان يفسح المجال لهذه الفرقة ان تمثل مرة في الاسبوع في مسرحه الانيق (المارينيي) وتعرض مسرحية لغلدرود ها عنوان غريب : افراح جهنم تمثل نواحي مفزعة ومثيرة (ولعلها خيالية) في حياة رجال الدين . فان احد الرهبان في كنيسة بلجيكية يريد ان يحتل مركز راهب آخر فيقتله الا ان جثة القتيل تلاحقه ان ينزع من فمه خبز الضحية وليس من شك ان رواد مسرح المارينيي الواقع في الشانزيليزيه قد اسخطهم ذلك معانهم لم يفهموا تماماً غاية الكاتب فاظهروا سخطهم بالصراخ الى درجة ان جان لوي بارو اضطر ان يوقف التمثيل في وسط المسرحية في المرة الرابعة التي مثلت فيها وان ينهي حياة المسرحية في المارينيي . فما كان من الفرقة الفتية الا ان تنتقل الى مسرح الفيو كولومبييه في الحي اللاتيني حيث مثلت هذه المسرحية مع اخرى لنفس المؤلف عنوانها هوب سينيور حيث نالت نجاحاً كبيراً ، واني اعترف باني حين ذهبت لمشاهدة هاتين المسرحيتين وجدت نفسي ازاء نوع جديد من المسرح يقتضي لفهمه التخلص من العادات التي اكتسبتها في مشاهدة المسرحيات الاخرى . وقد شبه بعض النقاد معركة المارينيي بمعركة هرناني وقال آخرون انها فاتحة لحركة مسرحية من نوع جديد سوف تكون نتيجتها تغيير المقاييس الحالية للفن المسرحي وقلبها رأساً على عقب . وموضوع المسرحيتين له اساس ديني ومعنى فلسفي وليست المسرحيتان موجهتان ضد الدين باي حال من الاحوال الا ان ذلك ليس كل ما في الامر فحركات والفاظ هاتين المسرحيتين عنيفة وجريئة . حتى انها تحير المشاهد المتعود على التحليل الهادىء للعواطف مهما بلغ عنفها وهذا العنف قد عودنا المسرح الفرنسي ان يحدثنا عنه على لسان احد الابطال ((كما في نهايات تراجيديات راسين مثلاً) دون عرضه امامنا . وقبل بضعة اسابيع عرضت نفس الفرقة مسرحية اخرى لنفس المؤلف عنوانها « سيرهالوين » في مسرح النكتمبول في الحي اللاتيني وهي دراما عنيفة تدور حول قتل عذراء متعطشة للحب لضابط يصطاد الفتيات ويقتلهن بعد قضاء وطره منهن وتعود الى عائلتها حاملة رأس الشاب بعد ان هربت باحثة عن الحب . ولغة المؤلف شعرية ساحرة مما يزيد في قيمة مؤلفاته . وفي هذه الاونة تعرض كذلك في مسرح الاوفر مسرحية اخرى لغلدرود تدعى باراباس تعرض حياة المسيح على لسان المجرم الذي نجا من الصلب عوضاً عن المسيح . ويعدنا جان لوي بارو تمثيل مسرحية اخرى لغلدرود في المارينيي في العام المقبل .

ونجاح غلدرود برهان ساطع على ان المسرح الفرنسي في الحين الذي يبتعد عن المسرحيات الفلسفية لا ينحدر الى المسرحيات السهلة . وغلدرود هو الحل الوسط بين المسرح الفلسفي والمسرح السطحي ففي الوقت الذي يهز فيه الجمهور بالعنف والعاطفة يؤثر على فكره مستخدماً بذلك وسائل تعبير مسرحية صرفة وفي هذه المناسبة يجدر بنا ذكر مسرحية امريكية تلاقي نجاحاً كبيراً في مسرح « ادوار السابع » عنوانها « تراموي يدعى شهوة » ترجمها جان كوكتو عن الكاتب الاميريكي تينسي وليمز وتقوم بتمثيل الدور الرئيسي فيها ارلتي . والكاتب الاميريكي يحاول ان يمزج الشعر بالعنف وينجح الى حد بعيد .

والمسرح الفرنسي يكون بذلك مسايراً للعصر الحالي عصر العنف وفي نفس الوقت يكون شعبياً مفهوماً دون انحطاط او تبذل . ان هذا الدرب قد انتهجه في الماضي شكسبير وموليير وغيرهما وليس ادل على ذلك من نجاح هذين الكاتبين فموليير لا زال سيد المسرح تمثل اعماله خير الفرق وفي هذا الموسم مثل لوي جوفيه تارتوف ، والكوميدي فرانسيز — البخيل ، والنساء المتحذلقات ، في الوقت الذي تمثل فيه نفس الفرقة اوتيلو لشكسبير يمثل بارو هاملت . فالمسرح الفرنسي يبحث في الماضي والحاضر عن المسرح الخالص دون الالتفات الى النظريات الفلسفية او السياسية .

باريس

نعيم فطاير

مع المروج

هدية الى روح « علية » رفيقة ايام الصغر ، لعلها تذكر ، وهي في السماء ، امسياتنا الحالمة بين المروج والعيون والبساتين .

☆

للآنسة فدوى طوقان

نابلس



هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك مع الربيع الحـلو يا مثوى صباها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها ..
كالامس ، كالغد ، ثرة الاشواق .. مشبوباً هواها ..

هي يا مروج السفح مثلك ، انهـا بنت الجبـالِ
« جرزيم » روى قلبهـا وسقاه من خمر الخيـال
درجت على السفح الخضير على المنابع والظلال
روحـاً تفتح للطبيعة ، للطـلاقة ، للجمال !

روحاً شفيفاً رققته لطـافة الجو النضيرِ
ومفاتن السفح الغني ، وخضرة الوادي الشجيرِ
روحاً رهيف الحس ، متقد العواطف والشعور
يهوى الجمال ، يعب ، لا يروى ، من الفيض الكبيرا .

قد جئت ، ها انا ، فافتحي القلب الرحيب وعانقيني
قد جئت اسند ههنا رأسي الى الصـدر الحنون
واظل انهل من نقاء الصمت ، من نبـع السكون
فهنا بحضنك استريح ، اغيب ، اغرق في حنيني ..

وهنا ، هنـا ، في جوك المسحور ، جو الشاعريه
كم رحت استوحي الصفاء رؤى خيـالاتي النقيه
فتضمني في عفوه الالهـام اجنحـة خفيه
تسمو بروحي فوق دنيا النـاس ، فوق الآدميه

كم رحت ارقب في انجذابي طلعة القمر الرهيفِ
متوحداً ، تلقي الغيوم عليه هفهـاف السجوف
احلامه الفضية انتشرت على الافـق الشفيف
بيضاً كاحلامي .. نقيات ، مجنحة الطيوف

كم رف قلبي يا مروج لكوكب الراعي الخفوقِ
سبق النجوم الى الطلوع وراح في الافق السحيق
يصغي ، كما تصغين انت معي ؛ الى الصمت العميق
ونذوب مندمجين ، متحدين بالكون الطليق !.

اواه لو افنى هنا في السفح ، في السفح المديدِ ..
في العشب ، في تلك الصخور البيض ، في الشفق البعيد ..
في كوكب الراعي يشع هناك ، في القمر الوحيد ..
اواه ، لو افنى — كما اشتاق — في كل الوجود ! ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأملات في الفن والحياة

بقلم يوسف الشاروني

●

كتب

اقرأ اليوم الكتاب الذي كتبه غاندي عن بدء حياته وكفاحه في جنوب افريقيا وكان اهم ما اثارني هو حديثه عن سيطرة الروح، عن هذه الحرية التي يتمتع بها مع نفسه، لم اكن أومن باساليب الرجل لكنه وضح لي ناحية طالما شغفتني منذ زمن بعيد. ان العبد وان كان هو وحده الذي يستطيع ان يحارب بحماس اكثر في سبيل الحرية، الا انه لا يستطيع ان يفعل هذا الا بعد ان يحرر نفسه اولا، فثمة حرية اجتماعية وثمة حرية نفسية، والحرية كل لا يتجزأ فاذا نحن طالبنا بحرية فلتكن حرية كاملة غير مجزأة، حرية اجتماعية ونفسية معاً. يجب ان نتحرر من الضغوط الاجتماعية التي نعانيها في حضارتنا، لكن من يحارب في سبيل التحرر من هذه الضغوط لا بد ان يكون قد حرر نفسه اولاً، والا فان فكرة الكفاح من اجل الحرية لن تخطر له ببال. لا بد ان يكون قد ذاق لذة الحرية اولاً في نطاقه الفردي لكي ينتقل بها الى نطاقها الاجتماعي، لا بد ان يكون قد تحرر من الخضوع لعادات لا يؤمن بها في حياته حتى يستطيع ان يتحرر من الضغوط الاجتماعية ويحرر الآخرين معه. ان كل من مارس عادة يتألم منها لمجرد احساسه بانها اصبحت تفرض نفسها عليه، وما اكثر العادات التي تفرضها علينا حضارتنا في هذه المرحلة من التاريخ تبعاً لطابعها الآلي الذي يتطلب السرعة والدقة. اقول ان كل من مارس عادة وتألم منها ثم تخلص يوماً واحداً، واحداً فقط، فانه يشعر بلذة عميقة عميقة. اما اذا استطاع ان تكون له السيطرة على ان يبعد الفكرة نفسها عن عقله فانه يكون قد بلغ مرتبة القداسة.

نحن

لا نجد هاملت في الحضارة الاغريقية، بل لا نكاد نجده في القرن السابع عشر الذي خلق شخصيته، وانما هو نبوءة لم تتحقق الا فيما بعد، منذ القرن التاسع عشر، حين عبرت عنه بعض الآداب لا سيما في القصص الروسي حيث انتشرت شخصية المثقف الذي يقف موقفاً مذبذباً من مختلف التيارات والمذاهب لانه في طبقة متذبذبة بين الصعود والهبوط، شخصية المثقف الذي يرى نفسه اسمى من غيره لانه حساس قلق لا يؤمن بشيء ايماناً واضحاً ويلقب المؤمنين بمذهب ماسذجا، ويرى في نفسه الانسان الممتاز الذي قدر عليه ان يقف من هؤلاء موقف المتفرج والمتألم معاً.

وقد ادرك بثقافته المتسعة ان الايمان والوضوح اللذين كان ينشدهما عن طريق الثقافة والقراءة لم يصلا به اخيراً الا الى شك في كل شيء، وفي خير الحالات الى الوقوف من الآراء موقفاً نسبياً حذراً ناقداً. وهو يعلم ان الحاضر كله مضطرب لانه بلا قيم موضوعية، بعكس ما يرى الآخرون الذين يستمدون ايمانهم بمذاهبهم من اعطائها قيما موضوعية، بمعنى الشمول والضرورة على الاقل. اما المثقف فهو يكاد ينتهي الى ان القيم تكاد تكون كلها شخصية، فهي لا تختلف من زمان ولا من مكان فحسب، بل من شخص الى آخر حيث يوهم الاتفاق على اسم ما بأنه يؤدي الى اتفاق على قيمة ما، بينما الاتفاق في الواقع هو في اللفظ فحسب والاختلاف موجود في محتوى اللفظ او معناه او تفسيره وفي النتائج المترتبة عن ذلك كله.

والمثقف — في مجتمعنا — يدرك ان الآخرين في هذه المرحلة من التاريخ عليهم ان يتجهوا نحو الماضي او نحو المستقبل — كما يقول سبندر — حتى يستطيعوا الحصول على قيم ما. ولعل هذا هو سبب من اسباب ظهور مذاهب مثل الفاشية التي تمثل اتجاهاً عاماً نحو الايمان بقيم الماضي، والاشتراكية التي تمثل اتجاهاً عاماً نحو الايمان بقيم المستقبل، اما الحاضر فقد فقد قيمه المستمدة من ذاتيته.

وعادة، يتتبع المثقفون حياتهم، ذلك لان المثقف في حاجة الى القراءة بطبيعة موقفه، ومن يقرأ يعتزل المجتمع في كثير من الاحايين، والاعتزال عن المجتمع يعطي الفرصة للتأمل الذاتي. فالمثقف لا يقرأ الا لكي يوضح نفسه ويجدها فيما يقرأ. لذلك فهو يتأمل بنفسه ويبحث عنها في كل سطر من السطور التي نقرؤها. ولذلك فهو حتما سيكتشف الوضع الذي اصبح فيه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمثقفون في مجتمعنا من الطبقة الوسطى، فالفقراء ليس لديهم من الوقت ولا من المال ولا من فراغ البال مـا يتيح لهم القراءة المستمرة المنتظمة التي تخلق فئة المثقفين ، بل غـاية ما يصبو اليه بعضهم هو ما يسمى « بالاطلاع ». كذلك لا يجد الاثرياء دافعاً قوياً يحفزهم على القراءة ، فهم مشغولون بعض الوقت بأعمـالهم واموالهم وهم مشغولون اكثر الوقت بلاهيهم، وينظرون الى القراءة باعتبارها لوناً من الوان اللهو ، وهم يفضلون الواناً من اللهو اكثر متعة من القراءة . اما الطبقة الوسطى فهم بحق طبقة المثقفين، هي التي تتلقى الثقافة وهي التي تقوم بدور المثقف ، سواء أكانت تعبر بذلك عن طبقتها ام عن طبقة الحاكمين ام عن طبقة المحكومين . وهذا الوضع الطبقي المذبذب ، الى جانب الاطلاع المستمر على مختلف التيارات المتناقضة ، الى جانب عدم وجود قيم للحاضر، الى جانب التأمل الذاتي المستمر . . كل هذا قد جعل من حياة الكثيرين منهم حياة خراب حقة .

فهم يرون فقر الفقراء وهم يتألمون لذلك، وربما بينهم من كان من ابناء هذه الطبقة يوماً . لكن لا يحدث لاغلبهم ان يبيتوا ليلة بلا طعام او بلا ملبس او بلا مسكن. ولكن وضعهم الاقتصادي كثيراً ما منع بعضهم عن الذهاب الى متحف ما او شراء كتاب ما او السفر الى جهة ما . . وهم يرون فحش الثراء ويعرفون اي تمتع يتمتع بـه الاثرياء ؛ لانهم بحكم طبقتهم الوسطى ، يتمتعون كذلك بانحناءات بعض الخدم او ببعض الالقاب التي يسبغها عليهم افراد الطبقة الفقيرة، ويتمتعون بالهيبة والوقار اللذين يحفان بهم كلما دخلوا مكاناً شديد التواضع ، هم اذن لم يعـانوا الفقر حقاً ، ولم يكونوا من كبار الاغنياء يوماً ، في مجتمع يريدهم اما ان يدعوا الى النهوض بمستوى الطبقة الاولى، واما ان يبوقوا للطبقة الثانية ، كأنما عليهم ان يرتدوا غير ثيابهم ، فليس ثمة قيم للطبقة الوسطى لها الطابع الموضوعي . لهذا لا يجدون في اكثر الاحايين دافعاً ذاخطر يحفزهم على المدافعة عن الفقراء والعمال ، فما هم منهم ، حتى ليحسوا احياناً بانهم فضوليون في قيامهم بمثل هذا الدفاع ، ولا هم يحسون اخلاصاً حين يدافعون عن الطبقة السائدة لانهم يعانون من وجودها . فهم ليسوا اجراء وهم ليسوا احتكاريين، بل هم غالباً ما يكونون اصحاب مهن لها بعض الاستقلال كالمحاماة والطب، تمكنهم من ان يستغلوا فريقاً من الناس حيناً ، وان يستغلهم فريق من الناس حيناً آخر . ولما كانت هذه المرحلة من التـاريخ تشبه عاصفة اجبرت الافراد على الخروج من مساكنهم كي يشاركوا في مختلف التيارات فقد غدت الحياة الانعزالية التي يحاول ان يحياها المثقفون، والفنانون منهم على وجه الخصوص ، هي حياة خراب تامة . وقد لا يجدون لذة الا في التعبير عن خراب حياتهم وحيرتها كما فعل كثيرون من الشعراء والكتاب والفنانين في هذه المرحلة من المجتمع، ولذا فهم يستلهمون من الحزن اكثر مما يستلهمون من الفرح ، حـتى كدنا نعتقد — لكثرة ما رددوه — ان الالم مفروض على كل عبقري ، وان الوحدة دليل النبوغ .

والمثقفون بقدرما يحسون بالخراب في حياتهم، بقدر ما ينشدون الطمأنينة ، رغم ان مجتمعنا لا يعطيهم الا بالقدر الذي يقلقهم . فيتمنى بعضهم ان يكون احد افراد الطبقة الفقيرة كي يشارك في كدحهم وبؤسهم ، ويتمنى البعض في لحظات قلقهم الخطرة لو كانوا ينتمون الى الطبقات السائدة. ومن ييأس من هذه المداعبات يحاول ان يعطي لوضعه المذبذب القلق الخرب قيما موضوعية ، وكأنما الصورة التي كونتها ثقافته وطبقته هي الصورة الحقيقية الخارجية للعالم الذي يحيط به .

واولى هذه المحاولات هي ان يرى في قلقه دليل السمو على الآخرين ، ودليل حساسيته التي بها يتميز. وما دام هو متميز فقيمه هي وحدها القيم الحقة. وهكذا تبدأ الخطوة الاولى لتعقبها خطوات في تمجيد العزلة والهموم والالم واعتبار الرجل الاجتماعي رجلا عادياً لا يثير اهتماماً ولا يحمل عبقرية . ذلك لان منابع الحياة الغنية قد انتقلت في الواقع من يده الى يد فئات اخرى .



التعبير ليس هو التقاط الكلمات، فكما ان الحرف لا وجود له في عالم المعنى ، كذلك الكلمة الواحدة لا وجود لها في عالم التعبير ، وكما ان الحرف ليس سوى الوحدة الضرورية لتكوين الكلمة ، كذلك الكلمة ليست سوى الوحدة الضرورية من اجل تكوين البناء التعبيري. ان البناء جزء جوهري من التعبير ، تماماً مثل الكلمة .

وهؤلاء الذين يحسبون انهم يقتربون اكثر واكثر من الحقيقة النفسية بمجرد سرد الكلمات تباعاً ، يصلون الى نتيجة تعبيرية فاشلة . فاذا كانوا يريدون الالتصاق التام من الحقيقة الشعورية التي تصطخب في الداخل فما عليهم الا ان يلمحوا في صمت تتابع هـذا الضجيج النفسي الهائل الداخلي . اما وقد اذنوا لانفسهم ان يبتعدوا عن صورته النفسية المطلقة بوضعه في حروف اللغة، او في اداة حسية اياً كانت فعليهم ان يواصلوا مهمتهم حتى النهـاية ولا يقفوا في

منتصف الطريق . . . عند الكلمة .

ويخيل الي ان فهم هؤلاء للتعبير انما هو فهم غامض، لقد حسبوا ان الكلمة والتداعي اللامترابط للكلمة اكثر اخلاصاً ، واننا باذعاننا للبناء الفني نبعد عن الحقيقة النفسية وواقع اللاشعور الانساني . والواقع اننا من اللحظة التي سلمنا فيها بضرورة التعبير كنا قد سلمنا بابتعادنا عن الوضع النفسي كما هو ، ولكن اختلط الامر علينا في الطريق الى ذلك ، فجعلنا من الوسيلة - وهي الكلمة - غاية . فلا نحن صمتنا وتركنا الواقع النفسي كما هو، ولا نحن وصلنا بالتعبير الى نهايته في بناء متكامل .

ومن ناحية اخرى يرجع هؤلاء الى الفكرة الافلاطونية في اعتبار ان الفن تقليد ، كل ما هنالك ان موضوع التقليد انتقل من العالم الخارجي الى العالم الداخلي . ولكن باختراع آلة التصوير والشريط المسجل ظهر ان التقليد ليس هو الفن ، بل يمكن ان تختص به الآلة عن الانسان ، اما الفن فهو عمل انساني . وما يميز بين التعبير والسرد هو ان الاول ذو بناء والثاني بلا بناء ، وان الاول يجعل الكلمة وسيلة الى بناء عام والثاني يقف عند الكلمة وارتباطها باصولها اللاشعورية . ان الذي يُدفع الى صياغة الكلمة معبرة عن شعور ما ، هو نفسه الذي يدفع الى اقامة بناء من هذه الكلمات واذا كانت الكلمة تقوم بنشاط في عملية الوعي ، فان عملية البناء هي صورة اعلى من صور هذا الوعي . فاذا وقفنا عند خليط الكلمات او الالوان او الاصوات باعتبارها اقرب الى تقليد الواقع المختلط ، فاننا نكون بذلك قد توقفنا في منتصف الطريق عن اتمام عملية التنظيم الواعي التي كنا قد بدأنا بها ساعة اندفعنا في صياغة مشاعرنا النفسية في ادوات تعبيرية ، حسية، وبمعنى آخر فان الخليط النفسي يظل غامضاً حتى يتبلور حول رمز فيتضح بعض الشيء ، فاذا اقنا رمزاً من مجموعة هذه الرموز اللغوية او اللونية او الصوفية كنا اقرب الى الوعي . وبهذا لن نعود نعتبر الفن تقليداً ولا لعباً بل هو صورة من صور المعرفة الانسانية . فاذا ظللنا نقف بالعمل الفني عند الفهم الافلاطوني باعتباره محاكاة، فان كل صور النقد الافلاطوني للشعر والرسم ستظل منصبة عليه ، كما اننا سنظل نقف حيارى امام هؤلاء الذين اندفعوا في خليط من الكلمات والالوان التي لا ترابط بينها زاعمين انهم يقتحمون مجالات ثورية في الفن : وهم في واقع الامر قد انطووا على انفسهم ، معبرين بذلك عن روح الحضارة الآفلة التي تجزع من المعرفة الانسانية لانها تكشف عما فيها من انحلال في الوقت الذي نكشف فيه عن نشوء مجتمع جديد .

ان فهمنا للفن باعتباره صورة من صور المعرفة الانسانية هو وحده الذي يبين لنا ضرورة وجود العمل البنائي المتكامل من اجل الوصول الى عمل فني تام، وهو وحده الذي يستطيع ان يؤدي الى التعبير عن العلاقات الاجتماعية كما يعبر عن الخلجات النفسية ، حيث ان العلاقات الاجتماعية تقوم بالضرورة على اساس من الترابط والانتظام وحيث ان الخلجات النفسية لا يمكن الوعي بها الا من خلال الترابط والانتظام، واخيراً فهذا الفهم هو وحده الذي يعطي للفن صفته الايجابية المغيرة ولا يعود مجرد دلالة على هروب وانطواء .

وليس ثمة فضل بين القالب والفكرة في العمل الفني ، فهذا الفصل ليس الا نتيجة لفلسفة مثالية فصلت من قبل بين الفكر والفعل وبين الروح والجسم ثم زحفت على الفن تريد ان تفصل بين الفكرة والقالب او كما ظهرت لدى العرب بين اللفظ والمعنى . فالفنان حين يبدأ تعبيره لا تكون لديه فكرة ثم يبحث لها عن قالب يركبها فيه حتى يعثر على النموذج المناسب، انه حين يبدأ تعبيره يبدؤه في « كل » وقد يكون هذا الفصل فيما بعد من شأن الناقد الفني او الفيلسوف كوسيلة من وسائل توضيح العمل الفني، لكن الا يجب الا يعود هذا الفهم الذي كان مجرد وسيلة نظرية للايضاح، فيصبح هو الحقيقة . وعدم الفصل بين القالب والفكرة يوضحه لنا فهمنا للفن باعتباره صورة من صور المعرفة ، فالفكرة تخلق قالبها من اجل ان تنتشر فيه وتتضح منه ، بحيث ان الفكرة والبناء يكونان شيئاً واحداً .

اما عامل الترابط بين وحدات البناء فهو الحوار . فبمجرد وجود وحدات اللغة او الالوان او الاصوات ينبثق الحوار ، وميزة الحوار انه يربط بين الوحدات في الوقت الذي تعبر فيه كل وحدة عن طريقة تمايزها عن الوحدات الاخرى وهكذا فان الحوار هو الذي ينقل وحدات الخليط الفني من حالتها السكونية الى حالتها الحركية فيشيع بينها الحياة، ومعنى الحياة كما نفهمه هو وجود نوع من الترابط المستمر وسط التغاير المستمر . والحوار يصخب او يهدأ تبعاً لمدى الاختلاف بين الوحدات ، فلونان متمايزان صارخان يخلقان بينهما حواراً عنيفاً ، ولونان هادئان متقاربان يربط بينهما همس عذب رقيق .

اما الفرق بين العمل الفني والنقد الفني فهو لا يتعلق بالمعرفة في ذاتها، بل هو متعلق بالتأمل كما يقول كروتش، فالفنان لا يتأمل عمله الفني والناقد هو الذي يقوم بهذه المهمة ، ومهمة التأمل انها تكشف عن مدى المعرفة التي قدمها لنا العمل الفني .

الخرطوم — يوسف الشاروني

البرقية

لوليم سارويان

ترجمها عن الانجليزية مبارك ابراهيم

●

نزل هومير ساعي التلغراف عن عجلته امام بيت السيدة روزا ساندوفال ثم توجه الى الباب ودقه دقاً خفيفاً وكأنما قد ألهم ان في البيت من يسكنه . وهو وان لم يكن قد سمع شيئاً . فانه كان واثقاً ان دق الباب قد جعل مخلوقاً يقترب من الباب وكان به شوق شديد لان يرى من يكون هذا المخلوق . ولم يكن هذا المخلوق الا السيدة روزا ساندوفال التي كان مقدراً عليها ان تسمع ساعتئذ عن حادث قتل حدث في العالم . كما كان مقدراً عليها ان تحس بأثر هذه الفجيعة، فجيعة القتل في ذات نفسها .

وكان الباب ينفتح في بطء شديد وكأنه يتثاءب ويتمطى . وكأن تلك السيدة التي جاءت تفتح الباب لا تحس خوفاً ولا قلقاً .

وبدت السيدة المسكينة في عيني الساعي مليحة جميلة . وقد احس من النظر اليها انها كانت طوال حياتها ممن تواصين بالصبر . وقد جعلها التجمل بالصبر تبدو وعلى شفتيها ابتسامة القديسين الاتقياء . ولكنها ذعرت ذعرا شديداً وبدت الهواجس المخيفة تنتابها عندما رأت الساعي يحمل اليها برقية .

وعرف الساعي ان السيدة قد تولاها الفزع لمرءاه . وقرأ في عينيها انها عرفت ما تحمله البرقية من نبأ سيء .

وقالت السيدة : انك تحمل برقية ؟

وقبل ان يجيب قال مناجياً نفسه : ان الذنب ليس ذنبي وانما هو عمل اؤديه ، واتخذ عليه اجراً . ولكن على الرغم من هذا التعليل المنطقي بدا له وكأنه شريك في الجريمة . واحس بانه شخص ثقيل سمج . وكأنه المذنب ولا مذنب غيره . ولكنه رأى ان لا بد من السكون الى الحقائق وترك الخيال جانباً فقال : انما انا يا سيدتي ساعي تلغراف . واني ليحزنني ان اكون الرسول الذي يحمل اليك مثل هذه البرقية . ولكن لا حيلة لي في هذا . انه عملي الذي اؤجر عليه .

قالت : ولمن هذه البرقية ؟

— انها للسيدة روزا ساندوفال الكائن بيتها في هذا الشارع ثم مد يده بالبرقية ولكنها لم تمسها . .

— أانت يا سيدتي السيدة روزا ساندوفال ؟

— نعم وارجوك الدخول . اني لا اقرأ الانجليزية . انما اقرأ المكسيكية ذلك لانها لسان قومي . ثم توقفت قليلا ونظرت الى الصبي وهو واقف وقد ملء رعباً . وكان اقرب الى الباب منه الى داخل البيت . ثم قالت : ماذا تقول البرقية ؟ — انها تقول . . .

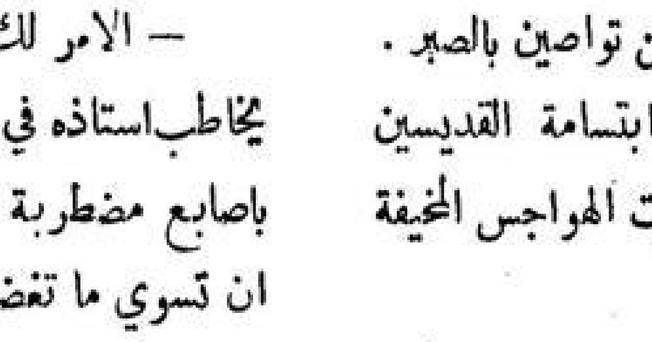
— بل فض الغلاف عنها وارفع الصوت عالياً .

— الامر لك يا سيدتي » وكان وهو ينطق بهذه الكلمات كانما يخاطب استاذه في المدرسة وهو يصحح له اخطاءه . ثم فض الغلاف باصابع مضطربة . فانحنت المرأة لتلتقط الغلاف الممزق وحاولت ان تسوي ما تغضن منه، ثم قالت : ومن مرسل البرقية؟ اهو ولدي جوان دومنجو ؟

— كلا يا سيدتي ان البرقية قد بعثت بها وزارة الحربية .

— وزارة الحربية ؟ ولماذا ؟

فأجابها في سرعة من يريد ان يفرغ من اداء واجبه : ان ولدك قد قتل ! وقد يكون هذا النبأ كاذباً . فكل نبأ يحتمل الصدق والكذب . . وقد يكون الذي قتل واحداً غير ولدك . . والبرقية تقول ان اسمه جوان دومنجو ولكن قد تكون برقية فيها خطأ !



فتظاهرت المرأة بانها لم تسمع وكأن نزول خبر الفجيعة قد

صورة وصفية

روبرتا

بقلم وديع فلسطين

☆☆☆

انتا عشرة سنة خلت منذ عرفت الفاتنة الاميركية «روبرتا»، ولكن وجهها ما صافح وجهي، وعينيها ما حيتا عيني، ولسانها ما خاطب لساني، ويدها ما لامست يدي. ولكنها مع ذلك صديقة اثيرة تركت في النفس عميق اثر. وفعلت بجميل صحبتها فعلا لا تمحوه الايام. وستكون «روبرتا»، ما حييت، قطعة من نفسي وبعضاً من وجداني لانها استهلت صداقتها والحرب في ابانها، وواصلت حبل مودتها والحرب في عنفوانها، وانتهت فورات القتال واكن صداقتها ما عرفت منتهى لانها ولدت وثيقة، ونمت رغم الصروف، واطردت على كر الايام، وغدت اليوم، انشودة من اناشيد الفؤاد يرددها صامتاً اذا شاء، ويسمع الآخرين صدى نغماتها اذا شاء، ويعطر باريج سيرتها تجاويف الحياة.

رحم الله ذياك الصديق الذي اتاني يوماً يقول: اتريد صديقة بالمراسلة؟ قلت: اجل، فكل صداقة تهذب النفس، وكل معرفة تغذي العقل، وكل فاتنة تغزي الافئدة ولو من ابعاد مترامية.

قال: هاك عنوان «روبرتا»، فهي لما تخرج الى معترك الحياة، هي تدرس التجارة والاقتصاد في احدى كليات «ايوا» وهي طامعة في مكاتبة صديق مصري يحسن محادثتها بلغتها.

قلت: وسأكتب لها اليوم.

وكتبت. وجاءني الرد يتهادى. ثم كتبت، وتلقيت اجوبة وظللنا نؤثل المودة بالمراسلة، ونتبادل الآراء بالكتب، فتحدثني عن بيت من طراز فريد تعيش فيه مع اهلها، وعن عادات الفتيات والفها ابناء جلدتها، وعن هوايات تأخذ بمجامعها وعن رحلات تقطع فيها بلادها شرقاً وغرباً، وعن طبيعة قلب لا تعرف الاستقرار، بقوله: ماذا استطيع ان افعل؟ وما انا الا ساع من سعاة التلغراف.

ثم ما لبثت المرأة ان ضمته الى صدرها وهي تنادي: ولدي! ولدي!

وغشت نفس الفتى لمرأى الام الثاكلة. وتمثلت لعينيه صورة الاحياء جميعاً وهم يولدون ويموتون. ثم رأى بعين خياله هذه المرأة في صباها وهي تحنو على وليدها. وتهز سريره. وهي تغني له. فينام على عذب الحانها. ثم نظر اليها وهي ثاكلة لهذا الوليد.

ثم غادر الدار مسرعاً. وامتطى عجلته. وما ان بلغ مكتبه حتى رأى الناس حوله كل يمشي في سبيله قدماً. وكل غافل عما مضى في هذه الدنيا وما يُتوقع.

ثم قال مناجياً نفسه: يجب علي ان ازاحم بمنكبي في هذه الدنيا. والا كنت من الهالكين. وكلما كانت تعاوده هذه الذكريات كان كأنه يتمثل بقول ابي العلاء:

إن حزناً في ساعة الموت اضعا ف سرور في ساعة الميلاد...

القاهرة — مبارك ابراهيم

اذهلها فأصمها — وقالت: ادخل يا بني. ولسوف آتيك ببعض الحلوى. وامسكت بذراعه واجلسته على المائدة وهي تقول: ان كل الصبية يحبون الحلوى. وذهبت الى غرفة اخرى وجاءته بصندوق من الشكولاته. فلما نظر الساعي الى الصندوق الفاه يحتوي صنفاً غريباً من الحلوى. فأخذ قطعة وبدأ يلوكها.

ثم قالت له المرأة: ليس يصح عندي — وأنت كما ارى ولد طيب — ان تجيئني بخبر يسوءني. انك تبدو في صورة ولدي «جوانيتو» يوم كان صغيراً. فكل قطعة اخرى. وظل الساعي يأكل والمرأة تتكلم. ثم قالت له: هذه حلوانا نصنعها بايدينا. واني اعددتها لولدي «جوانيتو» القاه بها يوم يعود. فكل منها فانك انت ولدي ايضاً.

ثم افاقت بغتة من ذهولها. وبدأت تبكي وتنتحب. ثم امسكت عليها دموعها كأنها ترى البكاء عيباً. واراد الساعي ان يخرج ولكنه عاد فرأى ان يبقى. وفكر فيما ينبغي عليه ان يعمله ليجعل المرأة اقل شقاء. وظن ان لو طلبت اليه المرأة ان يصبح ابنها لما استطاع لطالبها رفضاً. ثم نهض واقفاً وهو يناجي نفسه

وعن معاهد تبيح مجالسة الفتية والفتيان ، وعن آفاق فكرية عرضت لهـا ، وعن فلسفات في الحياة استبهمت امامها ،وعن طارق يدق باب قلبها ، وهو طارق الحب .

حدثتني « روبرتا » احاديث ما اعذبها ولا تزال رسائلها تعمر خزائن كتبي . وناقشتني شؤوناً تباينت مناحيها، فتحدثنا عن الحياة واسرار الكون ، وتحدثنا عن الحرب وكيف خاضها شقيقها في الميدان الباسفيكي ، وتحدثنا عن الزواج وكيف يخلق بيوتاً سعيدة ، وتحدثت هي عن عملها كثيراً . فآنآهي تعمل في وشنطن العاصمة موظفة في الحكومة ، وآنآ تأتيني رسائلها من هونولولو حيث عبرت المحيط لتعمل في مكتب من المكاتب الملحقة بالجيش ، وآنآ اتلقى بريداً من كليفورنيا يحمل الي نسمات الطبيعة السخية . فأينما حلت ، كان اول ما تفكر فيه هو ان ترسل خطاباً الى صديقها المصري ذي السحنة السمراء ، وحيثما نزلت كان حديثها مع من تلقاهم عن ذلك الشاب الذي ارتبطت معه عبر محيطات وجبال واودية وانهر وهضاب .

وتبادلنا الدعوات ،فهي تقول : لقد اتاني هاتف بالليل يبشرني انني سألقاك في ارض الدنيا الجديدة فهيا اقبل لتحقق الرؤى .

وارد على روبرتا قائلاً : بل ان مصر مشوقة لفتاة مثلك لا تزال تعيش في دنيا رتيبة . ففي الشرق سحر لا تقوى الاقلام على وصفه ،وفي النيل مرئيات لا مثيل لها ، وفي الاهرام — غير بعيد من مسكننا — مجد مخلد على الدهور ، وفي السماء الصافية شبع وري ، وفي الحضرة المرسلة بلا حد هيبة توحي بالتقديس . فأقبلي الى ارض الفراعين ، لترى شعباً يجاهد ، وترى نهضة جمعت بين حضارة المشرق ومدنية المغرب . تعالي فلن تكوني غريبة في واد للنيل خصيب .

وكلما دارت عجلة العام ، وحل عيد الميلاد ، ذهبت روبرتا الى مكتبة مجاورة واشترت بطاقة ذات معان لترسلها الى الصاحب في نصف الكرة الشرقي . واذ أقلب اليوم بطاقاتها ارى وراء الصور والرسوم مجالا للتعليل والتفسير . فهذه صورة «دارة»* على مرتفع ، لا يحيط بها سوى بستان كثير الكرم والفاكهة ، والجو في الفضاء رائق موات ، الا ما اجمل هذه البقعة يمضي فيها اثنان ايام عمرهما فتستحيل الحياة جنة على الارض .

وهذه صورة مركبة انيقة يجرها جوادان ، ويركبها رفيقان انها تسير وتسير والخيل تركض وتركض ، وليس في الدنيا ما يعكر على القلبين صفو وداده ما . ترى ، لم لا نكون نحن راكبين لهذه المركبة الهادرة ؟

وهذه صورة قمر يسطع في كبد السماء ، يطل على واد منبسط مزهر ، وهناك في ركن قصي جلس اثنان مشمولين بعطف الطبيعة ، مأخوذين بنشوة الحب . . ترى ، أيفض لاننا هذان الانسانان ؟

وثمة صورة سفينة شراعية ، فريدة على صفحة اليم الساجية ، فلم لا يكون هذا القصر العائم فلكاً لقلبين تعارفا على البعد ، وتصادقا عبر آلاف وآلاف من الفراسخ والعقد البحرية ؟

فاذا كانت «روبرتا» تختار صورها اختياراً سريعاً عارضاً ، بل كانت تتخيرها بعد جهد لتؤدي معنى واحداً وان تعددت زواياه . وبين اضابيري استطيع اليوم ان احصي اثنتي عشرة بطاقة تلقيتها في اثني عشر عاماً من روبرتا عشيرة القلم ، وصديقة المراسلة ، التي لم ترها عينا الرأس ، بل رأتها عينا القلب .

واذا كانت للنفس امنية ترجو ان تحققها قبل ان تنطلق لرؤيا خالقها ، فهي ان تحظى بلقاء « روبرتا » ، لانهـا عرفت كيف تسكب حياتها سكيباً على صفحات الرسائل ، وكيف تجعل النائين عنها يعرفون من امرها ما قد يغيب عن اقرب المقربين اليها .

واليوم ، اين تكون الفاتنة الاميركية روبرتا ؟

انها زوجة ، وانها ام .

زوجة سعيدة ، ارجو لها ان تهنأ بزوجها كما جعلت غيرها يهنأ بصداقتها بضعة عشر عاماً .

وام جليلة ، قد عرفت الحنان مع البعيد فكيف لا تعرفه مع القريب ، بل فلذة الكبد وفلذة الروح .

ورب سائل يسأل : ما هي فلسفتك في الحب ؟

فاقول : ان يهنأ الذين احبهم ، سواء كان لي ان اشاطرهم ذلك ، او كان لغيري ان يحظى بتلك السعادة .

القاهرة **وديع فلسطين**

* الدارة هي الفيلا .

مؤلف « هتاف الجماهير »

امين يوسف غراب

يقدم اليكم

ارض الخطايا

مآسي الانسانية الدامية

●

في منشورات لجنة النشر للجامعيين بمصر

يطلب من مكتبة مصر

٦٣ شارع النجالة القاهرة

على مشرف العين

☆ ☆ ☆

ها حانتي، ما شاطئ دون حدّ دخانه الالحان ، دف، الجمد
أداق على الحيرة في كهفها كل نديم ضاحك المعتقد
وانفخ على الآزال من حاضر ضاع انزواء فيه وهم الابد

***

يقهقه الساقي بكلتا يديه في حانةٍ مبحوحة الشكر
تاريخه ساعة ارنو اليه ومقلتي مجنونة العُهر
مروحة الزئبق من جانبيه تليحها عاصفة الخمر

***

الوانها اللهفة يا أين اين
تشوّف اعيا على شاطئين
فالتهمي يا كأس شوق اليدين

***

واشرب على الساعة حتى ترى في لمحةٍ امجاد هذا الورى
لفافة تنداح لهثاتها من خصل الجن ولون الكرى

***

باريس انثى علقتها الدنى ثلجك في التزحام ما ادفأه
باريس يا كهفاً رهيب الخطى اوحشت لما ألق فيها امرأه
روحي على زورق حبٍ رست لم تفوها تلك الدمى المطفأه
طيفٌ بلبنانٍ تعبّدته قلبي استوى في عاصفٍ مرفأه

باريس

علي محمد شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غرام الملك لويس الثالث عشر

الصورة التي تركها المؤرخون والادباء للملك لويس الثالث عشر هي صورة ضعيفة باهتة يتضح لنا فيها خمول رجل عجز عن بلوغ الآمال الكبيرة فتحول الى اللهو والصيد ، فهو كما صوره الشعراء في مسرحياتهم ، والكتاب في آثارهم ، ملك قليل الذكاء ، محدود القوى ، يعيش في ظل « الرجل الاحمر » الكردينال دى ريشيليو.

ولكن هذه الصورة اقرب الى الخيال منها الى الواقع، ولعلنا نجد ، اذا القينا نظرة على حب هذا الملك ، وفصول من حياته ، بعض ميزات الشخصية الانسانية التي انكرها المؤرخون عليه، وقد تظهر في الحب اقدار الرجال !!

لم يكن لويس الثالث عشر يطيق التهتك والخلاعة ، ولا يسيغ العلاقات الشائنة في البلاط ، بل كان يقطب اذا جرى في حضرته حديث فكه وكأنه بهذا يخالف عمداً السنة التي سلكها والده هنري الرابع ، في الحياة ، وانه ليعجب بوالده اعجاباً كبيراً، ويشارك الفرنسيين في تمجيد بطولته وجرأته، وروحه المرحة الذكية وذهنه الوقاد ، ومن الطبيعي ان لويس حزن حزناً عظيما عندما اغتال «رايناك» والده، بتلك الطريقة المروعة المعروفة ، وكان لويس آنذاك في الثامنة من العمر ، فحفظ في قلبه ذكرى هذه المأساة الحزينة ، وانطوت نفسه على ألم ظل حتى نهاية حياته ، حياً لاهباً .

ولعل مبعث ما يعزى الى لويس الثالث عشر من ضعف وشك واستكانة يعود الى اثر هذه المأساة التي المت به في طفولته، فظل على اثرها مريض الجسم والروح ، وانفرد باحزانه وآلامه حين لم يجد احداً ليبثه لواعجه وخبايا نفسه القلقة المتألمة ، فأخوه «غستون» يتآمر ضده في كل مناسبة ، واخواته الفتيات رحلن عن المملكة الفرنسية : فصارت اليزابت ملكة على اسبانيا، وكريستين دوقة في السافوا ، وهنرييت ملكة على انكلترا .

هذه الحياة ، رغم انها حياة ملك ، خالية من العطف والمحبة الحقيقية . اما الملكة ، زوجته ، فله معها قصة اخرى.

لم يكن زواجه بها مثالياً ، اذ بدأ لياليه ، في مخدع الزوجية، بشيء من التعثر والسذاجة ، فكلاهما في الرابعة عشرة من العمر : وبعد ثلاث سنوات من الحياة المشتركة ، والصداقة، والجهد، تمكن الملك من ان يستميل قلب عروسه الجميلة . وفي هذه الاثناء، مرضت الملكة ، واشرفت على الهلاك، ثم شفيت، فتحول قلق لويس الثالث عشر، الى بهجة وسعادة فنظم اغنية في مطلع ابريل ١٦١٩ تحس في معانيها وموسيقاها — اذ ان الملك وضع لها الموسيقى — موجاً من الحبور وفيضاً معبراً عن

ماري دي مدسيس والملك لويس وآن دوتريش





الملك في الثانية والعشرين بريشة روبنس

النفس الملكية العاشقة .

واستمرت علاقة العروسين الشابين مدة من الزمن ، وحبهما يشتد ويتأجج حتى لاشاه اختلاف طبعيهما ووقوف السياسة في وجه غرامهما الناشيء الوليد . اما الصداقة ، وفي رحب صداقته يستطيع الانسان ان يتخلص من الكثير من احزانه وحسراته ، فلم يكن حظ الملك منها بأفضل من حظه في القربى والحب ، ولكنه حاول ان يتخذ « لويس » — احد النبلاء — صديقاً ، فاستغل هذا صداقته مع الملك في سبيل مصالحه الخاصة ، الى درجة جعلت الملك يتخلى عنه في النهاية .

ولفت نظر الملك يوماً من الايام ، جمال احدى وصيفات الشرف ماري دى هوتفور ، وهي فتاة شقراء ، تكاد تكون فريدة في جمالها بين سيدات البلاط ، غير ان قساوة طباعها ، كانت تخفف من وقع جمالها في نفس الملك القلقة الحزينة ، ومع هذا فقد احس بميل شديد اليها ، وان ظل متردداً حيالها . وفي رسائله الى الكردينال دى ريشيليو ، نلمس هذا التردد واضحاً جلياً ، فيقول عنها في رسالته « انها غاضبة في هذه الايام ، وانني لا اجد شيئاً فيها يغفر قسوتها » وفي رسالة اخرى « انها تغيرت ، وأمرى معها في تحسن » .

وابتدأت علاقته المباشرة بماري دى هوتفور بمناسبة وعظ ديني في كنيسة القصر ، في زحمة من رجال القصر من نبلاء وقواد ، وجلست الوصيفات حول الملكة ، على الارض ، وحمل الملك وسادة حريرية وثيرة ، وقدمها الى الآنسة ماري دى هوتفور .

وحاول الملك في مناسبات اخرى ان يتقرب من الآنسة « دى هوتفور » ولكنها كانت ، في السهرات والحفلات الملكية ، تنضم الى الملكة ، في مجال التنكيت على الملك والكردينال .

والآنسة دى هوتفور بارعة النكتة ، حاضرة البديهة ، لاهية ، عاتية ، لا تتناسى شيئاً في سبيل مضايقة الملك الشاب وارضاء صديقتها الملكة .

وفاجأ الملك يوماً الصديقتين تتعاونان في كتابة رسالة سرية ، وتجهدان لاخفاء مضمونها عنه ، فاقترب مبتسما ، تلوح على وجهه سمات الانتصار ، وانتظر ان تناوله احداهما الرسالة . ولكن ماري دى هوتفور التقطت الرسالة بسرعة وأزاحت ثوبها بابهامها ودستها في صدرها ، ثم التفتت الى الملك قائلة :

خذها الآن . . اذا قدرت .

وفطن الملك الى حيلة الفتاة الرامية الى زجه في مأزق مضحك ، فتراجع بحركة ليست اقل اضحاكاً .

وهو في مناسبة اخرى ، يصرح حول علاقته بالفتاة الحسناء في هذه الفترة ، « لا ادري كيف اعاملها ، انها حيرتني بدلعها وغنجها » .

ولم تقف هذه الفتاة المغناج اللعوب عند حد ، فتضايق الملك منها ، وخصوصاً بعد ان فشل في التأثير عليها ، فطلب اليها مغادرة البلاط . .

واحب بعدها الآنسة « دى لا فاييت » ولعل غرامه بها كان من اعنف غراميات حياته كلها .

كانت « لويزا دى لافاييت » سمراء صغيرة الجسم ، زرقاء العينين ، وهي كالآنسة « دى هوتفور » من وصيفات الملكة ، « آن دوتريش » و كان ابوها من قواد الجيش المخلصين للملك .

وقد تركت قصرها في الارياف ، بعد ان انضم والدها الى الجيوش الفرنسية على الحدود الاسبانية ، ولاحظ الملك في الفتاة التواضع والجمال الهادىء ، وجملة من المزايا والخصال والميول التي تشبه الى حد بعيد ما فطر هو عليه من الطباع .

الدوق دورليان شقيق الملك بريشة فان ديك



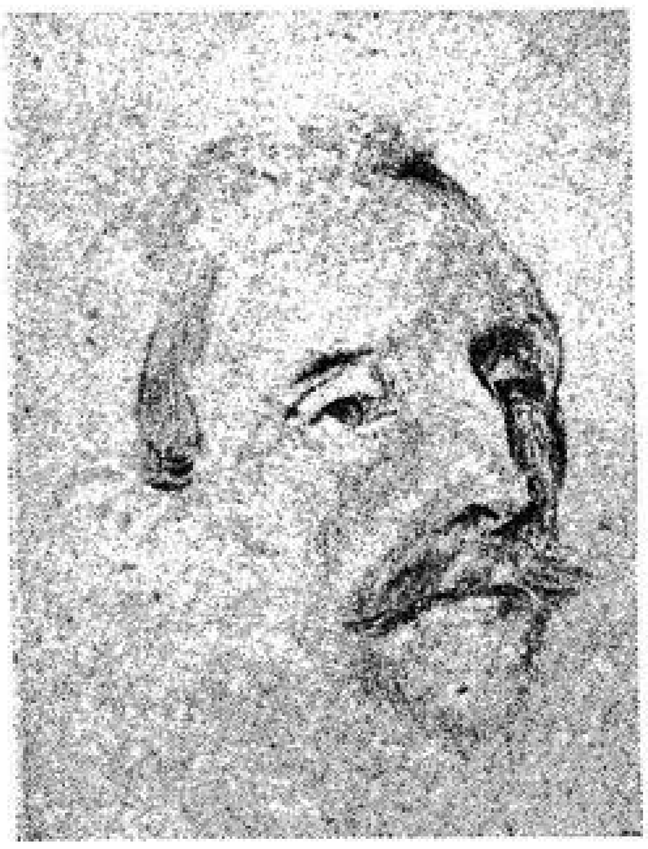
فهي تشبهه في تدينها الشديد ، وحبها للموسيقى ، ونظرتها الرزينة الوجدانية الى الحياة . وكان من عادته ان يزور الملكة

بعد ظهر كل يوم ، في مخدعها ، وهناك يرى الآنسة « دى لافاييت » فينسى مشاغله وآلامه ، ويستمع الى غنائها وترانيمها بلهفة وحنان وسمح الملك ، للآنسة دى لافايت ، بمرافقته الى الصيد ، في عدة رحلات ، وكذلك فقد سمح لها بمرافقة الملكة الى فرساي ، حيث بنى في تلك البقعة المجهولة حتى ذلك الوقت ، دارة ملكية جميلة ، من الحجارة البيضاء النقية ، متوجة بالقرميد الوردي تطوقها الغابات الخضراء الغنية بأنسامها والوانها .

وازدادت الدارة جمالا وروعة في نظر الملك ، حين زارتها « لويزا دى لافاييت » للمرة الاولى . و رأى ان المنظر الفسيح المترامي قد اكتسب حياة لم تكن فيه ، فالسماء الشفافة ، وغيومها والارض الجرداء المرقشة بنتف من اكداس الضباب المبعثر ، ومياه الغدران الراكدة ، والسواقي المترغة الثملى ، والغابات المتاوجة حتى الافق ، كل هذه الاشياء الجميلة ، المتحولة المتغيرة ، والتي اعتادها الملك توحي الآن اليه ، وتموج حوله ، في العطر والنور ، طيف امرأة . فكأن مظاهر الطبيعة كلها ، تجتمع في خاطره ، همسات وانسماً واراجيح ، لتحتفل بغرامه الجديد .

هناك ، في ذلك القصر الصغير الجميل ، كان الملك الشقي العاشق ، ينفرد « باويزا » ويبثها ، في الاصائل الحالمة المذهبة ، افكاره ، ويصرخ لها باعترافاته ، ثم توطدت العلاقة بينهما ، وتحولت الى حب ملتهب متين ، واكتشف الملك في حبيبته شيئاً لم يجده في احد من قبل : الاخلاص .

اما هي فلم تكن تنظر الى الملك كحبيب فحسب ، بل كفكرة تجمع الله والوطن في مدار واحد ، وما كانت تريد



ريشليو بريشة دي مولان

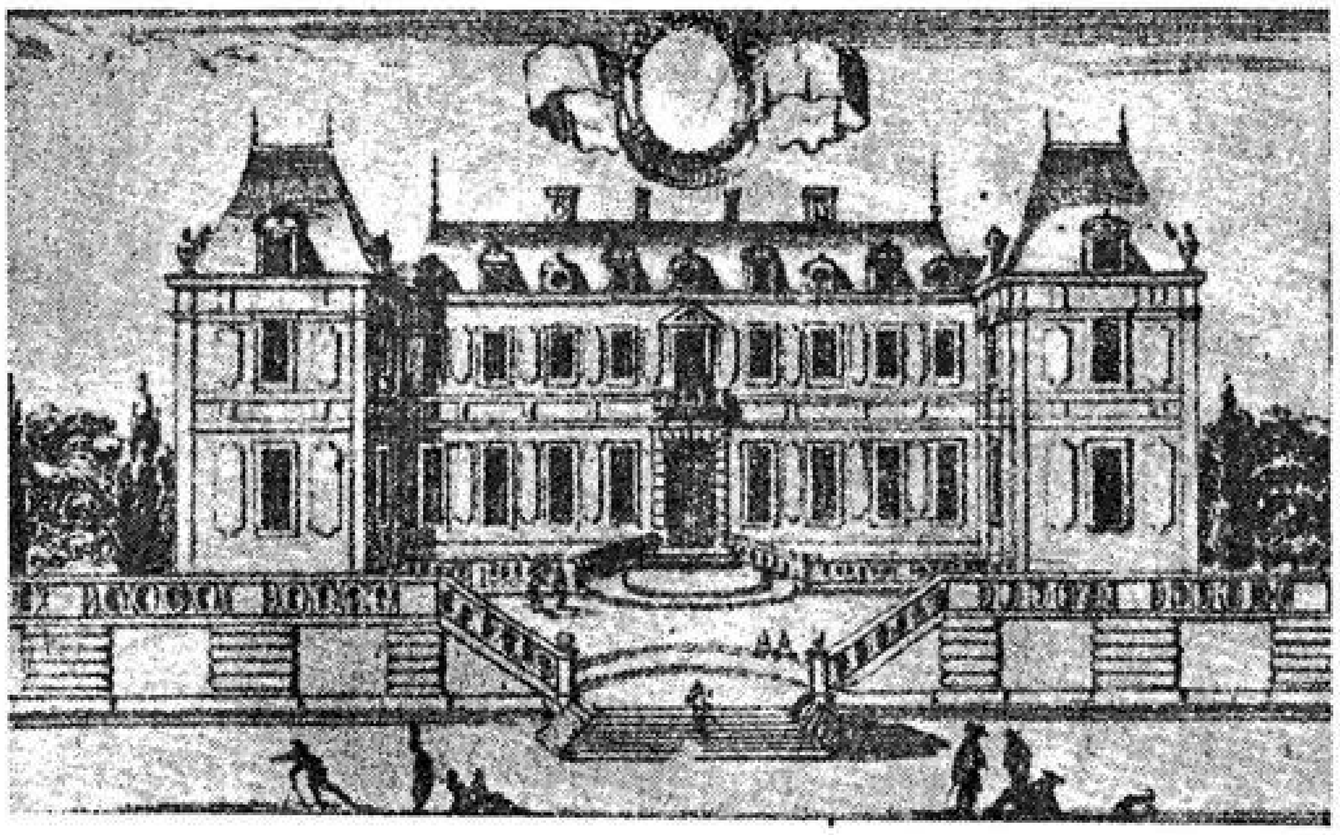
الاستئثار به ، بل اعانته على تحمل اعباء الحكم والسلطان وسرعان ما اصبح وجودها ضرورياً الى جانب الملك ولم تكن الفتاة ذات مطامع او اهواء ، فلم تطلب من الملك شيئاً لنفسها ، ولكنها اوصت الملك بالنبيل « بوزانفال » فقربه اليه وعينه في القصر الملكي . وسنرى كيف يكافىء هذا الشاب الآنسة « دى لافاييت » .

جذ ريشليو في بادىء الامر هذه العلاقة بين الملك والآنسة « دى لافاييت » مقدراً انها ستكون عوناً له على الملك ، اذا لم تكن جاسوسة . . ولكن الفتاة لم تبال بالكردينال ، ولم يخف عليه كرهها له ، لانها احس هذا الكره المستمد من الملكة ، بل من جميع طبقات الشعب الفرنسي .

ليس لويس الثالث عشر متخاذلا كما وصفته الاسطورة ، بل انه كان يشعر في الحقيقة شعوراً قوياً بكرامته رجلاً وملكاً ، وهو يدرس المسائل جميعها ، بحذر وحنكة ، ويوجه وزيره توجيها دائماً رفيقاً ، غير انه يضع مصلحة فرنسا ، وطنه ، فوق اهوائه ورغباته وخاصته وعشيقاته . ولذلك رأينا التاريخ يتخذ من هذه الحالة مجالا للتعليق والتخييل ؛ فكانت خرافة ريشليو المتحكم العاتي ، الحاكم بأمره .

قلنا اذن ان « لويزا دى لافاييت » كانت على دين مواطنيها ، اي كره ريشليو ، وتنبه الكردينال الى الخطر حين عينت « بوزانفال » ، دون استمزاجه ، في القصر الملكي ؛ واحس باحتمال سيطرة امرأة على الملك . وعلم بعدها ان سيده يسر الى صديقته ببعض اسرار الدولة ، فزاد خوفه وحذره ، وراح يتحين الفرص كعادته ، للقضاء على الفتاة .

قصر فرسايل في عهد لويس الثالث عشر



وراحت هي من ناحيتها تنصح للملك باعتماد سياسة مغـايرة لسياسة الكردينال ، ورغبت اليه ان يقيل ريشيليو ، ويستدعي الملكة « ماري دى مديتشي » من المنفى ، ويصالح زوجته، ويقطع علاقاته ببراطقة المانيا البروتستانت .

في تلك الفتره من حياة فرنسا، كثرت المؤامرات ضد الكردينال ولم تكن عشيقة الملك غريبة عنها ، فأحس الوزير الداهية ان في الابقاء عليها خطراً على سياسته –وحياته– فراح يوحي الى الملك بارسال لويزا الى الدير ، واقنعه بان هذا العمل هو في مصلحة فرنسا ، واثبت له–بطريقة ما–ان حبيبته تتصل ببعض الثوار والفوضويين .

ونشب صراع عنيف ، في نفس الملك ، صراع بين الواجب والحب كما في اشخاص كورناي .

وتآمر « بوازانفال» مع الوزير الكبير ضد ولية نعمته المسكينة فكان ينقل اليه الرسائل المتبادلة بينها وبين الملك واحست لويزا بالعاصفة تقترب، فانقلبت من محبة سعيدة واثقة الى امرأة متحفظة باردة ، وخاصة حيال الملك .

واحزن هذا الموقف الملك حزناً شديداً ،واحس بحبه يستيقظ من اعماق نفسه ووجدانه ، آمراً قويـاً ، فراودته فكرة ملحة كثيراً ما تراود المحبين المخلصين : الهرب . الهرب الى مقـاطعة نائية في الريف ، وقضاء ما تبقى من العمر في حياة غرامية هانئة ، مع حبيبته المعبودة .

وقال الملك للويزا دى لافاييت :

– لويزا ، انا احبك . فهيا معاً الى فرساي . وهناك نستطيع ان نحيا معاً وتكونين لي ،وأكون لك ،دون ان يحول بيننا شيء .

وروعت هذه اللهجة الفتاة، فجن جنونها،ماذا ؟ أيريد صاحب الجلالة ان يجعل منها عشيقته ، هي الفتاة الطاهرة البريئة !! هي التي تنظر اليه كانسان تتمثل فيه القداسة !

اذن ليس هو غير رجل حقير ، مسكين، تحركه الرغبـات ، وتسهده الشهوة ، ولكن أيرضى ضميره ان ينحدر بها، هي العذراء النقية ، الى بؤرة الخطيئة والاثم والفساد .

وقر رأيها على الذهاب الى الدير ، فصـارحت الملك بذلك، فتأثر، ورجاها العدول عن رأيها، ثم علم ان واجبه نحو وطنه يدعوه الى السماح لها بالاختفاء من حياته الى الابد ، وادرك ان الملك هو ابو الشعب، عادة ، ومثله الاعلى ، فسمح لحبيبته بالذهاب.

ولم يجرؤ على مقابلتها بل ارسل اليها من يبلغها الامر .

الق معي يا اخي القارىء، نظرة على هذه الرسالة التي تؤرخ للحب المذبوح، للفراق بين الملك وحبيبته لويزا، انها رسالة محفوظة في متحف اللوفر ، كتبها الملك الى الكردينال ولا زالت الدموع واضحة بين سطورهـا ، ولا زال التبر – وكان الملك يستعمله لتجفيف المداد–يتوهج في كلماتها الملتهبة المتأوهة .

ولنتصور الملك وحيداً، يمسك بريشته ، ليخـط رسالة الى الكردينال، وهو في الحقيقة ، يحاول ان يتعزى ويساو ، ولكنه لا يستطيع ، فيكتب :

« البارحة حدثتني الحبيبة ايضاً عن رغبتها في الذهاب الى الدير لانها اتجهت باحلامها وآلامها الى الله وصارحتني بالاسى العاصف في كيانها ، المبدل زهور حبهـا اشواكاً ، وقالت :« انا نادمة على هجرك يا مليكي ولكنني سعيدة بتكريس حياتي لله ».

وتغرورق عينا الملك بالدموع ويكتب :« واسرت الي انها لن تمكث طويلاً ، بل الى حين عودتي من الحرب ».

ويصلح بعض الحروف ثم يكتب بخطه الدقيق الانيق : «وقد سمحت لها بالرحيل . وأنت تعرف السبب؛والآن اتساءل من اعماق ضميري ، كيف انساها ، وكيف أمر بالمستقبل في مماشي فرساي دون ان استعيد طيفها الجميل الوديع ».

نحن في التاسع عشر من نيسان،في مخدع الملكة«آن دوتريش» ولويزا تتهيأ للرحيل الى دير« القديسة مريم» في باريس،وها هي تودع الملك،بحضور رجال البلاط،ويتذكر الملك في هذه الساعة الحزينة، نتف السعادة التي انتزعها من الزمان،واللحظات الماتعات التي افاضتها هذه المرأة الجميلة الطاهرة عليه، وسط متاعب المهنة الملكية . . . فيتأثر من جديد ، وتثور فيه مختلف العوامل المتضاربة المتناقضة ، ويكاد يتمزق غيظاً وحزناً . .

ان حبه ، وقد ولد على اعين الناس جميعاً،يموت الآن تحت سمعهم وابصارهم ، مات حبه ، مات . وانتهى . ولن يكون بعد الآن قرب من يهبه المحبة والعزاء والبهجة .

واحس في تلك اللحظة ان اعين رجال القصر مصوبة اليه وكأنها تنهشه بسخريتها وقساوتها ، فانحنى بسرعة واضطراب،يودع لويزا، وانسحب الى غرفة من غرفات القصر ، بعيـداً عن ضجة العربات والجياد المبتعدة بالحبيبة الضائعة .

ولم ير الملك لويزا بعد ذلك اليوم ، ولا زالت ارل Arles، في جنوبي فرنسا ، تملك في احدى كنائسها ، ثروة من الشعر الذهبي، غنية بالضفائر والتجعدات المتموجة ، وهي البقية الاخيرة من غرام بائس نبيل .

اطمال

للكاتب الروسي انطون تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاد بيوتر بيتروفيتش ستريخين ابن اخ السيدة ايفانوف ارملة الكولونيل — وهو الرجل الذي سُرق خفاه في العام الماضي — الى منزله من حفلة تعميد في الساعة الثانية صباحاً. ولكي يتجنب ايقاظ اهل البيت، خلع عنه ثيابه في المشى الخارجي، واخذ طريقه الى غرفته على اطراف اصابعه معلقاً انفاسه، وابتدأ يستعد للنوم دون ان يشعل القنديل.

كان ستريخين يعيش حياة منتظمة وهادئة. وكانت تعلو وجهه علامات الخطيئة لانه لم يكن يقرأ شيئاً سوى كتب الدين والتربية ولكنه في هذه الحفلة اذ غمره السرور لان ليوبوث سبيريدونوفنا قد وضعت طفلها بنجاح وسلام، سمح لنفسه فشرب أربعة كؤوس من الفودكا وكأساً من الخمر الذي يوحي طعمه شيئاً بين الخل وزيت الخروع. ان المشروبات الروحية شبيهة بماء البحر والمجد: فكلما شربت منها، كلما ازددت لها ظمأ والآن في الوقت الذي كان يخلع ثيابه فيه، كان ستريخين يشعر بشوق عنيف الى الشراب. وفكر يقول: — «اني اعتقد ان داشينكا تملك بعض الفودكا في الزاوية اليمنى من خزانتها، فان شربت منها ملء كأس فأعتقد انها لن تلاحظ ذلك».

وبعد تردد قصير، تغلب ستريخين على مخاوفه واسرع الى الخزانه وفتح الباب باحتراس فعثر على زجاجة من الفودكا في زاويتها اليمنى فسكب منها ملء قدح وأعادها الى مكانها ورسم بعدئذ اشارة الصليب ثم نهل الشراب. وعلى الفور وقع شيء شبيه بالمعجزة اذ سقط ستريخين الى الوراء من قرب الخزانة حتى الصندوق بقوة هائلة كالقنبلة. ان امام ناظريه لمعاناً وهو يشعر وكأنه لا يستطيع ان يتنفس، وفوق كل شيء كان يشعر وكأن جسمه قد سقط وسط مستنقع مليء بالعلق. وكان يبدو له وكأنه بدلاً من الفودكا قد ابتلع ديناميتاً ينفخ كالنار في جسمه، في البيت، وفي الشارع كله.. اما رأسه وذراعاه ورجلاه فقد كان يخيل له انها تنفصل عن جسده وتطير في الفضاء بعيداً الى الشيطان

ولمدة ثلاث دقائق بقي ممدداً على الصندوق بلا حراك ومنقطع الانفاس تقريباً ونهض بعدئذ وهو يتساءل: «اين أنا؟».

واول شيء لمع في خاطره بعد ان استعاد صوابه هو الرائحة الواضحة لزيت البترول وفكر مرتاعاً:

— «يا للقديسين، لقد شربت زيت البترول عوضاً عن الفودكا».

والقت به الفكرة بأنه قد يكون سمم نفسه في قشعريرة باردة، ومن ثم في حمّى. لقد كان ما أخذه مميتاً حتماً، والبرهان على ذلك ليس تلك الرائحة في الغرفة، بل ايضاً ذلك الطعم المحرق في فمه، وتلك الشرارات امام عينيه، وهذا الطنين في رأسه، والمغص الاليم في معدته. ولقد اراد وهو يشعر باقتراب الموت منه، ودون ان يعلل نفسه بآمال كاذبة، ان يقول وداعاً لاقرب الناس اليه. ولذلك اتجه نحو غرفة داشينكا. (وقد كانت تعيش معه، منذ ان ترملت، اخت زوجته التي تدعى داشينكا. وهي فتاة كبيرة السن، لكي تعتني بأمور المنزل).

وقال بصوت مغرورق بالدموع وهو يدخل غرفة النوم.

— «داشينكا، عزيزتي داشينكا!».

فتأفف شيء في الظلام وانطلقت منه آهة عميقة:

— «داشينكا». فجاء صوت امرأة يتلفظ بسرعة: «من؟ ماذا؟ اهذا انت يا بيوتر بيتروفيتش؟ لقد رجعت اخيراً؟ حسناً، ما بالك؟ ما الاسم الذي اعطيته الطفلة في المعمودية؟ ومن كانت عرابتها؟».

— «لقد كانت عرابتها ناتاليا اندريويفنا فيليكوسفيتسكي وعرابها بافيل ايفانيتش بينزسونيتسين.. اني. اني اعتقد يا داشينكا انني اموت. والطفلة قد اعطيت في المعمودية اسم اوليمبيادا اكراماً لشفيعتهم اللطيفة.. اني.. اني شربت الآن زيت البترول يا داشينكا!».. «— وماذا ايضاً؟ انك لا تقول انهم قدموا لك زيت البترول هناك!».

— «يجب ان اعترف انني اردت ان اشرب الفودكا بدون ان اطلب منك ذلك.. وقد عاقبني الرب على ذلك، لقد اخطأت في الظلام فشربت زيت البترول.. ماذا وجب علي ان افعل؟!

واذا علمت داشينكا ان الخزانة قد فتحت بدون اذنها ازداد تيقظها.. واسرعت باشعال شمعة، وقفزت في سريرها وانطلقت حافية القدمين الى الخزانة بثياب النوم وبوجه فيه غش كثير وبارزة عظامه كالورق المجعد. وسألت بغضب وهي تتفحص داخل الخزانة: — «من اخبرك

قصة

ساعي البريد

☆

ساعي البريد
ماذا تريد
انا عن الدنيا بمنأى بعيد
اخطأت ،
لا شك فا من جديد
تحمله الارض لهذا الطريد
ما كان ، ما زال على عهده
يحلم او يدفن او يستعيد
ولم تزل للناس اعيادهم
ومأتم يربط عيداً بعيد
اعينهم تنبش في ذهنهم
عن عظمة اخرى لجوع جديد
ولم تزل للصين من سورها
اسطورة تمحى ودهر يعيد
ولم يزل للارض « سيزيفها »
وصخرة تجهل ماذا تريد

***

ساعي البريد
اخطأت ،
لا شك فا من جديد
وعد مع الدرب فيا طالما
جاء بك الدرب . .
وماذا نريد . . ؟

بغداد — بلند الجبوري

انك تقدر على ذلك ؟ هل احتفظ بالفودكا هنا من اجلك ؟ » .

وتمتم ستريخين وهو يمسح العرق البارد المتصبب على جبينه :

— « اني، اني لم اشرب الفودكا يا داشينكا بل زيت البترول . . »

— « وما الذي يدفعك الى لمس زيت البترول ايضاً ؟ ليس لك من حاجة فيه ، اليس كذلك ، هل وضع هنا من اجلك ؟ام هل تعتقد ان زيت البترول لا يكلف شيئاً ؟ ايه ؟ هل تعرف الآن قيمة زيت البترول ؟ هل تعرف ؟»

— « يا عزيزتي داشينكا ، انها مسألة حياة او موت ثم تتكلمين انت عن الدراهم ! »

فصاحت داشينكا وهي تقفل باب الخزانه بعنف وغضب :

— « لقد سقى نفسه حتى السكر ، والآن ها هو يضع انفه في الخزانة ! يا للرجال الابالسة ، يا للرجال المزعجين ! انني ضحية ، انني امرأة شقية لا امان ولا صلح لها في الليل او في النهار ! يا للاوغاد والملاعين ، يا لاشباه هيرودس المرذولين ، ارجو ان تلاقي مثل هذا العذاب في العالم الثاني ! سوف اذهب غداً ! انني سيدة عذراء ولا اسمح لك ان تقف امامي بثيابك الداخلية هذه! كيف تتجاسر على التطلع الي عندما لا اكون مرتدية ثيابي ؟! » .

واستمرت دون انقطاع في مثل هذا الحديث . . ولما كان ستريخين يعلم ان لا فائدة من التأثير بالتوسل او الرجاء او حتى بتفجير قنبلة عندما تكون غاضبة ، لوح بيديه في يأس وارتدى ثيابه وقد عزم على الذهاب الى الطبيب . ولكنك تستطيع ان تجد الطبيب بسرعة فقط عندما لا تكون في حاجة اليه . وبعد ان اجتاز ستريخين راكضاً شوارع ثلاثة وقرع باب الطبيب تشيفاريانتس خمس مرات ، وباب الطبيب بوليتهين سبع مرات ، اتخذ طريقه الى دكان صيدلي ، وقد اعتقد انه من الممكن ان يستطيع الصيدلي مساعدته . وبعد برهة طويلة وجد صيدلياً مجعد الشعر قاتم الوجه قليلاً قد خرج اليه لابساً (مشايته) ، وعيناه ناعستان ووجهه تعلوه الرصانة والحكمة الى درجة انه يبعث الرعب في القلوب بصورة اكيدة . وسأل الصيدلي في نغمة لا يستعملها الا الحكماء والمبجلين من صيادلة اليهود للاقناع : — «ماذا تريد؟» فأجاب ستريخين متقطع الانفاس :

— « استحلفك بالله . . انني اتوسل اليك . . اعطني شيئاً ما . لقد شربت زيت البترول مصادفة . انني اموت ! » .

— « انني اطلب اليك الا تهيج نفسك ، وان تجيب على الاسئلة التي سأسألك اياها ، ان كونك مهتاجاً الى هذا الحد يكفي وحده ليمنعني من فهمك جيداً . انك شربت زيت البترول اليس كذلك ؟ » . — « نعم زيت البترول ! ارجوك انقذني ؟ » .

وسار الصيدلي بوقار ورزانة الى الصندوق وفتح كتاباً وانهمك في قراءته . وبعد ان قرأ صفحتين رفع كتفاً ثم الاخرى مقطباً وجهه بتكبر وبعد ان فكر دقيقة واحدة ، دخل الى الغرفة المجاورة . ودقت الساعة الرابعة ، وبعد ان اشارت الى مرور عشرة دقائق اخرى عاد الصيدلي بكتاب آخر . ومرة ثانية انهمك في قراءته . وقال كما لو كان حائراً : — «هم» ، كان يجب عليك عندما شعرت بالمرض ان تسارع الى طبيب وليس الى صيدلي » .

— «ولكنني ذهبت الى الاطباء قبل الآن ، ولم استطع ايقاظهم»

— « هم » . . انتم لا تنظرون الينا نحن الصيادلة كالكائنات

اعداء الكتاب

بقلم السيدة وداد سكاكيني

مصر

كانت الحرب اصطلح المحاربون على قواعد سموها فن القتال، وعبر عنها المعاصرون بكلمة «تاكتيك» فمن « التاكتيك» ان تجتنب الحرب في جبهتين، ان صح هذا التعبير في لغتنا اليومية، وقد اخذ بهذا الرأي دهاقين السياسة والنضال في زماننا، فما من أمة حاربت في جبهتين الا كابدت الصعاب وتصدت لافدح البلاء، فما بال اذن من يُهاجم من جبهات ثلاث؟؟

ولا جرم ان المفترى عليه في أيامنا، المبتلى بثلاثة من الاعداء هو الكتاب، لقد امتحنه الدهر اول ما امتحنه بعدو واحد، فلما تفتح وعي الانسان واتسعت معرفته اصيب الكتاب بعدو جديد، وتقدم الزمن فتعددت اسباب الحضارة والثقافة، وذاق الانسان حلاوة العلم والاختراع، وقد ادى هذا التطور العجيب الى ابتلاء الكتاب بالعدو الثالث، فازدادت نكباته وخطوبه. واذا شئت القول الصراح لم اجد بداً من اتهام المراة بأنها كانت العدو الاول للكتاب، فالانسان منذ كتب خواطره واودع افكاره الطروس جمع الورق والصحف سفراً، وكانت المرأة عدو الاسفار، ومن يدري فلعل الفلاسفة الاقدمين كانوا يعانون من زوجاتهم الهموم، كلما عكفوا على المطالعة وانصرفوا الى البحث والكتابة، وما خلا تاريخ التراجم، حين تبسط كاتبوه في انباء الادباء واهل الفكر، من التندر بما كان يلقاه الكتاب من غيرة الزوجات، وان علماء الاجتماع يهدون لنا طريق الاستدلال والاستقصاء قائلين بمرآة الحاضر، ويعنون بذلك ان للحاضر مرآة تعكس الغابر، فكثير مما نراه في ايامنا من طبائع النساء ومنازع الرجال على وعيهم ورقيهم مردود الى امثاله من آثار الاقدمين، والمرأة كما يقولون هي المرأة في كل زمان ومكان وفي النساء المتعلمات وانصاف المتعلمات من تتميز من الغيظ كلما أكب زوجها على كتاب يقرؤه، وكم نظر هؤلاء النسوة الى الكتاب في ايدي ازواجهن وكأنه ضرة من الضرائر، وقد يكون فيهن من تحرد وترتد الى بيت اهلها، لان زوجها مشغول عنها بالكتاب، او يؤول هذا النكد والتنغيص في الحياة الزوجية الى الشقاق والفراق.

ففي القديم اتفق لليث بن نصر كاتب البرامكة وتلميذ الخليل ابن احمد ان احرقت له زوجته كتاب «العين» الذي ألفه استاذه الخليل وهو النسخة الوحيدة، وما فعلت ذلك الا كيداً وتشفياً لانصراف زوجها عنها الى جاريته، فرأت ان تنغصه بأعز شيء لديه وهو الكتاب الذي كان يحرص عليه، فأحرقته وتركت بنقمتها هذه بلبلة لغوية لا يزال العلماء الى اليوم يعانون ضلالها.

البشرية فترعجوننا من راحتنا في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل. مع ان كل كلب او قطة يستطيعان النوم بسلام . . انكم لا تحاولون فهم هذه الامور، ونحن في نظركم لسنا بشراً، واعصابنا في اعتقادكم مركبة من حبال » .

واستمع ستريخين الى الصيدلي، ثم تنهد وخرج في اتجاه المنزل.

— « وهكذا يكون نصيبي الموت » .

ان في فمه اشتعالا ومذاقاً لطعم زيت البترول . ان في معدته وخزات، وصوتاً شبيهاً بالبم بم بم في اذنيه . وفي كل لحظة كان يخيل اليه ان نهايته قد حانت، وان قلبه قد توقف عن النبضات.

واسرع حين وصل الى المنزل فكتب :« لا تدعوا احداً يكون مستحقاً اللوم بسبب وفاتي» وحينئذ تلا صلاته وتمدد وقد جر غطاءه فوق راسه. وظل مستيقظاً حتى الصباح ينتظر الموت. وكان طوال هذا الوقت يتخيل الصورة التي سيكون قبره عليها. وكيف سيغطي بالاعشاب الخضراء الندية، وكيف ستتواثب الطيور فوقه.

وفي الصباح، كان ممدداً في سريره يقول مبتسما لداشينكا.

—« ان من يعيش حياة منتظمة وهادئة يا اختاه، لن يتأثر باي سم كان . انظري الي مثلا، لقد كنت على حافة الموت لقد كنت اموت وأعاني سكرات الموت، وبالرغم من ذلك فها انني معافى الآن .لم يبق في شيء سوى اشتعال في فمي وألم في حلقي، ولكنني فوق كل هذا على ما يرام فشكراً لله . : ولم ذلك ؟انه بسبب حياتي المنتظمة ».

وتنهدت داشينكا مفكرة في مصروف اهل البيت وشاخصة في الفراغ.— « كلا بل كان ذلك لان زيت البترول من نوع ردي، ان البائع لم يعطني دون شك احسن الانواع . ان ما اعطانيه كان بثلاثة مليمات . انني ضحية. انني امرأة شقية يا لكم من أبالسة! ارجو ان تلاقي مثل هذا العذاب في العالم الثاني . يا لاشباه هيرودس المرذولين ». وتابعت كلامها على هذا النمط . .

دمشق

سرجيل ايوب

وروي ان امرأة ثانية على هذه الشاكلة، كانت زوجة لأمير كبير، ليس له دأب الا المطالعة والكتابة ، وكانت عنده خزائن كتب يزهو بها ويعتز ، فلما توفي هبت زوجته الى هذه الخزائن مع جواريها وجعلت ترمي الكتب في بركة ماء ، وهي تندب حظها مع زوجها حتى اشتفى غلها .

وكيف كان الامر ودارت اخباره ونوادره ؛ فان المرأة من اعداء الكتاب ان لم تكن اول من عاداه وستبقى متهمة بهذه العداوة ما دامت لا تعبأ بالكتاب ، فلا تقتنيه ولا تشتريه ، بل تبخل عليه بالقليل في حين تسخو على زينتها بالكثير ، وكم بين المتعلمات والمعلمات على اختلاف ثقافتهن ومكانتهن من لا تقرأ كتاباً ، مكتفية برواية خفيفة ، او صحيفة ظريفة ، تطالعها من حين الى حين للساوى والفكاهة .

ثم كانت المرحلة الثانية من حرب هذا المسالم الامين ، الذي لا يملك الدفاع عن نفسه ، تنبذه اليد ويعلوه الغبار فيبقى مكانه مهجوراً مطروحاً ، حتى تتاح له يد ثانية ، يفتح ثم يغلق ، ويشق او يمزق ، لم يعرف الهجوم في عمره وان كانت حربه دائماً وأبداً حرب دفاع ، ودفاع بغير سلاح .

وكان عدوه الثاني اللدود هو الصحافة ، التي تصطنع الطرافة والخفة في اخبارها وتعبيرها ، وتتناول اطراف الثقافة في يسر وسرعة لتقدمها الى القارىء رخيصة منوعة ، وقد ابتلي هذا العصر بفوج منها جديد ، مستجيب للاهواء والظروف ، يغري الكبار والصغار بالصور العارية والتلاوين الفاتنة ، والموضوعات الحية الجاذبة .

لقد هجمت هذه الصحف على دنيا الكتاب هجمة الفاتح المكتسح ؛ فبددت الكتب وأدالت دولتها ، وحلت محلها في الدور والقصور ، فصارت الايدي تتثاقل حين تمتد الى كتاب ، وتترامى متسابقة مستعجلة الى الصحف التي تؤدي الغذاء الخفيف المصنوع ، وشتان بين أكلة دسمة يجلس اليها الجائع وينهض ممتلئاً رياً وشبعاً ، وبين حبة او حبتين من اقراص الفيتامين ! فلم يشق القارىء على نفسه بكتاب يكب عليه اياماً ، وما جدوى تنقيبه وتقليبه الساعات الطوال ليعجب باسلوب الكتاب حيناً وروعة التعبير والتفكير حيناً ، وفوق ذلك يؤدي الثمن الكثير او القليل في شرائه ، ان كل هذا العناء توفره صحيفة خفيفة معاصرة تلم بالموضوع الذي ينشده القارىء الماماً عابراً يسيراً ، فمن هاهنا كانت مصائب الكتاب ، وكانت سوقه الكاسدة .

ولم يكتف الدهر بعدوين اثنين ؛ بل رماه بعدو ثالث ، ولا طاقة للكتاب بان يجبهه ويصد عنه اذاه ، لانه متسلح بالكهرباء ، محفوف بالسحر الحلال ، ابتدعته حضارة العصر لتكيد للكتاب وتزيد في همومه وخطوبه ، انه المذياع . . وهل علي من ضير ان آخذته بجريرته ؟

فاذاعات تبقى الواحدة منها ربع ساعة او اقل تسقط في الاسماع دون تعب ولا حرج ولا يطلب فيها من اليد غير تحريك اللولب الذي يبعث الصوت مدوياً في الفضاء ، او رفيقاً مهموساً ، هي اذاعة خفيفة ظريفة ، كافية لمن كان يعوزهم اليوم واليومان للالمام بكتاب ، وكيف يشق القارىء على نفسه ، فيطالع سفراً ضخماً عن سياسي خطير او مؤرخ كبير في ايام وشهور ، او انه يقضي الليالي الطوال ليلم بطارحات الجاحظ عن افانين « البخلاء » و« الحيوان » ، ان اذاعة عنها سريعة طريفة تجيء في دقائق معدودات يلخص فيها المحدث كل هذا العمر ، فالسنة دقيقة ، والصفحة كلمة ، والكتاب حديث ، وكفى الله المستمع او المستمعة تطويل البال .

على اني في هذا المقال لست بصدد التنويه بفضل الكتاب ، فان اية حضارة في العالم قديمة او حديثة ما تخلت عن الكتاب ، وكيف تتخلى عن سجل فنونها وحياتها ومستودع ماضيها وعبقريتها ، وقد كفانا الجاحظ مؤونة القول في هذا الموضوع ، حين وصف الكتاب وافرده باباً خاصاً في كل من كتابيه « الحيوان » و« المحاسن والاضداد » قائلاً : « وتصنيف الكتب اشد تقييداً للمآثر على مر الايام والدهور من البنيان ، لان البناء لا محالة يدرس وتعفي رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ، ومن امة الى امة ، فهو ابداً جديد ، والناظر اليه مستفيد » الى ان يقول : « ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ، آمن من الارض ، وأكتم للسر من صاحب السر . والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يقليك ، والرفيق الذي لا يملك » .

ولقد نددت في هذا المقال باعداء الكتاب لا للتشفي او التسلي وانما لادعو لنصرة الكتاب والعودة اليه وذلك بالاقبال عليه والتقدير لمؤلفيه ، فنمنحه حباً جديداً لا يبلى على الايام ولا تحول بيننا وبينه مغريات الحضارة ونوازع السرعة والتوفير ، لان في الكتاب خزائن المعرفة وينابيع الفكر والنور ، ولن يستطيع احد ان يطفىء هذا النور ما دام في الناس شوق وحنين الى ان يشفوا غليلهم بشربة باردة من النبع الاصيل الفياض .

دمشق — وداد سكاكيني

احمر الشفاه

●

.. كم وشوش الحقيبة السوداء .. عن جواه
وكم روى المشـط .. والمرآة .. مـا رآه
عـلى فم أغـنى من اللوزة فلقناه
يرضـع .. حرف مخمـل تقبيله صلاه
دهانه نارٌ .. ومـا تحرّقت يـداه
ليس يخاف الجمر مَنْ طعامُهُ الشفاه
إن نهضت لزينـة تفتّحت منـاه
وارتفّ .. والتف عـلى اؤلـؤة وتاه
يمسُحها .. فللوعود الهجّع .. انتباه ..
سكرانَ ... بين اصبعين جدولي ميـاه
يغزل نصفَ مغرب كأنـه الٰه ..
حيث جرى بِرُكارُهُ فالرزق .. والرفاه
يُهرق في دائرة مضيئـة دمـاه ..
مداه قوس لازورد ليت لي مداه
يرشّ رشّة .. هنا حمراء من شذاه
ويغرس الشموس حيث غلغلت خطـاه
اذا أتمّ دورة .. قـال العقيق : آه

***

أنت شفيعي عندها يا احمر الشفاه

اسطنبول — نزار قباني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من القيم الانسانية

مذهب ليبنز

بقلم محمد عبناني

مدخل الى ليبنز

ظلت فلسفة ليبنز (١٦٤٦ — ١٧١٦) سائدة على الفكر الالماني والاوروبي حتى «كنت»، وحتى بعد صدور « نقد العقل الخالص » ظل اتباع ليبنز يدافعون عن نظريات معلمهم محورين في بعضها ، وطالما بحثت المذاهب المتعاقبة « ليبنز » حقه ، وسخرت من افتراضاته . ولكننا نعتقد ان النقد العميق العادل يلم بالمذهب الفلسفي من ناحية روحه العامة ومبادئه الاساسية الجوهرية، فاذا طبقنا هذا على ليبنز ، وجدناه احد معالم الانسانية العظام ، وأحد اولئك الذين ساهموا في بنيان النهضة الحديثة . فلقد قام ، مع ديكارت وباكون ، بنسف المعتقدات الوهمية التي غذتها ظلمات القرون الوسطى وشوشت كثيراً من معطيات الفلسفة التجريبية التي ولدت مع ديكارت وباكون وليبنز عائدة الى عمق ارسطو وافلاطون وفيثاغورس ، مجددة لا المسائل والحلول الفلسفية ، بل العقل البشري ايضاً .

وليبنز وجه من تلك الوجوه الفكرية الصافية ، فيثاغورس ، افلاطون ، ديكارت ، نيتشه ، برجسون الخ . . تلك الوجوه التي انشأت الفلسفة الروحية ورأت في النفس شيئاً غير الفاعل السلبي والموضوع الزائل ، المنبثق عن الحواس ، امكانية فارغة ، ونتيجة للكيان الطبيعي ، فهي تعترف للعقل بمصدر إلهي ، وسلطة اسمى من سلطة التجربة المحسوسة ، ان ليبنز هو احد العقول التي تَردُ في مفهومها، الحوادث المبادى.،والمادة للافكار والمثل ،وهو يتصل، تاريخياً بديكارت ، ولذلك رأيناه خصماً مباشراً « لغاسندي » « ولوك » .

نظرية المعرفة :

يعترف ليبنز في كتاب« تأملات في المعرفة والحقيقة والافكار» بفضل المنطق المدرسي عليه ، اي منطق ارسطو وآباء الكنيسة ، ثم يستطرد فيقر ان مبادى. كل يقين يجب ان تخلو من التناقض ، وهو يستعين بمبدأ السبب الكافي في تثبيت دعائم منطقه ، وهذان المبدآن ليسا، في المنطق الليبنزي،سوى وسيلتين للاثبات والتحقيق والنقد ، فهو في هذا سلبي صرف ، يستخدم منطقه للتدليل على خطأ فكرة واظهار الشتات في نظرية ولا يمكنه ايجاد حقائق جديدة ، فالمنهج والحالة هذه بحاجة الى ان تضاف اليه اصول لفن الابتكار ، وينقصه ، من الناحية الفلسفية الغيبية ،منطق عام:

وليبنز يرى ان ثمة مصدرين للمعرفة : التجربة الصادقة، والاثبات الواقعي ، ونوعين من الحقائق : حقائق الاحداث البديهية ، والحقائق غير المباشرة اي الضرورية . اما السبب الاخير للحقائق فهو الله . وكل تفكير لا يوصلنا الى الله هو تفكير خاطىء . لان الحقائق لا تعرف الالتواء والغموض ، ولو وجد للمعرفة الفلسفية منطق واضح مكتوب بلغة علمية متماسكة واضحة، لامكن ان نحقق في نتائجها كما نحقق في عملية حسابية، والتحليل هو وسيلة للبحث عن الحقيقة. والكامل منه هو اختصار الافكار والاسباب الى عناصرها البسيطة العامة ، والى الافكار التي لا تتحلل ولا تقبل الجدل ولا الاختصار ؛ او بتعبير آخر الى صفات الالوهية المطلقة . وهي السبب الاول ، فالله خلق بأمره هذا العالم، والاشياء هي افكار الباري ، والتحليل يميل الى الوصول الى هذه الافكار كانت الحقيقة المنطقية في نظر « ليبنز » سواء والحقيقة المادية ، والامكان العقلي يتساوى مع الحقيقة ، وبما ان ما هو ممكن يميل الى الوجود بالضرورة،فان فكرة ما، تكون حقيقية، حين يثبت لنا امكانها . وهي خاطئة حين تظهر فيها بوادر التناقض . وفكرة ما ممكنة بديهياً ، حين لا يكون ثم تناقض

في ادراكها ، وهي ممكنة ، بعد الاثبات ، اذا كانت موجودة الآن ، وهكذا كان « ليبنز » يعتبر النهايات المجردة كعناصر لازمة لكل حقيقة .

انه مثالي روحي كما قلنا . يرى في الديالكتيك تعبيراً عن فكرة الالوهية . وكان اقل جرأة من « هيجل » ، فلم يعترف بوحدة الاشياء الا في الله ، اما الانسان فليس له ان يفكر في الانسجام الكوني الالهي المادي الا كانسان .

وهو يرى ان المعرفة اما ان تكون واضحة او غامضة . والمعرفة الواضحة هي بدورها اما مفهومة او مشوشة ، والمعرفة المفهومة هي ايضاً اما ظنية او رمزية وهذه المعرفة الرمزية هي المعرفة الكاملة ، ولكنه يشك بامكان الوصول اليها .

وهو في نفس الوقت ، عقلي مثالي واقعي ، فنراه ينسب الى العقل سلطة حرة غير مقيدة بالتجربة ، فهو يحصل على الادراكات بدون عون خارجي ، ويعترف ليبنز للعقل بقوانين محسوسة ، اذ تنطلق الحواس لتعيين الوجود .

ولكن الاحاسيس لا تكفي العقل ، واذا صح ان ليس في العقل شيء من غير اعطاء الحواس ، فالعقل على كل حال اصيل في ذاته . ان « ليبنز » يرى اننا نرى كل شيء في الله (اي بواسطته ، فهو نقطة ارتكازنا وغايتنا) ولكنه يخالف (مالبرانش) في الرأي ، فالله في نظر الفيلسوف الالماني ، نور لجميع البشر ، وثمة روح عامة مصدرها الله ، متمثلة في الجميع ، والحقيقة التي تكلمنا ، حين نصل الى اليقين الفلسفي ، هي صوت الله نفسه .

ليبنز والحلولية :

ولا يظن القارىء ان ليبنز حلولي Panthéiste ، فهو ابعد الناس عن افكار سبينوزا في هذا الصدد ، بل ان فلسفة ليبنز تمتاز بمناهضتها لحلولية « سبينوزا » امتيازها بمناهضة مادية « لوك » و« غاسندي » ان مذهب ليبنز ، بما فيه من لاهوت ومنطق ومثل فكرية ومبادىء مجردة ومحسوسة ، يرتكز اولاً واخيراً على نظريته في الطبيعة العامة للكائنات والى نظريته في طبيعة الجواهر المعروفة بنظرية « الوحدات » . وقد افترض ليبنز وجود هذه « الوحدات » لينجو من حلولية سبينوزا ، ومثالية مالبرانش ، ومادية غاسندي . « فالوحدات » في نظره ليست مجرد افكار ، واعداداً صرفة ، ولا ذرات جسمية ، ولكنها ذرات روحية مادية اذا صح التعبير ، وهي حد وسط بين الفكرة والذرة ، بين المادة المطلقة والروح المطلقة . وكان يزعم انه ليس من شيء حقيقي خارج نطاق الجواهر الفردية ، وان هذه موجودة بذاتها ، مستقلة عن كل فاعل مفكر ، وهكذا فرّق بين الجواهر المتعينة والمخلوقة ، وبين الجوهر المطلق البدائي . ان الفرديات في نظر الحلوليين ليست سوى مظاهر تثبت او تنفي الجوهر المطلق ، اما في اعتقاد « ليبنز » فهي ايجابية على الدوام ، رغم كونها مخلوقة وتابعة لموجدها .

ليبنز وديكارت

وفي بحث آخر يمتدح « ليبنز » « ديكارت » ، وينقد بعض مبادئه نقداً ليناً رفيعاً . ثم يعلن ضرورة تعريف لفظة « جوهر » لانه تتوقف على هذا التعريف معرفتنا بالحقائق الاولية حول الله والروح وحول طبيعة الاجسام نفسها . فهذه اللفظة تحمل في نظره معنى القوة . بل هو يفترض القوة فيها افتراضاً . طبعاً انه لم يُساوِ ، في معادلة صغيرة ، بين القوة والمادة ، كأينشتين ، مغيراً مصير البشرية ، بل كان اشد تواضعاً ، فهو يرى في الجوهر تلك القوة التي تميل دائماً الى الدخول في معترك العمل ، وهو يرى ان السبب الاخير لكل حركة هو تلك القوة المنتقلة الى الاشياء ، عند الخلق الاول ، انها قوة منتشرة في المكان ، ولهذا السبب نراها مختلفة المظاهر ، ان هذه القوة العاملة موجودة في كل عنصر ، مادياً كان ام روحياً ، والعناصر المخلوقة ، تلقت عن العناصر الخالقة ، لا موهبة العمل فحسب ، بل امكانية استخدام القوة في الوجه الذي تريد . وهو يعتقد ان الوحدات الجوهرية التي تؤلف الاجسام لا تسمو طبيعتها الى طبيعة الارواح والعقول فهذه الارواح والعقول مخلوقة على صورة الله ، وهو يحكمها كما يحكم الملك رعيته ، بينما هو يتصرف بالجواهر الاخرى تصرف المهندس بادواته ومواده .

والارواح والنفوس والعقول لا تفنى . ولشرح خلودها تحرر ليبنز من كل ما له مساس بفكرة الموت والولادة ، واعتمد نظرية « سوامردام » و « مالبيجي » وغيرهما ، مقرراً ان توالد الحيوان ليس الا تطوراً وتتمة ، فليس في عالم الحيوان ولادة جديدة ولا موت ، بل انتقال روح خلال تطورات .

اما النفوس العاقلة فتتبع قوانين مغايرة فهي لا تستطيع ابداً فقد شخصياتها . والنفس البشرية احدى هويات عالم الارواح ، وكل شيء يميل الى الرقي والتحسن وخاصة هذه النفوس العاقلة الخالدة التي تطمح الى كمال العالم حولها . والمكان ليس كائناً حقيقياً مظلقاً ، بل هو شيء نسبي ، تخيلي ، وكذلك الزمان ، والمكان هو نظام الاشياء التي

تتساوى في حيّز الوجود ، والزمان هو نظام الاستمرار والديمومة.

ورفض ليبنز، فيما له علاقة بالروح والجسد وتوافقهما ، الاقتناع بأثر جوهر في جوهر آخر، مسايراً في هذا الطريقة الديكارتية ، ولكنه لم يستطع ان يقبل مثلهم مذهب الاسباب الطارئة أو مذهب الحفظ الالهي، فاضطر لقبول فكرة «الانسجام سابق التصميم» وهذا الانسجام تم بارادة الله، عند الخليقة، وفيه توافقت كل الجواهر والعناصر ، وخاصة الروح والجسد ، وبفضل هذا الانسجام ، نجد ان الجواهر — باكتمالها وتطورها كل على حدة — حرة كل الحرية مستقلة تمام الاستقلال ونحن نجدها متوافقة تمام الموافقة حتى ليكمل احدها الآخر . وضرب ليبنز مثلاً ساعتين مضبوطتين تدقان في ثانية معينة واحدة ، ويعود سبب ضبطها طبعاً الى صانع الساعات الذي صنعها بدقة وحنكة ، حتمتا عليها التوافق والالتقاء. وهذه الافتراضات ، وقد روعت صاحبها قبل غيره ، فرضت نفسها بعد استحالة ايجاد اسباب عقلية اخرى لتفسير الوجود ، اسباب تؤمن الحرية الذاتية والخلود المطلق للنفس الى جانب دلالتها على الله ، اسباب تظهر منها سمات الانسجام الكوني واضحة حية.

وترتب على هذه المبادىء كون النفس البشرية حرة الى ابعد حدود الحرية ، لا يشوب حريتها اي تأثير غريب عنها ، وديمومتها الخالدة واضحة مؤمنة ، وكذلك استقلالها وخلودها وفرديتها. وهو يقول «كل نفس عالم على حدة ، تنبعث منه مقوماته الذاتية، وينطلق الى اللانهاية ، معبراً عن الوجود ، والنفس خالدة كالوجود الذي تعبر عنه ، والنفس تقدم لنا دليلاً على وجود الله ، حين نلمس ان انسجامها لا يمكن ان يأتي الا من مصدر ذكي ليس لذكائه نهاية. . . ونحن لن ننقد هنا هذه النظرية ، فالقارىء يلمس ما فيها من خيال وحقيقة ولكن لنا ان نعجب من هذه الحرية المطلقة التي يزعمها للنفس بعد حلولها في الجسد. . .

ولا شك انه محق حين يشير الى الحرية في العقل وان النفس حرة بمجرد كونها عاقلة ، ولكنه اهمل ناحيتين اولاهما ان العقل ليس كاملاً ولا مثالياً والثانية ان النفس لا تملك في ذاتها قوة الوجود وانها لا تختار حين توجد.

نظريته في الوحدات

وفي بحثه في «الوحدات» نجد آراء ليبنز تتركز حول الله والروح والكون. «فالوحدات» وهي عناصر الاشياء ، جواهر بسيطة لا تفنى ؛ وجدت بوجود الخليقة ، وهي مختلفة الصفات مستقلة عن كل تأثير خارجي، ولكنها تخضع لتغيرات داخلية سببها الرئيسي الشهرة المطلقة ، انها ذرات غير مادية ، وبينها ذرات يتضح فيها الفهم مصحوباً بالوعي، وهذه الاخيرة هي الارواح ، فالارواح البشرية تمتاز عن الحيوانات بمعرفة الحقائق الضرورية التي يتركب منها العقل، ومن العقل تنشأ احداث التفكير التي توصلنا الى «الأنا»

***

فاذا وصلنا الى « الانا » حتم علينا المنطق المتسامي الخروج من سلسلة الاحداث الواقعية والوصول الى السبب الازلي الذي هو الله فالدليل الاول على وجود الله هو امكانية وجوده. ومن ناحية اخرى وجود هذه الكائنات. ومعرفتنا بالله هي عالم الحقائق الضرورية ، الخالدة مثل الله.

مجلة علم النفس

☆☆☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٦٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

نظرية ليبنز :

ان مبادىء التطور والسمو نحو الصلاح والخير تنطلق من معرفتنا بالله . وعالمنا هذا اليوم ، هو افضل من كل عالم سابق ، ففيه تجسدت نهاية امكانيات الخير والحق والجمال . والكائنات سطور إلهية . واهم صفات الارادة الالهية : القوة والارادة والمعرفة ، ويماثلها في النفس البشرية قوى الفاعلية ، وهي القاعدة، وملكة الفهم والشهوة ، والمخلوق يكون نشيطاً عاملاً بقدر ما فيه من الكمال والعكس بالعكس. وحركات الكون مضبوط بعضها على البعض الآخر في سبيل الحصول على افضل حياة ممكنة، وبفضل هذا الانسجام ، يمكن لكل جزء ، التعبير عن الاجزاء الاخرى ، ومن هنا هذا الاختلاف الكبير بين النفوس البشرية ، الكامن فيه انسجام كبير ايضاً . وكل جسم عضوي هو آلة من صنع الله ، والآلية منبثة حتى في ادق اجزائها ، بعكس الآلة التي يصنعها البشر ، وهذا هو الفرق بين الفن البشري ، والفن الالهي . وليس في الكون شيء ميت او مجدب ، حتى في ابسط العناصر والمواد تسري قوة الخلق ويلوح ابداع الخالق . وليس في الحيوانات من تناسخ ، بل تطور وليس هناك روح بدون جسد اذا استثنينا الله .

والنفوس العاقلة هي مرآة الالوهية ومرآة الاشياء المحيطة بها وبذلك يمكنها ان تسمو الى معرفة النظام الكوني . فتدخل مدينة الاله ، ذلك العالم المثالي الاخلاقي الموجود في العالم المادي ، حيث الله سلطان وأب ، وبما ان الله هو مهندس هذا العالم ، فمن الطبيعي جداً ان يتم الانسجام والتوافق بين العالم الطبيعي والعالم المثالي والروحي .

ثم ينتقل « ليبنز » الى التقييم والاستنتاج، فيلاحظ في رسالته الى بوسويه Bossuet اننا لا نستطيع ادراك الاشياء في تطورها ، الا عضوياً ، وعلينا ان نقتنع بوجود قوة عاملة واصيلة فيها . وآلية الاجسام وتركيبها يجب ان يشرحا بمبدأ اسمى من المبدأ المادي او السبب الرياضي ، فيجب ان نستخلص هذا المبدأ من مصدر غيبي ومن منبع قوة اصيلة ذكية صافية منبثقة عن الله .

وفي رسالة الى « بايل » Bayle يقول : ان الحكمة المطلقة تتصرف تصرف المهندس الكامل ، فعلم الطبيعة الحقيقي يجب ان يصدر عن نبع الكمالات الالهية ، فهناك المبادىء الحقيقية لكل شيء ، وعلينا ان نشرح كل شيء باسباب نهائية مقنعة .

وليبنز يقر قانون الديمومة في اشكال الطبيعة وظواهرها . انلم يقره في قواها . وهو يقول : ليس هناك جمود تام ولا متانة حقة ولا ميوعة مطلقة ، في اي مظهر من مظاهر الوجود ، طبعاً كل شيء يتم آلياً ، ووفقاً لقانون الديمومة، ولكن مبادىء هذه الآلية اللامتناهية تنبعث من اسباب غير مادية ، ونحن نجد اللانهاية في كل شيء، وكل التغيرات اللامتناهية في الطبيعة تسري فيها حكمة هندسية، اذا صح التعبير، وفي كل مظاهر الطبيعة نرى الانسجام والهندسة والاخلاق!

والطبيعة ملأى بالاسرار والعجائب والمعجزات وكثيراً ما يضل العقل في متابعة هذه الظواهر الخارقة، اما القدماء فكانوا يعجبون بالطبيعة دون ان يفهموها، والديكارتيون اعتبروها سهلة الى درجة انهم اهملوها، ولكن على المفكر الجدير بهذا الاسم، تقديرها حق قدرها ، وعليه ان يوالي اكتشافاته لان اسرارها لا تنفد .

ليبنز ولوك

وحين يتعرض «ليبنز» لنقد «لوك» نجده يصطنع اسلوب الحوار، كما فعل افلاطون ولوسيان، ففي بحث من اشهر بحوثه نجده يناقش «لوك» على لسان تيوفيل قائلاً «ان مذهبي يوفق بين افلاطون وديموقريط بين ارسطو وديكارت ، بين المدرسيين والمعاصرين ، بين اللاهوت والعقل . . .

وحين يقول لوك « لا يوجد شيء في العقل لم يكن قبلاً في الحواس » يرد ليبنز قائلا :

«لا شيء طبعاً ، سوى العقل نفسه، بطبيعته الخاصة وملكاته وقواه » وحين يشبه لوك المعرفة البشرية باوحة بيضاء ، او بكتلة من الرخام النقي، تنحت فيها التجربة شيئاً فشيئاً، تمثالا ، يرد ليبنز، مشبهاً المعرفة البشرية بكتلة من الرخام، معروضة لازميل التجارب الاولى وفيها خطوط قديمة اصيلة اولية، تلمح في مجموعها الى مصير المعرفة ومستقبل وجودها .

نظرته الى الروح

والروح في نظر «ليبنز» تتطور كالكائنات جميعها، وفقاً لطبيعتها، وهناك حقائق نفترض صحتها افتراضاً، ولكن العلوم الاخلاقية هي اصلة حتماً ، وثابتة بحد ذاتها ، كالرياضيات، وهي تحتاج الى العقل لتفعل وتتطور وتتسامى، والله يهدينا اليها بغرائزنا . والانسان مدفوع الى الخير قبل ان يقرأ قانون المحبة في قلبه . . .

ليبنز ونظرية التشريع

اما آراء «ليبنز» في الحقوق الطبيعية فنجدها في كتاب «ملاحظات حول مبادي الحقوق» وهو يقرر في هذا الكتاب ان الحقوق الطبعية

ذات اصل الهي. ولا يفهم من هذا ان الله يتحكم فينا وان احكامه كل شيء بالنسبة الينا. اننا نكتب هذه الحقوق، وحكمته ومحبته يجب ان تسودا تشاريعنا البشرية، لتقترب من الله وتكون مقبولة من عامة الناس.

والعدالة في نظره هي ذكاء صرف. وهي ضرورية خالدة كالنفس والله، وطاعة الله هي طاعة الحكمة المطلقة. وطاعة العقل هي طاعة الله، والعمل وفقاً للعقل هو العمل المنتج الخير. والله هو مصدر الخير والحقوق.

اما الخير والشر فهما كذلك، وبالضرورة، والجاحد الملحد يؤمن بالعدالة كما يؤمن بالرياضيات، والامن ليس المبدأ الاول للحقوق كما يظن جروتيوس Grotius مع ان كل شيء صالح للمجتمع هو حقيقي. بل فوق المجتمع المدني توجد المدينة الالهية، ونحن جميعاً من سكانها وغاية الحقوق الطبعية هي خير للذين يحافظون عليها، وهدفها افادة الضعفاء وتنظيم القوة للمحافظة على الكيان البشري، ومصدرها نور العقل الالهي المنبثق فينا من الله.

نداء ليبنز :

واليوم، وقد ضعفت القيم الاخلاقية، وأفلست الحضارة الغربية التجريبية المحضة، حتى النفسية الفلسفية منها؛ وقام الماركسيون والوجوديون يتنازعون التراث الروحي ويمزقونه شر ممزق، يرتفع صوت عميق نبيل، في اولئك الذين سيطروا على مقدرات المادة، ولم يمتلكوا السيطرة على مقدراتهم، اولئك الذين قصروا او الغوا المسافات، في المكان والزمان، مقيمين عوضاً عنها مسافات روحية شاسعة بين المذهب والمذهب وبين النفس والنفس، اقول الآن، يرتفع صوت ليبنز، ببساطته وعمقه، منقذاً وموجداً.

اجل لقد غير جيمس وبرجسون مجرى العلوم الفلسفية المعاصرة وأصلحا النظرة الى النفس، وفجرت نسبية اينشتين، الذرة، ورفاقه اساطين العلوم التجريبية عاونوه في اعطاء الوحش البشري قوة جديده سرعان ما رأيناه يجربها، « لصالح البشرية وحقناً للدماء » في « ناجازاكي » و« هيروشيما »، وأوجد « بروست » طريقة جديدة لكتابة القصة واستقراء ذكريات النفس، وحلل قبلة « البرتين » بما ليس عليه من مزيد من الدقة والنفوذ والشمول، ورفع « دى بوسي Debussy » الموسيقى الى مرتبتها المدرسية القديمة، وحمل « دى بروجلي De Broglie » الفيزياء الحديثة الى انتصارات باهرة ستخلد ما خلد الانسان، وأوجد « سيجمون فرويد » اصولا لعلم النفس، وتحليلاً للشهوة الفردية، وجدد بيكاسو Picasso في فن التصوير وابتكر المفاهيم الجديدة لمدرسة فذة، وأنشد كلوديل وتوماس هاردي وما سيفيلد اروع اشعارهم وأعمق قصائدهم، فعل هؤلاء وغيرهم، هذا، وكثيراً غيره. ولكن النفس ما زالت قانعة بعالمها القلق المهين لم تتركز، وسط بابل عصرنا، بل ظلت في المؤخرة، مع الاخلاق والمبادىء السامية والروحية الخلاقة.

لقد لاقى مذهب ليبنز نقداً عنيفاً خلال العصور كهذا الذى لاقته كل المذاهب والنظريات ولكن فضله لا ينكر في ايجاد مبادىء جديدة تتعلق بالعقل وسيطرته، وبطبيعة النفس، وبالطبيعة العامة، وبعلاقة الله بالكائنات، وكلها خطوات عملية في دنيا عقلية جديدة. وان ما يشرفه في نظرنا، ايمانه بالتقى والحكمة وبالتجربة والتفكير، وبالتربية العلمية والفنون، وباهداف هذه جميعاً وارادته في ان تصب كلها في محيط اليقين الالهي.

محمد عبناني

الاسواق التجارية

•

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين
وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى – ساحة الشهداء بيروت

الهاتف : ٦٨ – ٦٦ العنوان البرقي : ادفرت، بيروت

مصادر بحث « ليبنز »

Encyclopédia Italiana
Dictionnaire des sciences philosphiques
Œuvres complètes De Leibniz.Paris 1912
Histoire de la philosophie, Bréhier

رياح

في الليل . عندما تثور الطبيعة اعد
على اصابعي عدد السنين التي عشتها،
الثلاثين، وابسط على راحتي اول
شعرة بيضاء عندئذ فقط أذكر
كم كان شقائي فيكِ مروعاً
أنتِ يا من ذكرتني بجنبتي
الوضيع . . ذلك التراب

☆☆☆

لصفاء الجبوري

بغداد

●

هومي ، هومي ، على مخدع الليل ، ومرّي مع الصباح ببابي
واستقرّي هناك لا تجفلي الصمت ، ليصحو على الصرير النابي
أنا أخشى تقلص النور في مدفن حبي على صقيع ارتيابي
وانثيال الكوى ، بأخيلة سوداء ، أطوى بليلها الصخّاب
والتفاتَ الاشباح في بيتي الدافي ، وصخبَ الطيوف في أعتابي
واصطفاق النوافذ الخرس في قلبي ، وشجو الاشجار في اعصابي

***

خلف ذاك الرتاج ، يا ريحُ ، أنقاضُ سراج ، غذّيته بترابي
هو منّي ، ومن هواها ، تسابيح عليها ظل نديّ النقاب
سفح الامسُ فوقه ، من رؤى المغرب ، لوناً يشف كالاكواب
فارحمي قلبه المصدأ ، لا تقسي ، فذاك الدخان نفث اضطرابي
كلما شفّ لونه ، صفّنَتْ فيه الأماني ، وخف وقدُ التهابي

***

ها هنا يا رياح . — والصمت والموت أقاما مجازراً لشبابي —
ذوّبت مقلتاي أيامنا نعشاً صغيراً ، مرّرته بعذابي
ستلفين حوله ، يوم تنفضّ الاماني ، عني وتهجر بابي
ويروح الغبار ، ينسج منه ، للاساطير حفنة من ثياب
ستنوء الاكتاف ، بالامل الميت ، وترمي عظامه للكلاب

***

كان لي امس ، وانطوى ، لم يذر منه ، على مقلتيّ غير ضباب
ورؤى مغرب ، تخلله الدمع خيوطاً خضراء كالبلاب
ضفرتها شمس الربيع خميلات تقيني الهجير غبّ التصابي
تلك عيناي ، كالنوافذ ، ما أطللت منها ، الا وعدت بصابي
ورأيت السماء نصف رغيف ، تتعشى به جيوش السحاب
وأنا ها هنا ، تلملم — في الشباك — عيناي ، ذكريات اغترابي

***

انا في هيكل الهوى ، شمعة صفراء ، أقمتْ على الرفوف الكوابي
لم يعد في اطلال ماضيّ ، ما يدرأ عني خواطري واكتئابي
غير ضوء ، يتّقد ، مرتعب النور ، ويكبو على سطور كتابي
يفرع الليل . كلما شحب النور بعيني . وتاه خطو انسرابي
ودموع تنهدّ كالكوكب الهاوي . على غصة السراج الخابي
شرقت بالاسى . فجففها اليتم ، فماتت على مدى أهدابي

بغداد

●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـدام بوفـاري

للكاتب الفرنسي جستاف فلوبير ١٨٢١ ــ ١٨٨٠

ترجمة السيدة ماهرة النقشبندي

•

ولد في مدينة روان في فرنسا وكان والده طبيباً . اعترف له بالزعامة الادبية وبالامارة فرسان البيان في عصره وقصته مدام بوفاري اعظم قصة لاقت رواجاً في اللسان الفرنسي . نشرت للمرة الاولى تباعاً في احدى المجلات الادبية وطبعت مجتمعة عام ١٨٥٦ وقدم المؤلف والناشر للمحاكمة لما فيها من ادب مكشوف ولكن المحكمة برأتهما على اساس ان الادب الواقعي يجب ان يصور الحياة كما هي لا كما يريدها الناس . وقد قامت اصول القصة على حوادث الحياة نفسها ، فكان المؤلف نفسه طرفاً واحداً وكانت مدام لويز كولت طرفاً آخر واما الشخصية الاخرى التي أكتوت بنار المأساة فهي قريبة فلوبرت وقد مرت بها حوادث عاصفة كما مرت بايما بوفاري وكانت الحافز على كتابة القصة ومن مؤلفاته العظيمة الاخرى قصته التاريخية « سلامبو »

☆☆☆

القصة

(مدام بوفاري او آداب الريف) قصة* من الحياة الواقعية كتبها اعظم فرسان البيان الفرنسيين ، وضع فيها حسه واعصابه ، وود والالم يصهر نفسه لو أنه كان غنياً ليشتري كل الطبعات ويحرقها ليقضي على هذا العمل الجبار الذي رفعه الى ذرى المجد .

تبدأ القصة بجارلس بوفاري ذي النفس الخجول ، كتلميذ مدرسة ثم كطالب في كلية الطب . يتزوج ارملة تكبره سناً ثم تموت فيبني بالسيدة ايما رولت وهي ابنة مزارع مريض دفعه الى التعلق بها . يحس بالسعادة تغمره لمعيشته مع عروس فاتنة في ميعة العمر . لكنها كرهت نفسه الخاملة التي يعوزها الطموح والتطلع الى العلاء ، فودت لو عادت الى مدرسة الدير او الى باريس لتتمتع بهوائها الطلق الذي احست بانها في امس الحاجة اليه لتحسين صحتها ، ينتقل الى مسكن جديد في مدينة بونفيل الصغيرة . وهنا تدخل القصة شخصيات جديدة ، الصيدلي هومايز الذي يكره رجال الدين والذي على حماسه وحركته يقوم بكل ما في القصة من مزح ومجون ، وتلميذه الشاب ليون ديوبيوس . تحمل ايما ، ولحيتها المريرة تضع انثى . تهيم ايما ذات العاطفة المشبوبة بحب ليون وتشغفه حباً لكنه يرحل ويترك ايما المسكينة على استعداد لان تقع في حبائل اي رجل ما عدا زوجها المريض . تنصح ام جارلس ولدها ان يمنع ايما من قراءة قصص الغرام التي هي صورة من قلقها العاطفي وعدم استقرارها . كان رودلف بولنجر مالك الارض المجاورة لهم تعباً من اعماله واخلاصه السابق ، يلاحظ عاطفة ايما المتأججة ، فيصمم على التقرب اليها . يأخذ خادماً الى الدكتور بوفاري ليأخذ دماً منه (عادة متبعة في ذلك الزمن) ثم يتخذ له اسباباً اخرى يتذرع بها لزيارتهم كصديق ودود . يقترح على ايما الخروج للرياضة لشدة احتياجها اليها ، واعداً باعداد جواد لهذا الغرض يشكره جارلس ببراءة مقدراً لطفه وكرمه .

مشهد الحب

في اليوم التالي عند الظهيرة ، بدا رودلف في باب جارلس مع جوادين مسرجين على اذني احدهما وورد حريريه قرنفلية اللون وفوق ظهره سرج من جلد الغزال . كان رودلف يلبس حذاء ناعماً مرتفعاً وقد حسب انها لم تر في حياتها ما يماثلها . وفي الحق كانت ايما مفتونة بمظهره وهو واقف امام الدار بمعطفه المخملي الفاخر وسراويله البيضاء المخططة . . وكانت هي حاضرة في انتظاره . وهرب جستن من الصيدلية ليشاهد بدءها في الرحيل وتبعه الصيدلي

* عن الانجليزية من كتاب Famous Love Scenes, Mason

ايضاً مزجياً للسيد رودلف نصيحة قيمة صغيرة بقوله «ما اسهل ان يكبو الجواد براكبه. كونا على حذر فقد يكون جوادا كما قوبي الشكيمة».

وسمعت فوقها جلبة وضوضاء، فاذا بها فيلست تنقر على زجاج النافذة لتؤنس برت الصغيرة . وارسلت الطفلة الى امها قبلة من بعيد فاجابتها الام بتحريك سوطها .

وصاح السيد هومايس « نزهة سعيدة . . الحذر قبل كل شيء، الحذر » ولوح بالصحيفة عندما رآهما يختفيان .

واطلقت ايا لجوادها العنان ، وانطلق رودلف يعدو بجانبها وراحا يتبادلان بعض الكلام من حين لآخر . كان جسمها الزاخر بالفتنة محنياً برشاقة وخفة وقد امسكت يدها الجميلة العنان بحزم؛ ومدت ذراعها اليمنى واستسلمت للحركة التي كانت تهزها على السرج . وبين التلال حثا جواديهما على السير واخذا يطويان الارض طيا . وعند اقصى سرعتها وقفا فجأة فسقط حجابها الازرق الكبير.

كان الوقت بداية تشرين الاول ، والضباب يغطي الارض والغيوم السوداء تمر في الافق البعيد وتحلق فوق التلال . وهبت الريح ندية خفيفة مزقت السحب وبعثرتها وحملت بعضها كشراع مثقل سار يتهادى ثم اختفى عن الانظار . وفي بعض الاحيان يتسلل شعاع من ضياء الشمس خلال فرجة من بين الغيوم فتبدو سطوح بونفيل اللامعة وحدائقها اليانعة يحتضنها النهر بسكون ويطوقها كواله اسكره العناق. ولاحت ساحاتها الممتدة وجدرها المتواضعة وبرج الكنيسة السامق . واغمضت ايا عينيها نصف اغماضة لتتبين بيتها من بين البيوت ولاول مرة تبدو بونفيل لناظريها بهذه الحقارة والصغر . وبدا الوادي من المرتفع الذي هما فيه كبحيرة واسعة شاحبة ترسل البخار الى الهواء وانتثرت هنا وهناك مجاميع الاشجار كصخور صماء ، وشمخت اشجار الصفصاف الفارعة فوق الضباب فبانت وكأنها شاطىء اثاره الريح . وفي الناحية الاخرى عند البطاح السندسية ومن بين اشجار الصنوبر يتألق نور باهت في ذلك الجو الدافىء، واخرست الارض المحمرة كدقيق التبغ وقع اقدامهما، وراح الجوادان يضربان بجافة حوافرهما ثمار الشربين المتساقطة في طريقهما.

وذهبا الى طرف الغابة وكانت ايا تلتفت من حين لآخر لتتحاشى نظراته الجائعة فلم تر سوى صفوف اشجار الصنوبر التي جعلها تتابعها الرتيب تحس بدوار خفيف. ولهث الجوادان تعباً وراح الجلد على السرجين يبعث صريراً رتيباً .

وسطعت الشمس حالما دخلا الغابة فقال رودلف « لتحرسنا عناية الله » فقالت : —اتظن ذلك ؟ وواصل يقول : الى الامام!

وصفر للجوادين فراحا يجدان راكضين وعلق ركاب ايا بالاشجار الشائكة الممتدة على طول الطريق فانحنى رودلف وخلصها وهما سائران . وسار بجانبها ليزيل الاغصان المتشابكة من طريقها فاحست بركبته تحتك بساقها . وصفا الجو وبانت السماء زرقاء واضحة الاديم وكفت الريح عن عبثها وسكنت الاشجار عن اهتزازها ومرا ببقع تملؤها الزهور البرية ومساحات واسعة تغطيها زهور البنفسج الوادعة واراض غطتها اشجار داكنة او فاقعة او ذهبية حسب طبيعة اوراقها . وغالباً ما كانا يسمعان من الاجمة خفوق اجنحة الطيور ونعيب الغربان الاجش وهي تطير تاركة مأواها في وسط شجر السنديان . وترجلا وربط رودلف الجوادين وسارت بين المسالك وفوق الحشائش لكن ملابسها الضافية الذيول اعاقتها عن المسير فرفعت ما بين ثوبها الاسود وحذائها الاسود جواربها الرقيقة البيضاء فحسبها وكأنها جزء من جسمها العاري . وتوقفت وقالت : انني في غاية التعب . . فقال :

جربي ان تسيري قليلاً . . تشجعي !

وبعد مسافة قصيرة توقفت عن السير مرة اخرى ، ولاح وجهها من خلال قناعها الشفاف الذي اسدلته فوق قبعتها الرجالية وارخته على جسمها حتى فخذيها وكأنها تعوم في امواج لازوردية وسألت . . لكن اين نحن ذاهبان ؟

فلم يجبها ، وكانت تتنفس بصعوبة وراح رودلف يدور بعينيه وهو يعض على شاربيه . ووصلا بقعة فسيحة قطعت فيها بعض الشجيرات فجلسا على جذع ساقط وبدأ رودلف يبثها حديث حبه ولوعته ولم يفزعها بمديح واطراء زائفين بل استرسل بنبرة حزينة هادئة وفورة . وانصتت اليه ايا مطرقة الرأس وهي تحرك قطع الخشب المبعثرة على الارض بطرف حذائها . لكنها اجفلت عند قوله أليس مستقبلنا الآن واحد ؟ واجابته قائلة : — انك تعرف جيداً ان هذا من المستحيل ! ووقفت لتذهب فامسك بها من رسغها واجبرها على البقاء وراحت تحملق في وجهه ووجهها يطفح عاطفة وانكساراً وقالت مسرعة مضطربة : لا تتكلم عن هذا الموضوع مرة اخرى ! اين الحصانان دعنا نعود . فاومأ ايماءة فيها الغضب والانزعاج واعادت قولها اين الحصانان ؟ وارتسمت على شفتيه بسمة غريبة وبنظرة ثابتة واسنان مطبقة تقدم اليها ممدود الذراعين ليضمها الى صدره فتراجعت مرتجفة وتكلمت بجهد ومشقة :— لقد اخفتني ! وآلمتني ! دعني ارحل ! قال لها : — اذا اردت ذلك . واستطرد وقد تبدلت ملامحه فعاد محترماً لطيفاً

خجولا . واعطته ذراعها وعادا . قال : ماذا حل بك ؟ لماذا ؟ انا لا افهم لقد كنت مخطئة بلا شك فانت في نفسي كالعذراء سامية لا يبلغها راغب ، عالية لا يرقى اليها طامع ، بعيدة المنال ، آمنة في عالمها الطاهر ودنياها التي تفيض بالنقاء والبراءة . . وانني ان اردتك فانما اريدك لتنيري لي حياتي التي يكتنفها الظلام وتخيم عليها الوحشة والكآبة ، يجب ان تكون لي عيناك لارى في عمقها سر الحياة . . وصوتك لاسمع همس الوجود . . وافكارك لتسديد خطاي نحو مستقبل نير بهيج ، كوني صديقتي . . كوني اختي . . كوني ملاكي! ولف ذراعيه حول خصرها فحاولت بضعف الابتعاد عنه . . واسندها الى صدره وهما يسيران وسمعا الجوادين يأكلان الاوراق . قال متوسلاً : لحظة واحدة لا تدعينا نذهب ! ابقي ! وسحبها بعيداً الى مستنقع نمت على اطرافه النباتات فصبغت ظلالها الماء بلون اخضر زاه . وكانت الزنابق ساكنة بين اعواد القصب وافزع وقع خطاهما الضفادع فقفزت تخفي نفسها في الماء .

لقد اخطأت . . لقد اخطأت ! انا مجنونة لاصغائي اليك .

لماذا ؟ ايا . . ايا ! . اوه اودلف ! قالت ذلك بصوت خافت رقيق وهي تميل على كتفيه . والتصق ثوبها بمعطفه المخملي . ودفعت جيدها المرمري الى الخلف وند عن صدرها تنهد عميق واجهشت بالبكاء وهي ترتجف ودفنت رأسها في صدره . .

واقتربت ظلال الظلام . وبانت اضواء الشمس المحتضرة من خلال الاغصان بهية تبهر العيون . . وسقطت هنا وهناك اضواء مرتعشة على الاوراق وعلى الارض وكأنها ريش نثرته الطيور المحمومة . كان الصمت يسود المكان . . وكأن الاشجار تنفح شيئاً غريباً حلواً . واحست بقلبها يخفق بعنف بين اضلاعها والدماء تفور في جسمها كجدول من حليب . ومس سمعها صوت غامض من بعيد ومن وراء الغابة ومن بين التلال . . صرخة غريبة مكثت قليلاً ثم تلاشت وقد سمعتها في ذلك الصمت الرهيب ممزوجة كالموسيقى مع خفوق اعصابها الثائرة . وكان رودلف ، وبين شفتيه سيجار ، يصلح بسكينه احد الرسنين المقطوعين . وعادا الى بونفيل من نفس الطريق . . ورأيا على الطين آثار حوافر جواديهما جنباً الى جنب ومرا بنفس الاجمات ونفس الاحجار المبعثرة فوق الاعشاب . ولم يبد شيء مما حولهما قد تغير اما ايا فان التبدل الذي احست به كان اعمق اثراً مما لو تحركت الجبال وغيرت مواقعها . وكان رودلف ينحني من وقت لآخر ويقبل يديها بشغف .

كانت ساحرة وهي تمتطي صهوة الجواد ، معتدلة القامة بخصرها النحيل وقد احنت ركبتها على شعر رقبة الجواد ، واشرق وجهها من ضربات الهواء النقي وانعكاس احمرار الاصيل .

وعند دخولها بونفيل جعلت جوادها يثب مسرعاً فتطلع اليها الناس من خلال نوافذهم .

وعند العشاء بدت لعيني زوجها على خير حال . وقد تظاهرت بعدم سماعه عندما سألها عن نزهتها ، وبقيت جالسة هناك يعلو وجهها السهوم وهي تضع مرفقها على جانب صحنها بين شمعتين ترسلان اضواء مبهمة . قال : — ايا ! ماذا ؟

— حسناً لقد امضيت الظهيرة في بيت الكساندر ووجدت عنده حصاناً صغيراً جميلاً لكنه مصاب بكسر طفيف في الركبة انني واثق في اننا نستطيع شراءه بمائة كراون . . ولما حسبت ان في شرائه ما يبعث المسرة الى قلبك تحدثت في الامر واشتريته فهل كنت على صواب؟ خبريني؟ فأومأت برأسها موافقة وبعد ربع ساعة سألت هل نحن خارجان الليلة؟ نعم . لماذا؟ لا شيء . . لا شيء يا عزيزي!

وحالما تخلصت من جارلس ذهبت الى غرفتها واغلقتها عليها . وشعرت اولاً بذهول . تخيلت الاشجار والطرق والحفر ورودلف واحست بضغط ذراعيه . . وسمعت حفيف الاوراق وصفير القصب وعندما وقفت امام المرآة ونظرت الى نفسها تعجبت من وجهها ، لم تكن عيناها بهذه السعة وبهذا السواد وبهذا العمق . . هنالك شيء خفي قد غيرها . . وراحت تردد قائلة . . لي حبيب . . لي حبيب ، سعيدة بما اعتراها وكأنها اصبحت اماً للمرة الثانية . . وهكذا واخيراً عرفت لذة الحب ، وحمى السعادة التي يئست من تذوقها ! كان يكتنفها شيء عجيب حيث كل شيء تغمره العاطفة والهيام والذهول تحيطها ابدية زرقاء . . وتألقت عاطفتها المتأججة تحت افكارها وغالباً ما يبدو الوجود بعيداً غارقاً في اعماق الظلال . . خلال ذلك الفراغ السامي .

الخاتمة

واستمرت ايا في حبها المستمر المكتوم وفي تبذيرها حتى ضيق الدائنون الخناق على زوجها ، وكان رودلف غير قادر على تسديد تلك المبالغ الطائلة من النقود . تشرب ايا زرنيخاً تأخذه من خزانة سموم هومايس وتموت وهي تعاني آلاماً جساماً بينما زوجها يصرخ بلا جدوى انقذوها ! وتحطمه النكبة وسوء الطالع فيموت هو الآخر تاركاً ابنتها الصغيرة لحياة الفاقة والعوز الشديد .

بغداد — ماهرة النقشبندي

الادباء في مباذلهم

قد يعجب الكثيرون من القراء من هذه الطرائف حول الحياة الخاصة لبعض الكتاب ، اذ انها لا تصفهم في امجادهم، بل في منازلهم، حيث يبدعون متحررين من كل تصنع وتظاهر، فنلمس خصائصهم الانسانية بارزة حية.

يحدث ان تقرأ كتاباً فينقلك الى اجواء سحرية ، تعبق بالجمال والمحبة والحياة . او تشهد تمثيلية وتخرج وانت تحس في نفسك نشوة جذلى ، وحماساً روحياً نبيلاً ، ولكن هل تساءلت كيف كتب ذلك الكتاب او كيف الفت هذه المسرحية .

انك ترغب ، بدافع الفضول ، مفاجأة الكاتب المبدع اثناء كتابته ، لتتواضح لك شيئاً فشيئاً ، سطوره التي تهزك وتوقظ في نفسك اللذة والامل .

ولكل كاتب في الحقيقة طريقة في التأليف ، وعادات خاصة « سيئة وحسنة » . فأحدهم يشترط، لكتابته شروطاً قد لايتمكن غيره ، معها ، ان يخط سطرين متواليين ، وبعضهم لا يتمكن من الكتابة الا صباحاً ، والبعض الآخر ينتظر هدوء الليل وصمته الطويل . ورب كاتب اعتاد نوعاً معيناً من الورق ، ذا حجم خاص، لا يتبدل ، وحبراً يجد الراحة كل الراحة في استعماله، فهو لا يتحول عنه ولا يمكنه الكتابة بغيره . ضع في متناول الكاتب او الاديب هذه الاشياء ، وهيىء له جوه الاليف المعتاد، ينصرف الى العمل الادبي الفني ويأت بالمعجزات البينات : واحرمه من قلمه الخاص ، وحبره المعين ، واوراقه المعهودة ، تجده متردداً قلقاً تؤلمه الحيرة ويبلبله العجز . قد تقول ايها القارىء العزيز ان هذه «سخافات وتفاصيل تافهة » . ولكنها العادة . العادة العجيبة في طبيعتها وحالاتها ودقائقها . ولم يترك لنا التاريخ شيئاً كثيراً يؤثر حول حياة الادباء المدرسيين الخاصة في القرن السابع عشر ، راسين وكورناي وموليير وغيرهم ، اذ كان ادباء ذلك العصر يفتنون ويتفاخرون في اخفاء كل ما يمت بصلة الى حياتهم الخاصة، وطريقة كتابتهم بعكس ادباء القرن الثامن عشر ، اذ انهم تركوا لنا ذخراً وافراً وصيداً سميناً .

كان فولتير عبقرياً شامل النظرة ، متعدد نواحي النبوغ ، خصب الانتاج ، فهو كما يعلم القراء ، جاحظ الفرنسيين، فكانت تتناثر على طاولة عمله عدة مجموعات من المخطوطات ، في كل مجموعة منها كتاب تحت التأليف . ففولتير يؤلف عدة كتب دفعة واحدة، وفي مواضيع مختلفة ، تتراوح بين التراجم والمآسي الشعرية والقصص الطويلة والتاريخ . وهو يعمل في كل كتاب ساعة ، ثم يتناول غيره ليعمل فيه ساعة أخرى. وهو رجل دنيا ، يحب الاثاث الفخم والزينة الانيقة والرياش الفاخر . اما جان جاك روسو فبوهيمي لا يستطيع الكتابة الا متأملاً في الطبيعة الساحرة الساجية ، ذات المناظر الموحية والآفاق المشعة بالالوان . والاطار الريفي خير دافع له الى التأمل والابداع ، ولذلك كان يقول دائماً : « ان غابة مونتمرنسي هي غرفة عملي » ولما سكن في « باريس » غرفة وحيدة في الطابق الخامس ، مقفلة من جميع جهاتها ، بعيده عن جو الطبيعة الساحر، لم تعوزه الحيلة فجاء الى غرفته باوحة تمثل غابة مونتمرنسي وقفصاً كبيراً تزقزق فيه عصافير لا تحصى .

وقد نجد كتاباً يشبهون ، الى حد بعيد ، التلامذة الصغار ، فلا يعملون الا اذا سجنوا في غرفهم وخضعوا لرقابة شديدة، ومن هؤلاء الشاعر البارناسي ليكونت دى ليل ، اذ ان زوجته كانت تضطر دائماً الى اقفال الباب عليه من الخارج لينصرف الى اعماله



فولتير

الادبية الرائجة . وحدث يوماً ان اقبل اثنان من اصدقاء هذا الشاعر ، لزيارته ، وكان الباب موصداً عليه ، كالعادة . دق احد الصديقين الجرس مرة ، مرتين ، ثلاث مرات ولكن عبثاً . ثم صاح الشاعر من محبسه :

— ان زوجتي ليست هنا . وقد حبستني لاعمل . فانتظرا ، انها لن تلبث ان تحضر . وعادت مدام دى ليل بعد قليل من السوق ، تحمل سلة ضخمة ، وحيّت الزائرين بوجه عابس مكفهر ، ودعتهم بفتور الى غرفة الشاعر .

ودارت الاحاديث بين الفرسان الثلاثة ، في الادب والشعر ، وراح كل منهم يتلو بعض ما نظمه او حفظه من الاشعار ، وافضى الامر بدى ليل الى ان يترنم بمقطوعات من مسرحيات راسين وفجأة دخلت زوجته صارخة :

ماذا تعمل يا ليكونت ؟ ! نريد ان نأكل خبزاً يا صاحبي !

وعندما خرج الصديقان ، اسرعت الى القلم ، ووضعته في يد زوجها الشاعر قائلة : هيا هيا الى العمل واستعد ذلك الوقت المضاع .

— ولكنني عملت اثناء غيابك .

— لا بأس . اعمل ايضاً ، فأنت تعلم ان كل بيت من اشعارك يساوي خمسة فرنكات . . وحرام ان تضيع وقتك في الحديث والعبث

واذا كانت التفاصيل حول حياة الادباء في القرن الثامن عشر ، قليلة ، فاننا نجد ، على العكس ، ان القرن التاسع عشر مليء بالذكريات الفنية والادبية والتاريخية التي ترسم صوراً واضحة لطريقة العمل عند اكثر كتّاب هذا العصر المليء . .

والحقيقة ان هؤلاء الادباء كانوا يحسبون حساباً كبيراً لفن الدعاية فلم يتركوا شيئاً من التفاصيل ، حول حياتهم الخاصة الا واثبتوه .

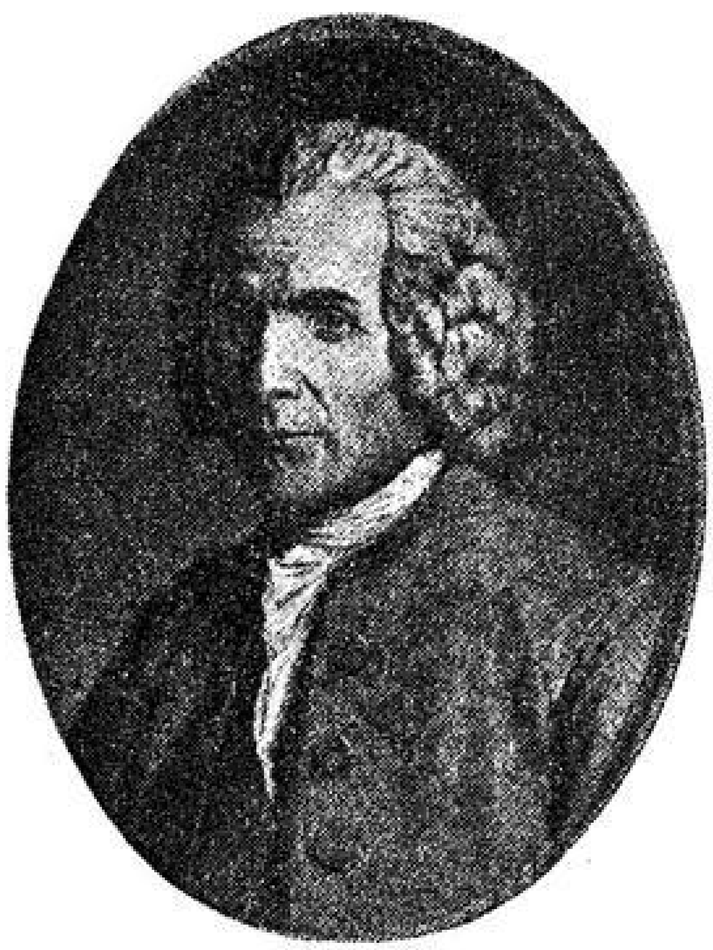
والصورة الاولى التي تقفز الى اذهاننا ، حين نستعرض القرن التاسع عشر ، هي صورة بلزاك الجبار . فقد لبث سنين يؤلف مهزلته الانسانية ، وهي ، كما تلوح لنا ، خزانة ضخمة ، تؤرخ لوجود الانسان تأريخاً شاملاً عميقاً ، غير ان بلزاك بذل في هذه السنين جهوداً جبارة تكاد تبدو خيالية . . فهو لم يوفر صحة ولا راعى ظروفاً ، بل بذل كل ما وهبته الطبيعة من خيال وموهبة وحيوية ، في سبيل الفكرة التي نذر نفسه لها : تصوير الانسانية كلها : الانسانية في صميم الصراع واوج الحركة .

ولذلك نراه يأوي الى سريره في السادسة مساء لينهض في منتصف الليل ويتدثر بثوب مماثل لمسوح الرهبان ، ويجلس الى طاولة العمل ، ويتناول مقداراً كبيراً من القهوة ثم يعمد الى الكتابة الى الظهر . وفي اثناء كتابته ، يرمي الصفحة بعد الصفحة وراءه ، دون ان يعيد قراءتها او يرقمها . وعند الظهر يدخل الخادم ، ويجمع الاوراق ، ويذهب بها الى المطبعة ، وما اكثر الصعوبات التي نجمت عن طريقة بلزاك هذه في الكتابة ، وأمسكت بخناق صاحب المطبعة المسكين . اذ ان الصفحات المرسلة الى المطبعة ، لم تكن في الحقيقة سوى هيكلاً للقصة التي ينوي بلزاك تأليفها . فاذا انتهي العامل من طبعها ، اعادها الى بلزاك ، ليضيف اليها هوامش وتفاصيل جديدة تكمل القصة وتوضح بعض غوامضها وصورها ، وهكذا اكتسب بلزاك شهرة شبح مرعب في عالم الطباعة والنشر .

وقد اتاح هذا الجهد الضخم لبلزاك ان يترك صرحاً يكاد يكون فريداً في تاريخ الادب الفرنسي ، صرحاً متسعاً اتساع الحياة نفسها ، فما اهمل شيخصاً من الاشخاص ولا طبعاً ولا حالة . . انه صور المجتمع وروى قصة الانسان .

ان حرفة الادب ، اذا لزمت اديباً على هذا الشكل ، هي بدون شك من اصعب المهن ، فقد رأينا انها قادت بلزاك الى الموت المبكر ، فاخترمته المنون وهو في الخمسين من عمره ، ولكن الحياة هذه تهون ، في نظرنا ، اذا قارناها بحرفة الادب كما فهمها وعاشها فلوبير . ان ما يميز صعوبة العمل الادبي ، عند فلوبير ، ليس عدد المؤلفات الضخمة

جان جاك روسو





جورج صند في ملابس الرجال

الكتابة ، غارقاً في تأملاته ، منكباً على سطوره ، غير آبه بجمال الطبيعة وبسماتها المتدفقة اشعة وأنساماً من النوافذ المفتحة على النهر. فاذا حدث ، ورضي عن جملة ، واثبتها على الورق ، اعاد قراءتها ثم حمل الصفحة ، وراح يتمشى في الغرفة ، جيئة وذهاباً ، قارئاً ما كتب بصوت مرتفع رنان، فكأنه يزن موسيقى الالفاظ، في تساوقها ويختبر جرس كتابته الملىء الدفاق . فاذا احس اثناء القراءة، في اذنه نشازاً او لحناً مشوشاً اسرع الى الطاولة ، وتناول القلم، وشطب ما وجده سيئاً، مرضياً ضميره الفني . . وكان فلوبير يدعو حرفته الادبية « حشرجة »لما كان يعانيه خلالها من آلام وحسرات .

وعلى عكس فلوبير وبلزاك ، نجد ان « جورج صند » كانت تتمتع ببراعة سيالة هانئة لا تتوقف ولا تكل . « فجورج صند» تعيش على الدوام في دنيا فسيحة من احلامها وتأملاتها ولا تجد صعوبة في التحدث الى أبطالها وابراز اشخاصها في اية لحظة شاءت، فكانت تجلس في المساء مثلاً الى طاولة عملها وتتناول كدسة من الاوراق ذات القياس المعين ، وتعمد الى الكتابة، وتستطرد، من صفحة الى صفحة ، دون ان تعود الى صفحاتها الماضية حيث النقطة التي توقفت عندها في الجلسة السابقة ، وتلبث في الكتابة حتى الساعة الرابعة صباحاً فاذا انتهت وسط هذه الساعات الثاني ، من قصة ، فانها تبدأ بقصة اخرى دون توقف او تفكير ، فكانها تكتب ما يملى عليها .

وقد تمتع تيوفيل غوتييه بمثل هذه السهولة في التأليف، فكان

التي تركها ، فانتاجه من هذه الناحية محدود غير انه كان يتحرق دائماً على بلوغ مثل اعلى في الصياغة الفنية، يحس بان كتاباته، على قربها من الكمال الفني ، لم تبلغه بعد.

كان فلوبير يقضي الشطر الاكبر من العام في مزرعته قرب «روان» وينفق ساعاته وحيداً في غرفة عمله فتراه جالساً الى طاولة

يجلس ، في غرفة تابعة لتحرير جريدة La Presse« الصحافة » لينقد مسرحيات الاسبوع ، فيكتب ، بسرعة ، واتزان ، ودون ان يشطب كلمة واحدة، كل هذا رغم احاديث عمال المطبعة وضجيجهم .

ان كل ما قدمناه من ملاحظات حول طرق الكتاب المختلفة في التأليف تلقي اضواء كشافة على اساليبهم، ولهذا خصصنا هذه الصفحات، لتعمق في معرفة هؤلاء الكتاب. فرغبة بلزاك مثلاً ، في تصحيح صفحاته ، واضافة ملاحظات جديدة واشارات، وجمل غريبة عن المجرى العام للقصة، وتفسيرات فكرية وعلمية وفنية، كل هذه اشياء، كما يعتقد النقاد ، تجعل قراءة بلزاك صعبة احياناً .

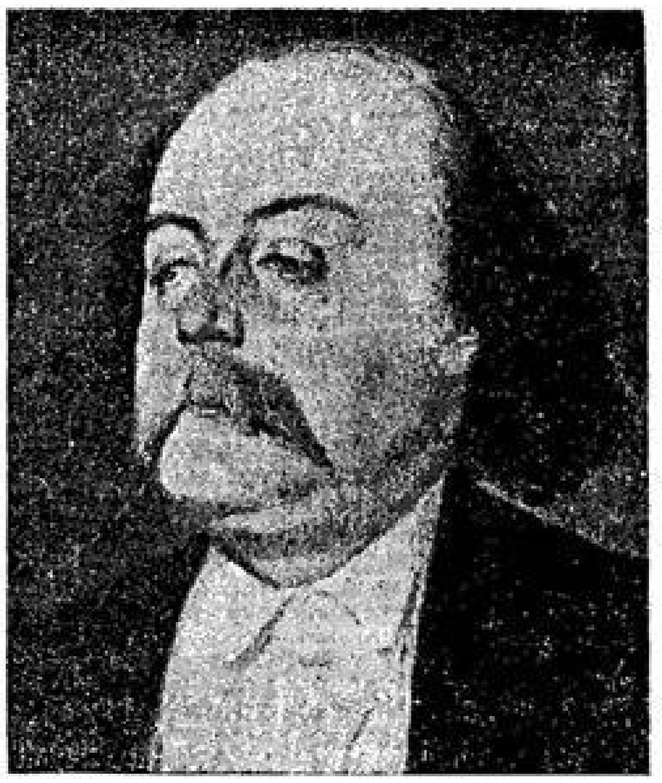
اما فلوبير ، فنستطيع ان نرد صدق التعبير عنده الى الدقة التي كان يتعمدها في التأليف والتصوير ، وسهولة التأليف عند « جورج صند »تحمل الى اذهاننا صورة ذلك النهر العريض المتدفق الهادىء ، في انسيابه البطيء الناعم .

يتساءل البعض : هل هناك من وسائل تعين على الكتابة وتساعد في الابداع وتهيج الافكار العصية، والتأملات الشاردة؟! ويجيب بعض الادباء بأن الليل هو الجو الصامت الحبيب الى النفس الموحي بأبدع الاخيلة وأدق الخلجات. ولذلك كان «الفرددى موسيه» يصطنع من النهار ليلاً فيسدل الستائر ويوقد الشموع ويجلس ليناجي ربة شعره وعروس الهامه . . ويرى بعض الكتاب ان للموسيقى يداً في التخييل والوحي ، اذ توقظ في مطاوي الوجدان ومسارب النفس ، عالماً سحرياً من الافكار والعواطف ، ولهذا السبب كان الكسندر دوماس الابن لا يكتب الا تحت تأثير الموسيقى .

ولم تكن هذه الاسباب الروحية وحدها وسيلة الادباء والشعراء بل كان هؤلاء يتخذون معها، وسائل مادية، فيكتفي الكسندر دوماس الاب بقدح كبير من عصير الليمون وبلزاك بأقداح عديدة من القهوة وغيرهما بلفائف من التبغ كثيرة . . وتدمن «جورج صند»

تيوفيل جوتييه





فلوبير

التدخين » فهي كما يقول تيوفيل غوتييه تستسلم الى حالة من الشرود. والغيبوبة والعجز الفكري، اذا حرمت من لفائفها المفضلة .

والملحوظ ، من ناحية ثانية ان ادمان المهيجات والمسكرات ، عند الكتاب ، غزيري المادة، يقضي في نهاية الامر على هذه الغزارة فينقطع انتاج الادب فجأة ويخونه العصب والقوة التي تحرك هذا العصب . وهذا ما حدث لهؤلاء البوهيميين ، الكثيرين في الادب الفرنسي، في المائة سنة من تاريخه، فكان « جيرار دى نرفال » ، مثلاً يلتقط ورقة من هنا وورقة من هناك، ويمسك بقلم صغير، ويخط سطوراً دقيقة تشبه الذر في دبيبها وتعرجاتها . ثم يحشو جيوبه بوريقاته ، وينهض من المقهى الى الشارع، وهناك يمد يده الى جيبه ويخرج احدى صفحاته العجيبة تلك، ويعمد الى تنقيحها والترنم بموسيقاها، تحت سيل من شتائم سائقي العربات وضحكات المتشردين العابثين، ثم يترك جيرار-« جيرار الطيب» كما يسميه ادباء عصره، الشارع ، ويدخل الى ادارة تحرير احدى الجرائد، دون تعيين ، وينادي العمال، ويدفع اليهم ما في جيوبه من معميات والغاز، وكان يذهب احياناً الى احد المقاهي، ويتنحي زاوية من الزوايا، ويخرج ما في جيوبه ، ويبدره على الطاولة الواسعة ، واضعاً رأسه الضخم في كومة الورق ، تلك ، البيضاء .

ولفرلين طريقة اغرب من هذه وادعى الى الاسى. فهو ما كان ينقطع لحظة ، آناء الليل وأطراف النهار ، عن التجول في شوارع باريس ، متشرداً من حانة الى اخرى حاملاً اريج الشعر والوجدان الى حانة ، والشجار واللعنات الى حانة غيرها، ونحن نذكر وصف الاديب « موريس سيرونك » لفرلين، اذ يصوره في احدى الحانات، وقربه صفحة بيضاء عن يمينها الدواة وعن يسارها الكأس، والشاعر يكتب بيتاً ويرشف قطرة، كأنه يدنو من الخلود خطوة ومن العدم خطوة. وكثيراً ما كان يدفع ريشته في الكأس دهشاً من لون هذا الحبر الجديد ، على الورق ، بل كثيراً ما نهض ، وسار في الحانة، صاخباً مترغماً بأشعاره، ضارباً حوله يمنة ويسرة فاذا صحا، راح يلعن والديه ، ويشتم عائلته ، ويبكي ، مقسما انه لن يتذوق الخمر بعد ذلك الوقت ثم يجلس من جديد وينادي الخادم ليأتيه بالشراب الحبيب المنقذ. ولم يوافق هوفمان الشاعر فرلين في الندم على الافراط في الشراب، بل كان يفتخر علناً بهذه النعمة الالهية كما كان يسميها، ثم باركت المعرفة جهوده، واوحت اليه مذهباً خمرياً وشريعة للادباء والفنانين « أنصح لمن يريد تأليف موسيقى كنائسية بخمور الرين المعتقة ولتأليف الاوبرا الرزينة ذات السمت الوقور والتعبير الموزون اوصى بخمرة بورجونيا وللتآليف الابداعية الرومنطيقية ادلك على خمور ايطاليا »والظاهر ان مذهب هوفمان لم يفده كثيراً فأدمن (وهو المتشرّع العظيم) نوعاً من الكوكتيل العجيب اودى به الى الكساح والموت السريع .

اعتاد غوته ان يكتب ، كل يوم ثلاث صفحات لا غير ، وديكنس ان يستيقظ باكراً ويكتب الى الظهر. ويعد فيكتور هيجو من اغزر الكتاب الفرنسيين انتاجاً ومن عاداته في الكتابة انه كان يكتب واقفاً، مستنداً الى طاولة عالية ، او خزانة مقتصراً في النهار على ثمانين بيتاً من الشعر ، لا يتعداها .

واسباب ما تقدم، من اضطراب الاساليب وتعدد السبل والعادات الحسنة والسيئة التي عرضنا لها ترجع في اغلبها الى العادة، هذه القوة التي تسيطر على الانسان وتجعله عبداً خاضعاً لها، الا من عصم ربك .

ونرجو ان نشير في النهاية الى حقيقة مقررة ، لا نذكرها الا لتنبيه قرائنا صغار السن، الحالمين بالكتابة والابداع يوماً ما . .

ان العادة القبيحة لا تخلق العبقرية. والشذوذ ليس حتما دليل النفوق والنبوغ ، والشعر الاشعث لا يدل على انك شاعر رمزي نابغ، والاكثار من احتساء القهوة المرة لا يجزم بانك « بلزاك » عصرك بل يلزم لك، ياصاحبي الصغير شيئان لتصبح خالداً : الموهبة والعمل . « فالعبقرية ، كما يقول احد الكتاب، صبر طويل ».

فيرلين ورامبو



موسم المطر

الى صبرا

☆☆☆

لا تظني الذي أتى لا تظني الذي عبر
من هنا ، غير واحد واحد من بني البشر
من هنا — هاهنا — اتى من هنا — هاهنا — انحدر
تاركاً فوق جبهتي ما تبينتِ من « أثر »
ويكِ . . . ما قدرة السؤال على فض اي سر ؟!
اطلقي . . اطلقي الخطى خلفه تعرف الخبر
ثم عودي لكوخنا — وعلى وجهك « الاثر » —
ان تبينت انه واحد من بني البشر
وتبينت ان لي جبهة تشتهي السفر

***

ها هنا كنت واقفاً انقش اسمي على حجر
وبيمناي . . ما بيمناي من اصبع حذر ،
ماهر في « الهجاء »، في النقش ، في خط ما خطر ،
اتحدى به الصخور بما شئت من صور .
وعلى بعد خطوة من هنا . . حيث يستقر
كوخنا ، كنت تجلسين الى « الخيط والابر »
تتلهين بالنسيج على مقعد خدر
وتمدين بالغناء على طفلنا الذكر .
ثم احسست بالذي ساقه نحونا القدر
لست ادري متى اتى لست ادري متى ظهر
كان في الافق نقطة غيمت في مدى النظر
ثم ضاءت واقبلت واحداً من بني البشر
ثم ضاءت واصبحت فكرة خلف منحدر

***

ها هنا كنت واقفاً انقش اسمي على حجر
وبيمناي اصبع يصنع الجد والهذر
عندما جاء واحد واحد من بني البشر
يرتدي غربة الطريق ويستثقل السير
لفتة نحو كوخنا ثم — في لحظة — عبر ،
ساطراً فوق جبهتي — وهو يمضي على الاثر — ،
جملة لم يزل لها ما تبينت من « اثر » .
قال . . ما قال ؟ . . قال لي « نحن في موسم المطر »

***

نحن في موسم المطر . — آه . . ما موسم المطر ؟
ويك . . ما قدرة السؤال على فض اي سر ؟!
اطلقي . . اطلقي الخطى خلفه تعرف الخبر
واتركيني . . اجل هنا انقش اسمي على حجر
واغني لجبهتي ان بكى فوقها « الاثر » ،
واغني اذا بكى او دعا طفلنا الذكر
واذا جاء — مرة طارقاً بابي — الضجر ،
سيراني — كما اردتِ — على المقعد الخدر
اصنع « الخبز والنبيذ » من الخيط والابر
واذا جاء آخر آخر من بني البشر
سوف ابكي مجيئه سوف ابكي . . وانتظر . .
ارتبطنا . . فلم يعد لي عن دمعتي مفر .

***

واذا عدتِ — آه لو عدتِ — من غربة السفر
سوف استقبل الجبين واستقبل « الاثر »
بالعيون التي بكت والفؤاد الذي انتظر
واغني انتصارنا غنوة تشعل الحجر
ثم . . لا ثم . . لا مدى المدى بيننا انحسر
كوخنا لم يعد هنا لا . . ولا طفلنا الذكر
سوف نستقبل القدر بالطريق الذي انحدر
والجبين الذي انكسر آه . . في موسم المطر .

القاهرة — محمود امين العالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رائحة الحياة

بقلم
محمد روزنامجي

☆

ذات

مساء.. شتاء عجوز ، ودنيا يلفها البرد ، والزقاق الضيق يبدو مظلماً مقفراً ، مصباح الشارع ينفث ضوءه الهزيل . اصوات صاخبة تنبعث من المقهى المتزوي في رأس الزقاق . خطوات واهنة تدب على مهل .

– آه ! نهاية المطاف ! عدت الى الجحر ! ودفع الباب الضخم العتيق.. كر.. كر.. كر.. كر..

وهبت نسمة فأحس لها لذعاً وارتجف ، ودلف الى الداخل .

– يا الله ما اشد البرد ! ، ورائحة نتنة تغشى أنفه – رائحة الفقر ! رائحة حياتنا ! رائحة ؟ ولم لا يكون للفقر رائحة ؟ اليس للغنى رائحة ؟ واغلق الباب العتيق فعاد يبعث صوته الكئيب .. كر .. كر.. كر .. – اوه ! ، وزفر بحدة ، – نغمة الابد ! خمسة عشر عاماً .. الزقاق .. والجحر الخرب .. والباب العتيق هو هو .. يفتح ويغلق والاشباح الهزيلة يمجها فتعود !

وسمع آهة خافتة ، وحشرجة واهنة ، وهو يرتقي الدرج المتهدم

– شيخ محمود ما يزال يصارع المرض .. يا للشيخ المسكين ! ظل يحمل اعباء الستين عاماً .. ستون عاماً ، والداء الخبيث ينخر صدره ، جيفة حية ! آه جيفة ! نفاية من لحم ودم .. نفاية ؟ اجل نحن نفايات رمى بها القدر في قمامة ، اوه ! مزبلة ، رائحة نتنة ، لون اسود ، ذباب يطن ويتراكم بالحاح ، عمر يبعث على الغثيان ! وتأوه جازعاً ، شيء مخيف ان تغارس البؤس وتتجرع الشقاء ، والسنون تتراكم بشكل فظيع ! السنون السوداء ، الذباب يطن ! وسرت رعدة في جسده ، فارتجف هلعاً ، وهو يتخيل انه سيصبح يوماً ، يوماً ليس ببعيد ، في مثل حال الشيخ محمود . – غفرانك ربي ! ما عدت اطيق التحمل . واحنى رأسه ودخل غرفته ، واكتنفه الظلام ، ومديده يخرج علبة الثقاب ، وتحسس طريقه ليشعل المصباح . وانبعث الضوء الخابي يتراقص كأنه اللهاث ، والغرفة المعتمة تبدو مسودة الجدران . وتهالك على السرير الخشبي ، فانبعث صريره يئن ، واقشعر جسده ، والظلال الغامضة تتراقص . – زنزانة ! وتذكر الزنزانة ، الجدران السود ، والباب الحديدي ، والكوة الصغيرة ينسرب منها النور .. النور ؟ الشيء الوحيد الذي كان يراه من العالم الخارجي ، فيذكره باصرار انه ما يزال حياً ! النور ؟ ما اشد ما كرهه ! النور ؟ والاحلام الراعبة . آه ! زنزانة سوداء ضمته كالشحيح ، وامتصت عصارة شبابه ثلاث سنوات ، ثم .. لفظته الى العالم !

– أوه ! ، وزفر متألماً ، والضوء يتراقص ، ما اشقى حياتي ! واحس بالتعب يسري في جسده ، – التعب ؟ آه التعب ، اوصاب الحياة ، الراحة ، الراحة ؟ آه واحة خضراء تلمح من بعيد ، فيثب قلب الضارب في التيه .

– احمد افندي ، ارتفع صوت من الغرفة المجاوره ، كيف الحال ؟

– الحال ؟ وضحك بمرارة ، الحال هي الحال ، لا شيء قد تبدل ! الثور لا يزال معصوب العينين ، آه ثور ! ثور الناعور ، هل فكر ان يتساءل يوماً عن النهاية ؟ ما عليه الا ان يدور ثم يدور ، وانا ؟ أنا ما افتأ ادور واخطو ولكن اي معنى لهذا الخطو التائه ؟ آه لو افهم ؟ وسمع الجار يردد في خفوت – الله كريم ! الله كريم ! وتذكر ما كان يقوله الملا عثمان ، يوم كان يتعلم عنده ، وطرق اذنيه صوت يرتعش واهناً – للفقراء نعيم الآخرة ، المال من اوساخ الدنيا !

نعم .. نعم ، لا يزال يتذكر نصائح الملا عثمان . اين هو الآن ؟ استراح راحة الابد ! وتبرعمت ابتسامة واهنة على شفتيه وانفلت نغم شجي الى اذنيه ، وصوت ينبعث متحشرجاً من راديو المقهى الصغيرة .. أف .. أف ، كآبة معتمة ، دنيا سوداء ، قدر ارعن انتقى له كل ما في جعبته من شقاء ، له وحده ؟ لا ! الا انه فرد من طائفة قدم لها القدر الواناً باذخة من الشقاء ! دار خرب ، حجر مظلم ، حجر جرذان ، زملاء البؤس وصحاب الشقاء ، والباب العتيق ونغمته المعهودة . آه ! خمسة عشر عاماً ، يوم مجته الزنزانة ، وبعد ان نفض يديه من الدنيا ، واحس بيد عجفاء تقبض على قلبه ، يوم ضمها القبر ! وشعر بدمعة يتيمة تنزلق على خده ، وتذكر كيف كان يعيش معها ، غافلا عن الزمن . ولكن .. دق القدر بابه خلسة ، ووقعت حليمة فريسة المرض ، وجاء يوم نفد ما كان يدخره ، واضطر لان يمد يده الى مال الناس ثم .. فصلت الزنزانة بينه وبينها ، اراد ان يشتري حياتها ، فدفع ثلاث سنوات من عمره ، ولكن ، ويطن الخبر في اذنيه ، انتاشها الموت ! وتلفظ السنوات الثلاث انفاسها ، وينطلق الى الدنيا . – آه حليمة ماضر لو جمعنا الموت ! الموت ؟ الحياة ؟ وهل انا حي يعيش ؟ أوه ! لقد مت من زمن بعيد ، ولكني لا ازال جيفة حية تسعى ، تنتظر الالواح والحفرة الحالكة . آه الالواح ! الحفرة ! نصيبنا من الارض !

وتململ في ألم ، فارتفع الصرير الناجب ، – ما افظع الانتظار !

وطرقت اذنيه انة وولولة — الشيخ محمود يحتضر وابنته تولول . وعاودته صور بعيدة ، امي ! وتذكر عندما كان في السابعة من عمره ، واستيقظ ذات يوم ، ورفع عقيرته كعادته . . امي . امي ! ولكنها لم ترد، وكانت كتلة من لحم ! وتذكر كيف جاء والده متجهم الوجه ثم . . حملوها في الواح الخشب ، وهو يصرخ متشبثاً بها . آه ! ما يزال يتذكر، الحفرة المظلمة التي فغرت فاها، وتاقفت الواح الخشب ، واهيل التراب !

— احمد . . احمد . . اصح يا ملعون ! الفجر وأذانه ، صراخ اجش راعب ، وصفعة قاسية على قفاه ، ويتنبه مذعوراً ، ايجدها على رأسه كأنها الغول ! نعم زوجة ابيه ! لا يزال يتذكر كيف هرب بعد سنتين في ليلة ظالمة ، ليضرب في الارض ، وينفر من غول الشقاء . . زوجة ابيه ! الى اين؟ مضى يضرب في الوادي الاخضر، وتمضي سنوات من العمر الحالك ، ثم تلتمع ابواب الامل بغتة ، ويلتقي بجليمة . آه ! ذاك حلم وتوارى . وظل يركض ساغباً وراء الامل ! ومد ساقيه الباردتين — كأني جرح يتنزى في اعماق الليل! ما اشقاني يا رب ! ، صوت متحشرج يئن ويخفت ، الليل ؟ طالما تعذب فيه ، الليل كافر ! النوم ؟ الارق ؟ احلام راعبة والصرير الناحب ، آلام تنتفض في جوانحه ، وتنهش في الاضلاع ، آه الليل! واحس انه ما عاد يطيق الانفراد بنفسه ، فنهض يجرجر رجليه ، ومضى يعبر السلم .

— اوه ! رائحة نتنة ، فهيمة . . فهيمة كيف حال الشيخ محمود ؟

وارتفع صوت خافت — على الله! وانتفضت تنشج في سكون.

وجذب الباب الضخم ، وانطلق يقطع الزقاق ، والسنة البرد تخزه كالاشواك ، والسماء تتلألأ نجومها ، والقمر يطل في كلل ، وارتفع صخب المقهى، ودلف اليه، وضجيج الزحمة يهدر في اذنيه، ولمع صوت الاسطة حسن .

— اهلا احمد افندي ، استرح . . كرسي يا ولد !

وانتفض الشارب المنتفش يرتجف . وتهالك على الكرسي ، واخرج كيس التبغ — نرجيلة يا ولد . ومد بصره يخترق الزحمة ، يتأمل الوجوه — آه ابداً سمات الفقر ، ورائحة الفقر، قدر وحش !

واقبل صبي المقهى يحمل النرجيلة ، ومد يده الى خرطومها ، يمتص نفساً ، فتأججت النار ، وارتفع صوت النرجيلة . . قر . قر . . قر . .

زحمة خانقة، دخان متكاثف يتلوى ، اصوات مختلطة ، والراديو يبعث موسيقاه الكئيبة — اوه ! المقهى ، الاجساد الهزيلة، والوجوه الشاحبة ، جيف الاعماق ، رائحة نتنة ، رائحة حياتنا ، حياة ؟ موت ؟ آه ! المعنى واحد !

— كيف الحال احمد افندي ؟ ارتفع صوت الاسطة حسن ، ورقص الشارب الكث ، وانتبه ورفع رأسه اليه ، واغتصب ضحكة باردة .

— الحال؟ تسأل عن الحال يا اسطة حسن ؟ وأية حال تبدلت؟ هي هي لا ازال انتظار !

واعتدل الاسطة حسن في جلسته ، ومسح شاربه الكث ، وفتح فمه فالتمعت اسنانه المسوسة .

— اترك الحزن يا احمد افندي، هي ايام وتنقضي، كل الارض للزوال ولا شيء يدوم الا وجه ربك .

وامتص نفساً طويلاً ، فالتمعت الجمرة الخابية ، وارتفعت القرقرة الرتيبة .

— الزوال ؟ النهاية ؟ وانتفض بغتة على ولولة ناشجة ، مزقت الصمت في الزقاق — فهيمة ، شيخ محمود ؟ النهاية ؟

وعصفت ريح باردة ، وامتدت سحابة حالكة فلهث القمر واختفى ، وأومضت النجوم وأفلت في وهن ، والشارع يبدو مظلماً الا من ضوء المصباح الخابي، ونهض يتحامل على نفسه، وانطلق من المقهى، ولمع البرق فجأة فارتجف، وابتدأ المطر ينهمر، فتكور على نفسه، ومد قدميه الباردتين، وطفق يعبر الزقاق الضيق، وهزيم الرعد يلعلع صاخباً ؛ ودفع الباب العتيق . . كر . . كر . . كر . . رائحة نتنة، رائحة حياتنا ، الحفرة ، الواح الخشب ، آه الراحة !

بغداد — محمد روزنامجي

قريباً :

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

من سلسلة الامالي الادبية

احمد فارس الشدياق موسوعة لغة وادب

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

اذا كان ادب النهضة الحديثة في لبنان موسوماً بالهلهلة والسهولة ، ولا سيما في الربع الثاني من القرن العشرين ، فذلك لاسباب كثيرة نعتقد ان اهمها اثنان : الاسترسال مع البداهة في عصر السرعة ، وهيبة الموروث اللغوي العظيم عن طائفة من الادباء اللبنانيين نخص منهم بالذكر اثنين الشيخ ابراهيم اليازجي واحمد فارس الشدياق .

واماليتنا هذه عن احمد فارس الشدياق .

الشدياق عشقوتي المولد حدثي* المنشأ رافقت طلوعه على الحياة حوادث خاصة ربّت في صدره التمرد واندفعت به في كفاح الاديب المتحرر من كل تقليد والمتفلت من قيود المذهبية ، فكان جوابة فكر ورحالة اسفار . فمن لبنان حيث ابلج فجره الى مصر بدعوة من المرسلين الاميركان ، وهناك حظي بتقدير محمد علي باشا الكبير فعهد اليه بتحرير « الوقائع المصرية » .

ومن مصر الى مالطة ، الى جامعة كامبريدج في انكلترا ، معلماً مصححاً ، ومنها الى باريس حيث حملت اليه ريح المصادفات باي تونس ، وكانت قصيدته في صاحب تونس آنئذ ، معارضة ، طوت الاجيال لتجري ، من غور الفكر الحديث في مسابك العربية العصماء ، فرس رهان الى جنب لامية كعب بن زهير في مدحه الرسول العربي الكريم .

وحمله تكريم الباي وتقديره على سفينة خاصة الى تونس فتولى تحرير « الرائد التونسي » وحسدت الاستانة تونس على الاديب الشاعر فارسلت الصدارة العظمى العثمانية بامر السلطان عبدالمجيد ، تطلبه من أحمد باشا ، فجاء عاصمة بني عثمان ، وقد سبقه اليها شعره في صاحب العرش ، وانشأ هناك جريدة « الجوائب » اول جريدة عربية جارت الصحافة الغربية بقسط وافر من التوفيق وأطلعت على دنيا العرب صحيفة تفننت فيها عبقرية احمد فارس ، في اساليب السياسة والعلم والادب والدعابة ، في بيان لم تعرف العربية اعلى منه في عصورها جميعاً .

واجدر ما يستحق التنويه به في هذا المقام ان « الجوائب » ، وليدة ذلك القلم اللبناني الفذ ، اعتبرها ساسة الغرب ، ردحاً من الزمن ، ترجمان الشؤون الشرقية .

وكان الشدياق في كل ما دبّج يراعه ، محيطاً بشعث اللسان العربي ، يقوم بيانه فيها على اربعة اركان صامدة للتاريخ خالدة بخلود لغة الوحي والتنزيل ، وهي : ذوق المنقح اللغوي — حكمة الاجتماع — التهكم الفلسفي — الاعتداد بالنفس .

ومن ينكر على صاحب « الجاسوس على القاموس » والساق على الساق » و« سر الليال في القلب والابدال » احاطته الواسعة بمفردات اللغة العربية وامتلاكه خواص معانيها ، وفيها مدهشات الابحاث اللغوية الموفقة التي تترك المطالع مقتنعاً بان المؤلف سامي الموهبة كامل العدة في هذا المجال ، واسطع مؤهلاته كلغوي هي ذوق الواضع يأخذ ، بين يديه ، قاموس الفيروزابادي ، ويرى ، مثلاً ، ان صاحب القاموس يورد لفظة قاء بمعنى فاء فيرفض هذا الترادف ، حكماً ذوقياً ، وما يزال ينقب حتى يعثر في قاموس ، لسان العرب ، على ما نصه : « تفيأت المرأة لزوجها تثنت عليه وتكسرت تدللاً والقت نفسها عليه ، من الفيء وهي الرجوع » ، وقد ذُكر ذلك في القاف ، قال الازهري » وهو تصحيف والصواب تفيأت بالفاء ومنه قول الشاعر .

« تفيأت ذات الدلال والخفر لعابس جافي الدلال مقشعرّ »

ولم يقتنع ذوق الشدياق الوضعي في العربية ، فاستمر منقباً ، ليجد فاء في غير معنى رجع فوجدها ، كما يريد ، بمعنى تحرك الخيلاء . في القول العربي القديم المأثور : « مثل المؤمن كحافة الزرع تفيئها الريح مرّة هنا ومرة هناك » . ثم طالع « الاساس » في باب فاء فوجد فيه ما نصه : « وفيّأت المرأة شعرها حركته خيلاء وتفيأت لزوجها تكسرت له وتميّلت غنجاً الخ » .

وليس المقصود من هذا الشاهد التدليل بالرجوع الى التحقيق اللغوي الذي نريد ان نحدّ من سعته في هذه الايام ، بل جل ما نرمي اليه هو ان نعرض المترجم عنه محققاً يجري متقدماً في هذا المضمار فيحدّ من سعة الترادف اللغوي المنافي الذوق الوضعي والنابي عن

* نسبة الى قريتي عشقوت والحدث في لبنان

القابلية الاقتباسية. فهو لا يحقق ليخرج بعذر للمتقدمين وانما تحقيقه مشذباً مهذباً ينزع الى ذلك بقسط عظيم من الغور والاحاطة والذوق. وهكذا يعتمد الشدياق على ذوق الواضع علاوة على الذكاء والجلد والتنقيب ليجعلك تعقل عقله وتسلم له بصحة ما يقول دون ان تحمل نفسك عبء البحث والدرس وفي عمله هذا شهادة صادقة بانه جمع في صدره خزانة لغة فضمن للفصحى قيمتها من الضياع في عصر خبا فيه نور العلم في هذه البلاد وتجهمت سماء المعارف وقام منفرداً بهمة مجمع علمي منظم في ميدان اللغة لنعود اليه حكيما اجتماعياً ينثر الحكم تارة وطوراً ينظمها ، فهو اذا ما نثرها فعن قلم بليغ وفي كلام مترابط التعبير جزل الالفاظ ، فانظر اليه يعد قلمه الى تصحيح لغة ابن المقفع في الحكايات التي وردت في « اللفيف في كل معنى طريف» مأخوذة عن كتاب كليلة ودمنة فهو يقول بدلا من : « راس شجرة، ذروة شجرة ، ومن ذاهبة في السماء ، باسقة ، ومن نقل العش ، جمعه ، ومن لا يمكنها ذلك، لا يتم لها ذلك »، والتصحيح الذوقي الوضعي في اللغة دأبه في كل ما يؤلف وينقل .

وكتاب اللفيف مجموعة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة فيها من قيمتي مؤلفها : الكثير من متانة اللغة والنافع من حرية الفكر .

اما شعر الشدياق فمعظمه في المدح، والمدح باب من ابواب النظم كان له مرتبة عالية في سالف العصور العربية، فلا ارى من المهم ان نتناولها للبحث في حين ان ديوانه حافل بما يمت الى ادب العصر بصلة مباشرة نتبين فيه على وضح العقل والحس ادب الشاعر ، كشعر الحكمة ، رفيق العصور كلها في الآداب العالمية . واكثر حكم الشدياق الشعرية في ذم الدنيا التي آلمته في عزيز عليه وفي نفسه ايضاً ، وكان يرسلها ابياتاً متقطعة كلما عاودته غصة الالم او عن له ان يهجو الناس والزمان فتؤلف هذه الناحية من شعره صورة لكفاح الاديب العاثر الحظ عثاراً نفسانياً ان لم يكن مرتبياً في الناس ، ولا مبالغة في القول ان هذين البيتين :

بنو الدنيا أتوا امراً قبيحاً بان كلِفوا بامهم غراما
لذلك قابلتهم بالرزايا فكانت ما حبوا لهم لزاما

من الحكمة الجامعة واقع الحياة ما يدعو الى الاعجاب، فالعقاب ملازم غرام الابن بامه ، غرام الانسان بامه الارض .

والاعجاب يرتفع الى الدهشة لقوله :

أرى غاية اللذات قبل ابتدائها فمن اجل هذا لست انعم بالدنيا
فان هي الا للذي طاش فكره فلا يرهب العقبى ولا يرقب الثنيا

فالشدياق في هذين البيتين سابر غور الدنيا ولذاذاتها عارض لنا ماهيتها عرضاً موجزاً في نصف بيت من الشعر :

« أرى غاية اللذات قبل ابتدائها »

ومن منا لا يشعر بان الفترة من الزمن التي تسبق عهد اللذة أنعم للنفس من طعم اللذة نفسها وذلك لمرارة خوف الزوال التي تستولي على الناعم اثناء الاستمتاع .

ولا اريد ان انتقل من ناحية الحكمة الاجتماعية في أدب الشدياق قبل ان اقدم من شعره ما يصل بين حكمته واعتداده بنفسه قوله :

اذا ما رمت من دنياك امراً فلا تك بالهنيء ولا المريء
فقد طبعت على أخلاق أنثى وما خلب النساء سوى الجريء

لا شك في ان هذا الشعر لا يتوفق اليه غير من طُبع على القوة ومال الى الاقدام فاستعان ادبه فملك زمام الجرأة الادبية وكان رجلا في دنيا الانوثة. لا أراني مضطراً الى الاكثار من البينات لاضع اعتداد احمد فارس الشدياق بنفسه وتهكمه الفلسفي خصومه موضع اللمس في ادبه وهو القائل :

ارى حولاً في عين دنياي انها نظل ترى لي ثانياً وانا فردُ
فمن اجل ذا ضنت بشطر معيشتي وما حاضر ندْي وما نده يبدو

لم يكسر شاعرنا الرقم القياسي الذي وضعه المتنبي للاعتداد بالنفس وتحقير الخصوم اذ قال :

«ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد »؟

الم يصل في نسبته الحول لعين دنياه برؤيتها له ثانياً، وهو فرد، الى غاية شعرية تحبب اليك هذا الفخر الواسع المدى؟؟ . . واغرب من هذا كله ان الشدياق يتعمد الفلسفة كثيراً حتى في هجائه، اوليس في هذا البيت :

« كيف يدري شيئاً وما هو شيء ان هذا في حيز المستحيل »

نموذج هجاء فلسفي يجعل البيت الواحد افعل في نفس الخصم من قصيدة ذم طويلة قاسية .

ومن اراد زيادة ايضاح عن هذه الناحية في ادب الشدياق فليطالع قصيدته البائية المنشورة في عدد الجوائب رقم ٢٥ ومطلعها :

ويلي على هذي الجوائب جاءت عليَّ من النوائب

ويخلص منها بقوله :

لو كان هذا الخلق مثلي كان كلهم أقارب

وخلاصة القول ان احمد فارس الشدياق اسدى الى العربية فضلا كبيراً ، قد يكون في وقته وفي حين الحاجة اليه ، ابقى قدراً من عصر كامل من عصور العربية ، هذه اللغة التي حلت هذا الجبل الجميل بمعدنها الثمين فصهره لها سبائك ونظمه قلائد وطلع به على العالم، وكان من امهر صاغته هذا الفارس الذي اراج سوقها ايام الكساد وصقل جوهرها بعد ان علته الكدرة وتكاثف عليه الغبار.

نسيم نصر

ارتواء

☆ ☆ ☆

ترى لمَ التقينا ؟
الم نكن في خاطر الغيب
وشوشات المجهول للغد...

وفي الهوى شيء من المحال
شيء من المبدع سرمدي...

همست بنا شفاه الجنّ
قبل النور والرؤي
اسطورة التجسيد في المولد

عرفنا من الحب
عبق البخور والشذى...
وكيف تجوع روح، وكيف تقلق
وكان ارتواؤنا كظمأ المحبّ للخالق

غنى اللهيب فحيح الجمر في لقائنا
فأطفأ الشعلة غدٌ يعي
وتعرّت ملائكة الحور تغني...
انشودة الايمان بي وبك

واشار الله لنا
سبحانه ... من مبدع خالق

...ترى لمَ التقينا ؟
ليتنا بعد لم نلتق ! ...

البير أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حب الحياة عند ابي العلاء

بقلم ربيع الصلح

بعد تأمل هادىء خرج الينا المعري بنظرة متشائمة يائسة، وبعد تفكير عميق رغب عن الحياة وبشر بالفناء العاجل وكأنه الامل البعيد الذي يريحه من عناء الوجود ، او النهاية الحبيبة التي تزيح عن كاهله المتعب رداء الحياة الثقيل . فهو ينعي علينا هذه الانفاس اللاهثة التي تتصاعد في الفضاء لانها ستضيع فيه كالهباء الناعم ، فما في هذه الدار الفانية شيء يستحق ان نسعى اليه ونلقى العناء في سبيله ، وما بعد الفناء الا اصداء حزينة تتردد في معبد الوجود وكأنها الرنين الخافت الذي يلي سكون الناقوس . . وبعد هذا هل تستحق حياة كهذه ان نحزن اسفاً لها او نضطرب جزعاً عليها ؟؟ وأي خلود نبغي واي آفاق مديدة نريد ؟؟ انها تسير نحو غاية واحدة هي الفناء الذي نضطرب منه ونتباعد عنه دون سبب ندريه وكأنه كابوس مخيف .

هنا يبرز ابو العلاء بفكرة جديدة واضحة المعالم متماسكة البنيان . . فهو يرى ان هذا الكابوس المخيف قد حبب الينا الحياة وزين لنا البقاء بكل ما فيه من متاعب وآثام . . فهذه النهاية التي ستظللنا بعد حين قد ارهبتنا بغموضها ورهبتها ففضلنا البقاء في هجير الشمس على السكون في نعيم الظلال ولكن دون ان ندري أين موضع الشقاء واين يكون النعيم ؟؟

نحب العيش بغضاً للمنايا ونحن بما هوينا الاشقياء

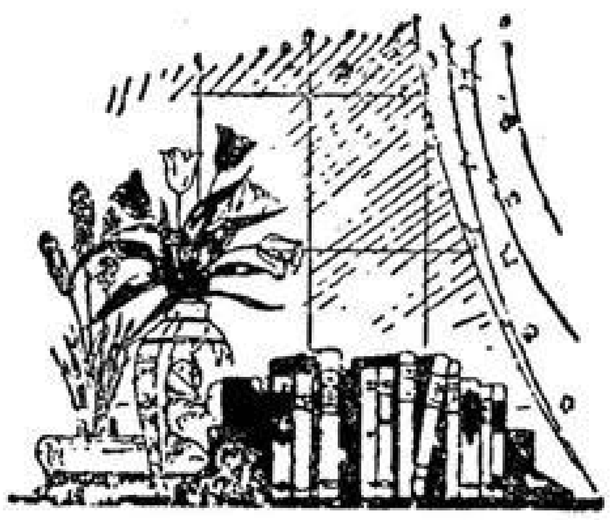
اذن لم يكن حكمنا على الحياة مصيباً ، ولن يكون ، ما دمنا نخاف النهاية ونخشى الزوال ، فهذا الحب الذي نخص به الحياة كان ايثاراً منا لشيء معروف على شيء غامض مجهول لا ندركه ولكنا نخافه ونخشاه لغموضه وقلة ايماننا بخيراته . . من اجل هذا كان الحكم الى الخطأ ادنى منه الى الصواب، فهو مشوب بالرهبة، مقرون بالمفاضلة العقيمة بين شيئين متمايزين احدهما واضح مستبين والآخر غامض مجهول . .

وهكذا هدم المعري صرحاً كان شامخاً في محراب العقل الانساني كالخرافة في نفس البدائي ليبني على بقاياه هيكلاً جديداً اساسه استبشار وتفاؤل وان عجبت وانكرت بعد ان اسمعنا من هذا الشيء الكثير .

وقد بلوت العيش اطواره فما وجدت فيه غير الشقاء

فهذا الحكيم البصير يرى غير ما نراه فقد نفذ ببصيرته الى اعماق لم نبلغها بعد لاننا لا نزال نعيش فوق الارض او بين النجوم، فالشاعر تاه بين اطياف اوهامه وامانيه باحثاً عن الالهام العلي ليجد لفكرته الشاردة سبيلاً الى الوجود . . والمصلح غاب في لجة الحياة ينظر ويدقق عله يرى من بعيد شعاعاً ضالا ينير للانسانية سبيل الخير والبركة فيوضع فوق جبينه اكليل الغار، والناس يتبعون هذا بقلوبهم وذاك باحلامهم وأمانيهم بينما كان المعري يبحث عن شيء آخر قد تناساه الجميع ، فهو في حيرة من امر هذا الحب المقيم لهذه الحياة الفانية فيتساءل : امبعث ذلك رغد العيش وهناءته ونحن جميعاً نئن من ضربات القدر بصمت وسكون ؟؟ ام نراه خوفاً ومهابة من نهاية مجهولة لا بد منها ؟؟

بعد هذا التأمل العميق ادرك سراً كان خافياً على الجميع فاستجابت له نفسه وهفا اليه قلبه كما يهفو الطائر الصغير الى عشه النائي الامين فرغب عن العيش وزهد بطول البقاء وكأنه قد ادرك سر الوجود فرغد العيش ولينه وتراقص الآمال وغرورها كل ذلك قد لا يغرينا بالحياة ما لم نهب ذاك المارد الهائل الذي قد يقبضنا بعد حين، فهو وحده حببنا بالحياة بما فيها من مذلة وصعاب وكأننا نفضل استمرار



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ Tél. Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ – ٤٨ Dcle. : 48 - 37

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت – لبنان

الالم الوئيد المتسهل على الالم العظيم الذي يجعل منا حطاماً لا روح فيه ولا آمال : . فنحن كالمريض الذي يفضل ان تستمر آلامه وهي تذويه ببطء على ان يعمل فيه مشرط الجراح بعنف فيرتاح من آلامه ومتاعبه دفعة واحدة ليتابع حياته من جديد . ولهذا فنحن لا نرغب في الحياة حباً بها او املاً بنعيمها ، وكل ما في الامر اننا نخاف النهاية ونخشى الفناء . . وليت حكمنا كان مبنياً على رأي راجح او فكر صحيح . .

تلك كانت نظرته . . وتلك كانت آراؤه ، فهو متشائم ولكن هناك ما يدعوه اليه وهو متفائل ايضاً ولكن هناك ما يدفعه ويحببه اليه ، انه يرى في الفناء شيئاً لا يرعب ولا يخيف اذ لا يحق لنا ان نتهم الغيب بالمنكر والبشاعة بل على العكس من ذلك فهو يدعونا لان نتفاءل ونستبشر بعد ان سعينا في ضمير الحياة المسعور فاذا بنا ننتهي الى ما يشبه البداية .

لهذا كان متشائماً من هذه الحياة التي خبرها وعرف من أمرها الشيء الكثير ومن اجل هذا ايضاً كان متفائلاً بالنهاية التي ستدركه بعد حين بل وحتى انه كان يستغرب كيف اوهم الناس بانه لا خير فيها وهم لا يدرون من امرها شيئاً فأقبلوا على الدنيا يروون ماءها بنهم عجيب وكأنهم يريدون ان ينهلوا من النعيم قدر ما يستطيعون قبل ان تنطفىء لهابة الروح فتهمد الحياة ويعم السكون المخيف . . فالمعري مع الناس على خلاف ، يتشاءم مما يتفاءلون . . ويتفاءل مما يتشاءمون فهو يستبشر بالفناء بينما يهابه الناس . وينعي الحياة التي خبرناها معاً بينما نحن نغمض اجفاننا عن آلامها خوفاً مما يستبشر به ويتفاءل منه . . فنحن اشبه بالزرافة الحمقاء التي تغمض اعينها ظانة بانها قد اصبحت بمنأى من عين الصياد الحريص لتجتر ما بجوفها قبل ان تخر صريعة فوق الرمال .

بعد هذا كله نستطيع ان ندرك شيئاً كان خافياً ولكنه انكشف له بعد تفكير طويل . . فليست الحياة في ذاتها هي التي تغرينا بالبقاء وليس الامل بنعيمها هو الذي يدفعنا لان نتعلق باسباب العيش بل ان هاتفاً عميقاً كان يتردى في اعماقنا منذراً بالفناء فاستجبنا اليه دون تفكير وكانت الحياة تحول فيما بيننا وبينه فتعلقنا بأسبابها كما يتعلق الملاح الخائف بقاربه الهرم جزعاً من نهم البحر .

وهكذا بدأ تشاؤم المعري فأخذ ينظر الى الدنيا من وراء غمام اسود .

دمشق ربيع الصلح

قبر شاعر

مهداة الى روح علي محمود طه

•

فوق صدر الربوة السمراء .. يرتاح ضريح
فوقه الصفصاف يبكي ... والعصافير تنوح
والفراشات عليه تتهاوى ذاهلات
ناثرات تبرها الزاهي دموعاً خافقات !
ويمام السفح يأتي نحوه عند المساء
بجناحين من الوجد وتوق الشعراء !

ها هنا الشاعر اغفى عن اباطيل الحياة
عن ثرى الاثم .. عن السهد .. وبث الزفرات ..

فاراح الروح من جسم ترابي حقير
تنتزى رغبات الارض فيه وتثور !..

بعد ان عاش غريباً بين ابناء التراب
جسمه في الارض .. لكن روحه فوق السحاب!

في فضاء ازرق الانوار وردي الظلال
كل ما فيه غناء .. وعبير .. وجمال

***

ايها الشاعر كم افنيت في الارض السنين
ترمق الخلد بلحظ غام ذهلاً وحنين

تبتني في رعشة الوحي عروشاً وقباب
لونها من شفق الافق ومن جرح السراب !

بيراع بات مسلولا وذابت رئتاه !!
يطعم الطرس ، متى الهمت ، من باقي دماه

وسراج روحه بعض فتيل دون زيت
مات فيه اللهب المخمور اذ انت انطفيت !

فؤاد الحسن

التائهة

•

هذي نهايتك الاليمة يا فؤاد وذا المصير
لمن الشكاة اذا تفجرت الدموع ومن يجير
الريح تلفح جسمي الذاوي ويصهرني الهجير
لا ظل لي آوي اليه ولا وقاء ولا نصير

عبثاً افتش في الفلا
فانا هنا
وحدي

عبثاً اريق مدامعي وأبث آهاتي سدى
قلبي يمزقه الصراخ ولا مجيب سوى الصدى
وشفاهي الظمأى تحسس في الثرى اثر الندى
قست الحياة وعذبت نفسي فرفقاً يا ردى

لا تمح من عيني السنا
فانا هنا
وحدي

لا صدر يسندني ولا كف تمر على الجبين
لا مقلة ترعى خطاي على متاهات السنين
خبت المنى وذوى الرجاء فلا تلحي يا عيون
لن تبصري في ذي الفلا احداً يغيثك اويعين

قد تهت في درب الهنا
فانا هنا
وحدي

جاء المساء فما اعد من المخاوف والعذاب
ماذا أرى ؟ رباه تلك احداق الذئاب
تدنو رويداً، من تخاف اذا دنت ممن تهاب
مني أنا تخشى ! أمن هذي البقية في الثياب

جنبك يا ذئب الفلا
فانا هنا
وحدي

أإليك ايتها الشقية يزحف العدم الرهيب
ماذا حملت من الشرور وماجنيت من الذنوب
ليصير قلبك نهبة بين المخالب والنيوب
وتمزق الاسرار في نهم ويختنق الوجيب

ويلفني صمت الفنا
وانا هنا
وحدي

بالامس ما كانت لترهبني الرياح ولا السباع
كانت تسدد خطوتي عين ويسندني ذراع
واليوم كل مقدس بيد البلى امسى مشاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غدر الدليل واسلمت يده الوديعة للضياع
ولّى وخلفني انا
اقضي هنا
وحدي

بغداد — لبيعة عباس عمارة

ذكرى

قد كان ما كان وانقضى الوطر واعرقت في التقادم الذكرُ
وانبتّ عهد الهوى وكنت به اسعد مما تظنه السير
قلبي دليلي فأين شئت مشى بي موكب يستخفه البطر
أدب في الليل خاطراً نزقاً بل افعواناً مجسّه خطر
حيث البيوت التي بجانبها قوم من الناس ما لهم نظر
وحيث يحيا بها على مرح في بؤرة الاثم زمرة فجرُ
نهارهم نائم وليلهم سهران لا ينتهي له سمر
وكلهم يعبدون آلهة يصبو اليها المعربد الاشر
ابليس خلاقها وحارسها ومن كأبليس حين يبتكر
عصائب للذائذ اجتمعت ماجنة لا يردها قدر
ليس لهم في الحياة غير هوى طاغ به للهموم مزدجر
من نغمات لها الغرام مدى مدله في اريجها عطر
او لهفات تكاد من لهب الرغبة توري لظى وتستعر
وأكؤس بالسلاف شارقة فيها من الوجد والهوى شرر

***

كم فتنة للوصال ظامئة يجسد الحب قدها النضر
بت ولي في فراشها سكن بل جنة يانع بها الثمر
جسم يكاد الحرير من شغف عليه ينقد حين ينحسر
تألفت نعمة الحياة بها وائتلقت فهي للمنى صور
لاتدري هل صدرها احب الى طاويه، ام خصرها وما يزر
كلاهما ممتع يشف على طبع لديه عن الهوى خبر

***

قد كان ما كان وانقضي وعدا علي دهر في طيه الكدر
فبت والغاشيات في نفق تأبد الليل فيه والضجر
مختنق القلب والضمير ولي من كل صوب عوائق كثر

الكويت — «ابنة الحياة»

كابوس

يا ضنكاً صدري به يرزح ! والليل ؛ عن افقي ، لا يتزح !
اغلق لي نافذتي ، بالدجى ، فكيف استجلي ، واستوضح ؟
وغرفتي تسبح في رهبة ، تثقل اضلاعي ، بما تنضح
فتنثني الاشباح مجنونة ، تصخب من حولي ، ولا تبرح
عاقدة لي اوجهاً اظلمت ، في وسطها ، اعينها تقدح .

***

ما لي ؟ فان الذعر يطغى علي روحي، ويضنيها بما ينضح .
تخدرت اعضاء جسمي ، ولم يعد بها ، من عصب ، يصلح
كأنما الاطواد مهدومة فوقي ، باعباء لها تفدح .

***

كفاك يا حلمي .. فما المدى يغص بالظلماء ، اذ المح !
وهذه الاشباح ، ما بالها تقرب ؟ والرؤيا بها تقبح !
تقرب مني ، وانا خائر ، وليس لي جهد به اكبح .
واثرها ، من جنسها ، عصبة تسعى ، واجوائي لها مسرح ،
تشابكت اذرعها ، وانبرت ترقص حولي ، وهي لا تفصح ،
وقد علت انفاسها فجأة ، كأنها ؛ من تعب ، تضبح ،
وذلك الشيطان ، في وسطها ، مسترسل ، جن به المطمح ،

***

ماذا ارى ؟ بل اي حلم انا فيه ؟ وما الذعر بي يجنح ؟
امد كفي ، ابتغي لولباً للنور ، لكني لا افلح ،
والصخب المهتاج ، لا ينثني يزداد ؛ والاشباح تستروح ؟
فلا اعي غير صراخاتها تجرح ، من سمعيَ ، ما تجرح ،
وغير اقدام ، على اضلعي ، تضرب ، والرقص بها يجمح .

دمشق — نبسر شيخ الارض

عواطف

الى الشاعرة فدوى طوقان

قل الى الزهرة التي تملأ العين وتسقي العقول اشهى مدام
ابسمي فالظلام يعقبه النور ويمحو الصباح كل ظلام
ان تطوفي على الزهور تريها باسمات اليك كالمستهام

او تحلي بين الطيور صباحا تجديها تحبوك بالانغام

***

فامرحي فالشباب ذرات حسن هي في الكون عنصر للجمال
واستفيقي من النواح قليلاً وابسمي في الوجود للآمال
انت ولهانة وكل جمال تبتليه الحياة بالاثقال
فتغني مع الطيور لدى الفجر ولوذي بوارف الاظلال
فالصباح الضحوك يبعث في النفس حياة ويلهم الوجدانا
والهزار الطروب يخلبه الفجر جمالا فيرسل الالحانا
فارسليه مع الصباح قريضاً كالاغاريد واتركي الاشجانا
وتباري مع الهزار غناء وارسلي الشعر في الربى تحنانا

***

يا فتاة اكبرتها وهي تبكي كيف لو ابصرتك عيناي نشوى
خلتني فيك مغرماً مستهاما انما الفن فيك اكبرت «فدوى»
انا اهوى الجمال في كل لحن عبرات تحدرت ام نجوى
فاغمرينا بكل فن جميل وارسليها مع النسائم شكوى

القطيف – المملكة العربية السعودية — محمد سعيد المسبي

ظـــل

•

ايها الظل، يا اسير خطايا ورفيقي في موحشات دروبي
مطلق انت، ما لخطوتك الرعناء تأبى الا اقتفاء هروبي!
ان في صدري المتهدم سراً مضه الكبت فانضوى في شحوبي
وتلظى في مقلتي بريقاً مفزعاً ، فيه صوت يأس رهيب
سوف امضي به بعيداً، أواريه مع الليل قبر صمت كئيب
ثم انسل راجعاً ، وسأنساه، كما اعتدت، في جنون اللهيب!
انا هيمان ايها الظل في دنيا شقاء عبدت فيها ذنوبي!

بغداد — عبد الرزاق عبد الواحد

كليـــتي

•

كعبة قمت عـــلى الربوة في فجر الخلود
نحوها نمشي مع الصبح بقلب طاهر غض، سعيد
فنرى طيف قباب في سنا الافق البعيد
ومنـــاراً مثـــل سهم شع رمزا للوجود
كعبة قمت على الربوة في فجر الخلود

***

كم لعبنا الامس احداثاً ، بمغناك الرحيب
ونشدنا فيك آمالا ، منى ، حـــلم القلوب
ونظرنا القبة البيضاء في ســـاع المغيب
وارتدينا الشفق الاحمر في وقت الغروب
كل هذا مر بالامس ، كحلم لا يؤوب
كم لعبنا الامس احداثاً بمغنـــاك الرحيب

***

قد قضينا فيك عهداً عـــابقاً نورا وسحرا
مسمعاً بين طوايا القلب احلاماً وذكرى
فائحاً بالورد بالانوار ، بالانغـــام عطرا
ضائعاً بين خلايا الروح، في الاعمـــاق نشرا
قد قضينا فيك عهدا عابقاً نورا وسحرا

***

انت نور ، فيك علم يغمر الروح سناه!
داوياً لحناً خفوقاً ، يملأ النفس صداه
وحنانا — يوثق النفس بمـــا مر — عراه
فكأني فيك روح ، شع من روح الاله
انت نور ، فيك علم يغمر الروح سناه!

***

أنتِ انتِ صورة تذكرني ايام أمسي!
فارى طيف خيالي قارئاً في السفر درسي
في طوايا صدره «توراة» آمـــالي ويأسي
فيسيل الدمـــع من عيني في طهر وقدس
أنت انت صورة تذكرني ايام امسي

***

انت لحن الامس والآتي وأحلى ذكرياتي!
بين اطيارك قد عشت زماناً من حياتي
انت من احييت نفسي ، فيك قد كونت ذاتي
كلما طافت بي الذكرى ارنت نغماتي
انت لحن الامس والآتي واحلى ذكرياتي!

تونس — محمد فريد غازي



مكتبة الاديب

بعد النكبة

لقدري حافظ طوقان - ٩٦ صفحة - منشورات دار العلم للملايين بيروت

« بعد النكبة » من احدث الكتب العربية ، وآخر كتاب للعالم الاستاذ قدري طوقان ، وهذا المؤلف يبحث في السياسة والاجتماع ، ويتسم الى حد بعيد بطابع علمي رتيب . وقليلون هم القادرون على الجمع بين العلوم الرياضية او الطبيعية من جهة ، وبين السياسة من جهة اخرى، لان العالم المنغمس في الارقام والمعادلات والاحصائيات ، تنشأ في نفسه مع الزمن ملكة التجربة والاستنباط في ناحية معينة ، فيعرض عن غيرها من النواحي .

الا ان ذلك النفر القليل من العلماء الذين لم يعجزوا عن الربط بين العلم والسياسة ، اثبتوا انهم اكثر الناس استجابة ، لما يفرضه الاضطلاع السياسي على المرء من وعي لحقائق الامور وفهم لعبر التاريخ . فهم اصحاب عقول وسيعة وافكار رتيبة ، لا تنتابها البلبلة ، ولا يتطرق اليها الضلال . وهم اذا حاولوا معالجة مشكلة سياسية ، عالجوها بوحي من عقولهم وافكارهم ، فتأتي معالجتهم دقيقة ، فيها براعة السبك ، وفيها بعد النظر ، وفيها الرأي السليم المبني على واقع الحياة .

والاستاذ قدري طوقان ، من المعروفين لدى قراء العربية في جميع اصقاعهم ، وله مؤلفات كثيرة معظمها في العلوم الرياضية والطبيعية . ومع ذلك فقد نفذ الى ميدان الحياة ، منذ وجد في نفسه القدرة على معالجة مشاكل الناس ، وادلى بدلوه في ساحة النضال السياسي ، مساهماً مع المساهمين في خدمة امته ، ودفع الاخطار عن الكيان العربي الذي تهدده بالانهيار وهذه مقالاته السياسية التوجيهية المبعثرة بين صفحات كتبه ، وفي الجرائد والمجلات المحلية والعربية ، والمذاعة على الاثير ، كلها تشهد بطول باعه ، وتجاوب نفسه مع نفوس مئات الالوف من ابناء العربية ، الذين يتطلعون الى يوم يرقى فيه العالم العربي الى مستوى لائق .

وكتاب « بعد النكبة » نشر في بيروت في الشهر الماضي ، وجمع بين دفتيه مادة نفيسة زاخرة بالمعاني والعبر والتوجيهات . وهو من الحجم الصغير يضم حوالي مئة صفحة جاءت فصولها متلاحقة ، تتوارد بيسر كجدول ماء منساب لا تعترض طريقه حواجز او عراقيل . وانت اذا حاولت ان تمر بنظرك مروراً عابراً فوق صفحات الكتاب استرعى انتباهك قبل كل شيء ، التتابع الجميل الذي يصل بين الفصول . فتقرأ اولا عنواناً نصه « حول عدم صلاحية العرب للحياة » ثم عنواناً آخر نصه « العرب بين الغرور والشعور بالنقص » وثالثاً « اركان البناء » ورابعاً « العلم والحياة » وخامساً « موقفنا من العلم » وسادساً « نقطة التحول » وسابعاً « نقطة الابتداء ».

ويبدو واضحاً لمطالع الكتاب ان فصوله مستوحاة من محنة فلسطين ، ومن الاخفاق الذي لحق بالعرب منذ خاضوا معركتها . وعلى ضوء هذه الحقيقة انصبت جهود المؤلف فوق ما يجب على العالم العربي اتباعه ، ليحول دون تكرر المأساة وليمضي سراعاً في ادوار البناء والتعمير مجنباً نفسه مزالق الفناء وساعياً الى الحياة الحرة الطلقة المنتجة التي تساير روح العصر الحاضر ومتطلباته .

واستطيع ان اقول ، ان ابرز الافكار في الكتاب هي تلك التي عالج فيها المؤلف وسائل بعث الثقة في نفوس العرب ، واستنهاض هممهم وانتشالهم من كبوتهم . وكذلك الفصول التي عالج فيها اهداف المدرسة الصالحة التي تنشىء اجيالا تكون لها الغلبة في المستقبل . والفصول التي بحثت اهمية الاسلوب العلمي في الزمن الحاضر وضرورة التمسك بالاسلوب العلمي والاهتداء به حينما تحاول الدول العربية الاخذ بامر من الامور او تنفيذ اجراء من الاجراءات . ولم يغفل المؤلف كذلك ناحية الصناعة المهمة التي اصبحت من مقومات الحياة ومن اول ضرورياتها . وفي رأي الاستاذ طوقان « ان العالم يعيش الآن في جواء الصناعة وعليها . فهي الطابع الذي يتميز به هذا العصر . والامة التي لا تعنى بالصناعة ولا تعمل على تنمية قابلياتها الزراعية والصناعية واستغلال امكانياتها ، لا يمكنها ان تعيش وتحافظ على كيانها وكرامتها! » .

ولن يغيب عن مطالع الكتاب ايضاً ، كيف انصرف همّ المؤلف بشكل ظاهر الى الكيان العربي ، والى السبل التي تضمن له البقاء والازدهار . وهو في هذه الناحية يذوب حرقة على

عالمنا العربي الذي نزلت عليه المصائب ، وحل به الكلال،ودهمته اعاصير الاستغلال والاستعمار ، وربض فاغراً فاه ، عاجزاً عن تغيير الوضع ، غير ساع الى استبدال سياسة الارتجال في اعماله بسياسة بينة واضحة قوامها العلم والرقم والاحصاء . وانت ايها القاريء لا يسعك وانت توالي تقليب الصفحات ، الا ان تبهر للرأي السليم ، تجده في هذا الفصل وذاك ، وللحجة الدامغة والتحليل الصحيح القائمين على العلم والمنطق .

يقول المؤلف في الفصل الاول « حول عدم صلاحية العرب للحياة » بعد ان برهن ان العرب لم يراعوا روح العصر ولم يسيروا على هدى العلم في روحه واسلوبه(ولكن مهلاً . . فالعرب كسائر الامم ، فيهم قابلية التقدم والارتقاء ، لا يفضلهم شعب ، ولا يتميز عليهم عنصر) . وحسبنا هذا دليلاً لنعرف ان الاستاذ قدري حر النزعة ، يشجب كل رأي سقيم ، يدعي وجود فروق عنصرية بين البشر ، مما ذهب اليه كثير من الفلاسفة والعلماء . وحسبنا هذا ايضاً لنعرف اننا قادرون على مجاراة انداداً من شعوب العالم، التي اوغلت في ميادين الحضارة ، شريطة ان يفسح لنا المجال ويمهد امامنا السبيل .

وفي موضوع « المناهج وخطوطها العريضة » المنبثق عن فصل « اركان البناء » يضع المؤلف اغراض التربية الواجب استهدافها في المدارس . ولعل تلك الاغراض هي خير ما يوضع من اهداف لاخراج اجيال مثقفة مهذبة تقدر مسؤولياتها تجاه نفسها وتجاه الوطن والمجموع .

واما في باب الصناعة والثروات الهائلة الكامنة في بطن الارض ، في البلاد العربية ، والامكانيات المختلفة فيها ، فان المؤلف يذكر ارقاماً يذهل القارىء لها . جاء في الكتاب « ان العرب يملكون امكانيات واسعة عريضة بهرت الخبراء وادهشت الفنيين . فلقد ثبت لدى الاجانب ان البلاد العربية غنية بامكانياتها المعدنية والنفطية ، وان العالم العربي يقوم على تربة تجري من تحتها انهار من النفط تحوي اكبر كمية في الكرة الارضية كلها ». ويذكر في مكان آخر « ان مجموع المدخر النفطي في الاقطار العربية يقرب من الف مليون طن، وان مجموع الانتاج اليومي في المملكة السعودية في ثلاثة الاشهر الاولى من العام الماضي بلغ ١٥٤ر ٤٦ طناً ، ومع هذا فمن المؤلم ان نشير الى ان العرب لا يستفيدون شيئاً يستحق الذكر من هذه الامكانيات ، بل ان خيراتها ونتاجها تعود الى الشركات الاجنبية ودولها الاستعمارية».

وخلاصة القول ، ان هذا الكتاب ثروة كبيرة ، املاه عقل تقدمي كبير ، وفكر بارع واضح الاهداف ، ونفس نزاعة الى الخير العام ، والى استتباب السلام في العالم وخاصة في هذا الجزء منه . وهذا الكتاب ولا شك رسالة من رسائل الاصلاح،عساها ان تترك في نفوس القراء ، هي وباقي المؤلفات الحديثة المستوحاة من عبرة فلسطين ، الاثر المطلوب ، فتجني الشعوب العربية ثماره .

رام الله — عنبل هاشم

ثورة شاعر

عبث – لصفاء الحيدري – مسرحية شعرية – ٤٨ صفحة
منشورات الوقت الضائع ـ بغداد
اوكار الليل– لصفاء الحيدري– قصيدة– ٢٨ صفحة– مطبعة التقدم ـ بغداد

قد تقلب الصحف وتتصفح الكتب التي تطالعك كل اسبوع في بغداد فلا تجد للثورة الفكرية فيها نصيباً يغريك بمطالعة هذه الصحف وتلك الكتب . لانك ستمر باشياء مألوفة وموضوعات مكرورة ولكن عنوان هذه الكلمة كما اظن اغراك بقراءتها واذا كنت من اصحاب الامزجة التي لا تتأثر لاقل شيء وباقل شيء فقد تثور علي لاني لم احدثك بما انتويت ان احدثك، وما فكرت ان تجده من ثورة شاعر ، لاقراءة سطور فارغة ، ولكنك لو صبرت واعطيتني نصيبي من الموضوع لوجدتني ملزماً على ان اثور على المألوف المبجوج من اساليب النقد وطرق التقريظ .

ان عنوان كلمتي وحده اغراك بالقراءة فكيف لو ذكرت لك « عبث » و«أوكار الليل » والتقيت بهما فعلاً ؟ ثق انك لتجد في عبث ما لن تجده في كثير من دواوين الشعر العربي المعاصر . انها لثورة ، وثورة في الشعر الجديد رسمها صاحبها الصديق الاخ الشاعر صفاء الحيدري بعبث ، فكان عابثاً في العنوان ، مجدداً فيما وراءه . . انها لثورة :

ثمر بالفجر فتسود من ... دخانها جبهة ماضيه
وتخشع النار لها كلما ... مرت بوجه الارض تشويه
كأنها السنة من لظى ... يفجها جرح مآسيه
حمراء لم يصمد لاشواظها ... الا الدجى ، الا لياليه

والك ايها القارىء ان تتملى هذه الابيات السريعة الكثيرة الصور وعليك ان تستجليها صورة صورة ومعنى معنى لتعرف الشاعر كما اعرفه .

لقد كنا لا ننتظر من شعراء بغداد التقليديين ان يطالعونا بمثل هذا الشعر فقد عرفنا سمتهم وبلوناه ، حتى الفناه على علاته

فزهدنا فيه. بل كنا ننتظر ان نقرأ الشعر الجديد في مجلات بيروت والقاهرة احياناً. . ولما التقينا بأوكار الليل، باكورة الحيدري، ظننا بالشاعر خيراً، حتى فاجأنا «بعبث» صار الظن يقيناً فهو شاعر يرجى.

ولك ايها القارى، ان تنصت معي الى هذا الشاعر الغريب الاطوار الثائر على الانماط التقليدية في هذه الابيات حين يحدثنا عن الحب.

يجوع بي حب فاجتثه ... طفلاً واردبه بادراني
وجوع قلبي مارد كلما ... قصصت من جنحيه أعياني
تعصف بي الرغبة حتى اذا ... أشبعتها أشقيت حرماني

لا شك لدي ان في هذه الابيات نصيباً كبيراً من التوفيق في الموسيقى، فرنين الشاعر لا ينقطع وكأني بالشاعر يرى في الشعر ما لا يراه الآخرون لكأني به يحس ان الدنيا لحن موسيقي «موسق» كما يقول احد ادباء الفرنسيين . .

ويبلغ التصور في شعر شاعرنا الذروة، حين يصف شعوره الغريب فهو يجسد لك الصورة مأطرة بالاطار الفني البارع، لا تنقصها خلجة من خلجات التعبير او حركة من حركات الشعور فهو حين يصف الاخيلة مثله حين يصف المرأة، وهو حين يصف الرغبة مثله حين يصف الحب ولكن اسلوبه يتغير في الاداء :

اخيلة عرى يثز اللظى ... على مآقيها بوهج عجيب

فأي لون هذه الاخيلة الغريبة؟ عودنا شعراؤنا «حفظهم الله» على الاخيلة الناعمة الفاترة المهمهة ولكن الشاعر هنا جعل في هذا البيت من الالفاظ ما لم يسبقه احد اليه من قبل لان ميزته الابتكار قبل التمرد المألوف، فانظر الى (عزى) والى (يثز) (اللظى) والى (وهج) تدرك انك امام شعر جديد : فقد احتشدت كل هذه الصور لا الكلمات في بيت واحد لتعطي صورة واحدة مهولة.

واسترسل معي لنقرأ :

وأذرع كأنها حية ... عارية للندى. شيء رهيب
وبعد. . والسيقان عريانة ... كأنها اعمدة من لهيب
تساقط الرغبة من حولها ... وترتمي في عشية لا تثيب
ترمقها الاعين في سيرها ... ويشتهيها اي شخص غريب

وانتقل معي تركيف يصف الشاعر الناس وماذا يقول عنهم :

اشباح دنيا شتتتها يد ... الله والقتها بحفل كئيب
كأنها تعجن اثداءها ... خبزاً شهياً لاله مريب

والى هذا الحد من الكتابة اجدني اود ان اختم كلمتي لانني اود ان تتطلع الى عبث، ولهذا لم احدثك عن المسرحية التي هي (عبث)، بل حدثتك عن شعر في عبث . . ولكني احس في نفسي شيئاً يلح علي في ان لا اختم كلمتي هذه قبل ان انهيها بشيء من هذا الشعر الموسيقي ما دمت حدثتك عن الشعر لا المسرحية.

يا فجر خذها من فمي لعنة ... حمراء لا تروى ولا تبرا
عجنتها بأدمعي رحمة ... فأطلع الدهر بها جمرا
واغترفي يا ارض ما لم يكن ... لله من آثامي الحمرا

وختاماً فان مسرحية عبث محاولة موفقة في التجديد الشعري وبرهان قاطع على مدى تطور الشعراء. فالى الشاعر الحيدري تهنئتي وتقديري.

بغداد — ابراهيم عويدبا

الخبأ رقم ١٣

لمحمود تيمور بك – ١٧٩ صفحة – حجم متوسط – دار الهلال بمصر

يقول المؤلف في مقدمة هذه المسرحية الممتعة الزاخرة بالحياة والحركة، والتي قدمها للقراء في نسختين احدهما بالفصحى والاخرى بالعامية : « ان الكاتب المسرحي يخطر بباله اول وهلة ان روايته للتمثيل على المسرح، وانه سيخاطب الجمهور على تباين طبقاته، محتم عليه ان يطرق الآذان بما الفت من لغة، ويجلو للعيون ما عرفت من مشاهد حتى يأخذ عمله الفني سبيله الى اعماق القلوب، لا ترده وحشة ولا تعوقه غرابة، فان تخللت روايته كلمات يتعذر فهمها على النظارة في الجملة، كانت الصلة بينهم وبين الممثلين غير مأمونة الانقطاع، ومتى انقطعت الصلة ذهب التأثير وضاعت الفائدة المرجوة من الادب المسرحي ». « وان دور التمثيل لهي في الحق مجالات للمتعة الذهنية واللهو البريء، وان كانت مع هذا تحمل رسالة تهذيبية في مغزاها، ومن حسن الكياسة الا يكدر المسرحي صفاء تلك المتعة ورقة ذلك اللهو بان يقدم للجمهور شيئاً يستغلق عليهم فهمه وتخفى معانيه، فامثل هذا صفحات الكتب الماثلة لعين القارىء يعيد من جملها ما يستعصي، ويفكر في مدلولها ما شاء، وللمسرح منحاه في التعبير الواضح الجلي، يؤثر في رواده على اختلاف المشارب والثقافات ».

« ورب سائل يقول وهل تعجز الفصحى عن التعبير الناصع في الموضوع الذي يتناوله كاتب المسرحية والجواب انها لا تعجز ابداً ولكنها لغة الكتابة لا لغة الحديث، وترجمان الثقافة الخاصة لا ثقافة الشعب، فهي بهذه الصفة لا تستطيع ان تبلغ رسالته المسرحية الى اشتات الطبقات التي تشهد دور التمثيل ».

ليل Night

لمحمد غازي – شعر باللغة الفرنسية – ٣١ صفحة
حجم متوسط – دار الشمال بتونس

الانسان .
سأتغنى بامجاد الانسان .

اخي الانسان . . وهو رفيقي . . وهو ذاتي . .
هو فارس لا يهاب ولا يعاب . .
يقف على حدود آفاق الليل .
وسط الغابة الدامية . .
التي لا تعرف قانوناً ولا رحمة .
من دمائنا .
سينبثق الفجر العظيم . .
الحب . .
والسلام . .

ذكريات مشاهير رجال المغرب

تراجم لعبدالله كنون - عدد الصفحات في كل من الاجزاء الثلاثة تباعاً ٤٧ - ٣٩ - ٣٦ - حجم متوسط - منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان

وهي دراسات قيمة في تاريخ الادب في المغرب وقد عرض المؤلف في الجزء الاول منها سيرة الشاعر المغربي عبد العزيز الفشتالي وشعره ، وفي الجزء الثاني يترجم للعالم الاديب ابي القاسم الزناتي، اما الجزء الثالث فخصصه المؤلف للوزير ابن ادريس .

والدراسات الثلاث تجمع الفائدة والتدقيق الى كونها لطيفة الاسلوب ، سهلة التناول - تعكس صوراً مجهولة بالنسبة للقراء العرب ، من تأريخ الادب العربي في المغرب . ومؤلفها الاستاذ الشيخ عبد الله كنون الحسني عالم فاضل وباحث مدقق له تآليف عديدة عن ادب المغرب .

آلام صديق

لفرحان راشد الفرحان - قصة - ٤٥ صفحة - حجم متوسط - مطبعة الكويت

. . « لقد مات ابي وتبعته امي قبل سنتين وليس لي احد من عائلتي غير ابنة عم بعيدة عني . . اني الآن محرومة من كل قلب يعطف ويحن علي ويمكن ان تتصور ظمأي الهائل لقلب حنون » . .

وكأنها لم تشأ ان تسترسل في كلامها اكثر من ذلك فترامت عليه تلتهب وجداً ، وضمته الى صدرها ، من كل قلبها « حامد . . انني احبك . . احبك » .

وكان صديقي في هذه الآونة يسمع ذلك وهو يفكر في موقفه من هذه المرأة وموقف المرأة منه فتارة تنفر نفسه وتشمئز من رائحة الخيانة الرخيصة، وطوراً يترفق في لومها حاسباً (لعله يقصد متذكراً) خيانة زوجها لها وشأن الطبيعة وناموسها في المرأة ، وهو لا يعرف عزماً ولا تقاليد وازدحمت في ذهنه الخواطر ولم يستطع ان يفوه وهي تطوقه بذراعيها العاريتين بأكثر من قوله : ولكني لم اشاهدك سابقاً .

قالت : اما انا فقد كنت اشاهدك مراراً تمر امام منزلي وتجتاز الطريق مطرقاً برأسك الى الارض في ادب واحتشام » .

سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر

ترجمة حبيب السيوفي - ١٢٧ صفحة - حجم متوسط - هدية الرسالة المخلصية بصيدا

وهو كتاب مفيد طريف يتضمن ذكريات الرحالة فولني من كتاب الفرنسيين في القرن الثامن عشر عن ولايات حلب وطرابلس وصيدا ودمشق وايالة فلسطين وقد خصص الصفحات الاخيرة منه للفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم وعادات السوريين وبعض طباعهم في ذلك العصر ، نقله الى العربية الاستاذ حبيب السيوفي ، وهو لطرافته ، ودقة نظار مؤلفه، وتجرده ، وتيسر الترجمة الصادقة عند ناقله الى العربية ، جدير بالاهتمام والمطالعة .

ظهر صديقاً

اسلاك - خواطر ومقالات لاميل الحايك - ٩١ صفحة - حجم متوسط - بيروت

وثبة الحق - مسرحية تاريخية في اربعة فصول - للاب ايوب موسى فلوح - ٧٤ صفحة - حجم متوسط - مطابع الرهبانية الشويرية بيروت

دليل دعاة الاتحاد في سبيل وحدة الكنائس المسيحية الظاهرة ١٢٥ صفحة - حجم متوسط - هدية مجلة المسرة - حريصا - لبنان

مشروع الجامعة العراقية - الجزء الاول من مجلة المعلم الجديد السنة الثالثة عشرة - ٧٨ صفحة - حجم متوسط - بغداد

ذكرى اليوبيل الفضي لمعهد سيدة مشموشة - للرهبانية اللبنانية المارونية - ٤٧ صفحة - حجم متوسط - لبنان

صوت الطالب - نشرة يصدرها طلاب ثانوية المأمون بحلب العدد الاول - ١٠٤ صفحات - حجم متوسط - مطبعة الاديب - حلب

تشذيب منهج النحو - لشاكر الجودي - ٨٨ صفحة
حجم متوسط - مطبعة المعارف - بغداد

شعراء الخمريات والغزل عند العرب - دراسة بالفرنسية - لرياض المعلوف - ٢٠ صفحة - حجم صغير - مطبوعات المجلة الحديثة باريس

علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام العالمي - بحث - لراشد طبارة ٦١ صفحة - حجم صغير - المطبعة الكاثوليكية - بيروت

المنظمات الصهيونية - بحث تاريخي - تعريب المحامي كمال عبد المجيد - ٧٣ صفحة - حجم متوسط - مطبعة اليقظة - بغداد

اسرار الانقلاب العسكري الاخير في سورية - لسليم طه التكريتي ٩٣ صفحة - حجم صغير - منشورات البصري - بغداد

التقويم العصري الشمسي الجديد - ابراهيم محمد عبيد - صاحب المكتبة الوطنية بالبحرين - ٣٢ صفحة - حجم صغير - مكتبة القاهرة بالازهر - مصر

المنارة - مجلة بطريركية الطائفة المارونية - ١٠٠ صفحة - حجم متوسط - شهرية - مطبعة جمعية المرسلين اللبنانيين - جونية - لبنان



جولة الأديب في شهر

المؤتمر الرابع لليونسكو

بقلم الدكتور خالد الهاشمي
ممثل العراق في المؤتمر

بسرلي ان انتهز فرصة تمثيلي العراق في مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في باريس في اواخر العام الماضي لتقديم كلمة موجزة لقراء الاديب عن بعض ما دار في هذا المؤتمر من ابحاث واتخذ من قرارات ولما كنت اعتقد بأن كلمة تمهيدية عن تاريخ هذه المؤسسة واهدافها وكيانها ضرورية لهذا الغرض ارجو ان اشرع بذلك اولاً .

لقد خرجت فكرة ايجاد هذه المؤسسة الى حيز الوجود سنة خمس واربعين وتسعمائة والف اي بعد انتهاء الحرب العالمية الاخيرة مباشرة اذ قد شعر بالحاجة الملحة الى دعم السلام في العالم عن طريق التربية والعلم والثقافة وذلك باعتبار ان الحروب تبدأ اولاً في عقول الناس لذلك وجب ان تصبح عقول الناس وافهامهم وعواطفهم نقطة البدء والمحور الاساسي الذي يبنى عليه مشروع فعال يهدف لتحقيق السلام في العالم عن هذا السبيل . ولما كان الجهل والتعصب والفقر والمرض والظلم الاجتماعي من العوامل الكأداء التي تقف حجر عثرة في سبيل ايجاد تفاهم وتعاون حقيقيين في العالم فقد فكر بضرورة ايجاد مؤسسة دولية تعنى بالعمل على ازالة هذه العقبات والحدود تمهيداً لاحلال روح المحبة والثقة والتفاهم بين الناس والقضاء على الحروب والتخفيف من مصائبها وويلاتها وما تجره على البشرية من خسائر مادية وادبية كبيرة . ولما كانت بريطانيا من الدول التي تأثرت بالحربين العالميتين الاخيرتين كثيراً فقد خرجت منها الدعوة الصادقة لعمل شيء حازم وجديد في هذا السبيل . فعقدت اولاً في لندن مؤتمراً ضم وزراء معارف الدول الحليفة في الحرب العالمية الاخيرة . ثم تبعته بلجنة تحضيرية مهدت لدعوة ممثلي ما يقرب من اربعين دولة من جملتها المملكة العراقية لوضع دستور لمؤسسة دولية اطلق عليها بعد ذلك بموافقة هيئة الامم المتحدة اسم « اليونسكو » وهو الاسم المؤلف من الحروف الاولى للكلمات التي تدل على « مؤسسة جامعة الامم للتربية والعلم والثقافة » والتي اصبحت بعد ذلك من الهيئات الاختصاصية المرتبطة بهيئة جامعة الامم وان كانت تنعم بكيان وحكم ذاتي مستقلين عن تلك الجامعة الدولية السياسية . ولعل من الخير والنفع للانسانية ان تبقى هذه المؤسسة تنعم بهذا الاستقلال الخاص بها وتسعى عن طريق التربية والعلم والثقافة الى تقديم ما يمكن تقديمه وتحقيقه في خدمة سلام العالم ونشر الوعي فيه وتوفير اسباب التعلم والعيش ورفع مستوى الحياة في العالم اجمع اذ انه بمعالجة العوامل المؤدية للخصومات يقضي على الحروب بصورة طبيعية .

ولعل علماء العالم وقادة الرأي والفكر فيه الذين اخذوا يعالجون بعض مشاكل العالم المستعصية ذات الارتباط بنواحي اختصاصهم في حقول الاقتصاد والاجتماع والتغذية ومكافحة الاوبئة والامراض وزيادة المنتجات الزراعية ورفع مستوى المعيشة في البلاد المتأخرة وغيرها يستطيعون اصلاح الاخطاء السياسية القديمة وخلق عالم حر جديد وبذلك يحققون حلماً ذهبياً جميلاً طالما دار في خلد الكثيرين من القادة والزعماء والمصلحين في العالم قديماً وحديثاً .

اما اغراض واهداف هذه المؤسسة فهي التعاون على زيادة التفاهم والتعاون بين الامم وذلك باستخدام جميع وسائل الاتصال الشعبية الممكنة بما في ذلك عقد الاتفاقات الدولية الضامنة للانتقال والانتشار الحر لكافة الوسائل الثقافية من افكار ومطبوعات واذاعة وسينما وغيرها والعمل ، الى تشجيع التعليم الشعبي ونشر الثقافة وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم لكافة الافراد بقطع النظر عن الجنس والنوع او اي سبب آخر سواء اكان اقتصادياً ام اجتماعياً واقتراح خير الطرق التربوية الضامنة لتهيئة اطفال العالم لتحمل المسؤوليات التي تقتضيها الحرية . والمحافظة على المعارف الانسانية وزيادتها ونشرها وكفالة بقاء وصيانة التراث الثقافي العالمي من المؤلفات والآثار الفنية والتاريخية والعلمية وتوصية الشعوب التي يعنيها الامر برعاية الاتفاقات الدولية اللازمة لهذا الغرض وتشجيع تعاون الشعوب في جميع فروع النشاط العقلي بما في ذلك تبادل الشخصيات المبرزة في ميدان التربية والعلوم والثقافة وتبادل المطبوعات والآثار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنية وغيرها من وسائل التعليم والمعرفة. واما كيان هذه المؤسسة فيتألف من الادارة والسكرتارية العامة والمجلس التنفيذي والمؤتمر العام وتتكون السكرتارية العامة من مدير عام ينتخبه المؤتمر العام لمدة ست سنوات وعدد كاف من الموظفين بلغ عددهم في الاقسام الفنية والكتابية والادارية المختلفة زهاء السبعمائة عضو. ويتكون المجلس التنفيذي من ثمانية عشر عضواً ينتخبهم المؤتمر العام من بين مندوبي الدول المشتركة في الهيئة ويتكون المؤتمر العام الذي نحن في صدده الآن من ممثلي الدول المشتركة في الهيئة بحيث لا يزيد عدد مندوبي كل دولة على خمسة ويختارون بعد اخذ رأي اللجنة القومية اذا وجدت والا فتستشار الهيئات الثقافية والعلمية والتربوية القائمة في الدولة. وقد اتمت « اليونسكو » عقد اربعة مؤتمرات دولية حتى الوقت الحاضر كان اولها في باريس وثانيها في المكسيك وثالثها في بيروت ورابعها في باريس ايضاً كما تقرر قبول دعوة ايطاليا وعقد المؤتمر الدولي الخاص في فلورنس في شهر ايار المقبل الواقع في سنة ١٩٥٠ اي بعد ثمانية اشهر من تاريخه واملنا ان يكون تمثيل العراق في المؤتمر المقبل كاملاً فيمثله ما لا يقل عن ثلاثة اعضاء ويفضل ان يكون اختصاصهم في التربية والعلوم والثقافة ليمثل كافة فروع الاختصاص التي ينقسم اليها « اليونسكو » وذلك بالنسبة لاهمية المؤتمر الآتي وسعة برنامجه.

المؤتمر العام

والمؤتمر العام لليونسكو هو بمثابة البرلمان الذي يحدد السياسة العامة ويقرر الخطط الرئيسية لاعمال الهيئة وينظر في المناهج والمشاريع المعدة من قبل المجلس التنفيذي والادارة العامة لبحر السنة ويصادق على الميزانية العامة. وكان من اهم الاعمال التي طرحت على المؤتمر في الجلسة الرابعة المنعقدة في باريس من ١٩ ايلول حتى ٥ تشرين الاول ١٩٤٩ مناقشة تقرير المدير العام الجديد الدكتور (توريز بوده) الذي انتخبه المؤتمر العام في بيروت من بضعة اشهر مضت لست سنوات وكان تقريره يمثل الخطة العامة التي ينوي المدير العام اتباعها والخطوات الاصلاحية التي يرغب انتهاجها والتأكيد عليها والمشاريع الجديدة التي يحاول تطبيقها وتنفيذها لذلك اشتركت معظم الدول في التعليق عليه وقد اثنى ممثلو الدول وخاصة دول امريكا الجنوبية اللاتينية على مقدرة المدير العام وعلى كفاءته ونجاحه في وضعه كما اطروا حس تبويب وتنظيم الميزانية العامة المقترحة من قبله ومن قبل المجلس التنفيذي لسنة ١٩٥٠ والتي كونت القسم الآخر المهم من اعمال المؤتمر ونشاطه.

ويلاحظ ان الدكتور « بوده » بطبيعة اشتغاله السابق كاستاذ ووزير سابق للمعارف في المكسيك اشتر ببعض المشاريع الاصلاحية في حقل التعليم قد وضع مركز الثقل في البروغرام الجديد المقترح لليونسكو على قسم التربية والتعليم فجاءت فصول الميزانية المخصصة للتعليم الاساسي « Fondamental Education » والاتصال الشعبي التهذيبي « Mars Communication » والقسم الجديد المقترح لاعداد المعلمين او الموظفين اللازمين للتعليم الاساسي والبعثات التربوية والمؤتمرات الاقليمية « Seminaos » كبيرة جداً بالنسبة لغيرها.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان المدير العام السابق العلامة « هكسلي » كان بطبيعة تخصصه في العلوم الطبيعية قد وضع مركز الثقل في اليونسكو على قسم العلوم الطبيعية وهو القسم الذي سيتولى الاشراف على المشروع الجديد للمساعدات الفنية والصناعية للبلاد المتأخرة كما سيأتي ذكره، مع العلم بان التوسعات المقترحة للاقسام الاخرى في الميزانية العامة لليونسكو لعام ١٩٥٠ لم تصب هذا القسم. وقد بلغت الميزانية للسنة الجديدة ثمانية ملايين وثمانمئة الف دولار اي بزيادة مليون دولار تقريباً عن ميزانية السنة الماضية ولكن نظراً للازمات الاقتصادية المنتشرة في اغلب انحاء العالم ثم نظراً لنزول سعر الباون الاسترليني بالنسبة للدولار الامريكي بما لا يقل عن ثلاثين في المائة وتأثير ذلك في ارتفاع حصص الميزانية التي ستصيب كل دولة مشتركة في اليونسكو من منطقة الاسترليني بهذه النسبة فقد اكدت بعض الدول ومنها

العرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

العراق على وجوب تركيز الجهود وحصر الانفاق في المشروعات الاساسية الضرورية دون غيرها وذلك للاقتصاد في النفقات من جهة ولضمان النجاح في العمل من الجهة الاخرى وباعتبار ان حصر الجهود في مشاريع معينة محدودة اضمن للنجاح من توزيع الجهود والاموال في مشاريع متعددة غير مضمونة النتائج. وقد حددت الميزانية بعد المناقشات والمباحثات الطويلة بثمانية ملايين دولار فقط.

ومن الحسنات العامة الميزانية الجديدة بالاضافة الى حسن تنظيمها وبيان القواعد والاسس العامة التي بنيت عليها وتقديم الايضاحات الكافية عن كل باب وفصل مقترحين للصرف تخصيص سبعين بالمائة منها للمشاريع والخدمات العامة وما لا يتجاوز ثمان وعشرين بالمائة فقط كاجور ورواتب للادارة والسكرتارية العامة.

ومع ان الممثل العراقي قد اكد في تعليقه عند البحث في تقرير المدير العام الجديد على وجوب تركيز الجهود في المشاريع العلمية الضرورية الا انه قد عضد عند البحث في الميزانية العامة بعض الفصول الاساسية التي ترتبط بتحقيق اهداف اليونسكو مباشرة كالتعليم الاساسي والبعثات التربوية واعداد الموظفين الفنيين للتعليم الاساسي وهو القسم الجديد المقترح من قبل المدير العام باعتبار ان هذا يمثل جزءاً ضرورياً متمما للتعليم الاساسي ولا يصح تأخيره والتردد في تحقيقه كما اقترحت بعض الدول ذلك لاسباب مالية بحته.

ومن الامور الاخرى المهمة التي عرضت على المؤتمر للنظر فيها واقرارها قضية تقديم المساعدات الفنية والصناعية للبلاد التي لم تبلغ بعد المستوى الكافي من التقدم والرقي في العمران فاقرها المؤتمر العام بصورة مبدئية ثم احالها على لجنة خاصة منه لدراستها وتقديم التوصيات اللازمة بشأنها وقد جاء تقريرها مشجعاً ومحبذاً لتعاون اليونسكو مع هيئتي جامعة الامم والمجلس الاقتصادي الاجتماعي الدوليين في هذا السبيل من النواحي التربوية والعلمية والثقافية الخاصة بها وستصبح لهذه المساعدات ميزانية خاصة تتألف من التبرعات الاختيارية لكل من امريكا وبريطانيا وغيرهما ويقال انها ستتألف في السنة الاولى من ستة ملايين دولار تقريباً وفي السنة الثانية من عشرة ملايين دولار.

وكانت اليونسكو قد اقترحت لمشاركتها ولمساهمتها في هذا المشروع بعض الشروط المناسبة، منها وجوب موافقة البلاد التي ستقبل هذه المعاونات الفنية اولاً ومساهمتها المادية ولو بصورة جزئية وذلك لضمان حصر النفع بها دون غيرها كما اشترطت ضرورة تخصيص مدة كافية اقصاها عشر سنوات لضمان نجاح المساعدات الفنية وملاحقتها حتى تتكلل بالنجاح وتعطي الثمرة المؤملة منها. وستقدم المساعدات الفنية الصناعية على اشكال مختلفة منها البعثات الفنية التي ستقوم بالدراسات والتجريبات التمهيدية لانواع المساعدات والحاجات المطلوبة ومنها الاستعانة بالخبراء والاختصاصيين لبعض الاقسام الفنية الصناعية كالمختبرات والمصانع الخاصة والعامة القائمة في البلاد ومنها الاستعانة بالخبراء في النواحي المتعلقة بالتربة والري والزراعة ومنها الاستعانة بالآلات والادوات والمواد الكيماوية وغيرها واعتقد بان بلادنا التي تفتقر في الدرجة الاولى الى استكمال اسباب العمران فيها تستطيع الانتفاع من هذه المساعدات في شتى النواحي الفنية والصناعية التي تحتاجها وما عليها الا ان تتقدم الى الادارة العامة لليونسكو بايضاح انواع هذه المساعدات المطلوبة لتحظى بدراستها والتفكير بافضل الطرق الفنية المساعدة على انجاحها والنهوض بها.

ومن الملاحظات الاخرى عن المؤتمر الجديرة بالذكر التآخي والتعاون اللذين ظهرت بوادرهما بين بعض الهيئات التي تجمعها روابط قومية او اقليمية او ثقافية خاصة بها فقد كانت هناك وحدة طبيعية تضم شمل البلاد العربية الممثلة لاعضاء جامعة الدول العربية — مصر والعراق وسوريا ولبنان والاردن والبلاد العربية السعودية — من جهة والاقطار الاسلامية المجاورة لها كتركيا وايران والباكستان والافغان من الجهة الاخرى وكان هناك اتفاق عام في وجهات نظرها حول معظم القضايا المطروحة للبحث وخاصة ما تعلق منها بضرورة استمرار اليونسكو على مساعدتها التعليمية في لبنان والاردن وفلسطين وسوريا لابناء العرب من اللاجئين الفلسطينيين والشغل المشترك لذلك في اللجان الفرعية والمجالس والمؤتمر العام فاستطعنا بفضل ذلك التعاون الحصول على الموافقة اللازمة لتخصيص (٣٠٠٠٠) دولار من ميزانية اليونسكو العامة لسنة ١٩٥٠ لهذا الغرض بالاضافة الى الاكتتاب العام الذي تعهدت

يظهر قريباً

الشعر العربي

في بلاطات الملوك

نسيم نصر

مدير الدروس العربية في الكلية الوطنية بالشويفات

في منشورات دار الاديب

اليونسكو القيام به في العالم اجمع للغرض نفسه كما تجلى هـذا الاتفاق يدعم الدول العربية والدول الاسلامية بالاجماع لاقتراح ممثل العراق بشأن تجديد انتخاب تركيا للهيئة التنفيذية لليونسكو ونجاح الاقتراح في المؤتمر العام بموافقة (٣٤) دولة عليه.

وقد لمسنا مثل هذا التقارب والتفاهم متمثلاً في الكتلة المؤلفة لممالك الامبراطورية البريطانية وفي الكتل الممثلة لجمهوريات امريكا الجنوبية اللاتينية الاسبانية كما ظهر مثل هذا التقارب في الكتلة التي مثلت ممالك اوروبا الشرقية والوسطى الممثلة في شيكوسلوفاكية وهنغاريا وبولندة وقد احتجت هذه الدول في جلسة من جلسات المؤتمر العام باسلوبها المعهود وهو الانسحاب المشترك من المؤتمر العام عندما اخفقت في حمل المؤتمر على سحب مساعدات اليونسكو لالمانية بحجة اتجاهها نحو النازية في القسم الغربي منها ولكن هذا الانسحاب لم يتجاوز الثلاثة ايام.

وفيما عدا ذلك فقد كانت الروح التي سادت المؤتمر عالية وعظيمة.

وقد تقرر تجديد انتخاب كل من تركيا وامريكا وفرانسة والبرازيل وفنزويلا والنرويج للهيئة التنفيذية كما تقرر قبول سيلان عضواً جديداً في اليونسكو وقام المؤتمر بمباحثة عامة اشترك فيها الكثيرون من اعضاء المؤتمر عن واجبات الدولة من التربية والعلم والثقافة كما اقام اليونسكو معرضاً لحقوق الانسان تعاونت فيه بعض الدول على احضار واعداد الوثائق التاريخية المهمة المتعلقة بذلك. ويجب ان لا نختتم هذه الكلمة دون ان نذكر الحفلات والسهرات الرائعة التي اقامتها الحكومة الفرنسية لاعضاء المؤتمر في اللوفر والكي دروسيه وقد اقر المؤتمر في المدة القصيرة التي خصصت له عدة مشاريع واتخذ قرارات خطيرة سيظهر تأثيرها للعيان بصورة واضحة في المستقبل. وكلنا امل ورجاء ان يستمر العراق وتستمر الدول العربية الاخرى على الانتفاع من هذه المؤتمرات الدولية وخاصة في النواحي التربوية والعلمية والثقافية والاستفادة منها بصورة ايجابية. اذ بذلك وحده تستطيع افهام العالم قضايا وشؤون بلادنا الحيوية ومطامحها ومشاكلها وامكانياتها، وبذلك وحده نستطيع اللحاق في ركب العالم المتمدن فنفيد ونستفيد ونعمل من اجل التقدم والسلام في عالم كثير التعقد سريع التطور والتحول. ونحن احوج ما نكون فيه الى اليقظة والوعي والانتباه الى ما يجري حولنا والى تبادل المنافع والمصالح والتعاون مع الآخرين في تعزيز القانون الدولي لحفظ كياننا وصيانة حقوق الشعوب وحرياتها والى المساهمة بصورة ايجابية وعلى قدر استطاعتنا في بناء عالم جديد وتحقيق سلام دائم لنا ولاولادنا وللعالم اجمع.

بغداد — الدكتور خالد الهاشمي



أنباء العالم في شهر

٢٣ فبراير ١٩٥٠ – اعترفت يوغوسلافيا بحكومة « هوشي منه » الفيتنامية الشيوعية التي تعتبرها فرنسا حكومة ثائرة .

– بدأت في روما محاكمة الماريشال غرازياني قائد الجيش الايطالي في افريقيا زمن الحرب .

٢٤ – اعلنت نتائج الانتخابات النيابية البريطانية وقد فاز حزب العمال باغلبية ضئيلة جدا على حزب المحافظين .

٢٥ – اعلن المستر اتلي بانه قرر البقاء في الحكم . وقد قدم الوزراء استقالتهم لرئيس الحكومة لتعديل الوزارة .

٢٦ – طلبت الحكومة الاندونيسية من بريطانيا ان تسلمها الكبتن وسترلنغ زعيم العصابات الثائرة الذي وصل الى سنغافورة حيث اعتقلته السلطات .

٢٧ – ما زال اضراب عمال مناجم الفحم الاميركية مستمرا منذ اكثر من اسبوعين . وكذلك اضراب عمال المنشآت الكهربائية والغاز والمواصلات .

٢٨ – عدل رئيس الوزارة البريطانية المستر اتلي وزارته .

– صرح المفوض السامي الاميركي في المانيا : ان توحيد المانيا السياسي على اساس انتخابات حرة في جميع انحاء البلاد هو الهدف الاساسي للسياسة الاميركية .

اول مارس ١٩٥٠ – صرح ناظر الخارجية الاميركية المستر دين اتشيسون بان الحاجة قد تدعو في هذا الربيع الى عقد اجتماع بين وزراء خارجية فرنسا بريطانيا واميركا .

٢ – وافق مجلس الوصاية على الفقرة المتعلقة بتحديد تخوم القدس كما كانت عليه في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

٣ – وصل كونالي قائد القوات الاميركية في الاطلسي والمتوسط لدرس مشاريع الدفاع عن الشرق الاوسط .

– وقع اصطدام عنيف بين الشيوعيين والحكومة في المجلس الوطني الفرنسي وتعطلت اعمال المجلس الذي كان ينوي المصادقة على مشروع فرض العقوبات على الذين يعرقلون مشروع التسلح .

٤ – اعلن ادیناور مستشار المانيا الغربية ان فصل مناجم الفحم في السار عن المانيا الغربية سيهدد مشروع مارشال بالخطر .

٦ – كذب الماريشال تيتو الانباء القائلة بان يوغسلافيا تسعى الى التقرب من الاتحاد السوفياتي .

– توفي المسيو البر لبران رئيس الجمهورية الفرنسية السابق .

٧ – هاجم الالمان في « برنزويك » دائرة التفكيك البريطانية في داخل معامل هيرمن غورينغ الفولاذية وجرحوا الضباط واحرقوا المكاتب احتجاجاً على تفكيك المصانع الالمانية .

– قدم نواب المعارضة في العراق وعددهم ٣٧ استقالتهم من المجلس النيابي .

– وصل الى لندن رئيس الجمهورية الفرنسية فنسان اوريول في زيارة رسمية .

٨ – نالت الحكومة الفرنسية الثقة من المجلس وباشر المسيو بيدو فورا تطبيق قانون قمع التخريب فاصدر مرسوماً بمصادرة مستخدمي وعمال الغاز والكهرباء .

– حكمت محكمة منغافورة بالسجن شهرا واحدا على الكابتن وسترلنغ رئيس العصابة في اندونيسيا لدخوله البلاد خلسة .

٩ – صرح حامد زكي بك وزير الدولة في مصر بان المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا اظهر استعداده للبدء في مفاوضات لعقد معاهدة جديدة في مصر .

١٠ – اطلق توفيق حمدان من الحزب القومي الاجتماعي عدة عيارات نارية على رئيس الوزارة اللبنانية الاستاذ رياض الصلح فلم يصبه .

١١ – صرحت الاوساط البريطانية ان حكومتي بريطانيا واميركا قد وافقتا على تقييد اليابان بمعاهدة صلح معتدلة كي تتمكن من احتلال مركزها العالمي .

١٣ – جاءت نتائج الاستفتاء البلجيكي في صالح الملك ليوبولد فقد نال اكثر من ٥٧ بالمئة من الاصوات

– قررت الحكومة السورية التي يرأسها خالد العظم الانفصال عن لبنان بالغاء الاتحاد الجمركي ومنع السوريين من زيارة لبنان الا باجازة ومنع اخراج اكثر من ٥٠ ليرة لكل سوري يزور لبنان .

١٤ – قدم فلاديمير كليمنتس وزير الخارجية التشيكوسلوفاكيا استقالته .

١٥ – انسحبت بولونيا من صندوق النقد والمصرف الدوليين .

١٦ – الفى المستر اتشيسون وزير الخارجية الاميركية خطاباً خطيرا استهله بقوله ان الولايات المتحدة تعتبر ان تعاون النظام الشيوعي والنظام الديموقراطي من الامور الممكنة في العالم وان الولايات المتحدة تريد السلم ولكن ليس باي ثمن كان .

١٧ – اعلن الملك ليوبولد البلجيكي بان الامر يعود الى البرلمان لتقرير فيما اذا كان يعود الى العرش .

– اعلن وزير الدفاع البريطاني ان الحكومة تحاول انشاء جيش بريطاني قوي من النظاميين عن طريق التجنيد الاجباري .

– اضرب ٢٥٠ الف عامل بلجيكي احتجاجاً على بيان الملك ليوبولد وامل عودته الى العرش .

١٨ – قدمت الوزارة البلجيكية استقالتها الى الوصي .

١٩ – وافق البرلمان العراقي على استقالة نواب المعارضة الـ ٣٥ من المجلس بعد ان سحب اثنان استقالتيهما وتقرر ان تجري انتخابات فرعية قريباً .

٢٠ – صرح المفوض السامي الاميركي بالمانيا ان انشاء جيش في المانيا الغربية ليس موضوع الساعة .

٢١ – تجددت الحوادث والاصطدامات في روما بين الشيوعيين وبين اعضاء الحركة الاجتماعية الايطالية .

٢٢ – اصدرت الغرفة التجارية الاميركية كتيباً طالبت فيه الشعب الاميركي بالاستعداد لحرب مفاجئة وضمنته التعليمات الواجب اتباعها لمقاومة اخطار القنبلة الذرية وحرب الميكروبات والكيمياء .

– اعلن في واشنطن انه سيجري خلال شهر ابريل تجربة قنبلة هيدروجينية صنعت في الولايات المتحدة .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨

مشكلة مفاهيم

☆☆☆

بالامس القريب كانت لي ، هنيهة ماتعة في مكتب « جريدة بيروت الغراء » وضعتني وجهاً لوجه امام مستشرق كندي شاب يعنى بشؤوننا ، ولا سيما في حدود ما تهيء للغد .. وأنت على مقدار ما تهيء للغد ، تهيء للحياة ، لاستمرار البقاء .

وحكاية هذه اللقاءة ما كانت لتستبد باهتمامي ، لولا انها تريك «كيف يفكرون هناك في الغرب ، تفكيراً هو السر في المشكلة الانسانية ، وفي كل مشكلة تنفصل منها ويعيش قلقها الناس في كل مكان» .

لقد وجدت الخطر ، الخطر كله ، في المفاهيم الاولى للكلمات والاشياء . . هذه المفاهيم التي لا يضرب فيها عرق انساني ، مهما تصنع الناس هناك للانسانية ولمثلها العليا ، تصنعاً فيه الكثير من الزيف ، اي تصنعاً يجعل من المفهوم الانساني عندهم ، شيئاً هو – على حد تعبير صاحبنا الصافي :

« بصل ما به سوء الجلباب » . . .

عرض – وفي حرارة شبابه الفكري – الى قضايا كثيرة ، بينهـا : الحق والقوة ، وما موقف الحي إزاءهما ؟ والى ايهما ينبغي ان ينحاز ؟ .

وليس يعنيني ابداً الآن ، بحث « الشيء في ذاته » – على حد تعبير (كانت) – كما لا يعنيني بسط ما جرى ، وانما انا اعنى بطريقة التناول ، واسلوب العرض في السؤال الذي يكشف لك عما استوى وراءه .

انت دون شك ، ترى معي في اسلوب وضع السؤال ، تقابلاً بين الحق والقوة ، وهو بالتالي يؤدي الى ان لكل منهما مفهوماً متحيزاً يجفو الآخر ثم لا يلتقي به كخطين متوازيين .

وهنا في هذا التقابل ، القائم في وضع الفكر وطريقة نظره الى الاشياء ، تكمن البلية العاصفة في اصول الحضارة التي « يفبركها » الغرب اليوم ، ويكتوي ونكتوي معه بنارها .

ان المشكلة الانسانية على حقيقتها تقوم هنا وراء اي اعتبار ، واعني أنها مشكلة مفاهيم وتصحيحها . . .

من قال لهؤلاء : ان الحق يقابل القوة ؟ . . وكل شيء في الطبيعة الى ما فوقها ، ينبيء بان القوة هي كذلك اي قوة لانها حق ، فالساعد يكون اقوى لانه اكثر حقاً في التأليف العضوي ، واوفر حقيقة في السلامة ومجدول العضل .

وهكذا قل في الآلة ، فما ندعوه منها « بالاقوى » ، انما نأخذه من هذه الناحية ، اي بمقدار ما فيه من عنصر الصدق ، ان في عملية التركيب او في انتقاء مواد البناء . . والقوة مطلقاً حين تعرى عن القدر الحق فيها ، تفقد حتى الاسم ، لتضحي بربرية ولا شيء غير البربرية .

مثلما هو الشأن تماماً في الحق – حتى في موضوعه المادي – فانما يجد قيمته ، لانه قوة ، قوة في ذاته .

وانا من بعد ، لا اريد ان اذهب مذهباً في البحث التجريدي ، وانما اريد ان اتوصل الى الكشف عن ان الغرب مبتلى برأسه المتورم . . اي انه شيء كأبطال الاساطير : اجساد ضخمة اي آلات ، تدور على نفسها وعلى الآخرين .

عبدالله العلايلي

المساعدات الفنية

بقلم فؤاد صروف

في العصور المتلاحقة منذ فجر التاريخ*، كان الائمة من رجال الفكر، يخرجون في الحين بعد الحين بآراء جديدة، او مذاهب جديدة، في الاخلاق، او في العلم، او في الاجتماع، فلا يلبث بعضها حتى يصير كالمصباح يكشف الطريق فيهتدي به الناس ولكن سير الفكرة الجديدة من دماغ صاحبها، الى ان تصبح منبثة متغلغلة في طوايا الاجتماع البشري، تؤثر في حياة الناس يوماً بعد يوم، لم يكن في عهد ما، منذ فجر التاريخ، سيراً هيناً، فهي كثيراً ما تلقى المعارضة والمقاومة وكثيراً ما يعنى صاحبها، وانصارها من بعده، بالاضطهاد، وقد تثار الحروب من اجلها، الحروب التي يتقاتل فيها البشر، والحروب التي عدتها البيان والدليل. وهذا الوصف ينطبق اكثر ما ينطبق على رسل الدين، ومصلحي الاجتماع وائمة العلماء.

ويقابل هذا التيار، في النهوض بالاجتماع البشري، تيار آخر، يرتد الى ابتكار الوسائل التي تغير بطبيعتها، وبمجرد الاقبال عليها من البيئة الاقتصادية والاجتماعية، التي تعيش فيها جماعات البشر. فكشف النار، واختراع العجلة في فجر التاريخ صنعا ذلك، واختراع محرك الاحتراق الداخلي، واتاحة الوقود السائل المستخرج من النفط، صنعا ذلك ايضاً في عصرنا هذا. فقد برحت القاهرة في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم السبت، وحطت بي الطائرة في مطار نيويورك في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الاحد. ولولا محرك الاحتراق الداخلي، وبنزين الطيران المصفى لكان اجتياز خمسة آلاف اوستة آلاف من الاميال، ضرباً من ضروب الخيال. وهأنذا الساعة واقف امام مذياع — وهو وسيلة جديدة — احدث العالم العربي، من دار الامم المتحدة هنا في ليك سكس فلا اكاد أنبس بكلمة حتى تقع في مسمع من يتفضل من اخواني في العالم العربي، بالاستماع الي.

جميع هذه الخواطر، وكثير على غرارها، جالت في ذهني، حين خرجت من اجتماع اللجنة الاقتصادية العامة، منذ ايام، على اثر اتخاذها، قراراً عسى ان يثبت الزمن انه من اخطر القرارات التي اتخذت في هذه الدار واجداها على الناس.

وهذه اللجنة لم تزل، منذ افتتحت هذه الدورة، تتناقش في موضوع النهوض الاقتصادي في الامم التي لم تزل متخلفة في نموها الاقتصادي. والقرار الذي اتخذته، يقضي بعقد مؤتمر تدعى اليه جميع حكومات الدول المتمتعة بعضوية الامم المتحدة، او احدى هيئاتها الخاصة لتنظيم برنامج المعونة الفنية التي ينبغي ان تسدى الى الامم التي تحتاج اليها. وقد اتخذ هذا القرار بالاجماع؛ ولعل لجنة عامة من لجان الجمعية العمومية، لم تتخذ من قبل قراراً في موضوع خطير الشأن كهذا الموضوع، بالاجماع. فقد ايدته جميع الدول على اختلاف نزعاتها السياسية ونظمها الاقتصادية ولم تشذ عن الموافقة عليه دول الكتلة السوفيتية نفسها، التي دأبت على معارضته، متهمة الدول التي اقترحته، وسارت في طليعة الدعوة اليه، بأنها انما تفعل، لكي تقبض بأيديها على اقتصاد هذه الامم المتخلفة في نموها الاقتصادي، وتنشر فيه استعمارها. وفي هذا الاجماع شيء غير قليل من الرجاء.

ويلوح لي ان فكرة بذل المعونة الفنية، للامم المتخلفة في نموها الاقتصادي، والتمهيد بذلك الى نهوضها الاقتصادي ورفع مستوى الحياة فيها؛ هي فكرة تجمع في حدود تعريفها البسيط، بين التيارين، اللذين يدفعان العمران البشري، دفعاً الى امام، وهما التياران اللذان اشرت اليهما في مستهل الحديث.

اما فكرة التكافل الاقتصادي العمراني على هذا النطاق الواسع بين الدول التي بلغت شأوا بعيداً من التقدم الاقتصادي، وبين الامم التي لم تزل متخلفة في نهوضها الاقتصادي، فتكاد تكون جديدة في الاجتماع البشري، وان كان التكافل بين الناس من اصول الرسالات الدينية العلوية التي تهدي الناس الى الخير. واما فكرة اصلاح البيئة الاقتصادية، فقد صارت بعضاً من عقيدة راسخة في اذهان المصلحين في هذا العصر، ومبدأها ان العالم لا يستطيع ان يعيش في سلام ورخاء، ما دام بعضه راسفاً في قيود القلة والفاقة والمرض. ولذلك حرص ميثاق الامم المتحدة، في مستهله، على التنويه بأن تعزيز الاحوال التي تتيح التقدم الاقتصادي والاجتماعي، من اهدافه الاولى، كما حرص على انشاء مجلس الاقتصاد والاجتماع، وجميع الوكالات المختصة التابعة له، لتبذل كل سعي في طوقها، لتحقيق هذا الهدف. ولعل احداً لا

---

* حديث اذيع من راديو هيئة الامم المتحدة في لايك سكسس.

ينسى عمل وكالتين من هذه الوكالات، وكالة الصحة العالمية، ووكالة الطعام والزراعة ، فعملها حتى اليوم برغم جدة العهد بها، وقلة المال المتاح لها ، هو مثال باهر على هذا الاتجاه العالمي الجديد ، الذي يرجى له ان يجدي احسن الجدوى ، اذا مضى في سبيله .

وقد اشتهرت فكرة المعونة الفنية ، التي يراد بذلها ، للامم المتخلفة في نموها الاقتصادي ، بعد ان حرص الرئيس ترومان على ان يخصها بالذكر ، ويدعو اليها في خطبة رياسته التي القاها في اليوم العشرين من شهر يناير ١٩٤٩ ، ولسنا نريد ان نغض من فضل ترومان في هذا الباب ، اذ افرغ الرغبة العامة في مقترح واضح المعالم ولكن الفضل الاول في ذلك يعود الى الامم المتحدة ، التي جعلت « التعاون الدولي في حل المشكلات الدولية، الاقتصادية والثقافية والانسانية » غرضاً من اوائل اغراضها . وفي الدورة الاولى التي عقدتها الجمعية العمومية للامم المتحدة ، اتخذت الجمعية قراراً قالت فيه : ان بعض الدول الاعضاء تحتاج الى مشورة الخبراء في ميادين النهوض الاقتصادي ، والاجتماعي ، والثقافي ، وان الامم المتحدة تعترف بتبعتها في بذل العون لهذه الدول ، وتعترف ايضاً بان هذا النهوض لا غنى عنه للسلام والرخاء في العالم ، وان الوكالات المختصة التابعة لمجلس الاقتصاد والاجتماع ، هي الاداة المختصة في هذا الباب ، فهي لذلك تعهد الى مجلس الاقتصاد والاجتماع بدراسة خير الوسائل واجداها للقيام بهذه التبعة .

فهذا القرار الذي اتخذته الجمعية العمومية في شهر ديسمبر ١٩٤٦ هو الاصل ؛ الذي تجدرت منه النقطة الرابعة ، وجميع المباحثات والمناقشات التي دارت في الامم المتحدة وغيرها؛ واخذت تتكشف اليوم عن خطة عالمية يزداد وضوحها شيئاً فشيئاً . فالنهوض الاقتصادي والاجتماعي في الامم المتخلفة ، هو في الواقع مهمة الامم المتحدة في المقام الاول ، لا برنامج امة واحدة، هي الامة التي تكلم الرئيس ترومان بلسانها .

نعم ان الولايات المتحدة تنوي وفقا لبيان رئيسها ، ان تمضي في القيام بما تراه تبعة واقعة على كاهلها ، وقد طلب الرئيس ترومان من الكونجرس الامريكي ، ان يخصص لبرنامج المعونة الفنية في السنة الاولى ، مبلغ ٤٥ مليون دولار ، يباح بعضها الى النصف فيما اذكر ، للامم المتحدة لتنفقها مع ما تخصصه الامم المتحدة لهذا الغرض ، عن طريق وكالاتها الخاصة، وتنفق الحكومة الامريكية البعض الآخر في هذا السبيل لهذا الغرض .

والطريق الذي يحتمل ان تسير عليه الولايات المتحدة لتحقيق هذا الغرض بين من المثل التالي : في وشنطن العاصمة الامريكية، معهد اسمه معهد الشئون الخاصة بالامم الامريكية ، وهو وكالة تابعة لوزارة الخارجية الامريكية ، كما ترى وكالة الصحة العالمية تابعة لمجلس الاقتصاد والاجتماع في الامم المتحدة . وهناك ايضاً لجنة حكومية مختصة بشئون المعونة الفنية . فالمعهد — ونطاق اختصاصه امريكا اللاتينية — لم يزل منذ عشر سنوات او نحوها يرسل خبراء في الصحة العامة والزراعة والتربية الى دول امريكا اللاتينية التي تطلب هؤلاء الخبراء، فيعاونونها على دراسة مشكلاتها الخاصة بالصحة او الزراعة او التربية ، ويشيرون عليها بحلول لهذه المشكلات . واما اللجنة فتبذل من المال المخصص في ميزانيتها ما يعينها على اختيار الشبان النجباء، بالاتفاق مع الحكومات او الهيئات القومية، فيتاح لهم ان ينفقوا في الولايات المتحدة سنة او اكثر او اقل، يتدربون في خلالها على احدث الاساليب الفنية في نطاق اختصاصهم .

ومن قبل ذلك انشأت جماعة من الامريكيين ، على رأسهم احد ابناء ركفلر ، شركات في دول امريكا اللاتينية ، وجعلوا رأس مالها مشاركة بينهم وبين الجماعات المالية المحلية ، وجعلوا يطبقون الوسائل الفنية الحديثة في الزراعة والنقل وصناعة الالبان وغيرها، ويدربون ابناء البلاد التي يعملون فيها، على هذه الاساليب، ويعلمونهم ضروباً نافعة من الحذق ، في الوقت الذي يتيحون لهم ابواباً شريفة للرزق ، وقد قطعوا على انفسهم عهداً بأن يبيعوا نصيبهم في هذه الشركات في خلال عشر سنوات للجماعات المحلية التي تريد ان تبتاعه . وعلى غرار هذه الشركة شركات اخرى .

ومنطقة الشرق العربي هي من المناطق التي اجتمع لها لونان من الموارد — الموارد الطبيعية ، والموارد الانسانية ، فتنمية الموارد الطبيعية ؛ وفقاً لخطة موضوعة ، وتنمية الموارد الانسانية بتحسين الصحة ، والنهوض بالزراعة والصناعة ، وتوسيع آفاق التربية ، تكفلان للشرق العربي عودته الى تبوء المكانة التي كانت له في التاريخ ، يوم كانت الحضارة العربية معلمة الدنيا .

والوسائل التي تمهد لتحقيق الغرض كثيرة منوعة ، وقد ابانت المناقشات التي دارت في الامم المتحدة في الاسابيع الاخيرة، ان هناك اجماعاً على ضرورة السير في هذا الطريق، طريق الخير العام، وعسى ان يسفر المؤتمر الذي تقرر عقده عن برنامج واضح المعالم منسق الاجزاء ، وعسى ان لا تتخلف الدول العربية عن الاشتراك فيه والاستفادة منه بما يمهد للعمل النافع .

القاهرة — فؤاد صروف

الصدى الباكي

لآنسة فدوى طوقان

نابلس



شاعري ، لا تقسُ في عتبك ، لا تظلم وفائي
أنا حسبي قسوة الدنيا وإعنات القضاء
آه لو تدري بآلامي ، بمأساة شبابي
لبكى قلبك وارتجّ ليأسي وعذابي

أنا لم أنس هوىً فجّر الحاني وشعري
انا لم انس هوى رفتْ به ايام عمري
انا انسى ؟ كيف ؟ لا يا حلم قلبي يا نجيّي
لا ومن ألّف روحينا على الحب الذي

سل ضمير الليل هل اودعته اسرار حبي
هل تغنيت بأشعارك في وحدة قلبي
ان هذا الليل يطوي كل اسرار حياتي
انه معبد احلامي ومأوى ذكرياتي

شعرك العاتب كم فجّر دمعي ، كم شجاني !
والنداء الشاعريُّ العذب كم هزّ كياني !
لو تراني والهوى يصرخ في روحي الاسير
وانا اشدو بأشعارك في الليل الكبير

انت روح طائر يشدو على كل الغصون ...
يرتوي من خمرة الحب ومن نبع الفتون
وانا روح سجين ، قصّت الدنيا جناحي
نغمي ينبيك عني ، عن مدى عمق جراحي

رحمة يا شاعري وانظر الى اصداء روحي
انها في شعري الباكي استغاثات ذبيح !.
انها يا شاعري انّات مظلوم طريد ..
انها غصّات مخنوق بأطواق الحديد ...

كلما ضمّك حضن الليل في صمتٍ وحزنٍ ..
ومضى قلبك حيران الهوى يسأل عني ..
ارهف السمع ... تجد روحي ، مجروحَ النداء
ضارعاً في الم : رحماك لا تظلم وفائي !.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ايام الرعب

☆

المعدم الثامن

بقلم يوسف الشاروني

☆

كان ذلك يوم الجمعة . وكان محجوب قد امضى الصباح كله في عمل قام به بكل نشاط واهتمام . كان قد خرج في الفجر الى « الحوش » ، فوجد نفسه امام بيت من بيوت النمل ، فسلط عليه الماء حتى اغرقه وهو يتأمل محاولات النمل للخلاص . ووجد لذة غريبة في هذا الاكتشاف المفاجيء . وادار نظره في الحوش فوجده مليئاً ببيوت النمل الكبير والصغير والاسود والاصفر ، فأمضى الصباح كله يملأ اقداح الماء ويصبها فوق بيوت النمل وهو يتأمل الطرق التي يحاول بها النمل انقاذ نفسه، وهو يجد لذة مرهقة في ان يسد عليه كل منافذ الخلاص.

والواقع ان هذا العمل لم يكن ليستأثر الا بانتباهه السطحي، اما في اعماقه فكانت ثمة زحمة من الاحاسيس والعواطف الفزعة الاسيانة . كان في المحكمة بالامس ينادي كعادته بصوت مرتفع جاد: محكمة ! فتدخل هيئة القضاء ليسمع ما تصدره من احكام على اللصوص والمدمنين والقتلة والعاهرات وعلى افرازات المجتمع هذا القذر . ومنذ عمل محجوب حاجباً بالمحكمة والمجتمع يفرز صديده دائماً وباستمرار كل يوم . . كل يوم، منذ خمس سنوات . وكان المجتمع عبقرياً في هذا الافراز، بحيث لم تعرض لمحجوب قط حالان متشابهتان، دائماً كان من نوع جديد وغريب وفظيع وبلا انقطاع.

وبالامس — ولسابع مرة في هذا العام — يسمع حكم الاعدام . ولم يكن سماعه حكم الاعدام يعني لديه سوى بضعة كلمات يقولها القاضي ، اولا انه اتضح له بالامس فقط انه كان يمكن ان يكون هو ذلك الشخص المحكوم عليه بالاعدام ولا يزال يمكن ان يكون الشخص الثامن .

كان المحكوم عليه بالاعدام في الثانية والثلاثين — اي في مثل سنه تقريباً — رقيق التقاطيع ، خجولا ، حييا . له انف دقيق كأنه انف فتاة ، وعيناه عسليتان تدوران في ارجاء القاعة كأنما تبحثان — عبثاً — عن منقذ او مُعزٍ له في باواه . وكانت تلك هي خامس جلسات هذه القضية وآخرها . وكانت الدلائل والقرائن على جريمة الشاب واضحة . كان الزوج قد دخل وهذا الشاب يضاجع زوجه، فلما هم الرجل بخنقه بيديه، امسك الشاب خنجراً كان يحمله معه تأهباً لما عساه يحدث ، وظل يطعن الرجل حتى مات . وكانت المرأة تولول في هذه الاثناء جزعاً على زوجها وعلى عشيقها فأقبل اكثر من جار وشهدوا بعيونهم الشاب وهو يطعن الزوج طعناته الاخيرة ، واعترفت المرأة بالقصة وحاول الشاب الانكار في اول الامر ، لكنه ما لبث ان اعترف ، فثيابه الملوثة بالدم ، وبصمات اصابعه على الخنجر وشهادة الشهود . . وتذكر محجوب موعده مع حسنية في عصارى اليوم ، وماذا يحدث لو دخل عليهما ابوها ؟ اما يمكن ان يكون هو الشخص الثامن الذي سيقف في القفص المرة المقبلة ويسمع حكم الاعدام على نفسه من فم القاضي؟

وعندما صحا من نومة الظهيرة كانت أمه العجوز تتشاجر مع بائع الفجل . ولم يكن هذا جديداً عليه . فقد كان محجوب يسمعه في حارة الزرايب كل يوم من امه ومن الجارات مع بائعي الفجل والفول ومع الست ام حسن بائعة الطعمية على طرف الحارة الشرقي ومع ذلك فقد أنصت اليوم في دقة الى النقاش الدائر بين امه وبائع الفجل . كانت امه تريد شراء ستة حزم بعشرة مليمات وكان البائع مصرّ في صوته الاجش الغاضب على ان يبيعها باثني عشر مليما . وكانت حجة امه في رأيها انها ستشتري بسعر الجملة وكان الرجل مصراً على ان يبيع كل حزمة بمليمين مهما كان مقدار ما يبيع . وأثار



هذا الشجار في نفسه مجموعة من الاحاسيس المتشابكة المختلفة الممتدة كأنفا الى اعماق سوداء مظلمة لا آخر لها . احساس بالاشمئزاز وبالحقارة وبالضعة وبالكراهية التي تبلغ حد الجريمة، وبرطوبة الحارة وقذاراتها والوحل المتراكم فيها ومجموعات الذباب المزدحم على انوف اطفالها وعيونهم وافواههم، وبالشجار الذي لا ينقطع خارج البيوت وداخلها ، وبالكابوس الجاثم من الازل على معدته وعلى روحه .

وتذكر موعده مع حسنية . . . كان يحلم بهذا الميعاد منذ اكثر من اسبوع ، وان كان يهد له ويعد العدة منذ شهور . كان الرجال ينقسمون امامه الى قسمين : رجال لهم نساء ورجال بلا نساء ، وكان يعذبه انه من رجال القسم الاخير . وانه ليحرم من الطعام ليلة ويعيش اشهراً على الفول والطعمية والفجل ، لكن الناس جميعاً يأكلون . اما هذا الجوع الجنسي فهو ازلي ازلي لا يتساوى فيه الناس . وتذكر حكم الاعدام بالامس . . .

وعبر محجوب على الست ام حسن فلاحظ انها علقت فوقها اليوم لافته قديمة قذرة كُتب عليها : هذا من فضل ربي . ووصلت الى انفه رائحة الطعمية . أما هي فكانت مشغولة بضرب طفلها محمد ضرباً سريعاً متلاحقاً ، وطفلها يزعق زعقات متقطعات متحشرجات .

وظل يسير من حارة الى حارة ومن زقاق الى زقاق ، حتى وصل الى الطريق العام حيث وقف ينتظر الترام وملأ رئتيه بالهواء الجاف وملأ عينيه بمناظر الفتيات المتأنقات الناعمات . . حتى اقبل الترام مزدحماً ، فتعلق بسلمه واخترق الواقفين حتى وجد نفسه بالدرجة الاولى ، لم يكن بها سوى رجل بدين يرتدي جاكتة بيضاء ، رأسه صلعاء وقد برزت فوق جبهته كرة صغيرة من اللحم . فدفع الباب الى الدرجة الثانية ، وأوجد لنفسه مكاناً بين المزدحمين . وحدثت المعجزة . . . فقد قام شخص بدين تفوح منه رائحة العرق ليجلس مكانه محجوب . وكانت جلسته الى جانب فتاة رفيعة متبرقعة قد كشفت عن احدى ذراعيها فبدت من خلال الملاءة السوداء بيضاء ناعمة طرية . واحس محجوب بالدف ، وطراوة اللحم الى جانبه ، واخذ يتحسس — في حذر — طرياً لذراعه الى جانب ذراعها حتى التصقت بها . ولم تحرك الفتاة ذراعها ، فاطمأن محجوب الى انها راضية بهذا اللصاق مما اضاف الى لذته الحسية لذة خفية سعيدة بالانتصار .

وكان على جانبه الآخر شاب في بذلة عمالية بها بقع من الزيت هنا وهناك ، يقرأ باهتمام احدى الصحف المسائية ، فلم يلهه التصاق ذراعه بالحسناء المتبرقعة — التي كاد ان يمس الآن ثديها الايمن مساً رفيقاً — من ان يقرأ الصحيفة على طريقته التي تعودها كل صباح : ذلك ان يمد بصره الى العناوين الضخمة في الصحيفة التي يقرؤها الجالس الى جواره او الواقف قبالته في زحمة الترام . . . واستقر بصره اخيراً على خبر قصير حول تخصيص ١٢٥ الف جنيه لاصلاح رأس البر . ماذا لو اعطي هو مائة جنيه ، مائة جنيه فقط لاصلاح حاله هو . . . اذن لتزوج ولما احتاج ان يعرض نفسه للتهلكة والاعدام في مغامرات جنسية لا تشفي ولا تروي ، وماذا لو خصصت خمس مائة جنيه لاصلاح حارة الزرايب ؟ كان ابوه من اهالي دمياط وانه ليذكرها حين كان يصحبه في صغره اليها ، ولا يزال يذكر سوق الحسبة والشيخ محمد الذي يحمل السلاسل والحديد حول عنقه ويدور وسط الميدان والناس يتباركون به . وكان يصحب اباه الى رأس البر وقت اعدادها للمصيف . ولم يكن يحسب انها في حاجة الى مليم واحد . . . اما حارة الزرايب ؟ وافاق من تفكيره حين لمح الفتاة التي الى جانبه تقوم لتغادر الترام ، وحين اخذ يتعالى شجار قاطع التذاكر مع احد اولاد البلد .

ونزل اخيراً من الترام في طريقه الى حسنية ، وقد بدأ يحس حاجته الى الحمام كي يواصل سيره . فقد بدأ يغادر الطريق العام الفسيح المضيء ويخترق الازقة من جديد . وراودته الرغبة ان يقفل راجعاً الى « الحوش » يصب الماء فوق بيوت النمل لاغراقه ، على ان يكون الماء ساخناً يغلي هذه المرة . واحس انه لا يطيق صبراً حتى يذهب الى حسنية ثم يعود ليجرب تجربته الجديدة ويرقب نتائجها المريعة . ورغم هذا فقد ظل سائراً — ومر على عم علي والد حسنية . كان منهمكاً في ترقيع احد الاحذية القديمة في مكانه المعهود بجوار الحائط الخشبي ، ووقف الى جانبه احد الاهالي كأنما ينتظر اصلاح حذائه . وتفرس محجوب هذه المرة جيداً في عم علي ، كان رجلاً هزيلاً كث اللحية ابيض الشعر . ان في الامكان قتله لو انه فاجأه مع حسنية . . وعاوده الاحساس بالاشمئزاز والحقارة والضعة والكراهية ، ثم الحرمان ، الحرمان الضخم المخيف الذي يدفع الى كل جريمة والى كل جنون .

ورآها واقفة على باب الدار تستقبله بابتسامة عريضة ، وفي عينيها شهوة وفي وجهها ألم وفقر وحرمان . وكانت تفوح من مدخل الدار رائحة كريهة قذرة ، بينما كان اخوها الصغير محمود يزحف على تراب الارض تاركاً وراءه خطاً طويلاً من براز سائل اصفر . واختفت حسنية لحظات ثم عادت تنظف الارض بقطعة من الورق . كان شعرها غزيراً ناعماً ، وبدا عجزها — وهي منحنية تنظف الارض — مستديراً ملفوفاً خلف ثوبها الاحمر المتمزق . وعادت

صورة وصنيعة

عزيزة

بقلم وديع فلسطين

لو تمثل الفن بشراً ، لكان «عزيزة» فهي اصيلة في فنها منذ الحداثة لانها نشأت في دار تعرف الفن وتهيم به ، وتربت على انغام الموسيقى الشادية واستوى عودها بين انوار مضيئة تلتهبها ، ولما آن لها ان تعوّل على نفسها كان الفن قد تغلغل في كل حواشيها فصارت عابدة في هيكل الفن ؛ وصارت في الوقت عينه معبودة من التياهين بصنوف الفن وصوره والوانه وزخرفه .

ولكن لعزيزة مذهباً في الفن يسمو بها على كثير من اقرانها واترابها ، لانها لا ترى في الجمال ما يراه سائر البشر من لذاذات عارضة وشهوات عارمة ، بل ترى فيه داعياً الى التقديس والترفع ، وترى فيه عتبة ترفع البشرية من اوحالها ، وترى فيه معاني لا تميل الى الخدار ، بل تتدرج الى سامق من الذرا .

هيهات للفن ان يجد لعزيزة مثيلاً ، فهي تعيش له وتروم ألا تعيش إلا له . وحياتها الفائتة لم تتجاوز عقدين الا قليلاً ، ولكنها مع ذلك لا تطمع الا في عشر من سنوات الربيع تكون مكتظة بالاحداث والانباء ، وما ذلك الا لانها تقيس العمر بعرضه لا بطوله ، وتزن الحياة بميزان الابريز لا بميزان من المعدن الرخيص .

لقيتها اول ما لقيتها في حفل دبلوماسي من تلك الحفلات التي ترد دعواتها الي تترى في كل يوم ، فمن عمل للصحافة اليومية غمرته الدعوات الى محافل المجتمع ، وموائد الكبراء وقصور العظماء ، وكانت في صحبة شاعر من خير شعراء الجيل خلقاً ومن اصفاهم نفساً ومن انبلهم منبتاً ومن اعذبهم قصيداً . وكانت الكؤوس تقرع الكؤوس ، والاكتاف تصدم الاكتاف ،

حسنية ترحب به ، ومرت امامه صور من المدينة الباهرة ، فاجلسها الى جانبه وهو يقص عليها قصة امر وحكم الاعدام الذي سمعه كأنما يريد ان يخيفها . اما هي فكانت تقترب منه في تهالك واستجداء تريده ان يقبّلها .

منذ خمس سنوات وهو يقوم بمثل هذه المغامرات ، ولم يحس في يوم ما انه حصل على امرأة . وتذكر رأس البر ، ماذا لو كان الآن مع واحدة من حسناواتها هناك ؟ انه لا يرقى ولا يتغير ولا يتحرك . لقد ظل صاحبنا بالحكمة منذ خمس سنوات وهو لا يأمل ان يكون خيراً من ذلك في مقبل الايام . ولقد ظلت خارة الزرايب بوحلها وذبابها وشجار اهلها هكذا منذ خمس سنوات ، بل منذ تاريخ لا يعرف متى بدأ ، ولا يأمل في اصلاحها في مقبل الايام . ولقد ظل يضم اجساداً كجسد حسنية في جنح الليل او بعيداً عن العيون كالمجرمين واللصوص ، ومع ذلك فلم يكن له بيت ولا اطفال كما يكون للآخرين . انه يدور ويدور لا يتقدم ولا يتطور .

وكانت حسنية لا تزال تحاول مداعبته ، فنظر الى عينيها التعبتين المتألمتين ، والى الشهوة التي تضج في جسدها امامه . وتذكر فكرة الماء الساخن الذي سيصبه على بيوت النمل في « الحوش » بحارة الزرايب ، فضمها الى صدره ضمة قصيرة عنيفة ، وطبع على جبينها قبلة ، ثم خرج يهرول .

الخرطوم

يوسف الشاروني

والافواه لاتكف عن الكلام في السياسة آناً وفي اخبار المجتمع آناً . ولكن مجلساً واحداً من تلك المجالس الكثار لم ينصرف الى حديث الادب والفن والشعر الا مجلس « عزيزة » والشاعر وصاحبهما .

وكلما خطرت امامنا فاتنة ، ترسّل الشاعر في شعر من نظمه او حافظته ، وانبرت عزيزة تضعها على مشرحة الفن فتقول ان فيها شيئاً من القصر او قليلاً من الطول ، او ان في مشيتها الخناءة يسيرة ، وليس اقدر على المرأة من عرفان عيوب المرأة . ولكن عزيزة لا تقنع بالارشاد الى المعايب ، بل تقرن ذلك بالتنويه الى المحاسن وهي في هذا تخلص اداء رسالة الفن المثلى التي تعطي لكل صاحب حق ما يستأهله في غير سخاء مفرط او ضن معيب .

وراقني حديثها ، واستهواني صوتها العذب الحنون . فهذه فتاة خلعت عليها الدنيا آيات من الجمال الاخاذ ، ومنحتها الطبيعة وفرة من جاذبية الوجه وجاذبية الروح ، ولكن يفضل هذا جميعه انها فتاة عرفت كيف تحبو نفسها بالقدرة على تخير الاحاديث المشهاة . ولقد عرفنا كثيرات من اللائي يترددن على المجتمعات ذات الزحام ، وسمعنا منهن كثيراً من الكلام ، فكان اكثره لغواً وبلبلة لسان ، وكان قليله مما تستطيبه النفس الكريمة . و« عزيزة » وضعت نفسها في موضع المقل المفيد ، تحبس اللسان اذا رأت منه ميلاً الى ثرثرة ، وتطلقه حين تأنس فيه سلامة الاداء لفظاً وموضوعاً . وهي تستوحي ذلك من ذخيرتها الفنية الكبيرة الرصيد ، لان الفن ليس مجرد الوان صارخة تطلى بها اللوحات ، ولا هو مجرد ظلال عارضة تلقى اينما طاب لها ، بل الفن دقيق في انتقاء اللون المناسب للموضع المناسب ، واختيار الظلال حيث يجب ان تكون .

فعزيزة ، كما انها لا تفرط في مزج صورها ورسومها ، كذلك لا تسرف في كلام مرسل عديم الغاية فقير الى الروح . وما ذلك الا لان صورة الفن عزيزة لا تستكمل مقوماتها الا اذا جعلت من نفسها رقيباً وناقداً على نفسها . وهذا هو سر اعجاب عارفيها بها ، وهذا هو سبب ما تلقاه من تقدير ينصب اغلبه على شخصها ، وتنال رسومها كثيراً منه .

هل زرت « عزيزة » في دارها الصغيرة الرشيقة ؟ لقد جعلت منها كرمة تجمع الى البساطة ذوقاً خلاباً ومزاجاً رائعاً ونفساً تنحو نحو الهدوء . فقد اختارت دارها في حي يسمونه « حديقة المدينة » هو بستان وسط القاهرة ذات الضوضاء ، واختارت لدارها شرفة تطل على حدائق ذات زهر ، وجعلت من هذا البيت الانيق منتجعاً لها ومرتاداً لصحبها تجمعهم كما يجمع البستاني ضمامة من الزهر العبق ، وتلم شملهم كما تلم المرأة اطراف ثوبها لتبدو به وقد اكتملت زينتها .

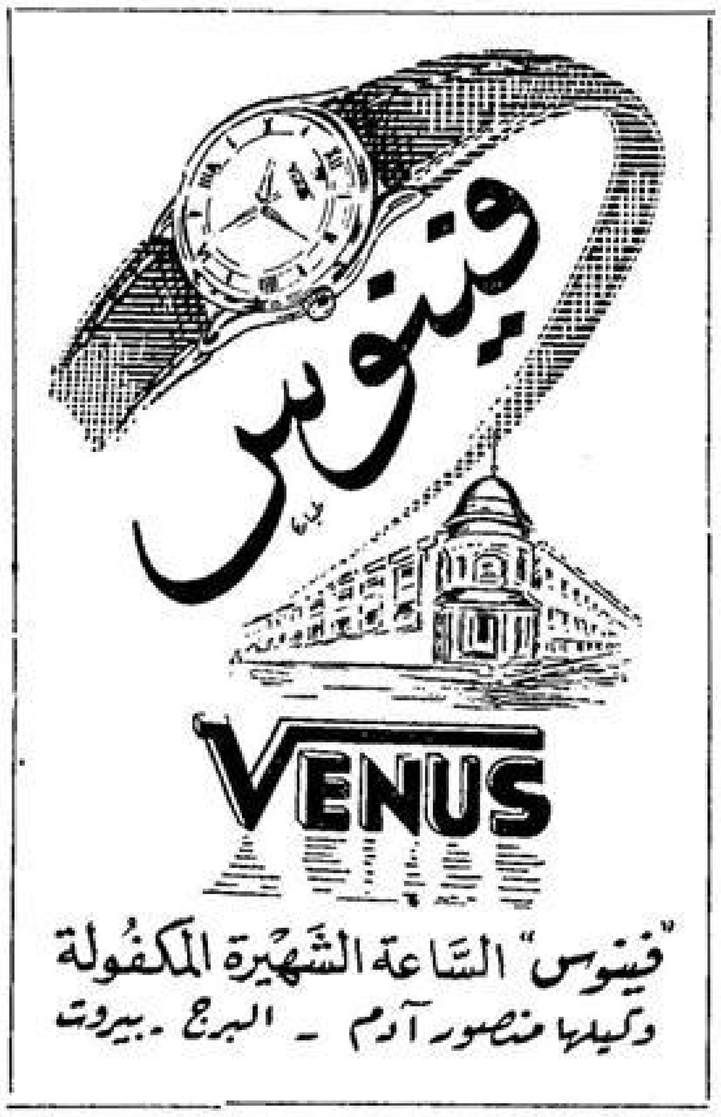
وحين طرقت باب بيتها لاول مرة ، جذب بصري ذلك التمثال الاسود الكالح لرأس زنجية مجعدة الوجه كثة الشعر تبدو الفطرة في كل سماتها . ورأيت الى جواره صورتين « لعزيزة » تزهو كل منهما على شقيقتها وتزعم التميز عليها . فتالله ما انبل وجه عزيزة وما اجمله في الطبيعة وما اجمله على ورق التصوير ، وما ابهاه وهو امام مفارقة عجيبة تتبدى في وجة تلك الزنجية الكئيبة . ولكن عزيزة ترى في هذا التمثال جمالا لا نراه نحن الذين نرى الفن ونعجب به ونعجز عن صنعه . اما هي فانها تصنع الفن وتخلقه وتنشئه ، ونعم ما تصنع وتخلق .

وبيت « عزيزة » لا يخلو من الكتاب وكم رأينا الكتاب مهجوراً حتى في دور قادة الرأي واصحاب السلطان ! لانها تجد في « الورق » سواء كان مكتوباً او مرسوماً هوى ولذة لا يعدلها هوى او لذة . والذي يعيش بين الورق يجد نفسه منصرفاً عن ورق النقد وصكوك المال . فالورق اذا قوم بثمن اصبح قليل القدر يصيب حتى الامين وانصاف المتعلمين . اما اذا ترك تقديره لميزان غير ميزان الدراهم ، فحينئذ يكتسب القيمة الخالدة .

افلا ترى الحكومات عاجزة عن ان تشتري صورة « الجيوكندا » ؟ افلا ترى تمثال « نفرتيتي » يحدث ازمات سياسية ولا يرد لمصر ولو بثمن غال ؟ فالدرر الخالدة تزهد امام قيمتها كل قيمة مالية او نقدية ، لانها جزء من عبقرية الايام .

وعزيزة عبقرية من عبقريات الايام ،

القاهرة — وديع فلسطين



"فينوس" الساعة الشهيرة المكفولة
وكيلها منصور آدم - البرج - بيروت

الى مغنيرها

☆

لسعيد عقل

من ديوان رندلى
الذي سيصدر قريباً

●

يا نجيّي ، ونجيَّ
الانجم البيض الحِرارِ ،
غنّني ، أشهى من الغفوِ
على الصدرِ المُداري ،
طُرفةَ شَفَافَةَ النبرةِ ،
عذراءَ الإزارِ ،
مِن سَنى السُوسَنِ فيها
ودماليجِ الصِغارِ ،
ومن التجوابِ والتيهِ
بأحضانِ الصحاري.

شُقّ آفاقاً من الالحانِ
ملأى بالجواري ،
طافراتٍ من غوىً
آناً ، وآنا في انسحارِ
كاسياتٍ من بهاء ،
ومن الوهم عوارِ.

***

واسترِقْ ، من نَقلةِ
الحسُّون فوق الجُلّنار ،
آهةً حُرّت بأفحِ
الظُهر ، أو شِيبتْ بنارِ ،
تتعالى ؛ تتعالى
وسعَ شوقٍ وانتظارِ ،
أترى عند شفاً ، حطّت
بهذي الارض ، هارِ ؟
عَلّقت عن جريه الليلَ
وهمّت بالنهار ،
فهْيَ أفقُ المنتهى ؛
والكونُ منها في دُوارِ !

***

وإذا شبّبتَ باسمِ
بات معشوقَ الجوارِ ،
هاتفاً ، مُحاولي المَدّة ،
مفتاحَ القَرارِ :
مِركيانٌ ، مركيانُ
العمر ، كرّاتُ الكناري !
أخذَت تساقط الشُهبُ
علينا ، والدراري.

***

ساعةٌ وانفلتَتْ !
ما نَجْدُ ؟ ما شَمُّ العَرارِ ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الوصيـة

بس أقدر على الابانة عن الضعف الانساني من استقراء الوصايا التي يكتبها الموصون الى من تشملهم الوصية. وهي الفرصة الاخيرة التي يظهر فيها التواء الطبع، وفساد المزاج.

وساعة الوصية هي الساعة التي نكون فيها اكثر حرصاً وأشد غيرة. وهي الساعة التي نسوّف فيهـا ونغاطل، ما وسعنـا التسويف، وما أمكننا المطال.

فاذا دنت ساعة الوصية عملنا على ان لا يكون موتنا سبباً في اسعاد كائن من كان ثم عملنا على ان ترتب امورنا عـلى الحد الادنى من الخير. وعلى ان نتولى بالازعاج والمضايقة اكبر عدد مستطاع من الناس.

ومن الناس من يتملكه الوهم انه اذا أوصى فقد دنت ساعة رحيله وكثير ممن سارعوا — في نوبة من نوبات المرض — الى عمل الوصية، قد لبسوا ثوب العـافية. فأصبحوا على ما اوصوا به نادمين.

ويحكى ان سيدة — ليست من ذوات الثراء — كانت تكره الاجراءات الطويلة المعقدة. او على الارجح كانت لا تستطيع دفع تكاليف تلك الاجراءات. رأت بفكرها الثاقب ان توصي بما تملك من اكسية ومنقولات منزلها الى صحبها وذوي قرباها. وكان ذلك بطريق المشافهة وقبل ان تلفظ آخر انفاسها. فأوصت — طائعة مختارة — بالكرسي والمائدة الى احدهن. وبسريرها الى آخر. وبردائها الى احداهن. وبقميصها الى اخرى وهكذا...

وبعد ان تمت القسمة جلس العجائز يبكين حولها. وبعد ان أدّين واجب البكاء على الراحلة العزيزة... حملت كل نصيبها من المتاع ومضين. وقد تركن المحسنـة الكبيرة في يد القدر

وسرعان ما استردت المريضة ثوب العافية، فارسلت تسترد ما اوصت به من اكسية ومنقولات. ولكن احداً من الموصى اليهم لم يلب النداء فعاشت تندب متاعها المفقود. وتبكي حظها المنكود.

والناس يحبون جمع المال وتكتيله، وهم على قيد الحيـاة. ويحبون كذلك ان يتركوه كاملاً غير منقوص. وهم يجعلون ايديهم مغلولة الى اعناقهم. ولا يصرفون من اموالهم شيئاً. بل يدخرونها في خزائن مقفلة ويجعلون منها صناً يحجون اليه.

وناس هذ شأنهم هل يرجى منهم ان يجعلوا في اموالهم حقاً معلوما للسائل والمحروم؟

وناس هذا شأنهم هـل يرجى منهم الخير لاعقابهم وذراريهم. وقد كانوا على انفسهم من البخلاء المقترين.

لذلك ترى امثال هؤلاء يشترطون في الوصية شروطاً يضمنون بها زيادة المـال الموروث، وغناه، اشباعاً لشهوة الكبرياء والطمع. وليبقى بريق المال ورنينه رمزاً خالداً لشيطان المال او شيطان الجشع.

وهؤلاء لا يكادون يعرفون ان هناك شيئاً اسمه الاحسان والخير.

ومن الامثلة على الرغبة الملحة في الادخار والجمع ما يحكى من ان رجلاً من الاثرياء كتب الوصية الآتية قبل ان يحين حمامه: « ان يمتنع الموصى اليهم من التصرف في الجزء الاكبر من الثروة وان يضاف اليها سنوياً ما ينتجه المال من فائدة وربح، حتى يجتمع في النهاية ما يكفي لشراء اقصى ما يمكن شراؤه من ثابت ومنقول.

فلو نفذت هذه الوصية لانتهى الامر بأن يخلق منها قصة خيالية بعيدة كل البعد عن الواقع الملموس وهذه الوصية ان دلت على شيء. فانها تدل على ان الرغبة في استمرار الجشع بعد الموت متمكنة عند الموصي كتمكن الرغبة في استمرار ذيوع الصيت بعد الموت سواء بسواء.

وهناك الوان غريبة من الوصـايا: فقد يوصي اللصوص — كمنحـة اخيرة الى اصدقائهم — بسر الطريقة التي يرتكبون بها جرائمهم. ويخيل اليهم اجرامهم ان لا حرج في هذا ولا وزر وهم يقولون: وهل يحرج الطبيب الذي يوصي لتلميذه بسر دواء ابقاه طي الكتمان طوال حياته؟ وهل يحرج المؤلف الذي يوصي بنشر رسالة مخطوطة من رسائله؟

وهناك الداعرون الخليعون الذين يوصون باعترافاتهم بما ارتكبوا من جرم وما اقترفوا من إثم. وقد يتوهم الواهمون ان دنو الاجل يجعل المرء اقرب الى العقل والحجى. ولكن الامر هو على العكس. فان دنو الاجل — على ما يظهر — يحرم المرء من نعمة الذكاء والفهم، ويجعله عنيداً متعسفاً قصير النظر. وبعض الناس يظن انه وقد حانت منيته فان له السلطة التي لا حد لها — واستغفر الله — في ان يعزّ، بعد موته، من يشاء، وان يذلّ من يشاء.

عن الانجليزية

القاهرة — مبارك ابراهيم

الى مَ يا بلد الاشعاع

●

ندور

الارض دورتها ، ويعقب الليل النهار ، ويبسم فصل ويفترّ آخر ، ويظلم فصل ويتجهم فصل ، والانسانية في مسيرها تجدّ ، تدرس وتستكشف ، تفكر وتعمل ولكن أين؟ في الغرب فقط واما في الشرق فماذا؟ في الشرق تغنّ بامجاد ماضية ، نزويها على ذمة الرواة ، وقد طوتهم الايام ، ومشت عليهم السنون وذكر الامجاد في بطون الصحف ، نتلوها فيستفزنا القول فننشد :

اولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع

فنتغنى وننشىء المقالات ونعظم القصائد ونقف ونخطب فيصفق لنا السامعون وماذا بعد ؟ نسكر من زبيبة ونطرب لطنين ذبابة ، نستجلي صفحة الماضي وننام مطمئنين ساكنين ، نعيش بالاحلام ونقضي الحياة بالآلام ، يستهوينا التصفيق فنتنفخ ونقول : كنّا وكنا ، وماذا بعد ؟

اننا مشينا على الزمن فخضع لنا ، وانقادت لنا الايام ، وكان مغرب الشمس موطىء اقدامنا ، فجمعنا بين المشرق والمغرب وبسمت لنا الاحقاب وافترّ وجه الغابر ، وها نحن بماضينا نفاخر ، مطمئنين الى الراحة ، نغط بسكرة المجد . واما الايام فتطوى والعقل البشري يخترع ويبدع ، ولكن اين ؟

في الغرب وفي الغرب وحده ، واما في الشرق ، فلنا الاحلام لنا الخيال ، لنا الجنان ، نعيش في الماضي مفاخرين ، ونخضع للقوة صاغرين ، ويكفي ان نقول كنا وكنا ، لقد وفينا قسطنا للعلى فلننم على وساد من حرير ، في بلد الاشعاع ، في لبنان بلد الشعر ، بلد الخيال ، بلد الاحلام ، بلد الجمال ، بلد الماء والخضراء ، فمن شواطئه حملت الابجدية ، فكانت مبدأ لابجديات لغات العالم اجمع ،

وماذا بعد ؟ لا شيء ، هذا يكفينا ، فقد ملأنا الارض طولا وعرضاً بالتنايه ، نفاخر ونفاخر بعمل قديم وقديم جداً ، تناسته الايام وحفظته بطون الكتب ، فصحّ فينا :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وما زلنا نحوك القول تلو القول ، وندبج القصيدة تلو القصيدة ، والخطبة يتصل بعضها برقاب البعض ، حتى خمّت الدنيا من هذا الفخر الذي لا كنه الا السنة كثيراً ومجته النفوس ، وصار ترداده مهزأة ، وما كثر ترداده ابتذل ومرّ به مرور الظل على الاديم

فكرت في هذا كله وساءلت نفسي ما كنا نفعل ، واي قصيدة كنا ننظم لو ان مخترع الاتوموبيل والطيارة ومكتشف النفط والبنزين والكهرباء والراديو والرادار والطاقة الذرية والهدروجينية كان لبنانياً او شرقياً ، ترى ، أكانت تسعنا الارض ، او تكفينا صحف العالم لنكتب عليها ما نكتب . ولكن نحمد الله الذي لم يكن منا فرادي ولا اديسون ولا ماركوني ولا مدام كوري وباسكال ، ولا ولا . . . لاننا كنا ملأنا الارض فخراً وتبجحاً .

والآن يا بلد الاشعاع ، متى تطوي صفحة الاقوال الفارغة ؟ وتقلد الغرب الذي يرينا في كل يوم جديداً ، ونحن نغطّ باحلامنا ونستيقظ على قصيدة او خطبة ، والغرب يحلم فيستيقظ عن عجيبة محسوسة ، يقذف بها العالم ، فيتلقاها بالدهشة والذهول .

فالى مَ يا بلد الاشعاع تغطّ باحلامك ومتى تستيقظ ، لتعمل من الارض والماء والهواء ، قصائد وخطباً محسوسة ملموسة؟

متى يا بلد الاشعاع ومعلم العالم ترحم النشء ؟ فلا تعوّده الاحلام ، والسكر من زبيبة والاطراب من طنين ذبابة ، ومتى توجهه توجيهاً علمياً صحيحاً ، يكون من ورائه المستكشف والمخترع والمبدع ؟

لقد ملأنا الدنيا اقوالا سمعها الغرب فابتسم ، ونفحنا بقصائد وخطب هي هذه المخترعات التي نراها بأم العين . ونلمسها لمس اليد . فاصبح معها البعيد قريباً .

ألا يا بلد الاشعاع ! متى تطوي صفحة الماضي وتعمل للمجد الآتي . وتترك الاحفاد ما يتغنون به؟ وقد ختمنا نصف قرن بخطب وقصائد فليكن النصف الآتي مخترعات واكتشافات ، وان صعب علينا هذا فليكن توجيهاً اليه .

ولقد آن لنا ان نلتفت قليلاً عن روائع امرىء القيس بعنيزة واضرابها ، والاخطل وجريره ، وبشار وشبقه ، وبشير ومطامعه ، ونستنطق الارض والماء والهواء ففيها القصائد المرقصة ، المحيية وفيها الاعتزاز بالفعل لا بالقول

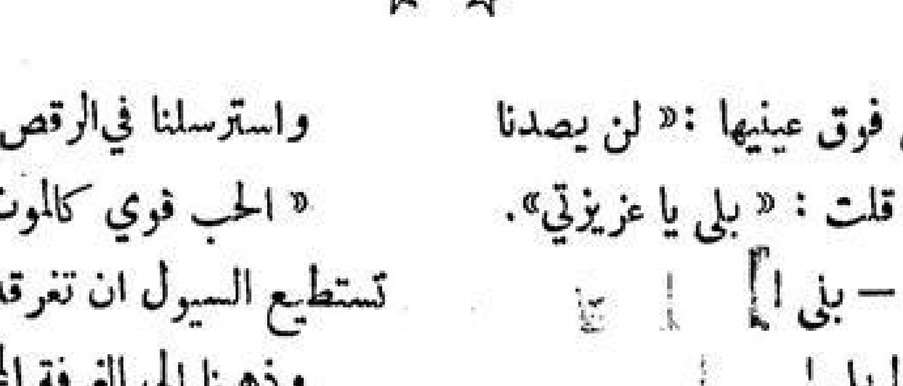
ولقد حان لهذا الشرق ان يفهم ان الزبيبة لا تسكر وطنين الذبابة لا يطرب .

فدع الامويين ومطامعهم والعباسيين وجواريهم . فبلد الوحي ، بلد الاشعاع ، بلد الفكر ، بحاجة الى ان يكون بلد الحديد ، بلد الذرة ، بلد الهيدروجين ، بلد المعامل ، بلد المختبرات العلمية ، لا بلد الخضرة والماء والشكل والحسن ، فالخيال يُميت والمادة تحيي ، ونحن لا نحسّ غير المادة ولا نشعر الا بها فلِمَ الخيال والى مَ التبجح والفخر بمن مضى ونحن كما نحن ؟

عيسى مخائيل سابا

السيول والعنقاء

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج



أحد الاسباب التي كانت تزيد من حبي « لشيلا »، أيام كنا في كمبرج ، هو أنها كانت في الرقص أمهر فتاة عرفتها في حياتي. فقد كانت فيها خفة وانطلاق اذا ما راقصتها كخفة الريح وانطلاقها . وكنا في ايام غرامنا الاولى قد اكثرنا من الرقص الى حد الاسراف، ولكنه اسراف لا ينتهي الا الى اللذة، كالاسراف في العلم : وذلك اننا كنا نبتدع الخطوات ونضبط دقائقها ، وقد أدركنا ان حركات الاعضاء انما هي لغة اخرى نعبّر فيها عن خلجات النفس. وكان هذا ابداً دأبنا : نحن لن يكفينا الشعر وصفاً لهوانا ، ولا النثر الذي ملكنا ناصيته في رسائلنا الكثيرة ، لا ولا الموسيقى التي كنا نصغي اليها بكثرة !

– لا بد من الرقص ايضاً وصفاً جديداً ، وصفاً ينطلق الجسمان به في جو مملوء بالاحاسيس والنشوات ، كأنه جو صوفي يشعر المرء فيه بالاتصال بالقوى السماوية. . .

فاذا ما اشتدت الموسيقى في صدحها وتفننت في ايقاعها ، جعلنا – ونحن بين مئات الراقصين – ندور وندور كأننا زوبعة دوامة لن يوقفها شيء عن دورانها، ثم نبطيء بالدوران، ونجدنا رويداً رويداً قد انطلقت ارجلنا في خطوات متسعة ترسم بظلالها على ارض القاعة زخارف عجيبة .

قالت شيلا، وبعض شعرها الطويل فوق عينيها : « لن يصدنا شيء عن الرقص معاً – أليس كذلك ؟» قلت : « بلى يا عزيزتي».

– لا الاقارب ولا غير الاقارب ؟ – بلى !

– لا الارض ولا السماء ؟ – بلى ! بلى !

ومضت عيناها ذلك الوميض الذي ينم عن تصميمها الذي لا يتزعزع ، وقالت : « ولن تعير تلك الشقراء اي اهتمام ؟».

فقلت متجاهلاً : « اي شقراء يا عزيزتي ؟»:

– تلك الشقراء التي هي الآن ورائي ، ذات الاظافر الحمراء.

وكانت تلك الفتاة في الواقع تعرفني معرفة قليلة ، فهي تعمل في احدى المكاتب الكبيرة حيث كنت ابتاع اكثر كتبي. قلت : « لا انكر يا شيلا انها تزجي الي نظرات غريبة ».

– نظرات غريبة! من امرأة؟ ليست تلك الا نظرات الشهوة. . نحن النساء نفهم مثل هذه النظرات اكثر منكم معشر الرجال .

قلت ضاحكاً . « اذن فلتذهب الى الجحيم ! ».

– وبئس المصير ! ولن تنظر اليها ثانية : ولا الى اي امرأة اخرى ! انت لي . فاهم ؟ – يا للانانية يا حبيبتي !

– في كل شيء اوثر الناس جميعهم على نفسي الا – فيك ! فأنا فيك اشد الناس انانية. جميل ! – أجل يا شيلا ؟ – اتظن ان احداً عشق مثلنا ؟ – لا لست اظن احداً يستطيع مثل كل هذا العشق.

اتعرفين خبر «ابيلارد وهلويز»؟ – نعم ، نعم. فقد اعتدى عم هلويز على خليلها ابيلارد بصحبة احد المجرمين، وقضى على رجولته.

– ولكن هلويز لم تردد الا تعلقاً به .

– ولبست مسوح الراهبات حزناً عليه ، وكتبت اليه اجمل الرسائل الغرامية في الدنيا . . ولما مات بقيت وفية له اكثر من ثلاثين سنة . . ثلاثين سنة يا جميل ! ولما ماتت هي ايضاً . – دفنوها في قبره.

– اتظنين سنخلص في حبنا مثلهما؟

ولم تتردد شيلا في جوابها الحازم : « بل واكثر ، اكثر ! ».

فضحكت وقلت : « ارجو ان يكون نصيبنا خيراً من نصيبهما»

واسترسلنا في الرقص الصاخب، واستشهدت شيلا بقول سليمان : « الحب قوي كالموت . المياه الدافقة لا تطفيء الحب ، ولا تستطيع السيول ان تغرقه » . .

وذهبنا الى الغرفة المحاذية لقاعة الرقص حيث المرطبات، واذا صديقي الهندي ، الكومار كمل داس ، مع صديقته مورين . وما ان وقعت عيناه علينا حتى دعانا الى مائدته .

وكنت اعرف مورين فحييتها ، وقام كمل بتعريف شيلا بصديقته ، ثم قال : « متى جئت يا شيلا ؟». – منذ حوالي اسبوع.

– ولم تزوراني طوال اسبوع بكامله ؟ متى كنت هنا آخر مرة ؟

– منذ اكثر من ثلاثة اشهر. أنسيت العشاء اللذيذ الذي دعوتنا اليه ؟

فضحك وقال: «كدت أنسى اشياء كثيرة منذ ان عرفت مورين»

فضحكنا وقالت له مورين: « أرجو عفوك يا عزيزي اذا كان لي هذا الاثر السيء عليك ».

فسألني: « ما رأيك يا جميل؟ أأعفو عن هذه المخلوقة ؟ »

كان كَمل اميراً هندياً، ولقب « كومار » الذي يسبق اسمه يعني ذلك. غير أنه، ككثير من ابناء طبقته الهنود، كان يخفي ذلك عن اكثر معارفه، كما انه باعتناقه المبادىء الاشتراكية في السياسة (وكان له ولع عجيب بها) كان يدعو الى الديموقراطية والتساوي المطلق: كانت له عينان دعجاوان، ووجه متناسق التقاطيع خفيف السمرة، ترتسم عليه ابتسامة سمحة تنم عن حبه المكنون للحياة والناس. اما مورين، فكان قد وقع في هواها قبل عدة اسابيع. وكنت في اول الامر اشك في نواياها اذ تبدي له الود، غير انني ادركت فيما بعد انها كانت تبادله الحب. بيد انني لن انسى يوم جاءت الى غرفتي ذات مرة لتروّح عن نفسها بالبكاء، لان كمل كان قد اهانها في لحظة من لحظات الغيرة. وكان من قبيل الصدفة ان جاء في تلك الآونة هو ايضاً، فلما رآها عندي امتقع لونه... الى ان اوضحت له في شيء من الصعوبة السبب في وجود مورين بين جدران غرفتي. ثم تسامحا وتعانقا، فسررت لذلك وقلت: « انكما الآن تستحقان شيئاً من الشاي. »

تذكرت ذلك، فالتفتّ الى شيلا وقلت ضاحكاً:

« لم يقع كمل في احابيل فينوس الا حديثاً... »

فقال: « ويا لها من احابيل! ولكننا نتمتع في عذابنا، أليس كذلك يا مورين ؟ » فاحمرّ وجه الفتاة المسكينة وقالت: « قل ما يحلو لك. لن اعلّق على ما تقول بشيء! »

وفيما نحن كذلك، سمعنا صوتاً لم نكن لنخطئه قط — صوت جون بيترز يقول: « يا لعصر الانحطاط هذا! انظري كيف يتهافتون على المسكرات، رجالا ونساء! »

فاذا هو يخاطب صديقته «جين» على بعد قليل منا. فلما دعوتها الينا تقدم نحونا في شيء من الثمالة، وقال: « انظروا كيف يتهافتون على الخمر، ثم يجلسون لمطارحة الغرام وبحث المشاكل الفلسفية معاً. واكثرهم يفضلون الفلسفة على الغرام. يا للانحطاط! »

وفي تلك اللحظة انفجرت «الجاز باند» بلحن عنيف الايقاع فأخذ جون بيد رفيقته وقال: « سأراكم فيما بعد »، واندفع الى قاعة الرقص. وحذوت انا وشيلا حذوه، ورقصنا بحماس شهي، حتى اخذ عرقي يتصبب على وجهي، وشيلا تضحك مني لأنها لا تعرق مثلي. وسألتني شيلا: « من مورين هذه ؟ »

فأخبرتها بأمرها مع كمل، فقالت: « مسكينة! »

قلت: « اجل، مسكينة ومسكين كمل ايضاً. فالهندي في انكلترا، مهما كان ثرياً، اشقى مخلوقات الله، والويل له اذا أحب »

— والويل للفتاة التي تحبه. فسوف يقاطعها كل من يعرفها.

— انني كثيراً ما ارى في حب كمل ومورين رمزاً لضرب من ضروب الحب، هو اكثرها بؤساً واملؤها شقاء. هذا الحب بين جنسين من الناس مختلفين كل الاختلاف. — ولكن حباً كهذا يختلف عن حب انكليزية لايطالي او عربي مثلاً.

فأدركت ما ترمي اليه من ان سمرة الهنود الشديدة هي العائق في هذا الحب، غير انني قلت: « بل حبنا ايضاً ليس بالامر الهين. »

فغضبت لذلك وقالت: «هراء! ان اكثر صديقاتي يحسدنني عليك « وانا افاخرهن بك واتمنى لو ارى عيونهم تُفقأ حسداً... ولكنه تعصب احمق تأصل في اكثر الناس، اذ يظنون ان الشرقي من غير طينة الاوروبي، وانا لن اوازي عشرة اوروبيين بظفرك. »

فدرت بها حين قالت ذلك دوراناً سريعاً لبضع لحظات، ثم عدنا الى البطء في الحركة وقلت: « ولكن ذوي وأهلي لا يعتقدون ان فتاة تحت الشمس تصلح لان تكون زوجة لي، الا اذا كانت من بنات جنسي». فقالت: « كلنا في التعصب والحماقة سواسية ».

كانت هذه في الواقع المشكلة الكبرى التي علينا ان نحلها. فأنا وشيلا عازمان على الزواج حالما ننهي دراستنا، ولكننا لسنا طليقين من كل قيد فنستطيع ان نفعل ما نشاء. فذوي في بلادي غير راضين عن زواج مثل هذا، تداخلهم في امره شكوك متباينة ففي رسائلهم الي اراهم يتساءلون: اتستطيع المرأة الانكليزية الحب حقاً ؟ (ولا يخفى ان مقاييس الحب وان تتفق في جوهرها تتباين في بلادنا وبلادهم.) اتستطيع الاخلاص والوفاء ؟ اتعنى بزوجها في المرض وترفو جواربه ؟ او ليست قاصرة بهمها على ملاهيها وزينتها ؟ الى آخر ما هنالك من الاسئلة التي تنم عن شكهم العميق في ان زواجي من شيلا سيكون في صالحي، او صالحهم.

واما من ناحية ذويها فالريبة ليست باقل. فهم يتقولون: من يدري كيف يتصرف الناس هناك ؟ الا يحملون الخناجر على خصورهم، ويخفون الحريم في اعماق بيوتهم؟ وكيف تسعدين وليس حولك من ينطق بلسانك الا زوجك ؟ ليس الزواج ان تقيم المرأة مع زوجها فقط، بل ان يقيم كلاهما في وسط ملائم لهما... الخ الخ.

اما نحن فكنا واثقين من ان هذه المخاوف ليست الا اوهاماً

يختلقها ما في الجماعتين من محافظة وكره لما هو اجنبي عنهما. فكلنا — كما قالت شيلا — في التعصب والحماقة سواسية . واني للاهل ان يدركوا حدة النيران المندلعة في صدرينا ، واللذة الجارفة التي تجتاحنا كلما كنا معاً ؟ وهل يأبهون للمشاعر الفتية التي جعلت تتزعزع في نفسينا ، حين أخذنا نرى ما في الحياة من روعة ، وما في الطبيعة من سحر ، بل قد خيل الينا ان كلا المجتمعين لو استطاع لمنع عنا تلك المشاعر ، ولاغلق عيوننا قسراً عن تلك الروعة وذلك السحر.

وعندما عدنا الى المقصف كان جون بيترز كدأبه يتدفق حماسة وهو يتحدث الى كمل ومورين . وسمعته يقول :

« هؤلاء الراقصون ، الذين تراهم يتصببون عرقاً وعاطفة ، في استطاعتهم ان ينقلبوا في طرفة عين الى وحوش ضارية . الناس اذا تكتلوا في مكان واحد ينحدرون من انسانيتهم نحو الحيوانية».

فسألته : « هل اكتشفت نظرية جديدة عن الفرق بين الفرد والجمهور ؟ »

فأجاب : « كلا : انما انا اطبّق النظرية القديمة كل يوم تطبيقاً جديداً. لقد توصلت الى حقيقة لا مفر منها : المجتمع اقبح ما خلق الله على الارض ! »

فقالت مورين : « اتقول ذلك ، وانت لا تستطيع ان تحيا ساعة واحدة بعيداً عن الحفلات والمجتمعات ؟ »

فقال : « أنا يا عزيزتي ضحية اهوائي . انني اعشق ما اكره . لقد كُتب عليّ ان اجد لذة حين اتمرغ في الاوحال التي ازدريها . . . »

فضحك كل وقال : « انه من حسن حظك ان لم تسمعك جين»

فقال جون على الفور : «او تظن انني كنت اتعلق بها لو لم اكن اشتهي ان ادق عنقها بيدي ؟ » ثم سدد نظرة سكرى الى شيلا وقال مداعباً : «ارجو يا شيلا انك لا تتعلقين بجميل لانك تكرهينه؟»

فأجابت : « اوه . . اني اكرهه . . . ولكن كيف اتخلص منه؟»

فضحكت قائلاً : « ولو تخلصت مني ، لما تخلصت من طيفي الذي يلاحقها. اسمعوا : ما رأيكم في الهرب من هؤلاء الوحوش الضارية الى غرفتي؟» فسألني جون : «اذا كان عندك شيء من الخمر . . . »

فقلت وقد قاموا تلبية لدعوتي : « لست اظننا سنموت عطشاً»

***

ولما تم لنا الجلوس في غرفتي كان جون — وقد ازداد انطلاق لسانه — ما زال يتحدث عن المجتمع.

قال : « طبعاً من الخطأ ان نطلق كلمة « مجتمع » على جمهور من الراقصين . فاكثرهم رعاع ، لا يعرفون من الحياة الا بضع غرائز . ماذا تظن يريد الواحد — او الواحدة — منهم سوى مضاجعة زميله لو تيسر له ذلك؟ طبعاً لن يقرّ الرعاع بذلك . ولكن بارك الله فيهم ! انهم ملح الارض . انهم يحافظون على نقاوة غرائزهم ، ولا يشوهونها بالفلسفات والمسائل الذهنية . وهكذا يحافظون على بقاء الانسانية. الانسانية ؟ يا للكلمة الخرقاء ! شيلا ، بربك لا تتهميني بعينيك الجميلتين ! » فضحكت شيلا قائلة : « ولكنك يا جون تناقض نفسك . انك تمدح وتذم في آن معاً . »

فرفع يديه الجميلتين مستدركاً وقال : « اني امدح الرعاع حين اقيسهم بما سميناه بالمجتمع . المجتمع يا عزيزتي بما فيه من آباء وامهات واجداد وجدات ، واعمام وعمات . . المجتمع المبني على تقاليد وكذبها الخرافات . . المجتمع بما فيه من قوانين غير مدونة ، المبني على التكتل ضد الفرد المسكين . . المجتمع بما فيه من بوليس وقضاة ومحامين . . هذا البناء المتراكم بعض على بعضه ، والواقف في وجهي ووجهك ووجه جميل و كمل ومورين كأنه يقول : انطح برأسك جدراني اذا شئت ، لن تحطم الا رأسك ! هات يا جميل ما عندك من كونياك ».

وناولته كأساً ، كما ناولت الآخرين كؤوسهم ، والكومار كمل يقول : «أأنت ابن الجزائر البريطانية تقول هذا؟ فماذا اذن اقول انا عن مجتمع آخر ، تحجرت فيه العادات ، ونخرت في عرق حياته الخرافات؟ ان مجتمعكم ما زال فتياً اذا قيس بالمجتمع الذي ولدت انا فيه : وما زال في حياتكم متسع كثير للنمو والتغيير ، لان فيها مرونة الشباب ولكن من اين لنا نحن هذه المرونة ، وحضارتنا تقادم العهد بها حتى بلغت من العمر ارذله ؟ اننا في بلادي في شيخوخة مريعة ».

فقلت متحمساً . « هون عليك يا كمل ، ولا تيأس . ان مجدكم القديم سيوحي اليكم بحياة جديدة . ففكرة البعث من الموت فكرة شرقية قديمة ، لانها من صميم الشرق : انه يموت فيحيا ثانية وحياته الجديدة اروع من حياته السابقة دائماً ».

فانبرى جون الى القول بصوته الجميل : « آه ، العنقاء ! ذلك الطير الذي خلقه خيال العرب . . يشيخ ثم يحرق نفسه ، واذا به ينتفض من رماده ويبعث فتياً قوياً ، ويحلق به جناحاه نحو الشمس ، ولكن طريقة اعادة الشباب في هذا العصر اقل جمالا بكثير : لا يحرق الشيخ نفسه ، بل يركب لنفسه غدد القرود على طريقة فورونوف ، فيبقى شكله على ما كان من غضون وترهل ووهن ، ولا يتنشط الا باعضائه التناسلية . هاها » !

فقال كمل :« واخشى الا يعود الشباب الى الشرق الا على طريقة غدد القرود — هذا اذا اتيح له ما يكفيه منها ! ولكن صاحبنا جميل لن يؤمن الا بالعنقاء . اما انا فلا اومن الا بما قاله شبنغلر : ليس لامة من الشباب الا فترة واحدة ولا بد لكل امة من الشيخوخة بعدها . واذا شاخت ؛ فلن يكون لسان حالها الا كما يقول ، الشاعر العربي : « الا ليت الشبـاب يعود يوماً . . ولكنه لن يعود ، يا جميل ، لن يعود — الا اذا وقعت معجزة من ربك ، وعصر المعجزات قد زال » .

فقالت شيلا ، وكأنها تدافع عني :« ان شبـاب الامم في افرادها . فالناس بجموعهم قد يشيخون ، ولكن هناك افراداً في استطاعتهم ان يلهبوا الصدور بالحياة ، ويقضوا على موت الشيخوخة . حينئذ تظهر الامة بمظهر جديد ولربما ظهرت باسم جديد ايضاً ».

فاجاب كمل :« ولكن الماضي يا شيلا — الماضي يأبى ان يموت . ولن تنبثق الحياة الجديدة الا اذا نسي الناس الماضي بمجده واكاذيبه : وما دام مجد الماضي ماثلاً فليس لقوة ان تقضي على تلك الشيخوخة القبيحة . لشد ما احسد البريطانيين ، الذين كلما ذكروا الماضي ، لم تذهب انفسهم حسرات ، لانهم يرون الماضي في اسفل السلم ، ويرون انفسهم في اعلاه . اما نحن يا شيلا . . فكلما نظرنا الى الماضي رأيناه في اعلى السلم ، ورأينا انفسنا في اسفله ».

فقال جون : « اتحسد البريطانيين وهم في اعلى السلم ؟ اليس معنى ذلك انهم على وشك الانحدار ؟ اما انا فأقول : ليتني كنت بدائياً لا ماضي له . . ليتني كنت في عصر الغزوات الجرمانية ، او على الاكثر في القرون الوسطى : تلك كانت حياة الفرد وغرائزه الطليقة . هل من حياة في الشرق اجمل من حياة البدوي بنقاوة فطرته ؟ لنذهب جميعاً الى البادية ، ولنبدأ الحياة من جديد »!

فضحكت ملء شدقي وقلت :« روسو آخر ! لنعد الى احضان الطبيعة ! لنعد الى شمس البادية . . اما انا فأقول : لنوسع المدن ».

فأوقفتني مورين عن الكلام قائلة :« لحظة يا جميل ! » وارهفت السمع . ولكن لم تكن ثمة حاجة الى ارهاف السمع ، فقد انطلقت صفارات الانذار في جو الليل ، تولول بصراخ رهيب ، وان هي الا لحظات حتى كانت المدافع المضادة ترسل بقذائفها الى الاجواء الرحاب ، وهمهمة الطائرات الالمانية تسمع كالنذير بالويل .

فقالت مورين بعد صمتها الطويل : « اجل يا جميل ، لنوسع المدن لكي تحطمها القنابل . . . »

فنهض جون على قدميه وقال : « سنعود الى البادية شئنا ام لم نشأ . ستحطم القنابل المدن ، وتدكها دكا ، وتتركها قاعاً صفصفا ، هنا تصدق خرافتكم العنقاوية يا جميل — او لعلها تصدق . »

واذا بانفجار يدوي هبطت له قلوبنا ، وبدا الفزع على وجوهنا جميعاً . فاستأنف جون كلامه :« هذه العنقاء تحرق نفسها . . وداعاً . علي ّ ان اكون في الدار في حالة الغارات ؛ فالواجب يدعوني كما تعلمون . العنقاء تحرق نفسها — هاها ! واذا ما مزقت جسمي الشظايا ، انطلقت من اشلائي روح جديدة في جسم فتي ّ جديد . . . » ودوى انفجار آخر . « ويحلق الجناحان بها نحو الشمس . . . يا لحماقة البشر . . . » وخرج .

اما انا ففي الحال تلفت نحو شيلا ، وامسكت بيدها . فنظرت الي ّ بعينيها الواسعتين نظرة اختلط فيها الحب واليأس والشجاعة — غير ان الخيالات القديمة عاودتني ، فرأيتها مرة اخرى تراكض ظبية في حقل مزدهر قرب النهر ، واذا جماعة من الفرسان يهاجمونها ، ولعلهم يضربونها بالسياط ، ثم يحملونها على فرس وقد تدلى رأسها ، وشعرها الذهبي مسترسل في الفضاء . . . وتوالت حينئذ انفجارات قريبة وبعيدة ، فتمتمتُ :

« شيلا ، لا تخافي . لن تقوى كل طائرات الالمان على تحطيمنا ! »

فقالت مبتسمة : « اني لا اخاف . ولكنني اكره هذه الغارات التي لا تنتهي . » وقالت مورين : « لقد تهدمت البلدة التي اتيت منها ، حتى ما عدنا نعرف اين كانت الشوارع واين كانت البيوت . »

وارسلت المدافع المضادة حممها الى الاعالي مدوية ، وقال كمل :

« يخيل الي ّ ان هذه الغارات الجوية اشبه بالقوى المدمرة التي تهاجم الانسان من حيث لا يريد . فالانسان مهما فعل ، ومهما كان صالحاً لا بد ان تفاجئه قوى معادية تبغي القضاء عليه — مادياً او روحياً » ثم ضحك واردف :« ولكنك لن تسمح لقوى الشر ان تقضي عليك يا جميل ، أليس كذلك ؟ » قلت :« من يدري ؟ غير انني اشعر بأن ليست هناك قوة على الارض تستطيع ان تدمر ني روحياً . ففي روحي عناد الجبابرة » ولما قلت ذلك احسست بقوة فجائية من الحماس ، غير انها لم تدم طويلاً حين ارسلت بصري حولي في الغرفة ، ورأيتنا اربعة جالسين لا نستطيع رد شظية صغيرة لو ارادت ان تستقر في احشاء احد منا . فسخرت من نفسي صامتاً ، ولا اعرف ما جال في انفس جلسائي من خواطر .

لم يقل احد منا شيئاً يذكر . وبعد قليل بطلت الانفجارات ، وتنفسنا الصعداء حين انطلقت الصفارات معلنة مغادرة الطائرات المعادية

بعد حوالي سنة بلغنا نعي جون بيترز : فقد قتل في طائرة اثناء غاره جوية على احدى المدن الالمانية .

بغداد

جبرا ابراهيم جبرا

من روائع الفن

قصر العدل في بروكسل

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

صفحة من ذكريات اوروبة تهدى للصديق الدكتور مصطفى البارودي

لكل عاصمة من العواصم في العالم ما يجعلها في اعين ابنائها، او ما يدعو ابناء الدولة للافتخار بها ، واذا ا ضممت شيئاً من ذكريات الامجاد الوطنية رأيت قلوبهم قد تعلقت بها فقدسوها واعتزوا بها ، وقد يشاركهم في عواطفهم نحو عاصمتهم ابناء دول اخرى وقوميات مختلفة ، وقد يتفق الناس في نظراتهم الى بعض العواصم ، مهما اختلفوا ، كما اجمعوا على روعة باريس ، وجلال روما ، وعظمة لندن، وجمال بروكسل .

وبروكسل هذه هي عاصمة بلجيكا ويلقبها الناس والاوربيون منهم بصورة خاصة ، « بباريس الصغرى » لانها تكاد تشبهها في كثير من نواحي جمالها واناقتها ، وليس هذا الشبه ميزتها الوحيدة، وان كان من اسباب شهرتها ، اذ فيها من روائع الفن والجمال ما هي منفردة به ، فهذا قصرها العدلي يستقبل الناس قبل ان يصلوا اليها ويرشدهم الى عظمتها قبل ان يروها ، انه مفخرتها التي يتيه بها كل بلجيكي ، ويعتز بها كل قاض ومحام ، ويعجب بها كل انسان يعرف للجلال قيمته وللفن روعته .

لقد زرت قصر العدل في بروكسل ، واطلعت على جوانب كثيرة من عظمته ، ثم سجلت زيارتي هذه الى جانب اخوات لها ، وعلى صفحات « الاديب » سيجد القراء بعض ما سجلت ولعلي مستطيع حمل بعضهم على متابعتي ، فيتحققون بانفسهم صدق ما قدمت ثم لعلهم يشاركونني بعض الاعجاب والمتعة .

ولا بد قبل كل شيء من الاتيان على بعض المعلومات المجملة اذ لا غنى للزائر عنها ، ان احب ان تكون زيارته شبه كاملة، ولن استطيع القول بكمالها .

معلومات عامة

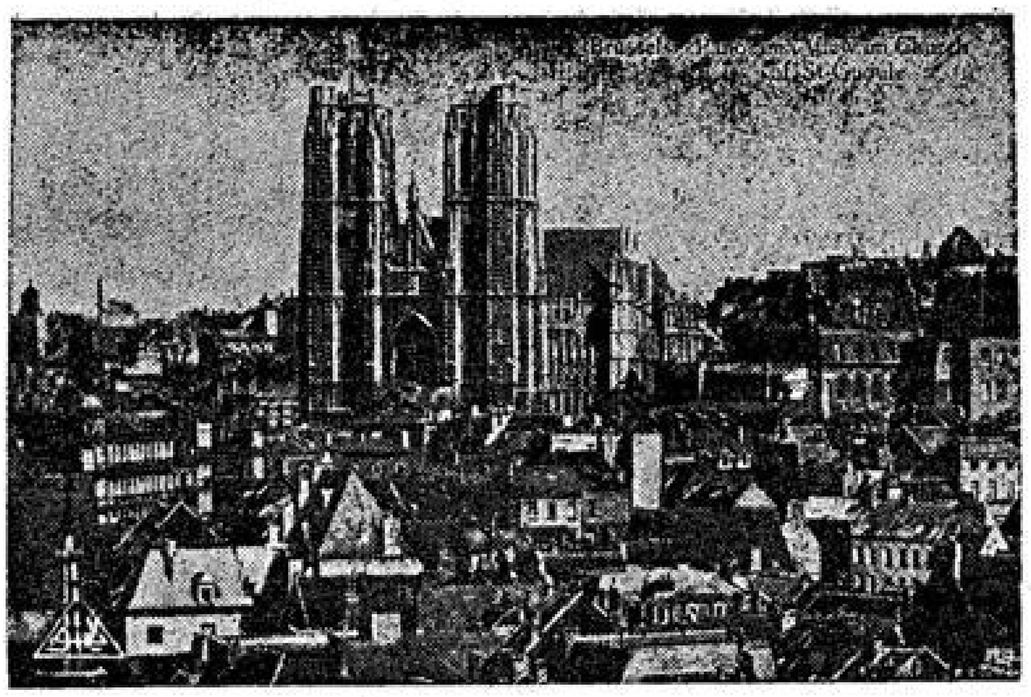
يعتبر قصر العدل في بروكسل افخم قصور العدل في العالم ، على كثرة الفخم منها ، وهو من روائع الفن المعماري في القرن التاسع عشر ، ومن اشهر ما اقيم خلاله في اوروبة من مبان وعمارات . ولقد بلغت نفقات بنائه خمسة واربعين مليوناً من الفرنكات البلجيكية وكان انشاؤه قد تقرر سنة ١٨٦٢ ايام حكم الملك ليوبولد الاول ، ولكن البدء فيه لم يجر قبل سنة ١٨٦٦ بعد ان كان الملك ليوبولد الثاني قد تولى العرش البلجيكي ، ولم يدشن بناؤه الا سنة ١٨٨٣ اي بعد سبعة عشر عاماً من البدء فيه .

لقد انشيء القصر على رابية تتوسط بروكسل تقريباً ، وهو يكاد يكون مربع الشكل ، اذ يبلغ ضلعه الطويل ١٦٠ متراً والآخر ١٥٠ متراً ، يضاف الى ذلك اجنحة بارزة ، وقد بلغ بروز جناحي الواجهة الرئيسية ٢٥ مترا ، كما بلغت مساحة ارض القصر ٢٦٠٠٠ متر مربع بما في ذلك مساحة ثماني مساحات بلغت ٦٠٠٠ متر مربع .

ويحوي القصر ٥١٦ محلاً ، منها ٣٨ قاعة للمحاكمات ، و ١٥ مستودعاً للوثائق ، وثماني مكتبات ، و ٨٠ ديواناً ، و٦٦ غرفة منفردة ، وقد ناف المعدل الوسطي لرواد القصر على ٥٠٠٠ شخص يومياً .

ولقد استنفد بناء القصر ٣٦٠٠٠٠ متر مكعب من مواد البناء وهذه الكمية الهائلة تكفي لاقامة سور ارتفاعه ثلاثة امتار يمتد من دمشق حتى بيروت ، ويحتاج نقلها الى اكثر من ٦٥٠٠٠ عربة ، حمولة الواحدة عشرة اطنان .

وبلغت كمية الحجر المنحوت التي انفقت في البناء ٦٠٠٠ متر مكعب وهي كمية تكفي لبناء برج مربع اصم ، ضلعه عشرون متراً وارتفاعه ١٥٠ متراً . ومن اجل الصعود الى قبة القصر الشاهقة، والتنقل بين طبقاته العديدة يوجد ٩٤ سلماً حجرياً مجموع درجاتها



من مناظر بروكسل وقد ظهرت كنيسة سانت كودول الفخمة

٤٣٢٠ درجة ، الى جانب ٤١ سلماً خشبياً لها ٦٣٠ درجة ، و٢٩ سلماً حديدياً لها ٩٩١ درجة،ومجموع هذه الدرجات فيا لواتصلت ببعضها لبلغت بصاعدها الف متر علواً .

وفي القصر عدة مصاعد كهربائية ويبلغ عدد المصابيح التي فيه ٤٦٠٠ مصباح كهربائي . وهو يدفأ تدفئة مركزية تستهلك في ايام الشتاء ستة اطنان من الفحم يومياً .

ويقوم على العناية بالقصر من الناحية العمرانية رتل من الموظفين الفنيين يبلغ ٧٥ شخصاً منهم الحراس والخدم وعمال الكهرباء والنجارة والحدادة والبناء والتدفئة والاطفاء ، وكلهم يعمل تحت اشراف رئيس اعلى يدعى « محافظ العدل » وهو مهندس من كبار موظفي وزارة الاشغال العامة وله دائرة في القصر فخمة الاثاث وعنده ديوان ومساعدون .

هذه هي معلومات موجزة تعطي القارىء فكرة عامة عن عظمة التصميم ، وضخامة البناء وروعة المنظر ، اما زيارة القصر فتحتاج الى وقت طويل وقد لا تكتمل زيارته ولو تعددت ، اذ سعة الوقت من عناصر الزيارة الكاملة لا كل عناصرها ،ومن سكن بروكسل شهراً اوسنوات يعرف هذا ويقره ، واكثر رواد القصر يكتفون بزيارة اقسامه الرئيسية كقاعة القبة ، وصالات محاكم الجنايات والاستئناف والتمييز ، واني سأصف زيارتي لهذه الاقسام وسأقف لحظات في بعض الاروقة والممرات ، متمتعاً بما فيها من جمال وجلال ، وبما فيها من ترف في اروع مظاهره الحديثة .

رواق المدخل الرئيسي

لنقف لحظة قبل الباب الرئيسي لنمعن في عظمة الرواق الذي يضمه ، اذ تبلغ سعته ١٧ر٥ متراً وارتفاعه ٣٩ متراً ، وهو يستند على رواقين جانبيين كبيرين يتجاوز طول كل منهما ٣٠ متراً ، وقد توج بتمثال لآلهة الحكمة والفن «مينرفا» من صنع المثال « دوكاجو » .

ان فراغ هذا الرواق الشاهق اغا يتسع لعمارة فخمة مؤلفة من ستة طوابق ، فتأمل ! . .

تمثال جوزيف بولرت

ان العقل الرياضي الجبار الذي ابدع القصر ووضع تصميمه واسسه ، ليستحق منا الوقوف برهة قبل ان نلج الباب نتطلع الى التمثال النصفي الذي اقيم على يسار الداخل « لجوزيف بولرت » ! انه من بروكسل نفسها ، وقد توفي فيها سنة ١٧٨٩ عن ٦٣ عاماً ، اذ عاجله الموت فسبقت وفاته تدشين القصر باربع سنوات ولكنه خلد نفسه مع القصر ومع كنيسة « ليكن » وعمود « الكونغرس » اذ كانتا من تصميمه وابداعه .

الباب البرونزي

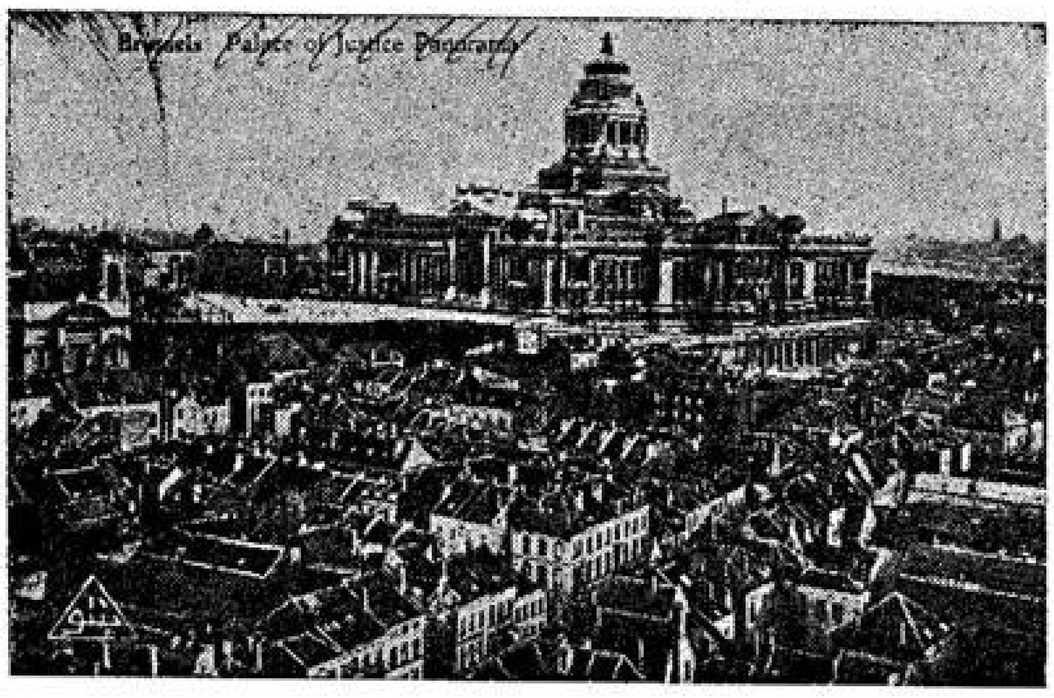
والآن نحن على عتبة باب القصر ، وهو باب من البرونز له شهرة عالمية ، وضع تصميمه المهندس « فان مانسفلد » واتقنت صنعه « شركة البرونز » الشهيرة ، ارتفاعه ١٠ر٣٥ امتار وعرضه ٤ر٣٥ امتار ، ويبلغ وزنه ١٥٠٠٠ كيلوغرام ، وهو أوسع باب من نوعه في اوروبة ، وقد فاق بفخامته حتى باب « البانتيون » في روما ، وابواب « كنيسة المادلين والبانتيون وقصر العدل » في باريس .

لقد بلغ ارتفاع درفتي الباب ٦٠ر٧ امتار ، وعرض الواحدة منهما متران ، ووزنتها ٦٠٠٠ كيلوغرام تقريباً ، ورغم هذا الوزن الهائل فان الباب يفتح ويغلق باكثر سهولة ممكنة التصور .

دوائر القصر العديدة

ها نحن قد اجتزنا الباب البرونزي واصبحنا في الممر الاول حيث يلج المرء الى ممرات اخرى توصله الى الدائرة التي يبغي الوصول اليها ، ولكن كيف تتسنى له معرفة الطريق الموصلة اليها ؟

منظر عام للقصر من ناحية شارع مينيم ويبدو فيه السلم الكبير





قصر العدل في بروكسل من ناحية الباب الرئيسي

فيقف اذن امام هاتين اللوحتين الكبيرتين المضاءتين بالكهرباء والبالغ ارتفاع كل منهما ثلاثة امتار ليقرأ اسم الدائرة التي يقصدها ولينظر كيف يجب ان يتجه نحوها .

ان القصر يضم محكمة التمييز، ومحاكم الاستئناف والجنايات، ومحاكم البداية المؤلفة من ٢٢ دائرة ، ومحاكم التجارة ، ومحاكم العمل ، ومحاكم صلح المناطق القريبة ، ومحاكم المخالفات ، ودوائر التحقيق والطب الشرعي والشرطة العدلية، وفي القصر معهد للعلوم الجنائية ، وفيه ستة مكاتب لتحصيل الرسوم ، كما فيه مركز للبرق والبريد ومكتب للصحافة ومصور الى جانب مصالح كثيرة اخرى .

قاعة القبة

نحن الآن في القاعة الوسطى ، القاعة التي تعلوها قبة القصر الشامخة القائمة على قواعد واعمدة توحي المهابة لضخامتها ، ويبلغ طول هذه القاعة ٤٨ مترا وعرضها ٢٢ متراً ، ومساحة ارضها مع الرواق الموصل اليها تبلغ ٣٦٠٠ متر مربع اما ارتفاع القبة عن ارض القاعة فيبلغ ٩٧٫٥٠ متراً ، ويصعد الى ذروتها عن طريق سلالم عديدة مجموع درجاتها ٥٢٥ درجة ، ويبلغ قطرها ٢٠ متراً، وهي مصفحة من خارجها بقشرة من الرصاص تزن ٦٤٠٠ كيلو غرام . ويقوم على زواياها الاربع العلوية من الناحية الخارجية اربعة تماثيل من البرونز ارتفاع كل منها ٥٫٥٥ امتار وهي ترمز بالتتابع الى القانون والعدالة والقوة والرحمة .

ان هذه القبة الجبارة انما تستند على ٢٤ قاعدة ترتبط معها بواسطة ١٧٢ دعامة يبلغ مجموع ثقلها ٤ ١٠٠٠٠٠ كيلوغرام ، وجملة هذا البناء الضخم يقوم على اركان اربعة احكم بناؤها فجعل اساس كل واحد منها على شكل هرم ارتفاعه ١٥ متراً ومساحة سطح قاعدته ١٠٠ متر مربع .

السلم الكبير

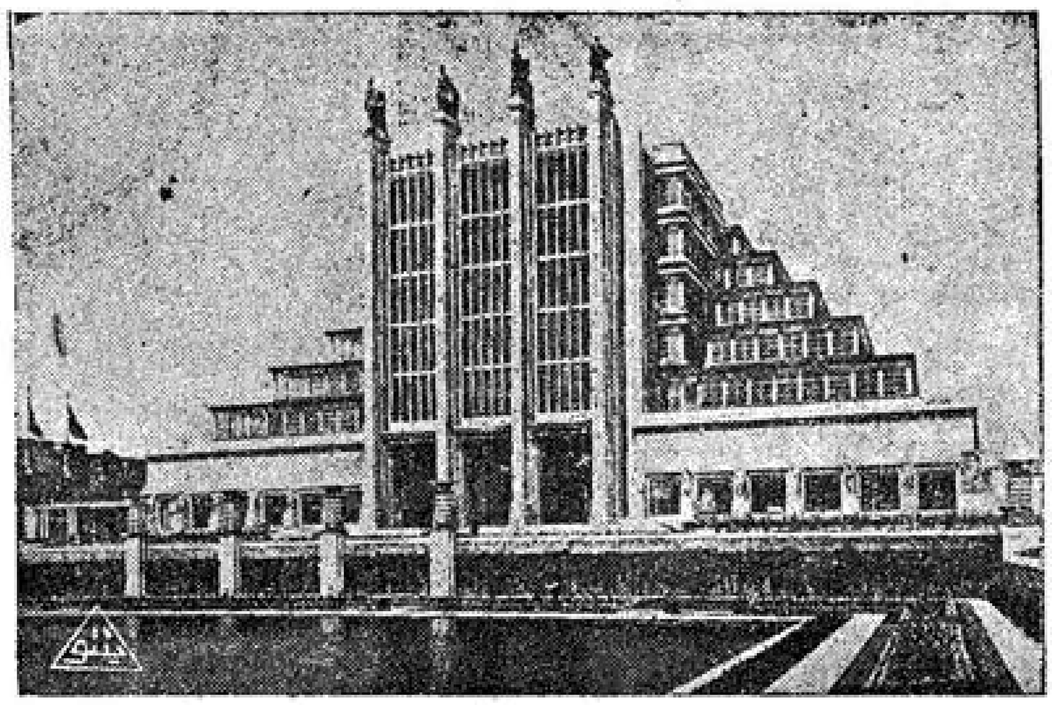
قلت لك ان القصر بني على رابية مرتفعة ، واهم مظاهر موقعه هذا انخفاض مستوى احد الاحياء الملاصقة له انخفاضاً بلغ ٢٠٫٥ متراً بالنسبة للطابق الارضي منه ، وهذا ما حمل مهندسه على ربطه بذلك الحي من ناحية شارع (مينيم) بسلم حجري يعتبر من افخم مظاهر القصر اذ بلغ امتداده الافقي ما يقرب من ٨٠ متراً وبلغت درجاته ١٧١ درجة .

قاعة محكمة الجنايات

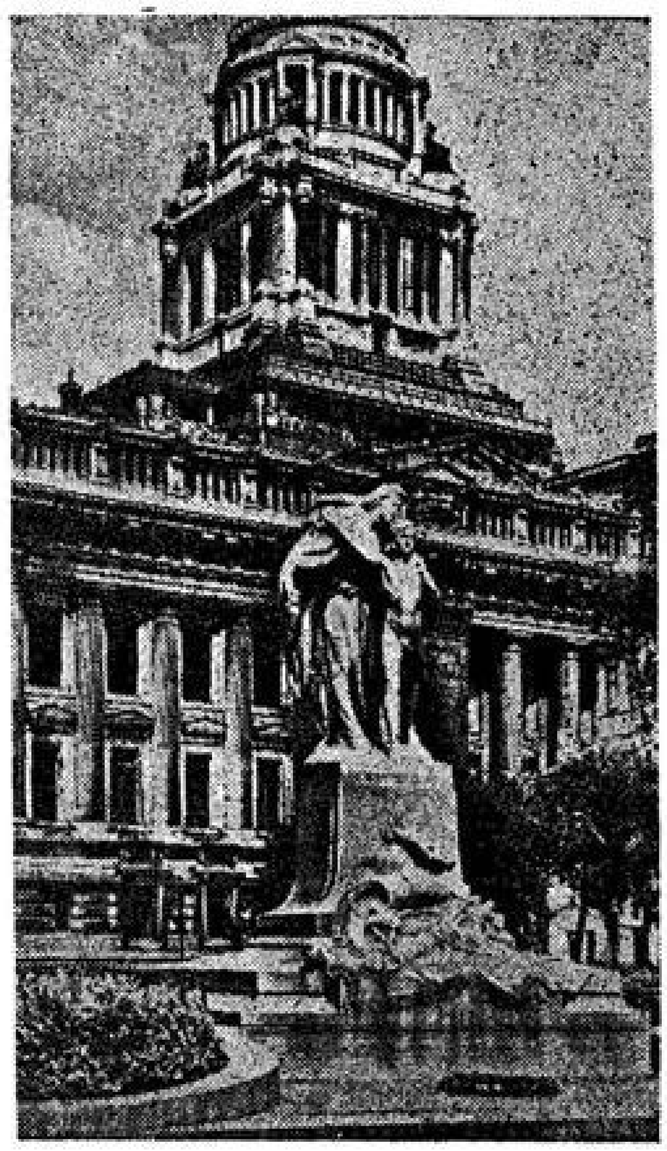
لست ادري كيف اصف لك قاعة محكمة الجنايات وانا لم ار فيها سقفاً ولا ارضاً الا حطاماً تراكم فوق بعضه ، والا جدراناً قد خلعت ثيابها بعد ان كانت مضرب المثل في فخامتها وروعة زخارفها يوم اضفى عليها فن التزيين مهابة وجلالا مرموقين ، وما وصفي لها بعد ان اكلتها النيران الا نقلاً عن محافظ القصر الذي صورها لي وزودني بالرسوم التي تؤيد تصويره .

يبلغ طول القاعة ٢٨ متراً وعرضها ١٢ متراً ، في صدرها رفعت منصة القضاة ، يتوسط قوسها مقعد رئيس المحكمة المنتخب بين كبار مستشاري محكمة الاستئناف ، ويحيط به قاضيان من قدامى قضاة محكمة البداية ، ويجلس النائب العام في اقصى القوس من ناحية اليمين ، بينما يجلس الكاتب الى جهة اليسار ، وتجاه الهيئة الحاكمة اقيم موقف للشهود الى جانب منضدة الادوات الجرمية وادلة الاثبات ، والى يمين ذلك قفص المتهم الى جانب محامي الدفاع تتلوها مقاعد محامي الادعاء الشخصي يقابل هذا من الجانب الايسر مقاعد المحلفين الاثني عشر ، وهم ينتخبون عادة من المواطنين البلجيكيين الذي تجاوزوا الثلاثين ولم يبلغوا السبعين من اعمارهم ، ومقاعدهم تقابل قفص الاتهام وهم يجلسون مع المتهم وجهاً لوجه ويكون اكبرهم سناً بمثابة الرئيس لهم .

البناء الفخم الذي اقيم بمناسبة الذكرى المئوية لاستقلال بلجيكا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من مناظر القصر

ها هي الجدران تنبىء عن الحلة الفاتنة الرائعة التي كانت تكتسيها، فقد كانت من الرخام الاسود المحشى بالكرانيت المصقول والرخام الاخضر المموج الثمين، وكان ارتفاعها عن الارض اربعة امتار، بينما كانت الاقسام التي تحيط بالهيئة الحاكمة مكسوة من غالي الخشب المحفور. اما السقف فقد كان متقن التزيين دقيق الصنع، مجزءاً الى ثمانية عشر جزءاً كأنها صناديق منتظمة فصلت بينها قدد عرضها سبعون سنتيمتراً.

ولريشة الفنان (دلفيل) فضل كبير في اعطاء القاعة ما كان لها من روعة، فقد كانت الجدران تحمل رسوماً له يدل عليها الوصف وما لآثاره الفنية الباقية من شهرة، فالرسم المتوسط كان يرمز الى فكرة « العدالة المثالية » يمثلها ملك مجنح يرتدي الحمرة، وبين اقدامه المجرم القاتل، والى يمينه جثة الضحية عرضت ليقترن الاتهام بالدليل المادي، والى اليسار ولد المجني يبكي اباه الى جانب ولد الجاني نفسه، ومنظرهما يستدر الرحمة لكليهما.

وكانت اللوحات الاربع الجانبية تمثل تطور العدالة في العالم، فلوحته كانت ترمز الى « العصر الآلهي » وفيها يظهر النبي موسى يحمل الالواح وقد بان مكتوباً فيها « لا تقتل ابداً » وقد وطأ بقدميه سواعد رجلين يحاول كل منهما ان يقتل الآخر، كما ظهر ملك قد استل حساماً يهدد به هذين الاخوين اللذين تجاوزا اوامر القانون المكتوب.

ولوحة كانت تمثل عدالة « العصور المظلمة » يوم كان الانتقام غاية العقاب والتعذيب الوحشي سبيله.

ولوحة كانت تمثل « العصر المسيحي » وفيها يظهر السيد المسيح يواسي رهطاً من المساجين المكبلين بالاصفاد، وهي ترمز الى تأثير مبدأ التسامح والعفو على فكرة العدالة.

واخيراً كانت هنالك لوحة ترمز الى « العدالة الحديثة » وقد مهد لها العلم، فاصبحت معه ظروف المجرم تدرس قبل ان يحكم عليه، كما اصبحت العوامل التي تكتنف جريمة ما اموراً تعنى بها العدالة قبل ان تصدر احكامها.

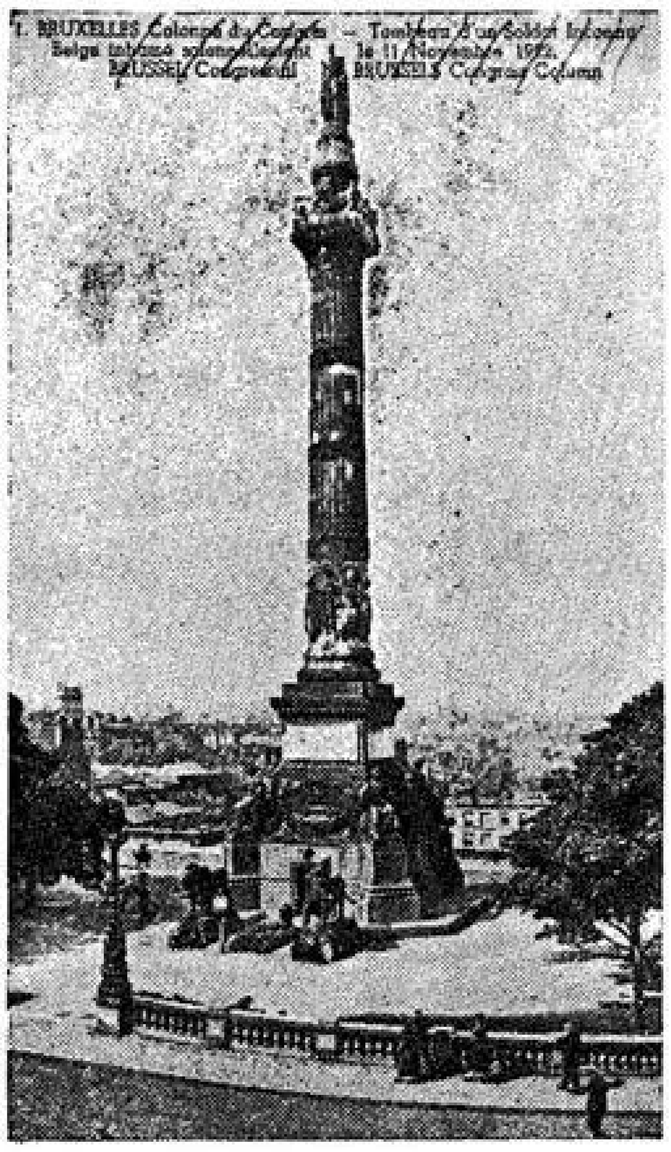
رواق المحامين

اذا ما تركنا قاعة محكمة الجنايات وجدنا الى اليسار سلماً فخماً من المرمر، ان اخذناه قاصدين جناح محكمة الاستئناف، فسنمر على رواق يضم غرفة نقيب المحامين وديوانه، وسنشاهد فيه تماثيل نصفية لمشاهير المحامين، ثم نجد انفسنا قد وقفنا نتطلع الى نصب فخم اقيم احياء لذكرى المحامين الذين استشهدوا في سبيل بلجيكا في الحرب العالمية الاولى، مؤلف من تمثال للآلهة (مينرفا) تحمل في يمينها مجناً نقشت عليه اسماء الشهداء من رجال المحاماة الذين جعلوا من اجسامهم مجنا حياً في يد الوطن وقد اغار عليه العدو فخلدوا في تاريخه اسماءهم، وخلد المثال (دافلوس) ذكراهم بهذا التمثال الرائع.

جناح محكمة الاستئناف

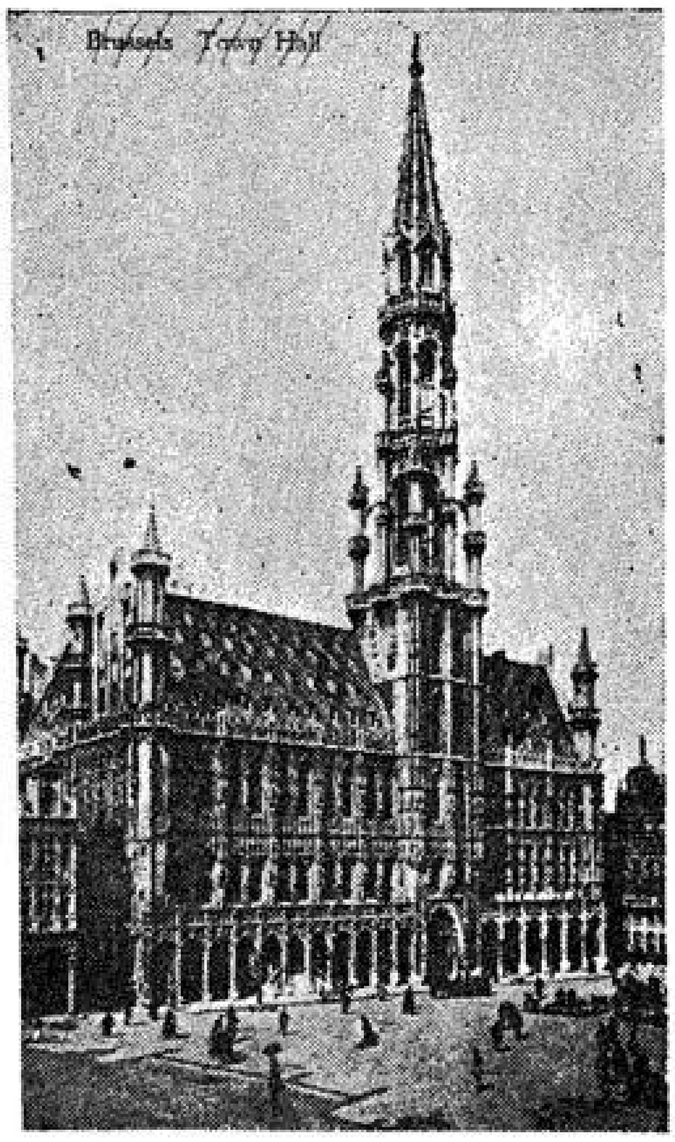
والآن لننحرف نحو اليمين، ولنأخذ الممر الخاص بالرئيس الاول لمحكمة الاستئناف، حيث نستمتع بالنظر الى روائع فنية من رسوم ونقوش والى جدران زينت باغلى انواع الرخام، وقد عرضت امامها تماثيل نصفية لبعض العظماء امثال نابوليون القنصل وليوبولد الثاني الطفل وغيرهم من رجالات التاريخ البلجيكي.

عمود الكونغرس وفيه الجندي المجهول



والنقف، في منتصف الرواق، لحظة امام تمثال «للعدالة» يعود تاريخه الى سنة ١٥٤٥ وهو للمثال « جاكوب دوبرك » والنسخة الاصلية منه محفوظة في محراب « كنيسة سانت وودرو » في مونس.

ولنجتز بعدئذ ناحية زينت باعلام مدينة بروكسل وبقية



القصر البلدي في بروكسل وهو من روائع فن البناء

المحافظات البلجيكية ؛ فنكون قد وصلنا الى القاعة الكبرى لمحكمة الاستئناف.

قاعة الاحتفالات

طول هذه القاعة ٢٨ متراً وعرضها ١٢ متراً وارتفاعها ١٨ متراً وجدرانها مزينة باجمل واروع انواع الرخام. في هذه القاعة الفخمة تعقد الجلسات العامة لدوائر محكمة الاستئناف، وفيها تجري الانتخابات القضائية، وحفلات التنصيب، وفيها يحلف القضاة والمحامون الجدد اليمين القانونية.

ومما يستلفت النظر ان اطاراً فخماً فوق الباب كان اعد ليحوي صورة الملك ليوبولد الثاني، ولكن الصورة لم توضع فوضع مكانها لوحة زيتية تمثل منظراً من حياة هنري الرابع.

منظر مدينة بروكسل

ويجدر بنا ونحن في جناح محكمة الاستئناف ان نطل من احدى النوافذ فيه لنتمتع بمنظر فريد لمدينة بروكسل يجمع الروعة الى الجمال، ويضم بدائع الفن التي اشتهرت بها عاصمة البلجيك، فها هي تحت انظارنا وبين ايدينا ساحة « بولرت » مهندس القصر حيث اقيم تمثال لمجد المحاربين المشاة في الجيش البلجيكي، وها هي قريبة منا مدينة بروكسل القديمة بطرقها الضيقة وبيوتها المتراكبة وها هي ابراج كنيستي « مينيم » و« لا شابل »، والى ما وراء ذلك نرى ابراج كتدرائية « سانت كودول » وبرج « القصر البلدي » احد روائع الهندسة والفن. واذا ما تطلعنا الى ابعد من ذلك شاهدنا كنيسة « الساكره كور » وبناء « الذكرى المئوية » وكنيسة « ليكن » وتمثال « ليوبولد الاول » و« البرج الياباني ».

تمثالان

لنترك جناح محكمة الاستئناف قاصدين جناح محكمة التمييز في الطابق الاعلى، وسوف لا نمشي الا قليلاً حتى يشرف علينا تمثالان رائعان من المرمر صنعهما المثال « فليكس كاليه » وبلغت تكاليف التمثال الواحد ١٤،٠٠٠ فرنك بلجيكي، الاول منهما لاشهر خطباء اليونان « ديوستين » اما الثاني فللمشرع العظيم « ليكورغ ».

والى يسار السلم الذي سنصل اليه بعد مرورنا على ذينك التمثالين تقوم الاعمدة الجبارة التي تشكل الرواق الاعلى لقاعة القبة، ويستطيع قارئي تصور فخامة الرواق اذا عرف ان قطر العمود الحجري يبلغ ١٨٠ سم وارتفاعه يبلغ ١٦ متراً، بينما عمق ارض القاعة الخالدة اصبح يبلغ العشرين متراً من حيث نقف.

تمثال « العدالة »

نقف الآن في منتصف الرواق الداخلي الاعلى حيث اصبح ممر الباب الرئيسي للقصر تحت اقدامنا، لنشاهد تمثالا جديداً « للعدالة » كما تخيلها المثال الشهير « جوليوس ولنس » وهو يعتبر من آيات الفن الخالدة ولا عيب فيه الا انه من الجص، وقد كادت الاحداث تودي به لولا ان ادركته الحماية.

« انه شيخ وقور ارتسمت المهابة على وجهه، جبهته عالية، ونظراته عميقة تبدو انها اشد بعداً من الزمن، قد جلس على عرشه جلسة كلها اطمئنان، مسك بيمينه صولجان « القاضي » رمز القانون، وحمل بيسراه ميزان « العدالة » رمز الحق، وبين يديه قام طفل يبتسم راكناً الى عطفه وحبه ».

انه تمثال بسيط، انما هو الجلال بعينه، انه يوحي المهابة مهابة «الحق»، ويوحي الحب حب «موزعي الحق».

القصر الياباني من اشهر ما في بروكسل



قاعة محكمة التمييز

وصلنا الآن الى قاعة محكمة التمييز، بعد ان اجتزنا ممراً زينته تماثيل نصفية لكبار الراحلين من المحامين امام تلك المحكمة، انها قاعة مجلس قضاة اعلى محكمة في بلجيكا والكونغو البلجيكية وهي تضم دائرتين ولها رئيسان وفيها خمسة عشر مستشاراً يسمون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من قبل الملك بعد اطلاعه على قائمتين من المرشحين تعد الاولى منها المحكمة نفسها ويعد الثانية مجلس الشيوخ .

ان محكمة التمييز البلجيكية محكمة اشراف على تطبيق القوانين لا تدخل في بحث اى نزاع الا في حالة محاكمة الوزراء ، ومهامها كغيرها من محاكم التمييز نقض الاحكام التي ترفع اليها وهي صادرة بالدرجة الاخيرة لخطأ في تطبيق القانون او لنقض من الاصول والا فابرامها .

ان هذه القاعة تبدو في حلة من الزينة رائعة فقد زينت جدرانها بانواع فاخرة من السجاد صنعت خصيصاً في المصنع الملكي للسجاد في « مالين » وقد وضع تصاميمها الرسام (جيت) وهي تحمل رسوم مشاهير كبار القضاة والمستشارين .

لنترك هذه القاعة ، فقد طال بنا الطواف وضاق الوقت وقد كان متسعاً ولنختم زيارتنا بقاعة الاحتفالات ، ولكن لنلاحظ اننا سنمر على تماثيل جميلة لمشاهير القضاة الفرنسيين والفلامان والبلجيك .

قاعة الاحتفالات لمحكمة التمييز

ان هذه القاعة وان كانت في سعة قاعة محكمة الاستئناف الا انها اكثر من تلك فخامة ، وامتن منها فرشاً واكثر رونقاً ، يتوج بابها اطار فخم مذهب قد غطي بالمخمل الاحمر لانه كان معداً لاحتواء لوحة تحمل رسم الملك ليوبولد الاول ، ولكنه ظل فارغاً ، وفي صدر القاعة حيث يجلس الرئيس الاعلى للقضاء البلجيكي ، اقيم تمثالان نصفيان رائعان للملك ليوبولد الثاني وللملكة هنريت ، والى اعلا توجد مقصورة فخمة الاثاث اعدت لجلوس الملك ورجال حاشيته ان احب يوماً ما زيارة المحكمة أو حضور احدى الحفلات .

جدران القاعة زينت بأثمن انواع المرمر الملون وتتجاوز المساحة التي زينت بالرخام ٢٠٠ متر مربع وقد بلغت تكاليفها ما يساوي ٤٠٠٠٠ فرنك بلجيكي ، والاخشاب التي فيها محفوره ومنقوشة ابدع نقش وهي من الابنوس الغالي الثمن .

في هذه القاعة تلتئم محكمة التمييز بكامل هيئتها يوم بدء الاعمال القضائية ، ويوم عرض القضايا المتنازع عليها يجلس الرئيس الاول والى يساره الرئيس الثاني في صدر القاعة ويحيط بها حول مائدة دثرت بالمخمل الاخضر المستشارون الخمسة عشر . والى اليمين يجلس النائب العام محاطاً بمعاونيه ، والى اليسار يجلس كبير المساعدين محاطاً بزملائه .

خاتمة المطاف

ها قد زرت معي ايها القارىء في دقائق معدودات قصر العدل في بروكسل الذي استغرقت زيارته من وقتي ساعات طوالاً ، وزيارتك هذه وان كانت خاطفة غير شاملة ولكنها تعطيك فكرة واضحة عن ذلك القصر الرائع الذي يعتبر من مفاخر الفن المعماري الحديث ؛ واني لو اردت ان اصف لك كل ما قد تحب ان تعرفه عن القصر لاطلت عليك ، وقد ادخل عليك الملل فيما لو ذكرت لك شيئاً عن المكتبات القيمة التي تضم الوف المجلدات وهي في خدمة القضاة والمحامين ، او فيما لو عددت لك كل تمثال يحويه القصر فضلاً عن ذكر لمحة عن بعض اصحاب التماثيل .

والآن لننزل من جناح محكمة التمييز الى الطابق الارضي عن طريق سلم فخم اقيم داخل الرواق الامامي وخارج الباب البرونزي بين تلك الاعمدة الجبارة التي يراها الناظر من واجهة القصر ، فاذا ما وصلنا الارض وقفنا وقفة الوداع امام تمثالين جسيمين صنعهما المثال « فليكس بوره » الاول « لشيشرون » اعظم خطباء الرومان ، والثاني « لأ لين » احد كبار رجال القانون الروماني .

ان مهندسي وفناني القرن التاسع عشر بعد ان تعاونوا وبذلوا جهوداً جبارة استطاعوا ان يجمعوا الى فخامة البناء روعة الفن ، والى حضارة العصر ذكريات المجد الغابر ؛ والى الواقع القائم اماني المثالية السامية ، فكان من كل ما جمعوا « قصر العدل في بروكسل » .

كارثة القصر

عندما احتل الالمان بلجيكا في الحرب العالمية الاولى افتقدوا معدن البرونز فخلعوا الباب البرونزي في قصر العدل واستولوا على ما فيه من معدن ، واقتصرت الكارثة على هذا وزال اثرها سنة ١٩٣١ عندما اعيد الباب الى سابق عهده بعد ان انفق من اجله . . ٣٢٠ الفاً من الفرنكات البلجيكية .

وفي الحرب العالمية الثانية عف الالمان عن اخذ الباب ولكنهم ما تركوا بروكسل تحت ضغط الجيش الانكليزي يوم ٣ ايلول ١٩٤٤ الا بعد ان شاهد الناس النار بدأت تلتهم القصر العظيم ، فتضافرت الجهود على انقاذه واستطاعت التغلب على النار بعد ان كانت التهمت جناح محكمة الجنايات ، والقبة الجبارة فافتقدها الناس شامخة تناطح السحاب بسمو واعتزاز . ويأمل البلجيكيون ان تتمكن الحكومة من اعادة القصر الى سابق عهده حتى نهاية عام ١٩٥٠ وكانت بدأت باصلاحه منذ سنة ١٩٤٦ وتقدر النفقات اللازمة للاصلاح بمبلغ ٣٠٠ مليون فرنك بلجيكي اي ما يقرب من ١٥ مليوناً من الليرات السورية اللبنانية ، فتأمل . . !

دمشق

عدنان الخطيب

قنبلة الفناء

لابلبا ابو ماضي

نيويورك

اذا سحقت ارضنا القنبله كما يسحق الحجر الخردله
وقوّض مفعولها الراسيات فصارت غباراً له جلجله
ودب الفنا في ذوات الجناح وغلغل في النبت فاستأصله
وفي الماشيات وفي الزاحفات عليها الى آخر السلسله
فلا زهر يأرج في روضةٍ ولا ديك يصدح في مزبله
وضاع الزمان ومقياسه وأشبه آخره اوله
ولم يبق حي على سطحها واصبح عزريل لا شغل له
فذلك خطبٌ يهول النفوس تصوره قبل ان تحمله
ولكن امراً يغزي الجميع اذا سحقت ارضنا القنبله
فلن يدع الموت حياً يلوم سواه على هذه المقتله !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزورق التائه

الى الاستاذ نسيم نصر

لانور الجندي

السليمية – سوريا

يا زورقاً تاه ولم يرجع قل لي ، أبعد الموت من مطمعِ .. ؟
ماذا وراء الغيب .. ؟ هل عالمٌ كعالمي المغمور بالادمع .. ؟
نتيه في الدنيا ولا غاية .. ونحن من اوهامنا لا نعي ...
يا موت ، اين الحلم ، اين المنى .. ؟ احيا بها حيناً ، وتحيا معي .. ؟
أأنفض الكفّين .. ؟ كم مأمل .. شربته وهماً ، ولم ينفع ..
فرحت من شوقي ، أذيب الدجى ... شوقاً ، ونار اليأس في اضلعي
ظمئت يا موت ، فهل رشفةٌ أفنى بها من ذلك المنبع .. ؟
يا موت ، حسبي من جنون الاسى اني غريبٌ تاه في بلقع ..

الحب والابعاد

قصة صديقي المهندس « ع . » ، ذي الذهنية العجيبة والخيال الخصب ،
اكتبها كما قصها عليَّ في ذات مساء

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

كان لدى حلاق البلدة الصغيرة التي نشأت فيها صورة لفتاة جميلة تلبس ثوباً مماوي الزرقة وتحمل في كفها المرتمية في حجرها وردة كبيرة ، مطرقة برأسهـا ناظرة بعينها نظرة عجيبة . فكنت ، وأنا صبي ، اتأمل في تلك الصورة فخيل الي ان الفتاة ليست في اطار على الجدار بل هي كعاب نابضة بالحياة جالسة على شاطىء البركة التي هي مصورة قربهـا ، وان تلك النظرة العجيبة في عينيها موجهة الي ، الي دون سائر الناس . وكنت اذا جلست في كرسي الحلاق ارى الصورة منعكسة في المرآة فاراها تبتسم لي ، فيستبد بي القلق : هل تلك ابتسامة ام هي تموجات المرآة السيئة الصقل تحرك ثغر الفتاة بالابتسامة الساحرة ؟! وشببت فابتعدت عن بلدتي الصغيرة ، ولكني كنت كلما عدت اليها ارى الصورة في مكانها من دكان الحلاق قد اصفر ورقهـا وظل ثغرها قرمزياً . فاذا تطلعت غص صدري بقلبي والتهب وجهي وانا ابصرها تنظر الي ، ذلك لاني كنت اشعر شعوراً اكيداً بان تلك الصورة كانت تملك من الحياة ، نوعاً غامضاً من الحياة ، ما يجعل لنظرتها معنى ولابتسامتها الموشومة بالاصباغ روحاً وحيوية .

هل كان شعوري ذاك مقتصراً على تلك الصورة ؟ لا اصدق اذا قلت لك نعم . الحق اني كنت امام كل صورة ، ومنذ صغري اشعر باني امام كائن حي . كنت ارد ذلك في البدء الى موهبة المصورين ثم الى خصوبة خيالي وفرط احساسي ، حتى هداني ما تعلمته الى مبعث هذه الملكة التي كانت تريني في الصور التي يحسبهـا الآخرون جامدة كائنات نابضة بالحياة ، فتبين لي ان ما كنت اقول لنفسي عنه انه وهم هو حقيقة ، او اذا اردت الدقة في التعبير ، هو وجه من الحقيقة كانت تتراءى لي من دون غيري لاني كنت لامر ما مهيئاً الى ان اراها من هذا الوجه بينما كان الآخرون : اصحابي ، وانت منهم ، وجيراني وابناء بلدي مهيئين الى ان يروها من وجه آخر .

ان عيني اليمنى هذه يا صاحبي من زجاج . انت والآخرون كلكم ذو عينين وانا اعور ، ذو عين واحدة . وان بينكم وبيني في ادراك المرئيات اختلاف يجعلني اعيش في عالم غير الذي تعيشون انتم فيه ، فبينما تعيشون انتم في عالم ذي ثلاثة ابعاد لا اعرف انا الا عالماً ذا بعدين . لا تهز برأسك هكذا مستخفاً بي ، فهذا ما يقوله لي ولك العلم . انك لا تدرك ان لمرئياتك طولا وعرضاً وثخناً الا لكونك تملك عينين اثنتين . فكل من عينيك ترسم للمرئي صورة في الدماغ ذات طول وعرض ، ولما كانت الصورتان غير متطابقتين لان بين العينين بعداً هو بقدر عين ثالثة فان الدماغ يدرك من هذا التفاوت في الصورتين واختلاف ابعادهما ان لما امامه بعداً ثالثاً هو الثخن . اما انا يا صاحبي فان عيني اليسرى لا تنقل لدماغي ، منذ عرفت نفسي ، الا صورة يتيمة ليس لها من الابعاد غير الطول والعرض ، ككل صورة في اي كتاب . اني لا ادرك ، الا وهماً ، ذلك البعد الثالث الذي تتحدثون عنه انتم معشر ذوي العينين ، فكل ما في الوجود عندي صورة مسطحة لا نتوء فيها ولا بروز .



فارثِ لي يا صاحبي لاني اعيش في عالمي، ذي البعدين، الضيق بينما تعيشون انتم في عالم طويل عريض عميق ، ذي ثلاثة ابعاد .

هل تضحك بما اقوله ام تعجب منه ؟ ليت لي ان ادخلك في عالمي كي ترى المرئيات والوجود بعيني . اذن لوجدت انه من البساطة بمكان ان تحيا الصورة فتنظر اليك وتبتسم . ذلك لانك في عالمك المثلث الابعاد تجد من المستحيل ان تدب الحياة في صورة على ورق لان كل حي ، في نظرك ، يجب ان يكون ذا ثلاثة ابعاد قبل ان تدب فيه الحياة . اما في عالمي فليس للحياة هذا الشرط . فانا الآن اراك كالصورة التي علقها حلاق بلدتي على جدار دكانه ، كلاكما خيال مسطح لا يملك الا الطول والعرض . ليس بينك وبينها ذلك العائق المستحيل اجتيازه ؛ ذلك البعد الثالث الذي تراه انت لا اراه انا يا صاحبي . هذا الذي اهتديت به الى سر الحياة التي كنت اراها تدب في الصور التي يظنها ابناء العالم ذي الثلاثة ابعاد ميتة جامدة . وبغير هذا ما كان لي ان افهم كثيراً من اسرار حياتي ، ولا ان افهم قصة تلك الهندية ، حاملة الحزمة .

***

أنا هندية ؟ انت لا تعرفها ؟ اذن سأقص امرها عليك .

دخلت ذات مرة الى مكتبي . فوجدت ان « محمد » وهو الغلام الذي يعمل فيه ، قد علق على الجدار المواجه لمقعدي صورة غريبة لا بد انه انتزعها من احدى المجلات . وكان محمد مولعاً بهذا الضرب من الصور ، قد ملأ جدران غرفته في المكتب بصور شتى لحسان الصفحة الاخيرة من المجلات . وكان يحاول بين الحين والحين ان يتسلل بصورة منها الى غرفتي فكنت احول بينه وبين هذا . اما في هذه المرة فقد كانت الحسناء التي علقها امامي تختلف عن زمرة حسانه الاخرى ، وكان فيها ، او في الصورة المنقولة عن صورتها الزيتية ، من الجد والغرابة ما رأيت فيه مبرراً لابقائها في موضعها الذي اختاره لها محمد من جدار مكتبي ، بين صورتين احداهما تمثل واجهة بناء ضخم على الطراز الفني وتمثل الاخرى مخططاً لآلة رافعة حديثة .

وكانت الصورة التي علقها محمد امامي تمثل فتاة هندية سمراء عارية الوسط تحمل على رأسها حزمة من السنابل ، قد دثرت اعلاها بصدار داكن ضم نهديها واعلى ذراعيها ، وشدت على حقويها العريضين مئزراً تجسدت تحت خيوطه معالم بدنها القوي نابضة بالحياة والاتساق . اما ذراعاها فكانتا ممتدتين الى امام ووراء ، احداهما تضم الحزمة بمنجل تحمله كفها والاخرى تسندها من وراء بانثناءة بسيطة رشيقة على بساطتها ، وكأن تينك الذراعين في موضعهما من جانب الرأس الاسمر الجميل كانتا ترسمان حركة من حركات الرقص الهندي المقدس في احد معابد براهما ، ولم تكونا تؤديان عملاً قروياً لفلاحة في احد حقول الهند ، وهو حقل امتد في الصورة وراء حاملة الحزمة بنظر عجيب والوان ساطعة بشمس الهند ، محترقة بنار الهند ، يكاد يفوق بروعته روعة ذلك المنظر الخلفي . الذي ابتدعته مخيلة ليوناردو دافنشي لصورة الجيوكندا .

وانا شخصياً لا احب السمروات من النساء ولا اعشق الهنود بين الشعوب ولكن هذه السمراء الهندية ربطت ناظري بها امداً طويلاً . فكنت ، ولا سيما في الليالي التي اخلو فيها الى نفسي في مكتبي اعمل او اقرأ ، ارفع عيني بين الفينة والفينة الى الجدار لاتأمل حاملة الحزمة . وكان يخيل الي احياناً انها من الحياة بحيث تكاد ان تتحرك في اطارها وتسير الى البيت الفنلندي المواجه لها . لقد كانت نظرتها اليه ، وصورتها جانبية ، ثابتة حتى كأن اقصى مناها ، مني هذه الفلاحة الهندية المحترقة بنار الشمس العمودية الاشعة ، ان تدخل هذا الكن الذي تكاد حجارته تتحدث باحاديث ثلوج فنلندا وجليد بحر البلطيك . وكانت تلك النظرة من الحرارة في درجة كنت اتساءل معها في لوعة متى تتحول الي لتحس بوجودي انا الذي اتطلع اليها ليل نهار وارقب ، نافذ الصبر ، ارتسام ظلال اهدابها على وجنتها واتلاع جيدها في تطلعها . واذا كنت يا صاحبي قد ابتسمت يسيراً لما قصصته عليك من امري مع صورة الحلاق ، فاني احسبك لا تكتفي بالابتسام . حين اقص عليك ما قد تسميه حماقات من آرائي وافعالي في خلواتي وانا انظر الى حاملة الحزمة . ولكني اعذرك ، وقد كنت مثلك قبل ان عرفت ان آرائي وافعالي تلك كانت بعض موجبات حياتي في عالم ذي بعدين لا تستطيع انت ان ترد من خيالك على المقام فيه . وقد كان ذلك العالم المزدوج الابعاد نظرية في ذهني ككل نظرية في كتاب ، ثم اتت حاملة الحزمة فكانت ، في بقية القصة التي اقصها عليك الآن هي البرهان على ان هذه النظرية صحيحة في الواقع مثل ما هي صحيحة في المنطق والتفكير .

لقد لازمت حاملة الحزمة شهوراً ، انا على مقعدي في مكتبي وهي في اطارها على الجدار ، اتأمل سمرتها وامتشاق قدها والانثناءات المعبرة لذراعيها في حملها حزمة السنابل . ثم اغلقت في ذات يوم مكتبي على ما فيه من اثاث وادوات وكتب وصور ، وعلى حاملة الحزمة ، وغادرت كل هذه البلاد حتى عدت اليها بعد عامين ، عامين كاملين .

عين

عدت الى وطني بعد عامين كاملين لم اعد الى مكتبي ولا الى المدينة التي فيها المكتب ، ولكني عدت الى البلدة الصغيرة التي عشت فيها ، الى مزارع تلك البلدة اذا اردت الدقة في الرواية ذلك ان ابن عمي عمر عرف حاجتي الى الاستجمام فدعاني الى ان اقضي ايامي الاولى بعد عودتي في مزرعته وكان فخوراً بتلك المزرعة وبزراعة الارز التي ادخلها اليها . فاستجبت الى دعوته وقضيت الاسبوع الاول ناعماً بالجو الهادىء عنده ، وباقاصيصه عن مغامراته مع صواحبه من فلاحات القرى المجاورة ، وهي اقاصيص كنت الومه على المبالغة فيها وكثرة الحشو في سرده لها . اما حين كان ينصرف الى عمله فقد كنت اقضي الوقت في التجول بين حقول الارز او في مطالعة بعض ما اصطحبته معي من كتب .

وفي ذات صباح اقبل علي عمر لائماً لي على كسلي وداعياً اياي الى ان ادفع ثمن الخبز الذي املأ به بطني كل يوم بالاشراف معه على حصاد الارز الذي تقوم به حصادات ميكانيكية وفلاحون تداعوا اليه من القرى المجاورة . ولم يكن بوسعي الا ان انزل على رغبته ، فرافقته ظهر ذلك اليوم الى خيامه التي اقيمت على رابية عالية تنبسط تحتها حقول الارز ويتوزع فيها النهر الى جداول متلوية في بطء ومتسربة الى بطائح راكدة ينبت حولها الزل والبلان . وحينما انصرف عمر الى فلاحيه وحصاداته انطلقت وحدي ضارباً بين الحقول ، بعيداً عن الضجة والجلبة ، الى ان بلغت بطيحة واسعة من الماء في منخفض من الارض محجوبة عن عيون من كانوا في الحقل بمرتفع من الارض وسياج من قصب البردي الطويل .

والى جانب هذه البطيحة الهادئة اضطجعت اتأمل مياهها الراكدة التي انعكست فيها زرقة السماء فبدت في ظلال النبات القائم حولها خضراء زمردية . ولم تكن من نسمة تجول في جو الحقل ذلك الاصيل فكان سطحها يبدو بالظلال المرتمية عليه والساكنة دون اية نأمة كأنه صورة لمنظر طبيعي في اطار ، وانصرفت الى تأمل تلك الصورة الجميلة بنظرة ساكنة مديدة . ولست اذكر كم لبثت كذلك ولا ماذا كان يدور في رأسي من فكر حين خيل لي فجأة باني لطول ما حدقت في منظر واحد قد اصابني توهم ، كأنه التوهم الذي يعتري قارئي المندل من طول تحديقه في قطرة الحبر اللامعة في قعر فنجان . ذلك اني رأيت فجأة على سطح البطيحة الراكد المصقول صورة قد ارتسمت . كانت صورة مألوفة بل عزيزة الي ، انطلق فكري يجوب انحاء ذكرياتي في سرعة البرق مفتشاً عنها ، حتى ادركت بعد برهة لا ادري حسابها من الزمن ان ما ارتسم امامي ليس الا الصورة التي خلفتها في مكتبي في المدينة البعيدة منذ عامين . . صورة حاملة الحزمة !

وحقاً كانت حاملة الحزمة امامي على صفحة الماء الراكد كما كانت منذ تركتها في اطار على جدار غرفتي : محياها الاسمر ، ونظرتها الجانبية الفائضة حرارة ، وصدرها الناهد ، وذراعاها المنثنيتان المعبرتان عن حركة رقص مقدسة للاله سيفا ، واللتان كانتا تضمان حزمة من السنابل . الآن ادركت ان السنابل التي تحملها تلك الحسناء الهندية هي سنابل ارز ، فالارز الذي ينبت في الهند قد نبت اليوم في مزرعة عمر ا وكنت اريد الالتفات الى وراء لاتثبت هل هذا طيف استحضره وهمي من حاملة الحزمة التي خلفتها في مكتبي ام هي خيال لشبح قائم ورائي ، ولكني كنت اخاف من ان اية حركة تعكر صفو ذلك السكون الرائع ، اياً كان مصدرها ، ستمحو الصورة المطبوعة بألوان الاصيل على صفحة الماء ، وهي صورة سواء كانت وهماً ام حقيقة ، عبقرية بديعة .

واخيراً خرجت من سكون المسحور بالتفاتة مفاجئة الى وراء كأني كنت اريد بها ان افاجىء الطيف قبل هروبه . ولاح لي ان امامي وعلى بعد خطوات مني طيف هو طيف الهندية السمراء بلحمها ودمها واقفاً غير ملتفت الي يتطلع وحزمته على رأسه الى بعيد ، حيث كان عمر والفلاحون والحصادات . ما اعجبها من حادثة اكان المصور الذي رسم بالزيت صورة حاملة الحزمة قد اتخذ من هذه الفتاة القروية نموذجاً له ؟ اكم من عجيبة مثل هذه في العالم كله ؟ وتحركت واقفاً من مضطجعي فانتبهت القروية التي لم تكن تشعر بوجودي قبل هذه الحركة . وبدا لي ان وجهها قد احمر فاكتسبت ممرتها المليحة بذلك الاحمرار لوناً ما كان الذه في البصر والفؤاد في ذلك الاصيل . واطرقت الفتاة بعنف اطراقة كانت تخالسني خلالها النظر في استحياء ، وهو ما لم تكن تفعله معي حاملة الحزمة حين كانت معلقة على جدار مكتبي ! وبدا لي ان هذه تختلف عن حاملة الحزمة في امر آخر ، فهي ليست عارية الوسط كتلك وان كان ذراعاها في ممرتها وامتلائهما واستدارتهما وفي حركتها المعبرة كذراعي حسناء الصورة .

وهمت الفتاة بان تخطو مبتعدة فاستوقفتها باشارة من يدي وقلت . — من اين انت يا فتاة ؟

فلم تشأ ان تتكلم ولكنها اشارت بيدها اشارة بعيدة الى مطلع الشمس فاحسست برعشة تتناول وجداني وقلت في نفسي : من

الشرق . . كذلك كانت حاملة الحزمة !

— ألك زمن طويل في هذه القرية .

فأجابت بصوت منغوم حيي : — سنتان . — وما اسمك ؟

فترددت قليلاً قبل ان تجيب على سؤالي ثم قالت :

— اسمي ؟ . . . اسمي هندية . .

— ماذا تقولين ؟ ! فاجابت ببساطة محيرة : — هندية . . . !

***

وأبت الى خيام عمر على الرابية العالية . وهناك عرفت ان هندية وعجوزين من القرويات معهـا يقمن في تلك الخيام حيث يعملن في سد حاجات الرجـال الذين يشرفون على الحصادات وتهيئة مطعمهم . وكانت خطـة عمر تقضي بالزامي بالمبيت معه في هذه الخيام مضايقة لي ومداعبة ، فوجدت في المقام بالقرب من هندية بعض الخفراء . والحق اني لبثت طول يومي الاول افكر في هذه الصدفة الغريبة التي جعلت من الهندية حاملة الحزمة وهندية القروية صورتين متماثلتين . ولما حاولت ان اجر عمـر الى الكلام عن هندية تطلع الي بنظرة خبيثة وقال . — هل اعجبتك؟

فلم املك الا السكون دفعاً لشبهاته وسوء ظنه .

على اني في الايام التالية لم اعد احس لشبهات عمر وسوء ظنه حساباً ، بل اصبحت ارى نظرته الخبيثة في عينيه وبسمته الماكرة على شفتيه فأغضي عنها متجاهلاً وانا الذي كنت لا اصبر على بادرة منه الا واكيل له السخرية والتندر كيلاً ، ذلك ان هندية كانت قد اعجبتني حقاً لم تكن فتاة سمراء دعجـاء العينين مكتنزة الشفتين لفاء القوام فحسب ، بل كان فيها من صفاء الروح وحلاوة النفس ما كنت احس معه ان روحي تشتاق اليها اشتياق الظامىء الى الماء الزلال . وكنت ظامئاً لا يروى ، فقضيت الايام العديدة في خيمة عمر كتابي في يدي مفتوح على صفحة لا تتغير وانا اتبع قدّ هندية في غدوها بين الخيمات ورواحها ، وفي انكبابها على عملها او تفرغها منه . اما هي فكانت في البدء تخالس النظر هـذا الفتى المدني الذي قالوا لها عنه انه ذو ثروة ومكانة واسفار طوال ، ثم تجرأت فقابلت نظراتي بمثلها من عينيهـا الساحرتين ، نظرات صافية أليفة ترق احياناً حتى لتكاد تتأوه ، وتبسم احيـاناً حتى لتكاد تغرد ، وتعبر احياناً حتى لتكاد تنطق .

ومضت آلات عمر الميكانيكية تدور جاهدة في حصاد الارز حاصدة معه ساعاتي الممتعة بالقرب من هندية . وكان لي في ذلك القرب سعادة لا تنغصها الا عين ورهاء لاحدى العجوزين كانت لا تفتأ تلاحقنا بنظراتها الشريرة . وكنت احياناً اضع يدي على يد هندية حين تدخل بعض امرها خيمتي فأشعر انهـا تلبث لثوان مطمئنة كأنها مسافر بلغ غايته ثم تنفتل فجأة مرتعشة قلقة نافرة كغزال حال القانص بينه وبين المورد . وعبثاً كنت احاول حملها على ان تطيل مكثها في خيمتي او ان تسهب في كلامها حينما احدثها فترد علي . وفي ذات يوم ، بدت فيه حقول الارز جرداء عارية الا من كدوس من السنابل مكومة في نقاط متباعدة ، شعرت بان في عيني هندية حديثاً طويلاً لا تكاد نظراتها الناطقة تفي به فصيحاً . كانت تروح وتجيء وتكاد عيناها ، عيناها الدعجاوان ، تقولان لي : ان لنا معك حديثاً ، الا تفهم ما نقول ؟ فامسكت بيدها وقلت لها — هندية ، ماذا هنالك ؟

فتراجعت الى آخر الخيمة وقالت :

— لا شيء يا افندي . بقيت بقية من الارز لم تبلغها الآلات عند بطيحة الزل ، انا ذاهبة لحصادها قبل الغروب .

وكان ذلك موعداً . .

وعند بطيحة الزل التي رأيت فيها هندية حاملة الحزمة لاول مرة وجدتها هذا المساء . واتت الي كتلك المرة حاملة حزمة من سنابل الارز ثبتتها على راسها بمنجل في يدها فانحسر ردن الثوب عن ذراعها العبلة الحرية السمرة المستقيمة الاستدارة مما ذكرني مرة اخرى بهذه الاعجوبة ، هذا الشبه بين الهندية حاملة الحزمة وهندية حاملة الحزمة ، كأنها تلك الصورة قد تركت اطارها وجاءت الي تسعى الى شاطىء البطيحة ، وخيل الي اني لو تفقدت مكتبي في هذه الساعة لرأيت الاطار اجوف خاوياً على جـدار الغرفة كأنه سرير فارغ هجرته لتوها عذراء فاتنة . وجلست في مطمئن من الارض اصغي الى حديث هندية منتقماً لتلك الساعات الطويلة من الصمت ، صمتها في الخيـام المزيج من البساطة والدل والخوف . وكانت عباراتها القصيرة ملأى بالحرارة تكاد تكون احيـاء لا الفاظاً ، حتى نظراتها كانت تفيض نشاطاً وحيوية . وضممتها الي فضمتني هي باحدى ذراعيها ضاغطة بيمناها منكبي ولكنها ظلت تقيم من كفها الاخرى حاجزاً بين شفتي وثغرها . قلت لها ، وانا اعني صورتها المعلقة في مكتبي بعيداً :

— لقد عرفتك يا هندية قبل الآن .

فقالت دون تردد وبلهجتها الحلوة : — وانا كذلك . . قلبي يعرفك . قلت لها . — ولكنك لم تنظري الي . عيناك هاتان الساحرتان كانتا تنظران دوماً الى غيري . قالت :

— عين المرأة ليست في وجهها ، بل في قلبها . .

فأردت ان الثم الشفتين اللتين مرت هذه الالفاظ عليها ولكنها لم تمكني . قلت :

— هل تأتين الى البلد يا هندية ؟ ليست هذه البلدة بل المدينة الكبيرة حيث اقيم . .

فاستقامت من نصف الضجعة التي كانت فيها وقالت :

— المدينة ؟ لا المدينة ولا الديار هذه كلها . لو اني اعرف اني اراك بعد الآن ما جلست معك هكذا .

قلت متسائلاً : — واين تريدين يا هندية ؟

فسكتت برهة ثم قالت : — غداً او بعد غد، يزفني ابن عمي . .

— ابن عمك ؟ اين يقيم ؟

فأشارت بيدها تلك الاشارة البعيدة الى الشرق ، فسكت اسيفاً وبعد برهة صمت طويلة قلت لها . — هندية . . هل تحبينني ؟

فنظرت الي بعينها نظرة فسرها غروري بان نعم ! فقلت لها وانا بين المازح والجاد .

— اذن سنلتقي يا هندية، ولن يستطيع ابن عمك ان يأخذك . سنلتقي في المدينة الكبيرة كما قلت لك .

قالت بلهجة حزينة ولكنها حاسمة .

— نحن ذاهبون بعيداً عنك، بعيداً جداً . لن نلتقي بعد الآن .

وتطلعت الى الشرق بنظرة جانبية ذكرت لها تلك الصورة فوددت ان اسألها اين ، « بعيداً » هذه ، اين يقع الشرق الذي ستذهب اليه ، اهو في الهند؟! وصور لي وهمي ان عينيها كانتا تفهمان ما يدور بخلدي وان نظراتها العميقة الحزينة تجيبني : نعم . . نعم . .

وفي ضوء آخر اشعة الشمس الغاربة تفلتت هندية من بين ذراعي ثم رفعت حزمتها الى رأسها وخطت بقدها اللدن الرشيق مبتعدة عني الى حيث الخيام ، تاركة اياي للحسرة والظلام .

***

وانجاب الظلام في صباح اليوم التالي ولكن الحسرة ظلت ترين علي . ذلك ان هندية ذهبت الى الشرق ، والشرق أبعاد وآماد . وكنت في حيرة أأضحك من نفسي على تعلقها بهذه الفتاة القروية التي خالطتها أياماً قلائل ام اشفق عليها من هذه العاطفة الغريبة التي غمرتها . وكانت ذكرى مجلسي الاخير اليها في انوار الغروب بجانب بطيحة الزل مزيجاً لي من الالم واللذة ، والحسرة والهناءة . وكنت من ادمان التفكير والتذكر أكاد اخلط بين الواقع والخيال وبين ما حدث حقاً، وما كنت ارغب ان يحدث، وما كنت اخاف حدوثه . وكان يخيل الي في الحالات التي كنت اتذكر بها شخص هندية المشوق وحركتها الهادئة وصمتها اني لم اعش تلك الايام الى قرب كائن حي بل الى قرب الهندية السمراء حاملة الحزمة التي لم تكن غير آية فنية رسمتها ريشة فنان عبقري . أما في اللحظات التي اتذكر فيها حرارة ذراع هندية وهي تضمني ، وحر انفاسها وهي تميل علي فقد كنت اعتقد ان راقصة هندية من راقصات المعابد كانت تضمني اليها في احدى لحظات عبادتها التي اقدس طقوسها ان تهب جسدها من حب آلهتها . وظلت هذه الافكار تروح وتجيء في رأسي وقلبي حتى لقد وقر في خلدي اني حين اعود من مزرعة عمر الى مكتبي في المدينة الكبيرة لن أرى صورة حاملة الحزمة في الاطار بل سأجد هندية ، لحماً ودماً ، على الكرسي المريح المواجه لمكتبي . الا اني حين ذكرت ما قالته لي هندية من أنها ومن هي منهم ذاهبون بعيداً احسست بأن كفاً قاسية تعصر قلبي ، ففضلت معها ان اعود الى الواقع الذي لا لبس فيه ولا ابهام . قلت لنفسي : لا ، ليس بين الهندية وهندية الا صلة الشبه ، وليس لتخيلاتي ظل من الحقيقة . فلو صحت تلك التخيلات لفقدت حتى العزاء الذي ظل لي ، اذن لما وجدت من احد على الكرسي المريح امامي بل لوجدت مكتبي خاوياً من الروح المالئة جوه سحراً وحرارة ولوجدت الاطار على الجدار أجوف فارغاً كطلل متهدم هجرة سكانه . . .

. . . ثم ماذا اقص عليك يا صاحبي؟ . . . أنت يا ابن العالم ذي الابعاد الثلاثة ؟ هل تستطيع ان تفهم كيف تكون الصور احياء . والاحياء صوراً في عالمي ذي البعدين ؟ . . . لقد عدت الى مكتبي اترقب ان ارى الهندية في فتنتها الفنية التي طال عنها غيابي . وفتحت المكتب في خشوع الفقير الهندي في معبد بنارس ، اطأ الارض برؤوس اصابعي : فؤادي مملوء بتهاويل الحب ورأسي دائر من البخور الذي احترقت به ساعات هنائي . وتطلعت الى الحائط امام مكتبي فوجدت الاطار الذي ضم فاتنتي السمراء . وجدته ولكنه كان خالياً . . . فلقد اختفت الصورة ، صورة حاملة الحزمة . . .

أين ذهبت حاملة الحزمة الهندية السمراء؟ كيف هجرت اطارها ومتى هجرته؟ اتراها غادرت مكتبي منذ عامين، منذ هبطت هندية مزرعة عمر؟ ثم اين ذهبت ؟ ! . اسئلة لم اجد لها حلاً ولم يستروح وجداني الا حين قلت لقلبي في استسلام اليائس :

— انها هي . . . الهندية هندية . . . لقد ذهبت بعيداً . . . الى الشرق . . .

الرقة - سوريا — عبد السلام العجيلي

انا كافر

ود — يا صاحبي — لو مُسخ صخرة يتحطم على صلعتهـا يافوخ الكبرياء . . كبرياء اولئك الذين يتعالون عن طينة الناس ويفرضهم جبروتهم الطاغي انصاف آلهة عـلى الارض . . انصاف آلهة ريحهم رجس، ولكن قسوة الحياة خلقت لهم عبّاداً، علمتهم الحاجة كيف يتزلفون، فركب الذل نفوسهم فكانوا بئس المطايا !

ذلك — يا صاحبي — خير له الف مرة من ان يرى «الصنم» يتأله فلا يملك على الاقل ان يستنزل على اضلاعه لعنات المطرقة الحانقة الناقة.

تتجسد مجموعة الحقارات ساطة ، فيأبى الملق إلا ان يعمدها مجموعة من العبقريات ، ليس الخلود الا بعض هباتها ، وليس المجد الا بعض صنائعها . ويتجمع مكر الثعالب في رأس فائل ، فيأبى الملق الا ان يقتصه بطولاتِ منقذٍ ، وامجادَ نبي !

الملق . . هذا الساحر القاهر، ينفخ في المفاهيم فيذروها رماداً، ويعبث بالقيم فيجيلها اصفاداً !

. . وتسألني عن الوعي ؛ قـاهر الملق ، فاسأل عنه — بالله عليك — شبابنا ، فان تحدوا بصمتهم « ابا الهول »، فاعلم رعاك الله ان علم ذلك عند ربي .

اغفر لصاحبك يأسه ، فلقـد آمن بالانسان حتى كاد ايمانه ينقلب الى عبادة ولكن الواقع السمج حطم ايمانه ، فكفر بالناس بهذه المضغ الرخوة تدب على التراب مترهلة حتى لتكاد تنماع كأن الله يوم جبل طينتها، تناساها وما شواها ، بل القاها الى الارض تراباً حقيراً ليس فيه سمو التراب ولا طهارة الصلصال.

☆☆☆

غريب « صاحبك » في دنيا الناس ، كلما تطاول عليه الامد ازداد شعوره بالغربة غربة الروح لا تهفو اليهـا روح ، وغربة الوجدان لا يشاركه انفعالاته وجدان . . . ولو رأيته والوحـدة الباردة الخرسـاء تعمر كيانه لحسبته ورقة استطاع الخريف ان يلوّنها بلون الفناء ولكنها اعياه ان يسلسل في اعصابها معناه ، فعيناه لا تنفكان تسردان عليك مأساة مبهمة الحوادث، في ملامحه بعض معانيها ، وقلبه لا ينفك ينبض بآلام النـاس ، وتفور فيه عناصر كراهيتهم . . . اجل — يا صاحبي — انه يكره الناس ويشاركهم آلامهم في آنٍ واحد ، لان الكره الانساني ليس الا حباً يبلغ درجة العنف ، او حباً يبلغ حد الاسراف .

انه يرحم في الضعفاء ضعفهم ، ولكنه لا يغتفر لهم هـذا الضعف . فمن الجبن ان يظلوا مآسي حية يخلقها القوي حـين تلهو انانيته وتعبث اطماعه ، ومن الجبن ان يظـلوا عبيداً لشهواته ، وأكراً يركلها كلما اشتهت كبرياؤه السادي .

انه يكره فيهم ان يفقدوا كبرياء المقاومة ، وان يُمسخـوا استكانة بلهاء معتوهة تخلق الجرأة في نفوس عشاق المجد وهواة العظمة وتشجعهم على استخدامهم سلالم للوصولية ، ومصـاعد لابراج التسلط والسيطرة !!

ليتهم يعلمون — يا صاحبي — ان عنفوان النسر ، يأبى عليه ان يُمرّغ ريش قوادمه بتراب السفح ، وان اثقلت جناحيه جراحات هدّت كيانه وما هدّت كفاحه !

هو يريدهم ان يتحسسوا الحيف الاجتماعي ، ان تكون كل رعشة من رعشات كيانهم تعبيراً عن عمق هذا الحس ، ان تكون كل حركة من حركات وجدانهم نذيراً للقوة بالانتقاض عليها . . ان يكونوا بمجموعهم طاقة واعية مريـدة ، تعرف كيف ومتى تستخدم فاعليتها لاقرار عدالة اجتماعية تسقط القوي من مقام تأله ليصبح انساناً يعترف ان صلة القربى تربطه بالناس .

بمثل هذا الكره الانساني ، يصفع صاحبك وجه الاقوياء . . يحبهم كأخ ضاوا ويكرههم كطغاة كان يجب ان يظلوا اخوة . . . ولكنهم ركبوا الى الطغيـان رعونتهم ، فأنساهم الطغيـان منابتهم ، وانستهم نشوة الوصول انسانيتهم !

ان النعجة الشـاردة — يا صاحبي — لا يبلغ كره الراعي لها درجة يود معها ان يقدمها للذئاب وليمة فاخرة، فهو ، وان حرّك غيظها لسانه ، فاستنزل عليها نقمة الذئب وضراوة انيابه ، لا يبغي لها في اعماق نفسه سوى الصلاح والرشاد !!

الا ليت الناس جميعاً ، يؤمنون كصاحبك بالكره الانساني ، ليحررهم هذا الايمان النبيل من رق الذات المتمردة الجامحة ، من عبودية « الأنا » وشهوتها ، من الكره البهيمي المطلق . من هوى النفس ، واغوائها المهموس !!

هذا الايمان — يا صاحبي — هو ذات الوعي ؛ والوعي، كما تعلم ، قاهر الملق ومحطم الاصنام . . الاصنام لا من نحاس وتمر، ولكن من لحم ودم لم يمازجها نبل ، ولا سرت فيها نوازع انسان .

امام صمود الوعي وعناده . . كم تحطم جبروت ، وكم تعفرت جباه ما جال فيها يوماً ماء الحياء، فرضها نكد الزمن قبلة للتعبد رجسة، ونصّبها لهو القدر، قدراً متعسفاً يقسّم المصائر ويوزع الحظوظ بين الناس!!

من روائع النغم — الملحنة الخامسة — بقلم صبحي شريف

انها الملحنة الوحيدة المعبّرة عن جميع المشاعر الانسانية الكاملة « نيتشه »

الكثيرين الذين كتبوا عن حياة بتهوفن الخاص منها والعام ، قد اغفلوا الكتابة عن مواضيعه الموسيقية الضخمة او مرّوا عليها مرّ الكرام، وقد يعتقد البعض ان الكتابة عن مؤلفات عبقرية الالم امر سهل بسيط ولكن الحقيقة ان مؤلفات بتهوفن هي كشخصيته من اعمق المؤلفات التي عرفتها الموسيقى حتى الآن .

تعريف الملحنة : ان الملحنة تتألف عادة من اربع حركات او ثلاث والحركة الاولى منها تكون سريعة مليئة بالحياة ، والثانية بطيئة هادئة عذبة الانغام والثالثة لحن مرح مستقل تقريباً بذاته ويكون غالباً من الحان المانويت Minuett الراقصة . وهي رقصة كان يقوم برقصها في الماضي طائفة النبلاء والاشراف في حفلات قصورهم الرسمية ، واما الحركة الرابعة فهي اوسع الحركات اطلاقاً وهي شاملة لاصول الحركات الثلاث السابقة .

هذا هو هيكل الملحنة كما وضعه وابتكره الموسيقار الاكبر هايدن Haydn وسار عليه وزاده قليلاً دون تغيير في الاصول موتزارت اما بتهوفن فانه ادخل تعديلاً كبيراً جوهرياً على الحركة الثالثة، اذ حررها من قيد انغام المانويت الراقصة وغيرها، كما جعل من الملحنة اداة للتعبير عن فكرة من الفكر او موضوع من المواضيع .

في عام ١٧٩٩ — ١٨٠٠ في هذه الفترة التي سبقت تأليف الملحنة الخامسة احب بتهوفن الكونتيس تريزا دي برونسفيك واحبته واستمرت خطوبته لها اربع سنوات ، على ان التقاليد والروابط العائلية وفروق الثروة والمكانة الاجتماعية وقفت حائلا دون زواج الحبيبين فانفصلا عن بعضهما ولم يفصلهما عن الحب شيء الا الموت الذي انقض على بتهوفن اولاً ، وكان يقول بعد ان اجبرا على الفراق : « لقد كانت الملاك الوحيد الذي عرفته بعد امي » .

وخلدها بتأليفه الملحنة الخامسة دومينور[1] التي انهاها في فترة طويلة الامد ولما عزفها للمرة الاولى عام ١٨٠٧ لم يفهمها احد من جمهور المستمعين على حين نهض ناقد مشهور وصاح مشيراً باصبعه الى بتهوفن[2] : سوقوا بتهوفن الى مستشفى المجاذيب فهناك مكانه . ولم يسمع بتهوفن كلمة واحدة مما قاله الناقد لان الصمم ذهب باكثر سمعه واصبح يضع في اذنه الوحيدة التي بقيت شبه سالمة بوقاً يستجدي الاصوات اليها

ولما سأله فيما بعد شندلر[3] عما يقصده بقطعته هذه اجابه بتأثر وهو يرنو بعينيه الى الافق وقد تذكر تريز : « هكذا يقرع القدر الابواب » .

---

(١) مينور يقابل المينور في الموسيقى الغربية النهاوند في الموسيقى الشرقية ، والمينور هو النغمة الصغرى في الموسيقى الغربية .

(٢) يذهب البعض ان هذا القول قصد به الملحنة السابعة ، بينما يرى قسم آخر ان هذا القول لا ينطبق الا على الملحنة الخامسة لان السابعة سهلة الفهم تفسر نفسها بنفسها .

(٣) انطون شندلر مؤرخ حياة بتهوفن بعد وفاته

ما لصاحبك وللناس . . فلصومعة يحيا في سكينتها، ويقبع في جوفها بطمأنينة الناسك، وانطوائية الاواب ، ابرُّ بمُثله التي يتعبد، من مجتمع مستهتر خرافته الكبرى مثالية انسان آمن بالجوهر الالهي السامي في الانسان !! ماله وللناس . . انه كافر بهم ولن يرد عليه ايمانه الا معجزة خارقة تعيد هذه الدمى الحقيرة التي جثمت فوق كواهلها رؤوس من الصلب يحركها وعي المادة — ان تعي المادة — وينساب في شرايينها دم من بتزول . . تعيدها ناساً، تتلألأ في سماتهم سمات الانسان !

وبانتظار تلك الخارقة . . لا تله بربك ، ان فنيَ في تلك الانوار الباهتة الكئيبة ، ينفثها حوله فانوس مريض كفانوس المرحوم « ديوجين » . .

احمد سويد

قال شومـان :اذا تـكلم المرء عن الملحنة فانما يعني بذلك بتهوفن .

ثلاث طرقات رهيبة قاسية تعقبها طرقة رابعة طويلة الامد ، هذه الضربات الزتيبة الاربع هي اول ما نلاحظه في مفتتح الملحنة الخامسة وعليها ترتكز الحركـة الاولى. وليوضح بتهوفن فكرة الصراع العنيف بين الانسان والقدر ، جعل الفرقة الموسيقية قسمين الاول ويشتمل على الآلات النحاسية والثاني يضم الوترية. ورمز بتهوفن للقضاء والقدر بموسيقى الآلات النحاسية وعن الانسان بموسيقى الآلات الوترية ، ففي الحركة الاولى يلمس المستمع بوضوح كيف تفتتح الآلات النحاسية بضرباتها الاربع الآنفة الذكر معبرة عن يد القدر تطرق باب الانسان الضعيف مؤذنة بالكفاح العنيد بينهما ، هذه الطرقات التي يردد الصدى تتابعها فيدفع الفزع والخوف الى ضلوع الانسان وكأنما اراد بتهوفن ان يرمز بهذه الحركة الى الظروف القاهرة التي اجبرته على الانفصال عن حبيبته تريزا ، اذ نسمع هذه الطرقات تتكرر بين الحين والآخر بطرق مختلفة تارة في علو ومرة في خفوت ، طوراً تصطدم بالموسيقى الوترية المعبرة عن قوة الانسان فتطغى عليهـا حتى لا يـكاد الا القليل يصل الى الاذن منها ، كأنما يعني هذا استسلام الانسان وخضوعه لمشيئـة القدر الذي لا يرحم وتنتهي هذه الحركة بثلاث ضربات تعاد ثلاث مرات وضربتين تعاد مرتين ثم ضربة سريعة تعقبها اخرى طويلة يـكون بها ختـام الحركة الاولى التي تعطي بمجموعها فـكرة صمود الانسان لأهواء القدر. والحركة الثانية تعبر عن اليأس القاتل الذي يتملك الانسان حيال هذه القوة الخفية التي يجابهها فيغذي يأسه بأمل الانتصار ، فيشيع في نفسه التفاؤل ، ذلك التفاؤل الذي صوره بتلك الموسيقى الحرة الرائعة التي تتغلغل في الاعماق بحنان فتهز المشاعر ببساطتها وروعتها وتدفقها وانسيابها المبهج ، حتى تنتهي كما بدأت بالتفـاؤل الذي يراود الانسان بأمل الانتصار .

واما التجديد في الموسيقى فانه يبدأ بالحركة الثالثة بذلك التشرزو[٤] Scherzo الانطلاقي المتحرر من القيود الفنية والذي يمهد له بمقطعين موسيقيين رهيبين هادئين من الآلات الوترية كأنما يعبران عن الحذر او الخوف من تحدي قوة القدر وجبروته ، ويعقب هـذين المقطعين من الابواق النحاسية نداء جاف عميق قـاس يسيطر على المشاعر بقسوته ورهبته كأن القـدر يبغي القضاء على الانسان مرة واحده . فالموسيقى معجلة آخذ بعضها برقاب البعض ، فضربات القدر المفاجئة ، والفزع والرهبة والوجل ، وبصيص الامـل الذي يبدو للانسان ويراوده بين فترة واخرى والذي نلمسه بوضوح حين تطغى الآلات الوترية على النحاسية . بسلم موسيقي طويل ينتهي بنشيد عذب من الموسيقى دعاه بتهوفن نشيد الانتصار وبانتهاء هذا النشيد تندمج الآلات النحاسية بالآلات الوترية حتى لا تـكاد الاذن تميز سوى لحن واحد كامل يبتدىء بسلم طويل من القرار الموسيقي ينتهي بجوابه وبه تدخل الملحنة دون سابق انذار في الحركة الرابعة . ويـكاد المرح يـكون مفقوداً في الحركة الثالثة بخلاف اكثر ملاحنه كالثالثة والسادسة والسابعة والثامنة .

ان الحركة الرابعة من هذه الملحنة معبرة تمام التعبير عن شخصية بتهوفن التي تأبى الهزيمة ولا تعترف بالاخفـاق ، فقد تحطمت على صخرة نفسيته جميع قوى القدر والطبيعة والتقاليد ، واول ما يستشف من موسيقى هذه الحركة اصـول الحركات الثلاثة السالفة الذكر بمرورهـا السريع الصاخب وغيز بها محاورات كأنها الوميض الخاطف بين الانسان والقدر ، فأحياناً تعلو موسيقى الآلات النحاسية عـلى الوترية وطوراً تسيطر الموسيقى الوترية على النحاسية وهـكذا دواليك حتى تندمجا معاً في النهاية كأن القدر قـد خضع لمشيئة الانسان ، فالموسيقى كلها حياة ومرح وبهجة في انسيابها وتدرجها وارتفاعها وخفوتها حتى انعـكست وانطبعت شخصية بتهوفن فيها ، فهو يؤمن بالانسان والانسانية الى اقصى حدود الايمان ويحلق بهما حتى يصل في ختام الملحنة الى انتصاره النهائي على القدر . وحين استمع نيتشه اليها فيما بعد قال : انها الملحنة الوحيدة المعبرة عن جميع المشاعر الانسانية الـكاملة. وتختتم هذه الملحنة بنوتتين طويلتين قويتين منفصلتين عن بعضهما تماماً تعقبها ثلاث نوتات منفصلة هي الاخرى عن بعضها بفاصل قصير جداً ، تعاد هذه النوتات جميعها مرة ثانية ثم تنتهي الملحنة بطرقة قصيرة منفصـلة تعقبها اخرى طويلة جداً يـكون بها ختام هذه الملحنة الخالدة على الزمن . وبعد فهذا اثر من آثار الابطال الانسانيين ، انه اشعاع سام قوي الوهج ، يملأ القلوب ايماناً بها . انه جهد النابغة المعذب التعس الذي تلمس صراع الانسان مع القدر بنفسه ، والذي حاول ان يخلق من هذا الصراع واليأس والشقاء الرابض والمخيم عليه انسانية نادرة ، وكثيراً مـا ينبثق الخير العميم من صميم اليأس القـاتل ليـكون هذا الخير في انسانيته اعظم شاهد على عظمة وخلود الانسان .

دمشق — صبحي شريف

(٤) تشرزو معناها الموسيقى ، حياة او مرح او سرعة مليئة بالحياة .

هيهات

●

الى روح عدنان بابا منتحراً في قلق ساعر
اي شيء انت هنا في المجهول يا صديقي ؟

☆ ☆ ☆

على يدي وفي غدي
رؤىً لدى كاسات ضائعة الآهات
صدى من الخمر صدى
امواجها من الازلْ
هَزء الامل
والمدى غدٌ سدى
يُليح في الحانةِ وهم الموعدِ

***

هيهاتْ يا خمَارْ تعبثُ بالاعمارْ
زماننا :
مات على شفاهنا
ذبالةً تحترقُ
يشهق فيها الليل ثم يغرقُ
ارجوحةً مجنونةً
ينداحُ فيها عدمُ من الوجود ابكمُ
وجانحٌ يطوي الرؤى من الضياع ازرقُ
هيهاتْ هيهات، تعتصر الآهات، في مخلب الظلمة ريشُ الفجر مات
فاسقِ بنا ، نحن هنا ، رحب الدنى
وادلقْ على الاوطارْ ثمالة الاعمار
وفي الفضاء بردُ فناء
هيهات يا خمَارْ

باريس علي محمد شلق

من القيم الانسانية

فلسفة الجمال عند هيجل

بقلم محمد عيناني

بحث مهدي الى بهيج محمد شعبان

ترك لنا هيجل كتاباً ضخماً في فلسفة الجمال* نشر بعد وفاته . يضع في مقدمته الطويلة قواعد علم الجمال . وهو يعرف هدف هذا العلم وامكانية وجوده المنطقية ويرسم الخطوط الرئيسية لمنهج البحث الجمالي .

هدف علم الجمال ، في عرف هيجل، دراسة الفن والآثار الفنية وفلسفة الفنون الجميلة،اما المنهج الواجب اتباعه ، فيقسم الى قسمين بينهما في الظاهر تعارض وتناقض ، واحدهما تجريبي تاريخي ، يجهد ، عند دراسة الآثار الفنية، لاستخلاص قواعد للفن ومبادىء للذوق . . والثاني عقلي مبدأي يلم رأساً بالجمال كفكرة ويستخلص منه المبادىء العامة. ومنهج هيجل يجمع ويوحد بين هذين القسمين.

ثم يتساءل هيجل عن ماهية الفن . ويجيب بان الفن هو نتاج فردي ، ونشاط انساني، وخلق روحي عقلي . . وهو يخاطب المشاعر الانسانية ولكن هدفه ليس إثارة الاحاسيس وبعث اللذة في النفس . واذا تساءلنا عن هدف الفن تتبادر الى اذهاننا ردود مختلفة . فالبعض يريدون ان يكون الفن نوعاً من التقليد، ولكن لمَ نقلد ما تعرضه الطبيعة على انظارنا رغم ثقتنا بأننا سنظل دون مستوى النموذج المقلد .

وهناك مذهب آخر يعرّف الفن بأنه تعبير وليس تقليداً ولكنه لا يحدد هذا التعبير . ويوجد مذهب ثالث يقرر ان الفن هو وسيلة الكمال الخلقي، ولكن هذا المذهب ، في نظر هيجل ، يخلط بين الهدف الاخلاقي للفن وهدفه الصحيح ، ويحد من حريته كثيراً . . وعن هذا المذهب الفني الخلقي لا تنتج غير آثار فنية باردة ودون حياة . .

فالهدف الحقيقي للفن ، في نظر هيجل ، هو تمثيل الجمال ، وتصويره ، وتحقيق الانسجام المثالي في الاشياء. ان التأمل في في الجمال يولد فينا ضرباً من اللذة الهادئة الصافية السامية البعيدة كل البعد عن اللذات الحسية العادية .

والقسم الاول من مؤلف هيجل هو بحث فيما وراء طبيعة الجمال ، وهو يحلل في هذا القسم فكرة الجمال والمبادىء العامة التي تشمل كل الفنون ، وهكذا يعالج هيجل فكرة الجمال المجردة ، في الطبيعة وفي الفن المثالي. وفي القسم الثاني يستعرض المظاهر الفنية الاساسية في كافة العصور : المظهر الرمزي ، والمدرسي ، والابداعي الرومنطيقي .

وهذه المظاهر تمثل ، في نظر هيجل ، العصور التاريخية الكبرى : الشرق ، والاغريق ، والازمنة الحديثة .

اما في الشرق فقد لبث الفكر غامضاً ، غير متحدد ، باحثاً عن طريقه للتعبير ، دون ان يتمكن من العثور عليها . وفي الفن المدرسي ، تمّ ، على العكس ، انسجام الشكل والفكرة .

والروح لا يمكنها الاستقرار والراحة في هذا التوافق المدرسي حيث الشيء المنتهي المحدد يختلط باللانهاية . . ولذلك رأينا الوحدة هذه تتحطم بعد ان عجزت الاشكال الخارجية والصور المحسوسة عن التعبير عن الروح وحريتها المطلقة . . فكان الفن الابداعي .

الرمز عند الشرقيين القدماء صورة تمثل فكرة، بخصائصها الغامضة السحرية الموّارة بالاسرار ، فنجد الرمز يحتضن روائع الفن الشرقي اجمالا .

وفي العهد الاول من تاريخ الفن كان المبدأ الالٰهي متوحداً في الطبيعة والانسان . ففي ديانة اللاما Lama مثلاً نرى الانسان يُعبد كالٰه . وفي دين « زرادشت » نرى النور هو الله نفسه . وهكذا كان اتحاد المبدأ الخفي ، مع الاشياء المنظورة ، يشكل

* استعنت في هذا البحث « بموسوعة العلوم الفلسفية الفرنسية –فرانك» وكتاب فلسفة الجمال – هيجل

اول مظهر من مظاهر الرمز في الفن . وفصل هذين العنصرين يعد حدثاً سامياً فيه وقد تمّ في هياكل الهنود ومعابدهم المقدسة . ولكننا لا نجد مثالا معبراً عن الرمز في الفن الا عند قدماء المصريين ، فالمصريون هم ، بين شعوب الشرق ، الشعب الفنان الممتاز الوحيد ، والمصريون بذلوا نشاطاً عظيما وجهوداً جبارة ليعبروا عن تلك الحاجة الفنية والرغبة الجمالية، بالرمز، ومع ذلك فهياكلهم وآثارهم تبدو صامتة بكماء . . ويظهر ان الروح لم تكن قد وجدت بعد الشكل الذي يناسبها لتعبر وتتعين ، فظلت تائهة على هامش الابداع. ان هدف الفن هو التعبير عن المثالية ، اي التوفيق التام الكامل بين عنصري الجمال والفكرة والشكل المحسوس ، وعلى هذا نجد ان الفن الرمزي بذل المستحيل للوصول الى هذا الهدف ولكن عبثاً . والذين حققوا هذا الهدف في الجمالية المثالية هم الاغريق ومن جاراهم في الفن المدرسي . والفن المدرسي يمثل الروح بما هي روح . في شكل فردي . وهو لا يتعدى حدود المحسوس في الجمال . والنظرية المدرسية الجمالية وجدت وتمثلت في الاغريق ، وهناك توافرت الشروط المؤدية الى هذا الكمال الفني : الموقع الجغرافي، وعبقرية هذا الشعب، وخصائصه الخلقية والروحية ، وحياته السياسية . فوصل الفن اليوناني بسبب هذه الهبات الالهية ، الى قمته من ناحية الخلق المحسوس والابداع المتزن الرزين . .

والخلق اليوناني لا يبدو للباحث خلقاً في الطبيعة ، بل هو خلق روحي عقلي حر ، لا يتخذ نموذجاً معيناً فيكمله ، بل يحاول ان يكمل المجموع . . لان الموضوع والشكل هنا متلازمان ، ولذلك فالفن اليوناني سخر جهوده في سبيل اكمال الموضوع والشكل معاً .

واول خطوة خطاها الفن اليوناني هي الثورة على الرمز الشرقي. فهاجمه وهدمه من الاساس. وهكذا نجد الآلهة عند اليونان شخصيات روحية تتجسد في مظاهر انسانية. وتطور المثالية المدرسية يظهر خاصة في توالد الآلهة وانحطاط بعض أنسالهم وخلفائهم وعلى الاخص في تلك الحوادث والمنازعات التي كانت تحدث بينهم والثورات التي كانت تنزلهم عن عروش عزتهم وجبروتهم لتضعها تحت تصرف آلهة جدد غيرهم. وهذا الصراع هو في الحقيقة صراع انساني طبعي، وهو هو القانون الثابت في الوجود.

وهؤلاء الآلهة كانوا ، في عرف الاغريق ، خالدين. ولم تكن تربطهم بالناس المعذبين أية رابطة. ومشاكل الوجود البشري ما كانت تهمهم بشيء. والآلهة ينعمون بصفاء وسعادة لا تعكرها خاطرة. ففي الاولمب ترين السعادة الازلية ؛ والآلهة ، مع ذلك ، ليسوا دائماً صفات مجردة غامضة لشخصيات عامة ومثالية صرفة ، فالى الخصائص العامة المطلقة تنضم الخصائص الفردية. وكل إلٰه يوناني له شكل خاص وملامح معينة ، ومهمة هو ميسر لها وله جوه وحقل نشاطه الخاصان. ولهذا نجد القياس مسيطراً هنا ايضاً ، فالعنصران العام والفردي في توافق تام.

أما الفن الابداعي في أسمى تطوراته فهو الفن المسيحي. وفي هذا الفن نجد ، عوضاً عن الآلهة المثاليين الخياليين، والذين ليسوا الا الطبيعة الانسانية مولهة ، أقول ، عوضاً عن هؤلاء نجد « العناية الالٰهية » نفسها تحل في الانسان (نعرض هنا آراء هيجل على علاتها) وتمر في مختلف ادوار الحياة الانسانية من ولادة وآلام وموت وبعث ، وهدف هذا المفهوم الديني هو تمثيل الفن كموضوع يشمل في آثاره : النزاع، والصراع ، والعذاب ، والموت والحزن العميق الذي يوحيه العدم في الحياة، والالم في الروح والجسد.

وخارج الحيز الديني نجد الفن الرومنطيقي الابداعي تعبيراً عن العلاقات الانسانية المادية والمصالح الاجتماعية. فنرى العواطف والافراح والاحزان تحمل طابعاً دنيوياً ومع ذلك نلمح فيها المبدأ المميز لمفهوم الفن الحديث، اي الاحساس العميق المباشر بالشخصية الذاتية الانسانية. « الأنا ».

والفن الرومنطيقي الابداعي يختلف عن الفن المدرسي شكلاً كما يختلف موضوعاً ، مع انه فكري على وجه التخصيص. . . فأحداث الطبيعة وقواها تفقد اهميتها في نظر الابداعيين ، أو هي على الاقل لا تصل الى مرتبة الالوهية حيث حملها المدرسيون الاغريق. فالطبيعة تحيى والكون يتركز في اعماق الروح الانسانية.

ولكن ، من ناحية اخرى، وتبعاً لاتساع دائرة الافكار الى ما لا نهاية له ، اصبحت الحياة الانسانية بكل مظاهرها وعهودها وأحوالها مادة للآثار الفنية الابداعية. . وعن هذا نتج ان الجمال لم يعد وحده هو المطلوب فحسب ، بل وجد القبح متسعاً للظهور ، ومكاناً في الابداع الفني.

وبعد ان يستعرض على هذا الوجه الفن الابداعي ، يتساءل ، هيجل ، عن هدف هذا الفن فيستنتج أنه من الناحية الدينية نجد الجمالية الاغريقية تظهر الروح متحدة بشكلها المادي ، اما في الفن الابداعي فالجمال لا يقتصر على حمل الشكل المحسوس نحو المثالية،

ولكن حمل الروح نفسها الى هذه المثالية . . .

والله ، في الفن المسيحي ليس إلهاً معتزلا غريباً عن آلام البشر ومآسي حياتهم المضنية ، بل هو يتجسد بشراً ليشارك الانسان آلامه البشرية . والمثالية هي هنا اذن مثالية شعور وعاطفة نبيلة . اما المثالية الدنيوية فتظهر لنا في مظهرين :

الاول ، مع انه يمثل الشخصية الانسانية يتمرس بأحاسيس سامية تختلط بأحاسيس دنيوية والثاني لا يصور لنا الانسان الا باحثاً عن مصالحه الخاصة الذاتية ، وهي تسمو احياناً الى فكرة الارادة وقوة الخُلُق والطبع .

ولكن أهمّ خصائص الفن الابداعي ، دينياً ، هي تلك الروح التي تحاول ان ترضي نفسها بنفسها ، دون ان تحاول الانطلاق الى الخارج .

هذه هي الاشكال الاساسية للفن كما رآها هيجل في تطورها التاريخي واذا كان قد أهمل الفن في عصر النهضة ، فلأنه لم يكن يعتبره فناً اصيلاً ، فالنهضة في رأي هيجل مجرد عودة الى الفن المدرسي اليوناني .

برهم

هيجل ، في القسم الثالث من مؤلفه الشامل ، بتقسيم الفنون ويشير الى ان العادة درجت على تقسيمها حسب الحواس التي تخاطبها ، وتقسيمها ايضاً الى الفنون التصويرية والفنون الموسيقية ، اما الشعر المتخذ الكلام وسيلة لمخاطبة الخيال ، فهو موضوع خاص : و «هيجل» يعتمد هذا التقسيم مضيفاً اليه اصلاحات تقربه من روح الفلسفة العلمية التي كانت سائدة في عصره . فيقول ان الفن هدفه التعبير عن المثالية ، ويجب ان تقسم فروعه وتنظم حسب قرب كل منها او بعده عن هدفه . . . وهكذا تسلسلت الفنون على الوجه الآتي : فن العمارة ، النحت ، التصوير ، الموسيقى ، الشعر . وهذا الاخير هو القمة في نظر هيجل .

الهندسة المعمارية

اقتصر هيجل على وصف مختلف حالاتها ومظاهرها في عصور التاريخ ، وهو يفترض ان هذا الفن يكاد لا يخضع للنظريات المجردة . فمبادئه ، اذا صح ان له مبادىء ، هي القوانين الرياضية الغريبة عن فلسفة الجمال . فاضطر هيجل عندها الى تحديد معنى وطبيعة الآثار المعمارية والهياكل التاريخية . فهدف الفن المعماري هو — بغض النظر عن اهدافه الايجابية — التعبير عن فكرة عامة ، باشكال مستعارة من الطبيعة غير العضوية ، وذلك بأحجام مرتبة حسب القوانين الهندسية والآلية . ومهما كانت التأثرات النفسية الناجمة عن تأمل في هيكل او بناية او أثر من آثار العمارة الفنية ، فهذه ليست الا تأثرات غامضة مبهمة . فهذه الاشكال والاحجام المادية لا تعبر عن فكرة من الفكر الا بغموض . وفن العمارة الرمزي ، هو المظهر الاول للفن كما رأينا ، يعبر عن فكرة عامة دون اي هدف آخر . فالهياكل القديمة تبدو مهمة ، فلسفياً ، فقط حين تساعدنا على تفهم دينيات الشعوب التي تركت افكاراً لما تزل غامضة في تلك الهياكل الضخمة الجبارة .

وفن العمارة المدرسي يهدف الى اشباع الرغبة الى الجمال بتشييد الهياكل . ويختلط عنصرا المنفعة والجمال في هذا الفن فنرى ان الهياكل التي تركها هي نافعة وجميلة في آن واحد . اما فن العمارة الابداعي فللأثر الهندسي والهيكل فيه دلالة لا تخفى ولا تستتر . وهذا الفن يشيد هياكله ليعبر عن فكرة محدودة جمالية او دينية او نفسية ، وهو يرتفع فوق المنفعة والحاجة المادية ويتسامى الى اللانهاية .

واذا بحثنا في العلاقات بين هذا الفن الهندسي الابداعي وبين المعتقد المسيحي والعبادة المسيحية يتضح لنا قبل كل شيء ان الشكل الاساسي هو هنا البيت المقفل المغلق . والروح المسيحية الفردية تنطوي في عبادتها على نفسها ، عائدة الى ربها ، الى اعماق ضميرها ، وكذلك الكنيسة ، فهي الحيز المغلق من كل ناحية تقريباً ، وهي معقل الصمت والتأمل والعبادة . وهي مكان منطو على ذاته ، معد للروح المنطوية على ذاتها . واذا كانت الروح المسيحية تعود الى الضمير ، فانها ايضاً تنطلق فوق المحدود ، وهذا ما يميز بيت الله . فمعنى الهندسة المعمارية الابداعية الحر هو السمو نحو اللانهاية ، وهي خاصة تعبر عنها بترتيب اشكالها احجامها ترتيباً خاصاً ملائماً ، وعمق التأمل والسمو نحو اللانهاية يميزان الهندسة القوطية ويفسرانها (في آثارها المهمة) .

ويخلص هيجل الى ان الهندسة الفنية على كل حال ، تعبر بغموض عن حاجات النفس والعقل والروح . .

النحت

والنحت ، على العكس ، يمثل الاجسام المختلجة بالحياة ، وخاصة الجسم البشري الحي . وفن النحت يشبه الهندسة المعمارية من ناحية استخدامه المادة الصلبة للتعبير ، ويختلف عنه في ان هذه المادة ستكون في يد المثال أقرب الاشياء الى الروح ، بل هيكل الروح المباشر .

ويقول هيجل انه لكي نفهم جيداً مبدأ فن النحت علينا ان نستعرض مبدئياً المعاني الاساسية التي يعبر عنها . وقد رأينا ان الانسان هو موضوع فن النحت الاول والاخير . ولكن على المثال الطامح الى الكمال ان يعبر عن الانسان ، لا في ملامحه التي تقربه

من الحيوان ، بل في جماله المثالي،الحر، المنسجم ، حيث تنعكس الروح ، وذلك بابداء ملامحه النبيلة في اوضاعه وحركاته،لان فن النحت يوفق ، او من واجبه ان يوفق ، بين الشكل والفكرة. وبسبب هذا المبدأ نرى ان فن النحت نجح وكاد يكتمل عند الاغريق المدرسيين. ويلاحظ هيجل ان جمال الخطوط في ذاته لا يكفي لخلق الجمال المطلوب في فن النحت بل يجب ان يكون الخط معبراً عن مثالية اخلاقية او سامية. والخطوط الجميلة في وجه ما ، او جسم ما،هي التي تعبر عن روحيته وتبعده عن الحيوانية المتمثلة فيه من نواح اخرى. ويضرب «هيجل» مثلاً الوجه الجانبي اليوناني ان التأملات العميقة ، والانطواء الذاتي ، والالم الروحي ، والشهادة ، والعذاب، والعقاب ، والموت، والبعث وكلها خصائص مسيحية وحالات ملازمة المعتقد المسيحي،بدت غير موافقة لتكون موضوعاً للمثالين النحاتين وفن النحت يتطلب الهدوء والصفاء النفسي وانسجام الاشكال. فتضاءلت قيمة فن النحت في المسيحية واذا به من مكملات الهندسة المعمارية وتوابعها.

التصوير

اما التصوير فابداعي بالضرورة. وبه تبدأ الفنون التي يدعوها «هيجل» ابداعية. والمظهر المحسوس الذي تخلقه النفس بذاتها، ممتزجاً بالالوان،والتأمل العميق،وتلاعب النور والظلال، كل هذا من اهداف فن التصوير. وهو يستعين بهذه العناصر ، وغيرها ، للوصول الى درجة سامية من التعبير.

والموسيقى تتفوق على التصوير في هذا المضمار،وتصل في تحقيق هذه الغاية الى آثار اعمق وامثل لانها لا تصطدم في تعبيرها بالمكان.

الموسيقى تفاجيء الروح في مكامنها العميقة الخاصة ، حيث الشعور ، فتعبر عنه برموز غير مادية وغير منظورة .

والفكرة التي تؤلف جوهر الآثار التصويرية الفنية هي الحياة النفسية الذاتية. ان الروح بتأثراتها ، ومشاعرها ، واحداثها ، تعبر عن نفسها بجملة من الاوضاع المختلفة . . ولهذا كله نجد ان مركز فن التصوير هو العالم المسيحي .

ويحتاج التصوير ، في آثاره ومظاهر التعبير عنه ، الى درجة سامية من الروحية ، لا توجد،في رأي هيجل ، الا في الفن المسيحي وهو يلاحظ ان العنصر المحسوس، حيث يختلج هذا الفن حياةً ، هو المساحة ، والمظهر الملموس ، اي شيء ينوب عن الحقيقة .

ثم يحلل هيجل نظرية الالوان ، والنور ، والظلال،ويقول ان المصور المبدع يستطيع ان يعبر عن مختلف مظاهر الحياة بالالوان، والالوان ، في التصوير ، اهم من الرسم .

الموسيقى

هدف الموسيقى هو التعبير عن الروح نفسها ، وعن المشاعر الذاتية الكامنة في الاعماق، برموز، كما اسلفنا ، بعيدة عن عنصر المكان .

والموسيقى سريعة الومضات ، واللمحات ، كالروح نفسها . فيمكنها الوصول الى اعمى المشاعر وارقاها . وان توقظ فينا عوالم نائمة بصورها الكاملة ورعشاتها السحرية،والموسيقى هي فن الاحساس.

وتبين لنا المقارنة ان فن النحت ابعد الفنون عن الموسيقى . والفرق بين الشعر والموسيقى كبير ايضاً . فالشاعر والموسيقي يستخدمان الصوت ، ولكن الصوت في الشعر ليس مطلوباً لذاته، بل هو وسيلة ، اما الموسيقى فهي اصوات صرفة تعتمد الاعداد احياناً والتموجات المنسجمة احياناً اخرى . . ثم يحاول ان يعرف الزمن الموسيقي ، والجرس ، والتوقيع والاصطحاب والهرمونيا والميلوديا . .

الشعر

واخيراً يصل الى الشعر فيرى انه اعمى الفنون اطلاقاً ، فهو التعبير الاكمل والاعم عن الروح والمثالية والجمال . والشعر يجمع حسنات الفنون التصويرية والفنون الموسيقية معاً .

فمن حسنات الفنون التصويرية نجد الشعر يعكس لنا لوحات كاملة ملونة كمظاهر الطبيعة . وهو كالموسيقى يعبر عن المشاعر الانسانية بما تنطوي عليه من عمق وخاصية ، مضيفاً الى كل هذا وضوح الفكرة او توضيحها على الاقل .

وللشعر وحده مزية عرض حادثة بكل اقسامها وتطوراتها وتصوير عمل انساني تام ، وكل المظاهر والاحداث في عوالم الطبيعة والاخلاق والتاريخ ، ومناظر الحياة الانسانية اليومية يمكنها ان تكون من موضوعات الشعر ، ويستدرك هيجل فيشير ويلمح بالاشارة الى ان هذه الحوادث كلها يجب ان تؤخذ من ناحيتها المعنوية والمثالية والجوهرية الخالدة .

وعالم الشعر ، في نظر هيجل ، هو عالم الروح على الاخص ، والافكار الروحية والتأملات العاطفية والاحاسيس ، ورغبات النفس السامية ومقدراتها المتواضحة في التأمل ، وهذا كله يؤلف الفكرة الشعرية التي يحسن بالشاعر التمرس بها .

وعلى الاثر الشعري ان يكون ذا وحدة وحياة. والوحدة هي الصفة الواجبة قبل اية صفة اخرى. والشاعر يشترك مع الموسيقي والمثال والمصور وغيرهم في صفات عديدة كالخيال والاصالة والعبقرية والتجديد، ويتميز عنهم بصفات خاصة تلمّ بعبقرية الشعر الذاتية:

على الشاعر ان يكون قد تأمل طويلاً وبهدوء في الطبيعة الحية، وعليه ان يكون ملماً بدقائق ودخائل القلب البشري وهو يقصد الشاعر بصفة عامة. كالشاعر المسرحي والملحمي والغنائي والريفي الرعائي الخ .. وعليه ان يضيف الى ثروته العاطفية والعقلية ثروة جديدة من التجارب والافكار والمشاعر المهضومة والمتحولة في نفسه صوراً، وعليه ان يتتلمذ على الحياة، مراراً باختبار طويل ..

« حتى لتظن ان هيجل يريد اعداد متصوف لا شاعر » ويجب ان يتأمل الشاعر في الزمان تأملاً هادئاً، فالشعر يناسب الشيخوخة اكثر مما يناسب توثب الشباب واضطرامهم، وهكذا يسهو هيجل عن الامثلة التاريخية والحقيقة الواقعة، فيستنتج ان اكمل الآثار الشعرية هي من نتاج الاعمار المتأخرة، بل هي بنت الشيخوخة ويضرب امثلة هوميروس وسوفوكليس وملتون !!

هذه فلسفة « هيجل » الجمالية. او هذه خلاصتها على الاصح، ولا يسعنا، مهما كانت نظرتنا الى امكانية العلم الجمالي، ومهما كان رأينا في الجمال ومذهبنا او تذوقنا له، الا الاعجاب بشمول النظرة التي القاها هيجل على الفنون المختلفة والآثار الفنية من آثار وكتب وموسيقى الخ... محاولا تأسيس مدرسة في فلسفة الجمال

ونحن، بسبب عمق النظرة الحديثة الى الفنون، لا نستطيع ان نوافقه اليوم على كل المبادىء التي اوردها، ولقد اهمل « هيجل » بعض العصور الفنية التي ظل المستشرقون منذ « ابيلارد » يتغنون بجمالاتها ويمجدون تفانيها في سبيل الحق والخير والجمال « واعني بها العصور الاسلامية » وانا لا اتصور « هيجل » الا مطلعاً على التراث الاسلامي ولكن شغفه بالتعميم واستنتاج القوانين المطلقة المجردة منعاه من التعريج على مفهوم الحضارة الاسلامية الجمالية، لأنه يناقض بعض تفصيلات فلسفته كما هو ظاهر. فالحضارة العربية الاسلامية حركت مسائل تتساوى عمقاً واتساعاً مع تلك المسائل التي المّ بها هيجل في نظرته التاريخية والفلسفية الى الجمال والفنون.

وقد ارضى هيجل، في كتابه عن « فلسفة الجمال » تلك الروح الفلسفية العلمية التي كانت سائدة في عصره ووضع في الحقيقة اسساً لهذا العلم المعقد العميق.

وهو، بين الفلاسفة اول من تكلم عن الجمال كوحدة، بعد ان قضى هذا الجمال احقاباً طويلة حائراً بين القيم الاخلاقية والعلم الفلسفي بين افلاطون وارسطو والقديس اغسطين.

وقد نحاول، في مقال آخر، نقد مفهوم الجمال عند « هيجل » لا على ضوء العلم ونظريات هتشسون، واندره، وشيلنج وكنت وسيجوند، بل من وجهة نظر كل فن من الفنون على حدة كما تبلور وتحدد في الآثار الفنية المختلفة عبر التاريخ، لان الطموح الى تركيز اسس علمية للجمال هو نوع من النظر النسبي، والاجتهاد المجرد البعيد عن المفاهيم الحديثة، التي تريد ان تبني صروحاً جديدة في عالم جديد.

محمد عبناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن حضرموت مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة نيجيريا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية
كران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل الارجنتين
شيلي بوليفيا الاورغواي الجوادلوب فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا

الاباء والابناء

للكاتب الروسي سرجيفتش تورجنيف ١٨١٨ ــ ١٨٨٣

بقلم السيدة ماهرة النقشبندي

●

الاديب الروسي* الذي تتمثل فيه الثقافة الغربية والذي قرأ ادبه اهل اوربا قراءة لم تتح لاديب روسي قبله . ولد في مدينة اوريل ١٨١٨ . وعاش في صدر شبابه حياة بوهيمية وابتدأ حياته الادبية بقرض الشعر واصبح غنياً بموت والدته عام ١٨٥٠ . نشرت له المجلات عام ١٨٤٧ سلسلة من المقالات جمعها بعد ذلك بسنوات خمس في كتاب واحد بعنوان « صور رياضية » وفي نفس السنة التي نشر فيها كتابه اي عام ١٨٥٢ حكم عليه زمن نقولا الاول بعدم مغادرة منزله لتطرفه في مدح المؤلف جوجول . اما قصته « الآباء والابناء » التي ظهرت عام ١٨٦٢ فهي تمثل التناقض في الافكار بين الجيل الروسي الناشيء وآبائهم المدبرين عن الحياة ، ولقد سر منها الجيل القديم وازعجت الجيل الجديد . وتعتبر شخصية بازاروف الفوضوي اقوى شخصية في آثار تورجنيف الادبية ولكن النقاد المعاصرين نظروا اليها وكأنها شخصية كاريكاتورية لا تمثل حقيقة مطلقاً . لقد اضطر تورجنيف الى ترك روسيا من جراء المحيط الذي لم يفهمه ووجد صدراً رحباً في فرنسا وبين ادبائها ولا سيما فلوبير وموباسان . وحينما عاد الى روسيا في آخر زيارة عام ١٨٨٠ لقي ترحيباً عظيماً من الناس ، ولكنه عاد الى فرنسا ومات فيها بعد ثلاث سنوات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

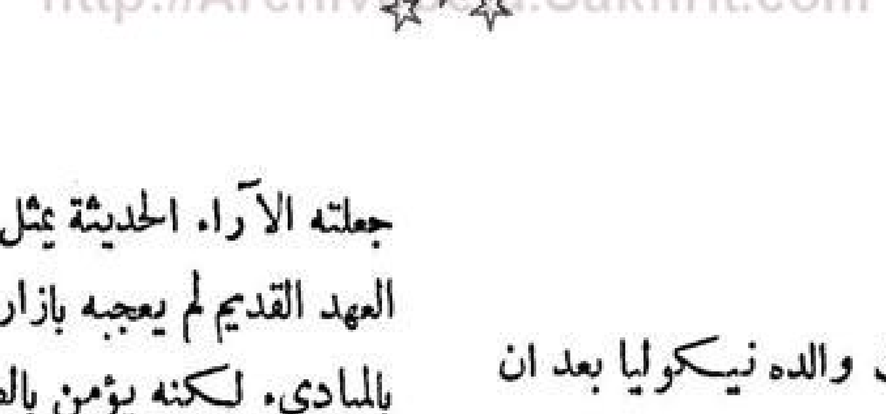
☆☆☆

الفصل

ربيع

اركادي كيرزانوف الى بيت والده نيكوليا بعد ان حصل على الليسانس من جامعة سنت بيترسبورج . وقد صحب صديقه القديم الدكتور يفجيني بازاروف المتمرد على التقاليد . لقد وجد والده في ماركينو (مزرعة البؤس) يواجه المشاكل التي سببها الرق في روسيا سنة ١٨٥٩ وكانت والدته قد توفيت منذ سنين عديدة ، وكان والده وهو في منتصف العمر يعيش مع امرأة شابة « فنتيجكا » وقد انجبت له ولداً .

وقد صرح اركادي الذي يعتنق الافكار الحرة الحديثة انه لا يعارض هذا الوضع . اما عمه بافيل فقد جعلته الآراء الحديثة يمثل الرجعية ، بعد ان كان يمثل الرأي الحر في العهد القديم لم يعجبه بازاروف وقد علق عليه بقوله — انه لا يؤمن بالمبادىء لكنه يؤمن بالضفادع — مشيراً الى تجارب الدكتور في علم الاحياء . « في ذلك الوقت لم تكن كلمة نهلست Nihilist تعني الفوضوي المدمر لكنها كانت تعني بكل بساطة الشخص الذي لا يؤمن بمبدأ الخضوع والطاعة للدولة » لم يكن بازاروف رجلاً فناناً بل كان عالماً يجري تجاربه على الاحياء الصغيرة ليثبت ان النموذج المفرد من كائن كاف للحكم على النوع باسره .



ذهب الصديقان الشابان الى عاصمة المنطقة لزيارة بعض الاصدقاء . فقابلا السيدة كوكشينا المدافعة عن حقوق السيدات وبواسطتها تعرفا على صديقتها الارملة الشابة الفتية السيدة آنا اودنتزوف

* عن الانجليزية من كتاب Famous Love Scenen Mason

وعلى اختها الصغرى كاتيا وقد اعجب بها بازاروف من النظرة الاولى وقال لاركادي ان آنا تشبه الرغيف البارد القديم. ورغماً عن ذلك فقد اهتمت به واهتم بها. ثم زارا والدي بازاروف وكانا زوجين لطيفين من الطراز القديم مشغوفين بابنهما دون محاولة التعرف على آرائه الحديثة.

وعندما يرجعان الى ماركينو يقبّل بازاروف فنتيجكا فتصده برفق وحينما يبصرهما العم بافيل، يغضب لشرف اخيه، ويرغم بازاروف على المبارزة. يصيب بازاروف خصمه بجرح طفيف فيعمل له الاسعافات الاولية. ويطلب بافيل من اخيه ان يتزوج من فنتيجكا فيخبره اخوه انه لم يمتنع عن ذلك الا خوفاً من ان يخدش كرامة اسرة بافيل.

ثم يزور الصديقان اسرة اودينتزوف مرة اخرى. وحينما يطلب اركادي من كاتيا ان تقبله زوجاً تخبره انه قد استولى على قلب اختها، وانها لا تستحق منه كل هذا الاهتمام فهي معدمة وليست على شيء من الجمال والذكاء. اما بازاروف الذي كان في الواقع يحب آنا وقد حظي برضاها فانه كان يعتقد ايضاً ان اركادي يحبها. فيتركها وكلاهما يجاهد أن يخفي شعوره وقد قالت عندئذ ان اركادي شاب وليس مثلي ومثلك يا بازاروف.

مشهد الحب

بعد قدوم بازاروف بيوم واحد جلست كاتيا على مقعدها الحجري المألوف وبجانبها اركادي يطلب منها ان تذهب معه الى الكنيسة. كان ذلك قبل موعد الغداء بساعة واحدة. وكان صباحاً ندياً تلاشى ليحل بمكانه يوم حار محتبس الهواء. كان وجه اركادي يفصح عما لقيه في اليوم السابق من عذاب. ويلوح في عيني كاتيا القلق وانشغال البال. فان اختها قد دعتها الى غرفتها بعد شاي الصباح مباشرة. وبعد تمهيد من اللطف الذي كان يفزعها، نصحتها ان تكون اكثر احتراساً في سلوكها مع اركادي وخصوصاً عليها ان تتجنب الجلسات الانفرادية معه لانها بذلك تلفت نظر عمتها وسائر من في المنزل، وزيادة على ذلك لم تكن آنا في حالة اعتيادية حتى في الليلة السابقة. وكانت كاتيا مضطربة تشعر بخطأها لاصغائها لتوسلات اركادي وقد صممت ان تكون هذه آخر مرة تلقاه فيها.

قال اركادي والخجل يعقد لسانه: — كاترينا منذ ان نعمت بسعادة المعيشة معك تحت سقف واحد ونحن نتحادث في امور كثيرة بينما هنالك شيء مهم جداً بالنسبة الي.. سؤال واحد لم اوجهه اليك حتى الآن. ولقد قلت البارحة انني قد تغيرت هنا كثيراً... واستطرد متجنباً نظرات كاتيا المستفهمة التي كانت توجهها اليه. — لقد تغيرتُ حقيقة تغيراً عظيماً وانت تعرفين ذلك اكثر من اي شخص آخر.. فأنت التي يرجع اليك فضل تغيري. فقالت كاتيا:

— انا..؟ انا..؟ فواصل اركادي حديثه: — انا الآن لست ذلك الشاب المغرور الذي كنته عند قدومي هنا، ولم ابلغ الثالثة والعشرين دون ان تعلمني الحياة شيئاً.. اريد ان اكون نافعاً.. واريد ان اكرس كل قواي للحقيقة. لكنني لن ابحث عن مثلي العليا فقد وجدتها بقربي تواجهني بنفسها. حتى الآن لم اكن اعرف نفسي وقد كلفتها اموراً فوق طاقتها.. واخيراً تفتحت عيناي.. فشكراً لهذا الشعور. ارى انني لا اعبر عما في نفسي بوضوح لكنني ارجو ان تفهميني. لم تجبه كاتيا وكفّت عن النظر اليه. وسمع فوق رأسه طائراً يغرد غير هياب تخفيه اوراق شجرة البَولا. ثم قال بصوت متهدج:

— اعتقد ان من واجب كل انسان ان يكون صريحاً مع هؤلاء الناس القريبين الى نفسه.. وعلى ذلك فقد صمت.. وهنا خانته فصاحته فتلعثم وارتبك فسكت ليجمع شتات نفسه. اما كاتيا فلم ترفع نظرها اليه وكأنها لم تفهم ماذا يعني باقواله تلك. وكأنها كانت تنتظر شيئاً.. وقال بعد ان سيطر على نفسه بجهد جهيد.

— يخيل الي انني سأثير عجبك.. خصوصاً منذ ان بدا لك شعوري هذا، فقد وبختيني امس اذا كنت تذكرين.. وطلبت مني ان التزم الوقار.

واستمر اركادي يتكلم كرجل يسير في مستنقع ويحس في كل خطوة يخطوها انه يغوص الى الاعماق، لكنه يتقدم مسرعاً ليتخلص منه بأسرع ما يستطيع.

— ان التوبيخ غالباً ما يصيب هدفه، لكنه في احيان كثيرة يقع على الشباب الذين لا يستحقونه. لو كان عندي شيء من الامل «مدي يد المعونة الي» كان يتحدث يائساً..» اما كاتيا فلم تدر رأسها اليه».

وسمعا في تلك اللحظة صوت آنا واضحاً وهي تقول:

— لو استطيع ان اصدق ما تقول:

فسكت اركادي حالا وشحب وجه كاتيا.. كانت آنا وبازاروف يسيران في الطريق الضيق الذي يمتد محاذياً الشجيرات التي تغطي الكنيسة ولم يكن في استطاعة كاتيا واركادي رؤيتها لكنهما كانا يسمعان كل كلمة يقولانها حتى حفيف ثيابهما وحتى صوت تنفسها ثم سارا بضع خطوات ووقفا امام الكنيسة. وتابعت آنا قولها لقد رأيت اننا قد ارتكبنا خطأ فظيعاً فنحن

الاثنان قد قطعنا مرحلة الشباب الاولى «وخصوصاً أنا» وقد رأينا الحياة وتذوقنا حلوها ومرها وها نحن قد تعبنا منها. فلماذا نتصنع عدم معرفتها . . ؟ وهل هذا من الذكاء في شيء . ؟

لقد اهتم كل منا بالآخر في البداية ولم يكن ذلك الا حب استطلاع اما الآن . . فقال بازاروف معقباً .

— اما الآن فقد اصبحت شيئاً مهملاً قديماً .

— انك تعلم ان هذا ليس سبب سوء تفاهمنا . . لكن ايا كان السبب فاننا لم نعد نحتاج الى بعضنا وهذا هو السبب الرئيسي لقد كان بيننا تشابه كبير لم نلاحظه في اول الامر . اما الآن فاركادي . . فسأل . — هل اصبحت تحتاجينه .

— اسكت يا يفجيني . . لطالما قلت لي إنه لا يعبأ بي بينما لاحظت دائماً انه يعجب بي . . وانا اعرف انني لا اصلح الا ان اكون خالته . لكنني لا اخفي عنك انني فكرت فيه في بعض الاحيان بعاطفة الشباب وبشعور بريء كان له سحر خاص. فقاطعها بازاروف بصوت ثابت مخنوق يجيش بالحقد والمرارة .

— ان كلمة اغراء اكثر ملاءمة في مثل هذه الحالات . وقد كان اركادي غامضاً في تصرفاته معي يوم امس . فلم يتكلم عنك ولا عن اختك . . ان في هذا دلالة خطيرة ، فرددت آنا قائلة :

— انه كالاخ لكاتيا . . وانا احب هذا منه . . ويجب علي ان لا اسمح باية علاقة بينهما. فقال بازاروف ببطء .

— ان شعورك كأخت هو الذي يدفعك الى ذلك !

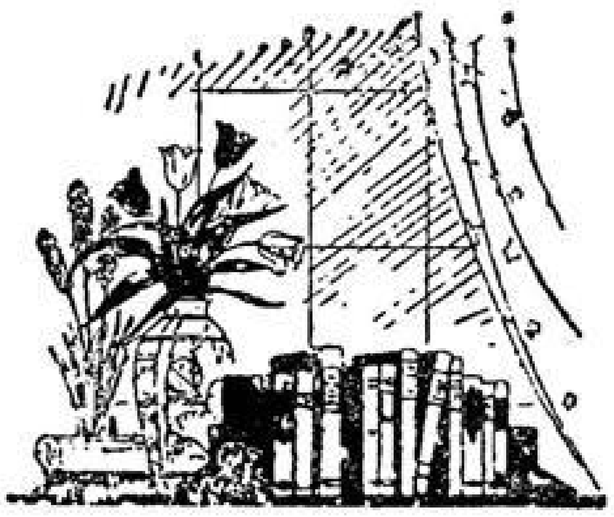
— طبعاً . . لكن لماذا نحن واقفان هكذا . . ؟ دعنا نسير ، انه لحديث غريب . . اليس كذلك . ؟ ولا استطيع ان اصدق انني قد تماديت معك في كلام من هذا النوع . . انك تعرف . . انني اخافك وفي الوقت نفسه اثق بك لانك في الحقيقة رجل في غاية الطيبة .

— اود ان اخبرك اولا انني لست بالرجل الطيب ابداً وثانياً بعد ان اضعت كل مالك من اهمية عندي تخبرينني انني رجل طيب ، ما اشبهك بمن يضع اكليلاً من الورد على رأس ميت . فاجابته آنا :

— لسنا مسؤولين ، ثم هبت ريح خفيفة اخفت كلماتها طي حفيف الشجر . . وبعد صمت قليل سمعا بازاروف يقول .

— طبعاً انت حرة . .

ولم يسمع بعد صوتهما . . لقد تلاشى وقع اقدامهما وسكن كل شيء . . فالتفت اركادي الى كاتيا فوجدها جالسة كما كانت وقد زاد رأسها انحناء. فقال بصوت مرتجف وهو يضم يديه بقوة :



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

ندفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤٠ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تلفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47 / المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— كاتيا سأحبك الى الابد .. ولن احب سواك .. اخبرك هذا راجياً ان اعرف رأيك فيّ .واسألك ان تتزوجيني ، بالرغم عن انني لست غنياً لكنني مستعد لاية تضحية في سبيلك .. انك لا تحبينني لانك لا تصدقين اقوالي وتظنينني اتكلم بلا روية . لكن تذكري ايامنا الاخيرة وما فيها من حلاوة وسحر،وقد كان عليك ان تعلمي منذ زمن بعيد ان كل شيء عدا حبك قد اضمحل وتلاشى ولم يترك في نفسي اثراً .. انظري الي واسمعيني ولو كلمة واحدة ترتاح لها نفسي القلقة اسمعيني الكلمة التي تقولها الفتاة لحبيبها .. احبك فنظرت كاتيا اليه نظرة مشرقة ثابتة وبعد تردد طويل ارتسمت على ثغرها بسمة ضعيفة وقالت : — نعم .

فقفز اركادي من المقعد الحجري وقال مهتاجاً .

— نعم ! قلت نعم : هل تعني انني احبك وانك تصدقيني؟ ام ماذا ؟ انني لا اجرؤ ان اتصور .. ! فاعادت كاتيا قولها : نعم ففهم في هذه المرة ماذا تعني فأمسك بيديها الكبيرتين الجميلتين وضمها الى قلبه وهو مبهور الانفاس مذهول النظرات يردد اسمها .. كاتيا كاتيا .. من اعماق قلبه وهو لا يكاد يستطيع الوقوف. اما هي فقد اجهشت في البكاء من اعماق قلبها وهي تبتسم خلال دموعها .. ان من لم ير في عيني حبيبته مثل هذه الدموع لا يعرف بعد الى اي مدى من الجهد المضني المشوب بالحياء ونكران النفس يصل المرء الى السعادة في الدنيا .

وفي صبيحة اليوم التالي طلبت آنا، بازاروف الى مخدعها . وقد ناولته ، وهي تخفي ضحكها ، ورقة مطوية كانت رسالة من اركادي اليها يطلب منها الزواج من اختها .. فتفرس في الرسالة ملياً وهو يجاهد ان يضبط نفسه ليخفي ما تأجج في صدره من حقد .. ثم قال :

— اذن هكذا سيكون .. وانت حتى البارحة كنت تظنين ان أركادي يحب كاتيا كأخت.. فماذا انت فاعلة الآن ؟

— ماذا تنصحني ان افعل ؟ قالت ذلك وهي لا تزال تضحك فأجابها ضاحكاً وهو ابعد ما يكون عن السرور ، ولم يكن ميله الى الضحك باكثر من ميلها اليه :

— اظن ان من واجبك ان تباركي زواج هذين الشابين . انه زواج موفق من كل وجه .. فحالة اركادي جيدة ، وهو الابن الوحيد لاب كريم الاخلاق لن يجرب ان يزعجه في يوم من الايام.

اخذت آنا تروح في الغرفة وتجيء. وكان وجهها يتورد بالانفعال من وقت لآخر ثم يأخذ في الشحوب . قالت :

— اترى ذلك . اذن لا مانع عندي ، وانا مسرورة لسعادة كاتيا واركادي .. لكنني سأنتظر جواب والده اذ سابعث من يخبره بذلك .. وهكذا كانت النتيجة اذن لم اكن مخطئة حينما قلت اك اننا قد هرمنا والا كيف لم ار شيئاً ! ان هذا مايحيرني. ثم اخذت تضحك مرة اخرى ، وبسرعة ادارت رأسها بعيداً .. فقال بازاروف وهو يضحك :

ان الجيل الجديد اصبح خبيثاً بصورة مخيفة . وبعد صمت قصير قال : — استودعك الله . وارجو ان توصلي الامور الى نهايتها السعيدة ، ولن يمنعني البعد ان أسر لسروركم .. فالتفتت اليه بسرعة وقالت :

— ارجو ان لا ترحل .. لكن لماذا لا تبقى ؟ انه في الحقيقة حديث طريف ذلك الذي داربيننا .. يخيل للانسان انه يسير على حافة هاوية .. فيشعر بالخوف اولا .لكنه يستجمع شجاعته كلما امتد به السير . ارجو ان لا ترحل !

— اشكرك على اقتراحك هذا . .وعلى الاطراء الذي لا استحقه لكنني اظن انني قد تماديت في البقاء مدة طويلة في مكان لا يرتاح الي ، كالسمك الطائر قد يبتعد محلقاً في الهواء لكنه سرعان ما يرجع الى الماء . . فاسمحي لي ان اعود الى المكان الذي نشأت فيه .فنظرت اليه وهو شاحب اللون ينتفض من الالم، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مريرة . .فشعرت بالعطف نحوه بعد ان رأت حبه العنيف فمدت اليه يديها بحنان .. ففهم ما داربخلدها فتراجع خطوة الي الوراء وقال :

— كلا . .انني رجل فقير بائس ، ولم اعتد على الاحسان من الناس استودعك الله واتمنى لك حظاً سعيداً.

— انا واثقة اننا لن نرى بعضنا بعد الآن. فاجابها قائلاً :

— من يدري ماذا سيحدث .. ثم انحنى اليها ومضى .

الخاتمة

عاد بازاروف الى بيت والديه الهرمين .في حفلة عرس مزدوجة يتزوج اركادي بكاتيا ووالده بفنتجكا .. يشرح بازاروف جثة فلاح مات بمرض التيفوس فيجرح اصبعه ويصاب بالمرض ثم يموت وآنا بجانب سريره. وتنتهي القصة التي تعبر صراعاً بين القديم والحديث في روسيا بمرأى زوجين هرمين مهدمين ، يصليان على قبر ابنهما الوحيد .

بغداد — ماهرة النقشبندي

اديب اسحق فتى الانبعاث الشامل في الادب العربي

من سلسلة الامالي الادبية

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

●

مستعرب دمشقي المولد بـيروتي النشأة ذاعت بواكير شعره ودانت له اعواد المنابر وهو أمرد يلهو اقرانه على ملاعب الصبـا بينما هو يكدح في مصاعب الارتزاق تعاوناً واباه الفقير .

نقدمه في عمره القصير اديباً لبنانيـاً ادّى ، في خدمة العربية رسالة حافلة بالامانة والجرأة والتنوع يقصّر عن مثلها شيوخ الادب الموهوبون ، ونأخذ في الكلام عليه ، معيدين الى الاذهان ، صدى حنينه الى بيروت مبحراً اليها مريضاً من باريس سنة ١٨٨٠ قال :

غبنا وكانت اليك أوبتنا ... يا وطناً لم يغب عن الفكر
ما برحت نفسنا على ولهٍ ... تغالب الشوق فيك بالصبر
جسدهـا اذ تكاد تُحمده ... حتى بدت منه علّة الصدر
فاحتملنـا اليك جاريـةً ... كأنها بالذي بنـا تدري
يكاد ماء العباب يُغرقهـا ... وقلبهـا مثلنـا على جمر

يا لهذا الجو المغواء ! ويا لهذه التربة التي كأنما هي ابرة الفكر المغناطيسية تجذب اليها ابداً ابناءها النازحين ، يغيبون عنها مهاجرين طامحين ولا تغيب عن مخايلهم فيعودون اليها على جوانح الحنين او تعيدهم اليها رفاتاً عودة الفاتحين !

هذا اديب بيروت وحبيبها شاعت فيه الحياة مبكرة تستندي كرمة نفسه فأينعت موسمها واورفت ظلها فسعت اليها ريح الخريف مسرعة فاجتثّت اصولها ومزّقت غصونها وافانينها ولكنها لم تتمكن من الوصول الى قوارير اطيابها ولا من العبث بادنان عصيرها المسكر .

اديب بيروت اديب منبر واجتماع وصحـافة وشعر وموطىء مسرحي من الرهط الاول المؤذن بطلوع فجر التمثيل على هـذا الشاطىء الذي كان دهراً طويلاً مسرحاً لحضارات الفكر العريق .

هذا الشاطىء الذي قال اديب الشاعر في طيب اريج جباله :

واغتنم نشق نسمات السحر ... قبل ان تُمحى بأنفاس البشر

وفي ماتع جماله الطبيعي :

والافق يبسم والطيور صوادح ... والنهر يرقص والغصون تصفّق

وفي بعض حسانه مجارياً موشحي الغزل في بلاد الاندلس :

بابي ظبياً علينـا شفقـا ... معربـاً عن مبسم كالشفق
واتى نحوي فلما رمقـا ... لم يدع للصبّ غير الرمق
ذا جبين كهلال أشرقا ... فهدى بالنور أهل المشرق
ولحـاظ كنبال حبثما ... رشقت كانت نذير التعس
وخدود بعد سقياها الدما ... غرست بالورد اجمى مغرس

ولكن الشاعر الفتى الغزل على طريقة اليافعين المدلّهين كان ابيّ الخلق معجباً بأنفته التي تذكر بأنفة ابي فراس الحمداني يقول في موقف من مواقف نبل النفس :

وأرخص دمعي للضعيف اذا شكا ... ودمعي لنفسي في النوازل غالي
علوت بذمّ السافلين كما بدا ... بظهر طعن النـاقصين كمالي

ولما سجن في خلال الثورة العرابية في بعض سجون الاسكندرية قال بلسان الاحرار آنئذ :

لئن حبستُ بلا ذنبٍ ولا حرج ... فما يراعي الى غير الهدى انطلقا
ولي فؤاد امينٌ ان صفا ووفى ... ولي لسان بمحض الحق قد نطقا
ما للمؤذن لم يسجن بارضكم ... ان كان يُسجن فيها كلُّ من صدقا

هذه اشارات الى بعض شعره الكثير بالنسبة الى عمره مررنا بها مروراً سريعاً لنحدّث عن نثره المنوّع بـين تقريري اجتماعي وخطابي وترسّلي المتّصف في سائر انواعه بالأسر المضريّ القديم والمتراقص في سجع ينساق مطواعاً لقلم لبق كان منذ ردح من الزمن استاذاً في المنشئين وقائداً في المفكرين .

وفي مصر اتسعت نفس الفتى اديب لمجـامع الفلسفة الادبية

والمنطق والسياسة فاتصل بجمال الدين الافغاني واصدر جريدة مصر فكانت صبحاً من الانشاء ودعوة لانقلاب كبير اقدم على اصدارها وليس في يده غير عشرين فرنكاً، واتبعها بمجلة اسبوعية.

وضاقت سياسة تلك الايام بنفثات الصحافي الجريء الحرّ فحجبتها فيمّم باريس، حيث صفا له الجو، فاصدر جريدة « مصر القاهرة » يحشد في صفحاتها درره الغالية، وقد استوى على عرش النضوج المبكر. ولكن افراطه في اجهاد نفسه وارهاق جسده اضطراه الى ترك باريس والعودة الى مصر. ولم تطل اقامته فيها لا كاتباً في مجلس النواب ولا مستصحاً بهواء اسوان فيها، فعاد الى لبنانه الحبيب عودة الاسد، فغيّبه القبر وهو في التاسعة والعشرين من العمر.

وفي هذه المرحلة من حياة لبنان اليوم، يفسح التراب، على مدفن الاديب، في حدث بيروت، ليطلع هذه الليلة في مثل قوله:

« ونحن ذوو أبدان شهدت بقوتها حوادث الايام، واهل صبر دلّ عليه ثباتنا في المتاعب، وارباب إقدام اقرّ به الاعداء، وحلفاء قناعة اثبتها الجود والفقر. كنا اهل السطوة غير معارضين وارباب الثروة غير منافسين تزين بضائعنا الامصار وتعمر صنائعنا الاقطار وتنير معارفنا الافكار.

فما لتلك البلاد التي وسعت الوف الالوف تضيق عن المئين؟ وكيف صارت قوّة اهلها ضعفاً، ومسخ مجدهم ذلة وخسفاً؟

هل انقلبت الارض، ام غضبت السماء، ام فسدت القلوب، ام عميت الابصار، ام هذه سنة الزمان في ابنائه؟

كلا! ولا عتب على الزمان. فهو النهار يضيء شمسه، والليل يطلع بدره، والربيع يزين الارض بازهاره، والشتاء يروي المزارع بامطاره. ولكن هي البصائر غشيها وهم الكمال في العادات، ودعوى العصمة في التقليد، فاحتجبت عنها حركة الخواطر في بلاد الغرب، فسار الناس ونحن واقفون، وحركتهم عوامل الغيرة وضمائرنا مبنية على السكون.

الى ان يقول:

فان قصر العمر عن الوصول الى غاية النعمة، ودرجة الهناء، فلا اقل من ان يموت الشرقي عن سعي يُشكر واثر يذكر:

فمن عاش في ذل فذلك ميّت ومن مات في عزّ فذلك سيّد

وفي مقاله « اماني » من عرض حالنا المغبونة في علاقاتنا بالغرب ما يصلح نداء في آذان احرارنا وشبابنا اليوم كقوله:

لقد آن، والله! للامّة ان تطلب وللدولة ان تجيب. بل آن للغربيين ان ينكفئوا عن الطمع في الإثرة، ويعدلوا عن الحرص عن الامتياز. فقد ابطلت الحجة التي اثبتوا بها لانفسهم ذلك الحق الى ان قال:

بصرت بالحالة العليا فلم ارها تُنال الا على جسر من التعب

وفي « بيانه » عند انتقاله من القاهرة الى الاسكندرية. بجريدته « مصر » تفصيل لنهجه الصحفي ركّزه على ثلاث نقاط هي من القيم التوجيهية عامة والصحفية خاصة بمكان رفيع. قال: « اولا، اصرف العناية الى تهذيب العبارة وتقريب الاشارة لتقرير المعنى في الافهام من اقرب واعذب وجوهر الكلام متجنباً ما كان من الكلام غريباً وحشياً، او مبتذلا سوقياً. فان التهافت على الغريب عجزٌ وفساد.. والتنازل الى الفاظ العامة يقضي باماتة اللغة وإضاعة محاسنها، وان في لغة قوم لدليلاً على حالهم.

ثانياً، أسير في السياسة سيرة محبّ لوطنه، لا تأخذه فيه لومة لائم وناقل عدل لا يتجاوز به الميل جانب الإنصاف.. واذا أرضيَ لم يقل غير الصدق واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق..»

ثالثاً. اقضي واجبات الجرائد بنشر المقالات العلمية والادبية تنبيهاً للخواطر وتدميثاً للاخلاق..»

نعبر مسرعين بمثل مقاله « المقيم المقعد » يتصدّى فيه لتمثيل الشرقيين، ينصّبون احياناً من الاشخاص اصناماً يحرقون امامها البخور ويضحكون في سرهم منها ومن انفسهم ايضاً، تمثيلاً يمتّ الى اسلوب المقامات بضلع كبير، يدافع فيه هذا الفتى اقطاب المنشئين في الفصحى، بعبارة يبلغ فيها غاية من الاعجازين: متانة اللغة وتدفق الطبع.

ثم نخلص الى عرض يده المنتجة، مساهمة مع صديقه سليم النقاش، اخي مارون النقاش، واضع حجر الاساس في المسرح العربي الحديث، تلك المساهمة التي نقلت الى لسان العرب روايتي: « اندروماك » و« ابنة رولاند » ووضعت اقتباساً رواية « الباريسية الحسناء » فجاءت جميعها في خير بيان ترضى عنه الفصحى ويتناوله الجمهور.

وخلاصة القول ان اديب اسحق كوكب صبحيّ أطلق في سماء الفصحى شعاعاً خالداً على ظلمات الانحطاط فاهتدى بنوره كثير من حملة الاقلام الى فجر الانشاء الحيّ والفكر الثائر على كره من عمره القصير المشوب بالغصص الكثيرة.

نسيم نصر

مأساة المركيز دي سنك مارس

☆☆☆



مرّت ثلاثة قرون على خاتمة مأساة «سنك مارس»* وكان احد المقربين الى الملك لويس الثالث عشر، وقصة محاولة كلفت صاحبها حياته، فمات في سبيل طموحه وآماله، وما عتم خصمه الكردينال ريشيليو ان توفي على اثره، ولم يعمر بعده طويلاً. ولا زالت خرائب قصر «سنك مارس» في التورين؛ الى يومنا هذا، تشهد بعظمة صاحبه العتيدة، وسقوطه المريع: ولا زالت ابراجه تناطح الجوزاء، ناطقة بعظمة صاحبها وتوثب تلك النفس التي قضت في سبيل حياة اعظم، وفي سبيل فرض الذات. وهذه الخرائب لا زالت تتحدث عن مأساة «سنك مارس» التي تعدّ من ازخر مآسي التاريخ الفرنسي.

نحن في عام ١٦٣٨، في عهد لويس الثالث عشر، والكردينال دى ريشيليو يقبض بيد من حديد على زمام الاحكام في فرنسا، فهو طاغية عنيد، يحكم باسم الملك، ولا يتورع في سبيل غاياته السياسية عن اي عمل، ولكنه رغم هذا، مهاب ومحترم، لاعماله العظيمة وذكائه النادر وحنكته في تصريف امور الدولة... انه تسلم مملكة متهالكة منقسمة على نفسها، وخلّفها موحدة مرهوبة الجانب، شامخة الامجاد. ولكنه اضطر في سبيل هذا كله، الى محاربة النبلاء ومعاملتهم بطريقة تخلو من الرحمة والانسانية والنبل. وكثيراً ما اكتشف مؤامرات تحاك ضده في الخفاء، فأحبطها وشتت قوادها، وبطش بمدبريها.

واثمرت سياسة الحزم والشدة ثمارها، رغم العديد من مضارها، فانتعشت حركة العمران والتجارة الخارجية؛ فهدأت الضمائر والنفوس، وانصرف الناس الى الفنون الجميلة والآداب، فكان المجمع الفرنسي...

وظل ريشيليو مكروهاً من الناس، رغم اصلاحاته المتعددة الحيوية. ولم يتمكن من بث المحبة في القلوب، والحماسة في الارواح، وظل الشعب ناقماً عليه، فاذا حدث وظهر في مناسبة من المناسبات، ارتفعت الهمهمات وعبارات التهديد من اوساط الجمهور الحاقد الغضوب.

ولكن الملك كان يعلم مدى الخدمات التي يؤديها له وزيره الاول. فأطلق يده في امور الدولة. واعطاه صلاحيات واسعة، وليس ادلّ على ذلك من هذه الرسالة من الملك الى الكردينال:

«لحضرة ابن عمنا. انني اقدر كل الاسباب التي تدعوكم الى الراحة، وانا اتمناها لكم اكثر مما تتمنونها لنفسكم، مع الصحة الجيدة، لا سيما اذا خصصتم اوقاتكم الثمينة لسياسة امور دولتي.

فكل شيء اصبح على ما يرام منذ تسلمكم زمامها وانني امحضكم غالي ثقتي، مصرحاً انني لم اجد الى الآن من ارضى رغبتي في سياسة الامور مثلكم وهذا ما يجعلني اتمنى عليكم، بل ارجوكم، الا تنسحبوا من الحكم، لا والا، ساءت اموري...

«ان اخي حاقد عليكم، يؤازره بعض رجال البلاط،

---

* نحاول ان ننقل لقرائنا الذين لم يطّلعوا على قصة «سنك مارس» لا لفريده فيني ما كتبه احد أعضاء المجمع الفرنسي، هنري روبير، عن هذه المأساة

ولكنني سأحميكم من اي كان ؛ ولن اتخلى عنكم ابداً ».

وكأن الملك تنبأ ، في هذه الرسالة ، بقصة المؤامرة التي نروي وقائعها .

كان المريشال « سنك مارس » ، والد هنري بطل مأساتنا ، من اشهر رجال الحرب والسياسة في فرنسا ، خدم الملك والوطن خدمات كبيرة ومات في اوج عزه وسلطانه .

وورث عنه ، ابنه هنري ديفيا ، المركيز « دي سنك مارس» كل الصفات النبيلة المحببة . فكان ، في شبابه ، مرحاً ، حسن الحديث ، صبيحاً ، انيقاً ، يمتاز عن عامة الشبان النبلاء بعظمة نفسية روحية غريبة ، مقرونة بقوة جسدية تظهر اكثر ما تظهر اثناء التمارين والمبارزات التي كان المركيز يخوضها .

لاحظ ريشيليو ، وهو السياسي الماهر ، هذا الشاب ، فأضمر له العطف ، وشيئاً اكثر من العطف . اضمر له الاعجاب بمواهبه ، واراد ان يدفعه الى الامام ، مستغلاً مواهبه في سبيل غاياته هو .

عين الكردينال الشاب ، ولما يتجاوز السادسة عشرة من العمر ، ضابطاً في الحرس الملكي ، ثم التشريفات الملكية ، وسرعان ما لاحظ الملك هذا الشاب الجميل الذكي الانيق ، وعلم انه ابن الماريشال المتوفي ، فقربه اليه لشهرة والده ، وخدماته الجلى ، واحاديث الكردينال الدائمة عنه .

ثم تحولت العلاقة بين الملك والمركيز الشاب الى الفة ، فولع ، فمحبة ، وفي نهاية عام ، ارتفعت الحواجز بينهما وصار الملك يصرح للشاب بدخيلة نفسه ، واصبح مشغوفاً به شغفاً غريباً ، فلم يعد بامكانه ان يستغني عنه .

وهذا ما كان يرمي اليه الكردينال ريشيليو حين اتى بالمركيز الشاب الى البلاط.

ولم تكن الصلات ، في الحقيقة ، وثيقة بين الملك ، ووزيره الاول ، انه خضع لتأثيره بعد ان آمن بآرائه الصائبة وسياسته الحكيمة ، ولكنه ظل يثور في دخيلته ، على هذا الطاغية المتعجرف ، الذي يشاركه في الحكم والسلطان ، بل يكاد يتفرد بهما دونه .

واخذ لويس الثالث عشر يتغزى برحلات الصيد ، ثم اتاحت له الظروف — او هكذا تصور — هذا الشاب الذكي الاريب ، فراح يصارحه بمكنون عواطفه وعميق رغباته .

وعلم ريشيليو بحالة الملك النفسية هذه ، لانه كان يعلم كل شيء ، فخاف على نفسه من الملك وصرح بهذه المناسبة لنجيّه « الاب جوزيف » :

« ان السيطرة على الملك تكلفني جهوداً اشد من السيطرة على المملكة » وظن انه يستطيع ان يقف على حركات الملك وخبايا نفسه ، بواسطة صنيعته الشاب ، وكان الكردينال يثق باخلاصه ، ثقة تامة . .

وتلقى الملك ، كما رأينا ، الشاب بالعطف والمساعدة ، وقربه ، ليتقي اشباح الشيخوخة التي بدأت تحيق به في مسائه المضطرب الحزين .

جعل الملك يصطحب الشاب في غدواته وروحاته ، ولا يسمح له بقضاء ساعة واحدة بعيداً عنه :

ولم تمر هذه الصداقة الشديدة دون احداث ومنغصات ، فالملك متحكم ثائر . يريد ان ينفس عن صدره ظلم وزيره ، بظلم صديقه الشاب ، وهذا رقيق المشاعر طاهر النفس ، فيه اندفاع الشباب وثورة الآمال الكبار . . ومما يدلنا على مبلغ حب الملك مرور عام من وجوده في القصر كبير فرسان الملك ، وهو اكبر منصب في البلاط الملكي .

وكأن هذا النجاح قد اسكر الشاب بخمرته ، وللنجاح خمرة اشد فعلاً من مرارة اليأس ، ففقد حاسة التفكير الصحيح ، وركبه الغرور . وكتبت الاميرة « آن دى غونزاغ » تصف عظمة سنك مارس في تلك الايام « كل المظاهر حول المركيز كانت تغرى به وتوغر صدور الحساد من خصومه ، فموكبه حين يسير الى مقابلة الملك ، لا يختلف عن موكب الملك نفسه او الكردينال ، اذ كانت الفرسان تصطف بالمئات ، عند مروره ، وتتبعه الى السدة

المركيز دي سنك مارس





الاميرة ماري دي غونزاغ

●

ولكن الملك والكردينال ظلا يعتبران سنك مارس طفلاً ، ويعاملانه على اساس هذا الاعتبار .

والتقى المركيز ، في البلاط ، بالاميرة « ماري دى غونزاغ » فأحبها حباً شديداً مفاجئاً .

والاميرة ماري سمراء ، ذات جمال روماني ، ومشية نبيلة فيها عظمة وفيها روعة ،ولم تكن هذه الاميرة ، كما صورها الفرد دى فيني ، شاعرة القلوب محمومة الوجدان ، عاطفية ، بل متعجرفة ماكرة تحاول ان تبذل سحرها وحسنها في سبيل مطامحها الكبيرة .

حلمت الاميرة ماري في بادي الامر بالزواج من غاستون دورليان ، وهو اخو لويس الثالث عشر ، ولكن هذا الامير فضل في اللحظة الاخيرة « مارغريت دى لورين » التي تفوق ماري ثروة ان لم تفقها جمالا .

حقدت الاميرة الجميلة ماري على الدوق الغادر ،ولما اخذ«سنك مارس »،في هذه الاثناء يتودد اليها ، لم تجد مانعاً من مسايرته ، فتظاهرت بحبه عسى ان يحقق لها بعض ما تطمح اليه نفسها من العز والسؤدد ، واوحت اليه ، برقة ولطف ، انها لن تتزوجه ما لم ينل لقب « دوق » .

وصارح العاشق الولهان ، ريشيليو ، بمطامحه ، ومطالبه الجديدة فلم يوافقه عليها بل زجره قائلاً :

— عليك الا تنسى ايها الشاب ، انك لست غير نبيل توصل الى ما هو فيه من الرتبة بفضل مساعدتي وعطفي ، فكيف تسول لك نفسك الحديث عن الزواج بالاميرة « ماري» ؟ اما اذا كانت هي توافقك على هذا الزواج ، فانا لا اشك بانها مجنونة ، مثلك !!

جرح هذا الرد الشديد « سنك مارس » في صميم كبريائه . فخرج دون ان ينبس ببنت شفة .

واوجدت الظروف دافعاً آخر لحقد المركيز ، فحدث يوماً ، اثناء اجتماع الملك بوزرائه ، ان قال الملك لريشيليو : اريد ان يكون هذا الصديق (واشار الى « سنك مارس ») حاضراً اثناء اجتماع الوزراء ، ليظل على بينة من امور البلاد .

فلم يبد على ريشيليو انه سمع هذه الاشارة الملكية ، وعند انتهاء الجلسة ، طلب من الملك استبعاد « عظيم فرسانه » من اجتماعات الوزراء المقبلة ، فقبل الملك هذا الطلب ،ولم يحضر المركيز بعدها اجتماعاً من تلك الاجتماعات .

وايقن سنك مارس بان الكردينال هو الذي اوحى الى الملك بهذه الفكرة ، فاسرها في نفسه ، واضمر الانتقام ، والقضاء المبرم على خصمه اللدود . وحدث ان اهان الكردينال احد النبلاء ، فونتراي ، وكان معروفاً بنفوذه ودهائه في البلاط ، فاتخذ هذا النبيل من « سنك مارس » مستودعاً لاسراره . وهكذا اجتمعت المركيز دوافع حبه للاميرة ماري ، والطموح ، والكبرياء الجريحة ، والدسائس ، فحالك مع اصدقائه النبلاء ، خيوط مؤامرة جهنمية ، غير مبالين بما يمكن ان يلحق فرنسا من جرائها ، فهم يريدون ان يوقعوا بريشيليو عملاً بصرخة شمشون :

« علي وعلى اعدائي يا رب ! »

وكانت الحرب على اشدها ، في تلك الآونة ، بين فرنسا واسبانيا ، وحاول « سنك مارس » ، ان يبيع ، في ذهن الملك الفرنسي ، افكرة الصلح مع اسبانيا ، بعكس الكردينال الذي



فرانسوا ارجوست دي تو

●

كانت سياسته تتلخص في محاربة اسبانيا حتى النهاية .

ولم يستجب الملك لاقتراحات صديقه ، فتحول هذا الى رهط من النبلاء ، وفي مقدمتهم شقيق الملك ، واقترح عليهم اغتيال الكردينال ، وتنصيب غستون دورليان عرضاً عن اخيه لويس الثالث عشر ، وتوقيع معاهدة صلح مع اسبانيا .

وكتب سنك مارس ، بخط يده ، نص المعاهدة ؛ وتعهد فيها الدوق دي « بوايون » احد المتآمرين ، بالسماح للجيوش الاسبانية باحتلال « سيدان » على ان تعين جيوش اسبانيا ، الحركة ضد الملك . اما غستون دورليان فتعهد بقيادة الجيوش الفرنسية والاسبانية موحدة القيادة ، وتعهد ملك اسبانيا بتقديم اثني عشر الف رجل ، وخمسة آلاف جواد ، ودفع مبلغ اربعماية جنيه ذهبي نفقات للثورة .

وقر رأي المتآمرين على ان يخلف غستون دورليان ، اخاه لويس ، وسنك خصمه ريشيليو . وهكذا ينال الاسبان السلم وقد طالما طمحوا اليه .

وسلمت المعاهدة الى المركيز دي فونتراي . بعد ان اخذ على عاتقه توقيعها من رئيس وزراء اسبانية الدوق « اوليفارس » . وفي هذه الاثناء شفي لويس الثالث عشر من مرض ألم به ، وسار الى ساحة الحرب حيث كانت المعارك مشتدة في نواحي « برينيان » .

وسار الى ساحة الحرب بصولجانه وتاجه وابهة ملكه ، املاً ان تبتعث هذه المظاهر الملكية بعض ما فقد من الهيبة في قلوب الشعب ، وخاصة جيوش المتآمرين ؛ بعد ان لغط الناس ببعض الاسرار والاشاعات . . وتوقف الملك بصحبة ريشيليو ، في فونتنبلو ، ثم توجه الى ليون ، والتقى « سنك مارس » بريشيليو في ليون ، ولم ينفذ المركيز ما تعهد به للمتآمرين من اغتيال الكردينال . ومع ذلك فقد كان سنك مارس يحمل في منطقته خنجراً رهيفاً كثيراً استله امام اصدقائه قائلاً : « بهذا سأحقق آمالي واخلص فرنسا » .

ومن الطبيعي ان تصل بعض هذه التصريحات الدموية الى الكردينال ، مع ما انتقل اليه من اخبار المؤامرة ، فكان يبتسم ابتسامة هادئة معنوية . .

في هذا الوقت تلقى « سنك مارس » نصائح كثيرة . تدعوه الى التروي والحذر والهدوء ، ومنها نصيحة صديقه المخلص « فرانسوا دي تو » وهو رفيق صباه ، وقد نشآ معاً ، وسترى من سياق المأساة انه سيموت في سبيله ، رغم براءته ونبل نفسه .

وكان من الطبيعي ان لا يأبه « سنك مارس » لهذه النصائح ، فاستخف بها ، ولم يولها كبير اهتمام .

فونتراي الآن يجتاز جبال البيرينه ، حاملاً المعاهدة الخطرة الثمينة التي تسلمها ، متخفياً بثوب راهب كبوشي ، وعلم به ريشيليو فأرسل رجاله يطاردونه وسط العواصف الهوج والثلوج الهاطلة ، فنفذ فونتراي في فراره ، ضاغطاً على المعاهدة ، في بطانة معطفه ، متخطياً الحواجز والحدود . . ووصل الى مدريد ، وقابل الدوق « اوليفارس » ولم يكتم رجل الدولة فرط سروره بالمعاهدة ؛ ولكنه احتج على بعض ما جاء في بنودها وامتنع عن التوقيع فصاح فونتراي في النهاية :

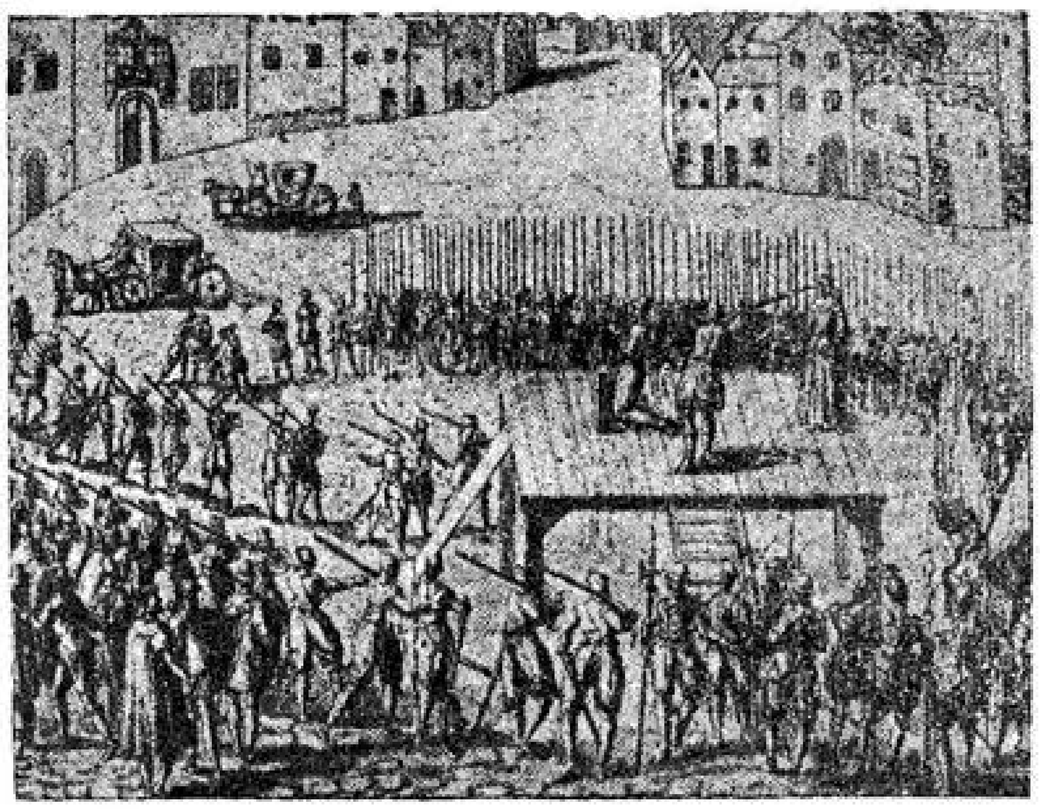
أنا لا اعجب من فشلكم في السياسة والحرب ، لانكم في الحقيقة ، تهتمون بالاشياء التافهة ، في حين تهدد الجيوش الفرنسية حدودكم . وبعد الجدل والمناقشة وقع السياسي المعاهدة ، وعاد فونتراي بها الى « كاركاسون » حيث سلمها الى « سنك مارس » وصديقه المخلص « دي تو » وتوجه الثلاثة الى « برينيان » حيث الجيوش الملكية .

الانظار كلها متجهة الى خصم الكردينال . فالثعلب العجوز مريض ، والشاب ينعم برضا الملك ومحبة الفرسان ، ومؤازرة النبلاء .

وسنك مارس يتحدى ريشيليو علناً ، وعلى مسمع من رجاله ، في جميع المناسبات ، وانقسم الجيش ؛ في الرأي ، من مناصر للكردينال ومخاصم له .

واتصلت بالملك اخبار « سنك مارس » وجملة من تصريحاته الملتهبة الساخرة ، فمنعه من الدخول عليه ، مسايرة للكردينال ، فحاول سنك مارس مراراً ان يحظى برؤية مولاه ، ونجح اخيراً ، وتلقى

مشهد اعدام سنك مارس ودي تو



عند زيارته للملك ، وابلًا من الاهانات الشديدة.

جعل الكردينال يراقب خصمه ليتخلص منه عند اول بادرة. ولولا الجيش، الذي ظل على ولائه للمركيز، لما لبث هذا في المقاومة طويلًا.

ووردت على الكردينال رسالة من احد جواسيسه في مدريد، يخبره فيها ان احد الفرنسيين (وهو مجهول لديه) جاء الى العاصمة الاسبانية ، وخابر السياسيين فيها بشأن معاهدة سرية

احد الفرنسيين ؟ ان جواسيسه جميعاً يعرفون « سنك مارس » « ودى تو » والدوق دى « بوايون » فمن يكون الخائن الدساس اذن؟ فليس لدى الكردينال اي اثبات ضد خصومه السياسيين.

ويظهر ان اخباراً واضحة معينة اتصلت بالكردينال ، حول المؤامرة ، اذ كتبت « ماري دى غونزاغ »، الى حبيبها تقول : « انكشفت مؤامرتكم في باريس . . واصبحت واضحة كالشمس».

وحاول اصدقاء « سنك مارس » ان يقنعوه بالهرب ، ولكنه اصرّ على البقاء في فرنسا ، فانتهره فونتراي قائلًا :

« ان لك من ارتفاع قامتك ما يحفظ لك طولها ، بعد قطع رأسك ، اما انا فقصير القامة ، واريد ان أبقي على رأسي ليظل شكلي مقبولا ».

وفر فونتراي الى بريطانيا ، في زيه الكبوشي المعهود.

وانكشف امر المعاهدة ، فقد حمل « شانيني » نسخة منها الى الملك ، ارسلها اليه الكردينال ، ولم يعرف الى الآن ، كيف توصل اليها هذا المارد الداهية . وفوجىء الملك ، ودهش عند قراءة هذه الوثيقة التي تثبت خيانة صفيه وخليله « سنك مارس » هذا الرجل الذي انعم عليه بالجاه والثروة والمجد ، والذي باع بلاده في سبيل الانتقام الرخيص .

ودعا الملك اليه « سنك مارس » وأمر باعتقاله وخلافاً لما يزعم الفرد دى فيني ، في كتابه عن « سنك مارس » فان بطل مأساتنا حاول الفرار ، حين امر الملك باعتقاله ، ولكن الحرس القوا القبض عليه في اليوم التالي لفراره .

واوقف صديقه دى تو ، دونما سبب سوى صداقته للمغامر العاشق ، حاول « سنك مارس » ان ينقذ ما بقي من كرامته ، فالتزم مظهر الكبرياء والعزة اثناء المحاكمة والاستنطاق، اما شقيق الملك فكان مضحكاً في تصرفاته ، اذ ركع على قدمي اخيه ، طالباً الصفح والغفران ، معترفاً بكل شي . . . فقال له لويس : انهض يا اخي . انا اعلم انك ما احببتني في حياتك ، ولن يتيسر لك ان تحبني ابداً .

لم يكن لدى ريشيليو سوى نسخة عن المعاهدة ، قد تكون صحيحة او مزورة ، فلم يكن باستطاعته ، والحالة هذه ، ان يستصدر من اي قاض في المملكة حكما على خصومه ، وخصوم الوطن ، فاستكتب « غستون دورليان » اعترافاً كاملًا يستند اليه في المحاكمة ، فكتب هذا الامير الرعديد وثيقة يحمر لها وجه التاريخ خجلًا .

سجن سنك مارس وصديقه البري. « دى تو » في تارسكون، وتولى الكردينال استجوابهما بنفسه . وعين « ليون » مكاناً للمحاكمة بعد ان اقتنع بجريمة «سنك مارس» واقنع الملك والقضاة. اما « دى تو » فاتهم بكتمان خبر المؤامرة رغم علمه بها .

وفي « ليون » حاول القضاة، اثناء المحاكمة ، انتزاع الاعتراف من احد المتهمين ولكن عبثاً، ولجأ القضاء الى حيلة معروفة ففصلوا الشابين واوهموا « سنك مارس » بان صديقه « دى تو » اعترف لهم بكل شيء، فضعف امام حيلة القضاء ، واسئلتهم المتكررة المملة المحرجة . . فخانته اعصابه ، واعترف .

وحكم على المتهمين بالاعدام ، فصعدا الى المقصلة ، في ساحة من ساحات ليون وسط الجمهور المجتمع من انحاء المدينة ، ونفذ فيهما الحكم بين الدموع واللعنات . .

وقال ريشيليو وهو على فراش الموت « الله وحده يعلم المذنب من البري. ، ولكن اعداء الوطن هم دائماً اعدائي ».

خارطة جزيرة العرب

•

اول خارطة من نوعها لجزيرة العرب فيها من التفاصيل والدقة ما لا يوجد في بقية الخرائط مجتمعة

وهي ضرورية للمدارس العربية ومكاتب الهيئات والافراد

تشتمل على: المملكة السعودية ، اليمن
عدن ، عمان ، وخليج فارس

ذات الوان زاهية – قياس ١١٥/١٠٠ سم

ثمنها ١٥ شلناً او ما يعادلها

تطلب من السيد هبة الله علي صاحب المكتبة العربية
سوق البهرة – عدن

شـــدي الـــوشـــاح

•

انزاح طرف وشاحها الوردي فتململ الطفلان في المهد
يتجاذبان على ارتجافهما قصص اللقاء ، وخفقة الوجد
يتراقصان كأن ظلهـــما انداء صبح في فم الورد
كل يحاول ان يطير بأجنحة العبـــير ، الى رؤى وعد
حتى يخامره الحياء سنى فيرف متكئاً على زنـــدي
طيفان في ثغريهما ألقٌ كالنجم ، يا للنجم ا. ما يبدي ؟
شدي الوشاح على الربيع ،فقد ملك الهوى محاوله . شدي
الزهر ما لثم الندى فمه ينشق بارقة عـــلى النهد
ضمي البراعم في غلالتها شفة الصبـــا لهفى الى الورد
الموجتـــان على اضطرابهما رقص الشعاع معربد المـــد
ابدا يحن لومضه نظري فهوى الفراشة فتكة الوقد
لكنني بي من هواه منى ولهى تغـــار عليه من ودي
انا ان يخاصر طيفه حدقي اخشى على الاحداق من سهدي
اخشى على الطفلين صحوهما هذين يا حسناء مـــا افدي

بغداد — طه العبيدي

في ضمـــير الغيب

مهداة الى روح « جيته »

•

لما انطويت على نفسي ظفرت بها صمتاً اعانقه جذلان مكتئبا .
كأنما نشوة الالهام تفعمني وجداً فأفعمهـــا من جذوتي طربا .
اني سعيت اليها في مجـــاهدة ورحت اكشفها أسيان منتحبا
وجدتها في ضمير الغيب سابحة والنور من افقها ينهل منسكبا
البؤس ألهمني لما انسجمت به والشك اظهر لي ما كان محتجبا ا .

«ذاتيتي» انبثقت من «ذات» خالقها فأسرع العقل كي يستكشف السببا
فغامت الروح واربدت ملامحها ووجهها من تهاويل الاسى شحبا
عقلي إلٰه وروحي اين قيمتها اراك يا عقل بالاوهـــام مصطخبا
شوهت بالمنطق المزعوم روعتها وما تركت لعين «الحدس» مرتقبا .
معراج وحي اذا ما رحت تصعده صاحت بك الارض لا ، هيهات ان تعبا *

* وعب يعب

فتنطفي ومضة التجريـــد مرغمة وتنثني للهيولى يائساً ، تعبا !..

اني اعود ولي في خيبتي امل على صدى عزلة تستنطق الشهبـــا
يتنابني ارق النجوى بسورته والقلب يوشك من دنياه ان يثبا ا .

تظل فلسفتي حبلى بمشكلة احس وقع خطاهـــا الآن قد قربا
دعني فتلك الرؤى ما زلت ارقبهـــا الا تراني فوق الافق مغتربا
اصغي وذاك الدجي المسحور اسأله والفكر منطلق يستشرف القببا
وارتمي في خضم الذات ملتمساً حضن الالوهية العذراء ، منقلبا .

ويعبر الله في ذاتي فاتبعه حيران ، مصطرع الاشواق ، مضطربا
يمضي فأمضي وآفاقي ترف له والوجد يسطع بالاشراق ملتهبـــا
ونلتقي في ذرى الايمان يغمرني وحياً فأغمره في سكرتي حببا !

هي الطمأنينة الكبرى اجاهد كي اسمو اليها واسلو الضعف والوصبا
حتى اذا امتزجت روحي مباشرة بها وانهلت من احواضها الاربا
حسبتني الله يزهو في قداسته وقد نأى عن يقيني الشك واحتجبا .

مصطفى محمود

قصيـــدة

•

خير شعري قصيـــدة هـــي في النفس باقيه
طي ذاتي نفثتهـــا ثم او صدت ذاتيه !
هي في القلب رعشة يجهل العقل ماهيه !!
كلما جن ومضهـــا كاللظى . . في فؤاديه
عدت لـــلامس ذاكراً صـــوراً من غراميه
انتشي . . مثل شارب من شرايين داليه !!

اي لحـــن يموت بي من اغاني شبابيه
وفراغ احسه ، في ضلوعي ، وهاويه
ان انا بحت للسوي ، في غنائي ، بما بيه !
ورأى الناس بعدها شعلة الذات خـــابيه
قد مضى البوح بالذي كان من نورهـــا ليه
انطوي فوق وهجـــه ناعماً بانطوائيه !

فؤاد الحسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامـــل الخـــالـــد !

الى وردة بيضاء في مكان ما من الوجود!

•

حين يمضي الربيع لا تقفي كالظل حيرى على رفات الربيع
واتركيه للصيف ينزف دنياه ويمضي بجالات الدموع
وارقصي عند نعشه وطئي الورد ، بقايا مغمورة بالنجيع
وارفعي صدرك الخليع الى الله وثوري على خبيء الضلوع :
ها هنا نشوة الوجود فلم اكتم حبي وليس لي من رجوع !

وانا كالربيع لوحه الصيف فتاه الملال في اوراقه
وهمى الظل يسرح الكسل الابله والعي باهتاً في أحداقه
وارتمى الغصن، يسأل الابد الماء، وذل السؤال في اشداقه
فاعبري بي انا الخريف تناهي البذل للشح في ربا اشواقه
بذله ليس طوع هذي البقايا ثورة الوهم في مدى اغداقه

لي حلم يا ورد لن يطلع الفجر ومنه في مقلتي غير دمعه
نحن منه على جناحي غمام ساحب ظله الى غير رجعه
انا شوق وليس لي طمع منه ، وانت الحنين يحرق ضلعه
ان تدانى الجنحان وانزلقت كاس لكاسي وقلت يجرع جرعه
باعدتنا الرياح فانسكب الشوق فعدنا والجراح ينزف لوعه

وتطول الايام والامل الخالد يمضي بعيدا بعيدا
ابداً نحمل العذاب، عذاب الشوق، والشوق تستحيل جديدا
صبوة لا نريقها انما ندرك انا نذوي رويداً رويدا
وترود الغمام رعشة ريح فيهل الدموع لحناً شرودا
وعلى الارض نسكب الدمعة حرى فتروي الحياة منها الوريدا

هو حلم دعيه يفرغ ما فيه فان الحياة تطوي جراحه
فغداً يرقد الوجود بجنبيه ويلقي المدى عليه وشاحه
فاذاما عبرت بي عند قبري والصباح الندي يسكب راحه
فطئي رمسي المعفى بنعليك ودوسي ترابه واقداحه
حسب قبري ان تبعثي الامل الخالد فيه وان تثيري نواحه

لست تدرين من عبرت ولكن قدر تاه فانطلقت اليا
لست تدرين ان ضلعي تحت القدم المشتهاة ينشر ريا

لست تدرين ان رفة ثوبيك تثير الاسى المجنح فيا
حسب روحي اذا مضت حلما اخضر : ان سوف تعبرين عليا
وستجري الحياة ملء ترابي ويعود الوجود كأساً رويا

حمص — انعام جندي

لقـاء الربيـع

•

الربيع السمح وافى والصباح — باسم يستقبل الضيف الكريم
رحبت بالزائر الزاهي الجناح — صادحات الطير بالصوت الرخيم
كل ما في الكون يصغي بارتياح — وبشوق يرمق الوجه الوسيم

قم بنا للروض قم نصطبح — ونغني الحب مع اطياره
فهو يزهو برداء الفرح — ويفوح الطيب من ازراره
يا لروض بالضيا متشح — جمد النور على نواره

انها دنيا الربيع الساحر — ترتدي بُرد الصبا برد الشباب
انها دنيا الجمال الباهر — توجت هامته قوس السحاب
هي دنيا الحب حلم الشاعر — اشرقت فيها الاماني العذاب

ما ارى الشلال الا وتراً — شده الله الى صدر الغدير
تنشد الطير عليه سورا — للهوى في محفل الورد النضير
حبذا العيش نديا اخضرا — وربيعاً دائماً حلو العبير

آه ما احلى الطيور الشادية — نغمات الحب في روض الصفاء
آه ما احلى الغيوم الجارية — سفناً بيضاء في بحر الفضاء
ليت شعري اين تمضي سارية — اتراها تنتحي دنيا الرجاء ؟

نحن من دنيا الاماني كالورود — وردة تذوي واخرى تزهر
ان تمت فالطيب باق والخلود — في النوى جل الاله القادر
هكذا الامواج تمضي وتعود — ليس فيها اول او آخر

اسمع الامواه يحدوها الامل — وهي تجري للمقر الازلي
حملتها الشمس اماً للجبل — واعادتها لحضن الجدول
فجرت للبحر تشدو في جذل — دون ان تفقه معنى الاجل

فـالى م انت تخشى الاجلا افترجو ان تعيش الابدا
عش يوحي القلب وامرح جذلا واطلب العيش ربيعاً وندى
ولتكن دنياك دوماً املا عبثاً يطري امانيك الردى

وديع ديب

الدمعة الحمراء

●

إيه نعمى هـل ترى تدرين اسرار الدموع ؟!
رب دمع قد حوى سفرا من الشعر البديع !
رب دمع لم يكن الا دمـا قلـب مروع !
رب دمع فجرته النار ما بين الضلوع !.

لو شهدت الدمعة الحمراء تذريهـا جفوني ! .
عندما ماتت مُنى قلبي وغارت في السكون !..
عندما غصت بصدري لوعة الوجـد الحنون
لاعترتك الدهشة السكرى واوصاب الشجون !..

ايه نعمى ! لا تظني انني ابكي انكسارا !
لا تظـني دمعتي تهمي خنوعاً او صغارا !
ان نفسي تأنـف الذل وتستعلي اقتـدارا !
ليس ترضيها حيـاة لم تكن نوراً وناراً !

دمعتي : غضبة حرّ سامه الدهر عذابا !...
دمعتي : شوقي الى الامثل لا القى الرغابا ! ..
دمعتي : افلاذ قلب في حنـايا الصدر ذابا !
دمعتي : صرخة يأس من دنى ماجت سرابا !

بولس اسعد الشرتوني

من ذكريات شللي

على ضفاف بحيرة جنيف

●

يا أماسي حبنا الحالم عودي يا ليـالي
وانشري في سفح « لمبارد » حنيني وابتهالي
امسيات كلما طافت رؤاهن ببالي
عصرت قلبي من الشوق وقلبي غير سال

حين سار الزورق المخمور يحدوه التمني
و« جنيف » كخيال طـاف مزهواً بذهن
دغدغت شطآنهـا الريح بشوق وتأن
فتلقتـه بموج كصـدى العود المرن

وحبيب الروح في الزورق هـيمان يغني :
هذه امسية الحب وساعات الجمـال
فتزود لليالي الهجر زاداً من وصالي
فالليالي غادرات آه مـا اقسى الليالي

وشعاع الشفق الاحمر يلقي ذوب تبر
في كمـام الزهر الغافي على شاطىء نهر
ما ترى دمعته البيضـاء كاللؤلؤ تجري
فوق رمل الشاطىء الظامي الى دفقة قطر

وبنا الزورق فوق اليم كالاطياف يسري
وحبيبي فـاتن الطلعة شرقي الدلال
علمت مقلته النـاس افانين القتال
وحبت بسمته الحلوة اصناف الظلال

وطيور الساحل الغربي لاذت بالوكور
جائعات يتمرغن عـلى بسط الزهور
والسنونو والشحـارير وافراخ الطيور
ملت الروض فهامت بين طيات الاثير

كلما ملت من التحليق عامت في الغدير
والهوى العاصف بالعشاق يسعى للزوال
بين تقبيل وهمس وشكاة وابتهـال
يتهادى الزورق المخمور ما بين الدوالي

أين « ماري » اين ليلات الوصـال الساحر
يوم كنا مثل طيرين بروض عـاطر
ذاك عهـد مر من عمري كحلم عابر
لم تزل تبعث ذكراه الاسي في خاطري

آه لو ترجع ساعـات الهوى للشاعر
آه يا « ماري » رماك الموت عني بانفصال
وتوارى الامس للعين كأطـلال بوال
كيف لا تدمع عند الموت آماق الرجال

بغداد **عبد القادر رشيد الناصري**

مكتبة الاديب



خليل مطران - شاعر العصر

لنجيب جمال الدين - ١٦٢ صفحة - مطبعة دمشق

بين يدي الآن ، رسالة في النقد التحليلي، والدراسة الادبية، وضعها الاستاذ نجيب جمال الدين، عن الشاعر خليل مطران، الذي اطلق عليه ، اسم شاعر العصر . وخليل مطران ، يستأهل حقاً ، كل هذا الاحتفاء ، من جانب النقاد العرب ، فهو شاعر متعدد جوانب الشخصية الشعرية، وكل جانب في هذه الشخصية الفريدة، ثر وخصب ورائع .

والواقع ، ان الناقد ، قد اشتغل ، فعلاً ، بالجوانب الشخصية في الشاعر النابغ، ودرس آثاره الفنية دراسة مكينة قوية، واعجب به اعجاباً بليغاً . وكان مصدر هذا الاعجاب ، انه ادى رسالته الشعرية على النحو الذي يريده عليه المؤلف .

والمؤلف ، ناقد له نظرية ، اي انه يأخذ بالتفكير المذهبي ؛ فهو ، هنا ، يختلف عن « سانت بوف » الذي كان يأبى ان تسيطر عليه في طريقته النقدية فكرة ما، ويحاول دوماً، ان لا يكون له مذهب يطغى عليه في اسلوبه النقدي . وكان يقول عن اصدقائه والمعجبين به : «لقد سرهم ان اكون قاضياً صالحاً، ولكن قاضياً لا يرجع الى قانون» اما صاحب «شاعر العصر» فكان قاضياً، اتخذ له قانوناً لا يحيد عنه، وجعله محوراً يدور عليه في احكامه، ومعياراً في تقييم كل صنيع فني.

ويزيد من قيمة الكتاب، ان الناقد لم يكن محدود الاحساس وهو يحكم على الشعر والشاعر ، اي انه لم يكن مستنداً فقط على نظريته ، ومقاييسه في تبيين الجمال الفني، ولكنه يضيف الى ذلك ، احساساً رهيفاً وذوقاً مترفاً في انتقاء النماذج الشعرية الصالحة فالنقد عنده علم وفن معاً ، يقوم على التفسير والتعليل والتحليل من ناحية ، وعلى الحس الدقيق والتذوق الرفيع من ناحية ثانية .

غير انني اختلف مع صديقي المؤلف في بعض رأيه ، نتيجة لاخذ كل منا ، منحى خاصاً في تفكيره المذهبي ، وهذا التباين في الرأي ، لا ينال في شيء ، من قيمة الكتاب الفنية ، من حيث انه رسالة قوية في النقد الادبي ، عالجت ابحاثاً دقيقة ، في الادب، بكثير جداً من الشجاعة والعمق والتذوق .

ففي الكتاب آراء، كان المؤلف يرسلها ارسالا دون ما تحديد او ضبط ، ولذلك لم تكن لتخلو من الخبط والغرض والانحراف والتجني . فقد هاجم « جماعة التبشير بالحرية المطلقة » وراح ينال من ممجدي العرق العربي ثم . الداعين الى نظرية التفوق والكبرياء القومية ، وفي الوقت نفسه ، يندد بالحجر على حرية الفكر، ليصل بالنتيجة، وبالاساليب المعروفة، الى البكاء والاستبكاء، من محاربة الشعوبية والمادية والفوضوية واخيراً الشيوعية . .

واخاله مغالطاً اذا لم يكن مخطئاً ، عندما وجد في قول شوقي وهو يرثي الشهيد العربي عمر المختار، ممجداً بطولته وجهاده واستشهاده :

ان البطولة ان تموت من الظما ليس البطولة ان نعب الماء

انه دعوة لقبول الواقع والتزهيد بغنى المال ، وانه تحذير وتثبيط وتسكين وضرب ابر المورفين !

وليس صحيحاً يا صديقي نجيب ، ان الاشادة بالامجاد القومية، وبمجيد العرق العربي للحفاظ على الخصائص العربية وتنمية الشخصية العربية ذات الطابع الفريد المميز ، من اجل بعث العزائم وشحذ الهمم ، اقول ليس هذا النمط من التفكير او الكتابة نازية او فاشستية او عرقية ، او ان فيها احتكاراً للقمح وتجويعاً للجماهير ونهباً للرغيف .

ولماذا يا صديقي نسمي الادباء العرب الذين يمجدون العنصر العربي والتاريخ العربي والامجاد العربية ، ببغاوات بريئة او اشباه ادباء ، او ذوي اقلام مأجورة ؟! الأنهم لم يمجدوا انتصارات الجيش الاحمر ، ويشيدوا ببسالة الجندي الروسي، ويتحدثوا طويلاً عن الحرية والفن التقدمية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي ؟! !

هذا الشطط والتحيز في ارسال الاحكام النقدية هو من مساوىء التفكير المذهبي اطلاقاً ، على اخذي بهذا الضرب من التفكير الذي يجب ان يكون مستقيماً في مجالي التفسير والانشاء، رغم انه لا يخلو في الغالب الاعم من الضيق والغرض والتعسف.

ويعنى الاستاذ الناقد عناية كبيرة بوحدة الموضوع، او الوحدة الفنية على انها مقياس لجودة الشعر واعجاز الشاعر . ويجد ان الذاتية مما يضعف من قيمة الاثر الفني . كما انه يهاجم بلا هوادة ، أدباء

الروحية والذين ينعون مادية الغرب .

وانا ، لا ارى في وحدة الموضوع ، كل هذا الاثر ، او بعضه في تقييم الشعر ، لان القيمة الحقيقية للفن ، اعمق من ان تقف عند هذه المعايير الظاهرية التي لا تمس جوهره الاصيل . اما الذاتية في الادب فهي عنصر اساسي في الادب الحي، وهي المادة الفاعلةالتي يريقها الفنان على صنيعه، ليبث فيه الرواء والحركة والحياة. واما الحديث عن روح الشرق ومادية الغرب ؛ فلا اجد كبير مسوغ لهذا الاطناب فيهما ، كأن ليس ثمة نزوع مادي في الشرق او اتجاه روحي في الغرب . والواقع ان الروح والمادة . . هما قطبا الثقافة والمدنية والحضارة في مجال النشاط الانساني .

ثم لماذا كل هذا النيل والتهجم على النزعة الروحية ؟ اما اذا كان صديقنا الناقد ، يقصد بالروحية ، الاتجاه الصوفي . فقد اخطأ المرمى ، لان ثمة بوقاً بعيداً بين الروحية او المثالية كما نفهمها نحن، على انها استعلاء وفيض من القدرة،لا شعوراً بالعجز والضعة ،وبين الصوفية التي هي مجرد استسلام لقوى خارقة ، وهي بالتالي ، زهد بنعيم عارض طمعاً بنعيم دائم ، اي انها زهد ونسك واستخذاء .

هذا بعض ما عنّ لي قوله في الكتاب والكاتب، واضيف، انمن الظلم العبقري للصديق المؤلف، اذا لم اشد بجهده المشكور في هذه الدراسة القيمة . فهو قد اختط للدارسين والناقدين اسلوباً مكيناً متقناً في التحليل الادبي ، قائماً على الفهم العميق والاحاطة الواعية .

واذا كنت لا اقره على بعض من آرائه ، فلا يعني ذلك ، عدم الاعتراف بفضله وقدرته واصالته الادبية ، وانه القى اضواء ساطعة باهرة على الشعر العربي والرسالة الادبية،وقدم لجمهور الادباء والمتأدبين في المحيط العربي اسلوباً محكماً في ادب النقد يرتكز على الجدة والجرأة والتذوق الفني الاصيل .

ولا مشاحة ان هذا الاثر الممتع النفيس ، قد سد فراغاً كبيراً في مجال الدراسات الادبية في النقد العربي ، وهو خير عزاء لروح خليل مطران ، الشاعر الخالد ، في هذا المجتمع الجاحد .

دمشق — مأمون سوح

برقة ، الدولة العربية الثامنة

لنقولا زيادة — ١٤٤ صفحة — دار العلم للملايين — بيروت

هذا كتاب من الكتب النادرة التي يحق للمكتبة العربية الحديثة ان تعتز بها . فقد ولد مع ولود برقة في شمالي افريقية ، وجمع بين دفتيه تاريخ البلاد من اقدم الازمنة الى يوم استقلالها بفضل جهادها الطويل المرير سنة ١٩٥٠ ، واحتوى على دراسة علمية سداها ارقام وحقائق ومشاهد تيسرت للمؤلف في اثناء عمله مساعداً لمدير المعارف سنة ١٩٤٩ في ذلك القطر الشقيق ، ولحمتها اسلوب ادبي رشيق انيق . وهذه مزايا ترفع الكتاب الى مرتبة لا نغالي ان نعتناها بالامتياز .

ان « العروبة » التي تملأ الافواه في هذه الايام ستظل لفظة جوفاء تتداولها الالسنة فحسب، ما لم تعتمد على فهم عميق لحيوات الشعوب العربية . وهذا الكتاب يحقق مطلبنا في ركن واحد من اركان العروبة هو برقة . ومع انه احدث الاركان واصغرها ، اذ لا يتجاوز سكانه ثلث المليون الا انه اول لبنة في الكيان العربي ابرزها المؤلف كاملة المعالم متماسكة الاجزاء . والاقطار المغربية عامة ما تزال بعيدة عن تقليدنا لبعدها عن نظرنا . وقل ما نعرف عن تاريخها وجغرافيتها ومشاكلها الحديثة لندرة ما تتناولها الصحف العربية . فجاء هذا الكتاب ونقل شطراً منها من بعيد ووضعه تحت بصرنا نابضاً بالحياة والقوة والعزة .

ومع ان الكتاب وحدة متماسكة تتدرج من جغرافية البلاد الى شعبها فتاريخها القديم والحديث ، وليس فيه الا كل مفيد ، الا ان فصلي السنوسية وبرقة وايطاليا خليقان بالتأمل الطويل . ويرجع ذلك الى ان المؤلف زار البلاد ووقف على بواطن امورها وتحدث الى ساكنها وشاهد آثار «الحضارة »الفاشستية على الشطآن، وكيف تدهورت اقتصاديات البلاد في تلك الفترة المظلمة (انظر جداول ص١٤ و١٥). وثانياً الى ان المؤلف — على ما يبدو لنا — وضع في هذا الكتاب زبدة دراسة طويلة في المصادر الغربية ولا سيما المستندات والوثائق التي لم يتيسر لاحد غيره الاطلاع عليها . وليس فصل السنوسية (ص ٥٤— ٧٣) الا نتيجة دراسة عميقة وشاملة لهذه الدعوة التي حاول « كثير من الباحثين الاجانب وفي مقدمتهم الباحثون الايطاليون التقليل من شأنها على اساس اعتبارها طريقة دينية صوفية لا تهتم بغير العبادة والزهد والتقشف . وهذا في نظرهم يبرر تصرفهم في الاستيلاء على ليبيا مثلاً اذ ليس هناك رياسة مدنية،وخاصة بعد ان سلمها الاتراك العثمانيون الى الايطاليين سنة ١٩١٢ . . ولكن الذي يتفق مع الواقع والحقيقة انها كانت من اول الامر دعوة دينية مدنية ». . الخ ص٦٥ — ٦٦ . وهذا الفصل عظيم القيمة لان فيه تصحيحاً للتاريخ وجرأة في الدفاع عن الحق .

اما التاريخ الحديث فقد جلاه المؤلف بنزاهة وصدق . وقد وعى كنه العدوان وكنه البطولة وصورهما بصراع بين عملاق مزود بالاسلحة الحديثة وقزم يقاتل بما تصل اليه يده من بسيط السلاح.

ولكن من الوجهة الروحية القومية كان القزم جباراً كبير القلب والنفس، وكان العملاق صغيراً دنيئاً . . (ص ٧٩) . وليتأمل القارىء جيداً انفعالات النفس الواعية بالتاريخ العربي الحديث فيما يثبته المؤلف في الصفحات ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٨ .

وحين يقابل هذا الكتاب بما يكتبه بعض المؤلفين عن بلاد العربية دون ان يروها او يتحسسوا مشاكلها تبدو هنا ذهنية حديثة واتجاه صحيح حميد .

وكلمة اخيرة عن لغة الكتاب . فهي من الحسنات والبينات اذ لولاها لصكت الجداول والارقام والاسماء الغريبة العيون وصدت الكثيرين عن متابعة القراءة . فانظر وصفه الطريق من دورنة الى طبرق « نظرت خلفي لالقي نظرة الى دورنة من جهة الجنوب الشرقي فوجدتها كالصغير يحاول ان يلعب لعبة الاختباء » ص ١٠ . « ولم تقع العين على ما يذكرنا بالحياة الا هذه الاشواك التي تتغلب على الجفاف والا هذه الطريق التي كانت تمتد امامنا كأنها طريق الابدية » ص ١٢ ، « ودرنة جميلة . وقد بدت لي والشمس تجمع آخر اشعتها ونحن منحدرون اليها كأنها حمامة بيضاء رقدت في احضان الاشجار المحيطة بها، واكثرها من شجر النخيل الباسق » ص ١٩ .

وبعد فما اشد حاجتنا الى كتب من هذا الطراز في هذا الدور من حياتنا ، والى كتاب من طراز المؤلف يجمعون بين عمق المعرفة وصدق النظر وخلوص العروبة ورشاقة الاسلوب .

اسحق موسى الحسيني

صور من العشق

لكمال منصور – ١٥٨ صفحة – مكتبة العلوم ومطبعتها – مصر

يزخر التاريخ العربي بقصص الحب القوي العنيف التي انبثقت من اعماق الحياة لا من اغوار خيال خاص مبدع ، وكم في صور الحياة من ابداع يفوق احياناً ما ينسجه ذهن ابرع الكتاب، ومما يدعو الى الاسف ان كتاب القصة في الادب العربي لم يولوا تلك القصص التاريخية ذرة من اهتمامهم ، ولم يتطوع احد منهم للاقبال عليها في عناية واماطة غبار الزمن عنها واخراجها بحلة انيقة قشيبة تجتذب القراء بجمالها وفتنتها . . كلا . ان احداً منهم لم يكلف نفسه هذا العناء وتركوا تلك القصص خاملة متطامنة في بطون الكتب القديمة لا يجرأ قارىء على الدنو منها لتهافت بنيانها وسوء تركيبها وتهدم اسلوبها . ولا افهم سبباً لهذا العزوف اللهم الا الاهمال واللامبالاة ، في حين يضرب لنا ادباء الغرب اروع المثل في القصص التاريخية التي تلفظها مطابعهم على الدوام . ومع ذلك فلم تحرم تلك القصص – بين حين وآخر – من بطل يأخذ على عاتقه هذه (التضحية !) فيجلو عنها الاتربة المتراكمة ويقدمها الينا بأسلوب عصري حديث ، وعلى رأس هؤلاء الابطال الاساتذة عبد الحميد جودة السحار وعلي احمد باكثير ورئيف خوري ، وجرجي زيدان وقد انضم اليهم اخيراً الاستاذ كمال منصور، فقد جلا لنا في كتابه « صور من العشق » عن وجوه طائفة من تلك القصص الرائعة .

ويقع الكتاب في ثلاثة ابواب ، او ثلاث صور على الاصح، في الصورة الاولى قدم لنا المؤلف جمهرة من اقاصيص (المغنيات العاشقات) . فروى لنا قصة « حبابة » و« سلامة » و« شادية » و« عريب المأمونية » و« دنانير » و« علية بنت المهدي » . فنجد انفسنا امام قصص تنبض بالعاطفة الصادقة وتفيض بالحب العنيف. ولا ريب ان الاستاذ كمال قد وفق باسلوبه الجياش في عرض تلك العواطف الانسانية المتدفقة في صورها المثلى ، ولن يقتصر وعي القارىء على الاستمتاع بتلك الصور العاطفية بل يتجلى له ما بلغته الحياة الفنية من تقدم ورقي في صدر العصر الاسلامي، كما يتبدى له كيف تدفقت الاموال على شرذمة من الناس فعاشوا عيشة بذخ فوق نطاق التصور، بينما كانت الاغلبية الساحقة من الشعب تعيش على هامش الحياة!

وفي الصورة الثانية عرض لنا المؤلف اقاصيص من طراز آخر (عذارى الهوى) امثال « ليلى » و« لبنى » و« بثينة » و« عفراء » و« ميلاء »، وبعض هذه القصص ذو شهرة بحيث لا يكاد يجهلها قارىء عربي ، كقصة « ليلى » او « بثينة » او « لبنى » ؛ ولكن المؤلف عالجها بأسلوبه الخاص الذي يمزج بين التاريخ الصادق والخيال المحلق ، ومع انني لا اتفق مع الاستاذ كمال على تسمية تلك القصص بـ (عذارى الهوى) الا انني اعترف انه وفق في عرضها ، ولعله اراد ان يؤيد المعسكر المنادي بالهوى العذري فأطلق عليها تلك التسمية ، ويلوح لي ان هذا النوع من الهوى الذي شاع في صدر الدولة الاموية لم يكن في واقعه سوى ستاراً مهلهلا لتغطية العواطف الحقيقية التي طغت عليها موجة من التزمت والا ، فلم كان هؤلاء العشاق يتحرقون شوقاً للاتصال ببعضهم في الوقت الذي كان بوسعهم ان يلتقوا ببعضهم لقاء (بريئاً)؟!

اما الصورة الاخيرة التي قدمها المؤلف في كتابه فهي ضرب آخر من العشق يختلف بعض الاختلاف عن الضربين السابقين ، فقد عرض علينا في صورته الثالثة هذه قصة « النبي سليمان العاشق » و« خطيئة داود » و« ثامار » و« رابعة عاشقة الله » . والاقاصيص

الثلاث الاولى تتحدث عن غرام جماعة من الانبياء، اولئك العظماء الذين يعشقون كما يعشق باقي البشر، ويتصرفون في حياتهم العادية كما يتصرف سائر بني الانسان. وهذه الاقاصيص قد وردت في كتاب (العهد القديم) لكن الاستاذ كمال منصور رواها على طريقته الخاصة وبأسلوبه الجميل.

اما قصة (رابعة عاشقة الله) فهي تصوير لحب من صنف آخر .. حب الله ! وهو نوع من تصريف العاطفة المكبوتة باسلوب آخر من اساليب الحياة المتنوعة.

وبعد ، فنحن امام بداية موفقة في الاقصوصة التاريخية، وحبذا لو اتجه الاستاذ كمال منصور بفنه القصصي نحو هذه الناحية المهملة من فن القصص في الادب العربي الحديث فسد لنا ثغرة من هذا النقص الخطير.

القاهرة — شاكر مصباح

طرفة الاصحاب في معرفة الانساب

تأليف الملك الاشرف سلطان اليمن. تحقيق المستشرق السويديك. و. سترستين
قدم له ونظر فيه صلاح الدين المنجد — ٢٤٨ صفحة — حجم كبير
ورق صقيل — مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

حكم اليمن ، ايام الايوبيين، لسرة آل رسول. وهي اسرة ادت الى اليمن خدمات جلى. لان ملوكها كانوا من العلماء الذين جمعوا الى سعة العلم المهارة في الحكم. ومن افرادها الذين كان لهم شأن الملك الاشرف عمر بن يوسف بن رسول المتوفي سنة ٦٩٦ هـ. وقد كان عالماً، فألف ، فيما الف ، كتاب طرفة الاصحاب في معرفة الانساب.

وهو كتاب في انساب العرب. وهو من اجمع كتب الانساب التي وصلت الينا ، اوسع من الاشتقاق لابن دريد ، ومن المقتضب لياقوت ، ومن الجمهرة لابن حزم. لان فيه اصول انساب القبائل العربية، ونسب النبي والصحابة، ونسب الخلفاء الامويين والعباسيين، ونسب بني رسول ، والاشراف في اليمن.

حقق هذا الكتاب المستشرق السويديك. و. سترستين ، وارسله الى المجمع العلمي بدمشق. فعهد المجمع العلمي الى الاستاذ المحقق صلاح الدين المنجد ان يقدم له، وينظر فيه، ويصنع فهارسه.

ان المقدمة التي كتبها الاستاذ المنجد ، من اوسع ما كتب في الانساب حتى الآن. ففيها نظرة دقيقة ، تتبع التطور التاريخي ، في منشأ الانساب ، وعناية العرب بها، ثم عناية المسلمين بها، والتحول الذي طرأ على مفهومها ايام العباسيين، والفاطميين، ثم تبلورها بشكل ديني، وظهور الاشراف واهل البيت، والميزات التي كانوا يتمتعون بها.

وقد سلك الاستاذ المنجد طريقة علمية ، تبهرك بكثرة ما تجد في ثناياها من استنتاجات بارعة. هذا الى جانب ما عرف عنه من دقة في التحقيق. وقد ضمت مقدمة الاستاذ المنجد مائة كتاب، استطاع معرفتها في الكتب التي الفها العرب في الانساب.

اما الكتاب نفسه ، فهو مرجع مهم لذكر القبائل العربية ، وبطونها، وقد عني الاستاذ سترستين، في ضبط الاسماء ومقابلتها.

وقد زادت الفهارس التي الحقت بالكتاب على مائة صفحة.

اننا نشكر للمجمع العلمي عمله المستمر في نشر تراث العرب، ونقدم تهانينا الى الاستاذين سترستين ، والمنجد.

سنابل الزمن

لمحمد قره علي — ١٤٩ صفحة — مطابع دار الكشاف — بيروت

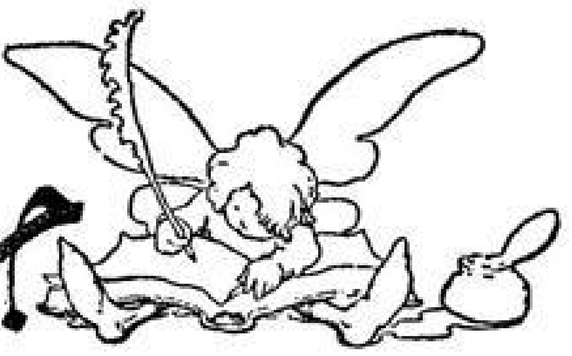
هذا هو الكتاب الثاني الذي يضعه الاديب العصامي الاستاذ محمد قره علي بين يدي قرائه بعد ان نفحهم «بوحي فطرته» منذ سنتين خلتا. ولئن كان فضل اديبنا في وضع وحي الفطرة اوفر من فضله في جمع «سنابل الزمن» فان له علينا حق الاعتراف بالمجهود الحميد الذي صرفه بسبيل تعهد هذه السنابل حبة حبة حتى اذا ما نضجت وتكاملت واستوت على سوقها قدمها غذاء روحياً دسماً لقراء العربية من طلاب الحكمة والمعرفة.

والحق ان هذا الزاد الدسم الذي بين ايدينا قد توفرت فيه جميع عناصر التغذية الصحيحة فهو يجمع من مأثور القول وخالد الحكمة ونفيس الشعر وسائر المثل ما يكفي لان يشق امام كل انسان طريقاً في الحياة لا حباً تقل فيه العثرات والاشواك وتنتثر على جانبيه ورود الخبرة بطبائع البشر والمعرفة بطبقات المجتمع ونظامه وتنيره هالات الحق والحقيقة واضواء الحب والجمال. ولو سار كل انسان على هذا الطريق لاقام في الحياة مقاماً هانئاً لا شائبة فيه من هم او كدر ولا عتمة تخيم عليه من جهالة وصغار.

لقد طالعت «سنابل الزمن» غير مرة واحدة فكنت في كل مطالعة اخرج وفي نفسي اثر عميق منها وتقدير عظيم لجامعها ومصنفها. فانا فخور بان اقدم اليك ايها القارىء العزيز هذه السنابل الندية الضاجة بالحياة ، فأنت ان لم تفد مما تحتويه من دروس في الاخلاق واخياة فانك ستقف من خلالها على شخصية كونتها عصامية فذة ودأب مستمر وتشوف متفائل ، وانك لن تستطيع الا ان تشعر نحو هذه الشخصية بالاعجاب والاكبار.

وانت يا اخي محمد الذي يتهمني كثير من صحبي بأنني ازجي لك دائماً من الاطراء اكثر مما تستحق تقبل مني على رقة سنابلك تحية اعجاب خالصة مقرونة بعواطف التقدير والاحترام.

رشيد سفير



جولة الأديب في شهر

مقدمة كتاب شعراء وخلفاء

« شعراء وخلفاء » كتاب ضخم باللغة البرتغالية اصدره الاستاذ موسى كريّم صاحب مجلة الشرق التي تصدر في سان بولو بالبرازيل. وقد وضع مقدمة الكتاب العلامة البرازيلي الدكتور سيزر سلفادو وترجمت هذه المقدمة الى ثلاث لغات : الافرنسية والانكليزية والقشتالية . وها نحن ننشر مقتطفات من الترجمة العربية التي قام بها الاستاذ توفيق ضعون مراسل الاديب ووكيلها في البرازيل

●

عندما نتحدث عن المدنية العربية يتبادر الى اذهاننا شيء اسطوري مدهش ولكنه لبعده يبدو كفردوس الله صعب المنال. ذلك اننا اذا استثنينا « الف ليلة وليلة » لا نعرف مرجعاً ادبياً نستنطقه حقيقة ذلك العصر الذهبي من تاريخ الانسانية . واذا نحن فتشنا مكاتب ادبائنا لم نعثر الا على نزر يسير من المؤلفات ذات الطابع العلمي او ما لا يعدو الوصف السطحي « كجدول اسفار » لشاتوبريان و« رحلة في الشرق» للامرتين. او ما هو اندر « كالمدنية العربية » لغوستاف ليبون .

واذا تعدينا نطاق الناشئين المحدود لا نجد ما يذكرنا بحياة ذلك الشعب العظيم سوى الصحراء حيث نتصور فارساً تعصف ببرنسه الرياح او قصوراً تكاد تكون من نسج الخيال تعكف فيها امبرات حالمات على تلاوة اقاصيص الحب والبطولة التي يبدو لنا فيها البدوي تسوطه ريح السموم في بحر من الرمال لا ساحل له ، او هارون الرشيد بهابته وجلاله مغمض الطرف وفي غفلة عن مشاغل ملكه المترامي لكي لا تفوته كلمة واحدة من حديث شهر زاد العذب الخلاب . وفي هذا الجو ندر من يعلم اين تبتدىء الحقيقة واين ينتهي الخيال .

والراهن هو ان الحوادث التي تحدد نشأة الامة وادوار نموها وتوثبها تتناوب فيها اليقظات والغفلات في افق من البطولة الاسطورية كومضات لم يخبُ بعدُ نورها .

وما اشبه عنترة الذي قيل فيه انه اشعر الفوارس وافرس الشعراء بهوميروس شاعر الاغريق من حيث استنطاقه اوتار قيثارته اناشيد الحب واهازيج الوغى فتحس البلاد العربية بأسرها كأن ابياته الخالدة تيار عاطفي ينساب في عروقها ويحفز كيانها ونبوغها القومي الى التحويم فوق وسيع البحار وشاسع الامصار .

ومما يقوله المؤرخ «حتي» انه في مستهل القرن التاسع عشر ساد المسرح العالمي عاهلان خطيران هما شارلمان في الغرب وهارون في الشرق وما من شك في ان هارون كان الاقوى ويسيطر على امة اعلى كعباً في مضمار الثقافة بدليل انه بينما كان الخلفاء يدرسون الفلسفة كان شارلمان ورجال بلاطه يتمرنون على كتابة اسمائهم .

واذا نحن اخذنا برأي الاديب الساخر برنارد شو وهو «ان تفوق الشعوب يقاس بمقدار ما تستنزفه من الصابون » وعلمنا ان بغداد كانت في ذلك العهد تضم واحداً وعشرين الفاً من الحمامات، تبدى لنا سكان تلك العاصمة الزاهرة في مستوى فذ من الرقي الاجتماعي اذ هم كانوا بعكس الغربيين على صلة دائمة بالماء .

ومن يتأمل لحظة صنيع العرب المدهش في شبه الجزيرة القشتالية لا يسعه الا ان يشاطر تيوفيل غوتيه اسفه لتقلص ظلهم عنها . وهاك ما قاله ذلك المعلم :

« اني ما خلوت الى نفسي مرة الا اسفت لان العرب لم يظلوا سادة اسبانيا اذ انها باجلائهم عن ربوعها منيت بخسارة لا تعوض ».

والمجد الذي احرزوه كان بادي المعالم في جامعة قرطبة التي كانت اوفر مدن اوروبا ثقافة ، تليها جامعات اشبيلية وملقة وغرناطة . ولما كان منشئها عبد الرحمن الثالث كانت اقدم عهداً من الازهر في مصر والنظامية في بغداد ، وكان يؤمها الطلاب المسيحيون من اوروبا وآسيا وافريقيا

اما المكاتب فقد كان اشهرها تلك التي انشأها الحكم في عاصمة الخلافة وقد احصي عدد ما كانت تضم من المجلدات اربعمائة الف .

وهنا نرى ، كما يقول القشتالي فيدل فرناندس : « ظاهرة ذات اهمية كبرى يجب ان تتجه نحوها بملء الانتباه انظار فلسفة التاريخ وهي ان حرية الفكر والبحث التي كلفت اوربا الخرفة بعد قرون عديدة انهاراً من الدماء كانت تنعم برعاية الملوك العرب في غرناطة ».

ان الاستاذ موسى كريم قد اقتادنا وسرح ابصارنا في ذلك

« البستان المقفل » الذي كان الى عهد قريب المدنية العربية التي نسمع بها وتخفى عنا حقيقتها . وقد استطاع هذا المواطن الثقيف ان يضطلع بخدمة ممتازة لم يسبق للثقافة البرازيلية ان حظيت بمثلها فكل كتاب اصدره كان فتحاً جديداً .

ان كتبه بذاتها تغنيه عن كل مديح وتغمره بعطف وتقدير معاصريه وهي «خلفاء بغداد»، «قصائد جبران»، «مذكرات الامير امين ارسلان» «حدث في دمشق» مؤلفه هذا الاخير « شعراء وخلفاء ».

لقد اتحفنا هذا الكاتب الباولستاني المجيد بحقائق ووقائع التاريخ العربي الاخاذ ، ولا يسع القارىء عندما يأتي على مؤلفه الرائع الا ان يعترف بشيء قليل او كثير من الخجل بانه الآن فقط اكتشف مدنية عظيمة .

لِنَدَنُ مثلاً من المتنبي ، ذاك الشاعر المحلق في سماء الالهام والذي يخضع له الوزن والقافية والصورة الفكرية خضوع الارقاء.

ومن هو ؟ ان موسى يقول لنا منذ البداءة انه اعظم شعراء العربية في العصر الاسلامي . بعد ذلك يروي لنا شيئاً من غريب اطوارة وطرفاً من حوادث حياته القلقة مستشهداً بمقاطيع من شعره تمور بالجمال ورقة التعبير وبراعة التصوير .

اي شاعر سواه استطاع ان يشيد بشجاعة المحارب بمثل هذا البيت :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

ثم هو ينقلنا الى بلاط سيف الدولة امير حلب فنفاجىء المتنبي وهو ينشده قوله :

الا ايها السيف الذي ليس مغمدا ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم

كان هذا الشاعر طموحاً لا يشبع نهمه المجد الادبي وحده فادعى النبوة وجرت عليه دعواه مناوأة خصومه . وها نحن نراه بعد ذلك طريداً في ظل عرش المغتصب كافور في مصر ينشد مفاخراً:

وما الدهرُ الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

ولكنه لم يلبث ان خابت آماله بكافور فيمم وجهه شطر العراق وبلغ بغداد وشيراز .

وبينما هو يقطع في عودته الصحراء يصحبه ابنه وعبده تصدى له نفر من خصومه فآثر الموت على الهرب لرؤيته في موت الشاعر البطل اروع قصيدة يمكن ان تنظم في اي عصر وفي اية لغة . وهكذا اقدم ولقي حتفه محارباً .

وفي الصورة التي يرسمها لنا موسى كريم من هذا الشاعر الفذ دليل قاطع على قوة اسلوبه وبراعته في رسم الخطوط الرئيسية من ملامح الادباء حتى ان شخصية المتنبي كرجل وشاعر لتبدو لنا حية متوثبة.

وبالاسلوب عينه يرسم لنا موسى بقية الشخصيات وبينها المعري الشاعر الفيلسوف وهارون الرشيد الخليفة العظيم وابا نواس شاعر الخمر وابن بطوطة ملك الرحالين وابن خلدون السابق والمجلي في علم الاجتماع .

في (شعراء وخلفاء) درس جليل يبدو لنا فيه موسى كريم عالماً ومحللاً لمشكلة من اكثر المشاكل الادبية اغراء في زماننا هذا وهي تأثير القرآن في اسلوب دانتي في رائعته (الاهزولة الالهية).

ان من يقرأ فصل (محمد ودانتي) لا يسعه الا ان يجزم بأنه افضل ما كتب في هذا الموضوع اذ هو يتناول فيه بالبحث كل ما قيل جدلا ونقاشاً واثباتاً ونفياً ويجيب على ما يورده من تساؤل واحتمالات برأيه الخاص .

وفاة المستشرق جان سوفاجيه

•

توفي جان سوفاجيه فخسر عالم المستشرقين وجهاً نبيلاً مشرقاً وخسر العالم العربي انساناً عرف كيف يحب وعرف كيف يعطي وعرف كيف يدافع عن القضايا العربية مهما لاقى من عنت وارهاق. فقد عمل دائماً على نشر الحقيقة ، وكان آخر ما عمله قبل وفاته ان وقع على البيان المغربي المطالب باستقلال المغرب وكان البيان

صدر حديثاً :

الشعر العربي

في بلاطات الملوك

لنسيم نصر

•

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

اطلبها من جميع المكتبات

شديداً على الحكومة الفرنسية ولكن سوفاجيه قام بهذا العمل لان مبادىء الاخاء والحرية والمساواة التي تبشر بها بلاده اصبحت جزءاً من حياته وكيانه ، وكان الطلبة العرب في باريس يحبون سوفاجيه حباً عميقاً لانه كان يسعى دائماً لصالحهم سواء في السوربون او الكوليج دي فرانس او في مدرسة الآداب الشرقية حينما كان يلقي عليهم فوق دروس الادب والفقه دروس الاخلاق والفضيلة.

ويعد سوفاجيه في مقدمة المستشرقين في كل ما يتعلق بالتاريخ العربي والآثار العربية .

وفي سنة ١٩٣٧ عين استاذاً للتاريخ الشرقي الاسلامي في مدرسة العلوم العليا بباريس واستاذاً للجغرافيا وتاريخ الشرق الادنى في مدرسة اللغات الشرقية .

وفي سنة ١٩٤١ قدم رسالة لنيل الدكتوراه عنوانها « محاولة في درس تطور مدنية سورية كبيرة منذ تأسيسها حتى منتصف القرن التاسع عشر »وعين في نفس الوقت استاذاً للفنون الاسلامية في مدرسة متحف اللوفر وعكف على دراسة الوثائق الخاصة بتاريخ الصليبيين والتي تنشرها أكاديمية الخطوط والآداب .

وفي سنة ١٩٤٥ عين استاذاً للتاريخ العربي في الكوليج دي فرانس.

ولم يشغله عمله الفني عن التأليف فنشر اكثر من ٥٨ مؤلفاً اشهرها — مقدمة تاريخ الشرق الاسلامي —و« المؤرخون العرب» وقد ترك عدة كتب تحت الطبع.. وبينها كتاب عن تطور الخط والاصطلاحات الانشائية التي استعملت في الابنية والمعابد والقبور..

كان الى وقت قريب جداً على خير ما يكون من صحة وعافية واذا بمرض « الصدر » يفاجئه فيعتكف فترة قصيرة في احدى المصحات.. ولكن لم يشأ القدر ان يمهله ليوالي كفاحه ونضاله. فترك وراءه ثلاثة اطفال صغار وترك وراءه مئات من الطلبة العرب في باريس يبكون فيه الرجل الفرنسي الذي احب العرب واخلص للقضايا العربية.

مقتطفات مترجمة

●

● كتب « بيار اوريا » في جريدة الاخبار الادبية يقول: يطمح الاونسكو الى ان يكون الجمهورية العالمية للآداب والفنون، وقد قام المشرفون عليه باستفتاء تضمن اربعة وعشرين سؤالا للشعراء والفنانين . وتميزت جميع الاسئلة هذه بصفات واحدة مشتركة ، ولاح فيها اهتمام بمسألة واحدة متعددة الجوانب :

ايستطيع الفنان الابقاء على حريته، وسط هذا العصر الصاخب بقرع الطبول والدعايات ، وبين ادباء مشهورين عظماء ، اقام كل منهم حول نفسه وأدبه ستاراً حديدياً ، ثم الا يكون الفنان مجبراً بالتالي على خسارة الكثير من ذاته الفنية حين يضحي ما يضحي في سبيل الشهرة والدعاية ، والرأي العام . هذا اذا اهملنا الاشارة الى تضحيته، بدافع عرفان الجميل ، الواجب عليه تجاه من شجعوه بالمساعدات الادبية ، والمالية ، والفنية .

لا شك ان الفنانين في كثير من اقطار العالم يجيبون على هذه المسألة بانهم يشعرون بحريتهم المطلقة، وانهم لا يحملون المباخر لاحد، وان الغار، على جباههم، هو هبة الفردية الفنية الشريفة، وحدها. ولكن مدراء الاونيسكو تجاهلوا سؤالا كان جديراً بهم طرحه على الفنان : هل انت حر في ذاتك ؟ وما مدى علاقة آثارك الماضية ، بتوجيه موهبتك الخلاقة المتجددة ؟

لا شك ان اشد انواع العبوديات ، هي تلك القيود التي يغلل الفنان بها نفسه وفنه، فلا يستطيع التحرر مثلاً من اسلوبه الذي عرف به ، وطريقته الخاصة، وسلطان آثاره التي لاقت نجاحاً ورواجاً.

ان حرية الفنان هي في هجر الطريق الممهدة الواسعة، وشق مسلك فريد مجهول ، وهي الرغبة



في التجديد ، والذوق المتطور ، وارادة التنوع الجمالي ، ولو جازف الفنان ، وكان عرضة للهبوط او الانتحار .

وهذه الحرية المطلقة تفسر لنا كيف ان فنانين« كفيكتور هيجو »و« رينوار »و« رافيل » حافظوا ويحافظون على مستواهم في دنيا الخلق والابداع .

● مشاهدات « ليون بول فارج ». صدر في باريس كتاب « ليون بول فارج » الكاتب الفرنسي المتوفي اخيراً ، يتضمن مشاهداته اثناء رحلاته وتنقلاته بين المدن الفرنسية.

وفارج كاتب دقيق الاسلوب ، وشاعر من رفاق فاليري، يلم بكل مواضيع الوجود ، مختاراً منها ما يتفق مع فنه الشعري .

ومواضيع كتاب المشاهدات الذي صدر اخيراً ، وكان هدفاً لتعليقات الصحف الفرنسية مدة طويلة ، تدور اكثريتها حول اشياء متفرقة ، اذ صور الكاتب الحب ، والبحر ، والطرقات الجبلية ، واناقة النساء .

ثم توقف الكاتب عند ليون مدة طويلة،ووصفها وصفاً دقيقاً يأخذ بمجامع القلوب ، ثم تحول الى باريس ، وصور اوساط الطلبة والفنانين واماكن اللهو،وانتقل الى ميدان Médan بلد زولا ،فبالغ، عند الحديث عن القصصي الفرنسي الواقعي ، وجعل منه شاعراً . وعاد الى العهود الادبية الفرنسية الماضية، واعطى نظريات جديدة في باسكال و « لاروشوفوكو » . وانتقل فجأة الى بول فاليري ، ونقد « المقهرة البحرية » نقد المتذوق الفنان .

ثم حاول الحديث في السياسة فمنعته شاعريته،وقد ابت الان تبعده عن مسارحها المضطربة ، المغلفة بالرياء .

● ظهر للشاعر الفرنسي المشهور « جوزيف سيباستيان بون » مجموعة شعرية يجد في قصائدها مقاطعة كاتالان ، مسقط رأسه .

وبون شاعر ريفي يظهر في شعره بعض الشبه بفرجيل وسيسترال وهو يتغنى في هذه المجموعة(وعنوانها «معزوفة الصيف في روسيون» (Roussillon) بهذه القرية،فينقل الينا عبيرها وجوها،وايحاءاتها، وصورها الحالمة ، وكل ما يقربها الى العين والقلب ، وهو يقول في مقدمتها : « يجب قراءة هذه القصائد المجبولة بتربة بلدي ، الحية بنفحات البحر والجبل،في مكان ريفي هادىء حيث تقر الحواس، وتتحد النفس بالصورة ».

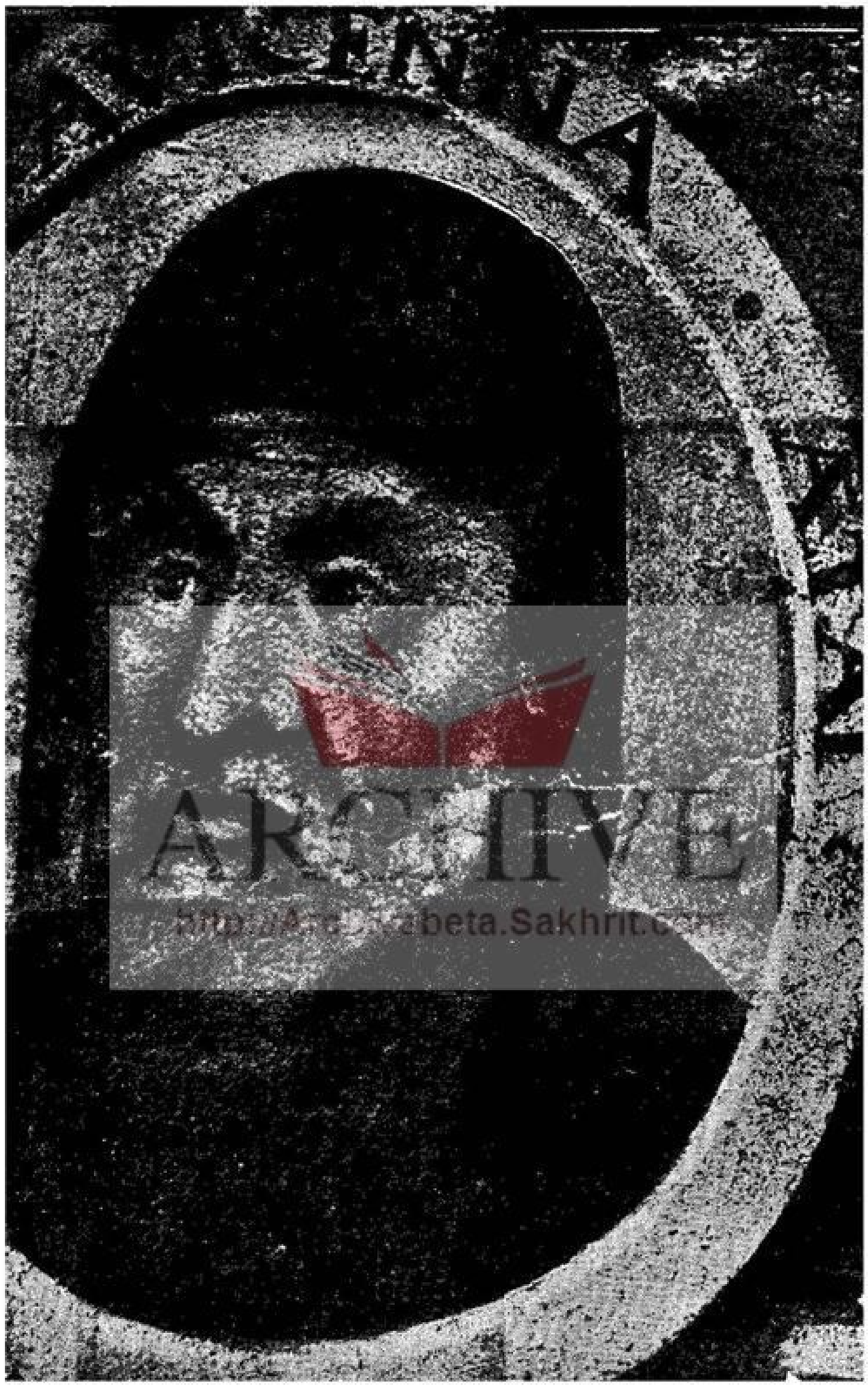
والكتاب حافل بالالوان المحلية ، والبساطة الانسانية المحببة تلوح في شخصياته الخطوط الدالة على النفس بمعنييها المحلي والواسع.

اما وصف المناظر الطبيعية فغاية في الصدق والطرافة، وانت تنطلق معه وتحوم حول الكهوف الجبلية ، والغدران المخضوضرة ، والقمم الشاهقة ، والادواح السامقة ، والآثار التاريخية القريبة من القرية المعبودة . ومن وراء كل هذا تلوح الروح القروية البسيطة في كل طراوتها وعمقها .

● تحت هذا العنوان خصص بول كروزي Paul Crouset، (وهو عالم في التربة ملأ ارفع المناصب في عدة كليات) دراسة طويلة، في موضوع يشغل الاوساط الاجتماعية والتربوية في فرنسا اليوم ، وهو تربية الفتيات . والاستاذ كروزي لا ينتقد ، في هذه الدراسة ، منهج البكالوريا الفرنسية مهاجماً اوهادماً بل يعطي بعض الملاحظات لتضاف الى المنهج ، ليصبح اكثر انسجاماً وموافقة للفتاة . فهو، كما يقول ، يريد « تأنيث » المنهج . وهو يرى ان التهيئة للحياة، افضل،في طبيعة الحال،من توزيع العلوم على الفتيات، وحشو رؤوسهن الجميلة بما هب ودب من الاصناف الجافة المحنطة . وهو يرى ان كل الطرق ، حتى العلمية منها تتطور في عصرنا الحاضر ، نحو غاية واقعية تجريبية ، فكيف بالتربية، وهي هي التجربة الواقعية الفريدة ، كما يدل عليها اسمها . ولذلك فهو يقترح ان تكون التربية النسائية تكويناً لشخصية المرأة وليس علوماً مجردة .

وهو يطالب بالتنويع في المناهج،وفقاً للجنس والبيئة،ثم يطلب فصل الجنسين ، بتقسيم منهج البكالوريا الى قسمين احدهما للذكور والآخر للاناث .

ويقول« الاستاذ كروزي »وهكذا لانؤمن الاستقلال لكل جنس فحسب بل نمنحه الحرية التامة المطلقة المنبثقة عن دراسة معطيات وطبيعة كل منهما . وفي هذا السبيل يقترح «بول كروزي» عدة اقتراحات ، منها اعفاء الفتاة من بعض الفروع التي يرى انها لاتهضمها عادة ولا تعطي فيها نتائج ممتازة ، كالرياضيات والجيولوجيا ويقترح الكاتب الاستعاضة عن امثال هذين العلمين بالفنون المنزلية والمعلومات في تربية الاطفال ، والتطبيب ، وكل ما يؤهلها لان تكون اماً وزوجة ، لان الكاتب يرى ان عجز المرأة عن تدبير امور منزلها هو اخطر ما يهدد مجتمعنا،ثم يقول : ان ارادة المساواة بين الجنسين تحققت بمشروع «ليون بيرار » الاصلاحي ولكن اذا كانت المساواة حقاً من حقوق المرأة ،فان الامتزاج الكامل هو مطمح خطر يناقض الحقائق البيولوجية ، ومعطيات السعادة الانسانية .


ARCHIVE
Bibliotheca Alexandrina beta.Sakhrit.com

صورة غير معروفة للرئيس ابن سينا
اكتشفت حديثاً في جامعة أكسفورد في اثناء ترميم
جدار احدى قاعات مكتبة بودليان

أنباء العالم في شهر

٢٣ مارس ١٩٥٠ – الف سوفوكل فنزيلوس رئيس حزب الاحرار الوزارة اليونانية من اعضاء حزبه .

٢٤ – فشل الكونت دي فيار في تأليف الوزارة البلجيكية ، واضرابات العمال ومظاهرات الطلبة قائمة احتجاجاً على محاولة رجوع الملك ليوبولد .

٢٥ – عقد في القاهرة اجتماع مجلس الجامعة العربية للدورة الثانية عشرة وتغيب وفد المملكة الاردنية الهاشمية . وخطب النحاس باشا وطالب باختيار مندوب لتمثيل عرب فلسطين في الجامعة .

٢٦ – اعلنت حكومة بوليفيا انها احبطت مؤامرة شيوعية لقلب الحكومة .

٢٧ – اعلن في مجلس العموم البريطاني ان انكلترا لن ترسل سفيرا الى اسبانيا ما دام قرار هيئة الامم بمقاطعة اسبانيا نافذا .

٢٨ – إعلن مستر تشرشل في مجلس العموم يجب على بريطانيا وفرنسا ان ترفعا المانيا الى وضع متساو مع وضعيها لتشكيل مركز موحد للدفاع عن اوروبا غير الشيوعية .

٢٩ – وصل الى لاهاي المستر جونسون ناظر الدفاع الاميركي لحضور اجتماع وزراء دفاع بلدان الحلف الاتلنطيقي .

٣٠ – توفي ليون بلوم رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي واحد رؤساء الوزارات السابقين

٣١ – دعا الرئيس ترومان امينه الخاص في الشؤون الاقتصادية ليعد العدة لوضع الاقتصاد الاميركي كله على قدم الحرب حفظاً لسلامة الوطن .

اول ابريل ١٩٥٠ – نقلت السلطات الادارية في الصومال من بريطانيا الى ايطاليا .

٢ – قال الدكتور ايدناور رئيس حكومة المانيا الغربية : يجب ان تكون اوروبا قوية وان تكون المانيا فيها شريكاً على قدم المساواة التامة وبدون ذلك لا سلام بين الشرق والغرب فالحالة الدولية خطرة كل الخطر وصلت الى حد حرب محتملة الوقوع .

٣ – امر الرئيس ترومان الادارة المركزية بان تسعى لوضع خطة لتصبح التجارة الاميركية مع الخارج على اساس «ادفع وانقل» في عام ١٩٥٢ .

٤ – اقر مجلس الوصاية الدولي نص دستور مدينة القدس الذي وضعته الامم المتحدة عام ١٩٤٨ .

٥ – نشبت ثورة ضد حكومة الولايات المتحدة الاندونيسية في جزيرة « بليبس » من جزر الهند الشرقية .

٦ – على اثر التظاهرة التي نظمها الحزب الشيوعي امس في باريس بلغ عدد رجال الشرطة الذين اصيبوا برضوض ١٢٨ .

٧ – صرح نجم الدين صادق وزير خارجية تركيا بان حلف الاطلنتيك عظيم ولكنه ناقص فهو يهمل نقطة عظيمة الشأن هي شرقي المتوسط الذي بقي مكشوفاً .

٨ – يسعى فان زيلند زعيم الحزب الاشتراكي المسيحي في بلجيكا لتأليف الوزارة الجديدة .

– جرى قتال عنيف بين الاسطول الوطني الصيني والاسطول الصيني الشيوعي في الدفاع عن جزيرة هينان . وتمكن ٥٠٠ من الشيوعيين من النزول في جزيرة بيشي كنغ .

١٠ – توفي الماريشال فوزي تشاقماق القائد التركي الكبير ومنشىء الجيش الحديث عن ٧٨ عاماً . وهو احد اعضاء الهيئة الثلاثية التي حكمت تركيا بضعة سنوات برئاسة كمال اتاتورك .

١١ – استدعى وزير الخارجية السوفياتية سفير الولايات المتحدة في موسكو وسلمه مذكرة احتجاج على تحليق طائرة اميركية في سماء روسيا .

١٢ – اذاع راديو موسكو ان وزارة الخارجية استدعت سفير ايطاليا وسلمته مذكرة احتجاج على امتناع الحكومات الايطالية عن دفع تعويضات الحرب التي تبلغ مئة مليون دولار .

١٣ – اذاع سوكارنو رئيس الجمهورية الاندونيسية امرا بالهجوم على ثوار ماكسار الذين يقودهم الكابتن عبد العزيز .

– اصدرت وزارة الخارجية الايطالية بياناً ذكرت فيه روسيا ان الديون المتوجبة على ايطاليا تسدد من الاملاك الايطالية في بلغاريا ورومانيا والمجر .

١٤ – قدم فنزيلوس رئيس الوزارة اليونانية استقالة حكومته وكلف الملك الجنرال بلاستيراس تأليف الوزارة الجديدة .

– وصل الكابتن عبد العزيز فجأة الى جاكرتا واقتيد الى قصر وزير دفاع اندونيسيا المتحدة .

١٥ – اتمت حكومات اميركا وبريطانيا وفرنسا جهودها المشتركة لازالة الانفعال في علاقات ايطاليا ويوغوسلافيا حول مستقبل تريستا .

١٦ – دعا ولهلم بيك رئيس وزارة المانيا الشرقية الى اجراء استفتاء في جميع المانيا لتقرير الوحدة .

١٧ – قامت مظاهرات كبيرة في باريس فوقعت عدة اصابات واعتقلت الحكومة ثلاثة من زعماء الشيوعيين بينهم النائبة ماري لامبير .

١٨ – ارسلت الولايات المتحدة مذكرة احتجاج الى روسيا تتهمها فيها باسقاط طائرة اميركية غير مسلحة فوق مياه البلطيق الحرة وتطلب التعويض عن هذه الكارثة التي اودت بعشرة رجال .

١٩ – تأزمت الحرب الكلامية بين روسيا واميركا بسبب حادث الطائرة الاميركية التي اسقطتها المطاردات الروسية .

٢٠ – اثارت الصحافة الروسية قضية المضايق وهاجمت ميثاق مونترو الخاص بالملاحة وقالت ان تركيا خاضعة للنفوذ الاميركي .

٢١ – اصبحت القوات الشيوعية الصينية على بعد ٢٤ كم من عاصمة الجزيرة هاينان ، وقد وصلت نجدات كبيرة الى القوات الصينية الوطنية لصد الغزو .

٢٢ – رفضت روسيا المذكرة الاميركية عن حادث اسقاط الطائرة بحجة انها كانت فوق الاراضي الروسية .

٢٣ – اكد الكونت سفورزا اصرار ايطاليا على ارجاع تريستا كلها من يوغسلافيا .

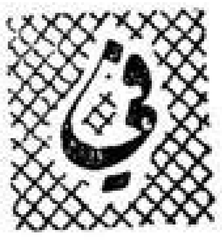
٢٤ – سقطت عاصمة جزيرة هينان في ايدي الجيوش الصينية الشيوعية وتتراجع قوات الجيوش الوطنية دون مقاومة .

٢٥ – اعلن امس البرلمان الاردني قيام الوحدة التامة بين ضفتي الاردن الشرقية والغربية في مملكة واحدة هي الاردنية الهاشمية .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من معين القيمة



الذكرى* . . لغيري ان يرثي بدمع ان شاء ، او بقول انعقد على دمع ان شاء . . أما أنا فيعز علي ان افعل ، لانه يعز علي ان اشعر بفقد انسان قيم.

أنتِ عندنا يوماً كنتِ تصنعين الحياة عطاء كريماً تعطينه، فحال في عتمات دروبنا مصابيح . . ونحن الذين هنا في الضياء ضيائك، هيهات ان يخالطنا حسّ بفقدك ، فمن ذا يقول : ان استمرار الفعل ليس استمرار الفاعل، وان اتصال العطاء ليس عطاء جديداً . . نعم ، لغيري ان يرثي، فالرثاء كلمة — قيل — إنها ألقتها لفتة الذكرى عند عتبة نسيان طويل . أما أنتِ وقد استحلتِ قيمة في وعي الحياة ، حياتنا ، فنجدك فينا ، في الخلجة ، في النبضة ، في السعي المنشىء ، في العمل الباني.

أيقظني يوم هذه الذكرى ، على عميق الحياة في معنى الموت، وعلى عميق الموت في معنى الحياة . فالذين يموتون ، نفر جحدوا النعمة ، فلم يسعوا الى هيكل الحياة بفروضها ، ومروا بشعلتها فلم تمتد أيديهم اليها بقبس ، فأسقطتهم الى حيث يعيشون عيش المومياء ، حسبهم منها : أجساد تسعى.

أما هي صاحبة الذكرى، فانها أتت الهيكل الى محرابه، تذكي الشعلة ، وتتبتل عندها تبتل السادن، لترجع وعلى يديها أقباس تزرعها في المفارق ، وتمسح بلألائها وجه الدروب، انتصاراً للنور ضد الظلام ، للخير ضد الشر ، للخصب ضد الجدب . . .

لم أرَ في الموت كما زعموا، يداً تمشي بالفناء . . بل رأيت فيه يداً كريمة تعمل بها الحياة عملاً آخر، فهي به، — وقد انتجت زواناً وبراً — تسقط وتسقط ، لتحتفظ بقلة برة كالنماذج تشرع لها باب التاريخ . وان شئت ، فأحصِ الذين يولدون والذين يزحزح لهم التاريخ بابه ، تجد الموت ألغى كثيراً وكانوا دوماً الذين لم يعبروا عن ارادة الحياة ، وأثبت قليلاً جاؤوا تعبيرها الأكمل . فهل يكون الموت من بعد ، الا ساكب القيمة الحية ومفرغها — او ان شئت فقل : الا كتظهير الصورة في الافلام — وأنت في يومك ، أبرزك الموت بين أحيائنا ارجحهم قيمة ، اي ارجحهم حياة.

فما لاولئك الذين ينشدون بقاء هو اقوى من الموت او اكسيراً يصمد عضلات الفناء، يخطئون الطريق، ليتهم على مثل الهنيهة وقفوا، هنا في مهبط هذه الذكرى، اذن لرأوا ان أحجيتهم هي أبسط كثيراً مما يظنون.

ان حل اللغز كله ، هو في القلب الانساني حينما يريد ان يكون هو نفسه ، اي قلباً انسانياً اي شيئاً ليس مما اصطلحت عليه الشهوات . . وبذلك يغدو أكبر جبروتاً من الزمن، وها هي صاحبة الذكرى بضربة تمحوه . . ويجيء أثبت من الكون هذا الجامد واعمق حقيقة ، وها نحن في لحظتنا لا نرى فيه ، الا وجه مرآة لحلم أعمى رف في خاطرها . . .

لقد أظهرتني هذه الذكرى على سر احسبه عظيما ، اظهرتني على ان الذين يطلبون التحقق خارج نطاق المجتمع ، اقل ما يبوءون به خسارة الذات خسارة أنفسهم ، فلا شيء غير المجتمع مؤثل قيمة حقيقية . . اما الذين لا يفكرون معنا فما اجدرهم بالرثاء، ان ارفعهم متجسد أوهام كبرياء، وان أدناهم متجسد شهوات رعناء.

---

* القيت في الحفلة التذكارية للمحسنة « املي سرسق » . ولان في عناصرها ما يعبر عن توجيه « الاديب » جعلنا منها كلمة التوجيه لهذا العدد مجردين لها عن مناسبتها الخاصة في الزمان والمكان.

ادونيس والاسطورة

بقلم فؤاد الخري

بقولونه

فلان اسطورة، وينسجون روايات تضج بالعجائب، ثم يستمدون من هذه الحياة الفريدة ، قصصاً واحاديث تكون مسكاً يوم يلتقون في سمر، او عندما تلفهم ندوة ندية فتنبعث فيها الاحاديث الشجية ، حيث تتفتح الاعين وتخفق الافئدة ، وهي تنصت لهذا الذي هناك في قلب الجماعة ، يقول لهم ان هنالك على جبل اولمبوس عدد من آلهة . . وكانوا طيب تلك الارض والخير فيها — واليونان ما كانت بكل هذا السحر لولا سكان جبل اولمبوس وعشيرتهم الاخيار : فابتدعوا اجمل ادب، وشدوا بأعذب غناء ، وهزجوا بشعر إلهي ، فسارت في مواكبها اساطير حية من رعشات الوجدان . وتجثم هناك هذه القصص المتسابقة في الابداع والتي يسكن كل واحدة منها سحر تصغر امامه كل اسحار الهند والمشرق ويفيض منها طيب يغيب في عبقه طيب بلاد العرب جميعاً ، وترتسم على ذرى هذه الاساطير خفقات قلوب إنس وآلهة .

وليت هذا الذي قص « الف ليلة وليلة » وذاك الذي قال عن بجماليون ونبتون والعشيرة الطيبة ، وخلق اناساً وعبيداً آخرين ، ليت له ان يرجع ويرى كم فعلت اساطيره هذه في دنيانا من يوم لفه الثرى حتى قام على الارض ذرات تتحرك بقوة الاساطير تلك التي مجمعناها — واية اساطير لا تتلاشى امام اسطورة الذرة الخارقة حبة رمان مكورة من مزيج عجيب ، تخفي بلداً في طيات العدم ؟! ولكن ألم يحدثونا عن هذا في اساطيرهم الاولى؟ ان كيف تلاشت مدينة في كلمة وكيف غابت البراري الطويلة في لمحة بصر . وها هم اليوم في اساطيرهم الواقعة لا يستطيعون ادراك ذلك الذي ادركوه يوم تحدثوا عن السرعة وقطع المسافات .

والاسطورة كانت منذ الازل تواكب الشعور الزاخر بالانسان هذا الشعور بالحياة وبألغاز الحياة ، ترافقه متساوقة مع احاسيسه وادراكه : فقدامى العرب ، رووا عن البطل حامل السيف الذي وقف في وجه جيش لجب ، ورده عن حياض قبيلته ، التي اعتصمت

ما أقرب الخلد وما أبعد بابه ؟ . . ما أقربه للذين يحيون المجتمع حياة يعطونه خيرها ، وما ابعد بابه وانآه ، عن ملتمس آخرين اغا يحيونه انتهاباً لخيره.

نعم لقد أرتني هذه الذكرى، عن يمين وشمال، أحياء يحملون قبورهم ويسعون بها في بيت الناس. . . وكانوا اولئك الذين يعيشون لانفسهم دوائر مغلقة ، وأظنك يقيناً لا تجهل ، ان المكان المغلق في جوه يجثم الاختناق.

أي شيء انا اذا لم تكن انت ، انني مفتقر اليك حتى في اثبات الوجود ، ولا تلق بالاً الاسطوريين البلهاء. . .

نحن هنا نبارك انساناً كان لمجتمعه كزهرة « الآذريون » في محراب الشمس : طرف في طرف ليس يسقط، ووجه في وجه ليس ينأى، . . انه يمزج بخور قلبه بجبة مشتعلة من شعاع، وما على البخور ان يلاقي النور، وهما ما التقيا قلباً وقلباً ، الا ارتسم من هبوة انفاسهما معبد. . فلا بدع ان شدت — صاحبة الذكرى — من أضالعها هيكل تقوى ، حين شادت منها هيكل عرفان. . .

كان لي رأي في الاحسان التفضلي يحملني على بغضه والضيق بمواقع يده، وان مسحت كلوماً ورقأت دمعاً . . فهو في الباعث عليه، لا يزيد عن انه حيلة المستغلين لتخدير الم الكادحين ، والحيلولة دون تعقده وتوتره ، ودون انصبابه في عمل مريد ، وبذلك يسلم السادة ويبقى العبيد. . فشأنه في المجتمع انه يؤخر انتفاضة الالم الكبرى ، وكل حد منها حد من تطوره ، وأي اثم هو اكبر وأبلغ واشنع ؟

فكنت ذهاباً مع وجهة هذا النظر، لا أعطيه من ثقتي واغتباطي، ولكن احسان صاحبة هذه الذكرى اباح لي ان افكر من جديد : بان في بعض من اشكاله ، ما هو كالكفارة عن اوزار الآخرين.

عبدالله العلايلي

وظات تعتصم بقوته في مجالس القوم وحلقات السمر واندية الفخر. وهذا الذي شطر الارض برمحه وامتطى بساطاً بعدان رأى في مرآته العجيبة ضيق حبيبته من صلابة قيد عقل يديها ، فخف لنجدتها على متن الخيال ، وبأشارة اصبعه حلت عليها السعادة الخالدة ، والحرية .

وسامر الليل يطوي غلالة الظلام على ذكر الخبر المشوق ، والامل ، حديثه شجو آسر : يا بيت الشعر ، ويا لفحات الهجير على تيه الاطلال ، ويا نسمة الفجر ترف في احشائها تنهدة من قضى الليل بطوله ، يرقب مصباح الحبيبة ، وهو يتسلل في مضرب القوم ليلقاها ، فتطفر من مآقيه حبة ماء تسقط على الجفاف فينبت نخيل وزرع كثير ، وتتفجر واحة رغدة لتحفظ للدمعة الجميل ، ولتبسل حرقة العطشى ، وغلة الرائد في الدرب الطويل التائه ، ويمر بها القوم وقد تزودوا بالقراب في بطون الابل ، فيشربون الماء الحلو ، ويأكلون التمر ويسألون عن اسمها ، فيقوم صوت مرن يسرد لهم قصة « واحة العاشق ». ويذهب كل الى ليلاه وفي حنجرته كل آهات الحب وفي قلبه الجوى . . ويطول الحديث حتى كأنه بلا آخر ، وفي كل قصة ترجف الف مرة من لذة ، والف مرة من رعب ، والف مره تتمنى ان يمد الليل بعضه .

وفي اخبار الانسانية الكثير من الاساطير ، ولا عجب فالانسان يسعى للمعرفة ، ويسعى لتفصيل هذه الظواهر حوله ، والطبيعة عجيبة ملأى بالغرائب . لم يقوَ العقل على تفسيرها فلجأ للاسطورة ، يفتش في خباياها عن ضوء يلقي شعاعه فيكشف ما استتر عليه من هذه المعميات : توهم ، وتخيل فابدع .

ولعل اقدم الاساطير قصة التكوين : كيف كانت الارض قبل ان تجمد ارضها ويبس صخرها ، والتي فسرت الوجود تفسيراً بدائياً ارضى غرور اهل ذاك الزمان ، وبين العلة وسبب الوجود . واساطير الطوفان ، اتفق الاقدمون على الاصل والرواية ، حتى جاء موسى في التوراة وروى قصة هؤلاء جميعاً : خلاء ، ضواء ، ظلام ، وروح ازلي يرف على وجه المياه . وهي كلها تفسير طلسم حيرهم طويلاً ، ودفعهم الى شعور بالقلق ، والى التشوف لادراك الوجود ، واصل الوجود ، وما لبثوا في السعي وراء المجهول ، حتى اقعدهم عن المعرفة ضيق الفكر وعظمة الغاية ، فتوسلوا لها بالوهم والخيال ، عسى ان يطمئنوا قواهم المنهكة ، وهكذا ابتدعوا الاسطورة ، وما اسهلها سبيلاً لحل اللغز مهما اغرق في المجهول .

وتستوقفهم بادرة الفصول ، ويروون فيها عجباً ، ثم لا يقفون عند هذا الحد من الشعور اذ لا بد من السبب للعلة ، ويحاولون تفصيلها ، فتستعصي عليهم المبررات ، وصنوان من وجوه الحياة لا يفتأان يلاحقانهم هما الخير والشر ، كذلك يحاولون تفسيرهما فيخفقون . ثم القضاء بقساوته وشروره ، لا يترك للسعيد حتى ايامه ، ولا للشقي بؤسه ، فهو ابداً متقلب لا يعرف الاستقرار ، وهو ابداً لا يميز بين القوي والضعيف ، تتلاشى امامه القوة ويصغر الجبروت ، يركل بقدمه الطود فيهدمه ، ثم هو يدحرج الشمس من برجها ، ويظلم ويزلم ثم يفرح الفرحة العابرة الساخرة ، يسخر من الطبيعة ويسخر من الآلهة ويسخر من البشر ، ثم لا يقف في سخريته عند المصيبة بل يسترسل حتى ليسخر من نفسه ، ويناقض بعضه : فهو ليل موحش ، لا يفتأ ان ينقلب نوراً وفيض انس ، وهو صحوة فيها الحلاوة ، وفيها الرضا ، وفيها البركة ، ونسمات نيسان ، فتضج جميعاً لتغدو لمعة البرق ، وانهمار المزاريب ، ورهبة الريح في القاع الموحش : تقتلع العاصفة الجبل وتطويه . ثم هذا البحر الساجي : سماء الارض ، لذة النظر في الهدأة ، يثور في هياجه انتقام الموج من الشاطىء ، وفزع ، يحطم بعضه على الصخر العنيد ، حتى يقعده عزم على ثورة اخرى اشد واعنف في الظلمة عسى ان يكون له بعض المغنم او بعض الثأر ، وبين الموج والصخر على الشاطىء عداوة لا تنتهي . وليت قمم صنين والجبل المجاور تفصح عن هذا الابيض على رأسها وتكشف سره ، والوادي من اين وروده الصفر الزرق وهذا الاحمر كيف جاء وهو زينة المرج يوم تتباهى الرياض . ثم هذا الحسد ، وتلك الغيرة ، كيف كانتا ؟ اما لماذا فليتركوها ! . . الا يرضيهم كل هذا الخير والشر ايضاً . . ؟ وليربطوا هذه الظواهر جميعاً بأدونيس إلهاً فينقياً اغريقياً من ارض العرب .

لا تهربي يا ضبيات السهل ، فالصياد حبيب فينوس ، ويا موهنات السير من اهل الغاب ارفقي بالجميل والتحني لعناق سهامه ، وضواري الاودية كم ضجت في احشائها الاهوال ، وفي كهوفها وحشة الرعب ، ما نقلت امام عينيه الا ودماؤها ري الارض وتلوين الصخر في الجبل . يا مرمى آلهم وموقع الرمم لا تجفلا فلن تجرأ على الهرب من يدي ابن ميرا : الشجرة التي نبتت في ارض العرب . ميرا بسمة الجمال وطيب قصر ابيها تياس (Theias) وأمل فتيان حرمون والسهل الخصب على اطرافه ، كم شاقهم الزهو فتباروا على نوالها ، وما افلح منهم ذو حظ ، ولا عرف احد انها تشتهي الكهل اباها . ابوها — ما احناه عليها — الوقور الملك الصالح .

كم هو محرم حبك يا ميرا ، مسكينة انت بين بنات حواء .

لكن لا بد ان تحظى بالذي شغفت حباً ، ولا بد ان تدبر الامر مع نساء القصر ، وساقي الخمر : اسمع قدم له من المعتق هذه الليلة ، وزده في الشراب ، وانت يا جارية هذه لفافة دسيها تحت وسادته جلبتها من احد الرعاة في مرجنا قال لي ان فيها السمر .

اني احبك يا ملكي ، احبك في وقارك رغم الحرمان ورغم الاثم والخطيئة ، واحسد امي عليك ، كم اتمنى ان اظل الى جانبك في الضمة العميقة ، اغيب انفاسي في ثنايا شعرك الناعم ، وامد بيدي الى صدرك احس رعشاتك . كل شباب الارض عندي هباء ، انت وحدك بين الرجال حبيبي .

وتلقاه في مخدعه وتضاجعه ، وتظل كل ليلة تقوم بجيلتها ، حتى اكتشف امرها الحبيب ابوها . فأرهبها الامر ، وخافت ان يقتلها . راحت تمشي الى ان اقعدها التعب وحلت بها الآلام ، فتوسلت الى الآلهة ان لا تموت ولا تحيا ، فسمعت طلبها ، وحولتها الى شجرة باسمها .

اليمن ما اسعد اهلك ، ماؤك دفق الحلاوة ، اشجارك من عدن ، ارضك خصب وعطاء ، وايامك ربيع متجدد ، وهذه الشجرة تقوم على مرجك الطيب تداعبها انسام الفجر وانسام الغروب ، يرعاها نهرك الرضي فتتسربل بالسعادة ، وما ظلت ساقية في ارجائك الا ودفعت ببلابلها وفي حناجرها ترديد صداها ، لتلك الشجرة الكئيبة . والليلة بعد ان نامت ورود رياضك ، واطفئت انوار نجومك في الغلس ، جاء للشجرة المخاض ، وراحت تتلوى من ألم ، وتهز جذوعها مع حركة الجنين في احشائها . انها تدفع بحياة عجيبة الى الوجود ، صعب خلاصها . . . فتتوسل للآلهة مرة اخرى كي تساعدها ، فتسمع لها لوسين ، وتسمع لها فينوس ، وتسارعان في الرحيل اليها ، وتلد الشجرة طفلاً ما رأت الارض نظيره فتتعهده فينوس ، وتسلمه الى بيرسفون في الارجاء الدنيا من الارض لترعاه ، وتحفظه حتى يصلب عوده ويشتد .

فينوس ربة الجمال والحب ، تحتكم الى زيوس (Zeus) ليرجع لها حبيبها من بيرسفون ، فيحكم زيوس العدل : ثلث سنه الى بيرسفون ، وثلث سنه الى فينوس والثلث الآخر حر يتصرف فيه كما يشاء .

ويخرج الجميل الى الارض فيزهو المرج ، ويخضر الجبل ، وتلقاه فينوس في لهفة الشوق لتضمه الى صدرها فهي مسحورة بجماله .

تتوسل فينوس الى آلهة اولمبوس ان يتركوه لها ، وما ارق قلب الآلهة حين يشعرون صدق الايمان .

لقد تركت جبل الآلهة وراحت تسعى وراء حبيبها ، وتتمنى ان يطيل الاقامة الى جانبها وهو لا يفتأ يطارد الوحوش اذ هوايته الصيد ، وتتوسل اليه فينوس ان يعرض عن هذا فهي تتوجس خيفة عليه من انتقام اعدائها ، الذين حقدوا عليها بعدان مسختهم ضواري لوعد اخلفوه . وهو لا يسمع لها ويظل في هوايته المحببة ، وفينوس ترعاه من الاخطار ، وتحاول جهدها ان يبعد عن النهر الذي يقطن فيه ذلك الخنزير البري في لبنان ، وذهبت يوماً في امر استدعى وجودها الى قبرص ، تحملها مركبتها تجرها بطات ، وفي الطريق تحس ان خطراً يحدق بحبيبها ، فتسارع بالرجوع لكنها تصل متأخرة ، اذ انقض عليه الخنزير بعد ان جرحه الصياد ، واطبق على عنقه حتى فاضت روحه مع دمه .

دمه ارجوان السفح ، وحمرة النهر : نهر افقا الذي اصطبغ بالدم الحبيب .

دمك النقي ، يا ادونيس ، لن يهدر فتلتهمه الارض العطشى ، ويذهب في احشائها النهمة ، ولن تقضي من جرح هذا اللعين ، فسآخذك معي ذكرى الى جبل الآلهة ، وسأظل احبك ما حييت وانت يا نهر ، جدد في كل سنة ذكرى الغزيز ، واصطبغ بالحمرة النقية في كل موسم جبد ، وفي كل عيد خضرة ، وانتم يا اهل جبيل ، ويا اخوة الارز ، ويا ابناء قبرص ، احفظوا للراحل الجميل ، فسأعطي البراري زهرات الشقيق ، وسأقرنها بهبوب الرياح ، ويا دموعي انثري على الارض ازهاراً وورود من كل لون . وانت يا كبير الآلهة زيوس لا تنس اهل الارض ادونيس ، احفظه نعمة لهم ، اعطهم — اكراماً له — في كل سنة فصل ربيع ، واعطني فصلاً تبكيه دموعي .

ادونيس يا اجمل من كان ، اذهب لتظل روحك قداسة ، ولسوف تمخر عباب الموت سعيداً بالمصير ، تهزأ بالحياة حين تصل الى القمة هناك لتكون إلهاً . ولتدفع بالجمال الى قلوبهم وبالخير ، واصفح عن الخنزير ، فأنت تتأبى عن حقارة الانتقام ، مد سناءك على الكون لتخلق في النفوس الكبار رعشة الحياة وحس الحياة . . في كل جيل طيفك المقدس حباً وبركة .

وها عبر الايام ، ارى عددا من آلهة يحملون روحك وفي حناجرهم النغم الذي تاه .

وانت وانا الى جبل اولمبوس ، حيث العشيرة الطيبة . . . والصحاب .

فؤاد الخمري

غبطة

في السماء
رقّت زينةُ بِشرِكْ
باقةَ لُمَع صهباء.
لحظةَ شبّ الفجـر
واستيقظت الشمس على وجد
الشمس التي تنـافسك بحلم ،
مجدّتكِ
لأنها كشفت جسارتك الساذجة
فلقفها ظمأى
وهو يغـترف شيئاً من قُدسانية جزعك
وراء الدُوار الذي يلف زمرد بصرك المشبَع فتوة
رجاء أن تغترب يداي عني فتستلما متهـالكتين
فتصنعا — لحجّك الأبلج
صوراً عوالي ، عوابر
حشوتها وثبات مرتجلات ، كساؤهـا نُوّار :
ذلك عرش هنيهةٍ من الإيمـان الغلاب
يا باقة لُمَع صهبـاء.
عشقتِ السماء مقحامة ،
أنتِ يا حدّة الخمر التي أحتسى

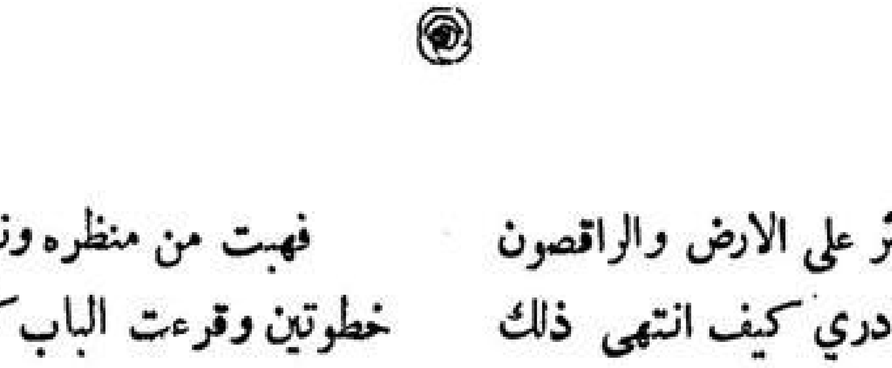
القاهرة
باريس أكتوبر ١٩٦٨

بشر فارس

الشجار

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





عند صوت جيراننا في شجارهم ، وجعلت الشتائم تنطلق من افواههم بعنف شديد، حتى اوشكت فرائصي ان ترتعد فجاءتني امي وقالت : « ادخل الدار يا بني هؤلاء النسوة وقحات فلا تستمع الى ما يقلن ».

ودخلت الدار وانا خائف لسبب اجهله . وانطرحت على الارض محاولا ان اصد اذني عن سماع المتشاجرين . غير ان الزعيق كان ينصب فوق رأسي انصبابا، لان زجاج النافذة كان مكسوراً مما جعل اغلاقها غير مجد ، كما ان امي رفضت ان تغلق الباب، لان اغلاقه يمنع الضوء من دخول الغرفة ، وهي تريد ان ترقع جوارب أبي . غير انني بعد قليل استسلمت للنوم ، وانا افكر في الطريق الوعرة الموصلة الى الوادي حيث كنت نزلت قبل يومين او ثلاثة لاعين قاطفي الزيتون، الذين شاء لهم الكرم ان ينفحوني بكمية من الزيتون كدت انوء بحملها الى الدار . فحلمت انني نزلت الى الوادي مرة اخرى، واذا القاطفون يرقصون ويغنون « على دلعونه » وان امرأة من بينهم اشارت الي وقالت : « انظروا الى هذا الولد ما اجمل رقصه ! » واذا انا ارقص بينهم حتى غلب الضحك على جميعهم ، ورفعني واحد منهم وقذف بي الى قمة الشجرة التي كانت محملة بزيتون اسود . واذا الزيتون يتناثر على الارض والراقصون ينحنون ويجمعونه في احضانهم . ولا ادري كيف انتهى ذلك الحلم لان احلاماً اخرى تقاذفتني ، وصوت الشجار ما زال يتردد غير جلي في اذني ؛ الى ان افقت فجأة وقد خدر ساعدي الذي كان وجهي عليه .

فوجدت ان حدة الشجار قد قلّت وامست ضرباً من المعاتبة، وقد كل الطرفان. ثم تلا ذلك سكون شامل اضحى فيه صوت الدجاج خلف البيت مسموعاً . فبدأت امي وهي تخيط وترقع ، تغني بصوت خافت اغنية حزينة اصغيت اليها وانا ما ازال ملقى على الارض. واضطربت نفسي اذ شعرت الحزن يتسرب الى حنايا صدري ، فيثير في افكاراً غامضة لا استطيع ان اتابعها ، ولكنني تذكرت انني رأيت امي مرة ، منذ زمن مضى ، تغني هذه الاغنية نفسها ودموعها تنحدر من عينيها . فبكيت دون ان اعرف معنى لبكائنا . بيد انني لم اذرف دمعاً هذه المرة ، لانني رغم حزني كنت ما زلت اسمع اصوات المتشاجرين تتخللها اغاني قاطفي الزيتون الذين رأيتهم في نومتي القصيرة يرقصون ، فنهضت ووقفت بالباب وسألت امي عن سبب الشجار ، فقالت: « لا شيء سوى حب الناس للمخاصمة ».

فادركت نوعاً ما ان الامر عسير علي ان افهمه ، لانني صغير. فخرجت الى الخارج حين صاحت بي امي: « اياك وان تعود متأخراً والله ان لم ترجع قبل غروب الشمس لن اسمح لك بالعشاء ! » وبما انني كنت سمعت هذه الكلمات منها مرات عديدة ، لم تؤثر في كثيراً . وانطلقت راكضاً الى دار صديق لي كانت قائمة بنفسها على تلة صغيرة تشرف على حواكير رمان وتين وتوت ، فوجدت صديقي يأكل خبزاً وجبناً ، واباه جالساً على الارض يدخن غليوناً طويل المشرب اصفر اللون ، وينفث الدخان من انفه ، وقد اصفر من شاربيه القسم الذي تحت منخريه من جراء ذلك .

فهبت من منظره وندمت على دخولي عليه راكضاً ، فتراجعت خطوتين وقرعت الباب كأنني اعتذر عن عدم استئذاني بالدخول. ثم تقدمت باحترام زائد وقبلت يد الاب — لان صديقي كان من دأبه ان يقبل يد ابي — ولكن رائحة الدخان ممزوجة مع رائحة البصل انبعثت من اليد الوقور الى انفي ، واشمأزت نفسي من هذا التقبيل الذي لا ضرورة له ، لولا ان الشيخ كفر عن ذلك بان قال لابنه : « اعط صديقك خبزاً وجبناً ». ثم سألني وانا امضع لقمة لذيذة: « كيف حال ابيك؟ » فقلت: « الحمد لله ، يسلم عليك » وفكرت في شيء احسن من ذلك اقوله ، ولكنه مد رجليه بشكل فهمت انه لا يليق بي ان استمر في الكلام لانني صغير ،

وهو كبير جداً في العمر .

خرجنا انا وصديقي ونحن نأكل الخبز والجبن ، وقد دنت الشمس من الافق الغربي ، فأطالت ظلينا طولا عجيباً . فقال صديقي : « يا ليتنا كنا طويلين كظلينا ! » فقلت : « يا ليتنا ! لكنا كالجن نأتي العجائب ».

— ولكنا حصلنا على نقود كثيرة واصبحنا من الاغنياء .

— نعم . ولكنا ذهبنا الى المدينة وأكلنا في مطعم جالسين على الكراسي .

قلت هذا وتذكرت ان جارنا ابا خليل كان قبل ايام قد احضر الى بيته كراسي كبيرة عليها نقوش كثيرة الالوان ، وتذكرت في الحال زوجته ام خليل التي كانت اقوى نساء الحي في الشجار واسلطهن لساناً في الشتائم فأردفت :

« كم اود السفر » !

فقال : « لماذا » ؟

— لان جيراننا دائماً يتشاجرون فليتنا كنا نذهب الى مكان بعيد عنهم فلا نراهم .

فنظر الي صديقي نظرة كنت اعرف معناها اذ قال : « اتودنا ان نتزل الى الوادي ؟ » ووضع في لهجة سؤاله كل ما لديه من قوة واغراء .

فقلت : « هيا بنا ! » .

فنزلنا الى الطريق العامة ، ومنها الى حواكير جعلنا نقفزفوق حيطانها الى ان بلغنا فم الوادي ، ثم جعلنا نقفز من صخرة الى صخرة متسابقين ، حتى وقفنا على باب كهف تجمع ماء المطر في داخله ، فأخذنا نصرخ ونصغي الى الكهف يردد صدى الصراخ . ثم رمينا حجارة في الماء بشدة لكي نرى الرشاش يرتفع حيث تقع الحجر ، الى ان ابتلت ثيابنا . وفيما نحن نلعب عثرنا على بعض حلزونات ، فاخذناها في ايدينا ضاحكين ، وقفلنا راجعين .

وعندما وصلت الى الدار ، وجدت ابي قد عاد من المحجرة حيث كان يشتغل ، وامي تغسل رجليه في طشت وتقص عليه قصة الشجار . لكن حالما رآني ابي دعاني اليه واخرج رجليه من الطشت واجلسني في حضنه . فلاحظت ان شاربه اسود والا صفرة عليه ، لانه لا يدخن .

قال ابي : « احضرت لك شيئاً لذيذاً . احزر ما هو ؟ » .

قلت حالا : « تفاحة ! » .

فأخرج من جيبه تفاحة كبيرة محمرة من ناحية ومصفرة من الاخرى وقدمها الي . فوضعت الحلزونات من يدي بسرعة على الارض ، وتناولت التفاحة ، ثم قلت :

« متى سنخرج من هذه الدار يا ابي ؟ » .

قال : « عندما يشاء الله » .

قلت : « ومتى سيشاء الله » ؟

فضحك ابي وقال : « حين تكبر وتشتغل » .

فعضضت على التفاحة وجالت في خاطري ذكرى الحدائق الملأى بالتفاح والعنب فقلت لنفسي : « حين اكبر واشتغل سأشتري لي كرماً ، وسأستطيع ان انزل الى الوادي حتى في الليل . وهناك مع اصدقائي سأغني اغاني كثيرة ، واقدم لهم تفاحاً وعنباً » . ثم عضضت على التفاحة مرة اخرى .

فلما رآني ابي ساهماً قال : « عندما تحضر امك الاكل ، سأقص عليك قصة جميلة حدثني بها صديقي اثناء ساعة الغداء » .

ففرحت لذلك وانتظرت ريثما افرغت امي الطشت من الماء القذر ووضعته في مكانه ، ثم دخلت الدار واضاءت القنديل ، فدخلنا ، انا وأبي ، وتربعنا على البساط المفروش على الارض مستعدين لقدوم العشاء والتلذذ بالقصة . ووضعت امي الطعام بين ايدينا والبخار الجميل يتصاعد متلوياً منه ولكن ما كاد ابي يقول : « كان ما كان ، على الله التكلان » ، حتى دوت في انحاء الليل صرخة مخيفة ، تلتها صرخة نسائية عالية النبرات . فقفز ابي قفزة واحدة الى الخارج ، وهرعت امي وراءه ، وسرعان ما سمعت اصوات اقدام اهل الحي تتراكض نحو مصدر الصوت . ثم كان هناك لغط شديد

مجموعات الاديب

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة		ليرات	جنيهات	دولارات
الاولى	١٩٦٢	٣٥	او ٤	او ١٦
الثانية	١٩٦٣	٢٥	« ٣	« ١٢
الثالثة	١٩٦٤	١٥	« ٢	« ٧
الرابعة	١٩٦٥	١٥	« ٢	« ٧
الخامسة	١٩٦٦	١٥	« ٢	« ٧
السادسة	١٩٦٧	١٥	« ٢	« ٧
السابعة	١٩٦٨	١٥	« ٢	« ٧
الثامنة	١٩٦٩	١٥	« ٢	« ٧

واصوات عنيفة لا يستجلي فيها الكلام ، فقلت لنفسي لا شك في ان الشجار قدعاد من جديد . ولسبب ما عادت تلك الرعشة البغيضة الى جسمي ، لاحساسي الغامض ان جريمة منكرة قد وقعت .

وعندما خرجت الحق مما حدث كانت بضع نساء يولولن ، وقد اجتمع نفر كثير حول شيء ملقى على الارض . ولم يأبه لي احد عندما جعلت اتسلل من بين ارجل المحتشدين ، واذا رجل ممدد — وقد عرفت في الحال انه ابو مراد — ورأسه ملطخ بالدم ، وقد ارتمت ام مراد على صدره تنتحب نحيباً مخيفاً . فتراجعت متسللاً بين الارجل مرة اخرى ، وذهبت الى الدار ، والطعام ما زال على الارض ولا بخار يتصاعد منه ، وقد عافت نفسي منظره . فجلست على الارض ، واختلطت الصور في مخيلتي مع الضجيج والصراخ مرة اخرى ، ورأيت نفسي اركض في الحقول وقد امتلأت شجراً مفعماً بالنوار ، والاقاح كالنجوم تتألق بين الحشائش الخضراء . ولكن شيئاً مريعاً لا ادري ما هو يلحق بي ، وقد برزت له انياب كالكلاب ، حتى اذا امسك بي افقت من نومي منذعراً ، فوجدت اني ما زلت وحدي في البيت ، ولا ادري اين ذهب والدي .

***

وعندما فتحت عيني في الصباح التالي ، سمعت ابي يقول لامي ، وهو يرشف القهوة .

« لقد قضيت الليل كله في المستشفى مع ابي مراد المسكين ، ولكنه لم يعد الى رشده الا لحظات معدودات ثم اسلم الروح » .

قالت امي : « رحمه الله ! » .

فقال ابي : « كنا نظن ان جارنا ابا خليل من مساكين الله . من كان يصدق انه يستطيع ان يضرب بنبوته تلك الضربة الفظيعة على رأس ابي مراد » ؟

قالت امي : « نجانا الله من المرأة الشريرة . لم يفعل ابو خليل ذلك الا بتحريض زوجته التي لا تكتفي من الشر ، كأن شجار النهار مع ام مراد وبقية النساء لم يكن كافياً لها » .

قال ابي : « من يدري الآن كم سنة سوف يسجن ابو خليل لهذه الجريمة » ؟

قالت امي : « لا حول ولا قوة الا بالله العظيم »

ونهضت حينئذ ، واكلت خبزاً وزيتوناً وشربت قدحاً من الشاي (وكان هذا فطورنا كل يوم) . وقد كان الحي ساكناً ، وصوت الدجاج يسمع بجلاء خلف الدار .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

فلترقد بسلام

لاوسكار وايلد

***

خفف الوطء ، هي قريبة
تحت الثلوج ،
تكلم بلطف ، هي تستطيع ان تسمع
نمو الاقحوان

***

شعرها الذهبي المتوهج ،
لطخه الصدأ ،
هي التي كانت ، غضة جميلة
هوت الى التراب .

***

كالزنبقة ، بيضاء كالثلج ،
بشقة عرفت
انها امرأة ، وهكذا
بجلاوة نمت .

***

لوح نعش ، حجر ثقيل
يرقد على صدرها ،
امزق قلبي وحيدا
هي في راحة . . .

***

هدوء . . . هدوء هي لا تستطيع ان تسمع
قيثارة او انشودة
حياتي هنا ووريت ،
كوم عليها التراب

عمان — يوسف بوراده

صورة وصفية

رفيقة لن اسميها

بقلم وديع فلسطين

لله درّك يا أبا شادي وأنت تقول لكريمتك « صفية » :

لا أرى للحياة كنهاً ومعنى
ان تخلت عن الهوى او تجنّي
وسعيدٌ من عاش يعتنق الحب
ومن حاز ملكه مطمئناً

فحياةٌ أمحلت من حب، كواد اجدب من زرع، وكزهرة خلت من ماء نضرتها لان الحب جوهر الحياة وصفوتها ، وعنصر الفتنة فيها ، وليس يهنأ امرؤ ما لم يعمر بالحب قلبه ، وليس يطيب عمرٌ طويلٌ او قصير ما لم يكن سداه الحب ولحمته الايثار.

أخفق القلب بالحب في ريق العمر ، وكان العود لا يزال رطباً، والمستقبل لا يزال في مضمر الغيب، والتفكير لا يزال معهداً. فقد استيقظ على صوت هاتف، وكان الهاتف أنبل واخلص واوفى واصدق واشرف من دق بصولجانه باب قلبي.

كانت — ولن اسميها — مرادفاً لي ، لا يُنادى اسمي الا قرن به اسمها، ولا يذكر اسمها الا اردف باسمي. فقد شاءت المصادفة ان يرد اسمانا مترادفين ، ولا معدى عن ان يخلط الرفاق بيننا ، فظنوا اول الامر اننا شقيق وشقيقته ، ثم حسبوا اننا نشترك في احد الوالدين لا في الاثنين، ثم عرفوا أن بيننا وفاقاً، والوفاق اول خطوة في سبيل الحب.

ولكن هذا الوفاق لم يجيء عفواً او عرضاً، بل جاء بعد رفقة دامت ثلاث سنين. بدأت المعرفة بلقاء عارض في فناء المعهد ، واخذت تؤثل الدعائم يُعينها على ذلك وحدة المقصد، ووحدة الاتجاه ، وزمالة الدرس. حتى اذا زالت الوحشة وانتفت الغربة كان الرفيقان اكثر من صديقين وفيين ، وألزم من توأمين لصيقين.

واذا سأل سائل : ما الحب ؟ قلت : هو الزمالة المتجددة التي تفنى امامها اعتبارات المصلحة، هو الرفقة التي لا تنشد غاية سوى التكافل المشترك. وقد كانت بيننا زمالة متجددة، وكان بيننا وداد حبيب، وكانت بيننا عاطفة مشاعة ليست وقفاً على احد . كنا نفترق كل يوم لنلتقي كل يوم تال ونحن على صفاء، وكنا نودع انفسنا في خاتمة كل اسبوع لنجتمع في اول الاسبوع اللاحق ونحن على شوق. كانت ايامنا تحاكي ايام الملائكة، لا تعرف الا مآرب نبيلة ومقاصد نظيفة ، ولا تطلب الا العشرة الكريمة المهرأة من الاوشاب ، ولا تتطلع الا الى الرفاهية الذهنية والمتعة النفسية ؛ وحسب المرء ان ينعم بضمير راض ليأنس سعادة الحياة

دعتني ذات يوم الى حفل، ولما استفسرت عن مناسبته ، أبت ان تبيح لي بشيء . فلبيت الدعوة، وذهبت من ضاحية في اقصى الجنوب الى ضاحية في اقصى الشمال كي لا ارد لها مطلباً. وكان المدعوون بضع عشرة من الصحاب تجمعنا ثقافة واحدة ، وجو واحد ووشائج واحدة. وعزفت الموسيقى شجية الانغام، وتقدمت مني صاحبة الحفل تدعوني للرقص ، وكنت لا ازال اتعثر في الخطو، فأبيت ان اجيب الدعوة حالا . ولكنها أصرت ، فقبلت في استحياء. ودارت بي فدرت بها، وانحرفت الى الميمنة فتبعتها ، ثم الى الميسرة فحاكيتها، ومالت فملت معها، وظلت الحلبة في صخب حتى آذنت لنا الموسيقى بالكف، فأطعناها. والموسيقى ذات سلطان تفرضه على الناس فتكرههم على ان يصيخوا لها ، والموسيقى ذات عرف وتقليد ولا بد من مراعاة العرف واحترام التقليد. وقد كنا للموسيقى طائعين ، ومن يجرؤ على ان يعصى لها امراً ؟

ولكن للموسيقى كذلك لغة، ولغتها تخاطب المهج والقلوب. وقد سمعت النغم في تلك الليلة يهتف بهاتف الحب قوياً ملحاً دؤوباً متشبثاً . فلما آن اوان افتتاح المائدة ، عرفت المناسبة التي طالما اجهدت نفسي في ادراكها ، فقد كان ذلك اليوم يوم ذكرى مولد الرفيقة وكان لا بد لها ان تحتفل به بين جمع تختارهم بنفسها ، وكان لا بد لها ان تهيء الجو الذي تستطيبه ويستطيبه اقرانها .

والتففنا حول المائدة ، وكان مكاني الى جوارها . وما كنت احفل — شأني

دائماً — بأمر الطعام والشراب ، ولكن الرفقة الهنيئة تشجع على المأكل، وتغري بالمشرب، وكان شرابنا يومذاك اقداح شاي مثاوج.

وانفض سامرنا، وكان لا بد ان ينفض سواء طال اجتماعنا او قصر ، ومضى كل منا ينهب المسالك الى حيث يقيم. فيممت شطر داري في مدينة الاهرام ويممت هي صوب مسكنها في وسط المدينة .

وتلمست النوم، وكان مألوفي ان اغطفيه ساعة اسند رأسي على الوسادة ، ولكن النوم هجرني . فالعقل كان يدور ويدور ، يعيد امامه مرئيات تلك الحفل خطوة خطوة ، ويحاول تفسير كل كلمة وكل عبارة .

لقد دعتني واغفلت دعوة كثيرين غيري ، فما سبب ذلك ؟

وآثرتني في افتتاح ساحة الرقص دون غيري ، مع ان هناك من يبزني في هذا الفن ، ومن يعد لي استاذ استاذ . فلمَ ذلك ؟

واختارتني لاجلس الى جوارها على المائدة، مع ان لها من الصحاب والصاحبات من قد يكون اجدر مني بهذا المقعد ، فلماذا ؟

وعند الاوبة ، كانت في السيارة التي دلفت بنا تقطع العاصمة من طرفها القاصي الى طرفها الداني ، وكنت بدوري في هذه السيارة . افكان محض اتفاق ، لم يسبقه تدبير او تفكير.

حقاً ان كلا منا مشرف على الخروج الى خضم الحياة، ولكننا لا نزال راسفين في اغلال تحول دون المجاهرة بالحب بالتلميح او بالتصريح ، فهل ارادت هي ان تشير الي من طرف خفي الى ما يعتلج في صدرها ؟ او ان الامر سلسلة من المصادفات اخذت تتكرر سنة بعد سنة ، وحادثة بعد اخرى وثالثة .

ليلة كاملة لم انم . فقد كان الفكر مرجل يغلي . ولست انسى ان الذاكرة وعت كل شيء ، وعت البسمة الباهتة ، والنظرة الجانبية ، والفكاهة الرمزية ، وعت كل صغيرة وكبيرة وحاولت ان تنسج من هذه الخيوط المتنابذة المتنافرة نسيجاً من الحقائق القاطعة الفاصلة .

***

واليوم مضت سنوات طوال ، وانا لا ازال اترنح بين الشك واليقين : فهل كانت تحبني ثم استفاقت على حب آخر اعنف واشد ؟ او هل كنت انا واهماً مخدوعاً اضل في بيداء فكري المسترسل؟

تالله اني لفي حيرة . فقد ذهبت وما اعرف لسؤالي رداً .

آه ، ليتها — على البعد — تجيب ، والقلب راض بما تقول .

القاهرة — وديع فلسطين

السماء

لفرلين

●

السماء من خلال السقف
زرقاء للغاية، هادئة للغاية
غصن من فوق السقف يهدهد بأنانه
والجرس الذي يبدو في السماء
يرن بعذوبة
والطير الذي يبدو على الشجرة
يرسل شكواه
يا الهي.. يا الهي.. الحياة هناك
بسيطة وهادئة
وتلك الحركة الساكنة
تأتي من المدينة
وانت يا من اراك
اوه ماذا عملت لتبكي بلا انقطاع
قل لي ماذا صنعت بشبابك

خشوع

لبودلير

●

اعقل يا الهي.. كن اكثر حرصاً وهدوءاً
كنت تبغي المساء ، ها هو يهبط
جو حالك يتملك المدينة
ولبعض يجلب السلام ولآخر القلق
وخلال حشد الفانين الكريه
وتحت سوط اللذة ، هذا الجلاد القاسي
سوف يقطف وخزات الضمير في هذا العبد الدنيء
يا الهي.. هات يدك ، تعال من هنا بعيدا عنهم
تأمل السنين المدفونة وهي تشكو
على شرفات السماء باطمار بالية
تتدفق من اعماق المياه بينما الندم يبتسم.
الشمس المحتضرة تنام تحت قوس
وككفن واسع يتعثر في المشرق
اسمعي.. اسمعي يا عزيزتي ،
الليل اللطيف الذي يمر ..

بغداد — ترجمة شفيق فطاير

على شاطىء الذات

☆☆★

بعيداً ، على شاطىء الذات ، في غَمْضَةِ الأشْهُبِ
حوالَيْ مطـلّ الوجود ، في العَبَـق الطَيِّب ،
هنـالِكَ — والآنُ بين المُمَهَّـل والمُسْهَب —
شدَدْتُ يَدَ السِر وهو عـلى المهد بعدُ غبي.

***

أنا أبنُ الدهور ، أبنُ لبنانَ ، وَعْيُ الخليقةِ بي ،
أنا جبتُ ذاتي وأفـرغتُ أغنيـة المطلب
نهلتُ الذهولَ ، نهلتُ شحوبَ الفتى المُتعب
وصمتَ المساء يَلُفُّ اليتيم وقـبر الأب ،
نهلتُ الشقـاء المُهلّ جميـلاً كوجه نبي.

***

أنا ثروةٌ كالكآبة عمقاً ، وكالغيهب !
غَنِيٌّ ، أحِسُّ الوجودَ غباراً عـلى ملعبي.

***

يقولون : قـافلةٌ هنـالك ، لم تُغلَب ،
تشيدُ على الفتح أثبتَ من مجدكَ الخُلَّب،
لها صفحَةُ الارضِ مَرمىً ، وناصيةُ الكوكب،
قل : الفتحُ غَمْسُكَ في الذاتِ كفّاً من الصُلَّب
ورشْفُكَ نفسَكَ رشفَ العتيق من المشرب ،
كأنـكَ حُلمُك ضُمَّ إليـكَ ولم يَكْـذِب

سعيد عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحلام وانحدارها

بقلم ربنه هوبج
الامين العام لمتحف اللوفر بباريس
ترجمة محمد عبناني

منذ أمد بعيد والناس ينشدون بالحاح وفضول مفتاح الاحلام، لينفذوا بواسطته الى اسرارها، وهم يحومون ايضاً حول الروائع الفنية بدافع الفضول نفسه، ليحصلوا على مفتاح مسحور يتيح لهم النفاذ الى سرائرها. فهل يكون المفتاح المنشود واحداً في الحالتين؟ وما هي الفوارق الدقيقة، التي تكاد تكون غير محسوسة، بين الحلم، والتخيلات والشعر والفن؟ ان لكل منها لوناً خاصاً، وكثيراً ما يقال: «هذا رجل حالم، هذا شاعر، هذا فنان». فنجد آراء العامة تنزلق برفق، من حالة الى حالة ومن لون الى لون، وهي تحس احساساً غامضاً بالصلات الممكنة بين هذه الانواع، ويجاري العامة في هذا، بعض اهل الفن، فنرى «فاجنر» يقول: «ان مهمة الشاعر تنحصر في التعبير عن احلامه». وقد سبق التصوير الادب في الاحساس بهذه القرابة بين الحلم والفن، فحاول ان يسجل الاحلام، ويعبر عنها.

ونحن نرى «دورير» الالماني، مثلاً، يبرز في نقوشه، رجلاً يائساً يرتعش جزعاً وسط احلام ليلية متناقضة المظاهر، مرعبة: وفي الفن الاسباني يتصور «جوايا» نفسه، في لوحته المسماة «غفوة العقل»، تحوم حوله اشباح طيور الليل وحيواناته المفزعة، واذا استعرضنا تاريخ الفن في «ايطاليا» نجد، رغم تعقل المفهوم الفني في هذا البلد المحافظ، ان معظم الفنانين امثال «لوتو» و«مارك انطوان» و«ريوندي» و«لوكاس بني» وقد بحثروا وفحثوا الاحلام بالمنقاش والريشة، فلم يهملوا خلجة ولا خطأ يتعلق بها الا واثبتوه. حتى لقد عبر بعضهم عن احلام المرضى والعصبيين، وولى البعض الآخر الناحية الحيوانية العضوية اهتمامه الفني المبدع.

ان الفنان ينطلق في عمله الفني، ونصب عينيه امكانيات للابداع لا حدود لاختلافها وتنوعها، والبعض القليل من هذه الامكانيات يتيح للفنان مخالطة الاحلام وبلوغها اثناء عمله الفني، ليكون ابداعاً حقيقياً.

وهو يستطيع، في الحالة العادية البدائية، استلهام مهارته، فيقلد الطبيعة ومظاهرها واشكالها. ولكنه يحلم بالخلق والابداع منذ اللحظة التي يجتاز بها هذه الدرجة العادية، بما فيها من رموز تعبر عن واقع الاشياء؛ فاذا تسامى الفنان عنها، احس بأن فيه شيئاً مكملاً للطبيعة، وانه مثقل بهذا الشيء، وعليه ان يبرزه الى الوجود.

ولكن ماذا عليه ان يوجد، وبماذا يتحقق ويتعين فنه وابداعه؟ بالاشكال والصور. ولكن اليس ثمة من فوارق بين الاشكال والصور؟ بلى. هناك اختلافات بينة

فاذا كان الفنان يطمح الى التعبير بالاشكال، تحتم عليه اللجوء الى العمل الفني التصويري المجسم، واذا احس ان قوته المبدعة تتعين بالصور، كان عليه ان يبدع عملاً تعبيرياً. غير أن الفنان، ان كان واقعي النظرة، يرفض التخيل، فعليه على كل حال ان ينتخب ما يريد من مظاهر الحقيقة. اما اذا لم يشأ ان يكون مجرد عامل يدوي، توجب عليه الانتخاب وفقاً لتفضيلات جمالية، وقوانين فنية عميقة تدل على ابداعه. وليس عمل الفنان التجريدي مهما تمسك بقواعد الهندسة، غير تنقية ومزج بعض التخيلات المألوفة، التي تكاد تكون مملولة لفرط ما نلاحظها في الحياة. ولهذا نجد ان الفنان الواقعي والفنان التجريدي يصدران هما ايضا عن آلية ابتكار الصور، ولو بطريقة محدودة؛ ويتصل سبيلهما بسبيل الاحلام. وهذا نفسه ما يتحتم، بطريقة اقوى واشد، على من يذهب الى ان هدفه الفني هو اظهار احلامه، المائجة في اعماقه، الى حيز الوجود، وتوضيح العالم الفريد الجديد، الذي يحمله في خبايا ذاته، لان هذا الفنان هو قبل كل شيء مبدع صور. وهو لا يتساءل من اين تدفقت هذه الصور، ومن اي منبع سري انسلت، بل يرخي العنان لخياله، ويترك على قماشته الشكل او اللغة التي تعادل الصور المنبعثة من ذلك القاع السحري، والينبوع الهامس: «الوحي». فما اشد الشبه، في هذه الحالة بين الفنان والنائم الحالم، فكلاهما يرشفان من نبع واحد، يخضعان لقانون واحد هو «اللاوعي»

والآن، بعد ان اوضحنا الصلات بين الاحلام والفن، نبادر فنبين اوجه الاختلاف بينهما منعاً للالتباس. فهما يصدران عن نبع واحد ولكنهما يفترقان عند امتداد تطوراتهما المختلفة، فالحالم ينفعل سلبياً، ويتلقى الشريط المصور المنبعث من لا وعيه، دون هدف ولا اتجاه. اما الفنان، وهو ابداع وفعل، فيسلم هذه الصور الحالمة لملكاته الواعية اليقظة، وهذه تتناولها وتخضعها لقوانينها وتمزج بينها وترتبها وفقاً لقواعد تلقتها او تبنتها. ومع هذا فان القوى المتحكمة هي التي تؤدي الى تدفق الصور، بدائياً، وهي صور يتلقاها الفنان، ولا يد له في ابتعاثها. وكذلك النائم. وهي تندفع فيها عن قوة داخلية واحدة هي «القوة الفحارية»*، اي قوة ما فوق الوعي.

* Subconscience. والكلمة من اشتقاق العلامة عبدالله العلايلي.

وفي السنوات الاخيرة تقدم علم النفس الحديث تقدماً محسوساً، واوجد طريقة علمية دقيقة هي طريقة التحليـل النفساني . وهي طريقة تفحص طبيعة الكائن الخاصة بواسطة احلامه ، ونحن لا يخامرنا الشك في امكان تطبيق هذه الطريقة على « الاستلهام » القوة الاخرى من قوى التصور . ولكن طريقة فهم بعض الباحثين، والعامة، لهذه الحقائق، تدعونا الى تحفظ يذكيه عدم هضم البعض منهج التحليل النفساني الذي عم بطريقة مخيفة في مختلف فروع المعرفة .

ان طريقة التحليل النفساني هذه خضعت لبعض التغييرات، وألمت بها بعض العيوب الناشئة عن طبيعة موضوعها، انها ولدت ونشأت ، من الملاحظة الطبية وبنت حقائقها على الاكتشافات العلمية البيولوجية ، وشابتها عيوب لها علاقة بالمهنة الطبية نفسها ويجب ان نلاحظ في الحقيقة ان تحليل احلام انسان صحيح الجسم متوازن؛ ييسر لنا ، ان نلتقط عنده رواسب متناقضة ومختلفة ومتنوعة، لم تنجح حالة اليقظة بالقضاء عليها . فيتضح لنا طبعه، والحالة هذه ، غاية في الانطلاق الخيالي والتصور الملىء بالاشباح ، وليس صوراً رمزيـة توضح لنـا اسرار التخوف المرضي الطبيعي في اللاوعي، وان طريقة ديالكتية ، تجمع هذه الصور الرمزية المعبرة، وتؤلف منها مذهباً نفسياً منظماً، هي في الحقيقة اضواء جديدة تؤدي الى نتائج ثمينة ، سواء في علم النفس، او تاريخ الفن . وبما اننا لم نتوصل الى الطريقة بعد، فقد نظل في متاهات الخطأ، وفي ذلك الخطر كل الخطر ؛ وخاصة حين ننقد آثار الفنانين العظام، فهؤلاء، رغم المفهوم الابداعي الخـاطىء ، من ذوي الامزجـة المعتدلة الطبيعية في الغالب، وان العباقرة الكبار كانوا يطمحون دائماً ، بل كانت فيهم ، حالة من التوازن المجيد ، وهذا التوازن هو الذي يميزهم عنا .

فهل يستطيع نقد الفن ، ان يتخذ من التحليل النفساني بعد التسلح بكل التحفظات ، اداة عمل ؟ نجيب على هـذا السؤال بالايجاب اذا لم يتعد النقد الفني غايته من النفاذ الى طبيعة الاستلهام، وبالنفي اذا ادعى الناقد الفني ان غايته هي الوصول الى حل مشكلة الفن نفسها، اي الوصول الى اعماق الدوافع الفنية، ليثبتها او ينفيها . فاذا كان العمل الفني اعترافاً نفسياً فحسب، لتيسر للناقد الفني ما يطمح اليه في هذا السبيل، اما والعمل الفني يكون في بعض الحالات مصحوباً بضرورة جسمانية تصويرية ، فانه يستحيل الاقتصار على التحليل النفساني في نقد الفن .



الرسم لجرج في كتاب ازاهير الشر لبودلير

ثم يجدر بنا ان نتساءل عن المفاهيم التي نثبت عليها دعائم نقد الفن ، هل هي المفاهيم التحليلية النفسانية ، او التصويرية الجمالية .

وبعد البحث، يتضح لنا ان على الناقد الجمع بينهما . فالنقد الفني الكامل يقلب وجوه النظر بين المعطيات العلمية والجمالية مستفيداً من فوائد كل وجه منها ، فلا يهمل كون الفنان يبدع بواسطة رموز مادية متفق عليها ، لها في ذاتها قيمة ذاتية ، وأنه يجاهد دائماً ، في طموحه الفني ، ليصل نهائياً الى الجمال الذي يصعب عليه تعريفه . ولكن اذا صح ان محاولة الفنان الاساسية المهمة ، ان معركته الحقيقة، وخاصة في الازمان المعاصرة ، هي ان ينقل الى الغير ، حقيقة نفسه، حقيقة روحه، هذا الشيء الخفي الذي لا يعبر عنه ، والذي لم يوجد ابداً قبله ، والذي لن يوجد ابداً بعده، في هذه الحالة يكون اكتشاف معـالم هذه النفس جديراً بالجهود المبذولة في هذا السبيل، بل ان هذا الاكتشاف يصبح في حالة من الحالات واجباً ملحاً .

يقول «دى لاكروا» : «انك تستطيع ان تضيف روحاً جديدة الى تلك الارواح التي رأت الطبيعة بعين شخصية» فالفنان يريد اذن ان يعبر عن حقيقة — هي حقيقته — تبقى بعده ، وهو يستمد مقوماتها من ماهيته الفريدة، من خاصيته وقيمته الموقن انها تميزه عن بقية الناس، وهو يقيم؛ من الحقيقة هذه، صرحه الخاص، متصلاً بالروح العامة الشاملة الغنية بامكانيات تجعلها عامة ، تشمل اكبر عدد ممكن من الفرديات . ان ابداع عمل فني يعتبر اضخم محاولة في حياة الكائن البشري، لتحطيم حدود الزمان

والمكان ، هذه الحدود التي وجدت لحصره وتقييده . وكذلك فالابداع محاولة جبارة يجد الفرد بواسطتها ، في الزمان والمكان ، منفذاً الى البقاء والديمومة ، ومنفذاً الى الغير . وقد يكون الجمال حيث يحس الانسان بوجود المطلق ، فيحاول ان يتوصل اليه ، قد يكون هذا الجمال اقوى وانبل درع تخيلها ليحمي اقداس فكرته وقلبه ، وروائعها الدقيقة ، المرتعشة كالازهار ، ضد كل ما يحد من انطلاقها ، ويعيدها الى خاصيتها البشرية العادية ، الموارة بالمسكنة والفناء . فالفنان يجد في الانا الخاص ، عنده ، موضوعاً شاملاً ، فيه غذاء وفائدة لاكبر عدد ممكن من الناس .

وهكذا تتحدد ، بدقة ، طبيعة العمل الفني المعقدة ، فالفنان في البداية ، يتعمق جذور ذاته الانسانية الذاتية ، بل يستقي من اس كيانه ولا وعيه ، دون ان ينظر الى الآليات الذهنية التي تربطه بالمجموع . لكن ما ان يقترب من غايته التي يعمل لها ، حتى يجند الصالح مما يأتيه به الوعي ، هذا الوعي الذي يحول المادة الخام الجامدة الى « شيء جميل . ومهما بدا من الفوارق بين مفاهيم الجمال حسب اختلاف العصور والبلاد ، فان الفنان لا يقبل بجمال ما ، بفكرة جمالية ما ، الا اذا آمن بحقيقتها ايماناً مطلقاً ، نهائياً .

فاذا بلغ العمل الفني هذه الحالة ، استطاع النقد ، على اختلاف مقاييسه ، والذوق ، وفلسفة الجمال ، اخضاعه للنسب والكيفيات . ولكنه في منابعه الاولية ، الجهد المبهم ، يبذله الكائن ، ليثبت ذاته ، ويحقق وجوده الفني الجمالي ، وفي هذه الحالة يكون نقده وتعليل ظواهره ، من اختصاص علم النفس . ولكن علينا ، ليكون بحثنا متوازناً ومنطقياً ، تقويم بعض اتجاهات البحث النفساني ، المطبقة على الفن ، فمنذ سنوات ، وعلم النفس يقصر جهوده ، وما اوتي من وسائل ونتائج مثمرة ، على بحث قضية الجمال الشكلي Beauté Formelle

وقد آن لتاريخ الفن ان يتحول الى روح العمل الفني ، وهي الناحية الثانية المهملة الى الآن ، ليدقق فيها ، دون ان يفقد شيئاً من المعلومات والوثائق القيمة التي تيسرت له حين امعن النظر في الشكل الفني . ولا شك ان النقد الادبي ، قد اتبع هذا السنن منذ مدة طويلة ، فاصبح التحليل النفساني ، في النقد ، شيئاً طبيعياً ، ان لم نقل مملولا من جراء المبالغة ، أما في الفن فقد ظلت المحاولات المماثلة محدودة ، ونحن نكاد لا نجد ، من حاول في هذا الصدد محاولات جدية الا العالم النفسي السويسري « شارل بودوان » الذي اصدر بحثاً قيماً عن « التحليل النفساني والفن » ولكنه استخدم العمل الفني ، والتفاعلات التي يثيرها ، بصفته محركاً للتخيلات الواعية ، اكثر مما استخدم البحث التحليلي لاكتشاف اسرار الكائن ، مبدع العمل الفني .

والآن ، ودون ان تغيب عن اذهاننا الغاية الجمالية التي يهدف اليها الفنان ، والعيوب والتغييرات الشكلية ، محتملة الصدور عن التحليل النفساني ، افلا نستطيع ، بعد تخطي كل هذه الحواجز ، الوصول الى سر انبعاث الاحساس الفني ، آثاراً وروائع ؟ .

ان هذا الاحساس يولد آثاراً قد يخفى على اصحابها بعض دوافعها واسبابها الخفية وغاياتها الحقيقية . افلا نستطيع نحن ان نتفهمها ونلمس مكمن اسرارها ، فضلاً عن اننا نتأثر بها ، ونطرب لها .

***

لفهم سبق ان أشار بروست الى « الصفة المجهولة لعالم فريد التي هي الحجة القاطعة على العبقرية ، وقد تكون خارج العمل الفني نفسه » ويعود هذا الى ان العمل الفني (مهما كان واقعياً) فانه على كل حال ثمرة « تخيل » يعبر عن العالم الخارجي ، فكأنه يوجده من جديد بواسطة صور قد تعادل او لا تعادل الحقيقة التي تعبر عنها ، ولكنها في الحالتين تعبر عن الشيء الواقع بعد ان تمر بالخيال والتخيل المبدع ، لا والا فما قيمتها حين لا يتخذها الفنان وسيلة نفسية وجمالية لاظهار اثره الخالق ؟ ان التخيل ، وهو قوة ذهنية تولد الصور ، هو القاعدة الاساسية في الاحلام والخلق الفني . بدائية وبديهية في الاحلام ، ومهضومة وذكية في الخلق الفني . وهو في الحالتين العمل الذي يخلص النفس ، بواسطة الصور ، من الضغط الداخلي الذي يغذي ويثقل الطاقة الفجارية في النفس حتى تفيض الى الواعية . ومصدر هذا الضغط اللاوعي ، وهو نواة مركزية مختاجة بحياة باطنية كلها ذوبان وانصهار ، وهذا الضغط يندفع الى الخارج تموجات ، ماراً بالوعي ، وهناك يتركز ، ويتخذ مظهراً ذهنياً ، ويتجسد في صور وافكار ، فاذا اشتد هذا الضغط ، امكنه الظهور ، في الحياة الخارجية ، حركات واعمالا ، وهكذا نجد التخيل يلبسه في البداية ثوباً من الصور ، اما الابداع فيكسوه جسداً مادياً متيناً ملحوظاً ، فيصبح في الحجر ، او على الخشب ، او القماش ، آثاراً فنية ، وهذا الثوب يكسو تياراً ما زال مشوشاً مضطرباً ، ويعده بهذا ليصبح منظوراً ملموساً . هذا الثوب يكون او يجب ان يكون ، منسوجاً على نول واقعي خارجي ، وهذا نصيب الواقع في الخلق الجمالي . ولكن الفنان ، وفكرته الفنية ، واللاوعي احياناً ، تتحكم بدورها بهذا الواقع المادي ، ويحدد الاحجام والمواد ، فيظهرها ويخفيها وفق ما تقتضيه غايته المتوخاة .

وهكذا يجتمع العالمان الداخلي والخارجي ، بانصباب احدهما



الرسم لجيروم بوش : تجربة القديس انطونيوس

في الآخر، ويلتحمان في مظهر واحد له خصائصها مجتمعة، ولا يبقى على حاسة الابداع في الفنان سوى استعمال رموزهـا ووسائلها ، والاصطلاحات الاخرى، لتخرج الى حيز المرئيات، وتثبت في المادة هذه الرؤى التي تواضحت لنا على الشكل الذي بيناه.

فالتخيـل هو اذن اللحظة الدقيقة الاساسية في تطور الاثر المبدع . وهو يلوح لنا متعدد المظاهر عند التحليل ، ونحن نحس باستحالة التقدم في اكتناه اسراره اذا لم نلمس الفوارق بين مظاهره المختلفة ، وفي الحـالة البدائية البسيطة ، نجده يسير جنباً الى جنب مع الذاكرة او يختلط بها او ينفصل عنهـا بنسبة تساميه . ونحن نوقن انه يوجد نوع من التخيل السلبي، غير المبدع، تنحصر وظيفته سواء في الحلم او في الابتكار الفني ، باعادة تكوين الصور التي اثرت في الذاكرة لفرط ترديدها والذاكرة تعيد الى الوعي المضمون الدقيق التام لهذه الذكريات ، اما التخيل فلا يبعث الا خصائصها واهم مميزاتها . فما يحدث لاحساس ما يكاد يكون نفس مـا يحدث لجسم يذوب ويحرر مواده المتركب منها ، ويبثها في السائل المحيط به ، فهو ينتشر في كل ذرات هـذا السائل ، وهو ليس منظوراً الا كتلوين عام فيه ، لا يخلو منه جزء من الاجزاء، وهذا الحدث واضح في الاحداث اليومية ، فحين تقرأ لكاتب، وتعيد القراءة مدة طويلة ، وتحصر افكارك في معانيه وتراكيبه، تسيطر روحه وافكاره عليك سيطرة تامة ، تستطيـع ان تتذكر نصاً كاملاً مـا ، بعد طي الكتاب ، وقد يدفعك تأثيره الى تقليد اسلوبه فتأتي بجمل تظن انك مبدعها وهي منحولة في الواقع . ومثل هذا يحدث للمتفرج اذا افتتن بفن احد الممثلين افتتاناً عظيماً، فهو يخرج، ويظل مدة طويلة واقعاً تحت تأثير حركات الممثل، وطريقته.

وفي الفن يلعب التأثير دوراً مماثلاً فالمبدعون العظام يجدون حولهم دائماً تابعين يدورون في افلاكهم ، فجو « رامبرانت » يعج بالمقلدين « الرامبرانتيين » وحول « ريبيرا » يكثر الاتباع والاشياع. هذه الملاحظة ، وقد تبدو عادية لاول وهلة، هي في الحقيقة خطيرة في نتائجها . فالملحوظ انه كان لهـذا التخيل السلبي ، في الايام السالفة ، وزن كبير ، وهو لم يتراجع امام التخيل الفعال المبدع الا حين بدأت الحضارة الحديثة تشعر الانسان بالفردية ، وبوزنه الخاص ، وبالانسانية اطلاقاً ، وقد كان العصر الوسيط يغرق الفرد في الجماعية ، مكبلاً بذلك ذاتيته واستقلاله وخياله ، ملاشياً ما يمكن ان تطمح اليه نفسه من نظرات فريدات ، الى الاشياء ، فكان كل فنان ينظر الى الموضوع الفني وفقاً لقواعد جماعية ثابتة، اما عبقريته الذاتية فلا تظهر الا في قوة ينفح الموضوع بها ، وبراعة تعبيرية ومادية ظاهرتان في الاثر الفني . وخضع العصر التقليدي المدرسي خضوعاً تاماً للصور الجماعية يرددها الفنان ترديداً كان يسميه عصرنا « سرقة » لو تبناه الفنان المعاصر . وتسامى الفن الى ايامنا، فحررت الحركة الابداعية الفنـان من عبوديته للجماعة ، فأحس بالامكانية ، بل بالرغبة في تصورات مبتكرة اصيـلة ، تتصل اسبابه بمقدرات الشاعر الخاصة ، لا بمقدرات التكتل الاجتماعي. وهذا لا يعني ان تأثير الجماعة في الفنان تلاشى في ايامنا هذه .

واحسن مثل يضرب في هذا الخصوص هو « بيكاسو » فرغم ان تأثيره في الفن المعاصر قوي لا ينكر ، ولكنه يظل خفياً يفعل في اللاوعي ، فنرى ان كل فنان معاصر يدعي الاستقلال والانفراد.

وما من فنان في العصر القديم احس بواجب المطالبة او رغب في الاستقلال والانفراد ، بل لم يكن يفهم شيئاً حول ما يسمى بالحس الفردي. وانتظر الفن « تينوري » و« كارفاج » والشخصيات الفنية التي تسامت بمفهوم الفن ، وبدأت بوضع روائعهـا الشخصية الفردية في وجه الآثار السائدة التقليدية . فتراجع التصور السلبي شيئاً فشيئاً امام التصور الفاعل، وكذلك فقد ساعد تطور الحضارة البطيء على وضع قيمة الفرد في المرتبة الاولى، فشعر الفرد بقيمته الخاصة، بحقيقته الخاصة، وكذلك كان فضل تطور الحضارة انها كما يقول اندره جيد، تركت الكائن الحي يشعر، بانه شيء في الوجود لا يستغنى عنه. وهكذا اصبحت الاصالة قيمة جديدة واصبح التخيل الخالق وسيلة الشعراء والفنانين للتعبير عن اسرار نفوسهم ودخائلها.

فكيف يفعل ، ويؤثر ، هذا التخيل الفاعل الذي يواجه به

الفرد ، (اذا لم يقل يتحدى به) العالم الخارجي ، ويخضعه لمفهومه ويواجه به العوالم الاخرى اي نفوس الناس ؟ كيف يتيح هـذا التخيل للانسان ، التعبير عن جوهره العميق بطبيعته الغريبة الـتي تسمو عن الوصف والتعبير ؟ يتم هذا لان التخيل هو في ذاته لغة ، لغة شهوة ، او « ليبيدو » في عرف التحليل النفساني. فالرغبـات والميول تدفع الحياة وتملأ آنيتهـا . ونحن نحقق مآملا فنندفع الى آخر ، فثالث . . وهكذا . . ويمكن لهذه الرغبات ان تتحقق في افعال او تتلقى ترضية ذهنية بالتخيلات ، وما يقوم به الحلم بطريقة حيوانية بلهاء ، يقوم به التخيل الفني مضيفاً موارد الذكاء والارادة ومثالية الجمال . ان الرغبات ، وهي في الواقع اعماق حياتنا الواعية تتحول في الحلم والابداع الى صور ورؤى ذهنية ، حيوانية غريزية في الحلم ، وانسانية سامية في الفن .

ولكن كيف نفرق بين هذه الصور المعبرة المبدعة وبين صور ما هي الا رواسب بسيطة للشاعر ، المعنا الى مهمتها منذ قليل ؟ ان الخطأ في الحكم على اثر فني ينتج في الغالب عن عجز في التمييز بين هذين النوعين من الصور . ان ما يميز العبقرية المبدعة ، عـن التلمذة المقلدة ، وما يفرق بين الاصل والنسخة ، هو ان للصورة في حالة معينة قيمة رمز ، وفي حالة ثانية تكون مجموعة رواسب ، فمهما تشابهت الصورتان ، فان طبيعة كل منهما مختلفة اشد الاختلاف ولكن كيف نميز بينهما. ان «الصور الرموز» ذات القيمة الخالقة ، تنم عنها دائماً صفة نفسية فريدة ثابتة ، فهي ليست ثمرة من ثمرات الصدف العابرة لكنها بالعكس تكرار الرغبة ، وتمثلها تحت مظاهر مختلفة تصدر كلها عن ماهية واحدة. ولا شك انك تحس وانت تقرأ لاحد الشعراء الممتازين ، رغم اختلاف الصور والمواضيع ، روحاً واحدة ، ونفسية واحدة ولهذا قال بروست « ان المبدعين العظام يمتازون بنوع من الرتابة في آثارهم »

فلدينا اذن صور يصح ان نسميها « الصور المفاتيح » وهي لغة كلماتها اعماق الفردية ، تمتـاز بوحدة معينة ، ومفردات منوعة ومشتركة ، وعلينا اكتشافها في الفنان قبل الحكم له او عليه ، وبواسطتها يتسنى لنا فهمه فهماً عميقاً منصفاً .

وهي لغة غريبة ، لا يربطها باللغة المصقولة المعهودة شيء ، بل هي لغة رمزية محضة ، علينا ان نحاول فك طلاسمهـا . وهي لغة مباشرة ، تارة ، وفي هذه الحالة تدل دلالة واضحة على هدفهـا ورغبتها ، ويسهل فهمها . وهي تارة اخرى ، غير مباشرة ، تتخذ من الاشارات الخفية والرموز وسيلة للتعبير. وتحليل الاحلام اثبت وجود هاتين الحالتين . ان المحموم ، حين يتقلب على فراشه المخضل بالعرق والمكتشف التائه يكاد يقتله الظمأ ، في الصحراء ، يتمثلان في احلامهما صور الينابيع والمياه المثلجة ، وهذه هي الاشارة ، او الدلالة الواضحة على الرغبة ، وما اكثر الآثار الفنية التي تنطق بهذه اللغة الصامتة ، « فلوتريك » الكسيح العاجز ، ونسله يرقى الى اسياد عظماء قساة ، وقد اضطر لان ينطنط على رجلين قصيرتين محطومتين فلم يسعه الا ان يتخيل عالماً من الحياة النشيطة تتبارى فيه الراقصات والجياد والرجال في حركات بهلوانية تفتح في نفس لوتريك منفذاً تفعل فيه رغبة العضو الاشل. ويقول شارل بودوان في هذا الخصوص « ان الاثر الفني والحلم عملان مكبوتان » ويجاريه « فرويد » في نظرته هذه .

ومنذ زمن بعيد اكتشف التحليل النفساني في الحلم ايضاً لغة اخرى هي لغة الرموز ، والرمز في طبيعته يدفع الى الخطأ ، ومن الصعب توضيحه ، اذ يمكنه اتخاذ مظهرين متناقضين تمام التناقض ، فقد يكون ايضاً مباشراً او غير مباشر ، فيساعد على التعبير عن شيء ما ، على جعل شيء ما منظوراً ، وليس هو في الحقيقة كذلك ، او اخفاء ما يميل الى الظهور بطبيعته ، فيمنعه الوعي ، ولا يتيح له ذلك. وعلينا ان لا نستهين بالصعوبات الناتجة عن هذه الامكانية المزدوجة ، وهذا التناقض في طبيعة الحلم نفسه ، فانها لتعيي اقدر

الرسم لتلوز لوتريك : «مارسيل ليندر» في رقصة البوليرو دي شلبريك



الباحثين واذكى العلماء. وقد اهملها بعض العلماء النفسانيين فتأثرت مذاهبهم بهذا الاهمال. وبدت ضعيفة لا ترتكز على منطق الواقع، فالرمز ليس دائماً عملية «كاموفولاج» ذهنية، بل هو في الحقيقة لغة، لغة اصيلة، وجدت يوم وجد الانسان.

حين اراد الانسان القديم التعبير عن حقائق محسوسة مادية، اكتفى بتسميتها: وشعر بالعجز والضلال بمرور الايام وبأن وراء المحسوس حقائق اخرى لا مادية ولا منظورة، فقد كان من الميسور عليه الاشارة الى اللهب، في النار، ولكن كيف السبيل الى التعبير عن هذه القوة التي يحسها في هذا اللهب، وهي ليست المظهر ولكن سبب النور والحرارة في النار، انها حقيقة ملحة، تجلّ عن اللمس، ويقف دونها الحس عاجزاً. ولم يكن الانسان يحلم باللغة المجردة التي اكتملت شيئاً فشيئاً بعد ذلك الزمن لتسد الفراغ التعبيري، وتكمل النقص الانساني في علاقة الانسان بالاشياء. وتحتم على الانسان القديم تعريف غير المرئي بالمرئي، اي توصل الى معرفة صلات التشابه بين المعلوم والمجهول ليستخدمها في التعبير عما تعجز عنه اللغة الايجابية. وهكذا وجد الرمز والميثولوجيا. ففي تجارب الحياة اليومية كان كل فعل يظهر وكأنه نتيجة عمل انسان حي، او ارادة. فالانسان القديم يتصور اذن في داخل النار كائناً بصورة انسان، جنياً او الهاً تتجسد فيه القوة المحركة، وقس على ذلك في نظرته الى مختلف مظاهر الطبيعة واحداثها.

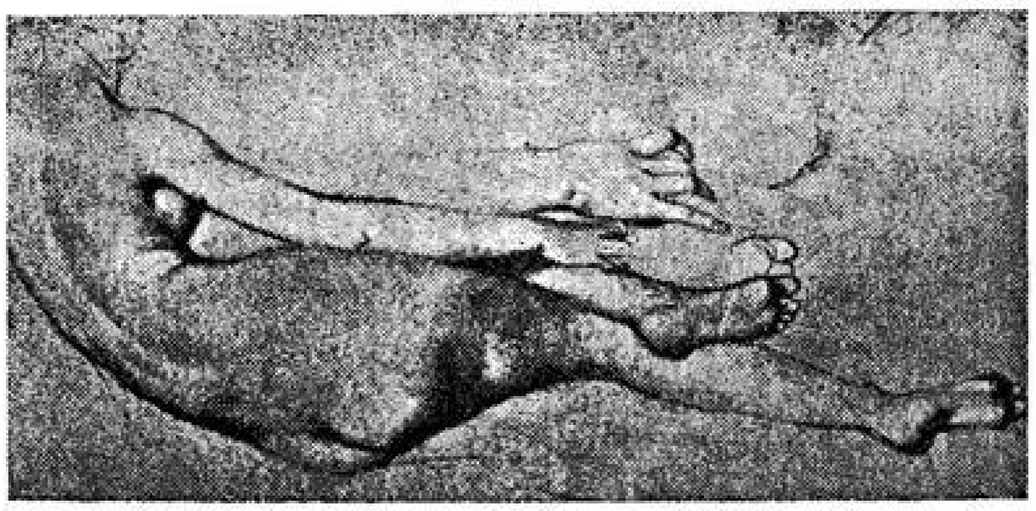
ويتصرف التخيل، في الاحلام على هذا النمط، فهو يعبر عن المجهول، بعد ان يشعر بواقعه، منبياً عنه معلوماً مماثلاً فأنا اسمع اثناء نومي ضجة اطار سقط عن الجدار الى الارض، انني اشعر بهذه الضجة، ولكنني لا زلت اجهل السبب، وسرعان ما يكتسي حلمي ثوباً من التخيلات، فأتصور انفجار قنبلة، متخذاً من الصوت الاول نقطة ارتكاز.

وهذا لا يعني ان الفنان حين يستخدم نفس اللغة الرمزية، يعود بفنه الى مستوى الانسان القديم، او مستوى الحلم الغامض، فان دماغ الانسان الاول ودماغ النائم الحالم، يلجآن دائماً الى اللغة الرمزية لانهما لا يستطيعان بحال من الاحوال الوصول الى التعبير التجريدي، بل يظلان في مرحلة «ما قبل المنطق» اما الفنان فيجتاز هذه المرحلة، ولذلك فانه يحس في مرحلة الوعي المبدع الفردي حالة تحفزه على التعبير الجديد، اذ انه يتحتم عليه التعبير عن حقائق روحية يبلغ من طرافتها وجدتها انه لا يجد لها ما يعادلها في لغة المجتمع المعروفة، ومن الطبيعي ان تعجز هذه عن فهم وقبول ما لم يظهر بعد الى حيز الواقع الجمالي، فهذا الفنان يقف ازاء ما لا يعبر عنه، ومن جديد يبدو الرمز، وهو ايحاء المجهول بالمعلوم، بالنسبة الى الفنان، كوسيلة وحيدة للتعبير، فان فعالية وصلاحية «كلمات العشيرة» اي لغة المجتمع تتحدد قيمتها، عند الفنان بنسبة ما يستطيع تحميلها من تجديد، فاذا كان الفنان يعبر بالتصوير، فانه يتخذ من الصور العادية، المألوفة، في عالم المرئيات، نقطة ارتكاز ينطلق منها الى الابتكار.

وهذا ما يجعل آثار كبار الفنانين زاخرة — الى جانب العناصر المألوفة، بنت الصدفة — بخطوط وايحاءات غنية بطابع سحري واحد، طابع له جوانب مختلفة ولكنها تتنادى وتجتمع في وحدة مائجة بالاسرار، والاشخاص، في هذه الآثار، او الاشياء، او المواضيع المستلهمة، او اساليب التأليف والخطوط والاشكال، والالوان، هذه كلها، مهما تنافرت في الظاهر، تبدو، وكأنها تومىء الى ناحية واحدة، وتتبادل التفاهم السري بينها. فنرى هذه المقومات الفنية توحي بغاية وتدل على اتجاه، وتلح في ايحائها ودلالتها، ولا يستطيع احد اليوم ان ينكر ما للخطوط والالوان والالحان من معان غير معانيها العادية المستعملة، اذ ان لهذه في الحقيقة مدلولا رمزياً ينساب في باطن تعابير المألوف والمفهوم، وهو وحده يتغلغل فينا حين نتأثر بالجمال.

وليس معنى هذا المناداة برمزية مصطنعة، وليدة العرف، ولكن اشارة الى مبادىء حقيقية، تكاد تكون مشوشة، لفرط عمقها، تنتقل من الاثر الفني الى نفوسنا، وتمتلكه لانسانيتها وجمالها الرفيع، ولما حوت من نداءات موقظة تعطل فينا الوعي — نسبياً — لتفرض رعشة الفنان، ولان اللغة الرمزية هذه، لا تصدر في الحقيقة عن مذهب فكري، بل انها لتستلهم في انبعاثها الصادق، اقدم واصفى الذكريات الراسخة فينا منذ طفولتنا الاولى. ونحن نوقن ان المادة متصلة اتصالا وثيقاً بالجاذبية، وانها تتجه دائماً الى الاسفل، وان

الرسم لانجز: «اودليك» كلمة تركية: جارية في خدمة امرأة السلطان



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

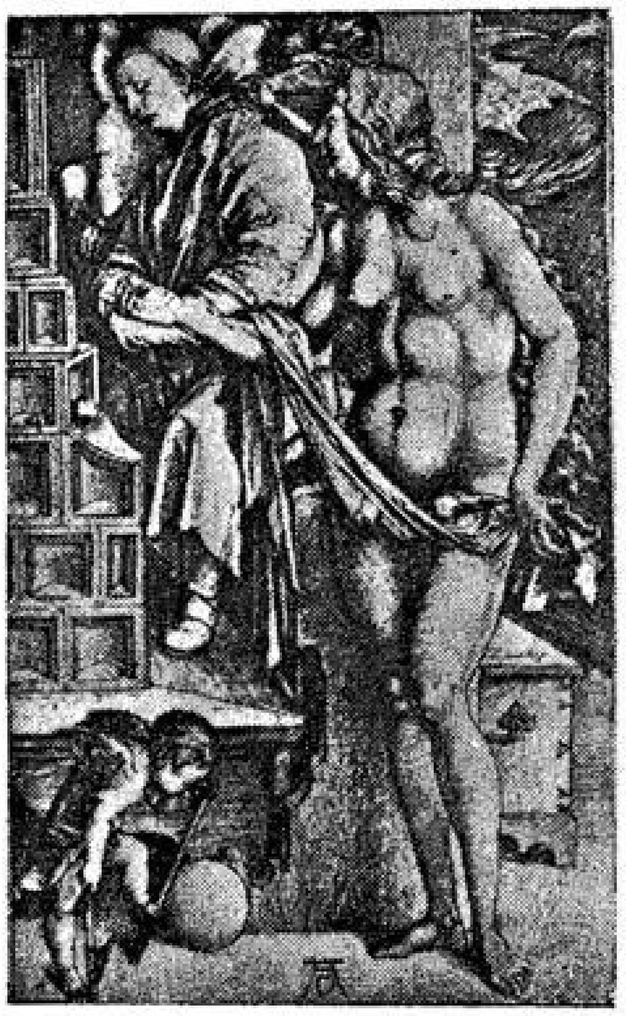
كل ما يأبى التقييد والتجسد ، وكل ذي ماهية روحية ، يرفض كذلك ، الخضوع لقوانين الجاذبية. فالتسامي غريزة الروحيات ، وكثيراً ما قورن ، في هذا المضمار، بين الهرم المصري، رمز الخلود والثبات،وبين السهم القوطي رمز السمو الصوفي. وقد يذكر اللون الازرق، بما نال من تقديس القدامى وعبادتهم، اذ تحيلوا فيه آلهتهم، لجوه النوراني الاثيري. واما اللون الاحمر – وهو لون الدم – فربما دل عند الناس على الحيوية والقسوة ، وهكذا في كل شيء، بل في كل ساعة من ساعات النهار، وكل اتجاه من اتجاهات المكان ، عنصر من العناصر، تتبطن المدلول العادي ، بمدلول آخر رمزي اشد تعقيداً ولكنه مُلحّ ، فينا ، الحاح الغريزة في الحيوان.

وكثيراً ما لاحظ الباحثون بان الرموز الصادقة البديهية، البعيدة عن التكلف قد وجدت متشابهة في كل زمان ومكان، وعند جميع الشعوب ، خاضعة لقوانين سرية ، نجدها بينة الاثر في الاحلام والفنون قديمها وحديثها .

ان الفنان يحس في اعماق شعوره هذه الغريزة ، وتحت تأثيره يخلق جواً، لا يختلف بعناصره ومقوماته عن جو العالم الحقيقي الواقعي، ولكن الفنان يختار من هذه العناصر ما تجاوب مع روحه ، وينسجم في الحانها .

وقد يحدث ان يواجه الفنان، في جو رغباته (هذا ما يزيد الامر تعقيداً) طائفة من المغريات المرعبة ، تمنعه تربية تلقاها ، واخلاق ربي عليها ، من ان يجاريها . والعالم الجنسي يمور بمثل هذه الحالات فالوعي يحاول الوقوف ، بكل ما اوتي من قوة، في وجه الاحاسيس المكبوتة، الطامحة الى الحرية والانعتاق، فهو يبسط عليها سيطرته ومراقبته الدقيقة ، ويدفعها الى اللاوعي. غير انها تحافظ على قوة ضغطها فتعود الى الظهور بشكل رمزيهبها مظهراً سائغاً، فيه اصباغ وتثنيات فنية ، تسمح للاحاسيس التي كان محظوراً عليها الظهور ، الوصول الى الوعي .

وقد جعل التحليل النفساني اكثر هذه الحقائق في متناول العامة، ولكنه بالغ في بعض النواحي ، واهمل « الصور الرواسب » وصور القناعة النفسية، وصور الرمزية المباشرة التي سبق لنا الحديث عنها . وعلى كل فان التعمق في دراسة الاحلام اتاح لنا وسائل تلقي بعض الاشعة الكاشفة على جانب غامض سري من جوانب النفس تنطبق على الرمز في آثار الفنانين والمؤلفين ، وتفسر بعض اسباب الايحاء الخفية ، ولا شك ان « فرويد » مهد الطريق امامنا وخاصة في كتابه ذكريات طفولة « ليوناردو رفنشي » ، ولعل « جيروم بوش» خير مثل، – بل وانه مثل مدهش – لما يمكن ان تؤدي اليه هذه الطريقة من نتائج. فان المؤرخين الذين درسوا آثاره ، في السنوات الاخيرة « كتولني » و « كومب » وغيرهما قد اثبتوا ان نتاجه الذي يبدو مستعصياً على الفهم، في بادىء الامر يقترب في الواقع، بلغته وايحاءاته الخفية ، من اللغة الرمزية التي كانت شائعة في عصره على ألسنة رجال اللاهوت ، والمتصوفين ، ولا نلبث حين نقرأ جيروم بوش هذا ، ان نشعر بان وراء لغته ومعانيه القريبة اهدافاً بعيدة المرامي ، تنطق بلهجة اللاوعي كما حللها علم النفس الحديث، وقد ظن « بوش » اثناء تأليفه كتبه ، انه ينسجم مع منطق الدين ، والتفكير المسيحي الصحيح. ولكن لا وعيه ابى الا ان يفعل ويؤثر، فتدخل ليحفظ لنا، وراء سطوره ، قصة نفسه الصادقة العارية .



الرسم لالبير دورير : حلم الطبيب

***

من الممكن ان تعتبر هذه الاشارات خطوطاً اساسية لمنهج دراسة فنية يعطي في تحليل الجمال نفس الثمار التي قطفها العلماء من تطبيقه على الاحلام . ولا شك اننا ، بدراسة فنون المبدعين العالميين ، على هذا الضوء، ستزداد خبرة في موضوع الجمال ولكن علينا التحفظ عند معالجة هذا الموضوع الدقيق اذ انه يفتح باباً واسعاً لشتى التآويل والافتراضات .

ولكن اذا اعتبرنا الاثر الفني وبمعنى اعم كل اثر شعري، دالا على جهد وتسامي روح تحاول التعبير عن ماهيتها الصادقة الامينة، وتدعو الناس الآخرين الى مشاركتها في ثروتها الزائلة ، فان معرفتنا بالحقائق النفسية ، وهي تزداد يوماً بعد يوم، يجب ان تعيننا على تفهم وتعمق لغة المبدعين في عوالم الخطوط والالحان والمعاني. وعلينا ان نذكر دائماً ان هذه اللغة ليست طلاسم واسراراً، بل هي صلاة تتسامي الى الجمال ، وتثبت وجوده في الطبيعة وفي الانسان .

محمد عبناني

صورة

●

مهداة الى الاستاذ البير أديب

☆☆☆

يا صورة تنطق رغم السكونْ ... ألذّ ما في الكون نطق العيون
هاتي أحاديثك ، تنعمْ بها ... روحي ، ويهتز فؤادي الحزين
وهل سهت عيناك أني هوىً ... دام ، برته من نواك الشجون ؟
أصدُّها كبراً ، وفي اضلعي ... نارٌ ، وقلبي مترعٌ بالانين
كأنني بالامس لم اعتصر ... نهداً ، ولم أشربْ رفيف الجفون؟
وأنت في حضني هوىً طيّعٌ ... يهزُّه من راحتيك الجنون ؟

يا صورة فيها أسىً جامحٌ ... كأنها قلبي غداة الحنين
مالي أرى خديكِ في نشوةٍ ... وثغرك الورديّ نهب الفتون ؟
من قال إنّ الورد لا ينتشي ... وحوله الريحان والياسمين ؟
اذا صبا قلبي الى عطره ... فالشوق مكتوبٌ على الوامقين
ولا تلوميه على حبّه ... فالحب يا دنياي ، داء دفين
لا تسألي عن ساهر مدنفٍ ... ضيّعته ، والويل للمدنفين !

سبحان من لوّن هذا اللمى ... وزان بالاشراق منك الجبين
ثغرٌ ينام الورد في ظله ... فتحتسيه أعين الواهمين
تنهّد السحر على ريقهِ ... واخضلّ من شوق فم العاشقين
وددت من دنياي اغفاءةً ... في خاوةٍ عزّت على الحاسدين
أمصّه كالخمر في نشوة ... أنسى بها العذال والشامتين
فترقص الاكوان مختالة ... وتنحني للخالد هام السنين

يا ريقها ، والخمر في ريقها ... ما أنت الا كوثر المؤمنين
هاتِ اسقني فالليل حثّ الخطا ... والسهد لا يحنو على الساهرين
وخلني يا ريق في حيرة ... حمراء ، لا تصحو على الحائرين
أأقطع العمر ، وبي لوعةٌ ... وأنت يا صفو المنى ، ضنين ؟
دعني ، انا المطعون في صدره ... يكفي حبيب الروح ، أني طعين

السليمية - سوريا

أنور الجندي

الوجودية عند سارتر

بقلم نهاد التكرلي

☆☆☆

كنا قد بينا في مقال سابق* بعض العناصر الرئيسية التي تتميز بها فلسفة سارتر واوضحنا المدلول الخاص الذي تتضمنه كلمات معينة مثل القلق والترك واليأس. ثم عرضنا بايجاز نقد سارتر للماركسية ، وانتهينا الى القول بان الوجودية بهذا المعنى فلسفة تفاؤل ومذهب للفعل يحاول جعل الحياة الانسانية ممكنة . بقي علينا ان نذكر اكمالا للبحث العناصر الاخرى التي ادخلها سارتر في تركيب بنائه الفلسفي ، منوهين بالمعنى الذي يفهم به سارتر النزعة الانسانية ويعتقد بان فلسفته الوجودية تؤول اليها .

قلنا ان فلسفة سارتر الوجودية تعلن بانه ليس ثمة واقع الا في الفعل وان الانسان لا شيء سوى تصميمه وهو لا يوجد الا بالقدر الذي يحقق به نفسه ، ومن ثم فانه لا شيء سوى مجموع اعماله اي لا شيء سوى حياته . ولا شك في ان مثل هذا المذهب يدخل الرعب الى قلب عدد كبير من الناس لان الفكرة التي يتضمنها قاسية شديدة الوطأة على الناس وخاصة على الاشخاص الذين لم ينجحوا في حياتهم . وكيف لا تكون قاسية وقد قضت على كل هذه الاحلام العاجزة التي يهدهدون بها انفسهم كل يوم مستمدين منها العزاء والسلوى عن فشلهم وعجزهم وهزيمتهم في معركة الحياة؟ كيف لا تكون قاسية وقد افهمتهم ان الواقع وحده هو الذي يحسب له حساب وان الاحلام وانواع الانتظار لا تسمح بتحديد الانسان الا كحلم خائب وآمال مجهضة وانتظارات عقيمة لا طائل فيها ؟ ان الفرد منهم في الغالب لا يجد الا طريقة واحدة يتحمل بها شقاءه ، وهي ان يفكر قائلا : لقد تآمرت الظروف ضدي واني في الحقيقة احسن مما كنته بكثير . حقاً ان قلبي لم يخفق بغرام عنيف ولا بصداقة عظيمة ، ولكن ما ذلك الا لاني لم اصادف رجلا او امرأة جديرة بهذه العاطفة . اني لم اؤلف كتباً بالغة الروعة او اكتب قصصاً خالدة . وما السبب — واأسفاه ! — الا عدم وجود وقت فراغ لدي للتأليف والكتابة . اني لم انجب اولادا اكرس نفسي لاجلهم وما السبب الا لاني لم الق الرجل الذي احبه وأستطيع ان اصوغ حياتي معه وعلى مثل هذه الاحلام يهدهدون انفسهم وهم جميعاً انما يريدون القول : ان هنالك طائفة من الاستعدادات والميول والامكانيات — التي تمنحهم من القيمة مالا تسمح السلسلة التافهة لاعمالهم بالدلالة عليها — قد بقيت لديهم عاطلة بالرغم من كونها قابلة للحياة بصورة كاملة .

هذا هو منطق المخفقين الحالمين ! اما الوجودي فيقول : ليس هنالك حب الا ذلك الذي يشيد نفسه ولا توجد امكانية للحب الا تلك التي تظهر في حب واقع . لا توجد عبقرية عدا تلك التي تعبر عن نفسها بالآيات الفنية . فعبقرية بروست « Proust » هي مجموعة مؤلفات بروست وعبقرية راسين « Racine » هي سلسلة مآسيه وسمفونيات بتهوفن التسع هي مظهر من مظاهر عبقريته وخارجاً عن ذلك لا يوجد شيء . فلماذا نعزي الى راسين امكانية كتابة مأساة جديدة ما دام لم يكتبها تماماً ؟ ولماذا ننسب الى بيتهوفن امكانية تأليف سمفونية عاشرة — وان كان قد وضع تصميمها قبيل وفاته — ما دام لم يؤلفها بصورة كاملة ؟ ان الانسان

* راجع « الاديب » عدد مارس ١٩٥٠

ليلتزم في حياته ويرسم صورته كما يريد وخارجاً عن هذه الصورة لا يوجد شيء ابداً . اما الآمال والاحلام فانها تحدده تحديداً سلبياً لا ايجابياً ، لكن سارتر يقول انه عندما يعلن للانسان : « بانك لا شيء سوى حياتك » لا يعني بان الحكم على الفنان سيكون وفقاً لاعماله الفنية فحسب ، بل هنالك آلاف الاشياء التي تساهم في تحديده كذلك . فما يريد سارتر ان يقوله هو أن الرجل لا شيء سوى سلسلة من المشاريع وانه هو الناتج والتنظيم وجملة العلاقات التي تركّب هذه المشاريع .

وهكذا فاننا نجد في الحقيقة ان الذي يؤاخذونه على فلسفته في هذه الصفات الضرورية هو ليس التشاؤم بل وجود قسوة تفاؤلية عنده . وقد لامه الكثيرون على مؤلفاته الروائية التي يصف فيها مخلوقات رخوة ضعيفة جبانة بل وشريرة بصورة صريحة في بعض الاحيان . ولكن سارتر يقول ان هؤلاء الناس لا يلومونا لان هذه المخلوقات رخوة ضعيفة جبانة او شريرة ، لاننا — كما يقول — لو كنا نعلن مثل زولا « Zola » ان هذه المخلوقات قد صارت هكذا بسبب الوراثة او بسبب فعل الوسط أو المجتمع او بسبب حتمية « déterminisme » عضوية او سيكولوجية اذن لاطمأنوا وهدأ بالهم . نعم انهم سيطمئنون ويقولون : « ماذا نصنع ونحن كائنون هكذا ؟ لقد كتب علينا ان نكون هكذا وليس بوسع احد ان يغير شيئاً من ذلك » . غير ان الوجودي يقول لهم عندما يصف انساناً جباناً ان هذا الجبان مسؤول عن جبنه وانه لم يكن هكذا لان له قلباً او رئة او دماغاً جباناً ولم يصبح على هذه الحال بسبب تركيبه الفزيولوجي بل لانه قد كون نفسه جباناً بواسطة اعماله . لا يوجد مزاج جبان بل توجد أمزجة عصبية ويوجد دم فقير . لكن الانسان الذي يملك دما فقيراً لا يكون جباناً لهذا السبب لان الذي يصنع الجبن هو عمل العدول أو الاذعان . فالمزاج ليس العمل وان الجبان يبدأ تعريفه من العمل الذي يصنعه .

فما يشعر به الناس بصورة غامضة ويخيفهم هو ان الجبان الذي يقدمه لهم سارتر مذنب بكونه جباناً لان ما يريده الناس هو ان يولد الانسان جباناً او بطلا، ولذلك فان من جملة المآخذ التي كثيراً ما توجه الى سلسلة « سبل الحرية[1] » هو قولهم لسارتر : كيف تجعل ابطالا من هؤلاء الاشخاص البالغين اقصى حدود الضعف ؟ غير ان سارتر يقول ان هذا الاعتراض يحمل على الضحك اكثر من اي شيء آخر لانه يفترض ان الناس يولدون ابطالا .

وفي الواقع ان ما يتمناه الناس هو ان يقال لهم : كونوا مطمئنين اذا ولدتم جبناء لانكم لا تستطيعون شيئاً حيال ذلك فمهما عملتم ومهما كافحتم ستكونون جبناء طيلة حياتكم . اما ان ولدتم ابطالا فاطمئنوا ايضاً لانكم ستكونون ابطالا طيلة حياتكم وستشربون وتأكلون كالبطل .

والآن نعود الى القول ان الامر الذي تحفل به الوجودية هو الالتزام الكلي ، فليست حال مخصوصة ولا فعل مخصوص هو الذي يلزم الانسان بصورة كلية . كما انه لا يمكن اعتبار الفلسفة الوجودية فلسفة للركونية ما دامت تعين الانسان بواسطة الفعل ولا كوصف متشائم للانسان اذ لا يوجد مذهب هو اكثر تفاؤلا ما دامت تجعل مصير الانسان في نفسه .

ولا يمكن اعتبار الفلسفة الوجودية محاولة لتثبيط همة الانسان عن الفعل ما دامت تقول له : انه ليس هنالك امل الا في فعله وان الشيء الوحيد الذي يسمح للانسان بان يحيا هو العمل . فسارتر يقول ان فلسفته هي الفلسفة الوحيدة التي تمنح الانسان كرامته وهي الوحيدة التي لا تجعل منه موضوعاً من الموضوعات اي انها على نقيض الفلسفة المادية التي تجعل غرضها معاملة الناس جميعهم وبينهم الذات كموضوعات اي كمجموعة من ردود الفعل المحددة التي لا يميزها شيء من مجموعة الصفات والظواهر التي تكون مائدة او كرسياً او حجرا .

فسارتر يقول اننا نريد ان نؤسس بصورة دقيقة الحكم

---

(١) سبل الحرية Les chemins de la liberté سلسلة من القصص التي اخرجها سارتر وقد ظهر منها :

١ — سن الرشد L'âge de raison و ٢ وقف التنفيذ Le sursis

٣ — اما القصة الثالثة وهي الموت في النفس La mort dans l'âme فقد نشرت تباعاً في مجلة سارتر العصور الحديثة — ولا تزال القصة الرابعة : الحظ الاخير La dernière chanse لم تنشر بعد .

وسارتر ينحو في هذه القصص عكس منحى بلزاك في « الكوميديا البشرية » فقصصه وجودية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة اي ان الشخصيات التي يخلقها ليست (الهية) يصح اتخاذها كنماذج بشرية بل هي توجد بطريق المصادفة وقد تجردت من كل ضرورة — حتى من الضرورة الروائية نفسها — . اما خصائص هذه الشخصيات فجميعها خصائص طارئة محتملة على قدر متساو . وهي لا تكون موضوعاً لوصف تجريبي الا داخل «موقف» لا تستطيع الانفصال عنه او الخروج عن نطاقه . فبينما يريد بلزاك «قصاص الماهية » ان يؤكد مبدأ : « الماهية تسبق الوجود في الانسان » نجد ان سارتر « قصاص الوجود » يعبر بكل قوة عن مبدأ « الوجود يسبق الماهية » فيلجأ الى تصوير « شخصيات في مواقف » . وهذا المنحى الجديد يعتبر ثورة في الادب الحديث وفي الادب الفرنسي المعاصر بصورة خاصة . ولعلنا نعود الى تفصيل ذلك في مقال آخر .

الانساني كمجموعة من القيم متميزة عن سلطان المادة ولكن الذاتية التي يبلغها هنا بصفة الحقيقة ليست ذاتية فردية بالمعنى الدقيق لان سارتر يبرهن بان المرء في عبارة ديكارت« انا افكر »لا يكتشف نفسه فحسب بل يكتشف الآخرين« les autres »ايضاً . ففلسفة سارتر على عكس فلسفة (ديكارت) وفلسفة (كانت) تجعلنا نبلغ بواسطة عبارة «انا افكر» انفسنا ازاء الغير . وهذا الغير ثابت بالنسبة لنا ثبوت انفسنا وهكذا فان الانسان عندما يبلغ نفسه مباشرة بواسطة العبارة الديكارتية « le cogito » يكتشف جميع الآخرين ايضاً وهو يكتشفهم كشرط لوجوده . انه يتحقق بانه لا يستطيع ان يكون شيئاً (بالمعنى الذي يقال فيه ان فلانا ظريف او انه شرير او انه غيور) الا اذا تعرفه الآخرون على هذه الصورة . فانا لكيما احصل على حقيقة اية كانت عن نفسي يجب ان امر بالغير والغير ضروري لوجودي كما هو ضروري للمعرفة التي امتلكها عن نفسي . ولنضرب مثلاً بالخجل وهو المثل الذي اورده سارتر في كتابه « الكون والعدم[٢] » فهو يقول : « انني خجل مما انا كائن عليه

(٢) راجع كتاب سارتر : « الكون والعدم L'être et le néant ص: ٢٧٥ حيث يكرس سارتر بحثاً مفصلاً لمعالجة مشكلة « وجود الغير » L'existence d'autrui

فالخجل يحقق اذن علاقة باطنية لي مع نفسي وانا قد اكتشفت بواسطة الخجل مظهراً من مظاهر كوني« mon être» غير ان الخجل مع ذلك ليس ظاهرة للتفكير بصورة اصيلة . فمهما تكن النتائج التي يمكن ان يحصل الانسان عليها في وحدته من الممارسة الدينية للخجل فان الخجل في تركيبه الاولي خجل امام احد من الناس devant quelqu'un هبني أتيت بحركة خرقاء او قمت بايماءة مبتذلة فان هذه الايماءة تلتصق بي من دون ان احكم عليها او الومها . اني احياها ببساطة فحسب ، ولكني هأنذا ارفع رأسي فجأة فأرى شخصاً يقف امامي وقد رآني . عندئذ ادرك مرة واحدة ابتذال حركتي فيعتريني الخجل» .

فاكتشافي لباطنيتي في هذه الظروف يكشف لي في الوقت نفسه عن الغير كحرية موضوعة ازائي لا تفكر او تريد الا لاجلي او ضدي . وهكذا فاننا نكتشف في الحال عالماً يدعوه سارتر بعالم ما بين الذاتية وفي هذا العالم يقرر الانسان ما يكون هو وما يكون الآخرون .

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى يقول سارتر انه ان كان من المستحيل ان نجد في كل انسان ماهية عمومية يمكن ان تكون الطبيعة البشرية فان هنالك مع ذلك عمومية انسانية للحالة « condition » وليس من قبيل المصادفة المحضة ان يرجح مفكرو اليوم التحدث عن حالة الانسان اكثر من طبيعته . وهم يعنون بالحالة بشيء كثير او قليل من الوضوح انها مجموع « الحدود » القبلية « a priori » التي تخطط موقفه الاساسي في الكون . وسارتر يقول ان المواقف التاريخية في الواقع مختلفة : فقد يولد الانسان عبداً في مجتمع وثني او اميراً اقطاعياً او عاملاً من الطبقة البروليتيرية ولكن الشيء الذي لا يختلف هو ضرورة ان يكون في العالم وان يندفع فيه الى الكد وان يكون فيه وسط الآخرين وان يكون فيه انساناً فانياً . فالحدود ليست ذاتية وليست موضوعية او بالاحرى ان لها وجهاً ذاتياً ووجهاً موضوعياً . فهي موضوعية لانها تتقابل في كل مكان وممكنة المعرفة في كل موضع وهي ذاتية لانها (تحيا) من قبل الانسان ولا تكون شيئاً ان لم يحيها اي لم يصمم بحرية عنها في وجوده . ويقول سارتر ان التصاميم بالرغم من امكان كونها مختلفة فلا يظل امامي اي واحد منها غريباً بصورة ثابتة لانها تبدو جميعها كمحاولة لتخطي هذه الحدود او ارجاعها الى الوراء او نفيها او ارتضائها . وبناء عليه فان لكل تصميم مهما كان فردياً قيمة عمومية ، وتوجد عمومية لكل تصميم

الاسواق التجارية

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين
وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى – ساحة الشهداء بيروت

الهاتف : ٦٨ – ٦٦ العنوان البرقي: ادفرت ، بيروت

بالمعنى الذي يفيد ان كل تصميم قابل للادراك بالنسبة لكل انسان الامر الذي لا يعني ابداً ان هذا التصميم يعين الانسان الى الابد بل يعني انه يمكن ان يوجد ويكون معروفاً . وسارتر يقول توجد طريقة دائماً لفهم المعتوه او الطفل او الانسان البدائي او الاجنبي بشرط ان تتوافر المعلومات الكافية. وبهذا المعنى نستطيع ان نقول بوجود عمومية للانسان ولكنها ليست عمومية ممنوحة بل هي مؤسسة بصورة ابدية. فانا انشيء العمومي عندما اختار نفسي وانا انشئه عندما افهم تصميم اي انسان آخر من اي عصر كان وان هذا المطلق للاختيار لا يزيل النسبية الكائنة في كل عصر ، فما تعنى الوجودية باظهاره هو الصلة الكائنة بين صفة المطلق للالتزام الحر الذي يتسنى لكل انسان بواسطته ان يحقق نفسه مع تحقيقه لنموذج للانسانية — وهو التزام يمكن ادراكه دائماً في اي عصر كان ومن قبل اي شخص كان — وبين نسبية المجموع الثقافي الذي يمكن ان تنشأ من اختيار من هذا القبيل. فمن الواجب الاشارة في الوقت نفسه الى نسبية المذهب الديكارتي والى صفة المطلق للالتزام الديكارتي وبهذا المعنى يمكن انيقال— اذا اردتم — ان كل واحد منا يصنع المطلق اثناء ما يتنفس او يأكل او ينام او يفعل على طريقة معينة ، فلا يوجد اي فرق بين الكون بحرية والكون كتصميم اي كوجود يختار ماهيته والكون المطلق ، ولا يوجد اي فرق بين الكون مطلقاً محدوداً في المكان بصورة وقتية واعني به المطلق الذي تحدد في مكان في التاريخ وبين ان يكون الشيء مما يمكن ادراكه بصورة عمومية .

وقد وجهت الى سارتر انواع عديدة من النقد ، فقيل له ان هذا يعني امكان اختيار اي شيء كان وباستطاعة الانسان ان يعمل ما يشاء واتهموه بالفوضوية لكنه رد على هؤلاء النقاد بان الاختيار ممكن في معنى من المعاني ولكن الشيء المستحيل هو عدم الاختيار فانا استطيع الاختيار دائماً ويجب ان اعرف باني حتى عندما الا اختار اكون قد اخترت عدم الاختيار هذا. وهذا القول وان بدا شكليا بالمعنى الدقيق فان له اهمية كبرى لتحديد الهوى والتزوة . فاذا كان صحيحاً اني تجاه موقف معين — كالموقف الذي يجعلني ان اكون مخلوقاً متميزاً بالجنس sexué استطيع ان انشيء لي علاقات مع مخلوق من الجنس الآخر وان انجب اولاداً ، ان كان صحيحاً اني تجاه هذا الموقف اكون مجبرا على اختيار اتجاه معين واتحمل على كل وجه مسؤولية اختيار يلزمني ويلزم الانسانية باسرها في نفس الوقت حتى وان لم تحدد اختياري اية قيمة قبلية ، فان هذا الامر لا شأن له بالتزوة ابداً .

ويقول سارتر : فاذا اعتقد احد انه يجد هنا نظرية جيد « Gide » في العمل المجاني فذلك لانه لا يرى الفرق الهائل بين هذا المذهب ومذهب جيد . ان جيد كما يقول سارتر لا يعرف ما هو الموقف بل يفعل بمجرد تزوة بسيطة . والامر عندنا على العكس لان الانسان يجد نفسه في موقف منظم يكون فيه هو نفسه ملزماً كما انه يلزم الانسانية كلها وهو لا يستطيع ان يتجنب الاختيار : فهو اما ان يبقى عفيفاً او يتزوج بدون ان ينجب اولاداً او يتزوج ويكون له اولاد ، وان من المستحيل على اي وجه كان وبالرغم من كل ما يفعل الا يتحمل المسؤولية الكلية ازاء هذه المشكلة . لا شك في انه يختار من دون الاتكال على قيم معينة قبلياً لكن من الظلم ان نتهمه بالتزوة والهوى . اذ الاحرى ان نقول بوجوب مقارنة الاختيار الاخلاقي مع انشاء عمل من الاعمال الفنية. وهنا يسارع سارتر الى القول ان الامر هنا لا يتعلق باخلاق جمالية . ثم يعود الى القول هل لام احد فناناً لصنعه لوحة فنية على انه لم يستوح قواعد موضوعة بصورة قبلية ؟ وهل قيل ابداً ما هي اللوحة التي يجب ان يصنعها ؟ ان من المفهوم جداً انه لا توجد لوحة معينة للصنع وان الفنان يلتزم في انشاء لوحته وان اللوحة المعينة للصنع هي تماماً اللوحة التي سيكون قد صنعها . ان من المفهوم جداً انه لا توجد قيم جمالية قبلية ولكن هنالك قيما سترى بعد حين في تماسك اللوحة وفي العلاقات الكائنة بين ارادة الخلق وبين النتيجة. وسارتر يقول ان لا احد يستطيع القول ما سيكون عليه فن التصوير في الغد ولا يمكن الحكم على التصوير الا بعد صنعه . فهل لهذا اية علاقة بالاخلاق ؟ يقول سارتر اننا في نفس الموقف الخالق فلا نتكلم عن مجانية « gratuité » عمل من الاعمال الفنية وعندما نتحدث عن صورة لبيكاسو « Picasso » لا نقول ابداً انها مجانية بل نفهم جيداً انه في نفس الوقت الذي كان يرسم فيه بيكاسو كان يشيد نفسه كما هو عليه وان مجموع اعماله يتحد بحياته . والامر على ما هو عليه في الميدان الاخلاقي كذلك. فما يوجد بصورة مشتركة بين الفن والاخلاق هو ان لدينا خلقاً وابداعاً في الحالتين ونحن لا نستطيع ان نتصور قبلياً ما علينا ان نصنعه . فالانسان يصنع نفسه وهو ليس مصنوعاً بادىء بدء بل هو يصنع نفسه باختياره اخلاقه وان الظروف لتزهقه وتضغط عليه لدرجة انه لا يستطيع تجنب اختيار اخلاقه. ويقول سارتر نحن لا نعرف الانسان الا بالنظر لالتزام ما فمن السخف

ان يلومونا على مجانية الاختيار . ثم يعلن : فاذا ما تبين الانسان مرة انه يضع قيما وهو متروك فلـن يعود بوسعه الا ان يريد شيئاً واحداً وهو الحرية كأساس لجميع القيم . فنحن نريد الحرية لاجل الحرية وخلال كل ظرف متخصص ونحن بارادتنا للحرية نكتشف انها تتعلق بحرية الآخرين تماماً وان حرية الآخرين تتعلق بحريتنا . فان كانت الحرية كتعريف للانسان لا تتعلق بالغـير فاني اكون مضطراً حالما يكون هنالك التزام ان اريد حرية الآخرين في نفس الوقت الذي اريد فيه حريتي واني لا استطيع ان اتخذ حريتي كغاية الا اذا اتخذت حرية الآخرين كغاية ايضاً . وقد اعترضوا على فلسفة سارتر انها تجعل القيم غير مجدية ، فأجاب بان من الواجب اخذ الاشياء كما هي عليه وما دمنا قد قلنا ان المبدأ المبدع الذي يضع القيم غير موجود فلا مناص من ان نبدع نحن القيم . والقول بذلك لا يعني سوى ان الحياة ليس لها معنى قبلي . فالحياة بحد ذاتها ليست بشيء قبل ان نحياها وان علينا ان نمنحها معنى وما القيمة الا هذا المعنى الذي نختاره ومن هنا نرى ان هنـالك امكانية لخلق مجتمع انساني .

لقد تساءل سارتر عما اذا كان بالامكان اعتبار الوجودية نزعة انسانية ثم اجاب بالا يجاب فانتقده على ذلك بعض النقاد وقالوا له انك قد ذكرت في قصة الغثيان «La nausée» بان اصحاب النزعة الانسانية مخطئون بل انك قد سخرت من نموذج معين للنزعة الانسانية فلماذا تعود اليها الآن ؟ وقد رد عليهم سارتر قائلاً : ان هنالك في الواقع معنيين جد مختلفين لعبارة النزعة الانسانية . فقد يفهم من النزعة الانسانية انها نظرية تتخذ الانسان غاية وقيمة عليا لها ، وبهذا المعنى توجد نزعة انسانية عند كوكتو «Cocteau» عندما يذكر في قصته « الطواف حول العالم في ثمـانين ساعة » ان احدى الشخصيات تعلن وهي على متن طائرة تحلق فوق الجبال : « حقاً ان الانسان لمدهش ! » يقول سارتر ان ذلك يعـني اني انا شخصياً الذي لم اشيد الطائرات سانتفع من هذه المخترعات فيكون باستطاعتي كانسان ان اعتبر نفسي مسؤولا وفخوراً باعمال مفردة تخص اشخاصاً قلائل ، وذلك يفترض اننا سنستطيع اعطاء قيمة للانسان بحسب اعظم الاعمال التي قام بها بعض الافراد كما تقول بذلك النزعة الانسانية الكلاسيكية . يقول سارتر ان هذه النزعة سخيفة اذ ليس باستطاعة احد سوى الكلب او الحصان مثلاً ان يصدر حكماً اجماعياً على الانسان وان يعلن بان الانسان مدهش . اما الشيء الذي لا يمكن السماح به فهو ان يستطيع رجل اصدار حكم على الانسان . ان الوجودية تعفيه من كل حكم من هذا القبيل ، والوجودي لن يتخذ الانسان كغاية ابداً لان الانسان عنده معد للصنع دائماً ، وليس من الواجب علينا ان نعتقد بوجود انسانية نستطيع القيام بعبادتها على طريقة « اوجست كونت » لان عبادة الانسانية على هذا النحو تؤدي الى نزعة « كونت » الانسانية المغلقة على نفسها او بعبارة اخرى الى الفاشية ، وتلك نزعة انسانية يقول سارتر اننا لا نريدها .

لكن ثمة معنى آخر للنزعة الانسانية وهو يتضمن : بان الانسان خارج عن نفسه دائماً ، وهو ببروزه وضياعه خارج ذاته انما يجعل الانسان موجوداً وهو لا يستطيع ان يوجد الا بتعقبه غايات متعالية Transcendant فالانسان بكونه هذا التجاوز « dépassement » وبعدم استحواذه على الموضوعات الا بالنسبة لهذا التجاوز يكون في قلب هذا التجاوز وفي مركزه . فليس ثمة كون غير الكون الانسان ، كون الذاتية الانسانية ، وان الربط بين التعالي كمؤسس للانسان — ليس بالمعنى الذي يقال فيه ان الله متعالي بل بمعنى التجاوز — وبين الذاتية التي تؤخذ بمعنى عدم انحباس الانسان داخل نفسه بل حضوره دائماً في كون انساني ، هو ما يدعوه سارتر بالنزعة الانسانية الوجودية « humanisme existentialiste » هي نزعة انسانية لانها تعيد الى ذاكرة الانسان بان ليس ثمة مشرع سوى نفسه وانه سيبت في نفسه في الترك وتبين له ان الانسان لن يحقق نفسه تماماً كانساني بالرجوع الى نفسه ولكن بالبحث خارج نفسه دائماً عن غاية تكون هذا التحرر او ذاك وتلك هي النتيجة التي ينتهي اليها سارتر اي ان الفلسفة الوجودية نزعة انسانية .

العراق - بعقوبة — نهاد الشكرلي

صدر كتاب :

شفتـان بخيلتـان

اول مجموعة قصص

لرياض طه

مع مقدمة لعميد القصة الاستاذ محمود تيمور بك

ألوان جديدة صارخة

من الادب المشوق الحي

حديث اسمر

الى الاستاذ امين نخله



سمراء ؛ يومَ تقولُ كلُّ جوارحي
خدَرَ ، يدغدغُه الحديثُ الأسمرُ

لا . لا تسلني ما تقولُ ؛ وانما
سلْ كيفَ . إني لا أعي . بل انظر

حسبي ، وحسبُ الشعر ، فتنةُ نُطقِها ،
وشهيُّ نكهتِه ، غداةَ تثرثِر

أُصغي ، فأحلم بالمروج ، تفتَّحتْ
للفجر ، يغسلُها الندى ؛ ويعطِر

وكأنَّ ، في أُذُنَيَّ ، رنَّةَ جدولٍ ،
سكران ، تُضمِرُه المروجُ ، وتُظهر

غُنجٌ ، تكسَّرَ في الشفاهِ ، كأنَّما ،
هو دعوةٌ ، او مَوْعِدٌ مُتحيِّر

القولُ ، في فمِها ، لذيذٌ ، ناعمٌ ؛
عَذْبٌ ، يكادُ ، وراءَ عينِكَ يُزهِر

رَوِيَتْ ؛ فبرْعَمتِ الحروفُ ، وأشرقتْ
خَلْفَ الشفاهِ ؛ ورفَّ فيها الكوثر

اللونُ ، لونُ الفجرِ ، في كلماتِها ،
والطَّعْمُ — يا خَجَلَ البلاغةِ — سُكَّر

وكأنما جَرْسُ المقاطعِ ، بلبلٌ ؛
وكأنما ، ريحُ المقاطعِ ، عَنْبَر .

***

هي بُحَّةٌ ، أمْ غُنَّةٌ ، ام نَبْرَةٌ ؛
سيَّان . شيء ، في لهاتِكِ ، مُسْكِرُ

الأفقُ ، حَوْلَكِ ، نشوةٌ ، وصبابَةٌ ؛
والشعرُ ، حين يلوحُ ظِلُّكِ ، عَبْقَر

***

آمَنْتُ ، يا سمراء ، بعد ضلالةٍ ؛
الغُنجُ أسمرُ ؛ والهوى ؟ قُلْ : أسمر

حمص
وصفي قرنفلي

راعي الغنم

بقلم امين يوسف غراب

كانت امها — كعب الخير الدناصوري — تشتغل خادمة في دار الشيخ عبد المقصود عمدة القرية . اما والدها فكانت لا تعرفه ، قيل لها انه مات قبل ان تولد ، وقيل لها انه مات بعد ان ولدت بايام، وقيل لها ايضاً ان اسمه كان متولي . وانه كان علافا لماشية العمدة. وانه في اخريات ايامه مرض مرضاً خطيراً اقعده عن الذهاب مع الماشية الى الحقل فاكتفى بان ينتظرها في الحظيرة وانه ظل وفياً للماشية والعمدة حتى مات قبل ان تولد « فرحانة » او بعد ان ولدت فالمتحدث نفسه لا يدري .

اما امها كعب الخير الدناصوري ، فكانت هي الاخرى لا تعرف بالضبط هل هي حملت فيها قبل ان يمرض متولي ؟ ام بعد ان مرض بشهور ؟ وهل ولدت فرحانة ومتولي في كامل قواه ، ام وهو يشكو الداء تحت ارجل الماشية في الحظيرة ؟ وهل هو حقيقة مات بسبب المرض الذى انهك قواه ، ام مات حزناً على مولد فرحانة ؟ كل هذه اشياء كانت كعب الخير الدناصوري لا تعرفها على وجه التحديد ، وانما الذي كانت تؤكده ، وتجزم بصحته اذا ما سألت نفسها عنه ، هو ان فرحانة نسبت ظلماً الى متولي، وانها في الحقيقة ابنة لشيخ من شيوخ القرية لا يمكن ان ترقى اليه الشبهات . وتعرف ايضاً ان هذا الشيخ لم يسع اليها ويطلب منها اثما ، كما تسعى بعض الناس الى امثال كعب الخير الدناصوري وتطلب منها اثما . وانما تعرف ان جمالها الذي فتك بقلوب بعض الناس في القرية ، هو الذي سعى الى الشيخ وهو الذي تجشم في سبيل الوصول اليه اهوالا كادت تودي بقوة الجمال نفسه وتذرى بقدرته على تصيد قلوب الرجال . وليس ذلك طمعاً في مال الشيخ او جاهه العريض الذي فرد جناحيه على القرية، وانما طمعاً في انتصار هذا الجمال وتسلطه على قلب الشيخ ، وكثيراً ما كانت الرغبة في هذا النصر والظفر به ، تدفع كعب الخير الدناصوري الى الكثير من المتاعب وتجعلها تسلك طرقاً محفوفة بالمخاطر . ولذلك كانت كلما تقدمت بها السن يوماً واحست سلاح الجمال الذي في يدها قد ضعف او اصابه الوهن . هبت كالمسعورة وامتشقت حسامها وراحت كالمجنونة تبحث عن فتى غض الاهاب طاهر الذيل ، او شيخ ورع تعبت جبهته من كثرة الصلاة تجرب فيه سلاحها . وكثيراً ما كانت تكتب لها الغلبة . بل هي تذكر انها ما امتشقت هذا الحسام يوماً الا وعادت به مخضباً بالدماء ، وتذكر ايضاً جيداً ان آخر موقعة لها كانت بعد ان مرض متولي، وانها عادت منها منتصرة تحمل بين جنبيها فرحانة التي نسبت ظلماً الى ابيها المريض في حظيرة الماشية .

ومرت الايام وكبرت فرحانة وتضوعت فتنتها وعبق اوج جمالها . حتى غدت اجمل فتاة في القرية . واصبح لا حديث للناس فيها غير فرحانة وجمال فرحانة ابنة كعب الخير الدناصوري خادمة العمدة ، التي فرع عودها ورهف خصرها والفت ارداقها وغدت عيونها كما كانوا يصفونها في القرية — تسحر مديرية — ولذلك راح الكل يتودد اليها ويتمنى ان يظفر بها ويتزوجها ، حتى ولو بذل في سبيل ذلك اغز ما يملك . كما بدأت ايضاً الخصومة بسبب هذا التنافس تنفث سمومها في القرية، ولا سيما بين فتيانها الاشداء. اذ الكل يريدها لنفسه ، والكل يقسم على انها ستكون له ، والكل يذهب الى كعب الخير الدناصوري ويتودد اليها ويغمرها بهداياه . ولكن كعب الخير ليس من حقها ان تقطع برأي في مصير فرحانة . اذ ان هذا ليس من شأنها ، ولا هو ايضاً من شأن فرحانة ، وانما هو من شأن العمدة الذي يؤويها في داره هي وابنتها . والذي هو من شأنه ان يقطع برأي في كل خطبة في القرية فأولى به ان يقطع برأي في خادمة عنده. ولهذا فعلى كل من يطمع فيها ان يمد يده للعمدة وعلى العمدة ان يستجيب لمن يريد .

وتحولت الآمال الى الشيخ عبد المقصود عمدة القرية وتعلقت به . وراح هذا يرجوه ويلح في الرجاء ، وهذا يستعطفه ويسرف في الاستعطاف . فالحاج شبلي يصر على ان يأخذها لابنه، والشيخ سيد مأذون الشرع يطمع في ان يزوجها لاخيه ،



اما خليل العجواني شيخ الخفراء فقد اراق دماء وجهه ليظفر بها حتى ولو باع الفدان الذي يملكه وطلق زوجته ومات بعد زواجه منها بيومين .

كل ذلك والعمدة دائم التفكير ، مشغول مبلبل الخاطر لا يستقر على رأي ، فقد شغله امر زواج فرحانة واقلقه حتى ضاق به ذرعاً ، وود لو طرد كعب الخير الدناصوري وابنتها من خدمته بل ومن القرية كلها حتى لا يسبب له التفكير في امر زواج فرحانة وصلاحية الزوج الذي يختاره لها كل هذا العناء. وكل هذا القلق وكل هذه المتاعب التي لا حد لها . وظل كذلك زمناً الى ان هداه الله في احدى الليالي . وكان لم ينم بعد، لانه من يوم ان بدأ يفكر في فرحانة وامر زواجها ، ويوم خروجها من داره ، كان لا ينام الا قليلاً . في احدى الليالي طرأت عليه فكرة ما، وما ان اهتدى اليها حتى استوعبها واطمأن لها قلبه . وما هي الا ليلة او ليلتان او ثلاث على الاكثر حتى امست القرية واصبحت على هذا النبأ الغريب الذي حار فيه كل من سمعه . ولم يصدقه احد ولا حتى — العريس — نفسه . . وهو نبأ زواج فرحانة من « سيد العبيط» راعي غنم العمدة ، والذي اخلى له العمدة في داره مسكناً خاصاً ، ليزف فيه على فرحانة ابنة كعب الخير الدناصوري اجمل فتاة في القرية .

وسيد العبيط هذا شاب يمت بصلة القرابة الى العمدة . وكان طيباً ومتديناً الى حد البلاهة . ويقولون انه في صباه، اصيب بمرض اثر على قواه العقلية وجعله يهيم على وجهه في الطرقات ليلاً ونهاراً، ويجمع الحجارة من الطرق ويكدسها عند بئر مهجورة في حقل الشيخ هلال ابو اسماعيل القريب من القرية . ويقول في ذلك ان « الكعبة » في حاجة الى ترميمات . وان اولياء الله الصالحين امروه في — المنام — ان يجمع هذه الحجارة لاصلاح الكعبة وترميمها . ولذلك سمي بالسيد العبيط من ذلك الحين . وان كان قد كبر بعد ذلك وثاب الى عقله ، وهذا بفضل العمدة الذي انفق عليه وتعهده حتى شفي من مرضه .

لهذا وغيره كانت دهشة اهل القرية، عندما علموا بان سيد العبيط هو الذي ظفر بفرحانة وتزوجها، عظيمة وغريبة الى حد كبير ولكن الاذكياء من اهل القرية . ولا سيما من المّ منهم بطرف من حياة كعب الخير الدناصوري . ومن المّ ايضاً بطرف من حياة العمدة نفسه . وسر بقاء كعب الخير وابنتها الجميلة في خدمته كل تلك السنوات لم يدهشهم هذا النبأ . بل رجعوا به الى مراجعه الصحيحة ، وهي انه خير من يتزوج فرحانة الجميلة التي تعيش في دار العمدة وتخدم فيها . . هو سيد العبيط .

اما سيد العبيط فقد فرح فرحاً لا يقدر بهذا الزواج . وبهذا الحظ السعيد الذي كتب له وخصه وحده باجمل خميلة في حديقة الدنيا . يقطف ما يشتهي من ثمارها الدانية ، ويجني ما يريد من قطوفها المتدلية على الغصن الرطيب . وينهل ما وسعه من جدولها العذب المترقرق دون ان يكلفه ذلك كله شيئاً . فقد تعهد العمدة الخميلة . . تعهد حراستها وتعهد سقياها وتغذيتها . حتى الهواء العليل الذي ينتشي له الغصن الرطيب ، وتتفتح له افواف الزهرة الندية ويبعث فيها الحياة ريانة فتية . قد تكفل به العمدة . . وليس على سيد العبيط الا ان يؤم الخميلة في الظهر ، او يؤمها في العصر ، او اذا اقبل الليل وادبر النهار . يجني منها احلى الثمرات ويقطف منها خير الزرع . وليس عليه ايضاً الا ان يستحم في النهر اذا تنفس الصبح ، وان يستحم في النهر اذا عسعس الليل، فهو لا يقبل على الخميلة الا اذا عاد من النهر . ولا يعود من النهر الا ليقبل على الخميلة . كل ذلك والخميلة سعيدة به راضية عنه مطمئنة اليه .

وهكذا شاء الله ان يخلق سيد العبيط خلقاً جديداً . فقد تبدل الثوب البالي الممزق الذي كان يرتديه بآخر ناصع البياض فضفاضاً يخب فيه وتنبعث منه رائحة عطر القسيس . . والعمدة السوداء الرثة المتآكلة اطرافها، بالطاقية — الشبيكة المزهرة — التي لاحت من تحتها « قصته » يداعبها الهواء . والقدم الصدئة التي ادمتها الاحراج واخاديد الحقول ، عادت من جديد فتبلورت وراحت تتيه بالحذاء الاصفر الفاقع المحلى — بالابازيم — الستة على الجانبين . حتى العصا التي كان يهش بها على غنمه ، بعد ان كانت من السنط الاسود مليئة بالبذور التي اتعبت راحتيه قد تحولت مع الزمن الى عصا من الرمان الاملس الناعم الذكي الرائحة . هذا وفرحانة من خلفه تعطر له دنياه الجديدة بضحكاتها ، وتضمخ له حياته بسحر عيونها ، وتسكب في قلبه من عصارة انوثتها ما يجعل الحيوية والقوة والرجولة تتدفق من عينيه وتنضح على جبينه ومنكبيه . وعلى هذا قضى سيد العبيط زمناً لا يدري هو اطال ام قصر ، ولا يدري ايضاً اهو يعد بالايام والشهور الطوال ، ام بالدقائق واللحظات القلائل القصار . ولكن الذي يدريه ويتأكد منه هو انه ذات مساء عاد من الحقل مع غنمه ولكنه لم يكن كالعادة فرحاً مرحاً يرسل انفاسه الطوال الى الفضاء العريض فتعطره

او يرسل الحانه العذاب ويردد اغانيه الشجية ويتشبب بفرحانة ويصور جمالها وفتنتها وحبه لها وهو يردد كعادته هذا – الموال – الحبيب الى نفسه .

يام الخزام البندقي والنهد رماني
والرمش ساهي جميل والكحل رباني
والخصر واهي عليل والردف . . . آه ياني

ولكنه كان في ذاك المساء مهموماً محزوناً مربد السحنة . تلمع عيناه لمعاناً مريباً فيه رهبة وفيه عنف فقد حدث ان – الكبش – غافله وهو يتناول غداءه تحت الصفصافة الكبيرة وتخطى القناة وقصف عدة اعواد من ارزة الشيخ خير الدين ولما رآه بسيوني ابن صاحب المزرعة انطلق اليه وهوى بالنبوت على ظهر الكبش . وراح يضربه ضرباً قاسياً احس سيد العبيط وهي في مكانه ان الضرب ينهال عليه هو . وعز عليه ان يضرب كبشه العزيز المدلل امام عينيه . فانبرى الى بسيوني وانهال بعصاه الرمان على رأسه . لانه ضرب الكبش ، وكبر على بسيوني ان يضربه سيد العبيط . فراح دون وعي يسبه ويلعنه وينعته باقذر النعوت ولم يكتف بذلك . ولم يكتف ايضاً بعبارات التلميح التي وجهها اليه ، بل صرح له بحقيقة امره وافهمه بانه قد اخطأ فعلاً لانه ضرب كبش الغنم ، ولانه كان يجب عليه ان يضرب كبش العمدة . لان الكبش الحقيقي في القرية هو سيد العبيط . ولولا ذلك لما اتخذ منه العمدة ستاراً يشبع خلفه رغباته الآثمة مع فرحانة ، وان الزوج الحقيقي لفرحانة انما هو العمدة وليس سيد العبيط . ولولا ذلك لما زوجها سيد العبيط ، ولما ابقاها عنده في داره . ولما قبلت هي ان تتزوج من سيد العبيط جامع الحجارة من الطرق ومكدسها عند بئر ابو اسماعيل ليرمم بها الكعبة . . وان هذا ليس قول بسيوني وحده وانما هو قول اهل القرية جميعاً ، وما تتناقله الالسن في السر والعلانية ، وتغمز به العيون ساخرة متندرة ، وتتحدث به الصبية في الازقة والاجرام ، وترويه النسوة في الدور ليلاً ، والرجال في الحقل نهاراً . فكيف به وهو من هو ان يجرؤ ويرفع عصاه في وجهه . قال له بسيوني هذا كله ثم انصرف ضاحكاً ملء شدقيه



الاستاذ امين يوسف غراب

لا من كبش الغنم الذي ضربه بعصاه . ولكن من الكبش الآدمي الذي اشتراه العمدة بماله وزوجه احدى عشيقاته .

كان سيد العبيط يفكر في هذا كله وهو يعود بغنمه الى القرية مع المساء . ويسير خلفها مهموماً مسبل الجفن منكس الجبين لا يرى غنمه ولا غنمه تراه ، بيد انه وهو يسير فتح عينيه مصادفة فرأى – الكبش – يسير بجواره متمهلاً ، فنظر اليه وامعن فيه . وراح يتأمله بعينيه وهو يسير متراخياً خلف النعاج .

ولكن ، أحقاً هو كهذا الكبش كما قال له بسيوني ؟؟

واذا كان كذلك فكيف لم يفطن الى هذا من نفسه ؟؟

وزم على شفتيه وزوى ما بين عينيه وعاود النظر الى الكبش مرة اخرى ، ثم رد الطرف وهو مخضل .

حقيقة انه ابله . . وحقيقة انه كبش العمدة كما قال بسيوني . وحقيقة ايضاً ان الناس في هذه الدنيا كثيراً ما تظلم في حكمها على بعض الامور . . والا لما تجنت على بعض الحيوانات ونعتتها ببعض النعوت . . مع انهم لو انصفوا لنعتوا بعض الآدميين بنفس النعوت التي الصقوها ظلماً بالحيوان . كما انصف اليوم بسيوني ابن الشيخ خير الدين ونعته بالكبش .

ولكن اليس في هذا النعت بعض الظلم للكبش نفسه اذا كانت كلمة – كبش – معناها كما يفهمون . .

الم يكن هذا الكبش ، الذي يسير الآن بجانبه متراخياً منكس الرأس متدلي الاذنين ، اعلى منه نفساً . . واطهر منه قلباً ، واحرص على شرفه من راعيه .

انه ما زال يذكر يوماً لا ينساه . يوم ان كان عائداً بالغنم من على جسر الترعة والتقت غنماته بغنمات الشيخ الشافعي . فانسل كبشهم في وسط نعاجه . وكيف ان كبشه هذا ثارت ثائرته ، وعزت عليه كرامته ، فانبرى مدافعاً عن شرفه وعن نعاجه ، ولم يترك كبش الشيخ الشافعي حتى ارداه في القناة المجاورة للترعة . وانهال عليه بقرنيه حتى كاد يقتله . . فكيف اذن يساوى به ؟؟ .

وصمت قليلاً وزم على شفتيه وزوى ما بين عينيه وارسل نفساً طويلاً الى الفضاء العريض الممتد امامه . ثم عاود تفكيره .

كيف انه لم يهتد من نفسه الى هذا الذي تتحدث به الناس في القرية عن سيد العبيط ؟؟ ولكن أحقيقة هـذا الذي تتحدث به الناس في القرية وقاله له بسيوني ؟؟

نعم ما الذي دعا العمدة الى ان يفضله هو بالذات عن غيره . ويزوجه فرحانة ، ويخصه دون سواه بكل هـذا النعيم الذي لم يكن حتى يجرؤ على التفكير فيه؟؟ ثم ما الذي جعله ايضاً يحرص على ابقاء فرحانة في بيته وان يخلي لها مسكناً فيه ، ويفرق عليها وعليه كل هذا الخير العميم ؟؟ الأنه يمت اليه بصله القرابة ؟؟. ان هذه الصلة موجودة من يوم ان وجد هو في الدنيا . فـلماذا لم يتذكر الا الآن فقط .. ومتى ؟ بعد ان كبرت فرحانة ونضجت ثمارها وآتت اكلها وغدت على هذا الجانب العظيم من الجمال ؟؟ . لماذا لم يتذكر هذه الصلة ايام كان سيد العبيط كمية مهملة لاوجود لها في القرية . ؟؟ . ايام كان يرتدي الاسمال البالية ويفترش الارض ويلتحف العراء ويبيت على الطوى ؟؟ .

ولمعت عيناه واربدت ملامحه وتصلبت اسارير وجهه ومن ثم ارسل نفساً طويلاً الى الفضاء العريض الممتد امامه .

وهمّ بان يقول شيئاً آخر ولكنه كان قد بلغ الساقية فالفى عم منصور يجلس كعادته تحت الجميزة الكبيرة يغزل الصوف ، فحياه كما تعود ان يحييه كل يوم ، فرد عليه منصور التحية وهو يضحك مبتسما .. انه اليوم فقط بدأ يفهم سر هـذه الضحكة العريضة التي يستقبله بها عمه منصور من يوم ان تزوج فرحانة . انه يضحك منه من غير شك ، وكذلك الشيخ المرشدي يضحك له نفس هذه الضحكة ونفس هذه الابتسامة . . وخليل والدسوقي وزيدان واسماعيل ، كل هؤلاء يضحكون له كلما قابلوه نفس هذه الضحكة .. حتى بهانه العجوز زوجة الشيخ بنداري فقيه المسجد الضرير تضحك له نفس هذه الضحكة وتبتسم له نفس هذه الابتسامة . . حتى الصبية في الجرن عندما يمر عليهم بالغنم وهو ذاهب الى الحقل او عائد منه يضحكون له نفس هذه الضحكة ويبتسمون له نفس هذه الابتسامة .. ان كل من في القرية من يوم ان تزوج فرحانة ينظر اليه ويضحك نفس هذه الضحكة .

كل هذا كان يحدث ولكنه مسكين .. ابله .. فقد كان يظن ان الغيرة منه والحقد عليه لانه ظفر بفرحانة دونهم هما مبعث هذا الضحك وسر هذه الابتسامة . وما كان ليظن او يتصور ابداً ان مبعث هذا هو « كبش العمدة » .

وكان قد اشرف على القرية وبلغت طلائع الغنم دوار العمدة ، فلم ينتظرها كالعادة حتى تدخل الحظيرة ويطمئن عليها . بل تركها وراح يسير وحده في الطرقات على غير هدى . ودون ان يدري وجد نفسه يجلس عند البئر المهجورة التي كان يذهب اليها ايام الطفولة ، ايام كان يجمع الحجارة من الطرق ويكدسها عندها ليرمم بها الكعبة . ويجلس حزينا مطرقاً يخطط بعصاه الرمان ذات الرائحة الزكية عدة خطوط ويرسمها على الارض ، ودون ان يدري ايضاً نظر الى هذه الخطوط فوجدها في مجموعها تصور كبشاً كبيراً تبعث رؤيته على الضحك حتى انه هو نفسه ضحك طويلاً وكاد يستلقي على قفاه ، وظل كذلك ينظر الى صورة الكبش ويضحك ثم الى نفسه ويضحك حتى انتصف الليل او كاد فتناول عصاه وانصرف الى القرية يرسل انفاسه الطوال الى الفضاء العريض الممتد امامه الى ان بلغ الدار .

ولما بلغها لم يشأ ان يدخلها من البوابة الكبيرة كما كان يدخل من قبل ، وانما دخلها من الباب الخلفي ، واخترق حظيرة الغنم . ذلك لانه اراد ان يرى الكبش مرة اخرى قبل ان ينام ، ولما رآه واطمأن اليه والى وجوده في الحظيره بين الغنم تركه وانصرف ومن ثم دلف الى غرفته دون ان يشعر به احد ولا حتى فرحانة التي كانت قد تعبت من طول انتظاره فنامت بعد ان اعدت له العشاء على « الطبلية » في قلب الغرفة . وحانت منه التفاتة الى الطعام فوجده فاخراً شهياً ككل ليلة .. دجاجة سمينة تنبعث منها رائحة السمن الجيد .. ورأى ارزاً جيد الصنع وفي طبق آخر قطع كبيرة من لحم الضأن يسيل لمرآها اللعاب ورأى بعض اشياء اخرى نظر اليها طويلاً ثم رد عينيه مبتسما من تقسيم الحظوظ وكيف انها تظلم احياناً فتخص بعض «الكباش» بافخر الاطعمة واشهاها واحبها الى النفس . ثم حانت منه التفاتة اخرى ، فرأى فرحانة مستلقية على فراشها في غلالة رقيقة ملساء رق نسيجها حتى لاح من ثناياه جسدها الجميل

صدر حديثاً :

الاساليب الشعرية

لابراهيم العريض

منشورات دار مجلة الاديب

اطلبه من جميع المكتبات

وما يحمل من كنوز مختلفة الوانها متباينة اوضاعهـا تسر القلب وتبهر العين . . ونظر الى كل هذا وتأمله طويلاً ثم رد عينيه عنه كأنه لا يقوى على التطلع اليه. بيد ان نظرة عابرة الى طرف الغلالة الرقيقة الملساء جعلته يفتح عينيه ثانية وينظر . فقـد انحسر طرف الغلالة من اسفل عن ساق مرمرية ناعمة اختلط نور بشرتها البيضاء الناصعة بلون الغلالة الاحمر القاني فكون اللونان لونـاً آخر راح يتألق عند اعلى الساق واسفل الفخذ ، ويلوح لعينيه مرة كأنه النار ومرة كأنه النور ومرة ثالثة كأنه النار والنور معاً . . واستهواه هذا المنظر واثلج عينيه فراح يتأمله ملياً ويحدق فيه طويلاً ، ولم يشغله عنه سوى نظرة فلتت من عينه وانحدرت كأنها الجمرة الملتمعة على الذراع الناعمة الوسنانة وقد تحدرت بجانب الجسد المنساب في استرخاء على الفراش كأنه الغدير النشوان في الليل . ورأى الذراع الثانية وقد ارتفقت الصدر الناهد المستعلي حتى لكأنها في وضعهـا الذي رآها فيه انما تعمدت ذلك لتحد من نزوات الصدر النهم المتكالب على الدنيا ، ونزق الثدى الفتي الذي لا ينى يتطلع الى الحياة حتى وهو نائم . . نظر سيد العبيط الى هذا كله وتأمـله واستوعبته عيناه، ثم حول بصره عنه يتمتم بصوت لا يكاد يخرج من بين شفتيه .

— الا ما اسعد العمدة ، واقدره على فهم مقاييس الجمال .

وهم بان ينصرف من حيث اتى، بيد ان نظرة رابعة او عاشرة لا يدري حانت منه مصادفة فرأى شيئاً حلواً جميلاً كان بالامس يسره مرآه وتنتشي له جوارحه وتتفتح له جوانحه ويحس القلب به فرحاً وعليه حفيا وله طروباً . . رأى بطن فرحانة الكبيرة المنتفخة تعلوها الغلالة الرقيقة الحمراء وكأنها النقاب الخفيف على وجه الجنين الذي يتمدد فيها والذي اكتمل تكوينه ولم يبق غير شهرين اثنين ويخرج الى الوجود ليحمل اسم ابيه .

ومد نظراته التي تنقذف من عينيه كأنهـا الشرر الى بطن فرحانة المنتفخة فاخترقها بعينيه الناريتين ونفذ الى ما فيها ورأى فيما رأى بعيني رأسه الجنين يلعب في احشائها ولم تكتمل اظافره بعد . . واستقرت نظراته على وجه الجنين وامعن في طلعته وتأمل طويلاً عينيه ووجهه . . انه تماماً كأبيه . ان عينيه كعيني الشيخ عبد المقصود عمدة القرية . . ان فمه كفمه . حتى انفه هذا العريض المفرطح تماماً كأنف العمدة لا فرق بين الاثنين الا ان هذا ما زال في شهره السابع وذاك في سنته الخمسين . . وهم بان يقول شيئاً آخر وهو ينظر الى جبين الجنين بيد انه فجأة رد الطرف مأخوذاً مرتعد الفرائص كمن لدغته عقرب . . فقد سمع فجـأة ضحكات صاخبة تتعالى في ارجاء الغرفة وتحدث فيها دوياً هائلاً يكاد يوقظ فرحانة من نومها العميق . . وتلفت خائفاً فرأى اشباحاً عديدة ميز منهـا جهد بسيوني وخليل والدسوقي وزيدان وعمه منصور وبهانة العجوز ينظرون اليه ويضحكون تلك الضحكة التي يرتعد لها فرقاً . حتى الشيخ البنداري فقيه المسجد الضرير ينظر اليه ويضحك مع الضاحكين، ووقف حائراً وقد شعر بشيء من الخزي فاراد ان ينصرف وينجو بنفسه من اذى تلك الضحكات وتحسس الارض بقـدمه لينسل خلسة من الغرفة كما انسل خلسة ودلف اليها منذ لحظات ولكن قدمه اصطدمت عفواً بالطبلية التي تكدس عليهـا العشاء الشهي الفاخر . فانتبه الى نفسه وثاب اليه رشده وعرف بانه كان يهذي طوال تلك اللحظات فتألم وسخر من نفسه وأنبها تأنيباً مراً ولامها على هذا الضعف . ثم بعد حين اغمض عينيه واطبق على شفتيه ومكث كذلك حتى هدأت اعصابه رويداً ، واستعاد اليه نفسه وعقله ومن ثم راح ينظر من جديد الى فرحانة ويتأمل جسدها الجميل المستلقي على الفراش في الليل كأنه شعاع من نور يتمدد في الظلام . ورأى في هذه المرة فيما رأى ثغرها المتورد الذي لم تفارقه الابتسامة حتى في النوم وكيف انه رق ودق واستدار ، كما ترق الاقحوانة البكر التي تنشق هواء الليل وتعطرها انداء الفجر . وكيف انه تورد حتى لكأنه يقطر دما او يشتعل ناراً . . ان هـذا الثغر لغريب . انه يشتهي التقبيل ويروم اللثم حتى وهو في غفوته كما لو كان في يقظته، ونظر الى ثغر فرحانة طويلاً ثم افتر ثغره عن ابتسامة عطف واشفاق على العمدة اذا ما اراد مثلاً ان يقطف قبلة من هذا الثغر الجميل في وقت كهذا يكون فيه سيد العبيط في الغرفة وليس مع الغنم في الحقل . . وكأن هذا ضايقه وآذاه ان يكون ثغر فرحانة على هذا الجمال فعاود النظر اليه مرة اخرى ليتأمله من جديد بيـد انه لم ير ثغرها هذه المرة وانما رأى جيدها الاتلع المشرئب وكأن رقته بهرته

الدكتور توفيق الاعور

طبيب مصح بجنس

الاختصاصي بالامراض الصدرية من مستشفيات باريس

وسويسرا يعاين مرضاه في عيادته الجديدة الكائنة

في شارع بشارة الخوري – بناية بيضون

يومياً بعد الظهر من الساعة ٢ – ٦

تلفون ٨٦ – ١٥ و ٣٩ – ٨٢

فتأمله طويلاً فلاح له في الليل كأنه قطعة باورية رقيقة دقيقة الصنع وكأنها خلقت كذلك لتكون الصلة بين اجمل جسد لانثى واحلى وجه لامرأة . او كأنها الصلة بين الوجود والعدم . . بين الحيـاة والموت . . بين القليل جداً والكثير الذي لا وجود له، او الكثير جداً والقليل الذي لا وجود له. او الكثير في مجموعة هنا يساوي القليل في مجموعه هناك . بدليل انه قبل هذه الليلة كان يجهل وهو الزوج ان فرحانة تملك كل هذه الثروة من الجمال ،وان العمدة وحده هو الذي كان يعرف ، تماماً كما كان يعلم قبل ان يلتقي ببسيوني بانه هو الزوج وليس في القرية من زوج لفرحانة سواه . اذن فالفرق لا يذكر بين تلك القلة التي تبلغ العدم او تكاد ؛ والكثرة تملأ الكون ، كما انه لا فرق اطلاقاً بين كبش وكبش ، كل ما هنالك ان هذا آدمي وذاك حيوان . . هذا زوج وهو ليس بالزوج. وهذا غير زوج وهو الزوج .

وعلت ثغره ابتسامة اخرى وعاود النظر الى جيد فرحانة مرة ثانية، او الى تلك القطعة الباورية التي هي الصلة بين الوجود والعدم، بين الحياة والموت ، وراح ينظر اليها ويبتسم . ويبتسم وينظر اليها وكأنه رأى الجيد هذه المرة اكثر رقة مما كان يظن، رآه رفيقاً ناصع البياض تنساب فيه الانفاس لينة رخية كما ينساب نسيم الليل بين افواف الزهرة الوسنانة فيزيدها رقة على رقة وجمالا على جمال فابتسم وراح يطيل النظر . . واستهواه هذا المنظر الجميل وهم بان يلقي عليه نظرة رابعة او عاشرة لا يدري ، بيد ان نظراته المضطربة اصطدمت مصادفة بالفأس التي يمهد بها الحظيرة كل ليلة للغنم ملقاة بجانب الفراش الذي تنام عليه فرحانة . ووقع بصره اول ما وقع على نصلها الحاد الدقيق الابيض الناصع الذي يشبه تماماً بياض جيد فرحانة ونصاعته لذلك وازن بين الاثنين وكأنه وجد شبه صلة قوية بين النصل وحدته والجيد ورقته فراح يتأمل رقة هذا ورقة ذاك والجمع بينهما في صعيد واحد .

ولكن اذا جمع بينهما فما الذي يحدث ؟؟ ايجتذ النصل العنق ؟ ولو كان وحدث هذا فما الذي يحدث . ؟؟

يقطع العنق وتسيل الدماء وتنقلب ارض هذه الغرفة الى بحيرة من الدم .

ولو كان هذا ايضاً فما الذي يحدث . ؟ كل شيء . ! كيف . ؟؟

ان هذه الدماء ملك لهذا الجسد وهذا الجسد هو الذي نال من الشرف اذن فعلى هذه الدماء وحدها ان ترد للشرف ماسلبته منه .

وفتح عينيه فتدهورت منها بعض النظرات ملتهبة تشتعل . ثم عاد فاغمضها ثانية وعاد الى نفسه الملتاعة واستأنف معها الحديث .

ان كل ما في الوجود اخذ وعطاء . . وما دام هذا الجسد هو الذي اخذ فعلى هذه الدماء ان تعطي .

وهل ترى ان في هذا العطاء ما يرضي ؟؟

كل الرضا من غير شك — انه سيرد الدين مضاعفاً . وسيجزي عن السيئة بالحسنة . . عن الشر بالخير . . اليس من هذا الخير ان ضحكات الصبية سترد اليهم . . وبسمات الشيوخ ستنقلب عليهم ، وغير ذلك الم تكن حسنة كبيرة من هذه الدماء ان يموت هذا الجنين قبل ان ينتسب ظلماً الى سيد العبيط . . اليس من الخير ان تحمد انفاسه وهو ما زال في هذا الجب قبل ان يخرج الى الدنيا فتسعد به امه ويشقى به .

والتمعت عيناه واربدت سحنته وتصلبت شعرات رأسه وهو يمد يده في رفق ويتحسس يد الفأس الخشنة، وسره انها خشنة جافة بها عدة بثور واخاديد كتلك التي كانت في عصاه السنط الغليظة التي كان يحملها ايام « الشقا » ايام ان كان يجمع الحجارة ويلمها من الطرق ويكدسها عند البئر ليرمم بها الكعبة . . ولما تناولها بين يديه راح يتأملها طويلاً . . . وسره انها خفيفة في يده . وسره كذلك ان تنشط في جسده القوة وتتدفق عزماً وصلابة من ساعديه . وسره اكثر من ذلك كله انه عندما هوى بالفأس على عنق فرحانة وهي نائمة اجتثه مرة واحدة وفصلته عن الجسد .

ووقف سيد العبيط والابتسامة الحلوة لا تفارق ثغره ينظر الى الرأس المنفصلة والجسد الذي يخور كأنه الثور . ويتفرس في الدماء التي تغمر قدميه وتتدفق من بينهما دافئة . ولما شعر بالنشوة تدب في كيانه وتغمره وتفيض عليه مد يده الهزيلة المتراخية وجفف العرق البارد الذي يغمر وجهه ومن ثم ترك الجثة وغادر الغرفة متجهاً تماماً كما كان يغادرها في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ويذهب الى النهر ليستحم ويتطهر . غير انه احس وهو ينقل الخطى متسللاً من الدار في الليل ان حديثاً يدور في غرفة مجاورة فتريث ومد اذنيه مداً في الظلام واذا به يسمع صوت الشيخ عبد المقصود عمدة القرية وقد استيقظ ليصلي الفجر مبكراً كعادته، يهمس الى كعب الخير الدناصوري التي تصب على يديه الماء وهو يتوضأ ويسر اليها مبتهجاً بان الله قد وفقه بالامس الى ان ينقل ملكية خمسة افدنة من ملكه باسم « فرحانة » ابنته غير الشرعية حتى اذا ما مات كان لها ما لابنائه الشرعيين من ميراث .

القاهرة

امين يوسف غراب

الربيع

قالتْ تذكرني بياض قد دفنت الامس فيه
جاء الربيع ، فاين وعدك لي ، اتخشى لو تفيه
قلت الربيع ! ألستَ تذكره ، فقلت أتذكريه
اني نسيت ، اجل نسيت ، فلست منه ومن ذويه
تنسى الربيع ! نسيته ، فصفيه يا امـلي صفيه
والطفلة العذراء ، تذكرها ! فديتكهـا ، سليه
نامت عـلى كفيه كالنعش الكئيب ، ألا تريه
مرّ الخريف بها ، فغطاهـا بعطفـه الكريه
فابيضت الذكرى سوى ، شيء احاول لو أعيه
جـاث على سر الضلوع ، تزمجر الاهواء فيه

الارض

ناديتني ، لكنـني لم أزل أنسج اكفان الهوى وحدي
واغرس الابرة في جثـة اسلّ من ضلوعها وجدي
اجوع كالموت ، بلا آهة وتلتقي في ناظري دنيـا
وتظمأ الآمال في وحشتي ولا تنـدي شفتي شيـا
واذ ياوح الامس في بالي تخضل الادمع اهـدابي
وتسلت اللوعة من خاطري خيط دم ، يعقد اعصابي
يمرّ بي مشوهـاً حدبت متونه خطيئـة الذكرى
سيزيف لم تنحت على ظهره مـا نحتت صخوره الغبرا
ناديتني ، اجـل . ولكنني ودعت حلم الارض ، للارض
وعدت لا اغزل الا الاسى اخضر مثل بركة البغض
غنا على ضفافهـا طحلبٌ يلتف حول القصب الغض
وانبصقت بقـاعه ضفدع صفراء تثّـاءب في غيظ
كأنهـا تحفظ في صمتهـا مرثيـة البعض على بعضي

بغداد

صفاء الحيدري

نبضات الحياة في بعض الشعر العربي

بقلم علي الراعي

●

بتحدث بعض الناس كثيراً في هذه الايام عن التراث العربي وواجب احيائه ويتكلمون عن الثقافة العربية والادب العربي والجامعة او الرابطة العربية . . فاذا عنّ لاحد ان يسألهم ماذا يعنون بكل هذا . . ما هو هذا التراث العربي الذي يودون احياءه ؟ وما هي تلك الثقافة العربية التي يبتغون نشرها لم يظفر او لم يكد يظفر منهم بجواب واضح .

والسبب في هذا هو غموض مفهومات هذه الكلمات فانت مثلاً اذا سألت احد المتحمسين للتراث العربي عما يريد بهذا التراث وما يريد منه اخذ يحدثك عن مجد العرب وامبراطوريتهم وفتوحاتهم الغابرة وكيف انها امتدت من الصين شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومن جنوب اوروبا شمالا حتى اواسط افريقيا جنوبا الى آخر هذا الكلام . . ولم ينسَ ان يبدي لك اسفه على طرد العرب من اسبانيا وتضاؤل سلطانهم قبل وبعد هذه الحادثة . . ثم يختم كلامه بدعوة حماسية عاطفية الى اعادة كل هذا المجد التليد .

واذا خطر لك ان تسأله عن الوسائل التي تتبع لاستعادة هذا المجد وجدت منه حديثاً طويلاً عن حملات كيشوتية يشنها العرب ممثلو الشرق المجيد على الغرب المنهار بقصد سلبه السلطان واخضاعه لهذا المجد المستعاد . اما كيف تتم هذه الحملات وهل يتسنى لها ان تنجح وهل اذا نجحت كتب للعرب ان يجذبوا عجلة التاريخ الى الوراء ليعودوا الى عصر الامويين الفتي او العباسيين الذهبي . كل هذه الاسئلة تدخل اجوبتها في باب التفاصيل التي لا تهم المتحمس الفاضل لمجد العرب .

والواقع ان التراث العربي يخسر كثيراً وكثيراً جداً على ايدي هؤلاء المتحمسين له . فجهوداتهم بطبيعتها قاصرة واسلحتهم مفلولة وطريقتهم في علاج المشاكل عاطفياً لا يمكن الا ان تؤدي الى النكبات . وهي بعد تفوح منها رائحة قوية من روائح العنصرية البغيضة ويعاومنها دخان البارود واصوات المعارك واشلاء القتلى . وما هذا سبيل من يريد ان يتيح التراث العربي لاكبر عدد من الناس .

اننا في حاجة — اولاً وقبل كل شيء — الى ان نفهم فهما علمياً خالصاً ما هو هذا التراث العربي ، وما هو ذلك الادب العربي وما هي تلك الثقافة العربية التي نود ان نتيحها لابناء العصور الحديثة فاذا فهمنا هذه الاشياء استطعنا ان نتبين مقدار ما يمكن ان يستفاد منه في عصرنا الحاضر منها فقدمناه لانفسنا ولابنائنا ولاحفادنا .

التراث العربي وليد النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي كان العرب يعيشون في ظله . . وهذا النظام مرتبط بالبيئة المادية التي كان يعيش فيها العرب وهي بيئة خاصة كما انه مرتبط بالنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت تسود اجزاء العالم الاخرى . ويترتب على هذا ان اغلب الادب العربي القديم ادب زماني مكاني اي انه شيء خاص .

هذه نتيجة لايفهمها الكثيرون على سهولة فهمها لانهم يفصلون الادب العربي عن البيئة التي نشأ فيها ويجعلون منه شيئاً مجرداً من حيث يجب ان يكون محسوساً . هم لا يفهمون مثلاً ان التراث هو اساوب الحياة (المادية والروحية) وان اساوب الحياة هو نتيجة من نتائج انتظام الناس في مجتمعات معينة ذات شكل معين ومن اشتراكهم بهذا الشكل وبتلك الصفة في مجالدة الطبيعة وكسب القوت واقتسام المغانم التي يتيحها لهم العمل المشترك وهم لايدركون ان الادب الذي ينتجه مجتمع من الناس هذه صفاته له وجهان وجه حادث او عارض ووجه مقيم اودائم . اما الوجه الحادث فهو شكل هذا الادب ، صفاته الخاصة التي انتجها مقامه في مجتمع خاص له صفات بذاتها ، واما الوجه المقيم فهو انه ادب انساني ولد في مجتمع انساني . وان الانسانية صفة مشتركة في كافة المجتمعات .

وما يفعله من سبق ذكرهم من المتحمسين للتراث العربي هو ان يتمسكوا بشكل هذا التراث بالقيمة المتغيرة فيه ويصروا على ان يعموها بعد مضي قرون وقرون على اندثارها . وهذا هو السبب الاساسي في ان مجهوداتهم تفشل دائماً من حيث يراد لها النجاح . اما القيم الدائمة في هذا التراث القيم التي تنبع من انسانيته الخالدة خلود الانسانية فهم يتركونها جانباً : وعلى هذا يخرجون على الناس بكتب ميتة باردة لا يجد فيها القارىء الحديث شيئاً يربطه بها فيمجها ويكرهها .

هناك اذاً فجوة واسعة بين المجتمع العربي اليوم وبين المجتمع الماضي السحيق . وهذه الفجوة لا تسد الا باستخلاص القيم الخالدة في الادب العربي القديم ونشرها على الناس في دراسات علمية عميقة حتى يفهمها الناس فيقيموها ويعيدوا تقييمها فتصبح جزءا من حياتهم الحاضرة بدلا من ان تكون مغارة او مخبئاً يهربون اليه كلما الجأهم فشلهم في فهم الحياة الحديثة الى هذا الهرب . هنا يكون الاحياء احياء حقاً وليس ضرباً من الشعوذة واستحضار الارواح وجر العظام النخرة من الاحداث .

***

هذه مقدمة كان لا بد منها قبل البدء في تقييم هذا البعض من الشعر العربي الذي جعلته عنوان هذه المقالة . فانا على ضوء هذه المقدمة يكون هذا التقييم — هذه قصيدة لشاعر يقال له سعد بن ناشب اهرق دم بعض الناس فهدم الوالي داره جزاء له .

ساغسل عني العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جالبا
واذهل عن داري واجعل هدمها لعرضي من باقي المذمة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي اذا اثنت يميني بادراك الذي كنت طالبا
فان هدموا بالغدر داري فانها تراث كريم لا يبالي العواقبا
اخي غمرات لا يريد على الذي يهم به من مفظع الامر صاحبا
اذا هم لم تردع عزيمة همه ولم يأت ما يأتي من الامر هائبا
فيا لرزام رشحوا بي مقدما الى الموت خواضاً اليه الكتائبا
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

***

هذه قصيدة عظيمة يتفق على وصفها بالعظم النقد العاطفي والنقد العلمي . فاما النقد العاطفي فيقول انظروا الى النخوة والشجاعة . . هذا رجل لا يصبر على الضيم وقد اهينت كرامته فابى الا ان يعلن الحرب بمفرده على صاحب السلطان . . كذلك كان العرب كلهم فاين نحن من هؤلاء الاماجد السالفين .

واما النقد العلمي فمع اعترافه بعظمة الموقف الشخصي فانه يجاوزه الى ما هو اعمق منه . انه يرى اشياء وراء المظهر الخارجي للموقف اعمق منه بكثير . الذي حدث هو ان داراً للشاعر هدمت وقد رأى الشاعر في هذا اعتداء على ماله وعرضه ثم لم يقف عند هذا بل رأى فيه ايضاً اعتداء على المجتمع الذي هو عضو فيه . فهو اذن قد خرج من الناحية الشخصية في الاعتداء — اي الناحية الشكلية — الى ناحية ابقى وادوم هي ناحية الاعتداء على القيم الاجتماعية التي انشأها ويحميها المجتمع والتي تتمثل في الشاعر خير

خارطة جزيرة العرب

اول خارطة من نوعها لجزيرة العرب فيها من التفاصيل والدقة ما لا يوجد في بقية الخرائط مجتمعة

وهي ضرورية للمدارس العربية ومكاتب الهيئات والافراد

تشتمل على: المملكة السعودية ، اليمن
عدن ، عمان ، وخليج فارس

ذات الوان زاهية — قياس ١١٥/١٠٠ سم

ثمنها ١٥ شلناً او ما يعادلها

تطلب من السيد هبة الله علي صاحب المكتبة العربية
سوق البهرة — عدن

تمثيل باعتبار انه من خيار اعضاء ذلك المجتمع نجد هذا في القصيدة اذ يقول الشاعر :

وأذهل عن داري واجعل هدمها لعرضي من باقي المذمة حاجبا

واذ يقول :

فيا لرزام رشحوا بي مقدما الى الموت خواضاً اليه الكتائبا

اي انتدبوني يا قبيلة رزام كي ادفع عنكم العدوان الذي وقع عليكم وعلى المجتمع — والقبيلة اذ ذاك تمثل المجتمع الانساني .

ودفع العدوان على المجتمع هو قيمة خالدة في التراث الانساني. فهي ليست قاصرة على المجتمع القبلي العربي بل تتجاوزه الى كل اشكال المجتمعات الانسانية قبلية كانت ام طبقية . عربية كانت ام غير عربية . وموقف سعد بن ناشب هو موقف مئات الالوف الذي هبوا ويهبون الدفاع عن ممتلكاتهم واوطانهم كلما بدا لهم الخطر من بعيد . والاعجاب بالنخوة العربية فيه انما يكون اعجاباً بالشكل دون الجوهر والواجب هو الاعجاب بالموقف الانساني الذي يشترك فيه سعد بن ناشب مع غيره . فبهذا الاعجاب وحده نستطيع ان نضع الثقافة العربية والتراث العربي موضعهما الذي يخلدان فيه وهو الموضع الانساني .

وفي القصيدة التالية لاسحق بن خلف . احد الشعراء الاسلاميين يتحدث الشاعر عن ناحية هي اكثر النواحي التصاقاً بحياة المرء وهي ناحية كسب العيش والانفاق على العيال . ولكنه اذ يتحدث عن حياته هو وعن بنت بعينها من بناته هي اميمة يتحدث عن ملايين الناس في كل العصور وفي كل المجتمعات ما غير منها وما يجيء حتى يتبدل المجتمع غير المجتمع :

لولا اميمة لم اجزع من العدم ولم اقاس الدجى في حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
احاذر الفقر يوماً ان يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم
تموى حياتي واهوى موتها شفقاً والموت اكرم نزال على الحرم

كم مرة تكرر هذا الكلام في حياة ملايين الناس ؟ بل كم مرة تكرر في حياة الاحياء عموماً . . ؟ ان المرء ليحس فيه حدب الطيور على فراخها وعطف الوحش على صغاره وموت الاناسي في سبيل عيالهم وحماية الاوراق والاغصان للبرعم الغض والنبت الصغير لقد احس الشاعر موقفه احساساً بلغ من عمقه ان ارتفع به عن الناحية الحادثة فيه ورده الى الموقف الاول . . او الواحد . . او الخالد الذي يشترك فيه ملايين الاحياء . حدب الحياة الناضجة على الحياة الناشئة ، حرص الحياة الموشكة على الانتهاء على تسليم الرسالة للحياة التي تليها . . استمرار النوع . . تخليد الحياة . . كل هذه العبارات والمعاني ، نراها في القصيدة لو امعنا النظر . . وليس هذا الكلام مجرد تخريج فليس اعتباطاً ان يرد الشاعر ابنته الى ما هي عليه في الجوهر فيصفها بقوله . . لحم على وضم . . وليس اعتباطاً ان يقول شاعر آخر هو حطان بن المعلى في موقف مشابه .

لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

فتشبيه البنيات بزغب القطا هو اكثر من تشبيه . . انه تبيين لوجود احوال مشتركة بين اجناس من الاحياء تجمعها على اختلاف اشكالها جامعة الحياة .

اما القصيدة التالية فتمثل ثورة على شرائط الحياة القاسية التي اكتفت القصيدتان السابقتان بايضاحها ايضاحاً عميقاً . . انها في الواقع تمثل الخطوة التالية او النتيجة المنطقية لهذا الايضاح . . انها الثورة التي تدفع بالحياة الى الامام نحو هدف ارقى واسمى . والقصيدة لشاعر جاهلي يقال له حجية بن المضرب وكان جالساً ذات يوم بفناء داره فخرجت جارية له باناء فيه لبن فقال لها اين تريدين بهذا الاناء ؟ فقالت بني اخيك اليتامى فوجم واطرق لشدة الحزن فلما جاء راعياه في المساء بإبل له قال لهما اذهبا بهذه الابل الى بني اخي فاعطياهم اياها ثم دخل بيته فعاتبته امرأته فيما فعل فقال لها هذا القول العظيم .

لججنا ولجت هذه في التغضب ولط الحجاب دوننا والتنقب
تلوم على مال شفاني مكانه اليك فلومي ما بدا لك واغضبي
رأيت اليتامى لا تسد فقورهم هدايا لهم في كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا اريحا عليهم ساجعل بيتي مثل آخر معزب(١)
بني احق ان ينالوا سغابة وان يشربوا رنقاً(٢) لدى كل مشرب
ذكرت جمم عظام من لو اتيته حريباً لآساني لدى كل مركب
اخي والذي ان ادعه لملمة يجبني وان اغضب الى السيف يغضب
فلا تحسبيني بلدما(٣) ان نكحته ولكنني حجية بن المضرب
رحمت بني عمدان اذ ساف(٤) مالهم وحق لهم مني ورب المحصب
فان تقعدي فانت بعض عيالنا وان انت لم ترضي بذلك فاذهبي

هذا البيت الاخير يمثل مدى هذه الثورة او حدها ولو شئنا ان نحددها لقلنا ان اعظم نقطة فيها هي تفضيل الشاعر ابناء اخيه على ابنائه ، اما اقل نقطة فهي قول الشاعر ان امرأته بعض عياله اي بعض من يعولهم فان رضيت بهذا كان بها والا فلتذهب .

---

(١) خال (٢) كدرا (٣) بايدا (٤) هلك

والنقد العلمي يعترف بالنقطتين . فالترفع عن المصالح المباشرة وروح التضحية والايثـار كانت دائماً من القوة الدافعة والمحركة للتاريخ ووقوف هذه القوة عند حـد معين ضروري لكن ينتج الدفع والحركة نتائجها . ونحن نكون متعسفين لو طالبنا الشاعر بان تكون معاملته لامرأته اكرم من هذه ما دامت قد كانت فعلاً « بعض عياله » ولم يكن لها وجود اقتصادي مستقل عنه .

اما النقد العاطفي فينقسم بازاء النقطة الاخيرة رأيين . الاول مثالي خيالي . يطالب الشاعر بان يعطي المرأة مركزاً لم تكن بحكم وضعها اذ ذاك تشغله . والثاني يوافق على الوضع الذي رآه الشاعر لامرأته ثم يخلص من هذا الى الدعوة بان تعود المرأة الحديثة (المتحررة نسبياً) الى هذا الوضع المشين . وكلاهما خاطىء كما نرى .

***

نتفل

الآن الى لون من الوان الشعر العربي قد يظن ان مجال النقد العلمي فيه محدود او معدوم ذلك هو شعر الحب . واود قبل ان امضي في تقسيم بعضه ان ابين ان هذا الشعر كان الى حد كبير خاضعاً للتقليد الذي كان سائداً في آداب الفروسية في العصور الوسطى . . العاشق الباكي المستغفر عند قدمي حبيبته ذات الفؤاد القاسي . ولعل من سخرية القدر ان تمتد يد النقد العلمي الى هذا التقليد الجميل بالتفسير فترجعه الى غياب المرأة في تلكم العصور عن مجتمعات الرجال مما جعل لها مركزاً مبالغاً في اهميته . كما جعلها — بحكم غيابها عن احداث الحياة الهامة — اشبه بالدمية او التمثال الجميل يلجأ اليه الرجل هارباً من متاعبه ويحلو له — على سبيل اللهو — ان يبكي ويتباكى عند قدميه . ومهما يكن من شيء فالعواطف التي يعبر عنها الشعر الذي قيل متابعة لهذا التقليد فيها كثير من زيف الصناعة والتعمل . ولهذا نجد ان انتفاضات الحياة تكون في جانب الشعر الذي يخرج — بطريقة او باخرى — على احكام هذا التقليد . هذه ابيات لشاعر غير معروف الاسم يقول فيها :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن	عليك شجا على الحلق حين تبين
وان هي اعطتك اللبان فانها	لغيرك من خلاتها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأي عهدها	فليس لمخضوب البنان يمين

اية سخرية هذه من تقليد الحب الذليل الذي يموت اذا بعدت حبيبته ويحيى اذا ما دنت . . اية واقعية ساخرة . . ومع ذلك فهي انتفاضة من انتفاضات الحياة لاشك فيها . انها ثورة على جمود التقليد . فالحياة تأبى ان يحدها حد . ولو كان الاخلاص لمن احبت،

الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47 / المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهذه الثورة اذاً للحياة ولمصلحة الحياة .

وشبيه بهذه الثورة وان كان بها قسط من الفكاهة ما قاله شاعر يدعى الحكم الحضري .

تسامُ ثوبا ها ففي الدرع رادة ... وفي المرط لفاوان ردفها عبل
فوالله لا ادري ازيدت ملاحة ... وحسنا على النسوان ام ليس لي عقل

على ان ثمة نوعاً آخر من الثورات . هو ايضاً انتفاضة من انتفاضات الحياة . ولكن لمصلحة الحب التقليدي ولا غرو فليس كل من احب واخلص وكان حبه على التقليد مزيف العاطفة . ولا يجب ان ننسى ان التقليد نفسه — قبل ان يصبح كذلك — كان يعبر عن حالة واقعية انتجتها ظروف واقعية . . قال ابن الدمينة .

احقاً عباد الله ان لست واردا ... ولا صادرا الا علي رقيب
ولا زائرا فردا ولا في جماعة ... من الناس الا قيل انت مريب
وهل ريبة في ان تحن نجيبة ... الى الفها او ان يحن نجيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى ... الي وان لم آته لحبيب
لك الله اني واصل ما وصلتني ... ومثن بما اوليتني ومثيب
وآخذ ما اعطيت عفوا واتني ... لأزور عما تكرهين هيوب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فانها ... من الوجد قد كادت عليك تذوب
واني لاستحييك حتى كأنما ... عليَّ بظهر الغيب منك رقيب

هنا نجد الثورة على ظروف المجتمع الذي نشأ فيه الحب . فالشاعر يضيق بالرقباء والعواذل ولكن هذه الثورة لا تدفعه الى ترك الحب بل على العكس تلجئه الى تأكيد حبه والاصرار على المضي فيه .

ويثور جميل بثينة نفس الثورة حين يقول :

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا ... سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة ... الي وان لم تصف منك الخلائق

والثورة على الرقباء والضيق بالعذال امر معروف في الشعر العربي بنوع خاص لان هذا الشعر نشأ في مجتمع الحب فيه محرم مضطهد .

اني واياك كالصادي رأى نهلا ... ودونه هوة يخشى بها التلفا
رأى بعينيه ماء عز مورده ... وليس يملك دون الماء منصرفا

***

فيا عجباً للناس يستشرفونني ... كأن لم يروا بعدي محباً ولا قبلي
يقولون اصرم يرجع العقل كله وصرم حبيب النفس اذهب للعقل

على ان التسليم الكامل للحب هو ايضاً اتجاه نحو الحياة وانتفاضة لها . اليس هو الوسيلة التي تتوسل بها الطبيعة لحفظ النوع . ؟ عن طريق هذا التسليم المطلق تضمن الطبيعة تركيزاً كافياً في العلاقات بين الرجل والمرأة يمكن ان ينتج عنه الزواج — او الاتصال المطلوب باية صورة اخرى من صوره . قال شاعر مجهول :

ارى الناس يرجون الربيع واغا ... ربيعي الذي ارجو نوال وصالك
ارى الناس يخشون السنين وإنما ... سني التي اخشى صروف احتمالك
لئن ساءني ان نلتني بمساءة ... لقد سرني أني خطرت ببالك
ليهنك امساكي بكفي على الحشا ... ورقراق عيني رهبة من زيالك

وقال ابن الطثرية :

فيا خلة النفس التي ليس دونها ... لنا من اخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به ... عدو ولم يؤمن عليه دخيل
اما من مقام اشتكي غربة النوى ... وخوف العدا فيه اليك سبيل ؟
فديتك اعدائي كثير وشقتي ... بعيد واشياعي لديك قليل
وكنت اذا ما جئت جئت بعلة ... فافنيت علاتي فكيف اقول ؟
فما كل يوم لي بارضك حاجة ... ولا كل يوم لي اليك رسول
صحائف عندي للعتاب طويتها ... ستنشر يوماً والعتاب طويل
فلا تحملي ذنبي وانت ضعيفة ... فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

على ان شاعراً مجهولا — للاسف — ينتفض للحياة انتفاضة اقوى من كل هذا . . انتفاضة ترجع الى الحاجة الى اشباع غريزة اقوى واعظم من الحب — يقول :

انخ فاصطبغ قرصاً اذا اعتادك الهوى ... بزيت كما يكفيك فقد الحبائب
اذا اجتمع الجوع المبرح والهوى ... نسيت وصال الآنسات الكواعب

وبعد ، فعسى ان اكون افلحت في هذه الصحائف القلائل في ان اعطي صورة ولو ضئيلة للطريقة المثلى لتذوق التراث العربي . وهي طريقة لا تكمل الا اذا تسلحنا باسلحة العلوم الحديثة التي تدرس الانسان من كافة نواحيه . . كعلوم النفس والحياة والفسيولوجيا والانثروبولوجيا وغيرها .

القاهرة — علي الراعي

مؤلف « هتاف الجماهير »

امين يوسف غراب

يقدم اليكم

ارض الخطايا

مآسي الانسانية الدامية

●

في منشورات لجنة النشر للجامعيين بمصر

يطلب من مكتبة مصر

٦٣ شارع الفجالة القاهرة

السينما في خدمة الواقع

بقلم صلاح دهني

ديبلوم الاخراج من معهد الدراسات السينمائية العالية بباريس

●

عندما تستقر احوال العالم العربي استقراراً حقيقياً ، وتأخذ الامور مجاريها ، ولا اقول تعود الى مجاريها ، اذ لم يكن لها مجار من قبل ، فسيعرف بان اكبر خطر ورثه عن ادوار الاستعمار وعن الحرب الاخيرة هو هذا الكره الاحمق الذي يكنه كل منا نحو جميع القيم والاعتبارات والعادات التي تؤلف منا الروح والقلب والكيان . اننا نكره أنفسنا ، نكره آباءنا ، نكره حياتنا وطراز معيشتنا ، بل لنكن صريحين مع انفسنا ولو مرة واحدة ولنعترف باننا نكره حتى بعض المظاهر الخارجية من ديننا .

لقد استفقنا دفعة واحدة من غيبوبة دامت قروناً طويلة، لنجد انفسنا في القرن العشرين ، قرن السيارات والطيارات والدبابات ، كما سمعنا ذلك الف مرة حتى مللناه . . والعلم والمدنية الخ . . لقد استفقنا على هذا وعلى شيء آخر، اذ اكتشفنا تاريخاً لنا مجيداً وادباً رفيعاً وماضياً وانتصارات وعلوماً وفنوناً . واخذتنا النشوة وعزة النفس واردنا ان نتململ ونتحرك ، فاذا ايدينا مقيدة خلف ظهورنا واذا مستعمر جديد يجثم على صدرنا واذا نحن مرة ثانية ، شعب من المنكودين .

ومرت السنون وجاءت الحرب وانتهت الحرب وساعدتنا الريح فاذا نحن مستقلون عن الاجنبي واذا نحن سادة في بلادنا .

ومنذ هذه المرحلة ، بدأ الخطر .

لقد بدأ الخطر يوم شعرنا باننا سادة في بلادنا لاننا لم نكن قد اعددنا لذلك العدة. لقد كنا ضعفاء نفساً ، مساكين روحاً ، فقراء فكراً . اننا لم نكن قد شعرنا شعوراً واعياً بواقعنا ، ولم نكن قد فهمنا نوع عبقريتنا — ولن نفهمه قبل جيل او جيلين اذا بقي التعليم على ما هو عليه — ولم نكن قد عرفنا نفسنا بالمعنى السقراطي للكلمة . ولهذا كانت الحرية ، الحرية معبودتنا ، خطراً علينا !

انني اكره الرولز رويس ودودج ودوسوتو ، اكره جوارب النايلون ، اكره فراشي الاسنان البلاكسيجلاس ولو انها بروفيلاكتيك !

اكرهها جميعاً لانها هي التي اضحت غرض مستقبلنا وروحنا وعبادتنا . لقد كادت تنسينا اننا شرقيون ، وجعلتنا نخجل من انفسنا .

وانا كلما تعمقت في التفكير في هذه (المصائب) ازداد بغضاً لها ، وكلما قضيت يوماً في بلاد الغرب ازداد قرباً من روحنا وطراز معيشتنا وحياتنا ، لقد بدأت افهم لماذا ملّ الغربيون عصر الآلة ولماذا انتصرت الواقعية وانتشرت فكرة الرجوع الى الطبيعة والصفاء والبساطة في الادب والفن. لقد قضي على اوربا ان تعيش قرناً كاملاً في احضان الآلة لكي تقدر البساطة حق قدرها .

هذه مقدمة لم يكن منها بد للوصول الى الموضوع الاساسي لهذا البحث : السينما في خدمة الواقع .

لقد بدأت حكوماتنا في جميع انحاء العالم العربي الواعية، تشعر بأهمية السينما وقيمة الفيلم في الدعاوة وفي التربية والتهذيب. فما هو نوع افلام الدعاوة التي تريد اخراجها ؟ على اية صورة تريد ان تظهر بلادنا لاعيننا نحن ولاعين الاجانب ؟ هل تصور الشعب في حياته اليومية ، في الشوارع والحارات ، امام الجوامع والكنائس والاسواق والطرقات وبين آثار الماضي، ام تجهد المخرج على ان يرفع

عدسة آلة التصوير السينمائي دوماً الى اعلى ، فلا يرى النظارة على الشاشة عندما يخرج الشريط، الا رءوس المساجد واعالي الكنائس والآثار القديمة والبنايات الضخمة ؟ او بتعبير آخر ، هل يجب ان تطلب حكوماتنا من المخرج اظهار روح الامة وتفسح المجال لفنه وعبقريته الخاصة في اختيار ما يريد من مناظر حسبما تملي عليه نظرته الفنية الى الاشياء ، ام تجبره على ان يكون آلة الى جانب الكاميرا فتنتزع منه الروح والقلب وتجعل منه آلة لتسجيل المناظر على الشريط لا اكثر ولا اقل .

تلك جميعاً اسئلة خطرة يلقيها مخرج افلام الدعاوة في بلادنا على نفسه — المخرج الذي عنده اشياء يقولها ، لا اي مخرج كان — وسنرى مقدار خطرها .

منذ اشهر قليلة ، شعرت حكومة لبنان بوجوب اخراج فيلم دعاوة ، فاتفقت مع مخرج افرنسي معروف هو السيد اندريه زفوبادا مخرج « عروس الصحراء » وقالت له : هذا مبلغ من المال وهذه آلات وهذا شريط خام وهذا لبنان امامك صوره على احسن شكل ممكن . فنزل الرجل الى الاسواق واحتك بالشعب وذهب وأتى وجال وسافر وتنقل ورأى كل ما يجب ان يرى كفنان . ومضت مدة . وجاء وقت البدء بالعمل .

وهنا اترك الكلام للمخرج :

« ظننت في بادىء الامر باني لن اتمكن من العمل بكل حرية وحسبما يملي علي شعوري وضميري كفنان ولكني قوبلت بكل لطف من جميع من اتيح لي العمل معهم .

وقد بدا لي فيما بعد ما يشبه التفضيل لدى عدد من اصدقائي اللبنانيين لتصوير سيارة دودج آخر موديل بدل تصوير عربة نقل بحصانين ، وتصوير مبنى ضخم كذا عد طوابقه وليس من الفن الشرقي المحلي في شيء ؛ عوضاً عن بناية منظرها بسيط وان كانت ذات قيمة فنية اثرية فريدة .

واريد ان اسأل هؤلاء الاصدقاء والكرماء ، اليست في بيروت عربات نقل ، الم يعد فيها اناس يلبسون السروال ويشدون حزاماً عريضاً حول وسطهم وشنباً ذا رأسين على شفتهم العليا ؟ واريد ان افهم ايضاً ، لمن يوجهون افلام الدعاوة؟ فاذا كان للبنانيين انفسهم فانهم لا يظهرون لبنان على جمال واقعه ولا على نوع الشاعرية الحقة التي يعيش اهله في احضانها والتي تدل على شخصيتهم وعبقريتهم ، واذا كان للغربيين ، فالغربيون قد عانوا منذ زمن طويل مثل هذه المظاهر الخارجية واعظم منها داخل بلادهم » .

هذه هي مصيبتنا . اننا نخجل من انفسنا ومن واقعنا لاننا نعتقد بان فيها مجالا لهزء الغربيين المتمدينين منا ، وبانها عنوان تأخرنا . اننا نفضل الف مرة ان نظهر بمظهر المدنية الزائفة ، المنقولة المستوردة ، المشتراة بالدرهم ، على ان نظهر بثوبنا وبروحنا نحن وبمدنيتنا نحن . اننا كالعبد الذي (يلغمظ) وجهه بالابيض لكي يظهر ابيض فلا يصل الى ذلك ويغطي كل ما في عرقه من جمال اصيل وقوة ، فينكره السود ويكشفه البيض ، فلا هو من هؤلاء ولا هو من اولئك .

ان بنات الصين والهند من الطالبات في باريس ، يحافظن على لباسهن في الحفلات وفي صفوف الدراسة وفي الشوارع ، ومع ذلك فلا يثرن لدى الباريسيين الا كل احترام عميق . ثم ان الغربيين يرون

مجلة علم النفس

☆☆☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٦٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كثير من الاحيان في دور السينما مناظر عن المجاعات وعن الفقر في ذينك البلدين ، ويقرأون في ذلك الريبورتاجات الطويلة في الصحف ، ومع ذلك فان اقوى محطة للاذاعة في باريس ما تزال في كل يوم تقريباً ومنذ عدة سنوات تخصص اذاعة كاملة لأحد هذين البلدين او لايران، تستعرض فيها مدنية كل منها منذ اقدم العصور حتى اليوم ، وخاصة ما خلفت للانسانية وما تنتج من تحف تضاف الى التراث العلمي الفني والادبي للانسان

اننا بعلمنا وبأدبنا وبفننا نفرض احترامنا على الآخرين ، لا بالمظاهر الخارجية من حياتنا،هذه المظاهر التي تركها فينا (طمبروس) سعيد تقي الدين، والتي لا تشرفنا ولن تشرفنا طالما انها ليست اصيلة خارجة من ارض امتنا وروحها وعملها .

لقد صور الرسام فوق الواقعي (بنويل) سنة ١٩٣٦ فيلماً سماه « ارض بدون خبز » اصبح كلاسيكياً بين تحف السينما ، ما يزال يعرض حتى اليوم في (نوادي السينما) في البلاد الغربية يصور حياة احدى المناطق الفقيرة في اسبانيا ، يموت فيها الاطفال جوعاً وتفتك الملاريا بنسائها ويهاجر رجالها طلباً للعمل الى المناطق البعيدة في احد فصول السنة . وصور ستراند وموريل وزيمان فيلماً عن افقر المناطق الساحلية في المكسيك بطلب من حكومة المكسيك سنة ١٩٣٧ ، ويظهرون فيه حالة صيادي السمك في تلك المنطقة وفقرهم ووجوب العمل على حمايتهم من المستغلين الذين يشترون منهم ما يصطادون باثمان بخسة لا تقيم اود طفل . بل لقد رأينا في سنة ١٩٤٦ فيلماً من هذا النوع يخرجه في فرنسا نفسها مخرج افرنسي اضحى اليوم معروفاً هو جورج روكييه وفيلمه يدعى « فاربيك » يصور لنا روكييه في هذا الفيلم وفي صميم فرنسا وفي منتصف القرن العشرين عائلة قروية فقيرة تقاسمها بقرتها الوحيدة غرفة الطعام البسيطة، وشوارع القرية لم تصلها بعد ايدي الاصلاح فهي حمام من طين الشتاء الخ . الخ .

ومع ان روكييه قد (تجاسر) واخرج مثل هذا الفيلم في مثل هذا الموضوع ، فان احداً لم يرمه بالخيانة والرذالة ، بل لقد اشتهر اسمه ، بسبب فنه طبعاً ، منذ أخرج « فاربيك » .

سيقول مخلص متحمس بان فرنسا هي فرنسا وان اسبانيا هي اسبانيا ولن يسيء اليها مثل هذا الفيلم، موافق . لكن المكسيك؟ انها هي الاخرى بلاد حديثة مثلنا ومع ذلك لم يسيء اليها فيلم « ثوار الالفارادو » ولا تسيء اليها الافلام العديدة التي تنتجها اليوم والتي تظهر الفقر والمرض والجهل . بل على العكس فالناس يحترمونها من خلال افلامها ، اذ يجد رجالها المخلصون الشجاعة ، لمعالجة مثل هذه المشاكل بمثل هذه الطرق الفنية وهذا الشكل الجذاب الذي يفيد كل الفائدة في الكشف عن روح الامة الكامنة في شعبها وحياته وطرق معاشه ، وهذا كله يذكرني — ولا اعلم لاي سبب — بالمانيا القرن الثامن عشر التي تهافت فلاسفتها وادباؤها وعلماؤها على البحث عن المنابع الاساسية للعبقرية الغنائية الامة الالمانية ، فوجدوها في ابسط منتجات ابنائها، في القصائد الشعبية والحكايات العامية القديمة التي كان هانس ساشز قد جمعها في القرن السادس عشر* .

واخيراً ، فنحن امة خام ، جديدة على الفن وما تزال شبيبتها تتطلع اليه عطشى ولكن بجذر مؤسف ، فهل نريد ان نبدأ بكذبة ضخمة ؟ لا ، لا، ان الفن لا يحتمل الكذب وهو اجمل تعبير عن اعمق مشاعرنا الصادقة امام الطبيعة . اننا نبغض اكثر الافلام المصرية لانها قائمة على اساس كاذب اذ يكاد لا يخلو احدها من صور الباشاوات والحفلات والاغاني والاسموكينج والكأس : الباشا ذهب ، الباشا رجع ، الباشا في مكتبه ، الباشا يشرف على شعب الدواب الذي يقطف ارز مزرعته .

كأن اهل مصر جميعاً اصبحوا باشاوات واصحاب مزارع وسيارات مستوردة وكأن شوارع مصر واهل مصر ومشاكل مصر لم تعد بقادرة على ان توحي الى السادة السيناريست ولو بفكرة واحدة جديرة باحدى تلك التحف التي تغدق بها علينا السينما المصرية!

لنبدأ مع الفن صادقين يخدمنا الفن ونخدمه . لنبتعد عن الكذب في الفن فهو لا ينتج سوى السخافات ويعلم شعبنا منذ اليوم على احتقاره .

السينما فن والفن جهد وعرق ودم .

اننا نجد دهور الاستعمار لذا نحن لم نصور في افلامنا سوى البنايات الضخمة والسيارات الاميركية والشوارع العريضة النظيفة فقط ، ونعترف اعترافاً ضمنياً باننا اضحينا صورة — بالمعنى الخبيث للكلمة — عن بلاد المستعمرين ، بعقلية المتأخرين .

على العكس ، يجب ان نصور جهدنا من التقدم ، جهدنا في بناء استقلالنا الاقتصادي والفكري، جهدنا العلمي، عنوان الوعي الصحيح .

اننا امل اكثر منا واقع ، وقلة منا تعرف ذلك حقاً . ويجب علينا ان نبرهن لمن لا يعرفه على اننا أمل حقاً لا جثة محنطة في متحف السالفين .

باريس — صلاح دهني

---

* L. Reynaud : l'Ame allemande P.77 Edit. Flammarion

رباعيات جديدة

●

عبثاً تحـاول ان تطهّر انفسـاً ... من طبعهـا ، فالنفس لا تتغيرُ
والصقـل يحدث في القشور مرونة ... لكنـه في اللب ليس يؤثر
ما اسهل التمييز بين شهـامة ... هي فطرة وشهامة هي متجر
يُخفي الكريمُ عن النواظر فضله ... اما اللئيم فبـالرذائل يفخر

***

كن قوياً لتجعـل الحق فرضاً ... يتولى بقسطه الاحكاما
ظـالم يفتح النواظر خير ... من رحيم يغيث من يتعامى
ان حق الضعيف حـق ضعيف ... عصر الداء لحمـه والعظاما
اسخف النـاس ناعم مجمول ... يتمنى من القوي احترامـا

***

وقائلة : حتـام ترعى تجارة ... متاعبها للجسم اشبه بالقتلِ ؟
ومثلك اولى العـالمين براحة ... واجدرهم بالعيش في المرتع السهل؟
فقلت : لقد حمّلتُ جسمي فوق ما ... يطاوعه كيلا اجور على عقلي
واني راضٍ ان يكون على اللظى ... مسيري، ولا احتاج يوماً الى نذل

***

مـا حيلتي بخبيث يلتظي حسداً ... متى رآني تراخى قلبه هلعـا
يذيع عني اكاذيباً وينسبهـا ... لغيره ، فيضيع الجرم منصدعا
ان كان يعرفني صحبي وطغمته ... فليس يعرف نبلي كل من سمعا
اذا سكتّ تمادى في مفـاسده ... وان رددت غدا بالرد مرتفعـا

عاصم الارجنتين

الياس فنصل
من الرابطة الادبية الارجنتينية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكاء الاطفال

بقلم مهدي عيسى الصقر

فضلك سيد .. من فضلك

واخذ يشق بكتفيه طريقاً لزوجته ، وسط الزحام الصاخب ، الذي كانت تضيق به محطة القطار في بغداد .. ذلك اليوم .. ووجد بعد لأي، مكاناً لهولزوجته، فاجلسها ، واخذ يرص أمتعة المسافرين .. بعضها الى بعض .. حتى اوجد لحقيبتها مكاناً فوق الرف، فوضعها وجلس . وتنفس مرتاحاً ، فالحصول على مكان في القطار .. في ذلك الحشد المزدحم يعد نعمة عظيمة .. وبدأ الطفل يبكي . وارتسمت على وجه الرجل علائم الضجر والتذمر ، فما اشد ما يكره البكاء. بكاء الاطفال على الاخص .. واختلط بكاء الطفل ، بضجة الركاب ، وصياح باعة الخبز والجبن ، والزبد .. وهم يتنقلون بين العربات .. فكون دوياً مزعجاً . اخذ يقتحم اذني الرجل في عنف سبب له دواراً .. واحس بالدم يغلي في رأسه، ونظر لزوجته حانقاً ورمق طفله بغضب وود لو القاه من نافذة القطار . — ماذا افعل ؟ لا يسكت، انه جائع، لن يهدأ وامعاؤه خاوية . — ضعيه على ثديك اسكتيه .

— الا تعلم ان اللبن قد جف من صدري . ! ؟؟

وسكت الرجل على مضض انه يعلم ذلك ؛ فزوجته انقطعت عن ارضاع طفلها منذ اكثر من شهر لجفاف اللبن من ثدييها وادار وجهه صوب النافذة ، المحطة لا تزال تزدحم بالمسافرين ، الذين عجزوا عن الحصول على امكنة لهم ، فظلوا يتخبطون ، واحس بالرضا لانه جاء قبل هؤلاء ،والقى نظرة سريعة على ساعته فوجدها تشير الى الخامسة ، بقيت ساعة ونصف ، حتى يقوم القطار ، ساعة ونصف ، وعاوده الضيق ، كيف يقضي هذه الساعة والنصف ، في هذا الجو الصاخب، انه يود لو قام القطار قبل موعده ، لتهدأ الضجة قليلاً،لكن ابنه كان لا يزال يبكي،فالتفت الى زوجته .

— أشغليه، اسكتيه بحق السماء .

— اشغله بماذا !!؟ — ضعيه على صدرك .

— قلت لك ليس هناك لبن !!

— اعلم ذلك ، دعيه يمتص ، يمتص لعله يسكت .

— وحتى متى !! ؟؟

— حتى ينقطع نفسه او .. او ينقطع نفسي انا .

— انك تزعج نفسك اكثر مما ينبغي ، أكل الآباء هكذا ، لا يتحملون بكاء اطفالهم !؟؟

— انا لست ككل الآباء ، اني اكره البكاء ، اكره بكاء الاطفال .

وضحكت الزوجة ، وهي تضحك كلما اشتد بزوجها الغضب .

— تضحكين !!؟ — اتريدني أبكي ، انا ايضاً .!؟

وهدهدت المرأة طفلها ، ثم ادنته من ثديها، فاختطفه الطفل، وراح يمتص بصوت مسموع . فضحكت الام ، وابتسم الاب كارهاً . غير ان الصغير ، لم يلبث ان كلت شفتاه ، وعجز لسانه، دون ان تصل الى فمه قطرة من اللبن فترك الثدي حانقاً وعاد يبكي بقوة ، من ألم الجوع ، ومن ألم فمه المكدود ، وقد الهب امتصاصه للثدي رغبته في اللبن ، ففغر فاه ، واخذ صوته يزداد علوا وصخباً .

— يا لهذا الفم الواسع ، وددت لو حشرت فيه حجراً، اذا ظل ابنك على بكائه ، فسينفجر رأسي بعد دقائق .

واشفقت المرأة على زوجها هذه المرة ، فبكاء الطفل وصل الى درجة لا تطاق ، تذمر لها الركاب واخذوا يوجهون ابصارهم حيث الرجل وزوجته ، مما زاد في غضبه .

— لن يسكت بدون لبن ، قالتها بتذمر . لقد ضاقت بالطفل ذرعاً ، هي الاخرى . — الم تحملي معك علبة الحليب ؟؟

— انها معنا ، في الزنبيل .

— اذن لماذا لا تعطينه ، ماذا تنتظرين ؟!

ولم تستطع المرأة ان تكتم ضحكها .

— كيف اعطيه ، أذر المسحوق في فمه ذراً !!؟ ينقصنا السكر والماء الدافيء .

— هه، سكر، وماء دافيء، ومن اين لنا بالسكر والماء الدافيء، بين هذه الجثث الآدمية المكدسة، بعضها فوق بعض!؟



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسمع بعض الركاب هذا الحوار بين الزوج وزوجه، فقام احدهم.

— امعكم زجاجة ؟ واسرع الاب فأخرج الثدي الصناعي من بين الامتعة . . ودفع به الى الرجل . . وبعد برهة، عاد الراكب وقد ملأ الزجاجة ، ماء ساخناً .

— لا اعرف كيف اشكرك . . لقد أديت لنا خدمة كبيرة ايها السيد ، — العفو ، وبقيت مشكلة . فالطفل لم يكد يضع الزجاجة في فمه ، ويمتص منها قليلاً ، حتى دفعها بلسانه ، وعاد الى بكائه . — يا للعصبية ، ماذا يريد ابن ال . . !!؟

— يرفضه لانه خال من السكر .

— عجيب ، يرفضه لانه خال من السكر ، ان ابنك هذا ، لعنة ، لعنة من السماء .

من اين لنا بالسكر الآن ! ؟؟ واخذ هذا السؤال يتنقل بين الركاب .

— أليديك سكر ايها السيد ؟؟ — لا . . مع الاسف .

— وأنت ؟ — وانا ايضاً ليس معي سكر .

وارتفع صوت نسائي رقيق ، يقول — لدي سكر يا سادة، فجفل الرجل لدى سماعه ذلك الصوت ، وكأن صاعقة هبطت عليه وادار رأسه بسرعة فصدمته عينان ، يا للسماء ، واشاح بوجهه ، واحس بضيق شديد . واوصل احد الركاب السكر، فأخذه شاكراً للراكب صنيعه ، اما صاحبة السكر ، فلم يلتفت اليها خوفاً من ان تلتقي عيونها . . انه يخشى هذه العينين . . لقد نسيها ، نسيها منذ زمن بعيد ، ولعن المصادفة المزعجة التي جمعته بصاحبتها، وفكر في نقل امتعته ، والنزول هو وزوجه ، هرباً من هذه العيون التي تذكره بماضيه ، الملطخ الاثيم ، لكن اتراه يجد مكاناً يحميها ، لو فعل ، ونظر الى ساعته . . كانت قد بقيت عشر دقائق ، فقط ؛ على حركة القطار ، ولو كان لديه وقت ، لما وجد مكاناً، وسط هذا الزحام الذي تضج به العربات، واخذ ينظر من زجاج النافذة، كانت خيوط الظلام ، تتكاثف شيئاً فشيئاً ، فلم ير سوى اشباح باعة الشاي ، والسجاير ، والبرتقال ، وهم يتراكضون ، وبعض عمال المحطة يسيرون بمصابيحهم الملونة . . وقليل من الركاب ، هبطوا لقضاء حوائجهم، ومضت الدقائق العشر ببطء . . وارتفع صفير القطار ، ثم تحرك ، وهدأت الضجة ، وكان الطفل قد شرب حليبه فنام لا يعرف اهبت شمال ام تهب جنوب ، ولم يشعر الاب بهذا الهدوء الذي تمناه ، فقد اثارت صاحبة العيون في نفسه ضجة عنيفة . . ست عشرة ساعة سيقضيها مع هذه المرأة في مكان واحد حتى يصل الى البصرة . انه يخاف ، يخاف نفسه ، يخاف ان يضعف ويتخاذل امام هذه العيون التي اخضعته في الماضي لسلطانها ، ومرت امامه حياته في صور قصيرة خاطفة .

— لماذا لا تشرب ؟؟ — انا لا اشرب الخمر .

— امر غريب !! — لا غرابة في الامر .

— هنيئاً لك الجنة .

— لا تهزئي انا لا اشربها ، لاني اكرهها فقط .

— لو جربتها لما كرهتها . ثم التفتت الى صحبه قائلة :

— ان زميلكم لا يصلح لهذه الجلسات .

— لن ازعجك بوجودي مرة اخرى .

— لماذا انقطعت طوال هذه المدة ! ؟؟

— لاني لا اصلح لهذه الجلسات .

— كنت اضحك معك . وصوبت اليه عينيها ، اني اود ان اراك اود ان اراك دائماً . وصرخت عيناه :

— وانا ايضاً اود ان اراك دائماً .

ولم ينقطع بعد ذلك .

— لماذا لا تتحرر من هذه الافكار البالية .

اشرب ، اشرب فالحياة خمر وجسد .

— لا ترغميني على ما اكره .

— انك عنيد ، ولانك عنيد فأنا احبك .

ومرت الايام وهو غارق في غرامه المدنس ، وفجأة ، هبطت امرأة اخرى حياته . كانت نقيض تلك ، عذراء طاهرة فصقلت روحه ، وانتزعته بنقاوتها من ذلك الوسط الملوث ، فتزوجها ، ونسي صاحبة العيون . . ومرت سنين اصبح فيها ابـاً ، وزوجاً لزوجه ، وها هي المصادفات السيئة تجمعه بها مرة اخرى وبدون

صدر حديثاً :

الشعر العربي

في بلاطات الملوك

لنسيم نصر

منشورات دار مجلة الاديب

اطلبه من جميع المكتبات

وعي ادار رأسه ، فاذا بتلك العيون تنفذ الى اعماقه وكأن صاحبتها تقول . . اجل ، وهنا انا مرة اخرى . افحقاً نسيتني ام تناسيتني ، كم هو خائف ، خائف ان تعيده الى سلطانها ، ووقف القطار في احدى المحطات — فتشاغل بمشاهدة النازلين من الركاب ، خلال زجاج النافذة . وتحرك القطار ، وهو يحس بعيني المرأة تسلطان اشعتها على مؤخرة رأسه، لا بل ابصر بها امامه، متمثلة في ذكرياته فشاهدها في اوضاع مختلفة ، ورآها متجردة . .متجردة من كل شيء . ومرت الساعات والرجل يعيش في ماضيه ماضيه الخاطىء وسمع زوجه تقول :

— ماذا اصابك ؟؟ — لا شيء .

— الا تحس بالجوع ؟؟ — لا . . احس بالشبع .

واخرج لها شيئاً ، فأكلت ثم اسندت رأسها الى الكرسي ونامت مجهدة وظل الرجل يصارع تلك العيون ويتحاشاها واخرج كتاباً وحاول ان يقرأ ، ومر ببصره على العنوان (فلسفة الحياة) لتولستوي واخذ يطالع الحروف الصغيرة، لكن العربة تهتز فتتراقص الحروف التي لا يقر لها قرار . .ونظر من زجاج النافذة فلم يرشيئاً فقد كان الظلام يخيم على الصحراء فلا يبدو شيء . . عدا صورته المنعكسة على زجاج النافذة واتكأ برأسه على الكرسي واغمض عينيه وحاول النوم فلم يفلح، فتظاهر به ، ومرت برهة من الزمن، واذا بعينيه تنفتحان ، وبرأسه يتحرك — على الرغم منه — ليواجه تلك العيون الجبارة الساحرة، فوجدهما تقولان لن تستطيع الفكاك، وشعر بقلبه يضطرب . .واحس بالضعف ، وكادت عيناه تستسلمان لكنه اشاح بوجهه بسرعة . . وكساه مسحة من الجد والصرامة، لن تخضعه ، لن يخون زوجه، هذا مستحيل ان التفكير فيها خطيئة لقد مضى ماضيه الملوث وانقضى انه يحمد الله على تخلصه من ذلك الغرام الاثيم . .ومن ذلك الوسط الذي تملؤه رائحة الخمور وتسيطر عليه الشهوة العمياء . . وظل يكرر مع نفسه هذه الكلمات ، ومرت الساعات ، ونامت عيون المسافرين وبقيت اربع عيون ، لم يغمض لها جفن ، عيناه تنظران الى زجاج النافذة ، في الظلام ، تستعرضان ماضيه المضطرب ، الصاخب، وعيناها تنظران الى ظهره، تترصدان حركاته، وقرب ساعته الى عينيه انها الثانية بعد منتصف الليل ، هناك ثماني ساعات اخرى ، حتى يصل القطار الى مدينة البصرة . .ستنتهي هذه الساعات ، دون ان يلتفت الى صاحبة العيون ، صاحبته ، لن يضعف لن يضعف، ان يعود الى تلك الحياة الموبوءة ، حياة الدنس والاستهتار ، واحس براحة وهو يكرر لنفسه هذه الكلمات، ودار عقرب الدقائق ، اربع مرات ، والقى نظرة على ساعته ، انها السادسة ، وبزغت الشمس تبسط اشعتها الذهبية ، على الصحراء المعشبة ، وحرك رأسه ، ليطرد عن نفسه الكسل ، واذا بوجهها يطالعه، وقد اجهد عينيها السهر، فتكسرت اهدابها . . وتدلت خصلة من شعرها الفاحم ، على جبينها الناصع العريض يعبث بها النسيم، واذا بالكلمات التي كان يكررها لنفسه عن مساوىء حياته الماضية . . تفقد تأثيرها ، ووجد نفسه يلتفت بين الحين والحين ويطيل النظر اليها ، واحس بشيء خفي يجذبه لماضيه . ومرت الساعات وعيناه تتخاذلان شيئاً فشيئاً . . وحين بلغت الساعة العاشرة ، ووصل القطار الى المدينة كان الرجل قد فقد سيطرته على نفسه ، واسلم الزمام لصاحبة العينين ، واحست المرأة بانتصارها ، ووجدت ان عينيها قد ادتا عملهما . . فلتشرك شفاهها في الهجوم . . اجل لم يبق سوى ان تبتسم ، فيجيبها بابتسامة وتبتدأ علاقتها الآثمة من جديد ، وبدأ الركاب يغادرون العربة ، فنظرت اليه ، وانفرجت شفتاها عن اعذب ابتسامة ، ولمعت عيناه ، (وهيأ للفم الابتسام) ، فصرخ الطفل باكياً — الا تحمل ابنك؟ فانتبه الرجل وهزته الكلمة الاخيرة هزاً عنيفاً ، ابنه . ؟ والتفت الى زوجته فوجد ابنه يكاد ينفجر من كثرة البكاء، وفي لحظة نسي كل شيء، نسي ذكرياته، وماضيه، نسي المرأة وعيونها الساحرة وشفاهها التي ظلت تبتسم منتظرة الجواب . شيء واحد شغل تفكيره ان طفله ، ابنه ، يكاد ينفجر من كثرة البكاء . وحمله برفق واخذ يهدهده ، وحمل الشيال الحقيبة وسار خلف الزوجين ، واستقرا في احدى عربات الاجرة فانطلقت تقطع الدرب بهما الى البيت، بيت الزوجية الهادىء ، ورفع الرجل عينيه الى زوجته فوجدها تنظر اليه نظرات حزينة ، بائسة ، فأحس بضآلته . واطرق بعينيه، لقد فهمت كل شيء ، لكنها لم تقل شيئاً . . يا لحقارته . . كاد يزل فيخون زوجه التي منحته كل حبها واخلاصها ، وتحركت يداه فامسكتا بيدها بين راحتيه، وقالت عيناه تعتذران، انها نزوة، نزوة عابرة ، لن اعود لمثلها ، وتساقطت دموع الفرح من عيني الزوجة المسكينة ، وكان الطفل طوال هذه المدة ، يصرخ ، ويصرخ بشدة ، لكن الاب لم يبد عليه الضجر او التذمر هذه المرة ، بل على العكس ، ظل يبتسم وكأنه يستمع الى اعذب الالحان .

اجل ، كان بكاء الطفل ذاك اليوم لحناً سماوياً ، انقذه من السقوط في الهاوية وصده عن حياة الأثم ، والخطيئة .

العراق - البصرة

مهدي عيسى الصقر

الحياة واللغة

بقلم ابراهيم العريض

☆☆☆

عناصر التعبير

كان موضوع اللغة وصلتها بالحياة يشغل بالي كثيراً. والذي كان يبدو لي — لاول نظرة — ان وسيلة الانسان في كل امة للتفاهم مع بني جنسه هي هذه «اللغة» فلولاها لا نحلّ كل اجتماع. واصبح لا يعيش الفرد منا الا لنفسه. عيشة الساغة . . لا تتعدى شئونه سحابة يومه الذي هو فيه . . لا بل اللحظة التي هو فيها. فكنت استنتج ان الانسان اصبح بفضل اللغة — كما يقولون — مدنياً بالطبع. فقولنا باننا «نتفاهم» باللغة انما كان يعني اننا نشرك الغير باللغة في قسمة حياتنا، بالقدر الذي نندمج بآيتها في صميم حياة الآخرين. لاننا في الواقع لا نقتصر في «التفاهم» على مجرد معناه اللغوي الضيق. بل ننعم في اللغة — وبفضلها — بحياة اتم من حياة الحيوان.

وكان يبدو لي من غريب امر اللغة اننا نستطيع ان نتفاهم — بالمعنى الشامل — في حدود كلمات معدودة هي التي يتألف منها المعجم. وهي عندنا — كما بينها النحاة — لا تتعدى الاسم والفعل ثم الحرف[1]. فهي الاصول التي نعتمد عليها في الاخذ والرد. ثم نحتفظ فيها — مع ذلك — بكل هذه الفوارق الدقيقة والمميزات بين شخص وآخر التي ندركها مشاهدة في الحياة. حتى تبين لي — بعد لأي — ان تفاهمنا في حدود هذه الكلمات — كما نريد — يتجاوز مفرداتها الى القوالب[2] التي نستعملها فيه، فهي التي تجعل للكلام منحاه. لا بمعنى «النحو» الضيق . . بل شاملاً كل نواحي البيان.

ولا يمكن الحال الا ان يكون كذلك ما دامت الكلمات نفسها بحكم كونها «رموزاً»[3] لا تعني — ولا يمكن ان تعني — في ذاتها شيئاً. لولا انها تحرك في الذهن صورة ما تدل عليه مما اختبره الانسان مواقعة في الحياة.

هذا هو الذي جعلني اعيد النظر من جديد في اللغة. لا معنى في درسها كعامل اساسي للتعبير عن الذات. كما اعيد النظر في الادب — على اختلاف مظاهره — لاستوضح كيف تسنى للادباء ان يجعلوا منه بحق سجل الحياة.

***

واذا رجعنا باللغة الى نشأة الطفل الاولى وجدنا ان اول سبيل لمعرفة الطفل هو تعيين الاشياء والدلالة عليها بأسمائها. ولذلك فانه يبدأ — اول ما يبدأ — بالمحسوسات التي تحيط به. بابا ماما. يدل عليها بأسمائها، حتى تتدرج به المعرفة الى ادراك الصلة بين هذه المحسوسات.

و«الاسم» هو العامل الاول في حياة الطفل للادراك. ولكنه بذاته لا يدل على الحياة . . لان «الرمزية» فيه لا تتجاوز دلالتها الشيء ذاته . . حتى يقترب به عامل الزمان. ولذلك لا يمكن تصور «فعل» الا مقترناً بالزمان، حيث ان الزمان هو الذي يبعث في المادة معنى الحركة.

ولادراك الصلة بين المحسوسات امكن تجريد الفعل عن القائم به. لامكانية اشتراك اكثر من فاعل في الفعل نفسه. ولكن

---

(١) انها عند غيرنا من الامم على خلاف ذلك. فالانكليزية مثلاً تجعل لكل من الضمير والصفة والظرف باباً في النحو مستقلاً. كما تفرق بين بابي الجر والعطف في الحروف. وتجعل لما نسميه «اسم الفعل» . . . «كأوه وآه . . .» شأناً خاصاً يستقل ببابه.

(٢) لقد فطن الى هذه الحقيقة العلامة عبد القادر الجرجاني. ولكنه بين البلاغيين كان يصرخ في غير واد.

(٣) راجع «الالفاظ رموز» (الاديب — ١٩٤٧).

هذا التجريد للفعل م كان ليتم لو لم يعد – بعد – اسماً يدل على معناه غير مقترن بالزمان. كما هو الشأن في مصادر الافعال. . . المشتقة من الافعال . . في قولنا ضحك ضحكاً وبكى بكاء. وفي اسماء المعاني . . التي تدين بوجودها الى « تبلور » الافعال. . كالحكمة والحرب والعقل والجنون .

وقد تضاربت آراء علماء اللغة في ايهما سابق للآخر. . الاسم او الفعل . فقد كانت عقدة الخلاف بين البصريين والكوفيين في اصل المشتقات أهو المصدر ام الماضي . ومن الصعب الادلاء بحكم عام يضع حداً للخلاف . . في مسألة تاريخية بحتة . غير انا اذا اخذنا بالظواهر لم نبعد كثيراً عن الواقع اذا ملنا للحكم بان الاسماء قد سبقت الافعال في الوجود في كل ما يتصل بالمدلولات ذوات الحيز . . كالشمس والقمر والناقة والجمل والرمل والحصا. ولكنها كانت تتخلف عن الفعل ولا تنشأ الا عن اصله الثلاثي في كل ما له مساس بالاحاسيس. . فالرحمة والغضب والسعادة والسرور والنعمة والشقاء ترجع الى اصولها الثابتة في افعالها . وكذلك الحركات الارادية التي يقوم بها ذوو الاحساس . كالضرب والبكاء والقراءة والكتابة والبيع والشراء فان الاسماء فيها تالية للافعال لانها تقتضي ربط الغاية بالوسيلة من جهة والنظر الى فترة غير قصيرة من الزمن يقتضيها نوع العمل نفسه من جهة ثانية. اما الافعال غير الارادية او اللازمة لذواتها فأمرها اكثر تعقيداً .

***

ولتمييز احوال المحسوسات نشأت « الصفات » . فان لكل موصوف صفات لازمة هي التي تفرده بخصائصه في الوجود ، وقد امكن ايضاً تجريد الصفات من ذواتها لامكانية اشتراك اكثر من ذات في الصفة عينها . ولكن هذا التجريد للصفة ما كان ليتم لو لم تعد – عندنا – اسماً يدل على الحال بالمقارنة بين شيء وسواه . وهذا ظاهر في قولنا كبير وصغير وقريب وبعيد وطويل وقصير حيث اتخذنا الابعاد اساساً للتمييز .

فالصفة تستلزم حتما النظر الى حالتين لالتماس مائز الشيء ذاته، ومن هنا صح اشتقاقها من الفعل مباشرة لارتباطها بعامل الزمن . كما في الكلمات نائم ويقظان وقاتل ومقتول وبخيل وجواد. فهذه صفات لا تدرك احوالها على حقيقتها بدون الالتفات الى معنى الفعل فيها . وقد تستلزم الصفة النظر الى ذاتين – لا حالتين – لتلمس وجه الشبه بينهما. فالكلمات اسود وناعم ومعدوم لا دلالة لها في ذاتها بدون النظر الى المعنى المقابل لصفتها في اضدادها ابيض وخشن وموجود.

وهكذا تنتقل بنا اللغة بدافع حسنا الحيوي من تلمس المشابهة الى الجمع والتفرقة بين الاضداد .

***

ولتبين أوضاع المحسوسات نشأت « الحروف». فهي لا ترمز الى ذات او تحرك لها صورة ابدا، وانما تحمل الاسم، او الفعل، معنى اضافياً تحتل به المحسوسات موقعها النسبي في الوجود . او تحدد في دورة الزمن نشاطها . فقي قول القائل .

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

جملة اسمية لا اثر للفعل فيها . ومع هذا فان الحروف تضطلع بهذه المهمة . . التي يختص بها الفعل عادة. . فالحروف هنا هي التي تصور الاوضاع في الحالين . . وان لم تقيد الحالين بزمان . كما انها تضطلع بمهمة الصفة في تمييز الذوات . فالاول من المستجيرين غير الثاني. وما امكن التفريق بين صورتيهما الا بفضل هذه الحروف وحدها .

وكذلك في قول شوقي :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء

حيث لا ترى الا سلسلة من المصادر يتعلق بحلقاتها الشاعر لتصوير احوال . فـ « الفاء » هنا هي التي تدور عليها – بالترادف – كالرحى ، معاني كل هذه الكلمات . فتوهم بالحراك .

وهكذا قامت عندنا اللغة على اضلاعها الثلاثة . . من الاسم والفعل بظاهرهما الحرف . . فتم لها عناصر التعبير. فاذا كان ركنا الجملة او حداها – على حد تعبير النحاة – هما المسند والمسند اليه في كل ما يدور حوله الكلام . فسواء اكانت الجملة اسمية ام فعلية فانا لا نستطيع ان نتبين وجه الاسناد الحقيقي بين هذين الا في هذه « الاضافة » التي تقوم في الاغلب بينهما بالحروف . . واحياناً بدونها . هذه الاضافة التي يتخذها « النحو » موضوعاً لدرسه في جميع اللغات .

ونرجو من القارىء الا يخلط بين ما نعني من « وجه الاسناد » هذا الذي عليه في كل موضوع مدار الكلام. وبين « الرابط » الذي يقدره النحويون فيقولون « لولا الرابط بين حدي الجملة لكانا كلمتين متواليتين لا علاقة بينهما ولا فائدة منهما ». لان وجه الاسناد يتجاوز الموضوع الى ذات المتكلم نفسه .

وهذا ما نتناول شرحه في الفصل التالي .

البحرية ابراهيم العريض

بونسون دي تيراي العجيب

في فرص الصيف الممتعة الطويلة ، يستطيع قراء الروايات البوليسية، وكتب المغامرات، الانصراف الى هوايتهم هذه المحبوبة. وعندها يحسون بذكرى الفيكونت « بونسون دى تيراي » تراودهم كيف لا والفيكونت احد ارباب القصة البوليسية ؟

ولد الفيكونت في « موغور » في جبال « الالب العليا » سنة الف وثمانماية وتسع وعشرين ، اي انه قد مضت على ولادته نيف وماية وعشرون سنة، وما اكثر القراء الذين سكروا بنشوة الحماس عند قراءة « روكامبول » وغيره من مؤلفاته الملأى بروح المغامرة والثورة. والعجيب ان التافه من مؤلفاته كان يلاقي من الرواج ما يذهل النقاد الفرنسيين في عصره . وقد تمتع القصصي الفيكونت ببعض التقدير والشهرة في اوساط ادباء عصره اللامعين اذ كتب الاخوان غونكور في اليوميات حول اعجاب « ادمون أبوت » به، وكتب « مريميه » الى ستندال يقول : ليس في فرنسا اليوم غير نابغة واحد، هو الفيكونت «بونسون دي تيراي » فهل اطلعت على قصصه ؟ انه اقدر من وصف الجرائم والجنايات . اما انا فاعجابي به شديد .

وفي سنة الف وثمانماية وخمسين ذاع صيت صاحب روكامبول بعد نشر عدة روايات في مجلة« كوليس دى موند» ومنذ ذلك الحين تدفقت عليه عروض العمل من مختلف ادارات الصحف والمجلات الفرنسية . واخذ هذا المؤلف المعطاء يوزع نتاجه الغزير بين هذه جميعها . وسرعان ما تعشقه جمهور غفير من القراء واخذ يتتبعه في لهفة وشوق ، وبعد ذلك اصدر مئات المؤلفات بمعدل سبعين مؤلفاً في العام ، ولا حاجة بنا الى الاشارة الى نوع هذه المؤلفات .

وهذا النتاج الضخم جر صاحبه الى مفارقات كثيرة . فهو — وقد خلق آلافاً من الشخصيات — يصف مقتل بعضها في قصة، ويعود في قصة تالية ، ويبعثها ناسياً انها ماتت في القصة السابقة، وان القراء شيعوها الى مقرها الاخير باكين . بل انك كنت ترى موتاً وبعثاً في كتاب واحد فتعجب او تحزن — حسبما تريد . ثم ألهم المؤلف حيلة تنجيه من امثال هذه المفارقة ، فكان يصنع عند الشروع في كتابة قصة ، لعباً من الشمع والخشب ، تمثل ابطاله ومخلوقاته وهكذا كان المؤلف يرمي تمثال البطل الميت، في سلة معينة ، بعيدة عن طاولة العمل؛ وكانت اخته «هورتانس» تجاس قرب هذه «المقبرة» وتعطيه التعليمات عن الموتى والمحشرجين وكثيراً ما صاح المؤلف :

— هورتنس ، المركيز السفاح عندك ؟ — نعم .

— اعيديه الي . فانه في الحقيقة لم يمت . بل عليه ان يتزوج « ساحرة الغابات ».

ويعود المركيز البطل من هوة الفناء، الى اعياد الزواج وسرحات الحب ولاشك ان هورتنس تعبت كثيراً يوم الف الفيكونت رواية « مآسي باريس » لان في هذه الرواية ما يزيد على خمس وسبعين جناية وثمان وثلاثين مبارزة وتسعة وعشرين اختطافاً .

وقد يتساءل القراء «وكيف كانت تتسير للمؤلف هذه الغزارة الهائلة ؟ » يجيب على هذا السؤال ارمان برافيال فيقول « كان دى تيراي يستيقظ بين الساعة الرابعة والخامسة صباحاً . ويعكف على الكتابة حتى الحادية عشرة، وهكذا ينهي عمل نهاره، ويهبط من مسكنه في الطابق الخامس لينطلق في شوارع باريس الصاخبة بلاهيها وحاناتها ، وزواياها السوداء. اما المساء فيخصصه للتدرب على المصارعة والمبارزة بالسيف او النزهة في الغابات ، وكان يجهل كل شيء عن الحياة البوهيمية التي اعتادها بعض الادباء والفنانين » .

وتجمعت لدى كاتبنا ثروة كبيرة وليس هذا كثيراً على من تيسرت له تلك الشعبية الواسعة والشهرة الشاملة، هذه الشهرة التي قادته الى المتاعب .

دخل احد الغرباء يوماً الى مكتب المؤلف في ادارة احدى الصحف وقال دون ان يتعرف الى شخصية « بونسون ».

— عم مساء يا سيدي، كان لدي موعد مع مدير هذه الصحيفة، وقد تأخرت . آه لو تعلم السبب .

السبب يا صاحبي هو انني كنت منهمكاً في مطالعة كتاب لترونسون دو بواتراي Tronçon de Poitrail وثار المؤلف، لما في هذا التحريف في اسمه من سخرية، ثم هدد بارسال شاهدي المبارزة اليه. غير ان الزائر صحح الاسم قائلاً : تأخرت لانني كنت اقرأ كتاباً للسيد بونبون دو سيراي Bonbon de Sérail.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعمـــاق

∴

لا تهابي
هذه الريح التي تُطرد من باب لبابِ
ذلك الافق الذي ينمو برعب واضطراب
والدروب ،
انهـــا ملعب احلام شبابي
هي بعضي
انها تلتف كالافعى ولكن . . لا تهابي
هي بعضي
هي اعماقي التي تجهل ما بي
هي افراحي التي تصفر في وحشة غـــابي
ها هنا كم شيد الطفل امانيه رمالا
وتلالا من تراب
ها هنا كم جئت والامس فتى غض الرغاب
فتغنيت بعينيك ، بحبي ، بعـــذابي
ها هنا ادركت اعماقي التي تجهل ما بي
لا تهابي
لست الا هذه الريح التي تطرد من باب لباب
لست الا ذلك الافق الذي ينمو برعب واضطراب

بغداد — بلند الحيدري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحس الكاتب،ذو الروح الانسانية ، بان مخاطبه على شيء من حب الدعابة ، فابتسم وترك له المجال مفتوحاً .

ونتج عن انتاج«بونسوندى تيراي» الغزير كثير من الطرائف في التعبير ، مثل :« ومدت السيدة اليه يداً مثلجة كيد الافعى »

«وترأس الحمار الحملة،بعد ان طالع كثيراً حول الفنون الحربية».

« وفي ذلك المساء ، قبل شروق الشمس بقليل ».

«اخذ الجنرال يطالع،وهو مغمض العينين،بعض المجلات الرخيصة »

« جلست الفتـــاة على بساط مخملي اخضر ، من الاعشاب ، وراحت تجاهد لكيلا تقع عن ظهر جوادها ».

« وتقدم البطل شاهراً مسدسين في كلتـــا يديه وفي اليد الاخرى سكيناً .

« وضعت هذه المرأة في نار مشتعلة ، ولم يبق منها غير رمادها، وبعد قليل صرخت» الى آخر هذه العبارات التي تدل على التسرع.

وفي اثناء حرب ١٨٧٠ جرد صاحب روكامبول عـلى نفقته الخاصة حملة تليق بروح « روكامبول » ومغامراته الوثابة ، ولكن الجيش البروسي بدد هذه الحملة الجريئة،وانتقم قواده من المؤلف ، فاحرقوا املاكه في جبال الاورليانيه . ومات هذا المؤلف العجيب سنة ١٨٧١ .

مكتبة الاديب



الشعر العربي في بلاطات الملوك

لنسيم نصر – ١٢٢ صفحة – منشورات دار مجلة الاديب

الوحدة الموضوعية ظاهرة تكاد تكون مفقودة في كثير من المنتجات الادبية المعاصرة. فكثير من الكتب التي تخرجها المطابع اليوم ليست الا مجموعات من المقالات او الاقاصيص، لا يصل بينها اتجاه واضح، ولا يجمعها هدف معين، بل يكاد لا يكون لها من معنى الكتاب الا اجتماع موادها بين دفتين.

وامثال هذه المؤلفات كثيراً ما توسم بعنوان أحد فصولها او بعنوان غريب لايصف هذه الفصول متفرقة، ولا يفي بها مجتمعة، فاذا نوقش المؤلف في ذلك اعتصم بعلم البيان، وتذرع بالمجاز المرسل. وواقع الامر: ان الوحدة الموضوعية وحسن التنسيق شرطان اساسيان في كل ما يسوغ ان يسمى كتاباً.

وبين يدينا الآن كتاب من هذا القبيل، واضعه السيد نسيم نصر استاذ الادب العربي في كلية الشويفات الوطنية وعنوانه: «الشعر العربي في بلاطات الملوك». وقد اهداه المؤلف الى معالي الدكتور رئيف ابي اللمع وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة.

قدم للكتاب الاستاذ الشيخ عبدالله العلايلي بكلمة موفقة صدرها بتعليل بارع للقول المأثور: «اعذب الشعر اكذبه» فسمى الكذب الشعري «صدقاً فنياً» وهو في رأينا كذلك حيث قصد منه الاطناب نظير قول المتنبي في وصف اسد:

ورد اذا ورد البحيرة شاربا ... ورد الفرات زئيره والنيلا

اما حيث جاء معبراً عن عاطفة جامحة فلعل تسميته «بالصدق الشعوري» اوفق، كما في قول ابن الرومي راثياً احد بنيه:

ثكلت سروري كله اذ ثكلته ... واصبحت في لذات عيشي اخا زهد

ذلك لان «لغة العلم» لا تفي بحق الاعجاب الفني، ولا تصور الطغيان العاطفي، لذلك كانت المبالغة «كذباً» بلغة العلم، و«صدقاً فنياً» بلغة الادب، و«واقعاً شعورياً» بلغة العاطفة.

اما مشتملات الكتاب فسبعة عشر موضوعاً، بعضها في الادب وبعضها اقرب الى التاريخ، على ان خمسة منها تشكل صميم الكتاب، وتدور حول موضوع واحد هو الشعر الذي قيل في اطراء الملوك، ومن ثم تسمية الكتاب «بالشعر العربي في بلاطات الملوك». اما سائر مشتملاته فبعضها يتصل بهذا «القلب» من طريق «شرايين» فرعية، وبعضها الآخر ملحق به الحاقاً. ولما لم يكن المقصود من هذه الكلمة ان تكون دراسة ادبية للكتاب وكان المجال لا يسمح بارسال الكلام في هذه الجهرة من الموضوعات، اجتزأنا بمعالجة «الصميم» دون التوابع واللواحق.

يخطر للقارىء، لدى وقوع نظره على عنوان الكتاب، انه بحث علمي نقدي للشعر الذي قيل في مدح الملوك: من حيث العناصر التي قام عليها، والمميزات التي تميز بها، والاغراض التي قصد اليها، والمناهج التي سلكها، ولكن سرعان ما يتبين له: ان المقصود بالموضوع اربعة من الشعراء المداحين الذين الحقوا انفسهم بالملوك، ووقفوا عليهم الكثير من مديحهم. فالبحث لا يتناول مباشرة «فن الاطراء» بل «اعلام الاطراء»، وهؤلاء الاعلام هم النابغة والاخطل والمتنبي وشوقي.

بحث المؤلف كلا من هؤلاء الاربعة على حدة، فاوجز في النابغة والاخطل، واطال نسبياً في المتنبي وشوقي. ولئن كان بحثه في كل من هؤلاء بعيداً عن ان يكون دراسة شاملة، الا انه – والحق يقال – ذو فائدة توجيهية عظيمة لانه يثير الكثير من المسائل الادبية التي تدعو الى التأمل ولقد اطال المؤلف في النواحي التاريخية من ابحاثه، واقتضب في المواطن الفنية، فاسهب في صلة الشاعر بممدوحه. واوجز في تحليل اسلوبه الشعري ومزاياه الفنية. فلم يعالج العناصر التي ترتكز عليها شاعريته، ولا حاول اماطة اللثام عن اسرار «الروعة والابداع» في شعره، ولا تصدى لاظهار عوامل النبوغ والتفوق الفني عنده، بل كان جل ما اورده في تحليل الشاعرية احكاماً عامة و«ثناء عاطراً» فقوله في ابيات النابغة: (ص ٤٣) «فهي ابيات غنية عن الشرح والتأويل والتفسير، فأخلاف المجد، والتتويج بالمعالي، والضيغم في صورة القمر، والربيع المنعش بسيبه.. والليل المدرك الهارب منه.. كل هذه المعاني مما يدهش الناس..» يشهد له بالذوق وحسن الاختيار، لا ببلوغ الغاية من تحليل الشاعرية. وكذلك قوله في شاعرية الاخطل

(ص . ٥ – ٥١) :« ولقد تغلبت شاعرية الاخطل على حواجز كثيرة : فكان على رغم من غربة الدار والدين والعصبية، وبعض العادات والاخلاق ، يرود دنيا من الشعر حافلة بالخيال والعقل والابداع . . وانني ارى هذه الشاعرية النشوى . . تتدفق بالمنظوم الرائع محببة اليك خيال الجاهلية في روائه الاموي . . شاعرية تصلب مرة كشاعرية الفرزدق ولا تنبو نبوتها عن الذوق ، وتلين اخرى كشاعرية جرير دون ان تهوي مثلها عن مقارعة النفس الجاهلي ». على ان نقده جاء احكم وادق حيث عرض لشاعرية المتنبي وشوقي، لكنه مع ذلك لم يتحرر من الاحكام الجارفة . وحيث بدا له ان يشير الى شيء من المميزات الادبية ، ضن باظهار قيمها الفنية (انظر ص ٥٨ و٧٤) .

على ان الناحية التي بلغ فيها المؤلف اعظم توفيقه انما هي تحليل الشخصيات وهو دليل على فهم دقيق لنفسية كل من هؤلاء الشعراء. وقد اجاد في جعل هذا التحليل النفسي نقطة الارتكاز في ابحاثه : فاحوال العصر ، وسيرة الشاعر ، وشخصية الممدوح ، واحداث البلاط ، كلها هذه يراها المؤلف بعين الشاعر ، ويجعل منها جوا ملائماً لبسط الوجهة الادبية المقصودة .

ولا يجوز ان نختم هذه الكلمة دون ان نشير الى ما اخذه المؤلف على الدكتور طه حسين . فقد تراءى له ان اديب مصر وقع في تناقض مشؤوم عند كلامه عن فلسفة المتنبي . فاورد قوله :

« ان الناس ظنوا المتنبي فيلسوفاً وهو ليس من الفلسفة في شيء. »

ثم اتبع ذلك باقوال للدكتور رأى فيها نقضاً لهذا الحكم منها : وقوله في قصيدة المتنبي انها « تصور علم المتنبي بطبائع الناس وحرصهم على الحياة ، وتفتح لابي العلاء باباً من الفلسفة والتفكير (ص ٦٣). وقوله : « ثم ينتهي بهذه القصيدة الى فلسفة مظلمة حزينة » وقوله في تعليقه على وصف المتنبي للحمى «والمتنبي في هذه الابيات بلغ الفلسفة العليا ». فالمؤلف يرى بين الاقتباس الاول من جهة ، والاقتباسات الاخرى من جهة ثانية ، تناقضاً صريحاً ، ولذلك يعلق عليها متهكما : « فكيف يكون ابو الطيب فاتحاً لابي العلاء كل هذه الابواب والنوافذ الفلسفية . . ومنتهياً الى فلسفة عليا . . والى فلسفة مظلمة حزينة . . ولا يكون من الفلسفة في شيء ؟» (٦٢ — ٦٤).

والواقع ان المتنبي كان كذلك فما قال طه حسين و«لم يكن» مع ذلك « من الفلسفة في شيء.» ؟! ذلك : ان هنالك فارقاً اساسياً بين الرأي الفلسفي والمذهب الفلسفي ، او بين التفكير الفلسفي والمبدأ الفلسفي . فالتفكير الفلسفي ما لم يتبلور بصورة مذهب متماسك ويصبح مبدأ عملياً للمفكر ، لا يعد صاحبه فيلسوفاً . ولقد كان المتنبي الكثير من الآراء الفلسفية لكنه لم يكن صاحب تعليم فلسفي ، وعليه لا يسوغ تلقيبه بالفيلسوف . والدكتور طه حسين قد اثبت للمتنبي حظاً من التفكير الفلسفي ، ولكنه نفى ان يكون صاحب مذهب فلسفي . على ان الذي ضلل المؤلف ان الدكتور قد استعمل لفظة فلسفة آناً بمعناها الواسع الشعبي ، وآناً آخر بمدلولها العلمي الفني ، فجاءت بمعنى التفكير الفلسفي في مثل قوله « والمتنبي في هذه الابيات بلغ الفلسفة العليا » وبمعنى المذهب الفلسفي في قوله :« ان الناس ظنوا المتنبي فيلسوفاً وهي ليس من الفلسفة في شيء » والقرينة تشهد على صحة هذا التعليل .

ومهما يكن من امر هذه المآخذ ، فلا شبهة في ان الكتاب غني بمواده ، غزير بفوائده ، يفتح في وجه المتأدبين آفاقاً واسعة في المقارنة والمعارضة ، ونقد الآراء وتحليل النفسيات . فنحن نثني على همة المؤلف ، ونحث القراء على مطالعة هذا الكتاب الجامع . ملائماً لبسط الوجهة الادبية المقصودة .

كمال البازجي

١ ــ غوطة دمشق

لمحمد كرد علي – ٢٩١ صفحة – حجم كبير – ورق صقيل
مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

اخرج المجمع العلمي اخيراً بين ما اخرج كتاب غوطة دمشق للاستاذ كرد علي . وانت لا تجد بين آثار هذا العالم الجليل مؤلفاً الا وله شأن في بابه . فميزته انه يفتح الابواب ويدل على الطرق ، ونعني انه لا يتطفل على غيره ، فيطرق ما طرق او يعيد دراسة ما درس . فالاصالة موجودة في مؤلفاته . ومن مزاياه انه لا يكتب الا فيما يعرف . لا يخبط خبط عشواء في كل فن او علم . فهو اديب، ومؤرخ ، ومصلح . لذلك لم يؤلف في الفلسفة مثلاً . . ولكنه ألف في الادب والتاريخ، ودعا الى الاصلاح، وامراء البيان، وخطط الشام، وحضارة العرب والاسلام، والمذكرات دلائل على ذلك .

وهذا الكتاب الجديد الذي اصدره رئيس مجمع دمشق؛ بعد مذكراته ، عن غوطة دمشق يعد اول مرجع ألف عن الغوطة . فلقد تغنى الاقدمون بها ، وملأت الآفاق شهرتها ، وعدت من جنات الدنيا، لكن ما يعلمه الناس عنها قليل . فكان عمل الاستاذ عملاً جليلاً لانه سد في تاريخ الشام فراغاً كبيراً .

اعتمد مؤلف غوطة دمشق على عدد كبير من المخطوطات والمطبوعات . استقراها وجمع ما ورد في ثناياها عن جنة دمشق ، ثم جعلها ، على قلتها مادة للكتابة . واضاف اليها ما تيسر له الاطلاع عليه من الامور المتعلقة بها بعد احتكاكه بابناء الغوطة زهاء سبعين عاماً « للوقوف على ماسكتت عنه الدفاتر ». لان ما في الكتب القديمة لا يروي ظمأ .

تكلم مؤرخ الشام على حدود الغوطة وقراها وسكانها ولغتها وطرائق زراعتها ومتنزهاتها ، وثمارها ، وزروعها ، وانهارها وريها وتاريخها ومدنيتها ، والعلم والادب فيها ، وما حوت من مدارس وخوانق ، وربط وزوايا ، وما دثر فيها من قرى وقصور وجواسق وديور . وختم الكتاب بقطعة رائعة من الادب الخالص ، اوحاها اليه بحر الغوطة وجمالها .

ومما زاد في شأن الكتاب ، وسهل الانتفاع به تلك الفهارس المنظمة المختلفة التي ختم الكتاب بها . وذلك المخطط الذي وضع للغوطة فبيّن قراها وحدودها .

واننا لنسجل فضل السبق في تأليف هذا الكتاب للعلامة المؤلف ، ونشكر المجمع العلمي بدمشق الذي ما فتيء يزود الخزانة العربية بكل جليل حسن من التآليف .

٢ ــ ديوان علي بن الجهم

عني بتحقيقه وجمع تكملته وقدم له خليل مردم بك – ٢٢٤ صفحة حجم كبير – ورق جيد – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

الاستاذ الجليل خليل مردم بك ، امين سر المجمع العلمي العام ، علم من اعلام الادب . شعره مشهور وعلمه معروف ، ونبله ظاهر ملموس . عني قبل سنين بتحقيق ديوان الشاعر الدمشقي ابن عنين . واخرج قبل شهور ديوان الشاعر البغدادي علي بن الجهم . وهو يحقق الآن ديوان الشاعر ابن حيوس .

اما علي بن الجهم (—٢٤٩) فشاعر سار ذكره ولكن جهل شعره . وقد لا تعرف الكثرة عن هذا الشاعر غير اسمه مقروناً برصافيته .

« عيون المها بين الرصافة والجسر . . . »

وقد يردد الناس مطلع هذه القصيدة البارعة ، فيقفون عنده لا يعلمون ما بعده . فما يعرف عنه اقل من القليل . وهو شاعر مجيد مطبوع جدير بان يدرس شعره وتعرف سيرته . لذلك كان عمل الاستاذ مردم بك ذا شأن . وشأنه ان فيه اشياء جديدة لا يعرفها الناس او لا سبيل لديهم الى عرفانها ، وانه كشف فيها عن سيرة الشاعر ، وقدم شعره محققاً مصححاً .

وكان صديقنا الكريم الاستاذ عبد العزيز الاهواني قد اخبر الاستاذ مردم بك ، ايام كان في اسبانية بان في الاسكوريال نسخة من الديوان . ثم صوره وقدمه هدية للمجمع . فعكف الاستاذ مردم بك على تحقيقه وتصحيحه ، فلما فرغ منه ، وظهر له انه لم يستوعب شعر ابن الجهم كله ، بدا له ان يجعل له تكملة يجمع فيها ما في الديوان ، مما عثر عليه في كتب الادب والتاريخ والتراجم ، ففعل . فكان في الديوان (٣٨) قطعة ، وجاء في التكملة (١٢٥) قطعة بينها قصيدة « عيون المها . . » فكان فضل الاستاذ مردم بك على شعر ابن الجهم في المحدثين ، كفضل ابي بكر الصولي الذي جمع شعره ، في الاقدمين .

جهد الاستاذ ان يقدم النص صحيحاً . برغم صعوبة المخطوطة ، وكثرة التصحيف والتحريف . وقد ساعده على بلوغ ما اراد ، نعومة ذوقه وسعة اطلاعه وحسن تمييزه ودقته . ولم يقتنع بالتصحيح والاشارة الى اختلاف الروايات والترجيح ، بل عمد الى شرح كثير من الالفاظ والابيات .

ولم يقنع بان يقدم شعر الشاعر وحده ، بل استخرج من هذا الشعر ، قدر المستطاع ، سيرة الشاعر . وهذا عمل في غاية الجودة ، وقد وفق الاستاذ مردم بك في هذه المقدمة التي قدم بها الديوان لانه استطاع ان يصور لك ابن الجهم مذ كان صغيراً في الكتاب حتى شب ثم شاخ ومات . وابان عن علمه وأدبه وصفته وخلقه ، ومذهبه في الدين والسياسة ، وشعره ولغته .

وعلى الرغم من هنات مطبعية ، ومن اشاور في نهج التحقيق تتعلق بالمصادر والتعليق ، كان يمكن عرضها بشكل آخر ، فان الديوان بدقته وصحته واناقة طبعه وجودة ورقه ، جدير بان يكون مثالا يحتذى في طبع الدواوين كلها .

دمشق — صلاح الدين المنجد

اشياء تافهة

لنزار سليم – ٨٢ صفحة – قطع صغير – منشورات «جماعة الوقت الضائع» بغداد

انا لا اؤدي واجباً من واجبات الصداقة او الزمالة ، اذ اكتب عن مجموعة الاقاصيص التي اصدرها صديقي نزار سليم بعنوان « اشياء تافهة » . اني امقت (الواجب) على اي شكل يكون . واتوق دائماً الى التحلل من الوجائب التي تلقيها الظروف على عاتقي ، مع الادراك المؤلم بما في ذلك التحلل من فوضى

لا يقرها العقل وانحراف شديد عما ادين به من آراء في السياسة والاجتماع ولكني لا املك — وقد سنحت الفرصة—الا ان اكيل صفعة للواجب المرعب، واقر امام الجميع بانني انما اكتب عن نزار وعن اقاصيصه ، لا بدافع من واجب معين ، بل بدافع من رغبتي الحقيقية في ان القي على القرطاس شيئاً من الانطباعات والصور والاحاديث التي تكوّن منها نزار في مخيلتي السينماتوغرافية خلال الاشهر الاخيرة ، وقد جمعتنا اغلب اماسيها .

ان قصه (الفأر) فاتحة المجموعة ، تسربت الى مسمعي اول مرة ونحن جلوس على سرير جبرا ابراهيم جبرا في فندق بغداد . وتسربت خلال زحمة الانفاس ونظرات البعض الساهمة المنبلة—دليل الاصغاء — وقد يكون اكثرهم غير مصغ لما يقرأ نزار ولكن هل يقف نزار عن القراءة وقد بدأها ؟ انه قد يجلس ساعات يقرأ على اصدقائه ما كتب . وقد هالتني وفرة انتاجه يوماً ، فقلت له : « اتبيض كل يوم قصتين يا نزار ؟ » وذكرت له كيف انني اجهد اشهراً في سبيل انتاج قصة واحدة . ولكني لمحت فيه منتجاً مثابراً على انتاجه ، وقراء مجداً لا يعرف الملل . فقد يبح صوته ويكل جسده من اتخاذ هيئة الجد في هذه المناسبات . وقد يتوق جبينه الاسمر المتقبض الى الانبساط ويشتد نبض عينيه الصغيرتين الوادعتين وراء النظارة المبكرة . ولكنه لن يقف عن القراءة حتى ينتهي ، ولن ينتهي من قصة حتى يبدأ اخرى. ذلك هو نزار الفنان الذي لا يستطيع الانطواء على نفسه ولا يكتب لنفسه وانما للآخرين ، يحاول ان يوصل اليهم انتاجه باسرع الوسائل . ومن هنا جاءت العجالة الملحوظة في ادائه القصصي ، والتدفق اللين في اسلوبه ، ورغبته الملحة في تلاوة اقاصيصه على اكبر عدد من اصدقائه في نفس الوقت . انه سريع الانفعال ، سريع التجاوب مع محيطه ، سريع الايصال . وان اقاصيصه رغم وفرتها ليست اشياء تافهة ، انها مليئة بالحركة والحياة . واشخاصه احياء يعيشون بيننا ونستطيع ان نتمثلهم بسهولة ، وذلك مما يدعوني الى الافتخار بزميلي القصاص ، في وقت افتقرت فيه اقاصيص اكابر الكتاب (الرواد) الى الحياة والاشخاص الحية . واصبحت اقاصيصهم متاحف شمع او مجاميع احداث . بل ان البطل ليكرر نفسه عند بعضهم حتى يلفظ انفاسه ويفقد كيانه في الصحائف الاولى مما يكتبون .

لقد مللنا ادبهم المكرور واساليبهم الميتة ، واصبح الادب العربي بحاجة الى حياة جديدة . ولست اغالي قط اذ اقول ان مثل هذه الحياة الجديدة يمكن ان نجدها بوفرة في ادب نزار .

لقد عاد نزار يتلو علينا شيئاً من قصصه ونحن جلوس في غرفة اخيه الفنان العراقي المعروف (جواد سليم) انه يتخذ هيئة الجد من جديد ويترك دعاباته التي لا يكاد يتركها لحظة . وتمر امامنا اشباح قاتمة . (اشباح بلا ظلال) تختلج هناك في دخان البارود ، وفي ملاجيء بغداد ، وفي دار الاذاعة بدمشق . وان امينة ملحس تقف امامنا (امام الميكرفون) لتردد اقوال المذيع :

« انا امينة ملحس صحتي جيدة » تريد ان توصل صوتها الى اهل لها في ملجأ من ملاجيء بغداد . وكذلك يضطرب المشردون واللاجئون وتتجسم في ذهني كارثة فلسطين بكل دقائقها وتفاصيلها ويغلي في صدري الحقد الدفين على المستعمرين وعلى مأجوريهم من الساسة المتنفذين .

انها مجرد كلمات بسيطة قالتها امينة وقالها الآخرون ، مجرد انتقالات سريعة من دمشق الى بغداد الى فلسطين ، ومجرد اشباح واهنة بلا ظلال مرت امامي . ولكنها كانت كافية ان تثير في اعمق الالم . واحسست بعيني تبتلعان بعض ادمعها . وقد تجددت هذه التجربة في نفسي عندما قرأت القصة في الكتاب وكان لها هذه المرة اثر اعمق . فقد انستني المتعة التي استشعرتها عند قراءة قصة (الفأر) وتلك الدعابة القاسية التي تنتهي بها القصة . واكثر قصص نزار تتخللها دعابات تعكس (خفة روحه) وتنتهي بمفاجآت او دعابات قد تكون احياناً قاسية جداً .

العرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

ولي صديق ذكرته مفاجآت نزار الختامية باسلوب موباسان . اما انا فلم اقرأ لهذا الكاتب العالمي سوى بعض اقاصيص خرجت منها بخيبة امل شديدة ، اذ وجدتها سطحية خالية من كل عمق انساني ، منظمة تنظيما (آلياً) حسب الاصول . ولذا لا استطيع ان اقارن بينه وبين نزار . ولكن دعابات نزار الختامية قد تكون احياناً شديدة الغرابة ، بحيث يخيل للقارىء انها لا يمكن ان تقع في حياة الانسان العادي . كأن يحاول (الاستاذ) ان يفاتح تلميذته بحبه لها فيشبهها بالفأر الدقيق اللطيف الذي استرعى انتباهه قبل مغادرته داره ، وتكون تلك الدعابة القاسية خاتمة قصة (الفأر) وخاتمة حب هذا الاستاذ المسكين . وكذلك الدعابة الختامية في قصب (عقب سيجارة) وهي دعابة ثقيلة جدا ولكنها تجعلني أؤاخذ صديقي نزار على اعتماده على المفاجآت في ختام قصصه . ذلك ان المفاجأة تشعر القارىء بابتعاد القصة عن الواقع وفي ذلك اقلال من شأن القصة . رغم ان الواقع مليء بالمفاجآت . ولكن مفاجآت الواقع طبيعية وهي جزء من حياة الانسان ولا يستطيع فنان ان يحاكيها ويجعلها طبيعية في قصصه ، الا ان تكون له براعة تولستوي ودستوفسكي ، ولذا يجدر بالكاتب ان يتحاشاها فيما يكتب لتبدو قصصه اقرب الى الحياة . واذكر اني لحظت هذا الابتعاد المقصود عن المفاجآت في آثار بعض القصصيين العالميين امثال تشيكوف والكسي تولستوي وجيمس جويس ولورنس . ولحظت ان اكثر القصص الخالدة التي تحوي مشاعر انسانية عميقة هي التي تخلو من المفاجآت الختامية . ولذا فاني افضل ختام قصة (اشباح بلا ظلال) على ختام قصة (عقب سيجارة) . اما قصة (اشياء تافهة) التي استعار منها المؤلف عنوان كتابه ، فانها تحوي فلسفة يائسة ، ساخرة من الحياة وفي نهايتها يقول نزار : « انك تفهم من هذه الاشياء التافهة ، اشياء كبيرة مخيفة ترعب ، اشياء تدل على ان الحياة عبث ، وانك في هذه الحياة تحاول ان تحيا وانت مؤمن بشيء ، ولكن سرعان ما يتحطم ذلك الشيء ، وتبقى انت انت وحيداً ضعيفاً في عالم غير مستقر . . في عالم فقد الثقة بنفسه . استمع الى المذياع والى حديث الناس في كل مكان ماذا ترى ؟ حروب وقتلى ودسائس وآلام . لماذا ؟ لان العالم قد فقد عاطفة الحب . ها انذا قد بلغت الثلاثين ، بل زدت عليها . ماذا فهمت من الحياة ؟ لا شيء . شربت حليب امي على اصوات مدافع الاحتلال ، وترعرعت في جو من الرعب والمخاتلة والنفاق . وها انذا في نهاية عمري ، والعالم لا يريد ان يستقر »

ثم يذيع المذياع اغنية (اضحك) لصباح فيتخذها نزار ذريعة للسخرية من الحياة ، ويقول : « ولكني ان ضحكت فاضحك كما في الاغنية ضحكة مقسمة مرسومة هاهاهاها ، انها ضحكة العالم المرسومة ، الا ترى كم هي جوفاء فارغة ؟ اضحك هاهاها امر وانصياع ، عبودية » !

هذه السخرية المريرة ناجمة عن تحسس نزار برداءة الاحوال الاجتماعية والسياسية وعن شعوره بالقصور في المساهمة من اجل ازالة هذه الاوضاع السيئة . ولذا فهو لا يملك الا ان يسخر ويضحك . وقد سخر مرة سخرية (ثقيلة) اذ كنا مجتمعين في بيت صديقنا صالح البرزلي نستمع الى بعض الموسيقى وبعد ان استمعنا الى بيتهوفن وبرامز وشوبان اسمعنا صالح بناء على طلبي كونشرتو (وارشو) وهي لمؤلف موسيقي حديث تمثل آلام الشعب البولوني عند اكتساح النازيين اراضيه ، ثم انتصار هذا الشعب والامل الواسع المرتسم في افق دنياه . وقد لذ لي ان اعلق على الكونشرتو ببضع كلمات ، واذ بنزار يسخر سخرية مبهمة مقتضبة من اولئك الذين يرممون آمال شعوبهم بعد آلامها وجهادها . لقد ندد بلفظتين او ثلاث بكل اولئك العباقرة الخالدين . وتذكرت اني كتبت قصة لها نفس الطابع وان نزار قد قرأها قبل حين ، فعلمت انه يقصدني بالسخرية ، وتألمت . ولكنه ما لبث ان اردف دعابته (الثقيلة) بدعابات اخرى خفيفة ، مستحبة . وانتهى الموضوع . اما نزار فلم ينته موضوعه بعد . انه فنان شديد الملاحظة . ويتحسس بما في محيطه من مساوىء اجتماعية . ويكتفي بذلك او يسجل شيئاً من ملاحظاته في اقاصيصه . ولكن الفنان في نظري يجب ان يساهم مساهمة فعلية مع بقية ابناء شعبه لاجل ازالة العوائق التي تقف في سبيل تطور الشعب ونيله حرياته . ان عليه ان يفهم سير العالم وسير التطور التاريخي ، وان يفهم معنى تضحيات الشعوب وحروبها ودمائها . ولماذا تجاهد هذه الشعوب في سبيل حياة اخرى ؟ وما هي هذه الحياة التي تريد ان تحققها الشعوب على هذه الارض ؟ عليه ان يترك سخريته من الحياة وان يجاهد في سبيل تغييرها . عند ذاك فقط يستطيع ان يؤدي رسالته في الحياة كفنان وكأنسان معاً .

على كل ، اني اتأمل من نزار كل خير ، ولا املك الا ان اجاهر باعجابي به وباقاصيصه اللطيفة الظريفة . متمنياً له التوفيق المستمر في جهاده كفنان وكأنسان .

بغداد — عبد الملك نوري



جولة الأديب في شهر

مجلة «رسائل الجنوب»

تدافع عن القيم الحقيقية في الادب

بقلم نعيم فطاير

قال احد النقاد الفرنسيين مرة ان المجلات الادبية هي بمثابة مطبخ يهيأ فيه الطعام الادبي الذي يغذى به الجيل الذي يليه . ومن المناسب احياناً حين نتحدث عن الحياة الادبية في بلاد ما ان نتحدث عن « المطبخ » الذي يهيأ فيه الطعام وبكلمة اخرى عن المجلات التي تمثل الادب الحي وتكون منبراً للادباء الشباب .

وقد قيض لي الحظ خلال رحلة قمت بها مؤخراً الى جنوب فرنسا التعرف على مدير اقدم مجلة ولعلها ايضاً احسن مجلة ادبية فرنسية واعني بها « رسائل الجنوب » Les Cahiers du Sud التي تصدر في مرسيليا . وتقع ادارة المجلة في الطابق الرابع من بناية قديمة امام المرفأ القديم . وقد دمر الالمان خلال الحرب الاخيرة حي المرفأ القديم بأكمله . فقد كان هذا الحي اقذر احياء مرسيليا ان لم يكن اقذر احياء فرنسا تتصل بيوته بدهاليز تحت الارض كانت دائماً خير ملجأ للسراق وقطاع الطرق الذين تلاحقهم الشرطة . وادارة « رسائل الجنوب » تقع في الصف الاول من البنايات التي لم تدركها يد الخراب كأني بها قد نجت باعجوبة من الموت . ومصير المجلة يشابه مصير ادارتها . فقد صدر العدد الاول منها منذ خمسة وثلاثين عاماً ولا زالت تصدر الى الآن وذلك دون انقطاع خلال هذه السنوات الطويلة ، اليس ذلك اعجوبة ؟ ان المجلات الادبية تحيا هنا سنة او سنتين عادة ، وبعد ان توقفت « المجلة الفرنسية الجديدة » Nouvelle Revue Française التي اسسها اندره جيد ، لحقت بها Fontaine و Critique الخ . . ومما يزيد الاعجاب هو ان هذه المجلة لا تعتمد على مساعدة مالية بل تحيا بفضل اخلاص قرائها ومؤيديها . استقبلني جان بالار وزوجته في ادارة المجلة بحرارة وترحيب سكان الجنوب ومع انه يقارب العقد السادس من عمره فانه يضطرم حيوية ويملأ عروقه دم الشباب .

« لدي رغبة كبيرة في تعلم العربية فاني اعتقد انها من اهم اللغات الحالية » قال ذلك لي بعد تبادل التحية بلهجة تنم عن صدق واخلاص . اما زوجته التي لا زالت تحتفظ بجمالها وشبابها فقد قالت وهي تبتسم : « لقد سميت قطتي « موصل » واعتقد انها مدينة عراقية فيها كثير من النفط » فقال الزوج : « ان موصل لفظ جميل لكن رائحة النفط كريهة ».

ثم طفق جان بالار يحدثني عن مجلته : « لقد اسستها منذ خمسة وثلاثين عاماً وانا احبها واعتز بها كما يحب الاب ابنه ويعتز به . كانت خطتنا ولا زالت واحدة لا تتبدل واعتقد ان ذلك قد منحنا الحياة فتمكنا من اجتياز مختلف الادوار السياسية دون ان تقضي الظروف الخارجية علينا . ان هذه المجلة تدافع عن كل القيم الادبية الحقيقية . اننا نعتقد ان قيمة الادب تستمر على كافة القيم الاخرى بما فيها القيم السياسية والاجتماعية . وذلك لا يعني اننا نعيش في برج عاجي بل على العكس ان كلا منا يهتم بالسياسة ويلعب دوراً فيها ، فينا الراديكالي والاشتراكي والشيوعي وحين تجتمع لجنة التحرير نتناسى اختلافاتنا ونتركها جانباً ونحكم على ما يصلنا للنشر بمعيار واحد لا يتبدل : القيمة الادبية . اننا ننشر للشعراء مهما كانت معتقداتهم ، كل ما نطلب منهم هو ان يكون شعرهم جيداً . واني اقول بفخر اننا قد نشرنا لخير شعراء فرنسا المعاصرين . نشرنا فاليري ونشرنا لسان جون برس ، كلوديل ، الوار الخ . . وما اقوله عن الشعر يمكنني قوله عن النثر . لقد كان فاليري من اعز اصدقائنا ومؤيدينا » قال هذا واخرج لي من جيبه تصويراً له مع فاليري وجيد امام المرفأ القديم في مرسيليا وراحت زوجته تبحث عن العدد الخاص القيم الذي اصدرته المجلة بعد وفاة فاليري . وجعل بالار يتصفح العدد امامي وهو يقول : هذه قصيدة كتبها فاليري لزوجتي هذه صورة فاليري في مدينة سيت ، هذا بيته في باريس الخ .

« وقد كان من حسن حظنا خلال الاحتلال الالماني ان نكون في المنطقة « الحرة » كما كانوا يسمونها وكان لنا حرية اوسع قليلاً ومع ذلك فقد وجدنا صعوبات كبيرة . ومع ان الرقابة كانت تمنع كثيراً مما كنا نريد نشره فاننا قد نشرنا ابياتاً ممتازة لسان جون برس

فيها دفاع عن الحرية وفيها دفاع عن فرنسا .

« هناك شيء واحد ندافع عنه منذ ولادة المجلة : القيم الازلية للثقافة الفرنسية . اني اعتقد ان الثقافة الفرنسية انسانية وعالمية بروحها وانا بدفاعنا عنها ، بحمايتها ، بنشرها واذاعتها انما نبث رسالة انسانية حقة . والثقافة الفرنسية رحبة الصدر تتقبل المؤثرات الخارجية ان كانت لها قيمة حقيقية. وهذا ما جعلنا نهتم بكافة المشاكل الانسانية الحالية ونخصص لها اعداداً خاصة . وليس ادل على ذلك من نشرنا عدداً خاصاً عن الفلسفة الهندية وعدداً خاصاً آخر عن الاسلام والغرب L'Islam et l'Occident وراحت زوجته تبحث عن هذا العدد الخاص .

وقلت سائلاً بالار : « هل ان كونكم في مرسيليا يكسب مجلتكم طابعاً خاصاً » ؟

فقال ضاحكاً : « ماذا تجد في مرسيليا ؟ الشمس ، البحر ، الهواء الطلق ، ان الناس هنا يحبون الحياة ، يحبون المرح ويحبون الهزل. ان ايمان فاليري بالحضارة التي قامت على ضفاف البحر الابيض المتوسط بما فيها فينيقيا وقرطاجنة واليونان والرومان وايطاليا وفرنسا هي الحضارة التي ندافع عنها ونؤمن بها . الا ان ذلك لا يكسب مجلتنا طابعاً محلياً فكتابنا يأتون من كافة انحاء فرنسا ومن مختلف بقع المعمورة ، كل ما نطلبه منهم هو ان يكتبوا جيداً ».

وغادرت ادارة «رسائل الجنوب» حاملاً بضعة اعداد من المجلة وغرقت في مطالعة وتصفح عددها الخاص عن الاسلام والغرب. انه بحق سفر قيم عن الحضارة التي قامت في مصر وايران وافريقيا الشمالية والاندلس ، قام بنشره وجمعه المستشرق اميل درمنغهم واشترك في تحريره كتاب عديدون من مصر وافريقيا الشمالية وفرنسا ، واذكر من كتاب مصر الدكتور طه حسين الذي كتب عن «الاتجاهات الدينية في الادب المصري المعاصر» متحدثاً عن محمد عبده وقاسم امين والشيخ عبد الرازق وهيكل وتوفيق الحكيم ونجد للاخير مقالا قيما عن الادب العربي في الربع قرن الماضي. وكتب الاستاذ هيكل عن اسباب عدم التفاهم بين الاسلام واوربا وطرق معالجتها ، كما نجد قصة « الزورق » للدكتور بشر فارس قام بترجمتها الى الفرنسية بنفسه . وفي فاتحة العدد كلمة قيمة للشيخ عبد الرازق كتبها قبل وفاته بقليل .

اما بين الفرنسيين فنجد اسماء العلامة ماسينيون والرواني هنري بوسكو الذي اشتهر برواياته عن المغرب والاستاذ هنري ماسيه استاذ الحضارة الايرانية في السوربون عن الادب الايراني المعاصر ، كما ان هناك قسماً خاصاً متكوناً من ترجمات لعدة شعراء عرب منهم ابن الفارض وجلال الدين الرومي والشاعر المغربي ابو القاسم الشابي وشعراء مغربيين آخرين .

وخلاصة القول ان هذا العدد مع ما يحتوي من نواقص (واهم ما آخذه عليه هو اهمال العراق وسوريا ولبنان اهمالا تاماً كما ان التحدث عن بلد اسلامي غير عربي اي ايران كان يجب ان يلحقه الحديث عن تركيا والباكستان الخ . .) فانه كتاب قيم يستفيد من مطالعته ومراجعته ليس الفرنسي فحسب بل القارىء العربي ايضاً

واني اعتقد ان هذا العدد الخاص من المجلة يدل دلالة واضحة على ان رأي الاستاذ بالار ومحرري رسائل الجنوب ذو افق واسع لا تحده نظرية او فلسفة او حدود سياسية .

ان هذه المجلة حين تفيد وتمتع قراءها الفرنسيين تعطي في الوقت نفسه صورة صادقة عن الادب الفرنسي الحي الى قرائها في الخارج مبرهنة ان هذا الادب لا زال يحتفظ بحيويته وعمقه واتساع افقه.

باريس — نعيم قطاره

مصطفى آل عيال

ليسانس ودبلوم

استاذ في الجامعة اليسوعية وكلية الدومنيكيين

دروس في اللغة الانكليزية والعربية والرسم الفني

شارع ابن رشد — بيروت - لبنان

رسالة الادب

بقلم رياض الصباغ

الله

للادب رسالة هي خدمة الشعب ، فلايكون الادب ادباً حقاً ، اذا هو تخلى عن هذه الرسالة ، وما اكثر الادب الرخيص الزائف في هذه الايام ! ان هذا الادب الذي نراه الآن

رائجاً في الاسواق قد تخلى عن شيء كثير من جوانب رسالته ، واندفع في طريق وعرة شائكة : انه ادب يخاطب الغرائز والرغبات ويرتكز على الاباطيل والاوهام هو ادب انحلالي مائع ، لا نصيب له من حياة ، ولا قدرة له على عيش ، ولا غاية ولا هدف واضح له ، وهذا الاقبال عليه ، في الوقت الحاضر ، ليس دليلاً على جدارته بالمطالعة لان اغلب القراء عندنا لم يبلغوا درجة من الثقافة تجعلهم يميزون بين الغث والسمين .

وليس من شك في ان هذا الادب الرخيص الذي تخلى عن رسالته الادبية الحقة ، ذو ضرر بالغ ، واثر سيء على ابناء الامة وافراد الشعب ، لانه يصرفهم عن مطالبهم وحاجاتهم ، الى امور لا تمت اليهم بصلة ولا تتصل بحياتهم ومعيشتهم من قريب او بعيد ، وانما يخدعهم عن امرهم ، ويزين لهم الحياة وهم يعيشون في بؤس ، ويعللهم بالسعادة الخيالية وهم يحيون في شقاء ، ويمنيهم بالاماني البراقة الزائفة وهم يعانون الواقع المر الاليم .

اما ان يعالج مشكلة من مشاكلهم ، او قضية من قضاياهم ، او ان يدافع عن حقوقهم المهضومة ، او ان يسعى الى تحقيق مطالبهم العادلة ، وحاجاتهم الحقة ، كل ذلك على ما يبدو ، ليس من رسالته ولا من اهدافه وغاياته ، وانما اهدافه ان يظل الشعب لاهياً عن التنبه الى حقوقه ، سادراً عن السعي في سبيل تحقيق تلك الحقوق .

ذلك هو الضرر البالغ من انتشار هذا النوع من الادب الرخيص الذي غمر الاسواق .

اما الادب الرفيع فهو الذي يخدم الشعب ، ويدافع عن حقوقه ومصالحه ، ويسعى الى تحقيق امانيه ومطالبه ، ويهدف الى تثقيفه وتعليمه ، ويرمي الى تهذيب شعوره واحساسه ، يستوحي صوره وموضوعاته من الحياة ، ومن مشاهدها الحية النابضة التي يعيشها الناس في حياتهم الخاصة والعامة ، فيصف احوالهم ، ويتغلغل الى اعماق نفوسهم ، ويستشعر لذائذهم وآلامهم ، ويعبر عن عواطفهم ومشاعرهم ، ويغذي عقولهم بالافكار الصائبة والآراء السديدة ، ويوجههم نحو الخير والحق والجمال ، وينأى بهم عن الشر والباطل والقبح . يصف الحياة كما هي ويعبر عنها اصدق تعبير واقواه ، يتخذ من الحياة مادة غزيرة بما فيها من مآس وافراح ، واحداث وعظات ، وآلام ولذات ، وآمال ورغبات . غير ان هذا الادب الرفيع يلاقي صعوبات جمة في سبيل رسالته الادبية ، لانصراف الاغلبية العظمى من القراء العاديين عن مطالعته الى الادب الرخيص ، ولقلة الفئة المثقفة التي تفهم الادب على وجهه الصحيح ، ولعدم النضوج الفكري عند عامة القراء مما يجعل الاقبال على الكتب والمجلات الادبية ضئيلاً بالنسبة الى الكتب والمجلات الرخيصة المبتذلة .

والواجب الفكري والادبي يقضي بان نشجع الادب الرفيع بجميع الوسائل وان نعرض عن الادب الرخيص ونحاربه . الى ان ينهض الادب الرفيع من كبوته ، ويتبوأ مكانته اللائقة به ، ويسترد مجده القديم ، ويقضي على ادب الغرائز والعري ، ادب التجارة الرخيصة .

حمص - سوريا

رياض الصباغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن حضرموت مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة نياسا تريجا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية
كران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل الارجنتين
شيلي بوليفيا الاورغواي الجوادلوب فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا

أنباء العالم في شهر

٢٦ ابريل ١٩٥٠ - صرح ناظر الخارجية الاميركية أتشيسون ان حكومة الولايات المتحدة تدرس امكانية ضم المانيا الغربية الى اسرة الامم الاوروبية ضماً شاملاً .

٢٧ - اعترفت بريطانيا بتوحيد ضفتي الاردن وشملت معاهدة التحالف البريطانية الاردنية جميع اراضي هذا الاتحاد .

٢٨ - اخفق فان زيلاند بتأليف الوزارة البلجيكية وكلف الوصي على العرش ايسكنس دفيوسار زعيم الحزب الاجتماعي المسيحي تأليف الوزارة .

٢٩ - اصدر الوصي على عرش بلجيكا مرسوماً بحل مجلس الشيوخ والنواب وستجري الانتخابات في ٤ يونيو ويفتح البرلمان في ٢٠ منه وبذلك اصبحت الكلمة للشعب في قضية الملك .

اول مايو ١٩٥٠ - احتفل العمال في انحاء العالم يوم اول مايو عيد العمل والعمال .

٢ - انفرجت ازمة برلين ولم يزحف الشيوعيون من برلين الشرقية لاحتلال المنطقة الغربية في اول مايو كما كان متوقعاً مما اضطر السلطات الغربية الى اتخاذ التدابير العسكرية لمقاومة الزحف .

٣ - صرح الاميرال والتربون قائد الاسطول الاميركي السابع : ان في العالم حالات خطرة قد تنقلب الى حرب في اية لحظة واعتقد باننا وشيكة الوقوع وليس لدى اميركا القوات الكافية للصمود بالمحيط الهادىء الغربي .

٤ - صرح الرئيس ترومن بانه لا مبرر للقلق من حرب قريبة فالموقف الدولي اقل سوءاً من اوائل ١٩٤٦ .

- قررت لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب الاميركي تمديد قانون الخدمة العسكرية سنتين .

٥ - اعلنت السلطات التركية انها اوقفت بعض موظفي الحكومة لاتصالهم سرا بالمنظمات الشيوعية .

- ارسلت الحكومة الاميركية مذكرة الى روسيا جواباً على مذكرة الرفض حول حادث اسقاط الطائرة البحرية الاميركية فوق البلطيق وهي تحمل روسيا مسؤلية العمل الذي قام به طيرانها وتنذرها بالخطورة التي تعتبرها نتيجة عن موقفها .

٦ - اذاع راديو موسكو ان اسرى الحرب الالمان الذين كانوا في روسيا قد اطلق سراحهم واعيدوا الى ديارهم . وقد احدث هذا النبأ موجة من القلق في المانيا وفي العالم الغربي فان مليوناً ونصف مليون اسير لم يعودوا الى ديارهم .

٨ - وصل اتشيسون وزير الخارجية الاميركية الى باريس وقد بدأت المرحلة الاولى من محادثات وزراء الخارجية الاميركية والانجليزية والفرنسية .

٩ - القى رئيس حكومة المانيا الشرقية اوتوغروتوهل خطاباً هاجم فيه الحلفاء واتهمهم بمحاولة تجنيد الالمان لخوض حرب عالمية ثالثة . واكد ان الجنود الالمان الذين فقدوا في ستالنغراد هم الذين تحاول المانيا الغربية الايهام بان روسيا تسجنهم في معتقلات الاسر .

١٠ - في افتتاح مؤتمر وزراء خارجيات الدول الغربية الثلاث اعلن اتشيسون وزير خارجية اميركا ان على الغربيين قبول المانيا كشريكة لهم وان يتركوا نغمة الغالب والمغلوب .

- اعلنت الدوائر البريطانية انه يمكن القول ان الوحدة الفرنسية الالمانية قد اقرت مبدئياً بعد ان وافقت الدول على الاقتراح الفرنسي الخطير بتوحيد انتاج الفولاذ والفحم في فرنسا والمانيا باشراف مجلس اعلى مشترك . ويعتبر هذا الاقرار اعظم حدث عرفه العالم منذ انتهاء الحرب .

١٢ - وصل تريغفي لى امين هيئة الامم المتحدة الى موسكو واجتمع طويلاً الى فيشنسكي وزير الخارجية وينتظر ان يقابل ستالين بعد انتهاء المحادثات بينه وبين فيشنسكي .

١٣ - قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فصل المملكة الاردنية الهاشمية من الجامعة لضمها ضفتي الاردن على اثر الانتخابات الاخيرة التي اجريت فيها، فقد اعتبرت الجامعة ان هذا مناقضاً لاحكامها .

وبناء على طلب العراق واليمن الرجوع الى حكومتيهما ، فقد تقرر دعوة مجلس الجامعة العربية لجلسة تعقد في ١٢ يونيو للفصل في الامر .

١٥ - دلت نتائج الانتخابات التي جرت امس في تركيا على فوز ساحق للحزب الديموقراطي المعارض على حزب الشعب الجمهوري الذي ظل في الحكم ٢٥ عاماً ويرأسه الرئيس عصمت اينونو .

١٦ - ردت روسيا على قرارات مؤتمر وزراء الخارجية بصدد اعادة المانيا الى الاسرة الاوروبية واتهامها بان ارسل ستالين الى رئيس وزراء المانيا الشرقية الهر غروتوهل يبلغه تخفيض روسيا لتعويضات الحرب المتوجبة على المانيا الى النصف .

١٧ - وافق المجلس الوطني الفرنسي على مشروع القانون بالغاء القانون الذي يمنع روساء العائلات التي كانت مالكة في فرنسا وورثتها من الاقامة في الاراضي الوطنية .

١٨ - عقد وزراء خارجية الدول الثلاث الغربية اجتماعاً خاصاً لدرس معاهدة الصلح النمسوية والاسراع في توقيعها .

١٩ - احتفلت الولايات المتحدة « بعيد القوات المسلحة » وقد القى الجنرال عمر برادلي خطاباً اوصى فيه بالاستعداد لمواجهة هجوم ذري محتمل في غضون « بضع سنوات » .

٢٠ - صدر بلاغ رسمي في لندن وقعه اتشيسون وزير خارجية اميركا وبيفن وزير خارجية بريطانيا اعلنا فيه ضمان حكومتيهما لاستقلال وسلامة اليونان وتركيا وايران الدول التي لم يشملها ميثاق الاطلنطي .

٢١ - اعلن رسمياً في باريس وروما ان وزيري خارجية فرنسا وايطاليا بحثا الشؤون التي تهم الدولتين وبان ايطاليا اكدت رغبتها في الانضمام الى الاتحاد الفولاذي الفحمي الفرنسي الالماني .

٢٢ - التأم المجلس التركي الجديد وانتخب رئيساً للجمهورية السيد جلال بايار زعيم الحزب الديموقراطي .

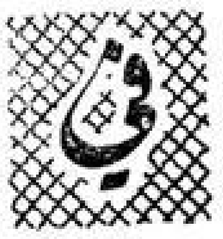
٢٣ - قال الرئيس ترومن في رسالة له الى الكونجرس : ان التجربة اثبتت ان الاتفاقات المبرمة مع الاتحاد السوفياتي او مع اتباعه من الدول لا قيمة لها الا بمقدار ما تنطبق على الواقع .

٢٤ - وجهت بريطانيا واميركا وفرنسا مذكرة احتجاج شديد الى روسيا على وجود قوة بوليس المانية في المنطقة الروسية تبلغ ٥٠ الف رجل مدربين على الهجوم .

مطابع صادر وريحاني - تلفون ٦٢ - ٦٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اساليب من الرجال



مجتمع العرب اليوم ، يقظة صحو لمّا تتفتق عن كل امكانياتها بعد ، ولكنها مهدت السبيل بين يدي تطور جديد ، ورسمت بعضاً من خطوط مداه . . ولعلنا نلمس او نحن نلمس بالفعل ، درجة هذا التطور في المجتمع العربي ، بتزايد متناقضاته وبتكيف كل طبقة من طبقاته في كيانها ووعيها تكيفاً صاعداً .

ففيه استوت واستقرت طائفة من القوى المادية ،وهي عامل مباشرعلى تطويره ونضج هذا التطوير، والانتقال به من مرحلة معينة الى مرحلة اكثر تقدماً .

وهناك الافكار ايضاً . . وهي برغم انبعاثها من واقع المجتمع وصدورها عن اوضاعه ، فانها تتحول بالتالي الى قيم مطلقة . . ثم لا تلبث ان تستحيل خلال تفاعلها مع فئات المجتمع وطبقاته ، وخلال تفاعلها مع اوضاعه وتأثيرها فيه — قوة موجهة بل قوى منشئة خالقة .

فان من شأن هذه الافكار — اصدرت عن المجتمع او انبعثت من حركته التطورية ، او انعكست من كفاح متناقضاته بعضاً في بعض ، او تفاعل عناصره — انها تنفّس عن وعي الجماعات وماهية وجودهم ، وتكشف في الوقت نفسه عن المواطن العفنة من المجتمع .

ولعل ظاهرة المتناقضات ، لم تعلق بمجتمع ما مثلها في المجتمع العربي الحديث : ان في الافكار او في تطور الطبقات على نفسها ، ولا سيما في حدود الطبقات الشعبية التي من طبيعتها دوماً ان تتقدم بالمجتمع وان تحرره من اوضاعه المريضة.

وعمق هذه الظاهرة وعنفها ، يدلاننا على مدى التطور الناشب في المجتمع وعمقه وشدة التفاعل فيه .

وكان من خطوط هذا التحول الجديد ، ان النظام الاقطاعي الذي عاش اجيالا عندنا بفتكاته وسمومه ، اضحى متخلخلاً اليوم . . والشعب لم يعد مقسما الى جماعات ترتكز كل جماعة منها ، اما على اساس اعتبارات دينية او اعتبارات اخرى من شرف او جاه ، والعلاقات بين العمال واصحاب العمل مالت ميلا عفوياً الى التحسن والتنظيم المستمد من الواقع الاجتماعي العام ومن النظم التي انبثقت عنها عصور المدنية .

ولقد كان من نشاط القوى المحركة في المدينة والقرية ، ما حمل الشارع العربي هنا وهناك ، على التفكير مكرهاً في اتخاذ ما ينبغي اتخاذه من نظم وقوانين : تتصل بالاعداد الفني والمهني ، وتشغيل الاحداث وزيادة الاجور والتعويض والشيخوخة العاملة وحماية الاسرة ورعاية الطفولة ومكافحة التشرد ، والمحاكم الخاصة بالاحداث والتعليم الاجباري.

وبتعبير عام شامل ، في المجتمع العربي الحديث تطلع جدي يتناول مختلف التأمينات الاجتماعية ، كما نحس لدى الشعب بميل حاد الى نظام صناديق الاسعاف النقابية والحرفية او العائدة الى جمعيات تعاونية . . هذا النظام الذي لا بد من ان ينتشر شيئاً فشيئاً حتى يشمل كل ميادين الحياة العامة، ويكون طليعة عهد بالتأمينات الاجتماعية كما يجب ان تفهم وان تطبق.

ونحن اذا اعطينا لانفسنا الفرصة الكافية للتعمق بدرس هذا التطلع الشعبي في مرحلته الجديدة ، وبمراقبة شعوره الوليد بمسؤولياته نحو المجتمع ونحو الدولة . . اقول اذا نحن فعلنا ذلك ، ندرك مبلغ الحاجة الى اساليب جديدة من الحكم تعين عمل التطور وترسخ معطياته وآثاره ، وندرك بالتالي مبلغ الحاجة الى اساليب جديدة من الرجال ، يحوطون هذا الواقع الجديد دون عوامل الرجعة او الذبول .

أساليب من الرجال ، يفهمون السياسة لا على انها حرفة تعني البراعة في التخدير ، بل على انها رسالة تثقيف تعني البراعة في التنوير . . وعهدي وعهدك بحديثهم في عدد مقبل .

عبدالله العلايلي

الرجل الذي كان يعشق الموسيقى

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

•••

هذه قصة غريبة يكاد المرء حالما يسمعها يقول: ان قصتك يا هذا مستحيلة، وسواء اصدقها القارىء ام لا فانني لا احجم عن روايتها ثانية، وسأرويها الك كما رويتها لغيرك، والك ان تصدق او لا تصدق.

وبطل القصة رجل كغيره من الرجال الذين تراهم وتصطدم بهم كل يوم في شوارع المدينة. لا يفرقه عن غيره من الناس جمال، او اناقة، او بهاء طلعة. انه رجل بدأ حياته فقيراً ثم اثرى. وكغيره من الناس سعى في طلب الثروة ليل نهار، ولعله لم يحجم في كثير من الاحيان عن التدليس والخداع في سبيل ذلك: ولكن كل ما اعرف هو انه ولد معدماً، ولم يبلغ الاربعين حتى كان قد اصبح من ارباب الاموال ومع ذلك، كما قلت، لو رأيته في الشارع لما ميزته عن غيره: تراكمت ثروته في المصارف، غير انها لم تمس حياته بشيء يذكر. فقد بقي عائشاً وحده في منزل متواضع في المدينة. ولم يحاول قط ان يستغل الثراء في سبيل الجاه. ولم يأبه يوماً بما يقوله الناس عنه عندما علموا بثروته.

غير ان اثنين او ثلاثة من المقربين اليه بحكم الاعمال التي درت عليه امواله، كانوا يترددون عليه في منزله. ولم يكن عنده في المنزل ما يلفت النظر الا مجموعات من الاسطوانات الموسيقية التي كانوا يعجبون لعنايته بها. بل انهم كلما تحدثوا عنه، وعن بساطته في العيش واهماله لشؤون الحياة، كانوا لا ينفكون يلهجون بالتعجب من ان رجلاً مثله، لم ينل من الثقافة العالية شيئاً، يهتم بالموسيقى على هذا النحو. ثم يتعجبون اكثر فيقولون: وكيف يستطيع رجل، اولع بهذه الاصوات التي تحطم السمع احياناً بعنفها ولذتها، ان يستمر في اعماله المالية، بل يصبح ذا ثروة طائلة كثروته؟ عهدنا بالفنانين يؤثرون عرائس فنونهم على الدنيا وما فيها، واذا حاولوا العمل يوماً كانوا من المخفقين.

مهما يكن من امر، فان صاحبنا لم يجد من متعة في الحياة — كما يبدو — الا اذا جلس في غرفة امتلأت بالاسطوانات، ليستمع على غرامافون كهربائي الى قطعة إثر اخرى من آثار الموسيقيين: وما اكثرها! عليك بفهرست من فهارس مصانع الاسطوانات، تعجب للعدد الهائل الذي يمكنك ان تقتنيه منها، لو كنت تستطيع ان تغترف من اموال كثيرة كأموال بطل هذه القصة.

ولكن حدث ذات يوم ان اختفى صاحبنا فجأة من المدينة، فظن البعض انه ربما منح نفسه اجازة لاول مرة في العمر، فذهب الى ايطاليا او سويسرا ليقبل على لذائذ الحياة، وظن البعض الآخر انه ربما سجن نفسه طائعاً في اعماق بيته ليستمع الى الموسيقى دون انقطاع: فكنت ترى البعض احياناً يلصق اذنه بفجوة في باب داره لعله يسمع نغمة من داخله، ثم يتراجع مقسما بانه سمع نغمة موسيقية اشبه بالصدى من مكان بعيد..

ولكنه في حقيقة الامر ذهب بصحبة احد المهندسين الى مكان في الجبال الشمالية، يبحث عن بقعة على رأس قمة شاهقة يبني عليها داراً لنفسه.. وان هي الا سنة او اكثر بقليل حتى تم له ما اراد. فعاد الى المدينة، ورآه الناس بين ظهرانيهم من جديد. فكان يحيي الجميع، ولكن في كثير من التحفظ، كأنه يخشى ان يتقربوا منه اكثر مما يود. واذا هو ذات صباح ينقل صناديق خشبية عديدة (قيل انها رزم فيها اسطواناته التي لا تحصى) الى سيارة شحن ضخمة، وتنطلق به السيارة الى مقره النائي بين المرتفعات الصخرية السامقة التي كثيراً ما تستقر عليها الغيوم.



وهناك بعيداً عن الناس بآلامهم وافراحهم ، بعيداً عن المنازل المتراصة بعضها فوق بعض ، والشوارع المزدحمة بباعتها ومتسوليها وسياراتها ، هناك بين اوكار النسور عزم صاحبنا ان يعيش ، لا يرى حوله الا رؤوس الجبال المدببة ، والصخور الجرداء ، والهاويات الرهيبة : قريباً من السحب وجاراً للنجوم

ولم يكن البيت الذي ابتناه هناك مجرد كوخ بسيط . بل كان اشبه بالقصر رغم صغره ، عامراً باسباب الراحة وكمالياتها ، وفيه مولد للكهرباء لكي لا ينقطع عن استعمال غرامافونه الكهربائي الدقيق التركيب .

وفي هذا المكان العجيب وقف صاحبنا حياته على الموسيقى . وكثيراً ما كان البعض يرون في الليل ضوءاً بعيداً يشع من على رأس الجبل فيقولون . . انه لم ينم بعد . . وبعد بضعة اسابيع جعل بعض القرويين ممن كانوا يضطرون الى تسلق جزء من الجبل يقولون : انهم يسمعون الانغام حتى عن ذلك البعد السحيق ! فظنوا ان ذلك لم يكن منهم الا وهماً — وقد غدا صاحبنا موضوعاً للتخرصات والخرافات غير انهم جعلوا يخرجون جماعات ويصعدون على رابية قريبة ليستوثقوا الامر ، فاذا الانغام لا مرية في وجودها : انها لتنحدر من على الصخور المنيفة وتنبث في الاودية .

والحقيقة هي ان صاحبنا لم يكتف بما فعل ، بل احضر عدداً من المكبرات الصوتية الضخمة ، وركبها في اماكن مختلفة من الجبل . فأذا ما عزف اسطوانة ، انطلقت الموسيقى في ارجاء المرتفعات الفسيحة ، وجعل الهواء يلعلع بالالحان ، كأن مئات الملائكة قد هبطت من السماء بمعازفها ، لتعزف له وهو يتجول بين الصخور .

وفي يوم من الايام وضع في الغرامافون الاوتوماتيكي اسطوانات كثيرة للموسيقي العظيم « يوهان سباستيان باخ » — وكان هذا احب الموسيقيين الى قلب صاحبنا ، يرى في توالي انغامه الهندسية التركيب بحث النفس الانسانية عن الخلود والازلية . « يقولون ان الموسيقى كثيراً ما ترمز الى مثل هذه الاشياء الغامضة » ثم خرج صاحبنا من المنزل ، وقد أعمل المكبرات الصوتية كلها على اعنف ما تكون ، وراح يركض بين الحجارة على شفا الهاويات والاخاديد ، وشعره يتطاير في الهواء العاصف ، والعواطف تتلاطم في صدره ، تسوقه الى البحث عن ذلك الذي كان يسعى في طلبه طيلة حياته وهو لا يدري : الخلود . وشعر ان الانغام تساعده وتؤازره ، وانه سيحصل بها على تلك القوة التي سيجابه بها الزمن منتصراً ، فلا تحول نفسه ولا تتغير ، وتبقى في نشوة ابدية . وبينما كانت الجبال والسماوات تتجاوب الالحان المدوية ، القى صاحبنا بنفسه في اخدود عميق على صخور ناتئات الاطراف ، فمات في الحال ، وانطلقت روحه الى الفراديس العلوية .

وقد سمع القرويون الذين كانوا في اسفل منحدرات الجبل ذلك اليوم موسيقى عجيبة ، استمرت مدة طويلة دون انقطاع . غير انهم في الايام التالية لم يعودوا يسمعون شيئاً مطلقاً مما أثار دهشتهم ، ولم يعودوا يرون النور يشع من اعلى الجبل في الليل ، فظنوا ان صاحب المكان لعله غادره . غير ان خشخشة غريبة لم تنقطع لايام كثيرة وكان الجو مشحوناً بها أثارت فضولهم اكثر من تلك الانغام التي سمعوها فيما مضى . كانت خشخشة مزعجة ، صبروا عليها بضعة ايام على مضض ، وهم يلغطون باعجب التقولات والتعليلات بشأنها . الى ان تشجع نفر منهم ، وعزموا على الصعود الى الدار المهجورة ليعرفوا سر ذلك الصوت ، وليروا القصر عن كثب .

لقد قضوا في تسلقهم زهاء يوم كامل ، ولم يبلغوا هدفهم الا قبيل غروب الشمس . فرأوا منزلا جميلا مشرع الابواب ، دخلوه بادىء الامر متهيبين ، وقد أثار الفضول أعصابهم ، كأنهم يدخلون بيتاً للجن . بيد انهم وجدوا الجدران مكسوة برفوف محملة بالاسطوانات — وفيما عدا ذلك ، لم يكن هناك ما يفرق الدار عن اي دار اخرى في المدينة . وفي وسط اكبر الغرف واجملها رأوا صندوقاً ، اقترب منه احدهم بحذر شديد ، ثم فتحه . واذا هو مملوء بقصاصات ورقية صغيرة ملونة ، دهشوا جميعاً لوجودها هناك ، واذا احدهم يصيح فجأة : « جنيهات ، جنيهات !! » .

لقد كانت تلك قصاصات جنيهات ، وكان الصندوق مملوءاً بها . فلما غمسوا ايديهم في ذلك المال المزق ، وجدوا غلافاً فيه رسالة كتب فيها : « قضيت عمري في جمع هذه الاوراق ، وهي كل ما تبقى لدي بعد ان انفقت ما انفقت ، وقدرها خمسون الف جنيه .

« وقد احتقرتها ، واحتقرت الذين قضوا حياتهم مثلي في ملاحقتها ، وها انا امزقها لكي لا تكون طعماً لاحد من جديد ، او سبباً في شقائه .

« وحالما انتهي من تمزيقها ساخرج مع انغام « باخ » الى الصخور التي لم يلطخها طمع البشر ، ولن اعود ، لانني سأقدم نفسي طعاماً للنسور . وسوف تحلق النسور ابداً عند اذيال ثوب الله » .

اما الخشخشة فقد اكتشفوا انها صادرة عن مكبرات الصوت المنبثة في انحاء الجبل . واتفق انهم ما كادوا يكتشفون المولد الكهربائي حتى كان ما في خزانه من بترول قد نفد ، وللحال توقف المولد عن العمل ، وصمتت المكبرات .

بغداد

عبرا ابراهيم عبرا

اضواء من بعيد

بقلم سيد قطب

الفرق

بعيد ، جد بعيد ، بين ان نفهم الحقائق ، وان ندرك الحقائق . وان الاولى هي العلم ، والثانية هي المعرفة. في الاولى نحن نتعامل مع الفاظ ومعاني مجردة ، او مع تجارب ونتائج جزئية . وفي الثانية نحن نتعامل مع استجابات حية ، ومدركات كلية.

في الاولى ترد الينا المعلومات من خارج ذواتنا ، ثم تبقى في عقولنا متميزة. وفي الثانية تنبثق الحقائق من اعماقنا ، يجري فيها الدم الذي يجري في اوشاجنا ، ويتسق اشعاعها مع نبضنا الذاتي.

في الاولى توجد « الخانات » والعناوين : خانة العلم وتحتها عنوانات فروعه وهي شتى . خانة الدين وتحتها عنوانات فصوله وابوابه . . خانة الفن وتحتها عنوانات ومناهج واتجاهات. وفي والثانية توجد الطاقة الواحدة المتصلة بالطاقة الكونية الكبرى ، يوجد الجدول السارب ، الواصل الى النبع الاصيل .

في الاولى نحن رواد في هذا الكون ، نلاحظ المشاهد ، ونسجل النتائج . وفي الثانية نحن قطرات من الخضم ، تحس وتستجيب لكل خفقة في قلب الكون الكبير .

نحن

في حاجة ملحة الى المتخصصين في كل فرع من فروع المعارف الانسانية ، اولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع واديرة ، ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصصوا فيه ، لا بشعور التضحية فحسب ، بل بشعور اللذة كذلك . شعور الفنان الذي يهب روحه لالهه وهو فرحان .

ولكننا مع هذا يجب ان ندرك ان هؤلاء ليسوا هم الذين يوجهون الحياة ، او يختارون للبشرية الطريق .

ان الرواد كانوا دائماً وسيكونون هم اصحاب الطاقات الروحية الفائقة . هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة ، التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف ، وتنكشف في ضوئها طريق الرحلة ، مزودة بكل هذه الجزئيات قوية بهذا الزاد وهي تغذ السير نحو الهدف السامي البعيد .

هؤلاء الرواد هم الذين يدركون بصيرتهم تلك الوحدة الشاملة المتعددة المظاهر في العلم والفن والعقيدة والعمل ، فلا يحقرون واحداً منها ، ولا يرفعونه فوق مستواه .

الصغار وحدهم هم الذين يعتقدون ان هناك تعارضاً بين هذه القوى المتنوعة المظاهر ، فيحاربون العلم باسم الدين او الدين باسم العلم ، ويحقرون الفن باسم العمل ، او الحيوية الدافقة باسم العقيدة المتصوفة . ذلك انهم يدركون كل قوة من هذه القوى منعزلة عن مجموعة القوى الاخرى ، الصادرة من النبع الواحد ، من تلك القوى الكبرى المسيطرة على هذا الوجود .

ولكن الرواد الكبار يدركون تلك الوحدة ، لانهم متصلون بذلك النبع الاصيل ، ومنه يستمدون .

انهم قليلون في تاريخ البشرية . بل نادرون . ولكن منهم الكفاية ، فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم ، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب !

الاستسلام

المطلق للاعتقاد في الخوارق والقوى المجهولة خطر ، لانه يقود الى الخرافة ، ويحول الحياة كلها الى وهم كبير .

ولكن التنكر المطلق لهذا الاعتقاد ، ليس اقل خطراً ، لانه يغلق منافذ المجهول كلها ، وينكر كل قوة غير منظورة ، لا لشيء الا لانها قد تكون اكبر من ادراكنا البشري في فترة من فترات حياتنا . وبذلك يصغر من هذا الوجود — مساحة وطاقة وقيمة كذلك — ويحده بحدود « المعلوم » وهو الى هذه اللحظة — حين يقاس الى عظمة الكون — ضئيل جد ضئيل .

سورة وصفية

مارية

بقلم وديع فلسطين

مبرة محبة تستبد بي صبيحة كل يوم ، ففي الخزانة عشرات من ربطات العنق ، تزهو كل منهـا على اترابها ، ولا بد من انتقاء واحدة تتسق مع سائر الهندام، ولا بد من دقائق تضيع بين المفاضلة والمقابلة والموازنة . الربطة الحمراء مثلاً تتجلى فتنتها على الرداء الرمادي الفاتح ، والربطة الزرقاء تليق على البذلة القاتمة، والربطة البيضاء تزين القميص الداكن والربطة ذات الاشعاع والوميض تستبقى للامسيات، والربطة الاسبانية الخضراء ذات الشرائط الحمر ، تحلو على السترة البيضاء .

انها حيرة ، ولكنها محبة . محبة لان للاناقة فلسفة لا يحسنها الا من خالط كبار الناس وخاض خضم مجتمعـاتهم ، وشاركهم في سهراتهم وحفلات استقبالهم ، واخذ عنهم في غير تقليد اعمى او محاكاة صماء . وهي محبة كذلك ، لان هـذه الربطات جميعاً اختارتها يـد بضة تستأهل اللثم ، واختارتها لا من شرق ضـارب في شرقيته ولا من غرب مغرب في غربيته ، بل من عواصم العالم التي يحج اليها عاشقو الاناقة . وصاحبة هذه اليد — مـاري — تحب التطواف والتجوال، وتركب الطائرة عشرات من المرات في العام، وتركب البحر قليلاً ، فهي لا تحب الحياة الرتيبة ذات الوتيرة النظيمة ، بل تهوى حيـاة الظعن

ان حياة الانسان سلسلة من العجز عن ادراك القوى الكونية، او سلسلة من القدرة على ادراك هذه القوى كلما شب عن الطوق، وخطا خطوة الى الامام في طريقه الطويل .

ان قدرة الانسان في وقت بعد وقت على ادراك احدى قوى الكون التي كانت مجهولة له منذ لحظة ، وكانت فوق طاقته وفوق ادراكه في وقت ما ، لكفيلة بان تفتح بصيرته على ان هناك قوى اخرى لم يدركها بعد ، لانه لا يزال في دور التجريب .

ان احترام العقـل البشري ذاته لخليق بان نحسب المجهول في حياتنا حسابه . لا لنكل اليه كل امورنا ، كما يصنع المتعلقون بالوهم والخرافة ، ولكن لكي نحس عظمة هذا الكون على حقيقتها ، ولكي نعرف لانفسنا قدرها في هذا الكون العريض .

وان هذا لخليق بأن يفتح للروح الانسانية كوى كثيرة للمعرفة، وللشعور بالوشائج التي تربطنا بالكون من داخلنا ، وهي بلا شك اكبر واعمق من كل ما ادركناه حتى اليوم بعقولنا، بدليل اننا ما نزال نكتشف في كل يوم عن مجهول جديد ، واننا لا نزال بعد نعيش !

من الناس في هذا العصر من يرى في الاعتراف بعظمة الله المطلقة غضاً من قيمة الانسان ، واصغاراً لشأنه في الوجود كأنما الله والانسان ندان يتنافسان على العظمة والقوة في هذا الوجود!

انا احس انه كلما ازددنا شعوراً بعظمة الله المطلقة ، زدنا نحن انفسنا عظمة ، لاننا من صنع إله عظيم .

ان هؤلاء الذين يحسبون انهم يرفعون انفسهم ، حين يخفضون — في وهمهم — الههم — او ينكرونه ، انما هم المحدودون الذين لا يستطيعون ان يروا الا الافق الواطي القريب .

انهم يظنون ان الانسان انما لجأ الى الله في ابان ضعفه وعجزه، فأما اليوم فهو من القوة بحيث لا يحتاج الى إله ! كأنما الضعف يفتح البصيرة والقدرة تطمسها !

ان الانسان لجدير بان يزيد احساساً بعظمة الله المطلقة كلما نمت قوته ، لانه جدير بان يدرك مصدر هـذه القوة ، كلما نمت وتفتحت في كيانه .

ان المؤمنين بعظمة الله المطلقة لا يجدون في انفسهم ضعة ولا ضعفاً ، بل على العكس يجدون في انفسهم العزة والمنعة، لان مجال عظمتهم في الارض وبين الناس ، فهي لا تصطدم بعظمة الله المطلقة في هذا الوجود . ان لهم رصيداً من العظمة والعزة في ايمانهم العميق، لا يجده اولئك الذين ينفخون انفسهم « كالبالون » حتى ليغطي الورم المنفوخ عن عيونهم كل آفاق الوجود .

كالبفورنيا - اصربطا

سيد قطب

والسفر ، واينما حط بها الركب ، كان حتما عليها — كأنه تكليف — ان تتخير من واجهات المحال اجمل ما فيها من ربطات عنق لتهديها الى صاحبها قاطن القاهرة .

وقد يطلق الناس اسماء على كل جرو يرح في الحديقة ، وقد يسمون الهرة بأسماء اعلام ، ولكنهم لا يسمون ربطات العنق باسماء . اما خزانتي ، فهي تشذ عن ذلك فتجعل لكل ربطة اسماً معزواً الى مصدرها : فهذه ربطة باريس وتلك ربطة مدريد ، وهاته ربطة روما وذي ربطة بيروت ، وجميعها ربطات ماري رد الله غربتها .

ذات سليقة خاصة في حياتها ؛ لانها شخصية لا تتكرر . « فاري » تحب الناس كثيراً ، ولكنها تحب العيش وحدها . وماري تحب العمل الكثير المجهد المرهق ولكنها تكره ذلك لاصحابها والاثيرين عندها . وماري تهوى الترحال وركوب مطية الهواء ، ولكنها تمقت ان يرحل عنها اصدقاؤها او ان يخاطروا بركوب سفينة الجو . وماري تحب الناس يحجون الى دارتها الرشيقة ، ولكنها لا تحب الحج الى دور الآخرين . وماري تطعم ضيوفها من كل لون وكل صنف ، ولكنها تحرم نفسها لذة المطعم لان امعاءها — كأمعائي — تشكو العلة ، ولان اطباءها — كأطبائي — يزجرونها عن الغذاء الكثير المقومات .

وماري تقسو على نفسها وتعنفها في غير رفق ، ولكنها تحنو على رفاقها في افراط سخي ، وقد يحسبها الناس بغير قلب وبغير مشاعر لانها قلما تسفر امامهم بعاطفتها المكبوتة ، ولكنها اذا خلت الى نفسها فجرت هذه العاطفة تفجيراً ، وسكبت دمعها سكيباً ، وفرجت عن كربها بمناجاة النفس والتماس العون من صور القديسين التي تطل من جدران غرفتها .

تالله ما اكبر قلبها ، فقد كفكفت بمنديلي مغرورق دمعها السيال لانها فقدت أباً روحياً . وليس هذا الاب من الاقرباء حتى تتفجر العاطفة هكذا ، ولكن ماري أدرجته في زمرة الاقرباء وافراد الاسرة لانها ترى ان الاسرة تصنع ولا تخلق ، تصنع من الصحاب الذين ينتقيهم المرء بنفسه وبحريته المطلقة ، ولا تخلق من ارحام واصلاب واعراق ووشائج قربى .

وقد ألفت الاحكم على الناس من النظرة الخاطفة او المقابلة العارضة او الحديث العابر ، ودربت نفسي على احترام الناس جميعاً حتى الذين يزدرون انفسهم بانفسهم . ولذلك تحفظت في الحكم على ماري من اول لقاء . خشية ان يكون الحكم جائراً مبتسراً . فقد كان مظهرها يوحي بخشونة غير مشهورة عن بنات جنسها وكان كلامها اقرب الى الامر منه الى الرجاء ، وكان حديثها مشبعاً بروح عدوانية (agressive) ولكن الخبرة الطويلة ، والمعرفة الوثيقة والصداقة المتأصلة بددت هذه الغمائم الطافية ، واظهرت ماري على حقيقتها : فتاة ذات وفاء قل مثيله ، وذات وداد يعتز به ، وذات سجايا تغبط عليها ، وذات قلب كبير يعرف كيف يخاطب القلوب ، وذات طيبة متغلغلة في ثنايا النفس ، وذات ايمان عميق بالمعنويات والروحيات تركن اليه كلما واجهت امراً معسراً ، او صادفت عقبة كأداء .

اما مظاهر الحدة والشدة ، وقالب الصلف والكبرياء ، واسلوب الامر والنهي ، فهي كالدرقة حول السلحفاة تدرأ عنها المفاجآت الغادرة وتقيها من كل غرض مسف .

وان ماري لا تعيش هباء ، ولا تقطع ايام عمرها بالتسلية والتزجية ، ولا تحيا حياة التبلد والجمود . فلها في الحياة رسالة تؤديها ، وهي عاكفة على ادائها . فهي وقد عاشت في الغرب كثيراً ، وعاشت في الشرق كثيراً ، تريد لهذا الشرق ان يستوعب فضائل الغرب . هي لذلك تأبى ان تكون المرأة مجرد وعاء للنسل او خادمة للبيت او مرضعة لجيش جرذان من الولدان . وهي لا تريد لاهل الشرق ان يعيشوا في قمقم من تقاليدهم المتوارثة من جيل الى جيل ، وهي لا ترضى للشرق بالاستكفاء الذاتي والعيش على الماضي — مجيداً كان او غير مجيد — وهي لا تنشد للشرق حياة الدعة والخمول والنوم فيغدو كل شرقي شيخاً قرير العين « مع الاعتذار للاستاذ كرم مليحم كرم » . كلا انها ما تريد ذلك ، وانما تريد العالم ان يكون واحداً ، وتقول للشرق : امدد يمينك الى الغرب لانك غارق في لجة من الجهالة والتخلف ، وتقول لابناء الشرق : تعلموا السماحة من اهل الغرب ، وخذوا منهم المعرفة التي سبق لهم ان اخذوها منكم ، وتطلعوا الى روما وباريس ولندن وفينا ومدريد لتقبسوا من اضوائها ما يبدد ظلماتكم ، وعيشوا حياة صناعية اقتصادية ولا تجعلوا من بلادكم مجرد ضياع وحقول ومراع .

هذه رسالة ماري العامة . اما رسالتها الخاصة ، فهي ان تعيش لاصدقائها وتحيا لهم . وقد بذلت في سبيل اصدقائها كثيراً ، وضحت في سبيل اسعادهم بكثير ، ولكن هذا البذل وتلك التضحيات لم تضع هباء ، لان على صدرها اليوم رصيعة من خالص الذهب منحت لها في حفل كبير مع حشد من ذوي الرتب والالقاب والمناصب تقديراً لما اسدته من خدمات مقدورة معترف بها مشكورة عليها . رد الله غربتك يا ماري .

القاهرة — وديع فلسطين

صفات امريكية

مربّ امريكي يشرح لطلبة عرب عشرة مبادىء
اساسية تتصف بها الحياة الامريكية الحقة

بقلم حبيب ابراهيم كاتبة



تضاربت الآراء في فهم الحياة الامريكية وتقدير معنوياتها . فهذه الامة الامريكية التي تعد بحق اقدم امة ديموقراطية في التاريخ الحديث هي ذات عناصر مختلفة وثقافات متنوعة وفلسفات في الحياة متضاربة واهداف متباينة . ولكنها بالرغم من ذلك هي وحدة حية نامية نشيطة . بل هي اليوم افلح امة واعظم دولة وابرك بلاد على سطح الارض اذا اعتبرت فيها جميع وجوهها . فما هي العناصر النفسية التي جعلتها كذلك ؟ وكيف تستفيد الامة العربية الفتية المتسكعة في دياجي تجربتها الحديثة من اختبارات امريكا ، على تناقضها الفاضح ومغالطاتها المدهشة ؟

قد يصيب الناقد كبد الحقيقة بالتحليل والتعليل وقد يضل . ولكن لا حرج عليه ان هو عدد المبادىء الامريكية البارزة التي اجمعت الآراء على انها اساس نجاح هذه البلاد معرضاً عن التحليل والتعليل . وهذا ما فعله امريكي عريق بامريكيته خبير باحوال بلاده في خطاب القاه امام جمهرة من الطلبة الامريكيين في «البيت الدولي» التابع لجامعة كولومبيا في نيويورك . اما الخطيب فهو الدكتور بايارد دودج الرئيس السابق للجامعة الامريكية في بيروت الذي سلخ ما ينيف على ربع قرن في خدمة العلم والفضيلة في سوريا ولبنان والاقطار العربية كافة . لذلك هو رجل خبر الشرق ايضاً واصبح من القلائل الذين يصح ان يقال فيهم انهم خير اداة للتفاهم الروحي بين الشرق والغرب .

وقبل ان انقل الى القارىء العربي ما استخلصته من خطاب هذا المربي الامريكي الفذ استميح القراء بمراجعة وجيزة عن العائلة الكريمة التي ينتمي اليها الدكتور دودج للتدليل على تأصله في امريكيته وحجته في الكلام عن المبادىء او الصفات الامريكية المؤهلة للحياة الديموقراطية .

بايارد دودج هو ابن تاجر وصناعي محسن اسمه كليفلند دودج لمع اسمه في العقد الاول من القرن العشرين لانه كان من انصار الرئيس ولسن الذين دعموا ترشيحه لرئاسة الولايات المتحدة . وفي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما حلت النكبة بالارمن بذل اموالا طائله في سبيل اغاثتهم واغاثة غيرهم من شعوب الشرق الادنى . وكان من اكبر انصار جمعية الشبان المسيحيين وفي طليعة المتبرعين للجامعة الامريكية في بيروت . وكان كليفلند دودج في جميع ذلك خير خلف لخير سلف . فقد كان كليفلند دودج ابن وليم ارل دودج . وهذا الاخير كان ايضاً كثير الاهتمام بالشرق الادنى علاوة على انه كان تاجراً معتبراً انتخب ثلاث مرات متوالية لرئاسة بورصة نيويورك . وكان شديد الاهتمام بجمعيات التبشير فوهب لها اموالا طائلة لا تقل عما وهبه لمشاريع الاحسان في مدينته نيويورك حيث تمثاله في حديقة بريانت Bryant Park بالقرب من مكتبة نيويورك العمومية — ولا نغالي اذا قلنا انه لولا وليم ارل دودج ربما لما تحققت الجامعة الامريكية في بيروت . فقد كان اكبر عون لدانيال بلس صاحب مشروع الجامعة الذي قام برحلة الى الولايات المتحدة وانكلترا في سنة ١٨٦٢ لجمع التبرعات تحقيقاً لهذا المشروع فتبرع له وليم ارل دودج باكبر قيمة تبرع بها فرد في سبيل انشاء الجامعة وكانت عندئذ تدعى « الكلية السورية الانجيلية » . ثم ان مؤسس ثروة هذه العائلة — دافيد لو دودج — وهو وليم ارل

كان ايضاً ملهم اخلاق افرادها العالية، فجمع بين الاثراء والاحسان. ويؤثر عنه انه في سنة ١٨٠٩ عندما كان لا يزال في بلدة بروكان كنيكتيكت (لا بروكان نيويورك) الف كتاباً عنوانه « مملكة الوسيط (اي المسيح) ليست من هذا العالم ». وقد حاول فيه دافيد لو دودج التاجر الصناعي الذي نقل اقامته فيما بعد الى نيويورك أن يبرهن على ان الحروب تنافي تعاليم المسيح .

اتينا على هذه الفذلكة لنثبت للقارىء بان الدكتور بايارد دودج عندما يتكلم عن الامريكية والامريكيين يتكلم « كمن له سلطان وليس كالكتبة ا »وحياة الدكتور بايارد دودج في الشرق العربي مفعمة بالبراهين الحسية على طيب ارومته وكرم عنصره فكان لربع قرن ونيف كتاباً مفتوحاً مملوءاً بالمحاسن والقدوة المثلى، فوهب للشرق من ماله وقواه العقلية ومن روحه بسخاء. وروي عنه اثناء الحرب العالمية الاولى انه كان «يخسف نعل حذائه ويرقع ثوبه» وذلك ليكون قدوة لغيره من اغنياء الشرق وليوفر جهد مستطاعه ليطعم الجياع الذين كانوا يتساقطون كاوراق الخريف جثثاً هامدة في طرقات بيروت وعلى سفوح جبل لبنان. ودفاعه عن العرب في قضية فلسطين في المجلات الامريكية وفي محافل الخطابة امر مشهور لدى الذين يعرفون هذا الرجل. وهو الآن يصرف سني حياته التي استحق فيها ان يرتاح في اثارة اهتمام الشعب الامريكي باللاجئين المشردين من عرب فلسطين. وقد كان لمدة بضعة اشهر مستشار منظمة الامم المتحدة للجنة اللاجئين العرب. ولما انتهت مهمته اخذ يسوح في طول البلاد وعرضها يخطب في الجموع الامريكية عن العرب وقضايا العرب ويستندي اكف المحسنين للتبرع لنساء العرب واطفالهم المشردين في العراء الذين يطوون على جوع ويستيقظون على يأس مقيم ومرارة تحز في النفوس وهو عندما يتكلم عن العرب لا يعظ ولا يؤنب ولكنه يصف الحالة كما يراها وكما اختبرها بنفسه. ويزيل من الاذهان ما علق فيها من الاخطاء الفاضحة عن العرب واهدافهم في الحياة. وعندما خطب في الطلبة العرب في جامعة كولومبيا اسر لهم — وكان بينهم عدد من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت على عهد رئاسته — بانها فرصة نادرة اتيحت له بان تكون اغلبية سامعيه من العرب لا من الامريكيين فاختار لهم موضوعاً مفيداً ضرب فيه على وتر طربوا له. وقال انه



الرئيس بايارد دودج

عندما يخطب في جمع امريكي يشرح لهم عن العرب ومبادىء حياتهم القويمة ومثلهم العالية. ولكنه في تلك الليلة يريد ان يتكلم عن الامريكيين والصفات الاميركية التي كانت السبب في عظمة امريكا وثبات ديموقراطيتها.

والآن، ما هي هذه الصفات الامريكية التي يحدس بها كثيرون؟ عدد الدكتور بايارد دودج منها عشراً. وها نحن نثبتها في ما تبقى من هذه المقالة ببعض تصرف.

١ — يميل الامريكيون لحياة الهواء الطلق. فهم يكثرون من النزهة والمهرجانات في الحقول. وعندما ينتهون من اعمالهم مساء او بعد ظهر السبت او يوم الاحد لا يذهبون الى القهاوي بل بالاحرى الى المنشيات وحدائق الحيوانات. وكثيراً ما يذهبون الى الارياف جماعات. فيذهب الرجل ومعه امرأته واولاده وتكون الزوجة قد جهزت عشاء خفيفاً من السبندوتش والقهوة الساخنة في الترموس. فيجلس الجميع تحت شجرة وارفة الظلال عند حافة ساقية او شاطىء بحيرة. وعند الانتهاء من العشاء. اذ تأخذ الشمس بالمغيب ويعد الظلام سرادقه تعود العائلة الى منزلها في المدينة.

٢ — ان الامريكيين شعب « اسرابي». اي ان الامريكي يكره العزلة ويميل الى الاشتراك في العمل والتسلية مع اترابه. ولذلك كثرت الجمعيات في امريكا الى حد كبير لا تجده في اية بلاد اخرى ويستدعي استغراب الاجانب الذين يزورون امريكا لاول مرة. وقد بلغ ميل التجمهر بالامريكيين الى ان قليلين منهم يتفرغون لمطالعة كتب جدية او للتفكير بالمشاكل الحيوية التي يواجهها عالمنا اليوم. فيقرأون توافه الحقول في الصحف اليومية والمقالات السطحية في المجلات الرائجة واذا ارادوا الاطلاع على شؤون العالم الهامة يهرعون الى جمعياتهم او انديتهم لسماع خطيب دعي خصيصاً لهذه الغاية فلا يكلفون نفوسهم عناء التفكير.

٣ — تمر امريكا اليوم في فترة من تاريخ ثقافتها تستطيع التعبير عنها بانها « اكلكتيكية » Eclectic — اى انتخابية تجمع بين ثقافات عديدة. فليس هناك ثقافة امريكية بحتة — كما كان يصح التعبير عنها نوعاً في ما مضى — منذ مائة او خمسين سنة. بل هناك ثقافة مشكلة مختلطة تشبه كثيراً الثقافة العربية او الاسلامية في العصر العباسي. فالتقاليد التي كانت ركن الثقافة الامريكية

آخذة بالتلاشي . يصح هذا في الادب والفن والسياسة والاقتصاد.

٤— ان هذه « الانتخابية » في الثقافة الامريكية الحالية تساعد على خلق جو ملائم للتقدم . فالامريكي اليوم ميال لتجربة الافكار الجديدة ولا سيما في الامور الصناعية والتكنيكية . ولكن هذا الميل لا يقف عند حد الماديات والميكانيكيات بل يتعداه الى الفن والازياء والمعتقدات حتى اصبح نوعاً من الوله .

٥ — ان الامريكي مبذر . وهذه صفة غير مستحبة . فهو كريم بالعطاء في سبيل الخير والمشاريع العمومية . فانك تجد كرم الامريكيين في الطبقات الوسطى لا يقابله كرم مثله في اية امة او بلاد. وقد قيل ان ما يتلفه الامريكيون من الطعام في السنة يكفي لاشباع قارة . نعم ولكن ما يتبرع به الامريكيون بالاموال والمواد الغذائية ايضاً يكفي لاشباع قارة بكاملها .

٦— من اجمل الصفات الامريكية واجدرها بالشرقيين اقتباساً حب الامريكيين للعمل . وهنا اراد الدكتور دودج التأكيد والايضاح فقال « اعني العمل اليدوي . » ومضى يقول — « هل علمتم ان عدداً كبيراً — بل كبيراً جداً — من فلاحي الولايات المتحدة هم خريجو كليات وجامعات؟ اعرف سيدة هي الآن رئيسة تحرير جريدة نيويوركية تعد من اكبر جرائد البلاد بل جرائد العالم، عندما توفي زوجها آلت على نفسها ان تلم بجميع شؤون الجريدة . فابتدأت «من اسفل» وتعلمت كل ما يجب معرفته من الطباعة وتنضيد الحروف المسبوكة والرتوجرفير وكل ما يتعلق باعمال الجريدة الميكانيكية . فكانت ترتدي ثياب العمل وتشمر عن زنديها وتشتغل مع العمال العاديين المستخدمين في جريدتها . وهي اليوم تعد ثقة بفن الطباعة لا تفوتها شاردة او واردة من مهام جريدتها الواسعة الانتشار .

٧— وتجانس هذه الصفة صفة الاعتماد على النفس . وهي من الصفات التي توارثها الامريكيون القدماء عن جدودهم الاولين . وقد قلدهم فيها الامريكيون الحديثو العهد بهجرتهم باقبال غريب فالامريكي يحب ان يعمل ما يريد عمله بنفسه وان لا يكل ذلك لاحد غيره . فالامريكي اذا امكنه يرفض الاعتماد على غيره ويرفض تدخل غيره بشؤونه الخاصة . لذلك ترى الامريكي دائماً ينتقد حكومته لا لما تهمله من العمل بل بالاكثر لما تحاول عمله مما يحد من حرية الشعب ويقلل من اعتماد الامريكيين على نفوسهم . وقد جرى على لسان اغلب الامريكيين قول فيه كثير من الغلو وبعض الحقيقة وهو « الحكومة للجحيم ». ومن ادلة اعتماد الامريكيين على نفوسهم نزعتهم الترميمية التي يتولون بها افراداً وجماعات اصلاح ما دمرته الطبيعة في اوانه وعدم اهماله اعواماً وعقوداً . فاذا جرفت مياه الامطار جسراً في طريق بين بلد وآخر يتألب رجال البلدين لتجديد بنائه بايام معدودة . واذا شبت النار في قرية ليس فيها فرقة اطفاء تجمع المتطوعون على صوت جرس للقيام بعملية اطفاء الحريق وجميل وحكيم ما صرح به الدكتور دودج مخاطباً الطلبة العرب — « ان الاقطار العربية ليست بحاجة الى مشروع ترومان او مشروع كلاب . لماذا لا تقومون انتم العرب بما يقتضيه هذان المشروعان وغيرهما من المشاريع . » ومن ابلغ ما استشهد به الدكتور دودج في خطابه علي روح التعاون والاعتماد على النفس وقيام كل فرد بواجبه دون مفاضلة ومفاخرة وتمنين ان جورج بيركنس — احد كبار المتمولين الامريكيين المحسنين — ادان ولاية نيويورك منذ بضعة عقود مليون دولار لبناء جسر Bear Mountain وعندما تم بناء الجسر ومر عليه جورج بيركنس بسيارته كغيره من المارة مديده الى جيبه واخرج قطعة خمسين سنتا (نصف دولار) ودفع الرسم الذي وضعته ولاية نيويورك استيفاء لثمن الجسر ولم يقل — « الا تعرف من انا؟ انا جورج بيركنس الذي امدكم بالقرض المالي لبناء هذا الجسر ، الا تحتشي بان تدفعني الرسم كاحد عامة الناس ؟

٨ — اشتهر الامريكيون بفرديتهم او بالاحرى بحبهم للحرية والاستقلال الفردي اللذين لا يحولان بحد ذاتهما دون التعاون ودون صفة اخرى اشتهر بها الامريكيون ايضاً ويجدر بغيرهم ولا سيما العرب اقتداءهم بها . وهذه الصفة هي الاتحاد . ورمز ذلك في

العرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

مزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ بولس الحجي

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

وحدة الولايات المتحدة الفريدة في بابها (والتي يقال ان احد آباء الامريكيين الذين وقعوا « اعلان الاستقلال » الامريكي جون رتلدج اقتبسها عن الهنود الحمر . فمع ان كل ولاية تعد بنظر الدستور الامريكي وحدة سياسية مستقلة عن الاخرى ولها سيادتها الخاصة ومجلسها الأشتراعي وحاكمها ومحاكمها وقوانينها الخاصة فاننا لا نجد بين هذه الولايات من فواصل الجمرك والعملة والعسكرية ما تجده بين دول الجامعة العربية مثلاً فالولايات المتحدة ليست وحدة سياسية ولكنها في بعض الامور الاساسية تتفق . ومثل هذا قد يصح بالدول العربية على ما صرح به الدكتور دودج فهي ليست بحاجة الى ان تتحد سياسياً قبل ان تتحد اقتصادياً واجتماعياً ولتحقيق اهداف اخرى . فبسبب اتحاد الولايات المتحدة الاقتصادي اصبح من الممكن انشاء شركات يعد المساهمون فيها بمئات الالوف بل بالملايين — كشركة التلفون والتلغراف النيويوركية مثلاً . ولاجل ذلك الاتحاد اصبح باستطاعة صاحب معمل لعصير البرتقال في شيكاغو مثلاً ان يبيع عصيره في ولاية كاليفورنيا او فلوريدا التي تنتج البرتقال بالسعر ذاته الذي يبيعه به في شيكاغو او نيويورك . وبفضل هذا الاتحاد استطاعت مجلة نيويورك ان تطبع ٧ ملايين عدد في الشهر وتفرقها في جميع انحاء البلاد بسعر واحد .

٩ — اراد الدكتور بايارد دودج ان يزيل بعض ما يكون قد علق في اذهان سامعيه عن مظاهر الحياة الامريكية المادية الصبغة : ناطحات السحاب والآلات الضخمة والثروات التي تفوق الحصر — فقال ان كثيرين يسيئون للامريكيين ولحقيقة الحياة الامريكية عندما يصمون الامريكيين بالمادية . فالحقيقة هي خلاف ذلك اذ ان مظاهر عظمة امريكا المادية هي رمز عظمتها الروحية ورسوخ مبادئها الديموقراطية الحرة . فالامريكي في صميمه متدين ومحب للفنون . وقد كان حب الفن ظاهرة بارزة في الامريكيين القدماء . فكان يوجد في كل عائلة افراد ينصرف منهم هذا لفن الرسم وهذه للغناء وغيرهما للشعر او النثر الجميل . ولا تزال آثار هذه الظاهرة في الحياة الامريكية الجارية . فانظر الى معهد نيوانجلند للموسيقى او سمفونية بوسطن او متروبوليتان اوبرا في نيويورك ومثلها في شيكاغو وسانت لويس . او معرض متروبوليتان للفنون الجميلة في نيويورك ومعرض واشنطون الذي انشأه اندرو ميلون بثمانين مليون دولار . وقد لا تخلو مدينة او بلدة امريكية من معرض او معهد للغناء او لاحد الفنون الجميلة . فالامريكيون اسخياء على الفنون الجميلة حتى ولو لم يستفيدوا منها بقدر ما يجب . اما من جهة الدين فالولايات المتحدة ملأى بالكنائس وبالمعاهد الدينية على مختلف انواعها . وان ما نشاهده اليوم من عدم اكتراث كثيرين من الامريكيين بالاديان الوضعية او من الاضطراب الروحي فهو دليل على حالة انتقالية ومحاولة جدية لتطبيق الدين على ما قضت عليه العلوم الحديثة من الافكار الدينية القديمة وما اكتشفته من الافكار الجديدة . فليس ما نشاهده اليوم في الولايات المتحدة دليل تعطيل للعاطفة الدينية بل دليل اثارتها على افق اعلى لايتنافى مع العقل السليم .

١٠ — وآخر ما ذكره الدكتور دودج في خطابه امام الطلبة العرب نصيحته لهم بان « لا تستعجلوا الامور » . فحذرهم بان لا يأملوا دائماً بان يجنوا بنفوسهم ما غرستهم ايديهم . فالشرقي اذا فتق له امر قال « لدي فكرة » . ولكن الامريكي لا يكتفي بذلك بل يقول « لدي فكرة وها هي الخطة » . فالامريكيون مغرمون بوضع خطط ومناهج لاعمالهم . وكثيراً ما يبدأون بعمل يجني اولادهم واحفادهم ربحه . وهذه صفة جدير بشباب العرب التمثل بها . فانهم لجوجون على ما يظهر للدكتور دودج اكثر مما يجب . هذه هي الصفات الامريكية التي احب الدكتور بايارد دودج ان يرددها على اسماع الطلبة العرب في نيويورك . وهي صفات امريكية حسنة تؤهل للفلاح ، صفات « بلدية » وصفات اكتسبها الامريكيون من جميع الشعوب ، وبينهم الشعب العربي .

نيويورك — حبيب ابراهيم كاتبة

الابحاث

•

تصدر عن الجامعة الاميركية في بيروت ٤ مرات في السنة

يحررها اساتذة الجامعة الاميركية وغيرهم . وهي منبر حر للمفكرين في جميع الاقطار العربية

اشتراكها السنوي في لبنان وسوريا ٨ ليرات لبنانية او سورية وفي الخارج جنيه استرليني واحد

تطلب من سكرتير التحرير :

الجامعة الاميركية في بيروت ، لبنان

فردي

صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم مجيد شريف

●

أرأيت

أيها القارىء الى الفراش يتهافت على اضواء المصابيح الخافتة او الباهرة، فيتواثب حولها منتحراً بسحرها العجيب ، نشواناً بتألقها الغريب ، كذلك تجتذب انغام «فردي» والحانه الناس بروعة جمالها، وسحر عذوبتها، فينهاون من ينبوع موسيقاه بنهم لارواء غلة نفوسهم الظمأى التي لا تعرف الارتواء .

ولد (فردي) عام ١٨١٣ في مدينة رانكول بايطاليا من اسرة هدّمها الفقر ، واشقاها العوز ، وشتت شمل افرادها شظف العيش وبؤسه ، ومهما فتش الباحث ونقب في فروع واصول اسرته فانه لن يجد فرداً واحداً منها كان له ميل موسيقي ، او اي اتجاه فني آخر مهما سما نوعه او انحط .

في هذا المحيط العائلي البعيد عن الفن، والشاذ في طرق معيشته وحياته، شب فردي الطفل تقود خطواته في هذا الفن الرفيع مواهبه الدفينة ، وتراتيل الكنيسة التي كان يجج اليها صباح كل يوم ، والارغن الذي تلقن عليه تعاليم الموسيقى الابتدائية، والبيان الهرم القابع في زاوية من زوايا المنزل، والذي لم تتحرك عليه اصابع انسان قبله ، فكان على تنافر اصواته المزعجة يجد في صدر الطفل رحابة وسكينة جميلتين .

ولكن الاقدار سرعان ما قست عليه ، فقذفته قذفاً وهو ما زال في الثانية عشرة من عمره الى آتون العمل في سبيل لقمة الخبز ، فيهجر مدرسته وان لم يستطع مفارقة كنيسته وارغنه الحبيب ، فكان يسارق اوقات العمل مسارقة ليسبح في بحر التراتيل المليئة بالسمو الانساني . . تلك التراتيل التي مهدت ملكاته في التلحين الغنائي . وقيض له ان يحقق خياله البعيد الحالم حين تعرف بالاستاذ بارتزي فاتفق معه على ان يزاول عنده اعمالا اخرى بجانب الاعمال الرئيسية في تدوين الحان استاذه الخاصة وتنظيمها لقاء ايوائه واطعامه .

وهكذا استقبل (فردي) حياته الجديدة فأخذ يصقل مواهبه ويلتهم المعلومات الموسيقية التي يدونها لاستاذه التهاما ساعدته فيما بعد لان يصبح اكبر ملحن للغنائيات .

وكأن الحظ حالفه بعد ادباره الطويل ، فعشق في هدأة من العواطف الجياشة التي سيطرت على قلبه العذري ابنة استاذه مرجريت فرحل الى ميلانو حاملاً في قلبه المتقد بجذوة الحب ، الايمان بنفسه وبنبوغه وبالحياة ، ولكنه اخفق في دخول معهدها الموسيقي ومع هذا لم ييأس واستطاع ان يتتلمذ بعد وقت قصير على يد احد الموسيقيين والمؤلفين للغنائيات المدعو لافينيا الذي قاده الى منابع فن الغناء الاصيل ، فأخذ يحفظ غنائيات العظيمين هايدن وموتزارت حتى تأثر بهما واستوعب ما خفي عليه من دقائق المسرحية الغنائية تماماً .

وعاد بعد ان اصبح المشرف على المغنين والمغنيات في فرقة اوسكال السيمفونية الى مسقط رأسه نافخاً النار من جديد في جذوة الحب التي كادت تخبو اتقادم عهدها ، فتزوج من مرغريت وما مضى طويل وقت حتى عاد مرة ثانية الى ميلانو ترافقه زوجه واحلامه .

ومرت سنوات ازدادت بها شهرته، وغمره الوله بزوجه والحنان بولديه الصغيرين ، ولكن سخرية القدر لم تدعه طويلاً هانئاً في سعادته، اذ توخى الحمام اكبر ولديه ثم رزأه بالثاني بعد مدة وجيزة.

ولم تكد جراحه تلتئم حتى فجع بزوجه مرغريت تلك التي كانت مشعل حياته والتي انتشلته بحبها من الحضيض وجعلته شيئاً مذكوراً .

ولم يبرأ من سقمه ويشفى من آلامه الا حين تفتحت براعم قلبه ثانية ليحب جوزفين بحذر ثم بجنون ملك عليه حسه وادراكه

وانتهى بزواجه منها . ولقد عاشا حياة مليئة بالسعادة ، طافحة بالمسرات ، حتى ادركتها الوفاة بعد ان شاهدت ولمست بنفسها العظمة التي وصل اليها زوجها .

انتج فردي منذ عام ١٨٥٠ غنائيات ضخمة نحا في طريقة تأليفها نهجاً جديداً في فن الغناء خلدته وخلدها الى الابد ، واشهر غنائياته هذه ، ريجوليتو* عطيل ، لاترافياتا ، عائدة ، ترافاتوري، فالستاف .

ظهرت غنائية « اوبرا » ريجوليتو واخرجت للمرة الاولى عام ١٨٥١ وقد طاب منه ذلك بعد ان احدث ضجة بغنائياته الخمس عشرة التي اجتاحت مسارح اوروبا من اقصاها لاقصاها .

وقد اتفق الصديقان بييف وفردي على قصة فيكتور هوغو المشهورة مضحك الملك فاراد بقصته هذه ان يطعن بالملكية فروى بها قصة طريفة تدور حوادثها عن الملك فرانسوا الاول ومهرجه تريبوليه .

صاغ فردي الحان هذه القصة من عصاره روحه ، وغذاها من وحي فذاذته ، فكان نجاحها عظيما حين مثلت للمرة الاولى في البندقية . ولكن الصديقين ما كادا يهنآن بهذا الفوز حتى فوجئا بتدخل الرقابة والغاء تمثيلها الغاء تاماً .

غير ان الصديقين خشيا ان تجد هذه المسرحية طريقها نحو الاهمال فحورا في معالم القصة ، وجعلا حوادثها تجري في ايطاليا، فكانت شخصية فرنسوا الاول لدوق مونتانيا ومضحك الملك تريبوله لريجوليتو ومن هنا اطلق على المسرحية اسم هذا الاخير .

اما حوادث هذه الغنائية فتبدأ بلعنة الكونت مونتيرون حين يشعربان دوق مونتانيا ومهرجه مهتمان بابنته، فيستطير الماء اللعنة عليهما تلك الادعية التي تبرق لها السماء وترعد .

وكان ريجوليتو يعرف خبث نيات سيده الفاسدة ويدركها ، لذلك كان شديد الخوف والحذر على ابنته الجميلة جيلدا من مطامع سيده الدوق واغراضه الدنيئة التي لا نهاية لها .

ولكن الفتاة جيلدا تعشق دوق مونتانيا الذي يخفي عنها حقيقته ويوهمها بانه طالب في الجامعة . وفي هذه الاثناء تعلم حاشية الدوق بان ريجوليتو يتردد خفية على جيلدا دون ان يعرفوا بانها ابنته، فاتفقوا فيما بينهم — وكانوا يضمرون له الحقد — على اختطافها، وتجرأوا فأشركوه بمؤامرتهم الوضيعة .

وتحيط حاشية القصر الدوق علما بما فعلوه ، فيهرع مع ندمائه الى جيلدا وهناك يعترف ريجوليتو ويطلب الرحمة له ولابنته ولكنه عبثاً يتوسل .

وحين يخلي ريجوليتو بابنته فيما بعد يقسم لها بأنه سيثأر من الدوق مهما كلفه الامر ، ويحاول اقناعها بان تقلع عن حب الدوق المخادع المخاتل ، ولكنها تصم اذنيها عن سماع عباراته وتعلمه بانها ستبقى على حب الدوق مهما حدث .

ولكن ريجوليتو كان قد قرر الانتقام، واعد خطة كفل لها النجاح فاغرى احد المجرمين ويدعى (سبارا فوسيل) بمبلغ كبير من المال على قتل الدوق وتسليمه جثته في كيس قرب احد الكهوف .

وكان للشقي فوسيل شقيقة تحب الدوق بدورها وتدعى مادلين فما كادت تلم بخبر المؤامرة حتى اسرعت الى اخيها في كمينه، وحاولت اقناعه ولكنه اصر مدعياً بانه تقاضى أجراً ضخماً لقاء ذلك ، ولكنها ما زالت به حتى اقنعته بان يقتل اول لاجيء الى الكهف عوضاً عن الدوق .

ووصلت جيلدا في تلك اللحظة الى مدخل الكهف، وسمعت الشطر الاخير من الحديث ، فتملكها الخوف على حياة الدوق ، ودفعها حبها الشديد له ، ان تضحي بنفسها بعد ان ايقنت ان العاصفة الشديدة التي في الخارج ستلجيء الدوق الى الكهف . فما كان منها الا ان تسللت بشجاعتها ودخلت الكهف حيث تلقاها السفاح فوسيل بطعنات متتالية من خنجره .

وسلم المجرم الجثة بعد ان وضعها في الكيس الى ريجوليتو وبينما كان هذا الاخير يسعى الى النهر ليلقي بحمله فيه تناهى الى سمعه صوت الدوق الذي كان يغني جذلا ، فحاول ان يكذب اذنيه ، وقد اضطربت حواسه ، وانتابه الانفعال ، وسيطر عليه الوجوم ، وعقد لسانه الخوف والفزع ، فدفعه الفضول الى فتح الكيس ، فوجد ابنته فيه تعاني سكرات الموت مدنفة، وتتلمس الصفح والمغفرة .

فيغفر لها ويعفو عنها وقد تملكه الحنق الشديد حين برقت في ذاكرته لعنة الكونت مونتيرون فيهتف من اعماقه عليك اللعنة يا مونتيرون لقد تحقق دعاؤك وحلت لعنتك .

هي ذي غنائية ريجوليتو المجهولة للكثيرين وهي من اروع الغنائيات العالمية .

توفي فردي عام ١٩٠١ عن عمر يناهز الثامنة بعد الثمانين وقد اضحى قبره ومتحف روما الذي وضعت فيه آثاره محجاً للزائرين من عشاق فنه وغنائياته .

دمشق — جميل شريف

* سنتعرض في بحث قادم بشرح واف لباقي غنائياته .

الشاعر النبيل ندرة حداد

بهذه الكلمة الدامية نعى الاديب الاستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح النيويوركية ، شقيقه الشاعر الاستاذ ندره حداد احد دعائم النهضة الادبية في المهاجر الذي توفي في ٢٩ مايو ١٩٥٠ :

« سكت الشاعر ، ندره حداد ، بعد ان ملأ دنيانا بشعره العذب العاطفي وحكمته الانسانية ، وكان مثالاً لعفة القلب واللسان وقدوة في نظافة النفس والوجدان وفي المحبة والمسامحة والغفران .

وانا صاحب « السائح » الكسير القلب والمهيض الجناح في فجعتي الكبرى بشقيقي ورفيقي ومعيني ودليلي في حيرتي – انعي اليكم يا قرائي الاحباء عهدا قطعناه معاً فيه احبكم ندره حباً جماً وفيه ايضاً استغنيت بحبيبي ندرة عن كل ما في الدنيا من زخارف ونفائس اتقدم اليكم بهذا النعي الاليم لي ولكم . »

وفيما يلي ننشر « الشاعر النبيل » وهي مرثية الاستاذ الدكتور احمد زكي ابو شادي للشاعر الفقيد ندرة حداد رئيس « رابطة منيرفا » الشعرية و « عضو الرابطة القلمية » في نيويورك . وقد ألقاها الدكتور ابو شادي في حفلة تأبين الشاعر الراحل امام جثمانه بقاعة الدفان مساء ٣٠ مايو سنة ١٩٥٠

الشاعر النبيل

أفي العرس تنعى؟! يا لها قسوة القدر ! ... ولكن هي الدنيا تعلم من غدر
ولم ترحم الدولات يوماً ، فهل لها[1] ... بان تنقذ الفرد العظيم من الغير ؟!
وكنت على وعد لالقاك مثلما ... الاقي بشاشات الصباحة والزهر
لأنعم بالحـاو الحديث مرنقاً ... وبالحب موفوراً ، وبالراح والشمر
واقتبس المعنى الثمين ذخيرة ... اذا شح ود الناس او خاطري افتقر
واشهد (اوراق الخريف)[2] مجانياً ... من الجنة الفيحاء ، لا ذابل الشجر
وما كنت ادري ان موتك سابقي ... وان كنت لم تبرح على الوعد تنتظر !
وما رخصت يوماً بقربك لحظة ... بذلت لاسعادي ، ولا مسها الضجر
فها انا من يلقاك والدمع خانقي ... وما لي ابتسام كابتسامك مدخر !
تجلى على الوجه الحبيب بوسنة ... هي الراحة الكبرى لمن كده السفر !

***

ندماك جاءوا جازعين ، وطالما ... بشعرك كانوا الطائفين على السمر[3]
يطوفون سكرى حول نعشك في الاسى ... وبالامس كنت الشعر يسكر من سكر
ورأيت بعين الروح عُقباكَ ، انما ... أبيت عزيزاً ان تكون على حذر
وخلفتنا لم نفقد الفن وحده ... بل الرجل الفذ الذي قلبه انفطر

---

(١) اي فهل لها رحمة بأن تنقذ . . . (٢) ديوان الشاعر الفقيد .
(٣) السمر : مجلس المتسامرين .

وفي هيكل الحب السماوي نفحهُ ... وشعلته المثلى تضيء لمن عبر
وفي ذمة الرحمن نور اذابه ... على الطرس، او نور على العالم ابتكرا
اذ قيل (يوم الذكر)[٤] هذا ، فانه ... تضمخ اضعافاً بذكرك للعُصُر !
وما الفاتح الغلاب بالنار ذكره ... بأخلد من لحن تأجج وانتصر !

***

صديقي المسجى ! أي رزء لعالم ... سيبقى على الآباد يشقى ويحتضر
ويفنى مراراً حين يُبنى مكرراً ... وقد خلطت فيه الخرائب والصور
وكانت وما زالت معاليه هوة[٥] ... وكان ولم يبرح اذا اكتمل اندثر
وكان ولم ينفك مأساة مسرح ... يهدمه الباني وتملؤه العبر ؟
وهل ثم معنى للنبوغ بأوجه ... يساق الى الموت المحتم والحفر ؟
ام الموت ميلاد الحياة غنيّة ... بما كسبته من تراث ومن فكر
وانك انت العبقري بروحه ... تُحدث من ناجى ، وتُلهم من شعر
ومنهوك الحر المطل على الدنى ... تفرد ، لم تحجبه شمس ولا قمر ؟
عجائب ضاق العقل عنها ببحثه ... وزل خيال الشعر فانبتّ وانكسر !
اجبني كما عودتني في صراحة ... وفي نظرة نفاذة خلف ما استتر
فما كان هذا الصمت صمتاً لخاطري ... اذا شئت ان توحي وتصدقني الخبر
والا فواحزني المضاعف عندما ... يُرد نجائي[٦] كالجريح الذي عثر !
ويا وحشتي في غربتي[٧] ، وقلما ... أرى غير من باهى على الشر وابتدرا

***

غزاء (بني حداد) ، والخطب خطبنا ... جميعاً ، وخطب الانسية والبشر
ومن ذا يعزي في النبيين آلهم ... وينسى شعوباً حظها اليأس والخطر؟
لقد عبدوا الاصنام وهي سواخر ... لغفلتهم اضعاف ما عبدوا البقر
وعجوا بشكواهم ، وهم مَن بذُلهم ... جهيم اعدوه ، وفي جبنهم (سقر)
فما كان هذا النبل ملكاً لامة ، ... ولا لغة عزت ، ولا مرسل ظهر
ولكنه ملك لآفاق نفسه ... ومن بعضها اسنى العواطف والوتر
غفرنا ذنوب الدهر الا ذنوبه ... على المبدع الفنان ، لو انه غفر !
غزاء لنا جمعاً ، غزاء ، فانما ... اذا الشعب لم ينصف نوابغه انتحر
وما كانت القربى الوشيجة وحدها ... فبين دموع الناس ما خلق المطر !
وليست دموع تبذل اليوم حوله ... دموعكمو، بل من معانيه ما انتثر !
ومن ذا الذي منا يؤبّن فضله ... بأبلغ من نفخ الجمائل والنهر ؟
ومن خطرات النور تضفي حنانها ... فيلثمها في برّها الترب والحجر ؟
ومن كل حسن في الوجود مؤصلٍ ... يجاوبه بالروح والسمع والبصر ؟

---

(٤) يوم الذكر Memorial Dig هو عيد الذكر للموتى ويوافق ٣٠ ايار (مايو) ، وهو اليوم الذي اقيمت فيه حفلة التأبين . (٥) الهوة : الوهدة السحيقة . (٦) النجاء (بكسر النون) : النجوى . (٧) غربتي : الغربة عن مسقط راسه والغربة عن بيئته الروحية

ولم القه يوماً — وكلي حيـاله — خشوع — كحالي اليوم لا املك النظر
وليس جلال الموت ما هو قاهري — ولكن جـلال في تساميه ما قهر
لمـن رقرق الشعرَ العصيَّ جداولا — من السحر ، والآي الطهورة في سور
ومن كان ادنى فضله يبهر النهى — ويخفي — حياء منه — اضعاف ما بهر
ومن دمعة (العاصي)[8] عليه كدمعتي — كأني جزء منه قـد بُتّ فانشطر ا
وما كان بالتهويـل والروع فنه — ولكنه نبـع تسلسل وازدهر
وكل الذي اسدى سجيـة نفسه — وليس معاداً من فلاة ولا حضر
ابيت الربا الا ربا الوقت عنده — فمن زاره يغنى ، ومن فـاته خسر
كـأن السنين الخمس خمسون حجة — بصحبتـه ، او كالخضم اذا غمر
عرفت بها الانسان في ملكوته — ملاكاً ، وقد عادى الصغائر واحتقر
وأنشقني عـرف التسامي إباؤه — واشعرني بالجاه ما صاغ من درر
وما (ندرة) الا هدية رحمة — الى الخلق ، فاغتيل الحنان الذي ندر
وقـد بذر الحب المصفى لعـالم — شقي ، كأن الله من قلبه بذر
ولم يصطحب الا السهـاد ببحثه — كذاك النجوم الزُهر تصطحب السهر
لئن لم ينل من عمره غير ذكره — فان اجل العمر مـا شع بالذكر
يصلي عليه المسلمون كأنه — ولي ، وفي برديه (عثمان) او (عمر)
وتبـكي له الصلبان حتى كأنما — بذبحته[9] كان الفداء لمن كفر ا
ويعرفه الانسان من كل مـلة — اخاه ، فمن وجدانه ذاق واعتصر !
ولم يشرح (الانجيل) الا خلاله — ولا كتب الاديان دون الذي سطر
ومـا قيمة الانسان الا بقلبـه — فيبض بعد الموت في كل ما خطر
كذلك غنتنا القرون التي مضت — وغنت لنا الافلاك إنْ ليلنا اعتكر
فكيف بمن لم يعرف الموت طبعه — وعاش جمالا للحيـاة بما نشر ؟
وكيف بمن انفاسه علوية — تشربها من حولنا كل ما نضر ؟

***

اراني صديقي في وقوفي مؤبناً — اخادع نفسي في صفاتك والاثر
والا فما عذري ، ومثلك من أتى — الى هذه الاظلال من سُدُم أخر ؟
وليس رثائي غير رمز لوحشتي — فشأنك بين العبقرية والقدر
ومن كان من نور وعطر حيـاته — فغايته التخليد في نَوْره العَطِر
تعالى على الشكر الحميم بعيشه — وفي الموت لا يعنيه تأبين من شكر
ولكنما يعنيه ثأر على المدى — من الظلم والظلام والبطش والبطر
لئن جاد بالشعر الرقيق اغانياً — فمن خلفها الآلام تقدح بالشرر !
لقد عاش عيش التضحيات ، وموته — حياة لمن يحيا ، وإلهـام من ثأر !

نيويورك — **احمد زكي ابو شادي**

---

(٨) لُقب الفقيد « بشاعر العاصي » اشاره الى موطنه الاول الذي كان دائماً يحنّ اليه .
(٩) توفي الفقيد بالذبحة الصدرية .

رنمات صوفية

بقلم صلاح الدين المنجد

دمشق

اعطني

نشوة من حبك لا تزول ،
فنشوة هذه الخمر لا تدوم .

الجود الناقص ليس من شمائلك .
مننت عليّ بنظرة من وجهك فأمدني بمدد اطيق به الصبر على البعد عن طلعتك.

واذا اردت خلودي فعذبني . والى وادي حبك قُدني ، واغمرني برضاك عني، ففي واديك المقدس ، وتحت عرشك المجد، استمد من حكمتك فيكون لي، انا الفقير الحقير، ما لم يكن للغني الجليل، بين الاحياء .

***

تركتُ كل ما اطلب من الدنيا.
فنلت ما نشدت . اصبحت هائماً بوجهه ، لا اعرف غيره . واذا طفح قلبك يوماً بحبه ، فلن يسع سواه.

شفته الحمراء ملأت رأسي نشوة وعينه السوداء ملأت قلبي حيرة.
وعندما غمزني حبيبي بعينه ؛ غارت النجوم ، وتغامزت شوقاً الى حبه

***

ضحك ، وهو معي ، فعمر الورد الاسواق ، وعبس ، مذ تولى عني ، فملأ البيت بالاشواك.

كلماته هناءة وسقام ، واشاراته حكمة وهيام ، ونظرات عينيه تطرد الاوهام لكن وعده حق وسلام.

***

شعاعات روحي ، خيوط حرير ، متصلة بعرشه .

ضفائر نور جديدة انتني منه في ضحكات الربيع .

يهيجني نور عطفه في فتور الاماسي ، ويؤرقني في صفاء الاسحار لكنه لايفارقني في الليل والنهار .

فيرعش قلبي ، آية للفناء فيه ، كما يرعش الحباب الطافي قبل الفناء.

فلا تبخل ، يا مولاي ، ببسماتك ، فبسماتك معرض لآيات جمالك .

***

عشقنا كان من الازل ، هاج البرق بحبنا ، ومض بنيراننا ، وكشف في الليالي عن جراحنا .

حملت النسمات معاني حبنا ، فعطرت بها الورد ، ونضرت زهرنا .

فلن يحمل الزنبق الابيض الى بابك غير عبدك ، ولن يغرس الورد في طريقك غير مولاك.

***

زر من الورد قلبي .
منك تستطع نفحاته ، وبك ترف ورقاته، لنورك ينمو، وكما تشاء يكون.

غزل الفراشات الخفاف يزعجه ، وبريق اجنحتهن يرعبه ، ورعشات قلوبهن لا تفتنه ، وغماغم حبهن لا تشجيه.

فحلمه احلى .. وانضر وأبهى.

ماجت في حديقته الزهور ، فزخرت بالالوان والطيوب ، وزهت بالاشباح والطيوف .

لكنها في عينيه مصادير ..

فهو غريق في صمت حالم .. ينظر اليك .

هو لا يرشف الندى

لانه يذوب ، قبل رشيفه ، من تأجج الهوى

وهو لا يحس الظما

لان في ذكرك خمراً عب منه فأرتوى

هو لا يريد الا رضاك

ولا يؤثر غير هداك

والك وحدك وهب نفسه .

صورة جانبية لاناطول فرانس

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

المسلم به ان « اناطول فرانس» هو في طليعة الكتاب من حيث الخيال والاسلوب . ومع هذا فكم من قرائه راض نفسه على التعمق وحاول اكتناه مرامي هذا الكاتب الكبير غير مكتف بالتسلي بما اليحه. والتفرج على مباهجه المصورة .

فقد تجد في انجلترا من يعجب بما كتبه « إبسن » و« تولستوي» ومن دونهما بمراحل على ما بين تفكير أولئك الكتاب ، وبين تفكير الانجليز من بون بعيد . وانما دعا الى الاعجاب بهم انهم كانوا يصدرون فيما يكتبون عن فطرة صادقة . وكانوا صرحاء غير مداورين.

ان «أناطول فرانس » — بالرغم عن صفاء اسلوبه وحلاوة عبارته — لا يعدو ان يكون متهكماً ساخراً .

ومما لا خفاء به ان من الوصايا العشر الواجبة الاتباع عند الادباء الانجليز تلك الوصية القائلة : لا ترتكب خطيئة التهكم والسخرية فهي المعصية التي لا تقبل فيها كفارة. والخطيئة التي لا تغتفر .

وكلما اراد الكاتب الانجليزي ان ينشر من آراء ، ويثب من تعاليم فانه واجد من يتلقاه بالقبول والرضى ما دامت تعبيراته لا لف فيها ولا مداورة .

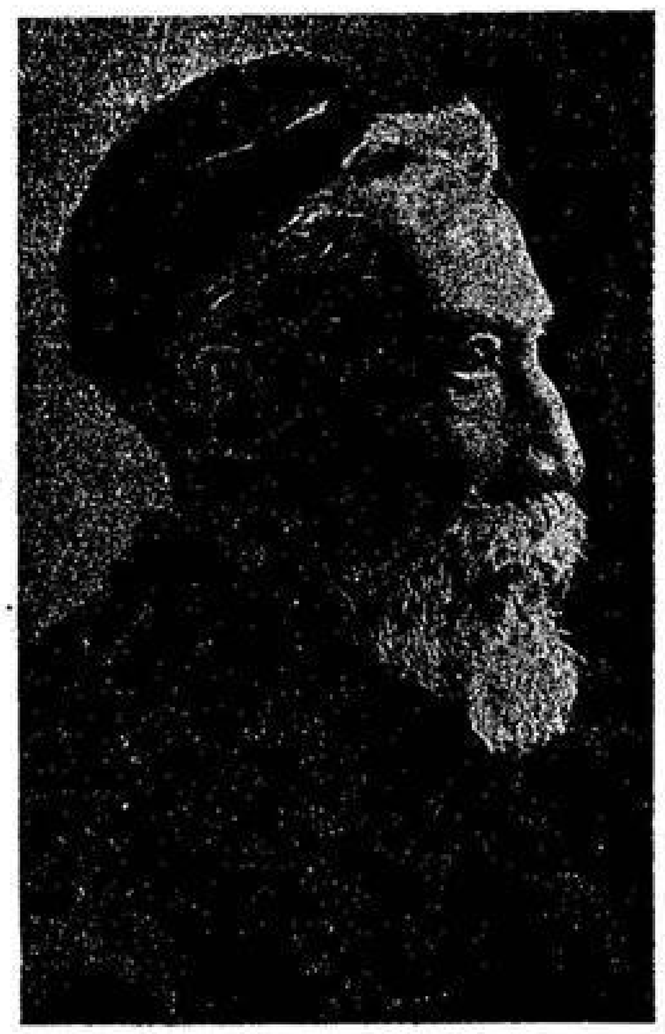
ولكنه اذا حاد عن الجادة. وجانب الطريق السوي. وحاول ان يلجأ الى الالغاز والاحاجي فقد خسر قراءه ، وفقد مريديه وانصاره .

وقد يكون منشأ ذلك ان زعيم التهكم المر. وامام السخرية اللاذعة في انجلترا هو الكاتب « سويفت » . وشهرته بالتصنع والتكلف في غنى عن الشرح والبيان .

وقد يكون ما نال احساس الشعب الانجليزي من حرج بالغ عميق من ذلك المتهكم الساخر قد جعل الانجليز لا يطمئنون الى اي كاتب ساخر. وهو ما يسمونه بالكاتب الباسم وفي يده الخنجر.

ولكن سخرية « اناطول فرانس » ومثلها سخرية رينان — وان كانت تلك ابعد من هذه مدى — هي سخرية نافعة ذات ثمر . بل قل انها سخرية مبعثها الحنان والرغبة في المواساة.

اناطول فرانس



وأبهج المسرات عنده هي دؤوبه على ملاحظة الفروق والمتناقضات ودراسة ما يخدع به الناس من اوهام واضاليل . وليس القصد من هذه الدراسة وهذا التقصي جرح الناس وايلامهم . فان عبقرية هذا الكاتب انما هي عبقرية المشفق المحسن .

وليس هذا بمنسينا انه الساخر اللاذع . بل الساخر بالفطرة حتى لا يدانيه في سخريته ساخر . ولا يقاربه في تهكمه متهكم .

فاذا ذكرنا هذا كنا قادرين على ان نفهمه على حقيقته .

فالفكرة التي حدت به الى تسميته احدى قصصه « قصة الضيق والغم والعذاب » .

* منقولة عن كتاب «صور جانبية لكتاب فرنسيين»

من القيم الالمانيه

مذهب ولف

بقلم محمد عبثاني

قبل ان ننتقل بالقارىء الكريم الى مذهب آخر ، في استعراضنا بعض الوجوه العميقة المريدة في المدرسة المثالية الالمانية يحسن بنا ان نتوقف قليلاً عند « تشيرنهوزن » فيلسوف المنطق ١٦٥١ — ١٧٠٨ .

كان تشيرنهوزن يجهد لتأسيس طريقة علمية ، وهو من مجندي نظريات ديكارت وسبنيوزا وليبنز ، والالمان يدعونه « طبيب المنطق » و« طبيب العقل » ، والمنطق في مفهوم « تشيرنهوزن » طريق الاكتشافات الحقيقية وليس مجرد مظهر من مظاهر التفكير الحق فحسب . والمنطق ، في نظره ايضاً هو العلم الاساسي وجذر كل علم آخر . وهو يقرب الانسان من الله . اما نقطة انطلاق « تشيرنهوزن » فديكارتية : اليقين المطلق بالوعي الشخصي الفردي « الانا » انني اعي نفسي وأعي الاشياء ، وهذه اثبت مراتب اليقين ، والفكر لا يستطيع مهما بلغ من سلبيته انكار هذه الحقيقة . وهذا الواقع الفردي المبدأي العام ، يتركب من ثلاثة عناصر تحاكيه ثباتاً وقوة ١) انني اعي تأثرات طيبة وبغيضة ٢) انني اعي المقدرة على معرفة بعض الحقائق والعجز عن معرفة البعض الآخر ٣) انني اعي كوني سالباً حين اتلقى المعرفة . هذه هي معطيات منطق « تشيرنهوزن » وعليها بنى نقديته للعلوم الرياضية و

وهي في ذاتها قصة مضحكة هي فكرة تحير عقول قرائه لولا انه يشرح موضوع القصة وموضوع عنوانها اذ يقول :

انها قصة تحكي احاديث الرجال والنساء الذين يعنون بالظواهر الجانبية للاشياء . والذين يمثلون قصة الحياة تمثيلاً مجرداً بدلا من معاناة العيش فيها معاناة من جرب واختبر .

انها قصة يسمح لاشخاصها ان يقولوا ما يريدون وان يفعلوا ما يشاءون — وهم اهدأ ما يكونون نفساً واصلح ما يكونون بالا مهما بلغ القول والفعل من بشاعة وشناعة .

والتهكم في هذه القصة اساسه المزج بين الهزل والجد والمراوحة بين الوقار والطيش في كل ما يدور بين اشخاص الرواية من حوار وجدل .

والغرض الذي يرمي اليه المؤلف في قصته تلك وكذلك في كتابه « حديقة ابيقور » هو ان يحذر الناس من التعمق في العلم والمعرفة . ومن اقواله المأثورة : كن اقرب الى السذاجة وارض بان تكون مخدوعاً . والا فلن تكون سعيداً ابداً .

وانظر في قصته التي نحن بصددها الى الدكتور «تربلت» ذلك الطبيب اللبق الكيس ، الذي كانت الممثلات يلقبنه بسقراط . انظر اليه وهو يقول : انما انا طبيب ادير مصنعاً للاكاذيب . فانا بطبي اواسي واعزي . وهل يستطيع المرء ان يواسي وان يعزي بغير اكاذيب .

وهذا من المتناقضات الاناطولية التي منها ايضاً قوله : ان الجد والاجتهاد غرور ووهم . وان الانسان يغتذي بالاوهام فاذا حرمنا من هذا الغذاء الخرافي كان كل ما يقدم على مائدتنا من صنوف العلم لا جدوى فيه ولا غناء .

ولقد ساء « اناطول فرانس » وأقض مضجعه ان الناس لا يصدرون ابداً عن طبيعتهم . وانهم قلما يجاهرون بالرأي على انه الرأي الصحيح بل انه الرأي الذي يحسن ان يقال وبحسبهم تعلة لهذا الخطل قولهم : ازك قلما تجد من هو سليم الفطرة سلامة تامة .

وقد ضرب « اناطول فرانس » في كتابه هذا مثلاً على التناقض بين ظاهر الناس وباطنهم . قول احدى الممثلات على المسرح تخاطب زميلاً لها (وكانت قد عادت قبل اعتلائها خشبة المسرح من تشييع جنازة أحب حبيب اليها) :

يا اقرب الناس الي ، لقد استيقظت هذا الصباح ، وانا اكثر الناس فرحاً واشدهم سروراً .

القاهرة

مبارك ابراهيم

ولكنه ؛ مع الاسف ، قسم على اساسها العلوم والمعارف تقسيما ينقصه الكثير من الثبات .

نعود بعد ان مررنا « بتشيرنهوزن » مراً سريعاً، الى موضوع حديثنا وهو مذهب « ولف » فنعرض منطقه وهو الاساس . المنطق ، في مؤلفات « ولف » ينقسم الى قسمين ، اولهما نظري والآخر عملي . والاول يعالج المبادى. المنطقية ، والحقائق ، وقوى الحكم على الاشياء ، والثاني يعالج كيفية استخدام المنطق في البحث عن الحقيقة ، ويعالج التأليف ، ونقد الكتب ، والتعليم ، والمناقشة ، اي الحياة العملية بالاختصار اما فلسفته الاولية فهي نظرية المعرفة والكائن معاً . وهي تتعرض للمبادى. التي هي اساس كل يقين وكل فلسفة ، ولا تستحق ما قابلها به الديكارتيون من اهمال . ويحاول ولف في هذه النظرية التوفيق بين مبدأ التناقض ومبدأ السبب الكافي ، ومن نتائج مبدأ السبب الكافي ، كون كل شي. في هذا العالم عقلياً ان لم يكن عاقلاً . فكل شي. يسير وفقاً للعقل . وولف هنا يلتقي ليبنز ويكمله . ولكن « ولف » يهدف الى نتائج اوسع واسمى من مقاصد « ليبنز » : كل شي. له سبب ، وعلة ، ولكن لكي نستنتج ، من هذا ان كل شي. خير ، يتحتم علينا القبول بسبب نهائي لكل الاشياء . وهذا السبب هو كائن نهائي واجب الكمال ، وهو الله . وهو يحدد بعد ذلك ، الافكار العامة « الاونتولوجية » : الجوهر، الوجود، الضرورة، الكمية، الحقيقة، الكمال . الخ .

ثم يعالج « ولف » مختلف انواع الكائنات والنسب والروابط بينها . ثم يعالج الزمان والمكان ومعنى الديمومة والحركة ثم يعرض « وحدات » ليبنز قائلاً انها اشياء بسيطة ، غير قابلة الانقسام ، دون شكل معين ولا صورة، ودون حركة داخلية ، وهي موجودة لان الاجسام المركبة موجودة . وهي لا تنبثق عن اي عنصر بل هي مخلوقة ، وهي اصل الاشياء ، ثم يعرف الجواهر بانها فاعل خالد يقبل التغير ، « وولف » يفتخر بانه اول من وضع اسساً علمية مستقلة ، هدفها قيادة النفس الى الله ، عن طريق الطبيعة .

وبعد ان حدد « ولف » فكرة الكون ، والروابط والنسب بين الاشياء ، وقوانين الحركة، نجده يعرض في القسم الثالث من منطقه نظرية ليبنز حول اكتمال العالم الحالي ، والتفاؤل الكوني الملموس في كتابات ليبنز .

ان انضباط الكون في النظام ، واستحالة شرح ظواهره بالصدف ، تقودنا حتما الى الاعتقاد بوجود الله . وعلم النفس التجريبي ، يجب ان يكون ، كما يقول ولف ، نقطة انطلاق علم النفس المتسامي ، هو الخطوة الاولى نحو ايجاد قوانين اللاهوت العقلي ، وهو كذلك اساس الفلسفة الاخلاقية . وعلم النفس التجريبي يقسم الى قسمين : في القسم الاول يعالج النفس بوجه عام ، وملكة التفكير على الاخص . وهو يقرر هذا الحدث الرئيسي في ان كل فكرة هي عمل من اعمال العقل ، وبهذا العمل يعي الفكر نفسه ، ذاته ، وولف هنا يفرق بين قوى المعرفة البدائية « الحواس ، الخيال ، الذاكرة » والقوى السامية للمعرفة « التفكير ، والعقل ».

وفي القسم الثاني يعالج مسألة الشهوة فنجده يقسمها الى قسمين الشهوة الوضيعة البدائية ، والشهوة السامية ، اي الارادة في اكمل مراتبها . ففي الشهوات الوضيعة البدائية يرتب الشهوات الحسية، والعادات الخبيثة ، والميول ، والمشاعر المختلفة ، التي تحرك القلب البشري ، وفي القسم الثاني يجمع الشهوات العقلية والميول نحو الحرية والانطلاق . ففي الحرية وهي شهوة وامنية وميل ، نعمل مدفوعين باسباب ، مما يلوح منافياً لمعنى الحرية ، ولكن العمل حر على كل حال ، لصدوره عن العقل . وهو ، هنا يقبل كأمر واقع، علاقة الروح بالجسد .

اما في علم النفس العقلي ، فيحاول ان يشرح احداث الوعي وعلاقتها بجوهر النفس ، فولف يبين ، بدلائل منطقية ، بساطة النفس « هذا المبدأ المفكر » فالنفس في نظره جوهر بسيط، وهي ذات طاقة واحدة، ولكن هذه الطاقة الواحدة تحدث نتائج متنوعة متغيرة . وهي تتصور الكون من موقعها ، مكونة وجهة نظر خاصة متأثرة بالمكان الموجودة فيه ، وبالطبيعة الخاصة لاعضائها . ثم يعرض لافتراض الانسجام سابق التوازن والتصميم ، محوراً في بعض بنوده الاصلية كما وضعها ليبنز محاولا ان يوفق بينهما وبين الحرية والمسؤولية الاخلاقية ، قائلا انه ليست ثمة معرفة سابقة تحدد التأثرات التي تلقتها المجموعة العضوية والشهوات والقابليات وحركة الاجسام ، من القوى الخالقة ، طبعاً هناك مبدأ عام ، ولكن النفس حرة كل الحرية حين تعمل .

وولف، حين يعالج البحث في روح الحيوان، يقرر لها ملكات مماثلة لملكاتنا السفلى الوضيعة ، وروحه عوالم لا تفنى ولكنها ليست واعية في خلودها .

أما

كتاب« اللاهوت الطبيعي » فيعدمن اعمق كتب«ولف» واشدها شمولا، ولا نقول هذا بسبب سمو الموضوع المعالج وشموله ، بل بسبب الطريقة التي عالجه بها .

ففى القسم الاول يحاول اثبات وجود الله ، مرتكزاً الى التجربة ، فيقرر قبل كل شيء ان الكائنات التي نعرفها تتطلب موجداً يحتم وجوده « وهذا شيء يعرفه اليوم طلاب الصف العاشر الابتدائي ولكن « ولف » كان يسير وفقاً لمنطق الاشياء في بساطتها وتعقيدها على السواء ».وتبع وجود الله صفات الارادة والقوة والحرية والحكمة والطيبة والمحبة . والاشياء مبدأها الله ، والله كخالق ، وحافظ لهذا الكون لا يريد وليس من المعقول ان يريد ، الا خير الانسانية .

اما في القسم الثاني فيهاجم الالحاد والجبرية والمادية والمثالية السطحية الشعبية ، والسبنيوزية .

وقدتأثر ولف،في فلسفته الاخلاقية والسياسية بأرسطو وليبنز .

المبدأ الاول ، ويرتكز عليه علم الاخلاق في نظر ولف ، هو فكرة طموح الانسان نحو الكمال . ويعرف هذا الطموح بالانسجام او الوحدة في الاختلاف، وأخلاقياً،هو اتصال حالة الانسان الحاضرة بحالته الماضية والمستقبلة،وميل هذه الحالات الى الكيان المعنوي المتطور .

ان صوت ضميرنا يقول « اكمل نفسك»وهذا هو الواجب الاسمى المنضوية تحته كل الواجبات الاخرى ، وبما ان الانسان لا يمكنه السعي نحو الكمال بمفرده، وبدون معونة الآخرين فالقاعدة العامة تكون « اعمل لتكون حياتك كاملة ، واعمل في سبيل كمال الآخرين». وهذا الكمال المزدوج هو ايضاً الخير الكلي، والسعادة الحقيقية التي يصحبها الرضى النفسي الداخلي ، والخير هو كل ما يمكن ان يفيد الانسان في سيره نحو الكمال ، وهو يختلف عن الشيء النافع ، والسعي نحو الكمال يؤدي الى السعادة الحقيقية ولكن هذه ليست هدفه الحقيقي ، اذ ان الكمال مطلوب لذاته . فالسعي نحو الكمال غريزة سامية اذا صح التعبير ، تنطلق دون ان تخضع دائماً للتجربة الحسية ، نحو مستقرها ومُثُلها .

والقانون الاخلاقي ليس مفروضاً على الانسان من سلطة خارجية، بل هو صادر عن طبيعته الذاتية، انه قانون طبيعي حتما، اراده الله هكذا، ولكن الله لم يرد للانسان الا ما هو خير في ذاته.

ومهما لاحظ القارىء من بساطة هذه المعتقدات ، فقد كانت اسمى من نظرة القرن الثامن عشر الى الحياة .

والحرية

في نظر ولف ، لازمة لتثبيت القيم الاخلاقية في نفس الفرد. ان الارادة لا يمكن ان تتجدوتفعل بدون دوافع، وهذه الدوافع مفروضة على ارادتنا فرضاً، ولكن اسبابها راجعة الى العقل ، فالحياة وفقاً لمبادىء عقلية هي حياة حرة وعقلية ، كما ان افكاري ، وحركات جسمي ، واسبابها في ارادتي ، هي اعمال حرة .

وولف يستنتج « الحق الطبيعي »من معطيات الاخلاق . اما فلسفته الاجتماعية والسياسية فتجمع بين المحافظة والتحرر. فالفرد عليه ان يجهد في سبيل الصالح العام ، والمجتمع هو عبارة عن تعاقد يوقعه المواطنون اصواتهم الشخصية ، وللتنافس في الخدمة العامة، والدولة المثلى هي الدولة التي تؤمن صالح الجميع مع تأمنيها صالح الفرد والملكية المتزنة المحدودة هي افضل وسيلة لحكم الامة وقد سمح « ولف » للفرد بالتمرد على الاحكام الظالمة الخارقة للقانون، ولكنه يرفض ان يعطيه حقه في بحث امور الدولة !!

وقد ساعدت كتاباته في تركيز دعائم« الاقتصاد السياسي» .

انه

فضل « ولف » هو انه طرح كل الاسئلة الفلسفية ووضع كل سؤال في مكانه، وهو ، كما رأينا ليس صاحب افكار اصيلة جديدة، فأفكاره مشتركة بين جميع الناس،ولكن قيمته تتركز في تنظيم فكره واطلاعاته الشاملة الانسيكلوبيدية، اذ انه يلوح لنا كباحث متجرد منقطع للنظر، مستعد لتعريف كل شيء ، مطلقاً النور في طائفة من المفاهيم التي كانت قبله غامضة.

إنه خدم المانيا ، موطنه ، خدمات جلى ، وكانت كتبه لها بمثابة مركز اشعاع احتضن بانواره كل المعارف والفنون فليس عجيباً ان نرى الفلسفة الالمانية المعاصرة ، تدين له بالكثير .

محمد عبناني

صدر حديثاً :

الشعر العربي

في بلاطات الملوك

لنسيم نصر

منشورات دار مجلة الاديب

اطلبه من جميع المكتبات

سحب وانقشاعات

بقلم محمد يوسف مفلد

•••

ان ثمنك باهظ ، ولكن ليس عند الذين يعرفونك حق المعرفة . فيا لنفيسة كان شبابي لها ثمناً !!

غفرانك !

فلقد « ثمنتك » كما تثمن الحاجات والاشياء — لغة الاسواق — وانت لشيء فوق التقييم والتثمين

اقول للسحاب المنعقد في سماء نفسي انقشع ! اعميت بصري ! ابهمت طريقي !

ولكنه . . ظل يرعم ويرعم حتى صار آكاماً ، وسُدت آفاقي فصارت جهاما . .

وما هي الا رعشة . . حتى لمع وميض الروح ، فتفرقت السحائب بدداً ، واصبحت طرائق قدداً .

***

لم يبق لي غير روحي !!

وانه ليمن عظيم ، وخير عميم هو هذا الذي بقي .

انه نعمة السماء التي تحيل القطوب ابتساماً ، والخطوب سعادات واحلاماً ، وتحل في النفس الحزينة بدداً وسلاماً .

على رسلك ايتها الروح !

من هنا ، من متلفت العين ، من وراء الحرس الطائف ، والحواجز المضروبة على الجهات الاربع ، اطل على ذراوتك الرفيعة ، فاشرف منها على الحرية السليبة !

تمر علي الاوقات في غربتي القاسية كأنها عجلات القطار لشدة وطأتها ! ولكنك ، سرعان ما تحيلينها في نفسي الى مهرجان عظيم !

تلفت في ايل المحن لارى من كانوا حولي قبل حين فما وجدتهم ، ووجدتك .

اذا كانت آداب الحياة قد فرضت علينا حتى شكر الذين يسقوننا ماء ، فكيف بالتي تهب لنا الحياة حين تسلب منا الحياة ، وتمنح الصبر الجميل على المكاره وحين يقبح في اعيننا كل شيء جميل ، وتعمر قلوبنا بالاماني الكبار حين تنهار في نفوسنا جميع الاماني !

لما سبحت في العتمة استترت بك ، ولما استهدفني القساة استعذت بك ، ولما شعرت الوحشة انست بك ، ولما يئست من العدل انتصفت بك . فاي سعيد انا ، واية آية انت !

***

لم يبق لي غير روحي .

الآن فهمت !

فالمسرات التي تحصل لنا من امتلاك الدور والقصور ، من الثراء والاحتواء ، ومن كافة الحظوظ المادية والمساعي الناجحة ليست مسرات ثابتة انها مسرات عارضة ، تزول بزوال اسبابها ، ولا يبقى بعدها سوى الاكتئاب الباهظ .

***

لم يبق لي غير روحي ، وليس بالقليل هذا الذي بقي !

انه « جوهر الوجود » ، انه ثروة من لا ثروة له ، خسرانه لا يعوض ، « وذلك هو الخسران المبين » !

لقد اتجرت طوال غربتي بما يتجر به الناس ، فما كان ربحي فيها ربحاً ، ولا مكسبي مع آفاتها مكسبا .

***

لم يبق لي غير روحي ، وليس بالقليل هذا الذي بقي !

انه « جوهر الوجود » ، انه ثروة من لا ثروة له ، خسرانه لا يعوض ، « وذلك هو الخسران المبين » !

لقد اتجرت طوال غربتي بما يتجر به الناس ، فما كان ربحي فيها ربحاً ، ولا مكسبي مع آفاتها مكسبا .

---

* فصل من « امالي الايام » المعد للطبع

الآن، وبعدان اكلت الغربة من عمري، من خيرة عمري ، ثلاثة عشر عاماً عرفت ما هي آلام الغربة :

انها ليس البعد عن الاهـــل . فالمرء اينما كان لا يعدم الاخوان الذين « لم تلدهم امه ». انها ليس النزوح عن ارض الوطن الذي درج عليه وابصر النور فيه، فالبلاد التي يهاجر المرء ويغرس فيها حياته وحيويته ونشاطه هي ايضاً وطنه، وطن حياته ان آلام الغربة كل ذلك . . بل انهـــا هذا الاتصال الدائم بالماضي المنفصـــل الذي تشدك اليه الاشواق والذكريات . انها هذا « الفراغ » الكبير الذي تتركه الغربة في نفسك ، كل اعوام غربتك . . تحاول ان تملأه بالحب ؛ بالثقة ، بالاطمئنان فلا يتلى ! انها هذا الشعور الرهيف الذي « يذكرك » في كل لحظة «انك غريب» حتى ولو كانت البلاد التي انت فيها كلها ملكك، انها حين تنزل بك نوازل الدهر في مرض او خسارة او عدوان او نحو ذلك من اضرار البدن والمال والنفس تنظر فاذا انت « غريب ». حينئذ تعي على نفسك، على حقيقة نفسك فاذا انت كرماداشتدت به الريح في يوم عاصف !!

ومن آلام الغربة ما هو امر وأدهى حتى ليست الآلام المذكورة معه شيئاً مذكوراً : انه شعورك الدائم بالذل وانت العزيز ، واستشعارك الهوان وانت الانوف الكبير . ان الغربة في جميع بلاد العالم هي مجرد غربة مجرد بعد عن اهلك ووطنك وحسب . فلا يتصل بقلبك من آلامها غير ما يتصل بكل قلب مشتاق ولكن آلام الغربة في افريقيا آلام مضاعفة لما يباغتك من لؤم القلوب ، وخبث طوية القوم، وما تشعر به حيالهم من ذل وهوان وقلة احترام !!

كم مرة تمنيت ان تنفتح الارض تحتي وتبتلعني لشدة ما اوذيت في عزة نفسي ، وفي شرفي وكبريائي ! كم مرة سولت لي نفسي ان اهجم على هذا الحقير او هذا المغرض او هذا الفظ فاستل روحه من انفه، او اذيقه سكرات الموت رفساً بقدمي هاتين القويتين !! كم مرة طفر الدمع من عيني لا حزناً ولا خوفاً ولا رهباً . بل حنقاً وزمجرة وغضباً !!

***

لم يبق لي غير روحي !!

انها المنقذ الاعظم، انها الملاذ الاكبر انها الفرج الاقرب .

ملأت فراغي حين وجدتني في فراغ لا يملأه شيء . وانزلت على نفسي الراحة واسعدتها حين لم يكن ليريحني او يسعدني شيء !

طلعت علي طاوع المسيح على المرضى وذوي العاهات .

نزلت علي نزول جبريل على محمد .

اخرجتني من لحظاتي الآزمة كما اخرج يونس !

في سكون الليل ، كسكون القبور حين لم يبق في الكون عين مفتوحة ، ولا اذن مصغية كانت عيناي مفتوحتين حتى الحدق ، واذناي مرهفتين حتى لو دب النمل على الارض لسمعته !

ويحي ! هـا هي انور يتجلى .. يسعى .. يغمرني ..!

واسمع همساً، هو همسها الحبيب الخائف .

يا عيني ، يا اذني ، اصدقتني الخبر !

تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجمت من الاصغاء ليتاً واخدعا !!

محمد يوسف معلد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن حضرموت مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة عمان نزيجا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية
كران بساّم موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل الارجنتين
شيلي بوليفيا الاورغواي الجوادلوب فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا

الحب والليل

يا فؤادي قد تطى الليل يطوي الكائنات
مقبلاً من عالم الذكرى خفي الخطوات
قد طوانا مثلما يطوي المراعي الناعسات
قم الى الليل .. فان الليل مرعى الامنيات
قم نحييه بألحان الاماني الباسمات
قم نغني لنجوم في ضميري خافقات
هذه الانجم احلامي .. واحلام فتاتي
هذه النسمة من روحي نداء في فلاة
عن عيون فيهما يا ليل موتي وحياتي
عن جبين فوقه شعر خفوق الظلمات
هالة الاسرار فيه كإطار الذكريات !
ضم فجراً عبقرياً قدسي اللمحات ..

يا ابنة الليل طوانا الليل فاصغي لي مليا
انت ظمأى وأنا يا اخت ظمآن فهيا ..
نعصر الليل بكأسينا .. فيندى القلب ريا
هأنا يا معبد النيران اغدو وثنيا ..
قد عبدت النار في حبي فهل آتيت غيا ؟
ما علينا لو مزجنا الروح بالجسم سويا ؟
افليس العطر من زهر طواه الترب طيا ؟
يا حبيبي أنا حر . غنني ما دمت حيا
غنني فالزهر فوق الغصن ما زال نديا
يبعث الحب مع الانسام عطراً عبهريا
غنني ما دام نجم الافق يرنو لي عشيا
انت حلم الكون في غوري .. بدا طيفاً سنيا

آه من اجفانك الوسنى ومن همس العيون
فيها تنهيدة الشاكي وآهات الحزين
فيهما اياءة الساهي بلا قصد مبين
فيها اسطورة الدنيا وما خلف السنين

يوم كان الكون سراً بين احشاء السكون
يوم بث الله نور الفجر رمزاً للحنين
فيهما حلم يتيم راح يبكي باللحون
فيها قد دارت الافلاك تجري بالقرون
فيها لمسة نهد .. كم توارى عن عيوني
فيهما خمار موت .. خمره نار الشجون
فيهما بحر ولكن .. ضل في البحر سفيني

وسذي رأسي على نهديك في مهد الظلام
آه ما احلى سكون الليل في همس الغرام
وصلاة الثغر فوق الثغر من غير كلام
وخفوق الصدر فوق الصدر عربيد الضرام
انني أبكي .. وفي دمعي .. شعاع لابتسامي
فامزجي انفاسك الحرى بأنفاس المدام
اسكريني ادرك الاسرار من اخفى المرامي
عانقيني ألمح المجهول من خلف الغمام
معبدي للغيب في عينيك يا دنيا هيامي
لست اخشى الريح تجدوني الى تيه الحمام
انا روح خالد الاشواق احيا في تسامي
انا خفق النور ، والنور سيحيا في اضطرام

عدت لليل وحيداً والدجى منفى الوحيد
ليس لليل حدود وأنا اين حدودي ؟ ؟
انا اعمى وهو اعمى .. والتقينا وسط بيد
يا نداء الريح في البيداء يا شكوى الطريد
انني احفر قبر العمر بالخطو الوئيد
وابتساماتي زهور النعش للحب الوليد
يا فتاتي انت في ليلي صدى ناي بعيد
عانقيني في ظلامي .. وصليني بالخلود
وأغفري للدمع ان صلى بمحراب النهود
ان دمعي قصة الدنيا وتاريخ الوجود
فاجعلي البسمة كفاً وامسحي دمع الشريد
خبئيني من فنائي وانزعي عني قيودي
انت خلدي فابعثيني للاماني من جديد

القاهرة

محمد الجبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الوحل

مهداة الى الصديق الكاتب البير اديب

بقلم الدكتور بديع حفي

اغمض ابو عبده عينيه السقيمتين كأنه يود ان يستأنف حلماً شارداً لا تزال بقاياه الحلوة تجاذب جفنيه وتغريهما بالغفوة ، ثم فتحهما في اعياء ، ومد بصره، في الظلمة الحالكة ، الى ثلمة في زجاج النافذة الاغبر الوسخ المكسور ، ليستبين منها رقعة السماء. فألفى ضوءاً نحيلاً يتسلل منها، وتأكد لديه ان الفجر قد لاح.

وكانت النافذة — وهي الوحيدة في هذه الغرفة — قابعة في اعلى الحائط وقد بدت بجوانبها المهدمة كأنها فم عريض كريه يتثاءب، ورأى الى منتصفها قضيباً من الحديد ، قد التف حوله حبل طويل ثم تدلى وانعقد عند حافة النافذة عقدة كبيرة تشي بانه قد قطع مرة ثم وصل ، وانزلق طرفه الآخر من ثلمة زجاج النافذة المكسور الى خارج الغرفة ، وانصرف ذهن ابي عبده وهو يرامق الحبل بنظراته الى ذلك الجلجل الذي نيط به ، والى رنينه المزعج يتعالى كلما جذب الحبل الطويل بيده الوانية المرتعشة ، واخذت جسم ابي عبده الرعشة ، فقد تداعت الى خاطره ، صورة ثعبان يسعى الى وكره ، حين تلمست يده طرف الحبل المتطامن الى جانب فراشه ، وسحب يده ودسها تحت ظهارة الفراش .

وتأدى الى سمعه صرير الباب خفق اقدام ثقيلة ، اقدام زوجته لا شك ، واغمض جفنيه حتى لم يبق من موق عينيه الا خط ضيق يضطرب فيه سواد محجريه ثم فتحهما في فتور واخذ زوجته بنظرة فاحصة متسائلة، وكانت واقفة الى جانب فراشه وقد وضعت يدها على خصرها ، في وضع من نفد صبره. وأراحت الاخرى فوق وجنتها ، وامتدت السبابة قريباً من الفم ، كأنها تومىء الى الابتسامة الساخرة التي كانت ترحف على شفتيها .

وكان الفجر قد متع ، فديك الجيران الذي كان يزقو صاخباً قد استوفى آخر صيحة ويئس « عنبر » القط الاسود البليد، وقد اقعى الى جانب الفراش ، من اغراء فارة حمقاء في الخروج من وكرها ، فلعلم اطرافه ، وارخى اذنيه وخر نائماً ، بيد ان بقية من عتمة الليل ابت ان تفارق حنايا الغرفة .

ومثل في وهم ابي عبده ان ما يراه هو تتمة مزعجة لحلمه الشارد ثم تحقق ان عينه لم تخطىء . . انها زوجته . وشعر وهو يبلع ريقه انها قد اتت اليه ، في هذه الساعة المبكرة لتقوده الى الشنق او الى قدر مظلم آخر ، وهو شعور خفي يتسق في نفسه كل صباح ، حين تلمح عيناه ذلك الحبل الطويل .

وسك اذنيه ضحكة مجلجلة مرتعشة القرار ، لم يعلم على التحقيق معناها ، ولكنه ارتجف لها . . وفتح عينه اليمنى وترك اليسرى مغمضة كالطفل الخبيث يتصنع النوم ، فرأى ابتسامتها الساخرة تحي وتنطفىء ولمح في عينيها معنى التحدي . . غير انها لم تغير من وضعها ، فلا تزال يدها الى خصرها ويدها الاخرى مراحة على وجنتها ، ورأى شعرها الاشعث وقد جدلته في ضفيرة كبيرة ترامت فوق صدرها الوسيع معقدة سوداء اكثر اغراء بالشنق من هذا الحبل الملتوي على الحائط .



وتساءل في قرارة نفسه عم تبغي منه في هذه الساعة المبكرة تراه قد جذب الحبل ، دون وعي ، كما اتفق له ذلك مراراً في بعض احلامه المضطربة فاقبلت تلبي له طلبه . . لا . . ان يده اليسرى المفاوجة ، لا يتأتى له ان يحركها ، ويده اليمنى لا تزال تحت ظهارة الفراش، سيحمل له هذا اليوم ولا بد ،اشياء جديدة ، وحدثه قلبه في تلك اللحظة بانها اشياء خطيرة نذيرة بشر .

وسمعها تقول : سنذهب هذا الصباح الى المحكمة الشرعية ، لقد حان وقت خلاصي منك ومن اسرك ، لقد اكتفيت منك ومن خدمتك وانت مريض مفلوج ، سيحكم القاضي بالطلاق ، اسمعت ؟ سيحملك عبده على ظهره ، هأ . . هأ . . هيء . . . هيء وهل تنتظر ان تذهب في عربة ؟. انه كالبغل ، يستطيع ان يطير بك وانت على ظهره ان شاء ، وان له ، على غباوته ، مزايا البغال هذا ما يعزيني ، على الاقل، انني اوفر ، بكتفيه القويتين، اجرة سيارة .

ونادت ، في صوت مرتفع ، مرتجف النبرة ، عبده . يا عبده واردفت : لعنك الله ما اكسلك !

وصر القط « عنبر» اذنيه ، ثم تثاءب ، لقد ايقظته بندائها العنيف من غفوة حلوة .

وتابعت ام عبده كلامها ، كأنها تحدث نفسها : وهل تظن انني انتظر العدة بعد الطلاق ، لا تزوج من « ابو محمد العشي » ، سأدعو الشيخ مصطفى ، غداً او بعد غد، وسيكتب «الكتاب» وبعد انتهاء العدة، اجدد الكتاب والافراح، انني اخشى ان تفسد علي ام محمد الامر ، ستموت كمداً وحسداً وغيرة ، سيطلقها ابو محمد من اجلي وسيكون نصيبها وحظها كنصيبك وحظك ، اما عبده . . الابله،فسيكون من حصتك،سيعنى بامرك ، رغم انفك

انك لا تصدق بانه ابنك، اذا لم تصدق فدونك الحبل اشنق به نفسك ، مرة اخرى ان شئت .

وكان يصغي اليها واجماً ، سوى ان شفته السفلى كانت ترتجف كأنه مشف على البكاء،وارتعشت يده اليمنى، كأنما قد انعكس عليها خفقة قلبه الحزين ، ونظر الى الحبل يتلوى كالثعبان ، وهي تردد جملتها الاخيرة ، اذا لم تصدق ، فدونك الحبل اشنق به نفسك . . مرة اخرى . . وتداعت ذكريات بعيدة ، الى ذهنه المتعب .

***

حين تزوج ابو عبده ، منذ خمسة عشر عاماً ، من فطومة كان يعد نفسه اسعد الازواج، فقد كانت فطومة تصغره بعشرين سنة، فجسمها غض طري ، وهي منذ صغرها مترهلة ، مكورة ، وكان يحب السمينات ، وهي الى هذا فقيرة ، تقنع بالقليل ، وكان يعد يوم قُرن اليها غنياً فهو يملك هذا البيت الصغير الذي ورثه من ابيه ، وهو يشتغل كحارس ليلاً في احد الاحياء المنعزلة القديمة من دمشق .

وكانت اكثر ايامه بعد الزواج عنيفة يسودها الخلاف ،وكان يستعمل عصاه الغليظة ، ان تمادت في المشاكسة ، غير انه كان يعرف كيف يرضيها في الغد ، بثمن ثوب او اكلة مشتهاة . . وقد لامه بعض اصحابه على زواجه من فطومة ، كيف يقبل بهذه الفتاة زوجة له ، وهي التي غازلت كل شباب الحي ولم يبق واحد منهم الا ضمها وقبلها بيد انه لم يصغ الى كل ما قيل ، فقد كانت جميلة بعينيه ، فهي ممتلئة سمينة ، وقد ترهلت بعد الزواج ، وظلت تحلو لديه ، وان شبهها بعض الخبثاء من اطفال الحي بالجحش ، هذا لا يهم لديه .

ولما وضعت زوجته فطومة، طفلاً ، شعر بالسعادة تغمر قلبه، لقد اصبح له ولد ، يرث لقبه وبيته الصغير وثروته المتواضعة ، واضحى يشمخ بانفه حين يدعونه بابي عبده .

وقد شعر ابو عبده ان بعض رفاقه يبتسمون في سخرية مرة حين يلتقون به ويتغامز بعضهم كأن هناك سراً خبيثاً لا يدريه هو، ولم يكن ابو عبده ببساطته ، ليتأتى له ان يفهم ، لولا لسان ام شحادة وهي عجوز ثرثارة ، تصطاد الاسرار وتتسلى في روايتها ،

مجموعات الاديب

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة	ليرات	جنيهات	دولارات
الاولى ١٩٦٢	٣٥	او ٤	او ١٦
الثانية ١٩٦٣	٢٥	» ٣	» ١٢
الثالثة ١٩٦٤	١٥	» ٢	» ٧
الرابعة ١٩٦٥	١٥	» ٢	» ٧
الخامسة ١٩٦٦	١٥	» ٢	» ٧
السادسة ١٩٦٧	١٥	» ٢	» ٧
السابعة ١٩٦٨	١٥	» ٢	» ٧
الثامنة ١٩٦٩	١٥	» ٢	» ٧

فقد اوردت له بعض ما يتهامس به رجال الحي ، من ان ابا عجاج شيخ شباب الحي ، وهو رجل مرهوب مخيف ، تستقبله فطومة بعد خروج زوجها ، الذي تلازمه وظيفته كحارس ان ينأى عن بيته طوال الليل .

وذكرت له بعض ما تناهى الى سمعها من ان عبده، هو وليد تلك العلاقة الاثيمة ، وان بعض الشباب يجرءون في مجالسهم ان يلغطوا في خلق زوجته، فقد تركها الآن شيخ شباب الحي وهجرها، فلا خوف من شره وبأسه ، وانها قد اتخذت لها عشيقاً آخر، اعله ابو محمد العشي ، فما تستطيع ان تتأكد من ذلك الآن .

ولم يكن عبده بالولد الذي يباهي به او يشرف به اسمه فقد بدت عليه امارات البله منذ صغره ، بيد ان هذا الخبر ، افقده وعيه ، وانه ليذكر كيف هرع الى البيت ، بيده عصاه الغليظة التي يستعملها في الحراسة، ويذكر كيف انهال على زوجته ام عبده ضرباً متداركاً شديداً دون ان يستوضحها شيئاً ، لقد خيل اليه وهي تتلقى ضرباته العنيفة ، انها ادركت خطيئتها فهي تتلمس قدميه لتقبلها وتسأله العفو ، لقد تبدت لديه كالحشرة القذرة ، فينبغي ان يسحقها ، حتى تموت ، لقد تجمع لضربة يائسة مسددة الى الرأس ، وهوى بعصاه المدببة ، ورآها تتهاوى والدم يشخب من جبينها ، وقد فقدت كل وعي ، وخيل اليه انها ماتت ، وانطفأت معها سعادته ، فما قيمة الحياة لديه ، ورأى عبده وقد انكمش في زاوية من زوايا الغرفة ، وهو يبكي ، وتمنى لو يقتل هذا الطفل ، لكن يده لم تطاوعه لقد فقد كل امل ، اجل فما قيمة الحياة لديه ؟

ومرت في ذهنه صورة الحبل، يربط في قضيب النافذة ، ثم يعقد في العنق وتنتهي الحياة بعد ذلك في لحظة ، . . واندفع كالمجنون الى حبل معلق ، فشده الى قضيب النافذة ، ولم ينس ابداً نظرة عبده ، المرتعدة ، وهو يلف الحبل في عنقه. ومرت تلك اللحظة العنيفة ، فلم تنته معها حياته لحسن حظه او لسوئه . . ووقع ارضاً مغشياً عليه ، وقد نقل الى فراش المرض ، ليقاسي الفالج ، لا يستطيع الكلام والحركة، سوى ان جفنيه كانا يومئان ويخفقان، ويشيران الى ان هذا الجسم الواني المحطم البائس لا تزال فيه دماء الحياة ، وكان يموت شيئاً شيئاً ، بيد انه كان يشعر بانه سيرى احداثا جمة قبل ان يظفر بميتته السعيدة المنتظرة .

اما زوجته ، فلم تمت ، على قسوة ضرباته واحكامها ، وقد لأمت جراحها ، سريعاً ، وعلقت ام شحادة العجوز الثرثارة وهي تروي الخبر بان ام عبده كالقط «عنبر» لها سبع ارواح ، ان فقدت روحاً ، انبثقت روح اخرى في اهابها .

وظلت العصا الغليظة في زاوية الغرفة العالية تعتمد عليها ام عبده في زجر عبده وتأديبه ، اما ذلك الحبل المشؤوم فقد وصل طرفاه بعد انقطاعه ، وتعلقت به فائدة جليلة ، فقد جعل طرف منه في متناول يد ابي عبده وهو، ملقى في فراشه ، ثم تطامن طرفه الآخر وسعى ، وزحف كالثعبان الى الحائط ، والتف حول قضيب النافذة ، ثم انزلق من زجاج النافذة المكسور ، ليشد جلجلاً اصفر ، ينعق كلما تحرك في رنين مزعج كئيب حزين.



الدكتور بديع حقي بريشته

***

وقف عبده في وصيد الباب ، مرتبكاً حائراً ، وتقدم باشارة من امه ، في مشية متزايلة ، حتى دانى فراش ابي عبده وظهر على ملامح وجهه الساذجة البسيطة ، انه مشغول بوساوس واوهام بعيدة ، فهو يبتسم ابتسامة بلهاء ، وينظر الى امه نظرات جامدة، وكان في وقفته تودد ، متقياً ان يقترب من امه كثيراً، كأنه يفرق من لطمة مفاجئة ، وبدت له فكرة حمقاء ، فأخذ يصفق تصفيقاً حاداً متواتراً ، وجعل يضحك ضحة مرتجفة القرار ، بيد أن امه بادرته بصفعة ، وظهرت آثار اصابعها على وجهه، في خطوط قاتمة ، الى جانب خطوط اخرى باهتة ، باقية الاثر .

انه لا يعلم لماذا يدعونه « بالاجدب » فهو يصفق او يضحك دون سبب ما وعلى الغالب حين يجد امام عينيه ما يستثير فضوله، او حين يقدم له صحن الطعام. وكان يتلقى صفعات امه القاسية ،

دون ان يدرك انه مذنب ، كل ما يستطيع ان يحدد له معنى في خاطره ، هو انه يفهم ان يقبل حين ينادى باسمه ، وهو يدري ان يشتري بعض الحاجات لامه، وما يتردد ان يأكل بعض مايكلف بحمله ، وكان يفهم الى هذا ، حين يسمع الجلجل ، ينعق ويرن ان والده يبغي طعاماً او ماء او دواء ، ولعل بعض الذكريات المؤسية ، لا تزال تكمن في حنايا رأسه ، فقد عمد مرة الى الحبل المتدلي من النافذة ، فلفه على عنقه، يريد ان يقلداباه ،وقدادركته امه في اللحظة المناسبة خائفة مرتعشة ، وقد القى هذه التجربة سائغة شهية، فهي لا تخيفه ابداً بل تخيف امه كثيراً ، وكان يعمد اليها ، حين يرغب في الانتقام من امه او حين تهيج في نفسه نزوة عابرة حمقاء .

وكان وحشي الطبع، فلم يأتلف الا مع القط عنبر ، وقدسرق لاجله مرة من باب احد البساتين ، جلجلاً ، اصفر غريب الرنين ، وجعله حول عنقه ، لولا ان امه حرمته من هذه المتعة ، وضاقت برنين الجلجل يتعالى كلما تحرك القط ، ووجدت للجلجل فائدة جليلة ، فاناطته بالحبل المشؤوم ، المتدلي من النافذة .

وفرك عبدة عينيه ، وكان يهوم من النعاس ، رغم لطمةامه ، انه لا يدري لماذا تناديه في هذا الصباح الباكر، وسمعها تقول :

— ستحمل اباك الآن على ظهرك ، لنذهب الى المحكمة الشرعية ، البس حذائيك ،« وطاقتيك » سريعاً .

ولم يفهم معنى المحكمة الشرعية ، وقد اثارت فضوله هذه الجملة ،ولعله قدظن انهم ذاهبون الى «سيران»فصفق بيديه الغليظتين، تصفيقاً حاداً متواتراً ، وجعل يضحك ضحكته البلهاء .

***

كان عبده وعلى ظهره ابوه ، يسير في تؤدة وهدوء، فقد كانت امه وهي تمشي خلفه بملاءتها السوداء ، تزجره كلما مد في خطواته ، وكان ، على العبء الذي ينوء به فوق ظهره ، يسعى خفيفاً نشيطاً، والصفة تقضي ان لا تلام امه في تفضيلها ايام على السيارة ، فقد كان في فراهة البغال .

وكان ابو محمد العشي ، زوجها المقبل، يسير الى جانبها ،وهو رجل في العقد الرابع من عمره ، هضيم الوجه قمىء وقد بدا على قسمات وجهه ، الوجوم والانقباض ، فلم تكن نفسه ترف الى زواجه الجديد ، وقد تعثر في سيره بحجر وكاد يقع ارضاً ، وسمعها تقول غاضبة متأففة — اما ترى جيداً . . العمى ضربك .

وتشاءم ، ابو محمد ، وشعر ان قدره مع هذه المرأة لن يكون اسعد من قدر زوجها الاول ، ابي عبده ، غير انه لا يدري كيف وعد ام عبده بالزواج بعد طلاقها من زوجها المريض، فهو متزوج وله اولاد ثلاثة اكبرهم في العاشرة من عمره ، ولا يدري كيف وعدها ايضاً بتطليق زوجته ام محمد ، الم تسع للطلاق من زوجها لاجله،الانصاف يقضي اذن ان يسعى لتطليق امرأته لاجلها، ثم ان ام عبده ، على شراستها ، خير من زوجته فلها بيت بثلاث غرف ، ولها ولد يشتغل كالبغال وعدا هذا فام عبده سمينة مترهلة ، وهو مثل ابي عبده يحب السمينات من النساء .

وكانت ام عبده، تستأني في سيرها ، كأنها واثقة من الوصول الى غايتها في الموعد المحدد ، لقد كانت تتردد في السعي للطلاق من زوجها خشية ان يذهب البيت من يدها، بعد موته، وكانت تنتظر ميتته المنتظرة كل يوم ، ولكنه يأبى ان يموت، كيداً بها ونكاية ، وهو منذ خمس سنوات لزيم الفراش ، تسمع انينه ، يواكبه رنين الجلجل ، لا يني ينعق طوال اليوم.

وكانت ، الى هذا، تخاف ان تمهلت وانتظرت اكثر من هذا، ان يذهب من يدها ابو محمد العشي،وهو متزوج، وزوجته ماكرة، تفسد عليها خطتها ان لم تتعجل امر الطلاق ، وكانت موقنة انه سيطلق زوجته ، فهي تأبى ان تعيش مع ضرة في بيت واحد.

الاسواق التجارية

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين
وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى — ساحة الشهداء بيروت

الهاتف : ٦٨ — ٦٦ العنوان البرقي: ادفرت ، بيروت

اما البيت فسيرثه حتماً ابنها عبده ، عبده الابله « الاجدب » وستكون هي وصية عليه ، ومن يدري لعل عبده يموت قبلها فترث ابنها، لقد سألت وتحققت ، ووكلت محامياً، اغراها كرشه البارزة؛ بانها ممتلئة بالعلم ، ولقد انبأها المحامي « حسن المحتشم » عن موعد الذهاب للمحكمة الشرعية، وأكد لها بانها ستنال، حكم الطلاق، فزوجها معلول مريض مفلوج، وسيحكم القاضي بالطلاق سريعاً .

وكان ابو محمد العشي، قد رافقها ، بعد ان الحت عليه بالمجيء لتريه كيف ينبغي ان يطلق هو زوجته الاولى ، وقد رضي ان يأتي الى المحكمة معها ، بدافع الخوف او الفضول ، وكان يسير الى جانبها كظل مسيخ لها .

***

اجال ابو عبده عينيه، وهو على ظهر عبده ، في الفضاء الواسع، ثم زفر زفرة عميقة ، واحس بسرور داخلي، لم يدرك له كنهاً، انهم ذاهبون الى المحكمة الشرعية، وسيحكم القاضي بالطلاق، انه لن يمانع ابداً ، سيصبح هو الآخر حراً ولن يأسف على شيء.

ولم يكن يصغي الى ثرثرة ، ام عبده ، كما انه لم يشعر بالغيرة، في تلك اللحظة ، لقد كان يلمح في نظرات ابي محمد العشي القلقة المضطربة معنى الذل والانكسار انه مثله ايضاً ضحية هذه الامرأة ولم يكن ليكره عبده ، الابله المعتوه ، فقد كان يثير في نفسه الشفقة ، كل ما كان يكرهه هو انه سيورثه اسمه ولقبه ، اما بيته الحقير فقد كان يود من اعماق قلبه ، ان يورثه الى عبده.

ولما مر به عبده في الحي ، حيث كان يلتقي باصحابه ورفاقه ورأى بعض معارفه ، يهزون رؤوسهم ، في ابتسامة ساخرة ، شعر بانه شيء حقير . . حقير جداً ، ولم يستطع في تلك اللحظة ان يزجر دمعة قد انسربت من عينه، وكان عبده، يضحك ضحكته البلهاء، وقد خيل اليه ان اباه يبكي بكاء مكتوماً متقطعاً ، فكف عن الضحك ، تراه شعر بانه يحمل على ظهره ، رجلاً بائساً ، لقد كان هذا النهار عجيباً غريباً يثير فضوله ، ولكنه لم يحاول ان يفهم ، بل تابع سيره في صمت.

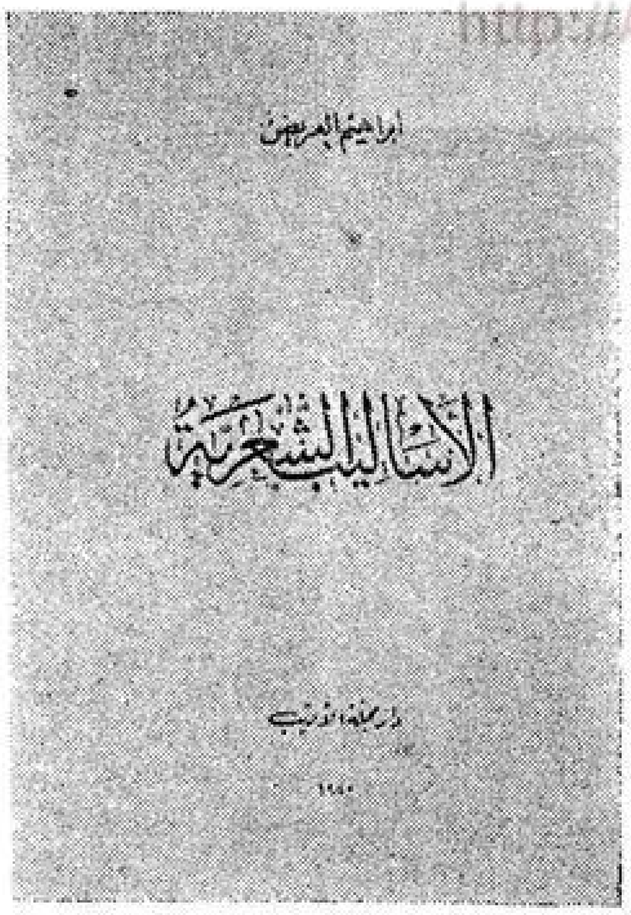
***

كانت اكثر غرف المحكمة الشرعية مقفلة ، في تلك الساعة المبكرة ، حتى « المباشر » لم يأت بعد، ولم يكن ثمت سوى بعض النساء ، جثن ولا ريب باكراً من احياء بعيدة ، وجلس بعضهن على الارض ، وعيونهن ترمق باب المحكمة ، وقد القي، ابو عبده في زاوية حقيرة، على الارض وجلست ام عبده القرفصاء الى جانبه، وانظارها تهفو الى الباب ، وقد بدا عليها انها قلقة ، فهي تجد ان القاضي قد تعمد التأخر هذا النهار ، نكاية بها وقد بصقت ، وقذفت في الفضاء بلعنة وشتيمة جريئة ، وسمعها ابو محمد الذي انكمش قبالتها ، لا يحير ولا يتكلم.

واحس ابو عبده برطوبة الارض تسري في اوصاله، فلم يزعجه ذلك واغمض جفنيه ، وقد شعر بحاجة ملحة الى البكاء، والتاثت خواطره وتشعبت ، ولم يعد ينتبه الى شيء. وصافح اذنيه صوت المباشر الضخم ينادي اسمه وينغمه ففتح جفنيه وانتظر في استسلام ان يحمل مرة ثانية على كتف عبده ، وجاز به عبده المحكمة وهو يضحك.

ورأى الاحداق تتجه اليه، فارخى ناظريه ، ومرت فترة طويلة لم يكن يعي فيها كل ما يدور من كلام ، وكان يجيب بايماءة من رأسه او جفنيه على كل سؤال ، انه لا يمانع في الطلاق، ولمح وجوهاً عابسة منقبضة ، تتأمل فيه ، ورأى القاضي ، ولفته البيضاء، وسمع حكمه بالتفريق ، واغمض جفنيه ، وقد شعر بالتعب والوهن ، ولكن قلبه اخذ يخفق بشدة. وتنهد بعمق ، كأنه قد تخلص من

صدر حديثاً



اطلبه من جميع المكتبات
ومن مجلة الاديب

الثمن ٢٠٠ قرش لبناني او سوري
او فلس او مل او مليم او فرنك

كابوس يجثم فوقه ، تراه سعيداً ، انه لا يدري ، لقد اضحى الآن حراً ، ولكن جرحاً عميقاً في مطاوي نفسه لم يلتئم بعد.

***

هيأت ام عبده كل شيء ليكون العرس في اليوم الثاني من نوالها الطلاق المنشود ، لقد كانت تخشى ان تفسد عليها ام محمد خطتها ، وتضع امامها العقابيل والصعوبات ، وقد اسرت بمخاوفها لام شحادة العجوز، ورجتها ان تذهب في استدعاء الشيخ مصطفى مؤذن الجامع ، وتجلو له الامر وتضع في كفه خمس ليرات سورية قمينة باقناعه ، بالمجيء لقراءة الفاتحة، وعقد «كتاب» موقت،وبعد انتهاء العدة ،— وقذفت ام عبده ، وهي تلفظ هذه الكلمة،بلعنة صاخبة — ستجدد الكتاب والافراح والاعراس في المحكمة وطلبت اليها ان تمر في طريقها ، على شيخ شباب الحي ، ابي عجاج لتدعوه الى حضور « الكتاب » لا يهم لديها انه كان ، فيما مضى، عشيقها القديم ، ولعلها رغبت في دعوته ، لتسم الكتاب بشرف حضوره ، فهو شيخ شباب الحي وله قوته وباسه وسلطانه ، كما طلبت الى العجوز ان تدعو،صياح القهوجي، فقد وعدته بان تؤجره الغرفة المظلمة السفلى التي ينام فيها ابو عبده ، وذلك بعد ان يموت، وقد الفت من اللياقة ان تدعو جارها المقبل في هذه المناسبة السعيدة، وارسلت ام عبده ، ابنها الابله ، ليحمل اليها ثماني صحون «كشك الفقراء» لتقدم الى الحاضرين ، بما فيهم ابو عبده ، وكانت قد دفعت ثمنها ، مقدماً، عند رجوعها من المحكمة وذكرت للبائع،بان ابنها هذا « الاجدب » سيأتي في طلبها ،وكانت خواطر ام عبده واحلامها المعسولة،تزحف على الدرج، وتستقر في تلك الغرفة العالية، الغرفة التي ستتذوق فيها ، ليالي العرس الحلوة مع ابي محمد .

وكانت قد وضعت على شفتيها طبقة سميكة من احمر الشفاه، وطلت وجهها بالمساحيق والسلياني ، وضفرت شعرها في ضفيرة عريضة طويلة ، لا تزال تغري بالشنق، وبرقت عيناها جذلا،وهي تمتحن مرآتها ، ثم وقفت في اسفل الدرج ، تنتظر مجيء الشيخ مصطفى. وكان ابو محمد ، في الغرفة العالية ، ينسق الكراسي ، واجماً ، وهو يسارق النظر ام عبده من النافذة ، قلقاً ، مضطرباً كأنه سجين ينتظر غفلة حارسه ليلوي باذيال الفرار

وبدا لام عبده خاطر افزعها لقد اطالت ام شحادة غيابها ، تراها قد ذهبت لتنبيء ام محمد بالامر ، انها تعلم ان هذه العجوز اخطر ثرثارة في الحي كله.

ولكنها اطمأنت، وزالت مخاوفها، وهي تسمع صوت الشيخ مصطفي وسعلته المعهودة وضربة عصاه في الدهليز ، ووضعت على رأسها طرحتها واستقبلت الشيخ ، في ترحاب ، وكان يرافقه شيخ شباب الحي ، وصياح القهوجي ، وسعت وراءهم ام شحادة ، وعلى فمها تختلج ابتسامة ماكرة.

وكان شيخ شباب الحي ، قد تعهد شاربيه المعقوفين « بالكوزماتيك » وارتدى افخر سراويله ، ولم ينس وهو يحيي ام عبده ، ان يغمز بعينيه غمزة لا تخلو من دلالة.

واقتادت العجوز القادمين الى الغرفة العالية ، وظلت ام عبده في اسفل الدرج تنتظر مجيء عبده بصحون «كشك الفقراء» واستيقظت مخاوفها من جديد ، فقد تأخر عبده كثيراً ، ومرت في بالها صورة مزعجة ، فقد تخيلت ان ابنها قد غفل عن هذه الصحون فهوت على الارض وتحطمت، واخزيتها امام هؤلاء الضيوف، وقذفت ام عبده بلعنة ، وصعدت الدرج ، وهي تلهث تعباً وغضباً، والعرق يتحدر من وجهها ، ويزيل اصباغه ودهانه، ويجرف الطلاء الاحمر الداكن على شفتيها ، ويتسلل في خطوط حمر باهتة بشعة الى اطراف عنقها.

واتخذت ام عبده صمتها، نحو العصا،عصا زوجها القديم،وكانت منذ زمن بعيد لم تجر على طرفيها اي ضربة وامسكت بها ام عبده، ولوحت بها ، مهددة مزمجرة ، ثم اقسمت ان تجرم ابنها من صحن كشك الفقراء ، وكانت تعلم ان هذا العقاب اوجع من ضربة العصا.

وتناهى الى سمعها وقع اقدام ، في دهليز البيت، لقد أتى عبده ولا شك ، واجرت على لسانها اغنة اخرى ، وكانت واقفة في اعلى الدرج ، تترقب مجيئه ، ورأت ابنها عبده يدخل ووراءه سبعة صبيان ، بيد كل منهم ، صحن فارغ.

— اين كنت يا ابن الكلب ، واين صحون كشك الفقراء؟.

ولم يجب عبده بل نظر الى امه نظرة بلهاء ، ثم تراءت له خاطرة حمقاء ، فجعل يضحك ، ويفحص الارض بقدميه.

وغمغم طفل في صوت خفيض متقطع :

— لقد دعانا عبده الى بستان القنوات،لنأكل معه صحون كشك الفقراء ، ثم جئنا الى هنا ، لنلعب لعبة الاستخفاء وكانت هذه المصيبة، اجل من ان تتحملها ام عبده ، فأخذت ترتجف وقد تأدى هذا الخبر الى الحاضرين ، نقلته ام شحادة في سرعة البرق، فوجم ابو محمد، وكف ابو عجاج عن فتل شاربيه، وتأفف الشيخ مصطفى وجعل ينظر في ساعته ، ثم صرخ.

— ام عبده يا أم عبده ، سيؤذن المغرب بعد ساعة. سابدأ الفاتحة الآن .

وكانت ام عبده ذاهلة عن صراخه ، لقد اعماها الغضب ، ثم هبطت الدرج في سرعة البرق ، والعصا بيدها ، في تلك اللحظة ، شعر عبده بانه مذنب،فقد وضع يده على رأسه، متقياً ضربات امه، وقد شحبت ضحكته البلهاء على شفتيه. . .

وامسكت به ام عبده من شعره واقتادته الى الغرفة المظلمة حيث يرقد المريض المفلوج ، ثم دفعته الى داخل الغرفة واوصدت الباب وراءها . وفتح القط «عنبر» جفنيه وصر اذنيه وكان يرقد الى جانب المريض،ورأى في يد ام عبده العصا ، وهي داخلة،وحسب انه هو المقصود بها ، فعاد بكرسي حقير واختبأ تحته .

وكان ابو عبده يرى الى ضربات العصا ، تتوالى على قفا عبده وهو يصرخ متوجعاً وتداعت الى ذهنه ، ذكريات مؤلمة وتركت ام عبده،ابنها،بعد ان انهكها الضرب وشفت غليلها منه،واخذت العصا ، ثم غلقت الباب خلفها . . . وكف عبده عن البكاء ثم نظر حواليه ، نظرات جامدة ورأى الحبل المشؤوم، يزحف كالثعبان على الحائط وانبثقت في ذهنه صورة قديمة لم تزل كامنة ، صورة ابيه وهو يعمد الى الحبل، فيلفه على عنقه ، صورة جسم يتدلى ثم يقع، صورة تخيف امه كثيراً .

وتقدم من الحبل في خطوة متعثرة متزايلة بلهاء .

ابتدأ الشيخ مصطفى يتلو ما تيسر من القرآن،في صوت متهدج واضطرت ام عبده ان تكف هنيهة عن ارسال بذاءتها ولعناتها ، وظهر عليها انها لا تزال مغضبة حانقة .

وكانت جالسة قريباً من الباب ، والى جانبها ام شحادة العجوز ، تنظر تارة من خصاص الباب وشقوقه الى الحاضرين،وتارة تنظر في قلق ، الى الدرج كأنها تنتظر قدوم شخص.

ولم يكن الشيخ مصطفى ندي الصوت ، وان كان مؤذناً ، بل انه خيل لام عبده ان صوته جميل ، فنسيت كل ما جرى لها ، وجعلت تتمايل طرباً وقد تسلقت على شفتيها ابتسامة عريضة،وظهرت اسنانها وقد خالط بياضها صباغ شفتيها الاحمر فكأنها في تلك اللحظة حيوان ضار ، لا تزال دماء فريسته تسيل على انيابه .

وتناهى الى اذنيها ؛ صوت الجلجل ، ينعق ، في رنين غريب حزين ، وتعالى صداه ثم انطفأ، كحشرجة تذوب على شفتي منازع، واطلقت ام عبده لعنتها واردفتها ببصقة ، ثم عادت الى احلامها .

وطرق الباب ، طرقات متتابعة شديدة ، وكانت ام عبده مستغرقة في اوهامها الحلوة ، فلم يبد عليها انها سمعت ، لولا ان ام شحادة ، نهضت مسرعة خفيفة وسعت الى الدرج قبل ان تنتظر امراً من ام عبده لتفتح الباب لهذا الطارق المزعج .

ومرت هنيهة ، كانت خلالها ام عبده تسارق النظر من شقوق الباب ابا محمد الساهم الواجم .

ثم ارهفت اذنيها ، فقد سمعت عويلاً وصراخاً ، وانتسف وجهها وانكفأ لونه ، رغم الصباغ الذي طلته به.

لقد اتت ام محمد ولا ريب لتفسد عليها هنائتها بعريسها الجديد وكف الشيخ مصطفى عن القراءة ، ليسأل عن سبب العويل ، وخرج ابو محمد من الغرفة وهو يرتعش.

وبادرت ام عبده الى العصا الضخمة ، فامسكت بها ، ووقفت في اعلى الدرج وهي تنظر الى ام محمد من عل ، نظرة تحد ومناجزة.

وكانت ام محمد ، قد استندت الى الحائط في اسفل الدرج ، وحملت على يدها طفلاً صغيراً ، جعل يواكب بكاء امه وعويلها ، بنحيب متقطع ، ووقف الى جانبها طفل في العاشرة وقد امسك



في راحته بحجر ، كأنه يستعد للدفاع عن امه ، وتمسك طفلهـا الثالث باذيال ملاءتها .

لقد اتت ، لتفسد على ام عبده خطتها اللعينة ، وما يهم لديها ان يكون « الكتاب » غير معتد به في المحكمة ، فانهـا تعلم انه سيلزم زوجها ويقيده ، لقد عقده الشيخ مصطفى مؤذن جامع الحي وحضره ابو عجاج شيخ الشباب .

وكانت امارات اليأس والالم ، تبدو جلية على وجهها ، فقد الفت سعادتها تتلاشى وتتحطم امامها .

وبصقت ام عبده ، على ام شحادة ، وكانت واقفة في اسفل الدرج :

— آه يا عجوز النحس ، انت التي اخبرت ام محمد بان العرس سيكون اليوم لا يهم لدي ، سننهي « عقد الكتاب » ، اليوم ، شيخ مصطفى يا شيخ مصطفى ، اقرأ الفاتحة بسرعة . وقذفت ام محمد بصرخة داوية ، وبكى طفلها ، في صوت عال ، غلب على صراخها .

وتابعت ام عبده :

— لقد طلقت زوجي من اجل ابي محمـد ، وسيطلقك انت ايضاً وستموتين كمداً وحسرة .

ونفرت دموع غزار من عيني ام محمد وصرخت في وجـه زوجها وكان واقفاً الى جانب ام عبده لا يريم .

— اصحيح هذا ، اصحيح هذا ، اتتركني بسبب هذه الامرأة التي خانت زوجها الاول والتي ستخونك انت ايضاً .

وتلفت ابو محمد حواليه ، خائفاً مرتعداً ، اي قدر عاثر مظلم ينتظره مع ام عبده لن يكون انضر واسعد من قدر زوجها الاول المفلوج .

وسمع ام عبده تتجه اليه بقولها .

— دعها وشأنها ، ولنكمل الآن عقد الكتـاب ، اقرأ الفاتحة يا شيخ مصطفى .

ومد ابو محمد قدمه يريد ان يهبط الدرج ، لقد ساق له القدر ، زوجته لتنجيه من براثن ام عبده .

ولمحت ام عبده ، عزمه وصرخت .

— اتتركني يا ابن الـ . . .

فلم يرد عليها وخطا خطوة ثانية ، والفت ام عبده احلامها كلها تنتسخ في هذه اللحظة ، ها هوذا يتركها ، في يوم العرس . وهاج الغضب في اقطار نفسها ، ورفعت يدها بالعصا في ضربة محكمة مسددة .

ولم تجد صرخة ام محمد وتحذيرها ، فقد هوت العصا على رأس ابي محمد . كانت ضربة نافذة ، تلخص فيها اليأس والحقد ، وضراوة الحيوان الذي يريد ان يستأثر بفريسته .

وهوى المسكين ، الى اسفل الدرج ، وارتطم جبينه في سقوطه بحافة الدرج الحجري وشخب الدم من رأسه غزيراً ، وارتفع عويل ام محمد ، والقى ابنها محمد بالحجر على ام عبده ، فاخطأها واصاب زجاج النافذة فحطمها ، وصرخت ام شحادة ، وبكى الطفل وخرج الشيخ مصطفى ، وابو عجاج ، وصياح القهوجي ، وتحلقوا جميعاً ام عبده ، وكانت قد اتكأت على العصا ، ووقع غطاء رأسها على الارض ، وتحدر العرق من جبينها ، واخذ صدرها يعلو ويهبط ، ولم تفارق نظرات التحدي عينيها المحمرتين .

وقالت ام شحادة ، في تأثر ، وكانت محنية على ابي محمـد وهو ممدد على الارض وزوجته الى جانبه :

— احسب انه مات ، فقد خمدت كل حركة فيه ، ان جرح رأسه عميق بالغ ، لقد اودت به اللعينة الى الموت ، ثم رفعت رأسها ، وصرخت في ابي عجاج .

— احبسوها في هذه الغرفة المظلمة ، غرفة ابي عبده ، فليس فيها نافذة لتهرب منها ، وسأذهب ، في سرعة ، لآتي بطبيب وشرطي .

***

اجافت ام شحادة ، باب الغرفة ، في نزق ، وكان ابو عجاج قد اوثق يدي ام عبده فدفعها الى الداخل في عنف وهو ينظر اليها نظرة شماتة واحتقار ، وخلصت اليهم ، من داخل الغرفة ، رائحة كريهة غضة ، ولما دخلت ام شحادة وابو عجاج اثر ام عبده ، تبينوا على الحائط رغم ظلام الغرفة ، جسما يتدلى ، وبدت النافذة القابعة في اعلى الحائط كأنها فم كريه يتثائب ، وقد امتد الحبل ، من فجوة زجاجها المكسور ، وزحف الى الحائط كالثعبان ثم شد حول العنق ، جسماً هامداً ، لا حياة فيه .

وكان الكرسي ، ملقى الى جانب قدميه ، ورقد القط عنبر تحته وهو يلهو بفأرة حمقاء خرجت من وكرها .

ونظرت ام عبده الى ابنها المشنوق ، نظرة مخيفة جزعة يائسة ، لقد اضاعت كل شيء ، لقد قتلت ابا محمد ، عريسها المنتظر ، وشنق ابنها نفسه وذهب ميراث البيت من يدها ، وتهيأ لها قدر مظلم عاثر في السجن .

اما ابو عبده فما زال حياً ، في هذا الوحل القذر من المرض والقتل والموت ، لقد كان جفناه يتحركان ، وقد صوب عينيه الى الابله المشنوق ، في نظرة حسيرة ، كأنه يتمنى لنفسه ايضاً هذا المصير .

برده ـ سوبسرة

بديع حقي

رباعيات جديدة

●

عجبنا منك تمعن في اذانا ... ونحن نزدّ عنك الحانقينا
ورثتَ ، فلا تباهِ الناس، واشكرْ ... شفيعيك : الولادة والمنونا
وكان ابوك شهماً اريحياً ... فكيف نشأت كز الكف دونا
فاما ان تصير فتى كريماً ... واما ان نسيء بك الظنونا

***

تفوتك اذ تشكر الزمان حقائق ... تبيّن منها شحه وسخاؤه
فللدهر انصاف ، تراه ، لجهلنا ... وغاياتنا ، ظلماً غير بلاؤه
فرب غنيء نفسه نفس مجرم ... يكف الاذى عني وعنك ثراؤه
ورب فقيرٍ هانيء رغم فقره ... اذا بات ذا مال تلاشى هناؤه

***

خدعةً ، يذرف الدموع ويرثي ... لبلاد تئنُّ جوعاً وأسرا
قد عهدناه ، كلما جاء غاز ... هاتفاً باسمه ليقبض اجرا
يُعرف الخائنُ الزنيم ولو ألبسه الخبثُ من دجى الليل سترا
أرأيت الفجور يعرض جسماً ... هكذا تعرض الخيانةُ فكرا

عاصمة الارجنتين

الياس قنصل
من الرابطة الادبية الارجنتينية

الحياة واللغة

بقلم ابراهيم العريض

☆☆★

٢ ـ المشبه والمشبه به

بقسم اصحاب المعاني الجملة الى خبر وانشاء. . . نظراً الى ما قد تحتمل – او لا تحتمل – من صدق او كذب. ويأتي بعدهم البيانيون فيقيمون نظريتهم في البلاغة على اساسها الثابت من التشبيه. وما دمنا قد جاوزنا الكلمة الى تأليف الكلام فقد آن ان ننظر كيف ان وجه الاسناد في الكلام يتجاوز الموضوع الى ذات المتكلم نفسه – وذلك على اوضح صوره – من خلال « التشبيه » الذي هو الاصل في كل كلام بليغ. وانه اذا اختفت معالم الذاتية في كلام ما فذلك لانه لا ذاتية للمتكلم نفسه هناك تستحق الظهور.

ولكن قبل الافاضة في الموضوع لا بد لنا من معرفة الظاهرة نفسها. فلا بد ان نفهم ما هو التشبيه. . . وكيف يتحول التشبيه الى الاستعارة. . . قبل ان نعرف متى يصبح بها الكلام بليغاً. فلنبدأ اذن في شرح الظاهرة نفسها بالتعريف اولاً. ثم نعقب بعد ذلك بدرس محلها من الكلام البليغ.

التشبيه

التشبيه هو من قولهم « أشبه الشيء يشبهه » اي ماثله. . . او قارب ان يكونه. فالامر في التشبيه بادىء الامر يقوم على مشابهة ذاتين في بعض الصفات. . . كالشجاعة مثلاً بين الرجل والاسد. . . والضعف بين الوليد وامه. فهذا هو المقصود من قولهم « زيد كالاسد » اي شجاع. . . و « اشبه فلان امه » اي صار عاجزاً ضعيفاً كالمرأة.

ولكن المشابهة بين شيئين لا تجعل الشيء اياه. لاختلاف الذاتين خلقة – رغم اشتراكهما في بعض الخصائص. ومن هنا يقرب التشبيه او يبعد حسب نوع الخصائص التي نتلمسها عند اقامة التشبيه. كما في قول المجنون.

كأن القلب – ليلة قيل يُغدى — بليلى العامرية ، او يراحُ –
قطاة . . غرها شرك، فباتت — تجاذبه ، وقد علق الجناح

او قول النابغة :

فانك كالليل . . الذي هو مدركي — وان خلت ان المنتأى عنك واسعُ

فالاول يرى في قلبه الخافق – ليلة الوداع – صورة القطاة التي وقعت في الشرك. والثاني يرى – خلفه – في صولة المليك الذي يحاول الهرب منه معنى الليل الرهيب.

ومن هذين المثلين ترى ان التشبيه لا يقتصر على الذوات بل يتجاوزها احياناً الى احوالها. . . التي لعامل الزمن دخل فيها. . . وانظر مثلاً قول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام اهلها — سموَّ حباب الماء حالاً على حال

او قول الشاعرة الغرناطية :

نزلنا دوحه فحنا علينا — حنو المرضعات على الفطيم

لتجتلي هذه الحقيقة بوضوح. كما ان التشبيه يتجاوز المحسوسات احياناً الى ما هو غير محسوس. كقول ابن المعتز في الخمرة :

وقد خفيت من لطفها ، فكأنها — بقايا يقين . . . كاد يذهبه الشك

حيث يتوخى الشاعر تشبيه مادة بمعنى عقلي بحت.

وسواء شبهنا ذاتاً بأختها . . . او فعلاً بآخر . . . او حالاً بحال، فاننا نعتمد في التشبيه على احساسنا الذي يستحضر بين يدي المشبه – بالتداعي الحر – صورة المشبه به. ومن هنا جاز ان نقول هو، كالاسد ، كالثور الهائج ، كالحمل الوديع، كالثعلب، كالعقرب. او كما

قال ابن الجهم عند اول قدومه من البادية :

انت . . . كالكلب، في حفاظك للود و . . . كالتيس، في قراع الخطوب

الى آخر ما يقال. فالمهم في كل هذه الاحوال ليس هو التشبيه في ذاته. وانما احساسنا الذي يدفعنا الى التشبيه. وهذا ما عنيناه بقولنا «وجه الاسناد الذي يتجاوز الموضوع — في الكلام — الى ذات المتكلم نفسه» فالتشبيه من هذه الناحية يحدد الافق النفسي الذي نعيش فيه. وتأمل كيف انشد هذا الشاعر في الورد بعد ان تحضر :

عشية جاني بورد . . . كأنه خدود اضيفت بعضهن الى بعض

بينما يصاب ابن الرومي الحضري بالزكام من شمه فينشد :

كأنه . . . سُرم بقل حين اخرجه عند البراز، وباقي الروث في وسطه

والموصوف هو الورد عند كلا الشاعرين.

فما هو وجه الاسناد في الاحوال التي يقع فيها التشبيه ؟

نحن عندما نشبه نرى وجه الشبه احياناً في الصفات الحسية بين المشبه والمشبه به. كقول ابن المعتز وهو يجتلي البدر :

انظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

فهنا التشبيه يقتصر على دقة الملاحظة ، ليس الا. وكل ما نستشف من صورة قائله وراء هذا البيت هو ، امير في جلسة عابثة يسامر غلاماً له ، في ليلة صافية ، وقد غمر اريكتهما البدر بنوره، وعيناه مفتوحتان للجمال حوله (وما اشبه الاثر هنا بالصور الشمسية التي تختطفها لنا آلة التصوير بآية ما يعتلج حولنا من نور وظلام) .

ونرى وجه الشبه بين المشبه والمشبه به احياناً اخرى لا في الصفات الحسية بل فيما لا يدرك بالحواس. فكأننا هنا نستلهم وجه الشبه بين ذاتين بآية ما ينعكس في انفسنا من اثرهما عن طريق احساسنا خالصاً ، لا حواسنا . او بعبارة اخرى نحن نقارن هنا بين احساسين لا محسوسين. كقول ايليا ابو ماضي في الكمنجة المحطمة :

مهجورة . . . كسفينة منبوذة في الشط ، غاب وراءه ماضيها

وقوله في القصيدة نفسها :

كمدينة دك القضاء صروحها دكاً، وكفّن بالسكوت ذويها

فمدار التشبيه هنا هو على دقة الاحساس ، لا دقة الملاحظة . حيث نجد الشاعر يشبه الكمنجة المحطمة بالسفينة مرة وبالمدينة اخرى. وهو في الموقفين لا ينظر الى الشكل الظاهري بين المشبه والمشبه به. فليس ثمة وجه شبه . وانما الى ما يثيره حالهما من احساس بين جوانحه. فالمدينة التي دك القضاء صروحها فأصبحت اطلالا ، كرومة مثلاً، تثير في الشاعر احساساً واجماً كئيباً هو عين هذا الاحساس الذي يأنسه الآن بين يدي الكمنجة المحطمة. وقد أنسه قبل ذلك امام سفينة مهجورة. فاذا تبيناً لهذا الشاعر صورة وراء بيتيه فهي صورة انسان قد اذهله الماضي عن حاضره ، يحب في الاشياء جمالها ، الباطن منها قبل الظاهر ، ويشعر في عالمه بالوحدة، لعلمه بأن الاشياء — كظلها — تزول، فيتألم مغموراً بهذا الاحساس. وما اشبهه في الاثر باللوحات الزيتية التي يتخير لها صاحبها الاصباغ.

ويحسن بنا الا ننسى حالة ثالثة نقيم الشبه فيها بين الاشياء للمعادلة المنطقية فقط. كقول بعضهم في زميلين :

كشقتي مقص تجمعتا على غير شيء سوى التفرقة

فهنا قوام التشبيه — بخلاف الحالين السابقين — هو في دقة التفكير. فهذا انسان يصف رجلين اتفقا على الوشاية بين الناس. ولكنه لا يكاد يحس انه يتحدث عن بشر. انه يتلمس وجه الشبه بين المشبه والمشبه به لا على اساس اشتراكهما في شكلهما الخارجي، ولا في احساسه الباطني حيالهما ، وانما في الغاية التي يستهدفه عمل الاثنين، وهو هنا التفرقة. انه ينظر الى الغاية والوسيلة نظر الرياضي الى معادلاته. فيكاد يتجرد كالرياضي من شعوره ليحكم حكمه القاطع. ومن هنا هذا الجمود في الصورة ، والجفاف في الاحساس. فالرجل في الواقع بعيد كل البعد عن سبر اعماق النفوس. لانه لا يرى في الحياة الا آلة تتحرك بعد ان جردها من كل جمال او احساس. وهذا هو التنطع بعينه. «وما اشبهه في التصوير بفن المكعبات».

فهذه هي الوجوه التي نتلمس لها التشبيه. ولا تتجاوز دلالتها كما رأينا — احدى ثلاث ، دقة الملاحظة ، او دقة الاحساس ، و دقة التفكير ، ولا رابع لها . وقد رأينا كيف ان وجه الاسناد في كل من هذه الاحوال لا يتعلق بالموضوع قدر علاقته بذات المتكلم نفسه .

الاستعارة

اما الاستعارة — وهي اخت التشبيه من الرضاع لاسباب سترى — فهي من قولهم « استعار الشيء يستعيره » اي اخذه عارية. والامر في الاستعارة بادىء الامر — كالتشبيه — يقوم ايضاً على مشابهة ذاتين في بعض الصفات . ولكننا هنا نُحلّ الثانية كلياً محل الاولى. ونسبغ على هذه جميع خصائص تلك. فنقول « جاء الاسد » وانما نعني زيداً لشجاعته كما نقول «زأر زيد » ونحن بصدد تصويره في حالة غضبه. فهي بهذا الاعتبار تشبيه بدون اداته ، كما يعبر البيانيون.

ولا غرو فالاستعارة — كالتشبيه — تقع في الذوات كما تقع في صفاتها ، وتقع في الاحوال كما تقع في الافعال. ولكنها في كل ذلك

تنتحل اسباب الحقيقة للدخول الى المجاز. فتوسع بذلك آفاق القول على اللغة واهلها ، وتلوّن هذه الآفاق بمسايرة ركب الحياة.

فاما الاستعارة في ذات الشيء فكما في قول المتنبي :

فليت طالعة الشمس غائبة وليت غائبة الشمس لم تغب

حيث نرى الشاعر قد استعار كلمة « الشمس» لتأدية معنى آخر دل به على الحبيب الراحل مجازاً ، بازاء معناها الحقيقي.

واما الاستعارة في صفة الشيء فكما في قول شوقي :

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدق

حيث نرى الشاعر قد استعار للحرية لونها من الحمرة رمزاً الى ما تتطلبه من الضحايا. ولا تنس هذا الباب الموصد ابداً في وجه طالبي الحرية ، كأنما يقوم على حراستها الموت ، فلا سبيل لفتحه والركوع في قدس اقداسها الا باقتحام الموت نفسه.

واما الاستعارة في حال الشيء فكما في قول كثير :

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الاباطح

حيث نرى الشاعر قد استعار للاحاديث اطرافاً يأخذ بها رجال الركب اثناء سيرهم الهادىء. كما استعار للاباطح صفة السيل ، فكأنما هي تتدفق باعناق المطي السائرة ، تدفق السيل بامواجه.

واما الاستعارة في فعل الشيء فكما في قول ابي تمام :

ويضحك الدهر منهم عن غطارفة كأن ايامهم من حسنها جُمَع

حيث نرى الشاعر قد استعار للدهر غريزة انسانية هي معنى الضحك ولا تخفى دلالته على غضارة العيش ولين الزمان. وفي هذا البيت—بعد— موضع للتأمل. فان شطره الاول (الرديف) قائم على الاستعارة بينما شطره الثاني (العجز) يعتمد على التشبيه وقد اجتمعا لاصابة غرض واحد هو تصوير غضارة العيش ولين الزمان في كنف هؤلاء الممدوحين.

هذا هو الشأن في الاستعارة. ولكن المهم هنا ايضاً ليست الاستعارة في ذاتها. وانما احساسنا الذي يدفعنا اليها —على اختلاف الدوافع بين الافراد— فهو الذي يجعلنا مثلاً ننظر الجنة التي وعد المتقون بها ، والتي عرضها السماوات والارض ، ننظرها مرة «تحت ظلال السيوف» واخرى « تحت اقدام الامهات »

والدوافع التي تدفعنا الى الاستعارة هي بعينها تلك التي تدفعنا الى التشبيه. فهي — كما رأينا — اما دقة الملاحظة ، واما دقة الاحساس ، واما دقة التفكير.

فتنتهي الحال الاولى بصاحبها الى التمثيل. كقول المتنبي :

بناها فأعلى ، والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وتنتهي الحال الثانية بصاحبها الى التشخيص. كقول البحتري :

أناك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن. حتى كاد ان يتكلما

وتنتهي الحال الثالثة بصاحبها الى التجسيم. كقول ابي نواس :

بُحْ صوت المال مما منك يشكو ويصيح

وقد اغرب في هذا الاخير الشعراء العباسيون حتى الاحالة. واليه تظهر نزعة الشعر الحديث.

وعلى هذه الوجوه الثلاثة ، لا سواها ، في الاستعارة — كما هو الحال في التشبيه -يستقيم لاهل البيان. حيث ترى ان وجه الاسناد في كل منها لا يتعلق بالموضوع قدر علاقته بذات المتكلم نفسه. وان زادنا الموضوع خبرة بالحياة ووسع علينا آفاقها.

ابراهيم العريض

مجلة علم النفس

☆ ☆ ☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي

تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٤٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التقدمية والرجعية في المجتمع العربي

بقلم نابي مسّوح

التقدمية والرجعية* لغة واصطلاحاً ، عملان متناقضان ، وتياران متنافران ، يسيران في اتجاهين متضادين وقد تكون الرجعية ، بمفهومها اللغوي ، معنى من معاني التقدمية ، اي سبباً من اسباب الرقي ، اعني ما يسمى بالرجعة الحميدة ، او المحافظة التي تحمل في تضاعيفها بذور التكامل والحياة ، وهي « الرجوع » الى تاريخ الامة من جديد ، للاخذ بتقاليدها القومية القويمة ، والحفاظ على شخصيتها الاصيلة واخلاقها وخصائصها .

والتقدمية اجمالا ، كل حركة تطورية اصلاحية تؤدي الى الرقي ، فما هو الرقي او ما هو الاصلاح ؟ ان اي عمل يؤدي الى النفع العام او الى اسعاد المجموع هو اصلاح . وكل اصلاح لا ينقذ الجماهير العربية من حمأة الخضوع لاصحاب السلطان ، اي سلطان ، لا يعد في نظرنا اصلاحاً جوهرياً .

وكل ركود في حياة الامة هو رجعية ، لانه يعوقها عن استكمال سيرها النشوئي . اذ كل وقوف ، او سير ينحرف بالامة عن اتجاهها الاصيل ، او يقعد بها عن استكمال عناصر شخصيتها ، هو رجعية ، وسير الى الوراء ، اي تأخر .

فلكي يتجه المجتمع العربي وجهة تقدمية صحيحة ، يقتضي ان يوجه الاهتمام اولا ، وقبل كل شيء الى شؤون التربية ، والتربية الخلقية على الخصوص ، اي تنشئة افراده على حب الحرية والاستقامة والشعور الفعلي بالواجب . وبذلك تعمل على كشف القوى الواعية في المواطن العربي ، فيؤمن بالعقل ، اي يؤمن بسيادة العقل على قوى الطبيعة من اجل اسعاد الانسان والمجتمع .

فالاساس الصحيح للحياة الانسانية ، هو التربية السديدة التي تهدف الى نمو الفرد الروحي ، للكشف عن كل ما يزخر به كيانه الطبيعي من طاقات واستعداد واتجاهات ، تهيء له ادراك ما في الحياة من جمال وخصب واتساق ، ليتسنى له اشاعة كل ذلك في ذاته وعمله ، ومن ثم في جوه ومحيطه ، وهكذا يشارك مشاركة فعلية عن طريق نشاطه الذاتي ، وتجاريبه الخاصة في مجتمعه وعالمه ، اي انه يحقق المعنى الاصيل من غاية وجوده ، ككائن روحي اخلاقي ، يعي معنى الحق ومعنى الواجب معاً .

ومن مظاهر التقدم في المجتمع العربي الامثل ، هو نمو الشخصية العربية ، وتكوين الوجدان القومي . فكل ما يساعد على نمو هذا الوجدان ، وتكامل تلك الشخصية هو سبب من اسباب التقدم . وكل ما يعمل على ضمور الشخصية العربية وهزال الروح القومي ، هو عنصر من عناصر الرجعية ، فمقياس الرقي في المجتمع العربي الراهن ، هو ان تبلغ الروح القومية حد الكمال .

اذ لا يعني التقدم في نظرنا تعميم السعادة والرخاء المادي فقط ، ولكنه بالاضافة الى ذلك ، اليقظة الروحية ، والتماسك الخلقي ، بتنظم المجموع ، لقيام كل فرد ، بالمسؤولية التي يفرضها عليه واقع الامة . كما ان الانسجام الكلي بين الوسائل والغايات النبيلة التي يستهدفها الفرد ، هو من صور التقدم ، على اعتبار الوسيلة جزء من الغاية ، لا مجرد ضرورة لتحقيقها وحسب .

ومن الشروط الاساسية في المجتمعات الراقية المنسجمة ، هو تدريب الافراد على التعلق بالحرية ، ومن ثم تعميم العدالة والمساواة لضمان الحقوق الطبيعية المقدسة للفرد ، كأساس لكل نظام اجتماعي سليم ، ففي تعميم العدالة والمساواة واشاعة حرية النشاط الفردي ، الذي لا يتعارض مع المصلحة الجماعية ، ولا يؤذي الآخرين يحصل التقدم .

ونحن نؤمن ان التقدم الانساني كان دائماً وليد الانطلاق والتحرر اللذين ترفدهما الثقافة العميقة الصحيحة ، ولكننا نعلم ايضاً ، ان الثقافة متى امتدت اطرافها واحتدمت شعلتها ، واضطرب اتجاهها ، فانها توجد افراداً مسرفين في التعلق بالحرية ، بكل حرية ، فيخرجون على بيئتهم ، معتبرين انفسهم غريبين عنها ، فلا يعيشون في جوها ، ولا يتحسسون بمشكلاتها ، ويستقلون في النتيجة ، بمشاعرهم وعقولهم وأفكارهم ، ويتمتعون باستقلال شخصي متطرف ، يجعلهم ينسلخون ، رويداً رويداً ، عن امتهم ، وهو ما لا نقصده من التقدمية الحقيقية ، او ما لا نريده منها .

فكان لزاماً تجاه ذلك ، وتفادياً للعروق والاستخفاف والهدم ، ان يرافق الثقافة ، بوجه عام ، تمكين للخلق ، لصبغ التربية العامة في المجتمع العربي ، بالنزعة المثالية الواقعية ، ليكون الفكر العربي ، ايجابياً مرناً ، يقبل على الحياة بمرح وجلد وترفع . وبذلك يستطيع الانسجام مع المحيط الروحي ببيآته الثلاث العقلية والوجدانية والعملية .

---

* حديث اذيع من محطة الاذاعة السورية بدمشق

وأرى الى كل ما ذكر، ان الاساس الاولي في صرح التقدمية، للتحلل من قيود الرجعية ، هو الايمان بالتطور، تطور الحياة ، وسير الزمن، ووجوب المضي مع ما يفرضه منطق هذه النظرية ، نظرية النشوء والارتقاء. وكل ما يتعارض مع هذه النظرة العلمية التطورية، هو صورة من صور الرجعية التي تنخر اليوم في الكيان العربي ، وتشده الى الوراء. فاقرار نظام الاقطاع مثلاً ، او التمسك بالعقائد الوهمية والغيبيات والتعاويذ التي لا تلبث ان تنهار، اذا سلط عليها نور الفكر، هذه كلها ، هي الرجعية التي يجب ان يتخلص منها المجتمع العربي بعد اليوم لان الاقطاعية عدوة التقدم ، على اعتبارها عملاً جائراً شائناً ، منافياً لمنطق الحياة ، ومضاداً لمفهوم الحضارة وكرامة الانسان، بتسخيرها جهود افراد لحساب آخرين عاطلين. فهي تعوق سير المجتمعات والشعوب عن تطورها الصاعد. لانها تستنفد امكانيات اناس كثيرين لحساب فئة قليلة، طابعها الاستثمار والنهب والاحتكار. ومثل تلك الروح القدرية الاتكالية الانهزامية، التي تؤمن بالسحر والجن والاشباح والتمائم. انها رجعية اصيلة ، تحارب العلم ، وتحد من نشاط كل اندفاعة تقدمية ، وتقف امام كل اشعاع فكري حر.

فالاقطاعية والرأسمالية والاستثمار ، هي رجعية سافرة ، لانها تباعد الشقة بين افراد البيئة الواحدة، وتزيد الفروق بين الطبقات وتنفي المساواة الاقتصادية ، وبذلك يبعد الغرض الذي هو من اولى شرائط الرقي ، ونعني به ، تحرير عقول الافراد من التفكير في هموم العيش ، وابعاد شبح الخوف من العوز وغائلة الفاقة ، وفي ذلك ما فيه من آثار عقلية ونفسية ، لها اقوى الاثر في انسجام البيئة واتساق المتحد الاجتماعي والقومي .

إن الحياة الحرة الكريمة، بما فيها من خصب ورغد وانتاج ، تساعد على استخدام جميع مواهب المواطنين ، وتعمل بالتالي ، على رفع مستوى السلوك الجماعي ، والخلق الفردي ، ومن هنا ؛ يأخذ المتحد الاجتماعي سبيله الى النمو المضطرد ، لانه يدرك حينئذ ، الحدود الصحيحة بين الحقوق والواجبات ، بالنسبة للافراد الذين يؤلفون الخلية الاساسية في تلك الوحدة السياسية .

واشاعة التربية السياسية في الجماهير العربية ، اي العمل على نشر التربية الخلقية ، وانماء الروح الاستقلالية، يحرر جماهير الشعب من الرهبة والضعة ، والخضوع لاصحاب السلطان، اي يحررهم من التشاؤم الذي هو وليد الخوف . اذ ان التشاؤم يقعد بالانسان عن كشف الآفاق الجديدة ، ويبعده عن كل محاولة نزوعية لتغيير الاوضاع الفاسدة القائمة ، لان المتشائم يتوقع دوماً ، الاسواء والكوارث ، فهو متبلد ، يؤثر السكون والجمود ، لانه يعيش في فزع دائم .

ومن مظاهر الرجعية في المجتمع العربي، البداوة والحياة القبلية والتفكير العشائري ، ومن ذلك كلها تنشأ العصبية القبلية ، التي تهيمن على مناطق وسيعة في الدنيا العربية ، فالبداوة والاقليمية والحياة العشائرية والروح العصبية ، كل ذلك ، صور للرجعية ، لانها تحول دون تقدم المجتمع العربي ، وتتنافى مع الوضع السليم الراقي للوحدات الاجتماعية المتكاملة . فواجب المجتمع العربي ، ان يتخلص من هذه الحالات والاوضاع التي لا تتلاءم ابداً مع مفهوم التطور الصاعد والحياة الايجابية الارتقائية المبدعة .

اما الطائفية والمذهبية فهي اوجه صريحة بشعة للرجعية البغيضة، لانها تحد من نزوع الفرد العربي الى تحرير ذاته والاهتداء الى غاية وجوده ، وتقتل ارادة الحياة فيه ، بعدم تفلته من التقاليد البالية، واحكام البيئة الجامدة المتأخرة، ولانها ايضاً، تحول دون انطلاق الفكر العربي من ربقة العقائد المهترئة ، والغيبيات التي لا تقوم على اساس مكين من المنطق ، وتصطدم دوماً ، بأحكام الفكر الصحيح والعقل المتفتح.

ومن سمات البيئة الراقية الا تنعكس القيم ، وتشتبك الاضداد، وتضطرب المقاييس، وتنحرف المعاني عن اتجاهها الاصيل، فلا تُفهم الحرية على انها الفوضى والانفصال عن المجتمع ، والسياسة على انها كذب وخداع وجهل، والوطنية على انها ربح وتجارة وزلفى، والفن على انه انكماش مطلق والهية وقلق غرائز القراء . . .

ونحن، بالنتيجة ، نسمي رجعية، كل حالة او دعوة او حركة، من شأنها ان تضعف الروابط الاجتماعية والقومية بين المواطنين ، وتفسد الاتجاه القومي والانساني ، وتؤخر ، بالتالي ، سير النشوء الارتقائي ، والتطور المبدع.

فالمجتمع الامثل الذي نهدف اليه نحن القوميين العرب، هو المجتمع الذي تسود فيه بشكل عملي واقعي، مفاهيم العدل والحرية والمساواة، حيث ينعم فيه المواطنون العرب، بالفرص المتكافئة والحرية والعدالة الاجتماعية ، مجتمعاً عادلا سمحاً متحرراً ، ينمي في الافراد طبائعهم الفردية ، وغرائزهم الاجتماعية النبيلة ، ويسمح للشخصية العربية ، بالتكامل والنماء والاخصاب ، ويخنق فيها الذلة والاستكانة والجمود والوهم ، ويقضي، فيها ، على كل الميول المنحطة. . .

دمشق

نامي مشوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اغفاءة

مهداة الى اخي ب.م.ي

●

نام اخي ، لم يكن متعباً
ولكن الشوق كان يحتضنه
والظمأ كل الظمأ ، يحرق شفتيه
فأراح خده الملتهب على وسادة
ناعمة..ناعمة كانداف الثاوج
واطبق اجفانه الواهة
الاحلام الغامضة تراود بسكينة
واخي يخشى النور
يخشى سارق الاحلام

***

نام اخي ، لم يكن متعباً
ولكن الذكرى تضرعت اليه
كانت تبكي بدموع اليأس
وقلب اخي رقيق رقيق
تخز فيه الدموع ، وتدميه الآهات

***

نام اخي ، لم يكن متعباً
ولكن الظلام كان قد هبط
وكما تطبق الزهرة اوراقها الندية
على عطرها الخالد ،
تفوح من اعطاف الآلهة
كان يضم اخي روحه الشفيقة بين ذراعيه
فقد تسرق اشباح الليل الخفية
حنين قلب اخي وعذوبة روحه
اخي يعبد قلبه
ولا يطيق عبث الآلهة قط

نام اخي ، لم يكن متعباً
ولكن المساء كان دافئاً
والوان الاصيل الثائرة
كانت تسكر النفس وتدير الرأس
وظلال النخيل الناحلة الحزينة
تحف بالطريق المتعب الطويل
يمتد يمتد فتعجز عينا اخي
وترتد والهة دون المدى
كانت تذكر اخي باطياف رؤاه
في امسه البعيد البعيد
فيهيم يذيب يومه في امسه
ويبكي غده في يومه

***

نام اخي ، لم يكن متعباً
ولكنه كان يتأمل
ومن مسارب انوار الشمس
طلعت عليه حورية
في جيدها عقد من النرجس المقدس
وعلى كتفيها تهدل وشاح
حاكته يد الآلهة المبدعة
من اوراق البنفسج الوادعة الوسنى
فهام بها اخي...وحبس حرارة قلبه
وصدى اشواقه...يتعبدان لها
فاشفقت عليه الحورية الساحرة

واسدلت وشاحها المسكر
على عينيه الساهمتين
وعندما وسدت رأسه المتلهف
صدرها الناعم الدافىء
انتثر عقدها المقدس
وانفرطت زهرات النرجس العبقة
تعطر الفضاء بشذا الآلهة
وتروي،لهم،اسطورة الاثنين اصبحا واحداً

***

نام أخي ، لم يكن متعباً
ولكنه كان يصلي للآلهة
ويحرق قلبه بخوراً في محرابها
ويتوسل ، لتأف به
فتزويه من ظمأ ، وتعتقه من اسر
فاعجبت الآلهة الرحيمة
بتراتيله العذبة
وأخذت بالحانه الدافئة الحنون
فرقت له..
وأمرت الحربة ذات الصولجان الساحر
فكانت فراشة
ترف كالنور
مست اجفان اخي
فأغفى...!
ولم يشعر بي
وانا ابعث اليه
بقبلة المساء
تحملها اليه الانسام

***

فيا رياح الشمال هبي رخية
وفي بشائر الغير تريثي
وانت حنانيك !
يا قيثارة الغيب
اخي نائم
ترف حوله فراشة من نور

الولايات المتحدة «التربا»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرأة بين الامس واليوم

بقلم عيسى سجائيل سابا

بقال

والقول حق في ما يظهر للباحث المنقب : انه جاء على هذا الشرق حين من الدهر كانت المرأة فيه مغمورة الذكر ، لا ينظر اليها الا من وراء نزوات النفس ، تذلها القوة ويزدريها الرجل حيناً ويتحبب اليها حيناً آخر . فمنزلتها عنده منزلة متعة ، يستأثر بها حفظاً للحياة والخدمة ، فكان هذا سبباً لان تضرب العبودية في النفوس وتكتب الذلة والمسكنة على كثير من الناس ، وتنبه القوم يوم تواصل الشرق والغرب واخذت العقول تتحرر من رباط العادات والتقاليد ، تقتبس من نور المعرفة ما قدر لها واستطاعت استيعابه . فتجردت فئة تدعو الى تحرير المرأة وتعليمها وتهذيبها وقد حرمتها الا نفراً قليلاً وقليلاً جداً من بنات الاغنياء اللواتي آتاهن الحظ فكتب لهن ان يعرفن شيئاً من القراءة والكتابة ، حدثتنا به كتب السير ومجاميع الادب .

وكانت الدعوة الى تعليم المرأة عامة ، بدأت في اواخر القرن التاسع عشر ولما تزل تماشي الزمن ، تقطع الايام والسنوات تحمل الاناث على متابعة الدروس وادخار المعرفة فتأسست المدارس وتخرج منها فتيات اديبات فاضلات ، دربن العيلة وجعلن البيوت جنان خلد يشعر اصحابها بشيء من الطمأنينة ، على ان ذلك لم يكن عاماً في ما يحدثنا به الزمن وتتناقله الافواه بالتواتر . ونشطت الفتاة ولاسيما في لبنان الى ارتشاف اطايب العلم ، فأخذت باسبابه تتلقف من معين الثقافة ما فرضه عليها المنهاج فغدت بفضله ادبية وحامية وطبية ولكنها ليست مربية ومدبرة منزل في ما يتحدث به الناس ورأت نفسها امام ما تعلمته انها تماثل اخاها الرجل وقد علمتها الحرب تجارب صقلت نفسها وفتحت عينيها ورأت ان ما قامت به من اعمال مدعاة الى القيام بما هو من اختصاص الرجل ، فتمردت على تكوينها وقامت تطالب باكثر مما خلقت له حتى بات يخشى على العيلة من الانهيار وعلى البشرية من الاضمحلال ، متجاهلة انها متممة للنصف الذي منه اخذت . فليست هي من دون الرجل ولا الرجل من دونها فكلاهما واحد وبهما تستقيم الحياة . وعند ذلك جاءت تنخرط في ميدان الاعمال ناسية انها ام قبل ان تكون اي شيء آخر . وانها مخلوقة اعدتها الطبيعة بحنان قلبها ودماثة اخلاقها وعذب كلامها لان تكون عوناً على ارغاد الحياة واسعادها عن طريق المنزل ، فهي ربته المتصرفة به ، الآمرة الناهية فيه ، تامر فتطاع وتطلب فتجاب ، وكأنها لا تريد ان تكون ملكة جالسة على عرش منزلها بل ترغب في ان تكون سفيراً ووزيراً وقاضياً ونائباً الى غير ذلك ، وفي قدرتها ان تكون هذا كله ، وما يظن ان التفوق لا يكون حليفها في ذلك على ما يؤيده الاختبار وتتناقله صحف الاخبار الموثقة ،



نزعة التنوير في الفكر الاوروبي

بقلم عواد مجيد الاعظمي
ليسانسيه شرف في العلوم الاجتماعية

●

ان نزعة التنوير نزعة فكرية تدعو الى التحرر والتقدم والانعتاق من القيود الاجتماعية البالية، وقد ظهرت بتأثير عوامل مختلفة تمتد جذورها الى نواح اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وقد ظهرت هذه النزعة في بقاع مختلفة وازمنة متباعدة من بلاد العالم ، وكانت تحمل من الخصائص والاهداف ما تكاد تكون متشابهة رغم اختلاف الزمان والمكان.

وقد ظهرت هذه النزعة في العصور اليونانية القديمة كما ظهرت في بلاد الهند والصين قديماً ايضاً . وبعثت من جديد في اوربا

لان الخلق يوم بدىء لم يمنح المرأة ما منحه الرجل بل جعل بين الاثنين فرقاً فسيولوجياً ليتكامل النوع ويكون الاثنان جسداً واحداً يعملان على متابعة الحياة والرابط بينهما الحب والاحترام .

ومن ماشى الفتاة واختبر نفسيتها يعلم جيداً ان في مقدور المرأة ان تتعلم كل شيء ولكنها لا تبرع في شيء منفردة ، ولا يؤخذ من قولي هذا اني لا ارغب في ان تكون المرأة في حال اصلح مما هي فيه ، كلا ، اني اقر واقول مع غير واحد : من اراد ان يكون عظيما فليعد اماً عظيمة . ومن اراد ان يكون حراً اديباً فاضلاً فليهيىء الام الاديبة الفاضلة وقد قيل :

واخلاق الوليد تقاس حسناً باخلاق النساء الفاضلات

فسعادة العيلة منوطة بالمرأة وبحسن تدبيرها ، والحياة لا ترغد ولا تزهو الا بها ، وحياتنا الاستقلالية تتوقف على حسن اخلاقها بما تبثه في افئدة الاصاغر من همة ونشاط واندفاع . والناظر في المنهاج الذي تتبعه الفتيات في التعليم هو المنهاج عينه الذي يزود اخاها الطالب العلوم النظرية، فلا نرى في ما تتعلمه شيئاً من مبادىء علم الصحة والاقتصاد المنزلي وتربية الطفل والعناية به وادارة الخدم والاشراف على ما يؤكل ويشرب ، وما فيه النفع والغذاء الحيوي لا حشو المعدة والاتخام بما يضر ويسقم ولست بحاجة الى ان اقول ان الطبيعة اعدت الفتاة لان تكون زوجاً واما تعنى بمملكتها الصغيرة وتحرص على حياة من أتت بهم ليشاهدوا هذا الكون على ما فيه من نور وظلمة وسراء وضراء ، وللسيدة بيتون الانكليزية كلام في كتابها تدبير المنزل محصله : ما اشبه ربة البيت بقائد جيش فروحها منبثة في انحاء المنزل ، ينظر اليها من فيه من احياء ، فاذا ما اتمت واجباتها محتفظة بالآداب العالية والاخلاق السامية، اقتدى بها اولئك الاحياء فيبذلون جهداً في اتمام ما عليهم من واجبات.

وانه ليفرض في ربة المنزل سواء كانت مثرية او فقيرة معرفة هذه الواجبات، فهل تتنبه مدارسنا الانثوية والقائمون على وضع المناهج التعليمية فيضيفوا اليها ما يجب ان تعرفه الفتاة ويحذفوا منه ما ليس فيه فائدة لها، ليكون لنا جيل يعرف الواجب بمعناه الواسع نحو الله ونحو نفسه ونحو وطنه، ذاكرين ان بتهذيب الفتاة تهذيب الفتى وقد قيل ان احضان النساء لا تحمل الاطفال فقط بل تحمل الشعوب ، فمن لنا بالام التي تحمل شعوب الشرق العربي غير فتيانه ففي قدرتهن انماء العواطف التي ترفع الانسانية الحاضرة الى سبل الرقي المحسوس وقديماً قال شبنهور : كأن في نفس المرأة هاتفاً يذكرها على الدوام بان في يدها مصير النوع البشري فهل نحن ذاكرون يا سيدتي .

عيسى صخائيل سابا

خلال القرن الثامن عشر . .

وقد بينا ان هذه النزعة تهدف الى النقد والانعتاق من القيود الروحية والفكرية التي قد اصبحت بالية في نظر اصحاب الفلسفة التنويرية ، فقد ذكر بدوي « ان الفلسفة اليونانية نفسها لم تقم النزعة الى النقد فيها الا حين تكونت معلومات عديدة على يد الفلاسفة السابقين لسقراط . . وحينئذ بدأت الروح الجديدة ، روح التنوير تثور على ما وصل حتى الآن ، او على التجربة الروحية الدينية كما نقلت اليهم ، وهذا الدور قد قامت به السفسطائية[1] » .

فالسفسطائية على ، عكس ما يتصورها البعض في مفهومها العامي ، هي فلسفة نقدية اوجدت قيماً فلسفية جديدة من الفكر اليوناني ، وغيرت اتجاه التفكير اليوناني من كون الطبيعة مقياساً للانسان الى اتجاه جديد الى اعتبار الانسان مقياساً للطبيعة . . كما تمثلت هذه من عبارة بروتاجوراس من اكبر السفسطائيين اليونان « بان الانسان مقياس جميع الاشياء[2] » وكما ذكر احمد امين « وقد جاء السفسطائيون بعد تلك الفترة التي امتدت من طاليس الى انكسمندر فاستنار الشعب واتسع افقه العقلي بعض الشيء وبدأ ينظر الى آرائه القديمة وعقائده البالية نظرة الناقد الساخط[3] » .

والسفسطائية بالرغم من انها امتازت بروحها النقدية الواضحة فانها دعت الى التأكيد على النزعة الفردية والتحرر العقلي والفكري من قيود الاوضاع العامة البالية « فان تطور الحياة السياسية في اليونان اقتضت وجود الفلسفة السفسطائية وهذه بدورها اوجدت النزعة الفردية ، وهذه الفردية تقتضي العقلية او النزعة العقلية فكان لا بد اذن ان توجد روح فردية ، تقوم مضادة للنزعات العامة التي كانت موجودة عند كل المفكرين والفلاسفة اليونانيين الذين سبقوا السفسطائيين[4] » .

اذن فنزعة التنوير كانت نزعة نقدية عقلية تجلت فيها الفردية هدفها بناء قيم جديدة على انقاض قيم بالية عتيقة .

وقد تمثلت هذه النزعة من مختلف مناحي الحياة ، فهي ظاهرة من الدين ومن الفن والاخلاق السياسية . وقد وضعت لكل ناحية من هذه النواحي تفاسير تنم عن تفكير حر مستقل ، تفكير مملوء بالنقد والخلق والابداع ، فقد ذكر وولف في كتابه عرض تأريخي للفلسفة والعلم « وكان هؤلاء هم السفسطائيون او « الحكماء » وقد بذلوا جهداً عظيما في نشر التربية العامة وبفضل نقدهم للعقائد الذائعة حملوا غيرهم من المفكرين على ان يتعمقوا في استكناه المشاكل العظمى للحياة البشرية[5] » .

وقد حمل زعماؤهم حملة شعواء على التقاليد الاستقراطية فبروتاجوراس كان قد بلغ من العلوم السياسية حداً دفع سكان مدينة « توريوم[6] » الى ان يطلبوا منه ان يشرع لهم دستوراً ففعل . وقد اشتهر جورجياس في مقدرته الخطابية ، واما انتيفون فقد ذهب ضحية الدمقراطية ، واما بروديكوس فقد كان نحوياً بارعاً دقيقاً في صناعة اللغة[7] .

وهكذا كانت نزعة التنوير السفسطائية « ثورة ناتجة عن شعور قوي برغبة ملحة ونزعة قوية نحو ايجاد نظرة جديدة في الكون والوجود »[8] .

هذا في العصور القديمة — اما في العصور الحديثة ، فقد ظهرت هذه النزعة النقدية عند فولتير خلال القرن الثامن عشر الذي يعتبر حامل لواء نزعة التنوير وقد ذكر مرتز « حتى انه لقد اصبح من الهين علينا ان نصف طابع القرن الـ ١٨ باسم القرن الفلسفي او قرن التنوير العقلي وما يسمى بـ « Aur Klarims » وان شئت فقل قرن التنوير[9] .

وعلى حد قول احمد امين « فلقد شهدت انجلترا وفرنسا في اوائل القرن الثامن عشر نهضة فكرية فساد الشك وحاول الفكر ان يهدم كل قديم[10] » .

فهذه كلمة موجزة قدمناها للقارىء الكريم عله يتطلع على مفهوم هذه النزعة التي كان ولا يزال مجال البحث فيها ضيق .

بغداد — عواد مجيد الاعظمي

---

(١) عبد الرحمن بدوي — ربيع الفكر اليوناني ١٩٤٠ ص ٥٩

(٢) يوسف كرم — تأريخ الفلسفة اليونانية ١٩٣٦ ص ٥٧

(٣) أحمد امين — قصة الفلسفة اليونانية — الطبعة الثانية ١٩٣٥ ص ١٠١

(٤) بدوي — ربيع ص ٢٢٤ — ٢٢٥

(٥) وولف — عرض تأريخي للفلسفة والعلم — ترجمة عبد الواحد سنة ١٩٣٦ ص ٩

(٦) احدى المستعمرات الاغريقية

(٧) راجع تفصيل ذلك في كتاب الفلسفة الاغريقية — محمد غلاب ص ١٢٤

(٨) بدوي — ربيع ص ٨٠

(٩) تيودور رتز — نزعة الفكر الاوربي في القرن الـ ١٩ — الرسالة الاولى ص ٦٥ ترجمة اسماعيل مظهر

(١) احمد امين — قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠١

زوجة فنان

بقلم عبد الرزاق الشيخ علي

●

رفع

الباب ودخل بهدوء . ومد طرفه الى زوجه وابتسم في وجهها محيياً .

— مساء الخير . . يا خديجة .

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة غامضة .

— اهلاً وسهلاً . . لماذا تأخرت يا هشام ؟

— انه البحث يا عزيزتي . لقد ارهقني التأجيل ، وازهقني التحويل . لا شيء يستحق الذكر في هذا اليوم ايضاً !

— آه ! ما شاء الله . . وما هذا الشيء الذي تتأبطه تحت ذراعك وتحاول اخفاءه عني ؟ .

حاول هشام ان يتجنب ثورتها التي ستعصف بالبيت ومن فيه بعد قليل ، فابتسم برقة وقال بعذوبة :

— لا شيء يا خديجة ! صحيفة تافهة .

فرفعت حاجبيها ، وقلبت شفتيها ، وقالت مغضبة :

— وهل تحسبني امرأة بلهاء حتى لا اميز بين الشيء واللاشيء ! ؟ ارني ما في داخل الصحيفة التافهة .

تهالك الفنان على اقرب مقعد اليه ، ومسح حبات العرق المتجمعة على جبينه قائلاً :

— الحر لا يطاق في هذا اليوم .

فاجابته وهي تسحب ذلك «الشيء» الذي كان يحاول اخفاءه عنها .

والكذب ايضاً ! آه ! صحيفة تافهة ! .

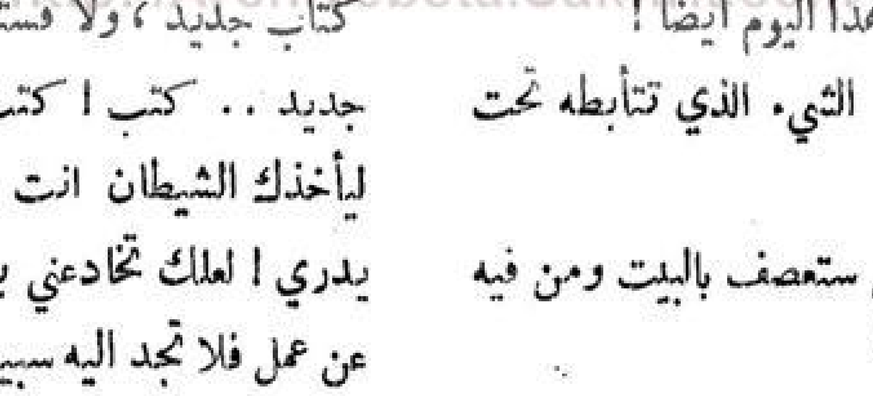
وانطلقت تنوح وتعول :

— يا حظي العاثر ! يا بختي النائم ! كتاب جديد تضيفه الى كتبك القديمة ! . . قل لي : من اين اشتريته ، ولماذا ، وكيف ؟ . من اين لك المال ؟ وكيف اشتريته ولم يكن في جيبك سوى بضعة فلوس عندما خرجت من البيت ؟ .

وسكتت ريثما تلتقط انفاسها .

— كتاب جديد ! هذا ما تفكرفيه ، وهذا ما تعمل لاجله . كتاب جديد ، ولا فستان جديد . . كتاب جديد ، ولا حذاء جديد . . كتب ! كتب . . داءاً الكتب . . يا حظي ! يا بختي ! ليأخذك الشيطان انت ومن علمك على شراء الكتب . . من يدري ! لعلك تخادعني بذهابك وايابك ، وادعائك بانك تبحث عن عمل فلا تجد اليه سبيلاً ، وتقضي جل اوقاتك في المكتبة العامة بين الكتب . . يا الهي ! لقد تراكمت الديون علينا بسبب طيشك الدائم ، وهوسك المستمر بالبحث عن « المعرفة » بين طيات الكتب . فاذا حصلنا ، وماذا ربحنا من وراء هذه الكتب ؟ الفقر والبطالة ! هل انقذتنا هذه الكتب التي كدستها في غرفتك من براثن البؤس الذي انشب مخالبه فينا منذ ثلاثة اشهر ؟ .

وسكتت لحظة وعادت الى زجرتها والزوج ينظر اليها بهدوء :



— يا حظي ، يا بختي . . انني من اتعس نساء الارض اولكن ، اسمع . . انك لن تشتري كتاباً بعد اليوم ! . . افهمت ؟ يجب عليك اعادة هذا الكتاب الى صاحبه ! افهمت ؟ والا خرجت من البيت ! .

وامسكت الكتاب بيدهـا اليمنى ولطمت به الارض !
فنظر الزوج الى الكتاب المهان بحزن ، وقال لها بألم بالغ :
– لكني لم ادفع فيه فلساً واحداً . . يا خديجة !
فصرخت في وجهه قائلة :
– لكنك اخذته على « الحساب » . . وهنا الطامة الكبرى!
اجابها بصوت يقطر المآ ومرارة :
– وهل هذا يضيرك في شيء ؟.
فدفعت بشعرها الى الوراء قائلة بسخرية مرة :
– وان تراكم الديون علينا لا يضيرنا في شيء البتة !
فتوسل اليها بعينيه :– لكنني لم اشتر كتاباً منذ ثلاثة اشهر!
فارتفع صراخها :
–وماذا تريدبعد ان ملأت خزانتكبلغة الاعاجم والاعراب؟ قد قدّ قلبك من الصخر ! انت تعرف مقدار كراهيتي للكتب والكتاب ! لكنك لا تنفك عن تسديد السهام الى قلبي بشراء هذه الكتب البالية بين حـين وآخر . . الادب ! التصوير ! الموسيقى ! . . ماذا تريد ان تصير يا هشام ؟ هـذه القصص التي تكتبها لا تساوي في ميزان الترف حبة رمان ! لقد ملأت جدران غرفتك بصور خليعة تافهة . « القبلة » ! « المفكر »! « الينبوع » ! والاخرى ؟ لست ادري ما اسمها ، لعلها « الجربوع »! .

يا حظي المذبوح ! ما لنا وللفن يا رجل! الخطوط والالوان . . الشعر والموسيقى . . هؤلاء السخفاء ، الادباء ! . . لا قيمة لهم ، ولا كلمةمسموعة في الدولة ، ولا رجاء ! . . ساحطم هذهاللوحات ، وامزق هذه الكتب ، حتى تقلع عن غيك ، وتعود الى رشدك . حتى تفكر في زوجك وبيتك . حتى لا تصاحب هؤلاء الادباء الجياع الذين لا يشغلهم في الحياة شيء سوى القلم والقرطـاس . الادب الرفيع . . والادب الرقيع . . وأديب الناس ! . وهكذا يوسوسون في صدور الناس بافانين « الحرية» و« الفن »و«الجمال »، وينفثون سحرهم في كل مكان . . هكذا ينتزعون الرجال من بيناحضان زوجاتهم ليدفعوهم الىقاعاتالكتب وساحاتالنضال، ليأخذهم الطاعون! لا حرمة لهمولا مكانةفيالدولة! . . لماذا ضرب صديقك الشاعر على رأسه حتىاصيب بالجنون ؟ . . قل اتكلم . .

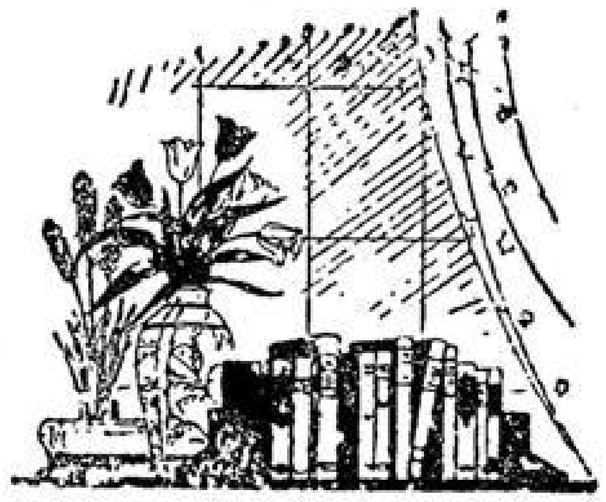
نظر اليها طويلاً ولاحت على شفتيه ابتسامة رثاء :
– لانه يتغنى بالحرية !
فقلبت شفتيها باحتقار ، واجابته بازدراء :
– لماذا لا يتغنى بالطاعون !؟ .نحن نريد ان نعيش ! نريد ان نأكل ونلبس . . هذه الاسماء الجوفاء التي تتشدق بها لا تطعمنا ولا تكسينا ! وهذه الكتب التي تتكاثر يوماً بعد يوم لا توصلك الى المنزلة الرفيعة التي وصل اليها عدنان . وظيفة ممتازة ، وقصر فخم ، وسيارة رشيقة . . وانت ؟ تأخذ هـذا الكتاب دون ان تملك شروى نقير ! وتقدم استقالتك من الوظيفة لان رئيس « الدائرة » قال لك . « اخرج . . يا حمار ! » . هكذا شددت نفسك باعمدة الكرامة وتعلقت بسجوفها ،ودفعتنا الى هذا المصير المحزن بطيشك ونزقك الدائمين . . لماذا يا سيدي . لماذا اتجد من تشبيهك بالحمار ؟ كلنا حمير ! . . فانا بنت كلب عندما اراني ارفل في ثياب البؤس ، واتقلب بين مفارش الشقاء ، ولا اعيش كبقية النساء المترفات . . وانت اكثر من حمار ! لانك تعيش في عالم من الاوهاموالاحلام. ماذا تأخذ لقاء ما تنشره في الصحف والمجلات ؟ لا شيء ! سوى « المنة » من اصحابها لنشر اعمالك الفنية ! يا حظي العـاثر الذي صيرك فناناً لا تعرف طريق المال .

واستخرطت في البكاء ! تندب حظها ، وتبكي سوء طالعها ، والزوج ينظر اليها واجماً ، لاعناً ذلك اليوم الذي اقترن اسمه باسمها ، وكتب عليه ان يعيش مع هذه المرأة التي تريد ان تسد عليه منافذ الفكر . المرأة التي تريد ان تجعل منه العوبة بين يديها ، وملهاة وفق هواها . المرأة التي تريد ان تحتكر جل وقته ، ليجلس اليها ويحدثها بما تهوى ، لا بما يرغب هو ويريد .

هذه المرأة التي تسخر من المفكرين ، لانهم فقراء !.

هذه المرأة التي تسخر من افكاره وتضحك من اقواله ،وترغب في صب البترول على كتبه واشعال النار فيها . . لان هذهالكتب قد الهته عن الدنيا وصممت افكاره . جعلتـه يتنكب الطريق القويم ، الذي يجلب الثروة والنعيم .

هذهالمرأة التي لم تنفك طوال الاشهر الثلاثة من صب جام سخطها ونقمتها عليه في كل يوم .لانه ترك عمله لسبب تافه ! لانه لا يفكر فيها كما يجب ! لانه لا يحبها ! لانه يفضل الكتاب عليها . . لانه لا يتزلف ! لانه لا يتودد ولا يتقرب . . وهكذا تجتهد في خلق الاسباب لتقريعه ولومه في كل يوم ، ولا تتركه الا بعد ان يكمد لون وجهه من الالم ، ويتلوى من الاذى كالسليم ! . . فيـا له من حجاب صميك قد ضرب بينه وبينها . فهو يبذل جهده لان يجعلهـا تفهمه ، ولكن ، هي ، لا تريد ان تفهم شيئاً ، ولا ترغب في فهمه على الاطلاق ! . . ولكن ،ربما حاولت فهمه في يوم ما ،فوجدت حرجاً في ذلك الفهم الشائك . فعادت الى السخرية بكل ما يتحدث ويقول .



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تلفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Tél. Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

تتابعت الايام في سياقها الرتيب ، بيد ان الزمن ابتسم في وجه هشام بعد عبوس كان يدفع اليها بمرتبه كله في نهاية كل شهر ، لتشتري ما يروق لها وما ترغب فيه . فتربت على خده ، وتدغدغ صدره ، وتعبث بشعر رأسه ضاحكة مستبشرة .

كان يستغل لحظات فراغه في « الديوان » ليكتب شيئاً او كان يترقب انشغال زوجه بنفسها ليقرأ شيئاً ا وكان ينتظر بلهفة ساعة ذهابها الى سريرها في الليل وكف لسانها عن الحركة ليخلو الى نفسه والى ذلك الضرب من الفن الذى يأخذه من جوانبه فيصيره عبداً بين يديه ساعة ما يتجلى . فاذا ما رأى دمه يسيل مداداً وروحه تجري على القرطاس بشكل حروف ناعمة شعر بلذة عظمى لا يتذوق حلاوتها سوى الفنان المطبوع .

جاءها في نهاية الشهر ودفع اليها بمرتبه ، فداعبته ، لكنها الفته واجماً ، فاطبقت فمها : « لقد انتابته نوبة الصمت والذهول ا » وانفلتت من امامه ضاغطة بين اصابعها قبضة الدنانير .

تأهب للخروج عندما ازفت الساعة الرابعة مساء .

— الى اين . . يا هشام ؟

اجابها وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

— الى سعادة المدير العام ا في الديوان كما تعلمين ا . .

فافتر ثغرها عن ابتسامة عريضة وقالت بجيلاء :

— يخيل الي ان سعادة المدير لا يستطيع الاستغناء عنك بعد الظهر ايضاً ا .

— اجل يا عزيزتي! لقد كلفني مراجعة « الملفات » السرية .

فقاطعته ضاحكة :

— اذهب ولا تتأخر . . ستصير « ملاحظاً » عما قريب ا مع السلامة . .

ويخرج هشام من البيت ضاحكاً . ويعبر جسر « المأمون » ماشياً . فاذا ما وصل سوق « السراي » نفذ فيه . . وتسكع في ذلك السوق قليلاً ليأخذ ما يروقه بما وفره طوال الشهر من « يوميته » المعينة من زوجه . . ويذهب بعد ذلك الى مقهى « الزهاوي » حيث يغرق في المطالعة حتى العاشرة مساء . ويعود الى البيت خفيفاً ، لطيفاً ، فاذا ما لمحت زوجه الكتاب تحت ابطه ، بادرها قائلاً بوقار :

— انه سعادة المدير ا . . لقد امرني ان ارفع اليه « تقريراً » بهذا الكتاب . .

بغداد

عبد الرزاق الشيخ علي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاد للروض زهوه

•

سافر الى فنزويلا عضو الرابطة الادبية الحساس اخونا الشاعر جورج صيدح عقيب ان دخل فصل الصيف الذي توزع فيه اعضاء الرابطة هنا وهناك ، فكان ذلك سبباً لتأجيل انعقاد جلسات الندوة فحسب بعض الناس ومن لا ضلع لهم بالادب الصحيح ان «الرابطة الادبية العربية» في الارجنتين لفظت انفاسها الاخيرة ، والابيات الآتية التي القيت في جلستها الاولى بعد ذلك ، تعبر عن هذا المعنى بعض الشيء

•••

عاد للروض زهوه ونضاره بعد ان جف برهة نواره
فاعادت اطياره نغمات هي في الحق شدوه وشعاره
هي وحي النفوس هذبها الفن فجاءت به كريماً نجاره
يعزف العزفة الفنية فالسحر حلال ، تبارك قيثاره !!
خطىء الحاسبون حشرج في المهد وليداً وقطعت اوتاره
لا اغاريده الحسان اغاريد ولا لحنه ولا اشعاره

***

هوذا منتدى المعارف والآداب حال ، وها هم عماره
يسكبون العطور فيه كما يسكب في الزهر عطره ايار
ان يغب صيدح فتى الشعر حيناً لم يغب صحبه ولا عماره
كلهم حافظ له العهد في الصدر وكل هزاره وكناره
يتمنون عودة الشاعر الحر فقد طال هجره واصطباره

الارجنتين — يوسف صارمي
صاحب مجلة المواهب

بغداد الحزينة

•

الساعة التعبى تظل تطل من خلل الدخانِ
تحصي المهازل والمآسي بالدقائق والثواني

ماذا جرى للارض حتى عاد اهلوها عبيدا ؟
وتغشت الابصار حتى لا ترى فيها جديدا ؟

وتناثرت عبر الدروب مواكب سود الجباه
تبغي خلاصاً في المساخر والهياكل ، والمقاهي

الساجدون على التقى يستغفرون من الخطايا
والسارحون مع الهوى ، والراقدون مع البغايا

والهائمون تهزهم في النفس خيبات مريره
يفنون بين الذكريات حطام اعمار قصيره

والاغنيات النائحات تعتقت دهراً فدهرا
والعابرات على الطريق كأنما يحملن سرا .

والجائعات نفوسهم رووا العيون من العيونِ
يهتاجهم شوق الى دفء ، الى صدر حنون

من شاعر ملك السماء وشده بالارض قوتُ
يطوي السنين على العذاب فلا يعيش ، ولا يموت

عبد لمن عبدوا التراب وعفروا فيه الجباها
وتطلعوا خوف العقاب كأنما قتلوا إلها ...

واسير في صخب الجموع كأنني من غير قلبِ
وتجرني الاحلام والاوهام ، من درب لدرب

بغداد — الكرم الوتري

مناجاة

•

عندما يغمر الضباب الروابي ويرى البدر باهتاً في وشاحه
وحسان النجوم خلف السحاب مشفقات تود لمس جراحه
اذكري والهاً يبوح لديك بالذي تضمرين في جانحيك

واذا كفّن السكون الوهادا وغفا الطيب فوق مهد الغرامِ
واستحالت جذى الفؤاد رمادا وسرى البرد في رقيق عظامي
اذكري هائماً يتوق اليك ينشد الدفء في لظى وجنتيك

واذا ضمك الفراش الوثير وتراءى لك الحبيب المعذب

طمئنيه فقد تسير الامور مثلما تشتهي القلوب وترغب
فهو يخشى وطء الفراق عليك فتموت الاحلام بين يديك

وديع ديب

ظلال الفجر

•

يا ظلال الفجر ما ابقى لك الليل الطروبُ
دفقة النور على جفني شعاعات تذوب
وغناء الطير في مسمعي عويل ونحيب

شهقة من صدري المحموم فيها اتلوى
رددیها في مديد الافق، في الاسماع نجوى
تلك هزتني على اصدائها عضواً فعضوا

سوف اعدو في طليق الوهم حراً من قيودي
اتلاشى في فم الموت بقايا من نشيد
انا ان تهت بذاتي ، فلقد انسى وجودي

يا ظلال الفجر ضجي ، بجراح الذكريات
واسكبيها فوق اندائك لحناً من صلاة
واسخري ما شئت مني، او كما شاءت حياتي

قهقهات الامس ما زالت تدوي يا ظلالُ
رجعت في اذن الايام يحدوها الضلال
ونعيب الغد ما ضاق به حتى الخيال

في سكون الليل امشي في طريقي يا فناء
ان مضى زهو ربيعي فلقد يأتي الشتاء
واضم الاضلع الحرى وما في رجاء

يا ظلال الفجر ما استهواك من سحري وفني
نضبت كأسي على ثغرك آهات ، ودني
لسنا من دنياك في شيء فما اشجاك مني

ارسمي لي في خشوع الصمت اشباح مصيري
وادفني في معبد الآلام اشلاء غروري
ضاع في وجداني الليل فهل ضاق ضميري

ضجعة الآفاق في هدبي خيالات تغيب
وشعاع الفجر حلم ، بدم النجم خضيب
كفنيه بدموعي ، سوف يطويه الغروب

ايها الفجر تمهل لم يمت فيَّ حنيني
عد الى مرقدك الساجي ولا تقرب عيوني
انا قد اترعتها حبي ، واثمي ، وشجوني

غن فلن تسمع من ثغري نشيداً عبقريا
انا اهوى ظلمة الاسداف تدمي مقلتيا
واحب الوتر المحروم يذوي في يديا

عبد الباسط الصوفي

حمص

يا هزارا ...!

مرفوعة الى روح الشاعر الفطيفي الشيخ جعفر الخطي

•

يا هزاراً أقصته كف الزمان عن مغانيه في الصبا الريان !
لم يكد يلمح الصباح على الافق . فغشّى عينيه ليل دخان
اوحش الروض يوم اقصيت عنه وتعرى من نضرة وافتتان
لا تهز الصبا الغصون ، ولا تحب فيه عواطر الاردان
والسواقي قد ألجم الذعر فاها والقماري ذبيحة الالحان ..
مصرع حول الجنان جحيا ! يتلظى مفجر البركان ..!

اصحيح ، يا « جعفر » يا هزار الشعر يا بكر « ربة الالهام »
قد نحرت الشباب في مذبح اليأس ، وودعته بحرقة ظام ؟
افضنت عليك يا « جعفر » « الخط » وجادت بصفوها للئام !
اتعاطيك — يا هزار الروابي — علقما ، والغراب اشهى مدام !
الليالي — لا تبتئس — مولعات بخسوف البدور ليل التمام
قم تلفت يا شاعري . فالمغاني آهلات — لما تزل — بالطغام

عبثاً تنشد النعيم بـ « افق » غمرته عواصف الاتراح

ليت شعري! ماذا ابث بشعري ونواحي يكاد يطوي صداحي!
آه .. لو بلغ البيان مناه لكساك الخلود اسنى وشاح
كيف يا شاعري اصوغ الدراري لك عقداً، والبغي هاض جناحي

من رمى بالهزار أفقا قصياً ابن ارض القطيف من اصبهان!
افضاقت بك القطيف رحاباً افهذا جزاء بيض الاغاني ..!
لست يا شاعري شكوت وحيداً اي حر لم يشك هذي المغاني؟!
لو افاقت من غيها « بنت بكر » لاحاطتك بالهوى والحنان ،
فهي لولاك لم تكن غير طيف ضائع في محاجر النسيان
وهي لولاك لم تكن ملء شعري لا ! ولم يجر ذكرها في لساني

القطيف — عبد الحميد الخطي

فجر الربيع

•

افيقي مناي فهذا الصباح تنفس والفجر في الافق لاح
وتلك الغزالة في صدرها افاقت لتغسل وجه البطاح
ورهط الزهور رنا باسما وفي الجو رفت طيور مـلاح
افاقت لتلثم ثغر الربيع

افيقي لنجمع زهر المنى ونشرب كأس الهوي المترعَ
ونرسل الحاننا نغمة ونمسح عن لحظنا الادمع
ونمرح بين عذارى الزهور ونمضي الى النهر كي نسمع
هدير المياه بشدو الربيع

افيقي فقد جاء ما نرتجي فهذا الربيع وهذا الشباب
سنغسل بالنور آلامنا ونلثم ثغر الاماني العذاب
ونرقص فوق الربى كالشعاع ونمزج باللهو حلو الشراب
ونمرح فوق بساط الربيع

افيقي فهذا نداء الطيور يغنيك لحن العذارى الحسان
ويهتف هيا لشط الغدير لنغسل فيه حواشي الزمان
وننظر في الماء اشباحنا ونطلق للامنيات العنان
تحيي الصباح بشير الربيع

افيقي فقد ارسلت شعرها ذكاء لتمشطه الغانيات
ويخضبنه من عطور الزهور ويمسحنه من سنا المائجات
ويلثمنه ثم يرسلنه وهن الى خدرها رانيات
يشاهدن في الافق وجه الربيع

افيقي لنرقب سرب الفراش يهوم فوق حسان الزهور
ويلثم ما شاء من زهرها ويشرب منها الشراب الطهور
ويمضي يهوم في نشوة وينشد لحن الهنا والسرور
فتلك الزهور وهذا الربيع

افيقي لنسرح مثل الظباء ونجلس تحت ظلال الشجر
ونشرب من خمرة الذكريات كؤوساً على لحن ذاك الوتر
ونرسل من الشدو آهاتنا تغني بالحان تلك الذكر
فتشدو الى الحي لحن الربيع

افيقي لنجلس فوق التلال نشاهد في الافق رأس الشراع
ونركب في زورق الامنيات فلسنا نخاف عليها الضياع
ونرقب في البعد احلامنا تشير الينا نشاوى وداع
تعالوا لنشرب كاس الربيع

غزة ـ فلسطين — علي هاشم رشيد

الى جارة الامس

•

اصغيرتي هل تذكرين
عهدا طوته يد السنين
اذ كنتِ كالغصن الندي
تتأودين على يدي
وعلى فؤادي ترقدين !!

هل تذكرين جاوسنا في الصيف فوق النورج
نغفو على رقص الشذا .. والسنبل المتموج
وشرودنا في الليلة القمراء ما بين الكروم
نهذي !.. ونمشق من عناقيد الدوالي والنجوم !

هل تذكرين ذهابنا ، في الصبح ، نحو المعهدِ ..
بمظلة سوداء . . تخفق في فضاء اربد
وصراخنا في الحي . . يبني بيتنا فوق الطريق
بفتات وحل الدرب . . او نأوي الى القبو العتيق! .

هل تذكرين زفافنا في الكوخ . . قرب الجدولِ
تتلمسين على الجبين شريط ورد مخملي !

وانا بقربك ذاهل .. ازهو على باقي الرفـاق
في اضلعي ، من خافقي المجنون ، شدو ، واصطفاق !
انمود هاتيك العهود
يا جارة الامس البعيد ؟
وأراكِ قربي من جديد
تتأودين على يدي
وعلى فؤادي ترقدين ؟!

فؤاد الحسن

رحلة في الظلام

•

اقبل الليل بالظلام وبالريح تدوي بصوتهـا الصخابِ
مستسراً يـدب كالراهب الشيخ مهيباً يسير للمحراب
والنجوم البعاد تومض في الافق وتبدو كأعين المرتاب
وعويل الرياح يملأ سمعي ويثير الدفين من اوصـابي
ودماء الضيـاء كفنه الليل بستر محجب بالضبـاب
وطيوف الفناء تعدو امامي هاجمات على نضير شبابي
والعواء المخيف ردده الافق فدوى صداه من احنـائي
وصفير الرياح يعصف كالرعب بنفسي في وحدتي الحرساء
والفضاء الجهوم قبر وسيع ساخر مطبق عـلى اشلائي
صارخ انت من ظلام على الارض وان كنت من شفيف الضياء
انت اعمى يسير في وحشة القفر وحيداً يدب في الظلماء
والطريق الرهيب ينداح في الليل مخوفاً كالفكرة القتماء
فتهاويت من خشوعي للارض وفي مقلتي دمع ذنوبي
وتلبثت في سجو اصلي وصلاتي من دمعي المسكوب
وانا مطرق أسر الى الام شكاتي ولوعـتي ولغوبي :
« اين . . اين المعاد والراحة الكبرى لنفس المشرد المنكوب؟
غير اني لبثت ارقب رجعاً . . وعيوني الى السراب الحزون

القاهرة — كمال تلّات

شفاه محترقة . !

مهداة الى نزار قباني

•

يا جمرتين .. في فمي هما .. هما جهنمي
فوقهما هويـت .. كالفراش فوق الحمم !
ماذا ؟ ! انتحار ؟ ! مأتم ؟ ! يا ما ألذ مأتمي
لا تحرميني من خطايا ثغرك المضطرم
لا تحرميني النار . . فالغرام ان لا تحرمي !
ماذا يقول الناس لو حرقت فيك مبسمي ؟ !
ابن الهوى حيـاته ضحية التأثم . . .

وارتعشت ليلاي في شبه انطلاق مبهم !
واغرورقت في لجة من الحيـاء الملهم . .
يا ثغرها . . بعد الحرام ، نجمة في الانجم !
بركان احلام يضج بالشبـاب المضرم ! !
يا جمرتين ! ! في فمي هما ! هما ! جهنمي . .

الطيرة - فلسطين — منا جابر

تحـدٍ

•

عذبيني ، وامعني في عذابي ياليـالي ! ! فلن اخون شبـابي
انا كالطير ، ما مررت بروض ، دون شدو ، ولا مررت بغاب
انا كالنحل ، ما مررت بزهر ، دون لثم . . وقبلة . . واغتصاب
موسمي — الآن — فرحة وانطلاق ، وافتتان الطيور ، مل . الروابي
انا ! ! ان عشت ؟ ؟ لن اعيش بخيلاً بالشباب اللعوب ، او بالتصابي
كلما لاح ، للخيال جمال همت . . خلف الجمال ، غض الاهاب
مركبي الحب ، والمجون . . ودربي . . من بقايا الشفاه . والاكواب
عذبيني ، فلن تري غير هزئي ، ومجوني ، وسكرتي ، ودعابي
وانطلاقي . مع الرفاق ولهوي ، كل حان ، دخلته ، مع صحابي
وتري ، شد ، من شرايين قلبي ، من خيوط الخيال ، من اعصابي

عذبيني ، وحطمي ، يا ليالي ! ! هشميني ، بكل ظفر ، وناب
حمليني ، من المصائب دنيا . . انا ، التذ . . غارقاً في مصابي
انا ! ! — كالطود — شامخ ، لا ابالي ، كل بؤس ، يمر بي كالضباب
انا ! ! دنيا نعيمها ، وشقاها ، بسمة الفجر . . واكتئاب الغياب
عذبيني ، . . وآلمي ، يا ليالي ، يورق المجد . . في حقول ، العذاب

طرابلس — محمود عيسى



مكتبة الاديب

تاريخ الشعوب الاسلامية

لكارل بروكلمان – ترجمة الدكتور نبيه امين فارس ومنير البعلبكي
خمسة اجزاء – دار العلم للملايين– بيروت

أنشأ العرب تاريخاً ضخماً استمر مئات السنين، واقاموا حضارة ازدهرت في الشرقين الاوسط والادنى واقطار من افريقيا واوربا، وكيفت حياة شعوبها ، وطبعتهم بطابعها الخاص الذي مـا زالت آثارها اليوم واضحة المعالم . على ان العرب لم ينشئوا هذا التاريخ العظيم وحدهم ، بل شاركتهم في صنعه شعوب عديدة ، كالفرس والترك والبربر والهنود والصقـالبة والمغول ومن اليهم ، اعتنقت الاسلام ، واهتدت بنوره ، وجاهدت في سبيل اذاعته وقد الف المؤرخون القدامى والمحدثون ، من عرب وغير عرب ، المؤلفـات الضخمة في هذا التاريخ . ولكن اعمالهم جميعاً كانت تنقصها وحدة البناء ، والنظرة الشاملة ، والاحاطة التامة بجميع تواريخ هـذه الشعوب والامم التي تعاونت على بناء التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية الزاهرة .

والحق ان كتابة تاريخ شامل للشعوب الاسلامية جميعاً ، وما انشأت من دول واقامت من حضارة ، يحتاج الى جهد جبار صبور، وثقافة موسوعية ، واحاطة بلغات عديدة ، مما ينوء به جمـاعات العلماء المتخصصين بله الشخص المفرد . ولكن المستشرق الالماني الكبير الاستاذ كارل بروكلمان ، المعروف في عـالم الاستشراق بدراساته الرائعة في التاريخ الاسلامي ، وكتابه الفريد في الادب العربي ، اعد نفسه لهذه المهمة الشاقة المجيدة ، فاخرج عام ١٩٣٩ «تاريخ الشعوب الاسلامية» باللغة الالمانية، فسد به هذا النقص الذي كان يشعر به طلاب الدراسات الاسلامية، وخدم تاريخ الاسلام خدمة يستحق عليها الشكر الجميل .

قسم الاستـاذ بروكلمان كتابه الى خمسة اقسام . تنـاول في القسم الاول العرب قبل الاسلام ، فأرخ لقبائلهم ودولهم وحضارتهم وعرض بالتفصيل لحياة الرسول العربي واعماله ، ثم تكلم عن عصر الخلفاء الراشدين وما جرى فيه من فتوح ، وما اقيم فيه من انظمة لتوطيد الحكم العربي واقرار أساس الدولة الاسلامية . وانهى هذا القسم بالدولة الاموية فذكر ما جرى فيها من فتوح ، ومـا حدث فيها من فتن وثورات ، ووصف حضارة الامويين وثقافتهم .

وتناول في القسم الثاني ، وهو اوسع اجزاء الكتاب، العصر العباسي . فوصف اعمال الخلفاء البارزين ، وارخ لجميع الدول التي انفصلت عن مركز الخلافة، وذكر الحركات الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية . وكتب عن الحروب الصليبيـة ، ودولة المماليك ، وتخريب التتر والمغول للخلافة العباسية ، وما انشأوا من حضارة زاهرة في فارس وتركستان فيما بعد . وهو اثنـاء عرضه الرائع هذا للتاريخ الاسلامي في العصر العباسي يتتبع الحضـارة والثقافة، فيؤرخ للعلماء والفقهاء والفنانين، ويصف ما خلفه المسلمون من آثار خالدة في العمارة .

وتناول في القسم الثالث تاريخ الاتراك العثمانيين . فكتب عن اصل الاتراك ونشوء دولتهم . وتتبع نمو هذه الدولة منذ ان كانت ولاية صغيرة تابعة للسلاجقـة في الاناضول الى ان اصبحت امبراطورية واسعة الارجاء تسيطر على البلاد العربية والبلقان وشمالي افريقيا باسره . ووصف باسهاب حضارة هذه الدولة وثقافتها ونظمها الادارية والاقتصادية والعسكرية ، ثم اتى عـلى نشوء الدولة الفارسية ، الصفوية ، فذكر معالم تاريخها وحضارتها ، وما قام بينها وبين الدولة العثمانية من خصومات وحروب .

الروماتزم . وتقول النشرة ان بريطانيا في طليعة البلدان بميدان جراحة القلب . وقـد ذهب الطبيب الجراح المذكور الى الولايات المتحدة اخيرا للقيام بعمليات امام الجراحين الاميركيين وتضيف اخيرا ان ١٠ بالمئة من المصابين بالامراض يشكون من نقص الشرايين .

• اذيع ان الولايات المتحدة الاميركية قد اخترعت قنابل ذرية جديدة تستخدم في قذائف المدفعية على اختلاف انواعها كما تستخدم في طلقات المدافع الرشاشة والبندقيـات الحربية المعروفة وبذلك تكون القوة الذرية الفتاكة اصبحت ميسورة للاستخدام في ميادين القتال بين الجنود المتحاربين بينما كان استخدامها مقتصرا فيما مضى على افعال التدمير ودك المعاقل ومحو المدن الكبرى من الوجود وقد اوضح علماء الذرة الاميركيون انهم يعملون الآن على اتمام ما لديهم من مخترعات تقضي بتسيير القنابل الذرية بواسطة اللاسلكي الى جميع الاهداف .

وخصص القسم الرابع لتاريخ المسلمين في القرن التاسع عشر وقد اتى فيه على تاريخ الامبراطورية العثمانية في هـذا القرن ، ووصف حالة البلاد العربية ، وما نشأ فيهـا من حركات وطنية ودينية واسهب القول في الحركة الوهابية . ثم تنـاول تاريخ شمال افريقية في هذه الحقبـة ، وارخ للسودان ولحركة المهدي ، ووصف الحالة السياسيةوالاجتماعية والثقافية في فارس وافغانستان، والنهضة الثقافية في مصر وتركيا .

وتناول في القسم الخامس تاريخ العراق وسوريا ولبنـان وفلسطين ومصر وتركيا وايران وافغانستان ، منذ الحرب العالمية الاولى الى قبيل الحرب العالمية الثانية،فبحث علاقات هذهالاقطار بالاستعمار الانكليزي والفرنسي ، ونضالها في سبيـل التحرر والاستقلال ، وما حققته من تقدم في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ان هذا الكتاب ، الذي ذكرت بعض خطوطه الاساسية ، مهم من نواح عدة. فهو قدتناول تاريخ الشعوب الاسلامية بأسرها فاتاح بذلك ، لاول مرة ، لطالب التاريخ الاسلامي ان ينظر الى هذا التاريخ نظرة فاحصة شاملة،تمكنه من ربط اجزائهالمتباعدة، ومعرفة الصلات الحقيقية التي كانت قائمة بين منشئيه ، والاطـلاع على قوانين تطور المجتمع الاسلامي واسباب تقـدمه وتأخره ، والتعرف على ما قدم كل شعب من الشعوب الاسلامية الى هـذا التاريخ من خدمات ، وما اضاف الى كنز الحضارة الاسلامية من ثروة . وهو مهم لانه يفصل العلاقات الاقتصادية والفكريـة والحربية التي كانت متصلة بين العالم الاسلامي والعالم الاوروبي المسيحي تفصيلاً حسناً ، لا يتاح الا لمؤرخ أشرب روح العـالمين وفهم دقائق الحياة فيهما . والاجزاء الثلاثة الاخيرة مفيدة للقارىء العربي بصورة خاصة لان تاريخ تركيا وايران وافغانستان وشمالي افريقيا والسودان ، منذ انهيار الخلافة العباسية حتى وقتنا الحاضر، لم يبحث في المؤلفات العربية بحثاً وافياً مرضياً . وهو ، الى كل ما تقدم ، مهم لانه نتاج عالم اوربي، واسع الاطلاع ، عميق الثقافة، منزه الغاية،فاصبح بامكان المثقفين العرب ان يتعرفوا على النهج العلمي في تدوين تاريخهم، ويطلعوا على نظرة الصفوة من المثقفين الاوربيين الى هذا التاريخ ، وما يحدثه في نفوسهم وعقولهم من انطباعات .

ولكن هذا الكتاب على عظم قدره لا يخلو ، برأيي ، من هنات . منها هذا الايجاز الذي كاد يشيع في الكتاب باسره . فالمؤلف يعرض احياناً الحقائق عرضاً سريعاً مجرداً ، كأنه يريد ان يعددها فحسب ، وهو في اكثر الاحيان لا يهـتم الا بالحوادث البارزة ، ويترك التفاصيل الدقيقة المهمة،والشرح الموضح للاسباب، وهي ما يجعل كتب التاريخ حية الاسلوب ، قريبة من متنـاول الافهام . ومنها اهمال حياة جماهير الشعب الاقتصادية والفكرية والاجتماعية ، مع انه سمى كتابه في الالمـانية : « تاريخ الشعوب والدول الاسلامية » والحقيقة ان هذه الناحية هي اخطر ما في الكتاب من نقص،اذ بدون ان ندرس حياة عامة الناس، وندرك دورهم في التاريخ ، لا نستطيع ان نفهم المجتمع الاسلامي على حقيقته الواقعة . ومنها ما اورد في الكتاب من افكار خاطئةاو سطحية ، وخاصة في الجزء الاخير ، وهي قليلة ، ولعله انساق الى تسجيل هذه الآراء نتيجة لنقص المصادر ، واغراض بعضها،وعدم اعتناء المثقفين العرب بتدوين تاريخهم الحديث تدويناً علمياً يحيط بنواحيه جميعاً .

نقل هذا الكتاب القيم الى اللغة العربية بخمسة اجزاء،ينتظم كل جزء منها احد اقسام الكتاب الخمسة ، الاستاذ الدكتور نبيه امين فارس رئيس دائرة التـاريخ في جامعة بيروت الاميركية ، والاديب اللبناني المعروف الاستاذ منير البعلبكي. وقامت بنشره دار العلم للملايين في بيروت . وقد صدر الجزء الخـامس منه في الشهر المنصرم .

ليست الترجمة عملاً هيناً ، فما هي ابدال كلمة افرنجية بكلمة عربية ، ولا هي نقل العبارة نقلاً قاموسياً قلق البناء. بل هي جهد فكري عنيف يبذله المترجم لتفهم معاني المؤلف ، وتشرب روحه، والتعبير عن هذه المعاني ، والافصاح عن هذه الروح ، بعبارات امينة في النقل عن الاصل ، دقيقة المحافظة على اسرار الاعجاز في اللغة المترجم اليها . وهذه الترجمة التي خدم بها المترجمان الفكر العربي الحديث خدمة جليلة ، وبذلا في سبيل تحقيقها ما بذلا من وقت ثمين ، وجهد مثابر ، انموذج للترجمة الدقيقة الرصينة . فهي امينة على النص ، دقيقة التعبير ، واضحة العبـارة ، رائعة الاسلوب . وقد بذل المترجمان الفاضلان اصدق الجهد في الرجوع الى المصادر العربية ونقل العبارات والمقتطفات التي اوردها المؤلف في كتـابه عنها مباشرة،وفي ضبط الاعلام ، وهي عديدة لا تحصى،بالشكل الكامل كما كانت ترد في المصادر العربية ، وهذا مما اضطرهمـا الرجوع الى عشرات الكتب والبحث في شتى المصادر كما انهما اهتما بالتعليق على بعض آراء المؤلف التي خالف فيها المفهوم الشائع عند جمهور المؤرخين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما اردت بهذه الكلمة العابرة ان تكون مقالة انتقادية شاملة لهذا الكتاب ، فهذا الكتاب القيم لا توفيه حقه مقالة واحدة ، وانما اردت ان انبه الشباب المثقف الى ضرورة دراسته، وامعان النظر في حقائقه ، لكي يقووا ايمانهم في هذه الايام السود، بحيوية الامة العربية خاصة والشعوب الاسلامية عامة ، هذه الحيوية التي صنعت العجائب في عالم الحضارة والثقافة والفن . ولكي يضعوا ايديهم على اسباب الضعف في هذه الامة فيعملوا على محوها، والتخلص منها الى الابد .

جامعة بيروت الاميركية :
محمد توفيق حسين
احد اساتذة التاريخ الاسلامي

ملائكة وشياطين

لعبد الوهاب البياتي ـ شعر ـ حجم متوسط ـ ورق صقيل ـ ١٢٨ صفحة
مطابع دار الكشاف ـ بيروت

منذ سنوات لم أكلف نفسي الكلام عن الشعر وكان آخر ما كتبته في هذا المجال قد ظهر في اعداد «الفكر الحديث» الاخيرة.

وقبل ايام وصلتني نسخة من ديوان شعر لشاب عراقي هو السيد عبد الوهاب البياتي مهداة لي . ولم يكن هذا الديوان هو الوحيد الذى وصلني من العراق في هذه الفترة التي تكون فيها المطبعة العراقية مشغولة باخراج الانتاج المعاصر الذي لم يكتف بها بل راح يبحث عن مطابع مصر كأقاصيص السيد شاكر خصباك (صراع) المطبوعة في مصر والتي اعتقد ان اخراجها كان اقبح ما انتجته المطابع ، مما اضاع على القارىء متعة لها قيمتها . وكملائكة وشياطين المطبوع في مطبعة الكشاف ببيروت . فقد اطلعت على اشياء اخر اكثرها من الشعر وقليلها من النثر . وانا كلما لمست نفسي ثورة نفس اخرى اعترتها نشوة تهزها في الاعماق . انني اعتقد ان في العراق امكانيات ثقافية وفكرية قيمة . ولكنها كالوميض يدفنه الرماد ، ولكن هذا العهد ليس بالذي يذري الرماد ليحصل على الوميض المتوهج انما العكس انه الذي يكيل الرماد فوق الرماد . . لكن هناك على رغم اولئك ذوي النفوس الخابية اعداء الفكر والانسانية العالية . هناك دائماً بعض الوميض الذي يشع ويتكاثر فلا يدع وجوداً للرماد . ولولا هذا لكنا في اي حال ؟ !

ومطبوعات جماعة الوقت الضائع ، ليست الا اجابة — على اختصارها — لحاجات في نفوس اختلفت عليها المجاعة الفكرية وضياع الشخصية الادبية . قرأت منها « عبث »و« اوكار الليل » لصفاء الحيدري ، من الشعر فرأيت فيها نفساً عراقياً محضاً . ولا انكر على الرغم من اعترافي بقوة الشاعرية ان فيها لمحات مبعثرة من الفوضى اظنها ليست بعيدة عن روح شاعرها . وقرأت باعجاب وحب منها مجموعة السيد نزار سليم من القصص المسماة « اشياء تافهة » وهذه الاشياء التافهة التي يقدمها بمقدمة مرسومة بريشة فناننا الكبير الاستاذ جواد سليم لهي مفخرة الادب الناشىء في العراق الذي بدأ الآن يجد لنفسه السبيل الحقيقي الذي يوجهه الى الخلوص . واني لاجدني مندفعاً لتهنئة السيد نزار في مجموعته هذه التي فيها من الواقعية وصدق التعبير ما يدلنا على آت اغنى .

ثم ها أنذا اتسلم منذ قريب ديوان السيد عبد الوهاب البياتي المسمى (ملائكة وشياطين) فيزيد في نفسي ثقة ان قافلة الادب العراقي تسير رغم الظروف . الا ان كل هذا لا ينسيني انتاج شاعر عراقي له قيمة الشعر الرائق وفيه خلوص العاطفة النبيلة وعليه رواء الزمن الساثر ولكنه يتكاثف اوراقاً تطويها الرفوف . ذلك هو شعر أديب العبارة الاستاذ انور خليل الذي اظنه الشاعر الذي لو لم تحاربه الايام العجاف بقساوة الناكر ، لطلع علينا علماً بين رواد العاطفة والفكر .

ولو عدت الآن مرة اخرى الى « الملائكة والشياطين » فلكي اخوض معها معركة لامحيص الله لها ان تطول فأنا بين كثرتها وحيد لا سلاح لي سوى امنية ها انا اقضيها معها على الطابق الاول من (برج ايفل) استنير ببقايا تتضاءل من نور الشمس التي تتهاوى وتنعكس ايماآتها على قوارب السين عند قدمي البرج .

سأكون قاسياً مع هذا الديوان بعض الشيء . فأما الغلاف، فضعيف الرسم ، قبيح التنظيم ، مزعج الالوان . اي فرق شاسع بينه وبين اخراج كتاب نزار سليم الجميل !

واول انطباع بدا لي بعد تتمة القراءة ، هو ان الشاعر دفع كل ما لديه من شعر الى المطبعة دون اختيار ولا تأن ، لذلك صار المستوى العام لشعر الديوان على صراط لا يستقيم ! فهناك من القصائد ما لا انصح بطبعها لانها تنزل بالمستوى اما بقلة شاعريتها او بتكرار معانيها وكان الافضل ان تطبع مختارات من هذه القصائد تتسق فيما بينها وتنسجم في اتجاه موحد .

وقد داني الديوان على ان شاعرنا البياتي يعرف اللغة العربية معرفة تيسر له التسلط في كثير من الاحيان على الالفاظ والكلمات المختلفة . الا ان هذا التمكن نفسه اوقع صاحبنا ببعض المبالغة في استعمالها وبحب تلك الالفاظ التي انساق الينا اكثرها من شعر

لبنان رقيقة ناعمة تحمل الاحساس الرهيف والعاطفة الرقيقة فهي في لبنان تولدت عند اولئك الذين حفرت آداب الغرب في نفوسهم جداول من ذوق أدبي رفيع وفن ممتاز تسري كالسلسل على انغام ما ابدعها !.. ولكنها في العراق لم تحافظ على شخصيتها لان حماسة العراقي الطبيعية حشرتها في غير الجمل التي صيغت لها من قبل . فراحت عند شعراء العراق تزأر وتئن وتئن .. حتى الشعر الوطني في لبنان انطبع احياناً بالغناء والسيولة الناعمة . وحتى الشعر الغزلي في العراق انطبع بالحماسة والفخر والخشونة . وانا اعني الوجه العام ولا اقصد الكل فهناك شذوذ في كل مجالات الحياة .

وما آسف له حقاً اذن هو : ان السيد البياتي لم يستشر — كما يظهر — احداً من الشعراء والمتمكنين في الادب قبل طبع ديوانه، فلو فعل ولو احسن الاختيار اكثر مما فعل لكان للجيد من شعره ديوان يقال له بكل ثقة واعجاب (شعر) ذلك ان بين ابياته ما يستحق كل تقدير وذلك لان في نفسه روح شاعر :

واكفر بالورد والزارعين
واشرب دمعي على نخبها
أكاد اذوب أكاد اموت
على رفة الخيط من ثوبها

هذا تصوير شعري يتصاعد الى اجمل ما في الغزل . وفي تصاوير شاعرنا الاخرى التي اخرجها لنا في ديوانه سحر ينم عن نظرة الى الحياة كلها فلسفة قاتمة تنعكس في مرآة نفسه من اليأس الذي يشربه في اقداح المجتمع . وكأني أرى التشاؤم وشبحه الاسود حتى عندما يغني ويطرب .

اما قصيدة (بغداد) فما ادري كيف غلبني تذوقها حتى وجدتني وانا اردها وأقف عندها معيداً معجباً . أترى هو بعدي عن بغداد وشوقي اليها !

... ودجلة العاشق ترنيمة
تشدو بها اناملك الساريه
القمر الضاحك في حضنه
زنبقة فضية طافيه
على سناه تستحم الرؤى
والخمر والندمان والغانيه ..

الا ان القسم الثاني من هذه القصيدة ينسي بغداد وما في بغداد ويعود بالشاعر الى ذكريات حبه .

قصيدة واحدة هي التي نالت عندي الدرجة الاولى بين قصائد الديوان وهي التي لا اثر للتكلف الشعري فيها هي قصيدة (الى ساهرة) من الشعر الحر الذي لا تقيده القافية ولا يثقله الوزن المستمر :

على شاطىء الوهم نامي
كسفيرة في الثلوج
ولا تسألي عن غرامي
ولا تسألي من يعوج ... الخ

***

ولا تجهشي بالبكاء
اذا ما السماء
اهالت عليكِ
رماد الرجوم
ففي مقلتيكِ
ضياء النجوم
يقود خطاي ... ويمحو أساي ...

***

أخاف عليكِ ومم اخاف
وفي شفتيك رحيق زعاف
احس به في دمي كجوع رهيب
وانفثه من فمي غناء رتيب ... الخ .

ولا اريد ان اكرر ما قلت ، واتمنى ان لا يكون شاعرنا ضيق الصدر بعد كلمتي هذه فلم اردها نقداً أقدم به رائعته الاولى الى القراء . انما هي رغبة عرضت لي وأنا اطالع شعره هنا في جانب ظريف من برج ايفل وأفكر بالادب العراقي الناشىء واتمتع بالنسيم (الصحيح) لا العليل ، والوجوه الصباح .

باريس — جميل حمودي

سامبا

لنزار قباني ـ شعر ـ حجم صغير ـ ورق صقيل ـ ٢٩ صفحة
دار العلم للملايين ـ بيروت

اخي نزار .

تداعى الى ذهني وانا اتلقى (سامبا) هدية منك مشكورة قول احد النقاد ولعله « مالرب » ان الشاعر كالراقص ففي هيانهما تكمن الغاية وفي نقلتهما تتجلى الفكرة وكلاهما حبيس الوزن والنغم اما الناثر فكالسائر ؛ في انطلاقهما من الاسر ، وفي تراخي الغاية الى خلاصة البحث ونهاية الدرب . وقد يستشرف الراقص غايته في حركة والتحناءة دون ان يريم ، ولا يتيسر ذلك للسائر .

وقد كان قصاراي ان أرى الى الرقص والشعر ، وهما في قرن

واحد في خاطري يتعانقان في قصيد ، حتى صافحت عيني قصيدتك الجديدة : سامبا .

والرقص فن يواكب الوزن ويتكىء على الحركة ويعتمد على الجسد ليدعه وحده في نقلته يتكلم ، وهو في قصيدتك سامبا يتسق في نقلة والتحناءة :

تلك سمبا
نقلة ثم انحناءة
فالمصابيح المضاءة
تصبى

وقد ينتظم في اربع خطوات ، كما انتظمت قصيدتك كلها في رباعيات :

جربيها
خطوات اربعا
ابدا تمضي معا
وتليها

واقول لك الحق انني لا احب رقصة السامبا ولا اكاف باي رقصة تأخذ بمدرجتها في الاندفاع والهياج والجرأة بيد انني احببتها في قصيدتك لانك اضفت اليها ، على رضاعها من حليب افعى ، لوناً رقيقاً فسقيتها من اريج الاودية وسحوب الامسية :

وسقوها
من اريج الاودية
وشحوب الامسية
ما سقوها

وتتسلسل القصيدة مبتدئة بهذا المطلع الجميل :

غط قوسه
في شرايين الشفق
خشب القوس احترق
حين مسه

وتتناهى الى هذه الرباعية :

لو رقصنا
ليلنا حتى الثلاثي
وحملنا
كجنازات الفراشي

واسلوبك في هذه القصيدة هو الاسلوب السهل ، ترفق من « قالت لي السمراء » « فطفولة نهد »، في انسياب الحلم الحلو الذي يأبى ان ينتسخ . بيد ان القصيدة لا تخلو من الفاظ معادة ومعان مكررة مأخوذة من مجموعاتك الشعرية السابقة كقولك :

لا مفر
ليس تسطيع خلوصا
اكل النهد القميصا
فهو خمر

وهو تكرار لقولك :

ووراء الوراء ثمة خيط اكلت منه حلمة حمقاء

وقولك :

يا لنهد
نزق المنقار ابيض
مثل عصفور تنفض
بين ورد

وهو مأخوذ من وصفك لحلمة الثدي في قولك .

يا مبسم العصفور يا ارجوحة العبير

والمعنى ، على اي حال مقتبس من قول بشر فارس :

واذا ينهكها قرطها وخدها بين يديها اسير
كأنه فرخ حمام هوى وهم من ساعته ان يطير
فاربد غيظ طرف منقاره واعتد يشكو الضنك رخو النذير

وانتهي من القصيدة ، فتشب الى ذهني صورة رائعة عن راقصة « فالبري » جلاها بريشته اللبقة في « الروح والرقص » وتتمثل لي غادتك تتاوى في القصيدة كثعبان كأن « فيدون » وهو يحاور « سقراط » قد عناها بقوله :

انها تبدو، وفي قدميها الملهمتين ، كانها تمحو من الارض كل ونى وغفلة ، ها هي ذي تتخذ لها مكاناً يستشرف قليلاً اشاوي ارضها كأنها تسوى لها عشا بيديها البضتين، انها تتبدى لنا وقدماها تنسجان بساطاً فسيحاً من المشاعر . هاتان القدمان الحلوتان تلتقيان وتدفان كحمامتين . نفس هذه الفسحة من الارض تدعوهما الى العراك كأنهما تتقاتلان على حبة ، اواه ربة الشعر ، ليس ثمة اقدام، قد اثارت الرغبة في شفتي كهذه الاقدام .

بديع منصي

ظهر حديثاً

• الموسوعة الاجتماعية – العدد الاول – تصدرها باللغة العربية لجنة نشر الثقافة الاجتماعية يشرف على تحريرها علي حسني وابراهيم زكي خورشيد مدير التحرير محمود محمد شاكر – يشرف على ادارتها احمد الشنتاوي حجم كبير – ورق صقيل - ٩٧ صفحة – مطبعة مصر – الثمن ٢٥ قرشاً مصرياً – الاشتراك في المجلد وهو مؤلف من عشرة اعداد : ٢٠٠ قرش في مصر و٢٤٠ في خارجها – تطلب من مقر اللجنة ١٨٤ شارع الخديوي اسماعيل بالقاهرة ومن جميع المكتبات.

هي أكبر موسوعة اجتماعية تبحث جميع المشاكل العالمية. اعظم عمل علمي تضافرت عليه جهود العلماء في العالم. ينقلها الى العربية مختصون في العلوم والمسائل الاجتماعية تتناول احدث النظم والآراء في السياسة والاقتصاد والاجتماع. تعالج شئون المجتمع الحديث ومشاكله تنير السبيل امام المصلحين في ميادين الخدمة الاجتماعية والتربيـة والتعليم والصحة والتعاون مرجع فريد في علوم النفس والاخلاق والفلسفة والقانون. ذخيرة في الفنون والآداب العالمية. مرآة لتاريخ المجتمع وتطور الانسانية

● ابن الاخ العم- تمثيلية هزلية - تأليف الشاعر الالماني شيلر وترجمة الدكتور امين رويحه - حجم صغير- ورق صقيل- ١٢٠ صفحة - المطبعة الهاشمية دمشق- قدم لها العقيد الدكتور عزة الطباع مدير صحة الجيش السوري- مع تعريف موفق رائع للمترجم عن شيلر وصلاته بالشاعر «جوته»

● الامام الصادق ملهم الكيمياء- للدكتور محمد يحيى الهاشمي- وسكينة بنت الحسين - لتوفيق الفكيكي - ورسالة الحقوق للامام زين العابدين لعبد الهادي المختار- هذه الكتب صدرت في «حديث الشهر» وهي سلسلة كتب تربط بين الماضي والحاضر وتمزج بين القديم والحديث وتعالج شتى المواضيع بأقلام حرة تمثل الادب الحي الرفيع والرأي المجرد الحر- يصدرها في الكاظمية- بغداد عبد الامير السبتي باشراف جماعة من اعلام المفكرين.

● طعام النار - قصة شعرية - لطه العبيدي - حجم صغير - ورق صقيل - ٥٢ صفحة - مطبعة النجاح - بغداد.

● مداد اليراع - لفاضل جودي الحلي- كراس ١٦ صفحة - بغداد.

● صرعى - مجموعة قصص - لمحمود محمد الحبيب - قدم لها الاستاذ علي الخاقاني صاحب مجلة البيان- حجم متوسط- ١٧٣ صفحة- منشورات دار البيان - مطبعة الغري - النجف العراق.

● الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية - لمحمد الباقر الجلالي حجم متوسط - ١٩٠ صفحة - مطبعة الزهراء - النجف.

● العرب والتطاحن الدولي - للزعيم الركن المتقاعد توفيق حسين حجم متوسط - ١٠٤ صفحات - وهو العدد الاول من السلسلة السياسية للمشاكل العالمية التي تصدرها دار منشورات البصري ببغداد.

● بولس سلامة - المهرجان الذي اقيم له - اقوال ادباء العرب في شعره مختارات من شعره - حجم متوسط- ٢٤٠ صفحة - صدر عن مطبعة الانقان ونشرته مكتبة المعارف - بيروت

● كوبيد الاه الحب - نظرات سيكولوجية في الحب والحياة - لجبران جبور - حجم صغير - ورق صقيل - ٦٢ صفحة - بيروت

● ليل الصب - قصيدة ابو الحسن الحصري القيرواني - عارضها - نعمان ماهر - انور شاؤل - كمال عثمان - عبد الرزاق محيي الدين - وقدم لها الاستاذ رفائيل بطي- حجم كبير - ورق صقيل- اخراج رائع- ٨ صفحات مع صورة القيرواني كما تخيلها الرسام روى - طبع واخراج شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد.

● اكنسوس - ابو جعفر بن عطية - ابو العباس الجراوي - للعلامة عبدالله جنون الحسني مدير معهد مولاي الحسن- صدرت في سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب - حجم كبير - ورق فاخر - طباعة متقنة - كل جزء في ٣٤ صفحة - منشورات معهد مولاي الحسن - تطوان - مراكش

● بنو عباد باشبيلية - لعبد السلام احمد الطود - قدم له الاستاذ عبدالله جنون - حجم متوسط - ورق صقيل - ٣٠٠ صفحة - منشورات معهد مولاي الحسن - تطوان مراكش.

● زهرة في خريف - شعر - لابراهيم عويديا - حجم كبير - ورق صقيل - ١٦٠ صفحة - مطبعة الرشيد - بغداد.

● شرح ديوان السيد حيدر الحلي - لصالح الجعفري مدرس الادب العربي في ثانوية النجف - الجزء الاول من ثلاثة اجزاء - حجم كبير - ورق صقيل - ١٨٥ صفحة - منشورات مطبعة الزهراء في النجف العراق.

● يأجوج ومأجوج - ديوان شعر زجلي نفساني مصور - لنير الياس وهيبة مجاز في علم النفس وعضو جمعية المباحث الروحية والنفسية الدولية حجم كبير- ورق صقيل- ١٣٥ صفحة- مطابع جوزف سليم صيقلي- بيروت

● Progressive Crossword Puzzles — Part One & Two
Compiled by Selim Hakim and D.C. Miller--Oxford progressive English — Oxford University Press — London

LES CAHIERS DU SUD

10, cours du Vieux Port — Marseille

Directeur-Fondateur : Jean BALLARD

Rédacteur en Chet : Léon-Gabriel GROS

●

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises, demeurent aussi l'une des plus jeunes.

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

Ils publient dans chacun de leurs numéros :

des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiqus étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur **l'Islam et l'Occident.**

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1950 :

France, six numéros dans l'année, frs : 850.
Etranger, « « « « « 1.100



جولة الأديب في نشر

من زوايا التاريخ الافريقي

غينيا الفرنسية

مسرح السحر والشعوذة

●

ربع مليون وتيف من الكيلومترات المربعة لا تأهل الا بمليونين وقليل من السكان وبالملايين من القردة والوحوش، سلسلة من جبال، وغابات بكر، وجحيم من نار، متصاعد لهبه من بطن الارض الى حيث يلتقي بلهيب شمسي محرق فيؤلف هذا اللهيب وذاك اللهب جواً قلّ ما تزلت حرارته عن الثلاثين من الدرجات، تلك غينيا الفرنسية، هذا القسم من العالم الافريقي الاسود، وهذا الوطن الذي اتخذته لي بعد لبناني الجميل مقراً.

وغينيا الفرنسية هي قلب افريقيا الغربية النابض، وهمزة الوصل بين كثير من المقاطعات. فغينيا البرتغالية والسودان والسنغال تجاورها جميعها من الشمال، ومن الشرق يتصل بها الشاطىء العاجي.

وتمتد اراضيها جنوباً حتى ليبيريا وسيراليون وغرباً عند اقدامها تتكسر امواج المحيط الاطلسي.. هذا، ولا تختلف غينيا الفرنسية بطبيعتها ومشاهدها عن سائر جاراتها تلك، ففي افريقيا الفرنسية من ادناها الى اقصاها — اللهم ما عدا المدن التي اوجدت فيها اليد البيضاء صبغة مدنية حديثة — أنى القيت الطرف، وايما حللت، لا يقع بصرك الا على مجاهل وادغال، وصحار وبيد، وبيوت من طين انتشرت هنا وهناك على بعضها، بتكأكؤ وغير نظام، لبست سطوحها (برانيط) من قش تذود عنها غزو الحر والمطر، واناساً عراة ونصف عراة سود اللون نالت من اقدامهم الحجارة والاشواك، واكلتهم الاوساخ والغبائر. لا همّ لهم سوى ملء بطونهم واحياء دورات الرقص والاهازيج... غير ان موضع غينيا الفرنسية الجغرافي هذا جعل منها مسرحاً لجميع التقاليد والعادات التي نشأت عند كل من جاراتها، والتي كانت وليدة الاوهام والخرافات، والتي عنها آليت على نفسي ان اقدم لك يا اخي القارىء الكريم احاديث واقاصيص، منها المدهش الغريب ومنها المضحك العجيب، ومنها ما يلذ ويطيب، ومنها ما يخيف ويرعب، ومنها ما هو عن الحقيقة والواقع ببعيد. فدزينة الاعوام او نيف التي قطعتها من عمري ههنا، بين هؤلاء السود وقبالة مجاهل وادغال قد طبعت وربك في مخيلتي اغرب الصور وادهش الذكريات...



احياء الرقص وحفلات الاهازيج

●



منظر من مناظر الطبيعة الساحرة على الشاطىء

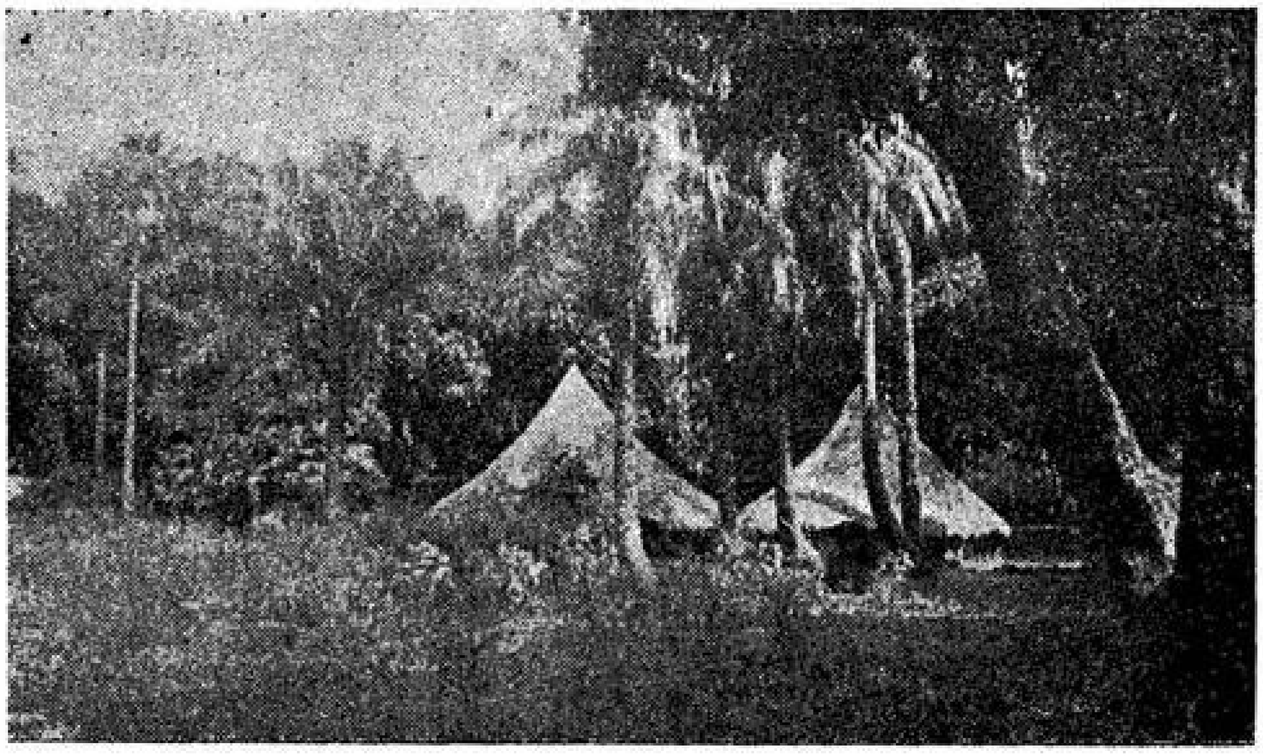
الطبيعية . بل كان ازاءها كالخابط في عشواء . لا يدري اين تسير به قدماه، وكالسائر في البيداء وقد المّ به العطش، فراح يعدو ذات اليمين وذات الشمال، مفتشاً عن ماء او شراب . . وهكذا ، فالحياة . . والمرض . . والموت . . احداث ثلاثة غريبة عن ما يعلم ، وامور ثلاثة بعيدة عن مايدرك . وهذا ماجر جماعات منه الى الهروز ، جماعات أنست بما عندها من



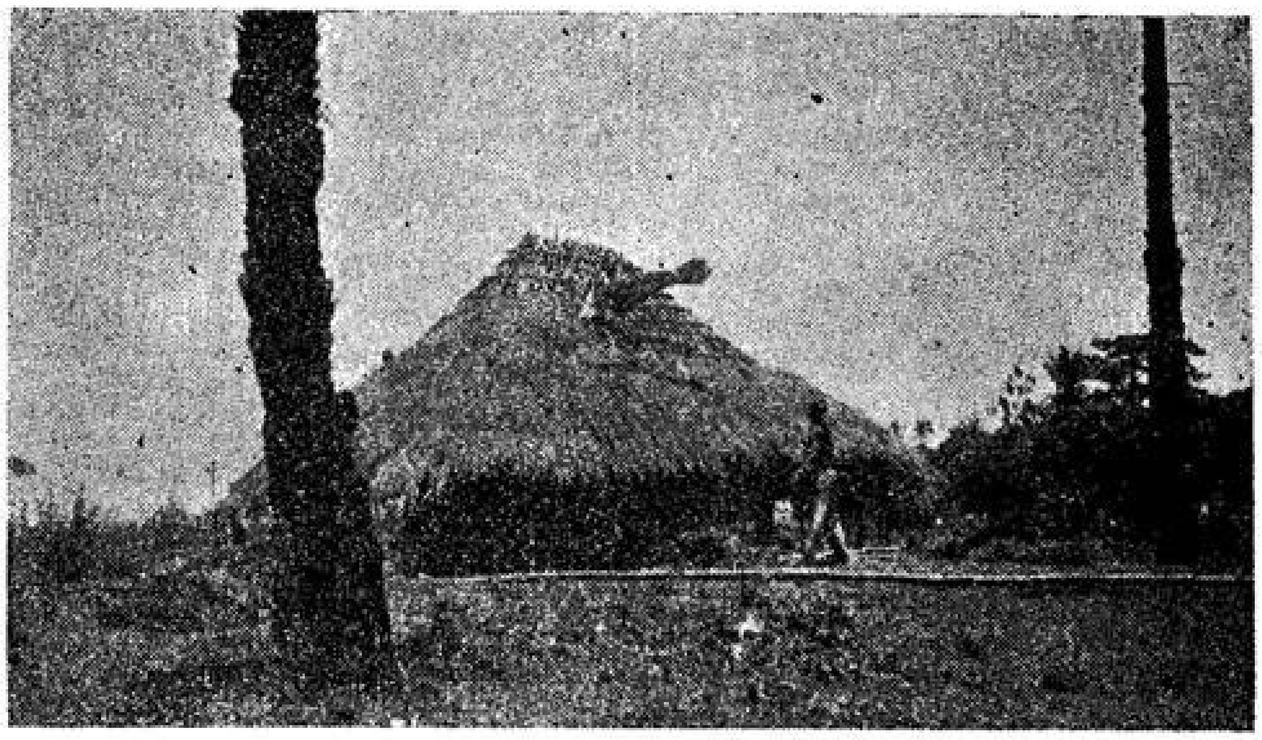
بيوت الزنوج

هنا لقد اتت على هذا العالم الافريقي الاسود احايين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً بل كان منقطع الصلة بغيره من العوالم ، قادمه مردود وداخله مفقود ، ولقرن ونصف قرن خلا ، كان يجر حياة القدم : قبائل قبائل ، يعاني ازمة جاهلية عديم التفكير ضعيف العقلية ، غير قادر على تفهم الامور الجارية في حياته ، الطبيعية منها وغير

البيوت المنتشرة في وسط الغابات



قوة وما عند ابناء جلدتها من غباوة ، فراحت تحلل الامور الجارية كما تريد ، او كما املت عليها عقلياتها الغير الناضجة بعد ، فادعت اتصالها بالآلهة والاشباح (الجن) ، وراحت تبشر بالهين متعادلي القوة يعملان معاً في اعلى السموات ، متجسدين في كل منظر من مناظر هذه الطبيعة . . الاول ، الله الخير وبه تناط امور الحياة والسعادة والهناءة ، فهذه نعم يسبغها على



بيت في طريق البناء

كل قبيلة تتسمى باسم احد الوحوش ، فحملت هذه اسم النمر وتلك اسم الضبع ،وهاتيك اسم التمساح وغير ذلك كثير ، ولا تزال القبائل السوداء تحمل هذه الاسماء حتى يومنا هذا .

هكذا برزت في افريقيا جماعات السحرة والمشعوذين ، لقد برزت كما تبرز اثمة الفلاسفة في كل امة ، والاسباب التي ذكرت عن غينيا الفرنسية نالت



البيوت المنتشرة في الغابات

كل مخلوق رضيت عنه تلك الجماعات ، والثاني الله الشر وبه تنـاط امور القصاص والعذاب فمن اذنب وكان ذنبه مغفوراً الم به مرض حتى يكفر عن ذلك الذنب ، ومن كان ذنبه لا يغتفر فذلك جزاؤه الموت لا محالة . .ولم تكتف تلك الجماعات بنشر هـذه الاوهام والخرافات ، انما راحت توهم ابناء جلدتهـا انهم جميعاً انحدروا من اصل حيواني . وهكذا اخذت

من المناظر الخلابة على شواطىء غينيا



هذه المقاطعة القسط الاكبر من افراد تلك الجماعات التي لا يزال لها تأثير في نفوس الافريقيين رغم مـا تبذله اليد البيضاء من جهود في محاربتها .. هذا ، واقتصر الآن الحديث . آملاً ان اتيك عما قريب بحكاية « ميمونا » الساحرة او آكلة الاطفـال .. والى اللقاء في الاعداد المقبلة ان شاء الله .

غينيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

أنباء العالم في شهر

٢٥ مايو ١٩٥٠ – اصدرت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بلاغاً مشتركاً اكدت فيه استعدادها لمد الدول العربية واسرائيل بالاسلحة بعد ان تعهد الفريقان بانهما لن يقوما باعمال عدائية ضد بعضهما وفي البلاغ انذار صريح بان الدول الثلاث تتدخل فورا عند وقوع نزاع في الشرق الاوسط بين دوله .

٢٦ – قررت الحكومة البلجيكية الاشتراك في المفاوضات حول مشروع شومان لتوحيد موارد الصلب والفحم .

– بعث المفوضون الساميون الغربيون الى الجنرال تشيكوف القائد السوفياتي لالمانيا الشرقية يقترحون اتخاذ عدة تدابير لتحقيق وحدة المانيا الاقتصادية والسياسية .

٢٧ – بدأت الشبيبة الالمانية الحرة في شرقي برلين تجمعاتها واعلنت حالة الطوارىء بين قوات الدول الثلاث الغربية في برلين تحسباً لزحف الالمان الموعود في يوم العشرة غدا .

– اختطف ثلاثة شرطيين من القطاع السوفياتي في برلين المدرس مويتر من القطاع الاميركي واطلقوا النار على البوليس الغربي .

٢٨ – تظاهر في المنطقة الشرقية من برلين نصف مليون شاب الماني شيوعي والقيت الخطب الحماسية بطلب اخراج الدول الغربية من المانيا لتتحد البلاد تحت الادارة الشيوعية وانقضى اليوم بسلام ولم يحصل الزحف المنتظر على غربي برلين .

٢٩ – قدم السيد خالد العظم رئيس الوزارة السورية استقالته الى رئيس الدولة السيد هاشم الاتاسي .

٣٠ – درس الرئيس ترومان واتشيسون ناظر الخارجية الاميركية مذكرة تريغفلي الامين العام للامم المتحدة التي تتضمن برنامجاً للسلام العالمي مؤلفاً من عشر نقاط وكان تريغفلي عرض هذا البرنامج الموضوع لمدة ٢٠ سنة على ستالين وشومان وبيفن .

اول يونيو ١٩٥٠ – قدمت روسيا مذكرة جديدة الى امريكا ترغب فيها الجواب على المذكرة الاولى التي طالبت بها اعتبار الامبراطور الياباني هيروهيتو مجرم حرب .

٢ – صرح الرئيس ترومان بانه لايتخوف من وقوع حرب عالمية في غضون السنوات الخمس القادمة .

٣ – قام الماريشال سلم قائد القوات البريطانية بالطائرة من لندن في رحلة الى مصر والشرق الاقصى وقد صرح بانه سيتباحث مع ولاة الشأن المصريين بالقضايا الدفاعية .

٤ – الف الدكتور ناظم القدسي الوزارة السورية وهي وزارة ائتلافية مؤقتة لاقرار الدستور سريعاً .

٥ – اعلنت النتائج الانتخابية في بلجيكا فنال الاكثرية حزب الملك ليوبولد « الاجتماعيون المسيحيون » .

– صرح ابراهيم فرج وزير الدولة المصري ان اجتماعاً مهماً للغاية جرى بين الماريشال سلم والجانب المصري بحث فيه الموقف العسكري والسياسي .

٦ – استقالت الوزارة البلجيكية الائتلافية

٧ – وجه تريغفلي الامين العام لمنظمة الامم المتحدة مذكرة الى الدول الاعضاء تضم مقترحات لحفظ السلام في العالم لعشرين عاماً وقد حمل الدول الكبرى تبعة خلق جو مثقل بالشكوك واقترح دعوة مجلس الامن الى عقد اجتماعات دورية وانشاء قوة دولية لوقف الاضطرابات وانه يجب استخدام الامم المتحدة لتحرير الشعوب سلمياً .

٩ – هاجم الرئيس ترومان الاتحاد السوفياتي بعنف واتهمه بالتأهب لشن حرب عدوانية جديدة .

١٠ – رفضت الدول الغربية المقترحات السوفياتية لاجراء الانتخابات في مناطق برلين الاربعة .

١٢ – نشرت الصحف المصرية نص مذكرتين تبودلتا بين لندن والقاهرة قبل زيارة الماريشال سلم رئيس اركان الحرب الامبراطوري لمصر . وتضم المذكرة البريطانية قضايا خطيرة للغاية منها : ان الحكومة البريطانية ما زالت تصر على ان التقارير التي تردها تؤكد وقوع الحرب قبيل الصيف المقبل وان جميع الدول الديموقراطية تعمل على هذا الاساس .

وكانت الصحف المصرية قد نشرت شيئاً عما دار من محادثات بين الماريشال سلم وبين الفريق حيدر القائد العام المصري نسبت فيه الى الماريشال تأكيدات تطابق الوارد في المذكرة البريطانية .

١٣ – اصدرت الحكومة السويسرية تعليمات الى الاهالي تطلب منهم ضرورة الاقتصاد في المواد الغذائية وتخزين ما امكن استعدادا لمواجهة حرب عالمية مقبلة . وكانت الحكومة المصرية منذ بضعة ايام قد اتخذت بواسطة وزارة الاقتصاد تدابير مماثلة للاسباب ذاتها .

١٤ – قدم اوزانيه زفاريف وزير المالية السوفياتية مشروع قانون الى البرلمان بطلب اعتماد ٢٠ مليون دولار للتسلح معلناً ان ٦٨ بالمئة من الميزانية الاميركية تصرف للانشاءات العسكرية .

١٥ – سلم سفراء الدول الغربية مذكرة الى وزير الخارجية السوفياتية يعلنونه ان حكوماتهم تنوي ان تعين مفوضين ساميين في النمسا بدل المفوضين العسكريين .

١٦ – عقد مندوبون عن عشر من دول غربي اوربا اجتماعاً سرياً في لندن للتباحث في مشروع شومن حول دمج الصناعات الاوروبية الرئيسية .

١٧ – وقعت خمس من الدول العربية خلال الجلسة الاخيرة التي عقدها مجلس الجامعة العربية في الاسكندرية ميثاق الضمان الجماعي والتعاون الاقتصادي وامتنع العراق عن التوقيع لارتباطه بمحالفة عسكرية مع الاردن الذي لم يكن ممثلاً في الاجتماع .

١٩ – تظاهر بالاسكندرية زهاء الف عامل من عمال النسيج مطالبين برفع الاجور ورجموا مخفر الشرطة بالحجارة .

٢٠ – اتهمت جريدة بوربا اليوغوسلافية شبه الرسمية، الدول الغربية بالتلاعب بقضية تريستا مدافعة عن الاتحاد السوفياتي .

٢١ – اعلن وزير خارجية كندا بان مصلحتها تقضي ببقائها عضواً مستقلاً في الكومنولث البريطاني وانها لا تفكر بالاتحاد مع الولايات المتحدة الاميركية رغم العلاقات الوثيقة بينها .

٢٢ – صرح مندوب العراق في هيئة الامم : اذا لم تسو هيأة الامم قضية القدس فالبلدان العربية تفكر باحالتها الى مجلس الامن .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨

تخمة الشرق العربي

●

لكل عنصر نفسية ومزاج وحس فما يصح في عصر لا يصح في سواه لان ما هضمه القرن الغابر مثلاً ، لا يستطيع القرن الحاضر ان يهضمه ما دام مجرى الحوادث الكبيرة هو الذي يهيء عملية الهضم ، كما يؤلف النفسية والمزاج والحس. ولا نعني بالحوادث الكبيرة تلك الحروب والانقلابات السياسية والثورات الاجتماعية فقط ، بل نعني ايضاً فتوحات الفكر والعلم.

والعلم سيظل مسيطراً على مجرى التاريخ شئنا ام ابينا وهو وحده الذي يقود الشعوب ويصنف للعصر نفسيته وحسه ومزاجه في الدرجة الاولى.

كان النصر في الحروب الغابرة موقوفاً على القوة البدنية ، فأصبح اليوم موقوفاً على القوة العلمية التي هي وحدها ترجح الكفة.

ومعركتنا في فلسطين ، كانت معركة بين العلم والجهل معركة بين القديم والحديث ، فجمعنا كل ما لدينا من أصناف الاسلحة القديمة وكان في طليعتها تلك العقلية الرجعية الجامدة العقلية الاتكالية ، العقلية اللاوعية التي ترتجل اعمالها ارتجالا وتتخبط فيها تخبطاً يزيد في أساها اسى ونكبتها نكبة ، واضفنا الى هذه العقلية كل ما عندنا من المخدرات الروحية والفكرية والادبية

وجهز اعداؤنا كل ما لديهم من اصناف القوى الحديثة ، وفي طليعتها العقلية المتحررة التقدمية ، العقلية الواعية التي رأت النور في العلم فاقتبسته وقارعت به الخصوم ، فانتصرت ، لان ذرة من العلم تفوق العدد والكثرة في ظل عقلية جامدة سطت عليها المخدرات الروحية.

واشقى الشعوب ، شعب يتجاهل نفسية العصر ومزاجه وحسه ويتعامى عن فتوحاته الفكرية والاجتماعية والعلمية. شعب يتجاهل الواقع المحسوس وينزوي في ظلمة نفسيات العصور القديمة ، وما اشبه هذا الشعب بالنعامة الغبية التي تعمد الى الرمل فتخبيء رأسها فيه عندما تشعر بدنو الصياد ، كأنها اذا اغمضت عينيها فما رأته ، لا يطاردها ولا يراها . .

في شرقنا العربي ، شعوب كثيرة هي اسوء الحظ ، تتشبه بهذه النعامة وتقتفي آثارها بدلاً من ان تتحسس نفسية العصر وتفتح عينيها على نور هذه النفسية التي هي ابنة العلم ، ابنة مجرى الحوادث المؤثرة في التاريخ البشري والفكر البشري

والشرق العربي يأبى ان يتجرع العلاج مع شدة حاجته الى الدواء ، ويأبى العملية الجراحية الشافية ، لانه يرى في المخدرات الروحية والفكرية خير دواء وانجع علاج.

ولكن العلم يعظنا ويقول ان المخدر اذا خفف الالم الى حين ، فهو لا يشفي وان يشفي ، بل يزيد الداء شراً ووبالا.

لقد اتخم الشرق العربي بالمخدرات الروحية والفكرية والادبية التي عالجوه بها لدرء الالحاد والدهرية ومادية الشيوعية.

والالحاد ان نتعامى عن النور وان نتجاهل الحق ، وان نطفيء الشعلة الفكرية التي هي قبس من النور الالهي.

والدهرية ان نضع المخدرات الروحية فوق العلم وفوق الفكر ، وفوق كلمة الحق والحياة.

والشرق العربي لن يفيق من سباته الطويل ، ولن يستيقظ من جاثومه الخانق ، ما دام يلجأ الى هذه المخدرات الروحية الفكرية كلما شعر بضعف وعياء ، فيتناولها جرعات كبيرة ويزداد ضعفاً وعياء وعندئذ يسهل على الصياد مطاردة الفريسة المتخدرة.

ان ادمان المخدرات الروحية كادمان الخمور والمواد السامة ، يبعد عن الله والحياة ، فهلا اتقى الله تجار المخدرات الروحية.

عندنا يا شعوب الارض مخدرات روحية ، ومخدرات فكرية ، ومخدرات اجتماعية ، فاشتروها لوجه الله وبيعونا بها طيارات ودبابات ، بيعونا بها معارف واختراعات. عندنا مخدرات روحية ، وعقاقير دينية. عندنا رقيات وتعاويذ فن يبيعنا بها طبيعيات ورياضيات. عندنا طلسمات ، فن يبيعنا بها زراعات وصناعات. وعندنا اكداس مكدسة من الترهات والسخافات والخرافات ، فن يشتريها منا ويبيعنا بها علوم الكيمياء والهندسة والكهرباء. لدينا يا شعوب الارض ثروة طائلة من المخدرات الروحية والعقاقير الدينية والطلسمات الاجتماعية والوطنية والادبية ، فتعالوا نشاطركم هذه الثروة التي تفانت الاجيال بحشدها وخلفتها تراثاً اثقل ظهورنا وقعد بنا عن السير في طريق الحياة والمجد.

عندنا عقاقير دينية ، فن يبيعنا بها عقاقير طبية. . .

ساله باولو - البرازيل

نظير زيتونه

نساء في الليل

بقلم امين يوسف غراب

☆☆☆

كنت اذ ذاك اربح من صوري ولوحاتي الفنية التي ارسمها ، مبلغاً ضئيلاً،لا يتجاوز العشرة الجنيهات، ابعث منها باثنين لامي التي تعيش في الريف واقطن بواحد في غرفة ضيقة فوق سطح احدى العمارات الكبيرة، ثم انفق بعد ذلك كل ما تبقي لي في شيئين اثنين ، هما الرغيف الذي اتبلغ به والخمر التي تنسيني فجيعتي في « المرأة » التي احببتها والتي اختطفها الموت عنوة من بين يدي .

وكما وجدت في الزجاجة بعض التعزية ، وجدتها كذلك في المسكن الذي طوح بي القدر اليه بعد انماتت (آمال) وخلفتني في هذه الدنيا غريباً . كما جئت اليها غريباً ، فقد كانت الغرفة التي اسكنها اشبه بالبرج المعلق في السماء اطل منه على المدينة النائمة في الليل ، فتلوح لعيني رؤوس عماراتها الكبيرة ودورها الصامتة اشبه بالمقابر التي يحتويها الفناء ويريم عليها الصمت ، ومن الاشياء الجميلة التي كانت تطربني كثيراً . ذلك الكشك الخشبي الكبير الذي يقوم امام غرفتي على السطح والذي ضم عددا كبيراً من الدجاجات المختلفة الوانها واحجامها؛ اعدت لطعام احدى الاسر الثرية التي تقطن العمارة هذه الدجاجات كنت احبها حباً لا حد له . وكثيراً ما كنت اقضي معها نهاري ارسمها واداعبها واعني بها عناية فائقة . وكثيراً ايضاً ما فضلتها على نفسي فكنت آتي لها بالرغيف الذي اتبلغ به واغمسه في الماء ، ثم انثر امامها فتاته،متناسياً انني سأجوع طوال اليوم . وكثيراً ما كنت احزن حزناً لا حد له اذا نقصت دجاجة او اكثر ، واقول لنفسي باي حق نستبيح لانفسنا ان نفجع كائناً في حياته ونذبحه بايدينا ونأكل لحمه ، واذكر مرة انني قضيت ليلة لم انم ولم يغمض لي فيها جفن . لانني عدت في المساء فوجدت الدجاجة البيضاء الكبيرة ذات الطوق الذهبي التي احبتها ، وجلست امامها زمناً ارسمها،غير موجودة ورأيت مكانها نقطاً من الدم ، فعرفت بانها ذبحت ، وبأنها فجعت في نفسها ، وتصادف انني في اليوم الثاني غادرت غرفتي وذهبت الى السوق اشتري رغيفاً وزجاجة من النبيذ ، ولما عدت مع الظهر صعدت معي في المصعد فتاة فارعة الجسد ، عليها مسحة من جمال قديم،ما زالت آثاره تغالب السنين وتتشبث بالشفاه والعينين ، وكانت تحمل على يدها صينية كبيرة خرجت لساعتها من التنور تنام في قلبها دجاجة سمينة موثوقة الجناحين والفخذين وقد سوتها النار وانضجت لحمها ، فامتقع لوني لرؤيتها ، لانني عرفت فيها دجاجتي البيضاء الحبيبة ولذلك رحت انظر اليها واتأملها وكأن عيني تعلقتا بها . ولاحظت على الخادم ذلك وكأنها اشفقت على عيني المعلقتين ووجهي الممتقع فقالت مترفقة بصوت وقور .

— الست انت الذي يقطن على السطح ؟ .

فقلت وكنت قد رأيتها مراراً تصعد اليه لتسقي الدجاجة وتطعمها . — نعم .

فقالت وهي تنظر الى ثيابي الرثة ولحيتي الكثة المغبرة ووجهي الذي غام خلف الشعر الذي لم تعمل فيه الموسى من شهور .

— ولكن الا تشفق على نفسك من البرد في هذه الغرفة العارية وهذا الشتاء القارس ؟؟ وهممت بان اقول لها



شيئاً ولكن المصعد كان قد وقف بنا فانصرفت انا كذلك غير انني بعد حين وقد بدأت الزجاجة العزيزة تهدهد نفسي وتروح عنها، احسست بيد تفتح باب الغرفة وكانت يد الخادم الوقور التي جاءت تقدم الي طبقاً به حفنة من ارز تعلوها قطعة من لحم الدجاجة التي رأيتها في الصينية . فتألمت لان هذه الفتاة الطيبة ظنت غير الحقيقة وانا انظر الى الدجاجة في المصعد ولكني لم اشأ ان افجعها في خلقها هذا الطيب وكرمها هذا الذي تشكر عليه . ولا سيما انها قالت لي في حياء وخجل ان هذا بأمر سيدتها ، فتناولت منها الطبق شاكراً لها هذا الفضل، وبعد ان انصرفت القيت بحفنة الارز الى الدجاجات التي فرحت كثيراً وهي تلتهمها التهاماً ، اما قطعة اللحم فهمت بان آكلها بيد انني تذكرت بانها من لحم الدجاجة البيضاء التي كنت احبها فالقيت بها جانباً .

ومن هذا اليوم توطدت علاقتي بهذه الخادم الطيبة التي احبتني وعطفت علي وراحت تعنى بشؤوني وتنظف لي ثيابي كلما رثت وعلاها البلى ، وكثيراً ما كانت فاطمة تسرق نفسها وتصعد الي لتجلس معي تحدثني عن نفسها وعن حياتها الثقيلة المملة التي تسير على وتيرة واحدة كل ذلك وانا اشغل عنها حيناً بحياتي التي تشبه حياتها . وحيناً بزجاجتي التي احبها . ومكثنا كذلك الى ان حدث ذات مرة وكان النهار قد اوشك على الرواح ، وكنت احب رواحه جداً لامتع نفسي بمنظر الشمس الغاربة ، فوقفت على السور اشترك في توديع يوم من ايام العمر . وانظر الى شمسي انا الآخر واكفنها بالدموع التي تذرفها عيناي على آمال التي ماتت وخلفتني مشرداً في هذه الدنيا اعيش بغير ما امل . وبينما انا كذلك اذا بي اسمع من خلفي حفيف ثوب يتماوج ووقع اقدام تسعى على مهل كأنها النسيم يتهادى فالتفت واذا بي فجأة اقف مذهولا مبهور الانفاس فقد رأيت امامي آمال . . آمال بعينها ، بقوامها الفارع الفاره المياد وشعرها الكستنائي اللامع الذي تهدل على الكتفين وانساب على الصدر الذي لاح لعيني عارياً من فرجة الروب الحريري الذي ترتديه . ورأيت معه الوجه الفاتن المتألق الذي حرمت من طلعته تسع سنوات كاملة . والهدب الطويل الساجي الذي كان يهدهد بلفتاته قلبي كلما قست عليه الايام وبرحت به المحن ، ورأيت كل ذلك فجأة وعلى غير انتظار فهمت بان اصرخ واهتف من فرحتي واقول آمال . . بيد ان فاطمة كانت تقف خلفها فقالت على الفور بصوتها المترفق الامور :

— سيدتي آمال هانم جاءت بعد ان حدثتها عنك لترى صورك وتطلع على لوحاتك . !!

. . يا الهي حتى الاسم هو الآخر نفس الاسم . ؟

وتقدمت منها مذهولا جاحظ العين ، وصافحتها بيد مولهة الانامل . وكأن نظراتي التي تكالبت على وجهها وعينيها ادهشتها حتى لكأنها تقول لي بعينيها :

— لمَ تنظر الي هكذا ؟

فخجلت وكدت اتعثر في خطواتي واسقط على الارض وانا ادفع بيدي المرتعشة باب الغرفة لاريها لوحاتي التي جاءت لتطلع عليها . بيد ان الذي هدأ من روعي انني رأيتها راخية مبتهجة تنطلق اساريرها لكل لوحة اشرحها لها وكل صورة من صوري الرائعة التي رسمتها بقلبي قبل ان تموت آماله . ولما اطمأنت الي والى مكانها مني وجلست على المقعد المتآكل الذي قدمته اليها ، رنت الى السرير الحديدي الذي علاه الصدأ وانتشرت عليه بطانية سوداء متآكلة فغدا فيها كنعش الفقراء المحمول على اعناق بعض السابلة في طريق مقفر . ثم نظرت الي فاطمة نظرة طويلة . فهمت انا منها ما تعني فقلت والخجل يخنق صوتي ويحطم نظراتي ويلقي بها اشلاء على الارض قبل ان تبلغ اذنيها .

— هذا هو بيت الفن .

فقالت مجاملة وهي تنظر الي .

— وهذا انت ربه العظيم .

فشكرت لها هذا الثناء العظيم . ثم رحت اشرح لها من جديد ما ترمز اليه بعض لوحاتي شرحاً مستفيضاً وكأنني اشرح لها فرحتي برؤيتها ، ثم لما انتهيت من الشرح واطلعتها على جميع « رسوماتي » الفنية نهضت وقدمت الي يدها شاكرة بيد انها رأت مصادفة في مكان قصي صورة كبيرة لم اشأ ان يراها احد فغلفتها في غطاء من الدبلان علاه البلى ولوثته بعض الالوان . وكانت صورة آمال التي ماتت فاسدلت عليها هذا الغطاء ، ولم ترها عيني منذ سنوات ، فطلبت مني ان تراها فاضطربت انفاسي وخجلت ان ارد لها طلباً فذهبت الى الصورة متخاذلا ورفعت عنها ذلك الغطاء القديم واذا بآمال امامي يشع النور من عينيها كأنها لم تمت وكأن البلى لم يعل ذلك الجسد العاري . الذي يتألق بهاء وصفاء . والذي انسدلت عليه غلائل الشعر الفاحم فكادت تغرقه في بحر من الظلام لولا شعاع من نور انبثق من العينين فعربد بالظلام وكشف عن بعض مواطن الفتنة في الجسد الجميل . ونظرت الزائرة العزيزة الى الصورة مشدوهة وكأنها ترى نفسها فيها . ولما

تأملتها طويلاً ودققت في خطوطها ومعالمها نظرت الي فاذا بي مخضل الطرف ابكي بكاء مكتوماً . فحولت عينيها ثانية وكأنها فهمت كل شيء. وعرفت سردهشتي عند رؤيتها وارادت ان تحترم احزاني فذهبت من نفسها الى الصورة واسدلت عليها الغطاء. واعادتها الى مكانها ثم جلست حيناً صامتة . ولما هدأت ثائرتي تحدثت معي طويلاً وحادثتها انا ايضاً طويلاً وقصصت عليها قصتي الحزينة حتى بكت هي الاخرى وبكت معها فاطمة ثم انصرفت بعد ان وعدتني وعداً صادقاً بتكرار الزيارة .

ولست ادري لماذا طربت لهذا الوعد وفرحت به فرحاً كبيراً وقضيت ليلتي مبتهجاً حتى انني من فرحتي وابتهاجي نسيت نفسي ونسيت معها زجاجتي العزيزة فلم اقربها ولم اتناول منها شيئاً. وفي الصباح برت بوعدها واقبلت على السطح تسعى رويداً وكأنها النور . وكانت مرتدية نفس الروب الستان اللامع الذي رأيتها فيه بالامس والذي تألق جسدها فيه وانساب في رعونة وطيش وراح يعبث باقفال الثوب ويتدفق نوراً من صدره المشقوق وكنت لحظتئذ اجلس الى جدار الغرفة اقضم كسرة جافة بقيت من عشائي ، واتهيأ لرسم الشمس وهي تتسلسل رويداً الى حظيرة الدجاجات ، فلم احفل بتحيتها لانني اخذت بطلعتها وقلت مبهوراً :

— لو ان يد فنان نقلت هذا الجمال على الورق ، لقدم الفن نفسه قرباناً اليه .

فاستلقت ضاحكة تخلص باناملها الحلوة خصلة شعر رفت كالاقحوانة على الجبين . ولم تعلم غير السماء الفرحة التي غمرتني والنشوة التي نعم بها فؤادي عندما قبلت ان ارسمها . . يا الهي إلى هذا الحد يسمو الجمال بالفنان ، ويخلقه خلقاً جديداً ، ويعيده الى دنياه ويرد اليه الهامه وفنه ؟ لقد كنت في تلك اللحظة احس احساساً صادقاً بانني غير الانسان الذي اعرف . وغير المخلوق الهش الذي كان يعيش كذبالة تتناهبها ريح عاتية ، فلا هي تنطفىء ولا الريح تشفق على انفاسها المحترقة . كنت احدث نفسي بذلك وامال الجديدة تجلس امامي جلستها الاولى في الوضع الذي اختاره لها جمالها . وارغمتني فتنتها . ولما انتهت الجلسة الاولى صافحتني وانصرفت فانصرف معها قلبي يودع الذيل الطاهر والجمال العف. ثم انصرفت من فرحتي اسير في الطرقات كطفل يلهو واجوب الاماكن العامة وغير العامة واقول لنفسي المغتبطة .

لئن كان القدر قد بعث الي بآمال جديدة . فقد بعث الفن ايضاً (برفائيل) جديد . . وذهبت من فرحتي الى بيت الليل . وهو حانة صغيرة في شارع غير معروف كنت اتردد عليها دائماً فوجدت جماعة من الزملاء والاصدقاء سكارى قد غرقت نفوسهم في بحر من الخمر يشربون لفائف التبغ التي تحترق بين اناملهم رويداً كما تحترق اجسامهم المخمورة رويداً كذلك . وقد تصاعد دخانها فكون غمامة سوداء معتمة فوق رؤوسهم وكلما تبددت او عربدت بها نسمة عابرة ، عاد الدخان المحترق وتصاعد اليها وكونها من جديد كأنها دنياهم السوداء جاثمة على صدورهم ، فمكثت معهم حيناً من فرحتي اضحك وامرح على غير العادة دون ان اشاركهم في الشراب لان نفسي كما قدمت عافت الخمر وحرمتها تحريماً منذ اللحظة التي عادت فيها آمالي . وكيف اشرب الخمر . ؟ انني كنت اشربها لانسى اما الآن فاصبح لا يحزنني سوى اللحظات التي انام فيها لان النوم سيحول ولو الى حين بيني وبين هنائي . بيني وبين فرحتي بيني وبين فني العزيز الذي رجعت اليه وكأنني من الشوق اكاد التهمه التهاماً . انني منذ ان ماتت آمال لم تعمل يدي في صورة واحدة رائعة . سوى صورة الدجاجة البيضاء التي ذبحت وذهبت ايضاً . وكنت اعيش من صوري القديمة اما الآن وقد رجعت الى دنياي. رجعت الى سعادتي اريد ان ارسم كل شيء . . واصور حتى سعادتي وهنائي . . ترى لو ترسم الفرحة . ؟ ترى لو تصور السعادة ؟ اذن لكنت اول من صور النشوة وهي تتساقط من السماء وتنسكب هناءة على قلبي . ولهذا فرحت جداً عندما كنت اقطع الطريق في الليل الى غرفتي وكان مقفراً والمطر ينهمر والريح تدوي فرأيت شبحاً يترنح في الطريق ويتمايل مع ظلام المصابيح المرتعشة التي تعصف بها الريح ويلطمها المطر المتهافت على الارض ، فاقتربت منه واذا به « كوثر » ولكم كانت فرحتي وانا اهتف بها . اين انت ؟ . فلم ترد على انها فتحت عينيها ونظرت الي . ثم تبعتني دون ان تقول شيئاً لانها لم تقل شيئاً لاحد ولم ترد نظرة لانسان منذ ان اعوزتها اللقمة فقدمت جسدها الجميل لطلبة مدرسة الفنون يرسمونه ويصورون اوضاع الفتنة فيه. وكانت مقرورة ترتعش وكانت ايضاً جائعة فلما بلغنا الغرفة اعطيتها رغيفاً وزجاجة النبيذ التي ظلت بعد ان عافتها نفسي ثم قمت الى اطار قديم كان عندي وحطمته واشعلته لها ولما شعر جسدها المرهق بالدفء استلقت في استرخاء ونامت نوماً عميقاً . وكم شاقني منظرها في الصباح وكانت لا تزال نائمة عندما تسللت اليها الشمس من فرجة النافذة وعانقت جسدها بلثم ملائكي وكأنها تكفكف اوجاعه . وفي الصباح اقبلت آمال هانم فاحسست بقلبي العاشق يسبقني لاستقبالها . وكم سرني انها

حيني في حرارة وصافحتني في شوق كأننا متعارفان من زمن بعيد. ومكثت حيناً بجواري بجانب السور تستمتع بدفء الشمس العارية في الافق وتتحدث الي واناصامت لا انبس ببنت شفه ، فقد كنت اخشى ان تحدثت ان احرم اذني من اللحن الملائكي الذي ينسكب فيها انغاماً . ومكثنا كذلك الى ان خرجت علينا كوثر من الغرفة واقبلت علينا ذليلة صامتة كالكلب الاليف.. ولما لم نعرها التفاتا انصرفت صامتة ايضاً . بعد ان افهمتها بان تجيء ثانية وبعد ان انصرفت سألتني عنها ولما قلت لها من هي تورد وجهها خجلاً واندهشت كيف تقف امرأة عارية امام رجل ليرسمها . ثم جاءت فاطمة وانتقلنا ثلاثتنا الى الغرفة واستأنفت آمال امامي جلستها الثانية ووقفت انا امامها ارسم دنياي واصور حياتي خطوطاً والوانا.

وتكررت هذه الجلسات التي كانت تبلغ الساعات احياناً . ومكثت اياماً لا اغادر غرفتي ولا اهبط الى الطريق وكانت حاجياتي تقضى بسهولة . مرة تقضيها فاطمة التي كانت تتكرم علي بقضائها . ومرة كوثر التي اتخذت من غرفتي مأوى لها كلما لفظها باب او احوجتها اللقمة . ومكثت كذلك الى ان انتهت الصورة وان انسى ما حييت الليلة التي اقمتها فيها . والتي احتفلنا فيها ثلاثتنا انا و امال هانم وفاطمة بهذا العمل الخالد الذي طربت له آمال وفرحت به وازالت بسببه الكلفة بيني وبينها في تلك الليلة، فقربتني منها واولتني الكثير من عطفها واغدقت علي ما تملك من حنان وعطف : ثم تركتني بعد ان ودعتني ضاحكة وضغطت على يدي مبتسمة . وظلت فاطمة قليلاً تحدثني عن سيدتها وكيف انها تعيش في سماء اخرى لا تهبط ابداً الى دنيا الناس ولا تسمح ابداً لانسان ان يراها او يحادثها . بله ان يجلس اليها ويوسمها . ثم ضاحكتني هي الاخرى طويلاً وعابثتني على غير العادة وانصرفت ومكثت انا وحدي مع الصورة المقدسة اتأملها على ضوء المصباح الخافت بعين فنان . فراعني منها فني الذي تقدم واخذتني افكاري التي صمت . وبهرني الطهر الذي كان يتألق في كل خط من خطوطها وينسكب نوراً على كل زاوية من زواياها ولاسيما الذي انسكب من العينين على الجسد فاحاله الى اشراق ونور جديد لم تره عيني منذ سنوات . لذلك مددت يدي ودون ان ادري كتبت عليها باحرف بيضاء ناصعة الاسم الذي اختاره لها قلبي « النور العائد » ومكثت كذلك اتأملها الى ان نضب زيت المصباح فانطفأ فأخذت الصورة وغادرت الغرفة ورحت احلق بها في السماء واجوب بها على جناحي طائر ابيض جميل يسمونه السعادة. حتى غلبني النوم فاستلقيت بجوارها على السرير انام لأستيقظ واستيقظ لأنام . بيد انني وقبل ان استغرق في النوم احسست باب الغرفة يفتح على مهل وتذلف منه في الظلام الدامس كوثر صامتة كعادتها . ولا ادري كيف جاءت ولا من اين اقبلت مع اني كنت لم ارها منذ ايام. وانما الذي ادريه انها اقبلت على غير عادتها خفيفة رشيقة تفوح منها في الليل رائحة عطر جميل اخاذ عبق في ارجاء الغرفة . ثم اقبلت صامتة واستلقت بجواري على السرير بعد ان نضت عنها ثيابها . وعلى غير عادتها ايضاً لاذت بصدري خائفة مضطربة حتى اطارت النوم من عيني .ومكثت كذلك الى وقت متأخر من الليل ثم ارتدت ثيابها لاهثة وهمت بان تنصرف فسألتها الى اين فلم تجب فدست في يدها خمسة قروش وتصادف انها كانت كل ما املك لتعود الي في الصباح برغيفين وقطعة من الجبن فاخذتها وانصرفت صامتة كما اقبلت صامتة يشيعها الظلام الذي ظل ينتظرها حتى توارت وما ان خرجت حتى رحت اسبح في نوم عميق .

وفي الصباح لم تعد كوثر كما قلت لها . وشعرت بانني جائع وانني في حاجة اليها او بمعنى آخر في حاجة الى الخمسة القروش لاشتري بها شيئاً اتبلغ به ، فهبطت الى الطريق ورحت ابحث عنها في كل مكان ، ولما لم اجدها ذهبت الى بيت الليل لعلني اجدها هناك ، فوجدت جماعة من الزملاء يتجرعون الخمر . ولما سألت عن كوثر لم يجبني احد، بيد ان واحداً قال وهو يهيء وجهه للامتعاض والتأفف ليحتسي كأساً من الكونياك الرخيص .

— كوثر في السجن من ثلاثة ايام يا استاذ .

فلم اصدق طبعاً وقلت على الفور .

— انها كانت معي ليلة البارحة .

فقال وهو يهيء وجهه مرة ثانية لكأس اخرى

— يجوز صورتها . اما هي فيسأل عنها الاستاذ فتوح الذي قدم اليوم معارضة في امر حبسها ورفضت .

وقبل ان يتم سمعت صوتاً ينبعث من بعيد ورأيت حوذيا مسنا يجلس بعيداً يلف لفافة من علبة صدئة دفنها امامه بين الكأس وزجاجة النبيذ وحفنة من الترمس .

— يقولون انها سرقت« بطانية » من رجل كانت تبيت عنده.

وخرجت مذهولا افكر ، فشيعتني امرأة من نساء الحانة بكأس شربتها ، وببقايا لفافة اشعلتها وضحكة جوفاء ماتت على

— البقية في صفحة ٦٧ —

الى صورة

اذهبي واعبري الصحارى اليه
فاذا ما احتواك بين يديه
ولمحت الاشواق في مقلتيه
مائجـات اشعة وظلالا
مفعمات ضراعة وابتهـالا
فـاحذري ، لا تعبري ، لا تبوحي
لا تبيني تأثراً وانفعالا
واكتمي عنه ما يزلزل روحي
منـه ، واطوي هواي من عينيه

***

هو لي فتنـة .. ولكن دعيه
مستفزاً .. يشك في حبيه
ليس يدري بما يؤج بصدري
من حريق مدمر مستطير
وامثلي أنتِ صورة بكماء ..
وجهها خـامد بلا تعبير
ميت القلب والهوى والشعور ...

***

فاذا الليل سف منه الجناح
ومضت في انسراحها الارواح
تتلاقى على مهاد الاثير
عبر آفاق عالم مسحور
عالم الحلم ، مسبح اللاشعور
فاسبقي انت كل حلم اليه ..
واستقري هنـاك .. في عينيه

•

لا تتكلم . التفسير يقلل طرافة الموضوع
فيكتور هيجو

●

للانسة فدوى طوقان

نابلس



عانقي روحه ، ورفي عليه
انشدیه شعري وغني لحوني
في هواه ،
بثيه كل شجوني
صوري لهفـتي له وحنيني
حدثيه عن صبوتي ، عن جنوني
حدثيه حتى يلوح الصباح
فـاذا قبل السنى جفنيه
وصحا ، لم يجد هناك لديه
غير « لا شيء » ماثلاً في يديه !
وارجعـي انت صورة بكماء
وجهها خامد بلا تعبير
ميت القلب والهوى والشعور

***

هكذا ، وليظل حبي سراً
غامضاً ،
ان للغموض لسحراً
آسراً يجذب النفوس اليه
حيث تبقى مشدودة في يديه
ليس تقوى على الفكاك ،
فكوني
انت مثلي « لديه » عمقاً وغورا ..
هكذا ، وليظل ذهب الظنون
تائهاً بين شكه واليقين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفينيقيون في بحثهم عن المعادن

بقلم الدكتور محمد بجي الهاشمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الشعوب* الساكنة فوق البحر المتوسط الابيض التي لعبت الدور المهم في العهد القديم كان الفينيقيون ذلك الشعب الذي اوجد الابجدية ، وعلمها العالم. ومن دواعي فخرهم ان الهلينيين كانوا يسمون الحروف بالاشارات الفينيقية ، ومنهم انتقلت الى الامم المتمدنة . وقد قاموا بدور الوسطاء ، فعن طريق التجارة نقلوا المكاييل والموازين البابلية، وعلموا العالم المبادلة بالنقود، ولم يكن دورهم يقتصر على التوسط فحسب ، بل انهم وسعوا دائرة المعارف البشرية بصورة مبتكرة ومستقلة ايضاً ، فهم الذين رقوا الصناعات في بلادهم ، ولعل حاجتهم اليها لضيق اراضيهم وقلة خصبها وعجزها عن تأمين معاش سكانها ، مما اضطرهم للوصول بالصناعات الى اوج ازدهارها في وطنهم وركوب اهوال البحار سعياً وراء الرزق ، ومثلهم في ذلك مثل بريطانيا في العصر الحاضر ، فقد قاموا بصنع الزجاج الشفاف والملون وصبغ الاقمشة باللون الفرفري الاحمر المرغوب في العالم القديم وساهموا ايضاً في رقي الرياضيات والخبرة العملية ، وقد قال عنهم ستر ابو المؤرخ اليوناني القديم: « ان الفينيقيين من الشعوب المجدة النشيطة والمغامرة ، بحثوا في النجوم لهداية سفنهم في ظلمات البحار، وكذلك كان لهم باع طويل في الحساب تسهيلاً لمعاملتهم التجارية في العالم ».

يعزى تشكيلهم للمستعمرات عدا عن الغرض التجاري ، قياس الارض ، وهكذا انتشروا في اطراف الدنيا القديمة في جزر الارخبيل في مواطن القصائد الهوميرية ، وفي جنوبي اسبانيا الغنية بالفلفل والمعادن وفي افريقيا الشمالية في قرطاجنة الخالدة التي ينسب اليها هانيبعل القائد التاريخي العظيم، وفي غيرها من الممالك والامصار وهم اول من عرف استحصال حديد لبنان وبيعه في الاسواق العالمية ، مستخدمين لهذا الغرض خشب الارز . وقد اشتهر هذا الشعب في البحث عن المعادن والتجارة بها بصورة لا مثيل لها في زمنه . وهم اول من عرف القصدير ، ويقال انهم جلبوه من انكلترة ، ولكن لا يزال هناك غموض في قصة هذا المعدن ، فمن المؤرخين من يعزو فضل العثور اولا للجزر البريطانية ، ومنهم من يجعل ذلك لصقلية ، ومنهم من ينسبه الى سواحل الكهرباء اعني بحر الشمال او الى اسبانيا او الى غيرها من الممالك والبلدان. ولكل صاحب دعوى حجج وبراهين ، حتى ان بعض البحاثين ليعدون تقارب اللفظ دليلاً على تقارب المصدر ، فاسم القصدير باللغة السنسكريتية « قصطيرة » وهي تشبه الكلمة اليونانية « كاستيروس » كما ان لفظ « تين » نجدها في مختلف اللغات الاوروبية كالدانيماركية والانكليزية والسويدية والايرلاندية ، وتشبهها ولا شك لفظة « شين » الالمانية و « اتين » الافرنسية و « ستانوم » اللاتينية ، ومما يثير اعجابنا ان نرى اسم القصدير في لغات جزر البحر المحيط الهادي، مثل المالايو وجاوا مما يذكرنا باللفظ الغربي ، لانهم يسمونه « يتمه » ، ولا يبعد ان يكون هناك مصدران للقصدير ، احدهما من الغرب وكان يسمى « تين » ، وآخر من الشرق وخاصة الهند وكان يسمى « قصطيرة » . والظاهر ان الفينيقيين عرفوا هذه المعادن وكان يسمون كل بضاعة معدنية باسم موردها ، والغالب على الظن ان سكان الجزر الكائنة في البحر المحيط الهادي اول ما عرفوا القصدير البريطاني على يد التجار الفينيقيين. اما اللفظ العربي القصدير، فيدل على ان الشعوب السامية عرفت مورده الهندي وكذلك الامر في اليونان القدماء. وهكذا فان للتسمية عند الشعوب اهمية في معرفة الاشتقاق وانتشار البضائع، وهي تماثيل تاريخية تنبئنا عما كان في ماضي الاجيال.

ثبت ايضاً ان الفينيقيين جلبوا هذا المعدن الثمين من شبه جزيرة ايبريا. ويحدثنا البحاثة الطبيعي والتاريخي الاسكندر فون هومبولت على تكونه في جزر كناريا بين الصخور الغرانيتية التي لها اهمية جيولوجية والتي تشبه التشكلات المماثلة لها في اسبانيا وفي الجزيرة البريطانية ، وقد عرف الفينيقيون على ما يظهر التوضعات المختلفة لهذا المعدن الثمين واليهم يرجع الفضل في تعريفه للعالم .

ان الفينيقيين هم اول شعب عرفوا كذلك حب الكهرباء، وجاءوا به من بحر البلطيق ونقلوه ايضاً الى اطراف المعمورة وعن طريق تجارته اوسعوا المعلومات واثاروا غريزة حب الاطلاع في التعرف على ما تنتجه الاصقاع المختلفة، ولعبوا في نقل هذه البضاعة الى الاجزاء المختلفة من الارض الدور المشابه الذي لعبوه في القصدير وهم ايضاً — على ما يحدثنا به المؤرخون — عرفوا العالم الجديد لان هناك بعض الادلة المشيرة الى انهم توغلوا في الغرب ووجدوا محطات في

* حديث اذيع من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

الجزر الكائنة بين امريكا واوربا ، حتى يقال انهم وصلوا الدنيا الجديدة نفسها والدليل على ذلك وجود آثار تدل على استخدام تعدين القصدير بالطريقة الشائعة في المستعمرات الفينيقية ،ولكن لا يزال يكتنف هذه القضية بعض الغموض ، فلم يثبت بعد بالادلة القطعية توغلهم في ما وراء البحار ومعرفتهم للقارة الامريكية . ويعتقد البحاثة الاسكندر فون هومبولت المار الذكر انهم وصلوا امريكا عن طريق الشمال عبر الجزيرة الكبيرة غرولاند التي كان لها حظ عظيم في التمتع بالتيار الخليجي الدافىء ،في ذلك الماضي السحيق .

عرف الفينيقيون ايضاً نحاس قبرص وتاجروا به اسوة بالقصدير .

ولم تكن معلوماتهم لتقتصر على الحديد والقصدير والنحاس، بل عرفوا الفضة والذهب ايضاً . ويذكر لنا الكتاب المقدس ، بأنهم كانوا يجلبونه من اوفير، كما كانوا يسمون اوفير ارض الذهب ولكن لم ينته البحث التاريخي من معرفة ماهية اوفير ، ولم يلفظ العلم الكلمة الاخيرة عنها بعد ، فلا يزال العلماء مختلفين في امرها ، ولكل فريق منهم ادلة وبراهين تؤيد دعواه . يحدثنا التاريخ عن بعثة سليمان الى بلاد الذهب « اوفير » وان حيرام ملك صور قدم الى سليمان سفناً فينيقية وبحارة فينيقيين ، خاضوا غمار البحار وعرفوا اهواله ومارسوا شدائده وركبوا مركبه الصعب ويقال ان البعثة السليمانية الحيرامية قد رجعت بكنوز من الذهب والفضة والجواهر والقردة والطواويس ، وكانوا يسمون هذه الاسفار « الاسفار الطرفيسية » نسبة الى نوع من السفن المعدة المغامرات العالمية التي كانت تصنع في صقلية من قبل صناع فينيقيين . اما من يزعم ان اوفير هي الهند بدليل وجود اسماء سنسكريتية مما جاء به الفينيقيون من اوفير . ولعل الشوق الذي حدا بـ « واسغودوغاما » المكتشف البرتغالي الشهير باكتشاف طريق الهند عبر الساحل الافريقي ، ما قرأه عن رحلات اوفير الى بلاد الذهب، كما وصف الجغرافي العربي الادريسي الهند انها بلاد الذهب، حتى ان كريستوف كولومبس عندما اراد اكتشاف طريق جديد للهند من الغرب ووصل الى امريكا وظنها الهند ، اخذ يبحث بواسطة السكان عن الذهب اعتقاداً منه بوفرته فيها . ويقيم بعض المؤرخين الادلة على ان المقصود ساحل الذهب من افريقيا ، وذلك لان الادريسي يسميها « سوفورا » وهي على رأيهم انها محرفة من اوفير ، اما دليلهم الثاني فلأن طريقة استخراج هذا المعدن هناك بلغمة الزئبق الطريقة الشائعة قديماً . واذا صح انهم عرفوا استخراج الذهب بطريقة اللغمة، فيلزم ان يكونوا عرفوا استخراج الزئبق وخواصه وليس ذلك مستبعداً، لانهم عرفوا اسبانيا ، وما تحويه من كنوز معدنية ، البلاد الغنية بخامات هذا المعدن السائل .

ان الذين يعزون اوفير الى الجزيرة العربية فدليلهم على ذلك وجود كميات وافرة من الذهب هناك ، تستخرجها اليوم شركة امريكية . وقد ذكر لنا المرحوم الامير شكيب ارسلان في كتابه الارتسامات اللطاف من حاضر الحاج الى اقصى مطاف وهي الرحلة الحجازية لامير البيان نقلاً عن رسالة المستشرق موريتس في كتابه المعادن في العربية القديمة ، جاء فيها ما ملخصه .

« يظن الناس اجمالا ان جزيرة العرب هي من افقر بلاد الدنيا وحقيقة الحال انها ليست كذلك، بل اذا نظرنا الى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانت ذات ثروة تضرب بها الامثال ، وكانت تلك الثروة آتية من منبعين :(احدهما) كون الجزيرة العربية طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط ، والثاني وفرة المعادن التي كانت فيها ، واخصها الذهب ، فقد كانت هذه المعادن في اواسط الالف قبل المسيح معروفة عند العبرانيين والفينيقيين والاشوريين، وقد ارسل سليمان بن داود بعثة على حسابه الى البحر الاحمر وعادت بغنائم تدهش العقول ». وطبعاً ان ما يقصده بهذه البعثة هي رحلة اوفير التي تكلمنا عنها . ولعل اوفير هي ليست مكاناً معيناً بل هي رقعة غامضة لتضليل العالم في العهد القديم ولعدم تمكينهم معرفة المنبع الحقيقي الذي يستقون منه الثروة الطائلة .

هكذا كان يلعب الفينيقيون القدماء نفس الدور الذي يلعبه اليوم دول اوربا في اكتشاف كنوز العالم والاستفاده منها، وخليق بنا ان نقتبس من روحهم المغامرة في بناء نهضتنا الحاضرة .

حلب — محمد بجي الهاشمي

العـــرب

•

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

سورة وصفية

•

وداد

•

بقلم وديع فلسطين

•

مي

سوريا* ، بل « مي » الاقطار العربية ، ابلغ من تحمل اليوم قلماً وقرطاساً واكثرهن اصالة واشرقهن ديباجة واوفرهن اطلاعاً واقلهن محاكاة وتقليداً . وفيّة للادب وللصحب، والوفاء يقتضيها ان تنصف الادب فتمنحه كل حقه وتنصف الصحب فيقيم على وشائج الروح، وتعطي كلا قدر ما يستأهل . فلا تطفف كيلا ولا تغبن في ميزان . وهي تعرف كيف تسمو على الذات فلا تدع سباق الحياة يبث فيها ضغينة اوموجدة، ولا تأذن للمباراة بين حاملات القلم أن تسلبها رشاد الحكم وسداد الرأي .

فوداد تعرف ان لها غرماء وغريمات ولكن ذلك لا يستبد بها ولا يمنعها من المفاخرة بما حققته كل رائدة من رائدات الادب ، سواء طرقت بابه قحطانياً أواتته من زاوية شكسبيرية، او اطلت على آفاقه من برج ايفل ، فهي تريد لاسرة الادب النسوية ان تتسع وترحب، وان يقبل عليها كثيرات وكثيرات مادمن قد ثقفن انفسهن تثقيفاً ، عالياً ، وما دمن قد انفقن اكثر سني الفتوة والشباب بين اكداس من الكتب والمعاجم .

اذكر « وداد » مصبحاً ، واذكرها ممسياً . اذكرها اذا خلوت الى خزانة كتبي ففيها بضعة من مؤلفات وداد، وفيها بضعة اخرى قلبتها انامل وداد والتهمتها عيناها . اذكرها ذاهباً الى مقر عملي واذكرها آيباً عائداً ، فالسيارة تحج على دارتها غير بعيد من النيل ، وتعرج بين خضرة كانت مزهرة مونقة ، فغدت اليوم عمائر حديثة تناطح السحب . « فالروضة » اليوم لم تعد روضة للزرع والضرع ولم تعد الحقول تتوسط الديار ، بل زحف العمران على ارض النماء ، واختفت الساقية ومعها بهيمتها واصبح الحي غير الذي الفناه . وقطانه غير الذين عرفناهم ، فيا له من بقعة مهجورة على كثرة ما احتشد فيها من سكان ونزلاء ، ويا له من قصر خلا من ربته.

ثلاثة اعوام طوال امضتها وداد في القاهرة ، فلم تعرف خمولا ولا شكت بطالة . فالعقل يعمل ويعمل ، والقلم يكتب ويكتب ، والعينان تطالعان وتطالعان ، والامومة لها مقتضياتها ، والزوجية لها اعباؤها ، والدار لها مطالبها ، والمجتمع له التزاماته . ولكن وداد كانت انموذجاً فريداً في الاخلاص لهذه جميعاً ، فقد اذاع لها الاثيرافانين من احاديثها العذبة، ونشرت لها الصحف والروايات فصولا واقاصيص ان دلت عل شيء فتدل على صدق المشاعر واخلاص في البحث واصالة في الرأي وعصامية في البيان .

وكانت وداد تتلمس سبل منتديات الادب فتقصدها ، وتتبين اين يجتمع رجال الفكر فتغزو قلاعهم بذهنها النير وتفكيرها المنطقي السليم . وما الذاكرة بقادرة ان تنسى تلك الجلسات اللطاف التي كانت وداد تؤثرها ، فجلسة للنقاش الحر العائلي مع الكاتب المفكر سلامه موسى وجلسة في شرفة مطلة علي بساتين مزهرة في دار العالم الاديب فؤاد صروف، وجلسة بين سيدات القاهرة في منتداهم الاثير ، وجلسة في حدائق القبة مع الاديبة المطبوعة فلة فهمي بدوي، وجلسة في المنتدى الشرقي مع اعلام الصحافة والسياسة والفكر وجلسة في الاتحاد العربي مع الشيخ الشاب خليل ثابت بك .

هذه وغيرها محافل ارتادتها وداد فكانت مثالا للسيدة الكاملة والاديبة العالمة والمفكرة المجددة المتجددة والسفيرة التي تعرف ان للسفارة تكاليفها ولها مستلزماتها فلا تتهاون في شيء منها . فما سمعت منها كلمة تنتقص من قدر احد، ولا ذمت ولا هجت احداً . بل لعلها هي التي كانت هدفاً لشيء من هذا لا لمنقصة فيها بل لسقم في نفوس غيرها وعلة تأكل الصدور . وفي كل وسط ارتادته وداد ، لا تزال سيرتها معطرة مضمخة بالطيب ، يذكرها الادباء بالخير ، ويذكرها الشعراء بالمباهاة، ويذكرها طلابها بالزهو والخيلاء . ورحم الله خليل مطران بك فقد كان يعرف لوداد

---

* بمناسبة ظهور كتاب « انصاف المراة » للسيدة وداد سكاكيني .

البـــوابـــون في بـــاريس

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

البوابون في مصر هم اصحاب سطوة وصولة . وهم كذلك في باريس كما يبينه صاحب هذا المقال الذي انقله من كتاب « سحر باريس »

●

قال الكاتب : انصح لك اذا خاطبت البواب ان تتلطف في الخطاب وان تترفق في الجواب . ذلك لانك مقيم في منطقة نفوذه . وهو الرقيب عليك — أردت ام لم ترد — فهو رسول البريد اليك . وهو يستقبل اصحابك وخلانك كما يستقبل دائنيك وعملاءك .

وهو يعرف ساعة ذهابك ، وهو يعرف ساعة ايابك .

وهو يعرف اليوم الذي تلبس فيه بذلتك الجديدة . وهو يعرف ماذا فعلت بالبذلة القديمة .

وانت لا بد تعرف انه لا عمل له (اذا كان في بيت يسكنه قوم كرام) الا الجلوس في تلك الزاوية من البيت ينظر من نافذته الصغيرة ويسجل ما يرى . وكأن تلك النافذة مرآة صغيرة مصقولة تريه كل غاد ورائح .

وهو — لا شخص غيره — الذي يجيب عن كل سؤال يسأله صديق لك او عدو .

وقد يضايقك البواب يوماً او اياماً . ولكن اينما يكون الساكن يدركه البواب . فلا مهرب منه ولا مفر .

واذا فتح لك الباب — وقد كنت عدت في ساعة متأخرة من

قدرها ، وتالله لقد ذكر اسمها امامي غير مرة وهو يعالج سكرات الحياة السابقة على سكرات الموت فقد كان مطران نصيرا من نصراء المرأة الحرة لا المرأة المستعبدة ، وكان يجد في وداد املا مرجى للبلاد العربية جميعاً لانها جمعت الى الموهبة اجتهاداً ، واضافت الى الذكاء المفطور ذكاء اصطنعته بالدرس العميق والبحث الممض والسهر في طلب العلم .

وكان مطران يقول : ان وداد ليس لها بين النساء مثيل ، وهو محق مصيب لان الذي عرفوا « وداد » عرفوا فيها التفرد المتميز والعمق في التفكير والتدبير ، والمجاهرة بالرأي بكلام عفيف وفكاهة مستملحة . ولو ارادت ان تصنع اعداء المرأة لاسعفتها عدتها من اللغة والمنطق والحجة القوية ، ولكنها تؤثر ان ترد عليهم رداً يبدي من الرفق كثيراً ، ولكنه ينطوي على غير قليل من السخرية اللاذعة والحجة الدافعة ، والمنطق الغلاب .

ولو سئلت وداد عما ترجو عما تطلب ، لما قالت ككثير غيرها : اريد ثراء عريضاً او جاهاً واسعاً او مقتنيات من الذهب وكرائم الحجارة . كلا ، فليس لهذه جميعاً هوى عند وداد . وما شغفها الا بالقراءة والكتابة ، تريد ان تقرأ كل ما كتب قديماً وحديثاً ، وتريد ان تسجل كل خاطرة تعن لها لا تسجيلاً فيه العجلة والسرعة ، بل تسجيلاً فيه الاناة والسداد . تريد ان تتهذب اخلاق كل مشتغل بالادب فلا تعود بينهم مزاحمة غير مشروعة ، بل يكون بينهم تعاون مشروع مرغوب فيه . تريد ان تكون المرأة عضواً عاملاً في المجتمع ، ولكن ذلك لا يعني ان تنبذ المرأة صناعة الامومة وتبعة ادارة البيت . تريد ان يختفي « اعداء الكتاب » ليبرز اصدقاؤه . تريد ان تنصف المرأة من المرأة نفسها ومن الرجل كذلك . تريد للمرأة ان تكون متحدثة لبقة تعرف ما يقال وما لا يقال ، ولا تريدها متكلمة اطلق لسانها من عقاله ليهرف ويهذر .

ان وداد نعمة من نعم الله ، ومنحة من منحه ، تهنأ عليها سوريا ، ويغبط عليها آلها الاقربون والناءون . فما اصفى قلبها ، وما اهدأ روحها ، وما اجل خدماتها ، وما ابرع قلمها ، وما اخلص وفاءها . وهي من قبل ومن بعد معجزة لا يجود الزمان بكثيرات مثلها .

القاهرة — وديع فلسطين

ساعات الليل — فظن بنفسك احسن الظنون .

وتقبل هذا منه مكرمة ، عند جيبك العامر أجرها .

والا فليسعد النطق ان لم تسعد الحال .

والبواب يعرف اصحابك بسيماهم وأسمائهم . وهو يعرف ما ينتابك من علل وامراض .

ولو اوتي البواب ذاكرة قوية . واسلوباً في الكتابة على شيء من البراعة . واثارة من علم الحروف والهجاء . اذن لاستطاع ان يؤلف رواية لا يستطيع تحبير فصولها اقدر الكاتبين .

وللبواب عين ينظر بها — في دهاء ومكر — الى كل من جاء يسأل عنك وانت غائب .

وهو يحسب انه قد برىء من كل عيب . وهو لذلك يجلس فوق كرسيه . في تلك الغرفة الصغيرة . وكأنه قاض يجلس فوق منصة القضاء .

وهو يعرف ان اولئك المتفاصحين من كتاب الروايات يقسون عليه في احكامهم ، فينعتونه بالجاسوس .

ولكنه اذا سمع هو هذا اللقب تبسم ضاحكاً . وطفق يعد نقوده ودراهمه . وهو اذ يبعث بنقوده الى غيابة ذلك الكيس الجلدي الضخم يعض على ناجذيه . ويطوح به خياله فيقول في مناجاته : ومن يدري فلعلي اصبح ذات يوم صاحب العمارة . ولعلي سائر يوماً في ركاب ابنتي . وهي تخطر في ثوب الزفاف وهي تمشي في غاب « بولونا » وقد مهرتها مهراً يسيل له اللعاب .

وأنت اذا غضضت الطرف عن فضول البواب وتجسسه . جاز لك ان تحسبه رجلاً من الفضلاء . فهو دائماً جاثم في مكانه الذي اعد له . وهو رجل مهذب . وهو دائماً يؤدي الامانات الى اهلها .

وهو اذا امعن في ملذاته وأبعد كان اقصى مطارحه حانوت خمار النبيذ . وليس يرى هناك الا في صحبة جار من جيرانه .

واذا اعتدل الهواء جلس هو وامرأته وصاحبة لها في مدخل الدار يرقب الغادين والرائحين .

وهواذا جاء الشتاء اقفل عليه بابه . وجلس وامرأته وصاحبتها (وهذه تكون — في الاغلب الاعم — طاهية او خادمة من جاراتها) وتظل المرأتان تغزلان غزلها ، وتلوكان احاديث الفضائح .

والبواب يقرأ صحيفة ويعلن المهم من اخبارها .

وهو فيلسوف ، لا تحركه العوادي والنائبات . فهو قد ذاق حلو العيش ومره . وهو قد مرت امام عينيه مئات من مواكب العرائس . يزفهن اهلهن الى بعولتهن او الى قبورهن .

وهو قد شاهد من خلال نافذته رجالا يتخاصمون ويتعاركون ، واناساً يصعدون الى اعلى قمم المجد والغنى والثراء . واناساً يؤخذ بنواصيهم الى حبال المشنقة . واناساً يهوي بهم القدر الى درك الذل والفقر .

وهو قد سمع قصص المحبين . وابناء الغيارى واليائسين . اما ما يطلبه البواب من التحف والالطاف فليس بالشيء الكثير فاذا جئت لمدفأتك في الشتاء بحطب الحريق . فامنحه اضخم قطعة من ذلك الحطب .

واذا عدت في الليل متأخراً فلاتنس ان تمد يدك اليه بالحلوان . واعلم انك لست بقادر على ان تمنعه من ان يدس انفه في كل شأن من شئونك . كما انك لست بقادر على ان تحول بينه وبين صداقته لطاهية بيتك .

وهو عن هذا الطريق — طريق الطاهية — يعرف متى يهبط ثمن الخوخ هبوطاً يستريح له جيبك .

وهو يعرف اسباب عراكك مع الحذاء . لخلاف على أجر اصلاح الحذاء . وهو يعرف انك لا تشرب الا اردأ انواع الخمر وارخصها ثمناً

وهو يعرف ان الواحدة من الدجاج اليوم قد ارتفع سعرها في السوق فأبت زوجتك ان تشتريها وقد انبأته الطاهية بهذا النبأ بهزة من رأسها .

وهو يعرف ان ساكناً من السكان ليس في العير ولا في النفير ذلك لانه رأى رجلاً رث الثياب قد زاره . ثم خرجا معاً ممسكاً كلاهما بذراع صاحبه . وكلاهما يخاطب صاحبه بضمير المفرد . وهو يعرف ان مالك البيت قد جاء ثلاث مرات يطلب كراء بيته .

وقد اتفق رأي العارفين جميعاً على ان من الخير للساكن ان يكون على أتم وفاق مع ذلك الرجل الذي يحرس باب بيته . ذلك الرجل الذي يعرف الكثير من اسراره . فلا اقل من ان يخصه هو واصحابه بالحديث في اصيل كل يوم احد .

والساكن قد يحس باثر طغيان البواب وتمرده في كل ساعة من ساعات الليل والنهار . ولكن لا مهرب من هذا الطغيان ولا مفر من هذا التمرد .

واذا اريد تغيير هذا الحال وجب ان تبنى « باريس » مرة اخرى .

والبواب يمكن ان يحاكم اذا خان الامانة . ولاي ساكن من السكان ان يضطر المالك الى طرد بوابه اذا اساء الادب .

ولكن ما دامت سيئات البواب لا تعدو ان تكون الفضول والثرثرة . وتدبير المكائد من بعيد . وشيئاً من الكبر والصلف . فلا مفر للساكن ، ولا معدى له من احتمال هذا الاذى . بل من تدليل جناة هذا الاذى .

وقد قيل : ان بيت الباريسي ليس حصنه ومأمنه . انما هو حصن البواب ومأمنه . .

القاهرة

مبارك ابراهيم

A LA GARÇONNE

فاجأته .. وقد قصت شعرها...

أقطعتِهـا .. ارجوحة الرصد ... وفجعتني بأعزّ مـا عندي ؟
وكسرتِ نولاً كان يكمُرني ... زمن الشتاء ، بمرسل جعدِ
وحرمتـني ضحكات مروحة ... يا طالمـا شهقتْ على زندي
كيف اجترأت على جدار شذا ... فهدمته .. وهدمت لي سعدي
وحصدت شعرك ... وهو زرع يدي ... وعصيتني .. وكفرتِ بالعهد

***

سكتت مظلات العبير .. فلا ... نجداً ضممتُ ولا صبا نجد ..
هذا ستاري البندقيّ .. هوى ... ففجيعتي فيه بلا حد ..
سقفي .. وتابوتي .. ومدفأتي ... وفراشيَ المجدول من ورد
ومظلتي السوداء .. كم حجبت ... عني الشموس وهدهدت وجدي

***

عامان .. اسقيه .. وأطعمه ... وأذرّه .. يا ضيعة الجهد
وألمّ بالشفتين عُتمته ... وأريح فوق سواده خدّي
يا كم عقدت عليه أشرطتي ... وفرشته ليلاً على كبدي
وسبلتُه .. وجدلت مجدله ... وكحلته بمكاحل السهد
حتى اذا اندفعت غدائره ... نهراً من الكافور والرند
عصف المقصّ به .. فمزّقه ... وتكسرت قـارورة الشهد

***

بلهاء .. شاحبةَ الجبين .. ترى ... اطفأتِ ثأرك منه .. فاعتدّي
لا تكشفي العنق الغلام .. فلا ... عاشت جراح اللوز .. من بعدي
حل الشتاء بكل زاوية ... فالثلج عند مفاتق النهد ..

***

لا تقربيني .. انتِ ميتةٌ ... ان السوالفَ مجدُها مجدي ..

استانبول — نزار قباني

من ديوان « انتِ لي » الذي سيصدر قريباً

القيظ

من ايام الرعب

بقلم يوسف الشاروني



محمود شاب مثقف ، وهذه لعنة كافية في هذا العصر . فهو شغوف بان يخلق الصعاب زاعماً انه سيتغلب عليها ، فمثلاً ، عندما صحا صباح هذا اليوم تخيل ان تدخينه للسجائر اصبح عادة سخيفة تسيطر عليه ، وهو يحب ان يكون حراً ، فالحرية عنده لاتكون احياناً الا محاولة الافلات من عادة كتدخين السجائر . ولهذا قرر ان يمتنع عنها منذ اليوم . وهو لا يدري لماذا اختار هذا اليوم بالذات من هذا الفصل من العام . فهو يزعم انه لولا هذا القيظ الملعون الذي غمر النهار كله منذ الفجر ، وجثم على انفاس المدينة ومنازلها الضيقة المزدحمة ، لاستطاع ان ينتصر في معركته التي خلقها ، غير ان شدة الحر سببت له صداعاً شديداً ، واضعفت قليلاً قليلاً من هذه الرغبة في اقامة اي نوع من المقاومة . وهكذا عدل عن محاولته بعد ساعة واحدة من قراره ، ظل في كل دقيقة من دقائقها يذكر انه لن يدخن ، لن يدخن . . حتى تضخمت امامه كل الاشياء ، ورقصت الحروف التي كان يقرؤها ، وسال العرق في خفة على جبهته ، وأمسك بالسيجارة فأشعلها ، ثم ذهب في شبه غيبوبة نشوانة .

لكن هذا لا يحدث للمثقفين فقط ، بل يحدث لكثيرين ممن يتنبهون فجأة ، فيجدون عادة قد سيطرت عليهم ، وبذا يقررون ان يقيموا معركة بينها وبينهم ، وما من سبب الا ان يثبتوا امام انفسهم انهم امام قوى لا يخضعون لها ، وهم يجدون في هذا مرانا لذيذاً لارادتهم ، غير انهم يدركون بعد ساعة واحدة ، او ربما بعد شهور ، انهم خلقوا معركة كي يثبتوا فيها هزيمتهم على انهم يحتفظون على اية حال بذكرى ذلك الصراع ، ويقصونه حين تتقدم بهم السنون ، فهو قد دام ساعة او ثلاثة عشر يوماً او سبعة شهور وهكذا .

وفي الضحى كان الطريق المهجور يتعذب من الظمأ . وفي زاوية من زواياه برز شاب يجفف عرقه وهو يتجه نحو بائع السجائر . وفي المساء كان عليه ان يقابل الهاماً — وهو اسم جميل بلا شك — ويخبرها انه سيخطبها ، غير انه سيعلق خطبتها على شرط عليها ان تنفذه .

وفي المدينة كان الثلج قد نفد ، فكنت لا تستطيع الحصول على شيء مثلج الا بثمن مرتفع ، وكانت اعمدة الترام النحاسية لا يمكن لمسها ، بينما اكتظت الفتيات وهن يمسحن عرقهن ومساحيقهن محشورات بين رجال ثارت غرائزهم ، وفي الطرق كان السائرون يتجمعون كالذباب حول بائعي الغازوزة وعصير الفواكه والقصب يجففون عبقهم ويلهثون كالكلاب .

وانت تراني اذكر قصة محمود كما لو كنت اعاني معه هذا الحر الفظيع ، فربما كنت انا محمود هذا ، وربما تكون انت محمود هذا . . ولعله يكون كلانا . اما امه فكانت قد نسيت ان تغلي اللبن ففسد ، واخته تعاني مغصاً ، بينما وقفت حمارة فجأة وسط الطريق المهجور وافسحت ما بين قدميها الخلفيتين ثم روت قليلاً هذي الارض المعذبة . وراجت اشاعة في المدينة مؤداها ان العالم كله اصبح شراً ، فرأى الله ان يوفر على نفسه عملية نقل الناس الى الجحيم بأن جعل من الارض نفسها جحيما .

على اية حال ، كانت في حياته ثلاث فتيات ، احتللن بؤرة حياته الواحدة بعد الاخرى كعربات قطار . اما على هامش حياته فكان ثمت عدد اكثر قليلاً ، وهو لا يفصل بين الحب والشهوة ، ذلك الفصل الذي شاع بين شباب العصر وفسره علماء النفس بانه تعلق بالام . فكل من كان محمود يحب روحها فهو يحب جسدها كذلك . غير ان هؤلاء اللاتي يضعهن على هامش حياته قد احب منهن اجسادهن دون التعلق بأرواحهن .

ومن الغريب — في رأيه — ان الفتيات الثلاث بخلن عليه بأرواحهن واجسادهن بينما بذلت له الاخريات ما اراد بغير ما مقابل الا اللذة العابرة . وكان هذا ما يدهشه ويحيره في حياته حقاً . اما الثالثة فكانت الهام التي كان عليه ان يفقدها الليلة . وها انت تراني اسبق تسلسل الحوادث لاني اعرف نهايتها . فعندما هبط الليل لم يتغير شيء من حرارة الجو ، بل كان لا يزال خانقاً ملتهباً متلبداً بالغبار ، يبعث على الخمول ولا يبعث على النوم .

وقد اضطر اصحاب الموتى في المدينة ان يعجلوا بدفن احبائهم الموتى في هذا اليوم قبل ان تركمهم رائحتهم النتنة . وعندما جاءت الظهيرة كانت المحال العامة تروي ظمأ زبائنها بماء يكاد يغلي لان المياه الباردة اتى عليها رواد الضحى . ورجال الحريق كانوا على استعداد لتلقي اي نبأ ، بينما ازدحمت الحمامات وارتفعت فيها الاسعار ، واعلن الراديو ان المدينة لم تعان مثل هذا القيظ

منذ اكثر من نصف قرن .

وكان على محمود ان ينتظر حتى المساء . وان يخلصه من ملل الانتظار والحرارة الا التدخين . وكان القيظ فظيعاً حقاً ، فعندما ارسل غلامه الصغير كي يشتري له السجائر ، عاد يزعق ، فقد كان حافي القدمين ، وارض الطريق قد اكتسيت بالجمر . فاضطر ان يخرج بنفسه الى الطريق المهجور ، وهو يحس انه يسير وسط اتون ، وان ثمة دوامات نارية تنبعث من اسفل ومن فوق ومن شمال ومن يمين ومن الوراء ومن الامام ومن هنا وهناك ومن كل مكان . ولكنه واصل سيره بشجاعة حتى وصل الى بائع السجائر .

وكان بائع السجائر شاباً صغيراً ضاعت احدى عينيه في حادث ما — ربما لقصه عليك في قصة اخرى — فوضع عليها زجاجة لنظارة سمراء ربطها الى اذنيه بقطعتين من قماش ، وترك العين الاخرى تتمتع بحريتها . وكانت هذه الطريقة — في رأيه — كفيله بان تخفي عاهته امام الخادمات اللاتي يأتين بقباقيبهن ليشترين منه السجائر لاسيادهن غير ان هذا لم يكن رأيي ، فقد كان من المؤكد ان جميع الذين عبروا عليه لاول وهلة ، يدركون ان خلف هذه الزجاجة السمراء شيئاً مخجلاً لصاحبها .

وكان اسم بائع السجائر ايضاً محمود ، وأنا لا استطيع اذا غير من اسمه لمجرد شك في عقلية القارىء انه لن يستطيع التمييز بينهما بغير الاسم ، على انني اعده بان اساعده بين حين وآخر على هذا التمييز . ومن يدري فقد يكون بطل قصتنا القصيرة هذه — التي ترى انها اوشكت ان تنتصف بغير ان تعرف شيئاً ذا اهمية — هو الاسم نفسه ، وليس هذه الشخصية او تلك ، او لعله ان يكون ذلك القيظ الملعون .

وكان محمود — بائع السجائر — قد رأى محموداً — المثقف — آتياً من زاوية الطريق وعرف انه يقصده . فأبعد الجريدة من امام عينه (السليمة بالطبع) وقد جمع منها محصولا لا بأس به ظل عالقاً منه بذهنه شيئان : النظام الجديد للتجنيد الاجباري في مصر ، والحرب العالمية الثالثة التي يمهد لها الملاعين . وكان — ككل الذين حوله — يهتم بالموقف العام كي يرى اين هو منه ، وقد ربط ربطاً آلياً بين التجنيد والحرب ففزع بعض الشيء ، ولو أنه اطمأن الى انه لن يجند بسبب عينه (الفاسدة بالطبع هذه المرة) .

غير ان محموداً كان يبتسم ، وكان يفكر في نفس ما يفكر فيه محمود ، وكان مثار الابتسامة على شفتيه فكرة فلسفية . ذلك ان التجنيد والحرب سيخلصانه من اشياء كثيرة متعفنة في نفسه ، وسيغيران من حياته الخاملة الرتيبة .

واقترب محمود من دكان محمود ، وظل يسير وسط اللفح واللهيب في الطريق المتعذب ، حتى رأى نفسه مقبلاً نحو نفسه في المرآة التي علقها البائع امام دكانه .

ولقد خدعتك ايها القارىء حين اخبرتك بأنني اعرف نهاية القصة فأوهمك بسبقي عليك ، والواقع اني مثلك تماماً في انتظار الزمن ان يخلق حوادثه . غير أني احس احساساً — لعلك عانيته معي — بان الصلة بين محمود ومحمود ليست صلة تشابه في الاسم فحسب ، ولا هي صلة البيع والشراء التي تمتد الى بضع سنين خلت . لعلها مجرد وجود المرآة !

كان محمود البائع سيعقد خطبته الليلة . والواقع انه كان ينوي الزواج الا انه لم يوفق في العثور على مسكن بأجر مناسب بسبب ازمة المساكن ، وقد رأى ان يدعو محموداً . ولعل الدعوة كانت للاخبار فحسب . قال له :

— ستأتي الليلة يا محمود بك ؟

وكان محمود (بك) مشغولا يتطلع باحثاً عن سيجارته المفضلة فالتفت الى محمود وقال :

— لاحضر كتب الكتاب ؟ (اي حفلة القران) .

— بل مجرد خطبة في الساعة الثامنة من مساء اليوم .

— ولن تعلق خطبتك على شرط معين ؟

— ماذا ؟ آه . . ما اكثر الشروط والاشتراطات يا سيدي في هذه الامور وهي من جانب اهلها اكثر مما هي من جانبي .

— وهل عندك اليوم تبغاً بدلا من اللفائف ؟

— نعم يا سيدي ، بلا شك ، هاك .

فقاطعه محمد .

— ما هذه الحرارة ، لقد قال المذيع اننا لم نعرف حراً مثل هذا منذ حوالي ستين عاماً .

وعبرت عليهما موجة من اللهيب ، ثم غمرت الطريق كله ، واستقرت بعض اللحظة ، ومحمود يعرض على محمود اصناف التبغ .

ولم يكن في امكان محمود ان يلحظ نفسه في المرآة المعلقة وهو يبتعد شيئاً فشيئاً عن نفسه .

وفي مساء ذلك اليوم رئي محمود وهو يدخن غليونه في مشرب مارلي بشارع قصر النيل امام مكتبة كتان .

كان قد تحرج من رفض الدعوة فوعده بالحضور . وكان يدرك انه في مثل هذه الساعة تماماً سيذهب ليفقد فتاته الهام . ولسنا نعرف

ما هو اسم عروس بائعنا محمود ، وليس من المستبعد ان يكون الهام كذلك ولكن لا تتسرع وتظن ان هناك حيلة قصصية تجعل من الهام عروس البائع هي نفس الهام الفتاة الثالثة في حياة محمود شابنا المثقف ، فوجود الهوات بين هذه الفئات تجعل حدوث هذه المصادفات امراً نادر الحدوث . ولماذا نذهب في الاستدلال بينما الواقع يقول انا انه في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كانت هناك فتاتان ، احداهما تزف او تخطب الى محمود في حارة المغربلين رقم ٣ حيث اضيئت الكلوبات فأضافت الى الحر حرارة ، والاخرى تجلس مع محمود وهو يدخن غليونه في مشرب مارلي .

لم يكن محمود واثقاً من نفسه الى هذا الحد الذي به يعلق خطبته لفتاة على شرط تنفذه هي اولا . فهو يدرك انه ليس اسهل من فقده الفتيات ، فلقد فقد من قبل فتاة وفتاة غير انه كان يحس ان حياته اليوم قد وصلت الى مأزق ، وكان هذا هو الذي يقويه ويجعلنا نتوهم انه واثق من نفسه كل الثقة ، بينما هو لا يملك ما يضمن به اي شيء . ثقة اساسها الاستهتار . وهي ان نفذت هذا الشرط ربما نجا من هذا المأزق ، فان لم تنفذه فاما ان يظل يحيا حياته المنحرفة المظلمة الكئيبة ، واما ان يتزوجها فيرتبط بها ارتباطاً سخيفاً من نوع ارتباطه باللفائف والتبغ ، حيث يقيم معركة بينه وبينها من حين لآخر كي يجوب شخصيته ويمتحن ارادته . اذن لم يكن يرى الحرية — مثلما يراها بائع السجائر وامثاله — في الارتباط بعادة يحبها ويألفها . واذن لم يكن بينها ما يمكن ان نسميه بالحب بل هو نوع من العملية الحسابية التي قام بها محمود وحده ورأى ان يشمل فيها الهاماً او يدعها الى الابد .

ولم يكن هناك غيرهما في المكان عدا اصحاب المشرب وخدمه وطلبا شراباً مثلجاً ثم شراباً ساخناً ثم آخر مثلجاً . ونضح العرق من وجهيهما وملابسهما وهما يتحدثان حديثاً فيه الضحكات حيناً وفيه الارهاق اكثر الاحايين . اما سكان المدينة فكانوا قد اكتظوا رجالا ونساء في دور السينما التي تعرض قصصها وضجيج موسيقاها في الهواء الطلق . وعندما ارتفعت درجة الرطوبة بحيث سجل مقياسها خمس عشرة درجة اصبح يخشى ازديادها فيتعرض بذلك خمسمائة على الاقل من سكان المدينة للموت بضربة الشمس . وفي الساعة الثامنة والنصف اذاع المذيع للمرة الثالثة تقرير مصلحة الطبيعيات ، ويقول ان درجة الحرارة تستمر اربعاً وعشرين ساعة ثم في فجر اليوم التالي يعتدل الجو .

ولن اوهم القارىء بانني لا اعرف ما دار بينهما من حديث ، بل انني لادرك الآن مبلغ الرغبة في تعرف كنه هذا الحديث . ولكني اخلص اذا قلت انه حديث ليس من المستبعد ان يبدو تافهاً سخيفاً ، فما اكثر ما يجعل الآخرون سعادتهم تتوقف على شروط تبدو لنا من وجهة نظرنا تافهة سخيفة ، وفي مجرد سردها املال ومضايقة لنا . اليس من الافضل ان تجعله انت اي شرط يمكنه ان ينال من تقديرك بحيث يصبح اهلاً لخلق مأزق اذا لم يتم تنفيذه؟

على اية حال لقد رفضت الهام هذا الشرط ، رغم انها لا تمانع — ان لم تكن ترغب — في الزواج من محمود فقد كان هذا الشرط يحتاج منها الى ان تبذل قليلاً من الجهد ، وهي ترى الا تبذل اكثر مما بذلته في سنواتها العشرين الماضيات . كان يطلب منها ان تكافح بعض الشيء لكي تصبح اكثر نضوجاً وثقافة ، وهو مطلب غامض لا معنى له لديها . وما كان ليطلبه الا مثقف مثل محمود ، فهو يرى انهما بهذا فقط يستطيعان ان يعيشا معاً خيراً مما يعيش سيد مع خادمه . اما الهام فقد شكت فيما اذا كان محمود جاداً في علاقته القصيرة الماضية بها ، وجاداً فيما يطلبه منها الآن . كان كل منهما حراً مستقلاً عن الآخر ، لم يعرفا بعد الحرية التي لا تحيا الا في الضرورة ، عندما يصبح كل منهما ضرورة للآخر .

وخرجا وذراعه ملتصقة بذراعها ، والعرق ينضح كثيراً من جسده واقل قليلاً من جسدها كان يمكنه ان يتزوجها ، وكان يمكنه ان يدعها ، غير ان العقبة التي خلقها من اجل ان يحصل على الهام لم يستطع التغلب عليها .

وهو يمكنه الآن ان يستمر يحيا حياته الممزقة الكئيبة ، وهو يمكنه ان يرتبط بها ارتباطاً اسخف من ارتباطه بلفائف الدخان . وحاول عبثاً ان ينام . كانت غرفته شديدة الحر لا تطاق وكان يمكنه ان يخرج الى الطرقات يذرعها لو انها ليست اقل لهيباً ، فالقيظ يندلع في كل مكان . وعب كل ما في المنزل من مياه باردة حتى سبح في بحر من العرق فاضطر ان يخلع كل ملابسه وينام عرياناً . ومع ذلك فقد ظل ساهراً وهو يذكر انه عد في تلك الليلة مائة نجم فقدها فجأة فبدأ يعد من جديد .

وفي الصباح التالي اخذ الجو يعتدل . فبدأ يغفو قليلاً قليلاً ، بينما فتح محمود دكانه ومضى يرقب العابرين .

القاهرة

يوسف الشاروني

البوليرو

مهداة الى الصديق
الاستاذ عبد الغني العطري

•

للدكتور بديع حقي

•



يا نديمي هَلَكَ اللحنُ ومـاتتْ كلُّ آهْ
هاتِ من روحِك ما يبعثُ في الناي الحيـاه
من نـداء الغـابِ مرَّ النَّسمُ فيه ثم تاه
من حنينِ الدَّوحِ هلَّتْ في أعاليهِ صـلاه
يا نديمي هاتِ من شكوى ووسواس المياه
ومن الرعشةِ في البَوحِ ومن هَمْس الشِفاه
نَغمةٌ عُلويَّة تنقـلُ شوقي للإلٰه

***

طَربَ القيثـارُ وانسـابتْ تهاويل رُؤاه
وهَفَتْ جِنِّيةٌ في الغاب وَلْهى في خُطـاه
تَتَروَّى مطلعَ اللحن وتجفو منتهـاه
تنفضُ النَّغمة حلمـاً وتسابيـحَ وآه

***

وغفا القيثارُ فالتفَّتْ طيوفٌ لتراه :
حالماً في ظِلِّ لحنٍ ، صاحياً حول صداه
تسفح الخفقة والنقلة فجراً في سُراه
وتوافي سرحة الخاطر اطراف مداه
يتعالى ثم ينآد عليـلاً ... وسواه
يقطفُ النشوة والغنجة من طيب جناه

***

وتهاوى . . اي وهمٍ ، في العشيات رواه ؟
وترٌ منـه جريحٌ ، تشرقُ القوسُ دمـاه
فاذا ما ضجَّ في عِطفيه تَوقٌ لهواه
يا نديمي مزِّق الثوب وهب لي منك آه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحياة واللغة

بقلم ابراهيم العريض

☆☆☆

٣ ـ امثلة ندور

وهنا مسألة لا بد من الوقوف عندها قليلاً .

فقد جاء في العمدة لابن رشيق - « قال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع . وما سوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن » .

فالغريب في المسألة أن يلزّ هؤلاء « المثل » مع التشبيه والاستعارة في قرن فاذا سلمنا لهم فيما يقولون فان اول شيء يخطر على البال هو .. ما الذي يجعل المثل « يسير » ؟ بعد ان رأينا فعلاً متى « تروع » الاستعارة . وكيف « يقع » التشبيه » . ثم لماذا اختار هؤلاء هذه الظواهر وحدها لتمييز الشعر الجيد .. وتركوا ماعداها؟

اما السؤال الاخير فالجواب عليه — وان كان هيناً يسيراً — يخرج بنا عن موضوع اللغة وصلتها بالحياة الى صميم الفن نفسه .. ولبحثه غير هذا المقام[1] . وما دمنا قد عرفنا التشبيه والاستعارة فلا اقل من ان نلقي نظرة على المثل ايضاً . حتى نتبين في تأليف الكلام على جميع وجوهه .. وجه الاسناد الذي نحن بصدد بحثه .

المثل

المثل — مهما قيل في تعريفه — لا يتعدى تجربة عامة يشترك فيها كل قبيل . ولولا هذا الاشتراك في التجربة نفسها لتعذر سيرورة المثل على الالسن .. وبطل كونه مثلاً .

وقد قيل ان المثل هو من قولهم «ماثل الشيء مثاله » اي صار مثله .. او من قولهم « مثل بمثل » ان حضر بصورته . وسواء اصح هذا ام ذاك فالمثل هو اشتراك في تجربة عامة يصح التمثل به في ظروف مشابهة وكأنه لسان حالها . فبدون التجربة التالية من قبل التمثل نفسه لا يصح للمثل معنى عملي . والتجربة نفسها تقتضي ظرفها من الزمان والمكان في حياة كل انسان . ولكنها لا تتقيد بحياته لشيوعها في القبيل . فيستحضر كل انسان على اثر تجربته التالية ما اقتضاه مثل هذا الحال من البيان في الماضي .. على لسان سواه . ويتأتى الاشتراك في التجربة نفسها لكونها عامة يولدها المجتمع وتحتمها سنة الحياة . فيطبقه الانسان على الناس وعلى نفسه على السواء . ومن هنا هذه الحيوية في الامثال[2] .

تأمل مثلاً قولهم :

احدى لياليك فهيي هيي لا تنعمي الليلة بالتعريس

او قولهم :

امرتهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

او قولهم :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

فكل هذه الابيات تمثل بها الامام علي[3] في مواقف مختلفة من حياته لاسباب لا يجهلها التاريخ .

وقد ظل للمثل هذا الاعتبار — في جميع اللغات — لانه طاقات تختزن فيها الانسانية تجاربها . ولذلك فان قديمه — في تاريخ آداب كل امة — مفضل على حديثه . فاذا استقل عندنا شعر المتنبي بعد ذلك .. وبالرغم من ذلك — بالعدد الاكبر من الامثال السائرة . فمعناه انه كان اكثر خوضاً لمعترك الحياة وسبرا لاغوارها من سائر الشعراء . والامم لا تحرص حرصها على هذه الامثال الا لما فيها من الطاقات المخزونة التي تزيد افرادها خبرة بالحياة في حدود مجتمعهم . وتوسع بالتجارب حولهم آفاقها .

فالمثل — بدون شك — يخدم غاية مزدوجة هي اجتماعية

---

(١) راجع « ما هو الفن ؟ » (الاديب — ١٩٤٨) .

(٢) راجع « الامثال في الشعر العربي » (العروبة ١٩٣٦) .

(٣) راجع « نهج البلاغة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتاريخية في آن : لانه عامل — بعصاه السحرية — للجمع بين تجربتين، نستعرض فيه الثانية على هدى الاولى . . او بعبارة اوضح نستجلي مجتمعنا في ضوء التاريخ فوقفنا به . . وكأننا نتلمس طريقنا في صرح . . كالزر الكهربائي الذي نضغط عليه ضغطاً يسيراً فينير في لمحة ارجاء ما يبدهنا في سراديبه واروقته من ظلام .

فذلك الذى جعل للمثل « السائر » عند القدماء هذا المقام الرفيع . لان وراء كل مثل قصة . . هي الحياة بصورة مصغرة . واذا كان المحدثون قد تهاونوا في امر الامثال وقلّ اعتبارها عندهم فذاك لانهم — وهم في التيه — اخذوا يتلمسون لكشف معميات الحياة وسبر اغوارها طريقاً وعراً شائكاً غير هذا الطريق الواضح السهل . . بعد ان ضلوا مسالكهم المطروقة في التاريخ . فالشعر اليوم اصبح — بايحاء هؤلاء وتأثيرهم — انطوائياً[٤] . . ينطوي فيه الشاعر على نفسه . لا اجتماعي — كفعله بالامس — يستهدف شئون المجتمع .

ان الروح الاجتماعية — فى المثل بصورة خاصة . . وفي الشعر بوجه عام — هي التي كانت تجعل للامثال هذا الشأن في الماضي . فطالما البستها ثوب الحكمة — التي دأبها تشرف على الحياة من عل[٥] — لتسمو به مثلها (اي الحكمة) الى هذا المستوى من الشعر الرفيع .

وقفة كان يتسنى لهذه الروح التي تشرف على الحياة من عل — وحدها — ان تدير في آفاقها الواسعة احياناً نظرة الطائر . . فتجمع بذلك — في نظرة خاطفة — بين الضدين . فيما يسمونه بالطباق . فما هو هذا الطباق ؟

(د) الطباق

لقد اختلفوا في اصل هذه الكلمة فكان احسنهم تعليلاً الاصمعي اذ قال هو من قولهم « طابق الفرس يطابق » اي وضع الرجل موضع اليد في مشيه . ويظهر انهم اصطلحوا عليها للمقابلة بين معنيين متضادين في نظرة شاملة . كما هو الحال في قول ابن الدمينة .

لئن ساءني ان نلتني بمساءة ... فقد سرني اني خطرت ببالكِ

ففي الطباق معنى الشمول . . كالحكمة[٥] . لانه — مثلها — لا يكتفي في الوصف بالنظرة الاولى . بل يعيدها كرة اخرى وراء الصفة حتى يجمع بين طرفيها . . في اسلوب رائده الايجاز . وسواء أكانت المطابقة بين الذوات كما في قول المتنبي .

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

ام في صفاتها . كما في قوله :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته ... وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ام في احوالها . كما في قوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فان الضد في الفن — كما في الحياة — لا يظهر حسنه الا الضد وصدق صاحب اليتيمة :

ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضد

ولقد كان للمتنبي — وهو الشاعر الحكيم — الحظ الاوفر في المقابلة والطباق لنفاذ نظرته في حقائق الامور . ومن الخير ان تطيل — معي — التأمل في بعض ابيات له . . في تجارب العمر وعبرة الحياة . . لتدرك الى اي مستوى كانت تتطاول روح هذا الشاعر العظيم لتلقي — من عل — نظرتها الشاملة فن غيره قال على رؤوس الاشهاد :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب
نصيبك في حياتك من حبيبٍ ... نصيبك في منامك من خيال
اني لأجبن من فراق احبتي ... وتحس نفسي بالحمام فأشجع
فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
فكثير من السؤال اشتياق ... وكثير من رده تعليل
ضربن الينا بالسياط جهالةً ... فلما تعارفنا ضربن بها عنا
فكان اثبت ما فيهم جسومهم ... يسقطن حولك، والارواح تنهزم
وغاية المفرط في سلمه ... كغاية المفرط في حربه
والغنى في يد اللئيم قبيح ... قدر قبح الكريم في الاملاق
واذا اتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل
في الناس امثلة تدور حياتها ... كمماتها ومماتها كحياتها

وهكذا الى آخره ولعل في هذه الامثلة دليلاً كافياً على ان الطباق يكون في فعلين . . او احياناً حرفين . . كونه في اسمين . ولكن العبرة في كل ذلك هي النظرة النافذة التي تتغلغل وراء ما يبديه العين في شئون الحياة الى حاليها من السلب والايجاب . لا مجرد الموازنة بين الكلمات .

وفي الحق ان الدوافع التي تدفع الملهمين على الطباق هي — في صميمها — الاهتداء الى موضع العبرة في شؤوننا الارضية التي لا تخلو كل احداثها في اظلم ساعاتها من جانبها المضيء . وهل يقدر ان يستخلص هذه العبرة الاذو البصيرة النافذة من ابنائها الذين يبقون على الفطرة . فيتجردون — ساعة التجلي — من نير الاهواء . لئلا يخونهم في تجربتهم التوفيق .

وتأكد ان الطباق قديم قدم الانسانية . ولا شأن له بالبديع ومحسناته كما يعتقد المتأخرون . الا ترى كيف يقول شاعرنا القديم

فان اكُ في شراركم قليلاً ... فاني في خياركم كثير

فيصيب هدفين بسهم واحد .

البحرية — ابراهيم العريض

(٤) راجع الفصل الخاص بالاسلوب الرمزي في « كتاب الاساليب الشعرية »
(٥) راجع « بين الحكمة والفن » (الاديب — يناير ١٩٥٠) .

البرد لا يميت او ادخار الحياة

بقلم محمد عبد الرحمن مرحبا
ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

نأبى الحوادث الا ان تجعل الالمان آباء كل نظرية انقلابية في العلم وواضعي بذورها الاولى. فالعبقرية الالمانية كانت وما تزال عبقرية فذة في التاريخ ليس كمثلها عبقرية. فهي التي انجبت بذور القنبلة الذرية وكذلك بذور القنابل العلمية الاخرى، وما على الانكليز والامريكان واحلافهم الا ان يستغلوا هذه البذور ويتعاهدوها توسعاً واستمراراً. وهذه كلمة اقولها للتاريخ انصافاً للعبقرية التي جحدها عاقون كانوا عيالا عليها.

ففي نهاية الحرب العالمية الثانية استولت القوات الامريكية على جميع محتويات كهف همار الخفي في الجبال التي تقع قرب هلاين بالنمسا. ولقد كان يوجد بين هذه المحتويات الثمينة تقارير علمية سرية على اكبر جانب من الاهمية جاء في عنوان احدها «علاج الصدمة الناشئة من التعرض الطويل للبرد» ولقد اهتم الجيش الامريكي بهذا التقرير الفذ كعادته وبعث به الى هيئة النشر.

وقد كان في جملة الاغراض التي يهدف اليها هذا التقرير غرض عملي يبتغي الوصول الى نتائج حاسمة فيما يتصل بتخير علاج للاشخاص الذين انقذوا من براثن البرد بعدما تعرضوا له زماناً طويلا.

وكانت المعلومات المتعلقة بهذا الصدد ناقصة لا تفي بالغرض، اذ لم يكن معروفاً بعد ما اذا كان تعريض الشخص المستخلص للحرارة مرة ثانية ينبغي ان يكون سريعاً ام بطيئاً، وهل يجب استخدام المنبهات ام لا؟ والخلاصة ان السبب الحقيقي للموت بالبرد كان سراً خافياً.

ولقد تمخض القسم الاول من التجارب المبدئية التي اجريت على الانسان عن حقيقة مهمة على جانب كبير من الخطورة، لانها جاءت على نقيض ما كان متوقعاً من قبل حيث كان يظن ان اعادة الجسم للحرارة اعادة فيها تدرج وحذر تأتي بخير النتائج. ولكن التقرير يؤكد ان معالجة الجسم بالحرارة دفعة واحدة سريعة، وذلك بتغطيسه في حمام تبلغ درجة حرارته ١٤٠ فهرنهيت، تقدم فرصة كبيرة للشفاء وتتيح احسن الامل في رجوع الحياة

ان هذه النتائج كانت ثمينة للغاية، ولكن لم يكن فيها عنصر يثير النفوس.

فما كان يثير النفوس حقاً هو ان بعض الضحايا الذين خيل للناس انهم قد اصبحوا في عداد الاموات لم يموتوا فعلا: صحيح ان ضربات القلب والنبض والتنفس جميعها قد توقفت فيهم! وكذلك قد هبطت حرارة اجسامهم الى ما تحت العشرين درجة. فطبقاً للقواعد المتبعة كان على الاطباء ان يعتبروهم امواتاً. ولكن لا، اذ يمكن غالباً ان تنفخ الحياة فيهم من جديد! فبحرارة جديدة دفعة واحدة تستأنف وظائف الحياة من جديد وتعود المياه الى مجاريها! فالموت الذي بلغه هؤلاء كان موتاً في الظاهر فحسب!!

ترى هل من المحتمل ان تكون هنالك منطقة مجهولة بين الحياة والموت؟ هل من وسيلة لاحداث موت ظاهري بمحض الارادة؟ لعل النوع الانساني يستطيع يوماً ما في المستقبل البعيد ان يعطل الحياة فترة من الوقت لادخارها الى فترة اخرى؟

اننا نلقي بهذه الاسئلة القاء، فهي تواجهك حيثما كنت وانت تدرس التقرير الالماني الخطير الذي بين يديك. ولكن لن تنتظر طويلا فمعظم الاجوبة تأتي من ذاتها.

وان ما جعل التجارب الالمانية تجارب انقلابية بالغة الاهمية انما هو الدليل الجديد الذي قدمته على ان الفرق بين ذوات الدم البارد وذوات الدم الحار ليس امراً جوهرياً بالدرجة التي تظن.

ان مقاومة ذوات الدم البارد وبذور النبات والكائنات الحية الجرثومية والفروسات ضد الحرارة الواطئة جداً قد عرفت منذ زمان

طويل . فالبكتيريا تعيش في الصقيع سنوات ثم تعود الى الحياة من جديد ، حتى ولو تعاقب عليها ذلك عشرين او ثلاثين مرة.

ولقد اصابت الوسائل العلمية اليوم نجاحاً كبيراً في حفظ حياة الكائنات الحية الجرثومية الى ما شاء الله بواسطة الحرارة الوطيئة ومما له مغزاه ايضاً ان الحرارة المنخفضة جداً اسلم للكائن الحي بكثير من درجة حرارة الصقيع : فالمستنبتات البكتيرية التي يمكن ان تموت سراعاً في درجة صفر فهرنهيت يمكن ان تظل حية سنوات عدة في درجة مئة فهرنهيت تحت الصفر او اقل من ذلك. وهناك واحدة من هذه المستنبتات بلغت درجة حرارتها ٤٢٠ ف. تحت الصفر اي قريباً من الصفر المطلق ، ومع ذلك فقد كانت النتائج عظيمة للغاية . واذن فالبرد لا يميت.

ومما يثير النفوس ايضاً تلك التجارب التي اجريت على صناعة الغذاء المثلوج فأتت بنتائج مماثلة للتجارب على الاحياء. فالطرائق القديمة المستعملة في الحفظ بالثلج دون درجة الصقيع قليلاً لم تكن لتجدي جدوى كبيرة. ولم تأخذ صناعة الطعام المصقع في التقدم الا بعد ما اكتشف مستر بردسي ميزات التصقيع السريع دفعة واحدة بواسطة الحرارة المنخفضة جداً .

فليت شعري ما هو السبب في ذلك الفرق بين برد وآخر ؟ لماذا نجد ان الحرارة المنخفضة جداً اسلم كثيراً للكائن الحي ؟ ان احداً لم يعرف ذلك على وجه التأكيد عندما بدأت التجارب.

كثيرة هي النظريات التي قيلت في تفسير ذلك ولكن لم تجرب واحدة منها . فها هي ذي نظرية « البلورة الكبيرة » لا يزال لها ابطالها : ففي التصقيع البطيء تتكون باورات كبيرة، بينما في التصقيع السريع حتى درجة الحرارة الوطئة تتكون باورات صغيرة جداً . ولعل هذا يفسر الضرر الفادح الذي يلحق بالخلية الحية سواء كان كبيراً ام صغيراً .

ولكن كيف السبيل لنا الى تفسير هذه الظاهرة : وهي ان الجسم اذا نقل بسرعة الى حرارة معتدلة بعد تصقيعه في درجة حرارة منخفضة فان الكائنات الحية تموت ايضاً .

ان الاذى الذي يلحق بالخلية الحية يجب ان تكون له اسباب اخرى غير الاذى الميكانيكي الناتج عن التكون البلوري . فما هي هذه الاسباب يا ترى ؟ لم يعلم ذلك من احد .

ذلك كان الموقف عندما بدأ العلماء الالمان سلسلة تجاربهم على البرد . وكما قام في الاذهان هذا السؤال العملي : كيف نعامل الاشخاص المصقعين ؟ فكذلك قام سؤال نظري آخر : لماذا يكون التصقيع السريع للخلايا الحية حتى درجة الحرارة الواطئة اقل ضرراً بكثير من خفض الحرارة المتدرج ؟

ولكن وراء هذا السؤال الاخير قام سؤال اخر يتعلق بسر من اكبر اسرار الطبيعة الا وهو : اذا كان البرد نفسه لا يميت ذوات الدم البارد فلم تموت ذوات الدم الحار من البرد بصرف النظر عن الطريقة المستخدمة في خفض الحرارة ؟

بل يمكن صوغ هذين السؤالين في سؤال واحد ! اذا كان البرد لا يميت فماذا عسى ان يكون اذن السبب في الموت الناشىء من التعريض للبرد ؟

لقد كان يبدو للعلماء الالمان ان جميع النظريات السابقة تعاني من ضعف اساسي واحد ، فهي لم تلاحظ ان الحرارة التي ازيلت من حيوان ذي دم حار بطريق التبريد تشتق من مصدرين يختلف احدهما عن الآخر اختلافاً تاماً : (١) من رصيد الحرارة المدخرة في الجسم (٢) وكذلك من الحرارة الاضافية التي ينتجها الجسم بنشاط زائد في حمأة التبريد .

لقد خيل للعلماء الالمان بادىء ذي بدء ان الآلية الضابطة المسؤولة عن حفظ حرارة ذوات الدم الحار عند درجة ٩٨ ف لها الشأن الاكبر في الموت من البرد . فلقد استهلوا عملهم بافتراض انه يجب البحث عن السبب في هذا الموت ابتداء من تلك النقطة التي تتميز بها ذوات الدم الحار من ذوات الدم البارد .

والميزة الاولى انما هي ان الحيوان ذا الدم البارد يكيف حرارة دمه للبيئة بدلا من ان يعمل على حفظها على درجة ثابتة .

لكن الامر اعمق من ذلك كثيراً : ففي ذوات الدم البارد نجد ان المادة في الدم التي تسلك كحامل للاكسجين تكون فعالة في درجة من الحرارة اقل كثيراً منها في ذوات الدم الحار : فدم

صدر حديثاً :

الشعر العربي

في بلاطات الملوك

لنسيم نصر

منشورات دار مجلة الاديب

اطلبه من جميع المكتبات

الضفدعة في درجة ستين فهرنهيت لا يزال فعالا بمقدار ٥٠ ٪. كحامل للاكسجين ، واما دم الانسان فانه اذا برد الى نفس هذا المستوى من الحرارة فانه يفقد تماماً القدرة على اقتناص الاكسجين او اطلاقه .

فهذه الخصوصية لدم ذوات الدم الحار هي التي تفسر بالدرجة الاولى تلك الاضطرابات الناشئة عن التعرض للبرد . ولكن المهم اكثر من هذا انما هو الحاح الجسم بطلب الاكسجين الحاحاً مدمراً بسبب الآلية الضابطة التي تجاهد عبثاً لحفظ حرارة ذوات الدم الحار عند درجة ٩٨ ف. وعواقب هذه الزيادة وخيمة للغاية. فالحيوان ذو الدم الحار يموت في البرد لا لشيء الا لنقص الاكسجين وان الاعراض التي ظهرت على خنازير غينا التي اجريت عليها تجارب البرد في راشواشفتس شابهت بشكل غريب تلك الاعراض الناشئة من مرض التصعيد في الجبال الذي لا ينشأ الا من نقص الاكسجين .

ويظهر ان الموت من البرد لايحدث الا من نقص الاكسجين، فما دمت قادراً على الاحتفاظ بحد اوفى من الاكسجين بوسيلة ما – بزيادة الضغط الاكسجيني مثلاً – فلا حرج مطلقاً من البرد . لكن بمجرد ان ينقص الاكسجين عن الحد المطلوب فان الموت يعاجل صاحبه .

وهكذا يمكن ان نقرر واثقين ان موت ذوات الدم الحار من البرد انما هو موت من نقص الاكسجين .

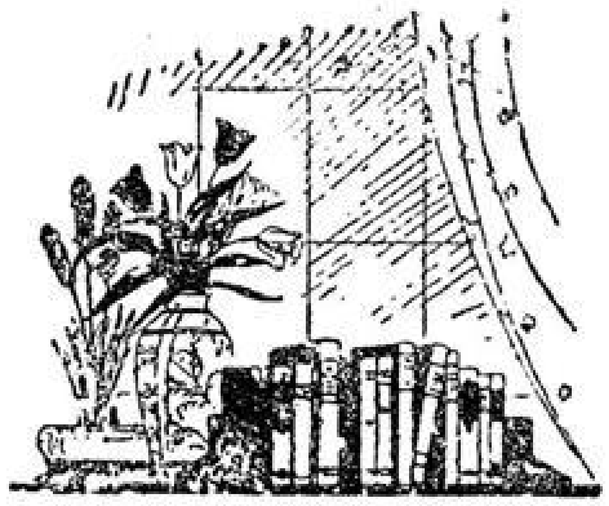
او ليس هنالك من امل يا ترى في ان ذوات الدم الحار تستطيع ان تضاعف تحمل ذوات الدم البارد وتعيش على حرارة واطئة جداً؟

ان الجواب النظري المثير للنفوس الذي ند عنه التقرير الالماني هو : اجل هنالك امل من هذا القبيل .

ان كفاح الحيوان ذي الدم الحار لحفظ حرارته عند درجة ٩٨ ف . له حد يقف عنده . فاذا ما سار التبريد بطيئاً فان ذلك الكفاح اليائس يجلب الموت الزؤام او اما اذا امكن الاحتفاظ به حياً في منطقة الخطر التي تبدأ تحت ٩٨ ف وتنتهي عند درجة الصقيع، فان الحيوان ذا الدم الحار قد يستطيع ما استطاعه الحيوان ذو الدم البارد ويتحقق بقانون حياته !

ان النظرية غير المعقولة « الكل او لا شيء » للحيوان ذي الدم الحار قد مضى عهدها : فاذا ما كانت الحرارة واطئة بدرجة كافية فان الحيوان ذا الدم الحار يكيف نفسه لاحوال البيئة كما يفعل بالضبط الحيوان ذو الدم البارد .

ولقد القت تجارب العلماء الالمان ضوءاً كبيراً على حقيقة معروفة



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ Tél. Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ – ٤٨ Dcle. : 48 - 37

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منذ زمان طويل ، ولكنها غير مفهومة وهي ان التصقيع السريع حتى درجة الحرارة الواطئة هو العامل الحقيقي على انقاذ الحياة . فهذه التجارب قد اظهرت ان القانون القائل ان البرد لا يقتل ينطبق على جميع الاحياء بلا استثناء سواء في ذلك ذوات الدم الحار وذوات الدم البارد .

ان الموت لا يحدث الا اذا ظلت الخلايا الحية في منطقة الخطر الآنفة الذكر مدة طويلة ، واما اذا سار التبريد بسرعة كافية فان اعراض نقص الاكسجين تختفي تماماً : فعملية التمثيل الغذائي للخلية الحية يمكن اغفالها في الحرارة الواطئة ؛ على ان تبلغ درجة ٤٦٠ ف تحت الصفر . ان جميع التفاعلات الكماوية وجميع وظائف الحياة تقف عند هذه الدرجة من الحرارة . بيد أننا قد اخطأنا كثيراً عندما ظننا ان هنالك مقابلاً واحداً للحياة—هو الموت . فان ما اعقب جميع اعراض الحياة التي قد كفت في البرد الشديد انما هو موت في الظاهر فحسب او سكون مؤقت تام لجميع وظائف الحياة . ولكن — وهذا هو الجديد في الامر — هذه الحياة يمكن استئنافها من جديد بمجرد ان تبدأ حركة جزئيات الحيوان : وذلك بامداده بالحرارة والاكسجين

لقد منيت الجهود التي بذلت حتى الآن لزيادة اجل الحياة بالفشل الذريع . فاذا ما امكن للعلماء زيادة متوسط عمر السكان فذلك انما يرجع الى الحملة الظافرة التي شنها العلماء على الامراض المميتة ، فظفرنا اليوم انما هو ظفر احصائي فحسب .

واما اليوم فلقد جاءنا عون جديد لم يكن بالحسبان من الجانب الثالث من الحياة : اننا قد لا نستطيع ابداً ان نضيف سنوات الى نضجنا وعمرنا الواعي ، ولكن يبدو انه سوف يكون في مقدورنا بعد اليوم ان نرجع الى الوراء ، الى حالة من اللاوعي شبيهة بحالة ما قبل الولادة ، واننا نستطيع ان نولد من جديد .

انه ليرتج علينا عندما نفكر في النتائج المحتملة : فالخلود المحدود اوشك ان يكون في حيز الامكان . فلقد يكون في مقدورنا اطالة الحياة بمحض ارادتنا ، وذلك بتصقيع طاقة ابداننا باتخاذ حالة ثالثة يتوقف فيها الزمان البيولوجي ، وما ذلك الا لان عمليات الكائن الحي تتوقف في الحرارة الواطئة جداً وتخبو مؤقتاً شعلة الحياه الى اجل غير مسمى .

لنتصور الآن بعض وجوه الحياة المعلقة على هذا النمو فاذا عسى ان يعني ادخار الحياة بواسطة البرد في مجال تربية الماشية ؟ يجب ان يعفي الزمن على هذه الايام التي يكون على الحيوانات حديثة السن فيها ان تذبح نظراً الى نقص العلف . فاستبقاء الحياة بواسطة البرد سيكون جواباً لهذه المسألة ريثما يقر التوازن بين الماشية والعلف .

وان فكرة التصقيع اذا ما طبقت على الشخص السوي فانها تفتح آفاقاً جديدة يرتعش لها الفكر كما يرتعش لرحلة تضرب في اعماق الفضاء : ومع هذا فان الاتصال باجواز السماء بواسطة الطائرات النفاثة قد دخل في حيز الامكان .

وكذلك ان التصقيع العميق يمكن ان يكون قنطرة لعبور قرون متطاولة من الزمن . ومن الطبيعي الا يكون ذلك ارهاصا بالخلود ، وكذلك ليس هو حياة بعد موت . وانما هو مجرد طريقة علمية فعالة لقهر الزمان كما تم قهر المكان .

فكثيراً ما يتأتى لنا ان ندفن في بطون المعارض او اثناء وضع حجر البناء ، محافظ تحتوي على الكتب والوثائق والعدد والاجهزة التي تمثل حضارتنا القائمة لتخبر الاجيال المستقبلة بعد مضي ٥٠٠ او ١٠٠٠ عام ماذا كانت عليه حضارتنا اليوم . فكيف بنا اذا استطعنا ان نضع كائنات حية في آثار تذكارية من هذا القبيل؟ كيف بنا اذا استطاع كائن انساني ان يرتضي بملء رغبته فقدان وعيه ويتنازل عن عمره الى اجل مسمى بواسطة التصقيع ، كما يرتضي المريض تخدير جسمه ، لانه واثق من انه سيعود الى رشده مرة اخرى ؟ ان المخدر لا يعمل اكثر من بضع ساعات ، واما التصقيع فمن الممكن ان يؤجل عودتنا الى رشدنا سنوات او عشرات السنين بل قروناً عدة فطوبى لمن سينتقل عبر الاجيال ويشهد احوال الحضارة بعد آلاف السنين ؟ هنالك سيكون من شأن الفرد ان يبت في امر مستقبله في الوقت المضروب ، وان يقرر متى سيعود الى العمل والخلق والحب وبكلمة واحدة متى سيعود الى الحياة !

ان قهر الزمان والمكان اللذين قد حدثا في وقت واحد تقريباً يجب ان يكون له مغزى عميق في حياتنا وان يحدث دوياً هائلاً في التفكير البشري اكبر من الثورة الكوبرنيقية ومن نظرية التطور .

لعلنا الآن نعيش في زمن يقع في ختام الفصل الاول من التاريخ الانساني يولد الناس فيه بطريقة تقليدية محافظة ويقنعون فيه بان يعيشوا قرابة ستين او سبعين عاماً ويموتون فيها على الطراز القديم بعد قرار طبيب العائلة .

ان الكثيرين سوف يتطلعون الى صفحات الفصل الثاني بحذر شديد ، والزمان وحده هو الكفيل باعطاء الاجوبة الحاسمة .

اننا لن ننتظر طويلاً . . ومن يعش يره ! . .

القاهرة — محمد عبد الرحمن مرحبا

خطرت مراكبها تحث جيادا وتشف في وطن النجوم وهـادا
وتقول هذا موطن ، فاجيبها لا ارتضي غير « الاولمب » بلادا

***

يا بعلبك قبست منك شرارة فبلغت من دنيا الفنون مرادا
وتركتها وضاءة في خاطري حاشا ضياءك ان يحول رمادا
هذا فؤادي قد عرفت مراسه اسلمته ليد الهوى فانقادا
علمته بوفاك ما معنى الوفا وغنا على عاداته فاعتادا
حتى رآك فصاغ فيك قريضه ، ما زدته كرماً يزدك ودادا

يا بعلبك هنا تدفق خاطري وبوصف مغناك الطروب اجادا
لله عهدك ما احب لشاعر لبس السكوت على نواك حدادا
واليوم عدت الى رباك وفي يدي عبق عن الوادي اليك تهادى
هذا نداؤك في الضلوع احسه أيليق بي ان اخلف الميعادا
اشتاق اظلال « الاولمب » فارتمي بين الهياكل انشد الابعاد
اتلمس التاريخ في جنباتها فاراك فيه مقلة وفؤادا
لله فنان بناك فابدعت للفن كفاه حلى وقلادا
قد يخلق الازميل بين بنانه تحفا ، وينطق في الرسوم جمادا
تتواثب الاحجار ان مسها عجباً ، وتأثر البقا ابرادا
نال الفناء من الدنى وعصيته ما زلت في جنب الفناء قتادا

***

اطلعت للدنيا « الخليل » فكان ما قد كنته سمح الفؤاد جوادا
رجل تفرد بالخلود فصاغ من دنياك دنيا للسماك تمادى
خلق كما شاء الربيع ورفعة ركزت على امجادك الامجادا
غناك حلم العبقرية والهدى واليك القى بالشموس قيادا
غناك اعراس البطولة والعلى وحباك من اتراحه اعيادا

***

يا بعلبك « خليل » هيكلك الذي ملأ الحياة محبة وجهادا
فاذا بذكرك ملء ديوان الصبا كم هز باسمك للعلى اعوادا
لك هيكلان على الزمان تمردا من منهما ابقى الغداة عمادا
اني اراه بشاعر ما ان مضى حتى احالك كوكباً وقادا
ما كان الا النسر هيض جناحه من بعد ما ملأ السما إرعادا
فاذا تناثر ريشه فلطالما نثر الجمان وطوق الاجيادا

***

يا بعلبك كسوت شعري رقة وجعلت لي عرش القريض وسادا
علمتني معني الوفاء فكان لي شرف السباق اذا الوفاء تنادى
لو لاكِ ، لولا شاعرٌ احببته لم انشر الآصال والآبادا

الاولمب

لجوزيف مغلا

زعلة

●

الى خليل مطران



●

الخاتم الالماسي

بقلم ساكر مصباك



لمحة

من البريق الخاطف سلطها على عيني ثم مضى في طريقه مسرعاً وهو يلتفت نحوي في حذر . . ايها الرجل ،لماذا لم تدعني وشأني ؟! وتثاقلت خطاي كأنها تستحثني على الاوبةاليه، ولم لا اعود اليه ، لِم ؟ ! خاتم من الماس . . فرصة العمر . . انها فرصة العمر،متى يذوق اصبع زوجتي طعم الالماس؟! واستدرت على اعقابي اخطو في تمهل وتردد . افلسنا بشراً ؟ افلا يحق لنا ان نحلم بما ينعم به المترفون من زخرف الحياة ؟! وزوجتي ؟ زوجتي ، ما ذنبها ؟ شاء لها سوء الطالع ان تقترن برجل لا يملك من متاع الحياة سوى مرتب ضئيل، ومررت بجانبه : هذا الشعر الكث المتجمع على رأسه الكبير كأنه كوم من الوحل، هذان الحاجبان الكثيفان كأنهما صوف منفوش ، هذه العيون الصغيرة البراقة كعيون القطط، هذه القسمات البارزة الكريهة . . يا الهي ، ليس في وجهه ما يثير العاطفة الودود ! ان قدمي لا تقويان على الوقوف امامه ، وان عيني لتدوران في محجري بسرعة خارقة ، والشارع خال الا من بضعة انفار تلوح على سيمائهم امارات البلادة . ايها الرجل، ماذا تريد ؟ اماذا تريد مني ؟!

وسار الى جانبي مضطرب الخطى، وقلب الخاتم في باطن كفه فخطف بريقه انظاري . احقاً . . احقاً ان في وسعي اهداءه الى زوجتي الحبيبة ؟ ! يا للمصادفات ! غداً سنحتفل بمرور عامين على تكوين شركتنا السعيدة . . اغمضي عينيك يا امينة . . والآن افتحيهما ، لن تصدق في اللحظة الاولى بالطبع انه خاتم من الالماس الثمين . قال الرجل وهو يرمقني بنظرات محترسة ويتلفت حوله في تخوف : ابودك يا سيدي ان تقتني هذا الخاتم ؟ انه من الالماس النادر .

واضاف وهو يبتسم ابتسامة ماكرة : لن تجده غالياً على اية حال .

قلت له وانا اتحامل على نفسي وابتسم ابتسامة الواثق من فراسته : من اين سرقته ؟

اضطرب الرجل وساد الارتباك حركاته ، وغمغم وهو يتلفت حوله في خوف : لا ترفع صوتك يا سيدي ، انني لست لصاً ، اقسم لك بالله انني لست لصاً ، لقد عثرت به في احدى سيارات الاجرة التي اعمل في تنظيفها .

ان لهجة الرجل تفيض بالصدق ، ولعله عثر به في سيارة أجرة حقاً . ولم لا ؟! في ذلك اليوم شاءت احدى السيدات الثريات ان تعرض زينتها على عابري الشارع ، فمنحت سيارتها اجازة ومشت تتهادى في تيه وخيلاء والناس يضربون من حولها نطاقاً . . نطاقاً من نظرات تتوهج اعجاباً بزينتها الرفيعة او حليها الغالية او دبها القطبي الرائع ، اعني فروه الذي تردفه على كتفيها . وطبيعي ان تحس بالالم يدب في قدميها عقب مسافة قصيرة ، فاكتفت بما ربحته من نظرات الاعجاب وما جادت به من نظرات الترفع والكبرياء، ونادت سيارة اجرة لتعيدها الى مغناها . وتراخت على مقعدها الخلفي متعبة كأنها حجت بيت الله الحرام سيراً على الاقدام كما يفعل بعض فقراء الهنود . وطارت ذبابة في جو السيارة واجتذبها بريق الخواتم وحطت على يد السيدة . وبدون ان تفتح عينيها وتلوث انظارها بمشهد الذبابة نفضت يدها في عنف واشمئزاز ، فانفلت احد خواتمها الالماسية واختفى في ركن من قاع السيارة . وسواء اشعرت السيدة بسقوطه ولم تشأ ازعاج نفسها بالبحث عنه ام لم تشعر ، فالذي حدث ان هذا الرجل عثر به حينما استؤجر لتنظيف السيارة ، هذا جائز ، فما الذي يدعوني الى التشكك في زعمه ؟! ومع ذلك . . ومع ذلك فانه سارق بحكم القانون .

قلت في لهجة ثابتة دون ان انظر اليه : يؤسفني ان اصحبك الى مركز البوليس ، فالقانون يعاقب من يحتفظ لنفسه بالاشياء المفقودة التي يعثر بها .

فغمغم الرجل بلهجة فزعة : ارجوك يا سيدي ارجوك . . انا لا اعرف هذه القوانين التي تتحدث عنها أفمن العدل ان تسوقني الى السجن دون اثم اقترفته ؟!

وحومت على شفتي ابتسامة ساخرة . حقاً ، أفمن العدل ان اسوقه الى السجن ؟! اعدل هو ؟! لعل صاحب هذا الخاتم في غير حاجة اليه ، فماذا تهمه عودة الخاتم الى حوزته وهو موفور الثراء؟! بل انه يرى فيه معدناً غير ذي قيمة كبيرة اما هذا الرجل فالخاتم يساوي لديه اكثر من قيمته انه لا يرى فيه معدناً فحسب، وانما يرى



فيه خبزاً وكسوة واطمئناناً، بل شرياناً لحياته، ثوبه هذا، وتفحصت جلبابه الطويل المائل اللون بنظرة سريعة ، لعله ينوي استبدال ثوب جديد به. واذا كان زوجاً لامرأة محبة فلعله يعتزم ان يهديها رداء جميلاً، شأني تماماً وانا آمل ان اهدي هذا الخاتم الى زوجتي الحبيبة ثم تلقيه المقادير في سبيلي، شخص يحترم القانون ليحقق العدالة، واقوده الى السجن كما تقاد الشاة الى الذبح، ويدور في اروقة السجن الضيقة المظلمة الرطبة التي اعدت للانتقام من اعداء العدالة ، ويطارده الحارس بعصاه الغليظة ليلقنه مبادىء العدالة ، ويتضور اطفاله جوعاً في انتظار رحمة السماء ! وهمس الرجل بلهجة ذليلة : الا تعتزم شراءه يا سيدي ؟

فتفرست في وجهه قليلاً ثم قلت بلهجة جامدة : بكم تبيعه ؟

فأجاب ببطء وهو يحدق في وجهي كأنه يحاول ان يستشف تأثير جوابه في نفسي : بخمسة دنانير .

خمسة دنانير . تعني ثلث راتبي الشهري . سيؤدي ذلك الى عجز في ميزانيتي يلازمها طول العام . ولكن هذا الخاتم « يجب » ان اشتريه . انها فرصة العمر ، وظللت افكر صامتاً . ثم لمعت في ذهني خاطرة. وفي اعقابها تغيرت ملامحي واكتسى وجهي بطابع الخبث ، التفت اليه وعلى ثغري ابتسامة ماكرة . ورميته بنظرات متخابثة دون ان انطق حرفاً ، وظلت عيناه معلقتين بشفتي متلهفاً لتلقف الجواب ، وخامرتني لذة غامضة وأنا ارقب لهفته وتحرقه للجواب . انعطفت في شارع عرضي وأنا ارمقه صامتاً ، فانعطف معي وهو غارق في حيرته وقلقه وخوفه . وترامى الى مسامعي صوته الخائر وهو يهمس بلهجة مرتعشة : بكم تشتريه يا سيدي ؟

فأجبته ببطء دون ان احول عنه انظاري : لست ادري . يخيل الي انني سأصحبك الى مركز البوليس فأنت لص اثيم ولا بد ان تستوفي عقابك .

فتجاهل جوابي واستأنف همسه ! هات اربعة دنانير .

ومددت اليه يدي قائلاً : دعني افحصه اولاً .

ناولني الخاتم متردداً . . يا لبريقه الخاطف ! لكأن هذه الالماسة المتألقة احدى النجوم المتوهجة في ليلة صفت سماؤها ! ودسست يدي في جيب بنطلوني وانا ارمق الرجل بنظرات الغالب المنتصر . انه حصل على الخاتم بلا ثمن ، فلماذا ادفع له مقابله ثمناً؟! هو في حاجة الى ثمنه ، وانا في حاجة الى هذا الثمن ايضاً . قلت بلهجة استخفاف : بكم تبيعه ؟

فأجابني في تخاذل : بثلاثة دنانير . . ثلاثة دنانير فقط . الا يلائمك هذا الثمن البخس ؟!

فقلت بلهجة تنبىء بالتحدي وانا انظر اليه في ثبات : ولكنني انوي ان انقدك مقابله شيئاً .

فقطب جبينه وهتف بلهجة مبهورة : حرام عليك يا سيدي . انا رجل مسكين ولا يحق لك ان تسومني هذا الظلم .

فاشتد ضغط اصابعي على الخاتم ، ولبثت اسير متمهلا وانا غارق في جمودي . الظلم . . الظلم . ماذا يهم المجتمع ان زاد عدد الظالمين فرداً آخر؟! وماذا يوسع شخص ضعيف ان يساهم في مقاومة الظلم ؟ ! وغمغم الرجل في لهجة يشوبها الغيظ : حتى م تبقى ساثراً يا سيدي؟ أخشى ان يرتاب الناس في امرنا ونحن نمشي جنباً الى جنب .

فأجبت على الفور دون وعي مني : لا تخش شيئاً . سيحسبك الناس خادماً لي .

خادماً ! عجباً . . ! كيف افلت هذا الجواب من بين شفتي ؟! لم يخطر لي على بال يوماً ما ان استأجر خادماً . وواصل الرجل كلامه في احتجاج : كلا . لست احبذ هذه المغامرة . دعنا نقف امام واجهة هذا المتجر ونتظاهر بالتفرج على معروضاته لتنهي الصفقة .

توقفنا امام واجهة متجر كبير لبيع الاسطوانات الموسيقية ، وطرفت عيناي في معروضاته . على الجهة اليسرى من الواجهة علقت صورة زيتية كبيرة تمثل الموسيقار العظيم شوبان منحنياً على البيانو يعزف في قاعة غاصة بجمهور السامعين . وترامى الي صوت الرجل ذليلاً كأنه آت من بعيد : ارجوك يا سيدي اعد الي الخاتم ان لم تكن ترغب في شرائه . كيف تسوم مسكيناً مثلي هذا الظلم؟!

ورنت كلمة « الظلم » في اذني رنيناً صاخباً ، وتعالى رنينها واستحال الى انغام ثائرة متمردة، وانبعثت الحياة في الصورة الزيتية فتمثل لي شوبان وهو يحرق روحه على معزفه دخاناً في عيون الظالمين هذا الرجل انتصر على الظلم! واشتد صخب الانغام وتعالى ضجيجها . حقير . حقير . حقير . والتفت الى الرجل وهتفت في انفعال : بكم تبيعه ؟

فبادر يقول في لهجة المتسامح : ايناسبك ان تدفع دينارين؟ دينارين فقط ؟!

فقلت بلهجة حاسمة : اسمع ايها الرجل ، لن استطيع شراء الخاتم بما يزيد عن دينار واحد . فان لم يعجبك المبلغ فاني مستعد لرد الخاتم اليك .

فصمت الرجل لحظة ثم همهم بلهجة استسلام : قبلت والعوض على الله .

وفي حذر اللص حين يقدم على سرقة دست الدينار في يده .

وابتعد عني بخطوات خفيفة سريعة. فراغ، لحظة من الفراغ ولا شيء غيره. لم اكن انظر الى شيء معين، ولم اكن افكر في شيء معين، ولم اكن ارغب في عمل شيء معين. فراغ هائل ابتلع وجودي! وجمدت امام واجهة المتجر كجندي البوليس حين يؤدي واجب الحراسة. ثم حركت قدمي بعد دقائق لاسير .. الى اين؟! لست ادري بالضبط، كنت اريد ان اسير، ولكن قدمي لم تطاوعاني على السير. لكأن اطناناً من الحديد شدت اليها! أأنا خائف؟! خائف ..!؟ لماذا؟! لماذا؟! قبل دقائق فقط كانت الطمأنينة تتغلغل في حنايا نفسي. ! افلم يكن الافضل لي ان اسأل الرجل مرافقتي حتى باب الدار؟! واتسعت خطواتي. خطوات واسعة غريبة لم يتصف بها سيري من قبل، ولكنها بطيئة. ليس في وسعي ان اسرع في سيري، لاول مرة في حياتي احس ان جسمي ثقيل الوزن، وان قدمي تنوءان تحت ثقله. ولكن الخاتم.. ماذا دهاه؟! كلما خطوت خطوة ثقل وزنه! وخيل الي انني احمل في جيبي صخرة كبيرة!

وبلغت ميداناً تتقاطع فيه الشوارع فاخترقته دون ان اتقيد بقواعد المرور، كانت هناك شارة حمراء تأمر العابرين بالتوقف ريثما ينقطع سيل السيارات ولكنني لم اعرها اهتماماً. ظللت اسير واسير. ثم توقفت، توقفت في وسط الميدان، اشارة بسيطة من شرطي المرور شلت قدمي. ومضى الشرطي يصلبني بنظراته الحادة، ومضيت اتقهقر واتقهقر، كانت عيناه تضحكان في سخرية مرة وكان النهكم يتراقص على شفتيه. وتسللت يدي الى جيبي وراحت تضغط على الخاتم في عنف وتمنيت لو كان خاتماً سرياً ليتلاشى من بين اصابعي كالدخان، والشرطي يلاحقني بنظراته وقدماي تتراجعان. عجبت كيف تأخر هذه الساعات الطويلة عن القبض علي، كان يلوح عليه انه يتأهب لترك شارة المرور والتقدم نحوي. ولكن سيل السيارات لم ينقطع.. لم ينقطع ابداً، وفي غفلة منه تحولت الى شارع آخر. يا للسماء! كيف غفل عني، كيف؟! حاولت ان اعدو، ان انطلق، ان اهرول، ان اسرع على الاقل، ولكن قدمي ظلتا تتثاقلان في تثاقل. ودار رأسي.. رأسي، أركب على لولب دائر؟! وطفقت اتلفت حولي في حركة هيستيرية، قليل من الشجاعة يا رجل. ماذا جرى الك؟! ماذا جرى لي؟! بضعة سنوات في السجن بتهمة السرقة. وأمينة، كيف ستتلقى النبأ؟! اتزوجت سارقاً يا ربي؟! يا ويلي. كيف اشاركه حياة العار؟! هذه القرقعة الصاخبة. هذه الاقدام الثقيلة التي تضرب ورائي. لا بد انه شرطي المرور. قضي علي، انتهت حياتي!

وسبح جسدي بعرق بارد. والتفت ورائي بدون احساس، كان الشارع خالياً.. خالياً! كيف اتفق هذا؟! كيف اتفق ان يخلو الشارع من السابلة واسمع قرقعة حذاء ثقيل ورائي؟! .. خطوات وهمية. حالة هيستيرية. انا خائف. لم يفكر اي شخص في مطاردتي، انه الخوف، الخوف وحده يطاردني.. يا الهي، كيف اكذب اذني وازعم ان صوت تلك الاقدام وهمي؟! ايصح ان تكون تلك الاصوات وهمية وهي تملأ سمعي؟! انها لتشتد وتقوى انها تقترب مني، بل تدانيني، وبوسعي ان ميز فيها قرقعة حذاء شرطي المرور الضخم.

حاولت ان التفت ورائي فلم استطع، كان صوت الاقدام هذه المرة عالياً واضحاً لا سبيل الى الشك في صحته، والتهب جسدي،

LES CAHIERS DU SUD

10, cours du Vieux Port — Marseille

Directeur-Fondateur : Jean BALLARD

Rédacteur en Chet : Léon-Gabriel GROS

●

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises, demeurent aussi l'une des plus jeunes.

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

◎

Ils publient dans chacun de leurs numéros :

des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiqus étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur **l'Islam et l'Occident.**

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1950 :

France, six numéros dans l'année, frs : 850.
Etranger, « « « « « 1.100

واستحال قلبي الى « موتور » ضخم ، ورأيت الشرطي، رأيته بعينين نبتتا في الجانب الخلفي من رأسي ، رأيته يمد يده الضخمة ويربت على كتفي والابتسامة الساخرة تتلاعب على شفتيه . كان وجهه جامداً ، قاسياً ، فظيعاً ، اشبه بوجوه الابالسة منه بوجوه البشر . ايها الرجل ، لماذا تحطم حياتي ، لماذا ؟! لكأن قلبه آلة معدنية، ماكنة من حديد ! هذه الطائفة من البشر . . لا تعرف الرحمة طريقها الى قلوبهم ، انهم ينفذون القانون . . القانون . افيمكن ان اقنع القانون انني لم اسرق الخاتم ؟! كيف اقنعه ؟! انه كلمات على الورق يحيلها أناس اغبياء بعصيهم « القضائية » الى قيود واصفاد، كلمات خرساء لو كان بامكانها ان تنطق لوقفت مع الانسان وقدرت ظروفه . ولكن اولئك الاناس . . اولئك الاناس الاغبياء، حبسوا انفسهم وراء الجدران ووضعوا تلك الكلمات ، ثم قدموها الى المجتمع كي يصفد بها نفسه ، وزعموا له انها تنظم حياته !

وغمرتني موجة من اليأس اثارت في جرأة اللامبالاة فحطمت مخاوفي والتفت . كان هناك رجل يسير على مقربة مني متمهلاً وعيناه مثبتتان في مجلة مصورة . . ولكنه لا يرتدي لباس البوليس ان شرطي المرور لا وجود له الا في دنيا الخوف التي تكتنفني . . ايها الغبي، الا تعرف حيل البوليس وخدعهم ؟! هذا الرجل بوليس سري يتحين الفرص ليقبض عليك، لماذا يتبعك اذن ، لماذا ؟! غبي . غبي . يجب ان اخفي الدليل عنه . . يجب ، ولكن ، اين ؟! اين ؟! اين ؟!

ومضت في ذهني خاطرة . اجل . اجل . هناك موضع لن يهتدي اليه البوليس بيسر . وتحسست (ياقة) القميص، لكم خامرتني الثورة على هذا الثوب وسخطت من ضيق ياقته ، ربما تكرهون شيئاً وهو خير لكم . حقاً ، ربما تكرهون . . اكنت في حاجة ماسة الى شراء هذا الخاتم ؟! ورفعت يدي الى الياقة متظاهراً بزحزحتها الى الاعلى ودسست الخاتم بينها وبين عنقي . الآن فقط يحق لي ان اطمئن .

ودبت في جسدي قوة جديدة . انتصبت قامتي وقصرت خطواتي واتزن سيري ، واخرجت علبة سجائري ووضعت واحدة في فمي ، ثم خطر لي ان اتحدى رجل البوليس . واتجهت اليه بخطوات ثابتة . . يا للسخنة الكريهة ! ان طابع الخبث يغلف ملامحه ويفشي سر مهنته . وقلت في صوت غليظ : اتسمح باشعال السيجارة ايها . . السيد ؟

كان بودي ان القبه بالثعلب ، او الماكر، او الحقير . ولا ادري لماذا لم افعل . لعله ارتضى لنفسه مهنة التجسس قسراً، انه يريد ان يعيش . ولكن الحكومة . . كيف سمحت لنفسها ان تتخذ جواسيس من المجتمع على المجتمع ؟! اجاب رجل البوليس بلهجة مؤدبة : بكل سرور .

وعلى ضوء الثقاب لمحت في عينيه بريق الشر، واحسست برغبة جارفة في التعبير عن سخطي واحتقاري . خيل الي انني ارفع يدي وأهوي بها على وجهه ، ولكن يدي لم تتحرك . ورنا الي الرجل بدهشة واستغراب كمن يشهد حادثاً غريباً ، ثم تابع السير . ولبثت جامداً في موضعي احدق في الفراغ، لماذا تركني . . لماذا ؟!

وتحركت قدماي حينما اختفى الرجل، وانعطفت في شارع مزدحم بالسابلة . لم يكن هناك من يتبعني هذا الحين . وفجأة شعرت بألم في عنقي . تحسست موضع الالم فاصطدمت اصابعي بالخاتم الالماسي، كانت الماسة مغروزة في اللحم والدم يسح من جرح بسيط . انتزعت الخاتم وتأملته لحظة . كانت الالماسة قد اصطبغت بالدم . افكان حتما على الانسان ان يخلق لامثال هذه المعادن قيمة ؟! افكان حتما عليه ان يتسابق في احتكار اكبر عدد منها مضحياً في سبيل ذلك بارواح الملايين ؟! ونازعتني رغبة صارخة بتحطيم الخاتم . ووقفت مترددا بضع لحظات ، ثم حزمت رأيي، القيته على الارض ورفعت قدمي لاهوي بها عليه ، ثم . . التقطته ثانية ودسسته في جيبي . انني بشر . . بشر ، وقد تسمت بالطبيعة البشرية !

وسرت . . سرت ، ولكن لا كما يسير الآخرون . ان وجوه الناس تفيض بالغبطة وتطفح بالسرور . ان الابتسامة ترفرف باشراقتها الحلوة على وجوه الجميع ، انا وحدي العابس، ما اجمل ان يتحرر الانسان من الخوف ! وظللت اسير متنقلاً من شارع الى آخر دون ان اسلك طريق المنزل ، كانت هناك رغبة مبهمة جامحة لا قبل لي بقهرها تدفعني الى الامام . . والى الامام ، حتى وجدتني اخيراً امام مركز للبوليس ، قلت لضابط البوليس وانا اقدم له الخاتم : لقد ابتعت هذا الخاتم الالماسي من لص اعترض سبيلي، وحاولت استدراجه الى مركز للبوليس ولكنه لاذ بالفرار .

تناول ضابط البوليس الخاتم في اهتمام ، والقى عليه نظرة سريعة، ثم رفع رأسه مغضباً وهتف في سخط : بكم اشتريته ؟!

فأجبت في اعتداد : كان اللص مستعداً لبيعه بأي ثمن، فدفعت له فيه ديناراً واحداً فقط .

فلوح بالخاتم مهتاجاً وصاح في حنق : هذه هي المرة الخامسة نلتقي فيها بضحايا ذلك المحتال ، لقد باعك ايها السيد خاتماً مزيفاً .

القاهرة — شاكر مصباك

كان العالم يتساءل في سنوات الحرب الاخيرة: اي كتب واي مؤلفين سيظهرون الى الوجود في فرنسا بعد تحريرها ؟ وهل ان هذه البلاد التي قاست اهوال الحرب ومرارة الاحتلال والتي يتحتم عليها بناء كل شيء من جديد مدنها واقتصادها وحكومتها ، لا تزال تعير الحياة الادبية نفس الاهتمام الذي كانت تعيره اياها في السابق ؟ واذا بالجواب يأتي حاسماً يبعث على الطمأنينة والحبور ، وبالستار ينزاح عن اسماء ووجوه جديدة لم تترك مجالا للشك بان الادب ما زال المعبر الاول عن روح هذه الامة. كان الورق يعوزهم ولكن ليست القريحة ولا القراء . واذا كان فاليري قد خلى مكانه فلا يزال هناك كلوديل وجيد وفارج يشتغلون ويؤلفون . وان كانت جماعة الكتاب ذوي الارادة الخيرة — ونستطيع ان نضم الى صف رومان وديهاميل ومورياك كتابا آخرين مثل لاكرتيل وهيريو وشلونبرجيه ومارتان دي جار — ان كان هؤلاء الكتاب قد شهدوا بيأس كبير سفينة اوربا وهي تغرق في احضان الموج فانهم لم يفقدوا الامل في اعادتها الى سطح الماء ولم يهنوا على الكد بشجاعة خارقة للوصول الى هذه الغاية.

وجاءت بعدهم فئة الادب الملتزم «littérature engagée» تلك الجماعة المتلألئة المتفرقة ، فاذا بسارتر يعلم بان الانسان يمكن ان يصنع مصيره بيده، وبمالرو يبين ان هذا المصير تراجيدي فاجع، وبأرجون يضيف بان هذا المصير محدد ومحتوم لكنه يجد عظمة الانسان في هذه الضرورة نفسها. كان هؤلاء الثلاثة يريدون من الفنان (او الناثر على الاقل) ان يسخر نفسه في خدمة الفعل. وكانت تتكاثر، وراء هذه الاشجار التي تؤلف غابة سامقة، شجيرات من القرائح الفتية هي اكثر عدداً من ان نستطيع حصر اولئك الذين سيكتب لهم البقاء والخلود منها ، واكثر تنوعاً من ان نتأكد — بالنظر لتعدد اتجاهاتهم واختلاف مشاربهم — من المستقبل الذي ستضمنه للادب الفرنسي والعالمي .

غير ان الشيء الذي كان يلفت النظر هو تأثير القصة الامريكية في اوربا مما يقدم لنا موضوعاً لدراسات طريفة. فهؤلاء الكتاب الذين صارت فرنسا تعجب بهم بعد الحرب الثانية : همنجواي وشتنبك ودوس باسوس وكالدويل وفولكنر هم انفسهم الذين اكتشفهم الامريكيون في فترة ما بين الحربين وهم اصحاب « مدرسة اليأس » الذين ولدتهم خيبة الامل في عام ١٩١٩ وازمة ١٩٢٩ . ولم يكن غريباً ان يجد الفرنسيون التعساء اخواناً لهم في هؤلاء الكتاب اليائسين، اذ كان الميل الى الاغتراب «Exotisme» طبيعياً بعد هذه السنين التي اغلقت فيها الحدود وفصل بين فرنسا وباقي العالم. فكانت هذه القصص الوحشية القوية تتلاءم تمام الملاءمة مع نفوس اضطرت الى ان تربي العنف والقسر في اعماقها لكي تناضل وتكافح في سبيل الحياة . فلم تر الا وقصص هؤلاء الكتاب تترجم بالجملة في سعر شديد الى التوله والمخاطرة ، حتى كأنها مربوطة بسلسلة لا تنتهي ، لا فرق بين جيدها ورديئها . واذا ببعض هذه القصص يحرز نجاحاً أثار عجب مواطني مؤلفي هذه القصص انفسهم . فهم يقولون للفرنسيين : « لقد جئتم تستعيدون منا ما كنتم قد اعطيتمونا اياه سابقاً لان القصة الامريكية بين الحربين لم تستق عناصرها الا من قصاصكم «بروست» وكتابكم ذوي النزعة الطبيعية ».

تعريف بالادب الفرنسي المعاصر

ولكن اليس مثل هذا الوضع مألوفاً في الادب بصورة عامة؟ لقد كان بيرون يطلب من فولتير ما كان فولتير قد وجده عند سويفت وما سيجده موسيه بعد زمن غير طويل عند بيرون. فهذا كاتب انجليزي شاب يعتقد انه مدين لكتاب « البحث عن الوقت المفقود » بما كان بروست يقول انه قد تعلمه من روسكين وجورج إليوت وديكنز. وهذا كاتب فرنسي حديث يشيد بذكر دريسر او فاريل، قصاصي الطبقة البروليتيرية، لما كان هؤلاء مدينين به لزولا . غير ان الجيل الامريكي بعد الحرب العالمية الثانية سيكون كما يظهر متميزاً عن الذين سبقوه، فهو يبدو منذ الآن اقل عنفاً واكثر بناء. وهو يبتعد عن النزعتين الواقعية والطبيعية لكي يبعث من جديد وفي آن واحد الرمزية والقصة السيكولوجية فهو كما يستوحي هوثرن وملفيل وكافسكا، يستوحي هنري جيمس وبروست. ولن نجد بين القصاصين الفرنسيين المعاصرين من يقترب من الكتاب الامريكيين ذوي النزعة الرمزية الجديدة اكثر من البير كامو الذي يعرف كعظماء الانكلوسكسون اظهار الرمز في مصوغات مخرمة ، واضحة مع كونها لا مادية ، تبدو في نسيج كتبه الرائعة.

العراق - بعقوبة

ترجمة: نهاد الشكرلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة الشاعر التركي ناظم حكمت

بقلم خليل هنداوي

هذا الشاعر التركي سجين فكره وضحية شعره، يحلم — الآن — وراء قضبان قفص حديدي ، ولا ندري: بماذا يحلم ؟ وبماذا يفكر ؟

لعله يفكر في تلك الطبيعة التي احبها وتغنى بها ، اوتي تلك الحرية التي كانت له مطلقة في العالم كله .. ثم اخذت تتقلص شيئاً فشيئاً حتى انقلبت حرية منكمشة وراء قضبان كحرية ذلك الطائر الذي يضرب قفصه بجناحيه او يحاول ان يخلق عالمه الكبير من هذا العالم الصغير .

انه يسرح البصر ، ومن وراء البصر خيال محدود، لكنه خيال مردود لا يبعد عن الواقع كثيراً ، لانه متعلق بالارض نفسها ، والحياة نفسها ، وشقاء امة نفسها فهو لا يحلم في الطبيعة، لان الطبيعة المجردة لا جمال لها عنده . ولا يفكر في حرية نفسه، لان النفس الواحدة لا حرية لها اذا كانت تعيش في امة مقيدة .

هذا هو — ناظم حكمت — الذي اعلن قبل حين اضرابه عن الطعام وتحديه للموت لسوء ما يلقاه في سجن يتمتع فيه الجانون بما لايتمتع به الاحرار، وقد شاطره اضرابه هذا عشرات من رجال الفكر التركي والادب التركي ، لانهم وجدوا في مثل هذا العمل اهانة للفكر نفسه لم يسبق لها مثيل في تاريخ الظلمات . ورأينا بعد ذلك ادباء غربيين يناصرون قضيته ، ويؤيدون طلب الافراج عن الشاعر الحر المريض .

هذا هو — ناظم حكمت — الذي يردد بعد قضاء اثني عشر عاماً في السجن، وهو يفكر في مصير القرن العشرين :

« أتطلب الي ان انام، ثم
استيقظ بعد عصر كامل
لا .. لا . انني لست بهارب من الواجب
ان عصري الحاضر لا يخيفني ابداً
عصري هذا الذي يحمر خجلاً .
انني لا آسف على نشأتي في هذا الجيل .
بل تراني كثير الزهو والفخر بأنني
من — لدات القرن العشرين — ! »



الشاعر ناظم حكمت

فالشاعر — برغم ما يعانيه من الم وعذاب — لا يزال يؤمن بعصره، ويعتقده جديراً بالرسالة الانسانية التي حققها للفكر والحرية . ولكن ما همه ان يسيء اليه بعض الناس الذين يعيشون بفكر ضيق ، وروح ضيقة كأنهم من بقايا كهوف التاريخ المظلمة .

ولد ناظم حكمت في مطلع القرن العشرين من اسرة نبيلة ترتبط بالطبقة الارستقراطية التركية ، ودخل في الكلية البحرية ثم خرج منها سنة ١٩١٨ لينذر نفسه ونشاطه للشعر التركي الذي حاول تجديده بروحه ، وحاول ان يجعل منه رسالة تحرر شعبه من البؤس والشقاء . وتابع دراساته في جامعة موسكو، فجمع بين الثقافة السلافية ، والثقافة الفرنسية دون ان يتوانى في ثقافته التركية . بل نراه يرجع الى الاغاني التركية القديمة فيحاول تهذيبها وتنقيتها ومزجها بالشعر الحديث ليكون من ذلك ادب صادق في احساسه وشعوره يجمع بين القديم والحديث عاميه وفصيحه، وبالامكان ان يحتل منزلة الشاعر التركي الكبير « يحيي كمال » في تسامي روحه ورواج شعره .

ولكنه كان مولعاً بالحرية اكثر من ولعه باي شيء، الامر الذي اهاب بخصومه

ان يكيدوا له كيداً ، ومن العجب ان يعيش اعداء الحرية مطلقين ، واصدقاء الحرية مكبلين فقبض على « حزمة من قصائده الخطرة في ديوانه الموسوم« بالساعة الرابعة والعشرين » واحالوه على المحكمة بتهمة التآمر وبث الفوضى ،وروح التمرد في الفتيان. وكانت لهمحكمتان: عسكرية ومجرية ، وكلتا المحكمتين قضت بسجنه مدى اربعين عاماً .. اربعون عاماً فقط للفتى الذي عشق الحرية ، وطلب ان يمنح الناس نعمة الحرية .

والآن يمر عليه اكثر من اثني عشر عاماً مكبلاً بقيود سجنه. ولكنهلم ينقطع ابداً عن النظم والكتابة . وقد نظم في سجنه قطعة من رائع شعره في تمجيد الفيلسوف التركي« بدر الدين »من رجال القرن الخامس عشر. وقد نجد بين الاثنين تقارباً في اعلانها الثورة على الظلم والسلاطين، فكان مصير « بدر الدين السجن والشنق ، ونصيب « ناظم حكمت »ما يشبه السجن الابدي وما كان الشاعر ليتزعزع ايمانه بشعبه على رغم انقطاعه عنه ، وهو يجدد الشعر القصصي القديم في ملحمته الكبرى« اسطورة الاستقلال »واصفاً فيها دور الابطال الذين انقضوا على مضطهدي تركيا اثناء حوادث ١٩٢٠ — ١٩٢٢. والقطعة التالية تمثيل هذا النفس العالي في تمثيل شعور امة وهي قطعة تصور الدور البطولي للنساء التركيات اللواتي يحملن السلاح لابطالهن طاويات صحاري الاناضول غير شاكيات .

هذا هو — ناظم حكمت — الذي لا يزال ينتظر من بقية حكمه ربع قرن تقريباً في مدارج السجون ومن يدرينا لعل نفحة الحرية لن تهب عليه الا من مدارج القبر ، وها هي ذي الانباء تتوالى منذرة بسوء صحة الشاعر الكبير وانقطاعه عن الطعام، ولعله يجد في حكومة الشعب الجديدة من يستمع الى هذه الروح التي لم يعرف الادب التركي اصفى منها نفساً واصدق احساساً ، فتعمل على التكفير عما قدمته الحكومة السابقة وما كانت حرية التفكير بجريمة من الجرائم في عصر يقال فيه « ان الانسان حر، وان الفكر حر » وقد علمنا التاريخ ان الحرية كالعاصفة تكمن حيناً، ولكن الويل كل الويل لمن يريد ان يقف انطلاقها حين تثور ، وعلمنا التاريخ ان الارض كلها لا تتسع للفكر حينما يترامى. وأنى المحدود ان يتسع للعقل غير المحدود ولكن ما اجدر بالشفقة امة لا تزال تهب اطيب نسماتها الفكرية والشعرية من اعماق سجونها المظلمة .

نسوة الاناضول

•

وكانت العربات تتدحرج تحت ضوء القمر
تريد « افيون » وتقصد « اكشاير »
الارض تحت عجلاتها لا تنتهي .

والجبال بعيدة .. بعيدة عنها
حتى كاد الذين يقصدونها لن يبلغوها ابداً .

وكانت العربات تتهادى بدواليبها الخشبية
الدواليب تدور تحت ضوء القمر .
والثيران التي تجرها كأنها
هابطة من غير كوكب
صغيرة صغيرة ، وقصيرة قصيرة.
قرونها المهشمة المريضة تلتمع في الليل.
ولكن الذي ينطوي تحت اظلافها، الارض،
والارض دائماً .

في الليل الحار اللامع
الواح العربات
كانت الاسلحة المحمولة تسطع
والنساء كن يتأملن صامتات تحت ضوء القمر
في بقايا قوافل محطمة منثورة
واشلاء ممزقة من ثيران نافقة ودواليب مبتورة

هؤلاء النساء . .
نساؤنا
ذوات الايدي المرعبة اللطيفة
ذوات الوجوه الوادعة ، والعيون الواسعة
من ام ، او زوجة ، او حبيبة لنا ،
او امرأة تموت كأنها لم تعش ابداً ،
ومن أهملنا موضعها في مجتمعنا ،
ومن نذهب بها الى الجبال
ومن اجلها ندخل السجون .
نساؤنا . . من نقودهن الى حصيد الحقول ،
الى غرس السهول .

الى المزارع ، . الى المصانع .
كأنهن مُدى مغروسة في احشاء الارض .
مع اوراكهن العريضة القوية
مع اجراسهن وخلاخيلهن
هؤلاء النساء . . نساؤنا . .

حلب — خليل هنداوي

مؤلف « هتاف الجماهير »
امين يوسف غراب
يقدم اليكم
ارض الخطايا
مآسي الانسانية الدامية
•
في منشورات لجنة النشر للجامعيين بمصر
يطلب من مكتبة مصر
٦٣ شارع الفجالة القاهرة

عينان

بعينيك أحلامي ، وعرسُ شبيبتي ... وفي شفتيك السحر ، انهله نهلا
نسيتُ بك الدنيا ، ولم تكُ حلوة ... اذا أنا لم ألمح بمقلتك الكحلا
هبيني َ طيفاً ، في جفونك عابراً ... أيحرمُ هذا القلب ، ان يجد الظلّا ؟
ومثلي َ يهوى كلَّ عينٍ جميلة ... فمالك تأبين السماحة والبذلا ؟
حبيتك حب الطير ، جفت لهاته ، ... حنيناً ، وقلب الطير لا يعرف الختلا
وهمت هيام الورد شيعه الندى ... وكانت دموع الفجر ، تغمره طلا
أأظمأ ، والنبع الشهي مموَّجٌ ؟ ... واقنع بالاوهام ، احسبها وصلا ؟
وما كنت قبل اليوم ، اشكو صبابة ... ولكن حب الغيد ، علمني الخبلا

***

ويا ثغرها الوردي ، في غمرة الهوى ، ... لقد أنكرت عيناي ، من بعدك الفلّا
أأسألك النجوى ، وأنت مسوّف ؟ ... ولم أكُ قبل الحب ، استعذب السؤلا
ويملؤك الدلُّ المذيب ، وإنه ... ليقتلني ، ان تألف الشفة الدلا
وكيف ساوَ القلب ، والليل وحده ... رآني أعل الجمر ، من ريقه علا ؟
وبي منك اشواق ، وحلم مجنح ... اداريه مفتوناً ، فيوسعني عذلا
وقال ليَ الحدن الخلي من الهوى ، ... افق من جنون الحب ، واستغفر العقلا
ودع عنك هذا الحبّ ، فالحب آفة ... ولا تغضب الاتراب ، والله ، والاهلا
فقلت له ، حسبي من الوجد انني ... رضيت بعينيها ، فلم اسمع القولا
نعمت بها حيناً ، وكانت هناءة ، ... فما اعذب الذكرى لديَّ ، وما احلى !

انور الجندي

السليمية - سوريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البطل

تمثيلية ذات فصلين

بقلم اديب مروة

الفصل الاول

المنظر : رصيف امام باب فندق « الباتيون » في باريس ، والمارة بين غاد ورائح ، يخرج المؤلف القصصي الاستاذ الفرتكلي من باب الفندق ، ويبعثر نظراته الحائرة بين الوجوه ، الى ان يصطدم بصره بفتاة جميلة ، فيتقدم منها ويستوقفها .

الفرتكلي : من فضلك يا آنسة ؟

الفتاة : نعم .. ماذا يبغي السيد ؟

الفرتكلي : ارجو ان تسمحي لي بلحظة قصيرة من وقتك .

الفتاة : قل .. ماذا تريد ؟ ليس لدي الوقت الكافي .. اني متعجلة !

الفرتكلي — البطل ! .. البطل يا آنسة ؟

الفتاة (بدهشة) : البطل ؟ . اي بطل ؟

الفرتكلي : اني ابحث عن ..

الفتاة : يبدو من لهجتك انك غريب .. فاذا كنت تبحث عن شارع البطل ، فافيدك اني لست من اهل هذا الحي .

الفرتكلي : عفواً . ليس هذا غرضي .. انما اتحدث عن بطل .. عن انسان من لحم ودم ..

الفتاة : وما شأني انا بهذا الامر ؟

الفرتكلي : انت وحدك صاحبة الشأن .. الم تسمعي بالابطال ؟

الفتاة : اجل .. ولكن الابطال كثيرون . فهناك ابطال الحرب ، وابطال الرياضة ، وابطال السينما .. وابطال السياسة .. والتاريخ ملي ء بالابطال من كل نوع .. ومهما يكن .. فليس ثمة واحد بينهم من يهمني الآن !

الفرتكلي : بيد ان البطل الذي انا بصدده هو من نوع آخر .. انه جديد بكل معنى الكلمة .

الفتاة (يبدو عليها الضيق) : الخلاصة .. قل ماذا تريد مني ؟

الفرتكلي : انت الوحيدة التي تنقذين هذا البطل ، وتنقذينني منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخانا الكريم الاستاذ البير

هي

فكرة واحدة طرأت على ذهنينا وكنا معاً ، فتبناها كل منا حسب طريقته واسلوبه ، فاذا بهذه الفكرة تخرج على يد احدنا قصة تمثيلية مستقلة ، واذا بها تدخل على يد الآخر ، كفصل غير مستقر ضمن قصته الطويلة التي يعدها للنشر قريباً بعنوان « بطاقة في البريد » . ويسرنا ان نقدم معاً نتاج كل منا حول هذه الفكرة الواحدة الى مجلة « الاديب » المجلة التي رعتنا ، والتي اصبح لها علينا حق المدرسة الام على تلاميذها ، وفضل شق طريقنا في الميدان الادبي .. عسى ان يجد القراء في هذا اللون الجديد من ادب القصة ، مجالاً للمقارنة والتعليق ...

واخيرا ثقوا يا استاذنا الكبير ان ما نقوم به من واجبات تجاه « معلمتنا » الاديب ، لا يمكن ان يفي بما لكم علينا من حق وفضل ، واقبلوا اخلاصنا وودنا وتقديرنا العميم . قلبانا معكم .

باريس — اديب مروة — احمد عويدات

الفتاة : هذا في منتهى الغرابة . . ولماذا انا بالذات ؟ (متبرمة) حتى الآن لم افهم شيئاً مما تعني . . الا تريد ان تسمح لي بمتابعة طريقي ؟

الفرتكلي : هذا مستحيل الآن . لا سيما وان هنـاك شخصاً اعني البطل . . . اصبح مصيره معلقاً بين يديك .

الفتاة : كنت اقول عنك انك من الفنانين ، لولا ان مظاهرهم المعتادة لا تبدو عليك ، فشعرك غير مبعـثر في الهواء ، وياقتك نظيفة ، وحتى حديثك فيه شيء من الحياء .

الفرتكلي : اشكر لك كثيراً حسن ظنـك بي ، وانت في منتهى اللطف والجمال .

الفتـاة (تتكلف ابتسامة ساخرة) : اورفوار ، ليس لدي وقت للغزل في الطريق .

الفرتكلي : بالله عليك يا آنسة . . قفي لحظة قصيرة . فهناك شخص يعذبني ويظلمني ، وارجوك ان تسمعي قصته .

الفتاة : ولكن قل ماذا تبغي بوضوح وبسرعة ؟

الفرتكلي : انه ينكد علي عيشي ، ولا يدعني انام او آكل براحة . . انه يسومني الشقاء المرير ، ويحملني على التفكير به ليل نهار ، ولا حيلة لي بأمره ، لقد شغلني عن كل شيء .

الفتاة (سامة) : عمن تتكلم ؟

الفرتكلي : لقد قلت لك عن البطل .

الفتاة : آه . . وهل يضربك ؟

الفرتكلي : يا ليت ، انه اقسى من ذلك بكثير .

الفتاة : ولماذا لا تشكوه الى الشرطة ؟

الفرتكلي : الشكوى لله .

الفتاة : مسكين . . وهل يقطن معك ؟

الفرتكلي : اجل ، وفي غرفة واحدة ، وهي هناك في الطـابق السادس ، ونافذتها تلك التي في اقصى الشمال .

الفتاة : وصاحبك البطل هو فيها الآن ؟

الفرتكلي : انه لا يبارحها مطلقاً .

الفتاة : لا شك انه قوي العضلات . . ومخيف ؟

الفرتكلي : كلا . . ابداً . انه في منتهى النحافة ، ورقة الظل .

الفتاة : هذا غريب . . هل لك ان تصفه لي ؟ . . وماذا يعمل ؟

الفرتكلي : انه فتى من الشرق ، قذف به القدر الى الغرب بعد ان سئم العيش في صحراء الحرمان ، والحيرة ، والقلق ، فجاء يجرب حظه هنا في بحر الحرية ، والحب ، والامل ، فاذا بهذا القدر يسخر منه من جديد ، ويفرض عليه مشيئة لم يكن له رأي بها ، لقد كان معه ، وما زال ، في صراع مستميت . ان بطلي الآن ينسج خيوطاً لمعركة جديدة يتمنى ان يتغلب عليه فيها .

الفتاة : بطل . . قدر . . معركة جديـدة ؟ ؟ . حقاً اني عاجزة الفهم .

الفرتكلي : ونسيت ان أقول لك ان صنعته دهان . . .

الفتاة : بطل ودهـان ؟ . . هـذا عجيب . . . وكيف يكون البطل دهاناً ؟

الفرتكلي : ولماذا لا ؟ . . . فهو انسان وذو مهنة ككل الناس . . . فمثلاً ماذا تعملين انت في الحياة ؟

الفتاة : وهل تهمك معرفة ذلك ؟ . . . على كل حال انا طالبة .

الفرتكلي : أرجو المعذرة عن فضولي . . . انت طالبة في اي قسم ؟

الفتاة : في قسم الطب البيطري . . .

الفرتكلي : هذا حسن جداً . . . تشرفنا يا آنسة . . .

الفتاة : ولماذا تستحسن ذلك ؟ . . . أيهمك الطب البيطري ؟

الفرتكلي : معاذ الله . . . بل ان ذلك قد يهم بطلي ! . . .

الفتاة : حقاً ان بطلك هذا غريب الاطوار . . . اني لم اسمع بعد ببطل يعمل دهاناً .

الفرتكلي : انسيت المرحوم هتلر ؟ . . . لقد بدأ حياته دهاناً .

الفتاة : اني اكره النازية . . . واكره السياسة . . . ولذلك ارجوك ان تقلع عن الحديث عن هتلر ، فهو يذكرني بويلات الحرب .

الفرتكلي : ارجو المعذرة مرة اخرى . . . لم اكن اعرف انك مرهفة الاحساس الى هذا الحد . .

الفتاة (متململة) : اكمل قصة بطلك هذا . . . لقد قلت لي انه يظلمك ليل نهار . . وانه دهان ، وهو يهتم بالطب البيطري .

الفرتكلي : تماماً . . ولكن اعني انه يهتم بالطب البيطري لا من اجل الطب البيطري نفسه . . . بل من اجلك انت .

الفتاة : اعتقد انك عدت الى المغازلة من جديد ، فاسمح لي ان امضي (تنظر الى الساعة معصمها) .

الفرتكلي : اني لا اغازل وشرفي ، اني اتكلم بصورة جدية .

الفتاة : وكيف تقول انـه يهتم بي انا بالذات ، وهو لا يعرفني ولم يرني بعد ؟

الفرتكلي : اني استطيع التعبير عن رغباته وميوله ، ولذلك فهو الذي كلفني ان ابحث له عن . . . عنك .

الفتاة : عني انا ؟

الفرتكلي : اجل عنك انت ، الا تؤمنين بما هو مكتوب ؟ .
لقد كان مقدراً لك ان تكوني انت وحدك الفتاة
التي يبحث عنها بطلي .

الفتاة : افرض اني لم امر هذه الساعة امامك من هنا ، ولم ترني . ولقد كان من الممكن ان تمر فتاة اخرى غيري ، فتقول لها الكلام نفسه .

الفرتكلي : هذا مستحيل ، ليس هناك من افتراض ، فهذا من نصيبك انت ، وقد اصبح من حقك وحدك ، وليس من المعقول ان يكون من نصيب غيرك ، ما دمت لم اصادف احداً قبلك مر من هنا .

الفتاة : ولكن ، لم تخبرني لماذا كلفك بطلك هذا ان تبحث له عني .

الفرتكلي : لتكوني ، له بطلة .

الفتاة : اوه ، الآن فهمت ، يبدو انك مخرج روائي ، وانت تفتش عن ممثلة تقوم بدور البطلة ، ولكنني آسفة جداً ، فانا لم يسبق لي في حياتي كلها ان مثلت دوراً ما على المسرح ، وفضلاً عن ذلك فليس لديّ وقت لهذه الشؤون ، ولا رغبة لي بها .

الفرتكلي : لا ، لا ، ليس في الامر تمثيل واخراج ، وانت متى عرفت هذا البطل ستتفاهمين معه بسرعة ، ويخبرك عن غايته بوضوح

الفتاة : وكيف تعرفت انت بهذا البطل ؟

الفرتكلي : كما تعرفت بك الآن .

الفتاة : اذن لقد استوقفته على قارعة الطريق ، امام فندقك هنا ؟

الفرتكلي : كلا ، بل هو الذي هبط علي من السماء فجأة ، فاذا بنا وكأننا صديقان قديمان .

الفتاة : مدهش ، ولكن ماذا علي ان افعل لهذا البطل ؟

الفرتكلي : هذا امر متروك لذكائك الخاص ، فلقد ذكرت لك ان بطلنا — وقد اصبح الآن قاسماً مشتركاً بيننا — هو ضحية من ضحايا القدر ، دفعه هذا الى حيث شاء ، اما الآن فهو يريد ان يدفع نفسه الى حيث يشاء هو ، فوقع اختياره عليك ، اما ما قد يحدث بينكما فيما بعد ، فقد يقع حب ، وقد يقع زواج ، وقد تحدث مشاجرة ، وقد لا يقع شيء من هذا ، على كل حال لا بد من ان تحدث لكما مشكلة افضها بالحسنى .

الفتاة : يا لك من ثرثار بارع ، انت اذن تريد ان تضيع وقتك ووقتي بالتفتيش عن المشاكل ، بل انت تريد خلق المشاكل .

الفرتكلي : المشاكل موجودة بكثرة بين الناس ، وهي لا تحتاج الى خلق ، بل الى من يعرضها ويحلها ، وهذه هي مهمتي ، وقد استوقفتك طالباً اليك ان تساعديني على حل احدى هذه المشاكل .

الفتاة : وما هي المشكلة المطلوب حلها الآن ؟

الفرتكلي : المشكلة هي مشكلة بطل ، وما انا الا وسيط خير فحسب .

الفتاة : اذن دع بطلك يأتي الي ليشرح لي مشكلته بنفسه .

الفرتكلي : تفضلي معي الى الغرفة لتراه .

الفتاة (تنظر الى ساعتها) : لا ، فليتزل هو الى هنا ، ناده من تحت النافذة ؟

الفرتكلي : هذا مستحيل ، انه معتصم بالغرفة ، لا يخرج منها مطلقاً .

الفتاة : حقاً انك تثير فضولي بحديثك عن هذا الرجل . سأصعد معك لاراه على شرط الا أمكث معكما اكثر من خمس دقائق

الفرتكلي : اياك وان تخشينه ؟

الفتاة : لا تنس اني طالبة في الطب البيطري . (يدخلان باب الفندق) .

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر : غرفة عادية في الفندق ، وقد انتشرت فيها الصحف بغير نظام ، ورصفت بعض الكتب على رف مستطيل بأناقة ، وعلى طاولة في وسطها قامت تلال من الاوراق والكتب والمسودات ، والى جانب ذلك سرير هو اقرب الى « الديوان » منه الى السرير ، وبعض الكراسي . يدخل الفرتكلي اولاً من باب في الصدر ، وتتبعه الفتاة .

الفرتكلي : اهلاً وسهلاً . ان تشريفك فرصة سعيدة جداً

الدكتور نوفيق الاعور
طبيب مصح بجنس
الاختصاصي بالامراض الصدرية من مستشفيات باريس
وسويسرا يمين مرضاه في عيادته الجديدة الكائنة
في شارع بشارة الخوري — بناية يضون
يومياً بعد الظهر من الساعة ٢ — ٦
تلفون ٨٦ — ١٥ و ٣٩ — ٨٢

الفتـــاة (تجول بانظارها في ارجاء الغرفة) : ولكـــن .. اين صاحبك البطل ؟

الفرتـكلي : تفضلي اجلسي اولا ، اترغبين في فنجان قهوة تركية، ام كأس « أبرتيف » ؟

الفتاة : قهوة .

الفرتـكلي : اسمحي لي ان اقدم لك نفسي : الفرتـكلي ،مؤلف عدة مجموعات قصصية، وطالب ادب وفلسفة وصحافة ، الآن، وحقوق سابقاً، ومراسل عدة جرائد . و . . .

الفتاة : تشرفنا .

الفرتـكلي : تشرفنا ؟ . هكذا فقط ؟

الفتاة : وماذا تريد ان اقول لك ؟

الفرتـكلي : أسأليني مثلاً عن مجموعاتي القصصية ، اسأليني من اين انا ؟ . عن أسرة الفرتـكـــلي ؛ اسأليني عن الادب ، عن الصحافة ، الا تقرأين الصحف ؟

الفتاة : كل ذلك لا يهمني .

الفرتـكلي : انت مدهشة ، غريبة الاطوار ، كبطلي .

الفتاة : واين حضرة البطل هذا ؟

الفرتـكلي : أانت مصرة على رؤيته ؟

الفتاة : طبعاً ، ومن اجل ذلـك دعوتني كما اعتقد للمجيء معك الى هنا .

الفرتـكلي : حقاً ، هذا صحيح ، والبطل هو الآن ،معنا .

الفتاة (تعود الى البحث بانظارها في انحاء الغرفة) : معنـــا ؟ . أنت تهذي ؟ . هل هو مختبىء الآن في الغرفة ؟

الفرتـكلي : كلا ، اقصد انه غائب حـاضر ، لقد خرج قليلاً وسيعود سريعاً .

الفتاة : البطل هو الآن غائب حاضر ؟ .

الفرتـكلي : اجل ، واعني اني أنا .

الفتاة : أنت ماذا ؟

الفرتـكلي : اني انا استطيع ان اقوم مقامه .

الفتاة : يبدو ان قصة بطلك هذه ليست الا حيلة استدرجتني بها الى غرفتك . . (تنهض) فاسمح لي ان اخرج ، لاني لست من نوع الفتيات الذي تظن .

الفرتـكلي : يا آنسة ، ارجوك ، اني رجـل شريف ، وقد كنت رجل دين في ماضي ، كوني مطمئنة

الفتاة : لا . . لا . . هذا على العكس يجعلني ازداد خشية منك .

الفرتـكلي : احلف لك اكي تصدقيني ، اني لست من اصحاب الحيل ، لقد قلت لك اني استطيع ان اقوم مقامه ، حتى يعود، لاننا انا وبطلي اصبحنا متمازجين في العقلية والتفكير ، حتى بتنا وكأننا شخص واحد .

الفتاة (تجلس) : لقد ذكرت لي انه يعذبك ويظامـك ، فكيف ذلك ؟

الفرتـكلي : انه يعذبني فكرياً ، ويقلق راحتي في كثير من الاحيان بطلباته غير المعقولة .

الفتاة : غير المعقولة ؟

الفرتـكلي : اجل ، فمثلاً لقد دعاني لكي ابحث له عنك !! ومع ذلك فغير المعقول صار معقولا .

الفتاة : حقاً اني في حيرة من أمر بطلك هذا، فتارة تقول انه موجود في غرفتك دائماً ، ولا يغادرها مطلقاً ، وطوراً تقول انه خرج وهو غائب حاضر ، فما هذا التناقض في اقوالك ؟ . واذا بي لا اجد له اثراً هنا على الاطلاق ، (بحدة) لقد كنت مغفلة اذ صدقت لنفسي بان اصعد معك الى هنا .

الفرتـكلي : هدئي من روعك يا آنسة، اريد ان اوضح لك المسألة.

الفتاة: وهذا ما انا بانتظاره منذ وقت طويل ، وقد نفد صبري.

الفرتـكلي : لقد ذكرت لك اني مؤلف قصصي .

الفتاة : وماذا في ذلك ؟

الفرتـكلي : والمؤلف القصصي يا آنسة يخلق الابطال لرواياته وقصصه بنفسه، او بعبارة اصح انه يختار ابطال قصصه نماذج من المجتمع، ولقد بدأت منذ ايام بوضع الخطوط العامة لقصة جديدة، فاخترت البطل ورسمت شخصيته، وهو الشخص الذي حدثتك عن صفاته وعقليته ، وصراعه مع القدر، ثم كان ان حدثت لي مشكلة اختيار البطلة فوقعت في حيرة ، لان بطلي — كما وصفته لك — يجب ان يختار هو بطلته بمحض المصادفة، ولم يكن ذلك ممكناً الا ان ابحث له عنها بنفسي ، فاذا بالظروف تسوقك انت .

الفتاة (بدهشة وخيبة امل) هـذا في منتهى الغرابة ، فاذن انا الآن امام شخص وهمي ؟

الفرتـكلي : اني لست شخصاً وهمياً يا آنسة .

الفتاة : اعني ان البطل هو شخص وهمي ، ولكن لماذا لم تشأ ان توجد البطلة كما اوجدت البطل ؟

(يقرع الباب في هذه الاثناء)

الفتاة (بلهفة) : لعل القادم هو البطل ؟

الفرنكلي : اي بطل؟ . . ان البطل هنا ، فوق هذه الطاولة، وضمن هذه الاوراق !.

(ينهض ليفتح الباب ، فاذا به يجد صديقه ربيح المعلوجي الذي يدخل مسلماً ،وهو شاب اسمر ، منتفش الشعر، يرتدي قميصاً رياضياً) .

الفرنكلي : اهلاً ، بربيح (الى الفتاة) اقدم لك صديقي مسيو معلوجي .

الفتاة (تمد له يدها) : تشرفنا .

الفرنكلي : وصديقي ايضاً هو بطل .

المعلوجي (يمد ذراعه في الهواء ويشدعضلاته) معلوم ، بطل ونصف عند الحاجة !

الفتاة : لقد كنا نبحث عن البطل !

المعلوجي : اذن لقد وصلت في الوقت المناسب .

الفرنكلي (متململاً) : طبعاً . . طبعاً . . ولكن بطلنا لم يخرج بعد الى عالم الوجود !

المعلوجي : تقصد انه ما زال جنيناً .

الفرنكلي : تقريباً .

المعلوجي : خير له ان يبقى اذن في بطن امه !.

الفتاة : وما قيمة الوجود لمن لم يوجد بعد ؟

الفرنكلي : انا احتج ، ان بطلي هو شخص عادي يعيش في كل المجتمعات ، وهو وان لم يخرج هذه الساعة الى عالم الوجود ، فهو موجود بيننا في كل آن .

المعلوجي (الى الفتاة) : اود ان اعرف رأيك في بطلي هذا ؟

الفتاة (تنظر الى المعلوجي) : لا بأس به .

الفرنكلي : ان بطلي ، من حيث نفسيته ، هو صورة عني ، الا تعلمين ان معظم المؤلفين انما يصورون انفسهم من خلال شخصيات ابطالهم ؟

الفتاة: انك تعني بذلك ان البطل الذي حدثتني عنه هو انت ؟

الفرنكلي : يا لك من ذكية ! .

الفتاة (بسخرية): انت بطل ؟ . البطل هو . . انت ؟ ! هأهأها . . هاه !

المعلوجي : ان صديقي هو خالق ابطال ، وما قيمة المخلوق بالنسبة الى الخالق !

الفرنكلي : بالواقع اني اعيش حياة ابطالي ، او بالاحرى ان ابطالي يعيشون حياتي .

الفتاة : ربما بالخيال .

الفرنكلي : كلا . . بل بالحقيقة . . الم تري اني بحثت عنك لتكوني بطلة ؟ . . وانت كما اعتقد است شخصاً وهمياً .

الفتاة : ولكن بطلك هو الوهمي .

المعلوجي : اما انا ، فاني بطل بروح وجسد ، (الى الفرنكلي) على فكرة ، لماذا لا تختارني بطلاً لاحدى قصصك ؟

الفرنكلي : قد يأتي ذلك عما قريب !

المعلوجي (يخرج من جيبه علبة تبغ ويقدم منها للفتاة) : الآنسة تدخن ؟

الفتاة بكل سرور، (تتناول لفافة) شكراً .

المعلوجي (للفرنكلي): اين قهوتك يا اخي ؟

الفرنكلي : أوه . لقد نسيت . . ارجو المعذرة يا آنسة (ينهض ليعد القهوة، بينما يقرب المعلوجي مقعده من مقعد الفتاة).

المعلوجي (الى الفتاة): انت تعرفين صديقي منذ زمن طويل ؟

الفرنكلي : لا حول ولا قوة الا بالله .

الفتاة : منذ ربع ساعة فقط .

المعلوجي : هل بلغك، ان اورکسترا «سام روبصن» هي التي ستعزف هذا المساء في حفلة « المدينة الجامعية » الراقصة ؟

الفتاة : بدون مزاح؟ . آه . . كم احب اوركسترا سام روبصن !

المعلوجي : اذن اني ادعوك لنرقص معاً هذه الليلة .

الفتاة : اتفقنا .

المعلوجي : وسأنتظرك في الساعة العاشرة امام محطة اللكسمبورغ.

الفتاة : اكيداً ، (تلتفت الى ساعتها)اوه ، لقد تأخرت كثيراً هنا ، يجب ان اعود الى منزلي .

المعلوجي : اذن لا داعي لانتظار القهوة ، اني مستعد لاصطحابك ، هيا بنا .

(يتهيآن للخروج)

الاثنان (الى الفرنكلي) أورفوار ايها المؤلف . . سلم لنا على البطل !. (يخرجان) .

الفرنكلي (يجلس وحيدا امام طاولته . وقد اخذ يستمد للكتابة وهو خائر الاعصاب) : الا تباً لك ايها القدر، لقد عدت فانتصرت علي في هذه الجولة ، ولكن هذا حسن جداً . لقد كنتُ ببطل فأصبحت ببطلين .

باريس

ادیب مروة

البطل

فصل من قصة طويلة بعنوان : بطاقة في البريد

بقلم احمد عوبدات

●

هل رأيت انساناً وهو ينطلق في المحطات الكبرى للحاق بالقطار الذي اخذ يتحرك ؟ هل رأيت انساناً يسكن في الطابق السادس فعلم فجأة ان قنبلة في طابقه الارضي سوف تنفجر بعد دقيقتين؟ اما عايشتك فكرة فسدت عليك المنافذ ولم تستطع الخلاص منها فاذا نظرت الى الحياة : حيوانها وجمادها ارضها وسماءها فمن وراء هذه الفكرة التي تتصل بالحيوان والجماد والارض والسماء ؟ اما حدث ان انكرت على نفسك في اوقات من الحياة اليومية تصرفات تقرب من البلاهة والسخف وتعتد الى العبقرية والنبوغ ومع ذلك فقد قمت بها وليس ذهاباً مع التفكير والمنطق لانه لم تلابسك ذرة منها بل اندفاعاً وراء رغبة مبهمة جامحة ؟

اذا لم يحدث معك شيء من هذا فان تدرك من هذه الصفحات شيئاً لان صاحبنا قد حدث معه الكثير من هذا ، ولو رأيته عصر ذلك اليوم من « فبراير » لرأيت عجباً ، ولو كان يعرف ان احداً يتتبعه لما اقدم على شيء ، ولربما كان لهذا الجو المنفتح الذي يعيشه ويحياه تأثير على هذه الحياة التي لا تخضع لمظاهر اجتماعية يجبر الناس على الاخذ بها . فهذه الحرية او بكلمة اصح هذا الاستقلال الفردي الذي يتمتع به كل مخلوق خليق ان يدفع بصاحبه الى تصرفات تستوحى من دوافع خفية راسبة في اعماقه . وان هذا الفتى الذي نظف اسنانه بمعجون الذقن وما افاق الا بعد لأي . . غير غريب عليه اذا رأيناه عصر ذلك الاحد يهبط سلمه كالتائه . يغفل نفسه ويغفله الناس ويترك غرفته مغلقة او شبه مغلقة ، لا يذكر اوضع مفتاحها في جيبه ام وضعه في مكانه بين صناديق الفندق لانه لم يكن آنذاك الانسان العادي . فهو ما سمع خطواته على الدرج وما ذكر من رأى في طريقه . . وما وعى نفسه الا وهو يخرج من الباب الكبير ويسير على الرصيف . شعره واقف في الفضاء وعيناه زائغتان لا تنعكسان الا على عالم هو يراه وحده ولا يشرك احداً به .

الى اين ينطلق ؟ وماذا كان يعمل في غرفته ؟ ولمَ تركها ؟ ولِمَ كان يتمتم وهو هائم سادر ؟ اتحرك القطار فخاف ان يفوته ! ارغب في النجاة فطلق هذا الفندق قبل ان تنفجر القنبلة ! احاول ان يهرب من هذه الفكرة التي كانت مسيطرة عليه في غرفته ! ألهذه الدرجة يجد عبئاً ثقيلاً حين يحمل القلم بين اصابعه ويجمع الفاظاً فوق السطور ؟ اليست الكتابة صناعة ! ففيم اذن العناء وهذه قد وقف عليها كثير من الجماعين لهذه التعابير ولهذه المترادفات وليس له الا ان ينقلها الى عمله !

من المعلوم انه كان في غرفته يكتب ، ومن المؤكد ان يديه وشفتيه كانت كلها تشارك تفكيره . بمَ كان يفكر ؟ وان انفاسه تلتهب في هذه الوحدة الخانقة ، وان منظره ليدعو الى الشفقة واليأس . فها هو يجمع من رواسب نفسه شخصاً آخر غير تلك التي كادت تحطم ضاوعه في حادث اللوفر . ولكن يا للسخرية من ذاك الذي صنعه . لقد خيل اليه انه جمع له كل ما تصبو اليه النفس من عينين وجبهة وصدر واطراف آية في الفن والابداع ! ولكنه ما عتم ان رأى ان ذلك التمثال جامد لا يتحرك ولا ينطق



فهو تمثال من شمع او من خزف فراح يناجيه ! وكيف ينطق من جسمه من شمع وتتاطيعه من خزف ؟

ولم يأسف حين هوى بالهراوة على رأس هـذا التمثال فشوّهه وانطلق خارج غرفته يفتش لهذا « الشخص » ، الذي رسم هيكله بخطوط دقيقة والوان حية عـن نصف آخر يقف منه موقف الند يحركه ويدفعه ويستجيب له .

وان من يقوم بمهمة كهذه ينسى يومه ولا يرى الدنيـا الا من وراء فضاء هذا المطلب والوصول اليه . وعادت من جديد تدوي في اذنه عبارات مبهمة . . هذا المعبود الذي لا يجامل ولا يسلك طرقاً ملتوية الى حاجته والى غرضه . وما هي الا هنيهة مضت كان صاحبنا خلالهـا ينقل خطواته ذات اليمين وذات اليسار حتى كأن ابرة وخزته فتقلصت عنده مطامح الدنيا تتجمع في هـذه القفزة وهذه الهرولة .

— آنستي ، مهلاً .

ووقفت في وجهه فتاة تنظر اليه .

— عفواً، آسف لهذا التصرف الذي قطع عليك هذا الحديث .

— اي حديث ؟

— اي حديث . . امـا كنت تتحدثين اذن ! بينك وبين نفسك ، تتصورين شيئاً ! تبنين في خيالك برجاً ، تتأملين ، ليس من المعقول ان يكون غير هذا !

وبهتت الفتاة فاسرع الفتى :— اليس كذلك ! ام اني مخطىء .

— لم افهم ما تعني ؟

— المسألة لا تحتاج الى تفكير طويل . اما كنت تفكرين في شيء قبل ان اقطع عليك

— افكر !

— اقصد تفكرين ، تتأملين ، اريد جواباً ، نعم او لا !

— وماذا يهمك من امري ؟

— صحيح ، ماذا يهمني ! اما ترين اني اتطفل ، احشر نفسي فيما لا يعنيني ، ولكن يا آنسة ، لا بأس استميحك ان تسمعي لي بعض الهراءات ، اريد ان اجرب فراستي فيك ، انت ، انت .

— مجنون !

— نصف مجنون او واحد صحيح، ثقي انى لم اجن بك بعد .

وارتفعت يداه في الفضاء وهو يبدو يائساً :

— . . ما حيلتي ! مـا حيلتي اذا كنت مدفوعاً منه الى ان اتحمل سخرية الناس وهزءهم ؟

— مجنون ! الله يشفيك !

رددتها مرة ثانية وهي تهم بالانصراف .

— مهلاً يا آنستي ! كأنني لم اوقفك الا لافوز بهـذا الحكم القاسي ؟ وتنصرفين بسلام ؟

ماذا اقول له بعدئذ ؟ — تقول لمن ؟

— البطل . — البطل ؟

— الذي ارسلني اليك ! — ارسلك الي ؟ ؟ الي انا .!

— نعم اليك ! اليك انت ! الست بطلة ؟ نعم انت بطلة ! بطلة في تقدير نفسك على الاقل !

وضحكت ثم اردفت تقول : — يخيل الي انك ممثل .

— التمثيل في دمي يا آنسة ، دور واحد امثـله لانه لاقى في نفسي قبولا وارتياحاً لما اريد ولمـا ارضاه ! بالذمة انا مدين لك بهذا الذكاء انا مجنون ! آمنت باني مجنون ! لطالمـا كنت اصف نفسي بالجنون حتى جئت الآن ولا تعرفين شيئاً عني فاصبت في هذا الحكم ! ولكن اليس لي ان اسألك كيف بنيت هذا الحكم الصحيح؟

— هذا الشعر المنتفش او هذه النظرات التائهة! وهذا التصرف الغريب ! انت مجنون مجنون ! لا بد انك هارب من سان موريس، في شارنتون !

— ماذا تقولين ؟ انا . . من سان موريس ، من العصفورية ! من العباسية !!

— قلت من سان موريس ولم اقل العصفورية يا مسيو !

— ولكن هماسيان ! عندنا نقول العصفورية وفي باريس تقولون سان موريس ، يا خراب بيتي . سوف اخرب بيته !

— دعني الآن ، من فضلك اريد ان انصرف .

— تنصرفين ! ظهور الشمس في هذه الايام في سماء باريس اهون من ان ادعك تنصرفين ! اتظنين حقاً اني مغفل مجنون ؟

— لعلك فنان من مهاويس مونبارناس !

— مهوس او من سان موريس ! ايتها الفتاة ان حيـاتي بين يديك، اطلب منك ان تخلصيني منه ! رحمة بي ! اشفقي علي ! انت لطيفة ، انت ظريفة ، ما انت الا . . .

— انا طالبة فقط !

— طالبة او غير طالبة ، انت نموذج لهـذا الفتى ! موديل ، موديل لست ادري كيف .

— اتدري انك اضعت علي الوقت !

— اما تدرين ان في هذه اللحظات يتقرر مصير شخص ؟

— من هو هذا الشخص ؟ — البطل !

— البطل ؟ من هو هذا البطل ؟

— وهل انا اغني في طاحون ؟

— ما به بطلك ؟

— حردان !

— ليرضَ من كيسه ، يجني على نفسه !

— يجني على نفسه او علي ؟ علي انا ! انا المسكين البائس المعذب . اكاد اموت يا آنسة ! لوجه الله الكريم .

— ماذا تريد مني بالضبط ؟

— انا ! لا اريد شيئاً ولكنني احب ان اسأله، تعالي معي نسأله !

— رجعنا الى البطل ! فلقتني ببطلك ! اين هذا الارعن ؟

— هات يدك ! لاضغطها بشدة لاقبلها ، انه ارعن ! هذه كلمة صادقة حقاً ، يستحق اكثر من هذا ! انا لا املك نفسي ان أصارحه فهل تبلغ بك الجرأة وانت . . بطلة ان تصارحيه بهذا ؟

— اين هو ؟

— فوق ، في الطابق السادس !

— بلغه عني !

— اوه ! افهم ان اكون وسيطاً بين بطلين . . ولكني لست افهم ان اكون حاجب محكمة مهمته التبليغ ، ثم لا ادري . . ماذا اقول له ؟

— عجيب . . ماذا يريد البطل على الضبط ! افصح ! يخيل الي انك لا تحسن حتى التعبير عنه !

— يريد يا آنستي . . اقصد يا عزيزتي . . اتسمحين ان اقول الصدق والصراحة ؟

فاومأت برأسها ضجرة وهي تنظر الى الساعة في معصمها والتفتت اليه تقول .

— نعم ، ماذا يريد هذا البطل المدلل ؟

— يريد . . بطلة ! حبيبة ! او بتعبير آخر، يفتش عن ملهمة !!

— يأخذها من هنا ؟

. . وقد كلفني جهداً شاقاً وانا افتش له عن هذه الملهمة . حرمني الراحة ! حياتي معه جحيم ! اذا تمت فانه يهزني فاقوم من فراشي قبل منتصف الليل وبعده لاجوس الطرقات والارصفة . انا افتش، اصابني الكلل واليأس ! ضعفت صحتي، واعتل تفكيري، صدقيني، انظري شعري ، انظري ثيابي ، اهمال مطبق وشرود ، انني انسى ان احلق ذقني ، وانسى كيف انظف اسناني !! ترين ؟ هذه حالة لا تطاق ! اذا دامت هكذا لا ادخل فقط سان موريس بل اموت اتصدقين اني لم اذق الطعام اليوم ؟

— يعني تريد ان . . . ليس عليك الا ان تقوم كغيرك من الفنانين في هذا الحي، اين عودك تعزف به على قارعة الطريق او في مقهى؟

— آه . . والله لا اعرف الشحاذه ! يا ناس ! يا آنسة ! ارجوك لا تذهبي ، لا تذهبي، لئن ذهبت فسوف انتحر ! نعم انتحر ! انا لا اكذب ، تريدين برهاناً ! اليك .

واخذ يضع يده على حزامه ليسحبه .

— سوف اشنق نفسي بهذا الحزام ، افضل عندي ان انتحر على ان ارجع الى البطل خالي الوفاض !

— كفى ثرثرة ، عندي موعد ، ارجوك دعني انصرف !

— انني واثق يا . . عزيزتي انه من الخير ان تضربي بموعدك عرض الحائط . . اما تشعرين بلذة حين تخلفين في موعد مضروب؟ بالله قولي الصدق !

— يلذ لي احياناً .

قالتها وعلى شفتيها ظل ابتسامة، ثم عادت الى التهديد والعبوس . . ولكن افهم جيداً اني فتاة خطرة .

— اموت في الخطر !

— وغامضة .

— اموت في الغموض !

— من ؟ انت او بطلك ؟

— هناك صفات مشتركة بيني وبينه ، فلقد اثرت فينا العشرة! اخيراً معك ! افلا تترك سبيلي ، لا استطيع ان اتأخر اكثر من هذا . . ان صوفتي (حمرة) في المواعيد ! اسرع ، اوضح لي ماذا يريد بطلك ، انا لا افهم كثيراً في الخيال، انا هنا امامك اسير على الارض، اقف على الرصيف، اركب الاتوبوس ، اتحاشى الازدحام .

— سؤال يا عزيزتي . . ذكرتني بالسير على الرصيف ، في الطرقات ، اصارحك باني اكره الارض ، اكره هذه الخطوات الثقيلة . . اما تحبين الانعتاق من هذه الجماهير ، تحلقين بين الغيوم مثلاً . . تنتقلين من غيمة الى اخرى ، كهذه الغيوم التي ترينها في سماء باريس !

— كيف يعني ؟

— يعني هكذا .

واخذ يحرك رجليه في الهواء بحركة تمثيلية كمن لا يرى شيئاً امامه وكمن ينتقل في الفضاء .

— تريد مني ان اسير هكذا ؟

— نعم ، تخطين من غيمة الى اخرى، فتقطعين الابعاد في لحظة وتنتصرين على هذا المكان الضيق المحدود ، وما تطويه في ثانية يضيه غيرك في ساعات !

فهمت .

— واخذت تنظر الى السماء وغيومها تتلاحق واحدة اثر اخرى ثم التفتت اليه -

— ولنفرض ان غيمة ابتعدت عن رفيقتها اكثر من اللازم ونقلت خطوتي فنزلت في الهواء .

اتدري ما ينزل بي ؟

— ماذا ؟

— تريدني ان اهبط من اعلى الى اسفل ! ماذا يحل بي عندئذ ، وهل تظن اني اصل سالمة الى الارض .

— طبعاً ، لا اصل سالمة .

— طبعاً ، طبعاً !

— اموت قبل ان يصل الاسعاف .

— انت ! تموتين ! وهل نحن بحاجة الى اسعاف ! يا عزيزتي والبطل الساكن في الطابق السادس، انه يشارف السماء في عليائه، وكأن الفضاء ميدان خصيب له ، تحمله جناحاه الى اقصى الآماد كوني مطمئنة ، فلم يعد يخفى عليه ركن من هذه الزوايا ، ان كان للفضاء زوايا! اطمئني ولا خوف عليك!

— يا له من بطل ! يا له من همام !

وسكتت لحظة وكأنها تفكر .

— يبدو انك مرتاح بعشرة هذا البطل .

— انا ! كفاك هزءاً بي ! تقولين مرتاح وانا محكوم بالاشغال الشاقة ! منذ لحظة طلبت مني ان احمل العود واعزف على الرصيف لاستجدي عطف المارة والآن تقولين اني مرتاح ! يعجبك هذا المظهر الذي . . .

— والآن معك ! اتخلي سبيلي او استنجد بالبوليس !

واشارت باصبعها الى شرطي يسير في اتجاهها .

— افهمي جيداً يا آنستي . . لا بد ان يراك البطل فارجو ان يكون ذلك بالطريقة الحسنى ، اريد ان انفض يدي من المهمة الشاقة المكلف بها، اريد ان ابدأ هذه الساعة حياة جديدة. طلقت الماضي ، طلقت كل شيء ، انت الآن النور الذى يضيء حياتي الجديدة ، انت .

وبدر منها ما يشير الى قرب الشرطي ، فلمعت في ذهنه فكرة استجاب لها في هذه المناسبة وبدلاً من ان يدع الفتاة تهم بخطوة قفز خطوتين ووقف امام الشرطي فبادره هذا بالوقفة العسكرية الحقها بتحية مؤدبة لم يجب الفتى عليها بغير كلمات متقطعة :

شكراً . . شكراً .

ومن ثم ارتفع صوته قليلاً :

. . من فضلك يا حضرة . . اريد ان . . اقصد انا و . . زميلتي نريد ان نعرف ، هل مقهى الدوم بعيد من هنا ؟، نعم، الدوم، انت تعرف ولا شك ، اما انا فاسمع به ، وانت يا عزيزتي تسمعين به اليس كذلك ! نعم ، نعم اقصد ، البطل سمع بالدوم ولم يعرف الدوم ! الطقس بديع في الدوم الآن، اليس كذلك! اتخيل ان السين يجري من تحت الدوم آه يا باريس!! باريس في الدوم والدوم في باريس والبطل حين يحط بباريس يحط بالدوم.

واسترسل يهذي هكذا حتى ضحكت الفتاة وضحك الشرطي، ولم تخف مع ذلك علائم الدهشة اذ اختلطت عليه عناوين باريس وخيل اليه ان قد يكون هناك مقهى للدوم غير هذا المقهى الذي لا يبعد اكثر من مائة متر في بولفار مونبارناس نفسه ، على انه التفت اليها واخذ يشير بذراعه :

— تريدون الدوم ! آه ! مقهى الفنانين في مونبارناس، انظروا، هذه الساحة على مائة متر من هنا والى الجهة اليسرى تجدون مقهى الدوم ، ترفهوا جيداً .

وهنا انتصب الفتى فرحاً وهمّ ان يعانق الشرطي لكنه قال بحرارة وشوق : — باسم البطل اشكرك !!

ولعل الشرطي مهما اوتيت مخيلته من خصب واختراع فلن يفهم شيئاً من امرها على انهما ودعاه بفيض من الابتسامات والقبلات الهوائية وغابا في الدوم !

باريس

احمد عويدات



الاستاذان اديب مروة واحمد عويدات

الشاعر البحار : جون مايسفيلد

مترجمة عن الانجليزية

بقلم يحيى صبري احمد

تصفحت مجلة الاديب فوجدت مقالة محررة بقلم الاستاذ جميل حمودي عنوانها : صديق الموج بيير فلوري . وحقاً كانت مقالة ادبية فنية ممتعة قرأتها بشغف ولذة . وهذه المتعة الاسرة حملتني على ان اتحف المجلة بمقال ادبي في مثل الموضوع عنوانه الشاعر البحار John Masefield وقعت عليه في مجلة انجليزية – مع الفارق هو ان مقال الاستاذ حمودي فني ادبي اما هذا فادبي خالص .

ولد جون مايسفيلد في عام ١٨٧٤ ، ولم يلبث ان واجه صعوبات الحياة ومشاقها اذ انه اخذ يعمل في البحار من سن الرابعة عشرة ، وكان ذلك ايام كانت السفن الشراعية تواجه صعوبات البحار واخطار الملاحة . وكذلك واجه الشاعر وهو لا يزال حدثاً لم يشب عن الطوق ، الطبيعة بكل قوتها وجبروتها ، وقد تركت الخبرة التي اكتسبها بقضاء تلك الايام والليالي فوق البحار العاصفة اثاراً لا تمحى من ذهنه فتعلم بذلك في مدرسة الحياة – وهي اشق المدارس واقساها – كيف يزن الانسان ويقدر الاشياء حقيقة قدرها . فليس من العجيب بعد ذلك ان يمتاز شعره بنضج مبكر وتعقل عملي يصعب ان يبارى به في جميع الشعر الانجليزي الحديث . ولكن مايسفيلد شغف فوق كل شيء بحب البحر وتقاليد الحياة فيه ، وبذلك اصبح الشاعر الكامل لامة البحار . . ورغم كل مصاعب حياة البحار فانه دائم الحنين اليها فاستمع اليه اذ يقول :

«يجب ان اعود الى البحار ثانية ، بين السماء المنغزلة والسماء الصافية وكل ما ارجوه سفينة ممتدة ونجم متألق يرشدها الطريق وارتطام العجل وهزيج الريح واهتزاز الشراع

«وضباب منتشر على سطح البحر وفجر ينبثق نوره في الصباح .

«يجب ان اعود الى البحار ثانية لان نداء الامواج المتلاطمة نداء عنيف واضح لا يمكن نكرانه .

«وكل ما ارجوه ، يوم عاصف وقد تلبدت فيه السحب البيضاء تجري بسرعة .

«وتطايرت قطرات الماء وارغى الزبد وتجاوبت اصوات طيور البحر . يجب ان اعود الى البحار ثانية الى الحياة البوهيمية الشاردة الى طريق الطيور والاسماك حيث تعصف الريح كسكين قاطع وكل ما ارجوه حديث ممتع بهج من مسافر مرح دائم الضحك ونوم هادىء وحلم هانىء بعد ان تنتهي الرحلة الطويلة .»

وهذه بلا شك ليست اقوال رجل من اصحاب النظريات جلس في مكتبه او في حديقة هادئة وهو يتأمل جمال الطبيعة متجرداً ، وانما هي اقوال رجل تألم وعرف الحياة وقد قاومت نفسه مصاعب الريح والامواج القاسية واستمتع بالتغلب والانتصار على اقصى ما يمكن ان يوجهه القدر من صعوبات وصدمات . . وحرفة البحار هي من اقدم الحرف ، بدأ الانسان ينتقل بسفينته ليعود بها محملة بالنفائس سالمة الى الميناء وذلك مذ وجدت فكرة الاتجار . . والشاعر بخياله الشاعري يقطع القرون ويتأمل تعاقب الحوادث وفعل الزمن ويجمع بذلك في لوحة شعره بين بابل وبريطانيا :

«سفينة نينوى العراقية التي شقت البحار من (اوفير) البعيدة

عائدة الى مينائها في فلسطين ذات الشمس الساطعة محملة بالعاج والقرود والطواويس .

« واخشاب السندل وارز لبنان والنبيذ الابيض الحلو .

***

« والسفينة الاسبانية العظيمة عائدة من الخليج تترنح على المياه الاستوائية التي انتشرت على جوانبها اشجار النخيل محملة بالماس والعقيق والزمرد والتوابل والياقوت والقرفة والنقود الذهبية .

***

«وسفينة الساحل البريطانية المعتمة وقد تركت الاملاح آثارها بمدخنتها التي خيم عليها الدخان تشق طريقها بين الاعاصير في ايام شهر (مارت) العابثة محملة بفحم التاين، وقضبان الطرق وظهر الصلب واخشاب الحريق والادوات الحديدية وصواني الصفيح الرخيصة».

وما يسفيلد

اكبر بكثير من ان يكون شاعر البحار والبحار فقط فقد كتب بعض قطع هي اجمل قطع الغناء الجديرة بتقاليد الشعر الانجليزي لعل اجملها القطعة التالية :

«لقد شاهدت الفجر وغروب الشمس فوق البراري والتلال التي تعصف بها الرياح .

«وقد اقبلا بجمال عظيم يذكر بنغمات موسيقى اسبانية القديمة، لقد شاهدت شهر نيسان كالسيدة الحسناء تقبل بأزهار النرجس الصفراء .

«وتقبل بحشائش الربيع الخضراء وامطار نيسان الدافئة الناعمة لقد سمعت انغام الازهار واغاني البحر القديمة وشاهدت اراضي عجيبة من تحت شراع السفن البيضاء ولكن اجمل ما اتاح الله لي مشاهدته من جمال هو صوتها وشعرها وعيناها وشفتاها القانيتان.»

والبحار

في صراعه مع البحر الثائر يتجه دائماً بأبصاره الى الافق الممتد البعيد ، والشاعر في احلامه يبحث كذلك في آفاقه عن مرسى لتصوراته يستطيع ان يحقق فيها احلامه. ومايسفيلد كشاعر وبحار يعبر عن كل منهما في شعره :

«نحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء ولا حب العاشقين ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه .

«ولكننا نملك الامل في رحاب الله الذي ينتظرنا على نهاية الطريق فليس من حظنا ان ننعم بالراحة والسلام والهدوء لاننا نبحث عن عالم لن نعثر عليه .

«فليس من رحمة لنا على سطح الارض ولا لامثالنا الذين يبحثون عن عالم مختلف لن نراه ابداً . ولن نرى غير الطريق وطلوع الفجر وبشوق الشمس والريح والامطار

«والرقيب يترصد الطريق في ضوء النجوم ولن نرى غير النوم ثم الطريق ثانية .

« نحن نبحث عن رحاب الله ومأوى الجمال فنجد بدلا عنها ضجيج السوق ودوي الاجراس التي تدق عند دفن الاموات .

«ولن نرى المدينة الزاهية حيث يلتقي الاشخاص الذين تشع نفوسهم بالفرح بل المدينة التي تظهر بالآلام ويزدحم في طرقها المحزونون. نحن نقطع الطريق حتى يخيم الظلام ويكشف لنا غروب الشمس عن ابراج قد امدت في الآفاق البعيدة . نحن نقطع الطريق من الفجر الى الغروب حتى يختفي النهار بحثاً عن المدينة المقدسة الكامنة خلف الآفاق ونحن لانحظى بصداقة الاصدقاء ولا حب العاشقين ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه .

«ولكننا نملك الامل في رحاب الله الذي ينتظرنا على نهاية الطريق.»

ذلك

هو الخيال الروحاني الذي حفظ الشاعر في كل المصاعب التي مرت به في حياته الطويلة المليئة بالاخطار وهي حياة التقت فيها الافراح بالاحزان على ان مايسفيلد قد وقع به منذ شهور (في عام ٤٣) قليلة اقسى الصدمات وهي فقد ولده في ميدان القتال في مصر ولكن شعره ما زال يعرض بكل اخلاص، الحياة بشرها وجمالها :

عندما تنفصل الروح عن الجسد
وتخمد حركة الجسم الذي كان ينبض يوماً بالحياة
وعندما يبحر الجسم الى عالم اللانهائية . .
فيا ايتها الروح حطمي الشباك
شباك الحديقة والنسيان
دققي النظر ان الشمس على حافة الغروب
دققي النظر وليغمرك الفرح
وتمني في الصورة في انتباه ووضوح
وليغمرك حب الصورة باعزاز واخلاص
اذ انه يتولد عن الحب والمشاهدة ،
ويخلق منها الجمال نفسه .
فالجمال لنا كالملكة
التي تحفظنا بروح هادئة
وتجزينا بالحب الخالص
في رحاب بلاطها الدائم الخضرة

بغداد — يحيى صبري احمد

احلام الناس الطيبين

بقلم حسين محمد فهمي

جناه

..ها اناذا تناول القلم لاكتب اليك ، وها هي الافكار تتزاحم والرغاب تفور في اعماقي ترى هل يصح ان اكتب دون ان استهل رسالتي شاكياً ما اقاسيه من الم الغربة : هذا المنفى الاختياري اللعين ؟ ! الحياة « هنا » شقاء ، والامل يلمع كالسراب ، والله وحده يعلم كم سراب وسراب ينبغي ان يتجاوز المرء منا حتى يصل الى الماء ! كثيراً ما أثوب من اغراقي على اصوات مرعبة تولول من حولي بزيج غريب من الاسى والشماتة .

— « يا هذا . . لقد ضللت السبيل ! »

. . والايام افواه تتحرك وتاوك بلا وعي آلي ، اضراسها « ساعات » من صلب تسحق الاحلام والعزم . ويستحيل الانسان الى امرء لا إرادي يسير بواسطة الايحاء ! فتصوري يا عزيزتي اي نضال شاق اخوض عبابه وأي عذاب مبرح اصطلي بناره حتى احتفظ ولو بفضلة — بتذكار — من روحيتي اذا كان ولا بد قد كتب علي ان أئدها بيدي هاتين . . مسكين الاب الجاهلي ، انه اجدر بالشفقة من فلذة كبده الموؤودة !

الى متي تظل الاقدار والظروف تتلاعب بالانسان كريشة في مهب الرياح ، فان الكثيرين لا يملكون من امرهم ضراً ولا نفعاً . الى متى ستظل الاقدار تخط طريق الانسان ، تفتح له في جوفها سبيلاً يتجه كما تشاء ويؤدي الى ما تشاء . . وغالباً الى ما تأباه نفسه وتعافه كبرياؤه !! يجب ان يذل عناد الظروف وتلان قناتها

حتى يتسنى لكل امرىء ان يسلك الطريق التي ترتاح اليها نفسه والتي يتاح له عبرها ، ان يؤدي اوفر كمية من الخير والنفع ، وان يلقى الكثير من الوان المتع ، ويأتي بكل رائع من موحيات الاعتزاز . . فلا ينبغي ان يظل حلم الانسان بالفردوس الارضي وهماً فحسب بل يجب ان يصبح حقيقة وفي اقرب وقت ممكن ! .

انا اعرف ان الزهور ما زالت تفتر عنها اكمامها ، وشمس الصباح تشرق كل يوم بهية ماتعة ، وما زال لسكون الليل روعته وقدسيته ، وانا احب كل هذه المفاتن وأراها جميلة . . ولكني احبها اكثر وأراها اجمل في بلادي .

. . وما الاديب — يا صغيرتي — الا طفل كبير واع يسعده ما يسعد الاطفال ويحزنه ما يحزنهم . وهو واع لانه اكثر من غيره ادراكاً لآلام الغير ، لذا صدقيني ولا تاوميني ، اذا قلت بأني اشعر بمسؤولية مباشرة عن بؤس كل بائس فوق هذا الكوكب الجميل . . وهذه المسؤولية تحتم علي النضال العنيد في سبيل رفع الحيف عن كل انسان وافساح المجال الشريف لكل انسان ! كم آسف لان ثمة اطفالا ليس عندهم قابلية للمرح ، وثمة اناس تلهيهم هموم الحياة عن ارخاء الاعنة لاخيلتهم ، عن ان يتذوقوا وهم يمضغون ايامهم هذه النكهة التي تثير الشهية والتي تجعل للحياة طعماً اثيراً . الحياة نعمة من السماء فمن العار ان تستحيل على بعض الانفس ، او على الاصح ، على الاكثرية الساحقة من الانفس ، الى نقمة ! !

لا ، ليس بالمستطاع ان نقنع بالحياة هكذا : كما هي . . وثمة قيم انسانية تتعرض للهوان والتجريح على مرأى ومسمع منا . . ان هذا يعنينا . . ان هذا يمسنا بالصميم

يا صغيرتي الجميلة :

ان نسمة رطبة تجرر اذيالها الحريرية فوق وجنتي فأشعر بسكينة ناعمة تحل بقلبي سرعان ما ينتصب من اعماقها ايمان جبار يبسط ظله الى ما وراء الافق البعيد .

ان هذا الليل قد اشرف على حتفه وان النهار على ابواب الشفق . . وها هي طرقات قبضته الحديدية تجلجل كالرعد ، لقد آلى على نفسه ان يقتحم هذا الليل البهيم ويبدد وحشته بساطع نوره .

وان الساعة تقترب . فملايين البشر ، الملايين من البؤساء والمعذبين والمستضعفين يتحسسون اجفانهم مزيلين ما علق بها من الوسن اورويداً رويداً تسطع امام اعينهم قيم جديدة تجسد لاذهانهم مدنية فضلى وحياة مثلى ، فينفضون عنهم الكسل بعنف ثم يعدون بحماس ، ومن برهة لاخرى يتحسسون جوانبهم علّ العناية تنبت لهم اجنحة فيطيرون ! ! . ترى من يستطيع ان يوقف السيل الطامي ؟ . . من يستطيع ان يقف بوجه السيل الجبار ؟ !

ان الافريقي ذا اللون الاسود يتطلع الى حريته التامة ، والصيني الاصفر يأبى ان يكون اداة للاستهلاك فقط ، والعامل الابيض يرفض ان تظل قواه ينابيع ثرة للطفيليات المدللة. لقد بدا ، واضحاً جليا، افق منير . وها هي طلائع التقدميين تولي وجوهها شطره: منها من ينطلق كالسهم، ومنها من ينقض كالنسر ، ومنها من يعدو ومنها من يزحف، ومنها من يدب كطفل لم يبلغ الفطام .

حديثي هذا اليك — يا حبي — بسيط فالمرأة الجميلة — مثلك — ليست بحاجة الى ثياب فاخرة لكي تبدو جميلة . ففي ثوبها البسيط الكفاية ، بل لعل روعتها ناجمة عن هذه البساطة فقط . وان قول الحق ايضاً ليس بحاجة الى تزويق لفظي كي يجد سبيله الى النفوس الطيبة السليمة . انا اعتقد — بل وأومن بقوة — بان ما اكتب اليك هي امور بديهية ليس باستطاعة اكثر الناس تعنتاً الا ان يسلم بها . . رغم حزازات نفسه المريضة!

كم هي جميلة ومشرقة حياة بسيطة لانسان كادح في مجتمع ما حتى وان تكن مشحونة بالعمل الجسدي الشاق طالما هو يشعر شعوراً اكيداً بان كرامته الانسانية محترمة كأي انسان . . كأكبر انسان يشغل مكان الرأس في مجتمعه ؟! .

ان تعريفاً جديداً للمدنية يبرز : فليس مقياس مدنية الامم بمقدار ما تملك من الجيوش والاسلحة والمستعمرات ، بل بمقدار نصيب طبقات شعبها من الرفاهية والحرية والكرامة ! .

. . وان نظرة عجلى نلقيها على التاريخ ترينا المراحل التي اجتازتها البشرية في تقدمها الصاعد . ونظرة اخرى، وان تكن اقصر فهي اقرب لافهامنا ، نستعرض بها الاحداث التي عايشناها وما كان يفور في جنباتها من الافكار والنزعات ، تظهر لنا تطورات الفكر البشري التواق الى التحرر رغم محاولات الرجعية المتكررة وتكييف رجعيتها وفق مقتضيات الظروف والامكنة ان الاستعمار مثلاً اصبح سبة يتجنب تسميته باسمه حتى اكثر المتشبثين بروحيته ويستنبطون له شتى الاسماء الخلابة الخداعة . وحق الامم والافراد بالحرية والسعادة قضية مسلم بها مبدئياً . . وان يكن الكثير من الامم، والاكثرية الساحقة من الجماعات البشرية ما زال النضال لديها على اشده حتى تقر حقها واقعياً ايضاً وتستخلصه كاملاً من بين براثن المغتصبين ! .

. ويوم النصر يقترب . . ان الشمس ستشرق في الغد . . وستمتد اشعتها لتحتضن بحنان طفلاً وطفلة ، نظيفي الثياب، يطفح وجهاهما بالعافية، ويتدفق من عيونهما ينبوع غير من حب الوجود، تتلألأ فوق صفحته الوان فاتنة من الاطمئنان والبهجة والتفاؤل، يسعيان بمرح كحملين صغيرين الى مدرستهما الجميلة . ويهز النسيم اغصان الشجرة الكبيرة فيخالانها تبتسم لهما وتصفق مشجعة

— : مرحى يا اطفالي ! . . لكم الدنيا على رحبها .

حتى حقول القمح الخضراء فهي تمايل متراقصة تحت اشعة شمس الصباح، تلمع على مفارقها حبائب الندى اللؤلؤية، وقد تبدو من فوقها آثار الدخان، ولم تعد تنتهك حرمة احلامها قرقعة الغيلان الحديدية وقد تجمعت اضلعها على قلب لا اثر للرحمة فيه يدوسها بعنف دون ان يشعر نحوها بأسى !.

والناس ينظرون بفخر الى كل طرائف الوجود لانه صنع ايديهم، ويتساون من جمال الحياة لانه لولاهم لم يكن . ويحدقون بثقة وعزم الى الغد : انه لن يكون الا كما يشاؤون ان يكون ! !

ليست هذه احلاماً . ان هذا هو مصير الانسانية المحتوم نتبينه بوضوح وجلاء كما نتبين هذا الرجل وهذه المرأة ، هذا النهر وهذه الشجرة . فلقد انقشعت الظلمات .

يا جناني الخالدة :

وها هما شفتاي تفترقان عن قبلة اهم بطبعها على . . ثغر الحياة ، وقد بدت لعيني امتداداً طبيعياً ومعقولا لك — انت ايتها الحبيبة الصغيرة — اذ تبدد من على سطحها كل أثر للطمع والحسد والغدر والاحتيال والاغتصاب وغيرها من جواثيم الانظمة الاجتماعية الفاسدة . والناس في زحمة الحياة يسابق كل منهم الآخرين حتى يكون أجدى — في مضماره — وانفع للمجموعة البشرية التي يعايشها . هذا هو الانسان « السوبرمان » وأنف نيتشه المجنون راغم!!

انه لا يضاهي قسوة الحياة الا جمالها . جمال الاحلام . . التي ينبغي ان لا تظل احلاماً!

دكار ـ السنغال حسين محمد شحن



هـــو ذنـــبي

كل ما تفعلين تدركه نفسي ويأبى ان يحتويه ضميري
حينما نلتقي ويخفق قلبـــانا احس ارتعاشة المقرور
وأدرى ما يغيب خلف محيّاك وما ينطوي وراء الستور
واختلاج الجفون يؤلمني منك وان هز كامناً من غروري
كم تحفزت كي اقول وظلت شفتي قيد عـــالم مأسور
وتلمست ما اريد . . وجاءت كلماتي ببحة المصدور
فتبسمت . . ثم عدت الى صمتي كأني في معبد مهجور
غصّ قلبي بما تراءى له منك فأهوى على الشراب المرير
لم يمت ذلك الذي فيه لكن عاد حياً فضلّ بين القبور
يتردى على بقـــايا من الظن ويصبو بنشوة المخمور

***

هو ذنبي، فقد نبذت مماواتي واحرقت جنتي في سعيري.
انا حولت جورنفسي الى نفسي وأذللت سيداً من شعوري

بغداد — **اكرم الونّى**

الى زهـــرة

يا زهرة ضمت عـــلى العبق
شفتين من جمر . . ومن شفق !
لا تبخلي بسلافة القبـــل
ورحيق ثغـــر بالهوى ثمل
كي لا يموت بفجره امـــلي
وسنـــا رؤاي ورعشة الغزل !
وصبابة تنزو على حُرقي !

انا للجمال خلقت . . . اعبدهُ
في كل شيء رحت انشده !
في الجدول الساري امجده
في الزهر . . في لحن يردده
قصب الرعاة السمر في الفلق!
في النعجة البيضاء . . في الوادي
في المنحنى . . في سفحه الهادي
في اليم . . في ملاحه الشادي
في ذهل ثغر للهوى صـــاد
تعفو عليـــه خمرة الغسق !

يا زهرتي . . يا كأس الحاني !
ان جئت ابغي ثغرك الثاني
ردي شفاهي عن هوى فـــان
فلذاذتي الكبرى بجرمـــاني
وسراب حلم راقص الالق !

فؤاد الحسن

أنـــت !

اي شيء انا ؟ اسير وحولي ألف عين ، معتوهة الاجفان
يتندى على مراشفهـــا الليـــل سؤالا مجرح الالوان
اي شيء ؟ أحفنة مـــن تراب الارض يمضي في جوفهـــا بهتاني
ام مدى ينطوي الى غدي المجهول ، ساه في غفلة الهذيان
ام مصير يقله الابد الدامي ويهذي بعالمي وكياني
انا امشي — وليتني لست امشي — كل يوم الى قرارة حان
اعصر الروح في الكئوس ، ولا اروى ، وتشتاق راحتي دناني
او معنى الحياة ، ان اسرف الروح ، واعطي ما ليس طوع بناني
او معنى الحيـــاة ، ان اسفح الفكر ، واعطي سلافة الوجدان
او معنى الحياة ان ابلوَ العيش ضروباً ، أعلها احزاني
او معني الحياة تجربة قصوى تمطو على جراح زماني

عالم لا اريـــد ان ينطوي بي دون ان ارتوي بكأس وجودي
ان عيشي مدى يسير به الركب وما فيهِ لفتة من حدودي
أأسير لدي مقاطعي الصم ، اسير لمـــا تصوغ جهودي
ليس معنى الوجود ان اقطع الافق وافنى عـــلى مداه البعيد
ان معنى الوجود ان اسكب الروح ظلالا علوية التمجيد
ان معنى الوجود ، ان فجر الصبح سناه على شفـــاه الوجود
ان احس الهوى ، فمـــا غير حبي يعتق الروح من ثقيل قيودي

« انت؟» هذي الظلال تشربها روحي ، وتغري بها طيوف نشيدي
«أنت؟»هبني الحروف«انت»!هبك العمر بكراً في كؤوسي ووروديِ
ليت شعري ؟ وما الوجود لو أنا لم نكن غاية المسير المديد
يستحيل الخلود وهماً اذا لم يكن الحب مذهباً للخلود !.

حمص — انعام جندي

عينان

انا قد عشقتك يا صبا طهري من حيث لا تدرين او ادري
انا قد عشقتك في الضحى القاً زفت بشائره يد الفجر
شهقات روحي يا رحيق غدي سحب معطرة من الشعر
فصلاة قلبي كم سمت نسكاً وهمت كأنجزة من العطر
انا قد عشقتك جمرة بدمي والند لا يذكو بلا جمر

***

عيناك اسرار محجبة بالسحر والاحلام والخمر
كم قد سكرت بجانبها ولهاً وصحوت والعينان في سكر

باريس — عبد القادر رشيد الناصري

مصرع خيال

يا جنون الرياح ، يا ظلمة الليل ، ويا وحشة النجوم العرايا
ما لهذا الوجود ، ينهدّ في النوء ، وينهار في مطاوي رؤايا ؟.
ما له ، كالذبيح ، يخنقه الرعب ، وفي صدره المدمّى بقايا . .
محجري ملؤه الدخان ، وكفي تتزامى على لظى وشظايا
كانفجار الطوفان ، يندفق الليل ، ومثل الهباء يفنى البرايا
كل شيء يغيم ، والدهر يناع ، وفي الارض ثورة وشكايا .

. . ترى نقمة من ضمير السماء
غطت بصدر الزمان المبيد
ارى كل منطلق ، في خطاي
يضيق ، وكل طريق يميد
واشعر آناً كأني هرمت
ومت ، وآناً كأني وليد
ينوح في ضحكتي مأتم
ويضحك في عبرتي اي عيد .!

عاد ملء الفراغ ، ينبض جوع في ضميري ، وحلم دنيا قتيله
وتوابيت ذكريات تهاوت خلف ظلي ، على الدروب الطويلة
وأغان مكفنات بصمت أبدي علي ارخى سدوله
انا عبد الخلود ، كنت بحلم اتلهى ، وارتجي مستحيله
مزقت قبضة الفناء حجابي وارتني السراب بعد الجميله
وتناهت الي اسطورة الدن وما فيه من افاعٍ جميله
وعرفت السموم ملء عروقي قبل غيبوبة الغروب الثقيله
وتلاشى بي السكون ، وأخفى عني القيد همسه وصليله
وتعثرت في التراب بباب لمكان كنت اشتهيت دخوله
فتوقفت لحظة .. اتملى عالماً . . . اطفأ الوداع طلوله
وتمنيت ، في انتحاب ، على الاقدار ، لو أبدت علي الطفوله !

. . انا العبد مات الخيال الذي
تمدد ملء فراغي الأبيد
تزايل لا هاتف للجمال
بقلبي ، ولا ملهم للنشيد
هو الحب ، بل هو روح الحياة
فنت فيه ذاتي وذاب الوجود
تهاوت هياكله في الظلام
وغابت ورائي كوم سعيد
وها أنا ازحف تحت السماء
لأبحث لي عن خيال جديد !

البصرة - العراق — محمود البريكان

رؤى

يا خليليّ عللاني فاني ضقت بالعيش والهوى والزمانِ
اسقياني — ان شئتما — جرع المر ولا ترحما شبابي الفاني
وذراني فوق الرمال وحيداً متع العمر أقفرت والمغاني .
يا خليلي والمزار بعيد يتناءى في كل آن وآن
أين صارت مضارب الحي منا عللاني بذكرها عللاني
والعقيق العقيق اين توارى اين اضحت ملاعب الغزلان
كل فتانة اللحاظ لعوب تتهادى في زيها الفتان
والندامى في الساح نشوى سكارى اترى يذكروننا في الاغاني
اين ضاعت تلك الرؤى يا خليلي وغابت عن اعين الركبان
ما حياة الانسان الا منام في منام منوع الالوان

ثم يصحو فلا يرى في الزوايا غير اشباح امسه النشوان
فيعيد الفؤاد حيناً رؤاه ثم يلقي بهـا الى النسيان
وتجف الحياة الا بقايا حالمات تهيم في الاكوان ..

نيويورك — نزار الكبالي

غـادتي

غادتي .. فجر شبابي هلهلي لحن الرغاب
سلسليه عبقريا ساحر الايقـاع سابي
هوذا القيثارة النشوى تناهت في العتاب
عانقيها فهي تشكو طول هجر واغتراب
انشديها ذكريات من لياليا العذاب

غادتي الهمتني الحب مما ويا سما بي
فيه ما يسفحه النور على زهر الروابي
فيه من هفهفة الاظـلال من لون الغياب

انا لولا الحب ما سلسلت لحني في عذابي
انا لولا الحسن حطمت على الدرب ربابي
انا لولا وثبتي للنـور .. هزئي بالتراب
كنت ما كنت سوى طيف تهادى في السراب

غـادتي يا سر نجواي ويا معنى انجذابي
هدهديه نغماً يغفو على احضـان غابي
وابعثيه حالماً مثل الضحى عبر الهضـاب

بولس اسعد الشرتوني

يـوم مولدي

أتيت الحيـاة عـلى غرة — ولم ادر ماذا أسر القـدر ؟
ولم أدر ما خبأت لي الصروف — وما اضمرت لحياتي الغير ؟ ؟
بعثت الى الارض من عـالم — يروق النـوى فيه لي والمقر

هبطت على ظهرها كالملاك — وسرت بهـا حيث لم استشر
فقد جئتها مكرهاً باكياً — ولم أرض لي مهدها مستقر
وقد ونستني بأوضارهـا — فعانيتها مند عهد الصغر
ولما تضايقت من سجنهـا — ولم يك لي من أسـاري مفر
تفتحت في روضهـا زهرة — اغني المساء وأناجي القمر
ارف على ظهرها كالسنـا — واسري بها كنسيم السحر
أذوب في فمهـا بسمتي — فاضحك زهر الربى والنهر
وأسكب في اذنها نغمتي — فأرقص قلب الحصى والحجر
وارتـع بين الرجـا والقنوط — وملء اهابي الاسى والضجر
ارى دمعتي في سقيـط الندى — والمحهـا في ابتسام الزهر
اجس فؤادي في مزهـري — والمسه في حنين الوتر
اطيل التأمل في الكائنـات — فأغدو غريقاً ببحـر الفكر
بعثت وحيداً بهذا الوجود — فرحت اغالي شقاء الشر
ولو صدقتـني انا نيتي — لما مس قلبي الاسى والكدر
فقد خادعتني بروق الخيال — فلم استطع من يديها المفر
فعدت بوهمي اعاني الشقـا — والقى من العيش شتى الصور
وعادت حيـاتي بهذا الوجود — اقاصيص قد ملئت بالعبر

الظهران ـ المملكة العربية السعودية — محمد سعيد المسلم

جنـازة الاحـلام

دفنت احلام الصبا .. فأذهبي — ما الحب بعد اليوم من مذهبي
دفنت احلامي ، فهل يا ترى — ما زلت يا ليلى تهيمين بي ؟!
كأنني لم أدر معنى الهوى — او لم تكن عيناي عيني صبي
غدوت لا اشعر ان تبسمي — وبت ان شاهدتني .. اختبي!!
انا الذي عهدتني عاشقاً — امسيت في دنياك مثل النبي
انا الذي عهدتني لاعباً — في الحب امسيت بلا ملعب
والجنة الفيحـاء من عمرنا — تناوحت صحراء لم تعشب !
دفنت احلامي .. وشيعتهـا — وسرت في جنـازة الموكب
والحفل من خلفي زهور ذوت — وانجم تبـكي على كوكبي !
جنازة الاحلام هذي ؟! بلى — اليوم حررت شعوري السبي !
هاتوا الشموع البيض افنى بها — فانتهى من امسي المجدب

جنازة الاحلام !! يا شمعتي ذوبي سريعاً كي ارى مهربي
ذوبي لكي اعلن ان الهوى دفنته في واحة المغرب

رام الله - الاردن — منا جاسر

موطني

موطني بسمة الصباح المنير ابدعته يد الاله القدير
نحن حلم سجي عميم العطايا في فسيح الهدى وكنف الضمير
ايه يا أرض كم شقينا زمانا نبعث المجد يوم عزف النفير
نحن حلم يطوف صحراء روحي نحن وشي من السحاب المنير
يا بلادي كساك ربك حسناً وانهدى المجد في الجلال الغفير
تهتدي الناس والهدى في حمانا موطني النور للضل العسير

انت من انت يا ليالي الرزايا تدأب الصدم في مجال النسور
انت يا ارض من هيولى البرايا اسك العمر من عظام الدهور
نحن في الارض نشوة من خيال تتهادى على جبين العصور
نحن قوت تغذت الارض منا يوم كان الهوى شراع الضمير

نصرف العمر والسنون شراع تمخر الدهر في اصطدام يسير
يا بلادي شدت طيور الاماني وتخمد الصوت عصفة الزمهرير
يا جبين الزمان كم كنت نوراً يدفع الضيم والشقا عن خرير
نكرم الضيف في اشتداد الرزايا ملعب المجد في ربانا النضير

شاهات - لبنان — الاديب عفل

يا اخي

يا اخي الضارب في التيه وما كلت خطاك
حاربتك الريح من حولك تبغي منتهاك
والسراب انداح مغروراً فوارته رؤاك
ودجا الليل ولم يعصم من الليل سراك
وترامى الشوك في الدرب فسارت قدماك
انت لم تحفل به حتى وقد مص دماك
وسموم الريح هبت، فتلقتها يداك
والطوى آذاك واشتد ولم يرحم طواك
انت تمشي في اندفاع والدنى تمشي وراك
فاذا اليأس تراءى حطمته قبضتاك
واذا الدمع تنزى خفقته مقلتاك
يا اخي ان تهت في الدرب فلا تلق عصاك
سر وكافح جاهداً ما اسطعت تبلغ مبتغاك
كن اميناً صادق الرأي جريئاً في دعاك
سوف القاك وان عز لقائي ولقاك
سوف القاك أخي حراً كريماً في حماك
من سوى زندك، يبني المجد قل لي: من سواك
انت صوت عبقري وانا رجع صداك

غزة — هارون هاشم رشيد

الافق الازرق

هناك .. هناك .. يا زورق معالم افقي الازرق
هناك بملعب الاضواء حيث الشمس لا تشرق
وحيث الثغر لا يشبع .. والاجفان لا تطبق
وحيث الزهر لا يذبل .. والاشياء .. قد تعشق !
هناك .. هناك .. في دنيا من الآمال .. لي تخفق
رأيت — وكم أرى !! — قصراً .. مليء الساح بالزنبق
على جدرانه تترى .. مشاهد حلمي الاحمق
وفي ارجائه .. تدوي .. اناشيد .. بها يغرق !
به احيا على امل ولا اخشى غداً يرهق
اعيش اللذة العجلى ولا اندم .. او اشفق !
.. هناك .. هناك .. بعد الافق تحت نوافذ المشرق
بدت دنياي .. كالاوهام .. في وهج السنا تحرق
فسر بي .. لم يعد بيني .. وبين الافق يا زورق
سوى عمري الذي يمضي . وايامي التي تنفق !

باسم الجسر

مكتبة الاديب



الشعر الصوفي

لنسيب الاختيار – ١٤٣ صفحة – حجم متوسط – المكتبة الاهلية ببيروت

أحب من الكتب ما وافق مزاجي ومزاج مؤلفه ، وقلما يتفق لي هذا التوافق . والكتب منها ما تحس به تنسم الرياض ، ومنها ما يلفحك وهجه ، او يهيج عليك اعصابك ، او يذهب بك مذاهب الفكر والشعور . وعلى الناقد ان يفضي بطبع نقده ، ليعلم القارىء والمنقود اي نوع من النقاد هذا الذي يحلل الاثر ، وينشر الخبر . وعندي ان امر النقاد على المنقودين والقارئين اولئك المتزمتون في النقد ، الذين يؤثرون التقية ، ويوارون نفوسهم بالتجرد . ولو سألت احدهم عن مذهبه ونظرته لحرت في أمره ، فهو حيناً يبدو لك انه من اهل النزعة الموضوعية ، وآونة يقرر امره في النزعة النفسية ، وتارة يقول انه من التأثريين الذين يجعلون صفحات قلوبهم كورق التصوير ، لا يكاد يقع عليه بصيص من ضوء حتى يؤثر فيه بالمشاهد والاشكال . وهؤلاء خير من سواهم . وسواهم الذي عنيت ملتزم للصمت في نفسه ، مكثر للكلام في غيره ، وقد ينقدك من وراء حجابه الصفيق فاذا جرحك لم تعرف مصدر الطعنة . ولعل اشبه انسان به ذاك الذي يرجمك بحجر فتتلفت فلا تراه .

تلقيت الصديق الاستاذ نسيب الاختيار حين دفع الي كتابه « الشعر الصوفي » بكثير من الحفاوة . لاني أعرف مزاجه ، وأعلم كيف ينبغي ان يكون حال كتابه . ولم اعجب لامره يوم قال لي انه بسبيل كتاب يؤلفه في اشعار الصوفيين ، فقد عرفته اذ كنا ناشئين صوفياً بالفطرة . لا تستعبده الوظيفة ، ولا يقيده المجتمع . ولو لم يصنع كتابه هذا فينضم به الى جماعة الصوفيين لناديته بهذا النداء :

– ايها الاديب البوهيمي .

فالبوهيمية افضل ما ينبغي ان يطلق عليه من الاوصاف . وقد كان يعب من شراب الصوفيين زمناً ، فلما رُويت عروقه بهذا الشراب ، اخذ يكتب الكتاب .

تكلم في كتابه على الحلاج وابن الفارض ومحيي الدين بن العربي ورابعة العدوية والشيخ السهروردي ، اما الحلاج فأعجبني في كلامه عليه معارضته بسقراط وتبسطه في المحنة التي لقي بها الحلاج مصرعه ، كما لقي سقراط . وكلاهما كان ضحية الفكرة الحرة .

وقد اورد المؤلف شهوداً عدولا على الحلاج بعضهم كان معه وبعض كان عليه . ولو أدخل بين هؤلاء الشهود أبا العلاء المعري الذي كتب عن الحلاج في رسالة الغفران كل مستحسن لما شالت كفة المفكر المصلوب .

اما ابن الفارض فنسج له المؤلف عالماً خاصاً فصل به القول في نشأته وثقافته وتجواله في البلاد ، ودرس حالة عصره السياسية والفكرية والدينية . وألم بتحليل صوفيته الذائبة الهفهافة ، غير مستعين بشواهد من شعره اذ كان يعلم ان بطوق القارىء المتتبع الرجوع الى ديوانه المطبوع .

وكان باذلا جهده في ان ينزع شعر ابن الفارض من حلبة الشعراء المترقين كما شهد له القدامى لينزله في حلقة الشعراء المتفننين ، حين يراه قد اجرى في لغة شعره تعابير فنية رائقة ما عرفها الصوفيون قبله . وقد خلع عليه وصفاً صائباً في تحليل الشعر . وهو انه كان شاعراً صاحب وحدة موضوعية ، يأتيك بالقصيدة على انها ذات وحدة فائقة . بعيدة عن الاستطراد الذي عرفه الشعراء المتقدمون والذين عاصروه . ولم يجد الاستاذ الاختيار نبواً في شعر ابن الفارض اكثر من الافتقار الى الجزالة . على اني اجد في شعر هذا الصوفي تعسفاً فنياً في الصوغ والاداء . فقد وقع فيما وقع فيه معاصروه من التصنيع والتكلف في استعمال ضروب البديع . وجميع شعره موسوم بالبديع الذي يقل فيه التكلف او يزيد .

اما رابعة العدوية فويحها من صوفية شاعرة . تأخذني رهبة كلما فكرت في امرها ، ورأيت الى حالها التي كانت فيها وما صارت اليه . كانت جارية عند سيدها ثم صارت وهي حرة الى الصفاء الروحي ، والحب الالهي . وقد احسن الاستاذ الاختيار الى رابعة العدوية فصورها كيف طهرها حب السماء من ادناس الارض . ولا اشك انه صنع لها ذلك لتحسن هي اليه ، فلعله في استغراقة من شطحاته البوهيمية يرى خيالها مياساً بين عينيه اذا مشى ، او بين سطريه اذا قرأ .

وقد رآها صوفية نقية مثلما رآها غيره حين راحت تقول لربها

احبك حبين حب الهوى وحباً لانك اهـل لذاكا

وعندي ان رابعة حرمت اهل الارض الفانين هذا الحب الصافي ولعل فيهم من كان يفتقر اليه افتقار الارض الجدبة الى بل المطر. وجادت به على رب السماء ولعله كان في غنى عنه .

وللكتاب مقدمة ممتعة في التصوف الاسلامي والغزل الصوفي، ممزوجة بمقارنات من الادب الغربي ، ويتجلى التصوف في الفكر والشعور . وقد ساق المؤلف الشواهد على نقاء الصوفية ،ولم يسقها على كدرتها . ولذلك لم أجد أثراً لمقالة المعري عنده. وكان ابوالعلاء من اشد الاعداء للمتصوفين . سلقهم بالتعبير ، ولمزهم بالتهكم ، وجعل نفسه قطنياً متيناً ، امام صوفيتهم المتهافتة .

دمشق زكي المحاسني

سان مرتين بطل السلام

لملاتيوس الخوري — ٢٨٠ صفحة — حجم كبير — ورق صقيل

بوينوس ايرس الارجنتين

يرجع عهدي بملاتيوس الخوري الى ايام التدريس، يوم تركت مدرسة الكتاب والقلم الى مدرسة العالم كما يسمونها ، يوم كنت اقرأ اسمي تحت بضعة ابيات من الشعر فيصفق قلبي طرباً ثم احك باصبعي على ذلك الاسم لاتأكد من انه لم يكتب بقلم رصاص . يوم كانت تتزاحم في خاطري امجاد الابطال والعظام في تاريخ الامم ، اولئك الرجال الآلهة الذين كنت موقناً ، اللهم بيني وبين نفسي ، بان اصبح يوماً من الايام واحداً منهم ، شأني بذلك شأن معظم التلامذة على مقاعدهم المدرسية . ولكن سرعان ماتبددت هذه الاوهام عندما هبطت من برج احلامي العاجي ، ورأيتني ازاء عشرين طالباً اختلفت عقولهم كما اختلفت وجوههم ،امكث معهم ساعة من الزمن ثم اصرفهم لاستقبل عشرين وجهاً جديداً لا اعرف عنهم الا انهم جاءوا ليجمعوا في رؤوسهم بعض « الحراتيق » على زعم ميخائيل نعيمه .

من الطاولة الى اللوح الاسود ومن اللوح الاسود الى الطاولة، على هذا المنوال كانت تتكرر ايامي وسط دائرة ضيقة ذات آفاق محدودة طالما ضاق صدري من الاتكاء عليها ، ولكم كنت اطلق الزفرة تلو الزفرة اثناء تأملاتي الطويلة المتلونة بألف لون ولون : سخافة ، اضطراب ، اتزان ، مجد، تردد ، اقدام ، جرأة، خوف، زهو ، ذبول ، عزاء ، يأس ، حب، كبرياء ، الم وهكذا دواليك فلو اجتمعت كل هذه العناصر المتسارعة المتضاربة في رأسي آنئذ دفعة واحدة لكان رأسي اول قنبلة ذرية برزت الى هذا الوجود ، كانت عيناي تغرورقان بالدموع احياناً، كنت انظر بدهشة وخوف، بهزء واستخفاف الى هذا الميدان المترامي بل الى هذا الحضم الواسع الذي ندعوه العالم قائلاً في سري : ما اصعب الحياة وما اقوى ابوابها لعنة هي الارض وشياطين هم الناس .

في هذه الفترة القلقة من حياتي شاءت التقادير ان أتعرف الى ملاتيوس الخوري الذي انا بصدده في هذه السطور، فبات على صلة بكل ما اختلج في نفسي من الم ونقمة واضطراب وغيرها من الاحاسيس التي رافقتني وقاسمتني كأسي ولقمتي وفراشي . تلقيت منه رسالة لا ازال احفظها حتى اليوم ، رسالة خليقة بالتسجيل لما حوت من حكم بليغة تقطر بلسماً وعزاء ، رسالة تنبض بالقوة والايمان ، كان لوقعها صدى مؤثراً في اعماقي ، عرفت منها لاول مرة ان ملاتيوس الخوري هو ابن الحياة البار .

وها هو اليوم بعد ردح من الزمن يرسل الي كتابه الجديد « سان مرتين بطل السلام » . ان ملاتيوس الخوري يؤكد اليوم ان ما كتبه لي بالامس لم يكن ادعاء فارغاً ولا سحابة صيف مجدبة بل كان ايماناً ثابتاً وعقيدة راسخة ونقطة ارتكاز دأب على صيانتها من اعاصير الخمول والكسل ، فرافقته مرافقة الظل وها هو اليوم يبرهن عن ثباته المعهود في كتابه الجديد حيث استهله بهذا النداء : الى الامام ، الى العلاء الى الكمال ».

قرأت هذا الكتاب فاذا بي المس التضحية والجهود التي بذلها المؤلف في هذا السبيل ، وبالرغم من ان الكتاب لم يكن ثمرة خلق او عصير استنزف دفاع المؤلف بل سيرة حياة محرر عظيم ، اخذت عن مستندات ومصادر تاريخية رسمية ، فالوقت والدقة والبحث المتواصل والمواد الرئيسية التي احاط بها في تتميم هذا المشروع كلها جديرة بالاعجاب والتقدير .

كل عمل نعمله تحت الشمس اذا لم تتقدمه الغاية السامية يعد سخيفاً باطلاً . ولعمري ان كتيباً توجيهياً بسيطاً يعالج الحالة الراهنة ويضرب صاحبه بمبضعه على نقطة الالم ، لهو عندي افضل واعظم من اي مجلد حوى بين دفتيه ركاماً من الاحاجي والمعميات وحشوا من الفلسفات الفارغة التي يعمد اليها ثقلاء المؤلفين والانعزاليين الانانيين ، كوسيلة لابراز معلوماتهم وما تكردس من نفايات طي جماجمهم الصلعاء . . فعمل ملاتيوس الخوري يعد عملاً مجيداً بالنسبة الى الغاية السامية التي يسعى اليها ، فهو يقدم لشعب لم يزل خدراً، مأثر شعب انتفض من دمنة الخنوع واستيقظ على حداء المحررين الميامين

ولقد قال لي احد القادمين من الارجنتين :« كان الاجدر بملاتيوس الخوري ان يقدم لنا عوضاً عن سان مرتين بطلاً عربياً كطارق بن زياد مثلاً او غيره من ابطال العرب » فنرد زعمه على صفحات هذه المجلة قائلين :

ما من احد ينكر عروبة ملاتيوس الخوري واخلاصه لقضية بلاده واعتزازه بابطال العرب ، لكن البلاد العربية افتقرت ولا تزال تفتقر الى مثل هؤلاء المحررين العظام ، فلو ذهبنا بعيداً واستعرضنا مواكب الدهور الخالية لرأينا شعباً مسكيناً منخفض الطرف رازحاً آلاف السنين تحت نير الاستعمار الاجنبي ، لكننا لا نذهب بعيداً بل نقف بوثبات مخيلتنا عند الفتح التركي فقط ثم نعود الى الوراء حتى نصل الى العصر الحاضر كي نسأل هذا الزاعم : هل قام في هذه الفترة في بلادنا قائد كسان مرتين خلق من العدم بفضل ايمانه العظيم ، قوة جبارة لا تعرف الهوادة ولا الكلل ، حطمت ايادي المغتصبين وصدت هجمات الفاتحين المستعمرين . ؟ هل قام في بلادنا زعيم كسان مرتين ، قاسى مرارة الفقر والحرمان وعاش تجربته بثغر باسم وتلقى الاضطهادات والمصاعب رحب الصدر رابط الجأش حباً ببلاده ومواطنيه ، وقد كان بوسعه ان يقتني الجياد المطهمة ويبني القصور الشاهقة التي تغص بالخدم وتميد بالجواري والمحظيات . . ؟ هل قام في بلادنا رجل لا يغمض له جفن اذا بات احد مواطنيه على الطوى ؟ فلنقرأ كتاب الاغاني لندرك كيف كان يعيش خلفاء وزعماء العرب حياتهم الخاصة بين جدران قصورهم الحافلة بالعجائب والغرائب — هذا باستثناء افراد لا يقاس عليهم — ولننظر ايضاً كيف يعيش بعض حكامنا اليوم كأنهم ليسوا اعضاء في ذلك الجسم المتألم ، افلا يحق لنا بعد هذا ان نقف باجلال امام مآثر هذا القائد الخطير قائلين له كما قال الدكتور نقولا فياض للدكتور فانديك :« فلتبارك الى الابد ايها الرجل العظيم ».

نحن لا ننكر ما قام به احرارنا الوطنيون في العصرين الغابر والحاضر من جهود وتضحيات في سبيل البلاد لكننا ويا للاسف لا نزال ننظر بعين الوجد والشوق الى الافق البعيد مرتقبين انبثاق فجر جديد يطل علينا بكواكب جديدة بقادة مخلصين امثال سان مرتين يسيرون بهذه الامة التائهة المتخبطة في ظلام الضعف والتقهقر ، الى مستوى الامم الناهضة الآمنة الحرة !

ولقد سبق ان قلنا ان كتاب سان مرتين هو سيرة حياة محرر عظيم خدم بلاده بالتفاني والتضحية ونكران الذات ، فلسنا نقدر والحالة هذه ان نعطي فكرة صادقة عن ملاتيوس الخوري الا اذا قرأنا مقدمته في ثلاثة ابواب :«مسالك الارتقاء» «ابطال العصور» «واجب الشباب» فعندئذ ندرك عظمة الروح وجمال القلب عند هذا الكاتب الذي يتغنى بالكمال ، هذا الكمال الذي هو حلم الانسانية فلا ينحصر اذاً حنين ملاتيوس الخوري في دائرة معينة من الارض بل يتناول العالم المضطرب بأجمعه ، انه يريد الخير والاستقرار التام لبلاده ولسائر بلدان العالم ، انه يرقب بشوق وشغف ان تسود المحبة اللامحدودة ويخيم السلام على اقطار الارض ، فيفهم الناس انهم غرباء مسافرون في هذا الوجود ، لم يخلقوا للتناحر والتكالب بل خلقوا للتعاضد والتساند ليجعلوا من هذه الارض جنة غناء ينعمون باطايبها ويقتسمون خيراتها تحت جو من المحبة والترفع والكمال.

يقول المؤلف :« ليس الاهم في كتاب يؤلف من ان يكون نافعاً مفيداً وما الكتاب المفيد الا ذلك الذى يقدم للناشئة امثلة بينة عن حياة قوية باساليب عملية ايجابية تنفيذية تساعدهم على تطبيق ما يرسمونه من خطط وتحقيق ما يطمحون اليه من آمال حية تخفق لها افئدتهم ويختلج بسببها دمهم في عروقهم ، ولا سيما اذا كان هذا الدم ممزوجاً بتيارات روحية تحمل قوة الزمن بمرورها من جديد في ربيع حياة امة عادت ، كالامة العربية ، الى اليقظة بعد سبات الشتاء الذي اجبرتها الاجيال بحكم شرائع الوجود ، الى المكوث فيه عصوراً نهضت خلالها شعوب اخرى بمدنيات جديدة تحتاج اليها الانسانية بارتقائها العتيد » . ثم يقول بموضع آخر :

« فحين كانت الامة العربية تتمتع بعصور صيفها وربيعها كانت شعوب اخرى تتقلب بين طيات خريفها وشتائها وتقتبس من المدينة العربية في ازدهارها ، عوامل ربيعها المقبل » .

نلمس في هذين المقطعين روح التفاؤل والايمان بمستقبل الشعوب العربية ، فهي لعمري فلسفة عميقة وعذوبة متناهية ان لا ينددد الكاتب بابناء امته ، بل يحثهم على المضي في جهادهم معتمداً بذلك على شرائع الوجود وحكم التطور الازلي ، فكأني به يقول لنا : الحياة مد وجزر والنجاح ثبات وصبر ولا امة افضل من امة ، وما دام العقل البشري يفكر ويخترع ويجدد ، فلكل امة مكانتها تحت الشمس .

واخيراً نحن بحاجة ملحة الى امثال ملاتيوس الخوري ، بحاجة الى القلوب الجميلة الى الاخلاص والتضحية ، الى المحبة والايمان .

كوليك ـ السنغال — ادمون الفلفلي

آلام فرتر

للشاعر الالماني جوته – ترجمة نخلة ورد – ١٨٢ صفحة – ورق صقيل حجم متوسط – مطابع العلوم والآداب – دمشق

يبدو لنا كتاب « آلام فرتر »في حلته الجديدةلترجمه الاستاذ الصديق نخلة ورد تحفة ادبية رائعة جديرة بان تزين المكتبات الخاصة والعامة ، وان يقرأها الشباب العربي المسيطر عليه الركود الفكري ، والمهيمن عليه القلق الوجداني . . هذا القلق المستحوذ للنفوس ، والمكتنف لافكار اكثر الكتاب من شعراء وادباء ناشئين كانوا ام عريقين .

لقد قرأت هذا المترجم مرات عديدة ، فوجدت فيه الترجمة الصادقة المعبرة تمام التعبير عما كان يختلج في نفس جوته من تأثيرات وانفعالات، راعى الاستاذ ورد الصدق والامانة في نقل انطباعاتها واحساساتها ومشاعرها المختلجة في ذاته والناطقة بها صورته التي رسمها وخطها يراعه عن فرتر البائس .

لقد سبق لي ان قرأت تراجم اخرى لهذا المؤلف الشين ، وكانت الاولى بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات ، والثانية صدرت عن دار الجيب وكان معربها على ما اذكر الاستاذ عمر عبد العزيز امين.

وليغفر لي القارىء اذا قلت باني لم اجد في كتاب الاستاذ ورد صنعة اللغة المتكلفة المنمقة التي طالعتها في كتاب استاذنا الزيات .

اما ترجمة الجيب فكانت عادية توخي مترجمها السرد القصصي العادي لا اكثر.

بيد اني لم اجد بين دفتي الكتاب الذي انا بسبيله سوى امانة في الترجمة ، وصدق في النقل ، وبراعة في الاسلوب ، وجزالة في الالفاظ ، وبساطة في الرواية ، وانغام تطفح بها العبارات الرقيقة، والجمل الانيقة التي تدفع القارىء دفعاً لالتهامه ، وتغريه اغراء لقراءته .

وبعد لا يسعني في هذه العجالة الا ان اشكر الاستاذ ورد على هذا المجهود الطيب الذي قدمه لنا بترجمته نسخة (ديون) الاصلية لآلام فرتر في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى تراث فني خالد كهذا الكتاب عساه يزيل ظلام النفوس وآلامها .

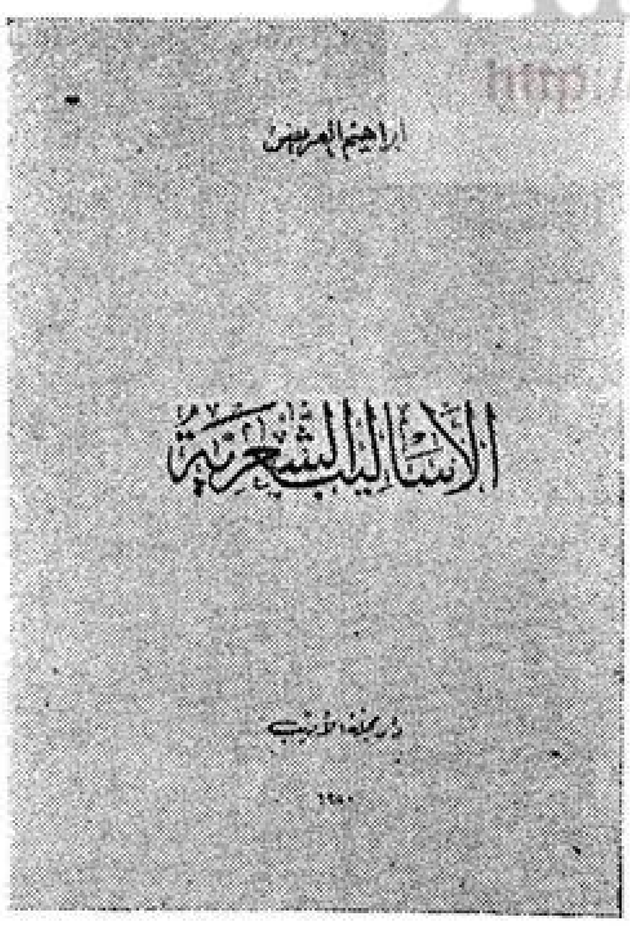
دمشق — صبحي شريف

اليوم خمر

لمحمود تيمور – ٢٣٠ صفحة – حجم متوسط – دار المعارف – القاهرة

منذ اعوام ظهر للاستاذ محمود تيمور بك رواية بعنوان « حواء الخالدة » . وكانت تلك الرواية ايذاناً باتجاه جديد لفن المؤلف القصصي، وقد عالج الاستاذ فيها حياة الشاعر العربي الجاهلي عنترة العبسي من زاوية جديدة مغايرة للزاوية التي اعتاد الادباء والمؤرخون و كتاب القصة التاريخية ان يسلطوا عليها اضواءهم . فاختار بعض الحوادث التاريخية التي قامت حياة الشاعر على اسسها وخلق البعض الآخر منها التي تكمل تلك الحياة وتبرزها بطابعها الانساني العام الذي شاء ان يرسمه ، وقد تعرض في حينه لنقد طائفة من الكتاب الذين اخذوه على تجاوزه عن بعض الحوادث التاريخية المتصلة بحياة الشاعر وعدم اكتراثه بتقويم صورة واضحة المعالم لفنه الشعري، وقد فات اولئك النقاد ان الاستاذ تيمور لم يكن مؤرخاً ولا ناقداً ادبياً وانه ليس من حقنا ان نطالبه بحرفية النصوص التاريخية المتعلقة بحياة بطل روايته ؛ فهو ليس الا روائي فنان. وللروائي الفنان طريقته الخاصة في علاج حياة الشخصيات التاريخية وتحليل وقائعها وبسط منازعها ، وهو في حدود عمله لا يرمي الى تقرير حقائق تاريخية ، بل يهدف الى تقديم نموذج بشري له مشاعره واحاسيسه وافكاره الخاصة التي أثمرتها ظروف بيئته .

صدر حديثاً



اطلبه من جميع المكتبات
ومن مجلة الاديب

الثمن ٢٠٠ قرش لبناني او سوري
او فلس او مل او مليم او فرنك

اذا نقدنا اثر الاستاذ تيمور الجديد — اليوم خمر —على ضوء هذا الاعتبار لم يخطئنا التوفيق في الحكم ولم نجانب العدل في تقرير قيمته ضمن اعتبارات القصة الفنية ، والواقع انه قد سلك السبيل الذي اختطه لمعالجة حياة عنتر العبسي في روايته « حواء الخالدة » في عرضه لحياة امرىء القيس في روايته الجديدة، فقدم لنا نموذجاً بشرياً خالداً من النماذج التي تزخر بها الحياة في كل زمن وعصر، وبسط لنا العواطف التي ينبض بها قلبه والاحاسيس التي تختلج بها نفسه والافكار التي تصطرع في رأسه ، وقد اقام الاستاذ تيمور دعائم شخصية بطل القصة — واعني به امرأ القيس — على ركنين اساسيين : الركن الاول يستند على العاطفة، والعاطفة بطبيعتها تصطبغ بصبغة البيئة ، والمعروف عن البيئة البدوية انها تفرض على المرء ان يثأر للدم وان اقتضاه الثأر حياته، وان ينصر اخاه على اعدائه وان دعاه ذلك الى التضحية بحياته ، وان يسعى وراء المجد شأن آبائه .

والركن الثاني الذي اقام المؤلف عليه دعائم شخصية البطل يعتمد على العقل ، والعقل بطبيعة خلقه دائم الثورة على قيود البيئة، فالوليد يفتح عينيه على بيئة معينة ، فينقاد لعواطفها وعاداتها واحكامها . وتمر السنون ويشب جسمه وينمو عقله ، ثم لا يلبث هذا العقل حتى يستعرض مقتضيات البيئة في عين ناقدة . وهنا يشب الصراع بين الانسان والبيئة . ويتشكل هذا الصراع ويتخذ شتى الوجوه والالوان باختلاف الشخصيات الانسانية وطريقة مواجهتها لذلك الصراع . وتلك هي قصة امرىء القيس في كتاب « اليوم خمر » فقد كانت البيئة تدعوه الى اتباع قانون ابناء رؤساء القبائل في نبذ اللهو وطلب المجد والامارة ، وتدفعه الى الثأر لمقتل ابيه ، وتلزمه بانقاذ ابناء قبيلته من بطش ملك الروم . وبينما وقف عقله حيال هذه الالتزامات ثائراً متمرداً عاتياً . لماذا يطلب المجد وينبذ اللهو ؟! ولماذا يثأر لابيه ويعرض نفسه للمخاطر ؟! ولماذا يجب عليه ان يسير على سنة اجداده ؟!

ويبسط لنا المؤلف صفحة تلك الحياة التي طواها امرؤ القيس وهو متأرجح بين نداء البيئة وصوت العقل . مرة ينحاز الى هذا وطوراً يتفق مع ذاك . فحين اطاع صوت عقله ونبذ المجد وانغمر في اللهو واتخذ الوجه المنبسط من الحياة ، قتل ابوه فارتفع بين اصداء نفسه نداء البيئة ، او على الاصح عاطفة البيئة ، تدعوه الى الثأر لمقتل ابيه . فاستجاب للنداء وارتمى في احضان الحرب والضرب والنزاع والنضال، فحاز الانتصار تلو الانتصار ، وخفت صوت العقل في هذه الاثناء . لكنه لم يتلاش الى الابد، بل ارتفع ثانية بمجرد ان تهيأت له الظروف عندما تخلت القبائل عن نصرة امرىء القيس وانهزم في معاركه ، عندئذ تعالى صوت العقل متمرداً على قيود البيئة متفلسفاً في طبيعة الحياة الغريبة . « اي غنم لمن يشقى جاهداً في سبيل هذه الحياة الدنيا ؟! اهداف يتخذها المرء لنفسه ، ولا يفتأ يرمي بهمته وعزيمته وراءها غير وان ولا ملول ، حاسباً انه اخذ بزمام أمره ، سيطر على الاحداث بقوته ، ناسياً ثمة قوة غلابة تعمل في الخفاء وتنظر الينا من حيث لا نراها مستهزأة ساخرة ، واذا هي على حين غفلة تبطش بطشتها الكبرى فيخر البناء وان كان كالطود الاشم ، ويهوى الصاعد وان طلع مطلع النجم » ؟!

انتصر صوت العقل فاجتذبه الى غمار اللهو ثانية، وشد الرحال الى القسطنطينية بدافع داخلي في طلب اللهو، ودافع خارجي في طلب المعونة الحربية — كما كان يحاول ان يخدع نفسه واصحابه — وهناك ارتمى بين احضان الغواني متناسياً الملك والثأر . لكن انتصار العقل لم يدم طويلاً . اذ ما عتم امرؤ القيس ان خضع لصوت عاطفة البيئة عندما قدم بعض اصحابه الى القسطنطينية وحاول القيصر ايذاءهم . فامتشق سيفه ودافع عنهم ضد جنود القيصر ويسر لهم سبيل الفرار ، ثم هرب معهم تاركاً وراءه حياة اللهو والعبث .

من هذا العرض المقتضب البسيط نستطيع ان نستشف الصراع العنيف الذي رسمه المؤلف لحياة امرىء القيس . وكل قارىء يدرك بالطبع ان تصوير حياة امرىء القيس في تلك الصورة الحية تمثل نموذجاً صادقاً لحياة اولئك الاشخاص الذين يتيهون في مسارب الحياة حائرين . تواجههم مقتضياتها ، وتصفعهم مفارقاتها ، وتكبلهم قيودها ، فتثور عقولهم محاولة التحرر من تلك الاغلال .

واعود الى القول بان خلق شخصية انسانية متفردة وتحليل نوازعها وخلجاتها وافكارها عبء كبير يضطلع به القصصي الفنان لا الكاتب المؤرخ، وعلينا ان نطالب الاستاذ تيمور بايفاء حق ذلك العبء ولا شيء غيره . والا فماذا يجدي الادب القصصي ان يجمع لنا القاص حقائق تاريخه عن بطل قصته مبعثرة في الكتب، ثم يقتصر على تنسيقها وترتيبها في اسلوب جميل وتعبير مهذب ؟!

اما العناصر الفنية الاخرى في القصة فقد توفرت فيها الى حد غير قليل ولست اريد ان اعلق بشيء على الاسلوب وعذوبته والعبارة ودقتها فهذه خصال يتصف بها الاستاذ تيمور في كل ما يكتب ، وان كان قد اتجه في بعض آثاره الى استعمال لغة حافلة بالكلمات (الشاخة !) التي تفسد صفاء اسلوبه المتدفق العذب ، ولكنني احب ان اقول كلمة في شخوص القصة .

على رأس تلك الشخوص امرؤ القيس ، فهو — كما ذكرت — بطل القصة . والواقع ان المؤلف وفق كل التوفيق في عرض الحوادث والمشاعر والافكار التي تصور حياته الجائرة . ولذا برزت شخصيته بثوب رائع وروح طاغية زاخرة بالحيوية . كما تجلى الجانب الفلسفي فيها بشكل عميق يبعث على التأمل والتفكير ويثير الاعجاب والتقدير .

اما شخوص القصة الآخرين فكانت اقرب الى الهزال منها الى القوة ، ما خلا شخصيتي « فاطمة » و« أبو زبيبة » اللتين اصابتا حظاً موفوراً من النجاح ، وفيما عدا ذلك لم اجد بين الشخصيات الاخرى من تستحق الاشادة وتستأهل الاعجاب .

وشيء آخر لا بد من ذكره هو ان فصول القصة لم تكن على نصيب متساو من القوة . فقد كان بعضها حافلا بالتأمل الفلسفي العميق في الكون والحياة ، في حين يكاد يكون البعض الآخر كلاماً عادياً . ولم يكن حظها من الربط بالذي تغبط عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يبدو لي ان قراءة هذه القصة افضل من تمثيلها ، لا لنقص فيها كقصة مسرحية ، بل لان جمهور المسرح المصري لا يستسيغ مشاهدة امثال تلك التمثيليات التي تنحو منحى فلسفياً بأسلوب جدي . ولا بد لنا ان نعترف بان القليل من رواد المسرح المصري من يقدر هذا النوع من القصص حق قدرها ، ويخيل الي ان هذا الخاطر قد طرأ على ذهن المؤلف فحمله على خلق بعض الشخصيات الفكاهية التي لم يكن هناك موجب لخلقها ، كشخصية « حنظلة » مثلاً ، وان ينحو بقصته احياناً منحى فكاهياً وكم تمنيت لو تجنب هذا المنحى الذي يتعارض وطابع القصة العام .

واحب ان اقول كلمة اخيرة في هذه القصة وفي موقف الفرقة المصرية منها . فقد شهدتها وهي تمثل على مسرح تلك الفرقة واشهد انني غادرت المسرح ونفسي تموج بعواطف الالم والحنق والرثاء ، فقد صدمتني استهانة الممثلين بأدوارهم وأداؤها في غير حماس ولا براعة ، ومرجع ذلك في رأيي الى عدم فهمهم لطبيعة ادوارهم اولا ، والى استخفافهم بواجبهم ثانياً . واهم من هذا وذاك ان الممثل الذي قام بدور امرىء القيس — وهو العمود الفقري للقصة — لم يكن صالحاً لاداء دوره على الاطلاق . وصحيح ان الاستاذ احمد علام ، الذي قام بذلك الدور ، ممثل قدير الا انه اخفق اخفاقاً ذريعاً في التعبير عن الحيرة والقلق الفكري اللذين ترتكز عليهما حياة امرىء القيس ، كما فشل في تمثيل دور المستهتر الماجن ، وكان يلقي دوره كأنه يتلو في كتاب دون ان تبين في صوته وعلى وجهه اية اختلاجات عاطفية ، ولعل الممثل الوحيد الذي ادى دوره في شيء من الاتقان كان الاستاذ فؤاد شفيق الذي قام بدور « ابو زبيبة » خادم امرىء القيس ، كما اصابت السيدة فردوس حسن قسطاً من التوفيق في تمثيل دور « فاطمة » ابنة عم امرىء القيس . وكان يبدو واضحاً ان الاستاذ زكي طليمات قد بذل في اخراج القصة مجهوداً طيباً يستحق عليه كل ثناء وتقدير ، وان خذله الممثلون في كثير من الاحيان .

القاهرة

شاكر مصباك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• توزع الاديب في

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية
المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن حضرموت مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة
مراكش ليبريا السودان الحبشة نيجيريا تريجا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية
كران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب
فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل الارجنتين
شيلي بوليفيا الاورغواي الجوادلوب فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا



جولة الأديب في شهر

من روايا التاريخ الافريقي

ميمونا الساحرة

او آكلة الاطفال

لم تقف جماعات السحر والشعوذة في افريقيا السوداء، عند الخرافات والاكاذيب، التي ذكرتها لك ايها القارىء الكريم في عدد ماض من الاديب، فحسب، بل راحت تبالغ وتبالغ، وتدعي وتزعم ان لها علم الغيب والماضي المجهول، كما ان لها القدرة الخارقة على مسخ الكائنات البشرية واحالتها الى هررة وضفادع، او اماتتها باهون الطرق وايسر السبل، وكان الافريقيون آنذاك، جد معذورين ان يدخل الرعب الى نفوسهم ويجد الذعر في افئدتهم واعصابهم مكاناً، وان يسرعوا الى الخضوع لسلطان تلك الجماعات والافراد باباطيلها وخوارقها.

وطفقت جماعات السحر والشعوذة، منذ العهد الاول الذي برزت فيه، تسعى جهدها الى تكوين شخصيات لها مرهوبات الجانب واحتفاظاً برسالتها المزعومة، كان لها من الطبيعي ان تنعزل عن الناس وتتخذ من المغاور والغابات البكر، القاصية منها على ضفات الانهر، والقريبة من البيوت الاهلة، مساكن لها وهذا ولا ريب، مما ساعدها على القيام بثورتها الفكرية — اذ صح لنا ان ندعوها كذلك — تلك الثورة التي تمخضت عنها عقلياتها المتناهية في السخافة والتائهة في بحور اللاحقيقة والوهمية.

وتنطوي من الحياة الافريقية صفحات لا اهمية لها ولا شأن، وتمر الشهور ثم تكر الاعوام، واذا بتلك الجماعات منتشرة هنا وهناك، في كثير من المناطق الافريقية، ثم تغدو عائلات لا يحق الا لمن انحدر من صلبها الانتماء اليها. واذا بالاكاذيب والاباطيل تصبح عادات وتقاليد يقدسها الافريقيون ويحترمونها ويتمشون عليها محتفظين بها كل الاحتفاظ، حذرين من ضياعها، فيحمل الزمن بين دفتيه الى ايامنا هذه آثاراً منقوشة عنها رغم المحاولات والجهود العديدة التي قامت وما فتئت تقوم بها الحركات الناهضة المسيحية والاسلامية معاً.

هذا ولست اقصد وانا احدثك ايها القارىء الكريم عن السحرة وخوارقهم الى ان احملك على الايمان بصدقها والاعتقاد بصحتها، فهذا امر اتركه لمنطقك السليم، وانما شئت ان اضع بين يديك صورة حقيقية، او شبه حقيقية، عن شعوب غريبة عنك، قضت علي الظروف ان اسلخ من عمري معها حياة، ولا اقول هنيئة، بل مليئة بالمغامرات والاهوال.

***

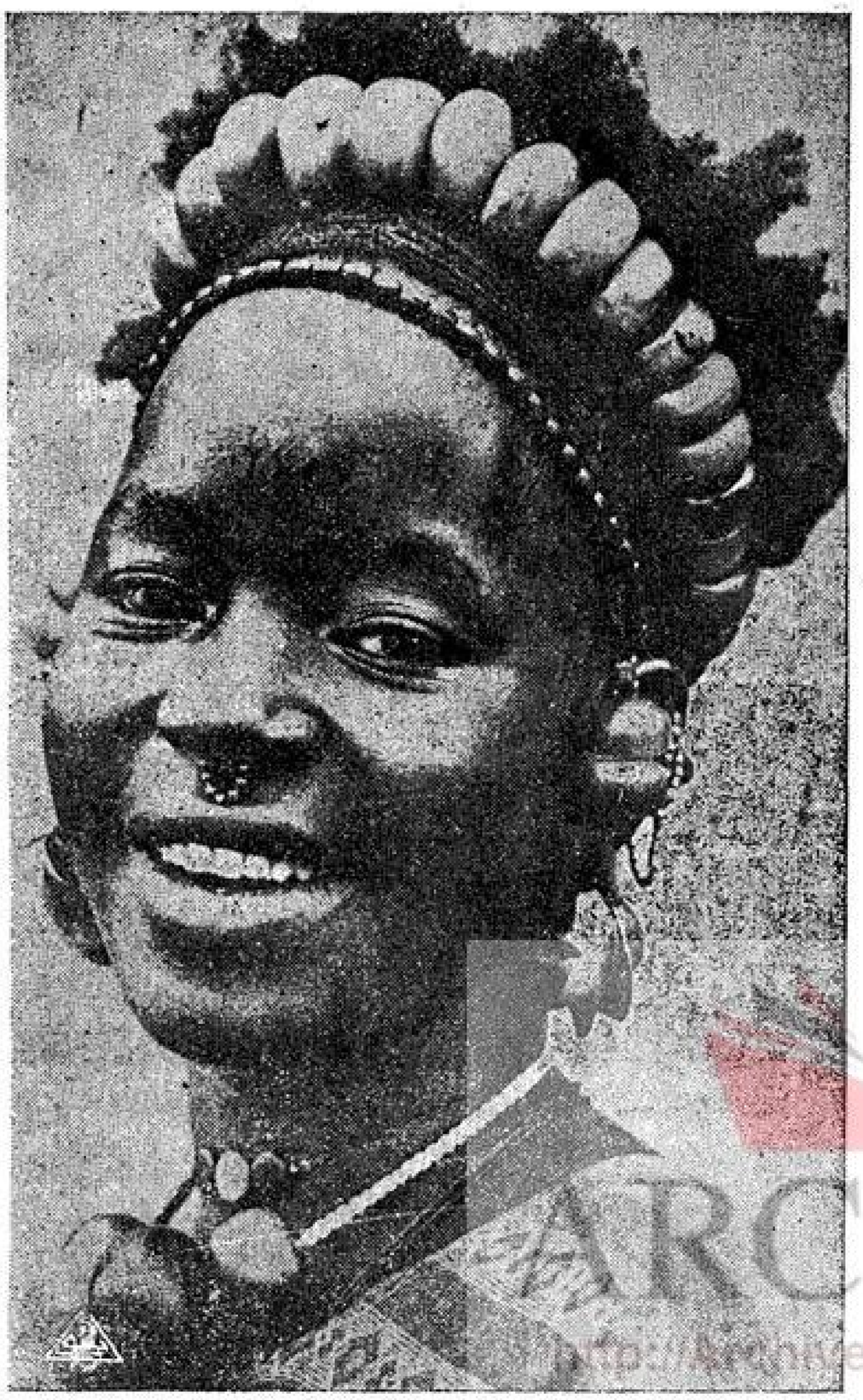
لعشر سنين خلت، عندما كنت في الشاطىء العاجي، كانت ميمونا كي من كبيرات عميلات محلي الكثيرة ما كانت تبتاع منه من البضائع، وميمونا هذه هي زنجية لامعة السواد، مربوعة القامة، فطساء الانف، كلما كنت اعلم عنها بادىء بدء انها داهومية الاصل عاجية المنشأ، راقصة بارعة محبة للرقص الى آخر حد، فكثيراً ما احيت من النهار ثلثه ومن الليل ثلثيه وهي ترقص وتهزج، وتغني وتمرح، تارة مؤتزرة بالقليل من الثياب وطوراً شبه عارية.. ثم علمت انها تزوجت بشيخ قبيلة «الاوشي» وهذا حلم كثيراً ما أملت ميمونا ان يتحقق.

وانطوت اعوام ثلاثة على زواج ميمونا، كانت هذه خلالها تزور محلي مرتين او اكثر كل اسبوع ثم انقطعت اخبارها عني ولم اعد ارى لها وجهاً، حتى دخل علي ذات يوم احد الزنوج واخبرني ان ميمونا كي هي من السحرة، وقد طلقها شيخ القبيلة بعد ان اوجس منها خيفة ورعباً.. هي العقلية الافريقية، التي احاول درسها في هذه السطور؛ وهي التي دفعت بشيخ القبيلة الى الاعتقاد في ان ميمونا كي ساحرة، وهل يرجى من اقوام خلقوا امهد ما قبل المسيح ان يفكروا التفكير الصحيح؟.. هذا ولعل الوهم والمناسبات كان لها التأثير الاكبر والدافع الاول لوجود ذلك التفكير العقيم؛ ولله في خلقه شؤون.

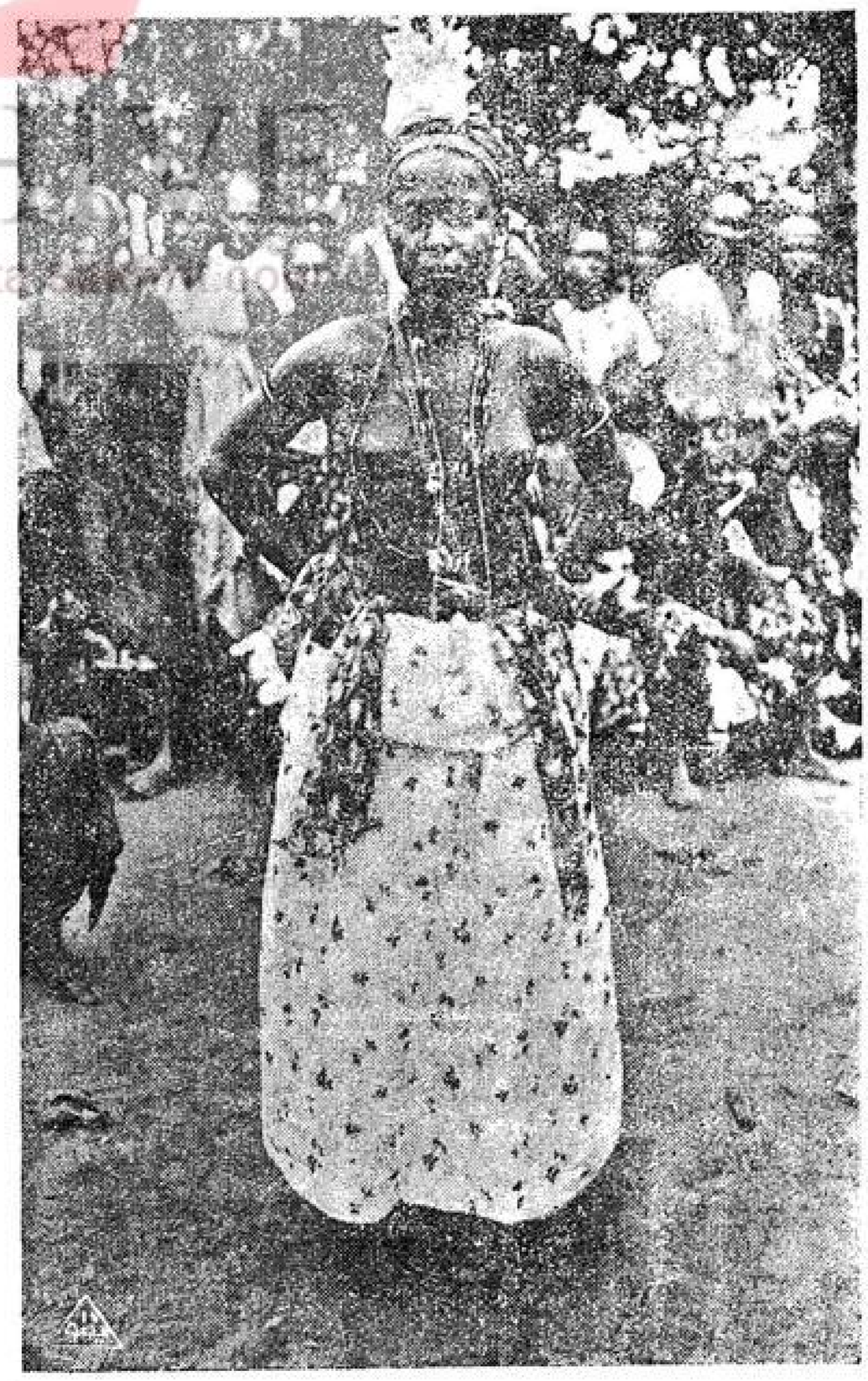
***

دقات الطبل تتصاعد في الفضاء. وصوت «صمبا» المنادي الشبيه بتلك الدقات كان يتبعها، ذات صباح. انه يدعو اهل البلدة جميعهم للحضور الى دار الحكومة. ولو لم يكن امر من

الاهمية بمكان لما سمعت البلد دقات الطبل ولا صوت صبا . لذلك لم يمض قليل وقت حتى كانت دار الحكومة تعج بالجموع التي كنت بينها . وشد ما كانت دهشتي حينما رأيت عميلتي المعلومة ميموناكي مكبلة بالقيد . لقد كانت في حالة غير التي عرفتها مرتجفة الاعصاب محمرة العينين سائلة اللعاب ، ترسل القهقهة بعد القهقهة وتتطلع الى هنا وهناك وتتفرس في هذا وهذه ، وفي ذاك وتلك ثم تردد بصوت متقطع : نعم . انا اكلت اطفال هذا الرجل الثلاثة . فاذا تريدون ؟» وكان الرجل الذي تشير اليه ميمونا هو نفس شيخ القبيلة زوجها السابق .. وادعت ميمونا ان الذي دفعها الى فعلتها



ميموناكي بعد زواجها
بشيخ قبيلة الاوشي



ميموناكي بعد انتهائها من الرقص تغني
وهي واضعة يديها على خاصرتيها

تلك الانتقام من زوجات زوجها، لانهن كن اول من فضح امرها وحدون بشيخ القبيلة الى طلاقها . ولكن كيف يقر العقل الابيض بهذه الاكاذيب والاباطيل ، انها ضرب من هباء بعيدة عن الصواب؟ . ذلك ما راح يفكر فيه حاكم البلد وذلك ما اوجد دواراً في رأسي وانا ارى واسمع حقيقة ما كنت اقول انه وهم وخرافات .. وكان من البديهي — اثباتاً لما تعترف به ميمونا — ان يتحقق الحاكم امر تلك الساحرة فأتى اليها بجلزون وباباي* وطلب منها ان تأكلهما كما اكلت الاطفال الثلاثة .. واخذت ميمونا تحدق النظر تارة في

* الباباي ثمر افريقي اشبه بالبعجور الاصفر

الحلزون ، وتتفرس طوراً في الباباي ، ثم ترفع رأسها الى العلاء تخفضه بعدها الى الارض، وهكذا لم تمض برهة حتى غدا الحلزون جلداً اجوف والباباي قشراً فارغاً . هذا وانا اتطلع ولا اصدق ما تراه عيناي . . وكانت نهاية حياة ميمونا رصاصات ثلاث خرقت صدرها فصرعتها للحال .

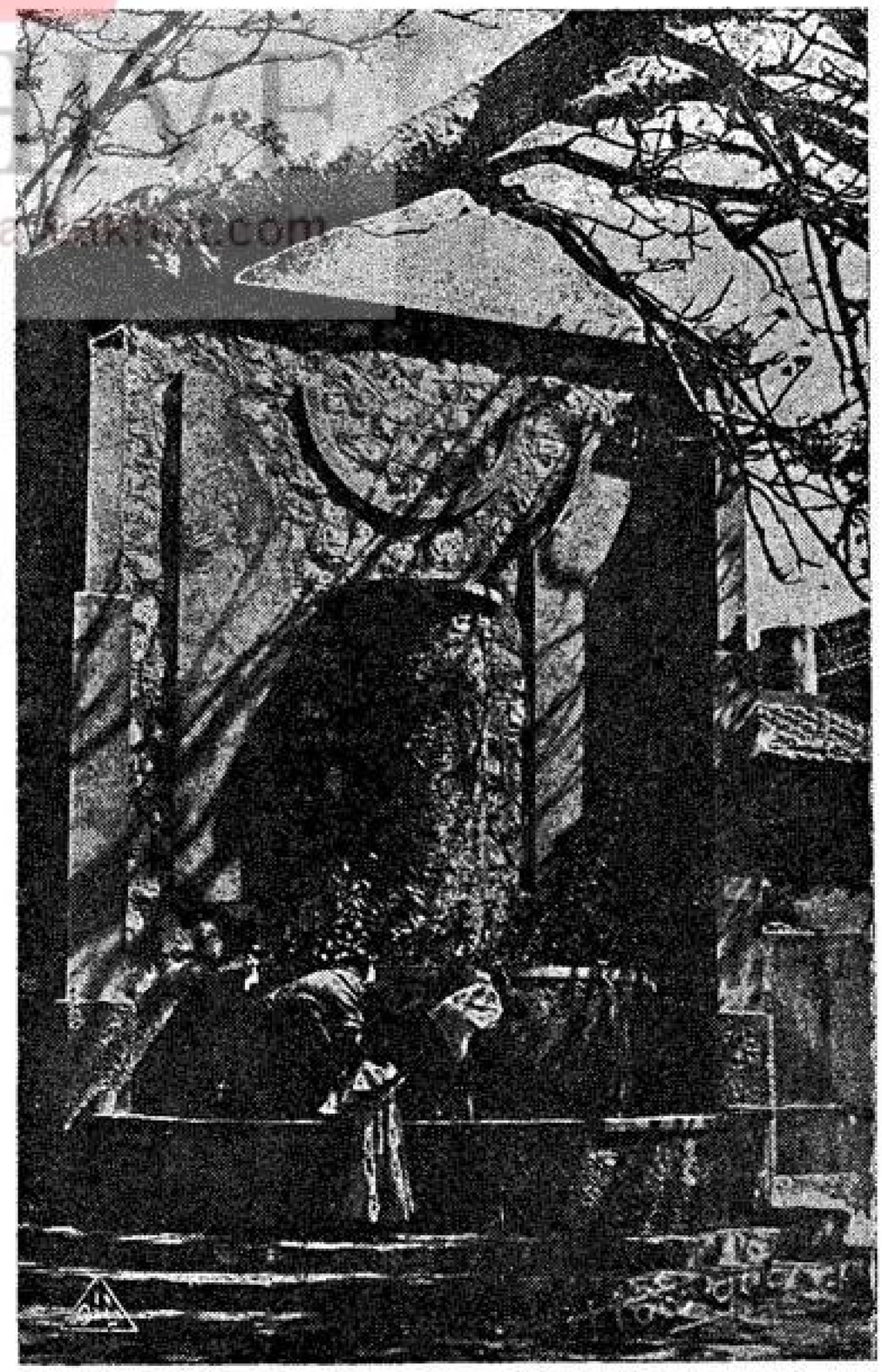
***

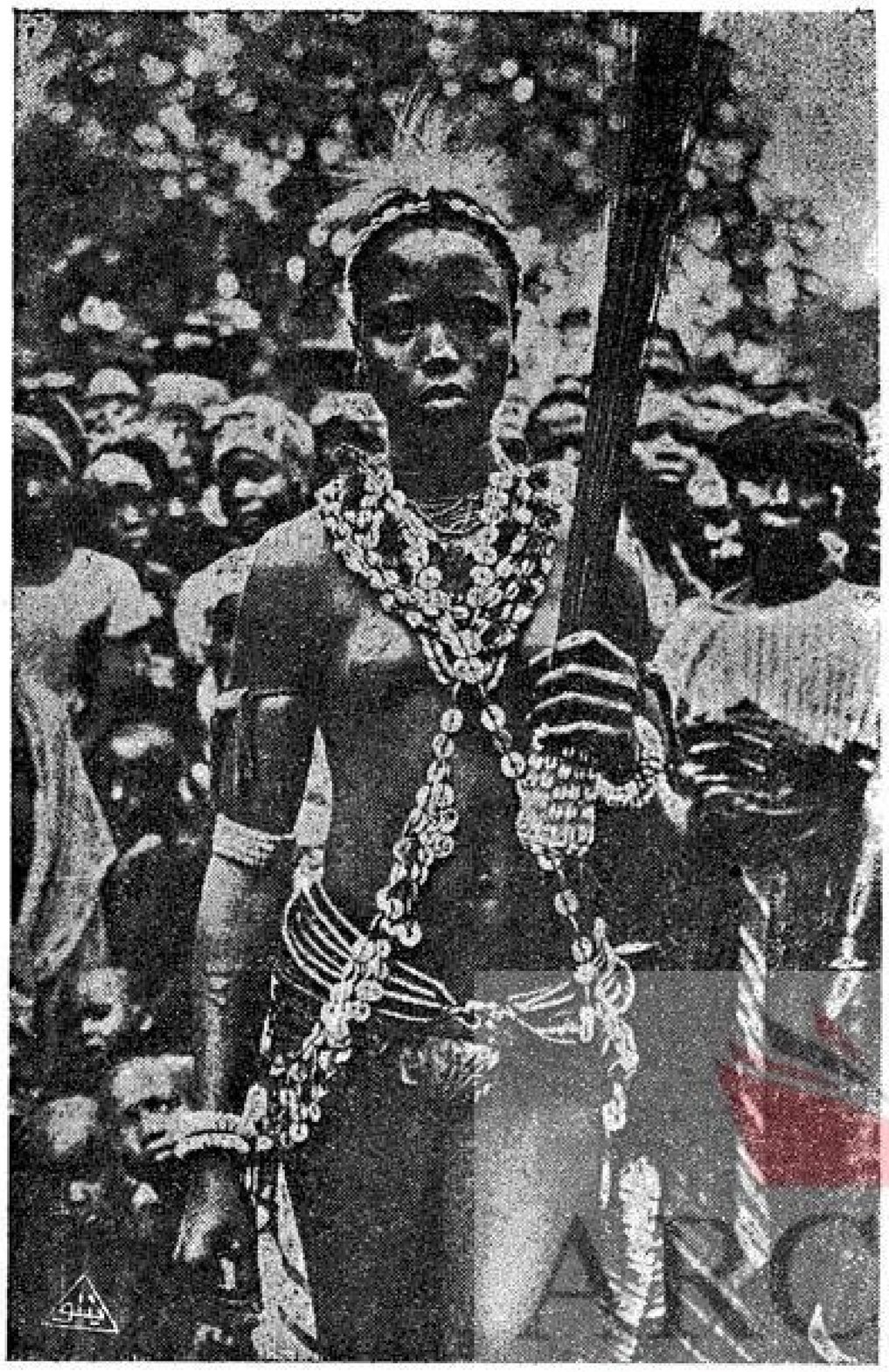
تلك قصة ميمونا الساحرة آكلة الاطفال، التي كنت وعدتك بها ايها القارىء الكريم ، اقف عندها حائراً حقاً .

غينيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

•

مأوى من مآوي السحرة حيث
لا يحق لاحد غيرهم ان يدخل





وهذه ميمونا كي تستعد للرقص يحيط بها جمهور من المعجبين

•

الرواية المسرحية في الشرق



لا يفتقد الا القليل من ابناء الشرق ذلك الفن الرفيع الذي أفنى فيه الكثيرون من ابناء الغرب عصارة روحهم وفنهم . . فالمسرح بمعناه الفني لم يألفه ابناء الشرق الى الآن رغم ذلك الاشعاع الفكري الطليق الذي يطوي الآفاق فيصلنا من منار الغرب البعيد فنهتدي بهديه ونضل بضلاله، فنحن لم نستكشف بعد روائع هذا الفن البعيد عن اجوائنا الشرقية رغم اثره الواسع العميق الذي يدفعنا لان نزيح تلك الغلالة الصفيقة التي حجبته عن اذهاننا المتفتحة امداً طويلاً . فالرواية

المسرحية بقسميها : المأساة «التراجيديا» والملهاة « الكوميديا» لا تزال في طور البداية وان اخذ بيدها منذ حين كتاب قلائل كان لهم الفضل في ازاحة هذا الستار الصقيل عن اذهاننا المحجوبة عن سحر هذا الفن الخالد الذي ولد مع الاغريق عندما كانوا يقيمون الاعياد والاهازيج لاله الخمر باكوس. . . ! !

ومع ان القصة قطعت مسافات بعيدة في مضمار الكمال الفني نرى ان الرواية المسرحية لا تزال تعيش على هامش الحياة الادبية على الرغم من انها تعبر عن الواقع بصدق وتنفذ الى اعماق النفس بيسر ولين ، فقد يختلف تأثير القصة من قارىء لآخر حسب انطلاق خياله او ضيق افقه ، وقد يستعصي على الكثيرين فهم ما جاء بها من تلميحات ورموز وحتى ان بعض القراء يملون القصص الطويلة او المغرقه في الخيال الذي لا يصل الى بروجه العالية سواد الناس ، اما الرواية المسرحية فتمسك بتلابيب النظارة بيدين قويتين، فهي كالقصة تخاطب خيالهم الذي يختلف سعة وانطلاقاً من شخص لآخر ولكنها بنفس الوقت تحاول ان ترقى بخيالهم القاصر الى الحد الذي تبغيه والذي يوائم جو الرواية ، ويتم لها ذلك لوسائل عديدة لا تتوفر في القصة ، فعوامل التشويق والجاذبية كثيرة في الرواية المسرحية فلحركات الممثل وادائه اثر هام في اظهار ما يبغيه المؤلف من افكار ومؤثرات فيساعد بذلك على خلق جو من التفاهم والايهام حسب ما يقتضي الموقف من هذا او ذاك . . وهكذا تتسلسل العقدة الروائية بشكل مثير جذاب ، ولعل من ابرز ما تؤديه الحركات في خلق الجو الصالح للتعبير ما يظهر بجلاء في ميدان الرقص التمثيلي او التعبيري « الباليه» الذي يرمي الى الايحاء الواسع العميق بواسطة حركات شاعرية تفتح آفاقاً بعيدة واجواء جديدة لتعيش فيها افكار واساطير . . على الرغم من هذا كله نرى ان القصة اكثر انتشاراً واعم رواجاً بل واقرب الى نفس الشرقي من الرواية المسرحية المتشابكة بعناصرها الفنية ودعائمها الفكرية المختلفة وقد نتساءل بعد ذلك عن سبب هذا النقص الفني الكبير وعلى من يعود . وهل كان بسبب النظارة ؟ ؟ أم بسبب المؤلفين المسرحيين بالشرق ؟ ؟

قبل ان نبحث في هذا وذاك علينا بأن نذكر اثر النظارة وجوهم الفكري في بقاء المسرح بمعناه الفني المعروف . . فلا يكفي لاستمرار بقاء المسرح وجوده في مدينة كبيرة مزدحمة بالسكان اذ لا بد من ان يكون الى جانب ذلك مستوى فكرياً صالحاً لاستمرار هذا العمل الفني وبقائه . . وبهذا نكون قد وجدنا سبباً هاماً من اسباب هذا النقص الفني الكبير في ربوع الشرق . . فالمستوى الثقافي للنظارة هنا دون المستوى العادي، وعلى هذا فلن نرى عدداً كبيراً من رواد المسرح الذين يأتون اليه ليشاهدوا تمثيلاً رائعاً واداء فنياً موفقاً ومن ثم ليحكموا على مدى التوفيق في الحوار او الحبكة المسرحية او ليبدوا رأياً ما في سياق الرواية وكيفية عرضها . . فالمتعة الفنية الرفيعة لدى نظارة الشرق في حكم العدم تقريباً اذ كل ما يهمهم من الامر قصة شائقة تتالى حوادثها بشكل مثير ويتخللها اثناء ذلك مواقف عاطفية ومفاجآت . . اضف الى هذا ان « السينما » قد غزت الشرق التائه في احلامه في الوقت الذي بدأت فيه بواكير الانتاج المسرحي تظهر للوجود. واذا ما لاحظنا ما في « السينما » من انطلاق وحرية وتجديد وما فيها من مثيرات وغرائب يقف حيالها المتفرج الشرقي الغارق في ماضيه مشدوهاً ذاهلاً لما عجبنا لانصرافه اليها وانقطاعه لها . . فقد أطاحت «السينما» بوحدة الزمان والمكان اللذين غلا المسرح حيناً من الزمن وان احتفظت بوحدة العمل كشيء لا بد منه لذلك كان عملها واسع النطاق فأرضت بذلك الخيال الشرقي الحبيس في جنان الذكرى الخلود لاستهتارها بوحدة المكان وتقشيها مع القصة الطويلة والقصيرة على السواء اذ لم تحسب للزمان حساباً في ميدانها الطليق . . اضف الى هذا ذاك المجال الواسع الذي يسرته للمخرج والممثل مما لا يتيسر فوق خشبة المسرح . . وبعد هذا كله جاء انتاجها غزيراً وقنوعاً وبه كثير من عوامل التشويق والجاذبية فصرف الناس عن كل ما عداه . .

وقد يتساءل البعض ويقول ان «موليير» و«راسين» و« كورناي» كل اولئك كانوا يلقون اقبالا وتمجيداً عظيمين على الرغم من رفعتهم الفنية وانحطاط المستوى الثقافي العام فكيف كتب للمسرح الفرنسي البقاء حتى شهد اضواء الحضارة ؟؟ ولكن على اولئك ان يذكروا ان المسرح في « باريس » كان ذا طابع ارستقراطي نبيل اذ كانت ترعاه عناية النبلاء به واقبال المثقفين عليه حتى تيسر له ان يشهد اضواء الحضارة الجديدة . . اما الآن فالفن غدا ملكاً للجماهير ولا بقاء لمسرح ما دون عدد وفير من النظارة ليكفلوا له البقاء ، يضاف الى هذا عامل نفسي مهم أدى الى عدم الاهتمام بالمسرح والعناية به في الشرق فالمسرح في الغرب فن له تاريخ ولهذا كانت له في نفوس الغربيين تلك الاصداء الحنون التي تستجيب لها ارواحهم في كل حين . . فالمسرح يؤلف جزءاً مهماً من التراث الفني في الغرب فكانت العناية به والاقبال عليه الآن كامتداد طبيعي لشيء موروث كلف مفكريهم عصارة روحهم وفنهم حتى حفظوا له البقاء، اما نحن هنا في الشرق فلا نزال نبحث عما يكمل اجواءنا الفنية

الناقصة من آفاق عديدة . فاننا لم نتعرف بعد الى روائع الفن المسرحي ولهذا كانت نظرتنا اليه كنظرتنا الى شيء غريب مجهول لا تخلو من عدم اهتمام او مبالاة ، اذ ليس له في نفوسنا صدى عميق مؤثر يدفعنا اليه فكيف لنا ان نقبل عليه اقبال الغربي العارف لقيمته. المقدر لرفعته وسموه . الراسخ في اعماقه منذ اجيال ؟؟

قد يقال اننا اخذنا قسماً واحداً من الرواية المسرحية وهو الملهاة « الكوميديا » فكثيراً ما نرى روايات مضحكة تمثل[1] امامنا بلغة عامية ونلاحظ بان الاقبال عليها يزداد يوماً بعد يوم دليلاً على اننا آخذون بتذوق هذا الفن الجديد ، ولكن هذا لن يعدو المرحلة البدائية الملهاة الفنية الرفيعة ذات اللغة السهلة العالية والتمثيل المتقن والاداء الصحيح .. وليس لنا في هذا المجال ان ننقد تلك اللغة العامية التي تضطرب على السن الممثلين هنا فالعمل لا يزال في بدايته ولا سبيل الى نقده الآن رغم ما يدعيه البعض من ان استعمال اللغة العامية في الروايات المسرحية معناه انتزاع صورة حقة من مجتمع انساني اصيل .

ولنعد الآن الى الدعامة الثابتة في بناء المسرح وهم المؤلفون المسرحيون فنرى بأنهم في الشرق قلة ولكنهم سيزدادون على مر الايام . ونلاحظ ايضاً بان الانتاج المسرحي ضئيل نادر لانه عمل مرهق ويتطلب الماماً كبيراً بفن الحوار والحبكة المسرحية اللذين تقوم عليها الرواية المسرحية بقسميها : الملهاة « الكوميديا » والمأساة « التراجيديا » وقد تقدمت المأساة اخيراً ببطء بعد طفرة لا بأس بها وهي تعالج الآن باتقان وبلغة عالية ولا يتصدى لها الا بعض كبار الكتاب المتمرسين في هذا الفن البعيد المنال، اما الملهاة فلم تخرج بعد الى المحيط الفني الرفيع فهي لا تزال تكتب باللغة العامية المتداولة وتمثل في المسارح الشعبية .. وعلى هذا فانتاجنا المسرحي اعرج يتعثر في مشيته ولكن لم لا تترجم روائع الغرب لنمثلها على مسارحنا في الشرق ان افترضنا قصوراً في انتاجنا الفني؟ ولكن علينا بان نذكر دوماً بانه حفظاً لبقاء المسرح لا بد من وجود عدد وفير من النظارة ومن ذوي ثقافة معينة لكي يتابع المسرح اداء رسالته العلّية ، فالترجمة لن تفيد قليلاً او كثيراً لانها لن تبعث للاثر الفني الى خشبة المسرح بل انها ستبقيه على صحائف كتاب ثمين . وهكذا ستظل المسرحية في الشرق «مسرحية ذهنية» تقرأ بين دفتي كتاب وتمثل في ميدان الخاطر الشرقي الطليق الى ان يتهيأ ذلك الجو الصالح فيدفع بها الى خشبة المسرح .. فالمؤلف المسرحي يستطيع ان يخلق مسرحية رائعة ولكنه لن يستطيع ابداً ان يخلق نظارة تتذوق الفن وتعيش تحت ظلاله ريثما يسدل الستار عن الفصل الاخير . . !!

دمشق — ربيع الصلح

(١) في مصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— بقية المنشور في صفحة ٦ —

شفتيها الملطختين وهي تقول .

— ماتزعلش . السجن احسن من الشوارع يا استاذ لمعي .

ولست ادري لماذا وانا في الطريق تذكرت فاطمة وقفزت الى ذهني صورتها وشعرت نحوها فجأة بشيء كثير من الاحتقار والكراهية والمقت مبعثه ذلك الاثم الذي ورطتني فيه .

ولما بلغت الدار صعدت الى غرفتي مباشرة واقبلت عليها مفكراً محزوناً وما ان ادرت المفتاح الصغير في رتاج الباب حتى رأيت فجأة آمال هانم في اعقابي تدلف اليها معي ، وكانت تعلو وجهها سحابة شاحبة ويكتنف جسدها الفني شيء من الاجهاد والاعياء كأنه خارج لساعته من ليل طويل مضن ووقفت قلقة تتحسس بعينيها ارجاء الغرفة ثم فجأة قفزت فرحة الى مكان معين من السرير وجلست عليه ثم غافلتني ودست شيئاً في يدها استطعت ان المحه من بعيد واعرف بانه سوار من الذهب كان قد سقط في عتمة الليل .

شيء واحد بعد ان انصرفت هو الذي حول عيني عن الصورة التي تبدلت خطوطها فجأة وغامت معالمها وانقلبت عيونها التي كانت تشع نوراً وطهراً الى ظلام دامس اكتنفها واغرق الجسد كله في بحر من السواد .

تلك هي الزجاجة الفارغة التي كانت بجوارها والتي تناولتها في رفق وضممتها الى صدري في حنان ، ولما تسللت بها خفية ورحت اهبط الدرج على مهل قابلتني فاطمة وقالت ذاهلة وهي تنظر الى يدي القابضة عليها .

— الى اين ..؟

فلم اجب لانني نفسي لم اكن اعرف الى اين ..؟؟

القاهرة — امين يوسف غراب

أنباء العالم في شهر

٢٣ يونيو ١٩٥٠ – صرح لويس جونسون ناظر الدفاع الاميركي بان سلامة الولايات المتحدة تتوقف على طريقة محافظة امريكا على مراكزها بالشرق الاقصى .

٢٤ – حجب المجلس الوطني الفرنسي الثقة عن الحكومة التي يرأسها السيد بيدو .

٢٥ – هاجمت قوات كوريا الشمالية كوريا الجنوبية وتدور الآن معارك هامة .

– طلبت الولايات المتحدة عقد اجتماع فوري لمجلس الامن الدولي لبحث قضية كوريا .

– عقد مجلس الامن اجتماعاً فوق العادة بحضور جميع اعضائه باستثناء مندوب روسيا واتخذ قرارا بابلاغ كوريا الشمالية ضرورة وقف القتال في الحال وسحب قواتها الى داخل بلادها ومناشدة جميع الدول عدم مد كوريا الشمالية بالسلاح .

– احتلت قوات كوريا الشمالية عدة مدن مهمة وهي ترحف الآن نحو عاصمة الجنوب .

٢٦ – قدمت الوزارة الايرانية استقالتها وعهد الشاه الى الجنرال علي رادجار رئيس اركان الحرب بتأليف الوزارة .

٢٧ – اصدر الرئيس ترومان اوامره للقوات الاميركية في الشرق الاقصى ان تقدم كل مساعدة لقوات كوريا الجنوبية . كما امر القوات الاميركية بمنع كل هجوم يشنه الصينيون الشيوعيون على فرموزا . كما قرر التعجيل بالمعونة الاميركية العسكرية الى القوات الفرنسية في الهند الصينية .

٢٨ – وافق الكونجرس الاميركي على تمديد قانون الخدمة العسكرية سنة كاملة .

– احتلت قوات كوريا الشمالية ساوول عاصمة الجنوب .

٢٩ – عاد الجنرال ماك ارثر الى مقر قيادته في اليابان بعد ان زار الجبهة في كوريا واشرف على تنظيم الاعمال العسكرية فيها

٣٠ – جاء في الرد الروسي على المذكرة الاميركية باستخدام ما تتمتع به من نفوذ في كوريا الشمالية لوقف الحرب ان الاتحاد السوفياتي عملا بسياسته التقليدية لا يتدخل في الشؤون الداخلية لاية دولة والقى السوفيات تبعة الحرب على كوريا الجنوبية والذين يقفون وراءها ويساندونها .

– اصدر الرئيس ترومان امره الى القوات البرية الاميركية بخوض القتال في كوريا كما اعلن الحصار البحري على طول الساحل الكوري .

اول يوليو ١٩٥٠ – صرح ستراتشي وزير الحربية البريطانية قائلا ان الحرب في كوريا لا تعني نشوب الحرب العالمية .

– اعلن مندوب مصر في مجلس الامن ان حكومته قررت الامتناع عن التصويت على قرار المجلس الخاص بمنح مساعدة عسكرية لكوريا وهي تقف موقف الحياد .

٢ – الف هنري كاي الزعيم الراديكالي الوزارة الفرنسية .

٣ – ما تزال قوات كوريا الشمالية تواصل زحفها على طول الجبهة وقد طوقت سوون وتشيشون .

– اجتمع خبراء الدول الغربية وتشاوروا في ضرورة تخفيف قيود الاحتلال بالمانيا واعلنت فرنسا بانها ستتقدم باقتراحات عاجلة لان الحالة الدولية دقيقة .

٤ – حجبت الجمعية الفرنسية الوطنية الثقة عن وزارة هنري كاي الجديدة .

٥ – تواصل قوات كوريا الشمالية تقدمها وقد تمكنت من شطر القوات الاميركية وطوقت بعض مراكزها .

٦ – اذاعت وكالة « تاس » ان عدد المتطوعين الروس في قوات كوريا الشمالية بلغ ٣٠ الفاً وعدد الاسماء المسجلة للتطوع زاد عن ١١٥ الف رجل .

٧ – رفضت روسيا المذكرة الاميركية المتعلقة بالحصار البحري على كوريا .

٨ – اصدر الرئيس ترومان امره بتنفيذ قانون التعبئة العامة .

٩ – عين الرئيس ترومان الجنرال ماك ارثر قائداً على قوات الامم المتحدة المحاربة في كوريا .

– سقطت مدينة شونان في ايدي قوات كوريا الشمالية وتراجع الاميريكيون وقتل ضابطهم قائد المعركة .

١٠ – تلقى الجنرال لين بياو قائد الجيش الرابع في الصين امراً بنقل قواته الى الشمال استعدادا للاشتراك في الحرب الكورية اذا دعت الضرورة .

١١ – بلغت القوات الكورية الشمالية نهر كوم بعد معركة حامية . وتدور معارك دبابات كبيرة مع الاميركيين جنوب شونان .

١٢ – تحركت القوات البلغارية على الحدود اليوغسلافية وقد فرضت يوغسلافية نظام منع التجول على طول تلك الحدود .

– الف رينه بليفن الوزارة الفرنسية .

– تواصل قوات كوريا الشمالية تقدمها وقد انسحب الاميركيون الى الضفة الجنوبية لنهر كوم .

١٣ – وصل الى الاسكندرية الماريشال سليم رئيس هيئة اركان الحرب البريطانية واستأنف المحادثات السياسية والعسكرية مع الحكومة المصرية .

١٤ – استطاعت قوات كوريا الشمالية عبور نهر كوم مخترقة اجهزة الدفاع والخطوط الاميركية .

١٥ – قدمت الحكومة اليوغسلافية مذكرة احتجاج الى الحكومة البلغارية على انتهاك جنود بلغاريا الحدود ولعدم تكرار الاعمال الاستفزازية .

١٧ – انتهت معركة « كوم » في كوريا الجنوبية وبدأت معركة « تايجون » العاصمة الموقتة للجنوبيين وقد تخلى الاميركان عن معظم اقسامها .

١٩ – اعلنت القيادة العليا الاميركية عن وجود ضباط سوفيات بمثابة مستشارين بين القوات الشمالية الكورية .

٢٠ – سقطت مدينة تايجون بايدي قوات كوريا الشمالية .

٢١ – استعادت قوات كوريا الجنوبية بيشون وهي عقدة مواصلات حديدية هامة .

٢٢ – يقول بلاغ الجنرال ماك ارثر ان القوات الاميركية ما تزال محافظة على مراكزها جنوب شرقي تايجون .

– وتقول بلاغات الشماليين ان قواتهم تواصل زحفها مخترقة خط الدفاع الاميركي .

– عاد الملك ليوبولد الى عرش بلجيكا .

٢٤ – استعادت القوات الشمالية مدينة تايجون واستولت على مدينة سونج جو

الوطني والاديب

بحوث

لنا ان نتساءل – ونحن من القائلين بحماية القيم الاجتماعية – لماذا ذهب الكائن العربي في اطلاق الالقاب والنعوت مذهباً رخيصاً استنفد فيه حيوية العاطفة والرغبة في التبجيل ، والمبالغة والتفخيم الذي لا يتفق مع الواقع ؟ حتى ارخص المثالية الفردية التي يطمح اليها كل عبقري ومتفوق ، وجعل ذلك النوع من العقيدة يستحيل الى جزء من حياة الجماعة العربية التي ترى – في عدم اصابتها حقاً من ذلك الاطلاق – نقصاً في التقدير والاحترام الاجتماعي الذي يسيطر على قسم من تفكيرها وتدرجها الطبيعي كما تسيطر «العندية» على الطبقات البورجوازية في ظهورها الاتوقراطي مع انها – اى الجماعة العربية – تكون في هذا المفهوم الشائع مقتنعة – ولو فيما يقرر في الضمنية النفسية – انها لم تكن تستحق مثل تلك الالقاب التي تستوجب الكفاءة والاختصاص قبل كل شيء !!

وكأن العاطفة العربية مرضت بهذا الداء حتى اضعفت قوتها فقعد بها مقدورها عن محاربة هذا الجموح المحقر ، وكان ان رخصت فيه « القيمة الوجودية » حتى اصبحت كلمة اديب ووطني مثلاً ، من ارخص انواع الالقاب التي يجب ان تتطور في غمرها الطبيعي تطوراً ارتقائياً تسير فيه قوافل «الكائن المثقف» الى حيث يكون الالتحاق بهذا الموكب الباني يتطلب جهداً وتضحية وعلماً يؤهل – في الاختصاص – احراز معنى الادب في نعت « الاديب » ومعنى «الوطني» في لقب الوطن .

واذا جازلنا – ولو بالتفاضل – ان نحدد وظيفة « الوطني » فمن واجبه ان يكون عارفاً بالعلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية معرفة تامة ، فأذا اشتغل لقضية الوطن – كوطني – عرف كيف يعالج هذه القضية على ضوء تلك العلوم الثلاثة التي تقوم عليها علاقة الوطن بالمجتمع العالمي ، والا فما ينبغي لنا ان نعطي هذا اللقب الى فرد يدعي الوطنية والاخلاص للوطن – وان كنا لا نشك في اخلاصه ابداً – فان الادعاء والاخلاص لا يكفيان عملياً فيما لو تعرضت « مصلحة الوطن » الى ما يضر – بهذه المصلحة – سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

وشأن الاديب في هذا المجال ، كشأن الوطني ، اي ان يكون الاديب يعرف ثقافة الادب العالمي وعلوم اللغة في اصول معاني الكلمات ، ويعرف شيئاً من السيكولوجية الغير طبيعية وشيئاً من الحقوق المدنية ، وحينئذ يمكنه ان يتعاون مع الوطني فيحلل الوضع ويضع النظم ويضرب الامثلة النموذجية التي تكون مقياساً للتدرج الوطني لحياة الفرد في الامة وحياة الامة في الفرد !

وما نشك في ان وظيفة الاديب اشق جهداً من وظيفة الوطني ؛ حينما نجد انه يفي بالناحية الاجتماعية التي يستعصي فيها العلاج احياناً ، اذ عرف طبيعياً ان كل فرد يحمل في مفهومه الميزات الآتية :

الواقع : او الحقيقة المقررة. العقيدة : او الاقتناع الموروث. الرأي : او التصور المستمد من شكل الذات الى شكل الغيرية. النظرية : او الاعتداد والاطمئنان الى شيء. الاشاعة : او القبول الاختياري الخادع.
التقليد : او اعتبار افضلية القديم. المبالغة : او حب التعظيم ولو تخيلاً

وعرف ان من « وظيفة الاديب » معالجة هذه الاحوال بالبحث والاظهار والتشخيص والتوجيه ، ولذلك كان في « وجوده الادبي » من المهدين والعاملين على خلق الوطني في معنى انشاء الوطن !!

ان التدني بالقيم الاجتماعية الى هذا الحد يرخص معنى « الوطني » مثلاً ، ومتى رخص الوطني في معناه ، رخص الوطن في كل معناه ، ويرخص معنى « الاديب » في الحياة ؛ واذا رخصت قيمة الاديب في ذلك رخصت قيمة الحياة .

مسقط – الولايات المتحدة

عبدالله بري

رامـوس او حريـة الـرأي

بقلم قدري قلعجي

☆☆☆

كل شيء كان رائعاً وخارقاً في حياة هذا المفكر الشهيد ، منذ نشأته البائسة الى مصرعه الفاجع .

لقد ولد في مقاطعة فيرمندوا بفرنسا سنة ١٥١٥ من ابوين فقيرين كانا يبيعان الفحم ويسكنان منزلا صغيراً في قرية كانت تقوم الى جانبه سنديانة عجوز تظلله وتحميه من رياح الشمال . . وقد وصف مرة كيف كان ابوه يعود من عمله اليومي المرهق متعباً اسود الوجه واليدين فيثير في نفسه مزيجاً من الالم والخوف .

ثم عدا على القرية طاعون حصد اكثر اهلها ، فمات تحت وطأته الاب الكهل ، ونجت الام وولدها ليعانيا من بعده شظف الحياة ومر العيش .

ولم يقدر الطفل فداحة المصاب ، ولكنه كان يرى امه دامعة العين حزينة القلب ، تعكف على العمل طوال نهارها وشطراً من ليلها لتقاوم البؤس الذي اجتاح المنزل مذ توارى ربه عنه .

ودعيت الام لتكون خادماً في احدى المزارع على ان تكون وحيدة لا يصحبها احد . . وكان للام أخ قد تزوج في قرية قريبة امرأة دميمة غليظة ولكنها على بسطة من الرزق فتطوع بأخذ الطفل الى كنفه ليعيش مع ولديه على ان تدفع هي نفقات معيشته ودراسته . . فقبلت المرأة راغمة ، وانتقل لارامه الى بيت خاله وأخذ يختلف الى المدرسة مع الولدين الصغيرين واذا به يتفوق عليهما بل يتفوق على اقرانه جميعاً ، فكان ذاك النجاح الذي احرزه بنباهته واجتهاده مبعث عذاب له ، لان امرأة خاله ، وهي امرأة غيور حسود ، جعلت تنتقم منه لتفوقه على ولديها ، فتضربه بقسوة لاتفه سبب وبلا سبب ، ولاتعطيه من الطعام الا ما يفضل عنهما ، حتى عيل صبره فهرب ذات يوم الى باريس وهو يومئذ في الثامنة من عمره ، ولكن البؤس ما لبث ان طرده منها ، فرجع الى القرية حافياً متسولا ، وسقط في بعض الطريق مغمى عليه من الجوع ، فالتف الناس حوله يعنون به ويسألون عن اسمه واسم قريته ومن اين هو آت والى اين يذهب ، فكان جوابه الوحيد انه جائع حتى اذا جاءوه بطعام فأكل واستعاد نشاطه ، روى لهم قصته فحملوه الى قرية (كاتْ) عند امه ، واشفقت عليه صاحبة المزرعة فأبقته مع امه على ان يرعى لها قطيعها

وانقضت سنتان ثم اجتاح القرية طاعون آخر ذهب بالام وبقي لارامه وحيداً شريداً ، فأعرب لصاحبة المزرعة عن رغبته في السفر الى باريس ، فحذرته من هذه المغامرة لصغر سنه وانبأت كاهن القرية فوبخه وأمره بالبقاء حيث هو . . ولكن باريس كانت قد اضحت فكرة ثابتة في رأسه ، فغافل المرأة وذهب الى المدينة الكبرى ، فلم يكن حظه في هذه الرحلة خيراً من حظه في المرة السابقة وما عتم ان عاد الى المزرعة خائباً ذليلاً . . وبقي فيها سنتين اخريين ثم عاوده طموحه فحث خطاه نحو باريس مرة اخرى ، واتيح له في هذه المرة ان يحظى بالعمل الذي ينشده ، فيغدو خادماً في كلية النافار .

كان لارامه حينذاك في ربيعه الثالث عشر ، وكان اعظم ما يطمح اليه ان يتعلم كأترابه ، فطفق يتسلل في الفترات القليلة التي يسمح بها عمله الشاق ، الى صفوف التلامذة فيقف وراء الابواب او

يجلس تحت المناضد ، مصغياً الى دروس المعلمين واحاديث الطلاب ومساجلات هؤلاء واولئك ، ويقضي الليل في حجرته الصغيرة مفكراً في الموضوعات التي سمعها مستعيداً اسئلة التلامذة وأجوبة الاساتذة ، او عاكفاً على كتاب استعاره لينسخه ، او دارساً في كتاب بعض ما يملك من متاع قليل لينعم به وينصرف اليه يسامره ويناجيه .

وهكذا سار الفتى بجهد كبير وصبر عظيم ، خطوة فخطوة ، وشهراً بعد شهر ، وسنة بعد اخرى ، من فراغ الجهل الى عالم المعرفة الحافل بأسرار الحياة ، فتعلم التاريخ والرياضيات ، وحذق اليونانية واللاتينية ، ودرس الفلسفة دراسة عميقة ، ورأى كما رأى ديكارت من بعده ، انه لا يمكن الوصول الى الحقيقة الا بالاطلاع على جميع المذاهب دون تحيز لواحد منها ، فأخذ يدرس المذاهب الفلسفية ويقارن بينها جميعاً .

وفي ذات يوم ، بينما كان الطلاب يتناقشون في فناء المدرسة في احد الموضوعات الفلسفية ، نفد صبر لارامه الذي كان على مقربة منهم ، وادلى برأيه في ذلك الموضوع . فدهش الطلاب والمعلمون ، وتحلقوا حوله يلقون عليه الاسئلة المحرجة ليتبينوا مدى اطلاعه ، وهو يجيبهم بما يضاعف دهشتهم ، لا سيما وانه كان يجيب بلغة علمية دقيقة ، ويستشهد بكبار العلماء والفلاسفة ، ويسرد النصوص العويصة ، مما دل على تبحره وسعة اطلاعه . . فسرت عمدة المعهد ، ورفعته من رتبة خادم الى رتبة معلم ، وما زال يترقى في حرفته الجديدة حتى اضحى استاذا في المعهد الملكي .

في ذلك الزمان كان ارسطو « المعلم الاول » وفلسفته هي الفلسفة السائدة ، وكان محرماً بأمر الملك والبرلمان الدعوة لمذهب فلسفي آخر ، وكان يكفي ان تقول : « هكذا قال المعلم » حتى تفحم خصمك وتدحض كل حجة .

ولكن لارامه ، او راموس كما دعي مذ اشتهر في عالم الفلسفة ، أبى الانحناء امام هذا التقليد الشائع ، وقال انه لا يليق بالبشرية ان تتقيد بآراء رجل واحد ، فلا تنظر الى الحقيقة الا من الناحية التي عينها وفي النطاق الذي رسمه ، وان المرء لينكر نفسه ويلغي تفكيره وحريته اذ يسير في هذه الوجهة دون ان يكون له رأي فيها ، او يسمح له بمناقشتها لقبول ما فيها من الحق ونبذ ما فيها من الضلال والوهم ، لان كل امرىء قد يصيب وقد يخطىء حتى وان كان يدعى ارسطو ويسمى المعلم الاول . وسيبقى هنالك مجال رحب امام الانسان لتصحيح الآراء وتطويرها ايا كان المصدر الذي صدرت عنه .

وقال راموس ان حدود الفكر الانساني هي الطبيعة باسرها ، منها وحدها تنبع كنوز المعرفة ، وهي وحدها الحقيقة الراسخة التي لا ينضب معينها ، وان المنطق السائد الذي يلقن في المدارس لا يؤدي الا الى خنق الفكر وتعطيل العقل وانتشار الخرافة .

وكان بديهياً ان تؤدي هذه الآراء وغيرها من تعاليم راموس ، الى سخط الاوساط المحافظة واستنكارها ، وان تعمل هذه الاوساط على الحد من نشاطه فتمنعه من الاختلاط بعامة الشعب في مجلس عام كان يعقده لهم ويذيع فيه مبادئه ، فقابل هذا الاعتداء على حريته بهجوم عنيف على هذه الاوساط المناوئة له ، واعتنق فكرة الاصلاح الديني التي تجسدت في المذاهب البروتستانتية ، وادى ذلك الى فصله من عمله وتجريده من لقبه ، فحمل السلاح وانضم الى الجماعات الثائرة في سان دنيس ، ثم هجر بلاده الى سويسرا وانتقل منها الى المانيا فبولونيا فالمجر ، ثم عاد الى المانيا حيث عين استاذاً للفلسفة في جامعة هيدلبرغ .

وشغفت المانيا بهذا الرجل ، بل بهذه العبقرية المحيطة بكل شيء ، من علم وفلسفة وفن ، وتسابقت الجامعات في دعوته الى المحاضرة فيها ، وتنافس الامراء على الاستئثار به والاستمتاع

الاسواق التجارية

اول جريدة اقتصادية مالية تجارية تصدر باللغة العربية

هدفها : انقاذ التجارة من براثن المرابين الجشعين
وحماية اقتصاديات بلدان العالم العربي

رسالتها : خدمة الامة والشعب بالاعتماد
على احدث الوسائل العلمية

من يقرأها مرة يشترك بها

المكتب : بناية اوتيل سافوى – ساحة الشهداء بيروت

الهاتف : ٦٨ – ٦٦ العنوان البرقي : ادفرت ، بيروت

بمجلسه ، فقضى سنوات عدة في قمة النعيم والمجد ، وكانت دروسه تقوم على الوقائع الملموسة والحاجات الملحة لدى الافراد والشعوب، فمن الاخطار الاولى في العقائد والانظمة كان يحمل المستمعين على رؤية الاخطار التي تصدر عنها بصورة حتمية ، وعلى مبادىء العدالة والحرية التي يجب ان تسود الحياة السياسية ، كان يعقد الامل في تحقيق السعادة للجميع . وكان يقول ان استعباد الفكر اشد خطراً من استعباد الجسم ، وان الاعتداء على حرية الضمير وحرية الرأي هو اعظم جريمة تقترف بحق الانسان والله .

وقد تلاقت آراؤه في منشأ الوجود مع آراء ابيقور فقال : لم يخلق شيء ، وكل شيء موجود منذ الازل بشكل ذرات ، ووفقاً لقانون خالد قوامه الجذب والدفع تتجاذب الاجسام والعناصر وتتدافع ، فتتحد معاً او تنفصل لتؤلف اجساماً او عناصر جديدة مركبة تتفكك بدورها ، لا شيء يفنى ولكن كل شيء يموت ، وهكذا تتحرك الطبيعة كلها في الله . وفي وسط هذه الحركة المتواصلة من الحياة والموت ، من الاتصال والانفصال ، هناك الله الذي هو روح الكون والمشرف على هذه الولادة المستمرة لاشكال وحيوات جديدة .

وعلى الرغم من هذا المجد وهذا النعيم اللذين انقادا لراموس في المانيا ، فقد ظل الحنين الى وطنه مبعث قلق دائم وحزن عميق له ، حتى اذا ما بلغ هذا الحنين اوجه هجر المنفى السعيد الذي كان قد اختاره لنفسه وعاد الى بلاده ، وسرعان ما استعاد فيها مركزه السابق ، وشرع يبشر بحرية الرأي والمناقشة والضمير بجرأة وبلاغة اكسبتاه كثيراً من الانصار .

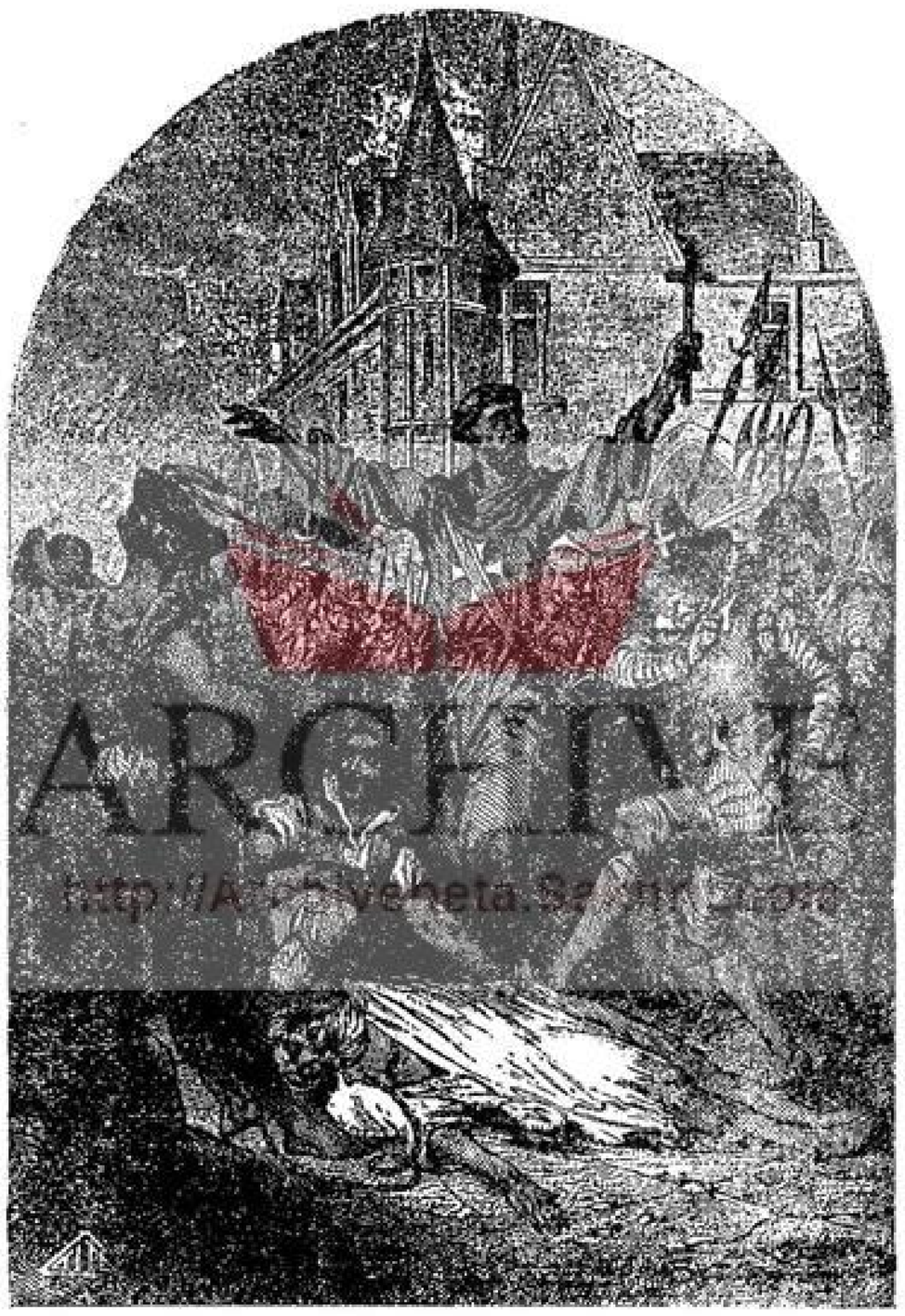
لم يتبنّ راموس جميع مبادىء لوثير وزوانغل وكالفن ، ولم ينكر لجميع تعاليم الكاثوليكية الرومانية ، وانما كان يقتبس من الطبيعة والتاريخ وحياة الانسان والكتب المقدسة والمذاهب الفلسفية ، انظمة اكثر بساطة ونقاء ، واقل تناقضاً مع العلم .

واغضب ذلك الاوساط المحافظة ، فجددت حملتها عليه ، وحرمته من منبره في المعهد ، واخذت تترقب الفرصة السانحة لتبطش به .

ومن المؤسف ان هذه الفرصة قد سنحت .

كان ذلك في صباح اليوم الاخير من سنة ١٥٧٢ ، وكان سكان باريس قد سمعوا طوال الليل ضجيجاً وحركة غير عاديين ، واذا بكوكبة من الفرسان تملأ الشارع الذي يسكن فيه راموس تتبعها شرذمة من الرعاع وبعض رجال الدين ويسير هذا الجمهور الصاخب الغاضب حتى يبلغ منزل المفكر وهو يهتف بحماسة : ليسقط راموس . . الموت للكافر !

ويقتحم المنزل ، وينتزع راموس وهو في قميص النوم من بين يدي خادمه الذي احاطه بذراعيه واخذ يتوسل الى خصومه ان يرحموه ويعفوا عنه . . ثم يطعن بالحراب والخناجر حتى يثخن بالجراح ويقذف بجثته الى الشارع فينقض عليها الجمهور الهائج فيبقر بطنها ويرمي احشاءها في المجرى العام ويربط عنقها بحبل متين ويجرها في الطرقات الى ساحة موبير حيث تلقى في مياه السين مشيعة باللعنة والاحتقار . . ولكن بعض اصدقاء راموس استطاعوا انتشال الجثمان من النهر ودفنه باحتفال حزين .



موت لاراميه

وبينما كان راموس يقتل ويمثل به ، كانت المذابح الدينية تجري على هذا الشكل المروع في جميع انحاء باريس ، فقد كان ذلك اليوم يوماً مشهوراً في التاريخ عرف باسم « سان بارتيليمي » حيث سفك القسط الاوفر من الدم .

فدري فلعجي

الشاعرة والفراشة المحتضرة

هناك فوق الربوة العـاليه هناك، في الاصائل الساجيه
فتاة احلام خياليّة تسبح في اجوائها النائيه
الصمت والظل وافكارها رفاقها ، والسرحة الحانيه

***

حياتها قصيدة فـذة منبعهـا الحس ونيرانهُ
وحـلم محـير تائـه من قلق اللهفة الوانه ..
حياتهـا بحر نأى غوره وان بدت للعين شطآنه !.

***

رنت فتاة الشعر مأخوذة بصور الطبيعة الخـالبه
والافق الغربي تطفو به الوانه الوردية اللاهبه
كأنه ارض خرافية هوت اليها شمسه الغاربه ..

***

ودت ، وفيها لهف كاسح لو تأخذ الكون الى صدرها
تحضنه وتشبع الروح من آياته الكبرى ومن سحرها
تعانق الارض . تضم السما، تقبّل الغيوم في سيرها ! .

***

ودفعت بعينها في المدى تنهبه بالنظرة الواغله
ما اجمل الوجود!! . واستغرقت في نشوة فائضة شامله
تلتهم الكون باحساسها بقلبها ، بروحها الذاهله ..

***

ما اجمل الوجود !! . لكنها ايقظهـا من حلو احساسها
فراشة تجدلت في الثرى تُودِعه آخر انفـاسها

***

تموت في صمت كأن لم تفِض مسارح الروض باعراسها .

***

دنت اليها ، وانثنت فوقها ترفعها مشفقة حانيه :
اختاه، ماذا؟ هل جفاك الندى فمت في ايامك الزاهيه ؟
هل صد عنك الزهر، هل ضيعت هواك انسام الربى الساريه؟

***

كم اشعلت روحك حمى الصبى وانت سكرى بالثذا والرضاب
طافرة بين رياض الهوى راقصة فوق الربى والهضاب
توشوشين الزهر حتى يرى منفعلاً من هذيان الشباب. .

***

كم بلبل بالورد ذي صبوة ألهبتِ فيه الغيرة الساعره
كم زنبق عانقته ، كم شذا رويت منه روحك الفائره
فأين منك الآن دنيا الهوى واين احلام الهوى الساحره!

***

مـاذا ؟ تموتين ؟ فواحسرتا على عروس الروض بنت الربيع
اهكذا في فوران الصبى يطويك اعصار الفناء المريع
وحيدة ، لا شيعتك الربى ولا بكى الروض بقلب صديع

***

اختاه لا تأسي ، فهذي انا ابكيك بالشعر الحنون الرقيق
قد انطوي ، مثلك ، منسية لا صاحب يذكرني او رفيق
اواه ما اقسى الردى ينتهي بنا الى كهف الفناء السحيق!

***

واضطربت اعماقها مثلما دوّم اعصار بقلب الخضم
وانتفضت مذعورة في اسى وارتعدت مرعوبة في ألم
فلم يكن يصدم أحلامها الا رؤى الموت وطيف العدم

***

وحدقت في غير شي.. وقد حومت الاشباح في رأسها
لا صور الوجود خلابة تبتعث النشوة في نفسها
ولا رؤى الخيال رفافة تخدر المحموم من هجسهـا

***

ودفق الليل كبحر طغى فانحدرت تحت عباب المساء
تخبط في الدرب وقد غمغمت شاخصة المقلة نحو السماء :
يا مبدع الوجود ، لو صنته من عبث الموت وطيش الفناء!.

نابلس فدوى طوقان

أهرزت مسرحية « انطوني » في القرن التاسع عشر شهرة واسعة ونجاحاً كبيراً في باريس ، وهي تعرض قصة شاب اغوى فتاة بائسة ودفع بها الى الانتحار ، ثم تولاه الندم امام جثتها فأراد انقاذ ذكراها من العار ، فصرخ : « لقد قاومتني فأقدمت على قتلها » . . تلك هي عقدة المسرحية ، وذلك هو ايضاً المشهد الاخير فيها ، اذ لا يكاد الشاب يلفظ هذه الكلمات حتى تنتهي المسرحية ويسدل الستار .

وفي ذات ليلة ، غلط الخادم فأسدل الستار قبل ان يلفظ الممثل بوكاج الذي يقوم بدور البطل ، تلك الجملة التي لا تتم المسرحية بدونها بل تسقط وتتشوه ، فاضطرب بوكاج واسرع الى مقصورته واطل على الجمهور ، فاذا بالجمهور يقابله بالصراخ والصفير ، ويمنعه بذلك من اصلاح الخطأ . وشعر الخادم خلال ذلك بغلطته ، فبادر الى رفع الستار من جديد ، واذا بالممثلة التي قتلت نفسها منذ لحظة تنهض لانقاذ الموقف ، وتتقدم من الجمهور الصاخب قائلة بسذاجة « لقد قاومته فأقدم على قتلي ! » . .

وينقلب غضب الجمهور فجأة الى ضحك مجنون .

لقد كانت تلك الممثلة ماري دورفال عشيقة الفريد دوفيني الشاعر الفرنسي الكبير .

لم تكن ماري دورفال في زهرة العمر عندما تعرف بها دوفيني وأحبها ، بل كانت لها من زوجها السيد مبرل ابنتان احداهما في السابعة عشرة من عمرها والثانية في الخامسة عشرة . وكانت ذات شهرة في الاوساط الشعبية ، وان لم تكن قد مثلت بعد الا في المسرحيات الثانوية ، غير انها كانت شديدة الطموح ، وكان حلمها الاول ان تغدو ممثلة في الكوميدي فرانسيز . وربما كان هذا الحلم الدافع الرئيسي الذي القى بها بين ذراعي الاديب اللامع لما له من نفوذ قوي .

والراجح ان ماري لم تكن جميلة بقدر ما كانت جذابة . وكانت سمرتها الحارة ، وحيويتها الصارخة ، وذكاؤها المتقد ، افعل في القلب من قدها الهزيل وقسماتها العادية .

ولم يكن الفريد دوفيني عشيقها الاول ، كما انها لم تكن عشيقته الاولى . وعندما تلاقيا كان هو ايضاً قد تزوج ، ولعل شعورهما بخطيئتهما المزدوجة هو الذي قرر حبها او وطده على الاقل فقد كان كل منهما ملتهب العاطفة شديد الميل الى تذوق الثمرة المحرمة . . ومن المؤكد ان كلا منهما لم يكن ليقدر عواقب هذه العلاقة العابرة ، او ليتخيل ان ثمة عاطفة عنيفة ، وحشية ، ممزقة ، ستغمرهما وتدفع بهما الى زوبعة من الهوى الجامح والعشق المبرح .

لقد احب فيها الفريد دوفيني اول ما احب الممثلة الفنانة البارعة ، ثم استسلم لاغواء هذه المرأة التي كانت تستقبله في مقصورتها على انفراد ، فتتزين امامه ، وتتبرج ، وتتعطر ، وتبدل ثيابها ، وتعمد الى الف وسيلة من وسائل الاغراء التي تتقنها ، لتفتنه كما فتنت قبله الكثيرين وجعلت منهم عبيداً لها .

اما هي فقد استسلمت له ، اول ما فعلت ، لتحقق رغبة تستبد بها ، وهي رغبة يمتزج فيها بشكل عجيب ، نداء الجسد وشوق القلب والطموح الى مثل رفيع ، ولم يتح لاحد عشاقها ان يحققها من قبل ، كما لم يتح ذلك لالفريد دوفيني ايضاً . . لان ماري دورفال ، كانت ، على شدة عاطفتها ، قديمة التجاوب ، تفني نفسها في سبيل سعادة مستحيلة لم تبلغها قط .

على ان الشاعر كان يتذوق معها الواناً جديدة من المتعة يغرق فيها ويسترسل في لجتها حتى ليفقد رشده في احيان كثيرة . . حتى اذا ما تركها وخلا بنفسه ، ندم على اغراقه وخجل من تبذله واعتزم ان يكبح جماح العاطفة المتأججة التي اثارتها في نفسه . . ولكنه لا يلبث حتى يعود صاغراً الى المرأة التي لم يعد يستطيع فراقها والبعد عنها . .

وهكذا كان العاشقان يندفع كل منهما نحو الآخر ، في جهد يائس ، للوصول الى اتحاد روحي وجسدي كامل كان القدر يأباه عليهما ، حتى غدا حبهما اشبه بصراع مستمر بينهما وكان الرجل هو الخاسر . .

وكانت ماري دورفال محدودة الثقافة ، فأراد دوفيني ان يجعل منها امرأة جديرة به ، واخذ يحاول تعليمها بنفسه ، واقبلت المرأة على دروسه مدفوعة بطموحها وكبريائها ، ولكن هذه الدروس كانت تقطعها عواصف الهوى الجامح الذي سيطر عليها والذي كان يلقي بها في احضان التعاسة والخيبة .

وقد بلغ من تعلق ماري دورفال بالشاعر انها كانت تغار عليه غيرة وحشية ، وتأخذ عليه حتى عنايته بامه العجوز التي فقدت عقلها ، ولا تطيق شيئاً يمكن ان يبعده عنها .

ماري دورفال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الشاعر الفريد دي فيني

وكثيراً ما كانا يتشاجران ثم يتصالحان ليتشاجرا من جديد او ليستسلما لموجة من موجات ذلك الحب الجنوني وهكذا نراه يكتب لها مرة :

« ان ما انزلته بي من عذاب لا تحصى الوانه ولا ينسى اثره طول الحياة، قد نسيته امس بين ذراعيك حين رأيت نفسك عارية بكل براءتها وجمالها . فألف شكر لك يا ملاكي ويا فاتنتي ».

اذا به يكتب لها مرة اخرى :

« شد ما تثيرين القلق في نفسي وتبعثين الحزن فيها . اي ملاكي العزيز . يا حسنائي العزيزة المسكينة . لشدما تملئين قلبي شفقة ورثاء ، ثقي بانك ان اردت القضاء علي حزناً ، فلن تجدي طريقاً اقرب من هذا الطريق » !

ثم اذا به يكتب في وقت آخر :

« لقد آلمتني ليلة امس يا ملاكي الجميل وأسأت الي . لانت اجدر الناس بأن لا تكوني غيوراً . اني احبك كثيراً وبقلق مستمر ».

وجاءت امرأة تذكي ضرام هذا الهوى التعيس ، وتؤجج ناره التي تلتهم العاشقين .

هذه المرأة هي جورج صاند التي كانت تستهل حينذاك مجدها ككاتبة روائية

فقد انعقدت في سنة ١٨٣٣، بين جورج صاند وماري دورفال، صداقة حميمة .

وكانت هذه المرأة الكاتبة ، التي تشبه الرجال وترتدي ثياب الرجال وتدخن السيكار ، يعصف بها الغضب لانها لا تستطيع ان تكون رجلاً ، فتتولاها لذة شرسة في التفريق بين العاشقين الذين تلتقي بهم في طريقها .

وهكذا اخذت جورج صاند تحث ماري دورفال على ان تطلب من عشيقها الاهتمام بمستقبلها الفني اهتماماً جدياً . . ومنذ ذلك الحين لم يعد دوفيني يعرف طمأنينة العيش .

لقد كانت ماري تطالبه بلا انقطاع بادخالها في الكوميدي فرانسيز . فضاعف الشاعر مساعيه في هذا السبيل، وناشد صديقيه فيكتور هيغو والكسندر دوما بالتدخل في هذا الامر ، ولكن مدراء المسرح الفرنسي كانوا يجمعون على مقاومة الممثلة التي اتت من الشارع ، ويرفضون استقبالها في بيت موليير .

ولجأت ماري دورفال حينئذ الى طريقة اخرى، فطالبت الشاعر بجعل علاقتها السرية علاقة علنية، وعبثاً احتج دوفيني بانه متزوج، وبان هذه الفضيحة قد تسيء اليه اساءة معنوية ، فانها لم تشأ الاصغاء الى احتجاجه ، وسرعان ما ملأت جدران باريس باعلانات كبيرة تعلن ان ماري دورفال ستقيم على نفقتها حفلة تمثيلية خاصة تمثل فيها احدى مسرحيات الشاعر الفريد دوفيني .

ولم يكن دوفيني قد كتب مسرحية ما ، فوضع مسرحية صغيرة ليرضي بها عشيقته وليثبت للجمهور انها ممثلة قديرة لا تقل جدارة عن ممثلات بيت موليير في تمثيل ادوار بنات الذوات .

ونجحت المسرحية وبطلتها نجاحاً يسيراً ، وسافرت ماري على أثر تمثيلها الى مدينة روان لتمثل في احد مسارحها تنفيذاً لاتفاق لمدة ستة اشهر عقدته سراً .

وجن جنون الشاعر اذ غادرته خليلته تاركة اياه في جحيم الخصومة المستمرة بين امه وزوجته ، وملاحقة دائنية له ، واخذ يبكي ويشكو ويتوسل ، ثم رأى انه لن يستطيع اغراء ماري بالعودة الا اذا نجح في حمل الكوميدي فرانسيز على قبولها فيها ، فعمد الى اشتات الحيل والدسائس حتى وفق في مسعاه ، وارسل

اليها يبشرها بتحقيق امنيتها العظمى ، فوافته الى باريس على عجل، لتطلب منه مسرحية كبيرة لتمثلها على المسرح الفرنسي .

ولم يكن دوفيني ليحب كتابة المسرحيات ، ولكنه عكف مع ذلك على وضع مسرحيته الشهيرة « شاترتون » ووفق فيها كثيراً، الا ان لجنة المطالعة في الكوميدي فرانسيز، المؤلفة باكثريتها من الممثلين ، رفضت هذه المسرحية لغرض واحد هو ان تحول بين ماري دورفال والظهور على المسرح الفرنسي . . فثارت ماري وغدت اكثر الحاحاً على عشيقها ، حتى اضطر الى التوسل لدى اصدقاء الملكة لحملها على قراءة المسرحية ، فطالعتها الملكة وشهدت بانها مسرحية ممتازة وأمرت بتمثيلها . . ولم يبق على الكوميدي فرانسيز الا الخضوع والاذعان .

●

ماري دورفال في رواية شاترتون



غير ان عمدة المسرح عادت فوجدت عذراً لمنع ماري دورفال من تمثيل المسرحية . فقد اتفق ان التقى الملك لويس فيليب بالشاعر دوفيني في احدى الحفلات الراقصة فقال له :

— لقد اكدت لي الملكة يا سيدي انك كتبت للفرنسيين مسرحية فائقة الجمال ، فأهنئك كثيراً ، كما اهنئك على اختيار الآنسة مارس لتمثيل الدور الاول فيها .

وقد ارسل الملك هذه الكلمة دون قصد ما ، ولاعتقاده فعلاً بان الآنسة مارس هي التي ستمثل المسرحية . ولكن عمدة الكوميدي فرنسيز قد تمسكت بها ، مدعية انها دليل على رغبة الملك في اسناد هذا الدور اليها، متذرعة بذلك لاقصاء ماري دورفال مرة اخرى .

وكان على الشاعر، ان يجدد مساعيه وتوسلاته ليفرض عشيقته على الكوميدي فرانسيز فرضاً .

ومثلت المسرحية أخيراً، واحرزت نجاحاً كبيراً ،ولم يقل نجاح ماري دورفال نفسها عن نجاح عشيقها . ولكن هذا النجاح المزدوج الذي كان حرياً بان يتوج حبهما ويعززه، كان بعكس ذلك نذيراً بزواله . . فان ماري داخلها الغرور واستبدت بها الانانية فلم يعد يهمها سوى نفسها ، وضاق الشاعر بذلك ولم يعد يطيق عليه صبراً .

وسافرت ماري بعد حين في جولة فنية،ووضع القدر في طريق الفريد دوفيني امرأة اخرى ، لا تشبه ماري دورفال في حبها الجنوني العاصف ولكنها تعرف كيف تعزي برقة وبراعة نفسه المعذبة . . وكانت هذه المرأة اميركية في العشرين من عمرها تدعى جوليا باتليجان ذات جمال ملائكي ساحر .

وانذرت ماري بالخطر ، فعادت الى باريس واستطاعت ان تستعيد دوفيني من بين ذراعي جوليا الناعمين . . ولكن طوق السحر كان قد تحطم ، فما لبث الشاعر ان عاد الى جوليا ، ثم استعادته ماري ، ثم انتزعته جوليا مرة اخرى ، حتى تمزق قلب الشاعر وانتهكت اعصابه ونفدت قواه ، فهجر باريس في خريف سنة ١٨٣٨ وذهب مع زوجته الى القرية للاستجمام فيها .

ومنذ ذلك الحين لم تعد ماري دورفال لتعرف غير لذة مرة واحدة هي لذة الدموع ، فقد لازمها المرض واليأس والاخفاق ، ومنعت عنها حتى الادوار التافهة في المسارح الصغيرة .

وفي سنة ١٨٤٨، بينما كانت عائدة مع صهرها من (كان) الى باريس ، هبت العاصفة فقلبت عربتها واصيبت بصدمة قوية انقذتها من حياة البؤس والخيبة اذ ما لبثت حتى توفيت على اثرها وهي في الخمسين من عمرها .

صورة وصفية

•

ايزيس

بقلم وديع فلسطين

•

بقلم

العبوس من «ايزيس» فكلما رأيتها كانت ضاحكة المحيا وضاءة الجبين ، حتى لاحسب انها ولدت ضاحكة على غير ما عودنا الاطفال من بكاء يستقبلون به الحياة .

سمراء ذات قوام سمهري ، اذا سارت كان لسيرها توقيع ونغم لانها تعيش عيشة منتظمة ، وما السير الا تعبير عن نفسية صاحبته . واذا جلست في حشد من الاصدقاء والصديقات كانت روحهم وكانت حيويتهم . لان ايزيس خلقت لتسعد غيرها بقلبها الحنون ، وروحها الشفيفة وابتسامتها التي لا تفارقها ، وعشقها لخدمة كل من يعوزه خدمة منها . ولو كان الامر بيدي اختار لكل عمله وصناعته في الحياة ، لاسندت الى ايزيس عمل التمريض لانها بذلك تشفي المرضى وان استعصى علاجهم ، وتبث الروح في من اشرفت الروح على هجره ، يساعدها على ذلك ما تحلت به من قدرة على الصبر والمجالدة ، ويهيء لها النجاح ما جبلت عليه من روح غيرية altruistic تتجلى في الدقيق من تصرفاتها والكبير من اعمالها .

وايزيس انموذج تفاخر به مصر وتزهو . وقد تاح لها قبل عام ، ان تمثل مصر في محتشدات امية ومجامع دولية ، فركبت متن الجو الى حيث رفعت اسم بلادها الى السماكين . وافاضت صحف العالم الجديد في الحديث عن ايزيس المصرية الرشيقة المسراحة الحلوة فاذا اكتملت للفتاة ثقافة عالية ، واذا هيئت لها شخصية قوية آسرة ، واذا اجتمع لها الى جانب ذلك صدق في الطوية واخلاص في المقصد ورغبة في مساعدة الآخرين ، كانت خير فتاة لخير امة .

ومن مزايا ايزيس ان رأسها مشرئب الى اعلى دائماً ، ولعلها تستمد ذلك من قامتها المديدة الفارعة ، فهي لا تتأمل السفاسف ولا تحاول حتى مجرد ركلها ، بل تمضي في طريقها غير آبهة ولا عابئة بشيء ، مطمئنة الى انها تحلق الى فوق ، واثقة من ان آمالها ليست آمالا وضيعة محدودة ، بل آمالا عريضة منسرحة رحيبة .

فالمادة لا اغراء لها عند ايزيس ، والنجاح المعجل السريع لا يستهوي ايزيس والشهرة التي يسعى وراءها البعض سعياً حثيثاً ليست بذات شأن عند ايزيس . ذلك لان ايزيس تتطلع الى فوق ، ترجو الاحسن لا الحسن ، وتعمل للمثل العليا في ارفع درجاتها ومراتبها ولا تبالي بما يضعه الناس من مثل لا تستقيم مع طبيعتها ومبادئها .

وتعرف ايزيس ان الصداقة الخالصة خير ثروة يمكن لامرىء ان يعتز بها ، وهي لذلك تحرص على الاصدقاء اقامت او ارتحلت وتتقصى انباءهم في شغف واهتمام ، وتحييهم في المناسبات والاعياد ، وتجمعهم اذا ارادت ان تخلو الى سويعات هانئة بريئة المقصد كريمة المأرب .

واذا التقيتُ بفتاة عرفت ايزيس ، كان ذلك خير تزكية لها في عيني ، لان ايزيس لا تختار صديقة الا لفضيلة فيها ، وقد تكون هذه الفضيلة متغلغلة في النفس لا تبده المرء ، وقد تكون ظاهرة للعيان لا يخطئها البصر . ولكن ايزيس تعرف كيف تتكشف هذه الفضائل وكيف تولي صاحباتها ما هن اهل له من مودة غامرة .

اما وايزيس لم تخلق لنفسها ، فقد آثرت لنفسها التجنيد في سلك العاملات للخير ورفع مستوى المجتمع الاخلاقي . فهي عضو عامل دائم في جمعيات الشبيبة الخيرية ، وهي دينامو لا يكف عن التماس سبل الخدمة الباذلة ، وهي عضو منتسب في جمعيات للتسلح الخلقي في ما وراء البحار ، وهي تحتمل عناء الغربة في سبيل خدمة المبادىء التي وقفت نفسها على خدمتها ، وهي تحب العمل الصامت المجدي لا العمل الصاخب الاجوف ولو كانت الرتب العلمية او الاوسمة الذهبية تمنح للاتي يخضن خضة العمل الاجتماعي لكانت ايزيس احق بالرتبة العلمية وبالرصيعة الذهبية من سواها .

وتستمع ايزيس بمزايا كثيرة حتى لتكاد تجردها من كل عيب . فهي مجتهدة اذا اسند اليها عمل انجزته على خير ما يرجى ، وهي عاملة قل ان تحفل ببدر المال ، وهي ذات وجه صبوح يمم على قلب اشد منه

هنا يتكلمون الفرنسية

للعالم اللغوي الفرنسي البير دوزا مؤلف كتاب فلسفة اللغة

ترجمها عن الانجليزية : مبارك ابراهيم

ان ما تسيطر عليه اللغة الفرنسية او تملكه بوضع اليد يتجاوز حدود فرنسا السياسية، ففي بلجيكا يتكلم اللغة الفرنسية ثلاثة ملايين ونصف مليون. وهم سكان «والونيا» وفي سويسرا يتكلمها تسعمائة الف.

وفي خارج حدود القارة الاوروبية لا يقتصر التكلم بالفرنسية على سكان المستعمرات الفرنسية بل يتعداها الى بعض الممتلكات الفرنسية السابقة. ففي كندا يبلغ عدد المتكلمين بها ثلاثة ملايين. ثم تتلوها «هايتي» (او الجمهورية السوداء) وفيها من الناطقين بالفرنسية مليون.

ويدور الحديث بالفرنسية في الجزيرة الافريقية Mauritius وهي اليوم من املاك الانجليز. وان كانت المحاولات تبذل لتحل الانجليزية محلها في تلك الجزيرة.

وفي الولايات المتحدة الامريكية اختفت اللغة الفرنسية من حوض «المسيسبي» في منتصف القرن التاسع عشر. ولكن في «لويزيانا» لا تزال الفرنسية تجاهد في سبيل البقاء.

ومسألة انتشار اللغة الفرنسية عبر البحار لم تبدأ دراستها الا منذ قليل. فقد طبع في «كندا» قاموس للهجات العامية الفرنسية وهو يهدينا الى ان استعمار الفرنسيين لكندا قد بدأ في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر. وكان المهاجرون الاولون قد جاءت كثرتهم من القسم الغربي من فرنسا. وهذا ما يفسر لنا ما نراه في لغة «كندا» الفرنسية من كلمات عفى عليها الدهر في فرنسا. ومن لهجات اهل الريف الفرنسي وتعبيراتهم.

ولزنوج افريقيا الذين يتكلمون الفرنسية لهجة خاصة هي مزيج من الفرنسية ومن اللهجات الاصلية لاولئك الاقوام.

ولا تزال اللهجات التي كانت سائدة في فرنسا ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر سائدة في «هايتي». وفي جزيرتي «موريتيس» و«مدغشقر».

والمتتبع دراسة اللغة الفرنسية في تلك الجزر يرى اختلافاً في مخارج الحروف كحذف حرف الراء. وكوضع بعض الحروف

صبوحاً، وهي فياضة بعاطفة الحب لا تبخل بها على احد ممن عرفتهم وخبرتهم، وهي اصيلة عريقة في اخلاصها وولائها، وهي اجتماعية كارهة للعزلة؛ وهي ناكرة الذات نابذة لمطامع اهل الارض، وهي على قدر كبير من العلم يخضد امامها كل شوكة في الحياة، وهي ذات عقل راجح كبير صنعت دقائقه صنعاً وكيفت غضونه تكييفاً، وهي اميرة في اخلاقها ومعاملاتها وتصرفاتها، وهي نعم الفتاة الناهضة العاملة.

وقد يسوغ لسائل ان يستفسر عن معايير الشخصية وموازين الاخلاق، وقد يعن لاحد ان يتحدى نزاهة الكاتب اذا كتب ما دام لا يضع لنفسه قواعد ومقاييس يصدر عليها احكامه.

ولكن هذا التساؤل وذلك الاستفسار لا محل لهما في ما يتعلق بايزيس لانني سعدت بمعرفتها ايام الدرس، وعرفتها في الحياة وقد انصرف كل الى ميدانه ومجاله، وعرفتها بين رفاقها وأصدقائها، وعرفتها بين الاب والام والاشقاء، وعرفتها في المجتمع كلما ائتلف رفاق المعهد حول موائد الطعام او في جلبات النقاش او في حفلات المسامرة، عرفتها فما تغيرت ولا تبدلت لان المعدن الكريم لا يصدأ ولا يحول لونه، ولان الارومة الطيبة لا تجود الا بخيار الناس.

فايزيس تعلو على الطعن، وتسمو على النقد وقد بدأت حياتها تسير الى الامام، ولا تزال هذه وجهتها، وعكفت على الاصلاح الانشائي، وما برحت على ذلك عاكفة، وولت وجهها شطر الاخلاق الفضلى فما تخلت عنها قط، واحتفظت بهدوئها وهي لا تزال مقيمة عليه.

هذه إيزيس المصرية السمراء الفاتنة.

وهذه صورة جانبية لبعض ما نسجت منه شخصيتها من خيوط كالديباج:

أزمعتُ اهداءك اوفيّ به
ما يقتضي الواجب من حمد*
لعادة حلّت محلًا سما
من صدق اعجابي ومن ودي
فحار فكري في اختياري لها
ألطف ما يفصح عن قصدي

***

يا ذات حسن اكملت حسنها
بالادب الوافر والرشد
تقبلي شكري وان لم يثب
فانه افخر ما عندي

القاهرة — وديع فلسطين

---

* الابيات الشعرية لخليل مطران بك.

الساكنة مكان بعض . كما يرى تبسيطا في نحو اللغة ، وكما يرى اصطباغ مفردات اللغة بالصبغة المحلية .

والفرنسية التي يتكلمها الاقوام الوطنيون في المستعمرات الفرنسية في افريقيا وفي الهند الصينية قد اسس بنيانها على لهجات المستعمرين (بالكسر) وان كان التحسن قد ادخل عليها بفضل المدارس المنشأة هناك . وبفضل هجرة من هاجر من اقوام تلك البلاد الى فرنسا .

والمهاجرون من الفرنسيين الى خارج فرنسا منتشرون انتشار قلة لا انتشار كثرة . فهم في الولايات المتحدة الامريكية ١٥٠،٠٠٠ وهم في الارجنتين ١٠٠،٠٠٠ وهم في بريطانيا العظمى ٢٠،٠٠٠ ويقل عددهم عن ذلك في اسبانيا وفي المقاطعات الالمانية بسويسرا .

وهذه الجاليات . والكثرة من افرادها متعلمون . تعمل على نشر اللغة الفرنسية . وعلى جعل الاقوام الذين يتزلون بينهم يتذوقون الثقافة الفرنسية .

وهجرة الفرنسيين الى خارج بلادهم قد بدأت منذ زمن بعيد .

فالغزو النورمندي لانجلترا قد حمل اللغة الفرنسية معه عبر الخليج . وذلك في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي . وجعل من الفرنسية اللغة الرسمية . كما جعل منها اللغة التي تتكلمها طبقة الاستقراطيين في بلاد الانجليز . ولم تستطع اللغة الانجليزية ان تتغلب عليها او تمحوها قبل القرن الرابع عشر .

وكذلك غزت اللغة الفرنسية منذ زمن مديد اقساماً من البلاد الالمانية . ومن البلاد البلجيكية .

ونحن نرى في القرن الثالث عشر الكاتب الايطالي «برونيتو لاتيني» يكتب بالفرنسية . كما نرى من بعده واحداً من بني جنسه يكتب بها وهو الرحالة «ماركو بولو» .

وقد ادت الحروب الصليبية الى انتشار النفوذ الفرنسي في الشرق الادنى . فقد ظلت اسرة فرنسية تحكم القسطنطينية نصف قرن من الزمان (١٢٠٤ — ١٢٦١) وحكمت اسرة فرنسية اخرى البلاد السورية قرنين كاملين . كما حكمت اسرة ثالثة جزيرة قبرص ثلاثة قرون .

وفي ايطاليا تولت الحكم في «نابولي» وفي قسم من جزيرة صقلية اسرة نورماندية من القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر . في حين ان شمال ايطاليا كانت تحكمه اسرة «بيدمونت» وقد جاءت من «سافوي» واتخذت اللغة الفرنسية لغتها الوطنية .

وكان لحرب المائة سنة (وهي مجموعة الحروب الطويلة التي ظلت ناشبة بين فرنسا وانجلترا، والتي بدأت في عهد ادوارد الثالث عام ١٣٣٧ وانتهت في عهد هنري السادس عام ١٤٥٣) وما ادت اليه من انحطاط في الادب، الاثر كل الاثر في تقلص ظل اللغة الفرنسية في كل مكان من القرن الرابع عشر الى القرن السادس عشر .

ولكن اللغة الفرنسية بدأت مرة اخرى تسترد مكانتها العظمى . وقد بلغت الاوج قبيل الثورة الفرنسية وذلك يوم انشأت اكاديمية برلين مسابقة موضوعها : الاسباب التي دعت الى تعميم اللغة الفرنسية في العالم .

ومن عظماء الاجانب الذين اتخذوا اللغة الفرنسية لغة لاقلامهم : الفيلسوف الالماني « ليبنيز » (١٦٤٦ — ١٧١٦) والامير شارل جوزيف دى ليني (١٧٣٥—١٨١٤) وكان قائداً بلجيكياً خدم في النمسا . كما كان كاتباً ذكياً . والراهب «جالياني» وكان اديباً كما كان عالماً من علماء الاقتصاد (١٧٢٨—١٧٨٧) وهو غني عن التعريف .

وقد غشيت اللغة الفرنسية غاشية من الاضمحلال في اعقاب الثورة الفرنسية ولكنها بقيت اثناء القرن التاسع عشر اللغة الثانية للاستقراطيين في ممالك اوربا الوسطى وفي الروسيا ، وايطاليا . وحتى في تركيا ، وكان للارساليات الدينية الفرنسية فضل نشر اللغة الفرنسية ومد رواقها في بلاد كثيرة .

ثم جاءت الحرب العظمى فحطمت ثلاث امبراطوريات كما اودت بكثير من الممالك الصغرى وخربت ديار قوم ارستوقراطيين فكان لكل هذا اثره في زعزعة سلطان اللغة الفرنسية .

وقد اعان على هذا ما اعقب تلك الحرب من نهضة الامم والشعوب وغيرتهم — بدافع الوطنية — على لسان قومهم .

ولكن يقابل هذا من ناحية اخرى عناية الامم الانجلوسكسونية وامم الشرق الادنى بدراسة الفرنسية، فكثيرون من الكتاب الاجانب يستعملون اليوم او كانوا يستعملون اللغة الفرنسية في كتاباتهم ومنهم موريس مترلنك الكاتب البلجيكي . ومنهم « دانونزيو » الكاتب والشاعر الايطالي . ومنهم الكاتب الروماني «باناييت استراتي» والكاتبتان « أنا دى نواي » والآنسة «فاكايسكو» ومنهم الكاتب اليوناني «جان موریاس» والكاتب الامريكي «ستيورات ميريو» .

وفي القرن السابع عشر حلت اللغة الفرنسية مكان اللاتينية كلغة للمعاهدات الدولية في اوربا . وأولى المعاهدات التي كتبت بتلك اللغة معاهدة « راستات » التي عقدت عام ١٧٤٠ .

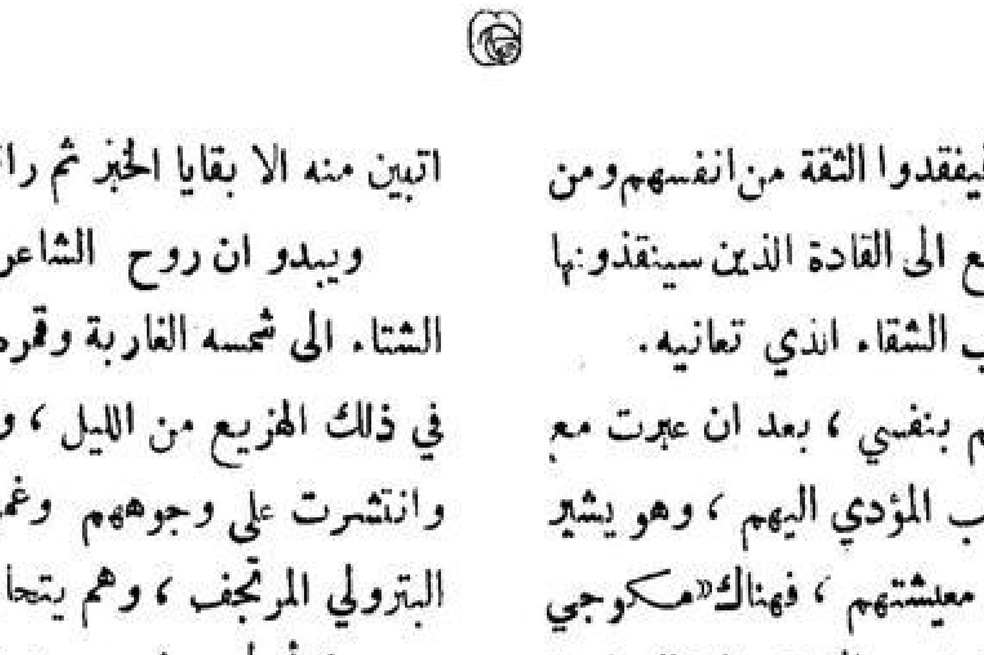
وبعد قرنين . اي في عام ١٩١٩ كان على الفرنسيين ان يرضوا للغتهم ان تشاركها اللغة الانجليزية . وذلك في معاهدة فرساي .

وقد بدت اليوم حاجة الاقوام الى الاتفاق على لغة عالمية

- البقية في صفحة ٦٧ -

ايام الرعد

بقلم يوسف الشاروني





في احدى الاماسي جلس يتلو عليهم من شعره الغنائي الحلو ، فلما انتهى منه قال : انه لا يمكنك ان تعرف قلب المرأة ، فواحدة قد تكون مدلهة بحبك ثم تنصرف الى صديقك تحدثه كلما رأتك مقبلاً ، واخرى لا تبادلك عاطفة ولا عطفاً ثم تظهر اهتمامها بك كلما هممت منصرفاً ، وثالثة قد تكون ذهبية الشعر ناعسة الطرف هشة الاطراف ولها قلب ظامىء الى الحب والتحطيم والندم . ثم سعل سعالا يوشك ان يكون مرضاً ، واستأذن في الانصراف ، وابتلعه الصمت والظلام ، ولم يعد اليهم من يومها ، منذ عشرة شهور ، منذ اخبروهم ان العلة اشتدت به . ولقد اخبروهم منذ اسبوع واحد ان حامداً قد مات .

ذلك انه في منتصف القرن العشرين بعد الميلاد ، كان يعيش في مصر جيل من الشباب ، شاهدوا الماضي ينطفىء وراءهم ، وشاهدوا المستقبل لغيرهم ، ولم تستطع اقدامهم ان تثبت في الحاضر . وكان هذا الجيل يقرأ الادب على ضوء مصابيح بترولية ، ويتابع دراساته وهو يستمع الى ضجيج المذياع في اقرب مقهى . وكانوا يبحثون عبثاً عن الفرح ، فمن حولهم تنتشر الاوبئة والاوجاع ، كما كان يشقيهم قلق وحرمان ، وهم يكافحون في بطولة حتى تتحطم اعصابهم ، وتمزق الوحدة احشاءهم ، فيفقدوا الثقة من انفسهم ومن العالم . ومن هذا الجيل كانت مصر تتطلع الى القادة الذين سينقذونها من الانحلال والتأخر ومن كل ضروب الشقاء الذي تعانيه .

ولقد رأيتهم تلك الليلة ، رأيتهم بنفسي ، بعد ان عبرت مع صديق منهم ذلك الزقاق القصير الرطب المؤدي اليهم ، وهو يشير الى الدكاكين التي يجدون فيها وسائل معيشتهم ، فهناك «مكوجي الامراء» يتعهد ثيابهم بالغسل والكي ، وهناك « صالون السعادة » يتعهد شعرهم بالقص ولحاهم بالحلق ، وهناك « مطعم الحرية » يتناولون فيه طعامهم احياناً ، ثم « المقهى الوطني » يجلسون فيه لا سيما في ليالي الصيف . وفي نهاية الزقاق كان ثمت باب خشبي كبير ، دفعناه فأحدث صريراً مسموعاً ، ثم صعدنا درجات السلم الخشبي المرتفع الطويل وانا اتوكأ على عصاي ، وكأنما اشياء خفية تتكسر تحت اقدامنا . خمس طبقات صعدناها حتى وصلنا الى غرفة في اعلا البناء . وكانت القاهرة قد استنشقت في ذلك اليوم عبير الشتاء المتفتح لاول مرة ، وخلفت الشمس بعد مغيبها نوراً إلهياً ناصعاً غمر الافق الغربي زمناً غير قصير ، وبدا القمر في الشرق متدثراً يخطر بين سحبه الناعمة المترفة البيضاء ، وأخذ النسيم البارد يلفح اسطح المنازل ، ويغمر في عنفوانه الشاب هذه الغرفة ذات السر الكبير ، ماضياً في رحلته الليلية خلال المدن والقرى والصحارى والتلال .

ولقد رأيتهم جميعاً والوجوم يختلط بروح التهكم في وجوههم ، وساعة الجامعة تدق قريباً منا تسع دقات . وهناك سرير وسط الغرفة ، وارفف متشبثة بجدرانها مرصوصة فوقها كتب في الفن والفلسفة والادب ، ومنضدة ملطخة بالالوان عليها ادوات مبعثرة للرسم ، ولوحات قليلة معلقة فوق الجدران . وفي الركن الغربي ثمت مصباح بترولي يرتجف ، ورأيت على ضوئه صورة رائعة كأنما تنبعث من حلم فرعوني قديم ، حيث ايزيس العذراء جالسة ترضع من ثديها الناضج البكر ابنها الصقر حورس ، وفي شعرها وعينيها لمحات من نور الله . وكانوا يكادون ينتهون الآن من طعام لم اتبين منه الا بقايا الخبز ثم رائحة الاذرة المشوية .

ويبدو ان روح الشاعر كانت قد تسربت في مطلع هذا الشتاء الى شمسه الغاربة وقمره المتدثر ، ثم اطمأنت الى هذه الغرفة في ذلك الهزيع من الليل ، وكانت الآن قد تسربت الى قلوبهم وانتشرت على وجوههم وغمرت لوحة ايزيس الجاثمة تحت المصباح البترولي المرتجف ، وهم يتحادثون ويتناقشون .

وفجأة لمحت في يد صديقي صورة لفتاة ربما كانت في العشرين ، فرفعت بصري الى صورة العذراء التي قيل لي ان صاحبها اتم رسمها بالامس فقط ، محاولا ان ادرك اية صلة كامنة بينهما .

وانتهى الطعام وساعة الجامعة تدق عشر دقات ، والبحث قد تشعب بحيث شمل نقاشاً حول المذاهب والقيم . فأنبياء

العصر قد اعلنوا ان الحضارة الاوربية على شفا الانهيار ، والجماهير اخذت تتلمس الطريق الى حضارة جديدة ، فانتشرت مذاهب ونظم وقيم لتوضع موضع التجربة في التاريخ . وفي مصر كان بعض شباب الجيل يحاول ما استطاع ان يتعرف على زعماء الفن والفكر في العالم ، وان يصل اليه ضجيج هذه الحضارة التي تنهار . وذلك في نفس الوقت الذي كانت فيه القنبلة الذرية قد اخترعت، والادوية المهدئة للاعصاب قد انتشرت ، والبشرية كأنما تعاني آلام المخاض.

كانوا يحسون انه يجمعهم جيل واحد ورعب واحد وامل واحد ، ويضمهم كذلك شخص واحد .. هو تلك المرأة التي اقبلت صورتها في هذا الهزيع من الليل تشيع بعض الطمأنينة في ارواحهم القلقة الاسيانة .

وكانت ساوى فتاة من احدى محافظات الوجه البحري، اقبلت الى القاهرة كي تنتظم في جامعتها وهي تحمل معها جسداً في التاسعة عشرة يزدحم خيالات وأوهاماً، وتتدفق منه روح بكر شاعرية. وكانت قد جربت مواهبها المتفتحة في بيئتها الصغيرة المحدودة ، فأدركت الى اي حد تستطيع برقتها وارادتها ان تشيع المرح والطموح فيمن حولها .

وفي الجامعة تعرفت بحامد ، وما لبث ان قدمها الى زملائه ، وكانوا في ذلك الحين لا يزالون يجربون امكانياتهم ، ويختبرون قواهم الكامنة ، فهم جميعاً يرسمون وينحتون ويقرضون الشعر ويعزفون . وكان لقاؤهم في اكثر الاحايين عارضاً تفرضه عليهم هذه المشاركة في السعي الحثيث الى اكتشاف ذواتهم . فلما اقبلت ساوى ، بروحها المتوثبة الخلاقة ، وظرفها ولباقتها ، وجسدها النحيف المتيقظ ، اخذوا ينتظمون جميعهم ، ويجد كل منهم نفسه في يسر وسهولة ، ويسري في جسده شيء خفي من الرعشة والسرور ، وهو يكشف شيئاً فشيئاً ، وفيما بينه وبين نفسه ، عن السر العظيم الدفين الذي لا يبوح به لاحد حتى ساوى . ورغم ان كلا منهم ايقن انها تحبه دون الباقين، الا انه لا يحب ان يفسد على الآخرين متعتهم، ولا على نفسه هذه الرفقة التي يجد فيها السعادة والغبطة والرضا ، فيقنع ان يحبها وان تحبه دون حاجة الى هذه الرعاية الخاصة التي قد تلفت الانظار وتفسد الامور .

وهكذا وجد احدهم انه رسامها ، ووجد آخر انه عازفها ، ووجد حامد انه شاعرها ، وظن صديقي انه مثالها ، واخيراً اقبل خامسهم —وكان اصغرهم—ورأى أن يفلسف هذا جميعه . وتخصص كل في دراسته واستقر في معهده ، واصبح مجالهم الخاص لا يسمح لانسان بان يتنفس بينهم بلا موهبة ولو كانت مدعاة . حتى هي مضت تجرب امكانياتها فاذا بها تقرض الشعر . وكان هذا تشجيعاً كافياً لان يكون الشاعر اول من ينقض هذه المعاهدة الصامتة فيذيع حبه على الآخرين ، تساعده على ذلك وسيلة في التعبير، بينما الآخرون يحرصون على اخفاء ما يعتلج في صدورهم ، يتلمسونه فيما يدعونه في رفق هو اقرب الى التلميح ، ويشيعونه فيما يعبرون عنه بغير ان يبرزوه ، ولا ان يفصحوا عنه .

في ذلك الوقت كان شباب الجيل ينتثرون في مدن مصر ما بين المقاهي يقتاون الوقت وبين الطرقات الكبيرة يتسكعون وراء الفتيات ، وقد ربط بينهم احساس بالشقاء والفزع ، وتأرجح ما بين اليأس الكبير والامل الاكبر . وكان الشيب يدب في افوادهم والشيخوخة تشيع في ارواحهم وهم لما يزالون في شرخ الشباب . فلم يكن قد سمع بعد في ارض مصر ضجيج المصانع العظيمة المتراصة ولا ارتفع دخانها ينشر وعياً جديداً من اقصى الصعيد الى شاطئ البحر، وشباب الفلاحين في قرى مصر وريفها يذوون ويتساقطون في الارض .. بل في ارضنا الخصبة السوداء .

واحدهم ممن فيه شهوة الفكر اقوى من شهوة الجسد مضى يقول:

—واعجبنا منها جرأتها في وقت كانت فيه فتيات الشرق قد نزعن حجابهن ولم يتحررن منه بعد .

وآخر ممن فيه شهوة اللفظ اقوى من شهوتي الفكرة والجسد ، رفع رأسه قائلاً :

—واعجبنا منها قدرتها على الارادة والاختيار في وقت كنا نرى فيه المرأة لا تزال تتقدم الى الرجل اذعاناً واستسلاماً وليس ارادة واعطاء.

وقاموا برحلات معاً يشاهدون فيها آثار القاهرة وضواحيها وتلالها ، واشتركوا جميعهم في ضروب من النشاط الثقافي والفني والسياسي ، واخذ ماضيهم يزدحم بالذكريات . وكثيراً ما كان يقوم بينهم خلاف او شجار ، ثم تهل عليهم ساوى بقامتها النحيفة ورقبتها الطويلة، فيتحول الصياح الى همس والهمس الى صمت، وهي —كالغزال —تحني لهم في أدب جم رقبتها الرفيعة الملساء، فيرددون عليها تحيتها وهم يلمحون في عينيها ذلك الوميض الدافىء ، فتنبعث في قلوبهم رغبة لكنها خرساء ، لا تلمح هي منها الا رقة تنتشر على محياهم وحماسة تنتشر في حركاتهم ، حتى اذا تفرق شملهم ، دخلوا الى ما يبدعون ، وجدوا في طريقة ادائه ما يعطيهم الجرأة على ان يعترفوا اليه قليلاً وان يصارحوا انفسهم كثيراً بما يختلج في

ارواحهم ، فاذا مضوا قليلاً في ابداعهم ، توقفوا لحظة وخشوا الا يصل الافصاح او التعبير الى نهايته وكثيراً ما كانوا يشكون من قوة وصدق وقيمة ما يبدعون، فلا يلبثون ان يدعوه او يؤجلوه.

اما حامد فما اذاع حبه عليهم حتى انتشر الارتياح بينهم وشاعت الغبطة في صدورهم، ووجدوا في ذلك ضجة ضد ما تتهمهم به انفسهم من اشفاق وتهيب . وانتابهم احساس سعيد نبيل وهم يشجعونه على ان يبوح لها بوسيلة ما عما يكنه من عاطفة نحوها ، ثم يدفعونه ويلحون عليه ، حتى استطاعوا في احدى ليالي الشتاء الباردة وامام جمرات المدفأة ان ينتزعوا منه قسما على ان يفصح لها، وفي ليلة اخرى جلسوا يحتسون من الشاي ما غلوه للمرة الثالثة وهو يعاهدهم على ان يدرج خطوة نحوها، ثم يصبح الصبح ويقبل الضحى ويوغل النهار وهو متهيب يرجو الافصاح ويخشاه ، مدركاً ان الاعتراف امامهم هو التعبير ، وان الاعتراف امامها هو الفعل ، ومكتفياً — كمعظم الذين حوله من ابناء منتصف القرن — بالتعبير دون الفعل ، وبالمعاناة الا معاناة الحصول . وتقضي الايام ، وما ادى بهم اعترافه الا ان باور امامهم جانب الرغبة فيهم ، فأوهن كل سعي من نفوسهم ، ووجدوا ما يبررون به عدولهم عما يحاولون ويوجسون منه الا يبلغوه .

— ومضت سنتان ونحن نحيا هذه الحياة ، ثم حدث شيء لم يكن في الحسبان .

وكان هذا الحديث شرحاً موجهاً الي ، والغرفة قد امتلأت بدخان اللفائف حتى اخذت الاشياء والوجوه تبدو من خلال ضباب شفاف ، وساعة الجامعة تدق احدى عشرة دقة، والمطر يهطل في الخارج بغزارة ويتسرب بعضه من سقف الغرفة سائلاً على الجدران في تلكؤ ، والعذراء ايزيس لا تزال ترتجف . ولا تحسب ان هذا تعبير شاعري ، بل ارجوك ان تصدق انها كانت حقاً ترتجف ، واللهب يرتجف ، وجميعنا نرتجف . وصديقي الذي يبدو انه لم يمر بهم منذ زمن يقول : — سمعت انها انجبت طفلاً .

— بل طفلا وطفلا .

— وكان زوجها مريضاً . — والآن صحيح معافى .

— وهل تراها احرقت أشعارها ؟ — مثلما احرقها حامد .

— وهل تراها احبت حامداً حقاً ؟

— بل هو احبها حقاً .

— لكنه لم يبح لها بشيء في غير اشعاره .

— مثلما لم تبح له حتى في اشعارها .

وقال احدهم يتم شرحه لي .

— فذات صباح اقبلت تخبرنا انها ستزف عما قريب الى استاذ لها ، وتدعونا الى حضور يوم الزفاف .

— ومن يومها سعل حامد ، وظل يسعل ويسعل ثلاثة اعوام حتى مات .

وكان صاحب هذه الجملة الاخيرة قد نطق بها في انفعال وتأثر، كأنما ليؤكد قيام هذه الصلة التي يشير اليها من طرف خفي بين رحيل سلوى عنهم وموت شاعرهم . ثم صاح — كأنما تنبه اخيراً — وقال :

— لماذا تسردون هذه القصة ؟ لقد اعدتموها من قبل مئات المرات ، هيا نقدم شيئاً خيراً من هذا لضيفنا حمدي .

واشار الي ، وامسك عصاي يتأملها كأنما يدبر

مجلة علم النفس

☆☆☆

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارىء العربي تزيدك علماً بنفسك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة ممتازة وتساهم في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شلناً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٦٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤامرة ، وعاد يقول :

— اين ماء الصودا ؟ لقد قبضت بالامس اجر احد الدروس وعندي الليلة لكم زجاجتان .

وكان جالساً على بساط فوق الارض ، فانحنى قليلاً متكئاً على ذراعه اليمنى ، ثم مد يده اليسرى تحت احد الرفوف واخرج زجاجتين . وطفح البشر على جميع الوجوه ، فمنذ رحل صديقهم عنهم الى المصحة لم يقدر لهم ان يقيموا احتفالا .

وكان احدهم جالساً على منضدة الرسم يعبث ببعض الادوات التي أزاحها عنها ، وآخر جالساً فوق السرير يشاركه فيه صاحبي ، وانا جالس فوق مقعد كان من الخيزران يوماً ما .

. . . وبدأ احدهم قصة لم يتمها لانه نسي ما بدأه ، وقام اكثرهم ثملاً يخطب فوق المنضدة فقاطعه صديقي وأجلسه ، ثم اصبحت المشكلة الرئيسية امامهم هي كيف دخل السرير من الباب ، واستنتج واحد منهم انه لا بد ان يكون قد نشأ صغيراً في هذه الغرفة ثم ظل ينمو حتى اصبح بهذا الحجم ، ولكنهم استسخفوا هذا الحل مما اغضب صاحبه غضباً عظيما ، وهنا تدخل صديقي وعرض حلاً آخر ، وذلك ان تكون قطع السرير قد ادخلت من الباب مفككة ثم رُكّبت اجزاؤها داخل الغرفة ، غير ان هذا الحل الجديد ضاع بين الضجيج لان اكثرهم ثملاً وقف على المنضدة يحاول ان يخطب من جديد .

ولمحت وجهاً يصيح ضاحكاً في وجه آخر ويقول :

— وانت متى تفسخ خطبتك التي عقدتها منذ ثلاثة اعوام ؟

— بل ستحتفلون معي بعد اسبوع بعقد الزواج ، ولولا وفاة صديقنا لربما كان الليلة احتفالنا .

— بل لعله لولا وفاة صديقنا لما انتويت ذلك ابداً ، ولولا زواج ساوى لما كانت خطبتك ابداً وتحرك نحوي صاحب الوجه الثالث يصيح ثملاً :

— فما اعتزم الخطبة هذا العريس الا يوم ابلغوه زواجها ، وما يعتزم الزواج الا يوم ابلغوه وفاة صديقه .

وضحكوا وتشاجروا ، وضحكوا وغضبوا ، ثم ضحكوا وضحكوا . وكنت ادرك ان وفاة صديقهم قد أرعبتهم ، غير اني كنت ادرك ايضاً ان الالم هنا هو بدء الطريق . فهذي لوحة ايزيس الندية وما انتشر حولها من لوحات قلائل في جميعها افصاح وعبور ، وهذا احدهم يتهيأون للاحتفال بزواجه بعد اسبوع ! ولئن كانت خطبة « هذا العريس » نوعاً من الانتحار الذي يدفع اليه اليأس ، فانه ليبدو ان زواجه اليوم هو نوع من الخلاص الذي يفديه الالم .

ولقد غادرنا الغرفة نحن الخمسة جميعاً ، حين انتصف الليل الا قليلاً ، وبقايا المطر تساقط رذاذاً خفيفاً ، ولا هدف لنا سوى الاندفاع — ربما حتى يتبلج الفجر — في طرقات خالية باردة متسعة معتمة ، تتصل بعضها بعضاً فلا تفضي الى شيء . وكانت جميع الدكاكين قد اغلقت ولم يبق الا صاحب المقهى وهو يهم باغلاقه ، والسماء توشك ان تصفو مما تلبد بها من غيوم في اول الليل ، والقمر يبدو هادئاً صامتاً في منتصف الطريق بين الارض والسماء ، وطرقات المدينة تمتد كأنها الابد ، وتلتمع في ارضها المبتلة اضواء المصابيح المنتصبة في يقظة وسكون ، ويختلج فيها نسيم ندي تشيع فيه عذوبة حبلى بالحركة والحياة ، وهم يحسون في هذه الحرية الليلية الساكنة اللامتناهية انهم يَسمَعُون كل شيء ولا شيء يسمعهم ، فانطلقوا يترنحون ، ويصخبون ويضجون ، ثم يتناقشون ويتهامسون ، ثم يضحكون ويضحكون . . . غير اني كنت احس انهم يفعلون ذلك لآخر مرة في حياتهم ، فأنا اعلم ان المأساة ليست سوى جانب من جوانب الحدث ، بل انا اعلم اكثر من هذا : ان كل مأساة تحمل معها عنصر خلاصها ، وان النور يضيء في الظلمة .

ففي ذلك الوقت كانت قد اكتشفت طريقة لمعالجة شلل الاطفال ، وكان قد ابتُكر اسلوب جديد لحفظ الآلات والمعادن من الصدإ ، واخترعت آلة تحل مائة الف مسألة في دقيقة واحدة ، وتوصل العلماء الى اخرى تقيس ما يكون ثخانته اقل من الشعرة البشرية بثلاثمائة ضعف ، واكتشف قطب مغناطيس آخر في شمال الكرة الارضية ، واجريت تجارب لاعادة الحياة بعد الموت .

القاهرة — يوسف الشاروني

العرب

الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر باوروبا

همزة الوصل بين الشرق والغرب

إقرأوها واشتركوا بها

صاحبها ورئيس تحريرها : الاستاذ يونس البحري

وعنوانها : AL — ARAB

36 Rue Vivienne Paris 2

مدارس الادب ومذاهبه

بقلم الدكتور زكي المحاسني

شاع على السنة الادباء المعاصرين كلمة المدارس في الادب. وزاد في ذيوعها انها ادرجت في كتبهم، وانتظمت في سلك اللغة المعاصرة. فصار معنى المدرسة الادبية مرادفاً لمعنى الطريقة والمنهج. ولم يكن عند العرب الاوائل هذا الضرب من التفكير، الذي يتحيز في التعبير. وهذا المصطلح غربي عممه اهلوه على اهل الفن والفكر في التصوير والادب واضراب ذلك.

فاذا قالوا مدرسة الفلاندر نسبوها الى المصور روبنس الذي عاش في القرن السادس عشر للميلاد وكان هو واهل مدرسته يحلون الواحهم بالالوان المتذوقة الملتمعة. وحين شاع فن روبنس في ايتاليا طبع التصوير الفينيسي بطوابعه، فكان من تلاميذ مرسمه نفر من اعيان الفن بينهم فان ديك الرسام الاستقراطي الذي خلد اللوفر بعض الواحه. وتكاد تكون المدارس الايتالية في التصوير اعم مدارس التصوير في العالم. فأسماء ميكيل آنج وليونارد دوفنشي واندادهما مرددة في كل حين خالدة على الايام.

وقام في الادب الغربي التصنيف المدرسي كذلك. فمنذ ولادة الآداب الغربية ولد هذا اللفظ الذي هو كلمة: «Ecole» حتى اصبحنا نرى ائمة الادب الغربي يردون أدباء كل عصر الى انساب مدارسهم التي تلقوا عنها الادب. وهي مدارس تخيلية شبت عن الطوق فلا اساتيذ فيها ولا مجالس.

وخلاصة القول في معناها ان نفراً من اهل الادب ينضوون جميعاً في صف واحد، ويتطبعون بطابع متآلف متشابه كان في سابق الدهر او لاحقه قد اتخذ لنفسه هذا الطابع اديب من الادباء ممن كتبت لهم الشهرة. وكان لبعض المدارس في الادب طغيان على الفن وأهليه، فبات في تاريخ الفنون فن كلاسيكي وآخر رومانتيكي وثالث رمزي او واقعي او فوق الواقع. فروبنس ورامبرانت كلاسيكيان في التصوير، وآنغرودولاكروا رومانطيقيان. كما يقال في الادب مثل ذلك لكورنيه وراسين في القديم، ولهوغو ولامارتين في القرن الماضي. وربما جعلوا فان كوغ في الرسم الجديد وبيكاسو من المبدعين للمدارس الحديثة. كما صنعوا بفاليري وكاوديل في الشعر الحديث.

فاذا كان الادب الغربي قد ألف ذلك ودرج عليه النقاد واساتيذ الادب ومؤلفوه، فأني اجد هذا حديث عهد في أدبنا العربي لم تألفه الناشئة، ولا تمرس به الاساتيذ. وأرى سبب ذلك يعود الى اصالة الفن في ادبنا اصالة استقرار ليس فيه تموج. فالادب العربي يشبه عندي بحراً هادئاً ليس فيه مد ولا جزر، ان كان في الارض مثل هذا البحر الذي لا يخضع لجذب الاقمار. وقد احب بعض مدرسي الادب العربي من المحدثين ان يبتدعوا مدارس في ادب العرب ما عرفها العرب انفسهم ولا كانوا يشعرون انهم عاشوا في طريقتها. واغرب ما وجدت عند هؤلاء المدرسة الاوسية ويعنون بها طريقة اوس بن حجر. اذ كان زوجاً لام زهير بن ابي سلمى المزني وكان اوس هذا شاعر مضر، روى عنه زهير فاتخذ طريقته. ولو رحنا نبحث عن شعر اوس بن حجر لم نقع على كثير منه. وكان شاعراً غير مدافع في الجاهلية. وقد تجوز نقادنا الاقدمون فقالوا ان زهيراً أخذ طريقة اوس. ثم ان زهيراً كان ولداه كعب وبجير شاعرين. ثم كان لكعب ولد شاعر هو عقبة. كما ولد لعقبة القوام فكان شاعراً ايضاً. وكل هؤلاء — كما يزعم بعض المعاصرين — من تلاميذ هذه المدرسة الاوسية. وشعر هؤلاء غير مجموع الى اليوم ولا محدد، ولم يقارن بعضه ببعض حتى يحسن الوقوف على روايته

الاخيرة. والظاهر ان تشكيل هذه المدرسة الاوسية عند بعض الادباء المحدثين كان سببه كلمة قالها ابن قتيبة عند كلامه على زهير . فقد كان من قوله فيه : « كان زهير راوية اوس، وكان زهير استاذاً للحطيئة» واني لأجد الغرابة في كلمة استاذ عند ابي محمد بن قتيبة، فقد كان كثير الاناة في لغته يتجافى عن استعمال المولد .

وكيف كان الامر فان هذه المدرسة قد جعلها بعض المعاصرين حقيقة ضاحية ، ووسموها بالمدرسة الحسية . اي ان شعراءها يعنون بالتشابيه المحسوسة المنتزعة من الحواس وفي العذر مندوحة لهم ، فقد سبقهم مؤلفون كالآمدي الذي وازن بين الطائيين ابي تمام والبحتري . وخطط معالم المدرسة الشامية في الشعر العربي ، حتى قال المتقدمون والمتأخرون : ابو تمام استاذ كل من قال الشعر بعده . ثم كان امر المدارس في ادبنا ان حاول الدكتور طه حسين في محاضرتين له شهدته فيهما يهدج ببيانه العذب في قاعة المحاضرات بجامعة فؤاد ، فيكون منه حديث عجيب . كان الدكتور ينفي الشعر الجاهلي ، ويمحو ما يمحو من نصوصه وشعرائه . فاذا هو يثبت ما يثبت من ذلك الشعر الجاهلي القديم ويقول بالمدرستين المشهورتين في الادب الاوربي، فيسم شعرنا القديم حتى عهد المولدين بميسم الشعر العربي الكلاسيكي ويصف ما بعد ذلك بالشعر الرومانتيكي، ثم بالمحدث .

واليوم وانا اذكر هذه المدارس كلها اعجب كل العجب لاصحاب الرأي فيها في الشرق والغرب . واجد أئمة القول فيها من اهل الغرب يتناقرون في شأنها . وقد نهض في الادب الاخير جورج دوهاميل ومعه نفر من المتحررين ينكرون هذه المدارس كلها لانهم قد يجدونها قيوداً للفكر وللفن فكل أديب ينبغي ان يسبح في بركة نفسه ، وان يغرد على الاغصان التي يطيب له التغريد عليها . وقد يجدون من الاسر والارهاق للادب ان يدور الاديب حول غيره، غير منطلق كما يرضى الادب . فما اشبه عندهم هذه المدارس الادبية بأقفاص للعصافير الغردة . فليس عندهؤلاء معسكرات في الادب . ولا يرضون للفن ان يحبس . ولعل دوهاميل يناقر في هذا الامر جول رومان الذي يرى ما يناقض قوله فيجعل الادب حياة جامعة للادباء فهم فيه كأطفال في مدرسة واحدة .

اقف موقف الحيرة امام هذه المدارس فأسأل نفسي هل من الخير ان نبني في أدبنا الجديد مدارس . وما جدوى هذه المدارس على ادبنا القديم ؟ ثم ايكون في طاقتنا ان نبتدع المدارس الادبية لتاريخنا الادبي، ثم نطبع حاضرنا برواسم هذه المدارس ، ونتحرى اوجه الجدة فيها .

اعلي لا ارغب في قضية المدارس الادبية لما اوثر من الانطلاق الادب ، لكني لا انكر المذاهب الادبية . وعندي ان هنالك فرقاً بين المدرسة الادبية والمذهب الادبي . فالمذاهب أعم من المدارس . وقد كان العرب يعرفون المذاهب ولم يعرفوا المدارس . وكان المؤلفون القدامى يقولون هذا له مذهب في الشعر . وكان المعري يقول :

فان تسألوا عن مذهبي فهو هين .

فمن الفِكَر العامة في الشعر التشاؤم والزهد والتفاؤل . ومن الالوان العامة ايضاً الغزل والوصف والرثاء . وقد يصح ان نصف هذه الامور العامة بالمذاهب عند اصحابها . فنقول فلان يذهب في الغزل مذهب فلان . وفي ذلك كثير من الحفاظ على القيم الخاصة عند الشاعر .

اما ان نقول ان شوقياً من مدرسة ابي الطيب فان في ذلك كثيراً من الحيف على شوقي .

دمشق — زكي المحاسني



نجوى غادة كسول

لجبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

هذه ترجمتي لقصيدة كتبتها اصلاً بالانجليزية بعنوان

Soliloquy of a Lazy Lady

●

بغظة

●

وعندما تنطلق السيارات في اول رحلات النهار
وتخرج الطيور والناس من اوكارها ،
امسك باطراف لحافي واصعد عيني في الجدران لكي أرى
الزخارف التي يرقص النور فيها ويغني،
فأدرك ان الدنيا قد نفضت سلاسل النوم عنها ،
وأن البغايا قد استراحت ،
والشارع في الشمس المندلقة قد راح
يستجمع عزماً وحركة .
وانظر من النافذة ، ثم ألملم أعضائي
بعضها الى بعض واقول :
« اذن فقد طلع الصباح مرة اخرى ؟ » . .
وانسل عائدة الى اطواء فراشي المظلمة .
ولكنني بحذر افعل ذلك ، لئلا اعيق الاحلام التي
تملأ عيني هذا الذي ما زال نائماً بقربي .
لتهرق دمعها في ظلمة الفجر ،
فتفسح المجال لشموس وكواكب
لا يضاهي لألاءها
الا الضحك منك والنظرات . . »
ولكنني متعبة، ووجهي شاحب، وفي رأسي صداع،
ولكم اشتهي قدحاً من الشاي ،
ولكن علي انا ان اقوم وأهيئه !

علم

●

في مكان تملأه الصخور والمياه
كنت احدى نساء ثلاث :
فاجأت العاصفة عرينا الوردي واندفعت بنا
عابثة الى شفى هاويات سحيقة ،
وامسكت بنا فوقها بهبات ضاحكة
وهي تقول : ايتها الحور الساحرات، غنين للبحارة
ينزلوا براً عند اقدامكن الذهبية !
فصرخت قائلة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعال املأ ايامي كلاماً ودخاناً ،
اترعها ألماً وغيرة وضحكاً يهدهد القلب ،

نرود

●

حينئذ ساعة التردد تأتي :
أابقى بقربه ام اذهب ؟ أافيقه واغازله
ام اهيء له الفطور ككل يوم ؟
(وفي منتصف الليل سمعته يقول :
أنت سرنادة لليالي القصور
اسمعها في بيتي الحقير ،
انت قيثارة من حولها المزامير ،
والطبول التي في دمي
لا ينسجم قرعها مع رقيق دلالك ،
وان تكن أغاني« الجاز » على ثوبك
كالزئبق تلتمع . »
والشمس ترعجني ، ولشد ما اكره
احتساء الخمر كل ليلة مغمورة
في حديث مهرجين ومهرجات عظيات النهود
يلبسون اقنعة ليس وراءها من الحزن قطرة واحدة.
وهذا الرجل ، عاشقي الامين ، ينام
ساعات متقطعات، وشفتاه لا تنفكان تقولان :
«انت غادة الضحك، انت القدم التي ترقص ،
انت مخلوقة افعل الحالات في النفس :
ان انا الا غيمة تمر فوق خصبك العتيد
وكن لي رقصاً وغناء ، وزهرة
في شعري ، وثوباً حول نهدي .
ولكن الهاوية كانت تبطنها الجماجم حتى اغوارها .
وسمعته يقول :
لقد القيت بالسنين وراء ظهري ،
عرفت معنى الاحزان جميعها
وغادرت رفقتي وتلاميذي
في حديقة الموتى .
وسمعت اصواتاً اخرى تقول :
داهمت الزوابع البحر ايتها الحور الساحرات ،
والصخور تهوي مع السنة نيران الهوى ،

لكي تغنين عن النمور التي تنهش لحم قانصيها
في دنيا من العيون سرعان ما تخبو وتظلم
كأعماق بحر تنوشه العواصف
وقلوب نساء عبث الزمان بهن ،
واحداهن تنادي وتصيح :
واحبيباه ! ما الذي تفعل في الجحيم
مع العجاج والقتار وظلمة التراب ،
مع بروسيفوني العاتية ، بعيداً
عن الانهر البيضاء والاوز عائم على صفحاتها
والعيون التي لا يخبو بريقها ؟
ايها الجن اذهبوا بالدف والمزمار
وتقنعوا في رقص اللذائذ والشهوات ،
وارقصوا على مستنقعات المدن التي
ما شاهدت نبتة خضراء منذ الابد . .
ثم صرخت قائلة :
يا جزيرة السعداء المخلدين !
ما الفواكه فيك الا فواكه الاحلام .

نؤوم

●

سيدعونني نؤوم الضحى ، ولسوف أرى
اللمز في اعينهم ، كأني بهم يتهمون
« امتعت اذن بدف. الفراش ولعب الهوى ؟ »
ورجلي هنا يتغنى
ويدعوني نجم الصباح او الزهرة ،
وفي عينيه شعري لهيب شمس غاربة .
اما انا فأنطوي على حلم الجزر الزاخرة
بجماجم العشاق والبحارة ، وفوق رأسي
تحوم الطيور ثم تهوي في الامواج الهادرة .
ومن وراء زجاج النافذة المغلقة ،
وانا بعد في فراشي ، سوف ارى
الناس تغدو الى اعمالها ، ولعلني من بعيد اسمع
عصفوراً جاء خطأ الى المدينة —
اذ ظنها غابة وظن الناس فيها شجرا . .

بيت لحم — جبرا ابراهيم جبرا

اللوحة الكاملة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الفن طويل والحياة قصيرة جوته

بقلم محمد عبنالي



رابط

في صباح ذلك اليوم العاصف من أيام الشتاء الباردة صديقي « ف — ع » فحياني تحية المشتاق الملهوف، وتبادلنا القبلات ، وسألني عن سير عملي فحمدت الله وانا ابتلع مرارة الجوع، ولعله لمح شقائي في ثوبي ونظراتي التائهة وشرودي فقال:

— انك مصور ملهم مبدع يا « فؤاد » وحرام ان تظل مغموراً!!

فلم أجبه فتطلع الي ومد يديه الناعمتين يضعها على منكبي قائلاً، برفق : هيا ، هيا . قليلاً من الواقع يا صديقي اسمع . ستقيم « رابطة الفنانين» مباراة في آخر هذا الشهر، وعليك ان تشترك فيها وانك ستلفت اليك الانظار وتربح احدى الجوائز بأدائك الزاخر بالمعرفة والعمق والمدنية، ودراستك الالوان ، وموهبتك الخلاقة .

قلت : انت تعلم انني بعت لوحاتي كلها باثمان زهيدة ،لاعيش

قال: لا بأس. الصبر الصبر يا اخي، اعمل واشترك في هذه المباراة، وقدم لوحتك قبل الخامس والعشرين من هذا الشهر الى « دار العرض ».

— فترة قليلة . .

وزمن محدود .

— موهبتك كفيلة بكل ابداع . موضوع بسيط، ووحدة ، وعمل جاهد ، وروحية عرفت بها واحببناها فيك ، وأنا الكفيل بالربح والتقدير .

— شكراً يا اخي . شكراً . سأحاول . ولكن قل لي من يكون المحكمون في اللجنة ؟

— ايهمك امرهم كثيراً ؟ — اريد ان اعرف .

— خاطب نفسك ، وساير موهبتك وعلينا الباقي .

— اذن انت من اللجنة ؟

— انا رئيسها . وابتسم صديقي ابتسامة ارتسم فيها الفوز ممزوجاً بالتواضع .

وفرقت بيننا سيارة فورد طراز سنة ١٨٩٠ ، فسار (ف . ع) مودعاً رافعاً يده بتحية حب وعطف فيها امر بالعمل ودعوة الى الارادة .

وسرت ، ماراً بالمعرض ، فباب ادريس ، فوادي« بو جميل » الى غرفة استأجرتها في حي القنطاري، سرت حالماً مفكراً في امر هذه المباراة التي دعيت للاشتراك فيها . كان كل شيء في يثور، حتى حوافر الجلاد والسيطرة ، فأنا وحدي . ويجب ان اخلق لنفسي ا وان اثبت احلامي على القماش ، وفي الرخام، كما يحلو لي، ودون ان يقف بيني وبين لوحتي اي وجه او اية ارادة . . ان فني نوع من الصلاة المباشرة . . وكل فكرة غريبة عني وعنه تفسد صلاتي وتعطل عبادتي .

ثم ذكرت امي المريضة المسلولة ، وعشيقتي الملحة الظامئة الى الحياة ، وألواني ، وقماشي وصاحب الغرفة وصوته المبحوح الساخر، وخاصة حين يدعوني« الطراش . .» فعلي ان اعالج امي، واطعمها، وارضي عشيقتي واشتري من الالوان ما يكفل لي الاستمرار في فني ، ثم تلك العصا الغليظة . . وهذا الكرش المنتفخ . . رباه ! ! كل المشاكل المادية المحيطة برجل، برزت الآن لعيني، وفرضت علي التفكير الجدي في خطوة جريئة ، في لوحة ناجحة مثلاً ، يكون عوناً لي وملاذا .

كانت القوة في تنازع البؤس . ولكني مررت الى غرفتي بعد ان قبلت امي ودفعت اليها بعض ما اصبته من الطعام والدواء.

وصلت الى غرفتي، وجلست على المقعد الخشبي الوحيد، ورحت اتأمل القماشة العذراء والنقية المثبتة على لوحة العمل كأرض بكر ، تنتظر الجهود والآمال ، وتحتها في صندوقة من الورق المقوى ، ريشتي والواني .

هذه وسائل ستظهر للناس حكمتهم عاجزة عن رؤية بائس في وسعه ان يحمل اليهم شيئاً من السعادة والمثالية !!

المثالية ؟ ما هذه اللفظة في قاموس الناس ؟ وقت مضاع ، وحياة عابثة .

واستغرقت في التفكير .

موضوعي، ماذا يكون؟ منذ بعيد اجيل في نفسي فكرة تحتضن كل عاطفتي وخيالي وحياتي ووجداني : تلك الفتاة الشقراء الطاهرة الجميلة . . ناديا . انها مرت في حياتي مروراً عابراً حنوناً ،

ثم ضاعت في مجاهل الخضم البشري . الحب النبيل حيرني وافناني. بضعة ليال من النجوى بين رجل مكتمل في الثلاثين من عمره ، صهرته المعرفة والبؤس والتجربة في « نيرفانا » حية . . وطالبة عذراء في السادسة عشرة تتفتح شيئاً فشيئاً في دنيا الوجدان وتدرس فن الرسم على يدي معلم ، هو انا ، كان أحرى به ان يعلمها الحياة .

ستكون ناديا موضوع لوحة المباراة . ولئن لم تنتزع عاطفتي الجائزة ، فسينتزعها دأبي وتوفري على اكمال صورتها في مخيلتي ، ونقلها الى العالم المحسوس ، واطلاقها في اثيرها ولانهايتها العاطفية الملونة ، صورة لا تهبط عن قدسيتها ولا تنزل الى دنيا الناس ان لوحتي ستكون نفسي : خيالي ، ذكرياتي ، انامل « ناديا » في يدي ، قبلة على المعصم يعقبها استغراب العينين العسليتين المتساءلتين ، وقبول الثغر الظامىء الملتهب .

ستكون لوحتي غرامي . شرودي وثأري من عادية الحياة وعراك المادة، ستكون شوقي الى نفسي من خلال امرأة ذاتي كاملة كما تجلت لي يوم قالت ناديا « احبك يا حبيبي »

ونهضت من مجلسي ذاك . وتناولت قلماً رصاصياً دقيقاً كالشعرة . واقتربت للقاء ناديا فوق الصفحة البيضاء ، وطفت باللوحة ، بالوجه الغائم المنعكس على القماش البريء . اثبت هنا خطاً متثنياً راعشاً ، وهناك شعرتين متموجتين على الجبهة ، وهنالك تكويرة نهد يتنفس فيه الربيع الوليد .

ثم ابتعدت عن لوحتي و« ناديا » في ناظري ولاح طيف « اليانور » عشيقتي ، باسماً ساخراً شهوانياً ، فاستبعدته وعدت الى حضن الرحمة والمحبة الى وجه ناديا .

ورسمت ، واحداً فواحداً ، تلك الخطوط المعبرة عن ثغرها . هذا الثغر الطاهر اذ يستطيع ان يقول « احبك » عانياً بها «خذني» ولكن كيف آخذه ، وقد دخلت الى بيت ناديا معلماً .

وسودت بخيالات متآخذة، وارة، الكتفين المستديرتين المرمريتين والعنق الهادىء الطويل ، والصليب الصغير الذهبي الملتهب بايمانها وقبلاتها وآمالها — ودموعها أحياناً .

ونظرت الى لوحتي وكأنها اكتملت ، فأعجبني عملي ودنوت اقبل الانامل التي لم ارسمها .

ورسمتها . رسمت الانامل الارجوانية الطرية التي طالما كانت تندس في شعري في غفلة عن الاهل والاخوات . اننا تفانينا ، وتبادلنا المعرفة ، وسكرنا بخمرة المحبة ، وسأبين هنا ، بالالوان ، غرامي كاملاً فريداً .

واحطت بالصدر ورحت امنحه ما يضج في صدري من رغبات وفي اصابعي من شهوات ، ثم اعدته الى طهره البكر ، مشرئباً ، ولمحت ، على الثوب الازرق الفاتح ، بتلك الظلال التي تبرز حجمه ، وتعين نضوجه .

وغابت الشمس ، ونفذت اشعتها القانية المتراقصة بين زعزعين ، الى غرفتي ولوحتي ، ثم رانت الظلمة ، فضغطت زر النور ، وسقيت امي الدواء ، واسرعت الى لوحتي اتابع حلمي وأحيا هنيهتي .

عشرون يوماً فحسب ! ثم اسلم ناديا لتلك النظرات القاسية والقلوب الغريبة لتحكم لها او عليها . . فعلي ان اكون هنا ، على القماش ، الى جانبها ، يجب ان اكون مدافعاً عنها ، وسأكمن في عينيها وانفها ورخام فخذيها ، واصابع رجليها وسأتغلغل في تموجات شعرها ورقة اذنيها وعنفوان صدرها ونعومة عنقها .

ونبالة روحها ، ونفسها ، وحياتها . . كل هذا سأسكبه في ملامحها : سأكون انا حياتها ان لم تهبها الذكرى والالوان حياة وكياناً .

الف مرة ، الفين ، الى الصباح مررت بقلمي على تلك الذقن المليئة ، الذقن التي لمستها بابهامي يوماً . . ورفعت الوجه المعبود لاستغرق في عينيها . . ها هي الآن حية ، هذه الذقن ، تكاد تكون كاملة ، لا ينقصها الا اللون الحقيقي ينطي ويحدد هذه المساعي نحو الصيرورة الفنية . .

ناديا الآن واقفة كما كانت تقف في تلك الامسيات مودعة مستقبلة ، ولكن الكتاب الآن ليس في يدها ، والقلم ليس بين اصابعها ، بل هي تنظر الي من اجفان لم تكتحل ومن ثغر لم يلتهب :

وصاح الديك ، في الفجر ، وكأن هذه اللوحة مفكرة اكتب فيها احلامي وأثبت ذكرياتي . . فلا انا ارتوي ولا هي تكتفي ، ونجوانا مستمرة حتى النهاية .

واغفيت غائباً عن كل شيء حولي ، فلم افق الا في الصباح ، على برود اعضائي ، اذ نمت تحت لوحتي ، وعلى قدمي معبودتي .

عشرون يوماً مرت ، وانا منصرف الى لوحتي ، الى ناديا . وقد منحت شفتيها لوناً عشقته فيها وفي الغروب ، وابرزت شعرها بذهب السنابل والاصائل ، ومزجت على جبهتها الزنبق والثلوج ، وافنيت في شفتيها لهفتي وحيرتي ، ومناي .

واقتربت « ناديا » مما اريد . . من الكمال ، وتمكنت مني عبادتها ، صورة ، ونظرت اليها يوماً ، بعد نزهة في الشاطىء ،

فلاحت لي هموم كانت ناديا خالية منها . أجل . كانت ناديا تحبني ولكنها سعدت في حبها ، والشقاء هذا الغامض المنسكب على عينيها من جبهتها ، والمختبيء في زاويتي فمها ، هو شقائي انا ، وانا احب ، عند ايجادها ، الوقوف معها سعيداً مثلها ، منطلقاً في عالمها الجديد كفراشة طاهرة الرفيف ، والا فكيف احبها ؟

وعدت امزج الواناً جديدة فيها انسجام وسعادة ومحبة . الواناً كلفتني خيالا وتأويلا . ومحوت الشقاء وبدلتها به عبيراً وانفلاتاً ، فهي الآن كما لو انها تضحك في خاطري . وافترت الشفتان عن ابتسامة . ولاحت الاسنان البيض . وسعدت ناديا .

وفي اليوم التالي رأيت انها قاسية في سعادتها . فألنت شيئاً من قساوة عنقها ، ومحوت عصبية في اصابع يدها ، وكاد التجاوب في الالوان ينطق بها .

وبعد يومين افتقدت شيئاً مهماً فيها ، مهماً جداً : الحياة . هذه ناديا الصورة ، ولكن ناديا الحية ، المتصلة بي وبربها ، المتحركة في سكونها ، الساكنة في حركتها ، اين هي ؟ هذه الصورة جميلة ولكن شيئاً ما ينقصها .. راجعت الواني وقيمي الممزوجة على هذه اللوحة ، اذ عادت الآن الواناً وقماشاً وساعات .. وانفرط الزمان المتركز في تآلفها ضعفاً وعيوباً ، ورحت مستغرقاً في افكاري باحثاً عن علتها المميتة ، فلم اجد الا انسجام الخطوط البارزة الساخرة .

وفي ذلك اليوم دخل صاحبي « ف . ع » وصفر حين رأى اللوحة ، صفرة هائلة طويلة مبحوحة ولم ينظر الي بل تقدم الى اللوحة ، يميزها ، ويهز رأسه معجباً وقد تغيرت ملامحه ، وبدا متمايلا مخموراً ، وهز يدي شاكراً مهنئاً وطلب الي ارسالها في اللحظة نفسها الى دار العرض .

— لن ارسلها الآن . — ولماذا ؟

— لانها ناقصة . — وماذا ينقصها ؟؟

— الزمن والمعرفة ، الا ترى انها باردة .. جامدة .

— بالعكس .. انها حية كل الحياة .

— انت وشأنك .

— اسمع يا صاحبي ، انك لست دفنشي ولا بيكاسو ، وبعد غد موعد النظر في اللوحات المعروضة ، وهذه اجمل لوحة بين اللوحات المتقدمة . تمثل جهداً طويلا وعمقاً في النظر وارادة جبارة .. ثم اذا كان ضميرك ليس راضياً عنها ، فأرسلها لتربح الجائزة ، ثم اكلها بعد ذلك كما يحلو لك .

— لا . لن اشترك في مباراتكم ، وانا لا استطيع ان اترك لوحتي ، بعد الآن .

— انا اعهدك عنيداً . فلن الح عليك بل اذكرك بجمالتك وامك والبنانور .

— لن اعمل بما تريد .. سأكمل لوحتي ، وسأعطيها الجائزة انا .

— انت مجنون . — بالكمال .. نعم .

وذهب صديقي غاضباً .

ونظرت الى ناديا ففوجئت برؤيتها حية ، عاتية ، تنظر الي شبه حزينة ، وركزت نظري راعشاً ، نادماً ، فأبصرت دمعة بيضاء صغيرة ، قطرة ندى ، تتواضح شيئاً فشيئاً في احدى عينيها ، وتنسكب .. بوّاحة بالحياة والكمال ، على خدها المورّد المحموم ..

محمد عبناني

LES CAHIERS DU SUD

•

10, cours du Vieux Port — Marseille

Directeur-Fondateur : Jean BALLARD

Rédacteur en Chef : Léon-Gabriel GROS

•

Les Cahiers Du Sud, l'une des doyennes parmi les revues françaises, demeurent aussi l'une des plus jeunes.

Ils sont sans complaisance au goût du jour, mais attentifs aux traits durables de l'époque.

Ils maintiennent les positions essentielles de l'esprit

Ils publient dans chacun de leurs numéros :

des textes, des études groupés autour d'un auteur, d'un thème, d'une question ;
des anthologies poétiques étrangères ;
des textes curieux, rares ou inédits français et étrangers.

Ils ont publié un numéro spécial sensationnel sur **l'Islam et l'Occident.**

Ils répondent ainsi aux aspirations des lecteurs cultivés qui, soucieux d'approfondir ce que l'on se contente souvent d'effleurer, croient de plus qu'on s'affirme de son temps en ne s'exilant d'aucune époque.

Abonnements 1950 :

France, six numéros dans l'année, frs : 850.
Etranger, « « « « « 1.100

جنون البستاني

من الشعر الرمزي

مهداة الى الشباب المستيقظ

للدكتور احمد زكي ابو شادي

نيويورك



ماذا اصابك ايها البستاني وذويك ؟ ما هذا الجموحُ الجاني ؟
الأنّ اهلك اورثوك نسيت ما وهبوا، وما ابتدعوا من الاحسان؟
لا خير في الانسان من ميراثه الا الدم المحييه للانسان
ضيعت غرساً صوحت[1] افنانه وشغلت بين مهازل وغواني
الليل يُنفق في القمار وفي الزنى رجسان مأثوران للشيطان
ومن الفراش شكا النهار ، تُذيله[2] وكأنه نجس من العبدان
تتضاءل الحسنات منك وتمّحي في حين جسمك بعدها جسمان[3]
ماذا دهى الامل العريض ، فطالما اوحى لنا والآن لطمةُ عان ؟
كنا نرى ذاك الشباب ملاذنا مذ خانتا الجيناء ، لا الحدثان
كنا نُشيد به ، ونزجي حبنا سمحاً اليه ، فشال[4] في الميزان
كنا نرى الوجه الصبيح كأنه رمز لكل تطلع روحاني
ونُصيخ للعذب الحديث كأنه تفسير احكام من القرآن
كنا حواليه نطوف بفرحة مترغمين بأعذب الايمان
ماذا دهى هذي الغوالي كلها وشخوصها ما زلن في وجداني ؟

***

ماذا اصابك ايها البستاني وذويك ؟ ما هذا الجموح الجاني ؟
كنا نزف اليك احلام العلى والآن ليس سوى الرثاء يُداني
ما بالكم صرتم زبانية ، وقد كنتم ملائكة ، ورسل حنان ؟
أهو الخضوع الى الدخيل ، وكم له جولات خدّاع لكسبرهان؟
الأجنبي مسيطر في بيتكم ومبيح عرضكمو لكل لسان
مزق[5] ، بحيث يعد اي مدافع عنه قرين سفاهة وهوان
حين الورود تناثرت ، وتعثرت في شوكها القدمان والعينان !
هذا انتحار لو دريت ، فهل ترى تدري ؟ ام استسلمت للبهتان ؟
هيهات يفلح فاسق مستهتر او يستقل بعزة ومكان
ما زات اخلصك النصيحة فاتعظ وتحاش من خروا الى الاذقان
فاذا أبيت فأنت آخر هادم ويظل ذكرك عبرة الازمان
واذا انتصحت ملكت عمراً ثانياً وغدوت في الاحياء اعقل بان
هيهات ينفعك التملق والرقى وجميع ما يوحي جنون أناني

***

مهلاً ومهلاً أيها البستاني ! إرجع لغرسك ايها البستاني !

---

(١) صوّحت : يبست .
(٢) تذيله : تحقره .
(٣) تضخم جسم البستاني حينما تضخمت رذائله وتضاءلت فضائله .
(٤) شال : خف .
(٥) عرضٌ مَزق : اي مطعون فيه .

صالون الحقائق الجديدة لسنة ١٩٥٠

في بناية متحف الفن الحديث بباريس

5ème Salon des Réalités Nouvelles 1950 par Jamil Hamoudi

بقلم جميل حمودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أظن ان المجال يتسع هنا للحديث الشامل الدقيق عن مذهب « التجريدية »في الفن . فان التجريدية كانت قد ولدت مع الانسان حيث بدأ بتحقيقها حفراً على جدران كهوفه ، وتلونت معه على مر العصور فظهرت بأشكال مختلفة كان اروعها ما تحقق منها في الفن العربي والاسلامي، وخاصة في فن الخط والزخرفة التي كانت تعتبر قسما لا ينفصل اهمية عن فن العمارة نفسه حتى ظهرت في اوائل هذا القرن نفضات متحررة من ريشات مصورين وأزاميل نحاتين عافت نفوسهم جو الطبيعة الفوتوغرافي ومحدودية العالم الذي يعيش فيه القسم الاكبر من فنانين ركب ايديهم روح التقليد والجمود

ومنذ ان بدأ الروح التجريدي يظهر بوضوح في فنون التصوير والنحت والحفر، اي منذ اختلفت التكعيبية Cubisme التي هي في الحقيقة – اكثر من غيرها – الينبوع الحديث الذي منه استطاع فنانو اليوم التجريديون ان يستقوا للانطلاقة العلمية الشاعرة التي نجدها الآن في مرمى حقائق جديدة خرجت من الارض وسطوحها الوعرة او المنبسطة المفروشة بالخطوط والالوان تتكتل فيها الموسيقى والشعر، وانطلقت متساندة بالعلم الجديد السريع الى العوالم المتحركة التي تتراقص في الفضاء – l'espace – تلتهب فيها روح ديناميكية وافكار تتوالد وتتعانق وتتكاثر فتتلاحم في الفراغ الكبير عواطف تموت على تفكير رياضي سرقت منه حواش تافهة ظلت تتأكل في اعماقها جراثيم الاحلام والتقاليد الرابضة في نفوس ما عرفت الانطلاق ولا تذوقت التحرر الكامل ، اقول منذ ان ابتدأت التجريدية بالظهور بينة واضحة في معارض الفن ، ابتدأت تحريات الفنان وابحاثه في المادة وفي الاستفادة من صفاتها وما تحويه في اعماقها من قوى كامنة تعيش فيها آلاف من وحدات الحرارة والكهربائية والحياة .

ولقد كان الفنانون التجريديون متفرقين هنا وهناك في المواطن وفي المعارض وفي العمل فلم يكن لهم ما يوحد جهودهم الخالقة للالتقاء بالناس في ملحمة مستمرة تكسب الذوق المرهف والحس الشاعر والفكر المتوثب الى مستقبل اعم نفعاً وأقل جموداً ، حتى كانت الحرب الاخيرة سنة ١٩٣٩ فشلت العزائم وقتلت الرهافة وملأت بالرعب والتفاهة السوداء قلوب الناس الذين انسجنت مظاهرهم بمنطقها الضيق . . الا ان التجريدية كانت دائماً اقوى من ان تسجن انطلاقتها فهي تتحرك ابداً وتنطلق ابداً .

والذي افتتح يوم ٩ حزيران ١٩٥٠ في الصالات نفسها .

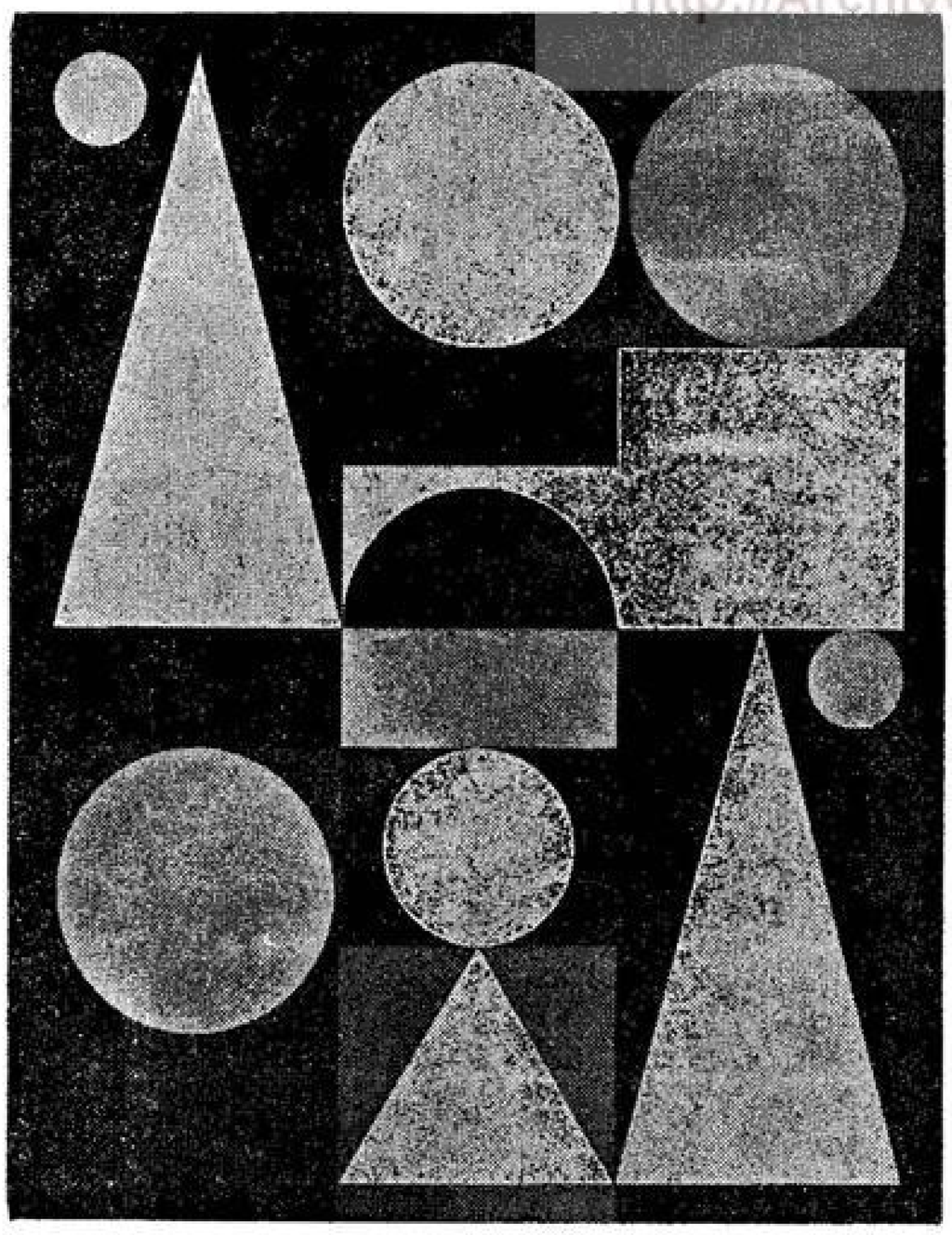
وليس في مجالنا ما يسمح بالكلام عن صفات كل من الصالونات الماضية بصورة خاصة. الا ان المهم ذكره هو ان الصالونات الاولى كانت تحوي طائفة من السرياليين الذين على الرغم من جذب التجريدية لهم فقد بقيت نفوسهم سجينة تلك الاحلام الغريبة التي كانت السريالية تستمد قواها منها .. ولكن عدد هؤلاء تناقص وتناقص حتى كان صالون هذه السنة حيث اعتقد ان لا اثر فيه للسريالية الا ما شاءه المفسرون حسب الاهواء .

وصالون الحقائق الجديدة انما يساهم فيه من بلغ بحق القيمة التجريدية دون تمييز بين الاوطان والجنسيات ولا تفريق بين الاعمار فالمنظمون يدركون انهم اختاروا احسن ما يمكن عرضه. ولهذا الصالون جماعة من اعضاء الشرف قوامها بعض زعماء الحياة الفنية في باريس وغيرها ممن يرى في التجريدية المثل الاعلى للحياة الجديدة. ومن هؤلاء البروفيسور بايير مدرس الفلسفة في السوربون . جان كاسو الامين الرئيسي لمتحف الفن الحديث بباريس . الدكتور بوكاريللي مدير الصالة الوطنية للفن الحديث في روما . بيزارديل مدير المتاحف والمكتبات لمدينة باريس . جانلوي بارو الكوميدي

●



موضوع تجريدي على كلمة Jaune لهربان Herbin

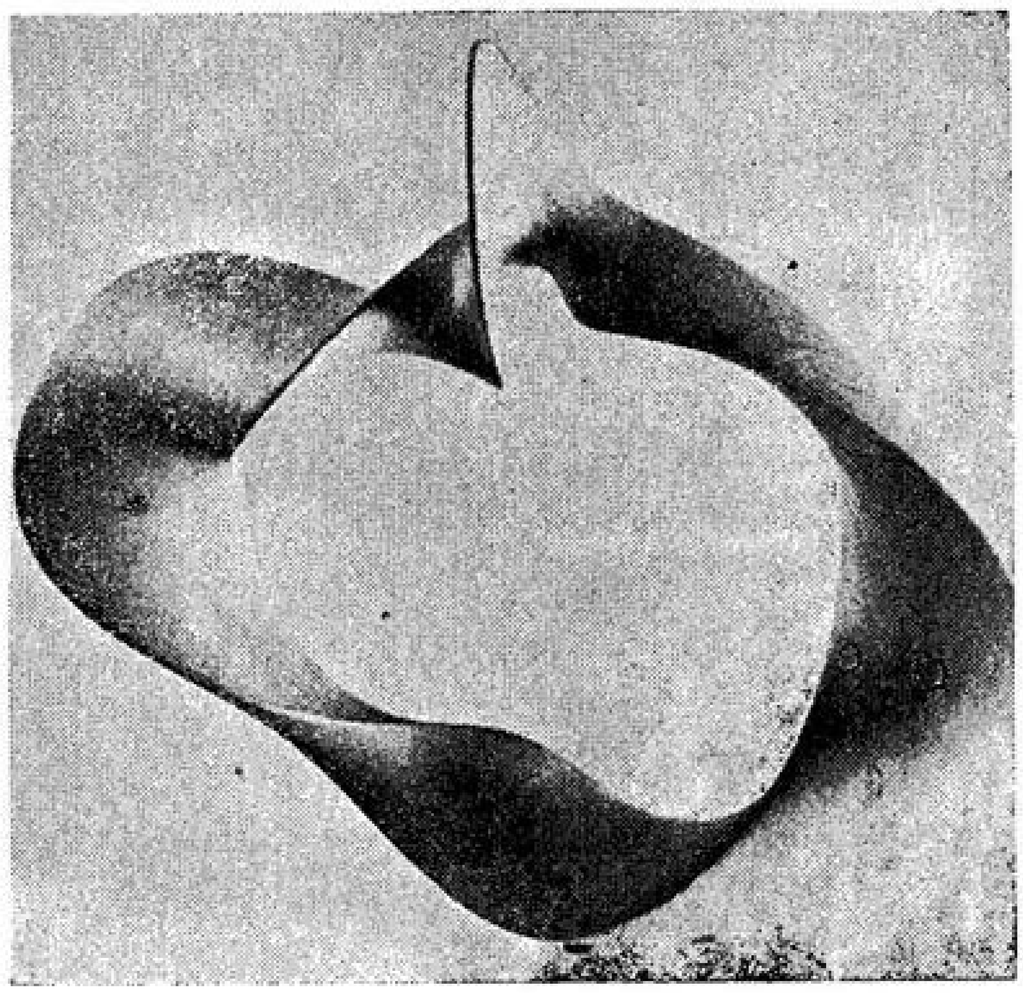


موضوع للانسيلو في Lancelot - Ney

●

وقد بدا للاذكياء من زعماء الحركة التجريدية الذين جمعتهم العودة الى باريس بعيد الحرب ان تلم شعثهم معارض تقدمهم للجمهور واحدة لا يعروها التفكك والانحلال فكان نتيجة ذلك انهم اسسوا سنة ١٩٤٦ برئاسة السيد (سيديس) صالوناً سنوياً رسمياً على غرار صالون الخريف المعروف وأسموه (بصالون الحقائق الجديدة) اعتقاداً منهم بان ما يجب ان تصوغه ايديهم ليست الا حقائق مبتكرة تبرز للوجود بشكل صاف لا تشوبه قذارات الرومانتيكية السوداء ولا تساوره التقاليد الفنية القديمة التي باتت تثير الحزن والالم في النفس المعاصرة بدل البهجة والامل اللذين تتطلبهما النفس الانسانية من العمل الفني .

وقد اقيم الصالون الاول سنة ٩٤٦ في صالات متحف الفن الحديث (قصر الفنون الجميلة لمدينة باريس) وهو من اجمل بنايات باريس الحديثة ، وتبعته الصالونات الاخرى للسنين التالية بنجاح منقطع النظير حتى كان صالون هذا العام (١٩٥٠) الذي نحن بصدده



للنحات بيوتي Béothy

●

الفرنسي الشهير . الامير غايكا مدرس الاستيتيك في جامعة فريدريك بورغ في أمبركا . وكثير غير هؤلاء من زعماء الفكر المعاصر .

اما لجنة الأعمال فقوامها فنانون دفع بهم روحهم الجدي وعملهم المخلص الى شهرة يحسدهم عليها الكثيرون . ومنهم سيديس . هربان . ديل مارل . تاماري . لامبيرهوت . فالانسي الى آخره . يساعدهم بعض العارضين الآخرين .

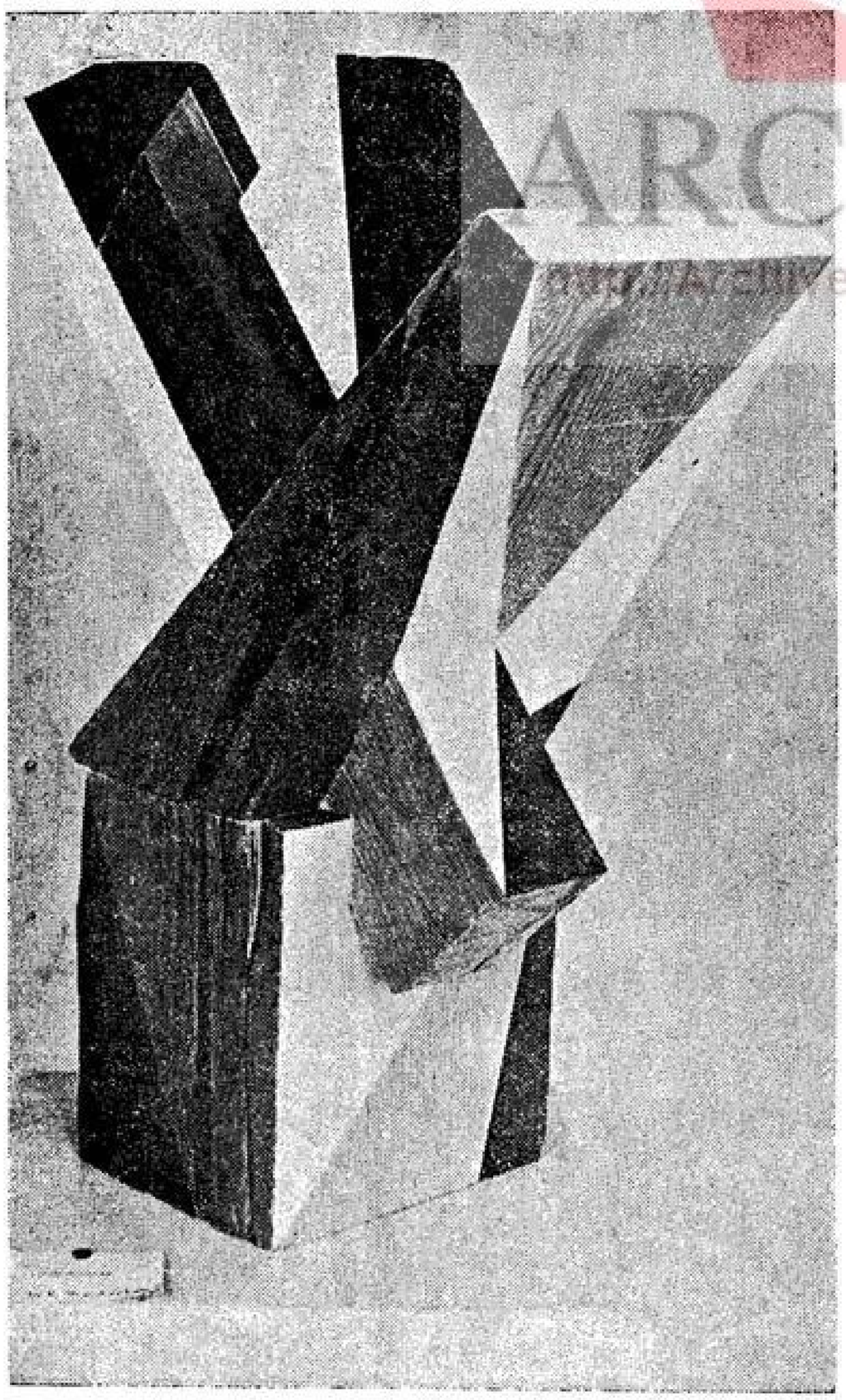
وقد انتخبت لاختيار المعروضات هذه السنة جماعة من بين الاعضاء الذين يمثلون رؤوس الحركات التجريدية المختلفة مثل هوبان وديل مارل ومدام فارب وشنيدير وبيوتي ودوميلا .. الخ . وقد كانت لجنة الاختيار هذه المرة اصعب مما كان يتصور الفنان المتساهل فقد رفضت عشرات اللوحات المقدمة بقساوة ودون اعتبار .

ولأبدأ باعجابي الشديد بجماعة (الفضاء) L'espace التي تكون الجبهة الاكثر تقدماً في مجال الابتكارات والاكثر تقرباً من الصناعات والعلوم الميكانيكية . فقد تخذت لها اكبر القاعات وأروعها لعرض الاشكال الغريبة التي صيغت من مواد مختلفة كالخيوط الحديدية والخشب والجبس والزجاج والنايلون والالمنيوم والنحاس والبرونز والآلات الكهربائية والسمنت والحجر وما الى ذلك من المواد المستعملة في الصناعة الحديثة ، اكسبها الفنانون بأيديهم الخالقة ذوقاً ممتازاً وروحاً لا اقول شعرياً ، ولكني مضطر لان اسميه (تجريدياً) . وقد شملت هذه القاعة الموضوعات Objets التي تنبض في الفراغ كالروعة الخالصة ، حرية واتساع افق عظيمين .

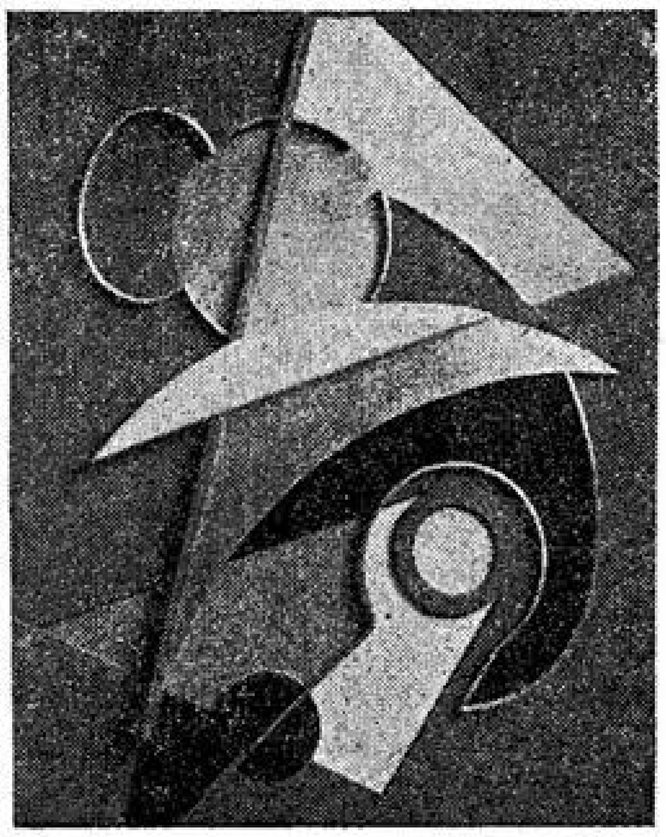
وقد ابتدع العارضون في هذه القاعة طرائق ومذاهب واساليب شتى لاظهار افكارهم بصورها التشكيلية الاخيرة وكان بينهم من يجذب فعلاً بغرابة ما يعرض انظار الجمهور واهتمامه مثل الفنان ديل مارل الذي هو في رأي الكثيرين من النقاد اول المنطلقين وزعيم الراكضين مع العلم والاختراعات الصناعية وقد عرض لوحة حائطية كبيرة تبلغ عدة امتار ملؤها المنطق الهندسي والذوق المنظم ، والى جانبها عرض موضوعاً فضائياً spatiale عالج فيه ديل مارل كعادته مشكلة البناء والتأليف الشكلي محتجاً بالعلم مستنداً الى الحقائق الصناعية منطلقاً الى ابعد من الحدود الفنية الضيقة التي قررها أولو عقول يخنقها الجديد فتسحب على انفسها — هرباً —

●

موضوع بالخشب الملون لفولمر Folmer



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



موضوع لدوميلا Domela

●

وشاحات الخيال والادب .

ومن الفضائيين مدام وارب وهي من الفنانين الذين بلغوا الشأو الذي لا تبلغه النساء بسهولة الا اني احس على الرغم من قوة خطوطها واصالة انتاجها ، انوثة ضاحكة مرحة تشبه روح الفنانة المنطلقة دائماً ابداً الى عالم من الآمال المتجددة . ولعل القارىء يجد معي فيما يرى صورته هنا : (projet dans l'espace pour Square) ان فيه الميزة التي معها لا يمنعه وجوده على الارض من الوثوب والحركة وان الفنانة قد استطاعت ان تخلق في خيوط البرونز والقاعدة الخشبية تناسقاً ورشاقة فيهما الجمال وفيهما المتانة والفن الخالص . اما الصورة الزيتية الكبيرة التي عرضتها وارب في قاعات التصوير فلم اجد فيها تلك الروعة التي عودتني عليها لوحاتها من قبل

وحين نأتي الى شوفير والكلام عن فنه نرى اننا نبسم لاول وهلة ثم تتضاءل بسمتنا شيئاً فشيئاً حتى تصبح نظرة فاحصة مدققة مأخوذة بتلك التجارب الفضائية التي تتفجر فيها القوى والافكار الذرية والهيدروجينية (المجردة) التي يصرخ في اعماقها دوي مستقبل جبار . وقد عرض هنا لوحتين فضائيتين هما عبارة عن اطارات من خشب رصاصي اللون الصقت على حواشيها اسطوانات من الالمنيوم تتحرك متصلة بخيوط واسلاك ومساطر من مختلف المواد . وقد صممت بشكل حسابي صعب . والى جانب هاتين اللوحتين ثلاثة تصاميم فضائية يرى القارىء احدها منشوراً هنا كنصب تذكاري في ساحة عامة . والكثيرون من زوار المعرض تساءلوا متى يمكننا يا ترى التعرف على المجتمع الذي تتقبل اكثريته وضع نصب مثل هذا في ساحة عامة؟ الا اني اعتقد بان هذا المجتمع سيكون بلا شك في وقت لا يبعد كثيراً ، ومما لوحظ في المعرض ان شوفير كثير الاطمئنان واثق من نفسه مما يذكرنا بالسريالية المسكينة وما لاقت من مصاعب حتى قبيل وفاتها رحمها الله .

ويرى المار الى ناحية الاضاءة النهارية قاعدتين تعلوان حتى صدر الرجل تحملان موضوعين فضائيين للفنانة سيمون سيرفان وهي حديثة العهد بالتجريدية ولكن رغم هذا فان العين تسقط مأخوذة بموضوعيها المنساقين في الفضاء باندفاع وصبر لا يذكران بما في المرأة من تردد واستحياء . والموضوع الفضائي رقم (١) الذي ترى صورته هنا يحوي بالخطوط الحديدية الملونة مثلثات تذهب في كل اتجاه تتوسطها زجاجة مستديرة مسطحة انفرشت على ناحية منها نقطة عريضة من اللون انطلاقات تشرد من صميم الانسان .

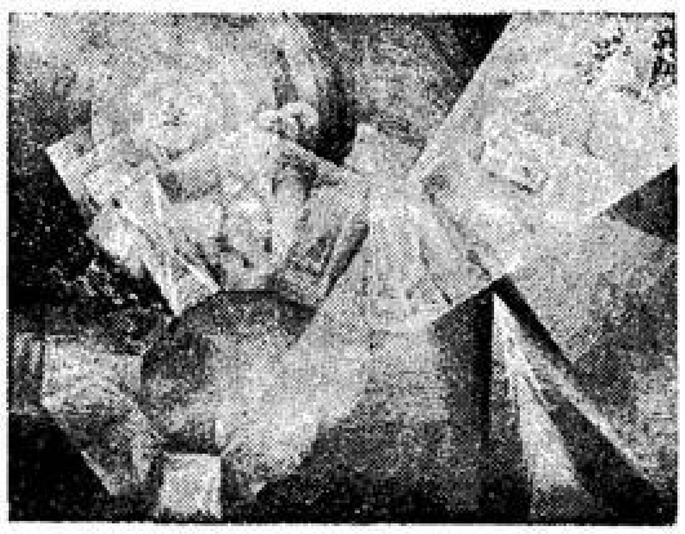
وفي ناحية من قعر القاعة الشمالي تربعت اخشاب ملونة في حضن بعضها حملت اسم الفنان (فولمير) ونحن نعرف ان فولمير مصور يلعب بالزيت اما هنا فقد اظهر في مجال المواضيع الفضائية او بالاحرى في النحت التجريدي مقدرة تدلنا على تمكنه واهمية انطلاقة يديه . وهو يعتقد انه سيذهب في هذا المجال الخشبي بعيداً في الفضاء . فهل تراه سيعارك جاذبية الارض .

واتخذ بيوتي النحات الشهير مكاناً مختاراً في وسط القاعة كثيراً ما حسد عليه . وقد عرض ثلاث قطع اكثر موادها من الخشب والخشب عند بيوتي (خبز النحات الاصيل) وقد رأيته يوماً في منحته يعمل في احدى هذه القطع ، ففهمت لماذا لا تفارقه الابتسامة ولا روح الشباب فهو عاشق عمله الفني لا يحسب الصبر عليه صبراً بل انطلاقة حب خالصة . وبيوتي في هذا الصالون لم يكن رجل نظريات كأصحابنا ديل مارل وشوفر ، بل رجل نحت ولا اريد ان انسى اعتقادي بان نحته يحمل في ثناياه حقائق حياة غنية بهجة .

اما الزميل فليشمان فلا اظنه عظيم الحظ في هذه القاعة فهو يعرض فيها تصميما (للترجيج المقطع Vitrail) وموضوعاً فضائياً ، وفي قاعات التصوير له صورة هي احسن ما عرض في رأيي . والغريب ان في فن فليشمان روح شرقي يتضاءل شيئاً فشيئاً ، اي كلما كثر حذره من الوقوع في فخ التأثر ببعض الشرقيين الذين ظهروا في السنين الاخيرة في باريس . فهل يا ترى افاد فنه بحذره ام زاده يبوسة وبروداً ؟ على اني لا انسى ان فليشمان فنان له اهميته في الوسط التجريدي في باريس وأنه من احسن من حقق في فنه رشاقة الخطوط

●

هنري فالانسي Henry Valensi





موضوع تجريدي على كلمة زيد بالالوان المائية
لجميل حمودي من مجموعة الامير زيد الحسين

●

وصفاء الالوان.

وغير ما ذكرت من الزملاء كثيرون من الذين عرضوا في هذه القاعة التي كانت حقاً ذات حظ موفور يوم الافتتاح . الا ان ما يضايق فيها هو النحت الهائل الحجم الذي ابتلع منها قسما لا يستهان به للنحات باوك الذي عودنا على الضخامة وكبر الحجم في تماثيله كأنه يقلد على نحو ما الضخامة التي عالجها الفن المصري القديم ولكن شتان ما بين الاثنين.

اما قاعات التصوير فهي عديدة متوزعة في القصر تدور بالمتفرج متصاعدة متنازلة يبدأ الداخل اليها بحجيرات مصطنعة احتكرها بعض الاساتذة الكبار مثل هربان وهارتونك وشنيدير وشركاهم (المحدودة) وقد عزم اكثر هؤلاء – الكبار – ان لا ينشروا في دليل الصالون فوتوغرافات اعمالهم فما اطيب ما عملوا !

وما يكاد الداخل الى الصالون يهيء نظره للمتعة حتى يصطدم (بمعلقات) السيد هربان وهي لوحات يخالها غير الباحث المتفحص من اعمال رياض الاطفال الذين تحتاج اعمارهم الى المنطق الرياضي. وهذه اللوحات التي احتكر لها استاذنا هربان جزءاً هاماً من جدران الصالون، لا تتعدى اشكال الدائرة والمثلث والمربع صممت على اساس التفكير بكلمات فرنسية ينتقيها الفنان ويدرس حروفها وما تدل عليه من الوان . الا اني يخيل الي ان هذا النوع من الروح الرياضي الضيق الذي حبس فيه هربان نفسه ، وقلة جمال الحروف اللاتينية اوقعتا الفنان الكبير في قفص (استاذية) خالق قليل الانسانية عديم الحياة.

ثم تتحول العين من (مسطرة) (وفرجال) هربان لتحار مرتاعة تلهث متابعة خطوط السيد هارتونك وهو اليوم احد رجال الساعة في الفن التجريدي يتخذ من عكازه مساعداً للهش بها على . . .

بئست الشهرة المتسرعة التي تخلقها الصداقات فهي صعبة الاحتمال احياناً. وكم اخشى على الصديق هارتونج ان يسعى اليه يوم قريب يعطي لفنه حقه الاكيد. اني اظن انه بلغ شهرته بأسرع مما ينبغي لفنان. واخلاص هارتونك لا يكفي مهراً لشهرته شأنه شأن هربان الذي رفض مركزاً مهما على الرغم من فقره بحجة انه مصور لا يعمل شيئاً آخر غير التصوير . فماذا يقول في هذا فنانونا في الشرق الذين يخلطون الفن مع (الشيخ محشي) من اجل العيش البسيط !

ثم تتوغل العين وتنتقل من لوحة الى اخرى ناظرة بين حين وآخر على صفحات الدليل تبحث عن اسم الفنان. ولست بقادر ان اعطي رأيي في هذه العجالة عن كل الفنانين فهم كثيرون يتجاوز عددهم المئتين والاربعين كلهم له قيمته في الوسط الفني الباريسي والاجنبي. وقد ساعد الحظ على ان اكون بين هؤلاء الفنانين ممثلاً العراق لاول مرة بفرنسا، فقد قدمت للصالون ثلاث لوحات زيتية اشكر لادارة الصالون اهتمامها باخراجها ووضعها واثارتها بشكل جميل لم اكن انتظره. ولست مستمراً في الكلام عن نفسي اكثر من هذا.

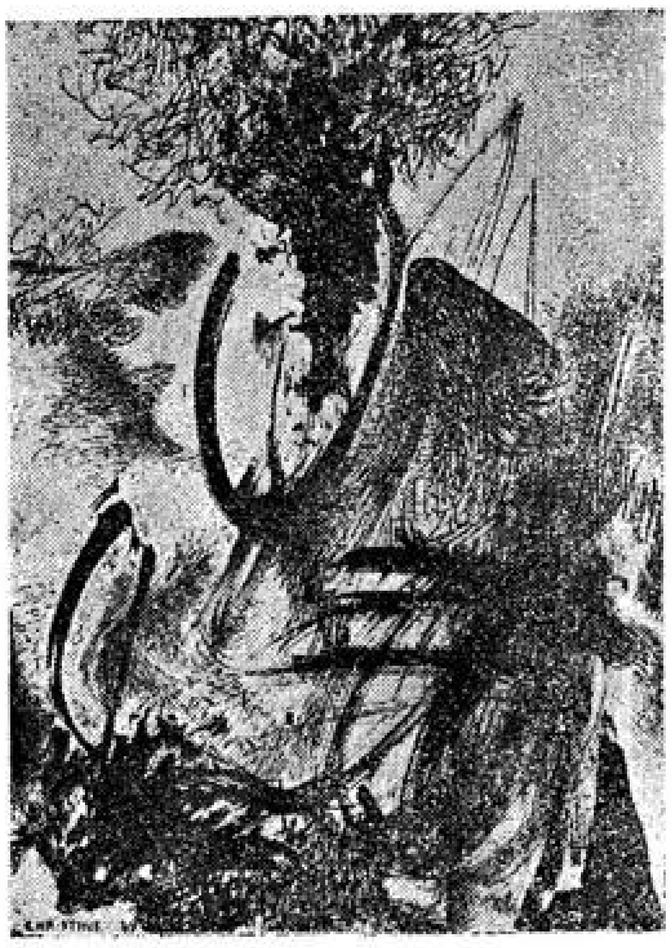
على ان الشرقيين ليسوا بالكثيرين في هذا الصالون ولعلهم لا يتعدون عدد اصابع اليد الواحدة بينهم السيد نجاد نجل الاميرة زيد وهو تركي والسيد سليم وهو تركي ايضاً.

فاما نجاد فقد عرض صورة واحدة كبيرة لم ينس ان يمسحها باللونين التقليديين عنده (البنفسجي والاسود) . ومهما عظم شأن القوالب الاوربية في نفس نجاد فاني ارى من وراء المثلثات والمستطيلات الشفافة على اللون ، قباب جامع ايا صوفيا وسواري قوارب البوسفور .

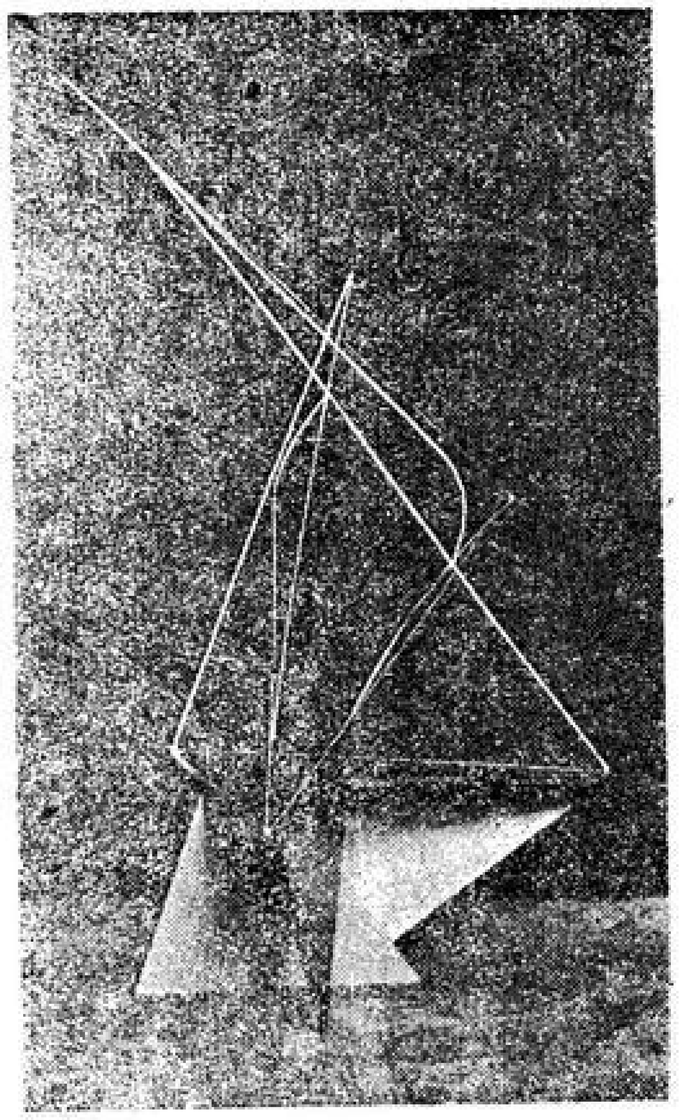
ولكن زميله Selim لم يحتفظ بالشرق في فنه بقدر احتفاظه به في نفسه فريشته تتهافت على بقايا الالوان الميتة في الفن الاوربي يعيد انشاءات كويتز ويلطخ بروح الوان سولاج، ويضيع في تخطيطات شنيدير . لا فا هذا

●

رسم بالحبر الصيني لكرستين بومستير
Christine Boumeester



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تصميم في الفضاء لساحة عامة ، لمدام نيقولاوس وارب Mme Nicolaos Warb

●

هو الشرق النقي ذو الينابيع الصافية .

وقد اتفق الهولنديون والاميركيون على جعل قاعة خاصة لهم لم ار فيها كثيراً من الضعف ولكن فيها كثيراً من البرودة التي تكسو نفس المتفرج بقشعريرة البائس المعدم ما عدا بعض الهولنديين الذين احسنوا الاستفادة من المادة وصفاتها القوية كالفنان الشهير دوميلا الذي لا انكر انه بابتكاراته التأليفية ، وصياغاته الحرة المتقنة قد اجاد واجاد .

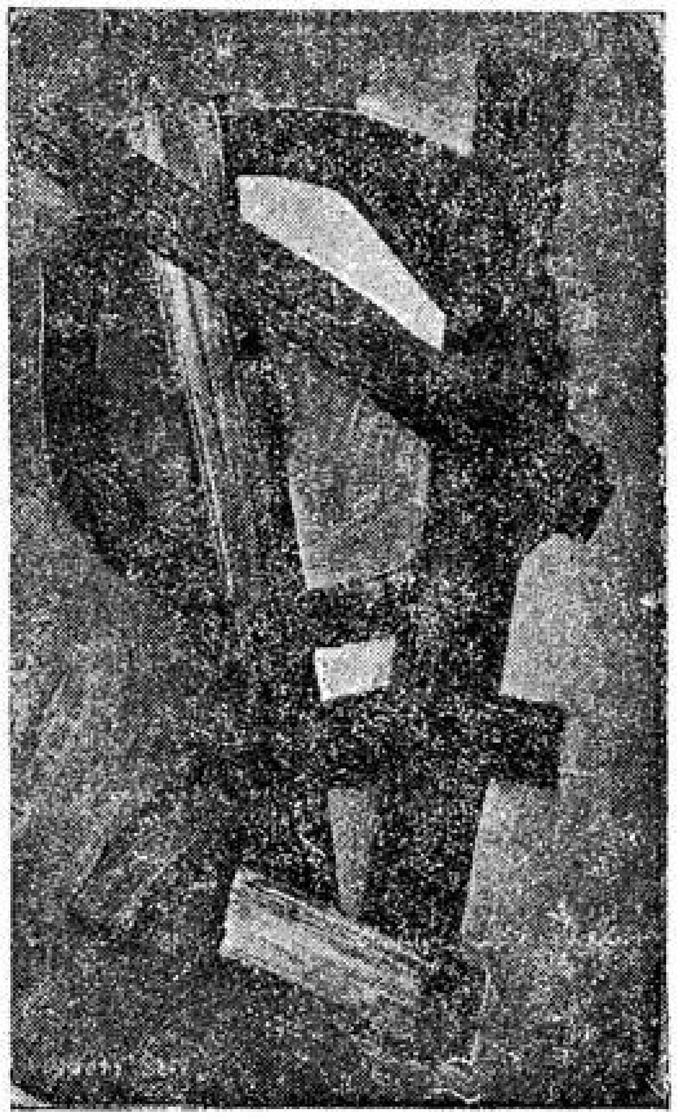
ومن الصدف القليلة ان يعرض الفنان في محلين من باريس في نفس الوقت الا ان كويتز كان له هذا الحظ فبينما هو يعرض في (صالة القرن) في حي سان جرمان دي بري — فان له لوحة كبيرة الحجم رأيته مرة يشتغل بها وهو يقول انه حلم موضوعها ا ويرى القارىء صورة تصميمها هنا وهي في رأيي فقيرة محزنة . وكويتز اميركي الاصل اكتسب الجنسية الفرنسية — مثل كثيرين من الفنانين — منذ شهور فقط . وهو على الرغم من وجوده في فرنسا منذ حوالي (١٥) سنة فما يزال يحتفظ بروحه الاميركي (الخفيف) مع اكتساب شديد لحب الكلام من فرنسا — والفرنسيون سامحهم الله يحبون الكلام يساعدهم على ذلك جمال لغتهم ونغمتها الرقيقة . وقد كان كويتز سريالياً لا بأس به الا ان الغريب انه مهما توغل في تجرده وخلوصه فان شراك تفكيره الرومانتيكي توقعه في شيء من روحه القديم . ان التخلص من الماضي ليس بالسهولة التي يتصورها البعض .

ولعل موضوع حب الكلام هو الذي يجعلني افكر هذه اللحظة بالزميل لانسياوني فان الاجتماعات التجريدية عند فالانسي زعيم المذهب الموسيقي في التصوير ، وعند البروفسور بايير تذكر بعض الاصوات التي لا تكاد تخفت راضية او مندحرة حتى تهب من جديد صارخة ناكرة او شارحة مدافعة . وصوت صاحبنا — ني — كان في الايام الاخيرة لا يهدأ كثيراً في تلك الاجتماعات الفنية الفريدة . وقد عرض في هذا الصالون ثلاث لوحات لم اتحمس فيها بشيء من النظريات والتعاليم الجديدة التي كان لسانه يرتلها بلكنة هنغارية تثير الابتسام . الا ان واحدة من تلك اللوحات الثلاث جلبت اعجاب كثير من المتفرجين وهي التي يرى القارىء صورتها هنا ايضاً .

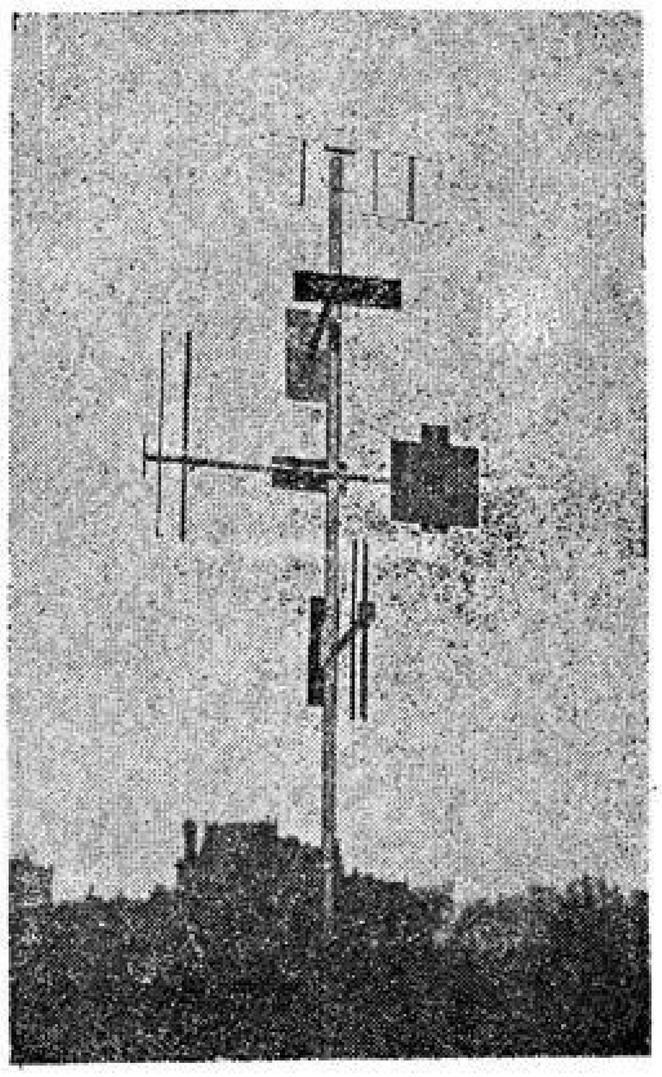
وقبل العودة الى بعض الاسماء (الفخمة) اذكر للقارىء شيئاً عن السيد فالانسي وهو مصور من النوع الذي يعتمد على مادة الزيت ومادة القماش الذي يرسم عليه ثم بعد ذلك يتوخى نوعاً خاصاً من التكنيك يذكرنا ببعض الاساتذة القدماء . وفالانسي هو زعيم الفنانين الذين يسمون انفسهم او بالاحرى الذين يسميهم بالموسيقيين —Musicalistes— اي الذين يعتمدون لا على الرياضيات والجبر والهندسة في فنهم فحسب بل ايضاً على اشكال الموجات الصوتية التي تشكلها في الفراغ مختلف الانغام الموسيقية خلال انطلاقها وتلابسها وتمازجها وارتفاعها وخفوتها . فيتخذون من فيزيائية الاصوات التي يحللونها اما بحساب سرعة الصوت وعدد اهتزازاته وتضاغطه ، واما بالعادة والاسلوب المشابه ، مواضيع ينشئون في صلبها لوحاتهم او تماثيلهم . وقد كانوا في بداية نشاطهم يختلفون في اعتبار الاشكال الطبيعية المألوفة حتى جاءت الموجة التجريدية الى شاطئهم فجرفهم تيارها الجبار . الا انهم ما يزالون يحتفظون باسمهم ككتلة داخل التجريد . وفالانسي ما يزال رئيساً لهم يقيم اجتماعاته التقليدية مرتين في الشهر يدعو فيها للمذهب الفني

●

تصوير ملون لهنري جوتز Henri Goetz



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سبايتو بلاستيك برج لساحة عامة
لشوفر Schöffer

●

المذكور . وقد استغل فالانسي في هذا الصالون حائطاً كلما رأيته خطرت لي ذكرى الفنان الفرنسي المتوفي أوتون فريز والواقع انه ليس في قطع فالانسي المعروضة هنا ما استطاع ان يجذب انتباهي .

ولم يمنع الفنان فرنسيس بوت شيء عن العرض في الصالون مع العلم انه بدأ منذان ابتاع متحف الفن الحديث احدى صوره يرى الآخرين من وراء نظاراته (المصغرة) وباسلوب يثير العبوس . وهو من المتأثرين بالشرق الى حد ان احدى صوره لاتشمل اكثر من حرفين كبيرين ملآها . الاول عربي وهو حرف اللام (لْ) مع اشارة جزم والثاني صيني والله واهل الصين يعلمون ماهو لا انا ولا بوت نفسه . وفنانناالماني الاصل وقد اشترك بكثير من النشاط السريالي قبل الحرب . وما يزال فيا تنتج يداه وشاحاً قاتماً من سريالية شاعرة لا يريد التخلص منه .

اما دافرنك فلم يعرض سوى قطعة واحدة وهذا الفنان يسكن في الجنوب من فرنسا مرسلاً زوجته هنا وهناك مسؤولة منظمة لمعارضه المختلفة . وقد وضعت لوحته في الصالون الى جانب لوحة الفنان والمتفرج يتساءل هل هما شخصان مختلفان .

وللفنانة بومستر زوجة السيد كريتز ثلاث لوحات يرى فيها المتفرج روحها الناعمة التي تذكر بنساء الشرق ولا عجب فهي قدولدت في جزيرة جاوه بأندونسيا وتغذت بروحها المشمسة وفنونها الحجرية المتينة . واني اعتقد أن السيدة بومستر اكثر خلوصاً في التجريدية من زوجها سواء أكان ذلك في الحفر على الزنك ام في التصوير الزيتي وهي تحتفظ في فنها بشخصيتها على الرغم من وجود كويتز دائماً . ومن هنا تبدو صعوبة التحرر معقدة . ولكن بومستر تظل بصبر المرأة وعنادها محافظة على قالبها الفني .

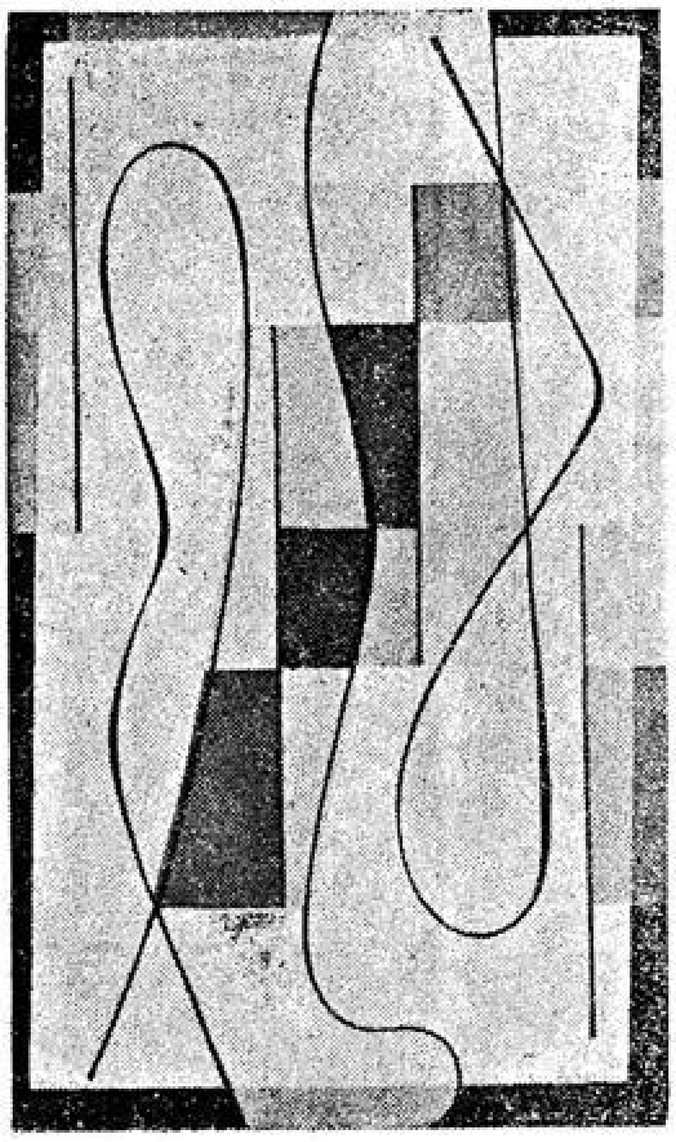
ويعرض السيد هنري نوفو في الصالون خمس لوحات هي كفاءاتها في معارضه السابقة بين الزخارف الشرقية ذات الالوان البراقة الخالصة وبين الصياغة الاوربية المتأثرة بمدرسة باريس . الا اني اظن ان نوفو على الرغم من هدوئه وبطء حركته وتواضعه سيصل الى شهرة اعم واهمية اكبر من البعض المتبجح من العارضين .

وكان بين العارضين المتكاتفين مع الكبار طلباً للشهرة التي يحسبون انفسهم في مركبتها الفنان سولاج وهو شاب لطيف تربطني معه كالآخرين صداقة لطيفة . وكان قد أتى باريس من (الربع الخالي) الفرنسي الواقع في الوسط الجنوبي وهي بقعة من فرنسا تسير فيها السيارات ساعات طوالا دون ان تشاهد بشراً او شجرة وارضها جرداء صخرية تحوي تلامستطيل الشكل يقطعه الطريق من فوقه مرة واحدة والمعروف ان سكان المناطق الخالية يكونون غير اجتماعيين يحبون الوحدة والصمت . الا ان صاحبنا سولاج على العكس من هذا لطيف المعشر حلو الحديث وهو صديق حميم للفنان هارتونك وصاحبه شنيدير وهو من نفس المدرسة الفنية التي تعتبر في الخط الغليظ الكفاية للتعبير عن اماني الانسان المختلفة ! واللون فيها مسكين فقير تافه ، فهو عند شنيدير اخضر ممزوج بشكل قذر اصفر والى جانبه الاسود المغبر حتى الرماد ، او قهواني . وعند هارتونك يغني الاصفر بين حين وآخر فيتنفس المتفرج الصعداء . ولكنه عند سولاج يعود الى الكآبة والفقر .

ان بفسنر ما يزال على العهد بمنحوتاته النحاسية التي يتحمل كثيراً من العناء في سبيل لحم خيوطها وقد عرض منها هنا اثنين في

●

تصوير ملون لفليشمان Fleischmann



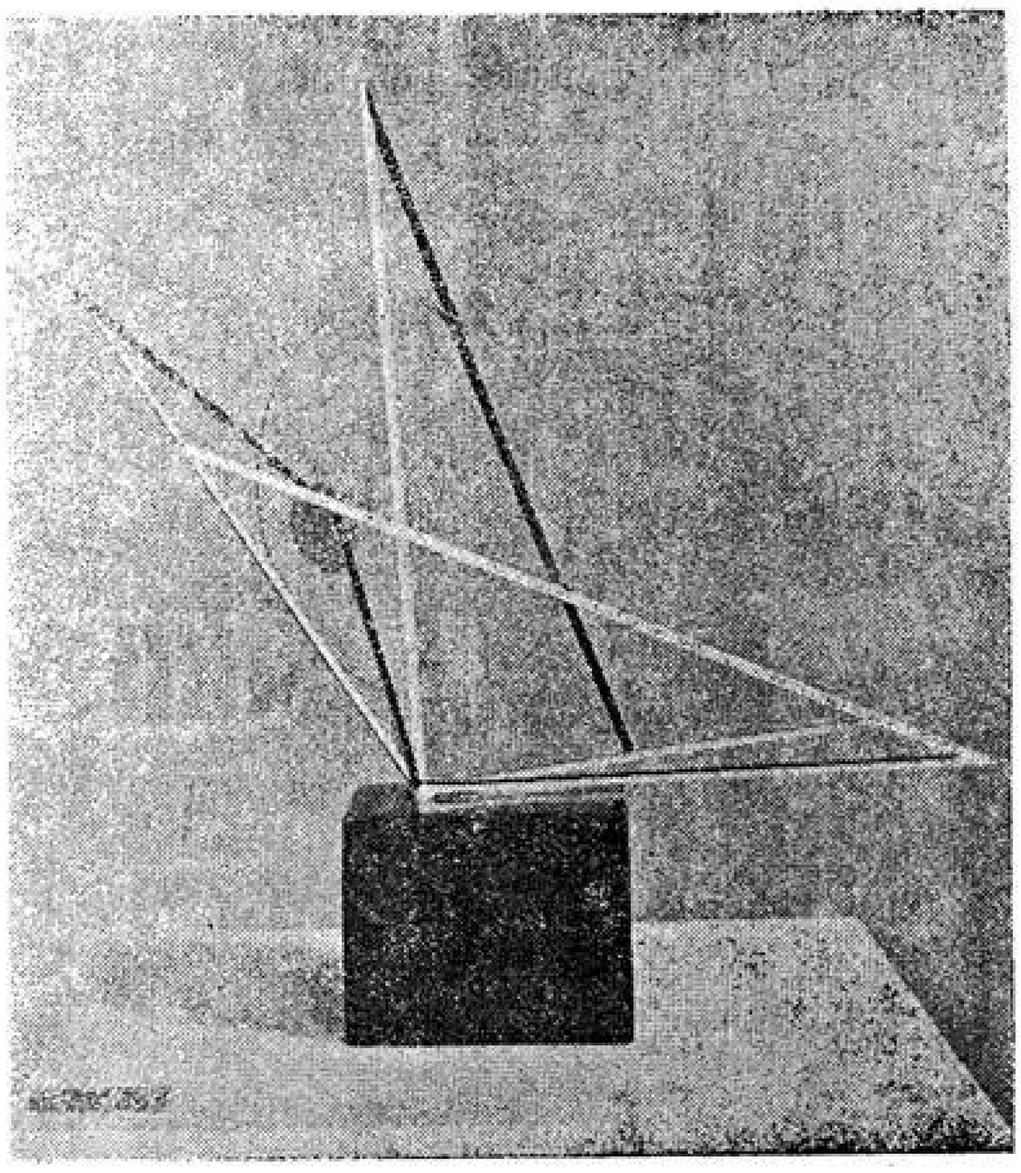
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(هل هذا كل شيء ! . اليس هناك شيء آخر ؟).

لقد ساعدني الحظ ان اكون عضواً في الصالون مما سمح لي بالاطلاع والاشتراك في المعارك التي سبقت اقامته والتي ارتني بحق عظمة الفكر الفني المعاصر ورغبته الاكيدة في استباق الزمن وخلق مستقبل للانسان انفع . وعلمتني كيف يمكن للفنان ان يكون خالصاً لفنه . وجعلتني افكر بنا نحن فناني الشرق العربي . فنحن على الرغم من قلة عددنا كفنانين وكثرة الحاجة الينا لتغذية الاجيال المعاصرة فلا نزال في معارك دائمة لا تكاد تمس موضوع الفن الحقيقي انما اكثرها مسائل شخصية يثيرها الحسد وتثيرها الانانية وحب الظهور . وتتلاعب المحسوبيات في الشرق مع الاسف بقدرات الفن فيشتهر ويقدر البعض ممن لم تهضم انفسهم حقائق الفن الخالصة . وينطمس في النسيان والضياع من قامت في نفسه العوامل التي تدفع للخلق والعمل الفني الحق . . لست اعلم فلعلنا سنغار يوماً من فناني الغرب فنتكاتف للتوصل الى خلق حقائق شرقية جديدة ستفوق ولا شك ما نراه في الغرب من اعادة ونقل . والشرق كان دائماً الينبوع المتدفق . فلنعب نحن انفسنا من معينه .

جميل حمودي

باريس



موضوع فضائي رقم ١ لسيمون سيرفان S. Servanes

●

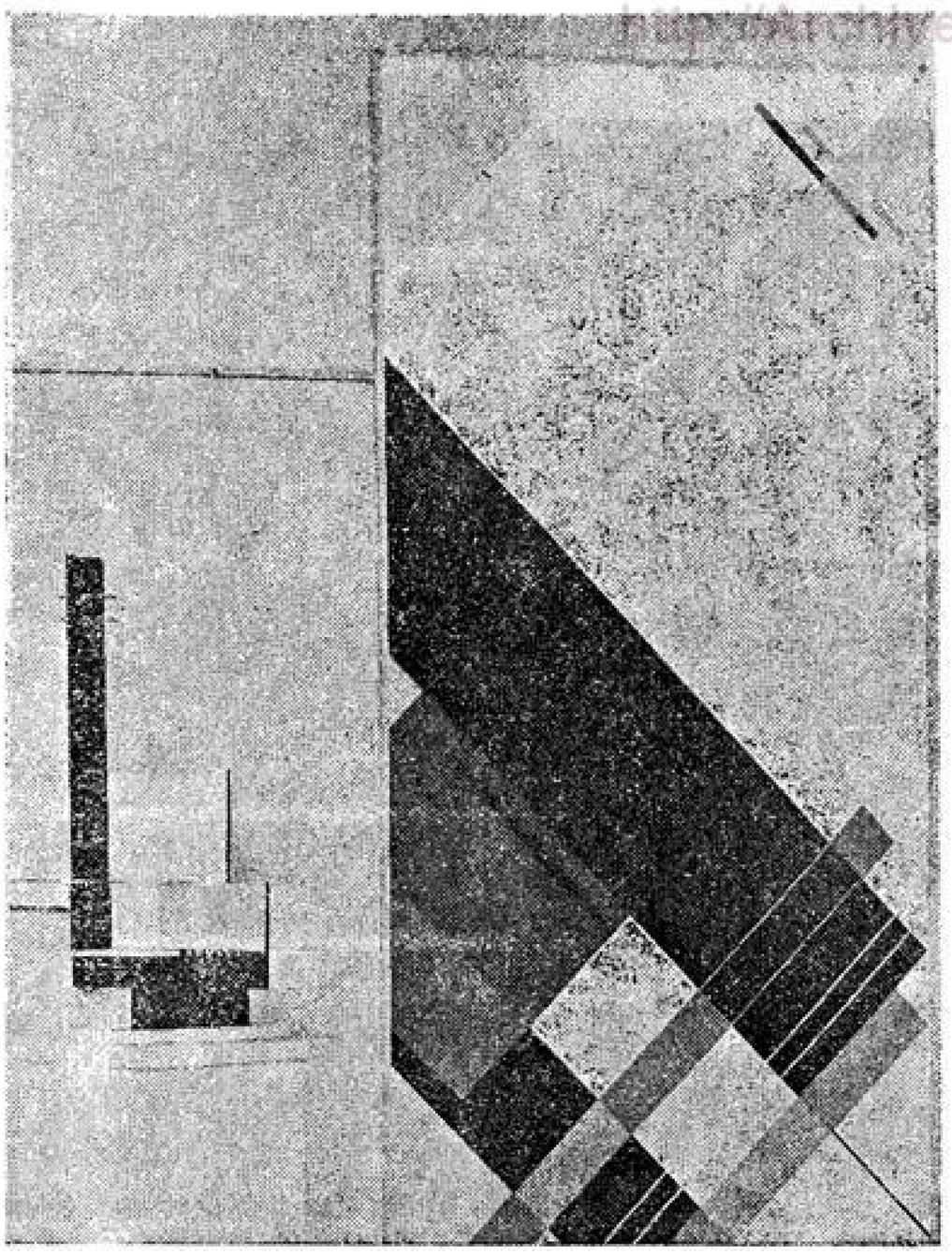
مكان بارز . واني على اختلاف معه في الرأي معجب بالصبر الذي يملكه لاخراج اشكاله المعدنية الجميلة واعتقد بان رسومه بالقلم لا تقل اهمية عن اشكاله المجسمة حيث انه يعطيها نفس الدرجة من الاهمية والدقة .

وغير ما ذكرت كثيرون جداً من العارضين ، فيهم المقلد الضائع بعض الشيء وراء آفاق الغير وفيهم المبتكر الخالق الذي يجذب اليه العين ، وفيهم غير هذا وذاك فالمجال التجريدي واسع مليء بالحرية يعطي الحق للجميع فمن كان ذا قيمة فنية حقيقية فتظهر حقيقته ويعجب بفنه الآخرون والا فلا تذهب لوحاته الى ابعد من الحائط الذي التصقت عليه .

واراني قبل ان اختم كلمتي العامة هذه ملزماً ان اذكر كما قال زميل من النقاد الفرنسيين في جريدة (الفن) الباريسية ان فناني صالون الحقائق الجديدة لهذه السنة يمثلون النخبة الممتازة بين فناني فرنسا والعالم وهذه هي الحقيقة البينة الا ان ما لا اراه مريحاً في هذا الصالون هو كثرة العارضين واللوحات مما يتعب المتفرج . والمتفرج الغربي ، وخاصة الذي يسكن باريس — كعبة الفن — لا يستطيع ان يقضي ساعات طويلة في معرض واحد الا اذا كان من المنجذبين على العكس من المتفرج الشرقي . واني اذكر عن معرض الفكر الحديث الذي اقته سنة ٩٤٦ ببغداد ان المتفرج يسأل قبل الخروج :

●

تصوير ملون للحائط وموضوع فضائي ملون لديل مارل Del Marie



هي دنيا

لصفاء الجبري

بغداد

أين ذاك السكونُ ، يسكبه الليل ، فيطفو على الشواطىء لحناً
كلما مسه النسيم ، ورواه تثنى ، على الرمال وأنّاً
أين ذاك الحنان ، يطفح في عينيك ، وهنانَ ، كالكآبةِ لونا
كلما ضمنا المساء ، ومرت قافلاتُ النهار ، في الأفق تفنى
وهسيسُ السنابلِ الصفر يمشي ، بارتياعٍ مع الوداعِ الينا

***

واحتضارُ السنا ، وأخيلةُ الليلِ ، تغني بهمسها المألوفِ
حين تطفو النجومُ ، مثلُ الفوانيس وتدنو من قلبي المشغوف
وبقايا الغيومِ ، تسبحُ في الصمتِ ، وتقفو خطى شعاع الخريف
وعلى الافق حفنةٌ من دماء ، عصبت جبهة الربى بالشفوف
كلها لم تعدْ ، سوى حلمٍ مات ، وأبقى نشيجه في عزيفي

***

وتقولين ، والهوى ملء عينيك نديّاً ، « أبني » فديتُك أمّاً

— أنا من تعبدين ،
يملأ عينيك حناني ، بنيّ يوماً فيوما
ويمرّ المساء والصمت لاهٍ ، بيننا يملأ الاحاديث وهما
وتطل النجومُ ، ساذجةً كالطفلِ ، يروي لمسمع الام حلما
وفمُ العودِ ، لا يني ، ينشر الوهمَ ، ليطوي على الاضالع هما

***

والأماني ، محومةٌ على الشرفةِ ، ينسلن كالنسيم خفافا
ضاحكاتٍ ، كأنهن فراشاتٌ ، صغار يشربن قلبي سلافا
يسكب المغرب الحيُّ ، عليهنَ شعاعاً مذهباً شفافا
كلما مست السنا ، لصقت فيه ، لتغني بنوره آلافا
وشهيقُ الجناحِ ، أغنيةٌ حمقاء ، مشاولةٌ ، تشق الشغافا

***

ايُّ شيء هو المساء ، تنافيه الاماني ، والبدرُ طفلٌ بهده
والسكون الظامي ، الى قبل اللحن ، وجفنُ النجومِ في بده سهده
والغيومُ البيضاء ، اشرعةٌ تحدو نواتيها ، ليمضي لوحده
تاركاً حلفه ، جنائزَ أحلامٍ ، يشيعن خلفه نعش وجده
وشظايا الغور الضئيل خيوطٌ ، ناسلاتٌ يجرهن للحده

***

ها هنا ، فوق ترعةِ الامسِ كانت ، لي يا أمُّ دوحةٌ جرداء
مسها حبُّك المطهرُ ، فاستلقت بأكمامها رؤىً خضراء
وسقيتها الحنان ، من ثديك العفّ ، كؤوسٌ نديةٌ شهاء
هي دنيا ، سماؤها ، روحك السمحُ ، وآفاقها هوىً ورجاء
وذراعان يحرسان ليالي ، اذا غصّ بالغيوم الشتاء

***

اينها ؟ لم تعد غير نجوى ، ذكرياتٍ تجرّهن السنونُ
باهتات الرؤى ، يلوحن بالماضي ، مناديل ، سلتها الشجون
كلما مر بي الضحى ، لملمتها تمتماتٌ ، يمشي بهن السكون
وعلى النخل للرياح عويلٌ ، يتهادى كأنه تأبين
ومراثٍ من الزهور ، أكاليلُ دموعٍ على الثرى ، وغصون

***

لفتة ، ما أرى ؟ جدائل بيضاء ، بتابوتها ، ودمعٌ سخين
وانثيالَ التراب ، يجرفُ قلبي ، والاكفّ الحسرى رثاء حزين
وفتى شاحباً ، تسمّر في الارضِ ، بقيد الوجومِ ، فهو سجين
عفر اليتمُ وجهه ، فهو جاثٍ ، وحواليه للقبور انين
حفناتٌ ممرّ ، وبعضُ زهورٍ ، وانطوى الامسُ والغدُ المسكين

نهاية حب

القصة التاسعة من اليوم الخامس

للكاتب الايطالي جيوفانو بوكوشيو ١٣١٣ ـــ ١٣٧٥

ترجمة السيدة ماهرة النقشبندي

●

ولد في باريس وهو الابن غير الشرعي لدي شيلنو دي سرنالدو. قضى وقتاً غير يسير من طفولته في توسكانيا وحيناً في ضواحي فلورنسا وخاصة في تلال الفيزول حيث كتب كتابه العظيم دي كامرون واعماله الادبية الاخرى. لقي في نابولي وهو في الحادية والعشرين من عمره فيامیتا «ماريا دا ليونيو» الابنة غير الشرعية للملك روبرت ملك نابولي واحبها من النظرة الاولى وبقي لا يعيش الا لاجلها مدة اثني عشرة سنة حتى ماتت عام ١٣٤٨ في الوباء المعروف في التاريخ الاوربي بالوباء الاسود.

لقد كان حبه لفيامیتا الاساس لجميع اعماله الادبية حتى لقي بترارك فنشأت بينهما مودة متبادلة كانت له عوناً على تناسي بعض آلامه. فأخذ يدرس الآداب اللاتينية والاغريقية وكتب كتابه تاريخ حياة دانتي.

وكتابه دي كامرون يمثل نبوغه وجونه وتسامحه ومحبته العميقة للانسانية وهو يقوم على ان سبع فتيات يلتقين في وقت الوباء الاسود بثلاثة فتيان في كنيسة القديسة ماريا في فلورنسا ويقترح كبراهن ان يصحبوها الى الريف هرباً من الموت. وهناك تقترح عليهم ان يختاروا كل يوم ملكاً يكلون اليه امرهم بحيث يكون كل منهم مسؤولا بدوره وطلبت ان يقص كل واحد قصة في كل يوم. وهكذا تأخذ هذه القصص طريقها الى الوجود والخلود.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●

عاش في مدينة فلورنسا شاب اشتهر بين الناس في مقاطعة توسكانيا بشجاعته ودماثة اخلاقه وثروته الطائلة، وكان يدعى «فدريجو» وقد أحب فتاة إسمها «مونا» كانت تعتبر اجمل فتاة في المدينة، ولكنها لم تشعر بهذا الحب، ولم تدر بمكانه في قلبها. لقد بدد ثروته الطائلة على مظاهر البذخ، وعرض حياته لضروب من المجازفات والمخاطر في المبارزات الدموية المتعددة، وذلك ليبدو متلافاً كريماً، وشجاعاً باسلاً في نظرها.

وراحت تلك الثروة تذوب امام الاسراف، كما تذوب الشمعة في ألسنة اللهيب فأصبح معدماً، ولم تبق لديه غير مزرعة في الريف وباز لا يقدر بثمن، ولا مثيل له عند احد في ذلك العصر فتراجع مهزوماً من معركة الحب، وقد اثخنت جراح الهزيمة قلبه وبددت ماله. عاد الى المزرعة يدفن آلام الماضي في صدر الطبيعة الرحيم، ويصرف اوقاته في الصيد ومعه ذلك الباز العظيم.

وتزوجت «مونا» بفتى احبها واحبته، وانجبت منه ولداً. واصيب بمرض عضال الزمه الفراش شهوراً طويلة، ولما رأى ان مرحلة الحياة قد انتهت اوصى بثروته جميعها الى ولده الوحيد، والى زوجته «مونا» ان حدث لولده حادث وابعده عن الدنيا. ولم يمهله الموت بعد ذلك طويلاً، فقد حمله نهر الحياة الى ما وراء حدود الوجود.

وكانت العادة في ذلك الزمن ان تترك الارملة المكان الذي مات فيه زوجها الى مكان بعيد يختلف اهله وجوه عما كانت فيه مدة سنة. ووقع اختيار «مونا» على ريف يجاور مزرعة «فدريجو» فذهبت وطفلها اليه. واتصلت الصداقة بين فدريجو والطفل، فراحا يصيدان معاً، والطفل معجب بالباز متدله في حبه، لا يطيق فراقه ابداً، ولا يجرؤ على طلبه منه، لانه كان يعرف مكانه في نفس فدريجو.



ومرض الولد مرضاً شديداً ، فجنت « مونا » وخشيت ان يلحق بأبيه ، وراحت تعمل كل وسيلة للعناية به ، وللترفيه عن نفسه ، وكانت تسأله من وقت الى آخر عما يريد — وقد قال لها مرة — « اذا كنت عزيزاً عليك وتريدين الحياة لي ففتشي عن الوسيلة الممكنة التي تستطيعين بها الحصول على باز فدريجو » .

راحت (مونا) تقلب الامر على وجوهه ، وتطيل التأمل ، وتعود بذكرياتها الى الماضي ، فتراءى لها صورة ذلك الحب الشديد في قلب فدريجو ، وذلك الاخلاص النادر . لقد احبها بكل ما في القلب من شعور ، ولم تلتفت اليه ، او تطوف الرحمة في قلبها ولو من بعيد . كيف تجد الالفاظ التي تتحدث بها اليه ، والعينين اللتين تنظر اليه بهما .

ان الباز هو عزاؤه الوحيد في دنيا الناس ، بعد ان حطمت قلبه وحرمت عليه العيش في دنيا الحب والشعور .

لقد كانت (مونا) شديدة الثقة في الحصول على الباز ، لكنها كانت ترى في ذلك اذلالا لكبريائها ، وعذاباً لقلبها ، الذي اخذ يستيقظ ويفتش عن الحبيب المعذب في غياهب الماضي . لكن حنان الام غلب الكبرياء فاعتزمت امراً — ومشت الى ولدها تزف اليه بشرى حصوله عن الباز قريباً وتطلب اليه ان يعنى بصحته ، واكدت له ذلك وأملته بالحصول عليه في اليوم التالي .

وسارت (مونا) وصديقتها الى بيت فدريجو ، وكان يعمل في الحديقة وسألتا عنه ، فأسرع يتلقاهما ، ويرحب بهما من بعيد وهو لا يعرفهما . . وحينما اقترب لم يصدق عينيه . . لعله يحلم . . انها مونا — مونا التي احبها . . تسأل عنه وتزوره في منزله . فتلقاهما بالترحاب ومدت يدها اليه تحييه وتقول : لقد سببت لك آلاماً مبرحة في الماضي وحطمت حياتك ، واعلم انك قد احببتني باشد واصدق ما يحمل القلب الانساني من شعور ، وتقديراً لتلك العواطف الطاهرة ، وذلك الحب البريء ، وذلك الوفاء النادر فقد قررت ان اتناول وصديقتي طعام الغداء على مائدتك .

مونا . . ان حبك لم يسبب لي غير السمو ، بل لقد حملني من عالم البشر على جناحيه الى عالم مسحور كله جمال وخير وحنان . انك عظيمة يا مونا ولذلك كان حبي لك عظيما ، ان زيارتك لي اعظم مكافأة على عذاب الماضي ، ولولا انني اليوم فقير ، لانفقت عليها اضعاف ما كنت انفقه في الماضي غير البعيد .

لم يشعر بفداحة الضربة التي انزلتها به الحماقة والتبذير الا في ذلك اليوم . شعر بالالم يعصر روحه عصراً ، لقد كان ينفق على الولائم بغير حساب ليلفت نظرها اليه . انها الآن في منزله ، ولا يجد ما ينفقه عليها . وضاقت به الحيلة ، ورفع بصره الى السماء يطلب الرحمة من الله من هذا العذاب ورد بصره ، فوقع على صديقه . على الباز ، وقد جثم كالملك على عرشه ، انه يحبه كثيراً ولكن مونا اعز عليه منه . ومد يده اليه ، وذبحه ونتف ريشه وراح يشويه على النار ، واعد المائدة وعاد الى مونا يدعوها للطعام ، ويعتذر لها ويؤكد لها ان ما ستأكله هو اعز ما يملك في الدنيا . . وجلسوا الى المائدة وأكلت مونا من لحم الباز وهي لا تعرف فقد لذ لها ، وبعد الطعام ، راحت تخبره بما تريد .

قالت : انك قد خبرت عاطفة الحب ولم تعرف عاطفة البنوة ، وصديقك ولدي ، ينام في جفن الردى ، وقد اشرف على الموت ، وهو يريد الباز وقد حضرت لهذه الغاية انني استحلفك بالحب الذي حملته لي في قلبك في الماضي ، واستحلفك بالخلق النبيل الذي برهنت عليه في حياتك اذا لم يجد الحب القديم صدى في قلبك ، واستحلفك بكل ما في قلبك من رحمة ان لا تخيب رجائي في الباز .

كانت مونا تندفع في ذلك الرجاء ، وفدريجو يبكي بكاء شديداً . وهي تنظر اليه مشدوهة ، لا تعرف ما وراء الاكمة ، واغلب ظنها انه فعل ذلك حزناً على الباز . الذي سيعطيه او لا يعطيه . . فحز ذلك في نفسها وآلمها ، وكادت تنسحب ، غير انها آثرت الهدوء ، ولاذت بالصبر ، لتعرف سبب دموعه . وعاد اليه الهدوء ، وراح يقول : لقد اغتفرت للحياة يا مونا كل ما جرعته من يدها من كؤوس البؤس المترعة ورحت اعيش في عزلتي هانئاً او معذباً على هامش السعادة التي تنعمين بها في الدنيا . . اما الان فان اغتفر لها . . لقد شربت الكأس حتى الثالة وتحطمت على شفتي . ان الباز الذي تريدينه كان طعامك قبل لحظات ، ثم قام كالمجنون وعاد يحمل لها ريشه ورجله .

عادت مونا محطمة القلب الى ولدها ، فسألها عن الباز فبكت . . وشاركها البكاء . . وانتكست صحته ، واغمض جفنيه الى الابد ، وخلفها للعذاب في الدنيا .

ومضت سنوات ، ومونا مسرفة في الحزن ، وكانت في ميعة العمر ، فأخذ اخوتها يلحون عليها بالزواج فترددت واخيراً وافقت على ان يكون زوجها فدريجو . . فعجب اخوتها من رغبتها بالزواج من انسان بائس فقير ، ولكنها قالت . ان الرجل الذي يحتاج المال خير من المال الذي يفتش على رجل .

بغداد عن الانجليزية : **ماهرة النقشبندي**

الحياة واللغة

بقلم ابراهيم العريض

٤ ـ الموضوع والذاتية فيه

وهكذا بين يدي الحياة تتجاوز اللغة عالم المدلولات الى عالم الاحاسيس . ويتطور الكلام الذي هو — عند العقل — تعبير عن انانية الذات . . الى ان يصبح ادباً هو في الواقع سجل الحياة . وذلك لأنا في الادب — كما رأيت — لا نسوق الكلام لتصوير العالم الخارجي الذي يكتنفنا فحسب . بل نصور هذا العالم — كما هو الشأن في كل تصوير شمسي — من زاويتنا الخاصة و كما يعكسه منظارنا ملوناً .

ففي كل قطعة ادبية — اذن — صورة العالم الخارجي مضافاً اليها طابع النفس الحية التي تتقلب بين الاحياء . هي التي تبث في الصورة الحياة . ولا غرو فهذه الصورة — اذا اردنا التعبير بمصطلحات فن التصوير — هي مختطفة من زاوية الناظر اليها ومبورة بمنظاره . مع هذا الفارق وهو ان زاوية النظر في كل صورة شمسية يقابلها في الادب مقام الفرد بين بني جنسه كما ان عدسة المصور يقابلها في المجتمع طبيعة الانسان بالذات التي تقدر له مجاله فيه .

فاذا قال امرؤ القيس مثلاً :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن انا لاحقان بقيصرا

فقلت له : لا تبك عينك ، انما ... نحاول ملكاً او نموت . فنعذرا

فاننا لا نتمثل في البيتين صورة درب شاق طويل ينوء تحت اهواله رفيق الشاعر فيلوذ بالبكاء فحسب . بل نتمثل ايضاً — مع الصورة — تعلل الشاعر بالامل الذي يحدوه ومشاركته لصاحبه في هذا الامل . وهو بعد كصاحبه قلق البال .

ولكن عندما ننشد لابي تمام البيتين :

يقول في «قومس» صحبي، وقد اخذت منا السرى، وخُطا المهرية القود :
« أمطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا ؟ » فقلت « كلا . . ولكن مطلع الجود! »

والموضوع هو اياه . فهنا لا نتمثل امام اعيننا صورة المهرية القود في طريقها الفسيح المترامي . تسايرها حاشية غير قليلة تدين للشاعر بالطاعة قد اعياها السير فالتفتت الى سيدها تناشده الرفق، لا نتمثل كل ذلك . . حتى تملأ جوانب الصورة هذه الطمأنينة التي لم تفارق الشاعر . فتراه يتزلها كالشعاع الباسم على نفوسهم المكدودة.

ولذلك لا نخطىء اذا قلنا انه قد لا يدل الاثر الادبي في حقيقته على العالم الخارجي بمقدار ما هو يدل بالفعل على الذات التي تشرف عليه من شرفتها الخاصة، رهناً بموقف الفرد من الحياة ونظرته اليها . . كما بسطنا ذلك في غير مكان[1] . فتقوم هذه الذات مقاماً نلمس في المجتمع اثره في الوشائج الاجتماعية القائمة بين الافراد تحت ضغط الحياة . كما نلمس اثره في الادب . . في « العلائق » التي يشيد بها الاديب — كحي — بين الاحياء . ومن هنا تتعدد المواضعات عند الادباء وان كان الموضوع واحداً . وتختلف طرق الاداء بينهم وان كان الغرض سيان .

ففي كل قطعة ادبية طرفان محبوكان هما الموضوع . والذاتية فيه . فالموضوع — كما رأيت — هو ما نحاول تقريره . واما الذاتية فيه فهي دافعنا الخاص على التقرير . وهي التي تطبع القطعة بطابعها الخاص . وتجعل لها هذا المنحى في التعبير . لان الادب بغض النظر عن فحواه يفترض مقدماً « انا » و« انت » . . الذات التي تسوق الحديث والذات التي يتوجه اليها الحديث . فهما العنصر الحي الذي يكتنف الموضوع من طرفيه . والادب انما يحتفل بالعلاقات التي تقوم بين هذين . ويتخذ الموضوع سبباً — لا اكثر ولا اقل — للجمع بينهما على مرسح واحد[2] .

ويتجلى لنا ذلك على اوضحه في قول ابن الدمينة يعاتب صاحبته « امامة » بهذه الابيات الرقيقة :

---

(١) راجع توطئة « الاساليب الشعرية » منشورات دار مجلة الاديب.
(٢) كتاب « الاساليب الشعرية ».

وأنتِ التي كافتني دلج السرى وجون القطا بالجلهتين جثوم
وانت التي قطعت قلبي حزازة وفرقت قرح القلب فهو كليم
وانت التي احفظت قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم

ثم ردها عليه — متألمة — في نفس الوزن والروي .

وأنتَ الذي اخلفتني ما وعدتني وأشمتّ بي من كان فيك يلوم
وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى ، وانت سليم
فلو انقولا يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

فسر اللقانة في الادب — اذا كان ثمة سر — هو في توفيق الاديب في تشخيص هذه العلاقات — رغم تنوع المواضيع — بين الذات الاولى « وهو الاديب نفسه » من جانب .. والذات الثانية « وهم الذين يخصهم الاديب بحديثه » من الجانب المقابل. على اوضح صورها للعيان : والمواضيع انما تأتي الاشادة بها عرضاً في كل حديث. لان جوهر الادب هذه العلاقات. فهذا هو الهيكل الذي اقنا عليه صرح نظريتنا في بحثنا « الاساليب الشعرية ».

فلو امعنا النظر في القطعتين السالفتين لوجدنا ان امرء القيس قد ساق قوله على غير اطمئنان بالعاقبة مساق نجوى، نفس وهو بعد مع صاحبه في الطريق . بينما يسوق ابو تمام قوله مساق حديث سر يلقي به بين الاخدان بعد ان خلف الطريق وراءه مطمئناً. هو الذي جعل للقطعتين طابعهما[٣] . وعلى ضوء هذه الحقيقة وحدها نستطيع ان نفسر قول النقاد القدماء — وفي مقدمتهم الجاحظ — « المعاني ملقاة على قارعة الطريق وانما قيمتها بالنسبة لكل قائل هي في مطابقتها لمقتضى الحال ».

وارجوك ان تجعل هذه الكلمة الاخيرة « مقتضى الحال » نصب عينيك .

ولا عبرة بقولهم « انظر الى ما قيل .. لا الى من قال » . فميزان التوفيق في الادب هو ان آثاره الصحيحة لا تفصح عن الحياة في كل « ما » قيل الا بالقوة التي تدل على « من » قال في آن واحد فلا تكاد تتناول اثراً ادبياً جديراً بالاسم الا وبدرت اليك روح الاديب من بين صفحاته تعلن عن نفسها ومحياها . وكل ادب لا تلمس فيه هذه الظاهرة هو ادب زائف فاقد لعنصر الحياة .

وفي قولهم « انظر الى ما قيل .. لا الى من قال » بعد مغالطة اذا كانوا حقيقة يفرقون بين القول وقائله . فمؤداه — اذا علمنا بان الحياة مجموعة متناقضات . وان لكل ظرف في الحياة حكمه — هو « .. لا تنظر الا الى نفسك .. فما وافق هواك فاقبله . وتغاض عما سواه .. » وهذه هي الفوضى بعينها في تقدير القيم .

(٣) المصدر نفسه - بابي الوصف والهوس.

يرفضها الادب صارخاً . فالحياة بآفاقها افسح من ان تدرك من مثل هذه الكوة الضيقة ومتى كان رضا الجمهور مقياساً للحكم يعول عليه؟ وماذا يبقى من الموضوع الا الاثر الموات اذا جرد من الذاتية فيه؟

ان هذه النظرية الهدامة هي التي حاولت التحكم في ادبنا — ادب الفطرة — اكثر من مرة . فباعدت بينه وبين روح الصدق وجعلت فيه الصنعة مرادفاً لمعنى الفن . كأنما الصنعة والفن شيء واحد . اذ فرضت على الشعراء — والمتشبهين بهم — ان يسلكوا نهجاً تقليدياً ابلاه قبلهم اناس .. لا يحيدون عنه يميناً او شمالا . فاذا سمع احدهم مثلاً قول القائل :

غنت ، فلم تبق فيّ جارحة الا تمنت بأنها اذنُ

حاول ان ينظم على غراره ولو جاء بمثل قوله :

يود وداداً ان اعضاء جسمه اذا انشدت ، شوقاً اليها ، سامع

حتى ساق المتأخرين مذهبهم الى المناداة « بالفن للفن » في لغة العصر الحديث .

وهكذا ظلوا يلقطون من فتات موائد الآخرين. متنكرين لانفسهم وما حولهم . حتى تنكرت آخر الامر لهم الحياة . فكل ما حفظ لنا الزمن من آثارهم هو هذه المومياآت المحنطة التي تشبه واحدتها الاخرى على كثرتها . ويغنيك عنها جميعاً شاعر كـ «طرفة» اطلق نفسه على سجيتها في شعره . وآمن — على قصر عمره — ان له كغيره شأناً هو في الحياة غير التقليد .

***

واذا سلمنا بان الحياة تطور . لاقترانها بالزمان الذي معناه عدم الثبات على حال . فان الشعور بها لا يمكن تصوره الا على اساس تنقلها من حال الى حال . فاذا بدا لنا في شعر المتنبي مثلاً انه صورة صادقة للحياة . فانما معنى ذلك ان المتنبي قد حفظ لنا في شعره لا صورة العالم الخارجي مسلوب الروح مجرداً من ملابسات الزمان والمكان ، بل مقروناً بذاته الحية في هذه الفترة التي طاب له كل مرة ان يجدد عهدها . على ضوء كل صلة تتجدد — على مرور الليالي — بينه وبين الاحياء . فهذا هو ما تحسه في قوله يخاطب سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن
فنادر الهجر ما بيني وبينكم بياض تكذب فيها العين والاذن

***

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم ثم استمر مريري، وارعوى الوسن
وان بليت بود مثل ودكم فانني بفراق مثله قمن

جيل مفقود

الى كل ضال يبحث عن معنى لوجوده

بقلم نهاد النكرلي

●

عزيزي س . . .

كان الصوت الذي سمعته ضعيفاً مبهماً ينبعث من المجهول، يكاد الصمت يطبق عليه، لولا انه اندفع متعالياً بصورة تدريجية حتى وصل الى مرحلة الوضوح والانسجام وعندئذ انتفض انتفاضة رهيبة وانتقل بطفرة هائلة من العدم الى الوجود، مزيحاً الستار عن افتتاحية موسيقية رائعة، راحت تؤكد نفسها بكل قوة وجلال.

تلك كانت بداية «السفونية التاسعة» لبيتهوفن التي استمعت اليها اليوم فبقيت مأخوذاً بروعتها كأني لم اسمعها من قبل. ثم لم اتمالك نفسي عن اخذ القلم والورق لاكتب اليك هذه الرسالة. اجل يا صديقي اني اشعر برغبة ملحة الى ان اعبر لك عما يختلج في نفسي من قلق واضطراب. ومن لي بغيرك اصف له مشاعري واطرح عليه مشاكلي التي تؤرقني ليل نهار، والتي كثيراً ما تتركني في حالة انفعالية عنيفة تفسد علي الاستمرار في اي مشروع او خطة اختارها لحياتي.

لا بد لهذه الحال من آخر ولا شك ان هذا القلق والاضطراب لو طال بي امدهما سينتهيان بي الى مأساة لا استطيع التكهن بها. غير اني لا اسألك علاجاً لحالتي ولا اطلب منك حلاً لمشكلتي لاني

حتى ان سيف الدولة قال — لما بلغته الابيات — « سار الرجل . . كأنه ادرك بفطرته العربية ما وراء قول الشاعر من حوافز . . استشف منها لتوه ان حال الشاعر في مصر لن تدفعه على قرار .

فالمتنبي في هذه الفترة انما يستعرض ذكرى ايامه السالفة في حلب وقد اصبحت جزءاً من التاريخ . متأثراً باقامته في مصر على ضوء ما يأنس نحو ممدوحه العظيم — بعد ان فارقه — من شعور قلب . هو الذي نراه جديداً هنا فذلك ما عناه الاقدمون بقولهم «مقتضى الحال»

***

وما دامت الحياة تحولا باستمرار . فان كل فترة ماضية يمكن تجديد العهد بها في كل فترة تالية مهما بعد بينهما الزمان . ولذلك يجب العاشق فلا يرى كفاء لتصوير حاله ان يقول « احب . . احب . . » حتى يستمر مع الحياة في تحديد عهده بالفترات الحلوة التي « مرت » عليه عاشقاً في كل فترة تالية ليعيشها مرتين . . مرة في نفسها وقد طواها الزمان ومرة في نفسه وهو يسابق الزمان . وانما هذا التجديد للماضي لا يتم — ولا يمكن ان يتم — الا بآية ما نقيم لاحيائه من الحاضر مسرحاً نتبادل عليه مع الآخرين الانفاس . وهذا ما يفعله الاديب عندما يبثنا ذات نفسه . ويتجلى لنا ذلك على اوضحه في قول ابن الدمينة يعاتب صاحبته « امامة » بهذه الابيات الرقيقة الانفاس . وهذا ما يفعله الاديب عندما يبثنا ذات نفسه .

وقد قالوا ايضاً « لا جديد تحت الشمس » وهم يصدقون . فعالمنا لم يزل هذا شأنه منذ كان . لولا شعورنا المتجدد بالحياة . فالعالم الخارجي موجود دائماً . وانما الذي يتجدد في الادب هو هذه العلائق بين ذاتين فتستنير الآفاق على ضوئها كل مرة بشعاع جديد حتى ليخيل لنا ان هناك بعثاً . ولا بعث هناك غير هذا الربيع المتجدد في طوايا النفوس .

فخير الآداب ما كان احفل بهذه العلائق . ولا شأن للادب وراءها . لانه اذا جاوز هذه العلائق كان ما شئت ان تسميه من الاسماء . الا ان يكون « ادباً » . لانه يفقد مائزه كسجل للحياة.

البحرية

ابراهيم العريض

اعلم علم اليقين ان هذه الحالة هي « حالتي » قبل كل احد من الناس وهذه المشكلة هي « مشكلتي » وان علي وحدي تقع مسؤولية اختيار الحل والعلاج.

لا ادري كيف ابدأ الحديث وهل سيكون بوسعي الافصاح عن مشاعري بصورة واضحة تتسع لها هذه الرسالة. انني شخص يائس، ويأسي من النوع الذي لا علاج له. فقد استيقظت فجأة — لا ادري متى وكيف — من نوم طويل، واذا بي انفض عن عيني آثار حلم هائل كنت مهدهداً فيه على ترنيمة الاوهام والخرافات، واذا بي اقف وحيداً على جبل مخيف من الاطلال البالية: معتقدات وتقاليد ومعايير اخلاقية. ثم لم لشعر الا وانا وحيد ازاء وجودي العاري لا اعرف كيف ابدأ المسير. ثم صرت اشعر بالغرابة لما بين الواقع وبين عالمي الخاص من الاختلاف غير اني يائس من امكان الملاءمة بين هذين العالمين، ولذلك لم اجد اي معنى في الكفاح ضد الناس الذين يعيشون من حولي والذين تربطني ببعضهم اواصر قوية من المودة والقرابة. لا يمكن ان ابرهن لهؤلاء الناس على اي شيء لانهم لن يقتنعوا بما اقول. كل فرد من حولي اخفاق شنيع يثير الرثاء الى حد البكاء اكثر مما يثير السخرية والضحك. وهم يعيشون في اجواء غريبة لا استطيع ولوجها لاني اختنق في هوائها، كما ان فكرة تغيير اوضاعهم تبدو لي سخيفة لاني مقتنع ان لا شيء يمكن تغييره الا اذا تغيرت قلوبهم وطبائعهم. ومن يستطيع تغيير قلوب هؤلاء الناس وطبائعهم؟ كل فكرة خاطئة هي فكرتهم وكل غاية تافهة هي غايتهم وما من مرة فكروا ان يزيحوا الستار بينهم وبين انفسهم لمواجهتها وسبر اغوارها، بل هم مندفعون في حياة بهيمية آلية شغلتهم عن انفسهم وعن كل شيء. ان الوحدة التي لشعر بها في مجالستهم مخيفة تجعل القشعريرة تدب في جسدي لهول الوحشة التي احسها معهم.

ولذلك وجدتني مضطراً في كل مرة الى العودة الى نفسي ابحث في اعماقها عن شيء يكون مصدر ساوتي واعتمادي. وطال بي امد البحث حتى كدت افقد الثقة بنفسي لولا ان اكتشفت ذلك الشيء فجأة. كان اكتشافي مثل بداية هذه السمفونية التي حدثتك عنها في صدر خطابي رهيباً زلزل كياني باجمعه: اني حر! ذلك ما اكتشفته وكانت الحرية هي السيل الذي انثال علي فجأة فشعرت بوجودي كله يرتعش تحت لمساتها السحرية. غير ان هذه الحرية قد خيبت ظني من ناحيتين. اولاً اني كنت ابحث عنها في مكان قصي من نفسي، معتقداً انها سر من الاسرار لن تناله يد انسان، واذا بها من القرب بحيث لم استطع رؤيتها في بادىء الامر. فهي لم تكن سوى نفسي. لقد كنت انا حريتي. وثانياً اني توقعت ان تغمرني سعادة شاملة في ذلك اليوم الذي اكتشف فيه لغزي او تعود الي راحة بعد تلك المشقة وهدوء بعد هذا الاضطراب. واذا بي بعد المفاجأة الاولى لا ازال على حالتي لم يتغير شيء في نفسي. فلا سعادة ولا راحة ولا هدوء. لا شيء سوى هذا العوز وهذا الفراغ والقلق اللذين يستحوذان على نفسي.

هنالك شيء آخر اكتشفته وساهم في تغيير مجرى حياتي وذلك هو عدم وجود معنى لهذه الحياة ولا غاية لهذا العالم باجمعه. ان هذا العالم الذي يطالعني صباح مساء بوجهه الذي لا يتبدل ينبئني انه عديم المعنى وانه سائر الى غير هدف لا يكترث بي ان مت او حييت. لكن هذا الاكتشاف لم يؤد بي الى الحزن والاستسلام بل دفعني الى التمرد على هذا الوجود ومقابلة عدم اكتراث العالم بالاستخفاف واللامبالاة. لقد علمت اكيداً بأني لن انتظر عوناً من احد واني وحيد يجب ان اصنع مصيري بيدي، وان اخلق غاية لحياتي واجاهد في سبيل بلوغها غير عابىء بالنتيجة سواء علي ان ادركتها ام لم ادركها لان قيمتي ستكون في هذا الاندفاع والجهاد نفسه. وقد صرت اعتقد ان املي الوحيد هو في ادراكي الكامل وقبولي لهذا العالم كما هو عليه، اذ ليست بي حاجة للجوء الى الاوهام لخلق معنى قبلي للكون واختراع غاية موهومة للانسان خارج الغاية التي يخلقها هو لنفسه. وبالرغم من اني عرفت ان مصيري المحتوم هو الموت والفناء فقد بقيت مقتنعاً بان انتصاري على هذا المصير لن يكون الا بتمردي عليه وخلق غايات ومشاريع تسبغ معنى على وجودي وعلى العالم الموضوعي باجمعه.

غير اني بعد هذه اليقظة العميقة لم اعد اعرف ماذا اصنع بحريتي ولا كيف اصوغ حياتي ولا اي معنى اختاره فامنحه لوجودي؟ اذا كانت الغايات كلها تافهة يساوي بينها نفس المصير، واذا كانت المعايير والاخلاق كلها من صنع الانسان وهي عرضة للتبديل والالغاء. فأية غاية اختارها لحياتي وبموجب اية قواعد اخلاقية تقويمية اسير؟ تلك هي المشكلة التي تؤرقني ليل نهار والتي لم اجد لها حلاً حتى الآن بالرغم من علمي الاكيد بان اختيار الحل امر لا بد منه ان عاجلاً او آجلاً، واني حتى لو قضيت حياتي في حيرة وتردد اكون قد اخترت موقف عدم الاختيار والتردد حلاً لمشكلتي.

هنالك غايتان تبدوان لي متعارضتين لا سبيل الى الجمع بينهما احداهما واقعية ملموسة محدودة المعالم يمكن ان الخصها في: زواج

وتأسيس عائلة وانجاب اولاد والسعي في جمع شيء من المال احقق به مقداراً من الرفاهية والراحة المادية . والغاية الاخرى غامضة غير محددة،وهي من السعة والتجريد بحيث يصعب تبينها والتأكد من بلوغها ، ويمكن ان اقول ان عناصرها الرئيسية بالنسبة لي هي : معاناة حياة حرة عميقة وخلق مثل اعلى سام وتكريس مجهود لتذوق ايات الفن الخالدة وتربية الذات ثم البحث عن شكل فني للتعبير عنها .

الاولى لا اشك في انها قريبة محدودة واضحة المعالم موجهة الى افراد معينين يمكن العمل على اسعادهم . غير اني انفر منها نفوراً شديداً لاني اجدها شائعة تدلف اليها الغالبية من الناس وهي تافهة لانها تساوي بيني وبين الآخرين وتجعلني مثلهم دودة حقيرة تدب على الارض نحو مصيرها المرسوم ، فضلاً عن اني اشعر شعوراً قوياً بعدم قدرتي على الحياة في جوها الخانق واني قد اصل الى مرحلة تكون حياتي فيها مستحيلة بالمرة .

والثانية أراها — بالرغم من حنيني الدائم اليها — غامضة غير موجهة الى افراد معينين من الناس . الطريق اليها موحشة مخيفة ، تترتب على من يسلكها التزامات هائلة نحو نفسه ونحو الجنس البشري باسره بالاضافة الى انه معرض للاخفاق في منتصف الطريق في كل لحظة . فاي الغايتين اختار ؟ وأي السبيلين اسلك ؟ اهي الغاية المحدودة المعروفة على ضآلة ما تبدو عليه من القيمة ام هي تلك الغاية الواسعة الغامضة التي تتبدى لي من وراء الضباب ؟ اية قواعد عامة استوحيها لكي تهديني سواء السبيل ؟ وأية اخلاق قبلية اعتمد عليها لتقويم هاتين الغايتين ؟ هذا هو سر التمزق الداخلي الذي اعانيه وتلك هي المشكلة الهائلة — مشكلة حياتي باسرها — التي تواجهني وتصرخ في وجهي مطالبة بالحل السريع . اني احس من اعماق قلبي اني لست وحيداً في مقاساة هذا الامتحان الهائل ، فهل من قبس في هذا الليل البهيم ؟ وكيف السبيل الى التوفيق بين حاجة ملحة للطيران السريع نحو عالمنا الخاص الذي لا نستطيع الحياة بدونه وبين هذا الجذب الهائل الذي تزهقنا به حاجاتنا المادية ومجتمعنا الرجعي وظروفنا الموئسة؟ تلك هي المأساة مأساتنا نحن وقد صرنا وحدنا أبطالها . وهذا ما آل اليه انهيار القيم واختلال الاوضاع والموازين في هذا القرن المجنون . لقد انطوى عالم الامس ، عالم الاستسلام والخلود الى السكينة والحلول الهينة الساذجة . وما هؤلاء الذين يصرون على العيش في متاحفه وقبوره الا غفلة نائمين يستدرون الرثاء اكثر مما يثيرون السخط . اجل لقد اختنق ذلك العالم الاملس الاجرب الذي لا ادري تحت اي قرميت يرقد الآن بعد ان تلفع ببرودته المتلالئة ! وها نحن اولا . واقفون على اطلاله — نحن ابناء الجيل المفقود — من دون ماض ولا مستقبل نحن كائنون وهذا هو كل شيء . قرأت مرة انه قد عرض في باريس عام ١٩٢٩ فلم غريب تحت اسم « الكلب الاندلسي »، وهو فلم هائل يثير الدوار . انه يصور شاباً وسيم الطلعة جالساً في غرفة يحلق وجهه والى جانبه فتاة رائعة الحسن تنظر اليه .

ثم يفجأ النظارة عندما يترك هذا الشاب الحلاقة بغتة ويهجم على الفتاة فيصيب احدى عينيها بالموسى التي بيده ، فتهب هذه كالمجنونة وتندفع تركض بدون وعي منها وهو يلاحقها خلال عدد لا نهاية له من الغرف والدهاليز ، والفتاة تبدو في جريها مرتدية ملابسها مرة وعارية مرة اخرى . ويحدث ان تنطبق احدى الابواب على يد هذا المطارد المريد فيرى المتفرجون بوضوح قبضته المتفسخة وفيها « يتنمش »عدد هائل من النمل والديدان لدرجة تبعث على الغثيان واخيراً وبعد مطاردة جنونية يقترب الشاب من ضحيته التي تخر على ركبتيها في آخر الغرف عارية واهنة القوى . لكن الفتى ما يكاد يدنو منها حتى تسحبه فجأة اوتار قوية مربوطة الى بيانين كبيرين قد علق على سطحها رأس حمار ميت يتدفق الدم من فمه بغزارة .

لعل هذا الفلم السيريالي يصور قلقنا وحالتنا في هذا القرن احسن تصوير . فالرعب والدم هما الرمزان الاصيلان لزمان هذا الجيل المفقود . ونحن بالاضافة الى قلقنا وحيرتنا نستشعر رعباً خفياً يكمن لنا في كل مكان ونستشف عبر الافق مصيراً هائلاً ينتظرنا . نحن لم نعد نطمئن الى القيم السالفة ولا نزال نجهل ما يجب ان تكون عليه القيم الجديدة ومن هنا منشأ هذا الجزع الروحي العنيف الذي نحسه . غير ان الذي ندركه جيداً منذ الآن هو انه على عاتقنا وحدنا يقع العبء الهائل لخلق القيم الجديدة وايجاد الحل لهذه المشاكل المخيفة التي تواجهنا وان الامر محتاج الى ارادة ومخاطرة وابتكار واننا وحيدون اما ان تصرعنا هذه المشاكل او ننتصر عليها

ترى هل تجد هذه الكلمات صدى لها في نفسك ؟ام انك ستصفني كعادتك بالمغالاة والابتعاد عن الواقع؟ كم يودي ان تستجيب نفسك انت ايضاً لهذا النداء الاصيل الذي احس ان نفوس الصفوة من شبابنا الحاضر تستجيب له . وكم يسعدني ان تصف لي رد الفعل الذي احدثته هذه الرسالة في نفسك .

وتقبل تحيات المخلص ف...

العراق - بعقوبة

نهاد التكرلي

من روائع الفن

الملحنة التاسعة

بقلم مجيد شريف

ان الخلق النبيل هو الذي يصنع الرجل العظيم وهذا الخلق هو الذي جعل من بتهوفن عظيما. «رومان رولان»



في بدأ بتهوفن كتابة ملحنته التاسعة عام ١٨١٧ كان الصراع العنيف دائراً بين الطبقة الاقطاعية والحكم المطلق من جهة ، وبين العمال والصناع الذين كانوا يقودون الحركة البرجوازية من جهة ثانية ، وذلك للحد من نظام الحكم الاستبدادي المطلق ، والاقطاعية المقيتة، وترك القضاء على الثورات القومية التي نشبت عام ١٨١٠ أثراً عميقاً في نفسه .

وكان الفنانون من شعراء وكتاب وغيرهم لا يقلون حماساً عن ثورة الشعب النفسية في القضاء على تلك الطغمة الاقطاعية وذاك النظام البائد ، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يخافون السلطات التي كانت تزج بأكثرهم لاقل اشارة تثير او تنبه الرأي العام الى الواقع المؤلم الذي يعانون شدته وقسوته .

غير ان الادباء من شعراء وكتاب اخذوا ينشرون ما يكتبون ويدعون الشعب الى النضال في سبيل التحرر من ربقة الاستبداد الاقطاعي بعد ان يغفلوا اسماءهم خشية من السلطات التي زجت بأكثر الادباء الجريئين في السجون والمعتقلات

ونشر الشاعر الالماني الكبير فريدريك شللر نشيده المعروف الحرية تحت عنوان بهجة او سعادة خوفاً من ان تمتد اليه يد السلطات فأخذه بتهوفن وجعله موضوعاً لملحنته التاسعة .

كان بتهوفن بدوره ناقماً على النظام الطبقي ؛ يحس بآلام الشعب ، ويلمس شقاءه ، حين بدأ كتابة ملحنته التاسعة عام ١٨١٧ وانتهى من وضعها عام ١٨٢٤ .

قال رتشارد واغنر : سيعجز البشر عن صنع ما صنعه بتهوفن، ان لحنه التاسع الاخير ينبئك بانه ما من بشري يستطيع ان يصل الى ما وصل اليه من سمو انساني في تفكيره وتعبيره .

***

في ٧ مايو عام ١٨٢٤ عزف بتهوفن ملحنته الخالدة في مسرح للمرة الاولى ، وكان المسرح غاصاً بالجماهير وقد ضاقت انفسهم وصدورهم من الاقبال الشديد ، ولقد كانت تداعب ادمغة الناس وقتذاك رغبة يتيمة أتوا ليعرفوا نتيجتها ، فقد كان بتهوفن اصم ، وكانوا يودون ان يعرفوا كيف وضع ذلك الاطرش لحنه هذا وان كان اكثرهم موقناً بان الفشل سيكون رائده ، كما فشل في المرة الماضية في غنائيته فيدليو .

ورفعت الستارة ، وران الصمت على النظارة ، واحتبست الانفاس ، واصاخت الاسماع ، وتوجهت الانظار نحو المسرح بتلهف . واستلم زمام رئاسة الفرقة الموسيقية الموسيقي المشهور اومباوف وجلس على مقربة منه بتهوفن نفسه وصديقه شندلر ، وانصتت الجماهير في اهتمام كبير .

وبدأت الحركة الاولى من حركات الملحنة الاربع تسري في المستمعين كسريان النار في الهشيم ، واحس كل مستمع بما يريده منه بتهوفن . كان يدعو الشعب المتألم المستكين دعوة جبارة هادئة الى الثورة والى بذل كل نفيس لنوال الحرية التي اغتصبها منه سادته ومستعبدوه ، عبر عنها بتهوفن بمحاورات موسيقية رائعة مليئة بالحياة وكلها دعوة صادقة مثالية الى النضال في سبيل الحرية . . الحرية التي يتوق اليها الشعب المحروم منها .

وما كادت هذه الصورة التي خلعها بتهوفن تستقر في اذهانهم حتى انتقلت الاوركسترا الى الحركة الثانية فطالع بها المستمعون فكرتين رائعتين، فقد استطاع بتهوفن بموسيقاه ان يتغلل في أعماق النفوس البشرية ، وافلح بتصويره الدقيق للآلام والمساوىء والبؤس والشقاء التي يقاسي الشعب مرارتها واستطاع ان يسمو بأفكارهم اليه ففهموا من وراء آلامهم .

واما الفكرة الثانية فهي واضحة تمام الوضوح ، فالشعب قام يريد الحرب ملبياً

الدعوة التي وجهت اليه لانتزاع الحرية التي تصبو اليها نفسه . ولكن الفكرة الاولى لا تلبث ان تعود اشد عمقاً يراودهم معها ذلك التفاؤل الذي صوره في ايمان الشعب بحريتـه ، فداعب افئدتهم ، واستقر في اذهانهم شيئاً فشيئاً بهدوء جميل .

وراع المستمعين في الحركة الثالثة الدعوة الصريحة في التريث والانتظار القلق لنوال التحرر المنشود والصبر والتضرع الى الله لانقاذهم من الظلم الذي مسهم حكامهم به . فكان يكبت شعورهم ذلك النشيد الديني الحزين الذي يرن في اسماعهم بين الحين والآخر دافعاً الى قلوبهم ونفوسهم الخشوع وكان يتخلل سمعهم دوي هائل دوي الامل والرجاء ، ذلك الطنين الذي عذب بتهوفن كثيراً قبل ان يفقد سمعه . لقد تلقوا دعوته هادئين ومتحفزين متشوقين الى الامل والرجاء الموعودين .

وبلغ حماس المستمعين اشده حين دخل الحركة الرابعة بذاك النداء المروع الرهيب ، نداء عميق يدعو النـاس للثورة المكبوتة التي طال امد انتظارها ، وتوترت اعصاب المستمعين حين تكررت دعوة النداء العميقة الصريحة . والتي كانت تتجاوب بين الحين والآخر مع موسيقى لهتاف غـامض . . موسيقى لنشيد حماسي يبدو ويغور ثم يعود من جديد كله فرح وسعادة وبهجة ، السعادة التي لا يمكن ان تتم الا بالثورة والدعوة لها والايمان بها . وما زال هذا النشيد المهيج يتكرر حتى دوى صوت المنشدين ينشدون نشيد شلار بحماس جارف .

وما كاد العازفون والمنشدون ينتهون من العزف والغناء اللذين استمرا ما يقارب الساعتين حتى خيم الصمت قليلاً على الجمهور الذي اخذته روعة الالحان الساحرة الصاخبة ثم انفجر بما استبد به من حماس يصفق ويهتف ويلقي بقبعاته في الفضاء .

واسدلت الستارة على المسرح وبتهوفن لم ينتبه الى كل هذه الضوضاء التي احدثها المتفرجون اعجاباً فقـد كان ظهره اليهم ، ورفعت الستارة ثانية فعلا الهتاف والتصفيق الذي لم ينقطع من جديد ولكن بتهوفن بقي مسمراً في مكانه لم تحركه هتافات اهل فينا واخيراً حين رفعت الستار المرة الثالثة بعد اسدالها نهض بتهوفن في هـذه المرة ليرد على تحية الشعب بعد ان نبهه الى ذلك الموسيقار الكبير اومباوف ولمارأت الجماهير ان بتهوفن لم ينتبه اليها الا في تلك المرة فقط غلبها التأثر والشفقة عليه . فقد كان لا يسمع حتى اعجاب الشعب بـه ، وكانت الدهشة والعجب باديين على وجهه .

وحين رأت قوات الشرطة ان الشعب هتف ثلاثاً لبتهوفن وهي عادة درج عليها الشعب في تحية امبراطوره تدخلت لترغم الشعب على الهتاف مرة لرب الموسيقى ، ولكن تلك الجماهير الغفيرة لم تكن في حاجة الى هذا التدخل لانها هتفت من تلقاء نفسها مرة رابعة ثم اعقبتها بالخامسة .

وبكى بتهوفن حين رأى هتافـات الشعب الذي لا يسمعه . . لقد حقق رسالته التي كافح من اجلها آلامه وشقاءه والقدر ، ولكن ملحمته هذه كانت كلها ايمان بالله الذي انكره زمناً طويلاً .

وسأله شندلر فيما بعد كتابة لمَ تبكي يا لودفيج ؟ فاجابه بتهوفن وهو يرنو ببصره الى الافق : اني سعيد . . سعيد لاني استطعت ارشاد الناس الى طريق السعادة والخلاص . ولكني في الوقت ذاته تعيس . . نعم لقد اسرت الناس بموسيقاي التي الفتها وانا اصم ، ولكني يا صديقي تواق الى سماع ما الفت ، تواق الى سماع ما روع الشعب . . ولكن عبثاً فلن استطيع ذلك . . أأحرم انا واضع هذه الموسيقى من الاستماع الى الحاني . . الحاني التي خططتها بيدي . . سأكتفي بان ابكي . . وابكي تعاستي الدائمة . . تعاستي التي تأبى مفارقتي .

اصيب بتهوفن في اواخر عام ١٨٢٦ بذات الجنب إثر عودته من سفر طويل شاق في الشتاء . فأهمل نفسه ، كما اهمله اصدقاؤه واخذ يكافح مرضه بارادته الجبارة دون الاستعانة حتى بالطبيب ، وحـين انتبه اصدقاؤه اليه كان المرض قد استحكم فيه وتمكن منه ، فصار شفاؤه امراً صعباً ومع هذا اجرى له الاطباء اربع عمليات جراحية فشلت جميعها وكانت النهاية بعد مرضه بأربعة اشهر وتوفي في مارس سنة ١٨٢٧ ولقد قال قبل وفاته : « لعل الخير وكل الخير في ان يتخلص الانسان من آلامه واحزانه بالموت ولما فتحوا قبضة يده فيما بعد وهو مسجى في فراشه وجدوا فيهـا منديلاً حريرياً انيقاً طرز في زاوية منه اسم (تريزا) هو كل ما بقي له من آثار حبه « لتريزا دي برونسفيك » .

وورى الثرى في ذلك اليوم ومشى في جنازته ثلاثون الفاً من المعجبين به والمقدسين لفنه . فانشحت فينا من اقصاها لاقصاها بالسواد حزناً عليه ، وكان يحمـل نعشه اصدقاؤه وتلاميـذته الكثر من بينهم الارشيدوق رودلف وفرانز شوبرت .

وفي تلك الليلة نفسها بعد ان خلت المقبرة من النـاس دخلت امرأة مجللة من رأسها الى اخمص قدميها بالسواد المقـبرة وقد اخفت وجهها بوشاح اسود ووقفت امام قبره تبكي بكاء صامتاً حاراً . . وهكـذا كانت الكونتس تريزا دي

فان فلوتن والضريبة في خراسان

بقلم عواد مجيد الاعظمي
ليسانسيه شرف بالعلوم الاجتماعية

لبس موضوع الضريبة في خراسان بالموضوع السهل البحث، لدقته وصعوبة الخوض فيه... ولكن أهميته في التأريخين الساساني والاسلامي، يستوجب من المؤرخين العناية به، وتفصيله والوقوف على حقائق لا تقبل المنافسة والجدل. ولا غرو ان يعترف بعض المؤرخين المحدثين بصعوبة الموضوع ودقته. فقد ذكر فان فلوتن « انه من الصعب جداً ان يقف المؤرخ على رأي صحيح فيما يتعلق بالضرائب بخراسان في عهد العرب»[1]. كما ذكر الدكتور الدوري « انه من الصعب التمييز بين هاتين الضريبتين – الجزية والخراج – في العهد الفارسي، فلم يكن الفرس مثلاً يميزون بين كلمتي الجزية والخراج »[2].

وقد لفت فان فلوتن نظري بخصوص الضريبة في خراسان الذي حدا الى تذليل الصعوبات المارة الذكرا والخوض في مناقشته وبيان عدم الدقة في رأيه، حيث ذكر. « انه كانت في خراسان ضريبة واحدة على الرؤوس كانت تدفع نقداً.»[3] « وترجع هذه الطريقة الى عهد الاكاسرة »[4].

ولكن هناك من النصوص التأريخية ما يبين ان الضريبة في خراسان مرت في ادوار متنوعة تبعاً للظروف التي كانت تتحكم فيها منذ عهد الدولة الساسانية حتى الفتوح الاسلامية في زمن عمر بن الخطاب والخلفاء الامويين. ولذلك فقد وددت في هذا الموضوع مناقشة فان فلوتن وبيان بعض التفصيلات بخصوص الضريبة في خراسان.

ان ما اورده فان فلوتن من وجود « ضريبة واحدة » ليس بالنص الصريح، انما هو مجرد استنتاج كما يذكر هو « ومن اليسير علينا ان نستنتج من ذلك انه لم يكن في تلك البلاد سوى ضريبة واحدة »[5] واستنتاجه هذا مستند على قول الطبري « وسائر

(١) فان فلوتن – السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات – تعريب حسن ابراهيم حسن – القاهرة ١٩٣٦ – ص ١٣٦.
(٢) الدكتور الدوري – العصر العباسي الاول – بغداد ١٩٤٥ ص ٤٨.
(٣) فان فلوتن – ص ٤٨ – ويذكر الدوري نفس ذلك – ص ١٧.
(٤) « « – ص ٥٠ (٥) « « – ص ٤٩

برونسفيك الوحيدة التي كانت تؤم قبره وتسقيه بدموعها واحزانها الى ان توفيت.

قالت فيه بتينا برنتانو: عندما رأيته لاول مرة انساني نفسي وكل شيء حولي، انساني العالم.. اي انسان هذا الرجل الفذ، اني اقسم بان هذا النابغة قد سبق عصرين بزمن ولن يفهمه البشر، ولكن الاجيال القادمة ربما فهمته

وقال فيه الكاتب الالماني الكبير اميل لودفيج: ان عصر الطغاة شهد الكثير من الرجال العظام والفنانين الكبار. ولكن منذ عصر الطاغي نابليون بونابرت حتى يومنا هذا لم يشهد التاريخ عبقرية اعظم من عبقرية بتهوفن.

وهكذا قدر لهذه العبقرية المتألمة ان تنتصر على آلامها وشقائها واحزانها وان تؤدي رسالتها الفنية رغم صممها الوبيل وبعثت الظفر من الظلام المحيط بها، لقد انتصرت هذه العبقرية الفنية على آلامها بموسيقاها وانتهت آلامها التي رافقتها الى القبر بالموت حيث حلقت روحها الطاهرة نحو العلاء اللانهائي في جنان الله الواسعة حيث ترقد هناك وتتلمس السعادة والراحة المرة الاولى في حياتها الابدية.

دمشق — صبيح شريف

السواد ذمة – واخذوهم بخراج كسرى على رؤوس الرجال »[٦]. واذا دققنا هذا النص نرى انه لا يشمل خراسان اذ ان كلمة « السواد لا تشمل الا العراق الجنوبي ، والبصرة »[٧].

وقد ورد في الطبري والبلاذري وغيرهم من المؤرخين، نصوص تأريخية تبين ان ملوك الفرس كانوا يفرضون الخراج على الارض ، والجزية على الرؤوس ، على رعاياهم من الفرس والكور المفتوحة. فيذكر الطبري « ان البلاد لما قحطت في عهد فيروز سبع سنين متوالية وعم اهل بلاده المجاعة ، والشدائد ، فكتب الى جميع رعاياه يعلمهم انه لا خراج ولا جزية ولا نائبة ولا سخرة »[٨]. ويؤكد الطبري من ناحية اخرى استحصال ضريبتي الجزية والخراج من رعايا الفرس ، « ان ملوك الفرس قبل كسرى يأخذون من كورهم من خراجها الثلث ومن كور الربع ومن كور الخمس. . . على قدر شربها وعمادتها. . . ومن جزية الجماجم شيئاً معلوماً »[٩]. وقد ذكر بنجامين « ان كسرى فرض الضرائب المقررة على اشجار الفواكه ، وعلى الملكية الفردية Personal property »[١٠]. وفي الانسكلوبيديا البريطانية نص يبين « ان النبلاء في ظل الدولة الساسانية يعتمدون في قوتهم على ما يقدم اليهم من المنح المالية على الارض والرجال Sand and Men »[١١]. . .

واذا انتقلنا من العصر الساساني الى العصر الاسلامي في ظل الخليفة عمر بن الخطاب (ر) حيث فتحت بعض كور خراسان في زمنه ، وعثمان بن عفان (ر) ، وعلي بن ابي طالب (ر) ، ترى انه قد فرض على بعض كورها علاوة على الجزية – فرض الخراج على الارض ايضاً. ويستدل على ذلك من قول فان فلوتن نقلاً عن طبقات ابن سعد ان جباة الخراج في فارس كانوا يتدخلون في شؤون المزارعين للاستفادة من محاصيلهم الزراعية ، فقد اعتاد جباة الخراج في بلاد فارس تقويم المحاصيل قبل زمن الحصاد وارغام المزارعين على النزول لهم عنها بثمن اقل من الثمن الذي يتبايع به الناس »[١٢]. وقد ذكر تريتون « ان عمر بن الخطاب فرض ضريبتين ، ضريبة الارض « الخراج » – « Sand - Tax »، وضريبة الرأس – « الجزية » « Pall - Tax » على جميع انحاء الامبراطورية »[١٣]. زد على ذلك ما جاء في نصوص المعاهدات التي عقدت مع قواد العرب الفاتحين من جهة ، ودهاقنة بعض كور خراسان من جهة اخرى ، ما يبين فرض الجزية ، والخراج عليها . « فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمار بن ياسر عامله على الكوفة يأمره بان يبعث عمر بن زيد الى الري والقوس . فصالحوه على ان يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج[١٤] » وان عماراً هذا صالح عظيم هراة وبوشيخ وباذغيس صالحه على سهلها وجبلها وعلى ان يؤدي جزية ما صالحه عليه ، وان يقسم ذلك عل الارضين عدلا بينهم ». وقد صالح عبدالله بن خازم في زمن عثمان اهل نيسابور على ٣٠٠ الف درهم ويقال على احتمال الارض من الخراج » وقد صالح ابن عامر اهل هراة على الف الف درهم ومائتي الف جريب من بر وشعر . ومما يؤكد وجود الخراج على الارض من خراسان ما اورده ابو يوسف « اما ارض البصرة وخراسان فانهما عندي بمنزلة السواد. من ذلك ما فتح عنوة فهو ارض خراج، وما صولح عليه أهله فلا يزاد عليهم، وما اسلم عليه فهو عشر. وهناك من المعاهدات ما تبين فرض الجزية على بعض كور خراسان دون الخراج . ففي زمن علي بن ابي طالب « حيث قدم ماهويه مرزبان مرو علي بن ابي طالب. . وكتب له الدهاقين والاساورة ان يؤدوا اليه الجزية » كما ذكر الطبري « هذا ما اعطى سويد اهل قومي من ان يؤدوا الجزية ».

فهذا هو وضع الضريبة في خراسان في العهدين الفارسي والاسلامي – الخلفاء الراشدين – حيث انه كانت فيها ضريبتان اساسيتان هما الجزية على الرأس – والخراج على الارض – وكانتا تؤخذان بصورة متفاوتة وعلى بعض الكور من خراسان دون الاخرى تبعاً للظروف السلمية والحربية التي كانت تحيط بها خاصة في العهد الاسلامي . وعلى هذا يصح قول فان فلوتن بخصوص الضريبة في خراسان غير دقيق اساساً . وسنعود للقارىء في بحث قادم وضع الضرائب في خراسان خلال العصر الاموي مبينين اهم التغيرات والتبدلات التي طرأت عليها والتي اغفلها فان فلوتن في بحثه عنها .

بغداد — عواد مجيد الاعظمي

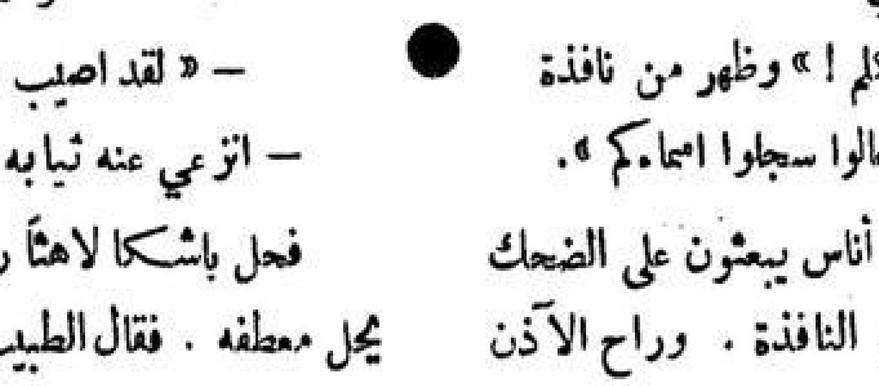
---

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٩.
(٧) الخراج ، ابو يوسف ، ص ٤
(٨) الطبري ، ج ٢ ص ٨٣
(٩) نفس المصدر ، ص ١٢٢
(١٠) G. W. Benjamin - Persia - Lon. P. 230
(١١) British Encyclopedia. Lon. P. 59
(١٢) فان فلوتن، ص٢٨، كرد علي- الاسلام والحضارة العربية-ص١٧٨
(١٣) A. S. Tritton - The Caliphs on their non Muslim Lon. 1930.P. 197
(١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، القاهرة ص ٣١٣

الفنار

لانطون تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب



انها قصة لا نهاية لها . فقد كان باشكا وامه ، والمطر قد بللهما ، يقطعان سيراً على الاقدام الطريق الطويل فرسخاً بعد فرسخ ، اولاً خلال الحقول المنخفضة ، ومن ثم في ممرات الغابة الندية حيث كانت الاوراق الصفراء تتكسر تحت اقدامهما . وهكذا حتى بزوغ الفجر . وبعد ذلك وقف باشكا ساعتين في ممر البهو المظلم منتظراً فتح الباب . وكان جو البهو دون ادنى ريب ، اكثر حرارة وأقل رطوبة منه خارجاً . الا ان الريح النافذة كانت تحمل حتى هناك قطرات المطر . وبينما كان البهو يمتلىء ببطء بالمرضى ، شق باشكا طريقه بين الجمع ، ثم ضغط وجهه على معطف مؤلف من جلد الماعز كان يشتم منه بقوة رائحة السمك المملح ، وراح في غفلة .

وأخيراً أرخي المزلاج وفتح الباب . فوجد باشكا وامه نفسيهما في غرفة الانتظار . وبالرغم من ذلك بقي امامهما انتظار طويل آخر ! وكان المرضى جلوساً على بنوك ، وليس من يتحرك ، ولا من يفتح فاه . وراح باشكا يتفرس في هذا الجمع ، ومثلهم امسك عن الكلام بالرغم من مشاهدته اشياء عديدة ، لا تفسير لها ، تبعث على الضحك . ولكن حدث ، عندما دخل طفل صغير الغرفة قافزاً على رجل واحدة ، ان وخز جانب امه ضاغطاً على ذراعها وتمتم :

— «انظري يا اماه — هذا العصفور الدوري»! .

— « لا تتكلم يا صغيري ، لا تتكلم ! » وظهر من نافذة صغيرة وجه الآذن التعس وقال : — « تعالوا سجلوا اسماءكم ».

وتجمع المرضى المنتظرون ، بينهم أناس يبعثون على الضحك واطفال يثبون على قدم واحدة ، حول النافذة . وراح الآذن يسأل كلاً عن اسمه ، وعمره ، وقريته ، وتاريخ مرضه ، واسئلة اخرى . وعرف باشكا من جواب امه ان اسمه بافل جالاكتيونوف ، وان عمره سبع سنوات ، وان مرضه ابتدأ في عيد الفصح .

ومر فاصل قصير بينما كانت الاسماء تدون ، ومن ثم دخل الطبيب غرفة الانتظار في مئزر أبيض ، وقد القى منشفة على كتفيه وعندما مر بجانب الولد القافز ، هز كتفيه وقال في صوت غنائي :

— انك حمار ! قل لي الآن الست حماراً ؟ لقد اخبرتك كي تأتي نهار الاثنين فجئت يوم الجمعة ! لا تقلق كثيراً ما دامت القضية تهمني شخصياً . اما اذا كنت ايها الفتي عديم الحذر ، فلا بد انك خاسر رجلك ».

وارتجف الصبي القافز وكشر بصورة تدعو الى الشفقة وكأنه يسأل احساناً وقال :

— « ايفان نيقولايتش ، كن لطيفاً حتى . » . فقال الطبيب مغتاظاً : — « لا تتعب نفسك بالكلام ! لقد قلت لك ان تأتي يوم الاثنين . يجب ان تطيع ! انك حمار ، وهذا كل شيء ».

وابتدأت المعاينة . فجلس الطبيب في غرفته ، ونادى المرضى بالتتابع . وكان ينطلق من الغرفة بين الفينة والفينة صراخ حاد النغمة ، ونشيج الاطفال ، وصياح الطبيب الغضبان :

— « لا تعو ، انني اريد ان اقتلك ! اجلس بهدوء » !

وجاء اخيراً دور باشكا . فصاح الطبيب : « بافل جالاكتيونوف ». وفوجئت ام باشكا في البدء وكأن استدعاءه لم يكن منتظراً . ولكنها تمالكت نفسها ، فأخذت بيد باشكا وقادته الى غرفة الطبيب . وكان الطبيب جالساً على الطاولة يدق بطريقة ميكانيكية بطرقة خشبية صغيرة على كتاب ضخم . وسأل دون ان يتطلع الى من دخل . — « ما الامر ؟ ».

فأجابت ام باشكا بينما تبدلت عبارات وجهها وكأنها هي نفسها متألمة من مرض طفلها :

— « لقد اصيب ولدي بدمل في ذراعه يا باثيوشا ».

— انزعي عنه ثيابه .

فحل باشكا لاهثاً ربطة عنقه ، ومسح انفه بمرفقه ، وابتدأ يحل معطفه . فقال الطبيب متهيجاً :

— « هل جئتني في زيارة ايتها المرأة ؟ لمَ لا تسرعين ؟ هل انت الوحيدة التي تنتظر ؟» فألقى باشكا بسرعة معطفه على الارض ، ونزع عنه قميصه بمساعدة امه . فتطلع اليه الطبيب وهو يفكر بامور اخرى . ثم لطمه على معدته المكشوفة وقال :

— « عظيم ايها الاخ باشكا ، انك تبدو اكبر من سنك الحقيقية ». ثم اضاف بعد تنهدة قصيرة :

— « ارني مرفقك ! » وارتاع باشكا من كأس ماء مخضب بالدم

وتطلع الى مئزر الطبيب وابتدأ يبكي. فصاح الطبيب بسخرية:

— « يا للعار ! انه كبير حتى ليستطيع الزواج ! ومع ذلك فقد اخذ يعوي . عار عليك ! » فحاول باشكا ان يوقف دموعه وتطلع الى امه وعبارات وجهه تقول :

— « لا تخبريهم في البيت انني بكيت في المستشفى » وفحص الطبيب الذراع ثم قرصه وتنهد وتلمظ بشفتيه ثم عاد يلمس الذراع قائلاً :

— « ينبغي ان تجلدي ايتها المرأة ! لمَ لمْ تجيئي به على عجل ؟ ان الذراع قد فقد تقريباً ! انظري اليه ايتها البلهاء ، الا تستطيعين رؤية المفصل قد اصيب ؟ » فأجابت الام :

— « انت اعرف بهذا مني يا باتيوشكا » .

— « يا باتيوشكا ، ان ذراع الصبي متعفن وأنت تأتيني يا باتيوشكا . اية مهنة يستطيع بدون ذراع ان يمتهنها ؟ وجب عليك ان ترضيه طول الحياة ! لو اصبت بدمل صغير في انفك فسوف تركضين الى هنا للمعالجة . ولكنك تتركين ولدك الصغير يتعفن لمدة ستة اشهر ! انكم جميعاً سواء ايها البشر » !

واشعل سيجارة . وبينما كانت تحترق كان يعنف ام باشكا مهمهماً بنغمته ، حاكاً رأسه بانتظام ، ومفكراً في اشياء أخرى وكان باشكا العريان واقفاً امامه يستمع اليه ويراقب الدخان المتصاعد من لفافته . ووقف الطبيب عندما انتهى من التدخين وقال بصوت منخفض .

— « اصمتي ايتها المرأة ! ان المراهم والخلائط لا تفيد في هذه الحالة ، يجب ان تتركيه هنا » .

— « اذا كان ذلك واجباً يا باتيوشكا فليكن » . وقال الطبيب وهو يضرب على كتف باشكا :

— « لا بد من عملية .. وانت يا باشكا يجب ان تبقى . سوف نترك والدتك تذهب اما انت يا اخي ، فعليك البقاء هنا . ان الحياة ليست رديئة هنا ايها الاخ ! ان عندي غابة توت عليق . وسوف نذهب معاً — انت وأنا — عندما تتحسن صحتنا لنمسك العصافير . وسوف اريك ثعلباً . وسوف نزد الزيارات معاً اليس كذلك ؟ انك تريد البقاء ؟ وسوف تأتي والدتك الى هنا في الغد » .

فتطلع باشكا بنظرة استفهام الى والدته فقالت :

« يجب ان تبقى يا صغيري » فاعاد الطبيب مرحاً :

— « بالطبع سيبقى ، ليس هناك ما يستدعي النقاش . سوف اريه ثعلباً حياً . وسوف ننزل الى السوق ونشتري السكر نبات . خذيه الى الطابق العلوي يا ماريا دينيسوفنا » .

ومما لا شك فيه ان الطبيب كان رجلاً مرحاً وثرثاراً ، وقد جذب اليه باشكا ، وكل ذلك لان هذا لم يكن يعرف السوق ، وهو يريد ان يرى ثعلباً حياً .

ولكن امه ؟ ! لقد فكر بالمسألة وقرر ان يطلب من الطبيب ان يبقيها الى جانبه ، ولكنه قبل ان يحاول فتح فمه كانت الممرضة قد اوصلته الى الطابق الثاني . فتطلع حوله بفم شاغر . لقد كان كل من السلم والارض والابواب مدهونة باللون الاصفر الجميل . وكانت رائحة الزبدة المغربة تفوح في كل مكان . والانوار مضاءة في كل جهة ، والسجاد ايضاً . ومن كل حائط كانت تبرز حنفيات الماء الصفراء اللون ولكن باشكا كان مسروراً لان سريره كان اخضر خشن اللحاف وتحسس المخدة واللحاف ، وفكر في ان قصارى الكلام هو ان الطبيب يملك منزلا فاخراً .

كانت قاعة صغيرة تحوي ثلاثة اسرة . شغر اولها واحتل باشكا ثانيها ، وجلس في الثالث شيخ برزت عيناه ولم يكن لسعاله انقطاع ، يبصق في زجاجة صغيرة . وكان باشكا وهو في سريره يستطيع ان يرى من خلال الباب المفتوح قسماً من قاعة اخرى تحوي سريرين ، جلس في الاول رجل نحيف اصفر اللون وضع على رأسه كيس من الكاوتشوك الملي. بالماء ، بينما جلس في الثاني فلاح مبتعد الذراعين مضمد الرأس ، يشبه الى درجة بعيدة امرأة تقدمت بها السن

وبعد ان وضعت الممرضة باشكا في السرير تركته وخرجت وعادت مباشرة بحفنة من الملابس وقالت له :

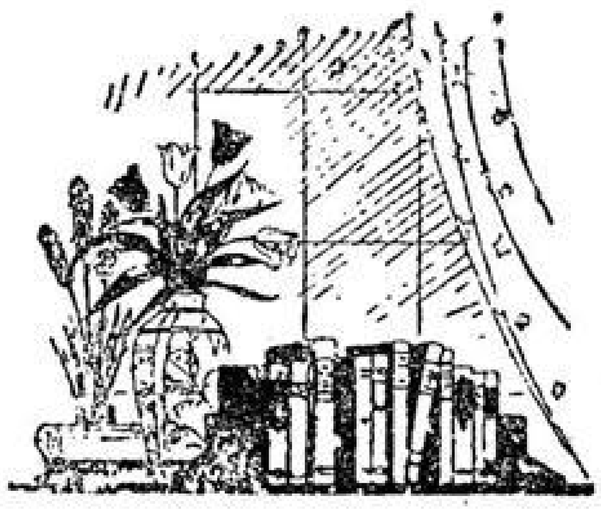
— « هذه لك فالبسها » .

فنزع باشكا عنه ثيابه القديمة ، وبجذل خفيف كسا نفسه بالثياب الجديدة . وبعد ان ارتدى قميصاً وسروالا و« مشاية » خضراء اللون تطلع الى نفسه مبتسما وفكر انه يود كثيراً لو يسير في شارع القرية في ثيابه الجديدة هذه . وصورت له مخيلته امه ترسله الى حديقة المطبخ بالقرب من النهر ليقتطع الملفوف للخنزير بينما يلتف فتيان وفتيات القرية حوله متطلعين بحسد الى مشايته .

وعندما رجعت الممرضة ثانية كانت تحمل صحنين وملعقتين وقطعتين من الخبز . فأعطت احدهما للشيخ والآخر لباشكا وهي تقول :

— « كلا » .

وعندما تفحص باشكا الصحن وجده مليئاً بشوربة دسمة مع قطعة من اللحم في قاعه . ومرة ثانية حلم ان الطبيب يعيش برخاء.



الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٥ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينيا
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

وان غضبه كان اقل من نصف ما اظهر ، فشرب الشوربة لاحساً الملعقة بعد كل لقمة . وحين لم يبق الا اللحم ، رمى نظره الى جانب الشيخ وشعر بالغيرة . وبعد تنهدة بدأ يأكل قطعة اللحم محاولا ان يأتي عليها في اطول وقت ممكن . ولكن جهوده كانت عبثاً ، فما لبث اللحم ان اختفى سريعاً . ولقد بقي الخبز فقط . ان الخبز بدون الملح طعام لا طيب له ، ولكن ليس هناك اي دواء ، وبعد ان وزن المعضلة ، تعدى الخبز وأكله . وعندما اتى عليه تماماً عادت الممرضة بصحنين جديدين كانا يحويان هذه المرة لحم البقر المشوي والبطاطا . وسألت :

— « اين هو خبزك ؟ » ولكن باشكا لم يجب ، بل بسط خديه نافخاً في الهواء . فقالت الممرضة موبخة :

— « لقد التقمته كله ؟ ما الذي ستأكله مع « وقمتك » ؟ . ثم تركته وعادت بخبز من جديد . ان باشكا لم يذق طوال عمره لحم البقر المشوي ، وقد وجده طيب المذاق جداً حين جربه الآن . ولكنه اختفى في ثوان معدودات ؟ ومرة ثانية لم يبق سوى الخبز ، وكان منه قطعة اكبر من السابقة . وكان الرجل المسن قد انتهى من غدائه ، فأخفى قطعة الخبز في جرار ، فعقد باشكا النية ليفعل الامر نفسه ، ولكنه بعد لحظة من التردد التهمه بكامله .

وخرج بعد الغداء ليرود المكان . فوجد في القاعة الثانية اربعة رجال ، بالاضافة الى اولئك الذين رآهم من فراشه . ولكن واحداً فقط استرعى انتباهه . وكان هذا ، فلاحاً طويلاً بارز العظام . مكتئباً كثير الشعر في وجهه ، جالساً في سريره يحرك رأسه دون انقطاع ، ويحرك ذراعيه كرقاص الساعة ولم يستطع باشكا ان يوجه انتباهه الى جهة اخرى . ففي البدء كانت حركات الفلاح الراقصة الموزونة تبدو سخيفة تفيد تسلية المتفرجين ولكن باشكا حين رنا بنظره الى وجه الفلاح اولا عرف ان هذا يعني ألماً لا يطاق ، وشعر بالاسف .

وكان هناك في القاعة الثالثة رجلان ووجهاهما اسودان محمران ، محمران كما لو كانا حُبسا بالاصطال كانا جالسين في سريريهما دون حراك يشبهان بوجهيهما الغريبين وسوالفهما المختبئين تقريباً ، إلهين وثنيين . وسأل باشكا الممرضة :

— « عمتاه ، لمَ هما على هذا الشكل » ؟

— « انهما مصابان بالجدري ايها الصغير » .

وعندما عاد باشكا الى غرفته جلس في سريره ، وانتظر ان يأتي الطبيب ويلتقط معه العصافير او يصحبه الى السوق . ولكن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطبيب تأخر . وعلى باب القاعة الثانية وقف الآذن مدة لحظة ، ثم انحنى على المريض وفي يده كيس الثلج وصاح .

— « ميكاياو ا » ولكن ميكاياو النائم لم يسمع . فحرك الآذن يديه وخرج . وابتدأ باشكا يتطلع الى جاره منتظراً مجيء الطبيب .

وتابع الرجل المسن سعاله وبصاقه في داخل الزجاجة . وكان سعاله يقزز النفس . ولكن شيئاً واحداً سرّ باشكا الى درجة بعيدة . اذ ان الرجل العجوز بعد ان سعل وزفر زفرة عميقة راح شيء يصفر في صدره ويغني بأنغام مختلفة :

— « جداه ، ما هذا الذي يصفر في داخلك ؟» . ولكن الرجل المسن لم يجب . فانتظر باشكا لحظة ثم عاد يسأله ثانية :

— « جداه اين الثعلب »؟

— « اي ثعلب » ؟

— « الثعلب الحي » .

— « اين يجب ان يكون ، في الغابة بالطبع » .

ومرت الساعات ، ولكن الطبيب لم يأت . وفي النهاية جلبت الممرضة شاي باشكا وعنفته لانه تناول الخبز ، وعاد الآذن وحاول ان يوقظ ميكاياو ، وكانت المصابيح قد اضيئت ، ولكن باشكا اضطجع في سريره وابتدأ يفكر . ففكر في السكر نبات الذي وعده الطبيب به ، وفي وجه أمه وصوتها ، وفي ظلام الغرفة في المنزل وفي المتذمر يجوروفنا . ثم شعر فجأة بالتعب والحزن ، ولكنه تبسم وأحس بالنوم يراوده حين ذكر ان امه ستأتي في الصباح .

واستفاق على ضجة رجال يسيرون في الغرفة المجاورة ويتحدثون بخفوت . وكان وميض ضوء الليل المظلم والمصابيح تظهر ثلاثة وجوه تتحرك بالقرب من سرير ميكاياو . وسأل احدهم :

— « هل سنأخذه مع الفراش ، ام مثلما هو ؟» .

— « مثلما هو . فليس هناك من مكان للفراش . آه ، لقد توفي في ساعة رديئة . فلتحفظ السماء نفسه » !

— وحينئذ — أخذ احد الوجوه الثلاثة كتفي ميكاياو ، وآخر رجليه — ومن ثم رفعوه . فبقيت ثنية شرشفه معلقة به في الفضاء . اما الثالث — وكان شبيهاً بالنساء الفلاحات — فرسم لنفسه اشارة الصليب . ومن ثم حرك الثلاثة اقدامهم متعثرين في ثنايا الشرشف ، وخرجوا من القاعة . وكان صدر الرجل النائم يصفر ويغني في نوتات مختلفة . فاستمع باشكا اليه ، وتطلع بنظرة خوف الى النوافذ السوداء وقفز من سريره بخوف وصاح : « اماه » !

وبدون ان ينتظر اي جواب اندفع الى القاعة المجاورة . كانت المصابيح وضوء الليل تضيء شيئاً من الظلام بصعوبة جمة ، والمرضى الواجمون من وفاة ميكاياو جالسين في اسرتهم عابسين ، شعث الشعر ، مغمورين بالاخيلة يشبهون العمالقة ، وكان يبدو ان حجومهم تزداد بالتدريج . وبعيداً في زاوية سوداء جلس أحد الفلاحين مطأطئاً رأسه ومحركاً يديه المتذبذبتين . ومر باشكا ، بدون ان يرى الباب ، وسط قاعة الجدري حتى الممشى ، ومن هناك الى قاعة لا نهاية لها مكتظة بأبالسة طويلي الشعر قائمي الوجوه وطار خلال قاعة النساء ، وتجسس ثانية الممشى ، متعرفاً على سور السلم ، واندفع يهبطه وهناك وجد نفسه في غرفة الانتظار حيث جلس في ذلك الصباح ، وتطلع بوحشية يفتش عن الباب .

وقعقع المزلاج ، وهبت نسمة ريح باردة ، فانطلق باشكا متعثراً في الساحة وفي رأسه فكرة واحدة : « الهرب ، الهرب ا » ولم يعرف الطريق ؛ ولكنه شعر انه يكفي ان يركض بدون توقف وانه سوف يكون في المنزل سريعاً مع امه . وكان القمر يشع خلال سحب السماء المظلمة . وركض باشكا باستقامة الى الامام ماراً حول مظلة في الحديقة . ووقف لحظة في حيرة ، ومن ثم اسرع عائداً الى المستشفى وابتدأ يركض حوله . ولكنه وقف محتاراً ، فقد لمع فجأة بالقرب من عينيه صلبان المقبرة البيضاء : وصرخ وهو يعود ادراجه ثانية :

— « اماه ! » .

واخيراً عندما مر بجانب البناية السوداء المتوعدة وقع بصره على نافذة مضاءة . وفي الظلام كانت القطعة الحمراء اللامعة توحي بالرعب . ولكن باشكا ، وقد سيطر الذعر عليه فلم يعد يعرف الى اين يهرب ، استدار نحوها وتنفس الصعداء . وكانت بعض الدرجات الى جانب النافذة ، مع باب علقت عليه لافتة بيضاء عريضة . فاقتحم باشكا السلم وتطلع خلال النافذة وفجأة ملكه فرح حاد لم يدع له مجالا للتنفس فقد كان الطبيب المرح والثرثار يجلس الى طاولة وراء النافذة وقدامك بين يديه كتاباً . وضحك باشكا فرحاً ، وحاول ان يصيح ، الا ان قوة لاتقاوم اخمدت انفاسه وضربته على رجليه فترنح وأغمي عليه ، فسقط فوق السلم .

وحين عاد الى نفسه كان النور يملأ المكان ، وكان الصوت الغنائي الذي وعده بالسوق ، والعصافير ، والثعلب الحي يهمس في اذنه :

— « انك حمار يا باشكا ! الست حماراً الآن ، يجب ان تتجلد » ! .

دمشق — سهيل ايوب

الى اين يا نفس ؟

الى اين يا نفس؟ ان التعثر في السير قد حز مني القدم
ومـا ينفث الصدر غير انين تقطعه زفرات الالم
وما يسكب النور غير خيوط تعقدها في جفوني الظلم
أسير، وتسند جسمي بقايا من العزم توشك ان تنهدم

تلفت حولي فلاحت لعيني خمائل يكتظ فيها الشجر
تواشج اغصانها راخيات على الارض ذيلاً طويلاً يجر
يرين عليها سكون عميق يكـاد لوحشته ينتحر
فلا يعتري المرء إلا ارتعاش مرير يفيض عليـه الضجر
. وهمت على الوجه اخبط بين الجهات ضلالا ، وما من اثر
فلمـا وهنت ، وابهم دوني الطريق وضج علي المقر
تغلغلت قسراً وحولي شباك من الغصن يرتد عنها النظر
تلف علي وتشتد ضيقـاً فتوشك في جسدي ان تمر
وافصم منها العرى عنوة كما فرق العـاشقين السحر
وأخطو فترسم في الغصون جراحاً . وانقش فيها صور
وابكي واغمض فوق الدموع جفوني . وقد كف مني البصر
يحز بكـاي نياط الفؤاد كما حز قوس الرباب الوتر
فيهتز وجداً ويرقص حزنا ويرسل لحنـاً بليغ الاثر
. . وناديت : نفس ! الست تحلين بعد العناء ازار السفر؟
الى اين ؟ اني وجدت سبيل النجاة . وجاوزت تلك الاجم

الى اين يا نفس؟ ان التعثر في السير قد حز مني القدم
ومـا ينفث الصدر غير أنين تقطعه زفرات الالم
وما يسكب النور غير خيوط تعقدها في جفوني الظلم
اسير، وتسند جسمي بقايا من العزم توشك ان تنهدم

وآنست فوق جبيني يد اليأس تسري وتنفض كل اكتئاب
فهذي الجبال تشق جيوب الفضاء وتفلق متن السحاب
شوامخ تنصبّ مثل الجوار فـلا يستقر عليها التراب
مسننة برزت من حشاها ضلوع من الصخر شبه الحراب
يساورني الخوف منها فأنأى ونفسي تزين لي الاقتراب :

اترجع حيث الكفاح العنيف يسيمك في الغاب سوء العذاب؟
ترجح بعض الصعاب على البعض حين يعز اجتناب الصعاب
وتابعت سيري مكباً على الصخر تخنقني غصة الارتياب
وللنـار بين الضلوع اضطرام واللآه في شفتي اضطراب
اشيح بوجهي عما ورائي وليس هنالك الا غيـاب
وأبكي وتحجب عيني الدموع واقصر عن رفع ذاك الحجاب
واغرز بين يديّ الصخور النواتيء خوفاً من الانقلاب
واسمو وحد الصخور الملطخ بالدم يمزق مني الثيـاب
سألتك يا نفس : هلا لقيت امانيك بعد؟ واين الذهاب ؟
فها قد كبحت جماح العلو صعوداً وشارفت اعلى القمم.

الى أين يا نفس؟ ان التعثر في السير قد حز مني القدم
ومـا ينفث الصدر غير انين تقطعه زفرات الالم
ولا يسكب النور غير خيوط تعقدها في جفوني الظلم
أسير، وتسند جسمي بقايا من العزم توشك ان تنهدم

الى اين ؟ فالماء يمتد حتى تغيب عن العين منـه الحدود
يفيض على سكرة الموت وجداً فينتابه من ضناها الجمود
وتحنو عليه عـذارى من العشب ولهى تكفنه بالبرود
احـدق فيه ، وبي مألم يمض ، ويأس يدب جديد
أأخطو؟ فقد ضاق وجه الفضاء علي ، وضجت برجلي القيود
. هويت وخضت عميق المياه فالفيتها قرة كالجليد
اغوص وتصطك فيّ الثنايا وينتاب جسمي ارتجاف شديد
واطفو التياعاً من الزمهرير ويطرق سمعي صدى من بعيد
ويجلو فيظهر لي فجأة على صفحة المـاء قصر مشيد
سيول من النور تنثال منه فتغمر عن جـانبيه الورود
تحوم عليه الطيور سكارى وتمـلأ اجواءه بالنشيد
وأدنو اليه على طـائف من الروح باقٍ يكاد يبيد
وينفر مني وأتبعه كمـا جد اثر الضلال الشريد
فقد غاب وابتلعته المياه وآوته احشـاء ذاك الحضم

***

رجعت الى الشط في خيبة اجر من الضنك ذيل الندم
واملأت بالرمل كفي فانساب نحو الحضيض ولم يلتئم
فوا رحمتاه ! اما افلتت ولو ذرة منه كف العدم ؟!
وناديت يا نفس والهفتا على الامـل الدامع المبتسم
ينـازع بين يدي ويفسل عن مقلتي حلماً لم يتم . .

باريس

مصطفى راغب



مكتبة الاديب

رندلى

لسعيد عقل – شعر – مع ستة رسوم لرضوان – ١٤٨ صفحة – حجم صغير
ورق صقيل – دار الاحد – بيروت

وبعد فقد آن ان يهل ديوان سعيد عقل في اهاب مترف من لورق الفاخر المليس ، انعم من خد « رندلى » نفسها ، زوّقه «رضوان» بريشته اللبقة الصناع فجاء جنة فاغمة بالشعر والسحر العطر.

منذ خمسة عشر عاماً اوتزيد، وعد سعيد باصدار ديوانه وكان مقدراً له ان ينعم بعنوان « الهنيهة السكرى ». بيد ان « رندلى» قد استأثرت بعنوان الديوان المنتظر، بظرفها ودلها ، وحلاوة اسمها، تعبق في جرسه وليان حروفه نفحات من طيب الرند .

وقد كانت الرغبة الحلوة تغريني بالكتابة عن سعيد عقل وعن اثره في الشعر العربي المعاصر ، منذ ان صافحت عيني بنت يفتاح والمجدلية وقدموس وتلك القصائد تترع مجلة الاديب والمشرق والمكشوف وغيرها ، فما اجمل لدي ان اجاور ، الآن ، والديوان بين يدي والرغبة الحلوة تجاذب قلبي ، اعجابي بهذا الشاعر الكبير.

وانني لا تشوّف وانا بسبيل الكتابة عنه ان انظر في كل ما نشر له من الشعر وان اورد رأيه في صناعة الشعر — وفي المجدلية مقدمة ضافية تلخص نظرته — بيد ان ذلك لن يتيسر لي ، فما في حوزتي ، هنا ، شيء مما نشره سابقاً ، وانني لاجتزىء حين تعرض لي المقارنة بما قد وعيته في صدري .

انسربت الرمزية الى الشعر في لبنان ، فرفدته بالوان شهية طلية وفوفت اخيلته بتهاويل وتشابيه جديدة ، ولعل طبيعة لبنان يتكىء على آفاقها هذا الضباب المرزم الحالم ، ويغسل شطآنها هذا البحر الازرق العميق ؛ ويتأود في فضائها الغائم هذا الارز الابي الخالد ، قد حسرت لشعرائها عن عالم مبهم يضطرب فيه النور والظل ويصطرع فيه الوضوح والغموض .. فاذا نشيد من هنا ، وقصيد من هناك ، يمتحان من رعشة النجم ونقلة الفراش وتلويحة المنديل ، وخفقة البنان والشفة والقلب وينسمان ، اول الامر في ثقوب ناي لراعٍ عاشق عميد متيم ، ويلتقيان ، في النهاية ، في لهاة شاعر عبقري كسعيد ، واذا بحلقة من الشعراء تلتف ، وتتلامح نجومها في سماء الشعر ، قد ثبتت اقدامها في ارض لبنان ، وعلقت نظراتها بالافق البعيد ، ونيطت قلوبها بخفقة الارز الخالدة وشغلت عقولها بوساوس اللفظ والمعنى . فمن الحلقة ، امين نخلة ليلهو في انتقاء لفظ ناعم رائق ، ويوسف غصوب ليهفو الى جلاء صور غريقة بالعطر والبير أديب لينحو الى شعر مرسل في لحن دافىء هادىء حزين ، والياس زخريا ليثور في عاطفة عربية متقدة ، وصلاح الاسير ليطارد خيالا آبداً شارداً ، ورشدي المعلوف وصلاح لبكي ويوسف الخال ، ليشيعوا الدفء والسلاسة والرقة ، ومر في بهرة الحلقة سعيد عقل ، ليهب رعشة جديدة في الشعر والمسرحية الشعرية ، ويضفي عليها من اخيلته والفاظه ومعانيه جوا جديدا .

ويسر بلك هذا « الجو » الموسيقي الناعم اما لهجت بشعر سعيد عقل وقد يلهيك هذا « الجو » عن تتبع الفكرة التي قصد اليها الشاعر ، والفكرة ، في اكثر قصائد عقل ، تكمن ، على حلاوتها ، وراء رمز او اشارة كما يكمن العطر في البرعم . قد يكون الشوق اليه قبل ان ينور البرعم في قرن واحد من النشوة والمتعة مع طيب شميمه . ألم يقل « فاليري » : ينبغي ان تختفي الفكرة في القصيد ، كاختفاء قوام الغذاء في الفاكهة . فالفاكهة وهي غذاء لا تتبدى لنا سوى متعة ، ولا نستجلي منها سوى اللذة بيد اننا نتلقى منها ، في الحقيقة ، مادة مغذية ، فيوارى التشهي والاستطابة ذلك الغذاء الخفي الذي تقصد اليه الفاكهة .

الاشارة اذن لدى سعيد اوفى دلالة من الافصاح .

ورب اشياء على بكمها اكرم بوحاً من فم يسعد

اذكر انني حين قرأت قصيدة القمر ، منشورة ، اول مرة في « المكشوف » اخذت بالوانها وانسياب نغمتها ، واذكر ان صديقي الشاعر « كمال فوزي » قد افضى الي اعجابه بها وقد بدا له ان سعيداً قد رمز بالقمر الى الشاعر فهو يخطر في السماء ، بين نجومه ، كما يسعى الشاعر وحوله بنات خياله يتحلقنه كباقة من الشرر ، ويستشرف كلاهما الربى ، تتكسر ، في المدى صوراً وتهاويل ، غير انني ، لم اقتنع بهذا التفسير ، على جماله ، وظل في قرارة نفسي ، سؤال حلو قلق ، يواكب غبطتي بنغمة القصيدة

تترفق في سيرها الى القلب :

من روابينا القمر	جاءه . ام لا خبر
جايلتـه رندلى	ودمى الحسن الاخر
طالمـا فاجأنه	حافياً فوق الزهر
العذارى حولـه	في الربى عقد شرر
ضحكـة طافرة	ونشيد في الاثر

واقرأ « نياثار » فتتهادى امام خيالي صورة غانية مترفة، خلق الحسن لها ، وهلل لقدها وشاح ، وقطف اسمها من ياسمين ، وتسمو صورة « نياثار » في الخاطر ، رفيقة ، هفهافة كرفة الفراش ، حتي لتداني الشمس في تعاليها ويجرؤ شعاع وقاح علي تحديها . وتغيب الصور فلا يبقى من نياثار سوى خصر يتلوى بالورد وانامل يلعب فوقها الضوء والعطر، وتمحى وتهجع في الغيب في لون لا يرتقالي ولا ابيض ثم تسري مع كل نسيم سماح .

وما اردت بهذا، ان افسر القصيدة، ولكني رغبت في تسجيل صور ترادفت امام خيالي وانا مستغرق في قراءتها ، كما تترادف في منسرح الخاطر ، شتيت الصور حين يتناهى الى الاذن نغم رائع عميق .. وجل قصائد عقل ملعب للنور والظل ، وقد يجور النور على الظل ويمحوه ، فاذا القصيدة ضاحية مشرقة تغزل في الفاظها ومعانيها، البهجة والصفاء ، وما احلى قصيدة « العينيك » يقول فيها :

العينيـك تأنى وخطـر	يفرش الضوء على التل القمر
ضاحكا للغصن مرتاحاً الى	ضفة النهر رفيقاً بالحجر

وقد يتمم الظل بعض الصور التي ينكفىء عنها النور، فيتعانقان او يفترقان او يسكبان الواناً زائغة قلقة :

نبأ عن شمـة امرعت	في الثنـايـا نبأ نضر
نبأ عن مبسة الارض في	سوفهـا والله يفتكر
يا هناء اللون يا زينة	في فم بالصحو يأتزر

هذا المزيج الرائع من النغم والعطر والوجد والرعشة يتسق في شعر سعيد عقل ، في ألفة ساحرة ، ولا ريب ان هـذا المزيج قد استمد بعض الوانه من الشعر الرمزي الفرنسي ، ففي قصيدة « نار » الحافلة بوصف الشبق والغرام المشبوب، تتلوى فيها ، كالنار، غانية جامة مغتلمة . تلفي فيها نفحة من عاطفة بودلير المتقدة العارمة، وانك لتجد الشاعر في اكثر قصائد الديوان كبودلير في كلفه بالعطر والزهر .

وفي قصيدة « نحت » نجد اسلوب « ملارمه » تنتظمه النغمة والرعشة والصور الغنية، وفي قصيدة « غابة اللوز » « ونجوى الليل » و« ماذا انتهى كل شيء » تراه « كجوستاف كان » في سهولة قوافيه وانطلاقه وترسل شعره، وفي قصيدة « علمت امي بنا » يطل « فرانسيس جمس » في صدقه وسذاجته وعفويته، بيد ان سعيداً قد تأثر الى حد بعيد، بالبير سامان ، في نعومته ورقة عاطفته وعذوبته وتقديسه للمرأة :

اجمل ما يؤثر عن ارضنا	اوهامها انك زرت الوجود

كما انه قد اخذ بمدرجته في غرامه بالليل والاحلام والاماسي الموحشة وهو مثله يساهر القمر ويرعى النجوم وتكـاد لا تخلو قصيدة له من ذكر النجم .

واذكر انني قرأت لسعيد قصيدة — تمنيت لو ضمها الى هذا الديوان — وقد اهداها الى روح البير سامان يقول فيها :

يا شـاعرا مفوفاً بالاسى	من اي خد تستعير البريق
من ادمع انت ومن لوعة	ونطلع الشعر ربيعاً وريق
انا شقيقا غربـة لا نرى	خدنا من القيد الموشى طليق

غير ان سعيداً اقل منه حزناً واسى ، فهو اكثر منه اقبالا على الحياة ومع هذا فلا تخلو بعض قصائده من انغام باكية حزينة ، كقصيدة الصدى البعيد ، التي تناسمها اللوعة والاسى :

احب عـلى مسمعي	صدى مات في اضلعي
انا مـلء صـدري	وملئي مرد هوى موجع
حنانك دعني والا	جرحتـك بالادمع

واكثر قصائد هذا الديوان كانت قد نشرت منجمة متفرقة غير ان سعيداً ، قد بدل منها وأضاف اليها وحذف منهـا الشيء الكثير ، وقد لحظت هذا التوخي في التحسين والعناية في التغيير، منذ ان نشر المجدلية في المشرق ثم انتظمت في كتاب بعد ان حور وغير وبدل فيها ، ولعل هذا يشي بنفس دائبة القلق دائمة التطلع الى الكمال ، ومع هذا فقد كنت ابحث في شبه حسرة بين ثنايا هذه القصائد ، عن ابيات لا تزال اثارة من نغماتها الرقيقة تغـازل اذني ؛ فلا اجدها ، او اجدها قد حرمت من الفاظها القديمة التي استروحت اليها نفسي ووعاها صدري، وبدلت بالفاظ جديدة وما انكر ان اسلوبه قد جاء في قصائده بعد هذا التهذيب، اكثر اسراً واشراقاً، وهو في هذا لا يعدو ان يكون من عبيد الشعر، الذين يدأبون على صقل البيت وتحكيكه، حتى ليظهر فيه اثر الجهد والصناعة .

واذكر ، الآن ، هذا البيت من قصيدته « احبك »

وفي ثغرك الرطب لحن يتيم	يثور على الوتر الهاجع

وهو بيت غاية في الرقة والسلالة والروعة وقد استبدل به سعيد بيتاً اقل منه رونقاً وروعة ولكنه اكثر رقة :

وثغرك لي قلة الفل باتت	يتيمة ذاك الشذا الضائع

وجاءت قصيدة « الى مغنيها » في حلتها الجديدة ذات اسلوب مستحصد آسر، واخيلة شيقة غنية وقد بدل من مطلعها القديم اذ يقول :

يـا نجمي ونجي الزهر اترابي الخزار

فجفا الزهر ، واستنزل النجم — لولعه بالانجم — فقال :

يا نجمي ونجمي الانجم البيض الحرار

وكذلك جاءت قصيدة نحت وقرحافلتين بصور الطف وادق،

اما قصيدة نيانار ، فانا اوثر المطلع القديم حيث يقول :

اجمل ما في الارض ، انقى من السوسن ، اغوى من تجلي الصباح

على هذا المطلع الجديد :

اطيب ما في الطيب اغوى من الاغواء انقى من مطل الصباح

ويقول في هذه القصيدة :

مستهماً آنًا وآنـاً وهت خوف يطيران اذا الزهر فاح

فكأنه يبغي ان يزيح بهذا البيت مغالق بيت من القصيدة القديمة حيث يقول :

مرت عليه اصباً اصباً تخاف ان ينشال والزهر فاح

وبعد ، فافرق ان اتحيف من رواء هذه الباقة الرائعة من الشعر وانا اقطف منها عذقاً ، فلاترك للقارىء هذا الحظ السعيد ، في دخول جنة « رندلى » لينعم — كما نعمت انا — بالشعر والسحر والعطر .

برلين - سوريا — بديع حقي

كانت لنا ايام

لعمر النص — شعر — ١٢٦ صفحة — ورق صقيل — حجم كبير.
المطبعة الهاشمية بدمشق

صديقنا الاستاذ عمر النص شاعر موهوب من هؤلاء الشعراء الذين تتملكهم الرومنطية الى ابعد مدى ، هذه الرومنطية ، التي هي منحى اسلوبي وفني ، اخذ شعراؤنا يعيشونه ، بعد تأثرهم بالغرب وثقافاته ، وبخاصة فكرة التمذهب ، التي تتوزع الآداب الاوروبية بين وجدانية غنائية ، تصل الى رمزية موسقة ، او سلفية تقليدية ، تصل الى ارتسامية واقعية !!

واما عن خصائص هذه الرومنطية — والتي سنجدها في ديوان صديقنا عمر : « كانت لنا ايام » فهي الوقوف على الذات ، من اجل التعبير عن كل ما يختلج فيها ، سواء ما يتعلق من هذه الخلجات بموقف هذه الذات من امياها ، او موقفها من الطبيعة حولها ، اوما يتعلق منها بالناس وحيواتهم الاجتماعية والانسانية .

واما هذا الديوان الماتع « كانت لنا ايام » فهو في الحقيقة ، اذا قورنت موضوعات اناشيده بعضها ببعض ، « ترانيم غزلية » تصور لنا قلباً ، مرهف الحس ، مصوراً لحركات حياته ، كأنما تجارب الايام التي يتحدث عنها صاحبه لم تذقه الا ما يدور حول الحب من يأس ، وحرمان ، وسأم ، وهكذا .

وجميلة ، في الحقيقه ، هذه الترانيم الغزلية التي يسوقها الى الاسماع ، عربية الجرس ، سلسة الاسلوب ، كما نجد هذا في قصيدة « غفران » او قصيدة « حرمان » او قصيدة « العودة » او قصيدة « اشواق » او قصيدة « على الطريق » . . وغيرها من هذه القصائد الغزلية ، المشوقة الآملة ، واليائسة الحائرة ، او المستسلمة المنهارة . . وهكذا مما يصل بشاعرنا الى ان يشعر ، في مطلع شبابه بالهرم الروحي — وما يدور حول هذا الهرم من اسئلة وجودية — فيقول .

« انا شيخ امر بالارض سأمان ، وأطوي الحياة في اشفاق ! »

« وارى الحلم كيف يفنى على الجفن ، وتخبو رؤاه في اعماقي !! »

من قصيدة « من الاعماق » !! .

والنظر الى الوجود من كوة الحب واحواله ، صعب الوصول معه الى التفلسف الذي للنشيد الفلسفي ، في عواطفه المركزة ، الخاصة ، وافكاره البارقة ، المتموجة !! . ولذلك يطالب النقاد والموجهون ، الادباء والشعراء بالتثقف العلمي والفلسفي ، العميق ، بل الدقيق المنهجي ايضاً !! . وهذا ، لان الثقافة ، والقراآت الكثيرة ، تجعل الشاعر يعيش ما لم تقدمه له تجاربه اليومية من حيوات انسانية ، تقلقه بافكارها وعواطفها !! .

واما ديوان صديقنا الاستاذ عمر النص ، فالثقافة التي تنطق فيه ، انما هي الثقافة العربية ، والتي هي ثقافة اساوب !! . وانا ان كنت اقدر في صديقنا عمر المقدرة الموهوبة على الصياغة الشعرية المتينة ، الا انني ارجوه ان لا يضيع هذه المقدرة بين الاساليب العربية القديمة — وخاصة الخطابية منها — والتي نجدها في قصائد عدة من الديوان ، ابرزها قصيدة « انتظار » وقصيدة « سأم » وقصيدة « في لهيب الذكرى » وقصيدة « فراق » وقصيدة « قبيل الوداع » بل ، ارجوه ان يقرأ ويقرأ كثيراً ، وبصورة خاصة ، في الفلسفة الوضعية ، والآداب الغربية ، المتحررة المنطلقة ، ليتحرر من قيود الاسلوب القديم ، وينطلق الانطلاقة التي يبشر بها الديوان .

فتهاني القلبية للشاعر على توفقه في مجموعته الطريفة هذه ، وشكري الجزيل له على هديته الماتعة ، وأماني الطيبة له في انتاجه المقبل !! .

القاهرة — عدنان الذهبي

من السماء

للدكتور احمد زكي ابو شادي — ١٦٠ صفحة — حجم كبير
ورق صقيل — مطبعة جريدة الهدى بنيويورك

اسمى طبقات الكتاب طبقة تكرس قلمها لاصلاح الفاسد وتقويم المعوج وارشاد الضال فتكرس ذاتها لخدمة الانسانية وترقية مستواها .

وما احب الى قلبي الا ذاك الاديب السديد الرأي والبعيد النظر والقويم المبدأ والمتين الدراسة نثراً كان او نظماً فيذكي حرباً عواناً على

الأغنياء والمترفين ليحنو على الأيتام والفقراء المعوزين مفترضي الغبراء.

وفي طليعة هؤلاء الكتاب المجددين والشعراء المحدثين : شاعر الضعفاء ؛ شاعر الديموقراطية ، شاعر الانسانية المتألمة ، شاعر المحبة والجمال ، شاعر الاخلاص والوفاء ، شاعر المبادىء السامية صاحب (استقبال اميركا) و(وداع مصر)و(عيسى) و(اللاجئين) و(غضبة الاحرار) — الدكتور احمد زكي ابو شادي .

اطل علينا هذا النابغة بنثره وشعره من على صفحات «الهدى» الراقية وسائر الجرائد العربية في النيويورك ، فعالج ابواباً عديدة في العلم والادب ، وفتح آفاقاً جديدة في النقد الادبي لكثيرين من « ادباء »هذا العصر مما يسطره له التاريخ بمداد الفخر والاعجاب.

واليوم ، يتكرم علينا بهدية ثمينة هي ديوانه « من السماء » فقد اضاف الى المكاتب العربية ديواناً من الشعر العالي الطراز لا يستغني عنه طلاب الادب وعشاق الفن .

اقبلنا على الديوان فطالعناه بلهفة وامعان ، فالفيناه كنزاً من الادب الصميم ومعيناً من الشعر الصحيح والخيال البعيد .

فديوانه هذا شهادة صادقة لما تردان به نفسية هذا الشاعر الفذ . وانك لتشعر بمتعة ولذة فائقتين عندما تقرأ له هذين البيتين من قصيدته .«الموتى المشردون». يوجهها الى جلالة الملك فاروق :

مولاي حب الشعب اعظم ثروة ... لك من كنوز التاج والسلطان
كن انت رائده ووزع ارضه ... لبنيه كالفاروق في الاحسان

ان في مصر عدداً قليلاً من الاقطاعيين يملكون الارض بينما الاكثرية الساحقة من الفقراء والفلاحين يتضورون جوعاً فلا يملكون شبراً واحدا من ثروة الامة . وابوشادي وهو المصلح الكبير لم يدع الفرصة السانحة تذهب بدون ان يستعطف جلالة الفاروق فابو شادي بدون شك ، هو شاعر الضعفاء ونصير الايتام والمعوزين :

ما شأن آلاف الفدادين التي ... هي كالفابر للسواد العاني
ذهبوا بارجاء البلاد تشرداً ... وتكفنوا بمذلة وهوان

ربما يأتي احفادنا فيسخرون منا ، ويضحكون من آرائنا السياسية والاقتصادية ، لكنهم لن يهزأوا بأدبنا وافكارنا . ان الادب خالد مدى الدهر ، والافكار باقية بقاء الايام والليالي .

لو ان ابا العلاء قد انصرف الى الضروريات فمن اين كان لنا قوله :

سر ان اسطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالاً على رفات العباد
ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحكاً من تزاحم الاضداد ؟

ولو ان نابغتنا ابا شادي ينصرف الى الضروريات . فهل كان لنا رثاء «خليل مطران» و«احمد محرم» و«نسيب عريضة» و«اللاجئون»؟

ان ابا شادي قد ابتعد عن القول السخيف «اعذب الشعر اكذبه» لذلك ترى شعره بعيداً عن الاوهام كل البعد . فشاعرنا الكبير يميل الى العمل المنتج المفيد لا الى الكلام المنمق المرصوف الذي عودنا عليه بعض شعرائنا المعاصرين حيث يفاخرون بطول القصيدة وبقصر الفاظها .

حكمة سامية وآراء قيمة تطالع من خلال قصيدته الخالدة « اللاجئون » فقد وصف المشردين وصفاً مثيراً للعواطف ومهيجاً للقلوب باسلوبه الشعري الرقيق . وما مطلعها الا ذكرى لحوادث مؤلمة جرت في اواخر النصف الاول من القرن العشرين :

خُرسٌ فمن عن ويلهم يتكلّمُ ... ومعذّبون لهم نقام جهنم
جنت السياسة مثلما جنت الوغى ... والظالمون الغاشمون عليهمو

ان اخواننا الفلسطينيين قد شردهم طمع الانسان وانانيته . فاصبحوا بين عشية وضحاها غرباء في كل مكان ، حتى في بلاد آبائهم واجدادهم . فويل للانسان من اخيه الانسان !

وقد صدق ابو شادي بقوله :

ان المصيبة لا مثيل لرزئها ... فيما روى التاريخ او ما يُعلم

وكم اجاد وابدع في قوله عن المشردين :

والناس . . . ما للناس لم يتأثروا ... والاهل . . . ما للاهل لم يتندموا؟

لقد شق على شاعرنا الكبير وفاة زوجته ورفيقة حياته . فرثاها بقصيدة رقيقة تشير الى ما في نفسه من الم :

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي ؟ ... هذا فناؤك مؤذن بفنائي !
اسديت عمرك للحياة فما وفت ... ومضيتِ للابرار والشهداء

ان في نفس الشاعر لحزناً عميقاً ووحدة موجعة . وهل يستطيع صاحب المصيبة ان يعزي نفسه ؟ لكنه يقدر ان يبوح باسرار قلبه على القرطاس :

وبقيت وحدي لا عزاء ارومه ... والذكريات تزيد من برحائي
لهفي عليك زميلتي في رحلتي ... وشريكتي في الصفو والضراء

وشاعرنا الفذ حريص على الوفاء . فهو اكثر الناس اعترافاً بالجميل . ومن ذلك قصيدته « غضبة الاحرار» وقد قدمها للاستاذ سلوم مكرزل اقراراً بفضله واعترافاً بجميله وقدجاء فيها هذين البيتين :

هنيئاً ابا الاحرار بالقدح نلته ... وساماً ، وقد هان الوسام المرصّعُ
ستذكرك الاجيال خادم مبدأ ... ودين له الاجيال تنو وتخشع .

اما حزنه على مصر وطنه العزيز فظاهر باقواله صفحة (٩٩) :

فأمسي مأتم لفراق اهلي ... ويومي الحر في نجواك عيد

وقوله معاتباً ويعني ارض الكنانة :

اردنا ان نقومها فآبت ... وعوقبنا ، وصال المستفيد !
وضحينا لعزها فآذت ... كرامتنا ، وبش لها الحسود

وكم اجاد في قوله :

وعاث بها الدخيل فبجلته ... وفدّاها ابنها وهو الطريد

وفي قصيدته « فني وحياتي» يسامح اعداءه والذين خانوه وهي

لعمري فضيلة سامية يزدان بها قلب شاعرنا الجليل ابي شادي :

لا أبالي النفي ان يسر لي بعض تبديدٍ لهذي الظلمات
وشفائي ، لو غدا تضحية ما شفائي من عديد التضحيات؟
وليهنّأ من عداتي كل من خانني ، وليسعدوا بعد عماتي!

وبكلمة ، ان ديوان « من السماء » هو درة يتيمة في تاج الشعر الخالد، وكوكب نيّر في سماء الادب العميم. وان شعراً كشعر ابي شادي قد جمع صورة التعبير الصحيح ، وصورة الحس المرهف ، وصورة الخيال السامي ، وصورة الموسيقى الخالدة ، سيتجدد بهاؤه وتسمو قيمته كلما تقادم عليه العهد، على حد قول المغفور له احمد شوقي :

كل شيء جماله في أوانه وجمال القريض بعد أوانه

هافانا - كوبا **نوفيو عواد**

الجديد في الادب العربي

لعيسى الناعوري - ١٠١ صفحة - حجم كبير - المطبعة البولسية - حريصا لبنان

ليس من شك في ان كل من عانى مهمة تدريس الادب العربي وتاريخه يدرك الحاجة الى كتاب جديد يشوق الطالب المبتدىء الى درس الادب ، ويوجهه وجهة ادبية قويمة تصقل ذوقه وترهف احساسه وتفهمه الادب على حقيقته .

واذ نضع امامنا كتب تاريخ الادب المستعملة في مدارسنا ، نجد اصحابها جميعاً ساروا على نهج واحد في التأليف، وهو البداية بدرس العصر الجاهلي والصعود مع العصور اللاحقة الى عصر النهضة الحديثة ، فيعالجونه معالجة سريعة مبتورة لا تفي بالغرض المنشود. هذه حقيقة ماثلة اشير بتجرد غير قاصد من ورائها الى الغض من فضل الكثيرين من المؤلفين الكرام. وانني لاستهجن كل الاستهجان ان نعود بالطالب العصري المبتدىء الى الدور الجاهلي ببيئته الصحراوية الجافة ولغته الجلمودية الصلبة، ثم نأمل منه ان يحب الادب ويقبل على دراسته ما دمنا نقدم له ادباً بعيداً عن بيئته ، يعيده الى الصحراء بابلها ومواشيها واطلالها .

وقد شعر الاستاذ عيسى الناعوري كغيره بهذا النقص في التأليف المدرسي، ولكنه لم يكتف بان يشاركهم الشعور والتفكير فحسب ، بل تعداه الى اخراج فكرة مبتكرة — راودته طويلاً — الى ميدان العمل، فوضع كتابه (الجديد في الادب العربي) ليقدمه هدية فاخرة الى طلاب الصف السابع الابتدائي والاول الثانوي، فكان ذلك فتحاً جديداً مباركاً في عالم التأليف المدرسي، وقد تقدم المؤلف بهذا الكتاب لا لينازع غيره الشهرة او الربح ، بل ليقوم بشيء من خدمة الادب العربي والنشء العربي خدمة نافعة من شأنها تحبيب ابناء الضاد بآداب لغتهم وتشويقهم الى الاستزادة منها.

ولعل اهم ما نسجله للمؤلف من فضل في كتابه طريقته العصرية المبتكرة في دراسة الادب، وذلك انه استهله بدراسة عصر النهضة الحديثة لتكون المادة الاولى التي يواجهها الطالب في دراسته ، فالطالب يستسيغ عصره قبل كل شيء. ويسهل عليه فهمه ، وهي طريقة لا شك في فائدتها من حيث تشويق الطالب الى دراسة آداب لغته.

ومن حسنات الكتاب ايضاً جمعه طائفة كبيرة من النماذج الادبية التي تهدف الى اغراض تهذيبية — منها تقوية الروح الوطنية واغناء القومية وغرس صفات الرجولية وتهذيب الطبع وتقويم الخلق وغير ذلك من الفضائل. وهناك فائدتها الثانية من حيث صقل الذوق الادبي والانشائي وتوسيع آفاق العاطفة والمدارك والخيال .

يستهل الناعوري كتابه بملاحظات حول الطريقة التي سار عليها في التأليف، وبعد ان يتبعها بكلمة اخرى مماثلة للمدرسين، يثبت لنا تعريفاً جديداً الادب كما يفهمه هو، لا كما تتناقله كتب الادب المختلفة. فالادب الحق حسب مفهومه « رسالة سامية ، توجه الناس الى الخير ، والحرية ، والسمو . وما عدا ذلك فهو ادب رخيص عادي ، يلوكه كل من يحمل قلماً ، وكل من يعرف قواعد النحو والعروض » ثم يلقي نظرة سريعة على تاريخ الادب العربي وعصوره، ويتبعها بفصل قصير عن النهضة الادبية في الشرق العربي، وبعد ان يذكر مشهوري ادبائها ، يختار من الناثرين : طه حسين ، واحمد امين، وتوفيق الحكيم، وابرهيم المازني، ومي زيادة، ومن الشعراء : احمد شوقي، وعمر ابي ريشة ، وابا القاسم الشابي ، وعلي محمود طه. وبعد ان يتحدث على كل منهم يورد مختارات طريفة من آدابهم. ومن ثم يعرج على النهضة الادبية في المهاجر الاميركية ويأتي الى مشاهير ادبائها ، فيختار من الناثرين : جبران خليل جبران ، وامين الريحاني، وميخائيل نعيمة، ومن الشعراء : ايليا ابي ماضي، والشاعر القروي، وفوزي المعلوف. ويفعل حيال هؤلاء. فعله حيال من سبقهم من ادباء الشرق العربي باثبات كلمة على كل واحد منهم مع ايراد مختارات له. ولن يفوتنا ان نذكر انه حلى تراجم الادباء برسومهم مما يساعد في ترسيخ صورة الاديب المترجم له والمادة التي تخصه في ذهن الطالب ، كما كان يصدر النماذج الادبية بتمهيدات موجزة تساعد في فهمها وتشير الى غاية كاتبها وروحه .

والفصل الاخير من الكتاب رجوع مع التاريخ الى الادب الاندلسي الذي يدرسه بايجاز ثم يورد مختارات موفقة منه. وقد اختاره المؤلف دون غيره لقرب العلاقة بينه وبين العصر الحاضر الذي عالجه فيما سبق.

بريد الأديب



افلام أخطر من الحشيش !!!

ماذا تقدم الينا شركات الافلام العربية من غذاء فكري ؟

هذا هو السؤال الذي ينبغي علينا ان نضعه لتقدير قيمة الفلم العربي ووضعه في مكانه اللائق. وأظن ان الجواب دون ادنى شك سيكون : رقص خليع . . اغان مبتذلة . . موسيقى هائمة . افكار مسمومة . . عرض بوهيمي مستهجن. وبالطبع يشاركنا في جوابنا هذا كل تربه في فكره ، نقي في ضميره ، لا يؤخذ بالطنطنة الفارغة التي يثيرها مروجو هذه الافلام الهزيلة المخدرة !

ان الافلام العربية وبخاصة في سنيها الاخيرة اصبحت اشبه شيء بالروايات والمجلات الجنسية التي تداعب اسفل غرائز الانسان. اذ ان منتجيها كمن يروج تجارة الحشيش ! لا فن ولا ضمير بل ولا احساس بالجريمة النكراء التي تقترفها هذه الشركات وهؤلاء المنتجون مع جيلنا الناشيء في الشرق العربي كله.

اننا بحاجة الى افلام توجيهية تحل (مشاكلنا الاجتماعية) . . افلام (ثقافية) تزيد من وعي شبابنا . . افلام (انسانية) تحوي طابع الفن الرفيع . . افلام تعالج افكاراً (سامية) .

اني اهيب بالمسؤولين في جميع الاقطار العربية ان ينتبهوا جيداً لامثال هذه السموم التي تنخر اخلاق مجتمعنا ، وتفسد هذه الباقة اليانعة من ابناء هذا الجيل الجديد الذي يعتمد عليه كياننا الوطني في المستقبل . . ولا اكون مغالياً اذا ما قلت ان خطر الاستعمار يستفحل ويستشري امره عن طريق هذه الافلام التي تخدر العقل والجسم معاً ، والتي تجعل من شبابنا مخلوقات سادرة لا نفع فيها ولا غناء . فينبغي على المسؤولين ان يمسكوا الزمام بايديهم ، والا يفسحوا المجال لعرض هذه الافلام الرخيصة المنحطة. واقترح على السلطات المسؤولة ان تشكل هيئة رقابة شديدة على هذه الافلام ولا تعرض منها الا ما يعالج مشاكل اجتماعية سامية .

هذا ولنا عودة للتعليق على طراز آخر من الافلام الامريكية المنحلة ، افلام العصابات التي تربي روح التمرد في نفوس الاحداث .

انني اكتب هذه الكلمة كاقتراح للجان الرقابة في جميع البلدان العربية وارجو أن تنال حظها من الاهتمام .

بغداد — حسن الناظمي

من اماسي السمر في الفطيف

خرجت في امسية يوم والشاعر الشيخ عبد الحميد الخطي الى حديقة لنا ، وكان الجو ملثماً بالضباب ، والمخائل تنذر بالمطر ، ولم نكد نبرح المنزل ونخطو خطوات واذا بالسماء تفتح عينيها فترسل علينا دمعات خفيفة باردة . فعدنا ادراجنا . ولم تمر غير لحظات واذا السماء تكفكف عبراتها وترسل انوارها فنستأنف السير الى « الحديقة » ، ويدور الساقي علينا باكواب الحليب الممزوج بالبن ، واخذنا في الحديث . واذا صوت — من الناحية الغربية — مجلجل كالرعد القاصف . . فساورتني عواطف القلق حتى عز علي القرار . بينما الاستاذ الخطي لم يكترث ولم يزد على الابتسام ، والقاء الكلمات المطمئنة . فاليه ارفع هذه القصيدة :

في مساء ملثم بالضباب . . . جئت أسعى للحقل كالرتاب !
انا اسعى والشمس تفتح جفناً ثم يرتد مطبق الاهداب
فترلنا به كظل خفيف . فوق دنيا مفاتن ، ورغاب
ومددنا البساط حول الرياحين ، وبين الغدران والاعشاب
وعلينا اغصانه حانيات تتملى من سحرها الخلاب

ومن محاسن الكتاب ايضاً اضافة عدد كبير من الاسئلة التحليلية الى كل مجموعة من الفصول المهمة فيه، وهي بمثابة مراجعة المعلومات والفوائد المجتناة من الدروس السابقة ، تساعد المعلم في مهمته وتعوّد الطالب الاستفادة مما يطالع .

ثم تأبى على الناعوري غيرته الوطنية العارمة الا ان تبين فيما اثبته من مختارات وشروح ، فاذ في تضاعيف الكتاب عبر وطنية وقومية، نحن اليوم احوج اليها من اي وقت مضى، ولعمري، فهذه مأثرة تستحق التسجيل لكل كاتب واديب يهدف الى مثل هذه الغاية حين يشرع في التأليف .

واما مآخذي على الكتاب، فأستطيع ان اجملها في نقاط ثلاث :

— اولا : — صعوبة القطع المختارة من ادب طه حسين واحمد امين بالنسبة الى الطالب المبتدىء لا سيما وهي اول ما يطالعه الطالب في الكتاب. ثانياً : — عدم ضبط القطع المختارة بالشكل الضروري الذي لا غنى عنه للمبتدىء. ثالثاً : — قلة عدد النماذج الادبية المختارة والادباء المختارين بالنسبة الى كتاب وضع ليظل بين يدي الطالب سنتين متواليتين.

هذا ما يعن لي تسجيله حول هذا الكتاب ، رائدي بذلك تعريف الادباء والمدرسين به لعلهم يوفقون الى الافادة منه في تثقيف الطلاب وخدمة الادب العربي خدمة مخلصة ، وفقنا الله جميعاً الى خدمة ادبنا وأمتنا ووطننا .

رام الله - الاردن — ماجد فرحانه سعيد



جولة الأديب في شهر

القصيدة التي القاها الاستاذ ايليا ابو ماضي صاحب جريدة السمير النيويوركية في حفلة تأبين الشاعر ندره حداد

سكت الشادي

●

لا تسل اين الهوى والكوثر سكت الشادي وبح الوترُ
فجأة . . . وانقلب العرس الى مأتم . . ماذا جرى ؟ . . ما الخبر؟
ماجت الدار بمن فيها ، كما ماج نهر ثائر منكدر
كلهم مستفسر صاحبه كلهم يؤذيه من يستفسر
همس الموت بهم همسته ان همس الموت ريح صرصر
فاذا الحيرة في احداقهم كيفما مالوا وانى نظروا
علموا . . . يا ليتهم ما علموا ان دنيا من رؤى تحتضر!
والذي اطربهم عن قدرة بات لا يقوى ولا يقتدر
يبس الضحك على افواههم فهو كالسخر وان لم يسخروا
واذا الآسي . . يد مخذولة ومحيا ، اليأس فيه اصفر
شاع في الدار الاسى حتى شكت ارضها وطأته والجدر

اقل تقدير في عملها هذا واجب الاديب الحق حين يحمل يراعه ليخوض معمعة الحياة فقالت . . .

اعبر عما تحس حياتي وارسم احساس روحي الغريب
فابكي اذا صدمتني السنين بخنجرها الايدي الرهيب
واضحك عما قضاه الزمان على الهيكل الآدمي العجيب
واغضب حين يداس الشعور ويسخر من فوران اللهيب

فبكت ، وضحكت ، وغضبت ، وعبرت عن هذا البكاء وهذا الضحك وهذا الغضب ، في ذلك الليل الرهيب ، ليل الحياة ، في ذلك الاضطراب الذي نضطرب فيه . « الاضطراب الذي اقبل عليها وهي تسري في واديه فافاق مقلتيها . . . »

اسماعيل محمد الساعراني

فعلى الاضواء منه قترة وعلى الالوان منه أثر
والقناني صور باهتة والاغاني عالم مندثر
الهنا افلت من ايديهم والاماني . ؟ . . انها تنتحر
ذبحت افراحهم في لمحة قوة تجني ولا تعتذر
تقلع النبت الذي تغرسه والشذا فيه وفيه الثمر
اعبثي ما شئت يا دنيا بنا وتحكم ما تشا يا قدر
ان نكن زهراً فما امجدنا او نكن شوكاً فهذا الخطر
فلنعش في الارض زهرا وليطل اجل الشوك الذى لا يزهر

***

رحل الشاعر عن دار الاذى وانقضت معه الليالي الغرر
كم حوته وحواها ملكاً دولة الروح التي لا تقهر
عاش لا ينكر الا ذاته ان حب الذات شيء منكر
شاعر اعجب معنى صاغة للبرايا . . موته المبتكر
الجمال الحق ما يعبده والجمال الزور ما لا يبصر
والحديث الصفو ما ينشره والحديث السوء ما يختصر
انه كان ملاكاً بشراً فمضى عنا الملاك البشر
ونفوس الخلق اما طينة لا سنا فيها واما جوهر

***

يا رفيقي اما بلغت المنتهى ليست الحد الاخير الحفر
فاعبر النهر الى ذاك الحمى حيث « جبران » العميد الاكبر
« ورشيد » نغمة شادية « ونسيب » نغم مستبشر
« وجميل » فكرة هائمة « وامين » امل مخضوضر *
قل لهم انا غدونا بعدهم لا حديث طيب لا سمر
كسماء ليس فيها النجم او كروض ليس فيه زهر
كلنا منتظر ساعته والمصير الحق ما ننتظر

« السمير » ايليا ابو ماضي

---

* م رشيد ايوب ونسيب عريضة وجميل حلوه وامين الريحاني

من خرافات الاقدمين فى افريقيا

الاله الذي خلق رجالا ونساء

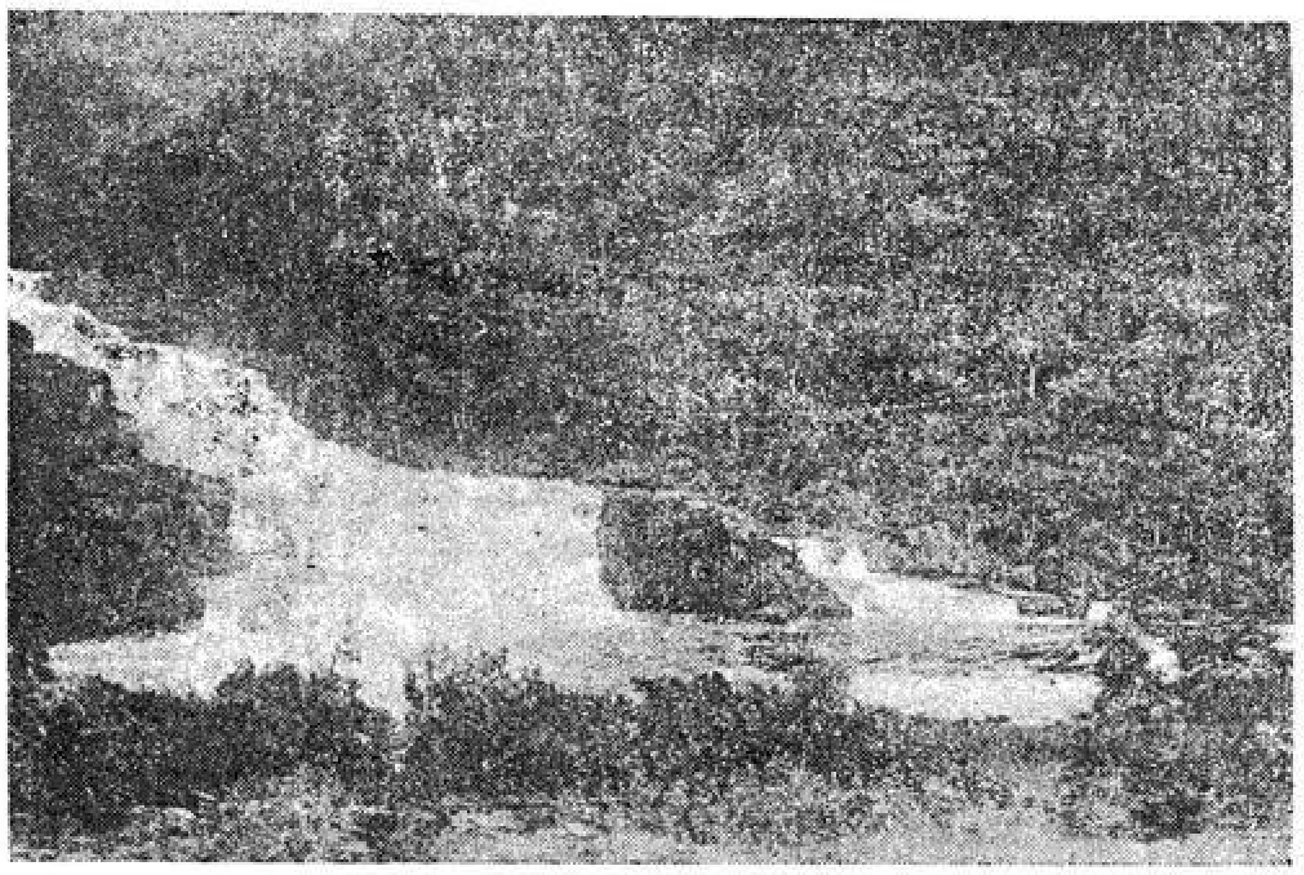


لزمن بعيد وبعيد جداً،قبل ان تؤهل هذه الطبيعة بالكتل البشرية،وعندما كانت بكليتها جبالها ووهادها ، ادغالها وصحاريها ، مستنقعاتها ومجاريها ، مسرحاً لبني الحيوان والوحوش الكاسرة ، كان الاله « زامبي» يخلد الى حياة العزلة والانفراد ، راضياً من وحدته التامة ، قانعاً من دهره بكوخ حقير اقامه على ضفة نهر هادىء ، ضائع في هذه الجزيرة السوداء ، لا مؤنس قربه يدعوه للسمر ، ولا جليس يقف حوله او رفيق يشاركه العيش ، انما كان جل همه وشاغله ان يذهب الى الصيد كل صباح ولا يعود الا وقد امتدت العتمة على الارض ، فيحشون اذ ذاك جوفه مما تكون قد امتلأت به جعبته، ثم يشعل غليونه المصنوع من القصب فيتسلى بالاسترسال في نفخ دخانه ، منصتاً الى نقيق الضفادع وصرير حشرات الليل حتى يغلبه النوم فينام .

وقد سلخ زامبي من عمره اعواما وشهوراً ، وهو في وحدته التامة تلك ، لم يكن يطمع خلالها في شيء ، بل كان له من تلك الوحدة سعادة وحبور، غير ان الحياة الموحدة الوتر ، التي كان يخلد اليها ، بعثت في نفسه الملل والضجر بعد لاي من الاعوام والشهور ، فأخذت الطمأنينة لا تجد الى قلبه سبيلاً ، ولا الى صفاء نفسه طريقاً ، وبدأت الهواجس والافكار تذهب به وتجيء . لقد فكر ان يخلق مجتمعاً يشاركه الحياة ، يشاركه العمل ، يشاركه التفكير ، غير انه كان يخاف ان يجر هذا المجتمع اليه الشر والبلاء .

ولبث زامبي هكذا حيناً من الدهر وهو اسير صراع ، وتر سلسلة الايام الطويلة المتشابهة الوقع كادت تخدر كل عرق في اعصابه ، لقد مل حياة الوحدة ولم يعد في استطاعته ان يخلد اليها ، ومضي مع افكاره وهواجسه الى ان أنس اخيراً الى حل .

ففي صباح يوم ، ركب زامبي زورقه ، بعد ان اكتنف جعبته التي كان قد ملأها بحبات من الجوز، ثم راح في النهر يشق عباب مائه حتى وصل الى حيث يمتد في النهر لسان من الارض فوقف هناك ؛ وبعد برهة من تفكير، شرع زامبي يضع الجوزات جوزة بعد جوزه في فمه يبلها بلعابه ثم يرمي بها وهو يقول : « سيري ايتها الحبات من الجوز تحت الماء الى حيث اتيت بك واخرجي الى اليابسة هناك عند كوخي الحقير مجتمعاً من رجال تنبض في عروقهم الحياة ، يشعرون بما اشعر ويتكلمون ما اتكلم » قال هذا واقتفى اثر الجوزات الى حيث القاها كما طلب .



وانس زامبي حيناً من الدهر الى ما صار اليه لقد كان يشعر وهو يلقي التفاتة على مجتمعه بما هو اكثر من السعادة والحبور ، لقد عرف معنى الالوهية وادرك لذة السيادة ، غير ان هذه الحال

لم تدم طويلاً ، فقد حدث اخيراً ما كان في حسبان زامبي ، اذ جاءه ذات صباح احد افراد مجتمعه يتذمر ويشكو قائلاً :

« بوبو[1] » اننا لفي قلق مستمر ، فبطوننا منذ اوجدت تشكو الالم المرير ، وذلك لاننا لم نعرف من الطعام غير اللحم المقلي بالزيت الاحمر[2]، فاليوم كان طعامنا شقة من لحم الغوريللا مقلية بهذا الزيت كما لم نأكل بالامس غير طيور الببغاء المقلية بالزيت الاحمر ، بينما لم نذق في امس الاول غير شقة من التمساح مشوية اتكون الاله الصالح وتتركنا بلا نساء يطهين لنا الطعام؟ ايكون بنو الحيوان خيراً من بني الانسان، فالرجل نصف لا يتممه الا المرأة، فان شئت دع مجتمعك الذي اوجدته يكون كاملاً والا فخير لنا ان نعود الى اصلنا فنرتاح من العذاب ».

ولم يجد زامبي بدأ من النزول عند ارادة مجتمعه ، فنادى افراد هذا المجتمع اليه وطلب منهم ان يذهبوا الى الصيد فرادى طوال نهار كامل ، وان لا يتصل الواحد بالآخر ، وان لا يعودوا الا وقد ارخى الليل سدوله ، فيضع كل منهم الفريسة التي اصطادها عند باب مخدعه حتى الصباح،وهكذا فما يأتي الصباح الا وقد تحولت فريسة كل واحد الى امرأة تنبض فيها الحياة.

وللحظة الاولى التي اهلت فيها هذه البسيطة بالنساء اختفى زامبي ، وما زال مختفياً حتى اليوم ، لقد اوجس خيفة منهم لتعداد شرورهن . لقد ادرك ذلك من اجناس الفريسات التي اصطادها افراد مجتمعه . فهذا كان قد اصطاد ضفدعاً وهل التي تنحدر من ضفدع تكون غير ثرثارة ؟ وذاك كان نصيبه سعداناً ولا تعرف المنحدرة من سعدان غير الولولة والصياح ، وذلك لم يأت الا بسلحفاة حقيرة ، واى امرأة تنحدر من سلحفاة لا تكون غير بليدة بلهاء ؟ . . ان زامبي لم يجد في افراد مجتمعه الا العدد القليل الذي تمكن من صيد اسد او نمر ، فتأكد اذ ذاك من ان عدد النساء الصالحات سيكون قليلاً ، كما انه لم يجد حتى واحداً منهم تمكن من صيد فيل ، فادرك اذ ذاك ان الذكيات من النساء سوف لا يكون لهن وجود. هذا ما حدا بزامبي الى الاختفاء. وسيبقى غائباً عن العيون الى يوم تنقلب هذه الارض رأساً على عقب ، فتختفي في طيها هذه الكتل البشرية الهائمة على سطحها ههنا وهناك ، فيظهر اذ ذاك ليجدد ثانية حياة العزلة والانفراد . .

غبنيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

---

(١) بوبو معناها في لغة احدى قبائل الزنوج سيد أو اله

(٢) الزيت الاحمر هو زيت بزر البابلست شجر يشبه شجر البلح يكثر وجوده في جميع المناطق الافريقية.

— بقية المنشور في صفحة ١٢ —

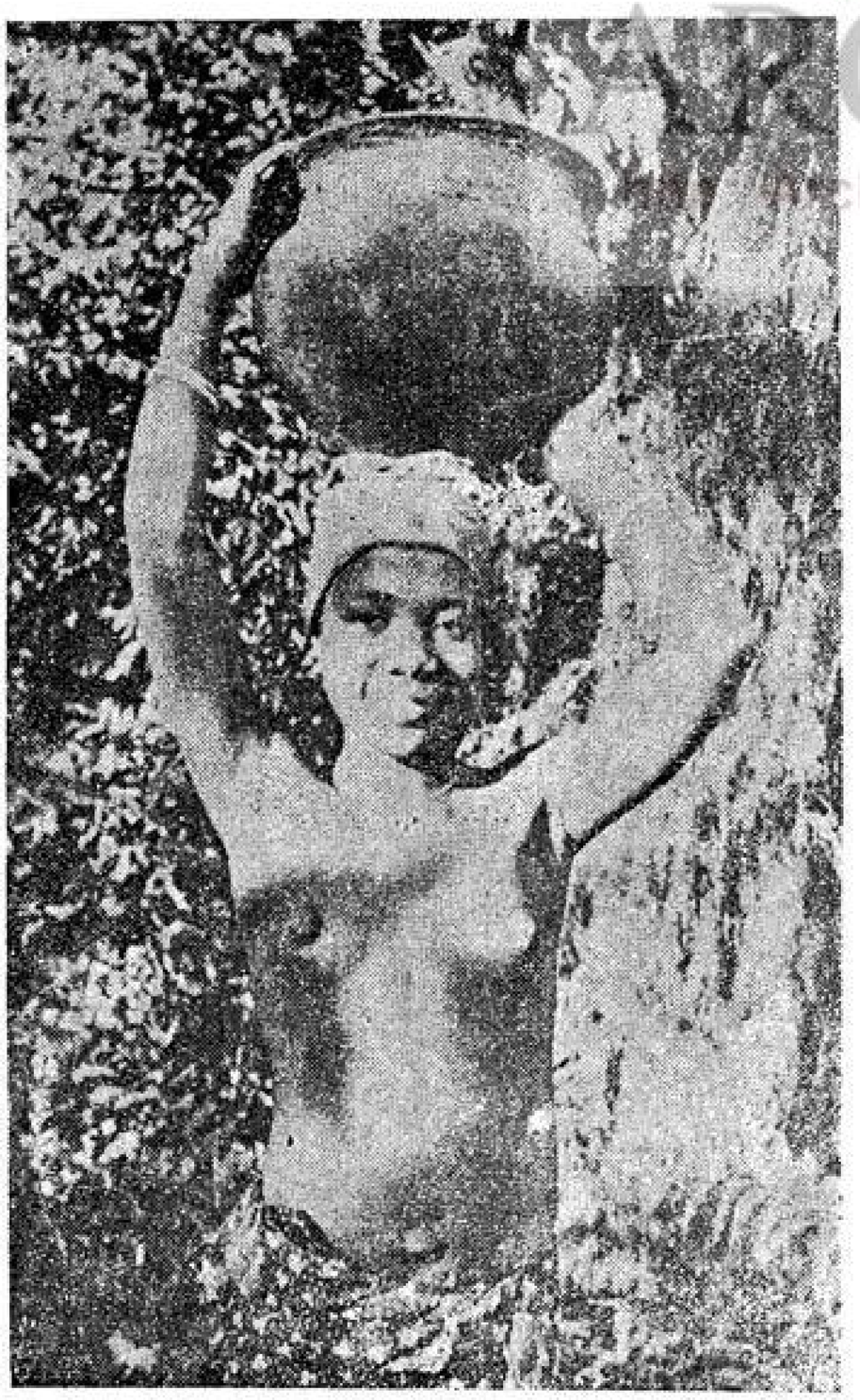
واحدة. وبينما اللغات المصطنعة التي سبق ان خلقها الناس قد فشلت في تأدية الاغراض التي انشئت من اجلها ، اذا بتدويل اللغات الكبرى قد بدأ يكشف المعركة سواء في المدى الجغرافي او الاجتماعي.

ولا تزال اللغة الفرنسية تحتفظ الى اليوم بالمقام الثاني في الاوساط الارستوقراطية والدبلوماسية .

ويبدو ان النية سوف تتجه الى الاتفاق على لغة واحدة لكل غرض من الاغراض. فتكون الانجليزية اللغة الدولية للاقتصاديات وتكون الالمانية اللغة الدولية للمسائل الكيمائية. وتكون الفرنسية للرياضيات. وتكون الايطالية لمسائل الموسيقى .

واللغة الفرنسية وان كانت لا تطمع اليوم ان تكون لها الزعامة والصداقة — وهو ما يبدو اليوم مستحيلاً — فانها سوف تحتفظ دائماً بالمقام الراجح. .

القاهرة — مبارك ابراهيم



أنباء العالم في شهر

٢٥ يوليو ١٩٥٠ – لا تزال قوات كوريا الشمالية تهدد جناحي القوات الاميركية وقد اعلن الشماليون احتلالهم ميناء موكهو، وان قواتهم تواصل تقدمها على جميع الجبهات بعد ان احتلوا مدينة يونغ دونغ .

٢٦ – اذاع راديو الفيليبين ان القوات الصينية تحتشد في الساحل مقابل جزيرة فرموزا واستعدادات الغزو جارية وشوهدت زوارق الانزال .

٢٧ – استردت القوات الاميركية بلدة هادونغ وقد اعلنت ان لا خوف على بوزان .

–قامت قوات كوريا الشمالية بهجوم مثلث على طريق تايغو فاخترقت الخطوط الاميركية .

٢٨ – تزداد الحالة خطورة في بلجكا والحوادث بين رجال الامن والمتظاهرين تتضاعف والاصطدامات العنيفة مستمرة احتجاجاً على عودة الملك الى العرش .

٢٩ – تنكفىء القوات الاميركية باتجاه بوزان تحت ضغط القوات الكورية الشمالية .

٣١ – انتدب ليوبولد ملك بلجكا ولي العهد للاضطلاع باعباء الملك الى اجل غير مسمى وهو ما يوازي التنازل وذلك بالاتفاق مع الاحزاب .

– وصلت الى موانىء كوريا الجنوبية الشرقية نجدات اميركية وموئن وذخائر . ويهدد الشماليون بوزان من الغرب وهم على ٦٠ كيلو مترا منها .

اول اغسطس ١٩٥٠ – تتراجع القوات الاميركية على طول الجبهة تحت ضغط قوات كوريا الشمالية .

٢ – تواصل قوات كوريا الشمالية زحفها وقد انسحبت القوات الاميركية من كومشون .

– عادت الاتحاد السوفياتي الى مجلس الامن وترأس مندوبه مالبك الجلسات .

٣ – انسحب الاميركيون في كوريا الى نهر ناغتونغ واصبح الشماليون على بعد ١٦ كيلو متر من تايغو العاصمة الثالثة ومركز القيادة الاميركية .

٤ – لاول مرة منذ بدء الحرب الكورية صد الاميركيون هجوم الشماليين بين تشنغو وماسان .

– بدأ الهجوم الشمالي على تايغو عبر نهر ناغتونغ .

٥ – اشعر المجلس الاطلسي الحكومات المنتمية اليه بان عليها اعداد الرجال بكثرة والسلاح بكميات كبيرة للدفاع عن اوروبا .

– وافق وزراء خارجيات المجلس الاوروبي على توسيع صلاحيات حكومة غرب المانيا لتكون شريكة في عضوية المجلس بتعاون اوسع

٦ – عبرت قوات كوريا الشمالية نهر ناكتونغ وتتراجع القوات الاميركية في كل مكان .

٧ – قامت القوات الاميركية في كوريا بهجوم معاكس وتقدمت في بعض الاماكن واوقفت زحف الشماليين في اماكن اخرى .

٨ – اقامت قوات كوريا الشمالية رقبة جسر على نهر ناكتونغ واصبحت تايغو العاصمة المؤقتة مهددة ، بينما تتقدم القوات الاميركية بين ماسان وتشنجو ببطء .

٩ – اخذت قوات الجمهورية الصينية تزحف باتجاه حدود التيبت ولم يعلم اذا كان الزحف محدودا او لا .

– قررت الولايات المتحدة انشاء شبكة للرادار حول الولايات المتحدة وكندا ستكلف ٨٥ مليون دولار .

١٠ – اخذ الهجوم المعاكس الاميركي بالازدياد وبدأت القوات الشمالية تتراجع من امام تشنجو . وتدور معركة كبيرة على رأس جسر نهر ناكتونغ .

الدكتور توفيق الاعور

طبيب مصح بجنس

الاختصاصي بالامراض الصدرية

من مستشفيات باريس وسويسرا

يعاين مرضاه في عيادته الجديدة الكائنة في شارع بشارة الخوري – بناية بيضون

يومياً بعد الظهر من الساعة ٢ – ٦

تلفون ٨٤ – ١٥ و ٣٩ – ٨٢

١١ – دخلت قوات كوريا الشمالية بوهانغ والمدينة تحترق . وسدت الثغرات على نهر ناكتونغ الا واحدة . وعادت مقاومة الشماليين الى الاشتداد في قطاع تشنجو .

١٢ – على حدود القوقاز بالقرب من مدينة قارص دخلت قوة روسية مصفحة ٤٠٠ متر داخل الاراضي التركية وقد اطلقت الحامية التركية النار فردت عليها الدبابات واستمرت المعركة ساعة فتعطلت اربع دبابات وجد فيها ٦ قتلى و١٢ جريحاً وقد احتجت تركيا رسمياً على الحادث .

١٣ – عبرت جيوش كوريا الشمالية النهر في عدة مواقع الى الشمال من وايغان .

١٤ – بعد هدوء القتال في الجبهتين الجنوبية والشرقية انتقل النشاط الى الجبهة الوسطى في كوريا وشنت القوات الاميركية هجوماً لازالة رقبات الجسر على نهر ناكتونغ .

١٥ – لا تزال الجبهة الوسطى في كوريا مركز الثقل وقد اوقف الاميركيون هجومهم في منطقة « تشانغ يانغ » لدفع القوات الشمالية الى ما وراء ناكتونغ .

١٦ – قامت القلاع الطائرة الاميركية باعنف غارة جوية في كوريا فالقت ٣٨٨٠ قنبلة في مساحة ٥٥ كيلو متر مربع .

١٧ – الف سيدي محمد شنك الوزارة التونسية وصرح بان حكومته انتقالية ومهمتها تسيير الادارة والمضي بالبلاد نحو الاستقلال الذاتي تلبية لاماني الشعب .

– بدأت جحافل القوات الشمالية في كوريا تدخل مدينة تايجو وشرعت مدافعهم تقصف المدينة قصفاً شديداً وقد اعلنت البلاغات ان الحالة خطرة في الجبهة الجنوبية .

١٨ – تتراجع القوات الشمالية تحت ضغط القوات الاميركية الى الشمال من تايغو . وقد استردت القوات الجنوبية ميناء بوهانغ .

١٩ – قتل جوليان لاهو رئيس الحزب الشيوعي البلجيكي برصاص مجهولين .

– يقول بلاغ الجنرال ماك ارثر ان الخطر الذي احدق بالعاصمة المؤقتة تايغو قد زال الآن

٢١ – تتابع قوات كوريا الجنوبية والاميركيون تقدمهم شمالي بوهانغ .

٢٢ – شن الشماليون هجومهم الكبير المنتظر بين تشنجو وماسان .

٢٣ – الف فنزيلوس الوزارة اليونانية .